

رفيع
عبد الرحمن (النجدي)
الملك والفردوس

سيرة الملك

الإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهرري الطروشني
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

مَقَّه وَتَبْلَه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَرَضِعَ فِهْرِيه
مُحَمَّد فَتْحِي أَبُو بَكْرٍ

تقديم
دكتور شوقي ضيف

المجلد الأول

الناشر
دار المصنفين للبنانية

رفع
عبد الرحمن الله حمدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الملوك

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**

١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - بريقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٤ / ٣٩٦٣

التزقيم الدولي : 3 - 141 - 270 - 977

جمع : الخانجي

المعنوان : ١١ ش عبد العزيز - تليفون : ٣٩١٥١٤٨

طبع : المدني

العنوان : ٦٨ شارع العباسية

تليفون : ٨٢٧٨٥١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا

وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا

إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ

وَلَمْ يَصِرْ مُهَذَّبًا كَامِلًا

أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِي

تقديم

رفع
عبد الرحمن النجدي
بقلم الدكتور شوقي ضيف
أسكنه الله الفردوس

من الكتب الطريفة في التراث الإسلامي كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي .
المولود بطرطوشة في الشرق الأعلى من الأندلس سنة ٤٥١ للهجرة ، وبها نشأ ، وأخذ
ما عند أبيه من الفقه والعلم ، ودفعه طموحه العلمي في شبابه إلى الهجرة منها إلى مدينة
سرقسطة عاصمة الإقليم ولقاء علمائها ، ولزم من بينهم الفقيه المالكي الكبير أبا الوليد
الباجي ، وأخذ عنه كتبه الكثيرة في الفقه والخلافات ، وأجاز له روايتها عنه ، وكان أبو
الوليد قد رحل إلى المشرق وأفاد منه علماً كثيراً ، فرأى - وهو في الخامسة والعشرين من
عمره - أن يحاكي أستاذه في ذلك ، فهاجر إلى المشرق سنة ٤٧٦ للهجرة ، وأدى فريضة
الحج ، وأخذ يرحل في البلاد ، فدخل البصرة وتلمذ لعلمائها ، ودخل بغداد ، وأقام بها
فترة متتلمداً لشيخوخ المدرسة النظامية بها التي أنشأها نظام الملك وزير ألب أرسلان
السلجوقي وابنه ملكشاه ، وتحول إلى دمشق ودرّس بها للطلاب ، ثم تركها واستقر
بالإسكندرية ، وبها اتسعت شهرته في علوم القرآن والفقه المالكي ومسائل الخلاف .
وقصده الطلاب من كل فج ، حتى كانوا يُعَدُّون بالمئات .

وكان الطرطوشي يعيش معيشة زهد وورع ، يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ولما
أشرف وزير الفاطميين الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥ هـ) في الظلم والطغيان
قَصَدَهُ في القاهرة ووعظه حتى أبكاه ، ويقال إنه تلقاه لقاءً حسناً ، غير أنه عاد فأمره أن

يظل في القسطنطينية بعيدًا عن طلابه خشية إفسادهم على الدولة ، فظل بها إلى أن تُوفى الأفضّل ، ورَدَّ الوزير الفاطمي الجديد المأمون البطاحي إليه حريته ، وأكرمه ، فعاد إلى الإسكندرية وإلى دروسه بها وطلابه .

وكان طغيان الأفضّل الجمالي باعثًا له على تأليف كتاب في وعظ الملوك والحكام ، وبيان ما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي لا تصلح حياة الرعية بدونه ، والسياسة الرشيدة الجامعة لمصالحها التي لا تستقيم حياتها بدونها ، سواء في تدبير الملك والحكم ونظامهما ، وقواعدهما السديدة في تدوين الدواوين ، ومعاملة الجند ، وفرض الأرزاق أو الرواتب ، وسيرة الولاة والعمال ، وجباية الأموال ، أو فيما يعترى الملك والسلطان من الاضطراب ، ومن الظلم وموقف الرعية منه وسوء عاقبته ، أو في الحروب ومكايدها وحسن تدبيرها ، أو في صلاح الملك والسلطان بالعلم والعقل الثاقب ، والخلاتق السنية التي تستقيم بها دنيا الإنسان ودينه .

وقد ورَّع الطرطوشي مباحثه في كتابه إلى أربعة وستين بابًا وسماه : « سراج الملوك » ويقول في مقدمته : « إني نظرت في سير الأمم الماضية والملوك الحالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول ، والتزموه من القوانين في حفظ النحل ، فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم ، خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول ، فوجدت ذلك في ست من الأمم ، وهم العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والسند ، والسند هند .. فنظمت ما أُلْقِيَتْ في كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعته من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، وبزاعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن الذي هو بحر العلوم ، وينبوع الحكم ، ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات .. الهادي من الضلالة ، والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة .. » .

وهذه الكلمة لا توضح تمامًا مصادر الطرطوشي في سراج الملوك ، حقًا أنه يستضيء دائمًا - كما قال - بآني الذكر الحكيم ، ولكنه لم يُشر إلى مدى ما اقتبسه من الحديث النبوي وخطابة الرسول صلى الله عليه وسلم من وصايا وحكم جامعة ، وأيضًا فإنه لم

يفصل القول فيما أخذه عن العرب والفرس والروم ، ويخيل إلى الإنسان أنه نُثِرَ أمامه كل ما أثر عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم من وصايا لحكمائهم وشعرائهم ، وكل ما دَوَّنوه من وصايا وعُظُمهم لخلقائهم وحُكامهم ، وكل ما سجلوه في كتبهم من مثل البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبدبر ، وغير ذلك من كتب جمع طرائفها ، مع ما قصَّه عن الأنبياء والزهاد وعلماء الأمة ، وما طار عن أفواههم من وصايا وحكم ، مع ما يحمل من بدائع الأخبار عن الخلفاء - وخاصة أبا جعفر المنصور العباسي والرشيد والمأمون - سوى ما يذكره من سياسة عمر بن الخطاب ، ومواعظ علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، ولم يترك كتاباً للهند مثل كليله ودمنة ، ولا للفرس مثل التاج ، وأمثال بزرجمهر ، في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق ، ولا سيرة لرسول مثل موسى وعيسى ويحيى بن زكريا ، ولا سيرة لفيلسوف مثل أفلاطون وأرسطا طاليس إلا انتخب من ذلك كله درراً رائعة .

وفي الكتاب ما يُصور بدقة تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسته لصحابته ، وتربيتهم تربية خلقية قوية ، وفيه ما يوضح سياسة حكام العرب العظام في تدبير شئون الحكم ، من أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وأبي جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية ، ويسوق أخباراً طريفة عن بعض الوقائع الحربية الضخمة وحسن المكيدة فيها ، من مثل معركة الملك العادل ألب أرسلان السلجوق مع إمبراطور دولة الروم الشرقية في بيزنطة : رومانوس ديوجين سنة ٤٦٢ للهجرة ، وكان الجيش السلجوقي لا يزيد عن اثني عشر ألف محارب ، في حين كان جيش الروم في حوالى مائتي ألف ، ووضع ألب أرسلان خطة لأسر إمبراطور الروم ، وتم له أسره سريعاً ، وتُوْدِي في الروم أن إمبراطورهم قُتل ، فتبدد جيشه والسيوف تعمل فيه ومُزَّق كل مُمَزَّق .

ويسوق الطرطوشي ما يصور السياسة الحكيمة لوزيره وزير ابنه ملكشاه ونظام الملك في خير طويل يذكر فيه كيف استمال الأعداء ، واستعمل الأكفاء ، وأسس نهضة علمية عظيمة ، وما كان من إنشائه مدارس النظامية المشهورة في أنحاء البلاد ، وإنفاقه السخي على العلماء وطلاب العلم ، وبناء الرباطات للعباد والزهاد ، وكان يتفق على كل ذلك ستائة ألف دينار سنوياً في جميع دولته ، من بيت المقدس إلى سمرقند ، فتم له بذلك حسن

السياسة ، وعم المشرق والمغرب ذكره . ويسوق الطرطوشي أخبارًا طريفة عن أنى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز في أثناء توليهم الخلافة ، وأنهم كانوا يتعَفَّقُون في الإنفاق على أنفسهم من بيت مال المسلمين ، ويقولون إنه مال الله ، وإن اضطرتهم الضرورة إلى أخذ شيء منه رَدُّوه إليه سريعًا ، واشتهر عن عمر بن الخطاب أنه كان لا يأكل في خلافته - وقد أصبحت خيرات الأرض في العراق وإيران والشام ومصر طوع يده ، لو شاء ، وأبدى العرب - إلا ما كان يأكله قبل خلافته من خبز الشعير والزيت واللحم المقدَّد الغليظ .

ويذكر الطرطوشي أخبارًا مختلفة عن سياسة حكام الأندلس الصائبة والمخططة ، مما لا نعتز عليه في كتب التاريخ ، من ذلك ما ذكره عن ملوك الروم المجاورين لهم في شمال البلاد بالأندلس ، من أنه لم تكن لهم بيوت أموال ، فكانوا إذا غنموا شيئًا من المسلمين دخل سلطانهم الكنيسة وقسمه على رجاله بالقسطاس ، ويأخذ لنفسه مثل ما يأخذون ، وقد لا يأخذ شيئًا ، إذ كانوا يصطنعون الرجال ، أما سلاطين الأندلس فكانوا يَدَّخِرُونَ الأموال في بيوت المال ، ويُضَيِّعُونَ الرجال ، والدفاع إنما يكون بالرجال لا بالأموال .

ويوصي الطرطوشي مرارًا وتكرارًا في جباية الأموال من الرعية بالرفق ، فلا يأخذ الحاكم منها إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها ، وخاصة زُرَّاع الأرض وفلاحها ، ويقول إنه سمع بعض شيوخ الأندلس يقولون : مازال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص طالما كان الجباة يرفقون بالفلاحين ، حتى إذا اختلف الأمر في آخر أيام المنصور ابن أبي عامر وقُدِّم على الأرض جباة ظالمين يجيئونها ، فأكلوا الرعايا ، واجتاحوا أموالهم ، فتهاوت وضعفت عن عمارة الأرض ، وقُلَّت الجبايات ، وضعفت الأجناد ، وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ، ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها المثلثون المغاربة بعد نحو قرن من الزمان .

ويتحدث عن أول وقعة للمسلمين في عهد أمراء الطوائف بين المستعين بن هود ، أمير سرقسطة المتوفى سنة ٤٣٨ للهجرة ، وبين ردمير ، ملك أرجون أمام مدينة وشقة ، ويقول إن العسْكَرَيْنِ كانا متكافئين ، غير أن المستعين لم يضع حُماة الرجال وكُماة الأبطال في القلب ، حتى يكونوا حصنًا للجناحين مادامت راياتهم تحفُّق وطبوعهم تضرب ، واشتبك

العسكران منذ الصباح ، حتى إذا كان وقت العصر حمل الأعداء على جيش المستعين وصيروه شطرين ، وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم ، وملك العدو مدينة وشقة ، وكانت أول مدينة أندلسية إسلامية سقطت في حجر النصارى أول عهد ملوك الطوائف . ويصف الطرطوشى وقعة بين النصارى وأهل طرطوشة ردوهم فيها مدحورين لحسن ترتيب الجيش المعهود في الأندلس ، يقول : « أُرَجِيّ تدبير نفعله في لقاء عدونا (هناك) أن نَقْدِمَ الرِّجَالَةَ بِالذَّرَقِ الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزاريق المسنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورهم شارعة إلى عدوهم ، وهم جاثمون في الأرض ، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين ترمق سهامهم من الدروع ، والحيل خلف الرماة ، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتحزح الرِّجَالَةُ عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشَّاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم ، فأخذوا يَمْنَةً ويسرة ، فخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنازل منهم ما شاء الله » .

٣٤ وجوهان أساسيان في كتاب سراج الملوك هما : غَرْضُ سير الملوك والحكام الماضين وما أحكموه من السياسات في قواعد الحكم وأركانه ونظمه السديدة التي دبروا بها شئون الأمم السالفة ، بحيث سادَ فيها العدل والأمن والرخاء ، وغَرْضُ جوانب من ينابيع الحكمة والسياسة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مع كلمات جامعة للأنبياء والخلفاء والعلماء والحكماء والوعاظ ، مما ينبغى أن يتحلى به الحكام والناس في سلوكهم ، بحيث تطيب الحياة ويصلح المجتمع ، فلا تحاسد ، ولا تباغض ، ولا أثرة ، ولا غيبة ، ولا تسمية ، مع العفو والمغفرة عند المقدرة ، والعمل للدنيا والآخرة ، ومع الوفاء ، والحلم ، والصبر ، والعفاف ، والإنصاف ، والبر ، والتمسك بالخصال الحميدة ، والنفور من الخصال الذميمة . وَوَضَعَ ذلك كله تحت أعين الحكام في عصره ليتخذوا منه منارات هادية في حكمهم .. وأهدى الكتاب إلى المأمون البطائحي ، الوزير الفاطمي الذي عرف فضله ، ورد إليه حرته .

وإنما أطلت في عرض كتاب سراج الملوك لأدل - بوضوح - على قيمته في السيادة الرشيدة والتربية القويمة . وقد بذل الأستاذ محمد فتحى أبو بكر في تحقيقه له جهداً خصباً جديراً بكل تقدير ، فقد ظل سنتين يحقق نصوصه ، وأصلاً كلال الليل بكمال النهار في تصحيحها وإصلاح ما دخل عليها من الغلط ، وخرّج ما فيه من آى الذكر الحكيم والأحاديث النبوية ، وحاول - بكل ما استطاع - أن يزيد الصحيح فيه صحة بضبط ألفاظه بالشكل ضبطاً كاملاً ، واستيفاء الشرح في الهوامش لما فيه من ألفاظ غريبة ، واستطاع أن يردّ نسبة كثير من الأقوال إلى أصحابها الحقيقيين ، وقام بوضع علامات الترفيم فيه ، وعمل فقرات لأبوابه تيسيراً على قارئه ، وترجم لأعلامه الكثيرين . وبذلك لم يكتف الأستاذ محمد فتحى أبو بكر بتحقيق ألفاظ سراج الملوك للطرطوشى وتصويبها ورد كثير منها إلى صورتها الأصلية ، بل أضاف إليها أيضاً فى هوامشه ما يزيدها بياناً ووضوحاً . وألحق بالكتاب فهرس متعددة لآى القرآن الكريم فيه ، وللأحاديث النبوية ، وللأشعار ، وللأعلام الواردة فيه ، ولمصادره ومراجعته الكثيرة ، وبذلك مكّن للارتفاع بالكتاب والإفادة منه ، وهو خليق - لذلك كله - بالشكر والثناء .

* * *

القاهرة فى ٢١/٤/١٩٩١ م

شوق ضيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

« مقدمة المحقق »

تنويه :

الحمد لله الذي وسع كل شيء علماً ، وأخصى كل شيء عدداً ، وهو بكل شيء محيط .. سبحانه ، ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، مالك الدنيا والآخرة ، يعجز عن إدراك كُنْه حقيقته العالمون والعارفون .. تعالى عن الشبيه والنظير .. له الكمال والجلال . وانتقديس والتنزيه .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ... وبعد .

فما كدت أنتهى من تحقيق كتاب « أدب الدنيا والدين » حتى قبضَ الله لى علماً جليلاً ، له مكانته الأدبية الرفيعة فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، لَفَتْ انتباهى إلى أهمية كتاب « سراج الملوك » وما فى نصوصه من جوانب جمالية ، لم تَلَقَ من العناية ما يليق بها لإبرازها وتقديمها للقراء بالصورة التى تجعلهم يفيدون منها ، ويعم بها النفع ، لذا دعانى هذا العالم الكبير إلى تحقيقه وشرحه غوامضه .. فمكثت أكثر من عامين مُتَنَكِّباً على أصوله ، إلى أن وفقنى الله تعالى إلى إخراجه بالصورة التى بين يديك ، والتى أرجو أن تكون قريبة من الكمال الممكن ، فالكمال المطلق لله وحده - عَزَّ وَجَلَّ - وهو صاحب الفضل أولاً وأخيراً فى إتمام هذا العمل بالصورة التى بين يديك ..

والآن - وقبل أن أتعرض لبيان أهمية هذا الكتاب - أقدم للقارئ أولاً صورة موجزة ووافية عن كاتبه ، من حيث : نسبه ، ونشأته ، ورحلاته ومكانته العلمية ، وأساتذته ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .. إلى أن انتقل إلى جوار ربه .. وبعدها أتناول بالوصف هذا الكتاب ، والهدف من تأليفه وتنويه العلماء به ، ثم وصف مخطوطات الكتاب وطبعاته والمنهج الذى اتبع فى تحقيقه ، والمجهود الذى بُذِل فيه ، والله ولى التوفيق .

مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته ^(١) :

هو العالم الفقيه ، والزاهد الورع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب ، القُرَشَى الفَهْرِي الطُّرُوشِي ^(٢) المعروف بابن أبى رَزْدَقَة ^(٣) .

وُلد الطرطوشى فى مدينة طرطوشة سنة ٤٥٠ هـ (أو ٤٥١ هـ) ونشأ فى هذه المدينة الأندلسية الكبيرة ، مدينة تجارية عظيمة ، بها أسواق وعقارات وضياع ، ودرج فى

(١) انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٥ وبغية المتلمس للمصطفى ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٩ ترجمة رقم ٢٩٦ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ والصلة لابن بشكوال ج ٣ ص ٨٣٨ ، ٨٣٩ ترجمة رقم ١٢٧٧ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ - ٦٤ والمغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٤٢٤ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ٢٣ - وانظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى للدكتور جمال الشيال من ص ٥٠ - ١٠٠ وه أبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر ، للدكتور الشيال ، سلسلة أعلام العرب - العدد رقم ٧٤ وقد اعتمدت على هذين المرجعين فى كتابة هذه المقدمة وأشرت إلى ذلك .. وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ط دار المعارف ، وأعلام التصوف الإسلامى لأحمد أبو كف - ط دار الهلال ، والعروة الوثقى العدد رقم ٣٢ ص ٥٣ - ٥٦ مقال للمرحوم محمد عبد الغنى حسن .

(٢) نسبة إلى طَرُوشة ، بضم الطاءين المهملتين .. وفى معجم البلدان ونفع الطيب ، بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة ، والأول أشهر ، وبه جاءت أكثر المراجع .. وطَرُوشة : مدينة بالأندلس ، كانت فى آخر بلاد المسلمين ، وهى شرقى بلبسية « و « قُرُوشة » وقرية من البحر ، وهى مُتَقَنَّة المصار ، ومبنية على نهر « أبره » . [انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ونفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦]

(٣) رَزْدَقَة ، بفتح الراء عند ابن خلكان والمقرئ ، وبضم الراء عند ابن فرحون ، وهى لفظة أجنبية ، وقد نَسَرها ابن خلكان فقال : « إنها كلمة فرنجية معناها : تعال هنا » .. وقد حاول أحد المؤرخين الأسبان أن يبرر تفسير ابن خلكان فقال : إن الكلمة مكونة من لفظين ، الأول بمعنى : تعال ، أى أَقْبَلْ ، وهى مأخوذة من الفعل الفرنسى « Rendre » والثانية بمعنى : هنا ، وهى بالأسبانية « acá » فإذا جُمِعَا صارَا : « Rand - acá » .

[انظر مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩١ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ وأبو بكر الطرطوشى لجمال الدين الشيال

ص ١٠] .

هذه المدينة ينعم بحماها الطيبى الملهم .. أمّا عن أسرته ، فلم تذكر المراجع التى أرّخت له حرفاً واحداً عنها . فلا ندرى أكان أهله ذوى جاهٍ وسلطان ؟ أم كانوا من المشتغلين بالتجارة ؟ أم كانوا من رجال العلم ، ولذا نشأ فقيهاً عالماً ؟ أم كانوا رجالاً حُرِب ، خاصة أن الأندلس كانت تضطرم في ذلك الوقت بالفتن ، وتنتهبها الانقسامات ؟

ويروى الطرطوشى في كتابه « سراج الملوك » قصة عن فرد واحد من أفراد أسرته ، كان خالاً لوالدته ، يُدعى : ابن فرحون ، و نفهم من هذه القصة أن أسرة والدته كانت ذات جاهٍ في « سرقسطة » ونفهم منها كذلك أن بعض أفراد هذه الأسرة كانوا من رجال الحرب الشجعان المبرزين ، فهذه القصة تتحدث عن الشجاعة الخارقة لهذا الرجل ، وكيف كان يُقدّره « المستعين » أبو « المقتدر » ويقرّبه ، ويغدق عليه العطايا ، ويعتز بشجاعته ، ويلجأ إليه في المُلِمّات ^(١) .

أمّا عن والده ، فاسمه الوليد ، وينتسب نسبه إلى قريش ، فهو من أصل عربى واضح ، وأمّا ما ذكرته المراجع من كونه كان يُعرف بابن أوى رندقة ، فيقول الشيال : لعله كُنّى بهذه الكنية الفرغجية في حياته لأمر لانعرفه يتصل بالمعنى الحقيقى لهذا اللفظ ^(٢) .

وأمّا عن مهنته ، فلسنا نعرف عنها شيئاً كذلك ، ولعله كان عالماً ، أو من المشتغلين بالعلم ، وأنه لهذا وجّه ابنه هذه الوجهة التى يرضاها ، ولو كان تاجراً ، أو يمتن صناعة ما ، لنشأ ابنه - فى الغالب - على متواله .. وأبو بكر الطرطوشى نفسه صرّح فى « سراج الملوك » - عندما فكر فى الرحلة إلى المشرق لطلب العلم - أنه لم يكن يفقه شيئاً فى التجارة ، وأنه لم يحترف حرفة ما - وكان يقول : « إذا ذهبْت نفقتى فماذا أفعل ؟ » .. وكانت هذه أكبر مشاكله ، فقد كان يشغل باله أن تنفذ هذه النفقة ، فهداه تفكيره أن يعمل حارساً للبلساتين ، ليفرغ فى الليل لدراسة العلم .

(١) انظر سراج الملوك ، الباب الحادى والستين : فى ذكر الحروب وتديروها .. وأبو بكر الطرطوشى للشيال

ص ٩ ، ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

واعتاداً على ما جاء في كتاب « سراج الملوك » من قصص وروايات عن أفراد أسرة الطرطوشى ، فإن والده كان عالماً ، وكان على شئ من الثراء ، ولذلك استطاع الطرطوشى أن يعيش في وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو عالة على أهله ، يطلب العلم وهم يكفونه ، واستطاع قبل رحيله لطلب العلم أن يُزوّد بنفحة وفيرة .

رحيله لطلب العلم وأساتذته :

بدأ الإمام الطرطوشى رحله العلم في مسجد طرطوشة الكبير ، وتلقى فيه علومه الأولى ، وتجمع المراجع على أن الطرطوشى قرأ الفرائض والحساب بوطنه ، ولم تذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين العلمين . وفي صدر شبابه - وهو في سن العشرين أو نحوها - بدأ يتلمذ على أبى الوليد الباجى ، شيخ الأندلس وعالمها في ذلك الوقت دون منازع ، وصحبه في « سرقسطة » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجازه .

وذكر المقرئ في كتابه « نفع الطيب » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » أن الطرطوشى قرأ الأدب على أبى محمد بن حزم بمدينة « أشبيلية »^(١) ولسنا نميل إلى تصديق المقرئ في ذلك ، لأن ابن حزم توفى سنة ٤٥٦ هـ ولم يكن الطرطوشى في هذه السنة قد جاوز الخامسة أو السادسة من عمره ، ولا يعقل أن يرتحل الطرطوشى في هذه السن الصغيرة إلى « أشبيلية » وأن يتلمذ على ابن حزم ويأخذ عنه الأدب أو يُفقهه ، وربما يكون قد قرأ كتبه في الأدب بعد ذلك بنفسه ، أو على واحد من تلاميذ ابن حزم ، ومن هنا دُكر أنه تلميذ لابن حزم في الأدب .

الطرطوشى في مكة :

وفي سنة ٤٧٦ هـ غادر الطرطوشى وطنه - وهو في الخامسة والعشرين من عمره - ليمد رحلته إلى الشرق ، ولم تذكر المراجع التي أُرُخَتْ له أى طريق سلك في هذه الرحلة .. هل سلك طريق البحر أو طريق البر ؟ ولم تذكر أيضاً أى البلدان أو الأقطار زار في

(١) انظر نفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامى ص ٥٣ .

طريقه .. ولكننا نلقاه في « مكة » وقد أَدَّى فريضة الحج ، واستقر بها قليلاً يلقي بعض الدروس .. فقد روى مواطن من مواطنيه ، زامله في شبابه الأول ، وتلمذ معه في « سرقسطة » على أبي الوليد الباجي - أنه رآه في « مكة » ، واستمع إلى بعض دروسه هناك .. هذا المواطن هو القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فرو الصدقي ، قال : « صحبتُهُ عند الباجي ، ولقيته بمكة ، وأخذت عنه أكثر السنن لأبي داود التُسْتَرِيُّ » .

الطرطوشي في بغداد :

ولم يمكث الطرطوشي في مكة طويلاً ، بل استأنف رحلته واتجه إلى بغداد ، فإن مواطنه وزميله أبا علي الصدقي الذي قابله في « مكة » يستطرد في حديثه عنه فيقول : « ثم دخل بغداد وأنا بها » .

وكانت بغداد في ذلك الوقت مركزاً من « دهر مراكز العلم في العالم الإسلامي » ، وكانت مَحَطَّ رِحَال العلماء ، يفدون عليها من أقصى المشرق ومن أقصى المغرب ، فكان لأبي بكر الطرطوشي - وقد رَضِيَتْ نفسه بأداء فريضة الحج - أن يرحل إليها ليستكمل دراسته ، ويتصل بعلمائها الأعلام ، ويتلمذ عليهم ، ويأخذ عنهم .. وكان على أمور الشرق في ذلك الوقت « نظام المُلْك » وزير المَلِكَيْن السُلجُوقيين : ألب أرسلان ، وملك شاه .. وهو وزير عالم ، يحب العلم والعلماء ، ويقرهم إليه ، ويُغدق عليهم العطايا .. وقد شهد الطرطوشي أثناء مُقامه في بغداد آثار هذه السياسة العلمية الحصيفة التي اصطنعها لنفسه وللدولة ، وأشاد بذكرها في « سراج الملوك » ^(١) .

وأخص ما يذكر به « نظام الملك » في التاريخ أنه مُنْشِئ المدارس في العالم الإسلامي ، فقد كانت المساجد إلى عصره هي معاهد العلم ، فيها تعقد حلقاته ودروسه ، فكان « نظام الملك » أول من أنشأ معاهد مستقلة للتعليم ، يتفرغ فيها الطلاب للتعليم ، والمدرسون للتدريس ، وأوقف الأوقاف الكثيرة للصرف عليها وعليهم ، وأسمائها : المدارس .

(١) انظر « سراج الملوك » ، الباب الثامن والأربعين في سيرة السلطان في بيت المال .

وحملت كل مدرسة منها اسمه ، فكانت تسمى « النظامية » ، وكان أكبرها وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد ، التي بُنيت قبل وصول فقيها إلى بكر الطرطوشي إلى بغداد بسنوات قليلة ، وقد شهد الطرطوشي نظامية بغداد وهي في أوج عظمتها ، وتلمذ بها ، ووصفها ، وذكر قصة بنائها في هذا الكتاب ^(١) .

وكان أول من عُيِّن للتدريس بها أبو نصر عبد السيد بن محمد الصباغ ، ثم تولى منصب التدريس بها عدد من كبار الفقهاء الشافعية ، من أمثال أبي إسحاق الشيرازي ، وأبي سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي ، وأبي بكر بن محمد بن أحمد الشاشي ، وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

وبرغم أن الطرطوشي كان مالكي المذهب ، فقد تلمذ على معظم هؤلاء الفقهاء الشافعية ، وعلى بعض فقهاء الحنابلة .. قال ياقوت في معجم البلدان عن أبي بكر الطرطوشي : « ... دخل بغداد والبصرة فتفقه على أبي بكر الشاشي ، وأبي سعد بن المتولي ، وأبي أحمد الجرجاني أئمة الشافعية ، ولقي القاضي أبا عبد الله الدامغانى ، وسمع بالبصرة من أبي علي التستري ، وسمع ببغداد من أبي محمد رزق الله التميمي الحنبلي ، وغيرهم » ^(٢) .

وكان رجال هذه المدرسة جميعاً ، الذين تعاقبوا على التدريس بها ، والذين أخذ عنهم الطرطوشي ، من العلماء البارزين الذين تجمع المصادر على وصفهم بالفضل والعلم والتقوى ، والقدرة على التأليف والإنتاج . واندمج أبو بكر الطرطوشي في هذه الحياة العلمية النشطة في بغداد ، واستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء ^(٣) .

اتجاه الطرطوشي إلى التصوف :

وفي بغداد أيضاً اتجه أبو بكر الطرطوشي إلى التصوف ، حيث كان الفكر الصوفي

(١) المصدر السابق ، الباب نفسه .

(٢) أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ص ٦٠ ، ٦١ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » .

(٣) أمّا أبو إسحاق الشيرازي فكان إمام وقته ببغداد ، وروى الطرطوشي نفسه شعراً - قاله غيره - يصف الشيرازي بالذكاء المتوقد ، قال :

تراه من الذكاء تحيف جسم عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

متأصلاً على يد أقطابه ، وقد درس التصوف هناك ونبغ فيه ، حتى عدّه من تحدث عنه من المتصوفة الزاهدين ، ولا غرابة في ذلك ، فإن الحياة التي كان يحياها في بغداد ، وما شاهده فيها من زهد ، وتقشف العلماء الذين أخذ عنهم ، قد أثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فقد كانوا رغم تضلّعهم في الفقه والعلوم الدينية - من المتصوفة الذين يعتقدون أن الحياة نعيم زائل . وكانوا يفرغون حياة كلها زهد وتقشف وعبادة وذكّر لله ، هذا بالإضافة إلى الشعر الذي سمعه من شيوخه العراقيين ، ورواه عنهم فيما بعد في « سراج الملوك » يضرب كله المثل بالأمم الغابرة ، و ما بنّت من قصور ، وما زينت من عمائر ، وكيف انتهى كل هذا الزخرف إلى زوال ^(١) .

وسيلتزم الطروشى ، منذ يغادر العراق ، وفيما يقبل من أيامه ، هذه الحياة ، حياة الزهد والبعد عن مباحج الدنيا .

الطروشى في البصرة :

زار الطروشى - أثناء مقامه في العراق - مدينة البصرة ، وقضى فيها

= أما أبو بكر الشافى فتصفه المراجع بأنه كان فخر الإسلام ، وفقه بغداد ، وقد تلمذ على أبي إسحاق الشيرازى ، ثم إنتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية ، وله تصانيف حسنة ، وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ هـ .

ووصفت المراجع أبا نصر بن الصباغ بأنه كان فقيه العراقيين في زمنه ، وكان بضاهى أبا إسحاق الشيرازى . وكان ثقة صالحاً ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أيضاً أول ما قضت ، ولما توفى أبو إسحاق الشيرازى أعيد للتدريس بها .

أما حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، فيصفه ابن خلكان بأنه لم يكن للطائفة الشافعية آخر عصره مثله .. والمراجع أن الطروشى لم يتصل به ولم يأخذ عنه ، فقد عُيّن الغزالي للتدريس في نظامية بغداد في سنة ٤٨٤ هـ بعد خروج الطروشى منها ، ولكنّ العالمين الكبيرين سيتقابلان معاً في الإسكندرية ، وستنشأ بينهما خصومة علمية سيكرن خاسماً شأنها .

[أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامى ص ٦٢ وأبو بكر الطروشى العالم الزاهد ص ٢٠ ، ٢١]

(١) روى الطروشى - في هذا الكتاب - حديثاً جرى بينه وبين أحد العراقيين ، هزّ كيانه هزّاً ، قال : ه وهانذا أحكى لك أمراً أصابنى وطيشَ عقلى ، وتبلّل فكرى ، وقطع نياط قلبى ، فلا يزال يراه حتى يوارىنى التراب ، وذلك أن كشت يوماً بالعراق ، وأنا أشرب ماءً ، فقال صاحب لى - وكان له عقل : يا فلان ، لعل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء قد كان إنساناً يوماً من الدهر ، فمات ، فصار تراباً ، فانتق للفخارى أن أخذ تراب القبر وضربه خزفاً ، وشواه بالنار ، فانتظم كوزاً كما ترى ، وصار آنية يُمْتَهَنُ ويُسْتَخْلَمُ بعد أن كان بشرّاً سيّئاً يأكل ويشرب وينعم ويلذّ ويغرب

وقتاً ، وتعلمذ هناك على ألى على محمد بن أحمد التُّسْتَرى ، ثم يم وجهه شطر قطر آخر ، هو الشام ، ولسنا نعلم على وجه التحديد : كم سنة بقى الطرطوشى فى العراق ، ولكننا نستطيع أن نستنتج أنه لم يقم به طويلاً ، فهو قد بدأ رحلته من المغرب سنة ٤٧٦ هـ - كما ذكرنا - فلابد إذن أنه وصل إلى العراق فى أواخر سنة ٤٧٧ هـ ، أو أوائل سنة ٤٧٨ هـ ونحن نعرف أن عددًا كبيرًا من شيوخه توفى فى المدة بين سنتى ٤٧٨ هـ و ٤٧٩ هـ ، وأبو على التُّسْتَرى توفى سنة ٤٧٩ هـ ، وأن الطرطوشى غادر العراق فى سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ ، وقد بلغ الثلاثين من عمره ^(١) .

الطرطوشى فى الشام :

دخل أبو بكر الطرطوشى الشام بعد أن أتم دراسته ، وبعد أن حصّل من العلوم ما حصّل ، وبعد أن بلغ من النضج الفكرى درجة تؤهله للتدريس لينفع الناس بعلمه ، وبعد أن كوّن لنفسه فلسفة خاصة قوامها الزهد ، والسعى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد أجمعت المراجع التى ترجمت له أنه قضى الفترة التى عاشها فى الشام يُعلّم

= هذه النظرة الفلسفية الصيقة إلى الإنسان وحقيقته ومصيره : كيف تُخلق ؟ ومِمّ تُخلق ؟ وكيف ينتهى ؟ وإلى أين يصير ؟ .. هذه النظرة الفلسفية هزت كيانه وجمّلت يدرك ما وراءها من حقيقة ، فاستطرد فى حديثه يؤكدّها ويحلّلها تحليلًا يؤكد إيمانه بها .. قال :

« فإذا الذى قاله - أى صاحبه - من الجائزات ، فإن الإنسان إذا مات عاد تراباً كما كان فى النشأة الأولى ، ثم يتفق أن يُخَفَّرَ لَحْدُهُ ، ويُعَجَّنَ بالماء ترابه ، فيُتخذ منه آنية مُصنَّعة فى البيوت ، أو لينة فتنى فى الجدار ، وقد يجوز أن يُغرس عند قبره شجرة ، فيستحيل تراب الإنسان شجرة وورقاً وثمرَةً ، فترعى البهائم أوراقها ، ويأكل الإنسان ثمرها ، فيبت منها لحمه ، ويُشر منها عظمه ، أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم ، فيبتا كان يفتات صار قوتاً ، وبيتا كان يأكل صار مأكولاً ، ثم يعود فى بطن الإنسان رجيعاً فيقذف فى بيت الرحاضة ، أو يعرأ يُنبذ بالمرء ، ويجوز إذا خُفِر قبره أن تسفى الرياح ترابه فتشترق أجزأؤه فى بطون الأودية والتلول والوهاد ... » .

هذا الحديث الذى ألقى إلى الطرطوشى أثناء مقامه فى بغداد ، وهذا التعليق الذى راح يحلّل به الحديث يؤكدّه فى « سراج الملوك » ، وهذه اللَّفظة جعلته يُكوّن لنفسه فلسفة خاصة بدأ يحتقها فى ذلك الحين ، هى فلسفة الزهد والعزوف عن اللذات والشّهوات ، والجرأة على كل كبير فى سبيل الحق ، وفى سبيل تدعيم أوامر الله - سبحانه وتعالى - فهو ينظر إلى كل كبير بهذه النظرة التى لا ترى فيه قُوته وسلطانة وجبروته ، ولكنها ترى فيه قيمته ومصيره ، وأنه لن يكون بعد الموت إلا كوراً يُشترَب فيه الماء ، أو ما يشبه ذلك مساً تقدم !!

[انظر المرجعين السابقين]

(١) المرجعين السابقين .

الناس ، فأقبلوا عليه ، وأحبوه ، وأفادوا من علمه ، فعلا اسمه ، وبُعِدَ صيته ، وأنه عاش هناك متقشفاً عابداً زاهداً ، منقبضاً عن الناس ، إذا أَكَلَ أَكَلَ في شقف من الفخار .. وكان أصحاب الحكم والسلطان .. يسعون إليه وإلى برّه ، ولكنه كان ينصرف عنهم ، ويشتد عليهم في القول وإسداء النصيحة ^(١) .

ويبدو أن نفسه الأنيّة ، وصراحته ، والتزامه القول الحق أثارت ضده بعض الشائعين والحاسدين من أهالي بيت المقدس ، فسعوا به لدى حاكمها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه ، واستدعاه الحاكم إليه ، فلم يَأْبَهُ لدعوته ، ورفض أن يذهب ، وراموا القَصُّ من حاله فلم ينقصوه قَلَامَةً ظَفَر ^(٢) .

ويذكر « الصّبي » في كتابه « بُغْيَةُ المَلْتَمَس » أن من بين الدوافع التي دفعت الطرطوشي لزيارة بيت المقدس ، رغبته في مقابلة أبي حامد الغزالي ، فقد فاتته رؤيته في بغداد - كما سبق أن أشرنا - لأن الطرطوشي ترك بغداد حوالي سنة ٤٨٠ هـ قبل أن يصل إليها الغزالي ، وقبل أن يُعَيِّنَ مدرساً بالنظامية ، فقد عُيِّنَ بها سنة ٤٨٤ هـ .

وكان الغزالي في هذه الفترة يعاني من محنة نفسية ، ويقضي وقته - سواء في دمشق أو في بيت المقدس - منعزلاً عن الناس في مئذنة الجامع الأموي بدمشق ، أو في قُلال الجبال ، يتعبد وحده ، ويحاول أن يصل إلى الحقيقة عن طريق التصوف والذوق وذكر الله ، بعد أن عجز عن الوصول إليها عن طريق العقل والفلسفة ، وآراء الفقهاء ، وأصحاب الجمل والنُحْل المختلفة .. ولم يكد الغزالي - آن ذاك - يعلم بمقصد الطرطوشي ووصوله إلى بيت المقدس ، حتى بَعُدَ وترك المدينة ، ولم يُحْكَنهُ من مقابلته .

(١) قال عنه ابن فرحون: « .. وسكن الشام مُدَّة ، ودرّس بها ، ولازم الانقباض والجماعة ، وبُعِدَ صيته هناك ، وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً ، وكان إماماً علماً ، عاملاً زاهداً ، ورِعاً ذنباً ، متواضعاً متقشفاً ، مُتَقَلِّلاً ، من الدنيا ، راضياً باليسر منها ، وتقدّم في الفقه منهجاً وخلاقاً .. وكان له - رحمه الله - نفسُ أُنْيَةٍ ، قيل إنه كان يبيت المقدس بطيخ في شقف ، وكان مُجَانِباً للسلطان ، مُعْرِضاً عنه وعن أصحابه ، شديداً عليهم مع مبالغتهم في برّه ، » .
(٢) للمرجعين السابقين - ومعجم البلدان مادة « طرطوشة » .

وأقام الطرطوشي مُدَّة في بيت المقدس - كما ذكرنا آنفاً - ثم تركها إلى جبل لبنان .
 فقضى به مدة أخرى .. ولسنا نعرف أى المدن الشامية زار الطرطوشي - غير بيت المقدس
 وجبل لبنان - ولكن من المرجح أنه زار دمشق وأقام بها ، وأنه طَوَّف في معظم مدن الشام
 الأخرى ، وأنه ذهب في تطوافه إلى أقصى الشمال ، فزار حلب ، ثم انحدر منها إلى أنطاكية
 في أواخر عام ٤٩٠ هـ وفي هذه السنة كانت الحملة الصليبية الأولى التي وفدت على
 الشرق ، واستولت على مدن الشام الشمالية الواحدة بعد الأخرى ، وظلت تحاصر مدينة
 أنطاكية نحو ثمانية أشهر إلى أن سقطت في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ .

وأغلب الظن أن هذا الحادث الخطير ، واستيلاء الصليبيين على سواحل الشام كلها ،
 وبيت المقدس في السنة نفسها ، هو الذى دفع الطرطوشي إلى ترك الشام ، وأنه غادرها منذ
 ذلك الحين واتجه إلى مصر ، و نزل - أول منازل - في مدينة « رشيد » ثم غادرها إلى
 مدينة « الإسكندرية » حيث اتخذها مقراً له بعد أن قضى في الشام حوالى عشر سنوات
 يطوف بمدنه الكبرى ، فإنه وصل إليه حوالى سنة ٤٨٠ هـ وهو في الثلاثين من عمره -
 وغادره سنة ٤٩٠ هـ - وهو في الأربعين من عمره ^(١) .

الطرطوشي في مصر :

تذكر المراجع أن الطرطوشي وصل إلى مصر وبها الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر
 الجمالى الذى ولى الوزارة بعد وفاة أبيه في سنة ٤٨٧ هـ وصحب معه عابداً يُعرف بعبد
 الله السائح ، تُعرَّف عليه في جبل لبنان أثناء إقامته هناك ^(٢) يقول الضبى :

« وركبا الطريق إلى مصر حتى وصلا إلى رشيد ، وأقاما هناك ، فإذا - احتاجا إلى
 قوتٍ جمعا من حَطَبٍ أو ملح ، فباعا ما يحملانه من ذلك على ظَهْرَيْهِمَا وَتَقَوَّتا بَنَمَةٍ .
 وبقيا هناك - أى في رشيد - مدة ، إلى أن قَتَلَ العبيدُ - صاحبُ مصر - جماعةً

(١) انظر المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال - المصدرين السابقين .

(٢) كان رجلاً من أولياء الله للقطيعين إلى الله تعالى ، وكان الطرطوشي يعز بصداقة هذا المتعبد الزاهد ، فعقد اليَدَ
 على اصطحابه معه إلى مصر ، ولكن هذا الشيخ رفض ، واحتج بأنه يعيش حيث يعيش في الباح من ثمر الأشجار ،
 ويأكل الحلال ، وبذلك يتمكن من التفرغ للعبادة ، ولا يضمن أن يجد مكاناً آخر تتوفر فيه هذه الشروط . =

من فقهاء الإسكندرية لسبب يطول شرحه ، ولم يبقَ مَنْ يُشار إليه ، وسمع أهل الإسكندرية بكون الفقيه « الطرطوشى » برشيد ، فركب إليه قاضيا يستدعيه إليها .

الطرطوشى فى الإسكندرية :

جاء وفد الإسكندرية - المكون من أعيانها ، يتقدمهم قاضى المدينة ابن حديد - إلى رشيد ، وظلوا يبحثون فيها عن أى بكر الطرطوشى إلى أن رأوه مُقبلاً عليهم من أطراف المدينة ، وفى صحبته الشيخ الزاهد عبدالله السامح ، وكل منهما يحمل على ظهره حزمة من الحطب .. وألقى الطرطوشى ما على ظهره وجلس يستمع إلى رجال الوفد السكندري ، فأخبروه بما وصلت إليه أحوال المدينة ومجالس العلم بها ، وألقوا إليه رغبتهم فى أن ينتقل معهم إلى الإسكندرية ليفيدوا من علمه ^(١) .

= يقول الضبى : « ... ثم أراد الحافظ أبو بكر - الطرطوشى - أن يقصد مصر ، فعرض على أبى محمد السامح صحبته والمشي معه ، وقال له : أنت ها هنا بمعزل ولا تلتقى أحداً ولا يلقاك ، وإن مثَّ لم تجد مَنْ يُؤريك ، وفى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، وحضور الجماعة فى الجمعة مالا يخفى عليك .. فقال له عبد الله : أنا ها هنا أكل الخلال ، وأعيش فى المباح من ثمر هذه الأشجار ، ولا أجد فى غير هذا الموضع من المباح ما أجد فيه .
فالطرطوشى يلتزم بما يلتزم به المتصوفة من إقبال على الزهد والتقشف ، والعبادة وذكر الله ، ولكنه لا يؤمن بما يؤمن به بعضهم من العزلة والبعد عن الناس ، بل هو يرى أن الخير - كل الخير - فى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، هذا لم يزل بصديقه السامح يحاوره ويحاول أن يقتنعه بالرحلة معه إلى مصر ، فقال له إنه يعلم أن بمصر مدينة تُسمى « رشيد » فيها من الشُباح الذى ينشد : الملح والحطب ، وأنهما يستطيعان أن يجمعا من هذين المباحين ما يُمكنهُمَا من العيش .. وكان الشيخ عبد الله السامح يعلم أن صديقه « الطرطوشى » رجل فقيه ، يشتغل بالتدريس ، وبحب أن ينفع الناس بعلمه ، والناس تُقبل دائماً عليه ، فأعلن لصديقه خوفه أن يدفعه هذا النوع من الحياة إلى البعد عنه وفراقه ، وبذلك يكون قد تجشم مشقة الانتقال من لبنان إلى مصر بدون مير .. ولكن الطرطوشى طمأنه ، وعاهده ألا يفارقه أبداً .

[انظر المصدرين السابقين] .

(١) كانت « الإسكندرية » وقتها تعيش فى حالة من الرعب والفزع شديدة ، وكانت الشعائر الدينية فيها معطلة ، وكان علماءها مضطهدين ، لا يستطيعون الجهر بالعلم أو بالقول ، لأن الغالبية العظمى منهم يتبعون المذهب المالكي ، فى حين كان المذهب الشيعى هو المذهب الرسمي للدولة .

وكانت الإسكندرية أيضاً وشيكة الخروج من أزमत خطيرة ، بدأت بالجماعة الكبرى التى حدثت فى عهد الخليفة المستنصر ، نتيجة قصور فيضان النيل سبع سنوات ، فاشتد الغلاء ، وانتشر الوباء حتى غمَّ مصر كلها ، وانتشرت الفتن ، فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا « أمير الجيوش بدر الجمالى » ، فاستدعاه إليه ، وعينه وزيراً ، وعهد إليه بمعالجة الأزمة ، والقضاء على المشاغبيين ومثرى الفتن .

وبدأ بدر الجمالى فى سنة ٤٦٧ هـ بالبلاد الواقعة شرق فرع دمياط ، وتبعَ المُفسدين وقضى عليهم ، ثم انتقل إلى البحيرة والإسكندرية ، وكانت طائفة « للمحية » - وهى إحدى طوائف الجيش الفاطمى - قد أثارت الفتنة فى

وتعبدت المشكلة القديمة ، فالطرطوشى لا يريد مفارقة أخيه السامع ، والشيخ الزاهد لا يريد مغادرة رشيد ، فهو فى الإسكندرية لا يستطيع أن يعيش فى الحلال ويأكل المباح كما يفعل فى رشيد ، ولكن وفد الإسكندرية لم يعجز عن إيجاد حل لهذه المشكلة .. ورحل الاثنان إلى الإسكندرية .

استقر بالطرطوشى المقام فى الإسكندرية ، واتخذها وطناً ثانياً ودار مقام ، وبدأ يُدرّس وينشر العلم على مذهبه - مذهب الإمام مالك - وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ، ويقرءون عليه ، ويفيدون من علمه .. ولم يلبث إلا قليلاً حتى عُرِف واشتهر ، واجتذب الطلاب والعلماء إلى حلقات درسه .. وتزوج بعد قليل من سيدة تقية فاضلة ذبته ، من بيت من أكبر بيوت الإسكندرية - وقت ذاك - فضلاً وعلماً وجاهاً وثروة ، بيت بنى عوف ، فهى خالة فقيه الإسكندرية وكبير علمائها أبى الطاهر بن عوف - تلميذ

= المدينة وأعلنت الحصان ، فحاصر بدر الجمالى الإسكندرية أهنأ إلى أن استولى عليها عنوة ، وقتل من « الملحية » عدداً كبيراً .

وفى سنة ٤٧٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى إلى الإسكندرية بنحو ثلاثة عشر عاماً - خرج عل « بدر الجمالى » ابنه الأورحد ، وانضم إلى جماعة من العسكر والعربان ، ولجأ إلى مدينة الإسكندرية ونحصر بها ، فسار إليه أبوه ، وحاصره مدة ، وألح عليه بالقتال حتى هزمه ، ودخل المدينة .

وعند موت الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى بنحو ثلاث سنوات - بادر وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، فأجلس أباه القاسم أحمد - أصغر أولاد المستنصر - على عرش الخلافة ، فغضب الابن الأكبر « نزار » وقر إلى الإسكندرية ، وفى صحبته ابن مصال ، أحد قواد الدولة ، وفى الإسكندرية اتصل « نزار » بالأمير « أفتكين » والى المدينة ، ووعده أن يوليه الوزارة إن هو وقف إلى جانبهِ ، فاستجاب « أفتكين » لدعوته ، وأقنع سكان الإسكندرية بمبايعته .

وخرج الوزير الأفضل شاهنشاه بجيش من القاهرة ، واتجه إلى الإسكندرية ، وجرت بين الفريقين حروب انتصر فيها « نزار » . وعاد الأفضل إلى القاهرة ، وقوى أمر « نزار » واستولى على بلاد الوجه البحرى .. ولكن الأفضل جهز جيشاً جديداً ، وحاصر الإسكندرية حصاراً شديداً ، فاشتد الضيق بنزار وصحبهِ ، فجمع ابن مصال ماله وقر إلى البحر إلى بلاد المغرب ، فقتل ذلك فى عهده « نزار » ، وانتهى الأمر بهزيمة ، ودخل الأفضل الإسكندرية ، وقبض على « نزار » ، وأرسله إلى القاهرة حيث قتلهُ بها .

وأصاب الإسكندرية - من هذا النزاع ومن هذا الحصار والقتال - كثير من التخریب ، وانقم الأفضل من أهنأ انتقاماً شديداً لتأنيدهم لنزار ، ومبايعتهم له بالخلافة .. ويبدو أن انتقامه كان عيقاً صارماً ، حتى إنه قتل عدداً من علمائها ، لذا تعطلت الشعائر الدينية فيها ، ولم تقم الجمعة فى مساجدها .. وكان نزول الطرطوشى بالإسكندرية إثر قتل الأمير بها علماءها ، فوجد البلد عاطلاً من العلم ، فأقام بها ، وبث علماً جماً .

[جمال الدين الشال : للرجعين السابقين]

الطرطوشى وخليفته فيما بعد - وكانت متزوجة قبله .. فأطلقت يد الطرطوشى فى أموالها ، وتحسنت أحواله ، ووهبت له داراً من أملاكها ، جعل سكنه معها فى الدور الأعلى ، واتخذ من الدور الأسفل مدرسة يلقي فيها دروسه ، ويستضيف فيها طلاب العلم من الغرباء الوافدين على الإسكندرية .

موعظة الطرطوشى للأفضل الفاطمى ^(١) :

وبعد أن استقرت الحياة بالطرطوشى فى الإسكندرية خرج لزيارة العاصمة « القاهرة » وهناك ذهب لزيارة الوزير الكبير ، صاحب السلطان الأعلى ، الملك الأفضل شاهنشاه ، وذهب لزيارته بعد أن سمع عن جبروته وقوته وسلطانه ، لا ليسأله منحة أو عطية ، ولا ليقدم له المدح ويشيد بذكره ، بل لينصحه نصيحة العلماء المخلصين ، وليعظه الموعظة الحسنة ، وليطلب منه الرفق بالرعية ، وإشاعة العدل بينهم ، وفتح قصره لكل شاكٍ أو متظلم ، ولم يكن هذا غريباً من الطرطوشى ، العالم الزاهد الجرىء ، الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، والذى لا يخاف صاحب السلطان ولا يباه به ، فهو الذى وصفه ابن فرحون بأنه كان أبى النفس ، والذى وصفه المقرئ بأنه كان قولاً للحق .

وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه للأفضل فى « سراج الملوك » وما جاء فيها :
« أيها الملك .. إن الله تعالى أكرم الورى طاعتك ، فلا يكوننَّ أحدٌ أطوعَ لله منك .. وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر ، وليس الشكر باللسان ، ولكنه بالفعال والإحسان ، قال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

(١) كانت زيارة الطرطوشى للأفضل بعد أن استقر به المقام فى الإسكندرية مدة طويلة ، تزوج خلالها وأنجب .. وهذه « الموعظة » إن دلت على شئ فهى تدل على جرأة الرجل فى الحق ، وهى خير شهادة له على ذلك . ولم يَرَوْنا لانا الطرطوشى كيف تقبل « الأفضل » هذا الحديث ، وأغلب الظن أنه هزَّ كيانه هزاً ، وأنه استكره فيما بينه وبين نفسه ، وإن كان قد تظاهر بقبوله قبولاً حسناً ، فإن الرجل المستبد يأنف عادة من النقد ، وتشبهه آيات المدح .

[انظر المصدرين السابقين]

وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيْمَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُ عَنِ التَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ ، وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِخِذَافِهَا سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَسَحَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالْوَحُوشَ وَالْبِهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ : ﴿ هَذَا عِطَاؤُنَا فَاغْنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فَوَاللَّهِ مَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلاحِسِبَهَا كِرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْزِمُنِي اللَّهُ وَأَشْكُرَ أَمَّا أَكْفَرُ ﴾ فَافْتَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانْصَرَّ الْمَظْلُومُ ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلْتُمْ ، وَجَعَلَكُمْ كَهْفًا لِلْمَلْهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْخَائِفِ .. » .

هكذا خاطب الطرطوشي العالم الزاهد ، الملك الأفضل ذا الحول والطول ، وهو في أوج سلطانه وعظمته ، والكل يأتمرون بأمره ، حتى خليفته « الأمر » نفسه .

الطرطوشي وابن حديد :

عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ليستأنف سيرته الأولى ، وليفرغ للعلم والتعليم ، وتكاثر طلابه ، وأقبلوا على دروسه ، وأحبوه ، واصطنع هو لهم طريقة هي أقرب شيء إلى طرق التربية الحديثة ، فلم يقصر اجتماعاته بهم على حلقات الدرس ثم ينفصتون من حوله ، بل كان يصحبهم ويخرج معهم في معظم الأوقات في رحلات خارج المدينة إلى البساتين والأماكن الخلوية ، وهناك في الهواء الطلق يلقي دروسه أو يذاكرهم فيما حفظوه ودرسوه ، وشاقت هذه الطريقة تلاميذه ، فأقبلوا عليه ، وكثر عددهم ، حتى كان إذا خرج في رحلة من هذه الرحلات خرج في كوكبة لا تقل عن أربعمائة طالب .

لكن هذا الإقبال جر على الطرطوشي الوبال ، فقد ضاق به قاضي الإسكندرية ابن حديد ضيقاً شديداً ^(١) فقد كان ابن حديد ينتظر من الطرطوشي عند نزوله بالمدينة أن

(١) كانت أسرة بني حديد كبرى الأسرات السكندرية في ذلك الوقت مكانة وعلماً وثروة وجاهاً ، وقد ولي منصب القضاء في المدينة أكثر من واحد من أفرادها ، وكان منصب القاضي وقت وجود الطرطوشي بالإسكندرية -

يسعى إليه ، وأن يمدحه ، وأن يكون من حاشيته ، ولو أنه فعل هذا لَأَغْدَقَ عليه ابن حديد العطايا ، وَلَيَسَّرَ عليه شئون الحياة جميعاً ، ولكن الطرطوشى كان من صنف آخر من الرجال ، كان رجلاً يعتدُّ برجولته ، وكان عالماً يعتز بعلمه ، وكان بعد هذا زاهداً لا يحبذ ذلك النوع من الحياة المترفة الباذخة التى كان يحياها ابن حديد .

وربما أخذ الطرطوشى على ابن حديد بعض تصرفاته المالية ويُعدها عن قواعد الشرع والإسلام ، وأغلب الظن أنه أطلق لسانه يتحدث إلى الناس بهذه المآخذ المالية ، مما آلم ابن حديد وآذاه .. وكان للطرطوشى أيضاً إلى جانب هذا فتاوى كثيرة يعارض بها النظم والقواعد القائمة التى تأخذ بها الدولة ، وينتقد كثيراً من العادات السائدة فى المجتمع ، والتى تنافى الدين الإسلامى وأصوله .

لهذا جمع ابن حديد هذه المآخذ ورفعها إلى الوزير الأفضل شاهنشاه ، وبَيَّنَ له خطورة هذا الرجل على الإسكندرية وأهلها ، فأرسل الأفضل إلى والى المدينة يأمره بإرسال الطرطوشى إليه ^(١) .

الأفضل يحدد إقامة الطرطوشى :

وفى القاهرة قابل الوزير الأفضل « الطرطوشى » مقابلة طيبة ، ولكنه أمره بالبقاء فى

= بلى فى الترتيب والمكانة منصب حاكم المدينة ، وكان يعزز هذه المكانة أن قاضى المدينة كانت له - إلى جانب اختصاصاته القضائية الدينية الواسعة - اختصاصات مالية وإدارية وضرائبية كثيرة ، فكان يشرف على الأحباس - أى الأوقاف - وعلى الجوالى - أى ضريبة الجزية التى تجمع من أهل الذمة من يهود ونصارى - وعلى دار الضرب ، وعلى المكوس - أى الضرائب المدنية غير الشرعية - وكان يعزز هذه المكانة أيضاً أن ابن حديد نفسه كان ذا ثروة طائلة ، وأنه يحيا حياة العلية من القوم ، فيفتح قصره لكل قاصد ، ويكرم الناس ، ويغنى العطايا ، مما دفع الكثيرين من شعراء عصره إلى مدحه والإشادة به .. وقد وصف المقرئى فى كتابه « الخطط » تلك الحياة ، حياة البذخ والترف التى كان يحياها القاضي ابن حديد فى قصره فى الإسكندرية . [انظر جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين]

(١) لم ينس الأفضل بقْد كيف ثارت الإسكندرية مع « نزار » منذ قليل ووقت تقاومه مدة ، وهو لا يريد أن يثور شئ من الشعب فى هذه المدينة ، فلو ظل هذا العالم الزاهد على سياسته هذه التى ينتقد فيها المجتمع ، وينتقد الحاكم ، وينتقد القاضى وأحكامه ، وينتقد القواعد والنظم المالية المتبعة ، فإنه سيسبب للدولة متاعب كثيرة ، وسيقتص من مهابتها فى أعين الشعب ، ولذا أراد الأفضل أن يحسم الشر قبل وقوعه ، فأرسل يأمر بإحضار الطرطوشى إلى القاهرة . [انظر المرجعين السابقين]

الفسطاط ، وحدّد إقامته في مسجد الرّصد ، جنوبي الفسطاط ، ومنع الناس من الاتصال به والأخذ عنه ، وعيّن له راتباً شهرياً ، بضعة دنانير يأخذها من متحصل جزية اليهود . وسمح لخادمه بالإقامة معه .

ويبدو أنّ الطرطوشي قضى في اعتقاله مدة طويلة تبلغ شهوراً ، فضجر من التضييق على حُرّيته ، واشتد كرهه للأفضل !! تقول المراجع : « وكان الشيخ يكره الأفضل ، فلما طال مقامه به - أى بالمتعقل - ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟! اجمع لي المباح من الأرض ، فجمع له ، فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : « رميته الساعة » . فلما كان من الغد ، ركب الأفضل فقتل » (١) .

وانكشفت الثّمة عن الطرطوشي ، فقد ولي الوزارة - بعد الأفضل - المأمون البطائحي ، وكان يعلم مابين الرّجلين ، فأفرج عن الشيخ ، وأكرمه إكراماً زائداً ، وقرّبه إليه (٢) .

الطرطوشي والمأمون البطائحي :

وعاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ، واستأنف حياته ونشاطه العلمي ، ولم تُنَل منه هذه الحنة ولم تُفَل من جدّته ، فقد كانت تشغله دائماً الأمور التي كان يراها منافية للشرع والعدل ، وقد تقدم - من قبل - للأفضل يطلب تغييرها فلم يستمع إليه ، بل أبعده عن داره وحدّد إقامته .

وقد خشي الطرطوشي أن تأخذ الوزير الجديد عِزّة الحُكم وأُبْهة السلطان فيسير على نهج سلفه ، لهذا بدأ - بعد عودته إلى الإسكندرية مباشرة - يؤلف كتاب « سراج

(١) معنى هذا أن الطرطوشي لما اشتد به الضيق أعلن امتناعه عن أكل شيء مما يأتيه به الأفضل ، وأمر خادمه أن يجمع له شيئاً حلالاً من المباح من نبات الأرض ، وأكل هذا المباح ثلاثة أيام ، وقد اعتكف يصلي ويتعبّد ، ويتهلل إلى الله ، فلما كان اليوم الثالث قُتِل الأفضل .. ومن الثابت أنه قُتِل في اليوم السابق لعيد الفطر من سنة ٥١٥ هـ ، وهذا بالتالي يحدّد لنا المدة التي اعتقل فيها الطرطوشي ، فهو قد اعتقل في أواخر سنة ٥١٤ هـ وأوائل سنة ٥١٥ هـ وظلّ و الاعتقال إلى شوال سنة ٥١٥ هـ .

(٢) [د . جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين] .

الملوك « وهو كتاب فى فن السياسة والحكم ، وما يجب أن يكون عليه الراعى والرعية ، وأتم هذا الكتاب فى سنة كاملة .. وفى شوال سنة ٥١٦ هـ حمل الكتاب وسافر إلى القاهرة ليقدمه إلى الوزير الجديد « المأمون البطائحي » وليعيد النظر معه فى الأوضاع السقيمة القائمة فى الدولة ، والتي لا يقرها شرع .

ولم يكد « المأمون » يسمع بوصوله - وكان بين يديه الكتاب وكبار الموظفين يعرضون شئون الحكم - حتى أمر فى الحال برفع الدفاتر ، وفرض المجالس ، وأمر بمد السماط ، واستدعى الفقيه لمقابلته ، فلما دخل عليه ، وقف الوزير ، ونزل من مرتبته وجلس بين يدي الطرطوشى ، كما يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ ^(١) .

حضر الطرطوشى لمقابلة المأمون ليقدم له كتاب « سراج الملوك » الذى ألفه باسمه ، وأهداه إليه ، و ليعرض عليه تلك الأمور المنافية للشرع ، والتي سبق أن تحدث بشأنها أيام الأفضل فلم يستمع إليه ^(٢) وتناقش الطرطوشى طويلاً مع المأمون فى هذه الموضوعات ، وبعدها وافق المأمون على حل وسط يرضى الطرفين ^(٣) .

(١) لم تكن من عادة الوزير فى العصر الفاطمى أن يقوم لصحية القادم عليه مهما كانت مكانته ، ولكن المأمون لم يقنع بالوقوف لصحية الطرطوشى فقط ، بل ترك مرتبته ونزل فجلس بين يديه ، كما يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ ، وهذا أكبر دليل على عظم مكانة الطرطوشى ، وما كان يحسه الوزير نحوه من تجميل واحترام .
[انظر المصدرين السابقين]

(٢) كانت تلك الأمور تلخص فى النظم المتبعة فى الميراث ، فقد كان القضاة فى مصر - فى العصر الفاطمى - يتبعون المذهب الشيعى الذى يقضى بأن ترث البنت كل ماترك أبوها إذا كانت وحيدة لا أخ لها ولا أخت ، ويحرم العصبة من المشاركة فى الميراث .

وكانت النظم الوضعية المتبعة تقضى أيضاً بأن يأخذ أثناء الحكم - أى الموظفون القضائيون المشرفون على شئون الميراث - ربع العشر من أموال الأيتام عند توزيع التركة .. وكان الطرطوشى يرى فى الأمر الأول مخالفة للشرع فى نظره - أى للمذاهب السنية فالمذاهب السنية ترى ألا ترث البنت أكثر من نصف التركة .. وكان يرى فى الأمر الثانى ظلماً فاحشاً ، واغتصاباً لحق الأيتام ، ومن واجب الحكومة أن تحافظ على أموالهم وتصونها ، لا أن تقتطع جزءاً منها لموظفيها .

(٣) وافق المأمون على إصدار أمر للقضاة بأن يتبع فى الميراث مذهب الميت ، فإن كان سنياً اتبع المذهب السنى ، وإن كان شيعياً اتبع المذهب الشيعى .. أما الأمر الثانى ، فقد وافق عليه الوزير منذ اللحظة الأولى ، لأنه رأى فيه إجحافاً حقيقياً بأموال اليتامى وحقوقهم . و صدر سجل رسمى موقع عليه من الخليفة الأمر والوزير المأمون بهذه الأوضاع الجديدة ، وأرسل إلى القضاة فى كل أنحاء الدولة للعمل به .

ولمّا اطمانت نفس الطرطوشى بهذا الاتفاق ، وبعد نحو شهرين من إقامته فى القاهرة ، أزمع العودة إلى الإسكندرية ، فذهب إلى الوزير يشكره ويودعه ، وتقدم إليه فى هذه المقابلة طالباً الموافقة على إنشاء مسجد جديد بالإسكندرية ، فَرَحَّبَ الوزير بطلبه ، وكتب فى الحال إلى ابن حديد ، قاضى الإسكندرية ، يأمره بالإشراف على بناء المسجد الذى يتخيره الطرطوشى ، وأن يبالغ فى إتقانه وسرعة إنجازها ، وتكون النفقة عليه - أى على المأمون - من مال ديوانه دون مال الدولة ^(١) .

تلاميذ الطرطوشى :

أشاع الطرطوشى فى الإسكندرية نشاطاً علمياً وافراً ، وتعلمذ عليه عدد كبير من فقهاء الشافعى وطلابه ، وتخرج عليه الكثيرون ، ونبع من هؤلاء التلاميذ نفر سيكونون عُمد الحركة العلمية وشيوخها فيما بعد ، وبرز من هؤلاء العلماء :

سند بن عنان :

واسمه بالكامل سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن خلف الأزدي ، وكان من أنبع تلاميذ الطرطوشى وأقربهم إليه ، وقد سمع منه ، ولزم حلقة سنتين طويلة ، ولم يأخذ من أستاذه العلم وحده ، بل قبس من أخلاقه وفضله ، ومن فلسفة الزهد التى أخذ الطرطوشى بها نفسه . وقد أفاض العلماء فى وصفه ومدح أخلاقه وفضله وعلمه ^(٢) .

(١) لقد بُنى هذا المسجد فى منطقة باب البحر ، وباب البحر كان قريباً من ميدان المنشية ، وهذا المسجد - للأسف - من المساجد التى هُدمت وتلاشت معالمها ، فلا وجود له الآن فى المدينة . وقد خلط بعض المؤرخين المُحدثين بين مسجد الطرطوشى الذى كان مقاماً خارج باب البحر ، وضميحه الذى أُقيم بالقرب من الباب الأخضر ، ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الضريح زُوِّد بمصل صغير ، شأنه فى ذلك شأن الأضرحة والمشاهد فى العمارة الإسلامية .

[انظر د . الشبال : المرجعين السابقين ، وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها للدكتور عبد العزيز سالم ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ط دار المعارف] .

(٢) خلف سند بن عنان أستاذه الطرطوشى فى الجلوس فى حلقة ومدرسته فى العلوم المختلفة ، وخاصة فى فقه الإمام مالك ، وتذكر المراجع أنه ألّف كتاباً ضخماً فى شرح « المُقَوَّنَة » وهى من أمهات الكتب فى فقه الإمام مالك ، وسماه « الطراز » وكان هذا الشرح فى ثلاثين مجلداً ، غير أنه توفى قبل إتمامه .. وقد ظل يُدرّسه إحدى وعشرين سنة بعد وفاة أستاذه الطرطوشى ، وقد توفى سند بن عنان سنة ٥٤١ هـ وتُفنّ بالقرب من قبر الطرطوشى .. ولا يزال المسجد الذى يحمل اسمه موجوداً حتى اليوم فى الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندرية . [انظر المرجعين السابقين] .

أبو الطاهر بن عوف :

وهو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ، وينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف .. وقد كان شيخ المالكية فى مدينة الإسكندرية طوال القرن السادس الهجرى دون منازع - فقد ولد سنة ٤٨٥ هـ وتوفى سنة ٥٨١ هـ عن ست وتسعين سنة - وقد وصفه السيوطى بأنه « صدر الإسلام » وقال أبو الحسن الحميرى : « كان أبو عوف - رحمه الله - إمام عصره وفريد دهره فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله ، وعليه مدار الفتوى ، وجمع إلى ذلك الورع والزهد وكثرة العبادة ، التواضع التام ، ونزاهة النفس ^(١) .

أبو بكر بن العرى :

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العرى المعفرى الإشبلى ، وُلد فى إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ . وصحب أباه فى رحلته إلى المشرق سنة ٤٨٥ هـ وكان حين ذاك فى السابعة عشرة من عمره ، وتلمذ إبان هذه الرحلة على كبار علماء مصر والحجاز والشام والعراق ، ففى بغداد حضر دروس أبى حامد الغزالى ، وفى بيت المقدس لازم أباه بكر الطرطوشى - قبل انتقاله إلى الإسكندرية واستقراره بها - وتلمذ عليه ، واستغرقت هذه الرحلة ثمانى سنوات . وفى سنة ٤٩٣ هـ ترك بغداد إلى الإسكندرية فأقام بها وقتاً ، لازم خلاله أستاذه القديم أباه بكر الطرطوشى ، فاستزاد من علمه ووثق علاقته به . ولما اعتزم ابن العرى العودة إلى بلاده حمّله أستاذه الطرطوشى رسالة إلى سلطان المغرب المرابطى أبى يعقوب يوسف ابن تاشفين ، قدّم إليه فيها النصائح بأن يلتزم حدود الدين فى أوامره ونواهيه ، وأن يرمى الله فى رعيته ، وأن يفتح بابه لكل مظلمة .. ثم أوصى السلطان خيراً بتلميذه ابن العرى ..

(١) كان ابن عوف ربيب الطرطوشى ، وكان الطرطوشى تزوج خالة ابن عوف هذا .. وقد شهد ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية الشيعية وقام دولة صلاح الدين فى مصر سنة ٥٦٧ هـ وقد زار صلاح الدين الإسكندرية فى سنة ٥٧٧ هـ وحرص فى هذه الزيارة أن يحضر هو وأولاده وكبار رجال دولته دروس أبى الطاهر بن عوف ، وسمعوا عليه جميعاً « موطأ مالك » بروايته عن أستاذه الطرطوشى ، وكان صلاح الدين يُعظم ابن عوف ويراسله ويستفتيه .. وتوفى ابن عوف سنة ٥٨١ هـ ودُفن بالإسكندرية بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف .
[انظر المرجعين السابقين] .

فأكرمه السلطان وعينه قاضياً لمدينة أشبيلية . وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه ^(١) .

المهدي بن تومرت :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي ، البربري الجنس ، الملقب بالمهدي ، مؤسس دولة الموحدين ، وينتمي إلى قبيلة « هرغة » إحدى قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ونشأ في قبيلته ، ثم رحل إلى الشرق طلباً للعلم ، فانتفى إلى العراق ، ودرس بالمدرسة النظامية بعد افتتاحها ، وحضر دروس أبي حامد الغزالي ، وأدى إبان رحلته هذه فريضة الحج ، وجاور بمكة زمناً ، وكان ورعاً تقياً منصرفاً إلى العبادة ، شديداً على من يخالف أمر الدين ، ثم ترك مكة إلى مصر ، وقصد مدينة الإسكندرية ، واتصل فيها بأبي بكر الطرطوشي وتلمذ عليه .. ثم أبحر إلى المغرب ، ولم يعمر طويلاً وتوفي سنة ٥٢٤ هـ . وكان عظيم الهمة ، شديد الذكاء ، فصيحاً وأديباً ، وله مؤلفات ، منها : « كنز العلوم » وكتاب « أعز ما يطلب » وقد أودع هذا الكتاب الأخير أصول دعوته ، وترجمه إلى اللغة البربرية .

وبعد .. فهذه هي حياة فقينا العالم الزاهد أبي بكر الطرطوشي ، وهذه هي سيرته العطرة التي استحق من أجلها أن يوصف بالزهد والورع ، والفضل والجرأة ، وبأنه أحد الأئمة الكبار .

وهؤلاء بعض تلاميذه النوابغ الذين حملوا الراية من بعده ، وقادوا الحركة العلمية بعد انتقاله إلى جوار ربه سنة ٥٢٠ هـ ^(٢) وهكذا كانت سيرة العلماء ، ومنذ أن عدم

(١) كثر حامدو ابن العري وشاعره ، ووشى به الواشون ، قبض عليه وسُجن في مدينة « مراکش » نحو عام ، ولما أطلق سراحه خرج قاصداً مدينة « فاس » فمات في طريقه إليها في سنة ٥٤٣ هـ فحُمِل إليها ودُفن بها . [انظر المرجعين السابقين] .

(٢) انتقل الطرطوشي إلى جوار ربه في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى =

الناس أمثال هذا الطراز النادر من العلماء أصابهم ما أصابهم .

مؤلفات أبى بكر الطرطوشى :

إن حياة أبى بكر الطرطوشى غير المستقرة لم تمنعه من التأليف ، فقد ذكرت المراجع المختلفة أنَّ له تأليف كثيرة ، وأغلب الظن أنه وضع معظم هذه المؤلفات أثناء مقامه فى الإسكندرية ، بعد أن تزوج بها وأنجب واطمأن إلى معيشة هادئة فى كنف زوجته الإسكندرية الصالحة ^(١) .

ويبدو واضحاً من قائمة المؤلفات التى ذكرتها المراجع ونسبتها إلى الطرطوشى أن الرجل كان نشيطاً مُنتجاً ، خصب الإنتاج ، وقد أحصت له اثنين وعشرين مؤلفاً ، الموجود منها تسعة والباقي مفقود ، ومن هذه المؤلفات التسعة الباقية طُبِعَ اثنان فقط ، والسبعة الأخرى مازالت مخطوطة . وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل الخلاف والفقه ، والبعض الآخر يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم ، واجتماع وأدواء وأحواله ، وفيما يلى عرض تفصيل لهذه الكتب .

مختصر تفسير الثعالى : اختصره الطرطوشى فى كتاب خاص أثناء مقامه بالشام ، وكان يُدرسه فى المسجد الأقصى ^(٢) وتوجد فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من الجزء الثانى من هذا المختصر .

= سنة ٥٢٠ هـ وصلّى عليه ولده محمد ، وفى « الصلة » لابن بشكوال: أنه تولى فى شهر شعبان سنة ٥٢٠ هـ وفى بغية للمتمس : وصلى عليه ابن عوف ، ودُفِنَ فى مقبرة « وَغَلَّة » وهى مقبرة كانت قرية من البرج الجديد ، قبل الباب الأخضر ، الذى كان أحد أبواب الإسكندرية القديمة الهامة ، وكان يقع فى الناحية الغربية من أسوارها . [انظر المرحوم جمال الشيال : المصدرين السابقين] .

(١) إن حياة الارتحال والطلب الأولى فى الأندلس والحجاز والعراق والشام لم تمنح له الفرصة لتفرغ للتأليف ، كما أن سن الأربعين التى بلغها عند نزوله الإسكندرية هى سن النضج الفكرى ، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من اطمئنانه إلى الحياة الهادئة التى لقيها فى كنف زوجته ، وهى حياة مستقرة نسبياً ، كل هذه الأسباب ترجع أنه وضع الغالبية العظمى من مؤلفاته إبان الحقبة التى عاشها فى الإسكندرية ، ومداها نحو الثلاثين عاماً ، ويؤكد هذا الترجيح ، تلك الملابس والظروف التى أُلْفِتَ فيها وبسببها معظم كتب الطرطوشى ، فقد كانت ظروفه أو أحداثاً تتصل بالملدة التى قضها فى مصر بوجه عام ، وفى الإسكندرية بوجه خاص . [المصدرين السابقين] .

(٢) الثعالى - أو الثعلبى - هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التيسابورى التوفى سنة ٤٢٧ هـ . قال عنه ابن خلكان : « كان أوحده زمانه فى التفسير ، وصنف التفسير الذى فاق غيره من التفسير ، وله كتاب العرائس =

الكتاب الكبير في مسائل الخلاف^(١) : وهذا الكتاب يقع في خمسة أجزاء ، وقد ألفه بعد أن تم نضجه الفكري في الإسكندرية ، وأصبح أستاذًا ، ومرجعاً في هذا العلم .

شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني^(٢) : ومن المرجح أن يكون هذا الشرح بعض دروسه التي كان يلقيها في المذهب المالكي في مدينة الإسكندرية .

كتاب الأسرار : لم تذكر المراجع التي أرخت للطرطوشي وأحصت مؤلفاته هذا الكتاب ، ولكن الطرطوشي أشار إليه في أكثر من موضع من كتابه « سراج الملوك » ويبدو من الشواهد التي ذكرها عن الكتاب ، أنه يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، وبالقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات^(٣) .

كتاب يعارض به كتاب الإحياء للغزالي : ذكره الحميري في كتابه « صفة جزيرة الأندلس » عند ترجمته للطرطوشي ، فقال : « وعاصر - أي الطرطوشي - الغزالي ، وله في إحيائه كلام ، وكان منحرفاً عنه ، سيء الاعتقاد فيه .. وذكره الضبي في « بغية

= في قصص الأنبياء » وهذا التفسير الكبير الذي فاق غوره من التفاسير هو الذي أسماه صاحبه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » وهو الذي اختصره الطرطوشي في كتاب خاص .

[انظر الشيال : المصدرين الأسبقين ، ونفع الطب ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤] .

(١) أو : التعليق في الخلافات . والخلاف كان أحد العلوم الأولى التي بدأ الطرطوشي يتلقى أصولها منذ صباه المبكر في وطنه الأول « الأندلس » على أستاذه أبي الوليد الباجي ، والتي استزاد منها حتى أتمها أثناء تحصيله في بغداد والبصرة وغيرها من مدن العراق .. وقد ورد ذكر هذا الكتاب في نفع الطب للمقرئ ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٣٤ وغيرهما من المراجع .

(٢) هو : أبو بكر بن عبد الله بن أبي زيد ، عالم من أكبر أعلام الفقه للمالكي الأوائل الذين وضموا أسببه وقواعده ، وقد عاش في القرن الرابع الهجري ، وسكن القيروان مدة ، وكان إمام المالكية في وقته وهو جامع مذهب الإمام مالك ، وشارح أقواله ، حتى لقد عرف باسم مالك الصغير .. وقد توفي سنة ٣٨٩ هـ وله تأليف كثيرة ، أهمها : الرسالة في الفقه المالكي .. وقد شرح هذه الرسالة كثيرون من علماء المالكية ومنهم أبو بكر الطرطوشي .

[انظر الشيال ، ونفع الطب ، الصفحة نفسها]

(٣) انظر سراج الملوك ، بداية الباب الثالث والعشرين - في العقل والدعاء والبحث .. ونهاية الباب الثاني

والستين - في القضاء والقدر والتوكل والطلب .

المتمسك» فقال : « وله - أى للطروطوشى - كتاب كبير يعارض به كتاب الإحياء ، رأيت منه قطعة سيرة » (١) .

رسالة في تحريم جبن الروم : وهى رسالة صغيرة ألفها أثناء مقامه فى الإسكندرية ، وكانت من الأسباب التى أثارت عليه القاضى ابن حديد والوزير الأفضل (٢) .

(١) يذكر المرحوم جمال الدين الشيال أنه بحث كثيراً عن هذا الكتاب فلم يعثر له على أثر ، وإنما عثر على مايفيد أن الطروطوشى كتب رسالة لصديق له يذكر فيها أنه اجتمع - أى الطروطوشى - بالغزالي فى الإسكندرية حوالى سنة ٥٠٠ هـ ، وتحدث إليه وناقشه فى موضوعات كثيرة ، ويشير إلى رأيه فى « الإحياء » وينقده .. وللسيد محمد المرتضى الزبيدي - من كبار علماء مصر فى القرن الثامن عشر - شَرَحَ كبير لكتاب إحياء علوم الدين يقع فى عشرة أجزاء سماه : « تحاف السادة المثقن بشرح أسرار إحياء علوم الدين » وقد عرض فى مقدمته للعلماء السابقين الذين تناولوا إحياء الغزالي بالدراسة أو بالمدح والتفريط ، أو بالنقد والتجريح ، وذكر من بين الناقدين العالمين المالكيين : المازرى والطروطوشى .. وعرض أولاً كلام المازرى فى الإحياء ، ثم ناقشه ورد عليه ، واستطرد فغرض لكلام الطروطوشى وقال : « هذا ملخص كلام المازرى ، وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطروطوشى ، نزيل الإسكندرية ، فذكر فى رسالته إلى أبى مظفر : « فأما ماذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل وكلمته ، فرأيت من أهل العلم ، وقد نبهت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره ، وكان على ذلك طول زمانه ، ثم بدأ له البعد عن طريق العلماء ، فدخل فى غمار العمال ، ثم تصوف فنهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ورساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، فلقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم فى علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، أو خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالمعلومات » .

هذه هى الفقرة التى نقلها المرتضى الزبيدي لمرض رأى الطروطوشى فى الغزالي وإحيائه ، ونفهم منها أن الطروطوشى لم يؤلف كتاباً فى نقد الإحياء ، وإنما كتب رسالة إلى صديق له - هو أبو مظفر - أبدى فيها رأيه فى الغزالي وكتابه .. ولم يستطع الطروطوشى ، فى أول الرسالة أن ينفى إعجابه بالغزالي ، ولكنه لم يلبث أن استدرك فقال ماقال ، يُجرح الرجل وكتابه .

ولاشك أن الطروطوشى متحاملاً ومُتَّجِناً على الغزالي - وتفسير هذا التحامل أنه نوع من الغيرة التى تنشأ عادة بين العلماء المتعاصرين ، فالرجلان وُلدا فى سنة واحدة ، واشتغلا بالعلم وتحصيله ودراسته فى الحقبة الأولى من حياتهما ، ثم ركنا إلى حياة الزهد والتصوف حتى عُدا من المتصوفة الزاهدين فى أحمريات حياتهما .. والطروطوشى أدرك شهرة وذاع صيته فى الشام أولاً ثم فى الإسكندرية ثانياً - والغزالي طبق ذكره الآفاق فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وخاصة بعد تأليفه « المنقذ من الضلال » و« إحياء علوم الدين » وقد سبقته شهرته إلى الإسكندرية قبل وصوله إليها ، ولم يكن للطروطوشى وقت ذاك مؤلف يستطيع أن يطاول به « الإحياء » ولهذا جاء نقد الطروطوشى للغزالي وكتابه ضعيفاً متهاضاً لايزيد على أن يضم بعض الاتهامات التى لا تقوم على دليل ، وقد رد « السبكي » صاحب « طبقات الشافعية » على هذه الادعاءات وفندھا واحدة واحدة [انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٨٢ - ٨٢ وأبى بكر الطروطوشى العالم الراهد الثائر ص ٧٨ - ٨٢ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩] .

(٢) كان الطروطوشى ينفى بتحريم الجبن الذى يأتى به النصارى الروم إلى المدينة وغيره من المأكولات التى تأتى من أوروبا ، ومعنى مقاطعة هذه المأكولات تقص لإيرادات الدولة بنقصان الضرائب التى تؤخذ على هذه التجارة الواردة .. لهذا السبب وغيره أمر الوزير الأفضل القاضى ابن حديد بإرسال الطروطوشى إليه فى مصر ، وتعميد إقامته .

الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومحدثاتها) : وأغلب الظن أنه ألفه في الإسكندرية كذلك ، وهو ينتقد فيه المجتمع الإسلامي والبدع التي انتشرت فيه ، ليثبت أن هذه البدع والمحدثات مما يتنافى مع أصول الدين والشرعة ^(١) .

كتاب « الفتن » : ولعله تناول فيه الفتن التي سادت العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فقد كان العالم الإسلامي - شرقه وغربه - يجتاز مرحلة تسودها الانقسامات والفتن في كل جزء من أجزائه .

كتاب « بر الوالدين » : وتذكر المراجع أنه عالج فيه موضوع عقوق الآباء .. وأورد فيه من الآيات والأحاديث والحكم والأشعار ما يحث الأبناء على البر بالوالدين .

رسالة في تحريم الغناء واللهر على الصوفية في رقصهم وسماعهم : وتوجد منه نسخة خطية وحيدة ضمن المجموعة التي تضم كتاب البدع والحوادث في مكتبة مدرّيد تحت رقم ٥٣٤١ وتشتمل على الصفحات من ١٠٤ - ١٢١ .

كتاب « تحريم الاستمراء » : وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة برلين تحت رقم ٤٩٨١ .

كتاب « نزهة الإخوان المتحابين في الله » : وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة جوتا تحت رقم ٩٠٩ .

رسالة العدة عند الكرب والشدة .

حاشية على إلبات الواجب .

وهذان الكتابان ذكرا في فهرس مكتبة استانبول (في الجزء الأول) منسوبين إلى الطرطوشي .

كتاب « الدعاء » : وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (في الجزء الثاني الصفحة رقم ٦٢١) .

كتاب النهاية في فروع المالكية : وقد ورد ذكره أيضاً في كشف الظنون (الجزء الثاني ، الصفحة رقم ٦٢١) .

(١) هذا الكتاب حُقق وتم طبعه سنة ١٩٥٩ م وقام بنشره الأستاذ/ محمد الطالبي - من علماء تونس

كتاب نفائس الفنون .

اختصار كتاب أخلاق رسول الله : والأصل لأبى محمد عبدالله بن جعفر بن حيان ، وقد ذكره ابن خير في فهرسه .

جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد : ذكره ابن خير في فهرسه

ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر : ذكرها ابن خير أيضاً في فهرسه وقال : « ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر ، تولى جمعها الفقيه أبو بكر الطرطوشى - رحمه الله - حدثنى بها القاضى أبو بكر بن العربى » .

رسالة أبى بكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين : وهى رسالة طويلة فى نحو عشر صفحات ، كتبها الطرطوشى إلى السلطان المرابطى أبى يعقوب بن تاشفين يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته ، وإشاعة العدل بين رعاياه . وقد ذكرها ابن خير فى فهرسه (١) .

المجالس : وقد ورد فى فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة بهرباط الفتح (المغرب الأقصى) بالقسم الثانى من الجزء الأول الصفحة رقم ٤٦ - علم التفسير ، وأوله : « الحمد لله الذى لا يؤنسهُ موجود » فى مجموع ، من ورقة ١٤٧ ب إلى ٢٢١ ب .

سراج الملوك : وهو أهم كتب الطرطوشى جميعاً وأقيمتها ، وهو واحد من الكتب القليلة التى وصلت إلينا ، فمعظم كتبه فقدت - كما ذكرنا - وهو الكتاب الوحيد من بين هذه القلة الباقية الذى طبع أكثر من مرة ، وقد استمدَّ الطرطوشى مادته من كتب التاريخ والأدب والأسعار ، وأورد فيه من الطرائف والنوادر ما يؤيد به قضاياها فى السياسة والحكم ، والإدارة ، والأخلاق ، وتدبير الممالك ، والتعامل مع الناس ، فجمع الكتاب بين مكارم الأخلاق والمروءة العربية الإسلامية ، والسلوك المستقيم .

الهدف من تأليفه : ذكرنا من قبل أن الطرطوشى ألف كتابه هذا بعد إطلاق سراحه

(١) هذه الرسالة كانت موجودة فى الجزء الذى لم يُنشر من مخطوطة « مفاخر البربر » وهى مؤلف مجهول ، وقد قام المرحوم الشيبال بنشر نص هذه الرسالة فى كتابه أبى بكر الطرطوشى العالم الزاهد . [انظر المصدر السابق ص ١١١ - ١٢٣] .

من المعتقل الذى حُددت إقامته فيه فى الفسطاط ، وأنه ألفه فى الإسكندرية ، ثم قَدَّمه هدية إلى الوزير المأمون البطائحي ، وكان هدفه من ذلك دعوة الوزير أن يقف موقفاً آخر من العلماء ، غير الذى كان يتبعه سلفه الأفضل ، فالعلماء هم السياج الذى يمنع الحكام من الظلم والبغي .. وقد أراد الطروشى من كتابه هذا أن يكون دستوراً للحكام والمحكومين على السواء ، وأن يحدد فيه حقوق الحاكم والمحكوم ، فلا يتجاوز أحدٌ من الطرفين حُدَّه ، ولا يتعدى حقه ، وليدفع به الأمة الإسلامية نحو هدف فيه صلاح أمر العرب والمسلمين ، وليعلل فيه شأن القيم الخلقية التى تحث على الفضائل عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة .

سراج الملوك والكتب المصنفة على متواله : برغم أن الموضوع الذى عالجَه الطروشى فى كتابه « سراج الملوك » قد عالجَه أكثر من مفكر مسلم ، فقد عالجَه ابن قتيبة - المتوفى سنة ٣٣٦ هـ - فى « عيون الأخبار » وأبو الحسن الماوردى فى « الأحكام السلطانية » و« نصيحة الملوك » ، والغزالي فى كتابه « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك »^(١) والشيزرى فى كتابه « المنهج المسلوك فى سياسة الملوك » وابن طباطبا فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية » وبرغم ذلك فإن الطروشى يعدمن الطلائع ، ومن رواد الفكر الإسلامى الأوائل الذين حاولوا التأليف فى علم السياسة وفن الحكم .

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى كتاب الطروشى « سراج الملوك » ، واعترف بأن الطروشى من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف فى علم الاجتماع أو العمران .. ولكنه قال : إن الطروشى أحسن فى تقسيم كتابه وتحديد موضوعاته ، ولكنه لم يُحسن علاج هذه الموضوعات أو التفكير فيها أو عرضها - أو على حد قوله - حَوْم على الغرض ولم

(١) قارن المرحوم الشهاب بن كتاب الغزالي هذا وبين « سراج الملوك » وتبين له أن منهج الرجلين واحد ، فكلاهما يمزج تفكيره الأخلاقى بتفكيره السياسى مزجاً تاماً ، وكلاهما يبدأ الفصل بتقرير المبدأ الأخلاقى تقريراً موجزاً ، ثم يورد من قصص الأقدمين وحكمهم ما يبرهن به على صحة هذا المبدأ .. والغزالي أهدى كتابه الملك مسلجوق ، والطروشى أهدى كتابه لوزير فاطمى كان يتمتع بسلطان الملك المطلق .. ولكن كتاب الغزالي موجز ، أما كتاب الطروشى فكتاب ضخم مفصل ، وقد تناول فيه كثيراً من الموضوعات التى لم يعرض لها الغزالي فى كتابه .. وحصيلته انطروشى فى « سراج الملوك » من القصص والنوادر والحكم والأخبار التاريخية والمسائل الفقهية أغنى وأوفر من حصيلته الغزالي فى كتابه « التبر المسبوك » .

[انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٩٢ ، ٩٣ وأبو بكر الطروشى العالم الزاهد ص ٨٨ ، ٨٩] .

يصادفه ، ولاتحقق قصده ، ولا استوفى مسائله ^(١) .

لقد أراد ابن خلدون - بعد أن اعترف بفضل أسبقية الطرطوشى فى ارتياد هذا الموضوع - أراد أن يتعالى عليه فى الوقت نفسه ، وأن يفخر بما آتاه الله من نعمة التوفيق فى مقدمته .. وإنصافاً للطرطوشى وللحقيقة نقول : إنَّ هدف الطرطوشى من تأليف « سراج الملوك » لم يكن كههدف ابن خلدون من تأليف المقدمة ، هدفًا علميًا خالصاً ، وإنما كان هدفه فنيًا ، وهو أن يؤثّر فى النفوس بالقصة برويها ، أو بالمثل والحكمة والموعظة الحسنة ، يُلمّح ولايصرح ، وحقيقة أن الطرطوشى لم يكن نذًا لابن خلدون ، ولكن العدل أن يقاس نجاح المؤلّف بمقدار نجاحه فى تحقيق أهدافه التى كان يتطلع إليها عند وضع مؤلفه .

والحقيقة أن « سراج الملوك » كتاب حافل بالقصص الممتعة ، والأخبار الطريفة ، والنوادر الشائقة ، كما ضَمَّنهُ الطرطوشى كثيرًا من تجاربه المفيدة ، ونظراته السديدة ، وآرائه القيمة ، مما يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة شاملة لمسائل الفقه والتشريع والتاريخ والأدب ^(٢) .

منهج الطرطوشى فى تأليف الكتاب : قسّم الطرطوشى كتابه « سراج الملوك » إلى أربعة وستين بابًا ، تتفاوت طولاً وقصرًا ، فقد يطول الباب حتى يتجاوز العشرين صفحة - من القطع الكبير - وقد يقصر حتى لا يصل إلى صفحة واحدة أو بضعة أسطر .. وقد يكرر الطرطوشى أحياناً بعض العبارات أو ماسبق أن قصّه من حكايات فى أكثر من موضع فى كتابه .

(١) قال ابن خلدون : « وكذلك حوّم أبو بكر الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » وبوّه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله ، ولكنه لم يصادف فيه الرميّة ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة . إنما يُؤبّب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار ، وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بُزرجهر ، والمريدان ، وحكماء الهند ، والمأثور عن دانيال وهرمس ، وغيرهم من أكابر الخليفة .. ولايكشف عن التحقيق قناعاً ، ولايرفع بالبراهين الطبيعية حججاً ، إنما هو ثقل وتركيب شبيه بالمواعظ ، وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه ، ولاتحقق قصده ، ولا استوفى مسائله » .

[انظر مقدمة ابن خلدون - طبعة العمران فى الخليفة ص ٦٦ ط دار الكتاب اللبنانى - وانظر الشيال : المصدرين السابقين] .

(٢) [انظر الشيال : المصدرين السابقين] .

إن منهج الطرطوشى فى تأليف هذا الكتاب أن يبدأ الباب بتقرير المبدأ الخلقى الذى يرى أن يتحلّى به صاحب الوظيفة ، سواء أكان ملكاً أم وزيراً أم والياً أم قاضياً ، وقد يشرح هذا المبدأ شرحاً يسيراً ، ولكنه لا يظيل ، بل يسرع بإيراد كثير من الحكم والأمثال والقصص التى تؤيد صحة هذا المبدأ ، وهو يقتبس هذه الحكم والقصص والنوادر من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن سير الأنبياء والخلفاء والصالحين ، ومن سير الملوك والحكماء السابقين من مختلف الأجناس والعصور .

إن الطرطوشى فى كتابه هذا ، واحد من المفكرين الذين لا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، بل يراها شيئاً واحداً متفقاً ، وهو يشبه فى هذا فلاسفة اليونان القدامى ومفكرهم ويتخلف اختلافاً كبيراً عن فلاسفة أوروبا فى عصر النهضة والعصر الحديث ، من أمثال هوبز ، ولوك ، ورسو ، وهيجل ، وماركس ، الذين كانوا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، ويفكرون فى مشاكل السياسة وموضوعاتها تفكيراً مستقلاً عن تفكيرهم الخلقى ، وهو يشبه فى هذا أنداده من المفكرين الإسلاميين ، فهم جميعاً لم يفرقوا فى مؤلفاتهم بين السياسة والأخلاق ^(١) .

مخطوطات الكتاب وطبعاته :

توجد فى دار الكتب المصرية ست مخطوطات من كتاب « سراج الملوك » وبيانها كالتالى :

المخطوطة الأولى تحت رقم (٤١٤ تاريخ) ٥٢٥ ق . خط . سنة ١٠٨٢ هـ .

والثانية تحت رقم (٢٨٣٧ تصوف) ٢٢١ ق خط . سنة ١٠٨٣ هـ .

والثالثة تحت رقم (٣٢٥٦٧ ب) ١١٩ ق خط . سنة ١٠١١ هـ

والرابعة تحت رقم (١٣ اجتماع تيمور) ٢١٦ ص .

والخامسة تحت رقم (٢٧ الزكية) .

والسادسة تحت رقم (٥١ تاريخ م) .

(١) [الشيال : المصدرين السابقين] .

والمخطوطات الأربع الأولى تم تصويرها على « ميكرو فيلم » والاثنان الأخيران بهما بعض العيوب التي حالت دون تصويرهما .

كما توجد في معهد المخطوطات العربية مخطوطة واحدة تحت رقم (٢٣١٧ - ٢١١ ق) خط نسخ ، حجم كبير ، تحت فن السياسة والاجتماع ^(١) .

هذا عن مخطوطات الكتاب المصرية ، وهناك مخطوطات أخرى للكتاب في العديد من مكتبات العالم العربي والأوربي أشار إليها بروكلمان وغيره . أما عن طبعات الكتاب ، فقد ذكرنا أن « سراج الملوك » هو الوحيد من بين كتب الطرطوشي القليلة التي وصلت إلينا ، والذي طبع أكثر من مرة .. وقد قامت المطبعة الخيرية - المنشأة بالجمالية - بطبع الكتاب سنة ١٣٠٦ هـ - ، أى منذ أكثر من مائة سنة .. ثم قامت المطبعة الأزهرية المصرية بطبعه على منوال الطبعة الأولى سنة ١٣١٩ هـ ، وهاتان الطبعتان متطابقتان تماماً ، وبها مش كل طبعة منهما كتاب « التبر المسبوك في نصائح الملوك » للغزالي .. وهناك طبعة ثالثة أشار إليها الدكتور جمال الشيال في مصادر كتابه « أئى بكر الطرطوشي - العالم الزاهد » طبعت سنة ١٩٣٥ م. وهى تقابل سنة ١٣٥٤ هـ ، وهذه الطبعات الثلاث هى التي وقفت عليها لهذا الكتاب ، وربما كانت له طبعات أخرى .

وقد اخترت لتحقيق هذا الكتاب أولى هذه الطبعات ، وقابلتها بأقدم المخطوطات السبع التى سبق الحديث عنها - تاريخاً - هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى سيأتى ذكرها .
وصف نُسختي التحقيق :

أولاً - وصف نسخة المطبعة الخيرية : وهى الطبعة الأولى من الكتاب ، وقد مضى على طبعها أكثر من مائة سنة ، وقد قام بتصويبها العالم الفاضل الشيخ محمد طوموم - من علماء الأزهر - وبأعلى الصفحة الأولى عنوان الكتاب : « سراج الملوك ، للإمام العلامة ، ثبت الثقة ، الحجة الفهامة ، العارف بالله ، أئى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشي المالكي ، رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين » .

(١) من الصعب على المحقق أن يحصر كل المخطوطات التى تخص الكتاب الذى يحققه على وجه الدقة ، حتى بعد أن يراجع فهارس الكتب والمخطوطات العربية ودور الكتب ، وخزائن المخطوطات فى شتى البقاع ، و ذلك لأسباب كثيرة ، منها وجود المكتبات « الخاصة » التى تحوى الكثير من نفائس المخطوطات فى البلاد العربية والإسلامية ، والتى يتوارثها أصحابها ، والتى يصعب حصرها .

وبهامشه كتاب « التبر المسبوك في نصائح الملوك » للغزالي .. وفي وسط الصفحة الأولى - تحت عنوان الكتاب - أورد الناشر مقاله صاحب « كشف الظنون » - حاجي خليفة - عن الكتابين قال : « سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المالكي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ جمعه من سير الأنبياء وآثار الأولياء ، ومواعظ العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، ورتبه ترتيباً أنيقاً ، فما سمع به ملك إلا استكتبه ، ولا وزير إلا استصحبه ، يستغنى الحكيم بمداسته عن مُباحثة الحكماء ، والمملك عن مشاورة الوزراء ، وذكر فيه الأمير أبا عبدالله الأموي [الصواب : الأمر] وأبوابه أربعة وستون باباً » .

وذكر نحو هذا عن كتاب التبر المسبوك للغزالي . وفي أسفل الصفحة ذكر « الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بمحالية مصر المحمية ، سنة ١٣٠٦ هجرية .

هذا كله في الصفحة الأولى .. أما في الصفحة الأخيرة من الكتاب ، فقد جاء فيها مايلي : « الحمد لله الذي أنار قلوب هذه الأمة بسراج الحكمة ، وأنقذهم برعاة الهدى وعلماء الملة من أوشال الظلمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إمام الأنام ، وعلى آله وأصحابه ، قدوة العاملين ، ونعيم الإسلام .. أما بعد ، فيقول الواصل بالله أحمد بن مفتاح : قد تم هذا الكتاب الملقب بسراج الملوك ، وهو كتاب أسفر عن بدائع الفرر ، ونجائب الفرائد ، ومحاسن النصائح ، وأعرب عن سعة اطلاع مؤلفه في بابيه ، حتى أقر له العلامة ابن خلدون في مقدمته بتقدمه عليه ، وغزارة حكمه الشاسعة المرمي ، المُصيبة الغرض ، وهو وإن لم يكن كبير الجسم فهو كثير الفائدة ، سهل التناول ، عذب المذاق ، يغنى طالبيه عن مزاوله كتب شتى ، ومراجعة أسفار عديدة ، وكفى به دليلاً هادياً ، ونبراساً فخماً ، أخذ بطرق التاريخ والنصيحة ، وسقى بكأسي العلم والأدب ، وبالجملة ، فهو الكتاب الذي قل أن يُثار خلفه غبار ، أو يجري معه في مضمار ، أو يخضد شوكة ، التبر المسبوك ، للعلامة حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وهو كتاب نهج منهجاً حقاً ، وسبيلاً صدقاً ، واتَّحد مع السراج في مطالب كثيرة ومقاصد متنوعة ، فهما كما قيل :

(رضيعا لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لانفرق)

وقد بزغا في سماء التصحيح تخفق فوقهما راية التهذيب ، وتحدهما يد التنقيح ، لاسيما وقد اعتضدت على ذلك بالعالم الفاضل ، والصالح المهذب ، الأستاذ الشيخ محمد طوموم ،

من علماء الجامع الأزهر ، وكان ذلك بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المعزّية ، على ذمة صاحبها الفاضلين ، حضرة السيد عمر حسين الخشاب ، وحضرة السيد محمد عبد الواحد الطوبى .. ووافق تمام طبعه يوم الخميس ، الثانى عشر من شهر رجب عام ستة وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

عيوب هذه الطبعة :

وبالرغم مما قيل عن هذه الطبعة ، فإنها لم تُحل من مآخذ :

أولها : إغفال علامات الترقيم كلية .

ثانيها : عدم توخى الدقة فى هزات الوصل والقطع .

ثالثها : إهمال تقسيم الأبواب والفصول إلى فقرات ، وإن كان يُفصل بين كل كلامين - أحياناً - بوضع الكلمة الأولى فى الكلام الجديد بين قوسين .

رابعها : لا تخلو من أخطاء فى اللغة والإملاء بجانب الأخطاء المطبعية التى تنتشر بها .

خامسها : بها كثير من « السقط » فى الشعر والنثر .

سادسها : لم تتحرر الدقة فى تحقيق أسماء الأعلام والمعلومات ، وبها الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها ، ولم يُشر إليها .

سابعها : جاءت خالية من أى تعليق أو شرح للغريب من ألفاظها وعباراتها الغامضة .

ثامنها : أهملت الضبط إهمالاً تاماً ، فجاءت كلماتها عارية من الشكل ، هذا بالإضافة الى تقارب الكلمات بعضها من بعض مما يسبب ضيقاً للقارئ بسبب تعذر القراءة .. هذا وغيره كثير مما سيلمسه القارئ بنفسه فى هوامش التحقيق من هذه الطبعة التى بين يديك .

ثانياً - وصف مخطوطة الكتاب :

هى المخطوطة المودعة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت فن السياسة والاجتماع - تحت رقم ٢٣١٧ - أحمد الثالث . وهى أقدم المخطوطات السبع التى لدينا ، وهى نسخة كاملة كتبت سنة ٧٧٣ هـ - أى بعد وفاة الصرطوشى بنحو مائتى وثلاث

وخمسين سنة - ومن مميزاتا أنها مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، ومضبوطة بالشكل (من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{6}$ شكل) وتقع في ٢١١ ورقة من القطع الكبير ، والورقة صفحتان ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، باستثناء الصفحة الثانية التي تلى العنوان ، والتي تبدأ بالبسملة ، والصفحات الأولى التي تجمع أبواب الكتاب ، فمسطرتها ١٨ سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين ٩ إلى ١٣ كلمة ، ماعدا أسطر الشعر ، والعناوين ، وخاتمة كل باب أو فصل ، فهي تنقص عن ذلك حتى تصل إلى كلمتين فقط ، أو كلمة في بعض الأحيان .

ومقدمة الكتاب مزدانة بزخارف بديعة على شكل دوائر وردية ، كالفواصل التي توضع بين آيات القرآن الكريم وبها أرقام الآيات ، وقد وردت هذه الزخارف كثيراً في ثانيا الكتاب ، خاصة في الشعر ، لتحصر بينها أبيات الشعر ، أو نهايات الكلام في كل باب أو فصل .. وقد تأتي هذه الزخارف على شكل مثلث بداخله نقطة ، أو على شكل مثلث مكون من ثلاث فاصلات .

كما تتميز هذه المخطوطة بأن على جوانب أو حواشي بعض صفحاتها تصويبات لبعض الأخطاء التي وردت في تلك الصفحات ، وقد وُضع خط تحت الكلمة الخطأ في المتن ، ثم نُصِّب في الحاشية ، ويوضع بجوارها إشارة إلى صوابها ، أو كلمة « صح » .. وليس الأمر مقصوراً على تصويب الأخطاء فقط ، بل تم استدراك « السقط » الذي لم يشته الناسخ في المتن وأثبت في الحاشية أيضاً ، بعد الإشارة إلى موضعه في المتن .

والناسخ في هذه المخطوطة يسهل الهمزة ، فهو يرسم الفعل « جاء » هكذا « جا » بحذف الهمزة - و « أبو الدرداء » هكذا « أبو الدردا » و « هؤلاء » « هولآ » .. الخ .. وأما الرسم الإملائي فيها ، فهو يخالف كثيراً مما اصطلاح عليه العلماء حديثاً ، فعلى سبيل المثال نجد الفعل « يرضى » يُرسم في المخطوطة هكذا « يرضا » بالألف ، و « أعلى » « أعلا » ، و « معاوية » « معويه » ، و « دينار » « دير » ، و « سفيان » « سفين » .. الخ .

وبالمخطوطة كثير من الأخطاء النحوية والإملائية التي لم تُستدرك ، وبها أيضاً كثير من التحريفات والتصحيفات التي ترجع إلى جهل النقلة والنسّاخ ، ولم يسلم كثير من الأعمال الواردة بها من التحريف أيضاً ، نتيجة لاشتباه بعضها ببعض ، وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب بعد التحقق من صحتها .

والصفحة الأولى من المخطوطة تحمل عنوان الكتاب بخط جميل داخل مستطيل ، ينقسم إلى مستطيل آخر علوى بداخله حلية بها العنوان « سراج الملوك » وتحت هذا المستطيل مربع بداخله دائرة وردية مضلعة ، مكتوب بداخلها بخط جميل : « كتاب سراج الملوك والخلفاء ، ومنهاج الولاة والأمراء في تدبير الملك والدول ، تأليف الشيخ الأجل ، الإمام الزاهد أبى بكر محمد بن الملد الطرطوشى ^(١) رحمه الله » .

وأما الصفحة الثانية ، فيوجد أعلاها - وفوق البسملة - ختم دائرى صغير مكتوب بداخله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وأسفل هذا الكلام طُرة « طُغراء » وقد يضع الناسخ أسفل بعض الصفحات الكلمة التى ستبدأ بها الصفحة التالية لها ..

وتحمل الصفحة الأخيرة من المخطوطة اسم الناسخ ، وتاريخ الانتهاء من كتابتها بخط نسخ صغير وكبير ، وكل سطر محصور بين دائرتين وفيها : « تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فى نهار السبت ، سابع رمضان المعظم ، سنة ثلاث وسبعين و سبعمائة .. وكتبه وذُهبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته محمد بن محمد بن الخطيب بن نباته ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين بِمَنَّةِ وكرمه ، إنه يعوف رحيم ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين » .

منهج التحقيق :

وضعت نصب عيني ، عندما بدأت فى تحقيق هذا الكتاب ، أن يفيد منه الباحثون والقراء على مختلف مستوياتهم ، لذا كلفت نفسى - لتحقيق هذا الهدف - فوق ماتطيق ، وربما كان هذا الجهد وهذا العناء الذى بذلته فى تحقيق هذا الكتاب ، والذى امتد حتى زاد على العامين ، قد لايرضى البعض ، فقد يرون فى بعض جوانبه خروجاً على قواعد التحقيق المتبعة ، والتى ترى أن كثرة التعليقات - حتى ولو كانت بغرض الشرح والإيضاح - تُعد إسرافاً قد يشغل القارئ عن النص نفسه ، ويخرج به من دائرة التحقيق إلى دائرة التأليف .. ولكننى أمام كتاب من كتب التراث التى تفتقر - بجانب تحقيقها - إلى شرح

(١) فى المخطوطة : « الطرطوشى » بشين بعد الراء ، وهى خطأ من الناسخ .

يزيل ما بها من إبهام وغموض في بعض ألفاظها وعباراتها ، لكي تُفهم الفهم الصحيح .
وحتى يستفيد منها القارئ الآن .. لذا وضعت نصب عيني هذا الهدف ، واتبع
لتحقيقه المنهج التالي :

أولاً : رمزت إلى مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، بالرمز « م » ، وإلى نسخة
المطبعة الخيرية ، والتي سبقت الإشارة إليها ، بالرمز « ط » ، ثم قمت بمقابلة المطبوعة على
المخطوطة ، وأثبت الفروق بينهما - في الهامش - كما قمت بإثبات الكثير من أبيات الشعر
التي وردت في إحدى النسختين ولم ترد في الأخرى ، وكذا العبارات والفقرات الساقطة ،
مع الإشارة إلى ذلك .

ثانياً : قمت بضبط متن الكتاب كله ضبطاً كاملاً ، مساعدة للقارئ الذي يحتاج إلى
ذلك ، وتقوياً للألسنة ، ودفعاً للالتباس ، خاصة أن مادة الكتاب مستمدة من القرآن
والحديث والشعر والأدب ، بالإضافة إلى وجود أعلام كثيرة قد يشكل على القارئ نطقها
النطق السليم ، ومعرفة ضبطها الضبط الصحيح .. وكان الدافع لى على ذلك أيضاً كثرة
الأخطاء الواردة في ضبط المخطوطة ، مما هالني ودفع إلى القيام بضبط الكتاب كله ، مع
عدم الإشارة في الهوامش إلى أخطاء الضبط في المخطوطة ، لأنها من الكثرة بحيث يصعب
التعليق عليها .

وقد تطلب ذلك كثيراً من الوقت والجهد ، خاصة في ضبط بعض الأسماء الأعجمية
غير المألوفة ، والتي لم ترد في كتب التراجم ، هذا بالإضافة إلى صعوبة بعض العبارات
والكلمات غير العربية - الفارسية والتركية وغيرهما - والتي أهمل ضبطها تماماً في
المخطوطة .. وقد راعيت في ذلك الضبط صحة الدلالات المعجمية المختلفة للألفاظ ، ومراد
المؤلف منها .

ثالثاً : قمت بشرح غريب الألفاظ والعبارات الغامضة المبهمة التي قد يجد بعض القراء
صعوبة في فهم مدلولها ، وذلك تيسيراً عليهم وتوفيراً لوقتهم في البحث عنها في المعاجم
العربية .

رابعاً : حققت كثيراً من الأعلام الواردة خطأً في كلتا النسختين - المخطوطة
والمطبوعة - وقمت بالتثبت من صحتها بعد الرجوع للكثير من المصادر التي تترجم

للأعلام ، وكتب الطبقات وغيرها من الكتب المذكورة في مواضعها من الهوامش ، وفي مصادر التحقيق .. فعلى سبيل المثال ، ورد اسم « ثور بن زيد » في كلتا النسختين مكان « ثور بن يزيد » فالأول عالم كبير ثقة ، و هو شيخ الإمام مالك ، والثاني قدرى ضعيف ، وهو المراد في موضعه .. وعلى منواله ورد الكثير .

خامساً : ترجمت لما يقرب من ٦٠٠ ستائة عَلمٍ من الأعلام الواردة في الكتاب ترجمة موجزة ووافية في الوقت نفسه ، بعد تصويب المحرّف منها - وهو كثير - وقد عانيت من ذلك كثيراً ، إذ كثيراً ما يذكر المؤلف اسماً واحداً فقط ، أو كنية فقط ، وقد ينطبق هذا الاسم المذكور أو الكنية على كثير من الأعلام لهم صفات مشتركة ، وكلهم وجدوا قبل عصر المؤلف ، فيكون علّى أن أحصر كل الأسماء المتشابهة ، وأتحقق من كل واحد منها حتى أصل إلى العَلم المطلوب .. فعلى سبيل المثال أيضاً ، يذكر المؤلف في سياق الكلام ، يقول : « ... قال النابغة .. » ولم يحدد أى نابغة من النوابع ؟ أهو النابغة الجعدي ؟ أم الشيباني ؟ أم الذهلي ؟ أم الغنوي ؟ أم الحارثي ؟ أم العدواني ؟ أم الذبياني ؟ .. الخ .. فأقوم بالبحث عن هؤلاء النوابع ، ثم أحدد أى النوابع هو ، ثم أقدمه للقارئ وأعرفه به بعد التأكد منه ، وما تُسب إليه .

وقد أشرت في نهاية الترجمة إلى المصادر التي ترجمت لكل علم من الأعلام ، لإفادة الباحثين الذين يهمهم ذلك .

سادساً : صوّتُ الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها أو قائلها ، والتي وردت في كلتا النسختين أيضاً ، وأرجعتها إلى أصحابها ، بعد التأكد والتثبت من ذلك ، بالرجوع إلى كثير من مصادر وأمّهات كتب التراث المعتمدة للتحقق من صحة نسبتها .. وعلى سبيل المثال أيضاً ، يقول المؤلف : « قال الصاحب « بن عباد » ... » وينسب إليه شعراً لم يَقُلْهُ ، وإنما هو للشريف الرضي ، كما يأتي لشعر ينسبه للإمام عليّ ، قيل إنه في فاطمة زوجته ، والصواب أنه في عَمّار بن ياسر .. الخ .

وقد أشرت أيضاً إلى المصادر التي أثبتت صحة ذلك الذي ذهبنا إليه ، مع ذكر رقم الجزء الذي وردت فيه المعلومة ، ورقم الصفحة أيضاً ، لمن يهمه الرجوع إليها من الباحثين .

سابعاً: قمت بوضع علامات الترقيم - بأنواعها المختلفة - والتي خُلّت منها المخطوطة والمطبوعة ، مما يُيسّر الفهم على القارئ ، كما قمت بعمل فقرات لأبواب الكتاب كله دفعاً للملل عن القارئ ، وراعت همزات الوصل والقطع التي أهملتها المطبوعة والمخطوطة أيضاً .

ثامناً : قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بعد أن وضعتها بين قوسين مزهرين ، كما قمت بتصويب ماورد منها خطأً على أيدي الناسخ ، أو ماخلط بينه وبين آية أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ استمعوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ خلط بينها وبين قوله تعالى : ﴿ واستمعوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ فالأولى هي الآية ١٥٣ من سورة البقرة ، والثانية هي الآية ٤٥ من السورة نفسها .

كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية ، وشرحت غامضها وعلّقت عليها ، بعد أن وضعت نص الحديث بين علامتي تنصيص « » .

تاسعاً : قمت بتصويب الأساليب غير الصحيحة لغوياً ، وأشرت إلى ذلك في الهامش ، كما قمت بتصويب أخطاء النحو والإملاء مراعيّاً قواعد اللغة ، وقواعد الإملاء الحديث ، وقمت بشرح ما يحتاج إلى شرح من ذلك بأسلوب سهل بسيط يفهمه القارئ العادي بدون عناء .

عاشرًا : ولما كانت الفهرسة من الأمور المهمة بالنسبة للباحثين ، وبدونها لا يُستطاع الانتفاع بالكتاب ، فإنني قمت بوضع فهرس تفصيلية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والأماكن والبقاع ، ومصادر الكتاب ومحتوياته ، وذلك ليسهل على الباحث الاهتداء إلى مايريد منها .

وأرجو بهذا أن أكون قد يسرت على القارئ الكريم الإفادة من هذا الكتاب القيم ، وأن ينال رضاه .. وأدعو الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويتجاوز عن زلاتي وأخطائي ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد فضحي أبو بكر

رقم الصورة

المكتبة العامة

عدد الأوراق

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النسخ

عدد الأوراق

اللاحظات

مس ٤٠٠



22/12

رقم الصورة



بِسْمِ

الحمد لله الذي

حمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الأعمار والآثار
 ومكور النصار على اللب في الليل على النهار العالم بالغيبيات وما خلق عليه
 المأمون والنموان شوا عده للغير والآثار ومن هو شح بالليل والنهار
 بالنهار الأعلو من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأظم
 يعلم وحققهم بسببه ودرهم حكمته لم تكن له حاجتهم معيش
 ولكن تليهم من سبيل وطريقته وكيف يستعين من رزق لم يكن
 أو ينظم من قدر من علمه من خلق دليل التكوين ثم كلفهم معرفته
 وحصل علم العالمين من معرفته إدراكه إدراك المنة ومعرفة العارفين بحقيقته
 عن شكره شكرهم كعمل الرزق الله بن يوفى عنهم عن الاحتجاج بغيره
 إماما المنة لا يلمزهم ولا يجاوزون ولا يصفه حيث ولا يخلق ما
 ولا يبدؤهم كمن ولا يحصر متى ولا يحيط كيف ولا ينال إلى ولا يظلم
 من ولا يخلق تحت ولا يخلق حد ولا يخلق ندم ولا يخلق حلف
 ولا يخلق أمام ولم يظهر قتل ولم تنبه بعدد ولم يجمع كل ولم يوجد
 كان ولم ينفذ أين وصفه لأصفه له ولونه لأمد له ولا يخلق
 الخالصة الأشكال الصور ولا يغير الأيام والليالي ولا يجوز عليه المناسه
 والمعارنة وسخّل عليه الخلافة والمقاله ان قلب لم كان وقد سبق
 العباداته ومن كان معلولا كان له غيره عما شاءه وفي العبادات

مِنْ جَمِيعِ الْأَعْيَارِ لَا عِلَّةَ لِتَعَالِهِ • تَقْدِيرُهُ اللَّهُ فِي الْأَشْيَاءِ بِأَمْرٍ • وَصَفُهُ
 بِضَمٍّ عَلَى أَحَدٍ • وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ • وَلَا عِلَّةَ لَصِفِهِ • بَانَ ثَلَاثُ أَشْيَاءَ
 تَقْدِيرُ الْمَكَانِ جُودُهُ • فَمِنْ أَشْيَاءِ لَا يَنْفَعُ وجودُهُ إِلَى أَشْيَاءٍ هُوَ بَعْدَ الْمَكَانِ
 غَنَى نَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ • هُوَ كَيْفَ حُلَّ نِيَامِهِ بَدَلًا • أَوْ يَقُولُ
 إِلَهِي مَا هُوَ أَنَا • بَانَ ثَلَاثُ مَا هُوَ وَلَا مَا هِيَ لِوُجُودِهِ • وَمَا مَوْضِعُهُ مِنَ الْوُجُودِ
 بَعْضُ الْخَلْقِ وَالْقَدِيمُ تَعَالَى لَا خُسْرَ لَهُ • لِأَنَّ الْخَلْقَ مَحْضُوعٌ بِمَعْنَى دَاخِلٌ تَحْتَ الْمَالِكِ
 وَإِنْ ثَلَاثُ مَا هُوَ • تَقُولُ لَدُنِّي ذَاتُهُ • مُتَعَدِّدٌ بِضَمٍّ • وَإِنْ ثَلَاثُ مَتَى كَانَ
 تَقْدِيرُ شَيْءٍ أَوْ تَقْدِيرُ كَوْنِهِ • وَإِنْ ثَلَاثُ كَيْفَ هُوَ • فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفِ لَا
 تَقَالُ لَهُ كَيْفٌ • وَمِنْ حَارَتِهِ عَلَى الْكَيْفَةِ حَارَ عَلَيْهِ التَّعْيِينُ • وَإِنْ ثَلَاثُ مَا
 فَالْمَا وَالْوَاوُ خَلَقَهُ • بَلْ أَرَمَ الْكُلَّ الْحَيْثُ • كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الْقَدِيمَ
 لَهُ • فَالْبَنِي الْجَنِيمَ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ لِنَفْسِهِ • وَالْبَنِي بِالْأَدَابِ اجْتِمَاعُهُ • مَوَاقِفُهَا
 مِنْكُمْ • وَالْبَنِي بُولُغُهُ • وَقَدْ يَنْفَرُهُ وَقَدْ • وَالْبَنِي بَعِيثُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرُّ
 تَسْمُهُ • وَالْبَنِي الْوَهْمَ يَطْفُرُهُ • فَالْخُصُوفُ مِنْ بَنِي إِلَهِي • وَمِنْ أَوَاهٍ حُلَّ أَدْلُهُ أَشْيَاءَ
 وَمِنْ كَانَ لَهُ جِسْرٌ ظَالِمٌ كَيْفَ • وجودُهُ أَيْبَانُهُ • وَمَعْرِفَتُهُ تَوْجِيدهُ •
 سَمِيحُهُ مِنْ طَرَفِهِ مَا صَوَّرَهُ الْأَرْهَامُ تَهْوِي حَلَالِيهِ • لَا تَأْكُلُهُ الْعُيُونُ • وَلَوْ كُنَّا أَظْهَرُ
 الْظُلُومِ • وَلَا حُضُورُهُ إِلَّا دَقَامُهُ • وَلَا حَيْضُهُ إِلَّا أَنْعَامُهُ • وَلَا يَبْدُو قَدْرُهُ
 إِلَّا أَمَامَهُ • وَلَا حُجُوبُهُ مَكَانُهُ • وَلَا يَنْفَارُهُ رَمْلُهُ • وَلَا حُضْرُهُ أَمَلُهُ • وَلَا يَحْضُرُهُ
 عَدَدُهُ • وَلَا يَجْمَعُهُ عِدَدُهُ • غَيْرُهُ كَلَامُهُ • مَوْجِدُهُ أَمَانَتُهُ • غُلُوهُ مِنْ غَيْرِهِ قَوْلُهُ
 وَمَحَبَّتُهُ مِنْ غَيْرِهِ • هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ • الْقَرِيبُ الْعَلِيمُ

٥ ان صَحْنًا مَلُولًا مَأْضُوعًا عَلَيْنَا وَاسْتَبَدَّ بِالرَّأْيِ دُونَ الْمُلْكِ ٥

٥ اَوْصَحْنَا الْجَارِعَ نَالًا الْقَرَّ وَصَرْنَا الْاِحْنَابَ الْعُلُوسَ ٥

٥ فَلَرَمْنَا الْيَوْتَ تَحْدَ الْجَبْرِ وَمَلَأَهُ وَخَوَّ الطُّرُوسَ ٥

٥ لَوْ رَكْنَا وَذَالَ كُنَّا نَظَرًا مِنْ اَيَّامِنَا يَبْلُغُ نَفْسَ ٥

٥ غَيْرُ الْوَيْلِ اَعْنَى نَبْهٍ حَدَّوْنَا عَلَى حَيَاةِ الْغُورِ ٥

٥ هَا اَشْبَدَ ٥

٥ اَنْتَ اِلَى التَّرْدِ طَوْلُ عُمَرَى قَبَالَى فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ اَبْنِ ٥

٥ جَعَلْتَ مَحَادَثِي وَبَدَمَ مَعْنَى وَاَنْتَ ذَنْبِي بِدَلِ الْغُورِ ٥

٥ فَدَا سَعَيْتُ عَنْ نَبْزِ رَجُلِي اِذَا سَاوَرْتُ اَوْ بَعْلُ كُنُوسَ ٥

٥ وَلِي عَمْرٍ مَجْدٌ كُلُّ يَوْمٍ بَطَّحَ الْهَمَّ فِي نَيْتِ الْعُرُوسِ ٥

٥ نَهْطِي شَعْرَتِي وَالْمَرْجَ حَنِي وَهَيْلِي فِي اَيْدَاوِ كُنِي ٥

٥ وَنَتِي حَيْثُ يَذْكُرُنِي مَنَاءُ وَاَهْلِي كُلَّ ذِي عَمَلٍ نَبِي ٥

وَلَيْسَ كَانَ الْبَاطُونُ قَدْ وَصَفُوا الْخُودَ وَاقَالُوا اَنْ يَلْقَوْا فَلَقْدَ نَصَرُوا وَاَجَلُ

مَمْدُوحٍ مَنْ اَشْفَقَ فِي مَدْحِهِ الْمَهْمَى وَاسْتَبْرَزَ فِي تَقْرِطِهِ الْمُحْتَمَلُ وَكَفَّ

لَا وَالْكِتَابُ نَعْمَ لَا يَنْتَبِهُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ٥

الْقَرْنُ وَالْذَّخِيلُ نَعْمَ الْوَزِيرُ وَالْتَبِيلُ عَالَمٌ عَلَى عِلْمًا وَطَرٌّ حَتَّى ظَرَفًا وَاَنَا سِلَاحُ رَاحِ

وَحْدَا اسْتَانَ حَمَلٌ رَدَنَ وَرَوْضَةٍ بَلَّتْ لِي حَجَرٌ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ يُوْنِي

اَكَلَهَا كُلُّ سَاعَةِ بِالْوَانِ مُخْلَفَةٌ وَطَعُومٌ مَسْنَانَةٌ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا يَدُو

وَنَهْرٌ لَا يَتَوَى وَنَمْرٌ لَا يَنْفِي وَمَنْ لِلْمَلِكِ مِنْ الشَّيْءِ وَحَلَاةٌ وَالحَقُّ وَضَدُ

طوق عن الموتى وترحم عن الأحياء غضبت عليه لم يعصب وإن تحطت
 عليه لم تحب اكتم من الأرض وأمن من الريح والهاشم الهوى وأخذ من
 المناويع من الفخاوانطق من سخان والى وأعماس من أهل سمعت علم
 واحد خلا حلل كثيرة وجع أوصاف عن عنى نلتى هذى ندى
 روى يونانى ان ذعظائع وان الهاشم وان الذممع وان ضرب اوجع
 عندك وسعد منك ونزدك ونستزدك ان جدرى وان سرج نرفه
 قبر الارز وحرز الودائع بيد العلوم وينوع الحوكم ومنعدن المكارم
 وموسى لاسام بيدك علم الاولين وخبرك عن كثير من انا الاخرين هل
 سمعت فى الاولين اوبلف عن احد من النالين من جع هذه الاوصاف
 مع قله موته وحفه محله لايزدك شيا من دنياك نعم الاخر والعقد والتفل
 والحمة لا يفر ولا يفر ولا يملك جميعا الميا طاعته الهاد وطبعه على
 النر طاعته فى الحضر ان ادمت النظا لاله اطلال اماعك وشحن طاعك
 فى لئالك وجود نالك ونعم الفظك ان الله خلق على الايام ذلك
 وان رسته رنع فى خلق وذك وان حملته نوه عندكم بانك ستعد العيد
 فى معاهد النادة وبحسن النوة فى مجالس الملوك فاصبرم به من صاحب
 واعز من من رائق وقد قال فيه الاول

- نية ناطلنا ما نهل جدتهم الباماميون غبا وشهدان
- ن يندوتامين منهم علم مانفى وراوا تاديا وعظا ونوددا
- ن فاعشه حتى ولا شوغره ولا تى منهم لانا ولا يدا

三

٢٥٩ / ١٤٥ ~ ١٠٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الشيخ المملوك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الططوشي
٥٠١ هـ - ٥٢٠ هـ

رفع
عبد الرحمن (النجدى)
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ، خَالِقُ الْأَعْيَانِ وَالْآثَارِ ^(١) ،
وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ ^(٢) ، الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ ، وَمَانِطُوى عَلَيْهِ
الْأَرْضُونَ وَالسَّمَوَاتُ ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .. ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ ^(٣) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٤) .. خَلَقَ الْخَلْقَ
بِقُدْرَتِهِ ، وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ ، وَخَصَّصَهُمْ ^(٥) بِمَشِيئَتِهِ ، وَذَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي
خَلْقِهِمْ مُعَيِّنٌ ، وَلَا فِي تَذْيِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَظَاهِرٌ ^(٦) ، وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ
يَكُنْ ^(٧) ، أَوْ يَسْتَظْهِرُ مَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الدُّلِّ بِمَنْ دَخَلَ ثَمْتُ ذَلِّ التَّكْوِينِ ؟
ثُمَّ كَلَّفَهُمْ مَعْرِفَتَهُ ، وَجَمَلَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ بِعَجْزِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِذْرَاكَ لَهُمْ ، وَمَعْرِفَةَ

(١) الأعيان : جمع عين ، وهى الحاضر من كل شيء ، والآثار : جمع أثر ، وهو ما خلفه السابقون .

(٢) معنى : مُدْبِئِلٌ وَقَدْ كُتِلَ مِنْهَا فِي الْأَمْرِ .

(٣) سَارِبٌ بِالنَّهَارِ : أى ظاهر بالنهار في سريره ، والسَّرِبُ : الفريق مِنَ الطير والحِوَان . وهذا « تضمين » من القرآن الكريم من سورة الرُّعد - الآية العاشرة ، وسيأتى كنهه .

(٤) سورة المُلْك - الآية ١٤ .

(٥) خَصَّصَهُمْ : اختارهم واصطفاهم وصرفَهُمْ ، وفي « ط » : خَصَّصَهُمْ ، وهى بمعناها ، إذ يقال : خَصَّصَ فلاناً بالشيء : خَصَّصَهُ بِهِ .

(٦) الظاهر : الْمُعَيِّن . والفعل يستظهر : أى يستعين .

(٧) أى : كيف يستعين الخالق - سبحانه وتعالى - بالخلوق الذى أوجده من العدم بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ ، وصَوْرَهُ بِحِكْمَتِهِ ؟ فسبحان مَنْ قُوَّتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ ، وَقُدْرَتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِزَّةِ وَالْعَلِيَّةُ ، وَالْمُهَيِّمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى .

الْعَارِفِينَ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ شُكْرِهِ شُكْرًا لَهُمْ ، كَمَا جَعَلَ إِفْرَارَ الْمُقَرَّرِينَ بِوُقُوفِ عُقُولِهِمْ
عَنِ الْإِحَاطَةِ بِحَقِيقَتِهِ إِيمَانًا لَهُمْ ، لَا يُلْزِمُهُ « لِمَ » ^(١) ، وَلَا يُجَاوِزُهُ « أَيْنَ » ^(٢) ،
وَلَا يُلَاصِقُهُ « حَيْثُ » ^(٣) ، وَلَا يَحُدُّهُ « مَا » ^(٤) ، وَلَا يَعُدُّهُ « كَمْ » ^(٥) ، وَلَا يَحْصُرُهُ
« مَتَى » ^(٦) ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ « كَيْفَ » ^(٧) ، وَلَا يَنَالُهُ « أَيْ » ^(٨) ، وَلَا يَطْلُقُهُ « فَوْقَ » ،
وَلَا يُقَالُهُ « تَحْتَ » ، وَلَا يُقَابَلُهُ « حَذَّ » ^(٩) وَلَا يُزَاجِمُهُ « نَدَّ » ^(١٠) وَلَا يَأْخُذُهُ
« خَلْفَ » ، وَلَا يَحُدُّهُ « أَمَامَ » ، وَلَمْ يُظْهِرُهُ « قَبْلَ » ، وَلَمْ

(١) لا يلزمه « لِمَ » : أى طلب العلّة .

(٢) « أَيْنَ » لفظ أطلق على المحل الذى يُنسب إليه الجسم . يقول ابن سينا : « أَيْنَ هو كون الجواهر فى مكانه الذى
يكون فيه ، كَكُونِ « زيد » فى السوق » . ويقول الغزالي : « من الأَيْنَ ماهو أَيْنَ بذاته ، ومنه ماهو مضاف ، فالذى هو
أَيْنَ بذاته كقولنا : زيد فى الدار ، أو فى السوق . وماهو أَيْنَ بالإضافة ، فهو مثل : فوق ، وأسفل ، ويمنة ، وبسرة ، وحول ،
روسط ، وما بين ، وما إلى ، وعند ، ومع ، وعلى ، وما أشبه ذلك . ولكن لا يكون للجسم أَيْنَ مضاف مالم يكن له أَيْنَ
بذاته » أهـ .

ونخلص من ذلك أن « الأَيْنَ » هو حصول الجسم فى المكان ، أى فى الحيز الخاص به ، ويُسمى هذا « أَيْنًا حَقِيقِيًّا .
[انظر المعجم الفلسفى للدكتور جميل صليبا نقلاً عن معيار العلم للغزالي ص ٢٠٧ ، والنجاة لابن سينا ص ١٢٨ ،
ومقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١٦٤ ط دار المعارف] .

(٣) حيث : ظرف يدل على المكان ، وقد يدل على الزمان أيضاً .

(٤) هكذا فى « ط » و « ما » هنا للتصوير ، أو نكرة بمعنى : شيء ، والمعنى : لا يُحِيطُ بِهِ - سبحانه وتعالى -
تصور . وفى « م » : « لا يَحُدُّهُ مَا » : أى : لا ينزل به شيء - جلّ وعلا - مما يعترى مخلوقاته .

[انظر مقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١١٨ ، ١١٩ ط دار المعارف] .

(٥) الكَمُّ : المقدار ، وهو ما يقبل القياس . والكَمُّ فى عِلْمِ الطبيعة مقابل للكيف ، وهو من مقولات العقل
الأساسية ، ويُطلق على جميع المعاني التى يتناولها علم الحساب ، وعلم الهندسة ، وعلم الميكانيكا ، كالعدد ، والمقدار ،
والامتداد ، والكتلة ، والحركة .. الخ .

[انظر المعجم الفلسفى لصليبا ج ٢ ص ٢٤٠ وما بعدها] .

(٦) معنى : لاصِصُهُ زَمَانٌ .

(٧) الكيف : صفة الشيء ، وحاله ، وصورته .

(٨) أى : تعيين أو تصوُّر .

(٩) الحَدُّ : الحاجز بين الشيئين ، وقد يُطلق الحَدُّ على اللحظة الفاصلة بين زمانين ، أو على تمام الفعل ، ونهاية
العلم .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وانظر أيضاً المعجم الوسيط] .

(١٠) النَّدُّ : البُثْلُ والتَّظْيِيرُ . وفى « م » بفتح النون ، من الجود والسخاء ، يُقال : رَجُلٌ نَدٌّ : أى جَوَادٌ كريم . -

يَعْنِيهِ ^(١) «بَعْدَ»، وَلَمْ يَجْمَعُهُ «كُلُّ»، ^(٢)، وَلَمْ يُوجِدْهُ كَانَ ^(٣) وَلَمْ يُفْقِدْهُ
«لَيْسَ» ^(٤).

وَصَفُّهُ لَا صِفَةَ لَهُ، وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ، وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ وَالْصُّورُ، وَلَا تُعَيِّرُهُ
الْأَيَّامُ وَالْعَبِيرُ ^(٥)، وَلَا تُجَوِّزُ عَلَيْهِ الْمَمَاسَةُ وَالْمُقَارَنَةُ ^(٦)، وَتُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَاذَاةُ
وَالْمُقَابَلَةُ، إِنْ قُلْتَ: لِمَ كَانَ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْعِلَلُ ذَاتُهُ، وَمَنْ كَانَ مَعْلُولًا كَانَ لَهُ غَيْرُهُ
عِلَّةٌ يُسَاقِفُهُ ^(٧) فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَغْيَارِ، بَلْ لِاعِلَّةٍ لِأَفْعَالِهِ ^(٨)، فَقُدْرَةُ اللَّهِ فِي
الْأَشْيَاءِ بِلَا مَزَاجٍ، وَصُنْعُهُ ^(٩) فِيهَا بِلَا عِلَاجٍ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ، وَلَا عِلَّةٌ لِصُنْعِهِ،
فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ هُوَ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانُ وَجُودُهُ، فَمَنْ أَيْنَ الْأَمِينُ لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى
أَيْنَ، هُوَ بَعْدَ [خَلْقِي] ^(١٠) الْمَكَانِ غَنَى بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ، وَكَيْفَ
يَحُلُّ فِيهَا مِنْهُ بَدْءٌ؟ أَوْ يَعُودُ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَنْشَأَ؟

= «وَفِي ط»: وَلَا يَزَاجُهُ «عِنْدَ».. وَرَبَّمَا يَرِيدُ بِهَا: عِنْدَ، بضم العين والنون، جمع «عُنُودٍ» وهي تغيد الكثرة،
إِذْ يُقَالُ: سَحَابَةٌ عُنُودَةٌ أَيْ كَثِيرَةٌ لِلْمَطَرِ.

[انظر لسان العرب لابن منظور - مادة عند] .

(١) لَمْ يَفْقِدْهُ: لَمْ يُفْقِدْهُ وَيُؤَارِهِ. «وَفِي ط»: لَمْ يُفْقِدْهُ، بِمَعْنَى: يُخْصِمُهُ. وَرَبَّمَا كَانَتْ مُخْرِفَةً عَنْ «يُفْقِدُهُ» .
(٢) الْكُلُّ: هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «م» بِفَتْحِ الْكَافِ، وَمِنْ مَعَانِيهَا: الْقَطْلُ. وَالْأَنْسَبُ هُنَا ضَمُّهَا بِمَعْنَى الْجَمْعِ .
(٣) لَمْ يُوجِدْهُ «كَانَ»: أَيْ لَمْ يَوْجِدْهُ حَدَّثَ أَوْ كَلَّفَ، فَسَبَّحَانَهُ قَبْلَ كُلِّ الْأَحْدَاثِ، وَقَبْلَ كُلِّ الْكَائِنَاتِ، وَهُوَ
الَّذِي أَوْجَدَهَا بِإِرَادَتِهِ، وَلَمْ يَوْجِدْ بِإِرَادَةِ أَحَدٍ، فَهُوَ - جَلَّ وَعَلَا - مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» فَيَكُونُ..
وَكُنْ: فَعَلَ التَّكْوِينَ الَّذِي يُعَيِّرُ مِنَ الْخَلْقِ الْإِلَهِيِّ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ «كَانَ» وَمَا لَمْ يَشَأْ «لَمْ يَكُنْ» .

(٤) أَيْ: نَفْسِي .

(٥) الْغَيْرُ: الْأَحْدَاثُ وَالْأَحْوَالُ .

(٦) فِي «م»: وَالْمُقَارَنَةُ .

(٧) فِي «م»: تُسَاقِفُهُ .

(٨) فِي «ط»: «وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَعْيَانِ بِلَا عِلَّةٍ» وَالْعِلَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: سَبَبُهُ. وَعِنْدَ الْفَلَسَافَةِ: كُلُّ مَا يَبْدُرُ
عَنْ أَمْرٍ آخَرَ بِالِاسْتِفْطَالِ، أَوْ بِوَسَاطَةِ انْضِمَامِ غَيْرِهِ إِلَيْهِ، فَهُوَ عِلَّةٌ لِذَلِكَ الْأَمْرِ، وَالْأَمْرُ مَعْلُولٌ لَهُ. وَهِيَ: عِلَّةٌ
فَاعِلِيَّةٌ، أَوْ مَادِيَّةٌ، أَوْ صَوْرِيَّةٌ، أَوْ غَاثِيَّةٌ .

(٩) زَادَ فِي حَاشِيَةِ «م»: الْأَشْيَاءُ، أَيْ: وَصُنْعُهُ الْأَشْيَاءَ .

(١٠) مَا يَبِينُ الْمُعَرِّضِينَ عَنْ «ط» وَحَاشِيَةِ «م» .

وَأَنْ قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ فَلَا مَاهِيَّةَ ^(١) لِوُجُودِهِ ، وَ « مَا » مُضَوَّعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ ،
وَالْقَدِيمِ - تَعَالَى - لِاجْتِنْسِ لَهُ ، لِأَنَّ الْجِنْسَ مَحْصُوصٌ بِمَعْنَى دَاخِلٍ تَحْتَ الْمَاهِيَّةِ ^(٢)
وَأَنْ قُلْتُ : كَمْ هُوَ ؟ فَهُوَ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ ، مُتَفَرِّدٌ ^(٣) بِصِفَاتِهِ ، وَإِنْ قُلْتُ : مَتَى كَانَ ؟
فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ ، وَإِنْ قُلْتُ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفَ ^(٤) لَا يُقَالُ لَهُ
كَيْفَ ، وَمَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ ^(٥) ، وَإِنْ قُلْتُ : هُوَ ، فَالْهَاءُ ، وَالْوَاوُ
خَلْقُهُ ، بَلِ الزَّمَنُ الْكُلُّ الْوَحْدُ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَشْيَاحِ ، لِأَنَّ الْقَدَمَ لَهُ ، فَالَّذِي
بِالْجِسْمِ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ ^(٦) يَلْزَمُهُ ، وَالَّذِي بِالْأَدَاةِ اجْتِمَاعُهُ فَقَوَاهَا تَمْسِكُهُ ، وَالَّذِي
يُؤَلِّفُهُ وَقْتُ يُفَرِّقُهُ وَقْتُ ، وَالَّذِي يَقِيمُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرُورَةُ تَمْسُهُ ^(٧) ، وَالَّذِي الْوَهْمُ يَظْفُرُ
بِهِ ^(٨) فَالتَّصَوُّيرُ يَرْتَقِي إِلَيْهِ ، وَمَنْ آوَاهُ مَحَلٌّ أَذْرَكَهُ أَيْنَ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جِنْسٌ طَالَبُهُ ^(٩)

(١) هكذا في « م » . وفي « ط » : مائية ، وماهية الشيء : كُنْهُهُ وحقيقته .

(٢) في « ط » : المائية : بالهمز .

(٣) في « ط » : مُتَفَرِّدٌ .

(٤) كَيْفَ الشَّيْءُ : جَعَلَ لَهُ كَيْفِيَّةً مَعْلُومَةً ، وَكَيْفِيَّةُ الشَّيْءِ : حَالُهُ وَصِفَتُهُ ، وَهِيَ مُصَدَّرٌ صِنَاعِي ... وَقَدْ سَبَقَ
شَرْحُهَا .

(٥) في « ط » : جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ .

(٦) الْعَرَضُ : مَا يَطْرَأُ وَيَزُولُ ، مِنْ مَرَضٍ وَغَوَاهُ . وَالْعَرَبُ يَطْلُقُونَ لَفْظَ « الْعَرَضُ » عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ تَرْجَعُ إِلَى
الْمَعْنَيْنِ الْآتَيْنِ :

أ - الْعَرَضُ ضِدُّ الْجَوْهَرِ : لِأَنَّ الْجَوْهَرَ هُوَ مَا يَقُومُ بِذَاتِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَقُومَ بِهِ ، فَالْجِسْمُ جَوْهَرٌ يَقُومُ
بِذَاتِهِ ، أَمَّا النَّوْنُ فَهُوَ عَرَضٌ ، لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لَهُ إِلَّا بِالْجِسْمِ . وَكُلُّ مَا يَعْزِضُ فِي الْجَوْهَرِ مِنْ لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَذَوْقٍ وَلِسَرٍ
وغيره فَهُوَ عَرَضٌ ، لِاسْتِحَالَةِ قِيَامِهِ بِذَاتِهِ .

ب - الْعَرَضُ ضِدُّ الْمَاهِيَةِ : وَهُوَ مَا لَا يَدْخُلُ فِي تَقْوِيمِ طَبِيعَةِ الشَّيْءِ ، أَوْ تَقْوِيمِ ذَاتِهِ ، كَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ لِلْإِنْسَانِ ،
فَهَذَا لَا يَدْخُلَانِ فِي تَقْوِيمِ مَا هِيَ .

أَمَّا الْفَلَسَافَةُ فَهِيَ يُقَسِّمُونَ الْعَرَضَ إِلَى لَازِمٍ وَمُفَارِقٍ ، فَالْعَرَضُ الْلازِمُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَا لَا يَمْتَنِعُ انْفِكَاكَهُ عَنِ
الشَّيْءِ ، وَهُوَ إِذَا سَرِعَ الزَّوَالُ - كَحُمَرَةِ الْحَبْلِ وَصَفْرَةِ الرَّجُلِ - وَإِذَا بَطِئَ الزَّوَالُ - كَالشَّيْبِ وَالشَّبَابِ .
[انظر تعريفات الجرجاني والمعجم الفلسفي لصليبا ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠] .

(٧) في « م » : أَيْ : تَلْبِجُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهِ .

(٨) في « ط » : وَالَّذِي الْوَهْمُ يَظْفُرُهُ .

(٩) في « ط » : طَلَبُهُ .

كَيْفَ .. وَجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ ، [وَتَوْحِيدُهُ ^(١)] تَمَيُّزُهُ مِنْ خَلْقِهِ ..
مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهَوَ بِخِلَافِهِ .. لَا تُمَاقِلُهُ ^(٢) الْعُيُونُ ، وَلَا تُحَالِطُهُ الظُّنُونُ ،
وَلَا تُصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ ، وَلَا يَقْدَرُ قُدْرَةُ الْأَنَامِ ، وَلَا يَخُوبِيهِ مَكَانٌ ،
وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ ، وَلَا يَشْفَعُهُ وَلَدٌ ^(٣) ، وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ .. قُرْبُهُ
كَرَامَتُهُ ، وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَرْقُلٍ ^(٤) ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقِيلٍ .. ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٥) .. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ ، الَّذِي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٦) .

وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ ^(٧) مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ،
وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ، وَالتَّعَوُّتِ ^(٨) الْأَوْفَى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) . وَأُؤْمِنُ بِهِ ^(١٠) وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ] ^(١١) الْمُسْتَطْفَى ، وَأَمِينُهُ
الْمُرْتَضَى ، أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ الْوَرَى بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا
مُنِيرًا ﴾ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَخَيَّرِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ
الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .

(٢) لَا تُمَاقِلُهُ الْعُيُونُ : أَيْ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ . وَفِي « ط » : لَا تَحَالِطُهُ ، بِمَعْنَى : لَا تَمَسُّهُ وَلَا تَصُورُهُ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » جَاءَتْ كَلِمَةُ « عَدَدٌ » بَدَلًا مِنْ « وَلَدٌ » وَصَحِّحَتْ فِي الْحَاشِيَةِ .. وَمَعْنَى
« لَا يَشْفَعُهُ » : أَيْ لَا يُجْمَعُ بِشَيْءٍ إِلَيْهِ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « تَوْقُلُ » بِالْوَاوِ .. وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى الْاسْتِعْلَاءِ وَالطَّوَالِ .

(٥) سُورَةُ الْحَدِيدِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ .

(٦) الْآيَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى .

(٧) فِي « م » : وَمَا شَهِدَ لِنَفْسِهِ .

(٨) فِي « ط » : وَالتَّعَوُّتُ الْأَوْفَى .

(٩) مِنَ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْحُسْنَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(١٠) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » وَأُؤْمِنُ بِاللَّهِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ « ط » .

(١٢) الْآيَةُ ٤٦ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ ^(١) فِي سِيرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْخَالِيَةِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ
السِّيَاسَاتِ فِي تَذْيِيرِ الدُّوَلِ ، وَالتَّرْمُوهِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النَّحْلِ ^(٢) ، فَوَجَدْتُ
ذَلِكَ نَوْعَيْنِ : أَحْكَامًا وَسِيَاسَاتٍ ، فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَعِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ
وَالْحَرَامِ ، وَالْيُيُوعِ ^(٣) وَالْأَلْكِيَةِ ، وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا ، وَالرُّسُومِ الْمَوْضُوعَةِ
لَهَا ، وَالْحُدُودِ الْقَائِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا ، فَأَمَرُوا صِطْلَحُوا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ ، لَيْسَ
عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا بَرَهَانًا ، وَلَا أَنْزَلَ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ^(٤) ، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَذْيِيرٍ ،
وَلَا اتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا ، وَإِنَّمَا هِيَ صَادِرَةٌ عَنْ خَزَنَةِ النَّيْرَانِ ، وَسَدَنَةِ بُيُوتِ الْأَصْنَامِ ،
وَعَبِيدَةِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ ، وَلَيْسَ يَعْجَزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَضَعَ ^(٥) مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ
أَمثَالَهَا وَأَشْبَاهَهَا .

وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعُوهَا فِي التَّزَامِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْحِمَايَةِ لَهَا ،
وَتَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمَهَا ، وَإِهَانَةِ مَنْ اسْتَهَانَ بِهَا وَخَالَفَهَا ، فَقَدْ سَارُوا فِي ذَلِكَ بِسِيرَةِ
الْعَدْلِ ، وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَجَمَعَ الْقُلُوبِ عَلَيْهَا ، وَالتَّزَامِ النَّصْفَةِ ^(٦) فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى
مَأْثُوجِهِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ ، وَكَذَلِكَ فِي تَذْيِيرِ الْحُرُوبِ وَأَمْنِ السَّبِيلِ ، وَحِفْظِ الْأَمْوَالِ ،
وَصَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ ، كُلُّ ذَلِكَ فَقَدْ سَارُوا فِيهِ بِسِيرَةِ جَمِيلَةٍ ، لَا يَتَنَافَى الْعُقُولُ شَيْءٌ
مِنْهُ لَوْ كَانَتْ الْأَصُولُ صَحِيحَةً ، وَالْقَوَاعِدُ وَاجِبَةً ، فَكَانُوا فِي حُسْنِ سِيرَتِهِمْ لِحِفْظِ ^(٧)
تِلْكَ الْأَصُولِ الْقَاسِدَةِ ، كَمَنْ زَخَرَفَ كَيْفًا ^(٨) ، أَوْ بَنَى عَلَى مَيِّتٍ قَصْرًا مُنِيفًا ^(٩) .

(١) فِي د م .. لَمَّا نَظَرْتُ .

(٢) النَّحْلُ : جَمْعُ نَحْلَةٍ ، وَتَطْلُقُ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ .

(٣) فِي د ط .. وَالْيُيُوعُ وَالْأَحْكَامُ .

(٤) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي د ط : لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بَرَهَانٌ ، وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ .

(٥) فِي د ط : يَضَعُ .

(٦) النَّصْفَةُ : الْإِنْصَافُ .

(٧) فِي د ط : يَحْفَظُ .

(٨) الْكَيْفُ : الْمُرَحَاضُ .

(٩) الْمُنِيفُ : الطَّوِيلُ الْمُرْتَفِعُ ، وَالْمَشْرِفُ عَلَى غَيْرِهِ .

وَلَوْ لَيْسَ الْجَمَارُ ثِيَابَ حَرٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ جَمَارٍ ^(١)

فَجَمَعْتُ مَحَاسِنَ مَا انْطَوَتْ ^(٢) عَلَيْهِ سِيرُهُمْ ، خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي سِتٍّ مِنَ الْأُمَمِ ، وَهُمْ : الْعَرَبُ ، وَالْفَرَسُ ، وَالرُّومُ ، وَالْهِنْدُ ، وَالسِّنْدُ ، وَالسِّنْدُ هِنْدُ ، فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُهَا ^(٣) فَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ كَبِيرُ شَيْءٍ ^(٤) لُبْعِدِ الشُّقَّةِ ^(٥) وَطُولِ الْمَسَافَةِ ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأُمَمِ فَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ حِكْمٍ بَارِعَةٍ ، وَفَرَائِحِ نَافِذَةٍ ، وَأَذْهَانِ ثَاقِبَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، فَتَظَنَّمْتُ مَا أَلْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمِ ^(٦) الْبَالِغَةِ ، وَالسَّيْرِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْكَلِمَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالطَّرِيقَةِ ^(٧) الْمَأْلُوفَةِ وَالتَّوْقِيعِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَثَرِ النَّبِيلِ ، إِلَى مَا رَوَيْتُهُ وَجَمَعْتُهُ مِنْ سَبْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَآثَارِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَمُرَاعَاةِ ^(٨) الْعُلَمَاءِ ، وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَنَوَادِرِ الْخُلَفَاءِ ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ ، الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَيَتَبَرَّعُ الْحِكْمِ ، وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ ، وَمَعَاصُ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَاتِ ، إِنْ اخْتَصَرَ فَلَمَحَّةٌ ذَالَةٌ وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ ^(٩) ، وَإِنْ أَطَالَ فَلَاظٌ بَارِعٌ ، وَأَيَّاتٌ مُعْجِزَةٌ ، وَهُوَ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَالْحَاوِي لِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا وَفَضَائِلِ الْآخِرَةِ .

(١) الْحَرُّ : أَحْسَنُ الْحَرِيرِ وَأَجْوَدُهُ .

(٢) فِي « ط » : انْطَوَى .

(٣) فِي « م » : وَحِكْمَاتُهَا ، بِالْجَرِّ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً .. وَفِي « ط » : وَحِكَمَاؤُهُمْ ، وَالتَّائِبُ لِلْسَّبَاقِ : « وَحِكَمَاؤُهَا » ، أَيْ : حُكَمَاءُ الصِّينِ ، وَالتَّانِيَةِ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَوَّلَ عَلَى حُكَمَاءِ أَهْلِ الصِّينِ ، وَبِذَلِكَ لَا يُمْكِنُ ثَمَّةُ خَطَأٌ .

(٤) الْعِبَارَةُ فِي « ط » : « فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحِكَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَبْلُغْ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ » .

(٥) الشُّقَّةُ : السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، أَوْ الْمَسَافَةُ يَشُقُّ قَطْعُهَا .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « فَتَظَنَّمْتُ مَا أَلْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ » وَكَلَامًا صَوَابًا .

(٧) فِي « ط » : وَالطَّرِيقَةُ .

(٨) فِي « ط » : وَبِرَاعَةِ الْعُلَمَاءِ ، أَيْ : بِإِلَافِ فَضْلِهِمْ وَحُسْنِ فَصَاحَتِهِمْ ، أَمَّا مُرَاعَاةُ الْعُلَمَاءِ فَهِيَ تَعْنِي مَا حَفِظُوهُ وَأَبْقَوْا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ ، يَقَالُ : رَأَيْتُ فُلَانًا الْأَمْرَ مُرَاعَاةً : إِذَا حَفِظَهُ وَأَبْقَى عَلَيْهِ .

(٩) فِي « ط » : « وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ » .

وَرَبَّيْتُهُ تَرْبِيًّا أُنِيْقًا ، وَتَرَجَمْتُهُ تَرَاجِمَ [بَارِعَةً ^(١) حَاوِيَةً لِمَقَاصِيدهَا ، نَاطِقَةً بِحُكْمِهَا وَمُضْمُونِهَا ، يَلُجُّ الْأُذُنَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، وَيَقُولُجُ التَّامُورَ ^(٢) مِنْ غَيْرِ اسْتِثْمَارٍ ، أَلْفَاظُهَا قَوَالِبُ لِمَعَانِيهَا ، لَيْسَ أَلْفَاظُهَا ^(٣) إِلَى السَّمْعِ بِأَسْرَعَ مِنْ مَعَانِيهَا إِلَى الْقَلْبِ ، فَانْتَظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ [وَإِحْسَانِهِ] ^(٤) غَايَةً فِي بَابِهِ ، غَرِيْبًا فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ ، خَفِيفَ الْحَمْلِ ^(٥) ، كَثِيرَ الْفَائِدَةِ ، لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ ^(٦) الْعُلَمَاءِ ، وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ أَفْكَارُ الْفُضَلَاءِ ، وَلَا حَوَتْهُ خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ ، فَلَا يَسْمَعُ بِهِ مِلْكٌ إِلَّا اسْتَكْبَنَهُ ، وَلَا وَزِيرٌ إِلَّا اسْتَصْحَبَهُ ، وَلَا رَئِيسٌ إِلَّا اسْتَحْسَنَهُ ^(٧) وَاسْتَوْسَدَهُ ، عِصْمَةً لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرِّيَاسَةِ ، وَجُنَّةً ^(٨) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أَوَّلِي الْأَمْرِ ^(٩) وَالسِّيَاسَةِ ، وَجَمَالَ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ^(١٠) وَالْمُحَاضَرَةِ ، وَعُتُوَانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمَدَاكِرَةِ ، وَسَمِيَّةٌ « سِرَاجُ الْمُلُوكِ » .. يَسْتَفْنِي ^(١١) الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنْ مُبَاحِقَةِ الْحُكَمَاءِ ^(١٢) وَالْمَلِكِ ^(١٣) عَنْ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ .

وَاغْلَمُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - أَنْ أَحَقَّ مَنْ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ الْحِكْمَ ، وَأَوْصِلْتَ إِلَيْهِ الثَّصَائِحَ ،

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) هكذا في « ط » .. والتَّامُورُ والتَّامُورُ ، بهز وفتح هـ ، يُطلق على القلب ، والنفس ، ويُطلق أيضاً على الصَّومعة ، وعلى وزير الملك . وَيَقُولُجُ التَّامُورُ ، أى : يدخل القلب . وفي « م » : « المأمور » بدل « التامور » والاستقرار : طلب الأمر .

(٣) في « م » : « أَلْفَاظُ » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « وَأَحْكَمَهُ » بدل « وإحسانه » .

(٥) في « ط » : « الْهَمْلُ » .

(٦) في « م » : « أَقْلَامُ » .

(٧) في « م » : « اسْتَحْسَنَهُ » .

(٨) جُنَّةٌ : وقاية .

(٩) في « م » : « الإِمْرَةُ » . أى : الإمارة .

(١٠) في « ط » : « الْأَدَابُ » .

(١١) في « ط » : « يَسْتَفْنِي بِهِ » .

(١٢) في « م » : « الْعُلَمَاءُ » .

(١٣) في « ط » : « وَالْمُلُوكُ » .

وَحَبِثَ إِلَيْهِ الْعُلُومُ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا نَفَقَذَ فِي الْخَلْقِ حُكْمَهُ ، وَجَارَ ^(١) عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ .

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَجَلَ [الْمَأْمُونِ] ^(٢) نَاجَ الْخِلَافَةَ ، عَزَّ الْإِسْلَامَ ، فَحَرَ الْأَنَامَ ^(٣) ، نِظَامَ الدِّينِ ، خَالِصَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أبا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا الْآمِرِيَّ ^(٤) ، أَذَامَ اللَّهُ لِإِعْزَازِ الدِّينِ نَصْرَهُ ، وَأَلْفَذَ فِي الْعَالَمِينَ بِالْحَقِّ أَمْرَهُ ، وَأَوْرَعَ كَافَّةَ الْخَلْقِ شُكْرَهُ ، وَكَفَاهُمْ فِيهِ مَحْذُورَهُ وَضَرَّهُ ، فَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، فَبَسَطَ فِيهِمْ يَدَهُ ، وَكَشَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ يُعْنَهُ وَبَرَكَتَهُ ، وَتَقَلَّدَ أُمُورَ الرِّعْيَةِ ^(٦) وَسَارَ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَضِيَّةٍ ^(٧) ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَافِعًا فِي الثَّوَابِ ، طَالِبًا سَبِيلَ ^(٨) الْعَدْلِ ، وَمَتَاهِجَ الْإِنْصَافِ وَالْفَضْلِ ، رَغِبْتُ أَنْ أُخَصِّصَهُ بِهَذَا الْكِتَابِ ، رَجَاءً لَطِيفِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ يَوْمَ ﴾ ^(٩) تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿ ^(١٠) .

(١) في « م » : وجار .

(٢) ما بين المقوفين من « ط » وساقط من « م » وهو : أبو عبد الله المأمون البطاحي .

(٣) الأنام : الخلق .

(٤) في « م » و « ط » : الأموي ، بالواو ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، نسبة إلى « الأبر » بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلي ، أما المأمون فهو عبد الله محمد بن أبي شجاع بن أبي الحسن مختار ، المعروف بمحمد بن فاطك البطاحي - أو المأمون البطاحي - الذي استوزره الأمر بعد مقتل الأفضل .

[انظر مقدمة المحقق ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ - ٣٠٣ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٧٢ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٠ وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة للدكتور / أحمد سعيد سليمان ج ١ ص : ١١٣ ط دار المعارف ، وتاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم ص ١٧٣ وما بعدها] .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وقد تفضل الله تعالى بالحق أمره المسلمين » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وتقلد فيهم أمور الرعية » .

(٧) في « م » : القضية .

(٨) في « ط » : سبيل .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : في يوم .

(١٠) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وَلِتَذْكُرَ فَضَائِلَهُ وَمَحَابِسَهُ مَا بَقِيَ الذَّكْرُ ، كَمَا قِيلَ :

النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ^(١) لَكِنِّي أَهْدِي عَلَى قَدْرِي
يَهْدُونَ مَا بَقِيَ وَأَهْدِي الَّذِي بَقِيَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالذَّهْرِ^(٢)

فَإِنَّ الْعِلْمَ عِصْمَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَمَعْقِلُ السَّلَاطِينِ وَالْوُزَرَاءِ^(٣) ، لِأَنَّهُ يَنْعُمُهُمْ مِنَ
الظُّلْمِ ، وَيُرُدُّهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ^(٤) ، وَيَصُدُّهُمْ عَنِ الْأَذْيَةِ ، وَيُعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَمِنْ
حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ ، وَيُكْرِمُوا حَمَلَتَهُ ، وَيَسْتَبِطِنُوا^(٥) أَهْلَهُ .

وَهَذِهِ أَبْوَابُ الْكِتَابِ وَعِدَّتُهَا^(٦) أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ بَابًا :

البَابُ الْأَوَّلُ : فِي مَوَاعِظِ الْمُلُوكِ .

البَابُ الثَّانِي : فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ عِنْدَ الْأَمْرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ .

البَابُ الثَّالِثُ : فِيمَا جَاءَ فِي الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَرْرِ وَالْخَطَرِ .

البَابُ الرَّابِعُ : فِي مَعْرِفَةِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]^(٧) وَوَجْهِ طَلِبِهِ
لِلْمُلْكِ ، وَسُؤَالِهِ الْأَيُّوْبُوهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ .

البَابُ الْخَامِسُ : فِي فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ^(٨) إِذَا عَدَلُوا .

البَابُ السَّادِسُ : فِي أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُورٌ غَيْرُ غَائِبٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَاجِعٍ .

(١) فِي « م » : « وَالذَّكْرُ » بِدَلِّ « وَالتَّحَرُّرُ » .

(٢) فِي « م » : جَاءَتِ الْكَلِمَتَانِ : الْوُزَرَاءُ وَالْأَمْرَاءُ كُلُّهُمَا مَكَانَ الْأُخْرَى ، وَسَقَطَتْ « لِأَنَّهُ » بَعْدَهَا .

(٣) الْجَحِيمُ ، بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : الْأَثَاةُ وَصَبَّطُ النَّفْسِ .

(٤) يَسْتَبِطِنُوا أَهْلَهُ : يَخْذُلُهُمْ أَصْحَابًا وَبَطَانَةً لَهُمْ . فِي « م » : « وَيَسْتَبِطِنُوا أَهْلَهُ » أَيْ : يَطْلُبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَتَحَدَّثُوا

لِيَعْرِفُوا دَخَائِلَهُمْ وَسَرَائِرَهُمْ ، وَيَسْتَفِيدُوا مِنْ عِلْمِهِمْ .

(٥) فِي « م » : « وَعَدَّتْهُمْ » . وَالتَّاسِبُ لَفظةٌ مَا أَتَيْتَاهُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُتَوَقِّفَيْنِ عَنْ « م » .

(٧) فِي « م » : الْقُضَاةُ وَالْوَلَاةُ .

البَابُ السَّابِعُ : فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ .

البَابُ الثَّامِنُ : فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ .

البَابُ الْعَاشِرُ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِ الشَّرْعِ بِهَا ، فِيهَا نِظَامُ الْمُلْكِ وَالْذُّوْلِ .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَا ثَبَاتَ لَهُ دَوْلَتُهَا .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي زَعَمَ الْمُلُوكُ أَنَّهَا أَرَأَتْ دَوْلَتُهُمْ وَهَدَمَتْ سُلْطَانَتَهُمْ .

البَابُ الثَّلَاثَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ ^(١) الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ ^(٢) أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ .

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ : فِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي السُّلْطَانِ ^(٣) .

البَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي يَعْزُ بِهَا السُّلْطَانُ .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ مَلَكَ أُمُورِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ .

البَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ .

البَابُ الثَّاسِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ جَامِعَةٍ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ .

(١) فِي « ط » : الصِّفَاتِ الرَّابِعَةِ .

(٢) فِي « م » : « الْخُلَفَاءُ » بِدَلِّ « الْحُكَمَاءُ » .

(٣) فِي « ط » : « وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ عَلَيْهَا » زَائِدَةٌ عَمَّا جَاءَ فِي « م » .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ [فِي الْعِلْمِ] ^(١) .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَالذِّهْنِ وَالْمَكْرِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ^(٢) .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْجُلَسَاءِ وَأَذَابِهِمْ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ جَمَالُ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْحِلْمِ وَمَحَابِيهِ وَمَحْمُودِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِيمَا يَسْكُنُ بِهِ الْقَضْبُ .

البَابُ الْثَالِثُونَ : فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ .

البَابُ الْخَادِي وَالْثَالِثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا .

البَابُ الثَّانِي وَالْثَالِثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الصَّبْرِ وَجَمِيلِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَالِثُونَ : فِي كَيْفِيَّةِ السِّرِّ وَمَحَابِيهِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْثَالِثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنُ بَسَائِرِ ^(٣) الْخِصَالِ ، وَزَعِيمِ

بِالْمَزِيدِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، [وَالْإِكْرَامِ] ^(٤) ، وَهِيَ الشُّكْرُ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْثَالِثُونَ : فِي بَيَانِ السِّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ وَتُسَهِّلُ

صُحْبَةَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ .

(١) ما بين المقروفين زيادة عن « ط » .

(٢) في « ط » : وَأَوْصَافِهِمْ .

(٣) في « ط » : لِسَائِرِ .

(٤) ما بين المقروفين عن « م » وساقط من « ط » .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ السُّلْطَانِ [وَشِفَاءُ الصُّوْرِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَطِيبَةُ النَّفْسِ] (١) .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي فِيهَا (٢) مُلْجَأُ الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقِلُ السُّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْمَمَالِكِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الْمُوجِبَةِ لِدَمِّ الرُّعْيَةِ [لِلْسُّلْطَانِ] (٣) .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ .

البَابُ الْأَرْبَعُونَ : فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرُّعْيَةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ .

البَابُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ : فِي كَمَا تَكُونُونَ (٤) يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ .

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي بِهَا تَصْلُحُ الرُّعْيَةُ .

البَابُ الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرُّعْيَةِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي بَيْتِ الْمَالِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتِّفَاقِ مِنْ بَيْتِ أُمَالِ (٥) .

(١) ما بين المقروضين عن ط و ساقط من م .

(٢) هكذا في م .. وفي ط : معرفة الخصلة التي هي ..

(٣) ما بين المقروضين عن ط و ساقط من م .

(٤) ورد الفعل « تكونون » في م ، و ط ، بحذف النون والصواب إثباتها .

(٥) في ط : في سيرة السلطان في بيت المال ، وقد جاء هذا العنوان والذي سبقه كل منهما مكان الآخر .

البَابُ الْخَمْسُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي تَلْبِيهِ الدَّوَابِّ ، وَفَرْضِ الْأَرْزَاقِ ، وَسِيرَةِ الْعُمَالِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعُمسونَ : فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

البَابُ الثَّانِي وَالْعُمسونَ : فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ الْمُتَعَبَّرَةِ فِي الْوَلَاةِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعُمسونَ : فِي بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعُمَالِ . .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعُمسونَ : فِي هَدَايَا الْعُمَالِ وَالرُّشَا عَلَى الشُّفَاعَاتِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعُمسونَ : فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعُمسونَ : فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعُمسونَ : فِي السَّعَاةِ وَالنَّيِّمَةِ وَقُبْحِهِمَا ^(١) .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعُمسونَ : فِي الْقِصَاصِ وَحِكْمَتِهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْعُمسونَ : فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

البَابُ السُّتُونَ : فِي الشُّجَاعَةِ وَتَمَرَّتِهَا .

البَابُ الْخَامِسُ وَالسُّتُونَ : فِي الْحُرُوبِ وَتَنْذِيرِهَا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونَ : فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَحْكَامِهِمَا .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونَ : فِي الْجَامِعِ ^(٢) مِنْ أَعْيَانِ مُلُوكِ الْعَجَمِ [وَحِكَايَاتِهِمْ] ^(٣) .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ : يَشْتَبِلُ عَلَى حِكْمِ مَثَوْرَةٍ [وَهُوَ آخِرُ الْكِتَابِ وَكَمَالُ الْأَبْوَابِ] ^(٤) .

(١) فِي « ط » : فِي السَّعَاةِ وَالنَّيِّمَةِ وَقُبْحِهِمَا ، وَمَا يَحُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا مِنَ الْأَفْئَالِ الرَّدِيَّةِ ، وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيَّةِ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : وَهُوَ جَامِعٌ .

(٣) مَا يَمِينُ الْمُعْزُوفِينَ سَاقِطٌ مِنْ « م » .

(٤) مَا يَمِينُ الْمُعْزُوفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » .

الباب الأول في مواعظ الملوك.

لَقَدْ خَابَ [وَخَسِرَ] ^(١) مَنْ كَانَ حَظُّهُ [مِنْ] ^(٢) اللَّهِ الدُّنْيَا .. اَعْلَمَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنَّ عُقُولَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا ، إِلَّا أَنَّهَا
مُسْتَعْرِفَةٌ ^(٣) بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ ، فَتُسْتَدْعَى ^(٤) مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ ،
وَيَتَقَلَّبُ فِي مَكَامِنِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ ، فَتَرْفَعُ ^(٥) تِلْكَ الْأَسْتَارُ ، وَتُبْكَ ^(٦) تِلْكَ الْأَمِجَّةُ ^(٧)
وَالْأَقْفَالُ ، وَيُصْنَقِلَ ذَلِكَ الصَّدَأُ وَالرَّانُ ^(٨) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ ﴾ . [وَقَالَ] ^(٩) : ﴿ قُلْ مَقَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ^(١٠) فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ

(١) ما بين المعرفتين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٢) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٣) هكذا في « م » .. ولي « ط » : مشغوفة .

(٤) في « ط » : تستدعى .

(٥) في « ط » : ترفع .

(٦) في « ط » : وتبكت .

(٧) الامجئة : جمع كمن ، بكسر الكاف ، ويطلق على الغطاء ، وعلى كل شيء يقى شيئاً ويستره .

(٨) الران : الغطاء والحجاب الكثيف ، ويطلق أيضاً على الصدأ الذي يعلو الشيء وعلى الدُّنس .

(٩) ما بين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » . وران على قلوبهم : أى غطى وغلب عليها . والآية
بتمامها : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ سورة المطففين - الآية ١٤ .

(١٠) الآية ٧٧ من سورة النساء .

الدُّنْيَا ^(١) بِأَنْهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢) ثُمَّ ذَلِكَ الْقَلِيلُ إِنْ تَمَتَّعْتَ بِهِ وَلَمْ تَعَصِ اللَّهَ فِيهِ ، فَهُوَ لَهُوَ وَلَيْعَبٌ [وَزِينَةٌ] ^(٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ ﴾ ^(٤) ثُمَّ قَالَ ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) فَلَا تَبِعْ أَهْلَهَا الْعَاقِلُ لَعِبًا قَلِيلًا يَفْنَى ، بِحَيَاةِ الْأَبَدِ حَيَاةٍ [لَا تَفْنَى] ^(٦) وَشَبَابٍ لَا يَبْلَى ، كَمَا قَالَ الْفُضَيْلُ [رَحِمَهُ اللَّهُ] ^(٧) : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا ذَهَبًا يَفْنَى ، وَكَانَتْ الْآخِرَةُ خَزَفًا يَبْقَى ، لَوَجِبَ أَنْ نَخْتَارَ خَزَفًا يَبْقَى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى » فَكَيْفَ وَقَدْ اخْتَرْنَا خَزَفًا يَفْنَى عَلَى ذَهَبٍ يَبْقَى ؟! تَأْمَلُ بِعَقْلِكَ : هَلْ آتَاكَ اللَّهُ مِنْ الدُّنْيَا مَا آتَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، حَيْثُ آتَاهُ مُلْكُ جَمِيعِ الدُّنْيَا ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ [وَالطَّيْرِ] ^(٨) وَالْوَحْشِ : وَ ﴿ الرِّيحُ تَحْمِيهِ بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جميع متاع الدنيا » وما جاء في « ط » هو المناسب للسياق ، والضمير - بعدها - يؤكد ذلك .

(٢) في « م » : « قليل » بالرفع ، وهو خطأ . وفي « ط » « قليلا » بالنصب ، وهو الصواب ، لأن « ما » هنا نافية ، و « أُوتِيتَ » فعل ماضي مبنى للمجهول ، والتاء نائب فاعل . و « من ذلك » جار ومجرور ، و « القليل » بدل من ذلك ، و « إِلَّا » للحصر ، و « قليلا » مفعول به . ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ مُؤَلَّكَ بِأَمْرِي ﴾ بفتح اللام . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » لم تُرَدِّ كلمة « اعلموا » في أول الآية ، وكلمة « وزينة » في آخرها ، والآية بتمامها : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ، وَلَهُوَ زِينَةٌ ، وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهْبِطُ فَرَاهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [سورة الحديد - الآية ٢٠] الغيث : المطر .. يهبط : يسقط ، حطامًا : فتاتًا هشيمًا . الغرور : الخداع والباطل .

(٥) الآية بتمامها : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت - الآية ٦٤] هو ولعب : أى لذائذ مُتَصَرِّمَةٌ ، وخداع وعيب باطل . لَهِيَ الْحَيَوَانُ : أى لَهِيَ دار الحياة الدائمة الخالدة .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من « م » . والفضيل هو : الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ وهو من كبار الصوفية والعباد الصالحين . [انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ وما بعدها] .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .

(٩) الآية بتمامها : ﴿ فَتَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَحْمِيهِ بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [سورة «ص» - الآية ٣٦] رُحَاءٌ : حيث أصاب : لِكَيْتَ أَوْ مُتَفَادَةً حَيْثُ أَرَادَ .

ثُمَّ زَادَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) قَوْلَاهُ مَاعِدًا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَ بِهَا رِفْعَةً وَمَنْزِلَةً ^(٣) كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ^(٤) وَهَذَا فَضْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَ أَنْ يَقُولَ لَهُ [رَبُّهُ] ^(٥) فِي مَعْرِضِ الْجَنَّةِ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثُمَّ خَافَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ اسْتِذْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ .

هذا وَقَدْ قَالَ لَكَ وَلِسَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا : ﴿ قَوْلُكَ لَسْنَا لَنَهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) تَأْمَلْ بِعَقْلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٨) أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ » ^(٩) . وَالَّذِي سَمِعَكَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ

(١) ما بين المقوفين عن (م) .

(٢) سورة « ص » - الآية ٣٩ .. هذا عَطَاؤُنَا : أى هذا السُّلْكُ هو عَطَاؤُنَا إِلَيْكَ ، تنصرف فيه كما تشاء . فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ : أى تفضل بما تشاء على من تشاء ، فأعطِ أو احرم مَنْ تشاء ، فَلَكَ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ .
بغير حساب : أى غَيْرُ مُحَاسَبٍ على شيء من الأمرين : الإِعْطَاءِ أو المَنعِ .

(٣) ل (م) : وَلَا حَسِبَ بِهَا كِرَامَةً .

(٤) يَتْلُوَنِي : يَخْفِرُونِي وَيُخَفِّجُونِي . وهذا جزء من الآية ٤٠ من سورة النمل ، وتكملته : ﴿ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَظْهَرْ فَزَادَهُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(٥) ما بين المقوفين ساقط من (م) .

(٦) الآيات : ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر .

(٧) من الآية ٤٧ من سورة الأَنْبِيَاءِ ، ومِثْقَالُ حَبَّةٍ : أى وَزْنُ حَبَّةٍ . وَالْخَرْدَلُ : نبات يُضْرَبُ به المِثْلُ في الصَّغَرِ ، فيقال : ما صَدَى خَرْدَلَةً مِنْ كَذَا .

(٨) ل (م) : « إِلَى مَا رَوَى » .. وفي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » بدل « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

(٩) هذا الحديث عن ابن عباس أورده أبو نعيم في الحلية ، وقال عنه : حديث غريب من حديث الحكم بن مجاهد ، لم نكتبه إلا من حديث عبد الكبير عن أبيه ، وقد ورد الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : مثل الدنيا ، عن سهل بن سعد قال : « كُتِبَ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بئس الحُلَيْكَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مِيتَةٍ شَالَتْهُ بِرِجْلَيْهَا ، قَالَ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ مِيتَةً عَلَى صَاحِبِهَا ؟ قَوْلَ الَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ ، لِلدُّنْيَا أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا » أ هـ . وفي الزوائد ، في إسناده زكرا بن منظور ، وهو ضعيف ، وفيه : أَنْ أَصَلَ لِلنَّاسِ صَحِيحٌ .

[انظر حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٠٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧] .

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى [نَبِيٍّ ^(١) مُحَمَّدٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ] ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ : عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ » . فَاَنْظُرْ إِلَى ^(٢) مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ مِنْ صَرَعَةِ الْمَوْتِ ^(٣) وَفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، فَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرُهَا لَكَانَتْ كَافِيَةً .

أُنْظِرْ بِفَهْمِكَ إِلَى مَارَوَاهُ الْحَسَنُ ^(٤) ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِمَنْزِلٍ قَوْمٍ قَدِ ارْتَحَلُوا عَنْهُ ، وَإِذَا طَلَا ^(٥) مَطْرُوحٌ فَقَالَ : « أَتُرَوْنَ ^(٦) هَذَا هَانَ عَلَى أَهْلِهِ » فَقَالُوا : مِنْ هَوَائِهِ عَلَيْهِمْ

(١) ما بين المعقوفين عن « م » « صلى الله عليه وسلم » بدل « صلى الله عليه وسلم » .

(٢) في « ط » : فَاَنْظُرْ مَا اشْتَمَلَتْ بِحَذَفِ حَرْفِ الْجَرِّ .

(٣) هكذا في « م » « مِنْ تَصَرُّمِ الشَّعْرِ » أَيْ : ذَهَابِهِ .

(٤) في « ط » : : الحسين ، تحريف .. والصواب ما أثبتناه ، فالحديث المروى هنا جاء بعدد روايات : عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأنس بن مالك ، وأبي موسى ، وابن عمر ، وعبد الله بن ربيعة السلمي وغيرهم . والحسن قد رَوَى عن أبي هريرة وعن ابن عمر ، وابن عباس وأنس وغيرهم والخسن هو : أبو سعيد ، الحسن بن أبي الحسن بشار ، المعروف بالحسن البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وفقه ، وزهد وورع وعبادة ، وكان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، رضى الله عنه ، وأمه « خيرة » مولاة أم سلمة ، زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وولد الحسن بالمدينة سنة ٢١ هـ ، ويذكرون أن أمه كانت رُبَّمَا غابَتْ فَبَكَى الصَّبِيُّ لِمَعْلُومِهِ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَذَكَرَ عَلَيْهَا قَوْلَهَا فَتَرَبَّعَتْ ، فَيُرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْمَصَاحِبَةَ الَّتِي كَانَ يَخْتَصِرُ بِهَا مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ .. تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ .

[انظر الحديث في الحلة ج ٢ ص ١٨٩ وحل الحديث للإمام الرازي ج ٣ ص ١٠٩ ، وسنن الترمذي في أبواب الزهد ج ٩ ص ١٩٨ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧ ، وجميع الروايات للبيهقي ج ١٠ ص ٢٨٩ ، والزهد لابن حنبل ص ٣٠ والترغيب والترهيب للسندي ج ٤ ص ١٧٢ والنظر ترجمة الحسن بن علي بن سعد ج ٧ ص ١٥٦ وروايات الأعيان ج ٢ ص ٦٩ وكتاب الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ٤٠ ترجمة ١٧٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧١ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧] .

(٥) الطَّلَا : بالألف والياء ، فلى اللسان : الطَّلَى : الصغير من كل شيء .. وفي المعجم الوسيط : الطَّلَا : الصغير من كل شيء ، ويُطْلَقُ عَلَى الْوَلَدِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوَحْشِ مَنْ حِينَ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَنْشُدَّ ، وَوَلَدُ الطَّلِيَّةِ . وجاء في حديث : « شاة » وفي حديث آخر : « سَخْلَةٌ جَرَبَاءُ أَخْرَجَهَا أَهْلُهَا » وفي حديث ثالث : « مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ » وفي حديث رابع : « مَرَّ بِجَدْيٍ أَسْلَكَ مَيْتَةٍ » وفي حديث خامس : « مَرَّ بِمَيْتَةٍ قَوْمٍ فِيهَا سَخْلَةٌ مَيْتَةٌ » والدمنة آثار الناس ، وما سَوَّدُوا ، وَتُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَرْبَلَةِ . وَالسَّخْلَةُ : الْأَثْنَى مِنَ وَلَدِ الضَّئَانِ . وَالْجَدَى : الذَّكَرُ مِنَ أَوْلَادِ الْمَغِيرِ . وَأَسْلَكَ : أَيْ صَغِيرُ الْأَذْنَيْنِ .

(٦) في « م » : : أَتَنْظُرُونَ ، بدل « أَتُرَوْنَ » .

الْقُوَّةَ فَقَالَ : وَالَّذِي ^(١) نَفْسِي بِيَدِهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ ^(٢) مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ
الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَطْرُوحَةِ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) : قَالَ
لِيَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٤) : « أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمِيعاً ^(٥) بِمَا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَأَخَذَ
بِيَدِي وَأَتَى بِي إِلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا مَرْبَلَةٌ فِيهَا رُعُوسُ النَّاسِ ، وَعِذْرَاتُ ^(٦) ،
وَيُحْرَقُ بِالْيَةِ ، وَعِظَامُ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذِهِ الرُّعُوسُ كَانَتْ تَخْرُصُ
[عَلَى الدُّنْيَا] ^(٧) كَحِرْصِكُمْ ، وَكَأَمَلُ أَمَالِكُمْ ، ثُمَّ هِيَ الْيَوْمَ تَسَاقُطُ جِلْدًا بِلَا عَظْمٍ ،
ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَادٌ رَمِيدًا ^(٨) ، وَهَذِهِ الْعِذْرَاتُ الْوَنُ أَنْطَعَمَتْهُنَّ ، اكْتَسَبُوها مِنْ حَيْثُ
اكْتَسَبُوها ، وَقَدْ فُوتُوها ^(٩) فِي بَطْنِهِمْ ، فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَهَا ^(١٠) ، وَهَذِهِ الْيُحْرَقُ
[الْبَالِيَةِ] ^(١١) يَبَاشُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ ، فَأَصْبَحَتْ ^(١٢) وَالرَّيَاحُ تُصَفِّقُهَا ^(١٣) ، وَهَذِهِ الْعِظَامُ
عِظَامُ دَوَابِّهِمْ الَّتِي كَانُوا يَنْتَجِعُونَ ^(١٤) عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلَادِ ، فَمَنْ كَانَ بَاكِياً عَلَى الدُّنْيَا
فَلْيَبْكْ . قَالَ : فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى اسْتَدَّ بِكَأُونَا ^(١٥) .

(١) لى ط : « قَالَ : قَوْلُ الَّذِي » .

(٢) لى م : « لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ مِنْ قَرَانِ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ » .

(٣) ما بين المعقوفين من م : « » .

(٤) لى ط : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٥) هكذا لى م : « .. وَلِى ط : « جَمْعاً » . والحديث مروي في إحياء علوم الدين للغزالي في كتاب « ذم الدنيا »
ج ٣ ص ٢١٧ باختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٦) لى ط : « د م : « رُعُوسُ النَّاسِ » .. ولِى الإحياء : « رُعُوسُ أَنْفَاسٍ وَعِذْرَاتُ » .. ولِى م : « .. وَعَلَيْهِ
الْعِذْرَاتُ » ، وَالْعِذْرَاتُ : جمع غِلْدَةٍ وهي الغائط « البراز » .

(٧) هكذا لى ط : « .. وَلِى م : « وَالْإِحْيَاءُ : « كَانَتْ تَخْرُصُ كَحِرْصِكُمْ » .

(٨) رَمَادًا رَمِيدًا : أى كالرماد المتناهي في الاحترق والدَّقِيقَةِ .

(٩) لى ط : « .. ثُمَّ قَلْبُهَا » .

(١٠) يَتَحَامَوْنَهَا : يتجنبونها .

(١١) ما بين المعقوفين من ط : « وَسَاقَطُ مِنْ م » .

(١٢) هكذا لى م : « .. وَلِى ط : « .. ثُمَّ أَصْبَحَتْ » .

(١٣) تُصَفِّقُهَا : أى تُحَرِّكُهَا وتُفَلِّقُهَا .

(١٤) يَنْتَجِعُونَ عَلَيْهَا : أى يَأْتُونَ .

(١٥) لم أقف على هذا الحديث في كتب الحديث المعروفة ، وقد عُلِّقَ عليه الحافظ العراقي زين الدين أبو الفضل ،
المتوفى سنة ٨٠٦ هـ في كتابه : المنفى عن الأسفار في هامش الإحياء ، بقوله : « لا أجد له أصلاً » [انظر إحياء
علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨ طبعة الدار المصرية اللبنانية] .

وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ ^(١) : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي ^(٢) فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ ، وَاعْتِزْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى » .. يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى يَفْجُوكَ الْأَجَلُ ، فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ الْأَمَلِ ، فَإِنَّهُ يُقْسَى الْقَلْبَ ، وَيُفْسِدُ الْعَمَلَ ، وَقَدْ عَيَّرَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) أَقْوَامًا مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ ، فَقَسَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ ، وَطَالَ مِنْهُمْ الْأَمَلُ ، فَقَالَ [تَعَالَى] : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلُ ^(٤) مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ لَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَلُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » ^(٥) .

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْإِيمَانِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَحْفَ سَوْءَ مَا يُبْنَى بِهِ الْقَدْرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا وَعِنْدَ صَفْرِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه - وقيل . كانت هجرته قبل هجرة أبيه - أَقْنَى الناس في الإسلام ستين سنة ، وَلَمَّا قُلْ خُتَابَانِ عَرْضَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبَاهُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَأَبَى ، وَكَانَ - رحمه الله - كثير الصدقة ، قال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجه بشيء من ماله قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ . وقال عنه الصحابيُّ الجليل جابر بن عبد الله : « مَانَا إِلَّا مَنْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَمَالُهَا ، مَا خَلَا عَمْرَ وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ رَحِمَةُ اللَّهِ - سنة ٧٣هـ . [انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٥] وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٨٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن عمر وغيره من كتب المناقب والتراجم] .

وقد ورد هنا الحديث المروي عنه كاملاً في أسد الغابة ص ٣٤٤ المجلد الثالث ، وورد مُجْتَزَئاً في البخاري في كتاب الرقاق ج ١١ ص ٢٣٣ وفي سنن ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب « مثل الدنيا » ج ٢ ص ١٣٧٨ وفي الترمذي في الزهد أيضاً ، باب « ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل » ج ٩ ص ١٩٧ ومابعدهما .

(٢) في رواية البخاري : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنِيكِي » وفيه تعيين مأبهم في الرواية الواردة في الترمذي عن ليث : « أَخَذَ بِبَعْضِ جَسَدِي » وَالْمَنِيكِي ، بكسر الكاف : مُجْضَعُ الْعَصَدِ وَالْكَيْفِ .

(٣) مابين المعقوفين ساقط من « ط » في الموضعين .

(٤) في « م » : « أَنْزَلَ » ولم أَقِفْ على قراءة بالهمزة ، فقد قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم : « وَمَا تَزَلُ » خفيفة ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : « وَمَا تَزَلُ » مشددة الزاى مفتوحة النون ، وَرَوَى عَبَّاسٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو : « وَمَا تَزَلُ » مرتفعة النون ، مشددة الزاى مكسورة [انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد تحقيق د . شوقي ضيف ص ٦٢٦ ط دار المعارف] .

(٥) سورة الحديد - الآية ١٦ .. والبيتان بعدها وردا في « طبقات الأولياء » لابن الملقن ، على لسان مجنون يعظ فيها الفضيل بن عياض .

[انظر المصدر المشار إليه ص ٢٦٩] .

أَيَّنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَاتِ وَالْمَارِبِ ^(١) ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَاهَوْا ^(٢) عَلَى الْخَلَائِقِ كَيْبَرًا وَعِيتِيًا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ رَاخُوا فِي الْحُلُلِ ^(٣) بُكْرَةً وَعَشِيًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ اسْتَلْتُوا الْمَلَابِسَ أَثَاثًا وَرِيًّا ^(٤) ؟ [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيًّا] ^(٥) . أَيَّنَ الَّذِينَ مَلَكُوا ^(٦) مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وَعِزًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ قَرَشُوا الْقُصُورَ خَرًّا وَبَرًّا ^(٧) ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَضَعَضَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَرًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا الْعِبَادَةَ قَهْرًا وَرُفًّا ^(٨) ؟ [هَلْ لِحِسٍّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ كَسْنَعٍ لَهُمْ رِكْرًا] ^(٩) . أَفَتَأْمُرُ - وَاللَّهِ مُنْفِي الْأُمَمِ ، وَأَبَادُهُمْ مُبِيدُ الرِّمَمِ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَيْقِ ^(١٠) الْقُبُورِ ، تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ ، فَاصْبَحُوا لِأَثَرِي إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ^(١١) ، فَعَاثَ الثُّودَ فِي أَبْدَانِهِمْ ^(١٢) ، وَاتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَجْسَادِهِمْ ^(١٣) ، فَسَالَتْ الْعُيُونُ عَلَى

(١) المَارِب : الحاجات ، ولطَّلَحَ حُلًى مَا يَمْنَعُهُ الْغَرَّةُ وَيَحْتَمَاهُ .

(٢) تَاهَوْا : أَيْ تَكَبَّرُوا وَعَظَمُوا .. وَلِي « ط » : « أَسْرَفُوا » بِالْبَيْنِ لِلْهَلَاةِ ، أَيْ : جَاوَزُوا التَّخَدَّ ، وَلَطَلَهَا « أَشْرَفُوا » بِالشَّيْنِ لِلْمُجَمَّةِ ، بِمَعْنَى : نَظَرُوا إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ عَلًى .

(٣) رَاخُوا فِي الْحُلُلِ : فَرَحُوا بِالْهَابِ الْجَدِيدَةِ ، وَطَابَتْ لَهُمْ ، فَسَارُوا بِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُتَقَابِلِينَ مُتَقَابِرِينَ .
(٤) اسْتَلْتُوا الْمَلَابِسَ : عَظَمُوا لَهَيْبَةٍ .. أَثَاثًا : الْأَثَاثُ يُطْلَقُ عَلَى مَتَاعِ الْبَيْتِ مِنَ الْفُرَاشِ وَغَيْرِهِ ، وَعَلَى الْهَابِ وَغَيْرِهَا .. رِيًّا : أَيْ : رِيًّا ، وَالرِّفْيُ : حُسْنُ الْمَنْظَرِ فِي الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ وَالْهَيْبَةِ .

(٥) الْآيَةُ لَمْ تَرُدَّ فِي « ط » وَهِيَ الْآيَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَلِي « ط » : « تَلَكَّوْا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ جَرًّا وَفَخْرًا » . وَالْخَافِقَانِ : أَثَاثُ السُّطْرِ فِي الْمَرْحَبِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » .. وَلِي « م » : « وَقَرُّوا أَيْ : وَغَرَّوْا » .

وَالْخُرُّ مِنَ الْهَابِ ، مَا يَنْسُجُ مِنْ صُوفٍ وَلِزْنِيمٍ - أَيْ حَرِيرٍ جَدِيدٍ - أَوْ مَا يَنْسُجُ مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ . وَالزُّرُّ : مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الْهَابِ خَاصَّةً . وَقِيلَ : ضَرْبٌ مِنَ الْهَابِ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ : تَزَرُّ] .

(٨) اللُّرُّ : الْفُلَّةُ .

(٩) سُورَةُ مَرْيَمَ - الْآيَةُ ٩٨ .. وَالرِّكْرُ : الصُّوْتُ الْخَفِيُّ .

(١٠) فِي « ط » : « ضَيْقُ الْقُبُورِ » وَهِيَ بِمَعْنَى الضَّيْقِ أَيْضًا .

(١١) فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ الْآيَةُ ٢٥ : « فَاصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ » بِالْيَاءِ ، إِشَارَةً إِلَى قَوْمٍ عَادَ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكْتَهُمُ الرِّيحَ .

(١٢) فِي « ط » : « أَجْسَادُهُمْ » . وَعَاثَ الثُّودَ فِي أَبْدَانِهِمْ ، أَيْ : أَفْسَدَ فِيهَا .

(١٣) فِي « ط » : « أَبْدَانِهِمْ » . وَالْمَعْنَى : أَنَّ الثُّودَ اتَّخَذَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مَكَانًا يَقِيمُ فِيهِ وَيَسْتَرِعُ .

الْخُلُودِ ، وَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْأَفْوَءُ بِاللُّدُودِ ، وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ ، وَتَمَزَقَتِ الْجُلُودُ ، وَتَنَازَرَتِ اللَّحُومُ ، وَتَقَطَّعَتِ الْبُطُونُ ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا جَمَعُوا ، وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ، أَسْلَمَكَ الْأَحِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ ، وَهَجَرَكَ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْغِيَاءُ ، وَتَسَيَّكَ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ ، فَأَمْسَيْتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لَأَشَدَّتْ قَوْلُنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى ، وَرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبِلَى (١) :

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِيْنُ رَمْسٍ وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ (١)
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ حَبِيْبًا وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ (٢)
فَعُوجُوا لِلسَّلَامِ فَإِنْ أُبَيِّتُمْ فَأَوْثُوا بِالسَّلَامِ عَلَى بَعَادِ (٣)
فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَجَفَا خَلِيلٌ سِوَانَا فَادْكُرُوا صَفْوَةَ الْوَدَادِ (٤)
وَذَلِكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ (٥)
فَلَوْ أَنَا بِمَوْقِعِكُمْ وَقَفْنَا سَقَيْنَا الثَّرْبَ مِنْ مُهْجِ الْفُؤَادِ (٦)

وَقَالَ مُكْرَمُ بْنُ يُوسُفَ الْعَابِدِ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنْ قِفْ عَلَى الْمَدَائِنِ وَالْحَصُونِ ، فَأُيْلِعُهُمْ (٨) عَنِّي خَرْقَيْنِ : لَا تَأْكُلُوا إِلَّا طَيْبًا ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا إِلَّا

(١) في « ط » : « فِي سُكَّانِ الثَّرَى » ، وَالثَّرَى : الْأَرْضُ أَوْ التُّرَابُ .. وَالرَّهَائِنُ : جَمْعُ رَهِينَةٍ ، وَهِيَ مَا يَرَهَنُ ، وَيُقَالُ : الْإِنْسَانُ رَهِيْنٌ أَوْ رَهْنٌ عَلَيْهِ ، مَا خُوِذَ بِهِ . وَيَعْنِي بِرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبِلَى : الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ حُبِسُوا فِي الثَّرْبِ رَهْنُ الْفَتَاءِ وَالْإِنْدَارِ . وَفِي « م » : « الْبَلَاءُ » ، بِفَتْحَتَيْنِ ، أَيْ : الْبَلَاءُ ، بِمَعْنَى الشَّدَّةِ ، أَوْ الْوَحْشَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْمَرَّةِ لِيُخْتَبَرُ بِهَا .

(٢) الْحَجُونُ : جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا وَالرَّمْسُ : الْفَرَسُ .

(٣) السَّوَادُ ، يَفْتَحُ السِّينَ : يُطْلَقُ عَلَى مَعْظَمِ النَّاسِ ، وَسَوَادُ الْأُمُورِ : حَاشِيَتُهُ ، وَسَوَادُ الْقَلْبِ حَبَّتُهُ ، وَبَكَسَرُهَا : الْمُسَارَّةُ ، وَهِيَ الْمَنَاجَاةُ ، يُقَالُ : سَارَرْتُ مُسَارَرَةً ، أَيْ : نَاجَاةً وَأَعْلَمَهُ بِسِرِّهِ .

(٤) فَعُوجُوا لِلسَّلَامِ ، أَيْ : مُرُّوا عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ . وَيُقَالُ : عَاجَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ ، أَوْ أَلَمَ بِهِ وَمَرَّ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . فَأَزْرَمُوا ، أَيْ : أَشْعَرُوا . وَفِي « م » : « فَأَزْرَمُوا بِالسَّلَامِ » أَيْ : أَلْفَوْا بِهِ .

(٥) جَفَا خَلِيلٌ ، أَيْ : تَبَا أَوْ سَاءَ حُلُقُهُ . وَفِي « ط » : « صَفَا خَلِيلٌ » أَيْ : صَدَّقَ فِي إِخْلَائِهِ وَمَوْذُوبِهِ . وَكَلَا الْمَعْنَيْنِ لَهُ وَجْهٌ .

(٦) يَوْمُ التَّنَادِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، حَيْثُ يَتَنَادَى فِيهِ النَّاسُ لِلْحَشْرِ . وَفِي سُورَةِ « غَافِرٍ » - آيَةِ ٣٢ : ﴿ وَنَقُومُوا إِلَى أَعُنَافٍ عَلَيْهِمْ يُوْمَ التَّنَادِ ﴾ .

(٧) مُهْجِ الْفُؤَادِ : دِمَاءُ الْقَلْبِ .

(٨) فِي « ط » : « وَأُيْلِعُهُمْ » .

بالحق . وَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ^(١) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : عِظْنِي يَا يَزِيدُ ^(٢) .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ . فَبَكَى وَقَالَ زِدْنِي [يَا يَزِيدُ]
فَقَالَ : ^(٣) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ مَنْزِلٌ . فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا تَغْفُلَنَّ عَنْ تَذَكُّرِ ^(٤) مَا تَتَقَبَّضُهُ مِنَ خَوْفِ الْعَنَاءِ ، وَتَقْضِي الْمَسَارَّ ،
وَذَهَابِ ^(٥) اللَّذَاتِ ، وَالْإِقْصَاءِ الشَّهَوَاتِ ، وَبَقَاءِ التَّيَبَاتِ ، وَالتَّغْلَابِهَا حَسَرَاتِ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا
دَارٌ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَامَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَاعْقَلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادَى مَنْ
لَاعْلَمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَافَقَهُ لَهُ .. مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقَمَ ، وَمَنْ سَلِمَ فِيهَا هَرِمَ ^(٦) ،
وَمَنْ انْقَفَرَ فِيهَا حَزَنَ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ،
وَتُسَابِهُهَا عِقَابٌ ^(٧) ، مَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ ^(٨) ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَثْبَتَهُ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ ،
وَمَنْ بَصُرَ بِهَا ^(٩) بَصُرَتْهُ ، لِأَخِيرِهَا يُلُومُ ، وَلَا شَرْهَا يَنْقِي ، وَلَا فِيهَا لِمَخْلُوقٍ بَقَاءٌ .

(١) هو : يزيد بن أباان الرقاشي البصري : أبو عمرو الزاهد العابد .

[انظر خبره في حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٠ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٨] .

(٢) هنا في « ط » زيادة لَمْ تَرُدْ في « م » وهي : قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَغْلَمَ أَنْكَ [لَسْتُ] أَوَّلَ خَلِيفَةِ مَوْتِ !!
فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : زِدْنِي يَا يَزِيدُ . وما بين المعقوفين لم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٣) في « م » : قال .. وما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « م » : عن ذِكْرِ .

(٥) الْمَسَارُّ : جَمْعُ مَسْرَةٍ ، وهي مَاهِيَةُ الْإِنْسَانِ . وَتَقْضَى الْمَسَارُّ : فَتَازَهَا وَانْقَطَعَهَا . وفي « ط » :
وَتَقْضَى الْمَسَارُّ بِذَهَابِ اللَّذَاتِ .

(٦) صَحَّ : بَرِيَ مِنَ الْفَرَسِ .. سَقَمَ : طَالَ مَرَضُهُ .. سَلِمَ : نَجَا مِنَ الْآفَاتِ وَغَوَّهَا .. هَرِمَ : كَبُرَ وَضَعُفٌ ..
وفي « م » : « بَرِمَ » أي : سَكِمَ وَضَجِرَ .

(٧) يعنى : ما يلتبس علينا فيها من الأمور غير الْمُحَيِّزَةِ تُعَاتِبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٨) سَاعَاَهَا : سَابَقَهَا فِي السَّعْيِ .. وَفَاتَتْهُ ، أي : أي سَبَقَتْهُ وَلَمْ يَلْزِكْهَا .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « نَظَرَ بِهَا » . وَبَصُرَ بِالشَّيْءِ : عَلِمَ بِهِ وَابْصَرَهُ . وَبَصُرَتْهُ : عَلِمَتْهُ وَغَرَّتْهُ
أَخِيرَ مِنَ الشَّرِّ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَاتُخْذَعَنَّ كَمَا خُذِعَ مَنْ قَبْلَكَ ، فَإِنَّ الذِّى أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ
إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ يَمُوتُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَلَوْ
بَقِيَتْ الدُّنْيَا لِلْعَالَمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ ، وَلَوْ بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تَنْتَقِلْ إِلَى الْآخِرِ ^(١) .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً ، ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ ،
وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا ، وَأَفْلَازَ كَيْدِهَا ، ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ
تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .. لَا فَعْرَ فِيمَا يُزُولُ ، وَلَا غِنَاءَ فِيمَا لَا يَبْقَى ، وَهَلِ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا قَالَ
الأَوَّلُ : قَدَرْتُ تَعْلَى ، وَكَيْفَ يُمَلَأُ ^(٢) ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ قَبِسَمْتُ عَجَبًا وَلَمْ تُبْدِ
حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى الْكَئِيفِ فَقَالَ لِي أَمْوَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ عِنْدِي ^(٣)

وَلَقَدْ أَصَابَ ابْنُ السَّمَاكِ لَمَّا قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا بَنَ السَّمَاكِ ^(٤) عِظْنِي ، وَبِيَدِهِ شَرْبَةُ
مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرْبَةُ ، أَكُنْتَ

(١) في م : : لِلآخِرِ .

(٢) في م : : يَذُرُ تَفْلًا ، هَكَذَا ، أَيْ يَا لِلشَّجْع - مِنْ غَلِيَتْ تَعْلَى - وَهِيَ لَفَةٌ مِنْ بَابِ نَعَب .. قَالَ
أَبُو الْأَسود الدُّؤَلِي :

[وَلَا أَقُولُ لِقَدْرِ الْقُوَى قَدْ غَلِيَتْ وَلَا أَقُولُ لِأَبِ الدَّارِ مَقْلُوقٌ]

وما أُشْبِهَتْهُ عَنْ ط : هو الفصح والمشهور - من باب ضرب - قال تعالى في سورة الدخان : الآية ٤٥ :
﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [انظر المصباح - مادة غلى] والكئيف : المِرْحَاضُ .
(٣) التَّوَالُ : التَّصَيُّبُ وَالْعَطَاءُ .

(٤) ابن السَّمَاكِ : واعظ كان يعظ الخليفة هارون الرشيد ، هو والقُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الزُّمَّادِ ،
وَالصَّالِحِينَ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ ، وَلَهُ مَعَهُمْ قِصَصٌ مَشْهُورَةٌ فِي أَسْهَاتِ كُتُبِ التَّرَاثِ الْعَرَبِ
الْإِسْلَامِي .

[انظر ذِكْرَ بَعْضِ سِيرَةِ الرَّشِيدِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي : الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٥ ص ١٣١ -
١٣٣ ط دار الكتاب العربي ، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ج ٨ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ط دار المعارف ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ لِابْنِ الْعِمَادِ
الْحَنْبَلِيِّ ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٦ ط دار للمعرفة ، وَسِرُّ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ لِلدَّهْلَوِيِّ ج ٩ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ط مؤسسة
الرسالة ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١٠ ص ٢٢٤] .

تُعْطِيهَا ^(١) بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ خُرُوجُهَا أَكُنْتَ تُعْطِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا خَيْرَ فِي مُلْكٍ لَا يُسَاوِي شَرِيَّةً وَلَا بَوْلَةً .
أَيُّهَا ^(٢) الشَّابُّ ، لَا تُفْتَرِ بِشَبَابِكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنْ أَقْلَ النَّاسِ الشُّيُوخُ .

يَا أَيُّهَا الشَّابُّ ، كَمْ مِنْ جَعَلَ فِي الثُّمُورِ وَأَبُوهُ يَرْعَى ^(٣) ، وَكَمْ مِنْ طِفْلِ فِي الثَّرَابِ وَجَدَهُ يَحْيَا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، [وَسَلَامُهُ] لَأُسْقُفَ ^(٤) قَدْ أَسْلَمَ : عِظْمِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَمَنْ تُرْجُو ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَرُودَنِي . قَالَ : إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ فَمَنْ تُخَافُ ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَرُودَنِي . قَالَ : أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ ذَنْبَ الْمُذْنِبِينَ ^(٥) ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُمْ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ ؟ قَالَ : حَسْبِي حَسْبِي ، وَيَكْفِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ صَفْصَعَةٌ ، يُعْنَى عَمُّ الْفَرَزْدَقِ ^(٦) ، عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هكذا في « م » ، في الموضعين .. وفي « ط » : « تُعْطِيهَا » في الموضع الأول ، و « تُعْطِيهَا » في الموضع الثاني .. وفي شلوات الذهب : « لَوْ تُبِيتَ هَذِهِ الشَّرِيَّةُ ، بِكَمْ تُشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِمُلْكِي .. وفي الكامل : « ... بِكَمْ كُنْتُ تُشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِصَفِّ مُلْكِي ، وَقَدْى وَفُتْدَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. فَنَدَاهُ : اسْتَغْنَاهُ بِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَخَلَصَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ .. وَفُتْدَى الْأَسِيرُ : قَلْبُهُ ، أَوْ قَلَمُ الْقَلْبَةِ عَنْهُ .

(٢) في « م » : يَا أَيُّهَا .
(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَأَبُوهُ فِي الرِّعَاءِ » ، وَالرِّعَاءُ وَالرِّعَاةُ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ وَضَمِّهَا : جَمْعُ رَاعٍ . وفي حاشية « م » : جَاءَتْ كَلِمَةُ « حُرُوفٍ » بِدَلٍّ وَجَهْلٍ .

(٤) مابن المعفوفين عن « م » . وَالْأُسْقُفُ ، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَغْفِيفِهَا : رَئِيسُ مِنْ رُؤَسَاءِ التَّصَاوِي فَوْقَ الْقِسَيسِ وَهُوَ الْمَطْرَانُ .

(٥) هكذا في « ط » وفي « م » : « أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِلْمُذْنِبِينَ » .

(٦) هناك خلاف وكَيْسَرُ بْنُ صَفْصَعَةَ بْنِ مَعْلُوبَةٍ وَ « صَفْصَعَةُ » بِنُ نَاجِيَةٍ وَهَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ فِي تَرْجُمَةِ صَفْصَعَةَ بْنِ مَعْلُوبَةٍ بَيْنَ بَعْضَيْنِ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ . وَرَوَاهُ أَيْضًا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ جَرِيرٍ ، وَقَالَ - مِثْلَ الْحَسَنِ : صَفْصَعَةُ « هُمُ الْفَرَزْدَقُ » .. وَقَدْ وَهَمَ بَعْضُهُمْ فِي صَفْصَعَةَ بْنِ مَعْلُوبَةٍ هُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : « صَفْصَعَةُ هُمُ الْفَرَزْدَقُ » ، وَهُوَ غُلَطٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ جَدُّهُ - صَفْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةٍ بْنِ عَقَالٍ - وَاسِمُ الْفَرَزْدَقِ : قَتَامُ بْنُ غَالِبٍ بْنِ صَفْصَعَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَوَجْهُهُ بَنِي مَجَاشِعٍ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَفْتَدِي =

وَسَمَّ ، فَسَمِعَهُ يَقْرَأُ ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) فَقَالَ : حَسْبِيَ حَسْبِي ، لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ آيَةَ غَيْرِهَا .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِحُمَيْدِ الطَّوِيلِ (٢) : عِظْنِي ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ فَلَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَى رَبِّ عَظِيمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ (٣) أَنَّهُ لَا يَرَاكَ ، فَلَقَدْ كَفَرْتَ بِرَبِّ رَجِيمٍ (٤) .

وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى سَلْمَانَ (٦) : إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ

= الموعودات ، وله صحبة ، والأول ائْتِخَفَ في صحبته ، وقد مدحه الفرزدق باقتداء الموعودات .. جاء في اللسان : قال الفرزدق مادحاً جَعَلَهُ حصصاً بن ناجية :

وَجَدَى الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ وَأَخْبَا الْوَلِيدَ فَلَمْ يُؤَاوِ
وَالْوَادُ : ذَنُ الْإِنْتِ حَيْةٌ عِنْدَ وِلَادَتِهَا .

[انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ - ٢٣ ترجمة حصصية بن معاوية وحصصية بن ناجية .. وانظر لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف مادة « وأد » .. وانظر شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي ط دار الكتاب اللبناني ج ١ ص ٢٩٣] .

(١) سورة الزلزلة - الأيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) هو : سليمان بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموي ، وُلِدَ في دمشق سنة ٥٤ هـ ، وولِيَ الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ .. كان عاقلاً ، مُحَسِّناً ، فصيحاً . وفي عهده فُتِحَتْ « جُرْجَان » و « طَبْرِسْتَان » وغيرها .. وبنُدَّة خلاته ستان وثمانية أشهر إلا أياماً .. توفي سنة ٩٩ هـ ، وأوصى بِعُمَرَ بن عبد العزيز - رضوان الله عليه - بتولي الخلافة من بعده .

[انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ط دار الجليل ص ٢٦٩ - ٢٧٢ ، والأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٠٣] .
- أَمَّا حُمَيْدُ الطَّوِيلِ ، فهو : حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، أَبُو عُيَيْدِ الْخَزَاعِيِّ الْبَصْرِيُّ ، تابعيٌّ ، من أهل الحديث ، وُلِدَ سنة ٦٨ هـ ، ومات سنة ١٤٢ هـ وهو قائم بصل .. واختلفوا في اسمه ، ورجَّحَ الذهبي أَنَّهُ : حُمَيْدُ بْنُ تَمْرُزِيهِ ، وقال ابن سعد : هو ابن طرخان .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦١٠ ، ورجال صحيح البخاري للكلايبي ج ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، وتذكرة المُفَاط ج ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٩] .
(٣) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « نطن » .

(٤) في (ط) : « عظيم » .

(٥) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « سليمان » . خطأ من الناسخ .. وقد كتب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، هذا الكتاب إلى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه ، قبل أيام خلافته ، يصف له الدنيا ويحذره منها .
[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٤٣ ط دار البلاغة ، وط دار الكتاب اللبناني بشرح د . صبحي الصالح ص ٤٥٨] .

الْحَيَّةُ ، لَمَسُهَا لَيِّنٌ [وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا] ^(١) وَيَقْتُلُ سُمُّهَا ، فَأَغْرَضَ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكَ مِنْهَا ، وَدَخَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيْفَنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا ، أَخَذَرَ مَا تُكُونُ لَهَا ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُورٍ أَشْخَصَ ^(٢) مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ^(٣) :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى وَدَارُ الْفَنَاءِ وَدَارُ الْغَيْرِ ^(٤)
وَلَوْ نَلَقَهَا بِحَذَائِرِهَا لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا وَطَرٌ ^(٥)
أَيَّامُنْ يُؤَمِّلُ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَطَوْلَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ ضَرَرٌ
إِذَا مَا كَثُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ ^(٦)

وَلَمَّا بَلَغَ مُرَادُهُ ^(٧) مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَقَّتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ ، رَفَضَهَا وَتَذَّاهَا ، وَقَالَ : هَذَا سُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَذِيبٌ ، وَمُلْكٌ لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ ، وَغِنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ فَنَاءٌ ، وَجَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ ، وَمَحْمُودٌ لَوْلَا أَنَّهُ مَفْقُودٌ ، [وَهَنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ

(١) مابن المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .. وفي نيج البلاغة : « لَيِّنٌ سُمُّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَغْرَضَ عَنْهَا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكَ مِنْهَا ، وَدَخَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيْفَنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا إِلَى سُورٍ أَشْخَصَ مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ » .

[انظر المصدرين السابقين] .

(٢) أَشْخَصَ : خَرَجَ .

(٣) هو : إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْدِ الْعَتَرِيِّ (من قبيلة عنزة) ويكنى أبا إسحاق .. وأبو العتاهية لقب له .. وهو شاعر مخبَّرٌ ، سريع الحاطر ، وكان يجيد القول في الزهد والمدح ، ولِدَ سنة ١٣٠ هـ في « عين الحر » بقرب الكوفة ، ونشأ في الكوفة ، وسكن بغداد .. كان في بلد أمره بيع الجزار ، فقبل له : « الجزار » .

ثم اتصل بالخلفاء العباسيين ، وعُلتْ مكانته عندهم . ثَوَّى في بغداد سنة ٢١١ هـ ، وأخباره كثيرة . [انظر الأعلام ج ١ ص ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٧٩١ - ٧٩٥ بتحقيق أحمد شاكر ط دار المعارف] .

(٤) الْقَذَى : جمع قَذَاةٌ ، وهي ما يَكُونُ في العين من رَمَصٍ (وَسَخٌ أبيض) أو تراب ونحوه .. ويُقال : هو يُفْضِي على الْقَذَى : إذا سَكَتَ على الدَّلِّ والظُّمِّ ولم تَشْكُ .. والغَيْرُ : أحوال الدهر وأحداثه المتغيرة .

(٥) الْوَطَرُ : الحاجةُ والْبَحَّةُ ، يقال : قَضَى مِنْهُ وَطَرُهُ : أى نال منه بَقِيَّتُهُ .

(٦) بَانَ الشَّبَابُ : ذَهَبَ وفَارَقَ صَاحِبَهُ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » .. وفي « م » : « مَنْ دَلَّ » بدل « مراده » .

عَنَاءَ] ^(١) ، وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ انْضَاعٌ ، وَعَلَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ بَلَاءٌ ، وَحُسْنٌ لَوْلَا أَنَّهُ حُزْنٌ ، وَهُوَ يَوْمٌ لَوْ وَثِقَ لَهُ بِعَدٍ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تَكُنْ كَالْمُنْحَلِّ يَرْسِلُ أَطْيَبَ مَا فِيهِ - وَيُمْسِكُ الْحَقَالَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَلَائِلُهُ ^(٢) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَكُنَّا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^(٣) . وَذَلِكَ أَنَّ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ مانعةٌ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ لِلْقُلُوبِ ، وَوُجُوحُ الْمَوَاعِظِ ^(٤) فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٥) أَيْ : غَطَاءًا وَغَشِيهَا ، فَلَا تَقْبَلُ خَيْرًا ، وَلَا تَصِيحُ لِمَوْعِظَةٍ ^(٦) .

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ تُكِنَّتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ تُكِنَّتْ نُكْتَةٌ ، حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ . وَقَالَ حَدِيثُهُ ^(٧) : الْقَلْبُ كَالْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ انْقَبَضَ ، وَقَبَضَ أَصْبَعًا ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ انْقَبَضَ ، وَقَبَضَ أَصْبَعًا أُخْرَى ^(٨) ، ثُمَّ كَذَلِكَ فِي الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ حَتَّى يَنْقَبِضَ الْكَفُّ كُلُّهُ ، ثُمَّ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ ^(٩) .

(١) مابين المعرفتين عن « م » .. وفي « ط » : « وَغِنَى لَوْلَا أَنَّهُ مُتَى » ، وَالْعُرُورُ ، يَفْتَحُ الْغَيْنَ الْمَعْجَمَةَ : كُلُّ مَا عُرِّرَ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالٍ ، أَوْ جَاهٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ وَغَوَاهُ .. وَالْعَدِيمُ : الزَّائِلُ أَوْ الْمَفْقُودُ . وَهَذَا : اسْمٌ مِنَ الْهَلَاكِ .. وَالْجَسِيمُ : الْعَظِيمُ . وَالْحُمُودُ : مَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ وَالنَّشَاءَ الْجَمِيلَ . وَالْإِنْضَاعُ : الضُّعْفُ وَالْإِنْخِطَاطُ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وفي « ط » : « كَثُرَتْ رِذَالُهُ » .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - الْآيَتَانِ : ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) فِي « م » : لِلْمَوْعِظَةِ .

(٥) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ - الْآيَةُ ١٤ .

(٦) وَلَا تَصِيحُ : أَيْ ، وَلَا تَسْمَعُ .

(٧) هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حَدِيثُهُ بَنُ الْإِيمَانِ ، صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٨) فِي « م » : « أَصْبَعًا أُخْرَى » ، وَالْأَصْبَعُ مَوْظِعٌ فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ تَذَكَّرُ [أَنْظِرِ الْمَصْبَاحَ - مَادَّةُ صَبَعَ] .

(٩) الرَّانُ : الدَّنَسُ . وَيُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْغَطَاءِ وَالْحِجَابِ الْكَثِيفِ ، وَمَا غَطَى عَلَى الْقَلْبِ وَرَكِبَهُ مِنَ الْقِسْوَةِ لِلذُّنُوبِ

وَقَالَ بَكْرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ صَارَ فِي قَلْبِهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ ، ثُمَّ إِذَا ^(٢)
 أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ [ثُمَّ كُلَّمَا أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ] ^(٣) حَتَّى يَعُودَ
 الْقَلْبُ كَالْمُنْحُلِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : [هُوَ] ^(٤) الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ .
 وَقَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ ^(٥) : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ سَقِيمًا لَمْ يَنْفَعَهُ الطَّعَامُ ، وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُغْرَمًا
 يَحِبُّ الدُّنْيَا لَمْ يَنْفَعَهُ الْمَوْعِظَةُ ، وَفِيهِ قِيلَ :

وَلَا أَرَى أَثَرًا لِلذِّكْرِ فِي خَلْدِي وَالْحَبْلُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَا لَهُ أَثَرٌ ^(٦)
 إِذَا قَسَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَوْعِظَةٌ كَالْأَرْضِ إِنْ سَبَحَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ ^(٧)
 وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مَرَّ بِدُكَّانٍ وَرَاقٍ ، فَإِذَا ^(٨) كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ :
 لَنْ تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيْبِهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرٌ ^(٩)

(١) هو : بكر بن عبدالله المزني البصري ، كان عالماً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، وله روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين ، توفي - رحمه الله - سنة ١٠٨ هـ .

[انظر ترجمته في الحلية لأبي نعيم ج ٢ ص ٢٢٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٧ ، والطبقات لابن سعد ج ٧ ص ٢٠٩] .

(٢) في « ط » : « ثم كلما أذنب » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) الحسن : هو الحسن البصري ، وقد سبق ترجمته .. وما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) هو : عبد الله بن شبرمة ، ويكنى أبا شبرمة ، وكان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة .. وهو من فقهاء التابعين ، وُلِدَ سنة ٩٢ هـ ومات سنة ١٤٤ هـ .. قال عنه حماد بن زيد : « مارأيت كُوفياً أفقه من ابن شبرمة . »
 [انظر ترجمته في طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ص ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ط دار المعارف] .

(٦) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .. والخَلْدُ : يفتحون : البَالُ والنَّفْسُ .. والصَّخْرَةُ الصَّمَا : أي الصَّمَاءُ الصلبة .

(٧) سَبَحَتِ الْأَرْضُ : كانت ذات نثر وويلح .

(٨) في « ط » : « الوراق وإذا » والوراق : مَوْرَقُ الْكُتُبِ الذي يُورَقُ ويكتب .

(٩) الغي : الانهك في الجهل والضلال . والزَّاجِرُ : المانع والزَّاد .

فَقَالَ ^(١) : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : لِأَيِّ نُوَاسٍ ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِنَصِيفِ شِعْرِي . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٢) : إِنْ التُّعْمَانُ بَنَ امْرِئَ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ ^(٣) الَّذِي بَنَى الْحَوَزَنَ ، أَشْرَفَ عَلَى الْحَوَزَنِيِّ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ - وَتَقُوذِ الْأَمْرِ ، وَإِقْبَالِ ^(٤) الْوُجُوهِ نَحْوَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَتْ ؟ فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَائِهِ ^(٥) : أَهَذَا الَّذِي أُوتِيَتْ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ ^(٦) ؟ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ ، وَصَارَ إِلَيَّ ، ^(٧) وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسَرِرتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ ^(٨) عَنْكَ لَدُنْهُ ، وَتَبْقَى تَبِيعَتُهُ ؟ قَالَ : فَأَمِنَ الْمَهْرَبُ ؟ قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، أَوْ تَلْبَسَ أُمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ ، تَعْبُدُ ^(٩) رَبَّكَ فِيهِ ، وَتَهْتَرِ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ

(١) في « م » : فقيل .

(٢) الْأَصْمَعِيُّ : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عَلِيٍّ بن أَصْنَعِ الْبَاهِلِيِّ ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، وُلِدَ بالبصرة سنة ١٢٢ هـ ، وكان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس من علومها ، ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، فَيَكْتَفِي عليها بالمعاطيا الوافرة ، وكان الرشيد يسميه « شيطان الشعر » .. وقال عنه الْأَخْفَشُ : « ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الْأَصْمَعِيِّ » توفي سنة ٢١٦ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧٦ ط دار الثقافة ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥ ط دار المعارف ، وطبقات اللغويين والنحويين ص ١٦٧ - ١٧٤ ط دار المعارف] .

(٣) في « ط » : « التُّعْمَانُ الَّذِي هو امرؤ القيس الأكبر » .

والتعمان هو : النعمان بن امرئ القيس اللُحَيْجِيُّ ، أبو قابوس ، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، وكان داهية مقدماً ، وهو مملوح النافذة الديبائي .

والْحَوَزَنِيُّ : اسم قصر بالعراق (فارسي معرب) .

[انظر قصته في الْمُحَبَّرِ لابن حبيب ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ط دار الآفاق ، والأعلام ج ٨ ص ٤٣ ، والكمال لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٥ وما بعدها ط دار الكتاب العربي ، والمعارف لابن قتيبة ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ ط دار المعارف ، والصحاح للجرهمري ج ٤ ص ١٤٦٨ مادة « خرنق » ط دار العلم ، ولسان العرب لابن منظور مادة « خرنق »] .

(٤) في « م » : « وَاقْتَالَ » .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « من حكماء أصحابه » .

(٦) في « ط » : « لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ » .

(٧) في « م » : « وَصَارَ إِلَيْكَ » .

(٨) في « م » : « يَذْهَبُ » .

(٩) في « ط » : « وَتَعْبُدُ » .

فَمَا لِي ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَامُوتَ فِيهَا ؛ وَشَبَابٌ لَاهَرَمَ فِيهِ ، وَصِحَّةٌ لاسَقَمَ فِيهَا ^(١) وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لايُتْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَقْنَى ؟ وَاللَّهِ لَأُطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يُزُولُ أَبَدًا [وَمُلْكًا جَدِيدًا] ^(٢) . فَأَنْحَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَيْسَ الشُّسُوحَ ^(٣) ، وَسَارَ فِي الْأَرْضِ ، وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ ، وَجَعَلَا [يَسِيحَانِ وَ] ^(٤) يَعْبُدَانِ اللَّهَ حَتَّى مَاتَا ، وَفِيهِ يَقُولُ عِدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) :

وَتَبِينَ رَبُّ الْحَوْرَتَيْنِ إِذْ أَصْبَحَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَذْكِيرُ ^(١)
سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ لِيْلِكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُورُ ^(٢)
فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِيبَ سَطَّةً حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ^(٣)
أَيَّنَ كَيْسَرِي كَيْسَرِي [الْمُلُوكِ] أَتَوْشِرُ وَإِنْ أُمَّ أَيْنَ قِيلَهُ سَابُورُ ^(٤)

(١) مكننا في « ط » .. وفي « م » : « حَيَاةٌ لَامُوتَ ، وَشَبَابٌ لَاهَرَمَ ، وَصِحَّةٌ لاسَقَمَ » .

(٢) مابن المعقوفين زيادة عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) مكننا في « م » .. وفي « ط » : « الْأَسْحَابُ » ، وكلاهما جمع لكلمة « يَسْنَحُ » ، واليَسْنَحُ : كِسَاءٌ مِنْ شَعْرِ .

(٤) مابن المعقوفين ساقط من « ط » .

(٥) في « م » : « وَفِيهِ يَقُولُ » .. وعِدِيُّ بْنُ زَيْدٍ بن حَمَّادٍ : شاعر جاهلي ، كان قُرُوبًا مِنْ أَهْلِ الْحِجْرَةِ ، فُضِيحًا ، يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ وَالْفَارْسِيَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيْوَانٍ « كَيْسَرِي » وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ، وَلَيْسَ هُوَ يَمُنُّ بِعَدَدٍ مِنَ الْفُحُولِ ، وَقَدْ أَخْلَعُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ تُغَيِّبُ فِيهَا .

[انظر ترجمته في الأغاني بتحقيق إبراهيم الأبياري ج ٢ ص ٥١٥ - ٥٢٤ ط دار الشعب ، وشعراء النصرانية في الجاهلية للأب لويس شيخو ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٧٤ ط مكتبة الآداب ، والأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ط دار العلم] .

(٦) مكننا في « م » .. وفي « ط » : « وَتَبِينَ رَبُّ الْحَوْرَتَيْنِ إِذْ فَكَّرَ ... » وفي الشعر والشعراء : « وَتَبِينَ رَبَّ الْحَوْرَتَيْنِ إِذْ أَشْرَفَ » .

[انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٢٦ ، وكذا في لسان العرب ج ٢ ص ١١٤٧ مادة « غَرَّقَ »] . وفي الأغاني ج ٢ ص ٥٥٧ وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٥٦ : « وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْحَوْرَتَيْنِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَكْمِيرُ » .. وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨ ط دار المعارف : « وَتَفَكَّرَ رَبَّ الْحَوْرَتَيْنِ إِذْ أَشْرَفَ وَلِلْهُدَى تَبْصِيرُ » .

(٧) في الشعر والشعراء : « سِرَّهُ حَالَهُ » . ومعْرِضًا : أَيُّ مُتَّصِمًا . والسَّيْدُورُ : نَهْرٌ . وقيل : قَصْرٌ .

(٨) مكننا في البيت في « م » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وفي الشعر والشعراء .. وفي « ط » :

« فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَدْ قَالَ مَاغِيظَةً حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ » ..

أَرْعَوَى : أَرْكَدَعَ .. وَالْفَيْظَةُ : حُسْنُ الْحَالِ .

(٩) مابن المعقوفين ساقط من « م » .. و« ماورد هنا عن « ط » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وشعراء النصرانية في الجاهلية . وفي الشعر والشعراء ولسان العرب (مادة : كلس) : « أَبُو سَامَانَ » بدل « أَتُو شُرَوَانَ » .. وسابور : مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ قَبْلَ كَسْرِي أَتَوْشِرَوَانَ .

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ (١)
لَمْ يَهْنُ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْـ سَمْلُكَ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورٌ (٢)
وَفِيهِمْ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بِنُ يَعْفَرُ (٣) :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الذِّى ثَبَّأْتَنِي أَنَّ السَّيْلَ سَيْلٌ ذِي الْأَعْوَادِ (٤)
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِسَادِ (٥)
أَرْضِ الْخَوَزَنِيِّ وَالسَّيْدِيِّ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرْقَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٦)

(١) بنو الأصفر: الروم. وقيل: ملوك الروم، وقال ابن سيده: لأندرى لِمَ سُمُوا بذلك.. وقال ابن الأثير: لأن أباهم الأول كان أصفر اللون. [انظر اللسان - مادة صفر].

(٢) هكذا في «ط»، وهو مطابق لما جاء في الأغاني وشعراء النصرانية.. وفي «م»: «الزمان» بدل «المنون».. والمنون: الموت.. وقيل: الدهر.

(٣) هو: الأسود بن يعفر التميمي، ويكنى أبا الجراح، شاعر جاهل من سادات تميم من أهل العراق، كان فصيحا جوادا، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسنَّ كَفَّ بَصْرُهُ، ويقال له: «أعشى بني لهثل» توفي نحو ٢٢ قبل الهجرة (نحو ٦٠٠ ميلادية).

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٣٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٥، والأغاني ج ١٣ ص ٤٥٤٧، وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٧٥].

(٤) أى: لو أغفل الموت أحدا لأغفل ذا الأعواد، وأنا ميت مثله. وذا الأعواد: الذى قُرِعَتْ له العصا (غوى ابن سلامة الأسدي) أو (ربيعه بن مخاشف الأسدي) على خلاف في ذلك.

وفي اللسان: رجل أسنَّ، فكان يُحْمَل على حفرة من عود.. وقال المفصل: سبيل ذى الأعواد: يريد الموت، وغنى بالأعواد: ما يُحْمَل عليه الميت.

[انظر اللسان - مادة عود، وانظر المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج ٥ ص ١٥٨ ط دار العلم والتبصرة ببغداد] وهذا البيت عن «م» وهو مطابق لما جاء في لسان العرب، وفي المفصل، وفي شعراء النصرانية [ج ٤ ص ٤٨١].. وفي «ط»: «أنبأتني» بدل «ثبأتني».. وفي الأغاني ومعجم البلدان جاءت الشطرة الأولى هكذا: «وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنِّي عَلِمْتُ كَلْفِي»، [انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٥٢٨، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ مادة أنقرة].

(٥) آل مُحَرِّقٍ هنا هم ملوك الحيرة، من لحم. ومُحَرِّقُ الذى أُضِيقُوا إليه هو امرؤ القيس بن عمر بن غدي، أحد ملوكهم، ويقال له: المُحَرِّقُ الأكبر، ولَقِبَ به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند، من ملوكهم، ويقال له: المُحَرِّقُ الثانى، وغيرها.

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٨٢٨ حاشية ٥ وانظر المعارف ص ٢٤٦].

(٦) الْخَوَزَنِيُّ: قصر من قصور الحيرة، وقد سبق التبريد به - وهو فارسي يُطلق على بيت الضيافة «خورنكاه» بناء شخص رومى اسمه «سينار» للنعمان بن امرئ القيس اللخمى، وأكملته في عشرين سنة =

نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ^(١)
 أَرْضَ تَحْيَرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ^(٢)
 جَرَبَتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ^(٣)
 فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَتَفَادِ^(٤)

= فلما وقف عليه النعمان استجاده وأتى على « سينمار » وخشى أن ينسى مثله لغيره ، فأمر به (بسنار) أن يُطرح من أعلى شرفاته ، فطُرب به المثل وقيل : « جزء جزء سينمار » .. والسدير : قصر كان مابين نهر الحيرة إلى النجف . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وقال ابن الكلبي في القصر ذي الشرفات : « إن العرب كانت تخرج إليه » .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٦ ط دار بيروت] وورد في الأغاني ، وفي شعراء النصرانية ، والشعر والشعراء : « أهل » بدل « أرض » .

(١) هكذا في « م » . وفي شعراء النصرانية .. وفي « ط » : « تسيل » بدل « يسيل » ، وفي رواية : « خلوا بالْقَرَّة » .. وفي الأغاني : « يفيض » بدل « يجيء » . وأنقرة : موضع بنواحي الحيرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن « أنقرة » التي في شعر الأسود بن يَغْفَر هي « أنقرة » التي يبلاد الروم ، نزولها « إياد » ، لَمَّا نفاهم كسرى عن بلاده . (٢) هكذا في « م » . والشعر والشعراء .. وفي « ط » : « يحبوها » بدل « تحيَرُها » ، و« كعب بن مالك » بدل « كعب بن مامة » تحريف .. وفي شعراء النصرانية : « أرضُ تَوَارَتْهَا » .

و« كعب بن مامة هو : كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، وكان أبوه مامة ، ملك إياد .. وكان يُضْرَبُ بكعب المثل في الجود والكرم . قال أبو عبيدة : أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طيء ، وقرم بن سنان . وفي الأمثال : « أكرم من أميرئى عَنَزَة » وهما : حاتم الطائي ، وكعب بن مامة .

وابن أُمِّ دُوَادِ هو : أبو دُوَادِ الشاعر الجاهل المشهور ، جارية بن الحجاج الإيادي ، كان من وُصَافِ الخيل المجيدين . وهذا البيت دليل على أن « سنداد » كانت منازل « إياد » .

[انظر شعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٨١ والأعلام ج ٥ ص ٢٢٩ وج ٢ ص ١٠٦ ، وجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٧١ بتحقيق محي الدين عبد الحميد] .

(٣) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما جاء في الأغاني ج ٣ ص ٤٥٢٩ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ .. وفي « ط » وشعراء النصرانية : « فكأنهم » بدل « فكأنما » ، وفي المرجع الأخير : « مقر » بدل « محل » ويروى أيضاً : مكان ديارهم ، وعيراص ديارهم .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يُلْهَى » بدل « يُلْهَى » .. تحريف من الناسخ .. وفي شعراء النصرانية ، ومعجم البلدان ، والأغاني : « فَأَرَى النَّعِيمَ » بدل « فَأَرَى النَّعِيمَ » .. و« سمع علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - رجلاً يتمثل بهذا البيت الأخير فقال :

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَائِبِ وَغُيُونِ » الآية ٢٥ من سورة الدخان [انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٦] .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ^(١) : أَصِيبَ عَلَى غُمْدَانَ وَهُوَ قَصْرٌ سَيْفٍ بَيْنَ ذِي يَزْنَ^(٢) بِأَرْضِ صَنْعَاءَ الْيَمَنِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَجَلَةِ مَكْتُوبٌ^(٣) بِالْقَلَمِ الْمُسْنَدِ فَتَرْجِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَإِذَا^(٤) هِيَ آيَاتٌ جَلِيلَةٌ وَمَوْعِظَةٌ عَظِيمَةٌ :

(١) هو : وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ الْأَنْبَايِ الصَّنَعَانِي ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُؤَرِّخٌ ، كَثِيرُ الْإِعْجَابِ عَنِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ ، عَالِمُ بَاسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ ، وَلا سِيَّمَا الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَيُعَدُّ فِي التَّابِعِينَ ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْفُرْسِ الَّذِينَ بَقِيََتْ بِهِمْ كَسْرَى إِلَى الْيَمَنِ ، وَأُمُّهُ مِنْ « جَحْمَرٍ » ، وَيُقَالُ إِنَّهَا مِنْ أَصْلِ يَهُودَى . وَكَانَ يُزْعَمُ أَنَّهُ يَتَقَنَّ الْيُونَانِيَّةَ ، وَالسَّرْيَانِيَّةَ ، وَالْحَمِيرِيَّةَ . وَيُحَسِّنُ قِرَاءَةَ الْكُتَابَاتِ الْقَدِيمَةِ ، وَلِدَتْهُ سَنَةٌ ٣٤ هـ بِصَنْعَاءَ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ١١٤ هـ .. وَوَلَاهُ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَضَاءَهَا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وفي وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥ ، ٣٦ والمعارف ص ٤٥٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها ط دار المعارف ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ط دار المعرفة ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٠ ط دار المسورة] .

(٢) في عيون الأخبار : « قُرِيءَ عَلَى قَبْرِ بِالشَّامِ » .

وسيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل الحميرى ، من ملوك العرب الجمانيين ودهاتم . وقيل : اسمه معدى كرب . وُلِدَ بِصَنْعَاءَ سَنَةَ ١١٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيباً ، وَنَشَأَ بِهَا ، وَلَهُ قِصَصٌ مَشْهُورَةٌ فِي اسْتِرْدَادِ مُلْكِ الْيَمَنِ مِنَ الْأَحْبَاشِ بِمُسَاعَدَةِ كَسْرَى .. وَبَعْدَ أَنْ انْقَصَرَ عَلَيْهِمْ اتَّخَذَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ « غُمْدَانَ » قَصْرًا لَهُ ، وَهُوَ مَبْنَى عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجَةٍ : وَجْهٌ أَبْيَضٌ ، وَوَجْهٌ أَحْمَرٌ ، وَوَجْهٌ أَصْفَرٌ ، وَوَجْهٌ أَخْضَرٌ . وَكَانَ ظِلُّهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ .. يُرَى عَلَى « عَيْتَانِ » - اسْمُ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ غُمْدَانَ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ - وَجَعَلَ فِي أَعْلَاهُ مَجْلِسًا بَنَاهُ بِالرَّخَامِ الْمَلُونِ ، وَجَعَلَ سَقْفَهُ رِخَامَةً وَاحِدَةً ، وَصَبَّرَ عَلَى كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ تَمَثَّالَ أَسَدٍ ، كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَسَدِ ، فَكَانَتْ الرِّيحُ إِذَا هَبَتْ إِلَى نَاحِيَةِ تَمَثَّالٍ مِنْ تِلْكَ التَّمَثَّالِ دَخَلَتْ مِنْ دُبُرِهِ وَخَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ ، فَيَسْمَعُ لَهُ زُفِيرٌ كَزُفِيرِ السَّبَاعِ .. وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَصَابِيحِ فَتَسْرُجُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ لَيْلاً ، فَكَانَ سَائِرُ الْقَصْرِ يَلْمَعُ مِنْ ظَاهِرِهِ كَمَا يَلْمَعُ الْبَرْقُ ، فَإِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ مِنْ بَعْضِ الطَّرِيقِ ظَنَّهُ بَرْقًا أَوْ مَطَرًا .. وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّ الَّذِي بَنَى « غُمْدَانَ » سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا لِبَلْقِيسَ ثَلَاثَةَ قُصُورٍ بِصَنْعَاءَ : غُمْدَانَ ، وَزَيْلَجِينَ ، وَبَيْتُونَ .

[انظر عيون الأخبار ج ٦ كتاب الزهد ص ٣٠٣ ط الميعة العامة للكتاب ، والأعلام ج ٣ ص ١٤٩ ، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢١٠ ، ٢١١ وسورة ابن هشام ج ١ ص ٤١ وما بعدها ط صبيح ، والمفصل في تاريخ العرب ج ٣ ص ٥٢٢ وما بعدها ، والكمال لابن الأثير ج ١ ص ٢٦٣ وما بعدها] .

(٣) هكذا في « م » .. وفى « ط » : « مَكْتُوباً » بِالنَّصْبِ ، وَهَذَا لِأَيِّصَحَّ إِلَّا إِذَا ضُمِّنَ الْفِعْلُ « أَصِيبَ » مَعْنَى « وُجِدَ » .. وَالْمُسْنَدُ : تَحْطُّ لِحَجْمَرِ بِالْيَمَنِ ، مُخَالَفٌ لِحَقْنُنَا هَذَا .

(٤) في « ط » : وَإِذَا .

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلِبَ الرِّجَالُ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ ^(١)
 وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ فَاسْكُنُوا حُقْرًا يَابِسَ مَا نَزَلُوا ^(٢)
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا ذُفِنُوا أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحُلُلُ ^(٣)
 أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً مِنْ دُونِهَا تَضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ ^(٤)
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَمْتَلِئُ ^(٥)
 قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا ^(٦)
 قَالَ شَيْخُنَا ^(٧) قَرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي وَأَنَا أَسْمَعُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

(١) قُلُلِ الْأَجْبَالِ : أعاليها ، ومفرد : قُلَّة ، بالضم ، وهى أعلى الرأس ، والسمام ، والجبل ، وجمع « جبل » : علي : أجبال . وجبال وأجبال .
 وغلب الرجال : أى حكم عليهم بالقلّة وفُهِرُوا ..

[انظر القاموس المحيط للفيروزابادى والمعجم الوسيط ، ماذن : قتل وجبل] .

(٢) هكذا في « ط » ، وفي « م » :

وَاسْتَنْزَلُوا مِنْ أَعَالَى عَزٍّ مَعْقِلُهُمْ وَاسْكُنُوا حُقْرًا يَابِسَ مَا نَزَلُوا

والمعقِل : التلجأ والحصن ، جُمُعته : مَعَاظِل .. وفي عيون الأخبار : « حُقْرَة » بدل « حُقْرًا » .
 (٣) صارخ : صائح .. بعدما ذُفِنُوا : بعد موتهم .. الْأَسِيرَةُ : جمع سيرة ، وهو الْمُضْطَّجِعُ أو مَا يَجْسُرُ عَلَيْهِ .
 (٤) الْكِلَلُ بكسر الكاف : جمع كِلَّة ، وهى سِتْر رقيق مُقَبَّب يَتَرَقَّى بِهِ مِنَ الْبُخُوضِ وَغِيْرِهِ - كالناموسية - وفي رواية : « مُنْعَمَةٌ » بدل « مُحَجَّبَةٌ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فَأَفْصَحَ بَدَلَ فَأَفْصَحَ » .. وَأَفْصَحَ بِمَعْنَى بَيَّن وَأَوْضَحَ ، ويقال : فَصَحْتَ عَنْ الشَّيْءِ : إِذَا اسْتَغْفِيتَ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ .. وَسَاءَ لَهُمْ : سَأَلَهُمْ . وفي عيون الأخبار : « قَتَلْتُ » بدل « يَمْتَلِئُ » ، وكلاهما صواب ، لأن « الدود » اسم جنس .
 (٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » :

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 وفي عيون الأخبار :

وَقَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَاتِمُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

(٧) تفقه « الطُّرُوشِي » على يد عدد من أئمة الشافعية والحنابلة ، برغم أنه مالكي المذهب ، منهم : أبو بكر الشاسي ، وأبو سعيد بن الحولي ، وأبو أحمد الجرجاني ، ولقي القاضي أبا عبد الله الدماغاني ، وسمع ببغداد من أبي محمد التميمي الحنبلي ، وغيرهم .. وأضاف باقوت الحموي عنه أنه : صَنَعَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، وَأَخَذَ عَنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ .

وَيَحِلِّكَ يَا أَسْمَاءُ مَا شَانِي أَضَلَّلْتَنِي وَاللَّهِ مَا شَانِي ^(١)
 الْمَوْتُ حَقٌّ فَأَعْلِمْنِي تَارِلَ فَيْسَرِي لَحْدِي وَأَكْفَانِي ^(٢)
 قَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ فَلَا وَالَّذِي أَعْطَانِي الْعَيْشَ وَأَغْنَانِي
 مَاقَرَّتِ الْعَيْنُ بِهِ سَاعَةً إِلَّا تَذَكَّرْتُ فَأُشْجَانِي ^(٣)
 عَلِمِي بِأَنِّي صَائِرٌ لِلْبَلَى وَفَاقِدٌ أَهْلِي وَجِيرَانِي ^(٤)
 وَتَارِكٌ مَالِي عَلَى حَالِهِ نَهْبًا لِشَيْطَانِ ابْنِ شَيْطَانٍ
 لَامِرَةٌ أُنْثَى أَوْ لَزُوجِ ابْتِي يَالَكَ مِنْ غَيٍّ وَخُسْرَانٍ ^(٥)
 يَسْعُدُ فِي مَالِي وَأَشْقَى بِهِ قَوْمٌ ذَوُو غِلٍّ وَشَتَانٍ ^(٦)
 إِنْ أَحْسَنُوا كَانَ لَهُمْ أَجْرُهُ وَخَفَّ مِنْ ذَلِكَ مِيزَانِي

وَمِمَّنْ اسْتَبَصَّرَ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ^(٧) ، فَرَأَى عَيْبَ الدُّنْيَا وَقَنَاءَهَا ، وَتَقَضَّيَهَا وَزَوَّالَهَا
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بْنِ مَنصُورٍ ، مِنْ [أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ] ^(٨) مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، مِنْ كُورَةِ بَلْخِ

= وأبو الوليد الباجي هو : سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي ، فقيه مالكي كبير ، ومن رجال الحديث ، ولد في « باجة » بالأندلس سنة ٤٠٣ هـ ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفي دمشق وحلب مُدَّةً ، وعاد إلى الأندلس ، فَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَعْضِ أَعْيَانِهَا ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ .

[انظر مقدمة الكتاب ، و « أبو بكر » الطرطوشي لجمال الدين الشيبان ص ١٨ وما بعدها .. ومجمع البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » والأعلام ج ٣ ص ١٢٥ ، والمغرب في حُلِيِّ الْمَغْرِبِ لِابْنِ سَعِيدٍ بِتَحْقِيقِ د . شوقي ضيف ج ١ ص ٤٠٤ وما بعدها ، و نفع الطُّوبِ ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها] .

(١) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : « مَا سَانِي » بَدَل « مَا شَانِي » الْأَخِيرَةُ ، بِمَعْنَى مَا سَاعَنِي .. وَالشَّأْنُ : الْحَالُ وَالْأَمْرُ .. وَزَنَجَ : كَلِمَةُ تَوْجُّعٍ وَتَرْجُمٍ ، وَقِيلَ : هِيَ بِمَعْنَى « وَئِيلَ » .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « دَرَبِ لِي » بَدَل « فَيْسَرِي » .. وَاللَّحْدُ : الشَّقُّ يَكُونُ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ .

(٣) قَرَّتْ : سَكَنَتْ وَأَطْمَأْنَنَتْ .. أَشْجَانِي : أَخْزَنِي .

(٤) الْبَلَى : الْفَقَاءُ .

(٥) الْعَيُّ : الْإِهْمَاكُ فِي الضَّلَالِ .. وَالْخُسْرَانُ : الضَّيَاعُ وَالْمَلَاكُ .

(٦) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : « دَعِيلٌ » بَدَل « غِلٌّ » ، وَالْقَيْلُ : النِّشْرُ . وَالْيَيْلُ : الضُّعْفُ وَالْجَفْدُ .

(٧) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ » .

(٨) مَا بَيْنَ الْمُحَقِّقِينَ عَنْ (ط) وَسَاقَطَ مِنْ (م) .. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْمَيَاسِرِ ، وَكَانَ سَيِّدَ الرَّهَادِ ، سَاحٍ فِي الْأَرْضِ وَتَتَلَسَّكُ وَاسْتَهْتَلُ بِالرُّعُوظِ وَالْعِبَادَةِ ، جَاوِرٌ فِي مَكَّةَ ثُمَّ فِي دِهَارِ الشَّامِ ، وَمَاتَ فِي حِمْلَةِ بَحْرِيَّةٍ سَنَةِ ١٦٦ هـ ضِدَّ الْبِيزَنْطِيِّينَ ، وَأَخْبَارُهُ فِيهَا مُضْطَرَبٌ وَاعْتِلَافٌ فِي نِسْبَتِهِ وَمَسْكَنُهُ وَمَتَوَفَاةٌ .

وَلَمَّا ^(١) زَهَدَ فِي الدُّنْيَا زَهَدَ عَنْ ثَمَانِينَ سَرِيرًا ^(٢) ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ ^(٣) : سَأَلْتُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ حَتَّى صِرْتَ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ : غَيَّرَ هَذَا أَوَّلِي
 بَلَكَ . قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُنِي بِهِ يَوْمًا . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَقَالَ : وَيَحَكَ ،
 اشْتَغَلَ بِاللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَالِثَةً فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنْ تُخْبِرَنِي لَعَلَّ
 اللَّهَ يَرْحَمُنِي بِهِ ^(٤) فَقَالَ : كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ مِنَ الْمَيَاسِيرِ ، وَكَانَ قَدْ
 حُبَّ إِلَى الصَّيِّدِ ، فَبَيْنَمَا ^(٥) أَنَا رَاكِبٌ قَرَسًا وَكَلْبِي مَعِي ، فَأَثَرْتُ أَرْبَابًا أَوْ تَعَلَبًا ،
 فَحَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي : يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلِقْتُ ، وَلَا بِهَذَا
 أُمِرْتُ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرَ يَمَنَةً وَمَسْرَةً فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ،
 ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ هَذَا خُلِقْتُ ،
 وَلَا بِهَذَا أُمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ مُقَشِّعًا [أَنْظُرَ يَمَنَةً وَمَسْرَةً ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ
 إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ قُرْبُوسٍ ^(٦) سَرَجِي : يَا إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ لِهَذَا

= [انظر خبره في سر أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٩٥ ، وج ٨
 ص ٥٨ - ٣ ، وطبقات الأولياء ص ٥ - ١٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٧ - ٣٨ ، وطبقات الشعراء ص ٦٩ ،
 ٧٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ط الشعب ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٦] .
 (١) الكَوْرَةُ : البقعة والناحية يجتمع فيها قُرَى وَمَحَالٌ .. وَتَلْعُجُ : من أشهر مُدُنِ خُرَاسَانَ وَأَجْلَهَا ، وَأَكْبَرُهَا
 خِمْرًا .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٤٧٩]

(٢) السرير : سبق التعريف به ، وهو المضطجع وما يُجْلَسُ عليه ، وقد يُعَيَّرُ بالسرير عن الملك والنعمة . وفي
 اللسان :

وَقَارَقَ وَنَهَا عِشَّةً غَيْثِيَّةً وَلَمْ يَخُشْ يَوْمًا أَنْ يَزُولَ سَرِيرُهَا

(٣) هو : إبراهيم بن بشار بن محمد ، أبو إسحاق الخراساني الصوفي ، خادم لإبراهيم بن أدهم ، كان ينتسب إلى
 ولاد معقل بن يسار ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَخَدَّتْ بِهَا .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٧ ، ٤٨] .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يَنْفَعُنِي » .

(٥) في « ط » : « فَبَيْنَا » .

(٦) الْقُرْبُوسُ : جَنُو السَّرَجِ ، وَهُمَا قُرْبُوسَانِ ، مَقْدَمُ السَّرَجِ وَمَوْخَرُهُ ، وَيُقَالُ لِهَذَا : جَنَوَاءُ ، وَالْجَمْعُ :
 قُرَائِيسُ .. وَالْجَنُو : كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ اِعْوَجَاجٌ .

خَلِيفَتُ ، وَلَإِبْهَذَا أَمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ [(١) وَقُلْتُ : هَهَيَات ، جَاعَنِي التَّذِيرُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَاللَّهِ لَا عَصِيَّتَ رَبِّي ، مَا عَصَمَنِي بَعْدَ يَوْمِي هَذَا ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَخَلِيفَتُ فَرَسِي ، وَجِئْتُ إِلَى بَعْضِ رِعَاةِ أَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ وَكِسَاءَهُ (٢) ، وَالْقَيْتُ إِلَيْهِ نِيَابِي ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْضُ ثِقَلِي وَأَرْضُ تَضْعِي ، حَتَّى ، صِرْتُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ عَنِ الْحَلَالِ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ .

قَالَ : فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : [الْمَنْصُورِيَّةُ وَهِيَ] الْمَصِيصَةُ (٣) ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ فَعَلَيْكَ بِطَرَسُوسَ (٤) ، فَإِنَّ الْمُبَاحَاتِ بِهَا ، وَالْعَمَلُ كَثِيرٌ . قَالَ : فَبَيَّنَّا أَنَّا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ ، إِذْ جَاعَنِي رَجُلٌ فَأَكْتَرَانِي (٥) أَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا ، فَتَوَجَّهْتُ مَعَهُ ، فَكُنْتُ فِي الْبُسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَطَّلَ (٦) وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْبُسْتَانَ لِخَادِمٍ مَانِظَرُهُ (٧) ، فَقَعَدْتُ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَاطُورُ ، فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ :

(١) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جُبَّةٌ وَكِسَاءٌ » .. وفي طبقات الصوفية : « فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ الصَّوْفَ فَلَبِسْتُهَا ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي » .

(٣) مابين المعقوفين عن « ط » وهو مطابق لما وَرَدَ في معجم البلدان ، وفي المعارف لابن قتيبة ، وغيرها .. وفي « م » : « الْمَصِيصِيَّةُ » ولعلها تحريف من الناسخ ، أو نسبة إلى « الْمَصِيصَةِ » وهي قرية من قرى دمشق ، قرب بيت « لها » ويطلق أيضاً على مدينة أخرى على شاطئ « جيحان » من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، بالقرب من « طَرَسُوس » .

[انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، والمعارف ص ١١٤] .

(٤) طَرَسُوسُ : بفتح أوله وثانيه ، كلمة أعجمية رومية ، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وكانت موطناً للزهاد والصالحين ، يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل يتسبون إليها ، منهم المحافظ محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسى وغيره .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨ ، ٢٩]

(٥) في « م » : « أَكْتَرَانِي » أى : استأجرتنى ، وَأَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا : أى أحفظه وأرعاه .

(٦) ممكن في « م » .. وفي « ط » : « أَطَّلَ » أى : دنا أو غَشِيْنَا وَأَطَّلَ : أَثَرَفَ .

(٧) في « م » : « مَانِظَرُهُ » وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ماقتك على حرامته وتهميده .

اذْهَبَ ^(١) فَأَتَانَا بِأَكْبَرِ رُثْمَانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَأَطْيَبِهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِرُثْمَانٍ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رُثْمَانَهُ فَكَسَرَهَا ، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً ، فَقَالَ : يَا نَاطُورُ [ماهذا ؟] ^(٢) أَنْتَ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فِي بُسْتَانِنَا نَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَتِنَا [وَرُثْمَانِنَا] لَا تَعْرِفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكِهَتِكُمْ شَيْئًا ، وَمَا أَغْرِفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ . قَالَ : فَتَعَمَّرَ الْخَادِمُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : لَوْ كُنْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ مَا رَأَى عَلَى هَذَا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ حَدَّثَ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِالصِّفَةِ ، فَجَاءَ النَّاسُ عُنْفًا ^(٣) إِلَى الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ النَّاسِ اخْتَبَأْتُ ^(٤) وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، وَأَنَا هَارِبٌ مِنْهُمْ .

وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، مِثْلَ الْحَصَادِ ، وَحَفِظَ الْبُسَاتِينَ ، وَالْعَمَلَ فِي الطَّيْنِ ، وَكَانَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرَمًا ^(٥) ، فَمَرَّ بِهِ جُنْدِي فَقَالَ : أُعْطِنَا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ ، فَقَالَ : مَا أَمَرَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِالسَّوِطِ ، فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى اللَّهَ ، فَانْحَجَزَ الرَّجُلُ وَمَضَى .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : صَحِبْتُ إِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ فَمَرَضْتُ ، فَأَتَفَقَ عَلَى نَفَقَتِهِ ، فَاشْتَهَيْتُ شَهْوَةً ، فَبَاعَ حِمَارَهُ وَأَتَفَقَ [لِمَنْه] ^(٦) عَلَى ، فَلَمَّا تَمَائَلْتُ قُلْتُ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، أَيْنَ الْحِمَارُ ؟ فَقَالَ : بَعْنَاهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : فَعَلَّامَ أَرْكَبُ ؟ قَالَ : يَا ابْنِي عَلَى عُنُقِي . قَالَ : فَحَمَلَنِي ثَلَاثَ مَنَازِلَ ^(٨) رَحِمَهُ اللَّهُ . وَأُشْدَلُوا شِعْرًا :

(١) في « ط » : « فاذْهَب » . والناطور : حافظ البستان وحارسه

(٢) مابين الموقوفين عن « ط » وسلف من « م » في الموضعين .

(٣) عُنْفًا : جماعات .

(٤) في « ط » : اخْطَيْتُ .

(٥) الْكَرْمُ : العنب .

(٦) مابين الموقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « قَالَ : بَعْنَاهُ ، قُلْتُ » .

(٨) الْمَنْزِلُ وَالْمَنْزِلَةُ : موضع النزول .

أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّ دُثْيَاكَ بَحْرٌ طَافِحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَأْمَنْتَهَا ^(١)
وَسَبِيلُ النِّجَاةِ فِيهَا مُبِينٌ وَهُوَ أَخَذَ الْكَفَافَ وَالْقَوِيَّتَ مِنْهَا ^(٢)

وَيَلْعَنِي أَنْ بِالْهِنْدِ يَوْمًا يَخْرُجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَلَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ بَشَرٌ مِنْ طِينٍ ،
لَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ صَغِيرٌ ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَكُونُ بَعْدَ انْقِرَاضِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ مِثْلِهِ ،
فَإِذَا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ ^(٣) فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، نَادَى مُنَادِي الْمَلِكِ : لَا يَصْعَدُنْ هَذَا الْحَجَرُ
- الْحَجَرُ هُنَاكَ مَنْصُوبٌ - إِلَّا مَنْ حَضَرَ فِي الْمَجْمَعِ الْأَوَّلِ ، الَّذِي قَدْ تَحَلَّى مِنْ مِائَةِ
سَنَةٍ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الْهَرَمُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَعَمِيَ بَصَرُهُ ، وَفَنِيَ شَبَابُهُ ،
وَتَجَيَّءُ الْعَجُوزُ تَرْحُفٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رَسْمُهَا ، وَقَدْ أَخْتَى الدَّهْرُ ^(٤) عَلَيْهَا ، فَيَصْعَدَانِ
عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي هُنَاكَ . وَيَقُولُ الشَّيْخُ [الْفَانِي] ^(٥) : حَضَرْتُ الْمَجْمَعِ الْأَوَّلَ مُنْذُ
مِائَةِ سَنَةٍ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَكَانَ الْمَلِكُ قُلَانًا ... وَيَصِفُ الْجُيُوشَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ ^(٦) ، وَكَيْفَ طَحَنَهُمُ الْيَلَى ، وَصَارُوا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيَقُومُ خَطِيبُهُمْ فَيُعْطِ
النَّاسَ ، وَيَذْكُرُهُمْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ ، وَحَسْرَةَ الْقَوْتِ ^(٧) ، فَيَبْكِي الْقَوْمُ وَيَتُوبُونَ مِنْ
الْمَظَالِمِ ، وَيُكْثِرُونَ الصَّدَقَاتِ ، وَيَخْرُجُونَ عَنِ التَّبِعَاتِ ^(٨) ، وَيُصْلِحُونَ عَلَى ذَلِكَ
مُدَّةً ^(٩) .

(١) يُقَالُ : طَفَحَ الْإِنَاءُ أَوْ النَّهْرُ ، أَيْ : امْتَلَأَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَطَافِحٌ مَوْجُهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مُرْتَفِعٌ .. وَفِي
« م » : « طَافِحٌ » ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا أَيْضًا . يُقَالُ : طَفَحَ الْمَاءُ وَغَوَى ، أَيْ : ارْتَفَعَ . فَلَا تَأْمَنْتَهَا : أَيْ الدُّنْيَا .
(٢) فِي « م » : « مِيزٌ » ، بِدَلِّ « مِيزِينَ » ، وَكِلَاهُمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْوُضُوحِ وَالْإِبَانَةِ .. وَالْكَفَافُ : مَا كَانَ عَلَى
مِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْخَلَائِقُ » .. وَالصَّعِيدُ : وَجْهُ الْأَرْضِ وَمَا ارْتَفَعَ مِنْهَا .
(٤) أَخْتَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ : طَالَ عَلَيْهِ وَأَفْسَدَهُ .. وَفِي « م » .. أَخْتَى ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : جَعَلَهُ مَعْرُوجَ الظَّهْرِ ، أَوْ
مُنْتَحِبًا كَالْقَوْسِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقَرَيْنِ عَنْ « م » ، وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(٦) الْأُمَمُ الْحَالِيَةُ : أَيْ الَّتِي يَأْتِي وَفَيْتٌ .

(٧) الْقَوْتُ : مَلَأَ وَتَمَلَّأَ وَلَمْ يَقْطَعْ .

(٨) التَّبِعَاتُ ، مُفْرَدُهَا تَبِيعَةٌ ، بِمَعْنَى : ظُلُمَاتُ ، وَتُطْلَقُ عَلَى مَا يَطْلُبُهُ الْمَظْلُومُ ، وَهِيَ اسْمٌ مَا أُخِذَ مِنْهُ ظُلْمًا .

(٩) أَيْ : يَأْتُونَ بِمَا هُوَ نَافِعٌ وَصَالِحٌ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنِيَّةٍ ^(١) : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا ^(٢) عَنْهُ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَالْفِكْرَ لَا يَفْتَرُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ عَلِمْتُ مَا تَرِيدُ : حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَالتَّوْفِيقُ تَاجُ كُلِّ خَيْرٍ ^(٣) ، فَاحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَارْغَبْ [إِلَى رَبِّكَ] ^(٤) فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ ، وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ [فِي] أَنْ يَهَبَ لَكَ ^(٥) تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ جَدِّي ^(٦) رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ ، قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ : فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِجِ ، يَغُرُّ وَلَا يَرَوِي ، وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، [وَالْبَرْقِ الْحُلْبِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ] ^(٧) وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَبِظُلِّ الْعَمَامِ يَغُرُّ وَيُحْذِلُ ، وَبِزَهْرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُّ ثُمَّ يَصْفَرُّ [لَوْنُهُ] ^(٨) فَتَرَاهُ هَشِيمًا ، وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ ، يَرَى السُّرُورَ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ ، وَبِالْعَسَلِ الْمَشُوبِ بِالسُّمِّ الدَّعَافِ ^(٩) يَغُرُّ وَيَقْتُلُ ..

(١) سبق التعريف ٤ .. والأنسب للسياق هنا أن يُقال : « أحد الرُّهبان » بدل « بعض الرهبان » .

(٢) هكذا في « ط » بالنصب ، وهو الصواب - مفعول « وجد » - وفي « م » : مشغول وهو خطأ .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « رأس » بدل « تاج » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » في اللوحيين .

(٥) هكذا في « ط » وهو الأنسب .. وفي « م » : « يبك » . والفعل « وهب » يتعدى باللام ، قال تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ وقال بعض اللغويين : لا يتعدى إلى الأول بنفسه ، فلا يقال : « وَهَبْتُكَ » مالا .. والفقهاء يقولونه ، وقد يُجْعَلُ له وَجْهٌ ، وهو أن يَضْمَنَ « وَهَبَ » معنى « جَعَلَ » وهذا غير دقيق ومردود عليه في الحاشية .

[انظر المصباح - مادة « وهب » بتحقيق د . عبد العظيم الشناوي ط دار المعارف] .

(٦) هكذا في « ط » ، وهو الصواب .. وفي « م » : « كان أفي رجل » - هكذا - من الحكماء . فأني بأني بدل جدِّي ، سهواً منه ، وستأتي بعد ذلك كلمة « جدِّي » .. وجاءت كلمة « رجل » بالرفع ، وهو خطأ والصواب بالنصب (خير كان) .

(٧) يَغُرُّ ، بالضَّم : يخدع ، يقال : غَرَّه : خدعه وأطمعه بالباطل .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٩) الدَّعَافُ والزَّعَافُ (بالذال والزاي) : السريع : والسُّمُّ الدَّعَافُ : الذي يقتل لساعته .

فَقَدَّرْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ السَّبْعَةَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ زِدْتُ حَرْفًا وَاحِدًا ، فَسَبَّهْتُهَا بِالْعَوْلِ
الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَتْرُكُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَرَأَيْتُ جَدِّي فِي الْمَتَامِ ، فَقَالَ ^(١) :
يَابَنِي ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ ، هِيَ وَاللَّهِ الْعَوْلُ الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَتْرُكُ مَنْ
أَعْرَضَ عَنْهَا . قُلْتُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْيَقِينِ ، وَالْيَقِينُ بِالْبَصَرِ ،
وَالْبَصَرُ ^(٢) بِالْعَيْنِ ، وَالْعَيْنُ بِالْفِكْرِ ، ثُمَّ وَقَفَ الرَّاهِبُ وَقَالَ : خُذْهَا مِنِّي ^(٣) فَلَا أَرَاكَ
خَلْفِي إِلَّا مُتَجَرِّدًا بِفِعْلٍ دُونَ قَوْلٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

قُلْتُ : وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِصِفَةٍ أَعَمَّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لُعْبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَيَاضُهُ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٤) . وَالْكَفَّارَ هَاهُنَا : الزُّرَّاعُ ، فَكَمَا ^(٥) أَنَّ الزُّرْعَ يَكُونُ فِي
أَوَّلِ تَبَاتِهِ أَخْضَرَ ^(٦) نَاعِمًا ، اهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ بَعْدَ تَبَاتِهَا ، فَجَاءَتْ فِي الْعَيُونِ
كَأَمْلِجٍ ^(٧) مَا يَكُونُ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، أَيْ : يَكْبُرُ وَيَسْتَوِي فَيَجِفُّ وَيَحْتَرِقُ ،
وَيَتَكَسَّرُ ^(٨) أَغْلَاهُ وَيَسْتَقِلُّ سَبِيلُهُ ^(٩) ثُمَّ يُدْرَسُ ^(١٠) فَيَكُونُ حُطَامًا ، أَيْ : نَبْثًا مُتَكَسِّرًا

(١) في « ط » : وقال .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بالصبر ، والصبر » . لعلها خطأ مطبعي .

(٣) في « ط » : يثا .

(٤) سورة الحديد - الآية ٢٠ . وفي « م » سقطت كلمة « الدنيا » من الآية سهواً من الناسخ .

(٥) في « ط » : « كما » .

(٦) في « م » : « خضيرا » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « كأخضر » وهي بمعنىهما .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ويتكسر » أى : يضعف وينحني إلى أسفل .

(٩) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يستقل » ويستقل سبيله : أى يرتفع ويعلو ، يقال : استقل الطائر في

طوره : واستقل النبات ، واستقلت الشمس .. الخ

[انظر المعجم الوسيط مادة « قل » وغیره من المعاجم العربية]

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يُدَّاس » وهي بمعنىهما ، يقال : داس فلان الزرع ، أو الحصيد ،
أى : قَرَسَهُ لِيُخْرِجَ الْحَبَّ مِنْهُ .

مَقْطَعًا ، وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) لَيْتَنِي آدَمَ ، إِذْ كَانُوا أَطْفَالًا أَوَّلَ الْوِلَادَةِ ، وَفِي حَالِ الطُّفُولِيَّةِ كَأَحْسَنِ مَرَأَى ، يُعْجِبُونَ الْآبَاءَ ، وَيَقْتَنُونَ ذَوِي الْأَحْلَامِ ^(٢) وَالنَّهَى ، ثُمَّ يَكْبُرُونَ فَيَصِيرُونَ شَبُوحًا مُنْكَسَةً رُءُوسُهُمْ ، مَقْوسَةً ظُهُورُهُمْ ، قَدْ ذَهَبَ حُسْنُهُمْ وَنُعُومَتُهُمْ ، وَفَنِيَ شَبَابُهُمْ وَجَمَالُهُمْ ، وَذَوَتْ غَضَارَتُهُمْ وَنَضَارَتُهُمْ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْهَرَمُ وَالشَّيْبُ ^(٣) ، ثُمَّ يَمُوتُونَ فَيَصِيرُونَ حُطَامًا فِي الْقُبُورِ كَالْتَيْنِ فِي الْحَرِيرِ ^(٤) ، هَذَا بَعْدَ مَا وَصَفَهَا بِخَمْسِ صِفَاتٍ مَذْمُومَةٍ : لَعِبَ ، وَلَهِيَ ، وَزِينَةَ ، وَتَفَاخُرَ ، وَتَكَاثُرَ . وَكَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يُسَمَّى الدَّلْيَا (خِنْزِيرَةٌ) وَلَوْ وَجَدُوا [لَهَا] ^(٥) اسْمًا أَقْبَحَ مِنْهُ لَسَمَوْهَا بِهِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا (أُمَ دَفِرٍ) ^(٦) ، الدَّفِرُ : التُّنُّ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٧) : بَلَغَنِي أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَكِبَ يَوْمًا فِي زَيْ عَظِيمٍ ، فَتَشَرَّفَ ^(٨) لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا ، حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ شَيْئًا مُكَبًّا عَلَيْهِ لَمْ يَلْفِثْ ^(٩) إِلَيْهِ ، وَلَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ

(١) مابن المعرفين عن م . .

(٢) هكذا في ط . . وذوي الأرحام والنهى : أصحاب العقول .. وفي م . : ذوى الأرحام ، أى : الأقارب .

(٣) هكذا في ط . . وفي م . : « والنهى » أى : الجفاف ، وهو ضد الطراوة والرطوبة ، يقال : رجل وامرأة ييس : لآخر فيما .. وفوت غضارهم ونضارهم ، أى : ذهب حسنهم وجمالهم وإشراق لؤنهم .

(٤) البحرين : الجزن ، وهو الموضع الذى لئس فيه الحبوب وتجمعت فيه الثمار .. وفي ط . : « الحريق » بدل « البحرين » .

(٥) مابن المعرفين عن م . . وساقط من ط . . . ويعنى بالصدر الأول : آباءنا الأولين .

(٦) ومنه يقال : قفر الشيء ، أى تحيثت رائحته ، وقفر الطعام واللحم : قوّد الكود فيه .

(٧) هر : مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الجعفي ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسب المالكية . وُلِدَ سنة ٩٣ هـ بالمدينة ، وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣١٦ - ٣٥٦ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٣ ، ٥٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٩٨ ، ٤٩٩] .

(٨) تشرف الناس ، أى : نظروا إليه من الشرفات والأماكن العالية ، أو رفعوا أبصارهم ينظرون إليه .

(٩) هكذا في ط . . وفي م . : « لم يخلف نحوه » أى : أعرض عنه ولم ينظر إليه .

إِلَّا أَنْتَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مِثْلَكَ ، وَكَانَ عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَمَاتَ هُوَ وَمِسْكِينٌ ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا ، ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا ، ثُمَّ نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَاتَّخَلَطَتْ عِظَامُهُمَا ، فَلَمْ أَعْرِفِ الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ ، فَلِذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي ، وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .

وَرَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي الْجِبَالِ ، إِذْ وَافَى عَلَى غَارٍ ، [فَتَنَظَرَ ^(١)] فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ ^(٢) مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ بِكِتَابٍ مَخْفُورٍ فِيهِ : أَنَا رُسْتَمُ الْمَلِكِ ، مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ ، وَفَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَافْتَرَعْتُ ^(٣) أَلْفَ بَكْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَى مَائِرَى ، فَصَارَ التُّرَابُ فِرَاشِي ، وَالْحَجَارَةُ وِسَادِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا تَعْرِهُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّبَنِي .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ : خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ مَرُّوا بِزُرْعٍ قَدْ أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ^(٥) فَقَالُوا : يَا بَنِي اللَّهِ ، إِنَّا جِيَاعٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ ائْذَنْ لَهُمْ فِي قُوتِهِمْ ^(٦) ، فَأِذْنْ لَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الزُّرْعِ يَفْرَكُونَ ^(٧) وَيَأْكُلُونَ ، فَبَيَّنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ صَاحِبُ الزُّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي ، يَا ذَنِّ مَنْ تَأْكُلُونَ يَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : فَدَعَا عِيسَى رَبَّهُ فَبَعَثَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٨) جَمِيعَ مَنْ مَلَكَ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى سَاعَتِهِ ، فَإِذَا عِنْدَ كُلِّ سَبِيلَةٍ - مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٩) رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ ، كُلُّهُمْ يَنَادُونَ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ

(١) ما بين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهُوَ تَخْلَقُ عَظِيمٌ » وَالْخَلْقُ : الْخَلْقُ .

(٣) فَرَعَ الْبَكْرُ : فَضَّ بَكَارَتِهَا .. وَالْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ : مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ .. كِتَابَةٌ عَنِ الْكَلَّةِ لَاغَى الْحَقِيقَةِ

(٤) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٥) أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ، أَيْ : تَفْضِيجُ .

(٦) فِي « ط » : أَقْوَاتِهِمْ .

(٧) يَفْرَكُونَ الزُّرْعَ : يَحْلُوْنَهُ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى يَزِيلُوا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَشْرِ أَوْ مَاغْلَقَ بِهِ .

(٨) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٩) فِي « ط » : أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

آبَائِي .. فَفَزَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا عَرَفَهُ قَالَ : مَعْرِتُهُ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمْ أَغْرِفَكَ ، زَرَعِي وَمَالِي لَكَ حَلَالٌ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قَدْ وَرِثُوا هَذِهِ الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ^(٢) ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَأَنْتَ مُرْتَجِلٌ عَنْهَا ، وَبِهِمْ لَاحِقٌ ، [وَيْحَكَ] ^(٣) لَيْسَ لَكَ أَرْضٌ وَلَا مَالٌ . وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

وَعَظَنَكَ أَجْدَاثٌ صُمْتُ وَنَعَنَكَ أَرْزَمَةٌ خُفْتُ ^(٤)
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهٍ تَبَلَّى وَعَنْ صَوْرِ سُبْتُ ^(٥)
وَأَرْنِكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ ^(٦)
يَا شَامِتًا بِمَيْيَتِي إِنْ الْمَيِّتَةَ لَمْ تَعُتْ ^(٧)
وَلَرَّيْنَا انْقِلَابَ الزَّمَا نَ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الثُّمْتُ ^(٨)

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ^(٩) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَأَى فَاطِمَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ

(١) مابين المفقوتين عن « ط » .

(٢) عَمَرُ الْأَرْضِ وَعَمَرُهَا : جَمَعَهَا مَعْمُورَةً .

(٣) مابين المفقوتين عن « م » ، وساقط من « ط » .. وَوَيْحٌ : كَلِمَةٌ تَوْجِعُ وَتَرْحُمُ . وقيل : هِيَ بِمَعْنَى « وِيلٌ » ، وَقَدْ مَرَّتْ .

(٤) أَجْدَاثٌ صُمْتُ : أَيْ قُبُورٌ صَامِتَةٌ ، مَفْرُودَةٌ : جَلَدَتْ . وَالتَّغْيُّ : إِذَاعَةُ خَبَرٍ مَوْتِ الْمَيِّتِ .. وَأَرْزَمَةٌ خُفْتُ : أَيْ عَقِيْبَةٌ لَا تَسْمَعُ لَهَا صَوْتًا .

(٥) تَبَلَّى : تَغَيَّرَ . وَسُبْتُ : سَاكَنَ . وَفِي « م » : « سَكُنْتُ » أَيْ : صَامِتَةٌ مُنْقَطِعَةٌ عَنِ الْكَلَامِ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « شُتَّتْ » أَيْ : مُتَفَرِّقَةٌ .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : « فِي الْحَيَاةِ » بَدَلُ « فِي الْقُبُورِ » .

(٧) الثَّمَنَةُ : الْمَوْتُ . وَالشَّامِتُ : الَّذِي يَفْرَحُ بِمَا أَصَابَ عَدُوَّهُ مِنْ بَلَاءٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، وَالْإِسْمُ مِنْهُ : الشَّمَاتُ .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » .. وَفِي « ط » : « الشَّمَاتُ » بَدَلُ « الزَّمَانِ » وَالشَّمَاتُ : مَنْ يُشْمَتُ بِهِمْ لِخِيَاةٍ أَوْ بِلَاءَةٍ (لَا وَاحِدَ لَهُ) .

(٩) هُوَ : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُهَاجِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَابْنُ هَمِّ النَّبِيِّ وَصْهِرِهِ ، وَأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا بَعْدَ خَلِيفَةٍ ، وَلَدَ بِمَكَّةَ ، وَرَوَى فِي حَجَرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَفَارِقْهُ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ بِيَدِهِ فِي أَكْثَرِ الْمَشَاهِدِ ، وَبِظِلِّهِ مُقَدِّمًا فِي جَمِيعِ الْمَعَارِكِ ، وَلَمَّا آخَى النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ أَصْحَابِهِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَخِي .. وَلَدَ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَرَ -

عنها ، مُسَجَّاةً بِثَوْبِهَا ، بَكَى حَتَّى رَأَى ^(١) لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى عِلَّلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلٌ ^(٢)
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الصَّمَاتِ قَلِيلٌ ^(٣)
وَلَا اِئْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ ^(٤)

[وَقَالَ ^(٥) :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ ثَارِكِي أُرِخْنِي فَقَدْ أَقْنَيْتُ كُلَّ خَلِيلٍ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحْبَبْتَهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلٍ

= ابن عفان ، رضى الله عنه ، سنة ٣٥ هـ . وقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم ، ووثقوا على الفتنة ، فخرت ، ففضبت عائشة ، وقام معها جمع كبير ، في مقدمتهم طلحة والزبير ، وقتلوا عليها ، فكانت وقعة الجمل ، سنة ٣٦ هـ وظفر على بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف .. ثم كانت وقعة « صفين » سنة ٣٧ هـ ضد معاوية بعد أن عزله على عن ولاية الشام ، وقُتل فيها من الفريقين سبعون ألفاً ، وانتهت بالتحكيم ، وخلع على .. قتل - كرم الله وجهه - غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ ، واختطف في مكان قبره ، فقبيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل بنصف الحيرة ، وقيل غير ذلك .

أما فاطمة ، فهي : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأما خديجة بنت خويلد ، ولدت في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة ، وتزوجها على بن أبى طالب وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر ، وتوفيت - رضى الله عنها - سنة ١١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وج ٥ ص ١٣٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦١ - ٨٧ وج ٢ ص ٣٩ - ٤٣] .

(١) مُسَجَّاةً : مُتَطَفَّة . وَرَفَى لَهُ ، أى : تعاطف معه الناس ورفقوا له .

(٢) هكذا ترتيب الآيات الثلاثة في « م » وكذا في ديوان الإمام « على » الذى جمعه عبد العزيز الكرم على الرواية الصحيحة ، وديوانه الذى حققه د . خفاجى .. وفى « ط » جاء البيت الثانى مكان الأول . أما فى العقد الفريد ، فقد ورد البيتان ، الثانى والثالث فقط ، وكذلك فى أعلام النساء .

[انظر العقد الفريد ج ٣ ص ١٩٨ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٣١ ، وديوان الإمام على ، لعبد العزيز الكرم ص ٩٩ ، وديوانه بتحقيق د . عبد المنعم خفاجى ص ٢٤٣] .

(٣) هكذا فى « م » وفى « ط » .. وفى الديوان ، والعقد الفريد ، وأعلام النساء : « وكل الذى » .

(٤) هكذا فى « م » و« ط » والمصادر السابقة .. وفى حاشية « م » أن الشطر الأولى وردت فى نسخة : « وإن ائْتِقَادِي فاطمًا يَتَذَرُ أَحْمَدَ » وأحمد : اسم من أسماء الرسول ، صلى الله عليه وسلم . والحليل : الصديق والصاحب .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وجاءت الآيات الخمسة فى « م » متصلة .. وفى الديوان ، وغيره من المصادر ، أن هذين البيتين الأخيرين قالهما - رضى الله عنه - بعد شهادة « عَمَّارِ بْنِ بَاسِرٍ » .

وَلَمَّا نَفَضَ يَدَيْهِ مِنْ تَرَابِهَا تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ بَعْضُهُ يَنصِي ضَبَّةً ^(١) :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَسْرَةً أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ ^(٢)

أَجْلَايَ ! لَوْ غَيْرَ الْجَمَامِ أَصَابَكُمْ عَنَيْتُ ، وَلَكِنْ مَاعَلَى الْمَوْتِ مَعَتَبٌ ^(٣)

وَقَالَ النَّبَائِيُّ ^(٤) :

قُلْتُ لِلْفَرَقْدَيْنِ وَاللَّيْلُ مُلْبِي سُوْدَ أَكْتَنَافِهِ عَلَى الْآفَاقِ ^(٥)

(١) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « أُمِيَّة » بدل « ضَبَّة » ، وهو خطأ .. والشاعر الذي قال هذين البيتين هو : القطميش بن عمرو بن عطية من بني شَقْرَةَ بن كعب ، من ضَبَّة ، وهو من شعراء الحماسة الشجرية ، وفي شعره رقة . والقطميش يُطلق على الظالم والجائر ، وعلى كليل البصر وقد ورد في اللسان - ط دار المعارف - ضبط شَقْرَةَ بضم الشين وسكون القاف ، ويفتح الشين وكسر القاف .. وفي ط بيروت - وفي معجم قبائل العرب هكذا أيضاً في جميع صورها .. وخالفْتُ هذا الضبط هنا حيث ورد في الإكمال - لابن ماكولا - أن « شَقْرَةَ » بضم الشين وسكون القاف ، هو شَقْرَةُ بن نكرة بن لكيز بن أَقْصَى (وهو غير شاعرنا) أما « شَقْرَةَ » بفتح الشين وكسر القاف ، فهو : شَقْرَةُ بن الحارث بن تميم بن مُرٍّ ، وأما « شَقْرَةَ » بفتح الشين أيضاً وسكون القاف ، فهو : شَقْرَةُ بن نبت بن أدد .. وشَقْرَةُ بن ربيعة بن كعب من سعد بن ضَبَّة .

[انظر لسان العرب ، مادة « عب » ط دار المعارف ، والإكمال (باب شقرة) بصورها الثلاث ج ٥ ص ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٠١ ، والأعلام ج ٥ ص ١٢٠] .

(٢) البيت في لسان العرب :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ يَتَنِي غَيْرُهُ أَرَى الدُّمْرَ يَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ

والأَجْلَاءُ : جمع خليل ، وهو الصديق ، وقد سبق ، وفاضت دموعي : بكيت .

(٣) أَجْلَايَ : أصلها أَجْلَاءُ ، وجاءت هنا بالتصغير للضرورة ، لئلا ياء الإضافة . أرى : بأصداقنا والجمام : قضاء الموت وقدره . وعَنَيْتُ هنا بمعنى سَخِطْتُ أرى : لَوْ أَمِيتُكُمْ فِي حَرْبٍ لَأَفْرَسْنَا بِأَرْحَمِ وَانْتَصَرْنَا لَكُمْ ، ولكنَّ الدُّمْرَ لَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ .

[انظر اللسان مادة « عب »]

(٤) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب الصغلي ، شاعر مجيد ، وخطيب بليغ ، وهو من أهل يَثْرِبَين بالشام ، ويتصل نسبه بعمرو بن كلثوم (الشاعر) .. قدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف ، وله رسائل مُسْتَحْسَنَةٌ ، وكان يجنب غشيان السلطان قناعة وتنزهاً ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد . وشغف بالعزلة والاعتزال ، وبالأدب الفارسية ، وله من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألقاظ ، وغيرها . توفي سنة ٢٢٠ هـ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٦٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٣١ ، وطبقات الشعراء ص ٢٦١ - ٢٦٣ ، ومعجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦ - ٣١ ، والأغانى ج ١٣ ص ٤٦٢٧ - ٤٦٢١ ط الشعب ، وقرأ ماكتبه عنه د . شوقي ضيف في موسوعة تاريخ الأدب العربي ج ٣ ص ٤١٩ ومابعدها ط دار المعارف] .

(٥) في (م) : « قُل » بدل « قُلْتُ » .. والفرقدان : ثَجَمَان في السماء لا يُفَرِّقان ، والمراد هنا : الصاحبان =

أَبْقَا مَا بَقِيَئَا فَسَيَّرَمِي بَيْنَ شَخَصِيكُمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ
عَرَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَمُوتَ الْمَتَايَا وَعُرَاهَا فَلَا جِدَّ الْأَعْتَاقِ ^(١)
كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتَعَا بِاجْتِمَاعِ ثُمَّ صَارَا لِغُرْبَى وَأَفْتِرَاقِ ^(٢)
لَا يَدُومُ الْبَقَاءُ لِلْخَلْقِ لَكِ سَنَ دَوَامِ الْبَقَاءِ لِلْخَلْقِ ^(٣)
وَأَلْشَدَّنِي بَعْضُ الْأَذْبَاءِ ^(٤) :

أُسْعِدَانِي يَا تَحَلَّتْنِي حُلُوَانِ وَارْتِيَا لِي مِنْ رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ ^(٥)
وَلَعَمْرِي لَوْ دُتُّنَا أَلَمَ الْفَرِّ قَةِ أَبْكَرِكُمَا الَّذِي أَبْكَانِي ^(٦)

= اللذان لا يفترقان .. وسُود أكتايته : يعنى أستاره وظلاله السوداء .

(١) عَرَّ : جَهَلَ الأمورَ وغَفَلَ عنها .. والمَتَايَا : جمع مَيَّة ، وهى الموت .. وَعُرَاهَا : العُرَى جمع عُزْوَة ، وهى طَوَقُ القلادة ، وعُزْوَة الكوز أو القميص ونحوهما : تَقْبِضُهُ . والقِلَاد ، جمع قلادة ، وهى ما يُجْعَلُ فى العُنُق من خَلْي ونحوه .

(٢) الصَّفِيَّيْنِ : الصديق ، أو ماتصطفيه وتفضله من الناس .

(٣) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : ... لكن دوام طول البقاء للخلق .

(٤) الأبيات ليست لبعض الأدباء المعاصرين للطروشى - رحمه الله - بل هى لمطبع بن إياس اللبى ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى فى وقت قتاله عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة ، وتزوج بها ، فَوَلَدَ له « مطبع » .. ومطبع من محضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان ظريفاً مليح النادرة ، ماجناً ، مُتَّهِماً بالزندقة ، مدح الوليد بن يزيد وتادمه فى العصر الأموى ، وانقطع فى الدولة العباسية إلى جعفر المنصور ، فكان معه إلى أن مات .. وأقام ببغداد زمناً ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦٦ هـ وأخباره كثيرة فى كتاب الأغاني وتاريخ بغداد وغيرها من كتب الأدب .

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٧٨٨ وما بعدها ، والأعلام ج ٧ ص ٢٢٥ ، ولسان العرب ، مادة « حلا » ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٩١ وما بعدها] .

(٥) حُلُوان : مدينة كبيرة عامرة بالعراق . وكان لمطبع بن إياس جارية يحبها ، فاضطر إلى بيعها ، وندم على ذلك ، وتبعتها نفسه ، فنزل « حلوان » وجلس ينظر مستمداً إلى نخلة على العقبة ، وإلى جنبها نخلة أخرى ، فذكر الجارية واشتاق إليها ، فأشدد هذه الأبيات ، وقد بلغت اثنى عشر بيتاً فى الأغاني .. وجاء فى اللسان والأغاني : « وابكيا لى » بدل « وارثيا لى » وفى معجم البلدان : « وابكيا لى » بالنون .

[انظر المراجع السابقة]

(٦) هكذا ترتب الأبيات فى « ط » وفى الأغاني ، وفى معجم البلدان .. وفى « م » جاء البيت الثانى مكان الثالث ، وفيها « ولعمري » بدل « ولعمري » .. وفى « ط » : « حرق » بدل « ألم » ، وهى بمعناها .

وَاعْلَمْنَا إِن بَقِيَّتُهُمَا أَنَّ نَحْسًا سَوَفَ يَأْتِيكُمَا فَتَقْتَرِيَانِ ^(١)

ولما سافر الرشيد إلى «طوس» ^(٢) وعك في طريقه من حر أصابه ، فقال له الطبيب : لا يتركك إلا جمار ^(٣) النخل ، وكان نزوله قريباً من هاتين النخلتين ، فأمر بقطع جمار إحدى النخلتين ، فلما مثل بين يديه أنشدته بعض الجلساء هذه الأبيات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين ، فقال الرشيد : لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما .

ولما مات الإسكندر قال أرسطو طاليس ^(٤) : أيها الملك [لقد] ^(٥) حرمتنا بسكونك . وقال بعض الحكماء من أصحابه : كان الملك أمس أطلق منه اليوم ، وهو ^(٦) اليوم أوعظ منه أمس ، فنظمه ^(٧) أبو المتاهية فقال :

كفى حزناً بدينك ثم ألمي نفضت ثراب قبرك من يدَي

(١) هكذا البيت في «ط» وفي «م» .. وفي الأغاني ومعجم البلدان : «أسجداني وأيقنا أن نحسا» .. وفي رواية : «سوف يلقاكما بدل «سوف يأتيكما» [انظر المراجع السابقة]

(٢) طوس : مدينة بخراسان ، وبها قبر هارون الرشيد .. وعك : مَرَضُ أو أصابه التعب من شدة الألم .
(٣) الجمار : قلب النخل .

(٤) الإسكندر هو : الإسكندر الأكبر «المقدوني» الملقب بذي القرنين ، وُلِدَ سنة ٣٥٦ قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - وتوفي سنة ٣٢٤ ق . م .. كان من أعظم الفُزاة والفاثين وأشجعهم .

أما أرسطو طاليس ، أو أرسطو ، فهو أستاذ الإسكندر الأكبر ومؤدبه ، وهو فيلسوف يوناني كبير ، وُلِدَ سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، وتوفي سنة ٣٢٢ ق . م .. وقد تأثرت بواحد التفكير العربي بتأليفه التي نقلها إلى العربية النقلة السريانية ، وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب «المشائين» .

[انظر خيرهما في دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٨١ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ١ ص ١٨٢ وما بعدها]
مادة إسكندرية ، والنجد في الأعلام ، وغير ذلك من المصادر .

(٥) ما بين المعقوفين عن «ط» وساقط من «م» .

(٦) في «م» : «وهذا» بدل «وهو» .

(٧) في «م» : «نظمه» .. وقد نظم أبو المتاهية ستة أبيات - منها هذان البيتان - لما دُفِنَ «علي» بن ثابت فوقف أبو المتاهية يكي على قبره ويؤدّد هذه الأبيات ، وأولها :

ألا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أَعْيَا وَمَنْ لِي أَنْ أَبْكِكَ مَا لَيْدَا
طَوَّلْتَ خَطُوبَ ذَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَلِكَ خَطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيَا

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِطَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا ^(١)
وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ : « قَهَرْنَا مَنْ قَهَرْنَا فَصِرْنَا لِلنَّاطِلِينَ عِيرَةً .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغْتَرَّ ^(٢) :

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهَرُّ مَرَاحِلُ ^(٣)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ حَطَّتْهُ الْأُمَانِيُّ بِاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ ^(٤)
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بِرَادٍ مِنَ التَّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ ثُمَّ قَلَائِلُ ^(٥)

وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٦) الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، اُسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ تَاصِحٌ ،
فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَالِي أَرَأَيْكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تُسْكُنُونَ ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، إِنَّ

(١) هكذا البيت في الديوان .. وفي « ط » : « من » بدل « في » .. وفي « م » : « أنطق » بدل « أوعظ » .
[انظر الأبيات في ديوانه ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ط دار صادر]

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ابن التوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد العباسي : شاعر مُبدع ، وُلِدَ في بغداد سنة ٢٤٧ هـ ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، وله تصانيف كثيرة .. أَلَتْ الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي ، واستصره القُوَاد فخلعوه ، وأقبلوا على ابن المعتز وبايعوه بالخلافة ، وتقبَّوه « المرتضى بالله » ، وقيل : « المنتصر بالله » ، فأقام يوماً وليلة ، ووُذِبَ عليه فخلعوه ، وعاد « المقتدر » يقبض عليه ، وسلمه إلى خادم له فخنقه سنة ٢٩٦ هـ ، وقيل : مات في الحبس ، وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة وسبعة أشهر وأيام .. ولشعره مَرَاثٍ كثيرة فيه .. وصارت خلافة ابن المعتز تُضرب مثلاً فيمن لا تطول مدُّته ويسرع انقضاؤه .
[انظر ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي ص ١٩١ - ١٩٤ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ - ١٠١] .

(٣) المراحل : جمع مَرَحَلَةٍ ، وهي المسافة يقطعها السائر في نحو يوم ، أو هي ما بين المنزلتين .

(٤) في الديوان : « والشيب في الرأس شامل » بدل « شاعِل » ، وكلاهما بمعنى : مُتَشَتِّر .

(٥) في الديوان « قلائل » بتسهيل الهجزة .

[انظر القصيدة في ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ ، ٤١٣ ط دار المعارف] .

(٦) هو : عُزَيْرُ بْنُ مَالِكٍ [أو ابن عامر ، أو ابن زيد - فيه خلاف] ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء .. من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم . وفي الحديث : « عويمر حكيم أمتي » . ولأه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاضي بها .. وقال ابن الجوزي : كان أبو الدرداء من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بلا خلاف .. توفي - رحمه الله - بالشام سنة ٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٢٧] .

الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا ^(١) ، وَأَمَلُوا يَبْعِدًا ، وَجَمَعُوا كَثِيرًا ، فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا ، وَجَمَعَهُمْ بُورًا ، وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا .

وَرَوَى الْجَا حِظُ ^(٢) قَالَ : وَجِدَ مَكْتُوبًا ^(٣) عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ ، لَزَهَدْتَ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ ، وَلَرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ ، وَلَقَصَرْتَ عَنْ جِرْصِكَ وَحِيلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ ، لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَتْ أَهْلُكَ وَحَشَمَتُكَ ، وَثَبَرًا مِنْكَ الْقَرِيبُ ، وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ ، فَلَا أَتَتْ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ ، وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) : يَلْعَنِي أَنْ أَمْرَأَتَيْنِ أَتَا عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) فَقَالَا : يَا رُوحَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ [لَنَا] ^(٦) أَنْ يُخْرِجَ [لَنَا] أَبَاتَا ، فَإِنَّهُ هَلَكَ وَتَحْنُ غَائِبَتَانِ عَنْهُ . قَالَ : تَعْرِفَانِ قَبْرَهُ ؟ فَقَالَا : نَعَمْ . فَلَهَبَ مَعَهُمَا فَأَتَا قَبْرًا فَقَالَا : هَذَا هُوَ . فَدَعَا اللَّهَ ، فَأَخْرَجَ لَهُمَا ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِهِ ، فَدَعَا فَرَدُّ ، ثُمَّ دَلَّاهُ عَلَى قَبْرِ آخَرَ ، فَدَعَا أَنْ يُخْرِجَ ،

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « شديدًا » تحريف .

(٢) في « ط » : « الجاحظ » تحريف .

والجاحظ هو : عُثْرُو بْنُ بَحْرٍ بن محبوب الكناfi بالولاء ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، من كبار أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية ، من المعتزلة ، وُلِدَ في البصرة سنة ١٦٣ هـ ، وكان مُتَوَهِّجُ الخُلُقَةِ ، ومات والكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ ، وكان قد جاوز التسعين . وللجاحظ تصنيفات كثيرة منها : البيان والبيان ، والحياوان ، وسحر البيان ، والتاج - ويسمى أخلاق الملوك - والبخلاء ، وغيرها كثير ، قال عنه ابن يزداد : « وهو - أي الجاحظ - نسيج وَخُوْدِي في جميع العلوم ، جمع بين علم الكلام ، والأخبار ، والفنبا ، والعربية ، وتأويل القرآن وأيام العرب » .

[انظر كتاب طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى - ط بيروت ص ٦٧ وما بعدها ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٢ - ٢٢٠ ، ومعجم الأدياء ج ٢ ص ٧٤ - ١١٤] .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مكتوب » بالرفع . و« وجد » من الأفعال التي تنصب مفعولين .

(٤) سبق التعريف به .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أتيا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم »

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » في الموضعين .

فَخَرَجَ [فَإِذَا هُوَ] ^(١) فَلَزِمَتْهُ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتَا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ ، اذْعُ
اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٢) أَنْ يَبْقِيَهُ مَعَنَا ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَدْعُو لَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ رِزْقٌ يَعِيشُ بِهِ ، ثُمَّ
رَدَّهُ وَأَنْصَرَفَ .

وَأَشَدَّنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَأَسْفَى مِنْ فِرَاقِ قَرَمٍ	هُمُ الْمَصَابِيحُ وَالْحُصُونُ
وَالْمُزْنُ وَالْمَدُنُ وَالرَّوَاسِي	وَالْخَيْرُ وَالْأَمْنُ وَالسُّكُونُ ^(٣)
لَمْ تَغْيِرْ بِنَا اللَّيَالِي	حَتَّى تَوَفَّيَهُمُ الْمَنُونُ ^(٤)
فَكُلُّ جَمْرٍ لَنَا قُلُوبٌ	وَكُلُّ مَاءٍ لَنَا عُيُونُ

وَرَوَى أَنَّ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُثَنِّدِ خَرَجَ مُتَصِيدًا ، وَمَعَهُ عِدَّةٌ بَنُ زَيْدٍ ، فَمَرُّوا ^(٥)
بَشَجَرَةٍ ، فَقَالَ عِدَّةٌ بَنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتُنْذِرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .
قَالَ : فَإِنَّهَا ^(٦) تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ	أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالٍ ^(٧)
[وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَتَقَى لَهَا	وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُ الْجِبَالِ] ^(٨)
رُبُّ رَكِبٍ قَدْ أَتَانُحُوا حَوْلَنَا	يَشْتَبُهُونَ الْخُمَرَ بِالمَاءِ الزُّلَالِ ^(٩)

(١) ما بين المقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) ما بين المقوفتين عن « م » .

(٣) الْمُزْنُ : السحاب .. يريد تشبيههم بالسحاب في الجود . والرواسي : الجبال .

(٤) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « تَغْيِرُ » بتاعين ، وماورد في « م » هو الصحيح ، فيه يستقيم الوزن .

(٥) هكذا في « م » و « ط » .. والمناسِبُ للمقام أن يقال : « نَمَرُوا » .

(٦) في « ط » : « إِنِّهَا » .

(٧) في « ط » : « مَسْأَلٍ » بدل « زَوَالٍ » .

(٨) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٩) الرُّكْبُ : أصحاب الإبل في السفر دون الدواب ، وهم المشقة فما فوقها . والركبان : الجماعة منهم . والماء
الزُّلَال : العذب .

عَمَرُوا الدَّهْرَ بَعِثْ حَسَنَ آمِنَى دَهْرَهُمْ غَيْرِ عِمَالٍ ^(١)
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ : ثُمَّ جَاوَزُوا الشَّجَرَةَ فَمَرُّوا ^(٢) بِمَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عِدَى : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .. قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ :

أَيَا الرُّكْبُ الْمُخْبُونَا عَلَى الْأَرْضِ الْمُجِدُونَا ^(٣)
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا كَمَا نَحْنُ تُكُونُونَا ^(٤)

فَقَالَ الثُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ ^(٥) أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا يَتَكَلَّمَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظْمِي ^(٦) فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي ^(٧) خَيْرًا ، فَمَا السَّبِيلُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا ^(٨) النَّجَاةُ ؟ قَالَ : تُدْعُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، قَالَ : وَفِي ^(٩) هَذِهِ النَّجَاةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَرَكَ ^(١٠) عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ يَوْمئِذٍ ^(١١) وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ [بْنُ] ^(١٢) الْمُعَلِّمُ : خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا ، فَلَمَّا كُنَّا

(١) غير عِمَال : أَي مَقْرَبِينَ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » بِالْجَمْعِ .. وَفِي « م » : « وَم جَاوَز » ، أَي : عَدَى ، أَوْ الثُّعْمَانُ .

(٣) هَكَذَا الْبَيَانُ فِي « ط » .. وَفِي « م » : « أَيُّهَا » مَكَانَ « أَيَا » ، وَجَاءَتْ الْمُخْبُونَا ، وَالْمُجِدُونَا ، وَتَكُونُونَا - بِدُونِ أَلِفٍ .. وَالْمُخْبُونُونَ : الْمُسْرِعُونَ ، وَمَجَاءُ فِي « ط » هُوَ الصَّحِيحُ ، وَبِهِ يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ .

(٤) فِي « م » : « وَرُكَا » .

(٥) فِي « م » : « عَلِمْنَا » .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : تَعِظْنِي .

(٧) فِي « م » : عَنَّا .

(٨) فِي « ط » : « فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تَدْرِكُ بِهِ النَّجَاةُ ؟ » . وَكَلَامُهَا صَوَابٌ ، فَالسَّبِيلُ يُدْرِكُ وَيُؤْتِي .

(٩) فِي « ط » : « فِي » بِحَذْفِ الْوَاوِ .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « قَالَ : فَتَرَكَ » .

(١١) فِي « م » : حِينَئِذٍ .

(١٢) مَا يَنْبَغِي لِلْمُقَرَّبَيْنِ عَنْ « ط » .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ هَكَذَا فِي الرِّسَالَةِ الْقَشِيرَةِ [ج ٢ ص ٥٨٠ - وَغَيْرِهَا] وَوَرَدَ بِغَيْرِ « ابْن » فِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَةِ [ص ١٢٧ وَغَيْرِهَا] .

وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُضْلُوَيْهِ الْمُعَلِّمُ .. مُخَلَّتْ ، وَرَاوِيَةٌ ، سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُنَازِلَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ الرَّازِي ، وَأَبْنَى الْعَبَّاسِ الدُّيُونِيُّ ، وَغَيْرِهِمْ .

بِالرُّؤْيَةِ ^(١) نَزَّلْنَا ، فَوَقَفَ بِنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ [لَيْسَ] ^(٢) لَهُ مَنْظَرٌ وَهِيئةٌ فَقَالَ : مَنْ يَبْغِي ^(٣) خَادِمًا ؟ مَنْ يَبْغِي سَاقِيًا ؟ فَقُلْتُ : ذُوكَ هَذِهِ الْقَرْيَةُ ^(٤) ، فَأُخَذَهَا فَأَنْطَلَقَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا ، حَتَّى أَقْبَلَ وَقَدْ امْتَلَأَتْ أَثْوَابُهُ طِينًا ، فَوَضَعَهَا كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ، ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ ^(٥) هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . وَأَطْعَمْنَاهُ قُرْصًا بَارِدًا ، فَأُخَذَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٦) وَشَكَرَهُ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ وَقَعَدَ فَأَكَلَهُ أَكْلًا جَائِعٍ ، فَأَذْرَكْنِي عَلَيْهِ الرَّافَةُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ ، فَقُلْتُ [لَهُ] : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَ مِنْكَ الْقُرْصُ بِمَوْجِعٍ ، فَذُوكَ هَذَا الطَّعَامُ . فَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ^(٧) ، إِنَّمَا هِيَ قَوْرَةٌ جُورٌ ، فَمَا أَبَالِي بِأَيِّ شَيْءٍ رَدَدْتُهَا . فَرَجَعْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي : أَتَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَانَ يَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ^(٨) قَتَابَ ، فَمَحَرَجَ مِنْهَا ، فَتَفَقَّدَ فَمَا عُرِفَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا وَقَفَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُ ^(٩) بِهِ وَأَسْتَيْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي ^(١٠) ، فَإِنْ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي ، فَجَزَانِي خَيْرًا وَقَالَ : لَوْ أُرَدْتُ هَذَا لَكَانَ لِي مُعَدًّا ، ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، كُنْتُ أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ، وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَبَذَخٍ ، وَإِنِّي أُمِرْتُ خَادِمًا لِي أَنْ تُحْشَوْ فِرَاشًا لِي

(١) الرُّؤْيَةُ : موضع بينه وبين المدينة مسيرة ليلة .. وقيل : اسم منتهلة من المناهل التي بين المسجدين - يريد مكة والمدينة - والمنتهلة : الموضع الذي فيه المشرب .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « وله منظر وهيئة » وثياب رَثَّةٌ : بالية

(٣) في « م » : « يَبْغِي » في الموضعين .

(٤) دونك : اسم فعل أمر بمعنى : اخُذ . والقَرْيَةُ : وعاء من جلد يُحْفَظُ فيه الماء .

(٥) أَى : أتريدون غير هذا ؟

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » في الموضعين .

(٧) في « م » : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ » .. وَقَوْرَةُ الجُورِ : منتهلة .

(٨) في « م » : « بِالْبَصْرَةِ » .

(٩) في « م » : « تَجَمَّعْتُ مَعَهُ » .

(١٠) يقال : عَادَلْتُ بَيْنَ الشَّيْعَيْنِ ، أَى : وَزَنَ . وَعَادَلْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ : سَوَاهُ بِهِ ، وَجَعَلُهُ مِثْلَهُ قَائِمًا مَقَامَهُ . وَعَادَلْتُ فَلَانًا فِي الْمَحْضَلِ : رَكِبَ نَعْمَهُ . وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا .

مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةٌ بَوْرِدٌ نَثِيرٌ ^(١) فَقَعَلْتُ ، وَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بُقْمَعٌ وَرَدَّةٌ قَدْ أَغْفَلْتُهَ الْخَادِمُ ،
فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَأَوْجَعْتُهَا ضَرْبًا ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْمِخْدَةِ ،
فَأَتَانِي آتٌ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيلَةٍ ، فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفَقَ مِنْ غَشْيَتِكَ ، أَبْصِرْ مِنْ
خَيْرَتِكَ ، ثُمَّ أَشَأْ يَقُولُ :

يَا خَدُّ إِلَيْكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْسَا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمُّ الْجَنْدَلِ ^(٢)
فَأَمْهَدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَنْتَدِمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ ^(٣)

فَاتَّبَعْتُهَا فَرِعًا ، فَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي .

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ^(٤) : ذَكَرَ لِي أَنَّ فِي جَوَانِبِ الْأُبُلَّةِ ^(٥) جَارِيَةً مَجْنُونَةً ، تُنْطَلِقُ
بِالْحِكْمَةِ ، فَلَمَّا أَرَلَّ أَطْلُبَهَا حَتَّى وَجَدْتُهَا فِي حَرِيَةٍ ^(٦) جَالِسَةً عَلَى حَجَرٍ ، وَعَلَيْهَا جُبَّةٌ
صُوفٌ ، وَهِيَ مَخْلُوقَةُ الرَّأْسِي ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، قَالَتْ مِنْ غَيْرِ أَنَّ
أَكَلَمَهَا : مَرْحَبًا بِكَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ . فَقُلْتُ لَهَا : رَحَّبَ اللَّهُ بِكَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا
لِي ، وَلَمْ تَرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ هَاهُنَا ؟ فَقُلْتُ ^(٧) : جِئْتُ
لِتَعِظُنِي ، فَقَالَتْ : وَأَعَجَبَاهُ لِوَاعِظٍ يُوعِظُ ! ثُمَّ قَالَتْ : يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ ، اعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ

(١) نثير : منشور .. وفي « ط » : نثر .

(٢) مخاطب « خدّه » قائلًا : إنك إن اتخذت لك في الدنيا وسادة ناعمة ليته فسوف تكون وسادتك بعد الموت
حجارة صماء

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « صاعداً » بدل « صالحاً » .. فَأَمْهَدَ لِنَفْسِكَ : أى هيء لِنَفْسِكَ فِرَاشاً من
العمل الصالح في الدنيا .

(٤) هو عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد .. شيخ الصوفية وواعظهم « لحق الحسن البصري وغيره ، وكان
مجاوب الدعوة ، وقيل : إنه صلى القعدة بروض العشاء أربعين سنة » وله مواعظ وأحاديث ، وأُخِذَتْ عليه بعض
المنكرات ، وَوَقَّعَهُ ابْنُ مَعِينٍ .. تولى - رحمه الله - سنة ١٧٧ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧ ، والرسالة القشيرية
ص ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ وغيرها ، وطبقات الأولياء ص ١٨٣] .

(٥) في « م » : « خراب » بدل « جوانب » .. والأُبُلَّةُ : بَلَدَةٌ على شاطئ دجلة بالبصرة .

(٦) هكذا في « م » .. وَالْحَرِيَّةُ وَالْجَزْبَةُ : موضع الخراب .. وفي « ط » : « خرابة » .

(٧) في « م » : قلت .

إِذَا كَانَ فِي كِفَايَةِ ثَمَّ مَالٍ إِلَى الدُّنْيَا ، سَلَبَهُ اللَّهُ حَلَاوَةَ الزُّهْدِ ، فَيُظَلُّ حَيْرَانَ وَإِلَهَا ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تُصِيبَ عِنْدَ اللَّهِ عَائِبُهُ وَخِيَا فِي سِرِّهِ ، فَقَالَ : عَيْدِي أُرْذْتُ أَنْ أُرْفَعَ قَدْرَكَ عِنْدَ مَلَائِكَتِي وَحَمَلَةِ عَرْشِي ، وَأَجْعَلَكَ دَلِيلًا لِأَوْلِيَائِي وَأَهْلٍ طَاعَتِي [فِي أَرْضِي] فَمِلْتَ إِلَى عَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ ^(١) الدُّنْيَا وَتَرَكْتَنِي ، فَوَرِثْتَكَ بِذَلِكَ الْوَحْشَةَ بَعْدَ الْأَنْسِ ، وَالذَّلَّ بَعْدَ الْعِزِّ [وَالْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى] ^(٢) . عَيْدِي ، أَرْجِعْ إِلَيَّ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَرْجِعْ لَكَ مَا كُنْتَ تُعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِكَ [قَالَ] ^(٣) : ثُمَّ تَرَكْتَنِي وَوَلَّتَ عَنِّي ، وَانْصَرَفْتَ عَنْهَا ، وَبَقِلْتِي حَسْرَةً مِنْهَا . وَأَنْشُدُوا ^(٤) :

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَّا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآئِلِ
تَعَجَّلُ الذَّلْبَ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ ^(٥)
وَالْمَوْتَ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَا ذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلِ ^(٦)

وَلَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ^(٧) الْحِجْرَةَ قِيلَ لَهُ : هَا هُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ،

(١) مابين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « غرض من أغراض الدنيا » بالغين المعجمة ، وكلاهما صواب ، فالغرض بالغين المعجمة : البَقَّةُ والحاجة .. والغرض - بالغين المهملة : متاع الدنيا ، قل أو أكثر .

(٢) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٣) مابين المعقوفين عن « م » .

(٤) الأبيات وردت في كتاب « أدب الدنيا والدين » للماوردي ، قال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره ، فرأته قائماً ويده رقعة ، فقال : يا محمد ، أقرأت ملفها ؟ فقلت : هي في يد أمير المؤمنين . فرمى بها إلي ، فإذا فيها مكتوب [وذكر الأبيات الأربعة] فلما قرأها قال المأمون : هذا من أحكم شعر قرأته . [انظر أدب الدنيا والدين للماوردي - ط الدار المصرية اللبنانية ص ١٣٤] .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي أدب الدنيا والدين : « تَعَجَّلُ بِالذَّلْبِ لِمَا تَشْتَهِي » .

(٦) ماذا : أي ما هنا .. والبيت في المصدر السابق :

والموت يأتي بعد ذَا « بختة » « ماذاك يُقْبَلُ » الحازم العاقل

(٧) هو : سعد بن أبي وقاص ، مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أبو إسحاق ، الصحابي الأمير ، فاتح العراق ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عيَّنه عمر بن الخطاب للخلافة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد المشركين المبشرين بالجنة .. وُلِدَ سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وأسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفتح القادسية ، ونزل أرض الكوفة فجعلها =

يُقَالُ لَهَا الْخُرْقَةُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(١) ، وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِّ عَقَائِلِ ^(٢) الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى يَتِيمَتَيْهَا تُشِيرُ [عَلَيْهَا] ^(٣) أَلْفَ قَطِيفَةٍ خَزْ ^(٤) وَدِيْنَاجٍ ، وَمَعَهَا أَلْفٌ وَصِيفٌ وَوَصِيفَةٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ ، فَجَاءَتْ كَالشَّنِّ الْبَالِي ^(٥) ، فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ ، كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبَصْرِ قَبْلَكَ ، يُجِبِي ^(٦) إِلَيْنَا خَرَاجَهُ ، وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ ، حَتَّى صَاحَ بَنَا صَابِغِ الدَّهْرِ ، فَشَتَّتْ شَمْلَنَا ^(٧) ، وَالذَّهْرُ ذُو نَوَائِبٍ وَصُرُوفٍ ، فَلَوْ رَأَيْنَا فِي أَيَّامِنَا لِأَرْعَدَتْ فَرَائِصُكَ [قَرَعًا] ^(٨) مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : مَا أَنْتُمْ مَا تَتَعَنَّتُمْ بِهِ ؟ قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، وَكَثْرَةُ الْأَصْنَافِ إِذَا دَعَوْنَا ، ثُمَّ أَثْنَاءُ تَقُولُ :

= يَطْعَمُ لِقِبَالِ الْعَرَبِ (شِبْهَ الْقَطَائِمِ) وَظَلَّ وَالْيَا عَلَيْهَا مَدَّةَ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَقْرَبُهُ عِفَانُ زَمَنًا ثُمَّ هَزَلَهُ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٥٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٩ وغيرهما من المراجع] .

(١) هي : الْخُرْقَةُ [أَوْ خُرْقَةُ] بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ أُمْرِئِ الْقَيْسِ ، مِنْ بَنِي لُحَمٍ ، شَاعِرَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمُلُوكِ فِي قَوْمِهَا بِالْحَبِيرَةِ - عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْكُوفَةِ - وَقَدْ تُسَيِّتُ إِلَى الثُّعْمَانِ أَرْبَعَ بَنَاتٍ ، مِنْ : هُنْدَ : وَخُرْقَةَ ، وَخُرَيْقَةَ ، وَغَنَفَقِيرَ ، وَتَحْلُطُ أَصْحَارُ هُنْدَ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بِمَرَقَةٍ ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ بِنْتُ الثُّعْمَانِ ، بَلْ كَانَتْ أخته ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ وَالدَّهَا الثُّعْمَانُ زَوْجُهَا مِنْ عَيْدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، وَقَدْ عَاشَتْ حَتَّى أُدْرِكَتِ الْإِسْلَامُ ، وَكَانَتْ مُتَرْقِبَةً ، فَلَمْ يَقْبَلِ الدَّخُولَ فِيهِ ، وَحَتَّى رَأَتْ الدُّنْيَا كَيْفَ أُدْبِرَتْ عَنْ أَهْلِهَا .. وَنَظَرَتْ فِي حَالِهَا بَعْدَ هَلَاكِ أَهْلِهَا فَذَكَرَتْ ذَلِكَ فِي شِعْرِهَا - وَمِنْ هَذِهِ الْبَيَانِ الْمَذْكُورِ أَنَّهَا - وَذَكَرَ الْمُسَوْدِيُّ أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، يَوْمَ أَتَتْهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهَا .. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ الْوَارِدَةَ هُنَا . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ ، وَأَحْسَنَ جَلَّازَتِهَا .. تَوَفَّيَتْ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ تِسْعُونَ سَنَةً .

[انظر المُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، لِمُجَوَّدِ عَلِيٍّ ، ج ٣ ص ٢٨٦ وَمَابَعْدُهَا ، وَالْأَعْلَامُ ج ٢ ص ١٧٣ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ج ٢ ص ٣٢٨ ، وَأَعْلَامُ النِّسَاءِ لِكَحَالَةَ ج ٥ ص ٢٥٩ - ٢٦٥] .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « قِبَائِلُ » . وَالْمَقَالُ : جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الزَّوْجَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيِّدَةِ الْقَوْمِ .

(٣) مَا يَمِينُ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « حَرِيرٌ » وَمَا بِمَعْنَى وَاسِدٍ .

(٥) كَالشَّنِّ الْبَالِي : كَالْفَرِيَّةِ الْمُتَهَالِكَةِ - كَنَاءَةٌ عَنْ كِبَرِ سِنَتِهَا .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَيُخْبِي ، أَيْ : يُجْتَمِعُ .. وَفِي « ط » : « يُحْمَلُ » . وَالْخَرَاجُ ، الْإِثَارَةُ أَوْ الضَّرِيَّةُ أَوْ الْجَزْيَةُ تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَيُؤَدُّونَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، وَلِلَّذَلِكَ سُمِّيَتْ خَرَاجًا .

(٧) فِي « م » : « مَلَأْنَا » . وَالْمَلَأُ : الْجَمَاعَةُ ، وَيُطْلَقُ عَلَى أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَسَرَاةِمِهِمْ أَيْضًا .

(٨) مَا يَمِينُ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » . وَالْفَرَائِصُ : جَمْعُ فَرِيصَةٍ ، وَهِيَ اللَّحْمُ بَيْنَ الْكَتِفِ وَالصُّدْرِ يَرْتَدُّ عِنْدَ الْفَرَعِ .

وَيَبِئْنَا نُسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْفَةً لَيْسَ تَنْصَفُ (١)
قَبًا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا قَلْبٌ ثَارَاتِ بِنَا وَكَصْرُفُ (٢)

ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، إِنَّهُ لَمْ ، يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرَةٍ (٣) إِلَّا وَالذَّهْرُ يَتَعَقَّبُهُمْ غَبْرَةٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدُ ، وَأَمَرَ بِرَدِّهَا ، فَلَمَّا أَرَادَتْ الْقِيَامَ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، لَا أُرْزَالُ اللَّهَ عَنْكَ نِعْمَةً ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى نَفْسٍ حَاجَةً ، وَلَا أُرْزَالُ عَنْ كَرِيمٍ نِعْمَةً ، وَلَا تَزْعُ (٤) عَنْ عَبْدٍ صَالِحٍ نِعْمَةً إِلَّا جَعَلَكَ [اللَّهُ] سَبِيلًا إِلَى رَدِّهَا عَلَيْهِ . وَلِبَعْضِهِمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْبُكُهُ وَالْبَغْتَ مَخْرَجُهُ (٥)
وَأَلَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَتِيهَجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَارٍ سَتَنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْمَجُهُ (٦)
تَرَى الْبَدَى اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكْنًا لَمْ يَدِرْ أَنَّ الْمَنَآيَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ (٧)

وَرَوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ يَسِيحَانِ ، فَأَصَابَهُمَا الْجُوعُ ، وَقَدِ اتَّهَمَا إِلَى قَرْيَةٍ ، فَقَالَ عِيسَى لِصَاحِبِهِ : انْطَلِقْ فَاطْلُبْ لَنَا طَعَامًا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَقَامَ عِيسَى يُصَلِّي ، فَجَاءَ [الرَّجُلُ] (٨) بِثَلَاثَةِ أَرْغِفَةٍ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ [النَصِيرَافُ] (٩) عِيسَى ،

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » . وفي رواية : « فينا » بدل « وبينا » . و « تَنْصَفُ » بدل « ليس تَنْصَفُ » وهي بمعنىهما ، أى : نطلب الإصناف . والسوقة : العائنة وسواد الناس .

(٢) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي رواية : « فَأَفَّ » بدل « قَبًا » والثَّبُّ : التحسُّرُ والمُحَالَاكُ .

(٣) هكذا « م » .. وفي « ط » : « خَيْرٍ » بدل « بِخَيْرَةٍ » ، والخيرة : السرور والنعمة . وفي رواية : « ليس من قوم يسرور وخيرة ، إِلَّا وَالذَّهْرُ مَعْقِبُهُمْ حَسْرَةٌ » .

[انظر أحلام النساء ج ٥ ص ٢٦٢ - حاشية] .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَلَا أُرْزَالُ » وما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) في « ط » : « يَدْرِكُهُ » بدل « مُدْرِكُهُ » .

(٦) في « ط » : « مِنْهُ » بدل « فَهُوَ » . وَالسَّمِجُ : التَّبَيُّحُ .

(٧) في « ط » : « وَطَنَا » بدل « سَكْنًا » .

(٨) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٩) ما بين المعقوفين عن « ط » .

فَأَكَلَ رَغِيفًا ، فَأَنْصَرَفَ عِيسَى فَقَالَ : أَيْنَ الرُّغِيفُ الثَّالِثُ ؟ فَقَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ، قَالَ : فَمَرًّا عَلَى وُجُوهِهِمَا ^(١) حَتَّى مَرَّ بِطَبَّاءٍ [تُرْعَى] ^(٢) فَدَعَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَلِيًّا مِنْهَا فَذَكَاهُ ^(٣) فَأَكَلَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلظُّلِيِّ : قُمْ يَا ذَنْ اللَّهِ ، فَإِذَا هُوَ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) بِالَّذِي أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ^(٥) . قَالَ : فَمَضَيَا عَلَى وُجُوهِهِمَا ^(٦) فَمَرَّ بِنَهْرٍ عَجَاجٍ [عَظِيمٍ] ^(٧) ، فَأَخَذَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ ، فَمَشَى بِهِ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَاءَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِالَّذِي أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ [الثَّالِثِ] ^(٨) ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا اثْنَيْنِ . فَمَخْرَجًا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً عَظِيمَةً خَرِبَةً ، وَإِذَا قَرِيبٌ مِنْهَا لَبَنٌ ثَلَاثٌ ^(٩) مِنْ ذَهَبٍ ، [فَقَالَ الرَّجُلُ : هَذَا مَالٌ] فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَجَلْ هَذَا مَالٌ ، وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ لِصَاحِبِ الرُّغِيفِ . فَقَالَ : [الرَّجُلُ] ^(١٠) : أَنَا صَاحِبُ الرُّغِيفِ ! فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : هِيَ لَكَ كُلُّهَا . فَفَارَقَهُ وَأَقَامَ ^(١١) عَلَيْهَا ، لَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْمِلُهَا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ بِهِ [ثَلَاثَةٌ] ^(١٢) نَفَرٌ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا اللَّبَنَ ،

(١) هكذا في م و ط .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا .

(٢) ما بين المعقوفين عن و ط .

(٣) هكذا في و ط .. وَذَكَاهُ : ذَبَحَهُ . وَلِ م : : فَذَبَحُوهُ فَأَكَلُوا مِنْهُ .

(٤) ما بين المعقوفين عن م و ط : وفيها : قَالَ : بدل فَقَالَ .

(٥) في و ط : : اثْنَيْنِ بدل رَغِيفَيْنِ .

(٦) هكذا في م و ط .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا .

(٧) ما بين المعقوفين عن و ط ، نهر عَجَاجٍ ، بالتشديد ، أَيْ : ثَاقِرٌ ، أَوْ : لِمَا يَبْصُرُ صَوْتَهُ .

(٨) ما بين المعقوفين عن م و ط .. وبعدها : فَقَالَ .

(٩) اللَّبَنُ : للضروب من الطين يَتَّبَعُ بِهِ دُونَ أَنْ يُطْلَخَ ، الْوَاحِدَةُ : لَبَنَةٌ .. وَلِ م : : ثَلَاثَةٌ . وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ بِمَعْنَى - الْأَوَّلُ - عَنْ و ط .. وَالْأُخْرَى عَنْ م ، وَبِهَذَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى .

(١٠) ما بين المعقوفين عن م و ط : في الموضعين .

(١١) في و ط : : فَأَقَامَ .

(١٢) ما بين المعقوفين عن و ط .

فَقَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِوَاحِدٍ : انْطَلِقْ إِلَى الْقَرْيَةِ فَاتِنَا بِطَعَامٍ ، فَذَهَبَ ، فَقَالَ أَخَذُ الْبَاقِيَيْنِ [لِلْآخَرِ] ^(١) : تَعَالَ تَقْتُلْ هَذَا إِذَا جَاءَ وَنَقْسِمُ هَذَا بَيْنَنَا ، قَالَ الْآخَرُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الَّذِي ^(٢) ذَهَبَ يَشْتَرِي الطَّعَامَ ^(٣) : أَجْعَلْ فِي الطَّعَامِ سُمًّا فَأَقْتُلُهُمَا وَأَخْذُ اللَّيْنِ ! فَفَعَلَ ، فَلَمَّا جَاءَ قَتَلَاهُ ، وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ فَمَاتَا ، فَمَرَّ بِهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَوْلَهَا مَصْرُوعُونَ ^(٤) فَقَالَ : هَكَذَا تَفْعَلُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٥) : - رَأَيْتُ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَجَبًا : رَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ^(٦) عَلَى تَوَيْتَيْنِ مَصْبُوعَتَيْنِ تَبَيَّنَ يَدَيِ ابْنِ زَيْدٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ

(١) مابين المعرفتين عن « م » .

(٢) في « م » : « لِلَّذِي » .

(٣) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٤) هكذا في « م » على أنها خير .. وفي « ط » : « مُصْرَعَيْنِ » على أنها حال .

(٥) هو : عبد الملك بن عمر اللخمي الكوفي ، وكنيته أبو عمرو [وفي الميزان : عمر - خطأ] انبجطي القريسي ، عُرِفَ بذلك لِقَرَسِي كَانَ لَهُ اسْمُهُ الْقَبِيطِيُّ .. من مشاهير التابعين وثقافتهم ، وَلِيَّ قضاء الكوفة بعد الشامي ، وطال عمره حتى تجاوز المائة بثلاث سنين ، وتوفى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٤٧٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٦٠ ، ٦٦١] .

(٦) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، السبط الشهيد ، ابن فاطمة الزهراء ، ولد في المدينة سنة ٤ هـ ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه ينسب كثير من الحسينيين ، ولما مات معاوية وخلفه ابنه يزيد تخلف الحسين عن مبايعته ، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه ، فأقام فيها أشهراً ، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها ، على أن يبعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للثوب على الأمويين ، فأجابهم ، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذراويه ، ونحو الثمانين من رجاله ، وعَلِمَ يزيد بخروجه ، فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب فيه الحسين بجراح شديدة ، وسقط عن فرسه ، فقتله « سنان بن أنس التميمي » وقيل : « ثمر بن ذى الجوشن » سنة ٦١ هـ وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق ، عاصمة الأمويين ، فظهر « يزيد » بالحزن عليه .

واختلفوا في الموضع الذي دُفِنَ فيه الرأس ، فقيل : في دمشق ، وقيل : في كربلاء مع الجثة ، وقيل : إن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد ، نائب المدينة ، فدفنه عند أمه بالقيع ، وقيل غير ذلك ، فتعددت المراقد ، وتعددت معرفة مدفنه .

[انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢ - ٢١٠ ، والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٦ - ٣٠٢ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٨٢ - ٤٦٧ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٢ ص ٢٤٣] .

ابن زياد ^(١) يَبْنِي المَحْضَارَ ، ^(٢) ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ المَحْضَارِ يَبْنِي يَدِي

(١) هو : عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكان خصومه يدعونه : ابن مرجانة ، وهي أمه ، وإلى فاتح من الشجعان ، وخطيب ، وُلِدَ بالبصرة سنة ٢٨ هـ ، وكان مع والده لما مات بالعراق ، فقصده الشام ، فولاه عمه معاوية « خراسان » سنة ٥٣ هـ فتوجّه إليها ، ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، ففتح « رامين » ونصف « بيكند » ، وقال أحد من كانوا معه : « مارأيت أشد بأساً من عبيد الله : لَقِينَا زُخْفَ من الثُّرُك ، فرأيتُه يقاتل ويحمل عليهم ، فيطعن فيهم ويغيب عنا ، ثم يرفع رأيتُه تقطر دماً » .

وأقام بخراسان سنتين ، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج واشتد عليهم . وبعد وفاة معاوية أقرّه يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب إليه : « بلغني أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فضع المناظر والمسالخ ، واحترس على الفطن ، وخذ على التهمة ، غير ألا تقابل إلا عن قاتلك ، واكتب إلي في كل ما يحدث » فكانت الفاجعة بمقتل الحسين ، رضي الله عنه ، في أيامه ، وعلى يده - كما مر بنا - ولما توفي « يزيد » سنة ٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فهرب إلى الشام ، وأقام مدة قليلة ، ثم عاد يريد العراق ، فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثأر الحسين ، فاقتلا ، وتفرق أصحاب عبيد الله ، فقتله ابن الأشتر ، وذلك على شاطئ نهر الخازر ، قريباً من الموصل بمحس مراحل ، سنة ٦٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٣ ، والكمال في التاريخ ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٢ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ الطبری ج ٦ ص ٨١ ومابعدهما ٨٦ - ٩٢ والبدایة والنهاية ج ٨ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ وغيرها] .

(٢) المختار : هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو إسحاق ، وُلِدَ في السنة الأولى للهجرة ، وكان من زعماء الثاقبين على بني أمية ، وأحد الشجعان الأفاذا ، من أهل الطائف ، انتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر ، وتوجه أبوه إلى العراق ، فاستشهد يوم الجسر ، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم ، وتزوج عبد الله بن عمر ابن الخطاب أخته « صفية بنت أبي عبيد » ثم كان مع عليّ بالعراق ، وسكن البصرة بعد عليّ ، ولما قُتل الحسين سنة ٦١ هـ انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحسبه ، ونفاه - بشفاعته ابن عمر - إلى الطائف ، ولما مات « يزيد » بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، وقام عبيد الله بن الزبير في المدينة بطلب الخلافة ، ذهب إليه المختار وعاهده ، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير ، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ، ووصى عليه ، غير أنه كان أكبر همه - منذ دخل الكوفة - أن يقتل من قاتلوا « الحسين » وقتلوه ، فدعا إلى إمامة « محمد بن الحنفية » وقال إنه استخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل مبراً ، فخرج بهم على وإلى الكوفة « عبد الله بن مطيع » فغلب عليها واستولى على الموصل ، وعظم شأنه ، وبتبع قتلته الحسين ، فقتل منهم « شير بن ذي الجوشن » الذي باشر قتل الحسين ، ود تحوّل بن يزيد ، الذي سار برأسه إلى الكوفة ، ود عمر بن سعد بن أبي وقاص « أمير الجيش الذي حاربه ، ثم أرسل « إبراهيم بن الأشتر » في عسكر كيف إلى « عبيد الله بن زياد » الذي جهز الجيش لحرب الحسين ، فقتل « ابن زياد » وقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة .. وشاعت في الناس أن « المختار » ادّعى النبوة ونزول الوحي عليه .. وعمل « مصعب بن الزبير » وهو أمير البصرة على خضد شوكة « المختار » فقاتله .. ونشبت وقائع انتهت بمحسّر « المختار » في قصر الكوفة وقتله ومن كانوا معه سنة ٦٧ هـ .

[انظر البدایة والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٩٠ - ٢٩٧ ، وتاريخ الطبری ج ٦ ص ٢٨ ومابعدهما ، والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٨ ، والأعلام ج ٧ ص ١٩٢] .

مُصَنَّبٌ ^(١) بن الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ مُصَنَّبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٢) .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٣) : لَمَّا زَحَرَفَ الرَّشِيدُ ^(٤) مَجَالِسَهُ ، وَتَحَرَّمَ

(١) ل ١ ط : « المصعب » بالألف واللام في الموضعين ، والمشهور بغيرهما ، وهو : مصعب بن الزبير بن العوام ابن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله ، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق ، وولاه عبد الله البصرة سنة ٦٧ هـ ، فقصدها وضبط أمورها وقتل المختار الثقفي ، ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعادته في أواخر سنة ٦٨ هـ ، وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستها . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسير إليه الجيوش ، فكان مصعب يتغلب عليها ، حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعباً فؤاد جيشه وأصحابه ، ثبت فيمن بقي معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، ففرض عليه الأمان وولاية العراقين مادام حياً ، ومليونى درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأبى « مصعب » فشد عليه جيش عبد الملك في وقعة عند دير الجاليتي ، وطعنه زائدة بن قيس السعدي - أو عبد الله بن زياد بن ظيان - فقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك سنة ٧١ هـ ، وبعثته نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام ،

[انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٥ - ١٠٨ ، والبدية والنهاية ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٣ وما بعدها ، والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٩ وغيرها من الصفحات ، والأعلام ج ٧ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨] .

(٢) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي ، أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء الأمويين ودهانهم ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ٤٢ هـ .. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعُباد والصالحين ، وكان قتيلاً واسع العلم ، انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان جباراً على معانديه ، قوى الهمة ، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي ، وثقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدراهم ، ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه ابنه الوليد فبكى ، فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ فحين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مكٌ فتمتر وأترز ، والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها .. توفى - رحمه الله - بدمشق في النصف من شوال سنة ٨٦ هـ ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة .

[البدية والنهاية ج ٩ ص ٦٦ - ٧٣ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٨٨ - ٣٩١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٥] .

(٣) سبق التعريف به .

(٤) هو : هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس الخلفاء العباسيين في العراق وأشهرهم ، وُلِدَ بالري سنة ١٤٩ هـ ، لما كان أبوه أميراً عليها ونزل خراسان ، ونشأ في دار الخلافة في بغداد ، بُرِعَ بالخلافة بعد وفاة أخيه « الهادي » سنة ١٧٠ هـ ، وازدهرت الدولة في أيامه ، واتصلت المؤتة بينه وبين « شارلمان » ملك فرنسا ، فكانا يتبادلان التحف وغيرها .. وكان الرشيد عالماً بالأدب ، وأخبار العرب ، والحديث ، =

فِيهَا ^(١) وَزَوَّقَهَا ، وَصَنَعَ فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا ، أَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَقَالَ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ آمِنًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقَهْ ^(٢)
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَى لَدَى الرُّوَّاحِ وَفِي ^(٣)
وَإِذَا النَّفْسُ تَقَفَّقَتْ فِي ضَيْقِ حَشْرَجَةٍ وَر ^(٤)
فَهَذَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتُ إِلَّا فِي غُرُورٍ

فَبَكَى هَارُونُ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ^(٥) : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِيَسْرَهُ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ هَارُونُ : دَعُهُ ، فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي ضَلَالَةٍ وَعَمَى ، فَكَّرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا عَمَى .

= والفقه ، وكان فصيحاً ، وله شعر أورده صاحب الديارات ، ومحاضرات مع علماء عصره .. وكان شجاعاً كثير الغزوات ، ويُلقَّب بجبار بنى العباس ، وكان حازماً كريماً متواضعاً ، يجمع سنة ويغزو سنة ، ولم يُرْ خليفة أجود منه ، وأخباره كثيرة جُلًّا . كانت مدة ولايته ٢٣ سنة وشهرين .. توفى في « سنا باز » من قرى « طوس » سنة ١٩٣ هـ وبها قبره .

[الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥ - ١٣ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٤ وغيرها ، والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٨٢ ، و ١٢٩ - ١٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٨٦ - ٢٩٥ ، وشرحات الذهب ج ١ ص ٣٣٤ وما بعدها ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٧٦] .

(١) تَحَرَّمَ فِيهَا : تَحَمَّى وَتَمَنَّى

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي م ، .. وَلِي ط ، والديوان : « سَالماً بِدَلِّ دَ آمِنًا » .

(٣) فِي الدِّيَّوَانِ : « أَوْ » بِدَلِّ دَ وَفِي ، .

(٤) تَقَفَّقَتْ : تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَتْ وَأَحْدَثَتْ صَوْتًا . وَكَذَلِكَ : فَتَقَفَّقَ السِّلَاحُ : أَحْدَثَ صَوْتًا عِنْدَ تَحْرِيكِهِ . وَحَشْرَجٌ : زِدَّةٌ تَقَعُ فِي حَلْقِهِ ، وَيُقَالُ : حَشْرَجَ الْمُخْضِرُّ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَحَشْرَجَتْ رُوحُهُ فِي صَدْرِهِ ، أَيْ : أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ .

(٥) هُوَ : الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْيَرْمُكِيِّ ، وَزَيْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَأَخُوهُ فِي الرِّضَاعِ .. وُلِدَ سَنَةَ ١٤٧ هـ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ، اسْتَوَزَرَهُ الرَّشِيدُ مُدَّةَ قَصِيرَةٍ ، ثُمَّ وُلِّاهُ « خِرَاسَانَ » سَنَةَ ١٧٨ هـ ، فَحَسُنَتْ فِيهَا سِيرَتُهُ ، قَامَ إِلَى أَنَّ فَكَّ الرَّشِيدَ بِالرَّامِكَةِ سَنَةَ ١٧٨ هـ ، وَكَانَ الْفَضْلُ عِنْدَهُ يَبْغِدُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ يَحْيَى ، وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلَى « الرِّقَّةِ » فَسَجَنَهُمَا ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا الرِّزْقَ ، وَاسْتَصَفَى أَمْوَالَهُمَا وَأَمْوَالَ الرَّامِكَةِ كَافَةً . وَتَوَقَّى الْفَضْلُ فِي سَجْنِهِ بِالرِّقَّةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ١٩٣ هـ ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ : « كَانَ الْفَضْلُ مِنْ حَسَنِي الدُّنْيَا .. لَمْ يَرَفُ فِي الْعَالَمِ مِثْلُهُ » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٧ - ٣٦ ، والطبرى ج ٨ ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، وص ٣٤١ وغيرها] .

وَيُرَوَّى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عُبَيْدِ الْمَلِكِ ^(١) لَيْسَ أَفْخَرَ نِيَابِهِ ، وَمَسَّ أُطْيَبَ طِيبِهِ ، وَنَظَرَ فِي مِرْآئِهِ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ! وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنِ ؟ فَقَالَتْ ^(٢) :

أَنْتِ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتُ ثَبَقِي غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِللِّسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوَّاهُ يُسَمِّعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ ، فَرَكِبَتْهُ الْحُمَّى ، فَلَمْ يَزَلْ صَوَّاهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ ^(٣) مِنْ حَوَالِهِ ، فَصَلَّى وَرَجَعَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَسْتَحِبُّ رِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : مَا الَّذِي قُلْتِ لِي فِي صَحْنِ الدَّارِ [وَأَنَا خَارِجٌ] ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُكَ وَلَا قُلْتُ [لَكَ] ^(٤) شَيْئًا ، وَأَتَى لِي بِالْخُرُوجِ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ؟ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ، ثُمَّ عَهِدَ عَهْدَهُ ، وَأَوْصَى وَصِيَّتَهُ ، فَلَمْ تَذُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةَ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ^(٥) :

مَنْ كَانَ لَا يَطْأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ وَطَىءَ التُّرَابَ بِصَفْحَةِ الْحَدِّ ^(٦)
مَنْ كَانَ يَتَنَكَّرُ فِي التُّرَابِ وَتَيْنَهُ شَبْرَانِ كَانَ بِعَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثِرَتْ لِلنَّاسِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤَلِّسِي مِنَ الْقَبْدِ

(١) سبق التعريف به .

(٢) الشعر لموسى بن يسار ، مولى بنى تيم من قريش .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١ - دار الكتب العلمية] .

(٣) في « ط » : سمعه .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » في الموضعين وساقط من « ط » .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) في « ط » : « جناحي » بدل « بصفحة » ، وصفحة الخد : جانبيه .

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ^(١) : وَجَدُوا غَارًا فِي جَبَلِ لُبَّانَ زَمَانَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٢) ،
وَفِيهِ رَجُلٌ مُسَجَّى عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ
بِالرُّومِيَّةِ : أَنَا سَيِّدُ بْنُ ثَوَّاسِ بْنِ سَيِّا ، خَدَمْتُ عِيصُو بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ

(١) هو : الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، ولد في سنة ١١٤ هـ ،
وكان مؤرخاً وعلماً بالأدب والنسب ، وأصله من « منبج » ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها
الكثير ، واتخص بمجالسة المنصور والمهدي والمهدي والرشد ، وروى عنهم . وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل
أخبارهم ، فأورد في بعض كتبه معانيهم وأظهرها ، ففكرة لذلك وطعن في نسبه ، وقيل فيه :

إِذَا نَسَبْتَ عَدِيًّا فِي بَنِي قَتَلٍ فَقَلَمُ الدَّالِّ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ

ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء ، فمُحِبِّسَ عدة سنين . قال ابن قتيبة وغيره عنه : إنه كان يرى رأى
الخوارج . وهو عند بعض علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقات . وله الكثير من المصنفات والتأليف ، منها
كتاب الخائب ، وكتاب المُقَرَّرِينَ ، وكتاب تاريخ المعجم وبني أمية ، وكتاب من تزوج من الموالى في العرب ،
وخطب الكوفة ، وطبقات الفقهاء والحدثين ، وتاريخ الأشراف الصغير ، وكتاب النواصر ، وغيرها . توفي في « فم
الصلح » قُربَ واسط سنة ٢٠٧ هـ وقيل سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٦ - ١١٤ ، والمعارف لابن قتيبة
ص ٥٣٧ - ٥٣٩ ، وكتاب الضعفاء الصغير للامام البخاري ص ٢٤٧ ، وكتاب الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي
ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وطبقات المدلسين لابن حجر المصقلاني ص ٨٦ ، وطبقات المفسرين للداودي ج ٢
ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والبيان والتبيين للمصنف ج ١ ص ٥٦ و ٣٤٢ وغيرهما من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٤
ص ٥٠ - ٥٤]

(٢) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٤٨ هـ ،
وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فوَجَّهَ القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن
زباد ، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند وباكستان وأطراف الصين شرقاً ، وكان ولعاً بالبيان
والعمران ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائداً يُقاضي نفقاته من بيت المال ،
وأقام لكل مُقْعِدٍ خادماً ، ورثب للفقراء أموالاً وأرزاقاً ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء . وهدم مسجد المدينة
والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديداً ، وصنَّعَ الكعبة والميزاب في مكة ، وبني المسجد الأقصى ، ومسجد دمشق
الكبير ، المعروف بالجامع الأموي ، وكان نقش خاتمه « يا وليد إنك ميت » .. توفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ ،
ودُفِنَ بدمشق ، ومدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر .

[الأعلام ج ٨ ص ١٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢٣
وغيرها] .

[الرَّبُّ] [الدَّيَّانُ] [الْمَلِكُ] ^(١) الْأَكْبَرُ ، وَعِشْتُ بَعْدَهُ عُمْرًا طَوِيلًا ، وَرَأَيْتُ عَجَبًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أَرَفِيمَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ غَافِلٍ عَنِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ يَرَى مَصَارِعَ آبَائِهِ ، وَيَقِفُ عَلَى قُبُورِ أَهْبَائِهِ ^(٢) ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَا يَتُوبُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَجْلَافَ الْجَفَاءَ سَيَنْزِلُونَنِي عَنْ سِرِّي وَيَتَمَوَّلُونَهُ ^(٣) وَذَلِكَ حِينَ يَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ ، وَتَتَأَمَّرُ الصَّبِيَّانُ . وَيَكْثُرُ الْجِدْثَانُ ^(٤) فَمَنْ أَذْرَكَ هَذَا الزَّمَانَ عَاشٍ قَلِيلًا ، وَمَاتَ ذَلِيلًا .

وَرَوَى أَنَّ الْإِسْكَندَرَ مَرَّ بِمَدِينَةٍ قَدْ مَلَكَهَا أَمْلَاكٌ سَبْعَةٌ وَبَادُوا ، فَقَالَ : هَلْ يَبْقَى مِنْ نَسْلِ الْأَمْلَاكِ الَّذِينَ مَلَكَوا هَذِهِ الْمَدِينَةَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ يَكُونُ فِي الْمَقَابِرِ . فَدَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ ^(٥) : مَا دَعَاكَ إِلَى لُزُومِ الْمَقَابِرِ ؟ فَقَالَ ^(٦) : أَرَدْتُ أَنْ أُعْرِضَ عِظَامَ الْمُلُوكِ مِنْ عِظَامِ عِبِيدِهِمْ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ سَوَاءً . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي فَأُخْبِيَ بِكَ شَرَفَ آبَائِكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ ؟ قَالَ : إِنْ هِمَّتْنِي لَعَظِيمَةٌ إِنْ كَانَتْ بُعِثْنِي عِنْدَكَ . قَالَ : وَمَا بُعِثُوكَ ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَا مَوْتَ فِيهَا ، وَشَبَابٌ لَا مَرَمَ فِيهِ ، وَغِنَى لَا يَنْتَبُهُ فَقْرٌ ، وَسُرُورٌ لَا يُغَيِّرُهُ ^(٧) مَكْرُوهٌ . قَالَ : مَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا . قَالَ : فَأَنْفِذْ لِشَأْنِكَ وَخَلْنِي ^(٨) أَلَطَّبُ بُعِثْنِي مِمَّنْ هِيَ عِنْدَهُ ا فَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : هَذَا أَحْكَمُ مِنْ رَأْيِكَ .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَافِيَّاتِ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ سِيَاحَتِهِ إِذَا مَرَّ بِجُمْجُمَةٍ نَجْرَةٍ ^(٩) فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَأَنَا « بَلْوَامُ بْنُ

(١) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » في الموضعين .

(٢) في « ط » : « قُبُورِ آبَائِهِ » .

(٣) في « ط » : « سَيَنْزِلُونِي » .. والأجْلَافُ : جمع جُلْفٍ ، ويُطلق على الأحمق والغليظ الجاني . وَيَتَمَوَّلُونَهُ : يقتنونه ، أى : يأخذون سريره المصنوع من الذهب ثَبَّةً لَمْ يَبْدُ مَوْتُهُ .

(٤) تَتَأَمَّرُ الصَّبِيَّانُ : يصيرون أمراء . وَ الْجِدْثَانُ : صغىرو السن .

(٥) سقطت « له » من « م » .

(٦) في « ط » قال .

(٧) مَكْلًا في « م » .. وفي « ط » : « يَغَيِّرُهُ » أى : يُبْلِمُ بِهِ .

(٨) أَنْفِذْ لِشَأْنِكَ أى : امضِ لِحَالِكَ . وَخَلْنِي : دَخْنِي . وفي « م » : « جِئْ » بدل « خَلْنِي » .

(٩) نَجْرَةٌ : بالية مُفْتَتَةٌ .

خَفَضَ «مَلِكُ الْيَمَنِ، عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَوُلِدَ لِي أَلْفُ ذَكَرٍ، وَافْتَضَضْتُ أَلْفَ بِكَرٍ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ عَسْكَرٍ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ، وَافْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَغْتَرُّ بِالْأَلْفِ كَمَا غَرَّيْتِي، فَمَا كَانَتْ إِلَّا كَحُلْمٍ نَائِمٍ. فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَادَ أَهْلُهُ، وَأَقْفَرَتْ سَاحَتُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ
يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مَذْكَائُوا وَبِالذَّمِّ
تَبَكَى عَلَيْهِمْ دِيَارُكَانَ يَطْرِبُهَا
تَرْتُمُ الْمَجْدَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نُوحٍ ^(١) : نَزَلَ حَتَّى مِنَ الْعَرَبِ شَيْعًا ^(٢) مِنْ شِعَابِ الْيَمَنِ ، فَتَشَاحَنُوا فِيهِ وَاخْتَلَفُوا ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ ، فَأِذَا صَائِحٌ ^(٣) بَصِيحٌ : يَا هَؤُلَاءِ ، عَلَى رِسْلِكُمْ .. عَلَامُ الْقِتَالِ [فَيَ] ؟ ^(٤) فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَلَكَنِي سَبْعُونَ أَعْوَرَ ، كُلُّهُمْ اسْمُهُ عَمْرُو .

أَيُّهَا ^(٥) الرَّجُلُ ، اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ ^(٦) ، وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ ، وَكَيْفَ بَسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا ، وَأُنْسِيَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ ^(٧) ، وَأُنْفِصَ ^(٨) لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآثَالِ ، وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ ، كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكُلْكُلِهِ ^(٩) الْمُنُونُ ، وَاخْتَدَّعَهُمْ بِزُغْرُفِهِ

(١) هكذا في « ط » .. وقد ورد اسمه في حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٨ وفيه : « حشنى حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبي نوح قال ... » .. ولم أقف على ترجمة مفصلة له .. ولى « م » نوزل « مكان » نزل « تحريف .

(٢) الشَّعْبُ ، بكسر الشين المشددة وسكون العين المهملة : الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل ، أو الانفراج بين الجبين ، والجمع : شعاب .

(٣) في « م » : « بصائح » .. وعلى رِسْلِكُمْ أى : اتَّجِلُّوا ولا تُتَجَلَّوا .

(٤) ما بين المقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) في « م » : يا أيها .

(٦) اعتبر : أى أخذ منهم عبرة وعظة . والأقيال : جمع قِيل ، وكان يُطلق على ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

(٧) أُنْسِيَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ : أى أخر موتهم ، أو : عاشوا طويلاً .

(٨) في « ط » : وانفصح .

(٩) بِكُلْكُلِهِ : بصنبره . وقد يستعار - الكلكل - لِمَا لِسَ بِجَسَمٍ ، مثل قول أعرابية ترقى ابنها :

« أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلْكُلَهُ » مَنْ ذَا يَقُومُ بِكُلْكُلِ الدَّهْرِ »

وفى « م » : « كلكله » بدون باء .. والمنون : الموت .

الدَّهْرُ الْحَوْرُونَ ، وَأَسْكَبُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّحُورِ ، وَعَادَ الْعَيْنُ
 أَنْزَا ^(١) ، وَالْمَلِكُ خَبِرًا ^(٢) ، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ ، وَبَقِيَ كَذْرُهُ ، فَأَلْمُوثُ
 الْيَوْمِ تُخْفَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ^(٣) ، كَانَ الْخَيْرُ أَصْبَحَ خَائِلًا ، وَالشَّرُّ أَصْبَحَ نَاطِرًا ، وَكَانَ الْغَيُّ
 أَصْبَحَ ضَاحِكًا ، وَأَذْبَرَ الرُّشْدَ ^(٤) بَاكِيًا ، وَكَانَ الْعَدْلُ أَصْبَحَ غَائِلًا ، وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ
 غَالِبًا ^(٥) ، وَكَانَ الْعَقْلُ أَصْبَحَ مَذْفُونًا ، وَالْجَهْلُ مَنْشُورًا ، وَكَانَ اللُّؤْمُ أَصْبَحَ بَاسِقًا ،
 وَالْكَرَمُ خَائِبًا ^(٦) ، [وَكَانَ الْوُدُّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا ، وَالْبَعْضَاءُ مَوْصُولَةً] ^(٧) ، وَكَانَ
 الْكَرَامَةُ قَدْ سَلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَتَوَجَّى ^(٨) بِهَا الْأَشْرَارُ ، وَكَانَ الْخَبْ ^(٩) أَصْبَحَ
 مُسْتَيْقِظًا ، وَالْوَفَاءُ نَائِمًا ، وَكَانَ الْكَذِبُ أَصْبَحَ مُثْمِرًا ، وَالصَّدَقُ مَاحِلًا ^(١٠) ، وَكَانَ
 الْأَشْرَارُ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ ^(١١) ، وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرْدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ . أَمَا تَرَى
 الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ الطَّالِبِ ، وَتُذْبِرُ إِذْبَارَ الْهَارِبِ ، وَتَصِلُ إِصَالَ الْمَلُولِ ، وَتَفَارِقُ فِرَاقَ
 الْعُجُولِ ^(١٢) ، فَخَيْرُهَا يَسِيرُ ، وَغَيْرُهَا قَصِيرٌ ، وَإِقْبَالُهَا خَدِيدَةٌ ، وَإِذْبَارُهَا فَجِيعَةٌ ،

- (١) العين : الحاضر من كل شيء .. والأثر : العلامة ، أو ما يخلفه السابقون . يريد : أنهم صاروا ماضياً لا يذكر لهم .
 (٢) في « م » : تحريماً .
 (٣) التُّخْفَةُ : الطَّرْفَةُ . وفي الحديث : « تُخْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ » ، أى : ما يصيب المؤمن في الدنيا من الأذى ، وماله
 عند الله من الخير ، الذى لا يصل إليه إلا بالموت . ويُشبهه الحديث الآخر : « الموت راحة المؤمن » .
 [انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ مادة « تحف » ، وانظر اللسان المادة نفسها] .
 (٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « الغي » بدل « التئ » وفيها : « والرشد باكياً » بدون أدبر .
 (٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وكان العدل أصبح غائراً وأصبح الجور غالياً » .. والغالى : خلاف
 الرخيص .. وغائلاً ، أى : فساداً وشراً .
 (٦) باسقاً : له مكانة عالية .. والكرم خاويًا : لامتزلة له بين الناس .. وفي « م » : « داويًا » بدل « خاويًا »
 أى : هالِكًا .

- (٧) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .
 (٨) توجى بها الأشرار ، يعنى : يناجى بعضهم بعضاً بها ، أو لازمهم واستولوا عليها .. وفي
 « ط » : « وتوجى » بدل « وتوجى » وهى بمعنى : وَصَيْدَ .
 (٩) الخب : الخذلان والغش . وفي الحديث : « لا يدخل الجنة خب ولا خائن » أى : خادع غشاش ، يفتح الحام
 وكسرهما .

(١٠) ماحلاً : مُجْبِدياً لا خير فيه .. وفي « م » : « قاحلاً » وهى بمعناها .

(١١) يسامون السماء : يُطْلَوْنَهَا .

(١٢) الملول : السريع الملل .. وفي « م » : « الملوك » بالكاف .. والعجول : المُسْرِعَةُ .

وَلَدَّأَتْهَا فَايَةً ، وَبَعَّأَتْهَا بَاقِيَةً ، فَاعْتَنِمَ غَفَوَةَ الزَّمَانِ ، وَاتَّهَزَ قُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ، وَخُذْ مِنْ
نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ ، وَلَا تُتَافِسْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي خَفْضِ عَيْشِهِمْ ،
وَلَيْنَ رِيَّاسِهِمْ ^(١) ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ ظَلْعِهِمْ وَسَوْءِ مُتَقَلِّبِهِمْ ^(٢) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

رُبُّ مَقْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عِدْمَتُهُ عَيْنُ مُعْتَرِمَةٍ ^(٤)
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَائِثُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْمِهِ

وَقَدْ قَالَ التَّهَامِيُّ ^(٥) :

تُتَافَسُ فِي الدُّنْيَا غُرُورًا وَإِنَّمَا قُصَاوَى غِنَاهَا أَنْ تُؤَلَّ إِلَى الْفَقْرِ ^(٦)

(١) الخفص : الدعة وسعة العيش .. ولين الرياش : الناعم والفاخر من اللباس والأثاث .

(٢) الظَّنُّ : الرحيل ، ويعنى به رحيلهم عن الدنيا .. والمتقلب : العاقبة والمآل .

(٣) هو : سليمان بن مسلم بن الوليد ، الشاعر الضريع ، وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغواني ، المشهور .. كان كأبيه شاعراً مُجيداً ، وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان مُتَهَمًا بدينه - وقال الجاحظ : إنه أخو مسلم بن الوليد وليس ابنه - توفي سنة ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ط دار الجليل ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٢ بتحقيق عبد السلام هارون] .

(٤) هكذا في (م) ، و ط .. وفي البيان والتبيين ومعجم الأدباء : « عِدْمَتُهُ كَف » . وفي الحيوان : (فَقَدْتُه كَف » .

(٥) هو : علي بن محمد بن فهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن) من المجيدين ، وشعره غاية في الحسن . زار الشام والعراق ، وقدم القاهرة مُستخفياً ، ومعه كُتُبٌ من حسان بن المفرج البصري (الطائي) أيام استقلاله ببداية فلسطين إلى بني قُرَّة (قبيل عسيانهم بمصر) فعلمت به حكومة مصر ، فاعتقل وحُبِسَ في دار ابنود في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر (وكان يُحْبَسُ فيها مَنْ يُرَادُ قَتْلُهُ) ثُمَّ قُتِلَ مِرًّا في سجنه في تاسع جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ ، وكان دُنيًا وِرْعًا عن الهجاء ، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

حُكْمُ الْمَنِيِّ فِي الرِّبْوَةِ تَجَارِي مَاهِنُهُ الدُّنْيَا بَدَارُ قَرَارِي

[انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط دار الكتب المصرية ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ ، ٢٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ - ٣٨١ والأعلام ج ٤ ص ٣٢٧] .

(٦) قُصَاوَى غِنَاهَا : غاية البُخسِ فيها .

وَأَنَا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكِبٍ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَفَوْفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي ^(١)
وَلِيَنْغُضِي الشُّعْرَاءُ ^(٢) :

تُرْوَحُ لَكَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي عَدَدْتَ وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورٌ ^(٣)
وَتَجْرِي اللَّيَالِي بِاجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ وَتَطْلُعُ فِيهَا النُّجُومُ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بَاقٍ سُرُورُهُ فَذَاكَ مُحَالٌ لَا يَدُومُ سُرُورٌ ^(٤)
عَفَا اللَّهُ عَنْ مَنْ صَيَّرَ الْهَمَّ وَاحِدًا وَأَيَّقَنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَلُورُ

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي كُتُبِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَنَّ الْمَسِيحَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) اجْتَارَ بِجُمُوعَةِ هَائِلَةِ عَظِيمَةِ نَخْرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسْتَنْطِقَ هَذِهِ الْجُمُوعَةَ ، فَعَسَى تُخْبِرُنَا بِمَا رَأَيْتَهُ مِنْ الْعَجَائِبِ ، فَفَعَلَ ، فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، إِنِّي عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَاسْتَوْلَدْتُ أَلْفَ ذَكَرٍ ، وَافْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَصَحَبْتُ الدَّهْرَ وَاخْتَبَرْتُهُ ، وَامْتَحَنْتُ ثَقْلَبَهُ وَأَنْقَلَبِيهِ ، فَلَمْ أَرِ [شَيْئًا] ^(٦) أَشَدَّ مِنْ طَالِحٍ يَلِي أَمْرَ صَالِحٍ ^(٧) ، وَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا الدَّهْرِ شَيْئًا أَنْفَعَ مِنَ الصَّبْرِ وَمُسَالَمَةِ أَهْلِهِ ،

(١) في « ط » : والزمان « بها » بدل « بنا » .. و « نظن » بدل « نظن » .. والركب : الراكبون ، ويُطلق على العشرة فما فوق .

(٢) الأبيات وردت في « العقد الفريد » ج ٢ ص ٢٧٩ باختلاف في الترتيب ، واختلاف في بعض الألفاظ من حيث وضعه .

(٣) في العقد الفريد .. هذا البيت ترتيبه الثاني ، وقبله : « عفا الله عن من صير الهم » . والبيت الرابع جاء ترتيبه الأول .

(٤) البيت في العقد الفريد :

وتطمع أن يقي السور لأهله وهذا محال أن يدوم سرور

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « صالح يلي أمر طالح » والطالح : الفاسد من الناس .

[وَلَمْ أَرْ هَلَاكَ أَهْلِهِ] ^(١) إِلَّا فِي الْجَرْصِ وَالطَّمْعِ ، وَوَجَدْتُ الْعَرْزَ فِي الرِّضَا بِالْقِسْمِ ^(٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ : آخِرُ شِعْرِ قَالَهُ [أَبِي] ^(٣) فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّي فِيهِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ ، وَحَسُنَ ظَنِّي ^(٤)
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبِرَائِي وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ ^(٥)
إِذَا فَكَّرْتُ فِي قُدُمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنَاإِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي ^(٦)
أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُودًا وَأَقْطَعُ طُولَ عُمْرِي بِالنَّمْنَمِي ^(٧)
وَيَسِّنْ يَدَيَّ بِمِقَاتٍ عَظِيمٍ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » ولا يستقيم المعنى إلا به .

(٢) القِسْمُ ، بكسر القاف ومكون السين المهملة ، وهي بمعنى الحظ والنصيب وجمعها : قِسَمٌ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من « م » في الموضحين .

(٤) في « ط » : « فَمَا لِي » .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي الديوان : « فكم » بدل « وكَمْ » وفي « م » :

وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَفَرْتُ ، وَأَنْتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ

(٦) في الديوان : « تَدْمِي » بدل « قُدُمِي » وعَضَضْتُ أَنَاإِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي : كناية عن الندم ، وبعد هذا البيت

في الديوان :

يَظُنُّ النَّاسُ فِي غَيْرِي وَإِنِّي لَأَشْرُ النَّاسِ إِن لَمْ تُغْفَ عَنِّي

وهو ساقط من « ط » .. وسيأتي في « م » في آخر الأبيات ، وفيه « يُغْفَ » بدل « تُغْفَ » .

(٧) الشطر الثاني في الديوان : « وَأَفْنَى الْعَمْرِ فِيهَا بِالنَّمْنَمِي » .

(٨) الشطر الأول في الديوان : « وَيَسِّنْ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ » . وأراد بالاحتبس : المنسك ، بمعنى : طريق الزهد

والتعبد ، أي : بين منسك قبل الوطأة عليه ، كأنه قد دُعِيَ إليه ، ولكن الدنيا صرفته عنه .

وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ اللَّهَ فِيهَا قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْبَحْجَنُ ^(١)
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يُعَفِّ عَنِّي ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٣) : لَمَّا وَقَدَ وَقَدَ عَيْدُ الْقَيْسِ ^(٤) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ^(٥) : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ^(٦) ؟ قَالُوا : كُلُّنَا نَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١) هكذا البيت في م و ط ، .. وفي الديوان : « صَدَقْتُ الزَّهْدَ » بدل « صَدَقْتُ اللَّهَ » .

(٢) هكذا البيت في م و ط ، وهو ساقط من ط .. وجاء ترتيبه الخامس في الديوان . وقد أُشْرِتْ إلى ذلك .
(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، صحابي جليل ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَنَشَأَ فِي بَدْءِ عَصْرِ النَّبُوَّةِ ، فَلَازَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَحَادِيثَ ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَطِيلْهُ الْحِكْمَةَ وَعِلْمَهُ الثَّابِلَ » ، وَقَالَ : « لَمَسَى الْأَمُوتَ حَتَّى يُؤْتِي عِلْمًا وَيَذْهَبَ بَصَرُهُ » فَكَانَ كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْرَ الْأُمَمِ - وَلَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ ١٦٦٠ حَدِيثًا . وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : نَعَمْ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : مَا رَأَيْتُ مَجْلِسًا كَانَ أَجْمَعُ لِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَكَانَ عَمْرٌ مِنَ الْخُطَّابِ إِذَا أُعْضِلَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ دَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ لَهَا وَلِأُمَثَالِهَا ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِقَوْلِهِ .. وَقَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ بِنِ ابْنِ طَالِبٍ وَقَعَةَ الْجَمَلِ وَصِفَيْنَ ، وَكُفَّ بِصَرِهِ فِي آخِرِ عُمَرُ ، فَسَكَنَ الطَّائِفَ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٦٨ هـ .

[انظر نسب قريش ص ٢٦ ، ٢٧ والأعلام ج ٤ ص ٩٥] .

(٤) في ط : « لَمَّا وَرَدَ عَيْدُ الْقَيْسِ » .. وفي البداية والنهاية : « قَدِيمٌ وَقَدْ » وعبد القيس : قبيلة عظيمة تنسب إلى عبد القيس بن أُنْصَى بْنِ دُعْغَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ عَدْنَانَ .. كَانَتْ دِيَارُهُمْ بِتِهَامَةٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَاسْتَقَرُّوا بِهَا .. وَهُمْ بَطُونَ كَثِيرَةٌ ، وَظَهَرَ فِيهِمْ مَشَاهِيرُ .. وَالنَّسَبُ إِلَى هَيْمِ قَيْسِي ، وَعَبْدِيُّ ، وَعَبْدُ قَيْسِي ، .. وَكَانَ قَدُومُ وَقَدْ عَيْدُ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ٩ هـ ، وَرَحَّبَ بِهِمُ النَّبِيُّ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَمَّنُوا .. وَقَدْ أَرْتَدَّ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ١١ هـ ، فَأَمَّا عَيْدُ الْقَيْسِ فَتَقَاعَتْ ، ثُمَّ أَمَّنُوا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَنَاصَرُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ سَنَةَ ٣٦ هـ ، ثُمَّ اعْتَرَلُوا الْقِتَالَ سَنَةَ ٤٠ هـ ، ثُمَّ حَارَبُوا فِي سَنَاتِ ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ مَعَ الْمُهَلْبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ، عَامِلِ الزَّبِيرِ . وَأَخْبَلَهُمْ كَثِيرَةٌ .

[انظر معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والأعلام ج ٤ ص ٤٩ ، وانظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠ ، والأُخَالِي ج ١ ص ٥٥٧١ - ٥٥٧٦] .

(٥) في ط : « فَقَالَ » .

(٦) هو : قُسٌّ بْنُ سَاعِدَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيٍّ ، مِنْ بَنِي إِيَادٍ ، أَحَدِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، وَمِنْ كِبَارِ خُطْبَائِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ خُطِبَ مُتَوَكِّفًا عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : « أَمَّا بَعْدَ » ، وَكَانَ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرِ الرُّومِ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيُعْظِمُهُ . وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْمُشْعَمَرِينَ ، وَأَدْرَكَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَرَأَاهُ فِي « عَكَاظَ » ، وَسُئِلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : « إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّهُ وَحْدَهُ » تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيبًا .

قَالَ ^(١) : لَسْتُ أَنْسَاهُ بِعُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَاسْمَعُوا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ فَعُوا ، فَإِذَا وَعَيْتُمْ فَقُولُوا ، فَإِذَا قُلْتُمْ فَاصْدُقُوا . مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ ^(٢) مَاتَ قَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَبِيرًا ^(٣) . وَهَادٍ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَنُجُومٌ تَمُورُ ، وَنُحُورٌ لَا تَقُورُ ^(٤) . أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمَ حَقٌّ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ ، لَئِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لَيَكُونَنَّ سَخَطًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ ^(٥) تُرْكُوا عَلَى [حَالِهِمْ] فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يَرَى شِعْرَهُ ؟ فَأَنْشُدُوهُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ — سَنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ ^(٦)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٩٦ ، وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، وغيرها ، والأغاني ج ١٥ ص ٥٥٧٠ - ٥٥٧٦] .

(١) في « ط » : « قال رجل » خطأ .. والصواب ماورد في « م » وجاء في المصادر السابقة ، حيث إن الذي رآه هو الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) في « م » : « من » بحذف الواو .

(٣) هكذا في « ط » وفي البداية والنهاية وغيرها .. وهو الصواب .. وفي « م » : « خير » و « لخير » بالرفع ، خطأ ، فاللام هنا زائدة لأعمل ها .. و « خير » و « خير » اسمان لأن ..

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وبحر لا يفر » أي : لا يذهب في الأرض . ونجوم تمور ، أي : تذهب ونحى .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فقاموا » بدل « فاقاموا » و « أو » بدل « أم » ، والمناسب هنا « أم » بعد مرة الاستفهام .. والمقام : الإقامة ، وما بين المقوفين بعدها ساقط من « م » .

(٦) في البيان والتبيين ، وفي الأغاني ، والبدلية والنهاية : « يمضي » بدل « تمضي » وكلاهما صواب .

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيْكَ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرٌ ^(١)
 سَكُنُوا الْبُيُوتَ فَوَطُّوا إِنَّ الْبُيُوتَ هِيَ الْمَقَابِرُ ^(٢)
 أَقْبَنْتُ أُنْسِي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرٌ

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِ ^(٣) عَجَبًا : افْتَحَمْتُ وَإِدْيَا فَإِذَا أَنَا بِعَيْنِ جَارِيَةٍ ^(٤)
 وَرَوْضَةٍ مُذْهَابَةٍ ، وَشَجَرَةٍ عَادِيَةٍ ، وَإِذَا [أَنَا] ^(٥) بِقُسٍّ بَنِي سَاعِدَةٍ قَاعِدَةٍ ^(٦) فِي أَصْلِ
 الشَّجَرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْعَيْنِ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ ؟ فَكَلَّمَا وَرَدَ سَبَّحَ عَلَى
 صَاحِبِهِ ضَرْبَهُ بِالْعَصَا وَقَالَ : تَنَحَّ حَتَّى يَشْرَبَ الْإِذَى وَرَدَ قَبْلَكَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ دَعَرْتُ
 دُعْرًا شَدِيدًا ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : لَا تَخَفْ ، فَالْتَفَتْتُ ، فَإِذَا [أَنَا] ^(٧) بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا
 مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ فَقَالَ ^(٨) : هُمَا قَبْرَا أَخَوَائِي ، كَانَا يَقْبِدَانِ اللَّهَ تَعَالَى مَعِي
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَأَنَا أَغْبُدُ اللَّهَ بَيْنَهُمَا حَتَّى الْحَقَّ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا
 لَنَحْقُ بِقَوْمِكَ تَكُونُ فِي جِيرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ لِي : نَكَلْتُكَ أَمَّا ^(٩) ، أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ ^(١٠)

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » وسقط من الأغاني وأشير إليه في الحاشية .. وفي البداية والنهاية :

« لَأَمِنْ مَعْنَى بَأَى إِلَيْكَ (م) وَلَامِنْ الْبَاقِينَ غَابِرٌ » .

وفي البيان والتبيين :

« لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابِرٌ »

(٢) لم يذكر هذا البيت في المصادر السابقة .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « منه » .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عين خُرَّارَةٌ » وهي بمناء ، يقال : عين خُرَّارَةٌ أَيْ : جارية . وروضة
 مُذْهَابَةٌ ، أَيْ : سوداء ، من شدة الخُضْرَةِ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) في « م » : « قَاعِدًا » بالنصب . وفي الأغاني ، والبداية والنهاية وغيرهما : بالرفع ، على أنها خبر ، و « إِذَا »
 هنا : حرف فجأة لاصحل له .. وورد على العين : أَشْرَفَ عَلَيْهَا حَتَّى يَشْرَبَ مِنْهَا .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٨) في « ط » : « قَالَ هُمَا قَبْرَا أَخَوَيْ » .. وفي البداية والنهاية وفي الأغاني : « أَخَوَيْنِ » .

(٩) في جبرهم ، أَيْ : بجوارهم .. وَنَكَلْتُكَ أَمَّا ، أَيْ : فقدتكَ . وهو دعاء بالهلاك .

(١٠) ولد إسماعيل : يعني أُمَّة إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام . وفي البداية والنهاية : « أَنُّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ
 تَرَكَوْا دِينَ أَبِيهِمْ » .

تَرَكْتُ دِينَ أَبِيهَا وَاتَّبَعْتُ الْأَصْتِمَامَ وَعَظَّمْتُ الْأَنْدَادَ ^(١) ؟ ثُمَّ تَرَكْنِي وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرِينِ
وَقَالَ ^(٢) :

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدْكُمَا مَائِقُضِيَّانِ كَرَّاكُمَا ^(٣)
أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقَى الْعُقَارَ سَقَاكُمَا ^(٤)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانٍ مُفْرَدٍ وَمَالِي فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكُمَا ^(٥)

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « واتبعت الأصداد » .. وفي البداية والنهاية : « واتبعت الأصداد » ، وعظموا الأنداد » .

(٢) جاء في معجم البلدان أن الذي قال هذا الشعر هو : قس بن ساعدة في خليلين كانا له وماتا - كما ورد هنا ، وفي الأغاني ، والبداءة والنهاية ، وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب ، يرقى أومن بن خالد وأنثى .. وذكر أنه لم يبق بن قدامة الأسدي .. وقيل : إنه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له : الحسن بن الحارث .
[انظر الأغاني ج ٥ ص ٥٦٩ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ١٩ ، مادة « راوند »] .

(٣) هكذا البيت في « ط » ، وفي الأغاني ، والبداءة والنهاية ، ومعجم البلدان .. وفي « م » : « لائقضيان » بدل « مائقضيان » .. وفي معجم البلدان : « يديتي » بدل « خليلي » .. وقد وردت الشطرة الأولى من البيت في « م » مكسورة ، حيث سقطت منها « قد » .. وأجدكُمَا : أى أبجدكُمَا . ونصب هنا على المصدر . وقال سيويه : أجدك : مصلتر ، كأنه قال : أجدك منك ، ولكنه لا يستعمل إلا مضافاً ، والكبرى : النعاس .

[انظر اللسان - مادة جدد]

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » و « د » البداية والنهاية .. وفي الأغاني :

« جَرَى المَوْتُ مَجْرَى اللحم والعظم منكما » .

وفي معجم البلدان :

« جَرَى النوم بين العظم والجِلْد منكما كأنكما ساق عُقَارٍ سَقَاكُمَا »

والعُقَار : الحمر

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » والأغاني .. وفي البداية والنهاية : « بتجران مفرداً » بدل « بسمعان » ،

و« حبيب » بدل « خليل » .

وفي معجم البلدان :

« أَلَمْ تَعْلَمَا مَالِي بِرَؤُودٍ كُلِّهَا وَلَا بِخُرَاقٍ مِنْ صَدِيقٍ سِوَاكُمَا »

وسمعان : اسم جبل في ديار بني نعيم .. ورؤود : بلدة قرب قاشان وأصبهان .. وخُرَاق : اسم موضع بعينه في بلاد العرب .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧ مادة « خُرَاق » وج ٣ ص ٢٥٠ مادة « سمعان » و ص ١٩ ، ٢٠ مادة

« راوند »] .

مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ نَازِحاً طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَّاكُمَا ^(١)
 أَبْكِيكُمَا طَوَلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي يُرْدُّ عَلَى ذِي عُصَّةٍ إِنْ بَكَكُمَا ^(٢)
 كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ بِرُوحِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا ^(٣)
 سَلَامٌ وَتَسْلِيمٌ وَرَزَحٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ الْمَوْلَى عَلَى سَاكِنَيْكُمَا ^(٤)
 فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةٌ لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تُكُونَ فِدَاكُمَا ^(٥)

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ قُسَّ بَيْنَ سَاعِدَةٍ يَبْعَثُ أُمَّةً وَحَدَهُ ^(٦) ، يَعْْنَى أَنْ كُلَّ أُمَّةٍ آمَنَتْ بِنَبِيِّهَا ^(٧) تَبْعَتْ أُمَّةً وَحَدَهَا ، لَا يُخَالِطُهَا غَيْرُهَا ، وَيَبْعَثُ قُسٌّ ^(٨) أَيْضاً وَحَدَهُ أُمَّةً ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ .

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « مقيماً » بالنصب .. وفي الأغاني ، ومعجم البلدان : « أقيم » ..
 وفي البداية والنهاية ، والأغاني ، ومعجم البلدان ، و « م » : « بارحاً » بدل « نازحاً » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً .
 يقال : بَرَحَ المكانَ : إذا فارقَهُ ، فهو بارحٌ . وتَزَحَّجَ : ابتعد واغترب ، فهو نازحٌ .
 (٢) هكذا في « م » و « ط » .. وفي الأغاني : « سأبكيكما » .. وفي معجم البلدان : « وأبكيكما » وفيه :
 « عَوَلَةٌ » بدل « عُصَّة » .. وفي البداية والنهاية والأغاني : « لوعة » . وجميعها متقاربة في المعنى .. فالعَوَلَةُ : رفع
 الصوت بالبكاء والصياح . واللوعة : حُرْقَةٌ في القلب ، وألم يجده الإنسان من حُبٍّ أو حُزْنٍ أو نحو ذلك .
 والعُصَّةُ : الشجاة والحُزْنُ والحلم .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط وغورهما من المعاجم العربية] .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الأغاني : « بِجِشِّي » بدل « بِرُوحِي » .
 (٤) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « عَلَى سَاكِنَاكُمَا » لضرورة الشعر .. وهذا البيت وما يليه لم أقف
 عليهما في المصادر السابقة .
 (٥) هكذا البيت في « ط » والأغاني .. وسقط من « م » .. وفي البداية والنهاية : « فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ أُسْرَى
 فِدَى » .

(٦) هذا الحديث روى بأكثر من وجه .. وفي البداية والنهاية : أن هذا الحديث غريب جداً .

[انظر ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠]

(٧) في « م » : « برسولها » .

(٨) في « م » : « ويبعث الله قُسّاً » .

وَيَرَوِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ ^(١) نَامَ يَوْمًا ، فَأَتَشَدَّ فِي تَوْبِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ ^(٢) :
 كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رُكْنُهُ وَمَتَازِلُهُ ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ تُتَادَى بِلَيْلٍ مُغُولَاتٍ تَوَاكُلُهُ ^(٤)
 فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ عَاشِرَةُ عَشْرَةِ حَتَّى مَاتَ .

وَأَتَشَدَّنِي ^(٥) الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ بِالنَّبْرَةِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

(١) هو : محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، وبكى أبا عبد الله ، المهدي بالله .. من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وُلِدَ بِإِلْدِج (من كور الأهواز) سنة ١٢٧ هـ ، واسْتُخْلِفَ يَوْمَ مَاتَ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ بِعَهْدِ مَنْهُ سنة ١٥٨ هـ . وأقام في الخلافة عشر سنين وشهرًا . وتوفي في قرية من قرى « مَسْبِدَان » يقال لها : « الرُّدْ » سنة ١٦٩ هـ . قيل : مات صريعًا عن دابته في الصيد . وقيل : مات مسمومًا ، وصلى عليه ابنه هارون الرشيد .. كان محمود العهد والسيرة ، مُحِبًّا إِلَى الرُّعْبَةِ ، حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ . وكان جوادًا .

[انظر تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٦٨ - ١٨٦ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ وغيرهما ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٩١ - ٤٠١ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ - ٣٣٥ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، والأعلام ج ٦ ص ٢٢١] .

(٢) في تاريخ الطبري : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ يَمُطِينَ قَالَ : كُنَّا مَعَ الْمَهْدِيِّ بِمَسْبِدَان ، فَأَصْبَحَ يَوْمًا فَقَالَ : إِنِّي أَصْبَحْتُ جَانِعًا ، فَأَتَيْتُ بِأَرْغِفَةٍ وَلَحْمٍ بَارِدٍ مَطْبُوخٍ بِالْخَلِّ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي دَاخِلٌ إِلَى الْبَيْتِ وَنَائِمٌ فِيهِ ، فَلَا تَتَّبِعُونِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَتَيْتُهُ . ودخل الْبَيْتُ فَنَامَ ، وَنَمْنَا نَحْنُ فِي الْبَلَرِ فِي الرِّزَاقِ ، فَاتَّبَعْنَا بِبِكَالِهِ ، فَقَعْنَا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ ، فَقَالَ : أَمَا رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ؟ قلنا : مَا رَأَيْنَا شَيْئًا ! قَالَ : وَقَفَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ ، لَوْ كَانَ فِي أَلْفٍ ، أَوْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ رَجُلٌ مَا خِفَنِي عَلَيَّ . فَأَتَشَدَّ يَقُولُ : كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ .. الخ . وتوفي بعلها بعشرة أيام ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

[انظر الطبري ج ٨ ص ١٧٠ ، ١٧١]

(٣) في الطبري والكامل في التاريخ : « رُبْعُهُ » بدل « رُكْنُهُ » .. وفي رواية : « مَتَازِلُهُ » بدل « مَنَازِلُهُ » ، والمنزل والمنهل بمعنى واحد .. وركته : جانبه . ورُبْعُهُ : الدار وما حولها ، ويطلق أيضاً على الموضوع الذي يَتَزَلُّ فِيهِ زَمَنُ الرَّبْعِ .. وبَادَ : هَلَكَ .. وبعد هذا البيت :

« وَصَارَ غَيْبُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ وَمُلْكُهُ إِلَى قَبْرِ عَلَيْهِ جَنَازُهُ »

الجنادل : الصخور .

(٤) في الكامل والطبري : « تُتَادَى عَلَيْهِ مُغُولَاتٌ حَلَّجَتْهُ » .. وفي « ط » : « تُتَادَى » .. مُغُولَاتٌ : رافعات الصوت بالبكاء والصياح .. حلَّجته : زوجاته .. تَوَاكَلَهُ : النساء اللاتي اتَّقَمْنَهُ .

(٥) في « م » : وَأَتَشَدَّنَا .

(٦) هو : علي بن عبد العزيز بن الحسن الجُرْجَانِيُّ ، أبو الحسن ، قاضي ، من العلماء بالأدب ، وُلِدَ بِجُرْجَان ، وروى قضاءها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ماصراً به في العلوم علماً ، وفي الكلام علماً . توفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ - علي الأرجح - وهو دون السبعين . ومن كتبه : الوساطة بين المتبني وخصومه ، وعنهيب التاريخ ، وتفسير القرآن ، وله ديوان شعر ورسائل مؤتونة .

بِإِلَهِ رَبِّكَ كَمْ قَصَصٍ مَرَرْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يُعَمَّرُ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرِبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَآيَا فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(١)
وَأَتَشَدَّنِي أَيْضاً :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدَا لَنْ تَذُودَ الْمُنُونِ عَنْكَ الْمَبَانِي ^(٢)
إِنْ هَذَا الْبِنَاءُ يَتَقَيَّ وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ ^(٣)
وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ^(٤) عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ
أَنِّي ارْتَكَبْتُ عَظَائِمَ ^(٥) الْأُمُورِ جَرَاءَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ
الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنَا مِنْكَ لَا مَنَا عَلَيْكَ . وَكَانَ سَبَبُ إِخْرَاجِهِ مِنَ
الْحَضْرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ :

= [انظر نماذج من أدبه في بَيْمَةِ الدَّهْرِ لِلتَّعَالِيِّ ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٥٩ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٧
ص ١٩ - ٢١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٤ ص ١٤ - ٣٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ،
وطبقات المفهرين ج ١ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٠ ، والأعلام ج ٤ ص ٣٠٠ .
(١) الْعُقَابُ : طائر من كَوَاسِرِ الطَّيْرِ ، قَوِيٌّ مُخَالِبٌ .. وَالْحَرْبُ ، بفتح الحاء والراء المهملتين : الهلاك .
يقسم الشاعر أنه مرَّ بكثير من القصور التي كانت عامرة بما يلذ من الطيبات ، وبطرب الأسماك ، فإذا به الآن يراها
وقد نَحِمَ عليها الخراب والدمار بعد أن اختطف الموت ساكنيها وهاذوا .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « رَفَعَ » بدل « عَنْكَ » .

(٣) معنى : يَأْتِيَنَّ تَبَالُغٌ فِي رَفْعِ الْبِنَاءِ ، تَمَهُّلٌ ، فَإِنْ مَاتَ شَيْدُهُ لَنْ يَدْفَعَ عَنْكَ الْمَوْتَ وَسَتَرْحَلُ عَنْهُ وَتَتْرَكَ لغيرك .
(٤) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأبو جعفر كنيته ، وُلِدَ سنة ٩٥ هـ
واستُخْلِيفَ بعد أخيه « السَّفَاحِ » سنة ١٣٦ هـ ، وهو باقٍ مدينة بغداد ، وكان يُلقَّبُ « أبا الدَوَانِيقِ » لحبسه الكتب
والعمال على الدوانيق (الدوانيق : جمع دَانِقٍ ، وهو سُدْسُ الدرهم) وكان شجاعاً مهيباً ، تاركاً للهو واللعب ، كامل
العقل ، قتل خلقاً كثيراً حتى ثبت الأمر له ولولده (المهدي) وكان فيه عدل ، وله حظ من صلاة وعلم وفقه .. توفي
مُخْرِماً عَلَى بَابِ مَكَّةَ فِي سَادِسِ ذِي الْحِجَّةِ سنة ١٥٨ هـ ، وَدُفِنَ مابين الْحُجُّونَ وبئر ميمون ، وكانت مُدَّةَ خِلَافَتِهِ
٢٢١ عاماً .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٣ - ٦١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء
ص ٣١٤ - ٣٢٨ ، والأعلام ج ٤ ص ١١٧ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « الْأُمُورِ الْعَظَامِ » .

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحِشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ ^(١)
 وَصَارَ عَمِيدُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ إِلَى تُرْبَةٍ تُسْفَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ ^(٢)
 فَاسْتَيْقَظَ مَرْغُوبًا ، ثُمَّ نَامَ فَأُنْشِدَ : ^(٣)
 أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتَكَ وَأَنْقَضَتْ سِنُوكَ وَأَمْرُ اللَّهِ لَا بُدَّ وَأَقْبَعُ ^(٤)

(١) هذان البيتان سبق التعليق عليهما في الحديث عن «المهدي» آتفاً ، وتكاد تجمع المراجع التي أشارت إليهما - وهي كثيرة - إلى أنهما أنشدها للمهدي بن أبي جعفر المنصور في منامه - ولم أفد عليهما في غالب المصادر التي تناولت ترجمة أبي جعفر .. وفي كتاب «أبو جعفر المنصور» لعبد السلام رسم ، المطبوع بدار المعارف ، ذكر القصة بتوسّع ، وذكر البيتين باختلاف يسير في ألفاظهما فقال : «قال الربيع : قام المنصور ليلة - وكان في قصره ببغداد - فأنبه مرعوباً ، ثم عاوده النوم قليلاً ، فأنبه ثانية فزعاً مرعوباً ، ثم مرة ثالثة ، فلما انتفض فيها - نادى : ياربيع !! .. قلت : لييك بأمر المؤمنين ، قال : لقد رأيت في منامي عجباً ! رأيت كأن أتياً أتاني فهُيْتَمَ بشيء [الهيمته : الكلام الحفي] لم أفهمه ، فانتبهت فزعاً ، ثم عاودت النوم ، فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني ينزل : حتى فهمته وحفظته ، وهو :

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَغُرِّي مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
 وَصَارَ رِئِيسُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ إِلَى جَدِّثَ ثُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وما أحسنه ياربيع إلا قد حانت وفاتي ، وحضر أجل ، ومالي غير ربي ، قم فاجعل لي غسلاً .. وهبني لي آلة الحج » الخ .

وربما يكون هذا قد وقع لأبي جعفر ، فلم ينتبه كثير من المراجع المعتمدة ، ثم رآه من بعده ابنه «المهدي» فأثبتته له .

[انظر المراجع السابقة ، وتاريخ الطبري ، وأبو جعفر المنصور لعبد السلام رسم ص ١٢٨ وغيرها من المصادر] .

(٢) العميد : السيد الْمُعْتَمِدُ عليه في الأمور .. وتُسْفَى عليه جنادلُهُ : يُوحَضُ عليه التراب والصخور .

(٣) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «قَامَ فَأُنْشِدَ» .. وفي تاريخ بغداد : «قال الربيع : بينا أنا مع أبي جعفر المنصور في طريق مكة ، فنزل يقضي حاجة ، فإذا الرخ قد ألفت إليه رُقعة فيها مكتوب : «أبا جعفر ، حانت وفاتك وانقضت البيت .

قال : فننادني : ياربيع ، تنعى إليّ نفسي في رُقعة ؟

فقلت : لا والله ، ما أعرف رُقعة ، ولا أدري ما هي .. قال : فما رجعت من وجهه حتى مات بمكة » .

وفي تاريخ الطبري : «ذكر عيسى بن محمد ، أن موسى بن هارون حَدَّثَهُ ، قال : لَمَّا دَخَلَ المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة ، فنظر في صدر البيت الذي نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : أبا جعفر ، حانت وفاتك وانتهت ... » وذكر البيتين .

[انظر تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٠٧ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٦٠] .

(٤) هكذا في «ط» ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ بغداد .. وفي «م» : «لَا شَكَّ» بدل «لَا بُدَّ» .

فَهَلْ كَاهِنٌ أَعَدَّدْتُهُ وَمُنَجِّمٌ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْكَ الْمَنِيَّةُ دَافِعٌ ^(١)
 فَقَالَ : يَارَبِيعُ ^(٢) ، أَتَيْتَنِي بِطُهُورِي . فَقَامَ وَاعْتَسَلَ وَلَبَّى ^(٣) ، وَجَهَّزَ لِلْحَجِّ ، ثُمَّ
 قَالَ : يَارَبِيعُ ، الْفَنَى فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَشَدَّنِي الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ بِالْبَصْرَةِ :

إِنْ كُنْتُ تَسْمُو إِلَى الدُّنْيَا وَرَبِّتَهَا فَأَنْظِرْ إِلَى مَلِكِ الْأُمَلَاكِ قَارُونَ ^(٤)
 زَمْ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَّتَهَا وَسَخَّرَ النَّاسَ بِالشَّهْدِيدِ وَاللَّيْنِ ^(٥)
 حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّ لَاشِيءَ عَلَيْهِ وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ ^(٦)

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، الشطر الأول : « أو عددته » بدل « أعددته » خطأ من الناسخ .

والبيت في تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٠٧ :

« أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ خَرِّ الْمَنِيَّةِ مَانِعٌ ؟ »

(٢) هو : أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة ، كيسان ، وُلِدَ سنة ١١١ هـ ، وكان من موالى بنى العباس ، ومن العقلاء الموصوفين بالخزم ، اتخذه أبو جعفر المنصور حاجباً ، ثم اتخذه وزيراً ، وكان مهيباً ، وبخسن إدارة الشؤون ، عاش إلى خلافة المهدي العباسي ، وهو الذي بايعه وخلع عيسى بن موسى ، وحظي عنده .. توفي سنة ١٦٩ هـ ، وقيل في أول سنة سبعين ومائة .

[انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٤ ، والأعلام ج ٣ ص ١٥] .

(٣) الطُّهُور : ما ينظف به من ماء ونحوه .. كَلَّى : قال : لييك اللهم لييك .

(٤) تَسْمُو : تطمح .. وقارون : رجل من قوم موسى ، كان كافراً ومتكبراً .. مُفَاجِئاً بِأُمُورِهِ .. خَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَّلَهُ الْأَرْضَ .. وَيُضْطَرُّ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَنَى . وقد وردت قصته في القرآن الكريم ، في سورة القصص - الآيات ٧٦ - ٨٢ .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » حُذِفَتِ الشطر الثانية من هذا البيت ، وَجِئَءَ بِدَلِّهَا بِالشطر الثانية من البيت الثالث الذي يليه هكذا :

زَمْ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَّتَهَا وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ

زَمْ الْأُمُورَ : مَلَكَ نَوَاصِيهَا فَاتَّقَادَتْ لَهُ .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » حُذِفَتِ الشطر الأولى من هذا البيت .. وَحُذِفَتِ الشطر الثانية من البيت الثاني ، والشطر الأولى من البيت الثالث . وبهذا جاءت الأبيات في « م » ثلاثة أبيات ، وليس أربعة كما في « ط » .

رَاحَتْ عَلَيْهِ الْمَنَائِمَا رَوْحَةً تَرَكَتْ ذَا الْمُلْكَ وَالْعِزُّ تَحْتَ الْمَاءِ وَالطَّيْنُ ^(١)
وَأَسْتَدْنِي أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ يَبْعَدَاذ :

لِمَنْ أُبْنِي لِمَنْ أَسِيمُ الْمَطَايَا لِمَنْ اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ الْجَدِيدَا ^(٢)

إِذَا مَاصَرَّ إِخْوَانِي رُفَاتَا وَصِرْتُ لِفَقْدِهِمْ فَرْدَا وَجِيدَا ^(٣)

أَعَايِنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُولُ وَأَشْكَالِي قَدْ اعْتَنَقُوا اللُّهُودَا ^(٤)

وَمِمَّنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَبْصَرَ غُيُوبَهَا مِنْ أُنْبَاءِ الْمُلُوكِ ، أَبُو عِقَالٍ عَلَوَانُ بْنُ الْحَسَنِ ،
مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ ، وَهُمْ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ ذَا نِعْمَةٍ وَمُلْكٍ ، وَلَهُ قُوَّةٌ ظَاهِرَةٌ ^(٥) ،
فَتَأَبَّ إِلَى رَبِّهِ ، وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ رُجُوعًا فَأَقَى نَظْرَاءَةً ، فَرَفَضَ الْمَالَ وَالْأَهْلَ ، وَهَجَرَ
الْبَيْتَاءَ وَالْوَطَنَ ^(٦) ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَبْلَغًا أَرَبَى فِيهِ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ ، وَعُرفَ بِإِحَابَةِ
الدُّعْوَةِ ، وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا ، قَدْ صَحَبَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ سَخُونٍ ^(٧) وَسَمِعَ مِنْهُمْ ،
ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاهِلِ ، فَصَحَبَ رَجُلًا يُكْنَى أَبَا هَارُونَ الْأَنْدَلُسِيَّ ، مُنْقَطِعًا
مُتَبَتِّلًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ كَبِيرٌ ^(٨) احْتِجَادٍ فِي الْعَمَلِ ، فَبَيَّنَّا أَبُو عِقَالٍ يَتَهَجَّدُ فِي

(١) يعنى أنَّ هذا الْمُلْكَ والعِزُّ والنعم الذى كان فيه ذهب فى غمضة عين ، حين خفف الله به وبداره الأرض .

(٢) المطايا : الدواب التى تُسْتَقْبَلُ وتُرَكَّبُ . وأَسِيمُهَا ، أى : أَعْلَمُهَا بعلامات يميزها .. وفى « م » : : أَسِيمِي :
أى : أَطْلُبُ .

(٣) الرُّفَات : الحطام ، والفتات من كل ماتكسر والتدق .

(٤) هكذا البيت فى « ط » .. يهد .. أنه بعد أن رحل أصحابه وإخوانه من الدنيا ، يرى نفسه غريباً بين جيل
يخالف جيله فى كثير من طبائعه وسجاياه .. وفى « م » : : « أَعَايِنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُولُ » .

(٥) الفكرة : الشباب بين طَوَرَيِ المراهقة والرجولة ، وتُطْلَقُ أيضاً على النجدة ، وعلى المسلك الذى ينمى لخلق
الشجاعة والنجدة فى الفتى .

(٦) فى « م » : : « فَرَفَضَ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْوَطَنَ » .

(٧) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّوَجِيحِي ، الْمُلقَّبُ بِسَخُونٍ ، قاضٍ وفقه ، انتهت إليه رئاسة العلم فى
المغرب .. كان زاهداً ، لا يهاب سلطاناً فى حق يقوله .. وكان رفيع القَدْرِ ، عفيفاً ، أبى النفس ، ولُقِّبَ « سَخُونُ »
باسم طائر بالمغرب يسمونه سَخُونًا لِجِدَّةِ ذَهَبِهِ وَذَكَاتِهِ .. وكانت ولادته أول ليلة من شهر رمضان سنة ١٦٠ هـ .
وتوفى فى يوم الثلاثاء لتسع تحلُون من رجب سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والأعلام ج ٤ ص ٥] .

(٨) فى « م » : : « كَبِيرٌ » بدل « كَبِير » .

بَعْضِ اللَّيَالِي وَأَبُو هَارُونَ نَائِمٌ إِذْ غَالَبَهُ النَّوْمُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ : يَا نَفْسُ ، هَذَا غَائِدٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ ، يَتَأَمُّ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيْلِ كُلَّهُ ، فَلَوْ أَرَحْتُ نَفْسِي [سَاعَةً كَانَ خَيْرًا] ^(١) فَوَضَعَ جَنْبَهُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ شَخْصًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ : « أُمِّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » ^(٢) ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَعَا ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ ، فَأَيَّقَظَ أَبَا هَارُونَ وَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، هَلْ أَتَيْتَ كَبِيرَةً قَطُّ ؟ قَالَ : لَا يَأْتِيَنِي أَحَدٌ ، وَلَا صَغِيرَةً عَنْ ^(٣) تَعْمُدٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . فَقَالَ أَبُو عَقَالٍ : لِهَذَا تَتَأَمُّ أَنتَ وَلَا يَصْلُحُ لِمِثْلِي إِلَّا الْكُدُّ وَالْاجْتِهَادُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ وَلَزِمَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَحَجَّ مَرَارًا ، وَأَرَى عَلَى عُبَادِ الْمَشْرِقِ ^(٤) . وَكَانَ يَفْعَلُ بِالْقُرْبَةِ ^(٥) عَلَى ظَهْرِهِ بِقُوَّتِهِ ، وَمَاتَ بِمَكَّةَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنَةً سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَصْنَعُهُ يَوْمًا : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . فَقَالَ لَهُ ^(٦) بَعْدَ الْجَهْدِ بِهِ . حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ إِنْ كَانَ ^(٧) لَكَ شَهْوَةٌ أُخْبِرْنِي بِهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَشْتَهِي أَنْ أَكُلَ رَأْسًا . قَالَ : فَاشْتَرَيْتَ لَهُ رَأْسَيْنِ وَلَفَفْتُهُمَا فِي رُقَاقٍ ^(٨) وَجِئْتُهُ بِهِمَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ : هَلْ طَابَ لَكَ الرَّأْسَانِ ؟ قَالَ : لَا ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَتَحْتُهُمَا فَإِذَا هُمَا مَحْشُرَانِ دُودًا ، لَيْسَ فِيهِمَا أُنْبَتَةٌ لَحْمٍ إِلَّا الدُّودُ ، فَأَتَيْتُ الرَّأْسَ ^(٩) فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَطْرَقَ مُتَعَجِّبًا ^(١٠) .

(١) مابن العنبريين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سورة المجاثية - الآية ٢١ . وقد وردت الآية بنامها في « م » .. وفي « ط » وقف عند قوله تعالى : الصالحات » وقال : إلى آخر الآية .

(٣) في « م » : « على » بدل « عن » .

(٤) وأرأى على عبادة المشرق : أى زاد عليهم وفاقهم في العبادة .

(٥) في « م » : « بالقرية » .

(٦) « له » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) في « م » : « كانت » وكلاهما صواب .

(٨) أى : في شيء رقيق . أو : في خبز رقيق .

(٩) الرأس : بائع رعوس الحيوان .

(١٠) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « متعجباً » ، أى : حملة هذا الأمر على العجب منه .

ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنَنْتُ أَنْ فِي زَمَانِنَا أَحَدًا يُحْمَى عَنِ الْحَرَامِ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، تِلْكَ الرُّءُوسُ كَانَتْ مِنْ غَنَمٍ انْتَهَبَهَا بَعْضُ الْعُمَالِ ، ثُمَّ أُعْطِيَ رَاسَيْنِ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْغَنَمِ ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا أَبَا عَقَالٍ فَأَكْلَهُمَا ، فَأَخْبِرْتُهُ بِمَا قَالَ الرَّاسُ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ ، مَا كَانَ يَسْتَحِقُّ عَبْدُكَ أَبُو عَقَالٍ مِثْلَ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ يَا رَبِّ فَضْلُكَ وَكَرَمُكَ ، فَلَكَ عَلَى يَا رَبِّ إِلَّا آكُلَ طَعَامًا بِشَهْوَةِ أَشْتَهِيهَا حَتَّى الْفَاكِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ مُتَّبِعَةٌ ، فَلَمَّا مَاتَ لَحِقَتْ قَبْرَهُ بِمَكَّةَ وَبَكَتْ عَلَيْهِ ، وَكَبَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي مَا لَذِيَ عَايِنْتُهُ بَعْدَ دَوْمِ الصَّوْمِ مَعَ نَفْيِ الْوَسَنِ ^(٢)
 مَعَ عَزُوفِ النَّفْسِ عَنْ أَوطَارِهَا وَالتَّحَلُّى عَنْ حَيِّبٍ وَسَكَنِ ^(٣)
 يَاشْتَقِيكَ لَيْسَ فِي وَجْدِي بِهِ عِلَّةٌ تَمْنَعُنِي عَنْ أَنْ أُجِنَ ^(٤)
 وَكَمَا تَبْلَى وَجُودُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ ^(٥)

وَرَوَى ^(٦) أَنَّ رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فِي أَرْضٍ ، فَأُتِيَ اللَّهُ لَبَنَةً مِنْ جِدَارِ تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَقَالَتْ ^(٧) :
 إِنِّي كُنْتُ مِلْكًا مِنَ الْمُلُوكِ ، مَلَكَتُ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مِتُّ وَصِرْتُ رَمِيمًا ^(٨)

(١) في « م » : « وكبت هذه الأبيات على قبره » .

(٢) ليت شعري : ليتي أعلم .. عاينته : رأيته رأى العين . نفى الوسن : امتناع النوم ، والتعاس . ولطلق أيضاً على الحاجة .

(٣) عزوف النفس عن أوطارها : انصرافها عن مآربها ومتطلباتها . وفي « م » : « وَوَطْنٌ » بدل « وَسَكَنٌ » ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يَاشْتَقِيكَ » بالرفع ، وكلاهما صحيح .. وَوَجْدِي بِهِ : حُزْنِي عليه .. عِلَّةٌ : مرض أو سبب .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « وَجُودًا » بالنصب . ولعله خطأ من الناسخ . وَتَبْلَى : يَبْلَى : أى : يَفْنَى ويندثر .

(٦) في « م » : « وَيُرَوَّى » .

(٧) في « م » : « قَالَتْ » .

(٨) الرقيم : البال من كل شيء .

أَلْفَ سَنَةٍ ، فَأَخَذَنِي خَزَافٌ وَاتَّخَذَنِي ^(١) خَزَفًا ، ثُمَّ أَخَذَنِي وَضَرَبَنِي لَبًا ، وَأَنَا فِي هَذِهِ
الْجِدَارِ [مُنْذُ] ^(٢) كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، فَلِمَ تَتَنَازَعَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ؟
وَلِبَعْضِهِمْ ^(٣) :

أَلَا حَى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا لَيْسَنَ إِلَيْي مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا ^(٤)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا ^(٥)
حَتَّى تَكُ اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتَ مُدَّةً بِمَسْوَى الْعَصَا لَوْ كُنَّ يَتَّقِينَ بَاقِيَا ^(٦)
وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَوَيْ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، أَنَّ ابْنَةَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تَزْهَدَتْ فِي الدُّنْيَا
[وَكَانَتْ] ^(٧) وَخَرَجَتْ مِنْ مُلْكِهَا ، فَفَقِدَتْ ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ ، وَلَا عَلِمَ لَهَا أَثَرٌ ،
وَكَانَ هُنَاكَ ذَيْرٌ لِلْمُتَعَبِّدِينَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ ، فَأَبْصَرُوا مِنْهُ مِنَ الْاجْتِهَادِ وَالْجِدِّ
فِي الْعَمَلِ ، وَمُلَازِمَةِ الْأَوْرَادِ ، وَمُواصَلَةِ الْأَعْمَالِ مَا فَاقَ بِهِ جَمِيعَ مَنْ فِي الدَّيْرِ ، وَأَقَامَ
عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَوَفَّاهُ جِمَامُهُ ، فَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ ^(٨)
فَحَزِنَ لَهُ أَهْلُ الدَّيْرِ مِنَ الزُّهَّادِ وَالْعَبَادِ وَالْمُنْقَطِعِينَ ، وَأَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ ^(٩) ، ثُمَّ أَخَذُوا فِي

(١) الخَزَافُ : بائع الخزف أو صانعه . والخَزَفُ : ما عَمِلَ مِنَ الطِينِ وَشَوِيَّ بِالنَّارِ فَصَارَ نَحْزَارًا .
وَاللَّبُّ : مَا يَعْمَلُ مِنَ الطِينِ وَيَتَنِي بِهِ ، وَاحِدَتُهُ : لَبَةٌ .

(٢) مابين المعقوفين عن م ٤ .

(٣) من هنا إلى نهاية الآيات الثلاثة عن م ٤ ولم ترد في ط ٥ .. والآيات لأبي حنيفة التميمي : الهيم بن الربيع بن
زُرارة من بني نمير بن عامر ، شاعر فصيح من أهل البصرة ، ومن مُحَضَّرِي الدُولَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ ، مدح خلفاء
عصره فيهما ، وقيل في وصفه : كان أَهْوَجَ (به لونة) جَبَانًا ، بَحِيلًا ، كَذِبًا .. توفي سنة ١٨٣ هـ .
وقيل : مات في آخر خلافة المنصور ١٥٨ هـ . وقال البغدادي : توفي سنة بضع وثمانين ومائة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأغاني ج ١٧ ص ٦١٣٢ - ٦١٣٧ ، وطبقات الشعراء
ص ١٤٣ - ١٤٦ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٧٤ ، ٧٧٥]

(٤) المنغاي : المنازل التي كان بها أهلها ، ثم رحلوا عنها .. وهكذا ورد البيت والذي يليه في م ٤ ، والأغاني ج ١٧ ،
وطبقات الشعراء ص ١٤٤ .. أمَّا في الشعر والشعراء ص ٧٧٥ فقيه : « من بعد الحبيب » بدل « من أجل الحبيب » .
(٥) تَقَاضَى الْمَرْءُ ، طَلَبَهُ أَوْ أَقْبَاهُ .

(٦) يعني بهذا البيت أن الأيام والليالي تجعل الإنسان مَحْبِيَّ الظُّهْرِ والقامة ، بعدما كان مثل العصا في الاستقامة
والاستواء ، وقد يُزَادُ به غير ذلك . وهذا البيت لم يرد في المصادر السابقة ، ولم أقف عليه .

(٧) مابين المعقوفين عن ط ٥ وساقط من م ٤ .

(٨) الْجِمَامُ : قَضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ .. وَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ : مات .

(٩) أَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ : أَسْأَلُوهَا .

غَسَلِهِ ، فَإِذَا ^(١) هُوَ امْرَأَةٌ ، فَحَصَصُوا ^(٢) عَنْ أَمْرِهِ ، فَإِذَا هِيَ بِنْتُ الْمَلِكِ ، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ
إِعْجَابًا بِهِ ، وَتَعْظِيمًا لَهُ ^(٣) ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ : مَاذَا يُخْدِثُونَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمُ الْإِيدِنْوَهَا نَحْتِ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكْفِهِمْ ، فَعَسَلُوهَا وَكَفَّنُوهَا
وَجَهَّزُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكْفِ وَالسَّوَادِ ، كُلَّمَا ضَجَرَ وَاحِدٌ
جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ يَحْمِلُ ، وَكُلٌّ مَنِ انْقَطَعَ فِي الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ
إِلَى أَنْ يَلِيَتْ ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ ، فَذَفِنَتْ جِيئِيذٌ ^(٤) ، رَحْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهَا .

وَكَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، مِمَّا بَلَى أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ ، رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، بَلَغَ ^(٥) فِي التَّحَلُّي
مِنَ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَاعْتَزَلَ الْخَلْقَ ، وَالتَزَمَ ^(٦) قُلُلَ الْجِبَالِ وَالسِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى
الْعَالِيَةِ الْقُصْوَى ، فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ هُوْدٍ ^(٧) فِي بَعْضِ الْأُمُرِ ، فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُوْدٍ ،
ثُمَّ أَخَذَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ ، وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَّثَهُ مِنْ

(١) فِي « ط » : « وَإِذَا » فِي الْمَوْضِعِينَ .

(٢) فِي « م » : « فَحَصَصُوا » أَيْ : تَبَيَّنَا .

(٣) سَقَطَتْ « لَه » مِنْ « م » وَكُلُّ ذَلِكَ : « فِي أَمْرِهِ » بَعْدَهَا .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « ثُمَّ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الْإِيدِنْوَهَا نَحْتِ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكْفِهِمْ ،
فَعَسَلُوهَا وَكَفَّنُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكْفِ وَالسَّوَادِ ، كُلَّمَا ضَجَرَ وَاحِدٌ جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ
يَحْمِلُ ، وَكُلٌّ مَنِ انْقَطَعَ مِنَ الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ يَلِيَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ فَلَدِفَتْ
جِيئِيذٌ » .

(٥) فِي « ط » : « قَدْ بَلَغَ » .

(٦) التَزَمَ الْأَمْرُ أَوْ الشَّيْءُ : أَوْجَهَ عَلَى نَفْسِهِ .. وَفِي « م » : « لَزِمَ » ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا ، يُقَالُ : لَزِمَ الشَّيْءُ : تَعَلَّقَ بِهِ .

(٧) هُوَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُوْدٍ ، مُؤَسِّسُ دَوْلَةِ آلِ هُوْدٍ : مِنْ مُلُوكِ الطُّوَلُوفِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ
مَقِيمًا فِي « تُطَيْلَةَ » وَمَعْلُودًا مِنْ كِبَارِ الْجَنْدِ ، فَلَمَّا اضْطَرَبَ أَمْرُ الْأُمَوِيِّينَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سَنَةَ ٤١٠ هـ وَتَلَقَّبَ
« الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ » وَتَمَلَّكَ « لَارْدَةَ » ثُمَّ « سَرَقِشْطَه » سَنَةَ ٤٣١ هـ ، وَانْتَضَمَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَضَخَمَ مُلْكُهُ ، فَقَسَّمْ بِلَادَهُ
عَلَى أَبْنَائِهِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَلايَةً ، وَكَانُوا خَمْسَةً ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٤٣٨ هـ . وَمِنْ أَبْنَائِهِ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ
أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هُوْدٍ ، رَابِعُ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْهُودِيَّةِ ، وَاتُّوَفِيَ سَنَةَ ٥٠٣ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ٢٧٣ وَج ٣ ص ١٣٢] .

الْبَيْضَاءِ وَالْحُمْرَاءِ ، وَأَحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَمْثَالِهَا ، وَتَقَائِسِ الْأَعْلَاقِ ^(١) ،
وَالْجَوَارِي ، وَالْحَشَمِ ، وَالْأَجْنَادِ ، وَالْكَزَاجِ ^(٢) وَالسَّلَاحِ ، فَأَقَامُوا فِي ذَلِكَ أَيَّامًا ، فَلَمَّا
انْقَضَتْ ^(٣) قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مُلْكًا ، وَلَكِنَّهُ ^(٤) يُعْزِزُكَ فِيهِ
خَصْلَةٌ ، إِنْ أَنْتَ قَدَّرْتَ ^(٥) عَلَيْهَا فَيَهِيَ نِظَامُ مُلْكِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ
لَا شَيْءَ ^(٦) . قَالَ : وَمَاتِلِكَ الْخَصْلَةُ ؟ قَالَ تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ ^(٧) غِطَاءً عَظِيمًا خَصِينًا قَوِيًّا ،
وَتَكُونُ بِسَاحَتِهِ قَدْرَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ تَكْبُهُ ^(٨) عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلِكُ الْمَوْتِ مَدْخَلًا
إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ الْعِلْجُ ^(٩) :
بَاهَذَا ، أَلْتَفَخِرُ بِأَمْرِ تُرْكُهُ غَدًا ؟ وَمِمَّا لَمْ يَفْتَخِرْ بِمَا ^(١٠) يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ
فِي النَّوْمِ .

وَيُرَوَّى ^(١١) أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا وَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ عَابٍ مِنْهُ شَيْئًا
فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَيِّبَيْنِ ^(١٢) ، قَالَ :
وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : يَمُوتُ الْمَلِكُ وَيَحْرُبُ الْقَصْرُ ، قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ
وَتَرَكَ الدُّنْيَا .

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة التي يتعلق بها القلب .

(٢) الكزاج : اسم يجمع الخيل والسلاح .

(٣) في م : انقضت .

(٤) في م : ولكنك .. ويعززك : يثبلك ، أو تحتاج إليه .. والخصلة : خلق في الإنسان يكون فضيلة
أو رذيلة .

(٥) في م : اقتدرت ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٦) في م : شبه لاشيء .

(٧) في م : توضع .

(٨) تكبها : تغطيه .

(٩) العيلج : كل جاف شديد من الرجال . وبعض العرب يطلقونه على كل من يخالف دين الإسلام ، وعلى الرجل
الضخم من كبار العجم . ويطلق على الكفار مطلقاً .

(١٠) في م : يمتن .

(١١) في م : وروى .

(١٢) في م : فقال له : في هذا القصر عيبان .

وَمِنْ عَجَائِبِ أَخْبَارِ الْخَضِيرِ ^(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالُوا : سُئِلَ الْخَضِيرُ [عَلَيْهِ
السَّلَامُ] ^(٢) عَنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فِي طُولِ سِيَاحِكَ ، وَكَثْرَةِ خَلُوتِكَ ،
وَقَطْعِكَ الْفَقَارَ وَالْفَلَوَاتِ . قَالَ ^(٣) : أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُهُ أَنِّي مَرَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ لَمْ أَرْ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ : مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ قَالُوا ^(٤) :
سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ، وَمَا زَالَتْ كَذَلِكَ مِنْ
عَهْدِ الطُّوفَانِ ، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَغَبَرَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ،
فَإِذَا ^(٥) هِيَ خَالِيَةٌ عَلَى غُرُوبِهَا ، وَلَمْ أَرْ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، وَإِذَا رُعَاةُ غَنَمٍ ، فَذَنُوتُ مِنْهُمْ ،
فَقُلْتُ : أَيُّنَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ : مَا يَذْكُرُ ^(٦) آبَاؤُنَا
وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ قَطُّ كَانَتْ هَاهُنَا مَدِينَةٌ . فَبَيْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ
انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مَوْضِعُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ^(٧) بَحْرٌ ، وَإِذَا غَوَاصُونَ يُخْرِجُونَ مِنْهُ شِبْهَ
الْجَلْبَةِ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْقَوَاصِينَ : مُنْذُ كَمْ كَانَ ^(٨) هَذَا الْبَحْرُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ ^(٩) آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . ثُمَّ غِبْتُ
عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا ^(١٠) ذَلِكَ الْبَحْرُ قَدْ غَاصَ
مَآؤُهُ ^(١١) ، وَإِذَا مَكَائِهِ غِيضَةٌ مُلْتَفَّةٌ بِالْقَصَبِ وَالْبَرْدَى وَالسَّاجِ ، وَإِذَا صَيَّادُونَ يَصِيدُونَ

(١) هو : عبد صالح ، وقيل نبي مغمَّر ، وهو صاحب موسى ، عليه السلام ، الذي لقيه بجميع البحرين ،
وحدثت بينهما أحداث عجيبة ذُكرت في القرآن الكريم في سورة الكهف (الآيات من ٦٠ - ٨٢) ويضرب به المثل
في العلم والحكمة .

(٢) ما بين المقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « فقال » .

(٤) في « م » : « فقالوا » .

(٥) في « ط » : « وإذا » .

(٦) في « ط » : « ما يذكرك » .

(٧) في « م » : « اللبنة » بدل « المدينة » .

(٨) سقطت « كان » من « م » .

(٩) في « ط » : « ما يذكرك » .

(١٠) في « ط » : « وإذا » .

(١١) غاص مآؤه ، أى : نزل في الأرض وغاب فيها . والغِيضَةُ : اللوزع يكثر فيه الشجر ويلتف . وفي
« م » : « الغيلة » ، بالطاء ، وهى : النخض الواسع من الأرض .

السَّمَكِ فِي زَوَارِقٍ صِغَارٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْبَحْرُ الَّذِي كَانَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ كَانَ هَاهُنَا ^(١) بَحْرٌ . فَبَغِثْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ
 خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ^(٢) ، فَإِذَا هُوَ مَدِينَةٌ عَلَى حَالَتِهَا ^(٣) الْأُولَى ،
 وَالْحُصُونُ وَالْقُصُورُ وَالْأَسْوَاقُ قَائِمَةٌ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْغَيْضَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟
 وَمَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ فَقَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ أَحَدٌ ^(٤) إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ
 عَلَى حَالِهَا مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . فَبَغِثْتُ عَنْهَا ^(٥) نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ
 إِلَيْهَا ، فَإِذَا عَلَيْهَا سَافِلُهَا ، وَهِيَ تَذَخِنُ بِدُخَانٍ شَدِيدٍ ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُ
 رَاعِيًا فَسَأَلْتُهُ : أَيْنَ الْمَدِينَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ وَمَتَى حَدَثَ هَذَا الدُّخَانُ ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ هَكَذَا مُنْذُ كَانَ .
 فَهَذَا أُعْجِبُ شَيْءَ رَأْيَتِهِ فِي سِيَاحَتِي فِي الدُّنْيَا . فَسُبْحَانَ مُبِيدِ الْعِبَادِ ، وَمُفْنِي الْبِلَادِ ،
 وَوَارِثِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا . [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ] ^(٦) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٧) :

قَفَّ بِالذِّبَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ تَبْكِي الْأَجْبَةَ حَسْرَةً وَشَوْقًا ^(٨)
 كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُ مُجِبًّا عَنْ أَهْلِهَا، أَوْ نَاطِقًا، أَوْ مُشْفِقًا ^(٩)

(١) فِي « ط » : « هَاهُنَا قَطَّ » .

(٢) فِي « م » : « الْمَوْضِع » .

(٣) فِي « ط » : « حَالَهُ » .

(٤) فِي « م » : « مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا » .

(٥) فِي « م » : « بَغِثْتُ نَحْوًا » .

(٦) مَا يَمِينُ الْمُعْتَرِفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٧) فِي « ط » : « قَالَ » وَالْأَيَّاتُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهَا وَرَدَتْ فِي « حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ » (ج ١٠ ص ٣٤٨) فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ

عَمْدِ الْجَرِيرِيِّ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادَ (ج ٤ ص ٤٣٣) .. وَطَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ (ص ٢٦٤) .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » وَ« ط » وَطَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ وَالْحَلِيَّةِ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادَ : « نَبْكِي ، بِالنُّونِ .

(٩) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » وَ« ط » .. وَفِي الْمَصَادِرِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ وَرَدَتْ « صَادِقًا » بِدَلِّ « نَاطِقًا » .

فَأَجَانِي دَاعِي الْهَوَى فِي رَسْمِهَا فَأَرَقْتُ مَنْ تَهَوَّى فَعَزَّ الْمُلتَقَى ^(١)
وَسَمِعْتُ بِالْعِرَاقِ مُنْشِدًا يَنْشِدُ ^(٢) :

أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي قَدْ دَنَرَا كَانَ عَيْنَا نُمُ أَضْحَى أَثَرَا
أَيَّنَ سُكَّانُكَ مَاذَا فَعَلُوا خَيْرًا عَنْهُمْ سَقِيَتِ الْمَطَرَا
وَلَقَدْ نَادَى مُنَادِيهِمْ لَنَا رَحَلُوا وَاسْتَوْدَعُونِي عِبَرَا

وَمِنَ الشَّعْرِ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٣) قَوْلُ الْقَائِلِ :

رُبُّ وَرَقَاءٍ خُتُوفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ ^(٤)
ذَكَرَتْ إِلْفَا وَدَهْرًا صَالِحَا فَبَكَتْ حُرْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي ^(٥)
بَيْكَايِي رُبَّمَا أَرْقَهَا وَيُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَنِي ^(٦)
فَإِذَا تُسْعِدُنِي أَسْعِدَهَا وَإِذَا أُسْعِدَهَا تُسْعِدُنِي ^(٧)

(١) هكذا في « م » و « ط » والمصادر السابقة ، ماعدا الحلية ، فقد جاءت كلمة « رسمها » بدل « رسمها » ، والأخيرة أنسب في المعنى ، وأصل الرُّس : الضراب الذي يُخْشَى على القبر ، أو ما يُدْفَنُ وتُسَوَّى عليه الأرض . أما الرسم ، فهو الأثر الباقي من الدار بعد أن عَفَتْ وَدَرَسَتْ .

(٢) من هنا إلى آخر الأبيات الثلاثة الآتية عن « م » ، ولم ترد في « ط » .

(٣) في « ط » : « في هذه الأبيات » بدل « في هذا الباب » .

(٤) الورقاء : الحمامة ، وقد شبه بها ابن سينا النفس حيث قال :

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْقِعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَقَرُّزٍ وَغَمَمِ

وخُتُوفٌ : وصف للمبالغة ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، أى : كثرة الغمَمِ والغمَلِ .. والشجو : الحزن يقال : شجاء تذكر الإلْف : شَوْقُهُ وَهَيْجُ حُرْنِهِ . والفَن : غُصْنُ الشجرة ، جمعه : أفنان .

[انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٣٢٥ ط الدار المصرية اللبنانية .. وحياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ ص ٤١٦ ط مصطفى الحلبي ، وكتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٢٥ مادة : ورقاء] .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وعند الدميري : « وَخِلْنَا صَالِحًا » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً ، فالإلْف : المألوف والمحبوب .. والخِلْن : الصديق .

(٦) أَرْقَهَا : جعلها لائتنام .

(٧) هكذا البيت في « م » و « ط » ولم يرد في المرجعين السابقين .

وتسعدني : تعاونني ، يقال : أَسْعَدَتِ الثَّالِثَةُ الثَّكَلِيَّ : أعانتها على البكاء والتوجع .

وَلَقَدْ تَشْكُرُوا فَمَا أَفْنَهُمَا وَلَقَدْ أَشْكُرُوا فَمَا تَنْهَمُنِي ^(١)
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَىٰ أُعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَىٰ تُعْرِفُنِي ^(٢)

وَنَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْعَبَادِ إِلَىٰ بَابِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ شَيْدَهُ وَأَثَقَنَهُ وَزَوَّقَهُ ، فَقَالَ :
بَابٌ جَدِيدٌ ^(٣) وَمَوْتُ عَتِيدٌ ، وَنَزْعٌ شَدِيدٌ ، وَسَقَرٌ بَعِيدٌ .

وَلَمَّا نَقَلَ ^(٤) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَأَىٰ غَسَّالًا يَلْوِي بِيَدِهِ ثَوْبًا ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي
كُنْتُ غَسَّالًا لِأَعِيشُ إِلَّا بِمَا أَكْتَسَبْتُهُ ^(٥) يَوْمًا قَبِيومًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَازِمٍ ^(٦) ، فَقَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَائِخُنُ فِيهِ ^(٧) وَلَا تَقْتَمِنِي عِنْدَهُ مَا هُمْ فِيهِ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ،
وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَعَيْنٍ لَا تَعْلَمُ ، هَلْ يَتَوَقَّعُ ^(٩) أَحَدُكُمْ مِنْ

(١) هكذا البيت في « م » ، و « ط » .. وعند الديمري وفي الإحياء ورد هكذا :

« ولقد أشكرو فَمَا أَفْنَهُمَا ولقد تشكرو لما تنهمنى »

(٢) الْجَوَى : اشتداد الوجْد : من عَشِقَ أَوْ حَزَنَ .

(٣) في « ط » : « حديد » بالخاء المهملة .. وموت عتيد ، أى : مُهَيَّأً وحاضِرٌ .

(٤) نَقَلَ : اشتد مرضه .

(٥) في « ط » : « أكسبه »

(٦) هو : أبو حازم المدني ، سلمة بن دينار ، ويقال له : الأهرج .. كان عالِمًا للمدينة وفقهيا ، وقاضيا
وشيخها ، وكان زاهداً عابداً ، كبير القدر ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك لأتياه ، فقال : « إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ
فَلْيَأْتِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ » . وقال هشام لأبي حازم : ما النجاة من هذا الأمر ؟ (يعنى الْمُلْكُ)
قال : « هُنَّ .. لَا تَأْخُذُ شَيْئاً إِلَّا مِنْ جُلْهٍ ، وَلَا تَنْصُرُهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ » .

ومناقب أبي حازم كثيرة .. توفي - رحمه الله - سنة ١٤٠ هـ

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، والأعلام
ج ٣ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٩] وقال ابن كثير [في البداية والنهاية ج ٩ ص ٧٧] :

« لما احتضر عبد الملك ، أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فُتِحَتْ سمع قصاراً بالوادي (القصار : محوَر الثياب
ومبعضها) فقال : يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ سعيد بن المسيَّب قوله قال : الحمد لله الذي
جعلهم عند موتهم يفرحون إلينا ولا يفرحون إليهم » والجدير بالذكر أن أبا حازم سمع سعيد بن المسيَّب وأخذ عنه .

(٧) في « م » : « جعلهم عند الموت يمتنون » .

(٨) في « م » : « وقال الرسول عليه السلام » .

(٩) في « م » : « ما يتوقع » ، و « هل » هنا بمعنى « ما » .

الدُّنْيَا إِلَّا غَنَى مُطْعِمًا ؛ أَوْفَقَرًا مُنْسِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا ^(١) ، أَوْ الدُّجَالَ ،
وَالدُّجَالَ ^(٢) شَرُّ غَائِبٍ يَنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةَ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ^(٣) .

وَقَالَ عِيسَى ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَوْحَى اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا : « مَنْ خَدَمَنِي
فَأَخْدِمِيهِ ، وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَحْدِمِيهِ ^(٦) يَا دُنْيَا تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلُولِي لَهُمْ
قَتْنِيَّتِهِمْ » ^(٧) .

وَقَالَ مُورِقُ الْعِجْلِيِّ ^(٨) : يَا بَنَ آدَمَ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ تُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ ^(٩) ،
وَيَنْقُصُ عُمْرُكَ وَأَنْتَ لَا تَحْزَنُ ، تَطْلُبُ مَا يُطْفِئُكَ ، وَعِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، لِإِقْبَالِ تَفْنُعٍ
وَلَا يَكْثِيرُ تَشْنُيعٍ .

(١) قَرَمًا مُفَنِّدًا : كَبِيرًا وَضَعْفًا فِي الرَّأْيِ .

(٢) فِي « م » : « فَالدُّجَال » .

(٣) الْحَدِيثُ رُبِّي مُجْتَمِعًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ - بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ - فِي بَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ج ٥ ص ٨٧ ،
وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِجَزْءٍ أَيْضًا فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْإِسْتِزَادَةِ ج ٨ ص ٢٥٤ وَمَابَعْدَهَا ، بِشَرْحِ جَلَالِ الدِّينِ السَّيُوطِيِّ ،
وَأُورِدَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِجَزْءٍ فِي أَبْوَابِ الدُّعَاءِ ج ١٣ صَفَحَاتٍ مَنفَرَقَةٍ - وَابْنُ مَاجَةٍ فِي سُنَنِهِ ج ١ ص ٩٢ ،
وَالْمُنْفَرِيُّ فِي التَّرَغِيثِ وَالتَّرَهيبِ - عَنْ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ - وَفِيهِ : « قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ » ج ١ ص ١٢٤ ط
الِدَارِ الْمَصْرِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، ج ٤ ص ٣٦٢ .. وَوَرَدَ الْحَدِيثُ كَامِلًا فِي أَدَبِ
الدُّنْيَا وَالدِّينِ لِلْمَآوَرِدِيِّ ص ١٤٤ ط الدَّارِ الْمَصْرِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ .

(٤) فِي « م » : « عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّفَيْنِ عَنْ « م » .

(٦) فَاسْتَحْدِمِيهِ أَيْ : اتَّخَذِيهِ خَادِمًا .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » ، وَتَمَرَّرِي .. وَلَا تَحْلُولِي : أَيْ حَبِيرِي مُرَّةً وَلَا تَكُونِي ذَاتَ حُسْنٍ وَحُلَاوَةٍ .. وَفِي
« م » : « تُرَى عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلِي لَهُمْ » أَيْ : أَذْهَبِي عَنْهُمْ وَتَجَاوِزِيهِمْ .

(٨) هَكَذَا فِي « م » وَالْحَلِيَّةِ ، وَالْمَغْنَى ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ .. وَفِي « ط » : « مُورِقٌ بِالْهَمْزِ ، وَهُوَ : مُورِقُ بْنُ
الشُّشْمَرِجِ (بِالْجِيمِ الْمُعْجَمَةِ) .. وَفِي الْحَلِيَّةِ : مُشْتَرِخٌ (بِالْهَاءِ الْمُعْجَمَةِ) الْيُجْلِي .. كَانَ زَاهِدًا وَتَقِيًّا وَرِعًا ، وَكَانَ
يَقُولُ : « لَوْ كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ فِينَا مَا يَرَوْنَ فِيمَا لَمْ يَلْعَلُوا إِلَيْنَا » . وَكَانَ يَطْلُفُ فِي إِدْخَالِ الرِّفْقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، يَضَعُ
عِنْدَهُمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَيَقُولُ : أَسْكُوهُا عِنْدَكُمْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ .. ثُمَّ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْهَا .. وَلَهُ أَحَادِيثُ
عَنْ عِدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : أَبُو ذَرٍّ ، وَاسْمَاعِيلُ الْفَارِسِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

[انْظُرِ الْحَلِيَّةَ لِأَبِي نَعِيمٍ ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، وَالْمَغْنَى فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ ص ٢٤٣ ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ
ص ٥٠٣] .

(٩) فِي « ط » : « يُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَتَحْزَنُ » .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ ^(٢) : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيَّامَ تُطْرَى ، وَالْأَعْمَارَ تُقْتَلَى ، وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تَبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَكَضَانِ تَرَكَضَ الْبَرِيدِ ^(٣) ، يُقْرَبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلَقَانِ ^(٤) كُلُّ جَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ ^(٥) . مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ ، كُلَّمَا أَزْدَادَ صَاحِبُهُ شَرًّا أَزْدَادَ عَطْشًا ، وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ ، فِي أَسْفَلِهِ ^(١) السَّمُّ الدُّعَافُ ، فَلِلذَّائِقِ ^(٢) مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ ، وَلَهُ فِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الدُّعَافُ ، وَكَالْخَلَامِ النَّائِمِ ^(٣) الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ ، وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا ^(٤) وَيَبْقَى رَاجِيهِ ^(٥) فِي الظُّلَامِ مُقِيمًا ، وَكَالدُّودَةِ الْإِبْرَسِمِ ^(٦) الَّتِي لَا يَزْدَادُ الْإِبْرَسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًا إِلَّا أَزْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(٧) :

(١) في م : : النبی .

(٢) في ط : : خطبته .

(٣) يترأكضان تراکض البرید ، أى : یسرعان کإسراع الدَّائِيَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْبَرِيدَ .

(٤) يُخْلَقَانِ : يُبَيَّنَانِ .

(٥) أى : یعابَدُ اللَّهَ .

(٦) هكذا في م و ط : ، والصواب : أسفلها ، لأن الكأس مؤنثة .

[انظر اللسان والوسيط وغیرهما من المعاجم مادة كأس] .

(٧) هكذا في م .. وفي ط : : السَّمُّ ، للذائق ولم ترد فيها كلمة « الدُّعَافُ » . والسَّمُّ الدُّعَافُ : الَّذِي يَقْتُلُ مِنْ سَاعَتِهِ .

(٨) في ط : : وكالْأَحْلَامِ لِلنَّامِ .

(٩) هكذا في ط .. وفي م : : وشداً لامتني لها .

(١٠) أى : الَّذِي يُؤْمَلُ أَنْ يَعُودَ لِيَسِيرَ فِي ضَوْئِهِ . وفي ط : : راليه .

(١١) أى : كدودة الحرير « القز » وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ وَيَنْقُصُ غَيْرَهُ ، فَيَقَالُ : « مَا نِلَانِ إِلَّا دَوْدَةَ قَز » وَقَدْ مُثِّلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَ آدَمَ ، بِدَوْدِ الْقَزِ ، لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْسُجُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ جَهْلِهِ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مُخْلَصٌ ، فَيَقْتُلُ نَفْسَهُ ، وَيَصِيرُ الْقَزُ لِنَهْرِهِ ، وَرَبْمَا قَتَلُوهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ نَسْجِهِ ، لِأَنَّ الْقَزَ يَنْتَفِ عَلَيْهِ ، فَيُورِمُ الْخُرُوجَ عَنْهُ فَيَسْمِسُ ، وَرَبْمَا غُيِّرَ بِالْأَيْدِي حَتَّى يَمُوتَ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْطَعُ الْقَزَ صَحِيحًا ، فَهَذِهِ صُورَةُ الْمَكْتَسِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي أَهْلَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَتَتَعَمَّقُ وَرَثَتُهُ بِمَا شَقِيَ هُوَ بِهِ .

[انظر الدمیری : حیاة الحيوان الکبری ج ١ ص ٤٨٧ ، وثمار القلوب للتلحابی ص ٤٣٤] .

(١٢) هو : أبو الفتح الشَّشَنِي ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ . وُلِدَ فِي « بُسْت » قَرِبَ سَجِسْتَان ، وَإِلَيْهَا نَسَبُهُ ، كَانَ شَاعِرَ عَصْرِهِ وَكَاتِبَهُ ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَةِ فِي خِرَاسَانَ .. مَاتَ غَرِيبًا فِي بَلَدَةِ « أَوْزَجَنْد » بِبِخَارَى ، سَنَةِ ٤٠٠ هـ أَوْ ٤٠١ هـ .

كَدَوْدَ كَدَوْدِ الْفَرِّ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ ^(١)

وَيَقَالُ مَنْ يَسْتَعِجِلُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيُعْرِضُ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، بِمِثَالِ رَجُلَيْنِ لَقَطَا مِنَ الْأَرْضِ حَبْنِي عَنَبٍ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَعَلَ بِمِصُّ الْحَبَّةِ التِّدَادَا بِهَا ، ثُمَّ بَلَغَهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَرَزَعَ الْحَبَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ زَمَانٍ التَّقْيَا ، فَأَمَّا الَّذِي رَزَعَ الْحَبَّةَ [وَجَدَهَا] ^(٢) قَدْ صَارَتْ لَهُ كَرَمًا ، وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَفَكَرَ الْآخَرُ فِي صُنْعِهِ فِي الْحَبَّةِ فَوَجَدَهَا قَدْ صَارَتْ عَذْرَةً ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ^(٣) إِلَّا الْحَسْرَةُ عَلَى تَقْرِيطِهِ ، وَالْغَيْبَةُ ^(٤) لِصَاحِبِهِ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُتَيْبٍ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أُنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٥) : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِيَ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ فَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَحِيدًا فَرِيدًا ، مَهْمُومًا وَخَشِيئًا ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيْرِ الْوَحْدَانِيِّ الَّذِي يَظُلُّ فِي الْأَرْضِ الْفَلَاةِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ رُغُوسِ الشَّجَرِ ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْغُيُورِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ وَلَمْ يَأُوْ مَعَ الطَّيْرِ اسْتِغْنَا سَا بِرَبِّهِ .
وَلْيَعْنِيهِمْ :

كَمْ لِلْحَوَادِثِ مِنْ صُرُوفٍ عَجَائِبَ وَتَوَائِبِ مُوصُولَةٍ بِتَوَائِبِ ^(٦)

= [انظر الديموري - المرجع السابق ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٨] .
(١) كَدَوْدٌ : يعمل مجد واجتهاد ، ولا يتوانى في عمله ، والكدود من الرجال : الذي لا يتألم خيره [لا يفسر . وقبل هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَرَّةَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرِ لَا يَزَالُ يَتَلَحَّضُ

[الديموري - المرجع الأسبق] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « شيفا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع . اسم « ليس » .

(٤) الغيبة : أن يمتنى المَرَّةُ بِمِثْلِ مَا لِلْمَغْبُوطِ مِنَ النِّعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ . ويُطْلَقُ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ وَالْعُسْرَةِ أَيْضًا .

(٥) في « م » : « من الأنبياء » .

(٦) عجائب وتوائب ، صَرَفًا هُنَا لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ . وصرُوفٌ عجائب : أحداثٌ عجيبةٌ غريبةٌ .

وَلَقَدْ تَقَطَّعَ مِنْ شَبَابِكَ وَانْقَضَى مَا لَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَيْكَ يَا بَيْتُ (١)
تَبْنِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا يَثْلُ زَادِ الرَّاَكِبِ

وَقَالَ (٢) مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : بَلَغَنِي أَنَّ عِيسَى (٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ نَدَّ حَرَبَتْ
حُصُونُهَا ، وَجَفَّتْ أَنْهَارُهَا ، وَشَعَّتْ (٤) شَجَرُهَا ، فَتَادَى : يَا حَرَابُ (٥) ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَادَى : يَا حَرَابُ ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ [فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ] (٦) فَتَوَدَّى عِيسَى
إِلَى مَرْيَمَ : بَادُوا وَتَضَمَّنْتَهُمُ الْأَرْضُ ، وَعَادَتْ أَعْمَالَهُمْ قَلِيلًا فِي أَغْنَائِهِمْ (٧) إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٨) .

قَالَ مَالِكُ : سَأَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ عَادٍ يُقَالُ لَهَا « هَرْنَمَةٌ » : أَيُّ عَذَابِ اللَّهِ
رَأَيْتِ أَشَدَّ ؟ قَالَتْ : كُلُّ عَذَابِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَسَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَى (٩) لَيْلَةٍ لَارِيحٍ
فِيهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْغَيْرَ تُحْمِلُهَا الرِّيحُ (١٠) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
وَقَالَ مُجَاهِدٌ (١١) : كَانَ طَعَامُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْعُشْبُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَبْكِي

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أَحْسَبُهُ » بدل « أَعْلَمُهُ » . يا بَيْتُ : راجع .

(٢) في « م » : قال .

(٣) في « م » : عيسى بن مريم .

(٤) تشعت شجرها : تفرق أو تليد .

(٥) في « م » : « يا حَرَبُ » في الموضعين ، أي : يا موضع الحراب .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) في « م » : « رَأَيْتُهُمْ » بدل « أَعْنَائِهِمْ » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » الجملة فيها اضطراب من الناسخ ، وسقط منها : « فَبَكَى » .

(٩) سقطت « على » من « م » والسياق يستدعيها .

(١٠) في « م » : « الرِّيحُ » .

(١١) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بنى مخزوم ، تابعي ، عالم وفقه ، ومُفسر من أهل مكة ،
وُلِدَ سنة ٢١ هـ وأخذ التفسير عن ابن عباس ، وله أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُسْتَكْرَمُ ، وسُئِلَ الْأَعْمَشُ عَنْ
ذَلِكَ فَقَالَ : كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ يُسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . وَفِي الْحَلِيقَةِ وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ
الْمَرَاJعِ ، الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ . وَاحْتَطَفُوا فِي تَارِيخِ وَقَاتِهِ مَا بَيْنَ سَنَةِ ١٠٠ هـ إِلَى سَنَةِ ١٠٨ هـ ، وَالرَّاجِعُ أَنَّهُ تَوَفَّى فِي سَنَةِ
١٠٤ هـ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ،
وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ، وكتاب التاريخ الكبير للبخاري ج ٧
ص ٤١١ - ٤١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٢ ، ٤٣ ، والحلية ج ٣
ص ٢٧٩ - ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٨] .

مِنْ نَحْشِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَوْ كَانَ الْقَارُّ عَلَى عَيْنَيْهِ لَحَرَقَهُ ^(١) ، وَلَقَدْ كَانَتْ الدُّمُوعُ اتَّخَذَتْ ^(٢) مَجْرَى فِي وَجْهِهِ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِسُقْرَاطَ ^(٣) الْحَكِيمِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : قُمْ ، فَقَامَ غَيْرَ مُرْتَاعٍ مِنْهُ وَلَا مُتَقَبِّطٍ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَمَا ^(٤) تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي ^(٥) أَرَى فِيكَ طَبِيعَ الدُّوَابِّ ، فَهِيَ تَرْكُضُ بِأَرْجُلِهَا ^(٦) . فَعَضِبَ وَقَالَ : أَتَقُولُ لِي هَذَا وَأَنْتَ عَبْدِي ؟ فَقَالَ لَهُ سُقْرَاطُ : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ عَبْدِي . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ شَهَوَاتِكَ ^(٧) قَدْ مَلَكَكَ ، وَأَنَا أُمْلِكُ ^(٨) الشَّهَوَاتِ . فَقَالَ ^(٩) : أَنَا الْمَلِكُ ابْنُ الْأَمْلَاقِ السَّادَةِ ، أُمْلِكُ مِنَ الْإِلَادِ كَذَا ، وَمِنَ الْأَمْوَالِ وَالرَّجَالِ كَذَا . قَالَ ^(١٠) : أَرَأَاكَ تَفْضَحُ

(١) هكذا في « م » .. وفي الخلية ج ٣ ص ٢٩٠ : « حتى لو كان القار على عينيه لحرقه » ، وفي الخاشية : « لحرقه » ، وفي « ط » : « لأحرقه » .

(٢) في « م » : « لو كان الدمع اتخذ » .

(٣) فيلسوف وحكيم يوناني من أثينا ، ولد سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، في عصر كثرت فيه فضائل السوفسطائيين ، وهم طائفة من الفلاسفة ، زعموا أن الموجودات خيالات لاحقيقة لها ، واستخدموا الجدل في التصريح والتضليل ، حتى خلعوا بعض الناس عن عقائدهم ، فتصدى لهم سقراط ، وكان من ألد أعدائهم ، وقد أباطيلهم بفلسفته العالية ، وحججه القوية .. وكان سقراط يمتاز بنبل أخلاقه وشهامته ، وكان زاهداً في الدنيا ، قليل المبالاة بها ، عزوفاً عنها ، ومن أقواله ويحكى المشهورة : « النفس جامعة لكل شيء ، فمن عرف نفسه ، عرف كل شيء » ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء » . وقال : « لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف » . وقال : « لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك ، فكيف بك إذا كنت لأمانك صديقك » . وقد وصلت تعاليمه إلينا عن طريق تلاميذه ، خاصة « أفلاطون » و « أرسطوفان » و « أرسطوفان » أو عن طريق « أرسطو » الذي وُلد - على الأرجح - بعد وفاة سقراط بحوالى ١٣ عاماً .. توفي سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، بعد أن تمخلف عليه أعداؤه أمام المحاكم ، واتهموه بإفساد الشباب وعدم اعتقاده في آلهة المدينة ، فحكّم عليه بشرب السم في السجن » .

[انظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجلي ج ٥ ص ١٨٠ - ١٩٦ والموسوعة الفلسفية ص ٢٥٦ - ٣٦٢] .

(٤) في « ط » : « ما » .

(٥) في « ط » : « ولكن » .

(٦) في « م » : « برجلها » .

(٧) في « ط » : « شهواتك » .

(٨) في « ط » : « ملكك » .

(٩) في « م » : « قال : فأنا الملك » .

(١٠) في « م » : « فقال » .

عَلَىٰ بِمَا لَيْسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا سَبِيلُكَ أَنْ تَفْخَرَ عَلَىٰ نَفْسِكَ ^(١) ، وَلَكِنْ تَعَالَىٰ لِنَحْلَعُ
يَتَابَنَّا ، وَلَبَسَ جَمِيعًا ثَوْبًا مِمَّا فِي النَّهْرِ ^(٢) وَتَكَلَّمَ ، فَحَيَّيْنِي ^(٣) يَبِينُ الْفَاضِلُ مِنْ
الْمَفْضُولِ . فَأَنْصَرَفَ الْمَلِكُ حَجَلًا .

وَهَلَّا أَحْكِي لَكَ أَمْرًا أَصَابَنِي ، طَيْشَ عَقْلِي ، وَبَلَلُ خَزْمِي ، وَقَطَعَ نِيَاطَ
قَلْبِي ، وَلَا يَزَالُ ^(٤) مِرَاةً لِي حَتَّىٰ يُوَابِيئَنِي التُّرَابُ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا بِالْعِرَاقِ وَأَنَا
أَشْرَبُ مَاءً ، فَقَالَ لِي صَاحِبُ لِي ، وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ : يَا فُلَانُ ، لَعَلَّ هَذَا الْكُورَ الَّذِي
تَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ كَانَ ^(٥) إِنْسَانًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَمَاتَ فَصَارَ تُرَابًا ، فَأَتَّفَقَ لِلْفَحَارِيِّ أَنْ
أَتَّخِذَ تُرَابَ الْقَبْرِ وَضَرِبَهُ ^(٦) حَزْفًا ، وَشَوَاهُ بِالنَّارِ فَاتَّظَمَ كُورًا كَمَا تَرَى ، وَصَارَ آيَةً
تُتَمَتَّهُنَّ وَيُسْتَحْلَمُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بَشَرًا سَوِيًّا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَنَعَّمُ وَيَلْدُ وَيَطْرُبُ ، فَإِذَا
الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْجَائِزَاتِ ^(٧) ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ عَادَ تُرَابًا كَمَا كَانَ فِي النُّشْأَةِ
الْأُولَى ، ثُمَّ قَدْ يَتَّفَقُ أَنْ يُحْفَرَ لِحْدُهُ ، وَيَنْعَجَنَ بِالْمَاءِ تُرَابُهُ ، فَيَتَّخِذُ مِنْهُ آيَةً تُتَمَتَّهُنَّ ^(٨)
فِي الْبُيُوتِ ، أَوَّلِيَّةً تَقْبَلُ فِي الْجِدَارِ ، أَوْ يُطْلَنُ ^(٩) بِهِ سَطْحُ النَّيْتِ ، أَوْ يُفْرَشَ فِي
الْبَلَدِ ^(١٠) فَيُوطَأُ بِالْأَقْدَامِ ، أَوْ يُجْعَلُ طِينًا عَلَى الْجِدَارِ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُغْرَسَ ^(١١)

(١) فِي « م » : « تَفْخَرُ بِنَفْسِكَ » .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مِنْ مَاءٍ فِي هَذَا النَّهْرِ » وَمَا وَرَدَ فِي « م » أَوْضَحَ .

(٣) فِي « ط » : « إِذْ يَحْيِي » .

(٤) فِي « ط » : « فَلَا يَزَالُ » .. وَطَيْشَ عَقْلِي ، أَيْ : جَعَلَهُ يَضْطَرِبُ وَيَتَحَرَفُ عَنِ التَّفَكُّرِ الْقَوِيمِ . وَبَلَلُ
خَزْمِي ، أَيْ : شَبَّهَ وَبَذَذَهُ وَنِيَاطَ الْقَلْبِ : عِرْقَ يَتَلَقَّى بِهِ الْقَلْبُ إِلَى الرَّئِيسِ .

(٥) فِي « ط » : « قَدْ كَانَ » .

(٦) فِي « م » : « فَضْرَهُ » بِدَلِّ « وَضْرِهِ » وَهِيَ هُنَا بَعْمَانُهَا .

(٧) مِنَ الْجَائِزَاتِ : مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ .

(٨) فِي « ط » : « تَتَمَتَّهُنَّ » بِمَعْنَى : تُسْتَحْلَمُ .. وَفِي « م » : « فَيَتَّخِذُ آيَةً » .

(٩) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « أَوْ طَلَنَ » .

(١٠) فِي « م » : « الْبُيُوتِ » بِدَلِّ « الْبَلَدِ » .

(١١) فِي « م » : « يَفْرَشُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

عِنْدَ قَبْرِهِ شَجَرَةٌ ، فَيَسْتَحِيلُ ^(١) تُرَابُ الْإِنْسَانِ شَجَرَةً وَوَرَقًا وَتَمْرَةً ، فَتَرْغَى الْبَهَائِمُ
أُورَاقَهَا ، وَيَأْكُلُ الْإِنْسَانُ ثَمَرَهَا ، فَيَنْبُتُ مِنْهَا لَحْمُهُ ، وَيَنْشُرُ مِنْهَا عَظْمُهُ ^(٢) ، أَوْ يَأْكُلُ
بِلَئِكَ الثَّمَرَةِ ^(٣) الْحَشَرَاتُ وَالْبَهَائِمُ ، فَيَبْنِيَانِ ^(٤) كَانَ يَفْتَاتُ ، صَارَ قُوتًا ، وَبَيْنَا ^(٥)
كَانَ يَأْكُلُ صَارَ مَأْكُولًا ، ثُمَّ يَعُودُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ^(٦) رَجِيعًا ، فَيَقْدَفُ فِي بَيْتِ
الرَّخَاصَةِ ^(٧) ، أَوْ بَعْرًا يُنْبَدُ بِالْعَرَاءِ ، وَيَجُوزُ إِذَا حُفِرَ قَبْرُهُ أَنْ تُسْفَى ^(٨) الرِّيحُ تُرَابَهُ ،
فَتَقَرَّقُ أَجْزَاؤُهُ فِي يُطَوْنَ الْأُودِيَةِ وَالتَّلُولِ ^(٩) وَالْوَهَادِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا أَذْهَلَ ^(١٠)
الْعُقُولَ ، وَطَيَّشَ الْحُلُومَ ^(١١) ، وَمَنَعَ اللَّذَاتِ ، وَهَانَ عِنْدَهُ مُفَارَقَةُ الْأَهْلِيْنَ وَالْمَالِ ^(١٢) ،
وَاللُّحُوقُ يَقْلِلُ الْجِبَالُ ، وَالْأَنْسُ بِالْوُحُوشِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا صَغَّرَ
الدُّنْيَا وَمَافِيهَا ^(١٣) ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا حَقَّرَ الْمُلْكَ عِنْدَ مَنْ عَظَّمَهُ ، وَالْمَالَ عِنْدَ مَنْ
جَمَعَهُ ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا زَهَّدَ فِي اللَّذَاتِ ، وَسَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ ^(١٤) ؟ //

(١) عبارة : « فيستحيل تراب الإنسان شجرة » عن « ط » وسقطت من « م » سهواً من الناسخ .. ومعنى
يستحيل : فيتحول .

(٢) في « م » : « وَيَنْشُرُ عَظْمُهُ » بالراء المهملة ، غير « يَنْشُرُ » بالزاي المعجمة التي بمعنى : يُرْكَبُ .

(٣) في « م » : « الثمرات » .

(٤) في « م » : « فَيَبْنِيَانِ » بحذف « ما » الزائدة أو المصدرية .

(٥) في « م » : « وَبَيْنَا » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بطن الإنسان » .. والرجيع الرُّوث .

(٧) الرِّخَاصَةُ : السَّائِلَةُ ، وهي ما يخرج من الشيء بالفصل .. وفي « م » : « فَيَقْدَفُ » بدل « فيقذف » .

(٨) تُسْفَى : تنقل .

(٩) في « م » : « والتلال » وكلاهما صواب ، جمع تل ، وهو ما ارتفع من الأرض عما حوله .
والوهاد : الأرض المنخفضة .

(١٠) في « م » : « أَذْهَبَ » .

(١١) الْحُلُومُ والأحلام : العقول . جمع حلم .

(١٢) في « م » : « والأموال » .

(١٣) جملة : « أليس ... مافيا » عن « ط » وسقطت من « م » .

(١٤) سَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ : صرف عنها . يقال : سَلَاةً عن كذا وأَسْلَاةً : جعله يسلو ويسنى .

وَقَالَ يَسْتَعْرِ (١) : كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلِ يَوْمٍ لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُسْتَقْبِلِ غَدَا وَلَيْسَ مِنْ أَجَلِهِ .
 إِنَّكُمْ (٢) لَوْ أَبْصَرْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ ، لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .
 وَلَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي التُّونِ (٣) - وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ - قَصْرَهُ ، وَأَتَفَقَ فِيهِ
 بَيُوتُ أَمْوَالِهِ (٤) جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنْ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةَ
 مَاءٍ كَانَتْهَا بِحَيْرَةً (٥) ، وَبَنَى فِي وَسْطِهَا قُبَّةً ، وَسَاقَى (٦) الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى غَلَا

(١) سقط الاسم من «ط» .. وفي «م» : «قال يستعر : كَمْ كَمْ» مكررة . ويستعر هو : يستعر بن كيدام بن
 ظهير ، أبو سلمة الهلالي الكوفي الأحول ، من ثقات أهل الحديث ، كان يقال له : «المصحف» ، يعظم الثقة بما
 يرويه . وكان تقياً ورعاً ، قال عنه ابنه محمد بن يستر : كان أبي مسرعاً ليلام إلى أن يقرأ نصف القرآن .. وقال
 ابن المبارك ، أو غيره :

مَنْ كَانَ مُقْبِسًا جَلِيسًا صَالِحًا فَلْيَأْتِ حَلَقَةَ يَسْتَعْرِ بْنِ كِيدَامٍ
 فِيهَا السَّيِّئَةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا أَهْلُ التَّقَافِ ، وَعِلْيَةُ الْأَقْوَامِ

توفى - رحمه الله - بمكة سنة ١٥٣ هـ على الأرجح :

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٨ - ١٩٠ ، والحلية ج ٧ ص ٢٠٩ - ٢٧٠ ، والمعارف لابن قتيبة
 ص ٤٨١ وفيها (كَيْدَام) بضم الكاف ، والصواب ما أثبتناه (بالكسر) ، والأعلام ج ٧ ص ٢١٦] .
 (٢) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «استظر غداً لا يدرى» ، لو أبصرتم .

(٣) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «بن ذى تون» خطأ ، والأول هو الصواب .

وهو : يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذى التون الموارى الأندلسي ، أبو زكريا المأمون ، من ملوك
 الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب « طليطلة » ولها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ ، وامتدت أيامه في الملك محمداً
 وعشرين سنة ، وكان عاكفاً على اللذات والخلعة .. وكان بينه وبين ابن هود « سليمان بن محمد » صاحب
 « سرقسطة » خلاف ، وقامت حروب بينهما ، واستصر ابن ذى التون بالأسبان ، وكانوا يتحينون الفرصة للتوغل في
 بلاد الأندلس ، فأرسلوا جيشاً أغار على « سرقسطة » وغيرها من بلاد ابن هود . ولجأ ابن هود - هو الآخر - إلى
 فريق آخر من الأسبان ، وبعث إليهم بأموالاً وهدايا ، فأرسلوا جيشاً إلى نغر « طليطلة » أغنى حُماته . واستمرت هذه
 الحال من سنة ٤٣٥ هـ إلى أن مات ابن هود سنة ٤٣٨ هـ ، وطمع الأسبان في بلاد الفريقين .. وقاتل ذو التون أيضاً
 جاره ابن الأنطس ، صاحب « بطليوس » ، وحالف المعتضد ابن عباد على احتلال « قرطبة » فهاجمها ذو التون ،
 فاستغاثت بالمعتضد ، فنقض الحلف ، وأبعد ذا التون عنها ، واحتلها ، وفي سنة ٤٥٨ هـ استولى ذو التون على
 بلنسية ، وقضى على دولة آل عامر ، واستتب له شرق الأندلس ، وازداد أمره قوة بعد موت المعتضد ابن عباد سنة
 ٤٦٠ هـ ، ولم تطل حياته بعده ، ومات بطليطلة سنة ٤٦٠ هـ في السنة نفسها .

[انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والمغرب لابن سعيد ج ٢ ص ١٣ وغيرها من
 الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، والأعلام ج ٨ ص ١٣٨] .

(٤) في «ط» : «الأموال» .

(٥) في «ط» : «بحيرة» .

(٦) في «م» : «وسيق» ، بالبناء للمجهول .

عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ ^(١) ، عَلَى تَذْيِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ ، وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَهَا ، مُحِيطاً بِهَا ، مُتَّصِلاً ^(٢) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَكَانَتْ ^(٣) الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكَنًا لَا يُفْتَرُ ^(٤) ، وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ يَتِمَّا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَتَيْنِي بِنَاءَ الْحَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلٌ ^(٥)
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَجِيلٌ ^(٦)
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ ^(٧) .

وَوَجِدَ مَكْتُوباً عَلَى قَصْرِ قَد بَادَ أَهْلُهُ وَأَقْفَرَتْ مَنَازِلُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ فِي حَفْضِ عَيْشِ نَفْسٍ مَالَهُ خَطَرٌ ^(٨)
صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ ^(٩)
وَلِلصَّاحِبِ أَيْضاً ^(١٠) :

(١) في م : : إلى رأس القصر .

(٢) في م : : متصل .

(٣) في م : : وكانت .

(٤) في ط : : سَكَنًا ، والسَكْبُ : الهَطْلَانُ الدائم من المطر وغيره ، ويقال : ماء سَكْبٍ ، وقرئ سَكْبٌ : سَرِيعَ الْجَزَانِ . والسكن ، بالنون : كل ما سَكَنَتْ إليه ، واستأنست به .

وسكناً لا يُفْتَرُ ، أي : سَكَنًا تَطْمَعُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَا تَمَلُّ مِنْهُ .

(٥) هكذا في ط : وفي المستطرف للأبشي ج ٢ ص ٦١٠ .. وفي م : : « مقامك » بدل « بقاؤك » ، وهي بمعنىها .

(٦) في م : : « تقتضيه » ، والأراك : شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ السَّوَاكُ .

(٧) أي : مات .

(٨) حَفْضُ الْعَيْشِ : سَهْوُهُ وَلِينُهُ .

(٩) هكذا في ط : وفي المستطرف ج ٢ ص ٦١٠ وغيرهما .. وفي م : : « صائحات » بدل « نائبات » .

(١٠) من أول قوله : وللصاحب .. إلى نهاية الأبيات الثلاثة بعده عن م : وساقط من ط : .. والأبيات الثلاثة ليست للصاحب كما هو مذكور هنا ، بل هي للشريف الرضي ، وقد وردت في ديوانه وفي الكثير من المصادر منسوبة إليه .

والشريف الرضي هو : محمد بن الحسين بن موسى العلوي ، ذي الحسين ، وهو من أهل الفضل والأدب ، والبلغم والذكاء ، وحجة الخاطر من صيقره ، وُلِدَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٣٥٩ هـ وَتَوَلَّى بِهَا سَنَةَ ٤٠٦ هـ وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِمَسْجِدِ =

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ وَطَلَّلْتُهَا بِيَدِ الْبَلَى نَهَبٌ ^(١)
فَوَقَفْتُ حَتَّى عَجَّ مِنْ لَعِبٍ نَضْوَى وَعَجَّ بِعَذْلَى الرُّكْبِ ^(٢)
وَلَقَفْتُ عَنِّي فَمَذَّ حَفِيَّتْ عَنْهَا الطَّلُولُ تَلَقَّتْ الْقَلْبُ ^(٣)

وَلَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا صِفِي نَفْسِكَ لَمَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ :

وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ حَائِثُهُ قُرُوجُ الْأَصَابِعِ ^(٤)

وَرُوي أَنَّ الْحَجَّاجَ ^(٥) قَالَ فِي حُطَيْتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْبَهُ بِمَا

= الأنباريين بالكرخ ، وقد عجزت الدار ، وقرب القبر .. ومَرَّ بعض الأبداء بداره وقد أغشى عليها الزمان وذهبت بهجتها ، وأخلقت دياجتها ، وبقيت رسومها تشهد لما بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان ، وطوارق الحداث ، وتمثل بهذه الأبيات الثلاثة للشريف الرضي ، فَمَرَّ به شخص فسمعه ينشد الأبيات ، فقال : هل تعرف هذه الدار لِمَنْ ؟ قال : لا . قال : هذه الدار لقاتل هذه الأبيات ! فصعب من حُسن الاتفاق . [انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤ - ٤٢٠ ، وديوان الشريف الرضي ج ١ ص ١٤٥ ط مؤسسة الأعلمى ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠ ، وانباء الرواة ج ٣ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وبيحة الدهر للشمالي ج ٢ ص ٢٩٧ - ٣١٥ ط المطبعة الحنفية بدمشق ، والأعلام ج ٦ ص ٩٩] .

(١) هكذا البيت في «م» وفي الديوان .. وفي وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ : « وَقَفْتُ » بدل « مَرَرْتُ » . « وَتَهَبُ » بالفتح ، الغرض المعرض للإصابة .. وبالضَمِّ يَمْغَى : متهوِّب أو متَّهَبَة .

(٢) هكذا في «م» .. وفي الديوان :

« فَوَقَفْتُ حَتَّى وَضَعْتُ مِنْ لَعِبٍ نَضْوَى وَلَجَّ بِعَذْلَى الرُّكْبِ »

والشطرة الثانية من البيت في الديوان متطابقة لما جاء في الوفيات .
عَجَّ : رفع صوته وصاح .. وضَجَّ مثلها .. والنضْوُ : البعر المهورل .. وَلَجَّ بِعَذْلَى الرُّكْبِ ، أى : تماذى الركابون في خصرى ، وأبوا أن ينصرفوا . أو : تماذوا في رفع أصواتهم بجماعتي ولوى ، مما سببه لهم من التعب والإحياء .
وفي الوفيات والشذرات : « فَبِكَيْتْ » بدل « فَوَقَفْتُ » .

(٣) هكذا البيت في «م» ، وفي الديوان ، وفي الشذرات .. وفي الوفيات : « عَنِّي » بدل « عنها » ، والطلول والأطلال : جمع طَلَّلَ ، وهو : مابقى شاعصاً من آثار الديار ونحوها .

(٤) قُرُوجُ الأصابع : فضاحتها وفي رواية : ما عذت ماوصفها به أبو نواس بقوله :

« إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبَ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَقْرِ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ »

[انظر المستطرف ج ٢ ص ٦١٠] .

(٥) هو : أبو محمد الحجَّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي - نسبة إلى ثقيف ، قبيلة كبيرة مشهورة في الطائف -
وُلد سنة ٤٠ هـ ، ونشأ في الطائف بالحجاز ، وانتقل إلى الشام ، فلق بـروح بن زنباع ، نائب عبد الملك =

مَضَى مِنْهَا ^(١) . وَلَوْ أَغْطَيْتُ مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا بِعِمَامَتِي هَذِهِ مَا قَبِلْتُهُ ، فَكَيْفَ آسَى عَلَى مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ مَثَلًا لِابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْلَاءَ ^(٢) ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِأَحَدِهِمْ : قَدْ كُنْتُ لِي خَلِيلًا ^(٣) مُكْرَمًا مَوْثُورًا ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مَا تَرَى ، فَمَاذَا ^(٥) عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ، لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُنْفَسَ كَرَبِّكَ ، وَلَكِنْ هَذَا كَذَا ^(٦) بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَتُخَذُ مِنِّي زَادًا يَنْفَعُكَ . ثُمَّ يَقُولُ لِلثَّانِي : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي آثَرُ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] مَا تَرَى ، فَمَا ^(٧) عِنْدَكَ ؟ قَالَ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ،

= ابن مروان ، فكان في عهده شرطه ، ثم ما زال يظهر حتى قلَّه عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بمحش قوى كبير ، وقتل عبد الله ، وغرق جرحه ، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق ، والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب ، قمع الثورة ، ونبت له الإمارة عشرين سنة ، وبنى مدينة واسط - بين الكوفة والبصرة - وكان سَفَاكًا سَفَاحًا لِلدَّمَاءِ بِاتِّفَاقِ مُعْظَمِ الْمُؤْرَحِينَ .. قال عبد الله بن شَوْذَبَ ، مارؤى مثل الحجاج لَمَنْ أَمْلَاحَهُ ، ولا مِثْلَهُ لِمَنْ عَصَاهُ .. وقال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت أفصح من الحسن (البصري) والحجاج . وقال ياقوت في معجم البلدان : « ذُكِرَ الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوء ، فغضب وقال : إنما تذكرون المساوي ! أو ماتعلمون أنه أول من ضَرَبَ دِرْهَمًا عَلَيْهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، محمد رسول الله ؟ وأول مَنْ بَنَى مَدِينَةَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فِي الْإِسْلَامِ ؟ ولول من اغتد الحامل ؟ وأن امرأة من المسلمين سُبِيَتْ فِي الْحَنْدِ فَنَادَتْ ، يَا حَاجَّاهُ ! فالتصل به ذلك ، فجعل يقول : ليك ليك ! وأتفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة ؟ » . وما يؤخذ على الحجاج قتله العالم التقى الورع سعيد بن جبير (من التابعين) قال الإمام أحمد ابن حنبل : « قتل الحجاج سعيدًا وماصل وجه الأرض أحد إلا وهو مفطر إلى علمه » . ودعا سعيد بن جبير الله بالآل بسلط الحجاج على أحد بعده .. فحاش بعده أيها المأثم ، ومات بواسط سنة ٩٥ هـ وأجرى على قبره الماء فاندرس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩ - ٥٤ ، ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٥٠ ، وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ ، كالطبري ج ٦ ط دار المعارف ، والكامل لابن الأثير ، ومروج الذهب للسعدي ، والعقد الفريد وغيرها] .

(١) في « ط » : « أشبه بِمَا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِمَا » .

(٢) الأجلَاءُ : جمع خليل ، ويُطلق على الصديق الخالص ، والخُلُوفُ والخَلِيلُ واجدٌ .

(٣) في « م » : « خِلَا » .

(٤) ملين المقوضين ساقط من « م » في الموضعين .

(٥) في « م » : « فما عندك ؟ »

(٦) في « ط » : « هَذَا » .

(٧) في « م » : « فَمَاذَا » .

وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَنْفَسَ كَرْبَكَ ، وَلَكِنْ سَأَقُومُ عَلَيْكَ فِي مَرَضِكَ ، فَإِذَا مِتُّ أَتَقَنَّتْ
عَسَلُكَ ، وَجَوَّدْتُ كُسُومَتَكَ ، وَسَتَرْتُ جَسَدَكَ وَعَوَّزْتُكَ . وَقَالَ لِلثَّالِثِ : قَدْ نَزَلَ بِي
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] (١) مَا تَرَى ، وَكُنْتُ أَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَيَّ ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي
قَرِينُكَ وَحَلِيفُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَذْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ حِينَ تَدْخُلُهُ ، وَأُخْرِجُ مَعَكَ حِينَ
تُخْرِجُ مِنْهُ (٢) ، وَلَا أَفَارِقُكَ أَبَدًا . فَقَالَ الثَّيْبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَوَّلُ مَالُهُ ،
وَالثَّانِي أَهْلُهُ ، وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ

وَلَمَّا لَقِيَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ (٣) الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أَحِبُّ لِقَاءَكَ ،
فَاعْظُنِي . فَقَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ .
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٤) فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سَعِيدَ (٥) ، فَقَدْ وَعَظْتُ
أَحْسَنَ مَوْعِظَةٍ .

وَأَعْجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِالنِّشَاءِ الْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى الْأُولَى ! وَأَعْجَبًا كُلُّ
الْعَجَبِ (٦) لِلنِّشَاءِ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ ! وَأَعْجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ

(١) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سقطت « منه » من « م » .

(٣) هو : ميمون بن مهران ، أبو أيوب اللُّثُمِيُّ ، عالم من القضاة ، وُلِدَ سنة ٣٧ هـ ، وكان مَوْلَى لَامْرَأَةٍ بِالْكُوفَةِ
فَاعْتَقَهُ ، فَنَشَأَ بِهَا ، وَاسْتَوْدَعَ الرِّقَّةَ - من بلاد الجزيرة الفراتية - فكان عالم الجزيرة وسيدها ، واستعمله عمر بن عبد
العزيز على خراجها . وكان كاتباً لعمر ومؤدباً لأولاده .. وقال ولده عمرو : سمعت أبا يقول : وددتُ أَنْ أَصْبَحِي
قُطِيعَتٍ مِنْ هَاهُنَا وَأَنْيَ لَمْ أَلْ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَا لغيره . ، وَيَرَوِي أَنَّهُ صَلَّى فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ
رَكْعَةٍ . تولى - رحمه الله - سنة ١١٧ هـ وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ ، والمُخَيَّر لابن حبيب ص ٤٧٨ ، وحلية
الأولياء ج ٤ ص ٨٢ - ٩٧] .

(٤) سورة الشعراء - الآيات : ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٥) أى : يا أبا سعيد ، وهى كنية الحسن البصرى .

(٦) سقطت « كل العجب » من « م » .

بِالنُّشُورِ ^(١) وَهُوَ يَمُوتُ فِي ^(٢) كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَحْيَا ! وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ
يَدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْتَعِي لِدَارِ الْغُرُورِ ! ^(٣) وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُحْتَالِ الْفُخُورِ
وَأِنَّمَا نُحْيِيكَ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً ، وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَذَرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ !

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) : جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلُّهُ فِي أَرْبَعٍ :
وَاحِدَةً لِي ، وَوَاحِدَةً لَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَمَّا
الَّتِي لِي ، فَتَعْبُدُنِي ^(٥) لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنِّي أُجْزِيكَ
بِهِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَى الْإِجَابَةِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ
النَّاسِ ، فَكُنْ لَهُمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا لَكَ ^(٦) .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أَرَيْنَا مَا أُوتِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُؤْتُوا ، وَعَلَّمَنَا
مَا غَلَّمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .

وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْتُبِيَ لِي كِتَاباً تُوصِينِي

(١) في « م » : « بالموث والنشور » .

(٢) سقطت « في » من « م » .

(٣) الغرور ، يفتح الغين المعجمة ، كل ما غرَّ الإنسان من مالٍ ، أو جاه ، أو شهوة ، أو شيطان . والمراد بدار
الغرور : الدنيا .

(٤) ما بين الموقوفين ساقط من « م » .. وجماع الخير : أصله .

(٥) في « م » : « فَأَنْ تَعْبُدُنِي فَلَا تُشْرِكْ » .

(٦) سقطت « لَكَ » من « م » والسياق يتطلب وجودها ، للمقابلة بين « لهم » و « لك » .

(٧) هو : معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ،
مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب الكبار .. كان فصيحا ، حليما وقورا ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٢٠ قَبْلَ
الهِجْرَةِ ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِهَا سَنَةَ ٨ هـ ، وَصَارَ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ .. وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ ، وَلَاهُ قِيَادَةَ جَيْشٍ تَحْتَ
إِمْرَةِ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ فِي فَتْحِ مَدِينَةِ صَيْدَا ، وَعَرَفَةَ ، وَجَبِيلَ ، وَبَيْرُوتَ . وَلَمَّا وَلِيَ
« عَمْر » جَعَلَهُ وَالِيَا عَلَى الْأُرْدُنِّ ، وَرَأَى فِيهِ حِرْماً وَعِلْماً ، فَوَلَّاهُ دِمَشْقَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِهَا (يَزِيدَ أَخِيهِ) ، وَجَاءَ عِثَانَ
فَجَعَلَ لَهِ الدِّيَارَ الشَّامِيَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلَ وَلَاةَ أَمْصَارِهَا تَابِعِينَ لَهُ .. وَقُتِلَ عِثَانُ ، فَزَيَّنَ « عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » فَوْجَهُ
لِقَوْرِهِ بِعِزْلِ مُعَاوِيَةَ ، وَعَلِمَ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ ، قَبْلَ وَصُولِ الْيَزِيدِ ، فَنَادَى بِثَارِ عِثَانَ ، وَاتَّهَمَ عَلَيْهِ بِدَمِهِ .. =

فِيهِ وَلَا تُكْبِرِي ^(١) عَلَيَّ . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ^(٢) ، أُمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بَسَحَطُ اللَّهِ ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَالسَّلَامُ » .

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ ^(٣) عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُذْخِلَ ^(٤) مَنْزِلَهُ فَأَعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] ^(٥) فَقَالَ : أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ

= ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين عليٍّ ، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام ، وإمامة عليٍّ بالعراق . ثم قُتل عليٌّ ، وبُيع بعده ابنه الْحَسَنُ ، فسَلِمَ الخلافة لمعاوية سنة ٤١ هـ . ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة ، فعهد بها إلى ابنه « يزيد » ، ومات معاوية في دمشق سنة ٦٠ هـ بعد أن بلغت فتوحاته المحيط الأطلنطي ، وفتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ٤٣ هـ ، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو ، وفي أيامه فُتح كثير من جزائر اليونان والدرديبل ، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨ هـ ، وضربت في أيامه دنانير عليها صورة أعرأى متقلد سيفاً ، وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول : هذا كِسْرَى العرب .

• أمّا عائشة فهي : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، وأقرب نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تُكْتَبُ : « أُمُّ عَدَدٍ » وَلَقِيتُ سنة ٩ قبل الهجرة ، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة ، وكانت أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وأكثَرهن رواية للحديث عنه ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم . روى عنها ٢٢١٠ أحاديث ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢٦٢ وج ٣ ص ٢٤٠] .

(١) في « م » : « ولا تمجلى تكبرى عليٍّ » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فكتب إلي عائشة ، رضي الله عنها ، أمّا بعد » .

(٣) هو : عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرَادِي الحميري ، فاتك نائر ، من أشداء الفُرسان ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب ، وقرأ على مُعَاذ بن جبل ، فكان من القراء وأهل الفقه والمهادة .. شهد فتح مصر وسكنها ، وكان من شيعة عليٍّ ، رضي الله عنه ، وشهد معه « صِفَيْن » ثم خرج عليه ، واتفق مع « الزُّبُر » و« عمر بن بكر » على قتل عليٍّ ، ومعاوية ، وعمر بن العاص في ليلة واحدة ، وتمهد « البرك » بقتل معاوية ، وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتمهد ابن مُلْجَم بقتل عليٍّ ، واستعان برجل يدعى « شَيْبًا الْأَشْجَمِي » ، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كَمُنَا خلف الباب الذي يخرج منه عليٌّ لصلاة الفجر ، فلما خرج ، ضربه « شيب » فأخطأه ، فضربه ابن مُلْجَم فأصاب مقدم رأسه ، فنهض مَنْ في المسجد ، فحمل عليه بسيفه ، فأفروا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رَمَى بها عليه ، وحمله وضرب به الأرض ، وقعد على صدره .. وقرء « شيب » ، وتوفى « عليٌّ » رضي الله عنه من أثر الجرح ، وفي اليوم الثالث لوفاته أَخْضِرَ ابن مُلْجَم وأَجْهَرَ عليه ، وكان ذلك سنة ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٣٩ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٣ - ٤٠ ، ونهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٥٩٣ ، ٥٩٤]

(٤) في « ط » : دخل .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

فِي الْآخِرَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَاتَّكُمَا مِنْهَا ، اَعْمَلَا
الْخَيْرَ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ حَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً . ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا ^(١) وَقَالَ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ
مَا أُوصِيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَإِنِّي أُوصِيكَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ ،
وَتَوْقِيرِهِمَا ، وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا ، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ :
أُوصِيكُمَا بِهِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ أَخَوَكُمَا ^(٢) وَإِنُّنِ ابْنَيْكُمْ ، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا ^(٣) كَانَ
يُحِبُّهُمَا فَاجْبَاهُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِيَّ ، أُوصِيكُم ^(٤) بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي
الرِّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغَى ، وَالْفَقْرِ ، وَالْعَدْلِ ^(٥) فِي الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ ، وَالْعَمَلِ
فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ .

يَا بَنِيَّ ، مَا شَرُّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ بِشَرِّ ، وَلَا خَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ
حَقِيرٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ .

يَا بَنِيَّ ، مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَسَمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ
عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُئْرًا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ
هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْنِهِ ^(٦) ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَغْطَمَ خَطِيئَةَ
غَيْرِهِ ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ،

(١) هو : ولده محمد بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الحنفية (نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية)
يُنسَبُ إِلَيْهَا تَمَيُّزًا لَهُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، ابْنَتِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ
يَقُولُ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْهُمَا » وَكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ ، شَجَاعًا ، وَأَخْبَارُ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ
كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ الْخِتَارَ التَّقِيَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْمَدِينَةِ ، وَقِيلَ : بِالطَّائِفِ .

(٢) فِي « م » : « فَإِنَّهُ سَيُّفُكُمَا » .

(٣) فِي « م » : « أَبَاهُ » .

(٤) فِي « م » : « ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَنِيَّ أُوصِيكَ » .

(٥) فِي « م » : « عَلَى » بَدَلُ « فِي » .

(٦) فِي « م » : « يَتَهُ » .

وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْدَالَ أُخْتَقِرَ ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَفَّرَ ^(١) ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَفْتَنَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَائِلَ السُّوءِ أَثِمَ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ يَدِمَ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ كَثَرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ ^(٢) .

يَأْتِي ، الْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرٌ قَرِينٍ .

يَأْتِي ، الْعَاقِبَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّنِيعِ ، إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَوَاحِدَةٌ ^(٣) فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ .

يَأْتِي ، نِيَّةُ الْفَقِيرِ الصَّبْرُ ، وَنِيَّةُ الْغَنِيِّ الشُّكْرُ ^(٤) .

يَأْتِي لِأَشْرَفِ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمِ أَعْلَى مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَا مَغْفِلَ ^(٥) أُخْرَزَ مِنَ الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أُنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا يَأْسَ أَجْمَلَ مِنَ الْعَاقِبَةِ . الْجِرْصُ مِفْتَاحُ الْمَقْصَدِ ^(٦) ، وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ . التَّذْيِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ التَّدَمُّ . بِسَ ^(٧) الرِّادُ لِلْمَعَادِ الْعِلْدَوَانُ عَلَى الْعِبَادِ . طُوبَى ^(٨) لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ ^(٩) ، وَحُبَّهُ وَبَغْضَهُ ، وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ ، وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ .

(١) من أول قوله : « وَمَنْ يَصْنَحِبْ » إلى قوله : « يَدِمَ » عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَدَخَلَ النَّارَ » .

(٣) في « ط » والواحدة .

(٤) الجمعلان من أول قوله : « يَأْتِي » إلى قوله : « الشُّكْرُ » عن « م » وساقط من « ط » .

(٥) السَّمْفَلُ : السَّلْجَاءُ وَالْجِصْنُ .

(٦) هكلا في « م » وبمعناها : « وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ التَّعَبُ » . وَالتَّعَبُ : فِي « ط » : « الْجِرْصُ مِفْتَاحُ

التَّعَبِ ، وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ » .

(٧) في « م » : « شَرُّ الرِّادِ لِلْمَعَادِ » .

(٨) في « ط » : « طُوبَى » أَي : هُنَا لَهُمْ وَحْشَتًا ، وَتُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَطَابٍ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْ بَقَاءٍ بِلَا فَنَاءٍ ، وَغَيْرِ

بِلَا زَوَالٍ ، وَغَيْرِ بِلَا قَمَرٍ .

(٩) في « م » : « عَمَلُهُ وَعِلْمُهُ » .

وَرَوَى أَنَّ^(١) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَنَّهُ لَمَّا طُعِنَ دَعَا إِلَيْهِ فَنَزَلَ فَخَرَجَ مِنْ طَعْنَتِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَجَعَلَ جُلُوسًا وَهُوَ يَتَنَوَّنُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّ أُخْرَجَ مِنْهَا كَفَافًا كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا^(٣) . لَوْ أَنَّ لِي الْيَوْمَ مَا طَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ لَأَقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُطَّلَعِ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَلَمَّا خَضِرَتِ الْوَفَاةُ عُمَرَ^(٤) غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ رَأْسَهُ فَرَفَعَتْهُ^(٥) فِي حِجْرِي ، فَقَالَ : ضَعِ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي ، فَمَسَحَ تَحْتَهُ بِالتُّرَابِ وَقَالَ : وَيْلَ لِعُمَرَ ، وَيْلَ لَأُمِّهِ إِنَّ لَمْ يُخَفَّرْ لَهُ . فَقُلْتُ :

(١) في « ط » : « وروى عن » .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نُفَيْلِ الْقُرَشِيُّ الْقَتَوِيُّ ، أَبُو خُفْصٍ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ شَجَاعًا حَازِمًا ، وَصَحَابيًا جَلِيلًا ، وَيُضْرَبُ بِعَدْلِهِ الْمَثَلُ .. أَسْلَمَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَشَهِدَ الْوُقَاعَةَ مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَوَّعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ ١٣ هـ . بَعْدَ مَنِّهِ .. وَفِي أَوَّلِهِ نَزَلَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ لِلْعَرَبِ التَّارِيخَ الْمَجْرِي ، وَكَانُوا قَبْلَهُ يُؤَرِّخُونَ بِالْوُقَاعِ ، وَاتَّخَذَ بَيْتَ مَالٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَوَدَّدَ الدُّوَاوِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَجَمَّلَهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفَارْسِيَةِ لِإِحْصَاءِ أَصْحَابِ الْأَعْطِيَاتِ ، وَتَوَزَّعَ الْمُرَاتِبَاتِ عَلَيْهِمْ .. وَكَانَ يَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ مُتَفَرِّدًا ، وَيَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ حَيْثُ أَدْرَكَهُ الْخَصْمُ .. وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ : « إِنْ كُتِبَ لِي فَابْسُوا بِأَنْفُسِكُمْ » وَكَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ الْمُعْضِلُ دَعَا الشَّبَانَ فَاسْتَشَارَهُمْ ، يَنْفِي حِلَّةَ عَقْلِهِمْ ، وَكَانَ لَوَلِىَ مَانِضُهُ لَمَّا وَلَّى الْخِلَافَةَ أَنَّ رَدَّ سَبَايَا أَهْلِ الرُّومَةِ إِلَى عَشَائِرِهِمْ ، وَقَالَ : كَرِهْتُ أَنْ يَصِيرَ السَّيِّئُ سَبَّةً عَلَى الْعَرَبِ .. لَقَّبَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارُوقِ ، وَكَتَبَ بِأَيْ حِفْظِ .. قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ فِرْوَزُ الْفَارَسِي غِيْلَةً بِمَنْجَرٍ لِي خَاصَرْتَهُ وَهُوَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ سَنَةَ ٢٣ هـ . وَعَاشَ بَعْدَ الطَّعْنَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ .. وَأَعْيَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٤٥ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ ، وما بعدها ، وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٨ وما بعدها وغيره من الأجزاء ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٧ وما بعدها وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الخلفاء ص ١٢٥ - ١٧١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٨ - ٥٥] .

(٣) سقطت « فيها » من « م » .. وَالْكَفَافُ ، بِالْفَتْحِ : مِقْدَارُ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ . وَالْمُرَادُ هُنَا : أَنَّ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لِأَعْلِيهِ وَلَا لَهُ .

(٤) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ فِي أَوَّلِ الْبَابِ .. وَلِ« م » : « وَلَمَّا خَضِرَ عُمَرَ غُشِيَ » .

(٥) هكذا في « م » .. وَلِ« ط » : « فَوَضَعْتُهَا فِي حِجْرِي » وَالرَّأْسُ مُذَكَّرٌ .. وَالْحِجْرُ ، بِكَسْرِ الْحَاءِ وَضَحَا : الْجِصْنُ .

وَهَلْ حِجْرِي ^(١) وَالْأَرْضُ إِلَّا سَوَاءٌ يَا أَبْتَاهُ ؟ فَقَالَ : ضَعُ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لِأَنْتَ لَكَ كَمَا أَمَرْتُكَ ، فَإِذَا قَضَيْتَ ^(٢) فَأَسْرِعُونِي إِلَى حُفْرَتِي ، فَإِنَّمَا ^(٣) هُوَ خَيْرٌ تَقْدُمُونِي إِلَيْهِ ، أَوْ شَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ بَكَى . فَقُلْتُ ^(٤) لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ قَالَ : غَبِرَ السَّمَاءُ ، لَا أَذْرى إِلَى جَنَّةٍ يَنْتَقِلُنِي أَوْ إِلَى نَارٍ ^(٥) .

وَلَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٦) الْوَفَاةُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَقَصَصْتُ ، وَبَيَّيْتَنِي فَقَصَصْتُ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ^(٧) ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ ، وَإِنْ عَاقَبْتَ فَمَا ظَلَمْتُ ، أَلَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ قَضَى رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٨) .

(١) في « ط » : « فَعَجَزِي » بدل « حِجْرِي » .

(٢) قَضَيْتَ ، أى : بَيَّيْتُ .

(٣) في « ط » : « دى » بدل « إلى » .. و « إِنَّمَا » بدل « فَإِنَّمَا » .

(٤) في « ط » : « تَقَبَّلَ » .

(٥) في « م » : « دَمَ إِلَى نَارٍ » .

(٦) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم الأموي القرشي ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، خامس الخلفاء الراشدين ، وأُمُّهُ أُمُّ حَاصِم ، بنت حَاصِم بن عمر بن الخطاب ، وُلِدَ بالمدينة سنة ٦١ هـ أو ٦٣ هـ - وقيل : ولد بِحُلُوان (قرية مصرية) وكان أبوه أمراً عليها - ونشأ بالمدينة ، و تلقى العلم بها ، وولّى إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولّى الخلافة بعده منه سنة ٩٩ هـ فبُوع في مسجد دمشق ، وسكن الناس في أيامه . ومنع - رحمه الله - سَبَّ عَلِيٍّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، (وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر) ، ولم يُكَلِّمْ مُلُكُهُ ، حيث تولى - بدر سمعان من حصص - سنة ١٠١ هـ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً .. وكان نقش خاتمة « عمر يؤمن بالله » ، وكان - رحمه الله - قيل توليه الخلافة يبلغ في النعم ويفرط فيه ، ثم هجر كل ذلك بعد أن ولي الخلافة ، وعاش حياة كلها زهد وتقشف وورع وتقوى ، وشغل أجل العيش عن عاجله ، وكان للرعية أماناً .. قال عنه أنس ، رضى الله عنه : « ماصليت خلف إمام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز » وأخباره في غُزَلِّهِ وحُسن سياسته كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٥٣ - ٣٥٣ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ - ٢٩٣ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٣ - ١٣٥ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ١٢٢ ، وكتاب دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ ، والمُحْتَجَر ص ٢٧ ، ٢٨ ، والطبري ج ٦ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وغيرهما ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٦ ، ١٥١ - ١٥٨ ، وغيرها من الصفحات] .
(٧) أَنْعَمْتُ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ، أى : أنعمت عليّ نعمة زائدة عما أستحقه .. وبضم التاء من « أفضلت » يكون المعنى : أنعمت عليّ فأبقيت وأمسكت .. والأول هو الأنسب للسياق .
(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ثُمَّ قَضَى كُفَيْهِ » .

وَلَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(١) الْوَفَاةَ ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَكَوَّنَ حَوْلَهُ ، فَقَالَ :
جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالذُّنْيَا ، وَجَدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ ^(٢) . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ
مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ^(٣) ؟

وَوُجِّلَ عَلَى الْمَأْمُونِ ^(٤) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُفْرَشَ لَهُ

(١) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، وُلِدَ في دمشق سنة ٧١ هـ وُلِيَ بالخِلافة فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠ هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فَوُجِّهَ إليه مَنْ قَتَلَهُ وَقُلَّ جُوعُهُ ، وَنَشِبَتْ فِي أَيَّامِهِ حَرْبٌ هَالِكَةٌ مَعَ خِصَمَائِهِ الشُّرَكَاءِ فِيهَا وَرَاءَ النَّهْرِ انْتَهَتْ بِمَقْتَلِ الْخِصَمَاءِ وَاسْتِيلَاءِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ بِلَادِهِ .. وَاجْتَمَعَ فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الْمَالِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي خِزَانَةِ أَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الشَّامِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيَاسَةِ يَقْطَعُ فِي أَمْرِهِ ، يُبَاشِرُ أَعْمَالَهُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ حَلِيمًا ذَا رَأْيٍ وَحَزَمٍ . تَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٦ - ٢٩٩ ، ودول الإسلام ص ٧٤ وغيرها ، والطبری ج ٧ ص ٢٥ وما بعدها ، وص ٣٥ - ٣٧ ، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٩٢ وصفحات أخرى متفرقة من هذا الجزء] .

(٢) في م : « و » ط : « : بِالْبُكَاءِ » بدون همز .

(٣) في م : « : يُغْفَرُ لَهُ » .

(٤) هو : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ألف جعفر المنصور ، أبو العباس ، تابع الخلفاء العباسيين ، وأحد أعظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه .. وُلِدَ سنة ١٧٠ هـ وَكَانَ أَفْضَلَ رِجَالِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِزْمًا وَعِلْمًا وَعِزْمًا وَدَهَاءً وَهَيْبَةً ، وَلَمْ يَلِ الْخِلاَفَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَكَانَ فَصِيحًا مُتَوَّهًا ، وَكَانَ يَقُولُ : مُعَاوِيَةُ يَغْتَرُّهُ (يعني عمرو بن العاص) وعبد الملك يَحْتَجِجُاجُهُ (يعني الحجاج بن يوسف الثقفي) وأنا بنفسى .. وَلِىَ الْخِلاَفَةَ بَعْدَ خُلْعِ أَخِيهِ الْأَمِينِ سَنَةَ ١٩٨ هـ وَنَفَّذَ أَمْرَهُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ . وَكَانَ يُقَالُ : لِبَنِي الْعَبَّاسِ فَاتِحَةٌ ، وَوَاسِطَةٌ ، وَخَاتَمَةٌ ، فَالْفَاتِحَةُ : السَّمَّاحُ . وَالْوَاسِطَةُ : الْمَأْمُونُ . وَالْخَاتَمَةُ : الْمُعْتَصِدُ .. وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالشُّجْعَانِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى خُلْعِ أَخِيهِ « الْمُتَوَكِّلِ » وَالْمَعْدِ بِالْخِلاَفَةِ إِلَى « عَلَى الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ » وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ السَّوَادِ وَبَلَسِ الْحَضْرَةَ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِ ، وَبَاعُوا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَخَرَجَ لِقَتَالِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الرِّضَا مَاتَ فِي سَنَةِ ٢٠٣ هـ . وَاخْتَصَى الْمَهْدِيُّ لِمُدَّةِ ثَمَانِي سِنِينَ .. وَفِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ تَمَّتْ تَرْجُمَةُ الْكَلْبِ مِنْ كِتَابِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مُلُوكَ الرُّومِ بِالْمَدَائِيحِ ، سَائِلًا أَنْ يَصِلُوهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بَعْدَ كَبِيرٍ مِنْ كِتَابِ أَفْلَاطُونِ ، وَأَرِسْطُو طَالِسَ ، وَأَبُقِرَاطَ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَاخْتَارَ لَهَا مَهْرَةً الرَّاجِعَةَ .. وَفِي عَصْرِهِ ظَهَرَتْ عِنْدَ خَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَأُظْهِرَ الْقَوْلُ بِخَلْقِهِ ، وَتَفَضُّلِ « عَلَى » عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ ، فَاصْهَرَّتِ النَّفُوسُ مِنْهُ ، وَكَادَ الْبَلَدُ يَفْتِنُ ، فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ .. تَوَفَّى الْمَأْمُونُ سَنَةَ ٢١٨ هـ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ٤٧ سَنَةً وَعِدَّةُ أَشْهُرٍ ، وَذُنُوبُ يَطْرُسُوسَ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : لَوْ عَرَفَ النَّاسُ حَقِّي لِلْعَفْوِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالْخُرَامِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَلَأْتِى أَكْرَمَ مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَثَّ عِنْدَهُ لَيْلَةً ، فَأَخَذَهُ سَمَّالٌ ، فَأَرَاتِهِ يَسُدُّ فَاةً بِكُمِّ قَمِيصِهِ حَتَّى لَانَتْهُ ..

جُلُ الدَّابَّةِ ^(١) وَيَسْطَ عَلَيْهِ الرَّمَادُ ، وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهِ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ وَهُوَ يَقُولُ ^(٢) : يَا مَنْ لَا يُزُولُ مُلْكُهُ ، اَرْحَمَ مَنْ يُزُولُ مُلْكُهُ ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ^(٤) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَرَّ عَلَى طَائِفٍ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ ^(٥) ، فَقَالَ : طُوبَى لَكَ يَا طَائِرُ ، نَطِيرُ فَتَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ ، وَتَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرِ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَا عِقَابٌ ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ إِلَى جَنْبِ طَرِيقِي ^(٦) ، فَمَرَّ عَلَى بَعِيرٍ فَأَخَذَنِي فَلَاكَنِي ^(٧) ، ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَعْرًا ^(٨) وَلَمْ أَكْ بَشَرًا .

= [انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ - ٣٩٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣ - ١٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩ ، والطبری ج ٨ ص ٥٢٧ و ٣٨٩ و ٥٦٤ وما بعدها وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ صفحات متفرقة]

(١) جُلُ الدَّابَّةِ : مَا تُعْطَى بِهِ الدَّابَّةُ لِيُصَانَ .. بفتح الجيم وضمة هـ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « يَتَضَرَّعُ وَيَقُولُ » بِسُقُوطِ الْفِعْلِ « يَبْكِي » وَالضَّمِيرُ « هُوَ » .

(٣) فِي « م » : « مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ » .

(٤) هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، عَمَّانُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ كَعْبِ التَّيْمِيِّ الْقُرَشِيُّ ، أَمِيرُ بَكْرٍ ، أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَلَدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٥١ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَغَنِيًّا مِنْ كِبَارِ مُوسِرِيهِمْ ، وَعَالِمًا بِأَنْسَابِ الْقَبَائِلِ وَأَخْبَارِهَا وَسِيَاسَتِهَا ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلْقَبُهُ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ .. حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَشْرَبْهَا ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ فِي عَصْرِ النَّبُوَّةِ مَوَاقِفٌ كَبِيرَةٌ ، فَشَهِدَ الْحُرُوبَ ، وَاحْتَمَلَ الشَّدَائِدَ ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ ، وَبَرَّحَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ١١ هـ ، فَحَارَبَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنْتَعِينَ مِنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ ، وَافْتَضَحَتْ فِي أَيَّامِهِ بِلَادُ الشَّامِ وَقَسَمَ كَبِيرٌ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَاتَّفَقَ لَهُ قَوَادِمُ أَمْنَاءَ ، كَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحِزْمِيِّ ، وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَالثَّغْنِيُّ بْنُ حَارِثَةَ .. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ ، وَالرَّافَةِ بِالْعَامَةِ ، وَكَانَ خَطِيئًا كَثِيرًا ، وَشَجَاعًا بَطَلًا ، وَلَقَّبَ بِالصَّدِيقِ لِصَدِيقَتِهِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْرِ الْإِسْرَاءِ .. تَوَلَّى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَنَةَ ١٣ هـ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ سِتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .. كُتِبَ عَنْهُ الْكَثِيرُ ، وَأُفْرِدَتْ لَهُ الصِّفَحَاتُ الطُّوَالَ فِي مَنَاقِبِهِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٠٢ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣ - ١٢٤ ، وَحُلَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ج ١ ص ٢٨ - ٣٨ وَغَيْرُهَا] .

(٥) « عَلَى شَجَرَةٍ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٦) فِي « م » : « الطَّرِيقِ » .

(٧) فِي « م » : « عَلَى بَعِيرٍ فَلَاكَنِي » أَيْ : مَضَعَنِي .

(٨) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي بَعْرًا » لَانْصَحَ . وَأَزْدَرَدَنِي : بَلَعَنِي .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١) : أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثِيْبَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَ هَذِهِ الثَّيْبَةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٢) : وَدِدْتُ أَنِّي طَائِرٌ فِي مَنَكِبِي رِيْشٌ . وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَا لَيْتَنِي إِذَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : عاصم بن عبد الله - وكلاهما من خَفْدَةِ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فالأول هو عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، والثاني هو : عاصم بن عبد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو من رِوَاة الحديث ، ولكنهم ضَعُفُوهُ .. وقد جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي : « قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عُمَرَ أَخَذَ ثِيْبَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ الثَّيْبَةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » وعبد الله هذا هو : عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ بن ربيعة الأموي ، أبو عبد الرحمن ، أمير فاتح ، وُلِدَ بِمَكَّةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ٤ هـ ، وَكَانَ شَجَاعًا سَخِيًّا ، وَصُولًا لِقَوْمِهِ ، وَلَقِيَ الْبَصْرَةَ فِي أَيَّامِ عُمَانَ سَنَةَ ٢٩ هـ ، وَكَانَ مُجِبًّا لِلْعُمَرَاءِ ، اشْتَرَى كَثْرًا مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ وَهَدَمَهَا فَجَعَلَهَا شَارِعًا . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الْخِيَاضَ بِعُرْفَةِ (فِي الْحِجَازِ) وَأَجْرَى الْعَيْنِ وَسَقَى النَّاسَ الْمَاءَ .. وَهُوَ الَّذِي وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى « سَجِسْتَان » فَافْتَتَحَهَا صُلْحًا ، وَافْتَتَحَ عَائِمَةَ فَارِسَ وَخِرَاسَانَ وَكَابُلَ .. وَقُتِلَ عُمَانُ وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَشَهِدَ وَقْعَةَ الْجَمَلِ مَعَ عَائِشَةَ ، وَلَمْ يَحْضُرْ وَقْعَةَ صِفِّينَ .. وَلَاحَظَ مَعَاوِيَةُ الْبَصْرَةَ ثَلَاثَ سَنِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْهَا ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ .. وَمَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٥٩ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ ، وَدُفِنَ بِعُرْفَاتٍ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٥٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ١٥١ ، والحيوان للجاحظ ج ١ ص ٧٨ وحاشية ،]

(٢) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمِينِ ، وَصَاحِبَ سِرِّهِ ، وَرَفِيقَهُ فِي حُجَّتِهِ وَتَرْحَالِهِ وَغَزَوَاتِهِ .. يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَسْئَلُهُ .. نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا وَقَالَ : « رِغَاءٌ مُلِيَّةٌ عَلِيمًا » .. وَلَقِيَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْتَ مَالِ الْكُوفَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ فَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ٣٢ هـ عَنْ غَوَسَتَيْنِ عَامًا .. وَكَانَ قَصِيرًا جَدًّا يَكَادُ الْجُلُوسَ يُوَارِيهِ .. وَكَانَ يَحِبُّ الْإِكْتَارَ مِنَ التَّطْبِيبِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ عَرَفَ الطَّرِيقَ أَنَّهُ مَرُّ مِنْ طَيْبِ رَأْتَحَتِهِ .. لَهُ ٨٤٨ حَدِيثًا .. وَأُورِدَ الْجَاحِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ خُطْبَةً لَهُ ، وَخُتَارَاتٌ مِنْ كَلَامِهِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ وغيرها في عامة الأجزاء ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ وغيرهما] .

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ^(١) : لَوَدِدْتُ أَنِّي رَمَدْتُ تَسْفِينِي ^(٢) الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٣) : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعَصَّدُ وَتُوكَلُ فَمَرَّتِي وَلَمْ أَكُ بَشَرًا .

وَرَوَى ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْظُهُ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِبٌ سَبِيلَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِقَبْرِ ، فَقَالَ : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا ^(٦) : قَبْرُ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ ^(٧) ،

(١) هو : عِمْرَانُ بْنُ حُمَيْدٍ ، أَبُو نُجَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خير سنة ٧ هـ ، وغزا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غزوات ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة .. بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم في الدين ، وولى قضاءها ، وتوفى بها سنة ٥٢ هـ . وهو ممن اعتزل حرب « صفين » وكان مُجَابِ الدُّعَا .. وله في كتب الأحاديث ١٣٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠] .

(٢) تسفيني الرياح ، أى : تُذَرِّبُونِي وَتَحْمَلُونِي .. وفى « ط » : « تَسْفِينِي » .

(٣) أبو الدرداء ، هو الصحابي عويمر بن مالك . وقد سبق التعريف به .. ويُعَصَّدُ ، أى : يُقَطَّعُ .

(٤) من هنا إلى آخر الحديث عن « م » ولم يرد في « ط » .

(٥) الحديث رواه البخارى في كتاب « الرقاق » باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كن في الدنيا كأنك غريب » عن عبدالله بن عمر ، باختلاف يسير في لفظه ، والحديث مُوجَّهٌ له ، وآخره : « وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضُكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » .

[انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج ١١ ص ٢٣٣ .. وقوله : « وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ » زادها الليث في روايته ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً . وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون] .

(٦) في « ط » : « قَالُوا » .

(٧) في « م » : « الْأَرْتُ » بالثاء المثلثة ، خطأ من الناسخ . وحَبَابُ هو : حَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ بْنِ جَنْدَلَةَ التَّمِيمِي ، أَبُو يَحْيَى ، أو أبو عبدالله ، صحابى ، وهو عرقى لحقه سباء في الجاهلية فَبِيعَ بِمَكَّةَ ، وكان يعمل السيوف بها ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان سادس ستة في الإسلام ، وهو أول من أظهر إسلامه .. استضعفه المشركون فذبوه ليرجع عن دينه ، فصر ولم يُقِطَ الْكَفَّارَ مَا سَأَلُوا ، إلى أن كانت الهجرة ، فهاجر ، وشهد بدرأً وأُخِذَ والمُشَاهِدَ كُلِّهَا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ونزل الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ ، وهو أول من دُفِنَ بظهر الكوفة مِنَ الصَّحَابَةِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٠١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٧ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤] .

فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ، أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ،
وَابْتَلَى فِي جَسَمِهِ آخِرًا ^(١) ، أَلَا وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجَرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . ثُمَّ مَضَى ، فَإِذَا
قُبُورٌ ^(٢) ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ وَالْمَحَالِّ
الْمُقْفِرَةِ ، أَنتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا
وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ . طُوِيَ لِمَنْ ذَكَرَ الْبِعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَفُتِحَ
بِالْكَفَافِ ^(٣) ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، أَمَّا الْأَرْوَاحُ فَقَدْ
لُكِّحَتْ ، وَأَمَّا الدِّيَارُ فَقَدْ سُكِّنَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ ، هَذَا ^(٥) خَيْرٌ مَا عِنْدَنَا ،
فَمَا خَيْرٌ مَا عِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ ^(٦) وَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ لَوِ تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنَا
أَنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ^(٧) .

(١) هكذا في ط .. ولي م : : وَابْتَلَى فِي جَسَمِهِ وَعَاشَ مُجَاهِدًا آخِرًا .

(٢) في م : : فَإِذَا قُبُورٌ آخِر .

(٣) في م : : وَفُتِحَ بِالْكَفَافِ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ .

(٤) في م : : عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(٥) في ط : : فَهَذَا .

(٦) في م : : فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ فَقَالَ . والتكرار هنا سهو من الناسخ .

(٧) في م : : وَجَدْنَا خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

البَابُ الثَّانِي فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ

دَعَلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ^(١) عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَلَيْهِ سِمْلَةٌ وَمِذْرَعَةٌ صُوفٍ ^(٢) فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٣) اقْتَحَمَتْهُ عَيْنُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَهْ يَا أَخْنَفُ ^(٤) ، فَقَالَ الْأَخْنَفُ : يَا أُمِيرَ

(١) هو : الأخنف بن قيس بن معاوية بن حُصَيْنِ الْمُرِّي ، السعدي ، اليَنْقَرِيُّ ، القَيْمِيُّ ، أبو بحر ، سيد نعيم ، وأحد العظماء الدهاء ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين ، يُعْتَرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْجَلْمِ ، وُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ ٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَرَهُ ، وَوَقَعَ عَلَى عَمْرِ حِينَ آلَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فِي الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَبَقَاهُ عَمْرٌ ، فَمَكَثَ عَاماً ، وَأُذِّنَ لَهُ ، فَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ .. وَكَتَبَ عَمْرٌ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، لَمَّا بَعْدَ ، فَأُذِنَ لِلْأَخْنَفِ وَشَاوَرُهُ ، وَاسْمَعُ مِنْهُ .. الخ . وَشَهِدَ الْفَتْوحَ فِي « خِرَاسَانَ » وَاعْتَرَلَ الْفَتْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، ثُمَّ شَهِدَ صُوفِينَ مَعَ « عَلِيٍّ » وَلَمَّا انْتَضَمَ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ عَاتِيَهُ ، فَأَغْلَظَ لَهُ الْأَخْنَفُ فِي الْجَوَابِ ، فَسُئِلَ مُعَاوِيَةُ عَنْ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ : هَذَا الَّذِي إِذَا غَضِبَ ، غَضِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ ، لَا يَدْرُونَ يَوْمَ غَضِبَ .

وَوَلَّى الْأَخْنَفُ خِرَاسَانَ ، وَكَانَ صَدِيقاً لِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ « أَمِيرِ الْمِرَاقِ » فَرَفَدَ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ ، فَتَوَلَّى فِيهَا وَهُوَ عِنْدَهُ سَنَةَ ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٣ - ٤٢٥ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وغيرها في سائر الأجزاء ، والبيان والتبيين ، وكلماته وأخباره وخطبه متفرقة في سائر أجزائه ، وفي كثير من كتب الأدب والتاريخ] .

(٢) السِّمْلَةُ : شَقَّةٌ مِنَ الثِّيَابِ ذَاتَ حِمْلِ يَتَوَشَّحُ بِهَا وَيَتَلَفَّعُ . وَالْمِذْرَعَةُ : ثَوْبٌ مِنْ صُوفٍ ، أَوْ جُبَّةٌ مَشْفُوقَةٌ الْمُقَدَّمِ .

(٣) مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَّصِياً .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَسَقَطَتْ « بِالْأَخْنَفِ » مِنْ « ط » وَمِمَّا : اسْمُ فَعْلٍ أَمْرٌ مَبْنِي عَلَى السَّكُونِ ، وَمَعْنَاهُ : اكْتَفَى .

الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلَ الْبَصَرَةِ عَدَدَ يَسِيرٍ ، وَعَظَمَ كَسِيرٍ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ ^(١) ، وَاتِّصَالَ
مِنَ الدُّحُولِ ^(٢) فَالْمُكْثِرُ مِنْهَا قَدْ أَطْرَقَ ، وَالْمُقِلُّ مِنْهَا قَدْ أُمْلَقَ ^(٣) ، وَبَلَغَ بِهِ
الْمِخْتَقُ ^(٤) ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتِمَّشَ الْفَقِيرَ ، وَيُجِبَرَ الْكَسِيرَ ^(٥) ، وَيُسَهِّلَ
الْعَسِيرَ ، وَيَصْفَحَ عَنِ الدُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ ^(٦) ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْلَاءِ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ،
وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ ^(٧) أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ مِنْ يَهُمُّ ^(٨) وَلَا يَخْصُ ، وَيَدْعُو الْجَفْلَى وَلَا يَدْعُو
التَّقَرَّى ^(٩) ، إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ شَكَرَ ، وَإِنْ أَسَى إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الرِّعْيَةِ
عِمَادًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْهَلُمَاتِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الْمُضْلِلَاتِ ^(١٠) . فَقَالَ ^(١١) مُعَاوِيَةُ :
هَآ هُنَا يَا أَبَا بَكْرٍ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَتَقَرَّقَتْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ^(١٢) .

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ^(١٣) : لَمَّا حَجَّ الْمَهْدِيُّ قَالَ : لَا بَدَّ لِي مِنْ سُفْيَانَ ، فَوَضَعُوا لِي

(١) هكذا في .. وفي ط : : تتابع المحول ، أي : تتابع الجذب وانقطاع للمطر .

(٢) الدُّحُول : حقداء ، جمع دَحَلٍ . ويقال : طلب بذخله ، أي : بظأره .

(٣) أَطْرَقَ : أَمَالَ رَأْسَهُ إِلَى صَدْرِهِ وَسَكَتَ .. وَأَمْلَقَ : انْقَضَ وَاحْتِاجَ .. وفي م : : أَمْلَقَ : أَبْلَاءَ ، وَمَعْنَاهَا
لَا يَنْبَسِبُ السَّيَاقَ .

(٤) المِخْتَقُ : الرِّبَا . ويريد به هنا شَيْئَةُ الضَّيْقِ .

(٥) يَجِبَرُ الْكَسِيرُ : يَكْتَفِي حَاجَتَهُ .

(٦) يريد : يَصْفَحُ عَنِ الْخَافِقِينَ وَالثَّالِثِينَ ، وَيُزِيلُ مَا خَلَّ بِهِمْ مِنْ جَذَلٍ وَقَطْعٍ بِعَطَايَاهُ .

(٧) في ط : : وَتَزُولُ الْأَوَاءُ ، وَاللَّأْوَاءُ : الضُّكُّ وَضَيْقُ الْمِصْبَةِ .

(٨) يُقَالُ : فَلَانٌ يَهُمُّ الْقَوْمَ بِالْعَطِيَةِ : أَيُ : يَسْلُمُهُمْ .. وفي ط : : يَهْمُرُ .

(٩) الْجَفْلَى : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ . يريد : يَدْعُوهُمْ جَمِيعًا مِنْ غَيْرِ تَخْصِصٍ . وَالتَّقَرَّى : الدَّعْوَةُ الْخَاصَّةُ ، لِأَنَّهُمْ
بِعَيْنِهِمْ .

(١٠) هكذا في ط : : وفي م : : يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْمُضْلِلَاتِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الْهَلُمَاتِ ، وَالْمُضْلِلَاتِ : الْمَسَائِلُ
الشَّكْلِيَّةُ الَّتِي لَا يُهَيِّئُ لِرُوحَانِهَا .. وَالْهَلُمَاتِ : التَّوَانِزِلُ الشَّدِيدَةُ مِنْ شِدَادَةِ الدَّهْرِ .

(١١) في م : : ثُمَّ قَالَ .

(١٢) سورة محمد - من الآية ٣٠ .. وَتَقَرَّقَتْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ، أَيُ : يَفْخَرُوا وَأَسْلُوبُ كَلَامِهِمْ .

(١٣) هو : سُفْيَانُ بْنُ سَيْدٍ بْنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ ، مِنْ بَنِي ثَوْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ، مِنْ مُضَرَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٩٧ هـ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ قَوَّةً مَأْمُونًا نَبِيًّا ، كَثُرَ
الْحَدِيثُ .. وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي عُلُومِ الدِّينِ وَالْفِقْهِ .. سَكَنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يَقُولُ : قُلْتُ يَصْلَحُ بِمَكَّةَ
وَالْمَدِينَةَ مَعَ قَوْمٍ غُرَبَاءَ أَصْحَابِ بَيُوتٍ وَعِبَاءَ .. وَتَوَارَى مِنَ « الْمَهْدِيِّ » بِمَكَّةَ ، وَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا لِأَهْلِ الْجَلَمِ ، وَلَهُ مَعَ
الْمَهْدِيِّ أَخْبَارٌ أَوْزَعَتْهَا كُتُبُ الْأَدَبِ وَالطَّبِيقَاتِ وَغَرَاهَا .

الرَّصَدُ ^(١) خَوْلَ النَّبِيِّ ، فَأَخَذُونِي بِاللَّيْلِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْنَانِي ، ثُمَّ قَالَ : لَأَيُّ شَيْءٍ لَاتَانِيَا فَتَسْتَشِيرُكَ فِي أَمْرِنَا ^(٢) ، فَمَا أَمَرْتَنَا مِنْ شَيْءٍ صِرْنَا إِلَيْهِ ، وَمَانَهَيْتَنَا عَنْ شَيْءٍ اتَّهَيْتَا عَنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَنْفَقْتَ فِي سَفَرِكَ هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَذْرِي ، لِي أَمْنَاءُ وَوُكَلَاءُ . قُلْتُ : فَمَا غُذِرَكَ عَذَا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ ؟ لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَجَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : كَمْ أَنْفَقْتَ ^(٣) فِي سَفَرِنَا هَذَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِينَارًا فَقَالَ ^(٤) : وَيَحَكَ ، أَجَحَفْنَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ ^(٥) : مَا سَمِعْتُ بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامِ تَكَلَّمَ بِهِ رَجُلٌ ^(٦) عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْمَعْ مِنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيْهِنَّ صَلَاحٌ دِينِكَ

= قال القضاة بن حكيم : دكت عند المهدي ، وَأَتَى بِسُفْيَانَ الثَّوْرِي ، فلما دخل عليه سَلَّمَ تسليم العائنة ، ولم يسلم تسليم الخلافة ، والربيع قائم على رأسه ، مُتَّكِيًا عَلَى سِيفِهِ [يَرْقُبُ أَمْرَهُ] فَأَقْبَلَ الْمَهْدِي بَوَّاحًا طَلَّقَ وَقَالَ لَهُ : يَا سُفْيَانُ ، نَفَرْنَا مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، وَتَظُنُّ أَنَّكَ لَوْ أُرِدْنَاكَ بِسُوءٍ لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْكَ ؟ فَقَدْ قَدَرْنَا عَلَيْكَ الْآنَ .. أَمَّا نَحْنُ أَنْ تَحْكُمَ فِيكَ بِهَوَانٍ ؟

قال سُفْيَانُ : إِنْ تَحْكُمَ فِيَّ بِحُكْمِ فَهَيْكَ مَلِكٌ قَادِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَطْعَمْنَا الْجَاهِلَ أَنْ يَسْتَقْبَلَكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ أَتَذُنُّ لِي أَنْ أُضْرِبَ عُنُقَهُ .

فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : اسْكُتْ وَهَلْكَ !! مَا يَرِيدُ هَذَا وَأَمَّا هَذَا إِلَّا أَنْ نَقْتُلَهُمْ فَتَشْقَى بِسَعَادَتِهِمْ .. أَكْبَرُوا بِعَهْدِهِ عَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ ، عَلَى الْآلِ يُقَرَّرُ عَلَيْهِ فِي حُكْمٍ .. فَكَبَّ عَهْدَهُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَخَرَجَ ، وَرَمَى بِهِ فِي « دِجْلَةٍ » وَهَرَبَ ، فَطُلِبَ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَلَمْ يَوْجَدْ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٦١ هـ مُتَوَارِئًا مِنَ السُّلْطَانِ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٦ - ٣٩١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، وروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٦ - ٣٩٣ ، وج ٧ ص ٣ - ١٤٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥١ - ١٧٤] .

(١) الرَّصَدُ : الرُّقْبَاءُ ، جَمْعُ رَاصِدٍ .

(٢) في م : « أَمَرْنَا » .

(٣) في م : « أَنْفَقْنَا » .

(٤) في م : « قَالَ » .. وقوله : أَجَحَفْنَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ : اشْتَدَّ ضَرَرُنَا بِهِ ، وَذَهَبْنَا بِأَمْوَالِهِ .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري . وسيأتي التعريف به في آخر هذا الباب .

(٦) في م : « د من كلام رجل تكلم به » .

وَمُلْكِكَ ، وَآخِرَتِكَ وَدُنْيَاكَ . قَالَ : لَا يَبْعُدُ أَحَدًا عِدَّةً وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ إِنْجَازَهَا ، وَلَا يُغَيِّرُكَ مُرْتَقَى سَهْلٌ ^(١) إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرُ وَغَرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ جَزَاءً ، فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٌ ^(٢) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

وَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ السَّمَاءِ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ لَهُ : عِظْنِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ لِخَلْقِهِ فِي عِبَادِهِ غَيْرَكَ ، فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ ^(٣) بِهِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ أَوَّلَى النَّاسِ بِذَلِكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ طَلَبَ فَكَأَنَّكَ رَقِيبُهُ فِي مُهَلَّةٍ مِنْ أَجَلِهِ ، كَانَ ^(٤) خَلِيقًا أَنْ يَتَعَيَّقَ نَفْسَهُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ ذَوَّقَهُ الدُّنْيَا حَلَاوَتَهَا يَرْكُوبُ مِنْهُ إِلَيْهَا ، أَذَاقَهُ الْآخِرَةَ مَرَارَتَهَا يَتَجَافَى عَنْهَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَاشِئْتُكَ اللَّهُ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَيْهَا وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُحَاسِبُ وَحْدَكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَقْدَمُ إِلَّا عَلَى نَادِمٍ مَشْغُولٍ ، وَلَا تُخْلَفُ إِلَّا مَفْتُونًا مَفْرُورًا ، وَإِنَّكَ وَإِيمَانَا فِي دَارِ سَفَرٍ ، وَجِيرَانِ ظُلْمٍ ^(٥) .

وَلَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، اسْتَحْضَرَ أَبَا حَازِمٍ فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ : فِيْمَ أَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فِي الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَأْخُذِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِحَقِّهَا ^(٦) ، وَلَا تَضَعُهَا إِلَّا فِي أَهْلِهَا . قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَلَّدَكَ . قَالَ : عِظْنِي يَا أَبَا

(١) في م : : سهلاً بالنصب ، والصواب بالرفع ، صفة لمرتقى ، التي وقعت فاعلاً .

(٢) في ط : : « والدَّهْرُ تَارَات » والتارات : المَكَارَه ، جمع تَرَةٍ .

(٣) في م : : « رَضَى بِهِ » .

(٤) في م : : « وأولى » .

(٥) في م : : « وكان .. » ولا يصح العطف هنا .

(٦) جيران ظُلم : مُرتَجِلِينَ .

(٧) في م : : « إلا يجلبها » .

حَازِمٌ ^(١) . قَالَ ^(٢) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ .. ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَزَّ رُبُّكَ فِي عَظَمَتِهِ عَنْ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَنْتَ سُوقٌ فَمَا تُفَقِّ عَنْكَ ^(٣) حُجَلٌ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيُّهُمَا شِئْتَ .. قَالَ : فَمَا لَكَ لَا تَأْتِينَا ؟ قَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِإِثْمَانِكَ ؟ إِنْ أَذْنِبْتَنِي فَتَتَنَبَّى ، وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي أَخْزَيْتَنِي ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ . قَالَ : فَأَرْفَعْ إِلَيْنَا ^(٤) حَوَائِجَكَ . قَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ ^(٥) مِنْكَ عَلَيْهَا ، فَمَا أُعْطَانِي مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَا مَنَعْنِي مِنْهَا رَضِيتُ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ كَثِيرٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ ، أَوْ يَزِيدَ فِي قَلِيلٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ ؟ قَالَ : فَبِكَيْ سُلَيْمَانَ بُكَاءٌ شَدِيدًا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : أَسَأَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَسْكُتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيَبِينَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، بَعَثَ إِلَيْهِ ^(٨) بِمَالٍ ، قَرَدَهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ : خَرَجَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُ قَرَعَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَعَرَجْتُ مُسْرِعًا ، فَإِذَا أَنَا بِهِ

(١) في « م » : « أبا حازم » . ووردت القصة بكاملها في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٧ بتصرف .

(٢) في « م » : « فقال » .

(٣) في « م » : « عندك » بدل « عنك » .. إما أنت سوق ، أي : أنت مثل السوق التي يباع فيها .

(٤) في « م » : « إلى » .

(٥) في « م » : « وأحق وأقدر » .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة الزخرف - من الآية ٣٢ .

(٨) في « م » : « بعث له » .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ، قَدْ حَاكَ ^(١) فِي نَفْسِي شَيْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا عَالِمٌ .. أَنْظِرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . قُلْتُ لَهُ : هَاهُنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) . قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَتَيْتُكَ . قَالَ : جِدْ ^(٣) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ^(٤) عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَبَّاسُ ^(٥) اقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَقَالَ ^(٦) : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَلْظَرُ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : هَاهُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ ^(٨) ، قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى

(١) حاك : رسخ .. في « م » : « حال » باللام ، وهي بمعنى : غاب .

(٢) هو : سفیان بن عیینة بن میمون الهلال الکوفی ، أبو محمد ، مُخَدَّثُ الحَرَمِ المَكِّي ، كان عالماً ناعداً ، وزاهداً عابداً ، وُلِدَ بالكوفة سنة ١٠٧ هـ ، وسكن مكة ، وكان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، ذا رأى راجح ، كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز .. توفي - رحمه الله - بمكة وذُفِنَ بها سنة ١٩٨ هـ . وحج سبعين حجة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٥ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٢٧٠ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ - ١٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣] .

(٣) جِدْ ، أي : اجتهد .. وفي « م » : « تُخَذُ » .

(٤) سَقَطَتْ « لَه » من « م » وبعلها : « فقال : نعم » .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يا عباسي » وهو : العباس بن الفضل بن الربيع .

(٦) في « م » : « فقال له » .

(٧) في « م » : « قلت » .

(٨) في « م » : « هشام » بالشين المعجمة : تحريف . وعبد الرزاق هو : عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعائي ، من حفاظ الحديث الثقات .. من أهل صنعاء ، ولد سنة ١٢٦ هـ ، وكان يحفظ نحو سبعة عشر ألف حديث ، وقيل : مارحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مثلما رحلوا إليه .. وروى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر ، ومنهم سفیان بن عیینة ، وهو من شيوخه ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم .. توفي - رحمه الله - في شوال سنة ٢١١ باليمن .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٠٩ - ٦١٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧] .

أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : جِدْ (١) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ (٢) : عَلَيْكَ ذَنْبٌ ؟
 قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ (٣) ، أَقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّي
 صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَنْظُرْ (٤) لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ ، فَقُلْتُ (٥) : هَاهُنَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ .
 قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَإِذَا (٦) هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي غُرْفَةٍ (٨) يَتْلُو آيَةً مِنْ كِتَابِ
 اللَّهِ ، وَيُرَدِّدُهَا (٩) ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ (١٠) ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أُجِبْ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَا لِي وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا عَلَيْكَ
 طَاعَتُهُ (١١) ؟ فَقَالَ : أَوْلَيْسَ قَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ
 لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ؟ فَتَزَلَّ فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ ارْتَقَى الْعُرْفَةَ فَاطْفَأَ السَّرَاجَ ، ثُمَّ اتَّجَأَ
 إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْعُرْفَةِ ، فَجَعَلْنَا نَحُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا ، فَسَبَقَتْ كَفَّ الرُّشِيدِ كَفِّي
 إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَوْرَهُ (١٢) مِنْ كَفِّ مَا أَلَيْنَهَا إِنْ نَجَتْ عَدَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى !

(١) في « م » : جَدَّ .

(٢) سقطت « له » من « م » .

(٣) في « ط » : يعباسي .

(٤) في « م » : انظر .

(٥) في « م » : قلت .

(٦) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو علي ، أحد الأقطاب ومن أكابر العبَّاد الصالحين ،
 وُلِدَ بِمِجْرَاسَانَ بِكُورَةِ « أَيْبُورْد » سنة ١٠٥ هـ ، وَقَدِمَ الْكُوفَةَ وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تَمَعَّدَ وَانْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ
 وَجَاوَزَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سنة ١٨٧ هـ وَأَعْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥٣ ، وحملة الأولياء ج ٨ ص ٨٤ - ١٣٩ ، والرسالة القشورية ج ص ٦٢ - ٦٤ ،
 وطبقات الصوفية ص ٦ - ١٤ ، وطبقات الشعرائي ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ ، وطبقات الأولياء ص ٢٦٦ - ٢٧١ ،
 ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٧ - ٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١
 ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ وفيها قال عنه هارون الرشيد : مارأيتُ في العلماء أهيَّابَ من مالك ولا أَوْزَعَ من الفضيل] .

(٧) في « ط » : رأذ .

(٨) في « م » : غرفته .

(٩) في « م » : وهو يرددُها .

(١٠) في « م » : « فقرعتُ عليه الباب » .

(١١) في « ط » : طاعة .

(١٢) أَوْرَهُ ، يسكون الواو وكسر الهاء : كلمة تقال عند التَّوَجُّعِ .. وفي « ط » : « أَوْرَاهُ » .

قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْكَلْمَتُهُ ^(١) اللَّيْلَةَ بِكَلَامٍ يَقِي مِنْ قَلْبٍ يَقِي . فَقَالَ : جِدْ ^(٢) لِمَا جِئْنَا لَهُ يَرْحَمَكَ اللَّهُ . قَالَ : وَفِيمَ جِئْتُ ؟ حَطَبْتُ ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَمِيعُ مَنْ مَعَكَ حَطَبُوا عَلَيْكَ ، حَتَّى لَوْ سَأَلْتَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ الْغُطَاءِ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ^(٤) أَنْ يَحْمِلُوا عَنْكَ شَيْئًا ^(٥) مِنْ ذَنْبٍ مَافَعَلُوا ، وَلَكِنْ أَشَدُّهُمْ حُبًّا لَكَ أَشَدُّهُمْ مَرًا بِمَنْكَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] ^(٦) لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهِذَا الْبَلَاءِ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقَدْ الْخِلَافَةَ بَلَاءٌ ، وَعَدَدُوتُهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّ أَرَدْتَ النُّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ^(٨) فَصُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَتَكُنْ

(١) فِي م : : لَتَكَلَّمَتُهُ .

(٢) فِي م : : خُذْ .

(٣) هَكَذَا فِي م : : .. وَفِي ط : : : حَطَبْتُ ، وَحَطَبْتُ ، وَحَطَبْتُ ، وَحَطَبْتُ ، وَحَطَبْتُ .. وَحَطَبْتُ عَلَى فَلَان : سَعَى بِهِ .

(٤) الْمُرَادُ بِانْكِشَافِ الْغُطَاءِ : وَضُوحُ الْحَقِيقَةِ مِثْلَةَ أَمَامِ الْعَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي كَانَ الْإِنْسَانُ غَافِلًا عَنْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ سُورَةُ قِي - آيَةُ ٢٢ .

(٥) الشَّقَصُ : الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِفِينَ عَنْ م : : وَسَاقَطٌ مِنْ ط : .

(٧) الْأَوَّلُ : سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَحَدُ قُبَّاهِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ ، وَمِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ وَعِلْمَائِهِمْ وَتَقَاتِهِمْ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٦ هـ .

وَالثَّانِي : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، حَلِيفُ الْأَوْسِ ، أَبُو هِزْمَةَ الْمَدِينِيُّ ، مِنَ التَّابِعِينَ .. وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عِلْمًا وَفَقْهًا ، وَكَانَ مُحَدِّثًا ثِقَةً .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٨ هـ وَقِيلَ سَنَةَ ١١٧ هـ وَهُوَ ابْنُ ثَمَالٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

وَالثَّلَاثُ : رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ بْنِ جَزُولِ الْكِنْدِيِّ ، أَبُو الْمَقْدَامِ ، شَيْخُ أَهْلِ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ ، وَمِنْ الْوُحَاظِ الْفَصَحَاءِ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ مَلَامَرًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي عَهْدِي الْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَهُوَ الَّذِي أُشِيرَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِاسْتِخْلَافِ عُمَرَ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١١٢ هـ .

[انْظُرْ رِجَالَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٢ ص ٦٧٥ ، وَالْحَلِيقَةِ ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٨ وَج ٣ ص ٢١٢ - ٢٢١ وَج ٥ ص ١٧٠ - ١٧٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ج ٢ ص ٣٨ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٧١ وَ ١٧٠] .

(٨) فِي م : : : عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

فُتَارَكَ فِيهَا الْمَوْتُ ، وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : إِنْ أُرِذْتَ النِّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَا ، فَلْيَكُنْ كَبِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَكَ أَبَا ، وَأَوْسَطُهُمْ عِنْدَكَ أَخَا ^(١) ، وَأَصْغَرُهُمْ وَلَدَا ، فَبَرَّ أَبَاكَ ، وَارْحَمْ أَخَاكَ ، وَتَحَرَّنْ عَلَى وَلَدِكَ . وَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : إِنْ أُرِذْتَ النِّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَا فَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا حَبَّبَ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهُ لَهُمْ مَا كَرَهُ لِنَفْسِكَ ، ثُمَّ مَتَى شِئْتَ مَتَى ، وَإِنِّي لَأَقُولُ لَكَ هَذَا ، وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزُلُ ^(٢) الْأَفْدَامُ ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِثْلُ هَؤُلَاءِ ^(٣) الْقَوْمِ مِمَّنْ يَأْمُرُكَ بِبِئْسَ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : ارْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا بَنُ أُمِّ الرَّبِيعِ ، قَتَلْتَهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقْ بِهِ أَنَا ؟ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَغَنِي أَنَّ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ سَهْرًا ^(٤) فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَخِي ، اذْكُرْ سَهْرَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ، وَخُلُودَ الْأَبْدَانِ ^(٥) فَإِنَّ ذَلِكَ يَطْرُدُ ^(٦) بِكَ إِلَى رَبِّكَ نَائِمًا وَيَقْطَعُ ^(٧) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزُلَّ قَدَمُكَ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ ، وَيَنْقَطِعَ ^(٨) الرَّجَاءُ مِنْكَ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ لَهُ : خَلَعْتُ قَلْبِي بِكِتَابِكَ ، لَا وَلِيْتُ لَكَ وَلَا يَتَ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْعَبَّاسَ ، عَمَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَهُ فَقَالَ :

(١) في « م » : « فاجمل كبير المسلمين عندك أبَا ، وأوسطهم أَخَا » .

(٢) في « م » : « تَزُلُّ فِيهِ » .

(٣) في « ط » : « مثل هذا القوم ممن يأمرك » .

(٤) سقطت « سهرًا » من « م » هي « ابن عبد العزيز » بعدها .

(٥) في « ط » : « وخلود الأبد » .

(٦) يَطْرُدُ : يُرْسِلُ .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يقطعًا » لا تصح ، ممنوعة من الصرف .

(٨) في « ط » : « وينقطع » .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَرْنِي عَلَى إِمَارَةٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيُّ ، نَفْسٌ تُحِبُّهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لِأُتْحَصِيهَا ، إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَتَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ . فَبَكَى هَارُونُ الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ ^(٢) .

قَالَ : يَا حَسَنَ الرُّوحِ ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ ^(٣) اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقَى هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُتَمَسَّى وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ^(٤) : مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يَرْحَ رَاحَةَ الْجَنَّةِ . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دَيْنٌ لِرَبِّي لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَأَلْوَيْ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ يُلْهِمْنِي حُجَّتِي . قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي دَيْنَ الْعِبَادِ . قَالَ : إِنْ رُبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمَرَنِي أَنْ أُصَدِّقَ وَعْدَهُ ، وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ^(٥) إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ ﴾ ^(٦) . فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، خُذْهَا فَأَتِفِفْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنَا أَذُلُّكَ عَلَى سَبِيلِ ^(٧) النَّجَاةِ وَتُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ، سَلَّمَكَ اللَّهُ وَوَفَّقَكَ ؟ ثُمَّ صَمَتَ فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي هَارُونُ : إِذَا دَلَّتَنِي عَلَى رَجُلٍ قَدَلْتَنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ .

(١) في م : : « فقال النبي » .

(٢) في م : : « يرحمك الله تعالى » وبعدها : « فقال » .

(٣) في م : : « تسلك » غريب من الناسخ .

(٤) في م : يقول .

(٥) هكذا في ط : وفي القرآن الكريم .. وفي م : : « الجن والإنس » .

(٦) سورة الزاريات ، الآيات من : ٥٦ - ٥٨ .

(٧) في ط : : « على النجاة » .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ ^(١) دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ ^(٢) : يَا هَذَا ، أَمَا تَرَى ^(٣) مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ؟ فَلَمَّا قِيلَتْ هَذَا الْمَالَ فَفَرَجْنَا بِهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كِمَثَلِ قَوْمٍ كَانَ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ نَحْرُهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ . مُوتُوا يَا أَهْلِي جُوعاً وَلَا تَذَبَحُوا فُضَيْلاً . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ قَالَ : أَذْخُلُ ، فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ . قَالَ : فَدَخَلْنَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِنَا الْفَضِيلُ خَرَجَ وَجَلَسَ عَلَى التَّرَابِ عَلَى السَّطُوحِ ، فَجَاءَ ^(٤) هَارُونُ الرَّشِيدُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ ، فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ : يَا هَذَا ، قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَأَنْصَرِفْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، فَأَنْصَرَفْنَا .

وَوَعَّظَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ ^(٦) الْمَنْصُورَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ أَحَدًا ، فَلَا تَجْعَلْ فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا ^(٧) .

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ^(٨) عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَرَأَ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلِإِلَاحِ عَشْرِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ

(١) أى : من نساء الفضيل بن عياض .

(٢) فى م : « قالت : يا هذا » .

(٣) فى ط : « قد ترى » .

(٤) سقطت : « فجاء هارون الرشيد » من م ، وفيها : « فجلس هارون إلى جنبه ، فجعل يكلمه ولا يجيبه » .

(٥) هكذا فى م .. وفى ط : « فيها كذلك » .

(٦) فى م : « وط : « شبة » تحريف ، والصواب ما أثبتاه « شبة » . وقد وردت هذه الموعظة فى تاريخ

بغداد ج ٩ ص ٢٧٥ .

وهو : شبيب بن شبة بن عبد الله التميمي المنقرى الأهتسى ، أبو مَعْمَر ، أديب الملوك ، وجليس الفقهاء ، وأخو المساكين .. من أهل البصرة ، وكان لساناً فصيحاً ، قديم بغداد فى أيام المنصور ، فاتصل به ، وبالمهدى من بعده ، وكان كريماً عليهما ، أثراً عندهما . توفى سنة ١٧٠ هـ .

[انظر تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٤ - ٢٧٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥٨ - ٤٦٠ ، وميزان الاعتدال ج ٢

ص ٢٦٢ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ ، ٤٧ وغيرهما ، والأعلام ج ٣ ص ١٥٦] .

(٧) فى م : « فوق شكرك شكراً » .

(٨) فى ط : « عَمْرٌ » خطأ .. وهو : عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ بْنِ يَابِ ، التميمي بالولاء ، أبو عثمان البصرى ، شيخ

المعتزلة فى عصره .. كان تقياً ورعاً ، وكان من المحدثين ، وأحد الزهاد المشهورين ، وكان تلميذاً للحسن البصرى إلى أن انفصل عن أصحاب الحسن مع واصل بن عطاء ، وهو يعيد الوعظ ، ثم لا يخشى فى وعظه خليفة أو أميراً ، =

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾^(١) لِمَنْ فَعَلَ مِثْلَ فَعَالِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ
 بِبَابِكَ^(٢) نِيرَانًا تَأْجُجُ ، لَا يُعْمَلُ فِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ^(٣) ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا^(٤) وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ
 دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ^(٥) ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ عُمَاكَ أَنَّهُ لَا يُرْضِيكَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَدْلُ
 لَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لَا يُرِيدُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ^(٦) : أَسْكُتْ فَقَدْ غَمَمْتَ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو^(٧) : وَبَلَّكَ يَا بَنُ أُمِّ مُجَالِدٍ ، أَمَا كَفَاكَ أَنَّكَ خَزَنْتَ نَصِيحَتَكَ
 عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تُحَوِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَنْصَحُهُ ، أَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ اتَّخَذُوا سُلْمًا إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِكِ بِالْقُرُونِ ،
 وَغَيْرِكَ يَحْلِبُ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

= وكان يحقر عطاياهم ، ويعلو بنفسه على نفوسهم ، وينفذ بموعظته إلى قلوبهم فيكسبهم ، ثم يلحون عليه في أن
 يفتش مجالسهم فأتى .. وأخباره مع المنصور كثيرة ، وقد وُلِدَ سنة ٨٠ هـ وقوى بِمَرَّانٍ - قرب مكة - سنة ١٤٤ هـ
 وقد رثاه المنصور ، وَلَمْ يُسَمَّعْ بخليفة رَفِيٍّ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ ، وكان يقول فيه :

« كلِّكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد »

وفي العلماء من يراه مبتدعاً ، وتركوا أحاديثه . وقال عنه ابن حبان : « كان من أهل الورع إلى أن أحدث ما
 أحدث » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٦٦ - ١٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٢ ، وطبقات المعتزلة
 ص ٣٤ وغيرها ، والمعارف لابن ختية ص ٥٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٣ ، وكتاب الضعفاء الكبير للعقيلي
 ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٨٦ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ - ٢٨٠ ،
 والأعلام ج ٥ ص ٨١] .

(١) الآيات من أول سورة « الفجر » إلى الآية ١٤ .

(٢) في « م » : « شايك - أو شيايك » وكلامها تحريف من الناسخ ، باعتبار ما بهما .

(٣) سقطت « صلى الله عليه وسلم » من « ط » .

(٤) اجتروا : ارتكبوا - أو اكتسبوا من الجرائم والموبقات .

(٥) في « ط » : « فلا تصلح دنياهم إلا بفساد آخرتك » .

(٦) في « ط » : « سليمان » خطأ .. والصواب : « سليمان » وهو : سليمان بن مجالد ، مولى أبي جعفر
 المنصور .

(٧) في « م » : « فقال عمرو » .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ^(١) لِلْمَنْصُورِ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ
بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَرِيدَةً يَابِسَةً يَسْتَاكُ ^(٢) بِهَا ، وَيَرْدُعُ بِهَا
الْمُتَارِقِينَ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ؟ أَفَدَفَعَهَا
لَا تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ ، وَاتَّهَبَ
أَمْوَالَهُمْ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ^(٤) دَعَا إِلَى الْفِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ
يَحْدُثُ حَدِيثَهَا أَغْرَابِيًّا مِنْ غَيْرِ عَمِدٍ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَمْعَكَ جَبَّارًا تُكْسِرُ قُرُونَ رَعِيَّتِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنَ النَّارِ نُشِرَ ^(٦) عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجْتَنَّهُ ^(٧) ، فَكَيْفَ
بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا ^(٨) مِنَ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجْتَنَّهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ خَلْقَةً مِنْ سَلَامِيلَ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يُسَلْسَلُ ^(٩) فِيهَا وَيَرْدُعُ فَضْلُهَا عَلَى عُنُقِهِ ^(١٠) ؟ .

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُخَيْدِ الْأَوْزَاعِي ، من قبيلة الْأَوْزَاعِ ، أبو عمرو ، إمام الديار الشامية في
الفقه والزهد ، وُلِدَ فِي بَطْلِك سَنَةِ ٨٨ هـ ، وَنَشَأَ فِي الْبَقَاعِ .. قَالَ عَنْهُ صَالِحُ بْنُ يَحْيَى فِي تَارِيخِ بَيْرُوت : كَانَ
الْأَوْزَاعِيُّ عَظِيمَ الشَّانِ بِالشَّامِ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فِيهِمْ أَعَزَّ مِنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ ، وَغَرَضُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فَا مَنَعَ . وَكَانَ لَا يَخَافُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةً لَامٍ ، يَقُولُ الْحَقُّ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ الْعِظَامِ .. وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَعْظُمُهُ وَيَصْغِي إِلَيْهِ وَيَجْلِسُ .. نَوْفَى - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سَنَةِ ١٥٧ هـ وَفَرِهَهُ فِي قَرْيَةٍ عَلَى بَابِ بَيْرُوتِ يُقَالُ لَهَا « حَتُّوس » .

[انظر حلية الأولياء ج ٦ ص ١٣٥ - ١٤٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٧ ، وتذكيرة الحفاظ ج ١ ص
١٧٨ - ١٨٣ ، والمعارف ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأعلام
ج ٣ ص ٣٢٠] .

(٢) يستاك بها : يتخذ منها سواكاً ينظف فمه وأسنانه به .

(٣) « عليه السلام » لم ترد في « م » .

(٤) المراد بالمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٥) في « ط » : « من غير عميد » .

(٦) في « م » : « صُبَّ » بدل « نُشِرَ » والثانية هي المناسبة للمقام .

(٧) في « م » : « لَأَجْتَنَّهُ » في الموضعين .

(٨) الذُّنُوبُ : الذُّلُورُ .

(٩) في « م » : « يَسْلُكُ فِيهَا ، أَى : يدخل وينفذ .

(١٠) في « م » : « على عاتقه » . والمعاقب : ما بين التَّنَكُّبِ والعُنُقِ .

وَدَعَلَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ ^(١) : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ ^(٢) مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِنصَافِ مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ ^(٣) بِالْقُدْرَةِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةِ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ سِتُونَ ثَلَاثَ : أُمَّا الْأُولَى فَأَكَلَتِ اللَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّانِيَةُ فَادَّابَتِ الشَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّالِثَةُ فَهَاضَتِ ^(٤) الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكَ فَضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ اللَّهُ فَاقْسِمْنَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ ^(٥) ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلِمَ تَحْصُرُهَا ^(٦) عَلَيْهِمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ ^(٧) اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالِ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : أَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ مِثْلُ ^(٨) هَذَا ؟ قَالَ : لَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ الْمَالِ . قَالَ : لَأَحَاجَّةَ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لِأَمَةِ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَذْكَرُ لِمُقَامِي هَذَا مُقَامًا ^(٩) لَا يَشْغُلُ اللَّهُ عَنْكَ كَثْرَةُ مَنْ يُحَاصِمُ مِنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تَلْقَاهُ ^(١٠) بِلَا ثِقَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَا بَرَاءَةٍ مِنَ الذَّنْبِ : فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ ^(١١) ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ وَعُمَرُ يَبْكِي وَيَسْتَجِبُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : عَامِلُكَ أَخَذَ مِنِّي الثَّنَى عَشَرَ ^(١٢)

(١) سقطت « له » من « م » .

(٢) في « م » : « بِالْإِنْسَانِ » .

(٣) في « م » : « مَنْ بَسَطَتْ يَدَاهُ » .

(٤) هَاضَتِ الْعَظْمَ : أَشْتَقَتْهُ وَأَلَانَتْهُ .

(٥) في « م » : « عِبَادَ اللَّهِ » .

(٦) في « م » : « تَحْصُرُهُمْ .. لِانْصَح . وَتَحْصُرُهَا : تَقْتَعِبُهَا عَنْهُمْ .

(٧) في « م » : « إِنَّ » .

(٨) في « م » : « أَكُلَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا الْمَالِ ؟ » .

(٩) سقطت « مُقَامًا » من « ط » .

(١٠) في « م » : « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(١١) اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ : سَأَلَهُ أَنْ يُرَدِّدَهُ عَلَيْهِ .. وفي « م » : « فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ » بدل « يُرَدِّدُهُ » خطأ من الناسخ .

(١٢) سقطت « اثْنَى » من « م » .

أَلَفَ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَلَا تَكْتُبُونَ لَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ^(١) ؟ .

وَلَمَّا دَخَلَ زَيْدٌ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : يَا زَيْدُ ، أَلَا تَرَى مَا ابْتَلَيْتَ ^(٣) بِهِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ شَعْرَةَ ^(٤) مِنْكَ نَطَقَتْ ، مَا بَلَغَتْ كُنْهَ مَا أَنْتَ فِيهِ ^(٥) ، فَأَعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي الْمَخْرُوجِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ بِكَ غَدًا وَقَدْ سِيلَتْ عَنْ هَذِهِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِ ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦) ، كَيْفَ حَالُ رَجُلٍ لَهُ خَصْمٌ أَلَدُ ؟ قَالَ : سَيِّءُ الْحَالِ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَهُ ^(٧) خَصْمَانِ أَلَدَانِ ؟ قَالَ : أَسْوَأُ الْحَالَةِ ^(٨) . قَالَ : فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً ؟ قَالَ : لَا يَهْنِئُهُ عَيْشٌ ^(٩) . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ ^(١٠) مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا وَهُوَ خَصْمُكَ . قَالَ ^(١١) : فَبَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى ^(١٢) تَمَيَّثَ أَنْ لَا أَكُونَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ ^(١٣) : كُنْتُ أَرَى شَيْخًا يَدْخُلُ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي السَّنَةِ مَرَّةً

(١) في « م » : « اكتبوا له حتى يرد عليه » .. وسقطت « ماله » منها .

(٢) هو : زيد البصدي .. انظر مدار بينهما في البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٣) في « م » : « إلى ما ابتلي » .

(٤) في « م » : « كل شعرة » .

(٥) أي : حقيقة ما أنت فيه .

(٦) من أول قوله : كيف بك .. إلى هنا عن « م » .. ولم يرد في « ط » .

(٧) في « م » : « فإن كان خصمان » .

(٨) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أسوأ حاله » .. وفي البداية والنهاية : « أسوأ حالا » .

(٩) أي : لا يهين له عيش .

(١٠) في « ط » : « ما أحد » وسقطت « صل الله عليه وسلم » بعدها من « م » .

(١١) سقطت « قال » من « م » .

(١٢) سقطت « حتى غشي عليه » من « ط » .

(١٣) من أول هذه الفقرة عن « م » ولم يرد في « ط » .. ويحيى هو : يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأستدي المروزي ، أبو محمد : قاضي رفيع القدر ، عال الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، ينصل نسبه بأكثم بن صيفي ، حكيم العرب .. وُلِدَ بِمَرْوَ سنة ١٥٩ هـ ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها . فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ .

وَاحِدَةً ، وَكَانَ يَخْلُو بِهِ خَلْوَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا ، وَلَا يَرَى لَهُ أَثَرًا ، وَلَا يَقْدُمُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ : وَالْأَسْفَى عَلَى فَقْدِ صَدِيقٍ مَسْكُونٍ إِلَيْهِ ، مَوْثُوقٍ بِهِ ، ثَلَقَى إِلَيْهِ الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ ^(١) ، وَتَقَبَّسَ مِنْهُ الْفَوَائِدُ وَالْدُرَرُ . قُلْنَا : وَمَنْ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَّا كُنْتُ تَرَى شَيْخًا يَأْتِينَا فِي الْفَرَطِ ^(٢) وَيَخْلُو بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ إِيَابِهِ ^(٣) ، وَأُظِنُّ أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : اللَّهُ يُمِدُّ فِي عُمَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا فِي ذَاكَ ؟ قَالَ : كَانَ صَدِيقِي بِخُرَّاسَانَ ، وَكُنْتُ أُسْتَرْيِعُ إِلَيْهِ اسْتِرَاحَةَ الْمَكَاتِبِ ^(٤) بِالْوَلَدِ الْبَارِ الْمَحْبُوبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْتَمِدُّ مِنْهُ رَأْيًا أَقُومُ بِهِ أَوْدَ الْمَمْلَكَةِ ^(٥) ، وَأَصِلُ بِهِ إِلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِي السِّيَاسَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَآخِرُ مَا قَالَهُ لِي عِنْدَ وِدَاعِهِ أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا اسْتَشَنْتَ ^(٦) مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَابْتَهِلْهُ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا يَصَاحِبُ الْخَيْرِ ؟ قَالَ : بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، كَمَا تُحِبُّ الْإِحْسَانَ مِنْ حَاشِيَتِكَ إِلَى وَلَدِكَ .. وَاللَّهِ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ الْقُدْرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا

= ثم قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه .. وغلب على المأمون حتى لم يقدمه عنده أحد .. وكان - مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء - حسن العشرة ، حلو الحديث ، لذا استولى على قلب المأمون حتى أُمِرَ بالألّا يُحَجَّبَ عنه ليلاً ولا نهاراً .. وله غزوات وغارات ، منها : أن المأمون وجهه سنة ٢١٦ إلى بعض جهات الروم ، فعاد ظافراً .. وكان يَتَّبِعُهُ بأمور شاعت عنه وتناقلها الناس في أيامه ، وتداولها الشعراء ، وأنكرها - بعده - الإمام أحمد بن حنبل .. ولما مات المأمون ووليَّ المعتصم ، عزله عن القضاء ، فزم بيته ، وآل الأمر إلى المتوكل ، فَرَدَّه إلى عمله ، ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ .. وتولى بالرئاسة - من قُرَى المدينة - سنة ٢٤٢ هـ . وأعياهه كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٧ - ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩١ - ٢٠٤ ، ونهار القلوب ص ١٥٦ - ١٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٦١ ، ٢٦٢] .

(١) الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ : الأسرار والمعائب .. وفي اللسان : أفضيت إليه بَعْجَرِي وَبُجْرِي ، أى : بعيرى وأمرى كله .

(٢) الْفَرَطُ : الحين ، ويقال للرجل تلقاه بعد أيام : إنما تلقاه في الْفَرَطِ .

(٣) عَنْ إِيَابِهِ : عن وقفيه وزمانيه الذى يَأْتِي فيه .

(٤) الْمَكَاتِبُ : السبب .

(٥) أَقُومُ بِهِ أَوْدَ لِلْمَمْلَكَةِ : أزيل اعوجاجها .

(٦) اسْتَشَنْتُ : جَفَّ وَبَسَّ .

لِتَصْبِرَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ بِالشُّكْرِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ ، وَالتَّعَمُّدِ لِسَيِّئَاتِهِمْ ^(١) ، وَأَيُّ شَيْءٍ
أَوْجَهُ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تُكَوْنَ بِإِيْمَانِكَ أَيَّامَ عَدْلِ وَإِنصَافٍ ، وَإِحْسَانٍ وَإِشْفَاقٍ ، وَرَأْفَةٍ
وَرَحْمَةٍ ؟

مَنْ لِي يَا بَحِيصَ بِمِثْلِ هَذَا الْقَائِلِ ؟ وَأَيُّ لِي مَنْ يُدَكِّرُنِي مَا أَنَا إِلَيْهِ صَائِرٌ ^(٢) ؟

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ^(٣) لِعَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا
سَوْقٌ ^(٤) ، فَمِنْهَا خَرَجَ النَّاسُ بِمَا رَبِحُوا فِيهَا لِآخِرَتِهِمْ ، وَخَرَجُوا بِمَا بَضَرُوهُمْ ، فَكَمْ مِنْ
قَوْمٍ غَرُّهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصْبَحْنَا فِيهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مُزْمِلِينَ ^(٥) لَمْ
يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، فَاقْتَسَمَ مَالَهُمْ مَنْ لَا يَنْحَمِدُهُمْ ^(٦) ، وَصَارُوا إِلَى مَنْ
لَا يَعْدُرُهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فَقَدَّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تُخْرَجَ إِلَيْهِ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الَّذِي تُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَاقْبَعْ بِهِ الْبَدَلَ ^(٧) حَيْثُ يَجُوزُ
الْبَدَلُ ، وَلَا تَدْمَمَنَّ إِلَى سِلَاقَةٍ قَدْ بَارَثَ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
اَفْتَحِ الْأَبْوَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانصُرِ الْمَظْلُومَ .

وَحَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ بَعْضِ الْمُلُوكِ فَأَغْلَظَ لَهُ السُّلْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنْتَ
كَالسَّمَاءِ ، إِذَا أُرْعِدْتَ وَأَبْرَقْتَ فَقَدْ قَرَّبَ خَيْرَهَا . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَلَمَّا احتَاجَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ مَلِكَ الْأَنْدَلُسِ ^(٨) أَنْ يَأْخُذَ أَرْضاً مُخْبِئَةً

(١) أى : بالشُّكْرِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا .

(٢) إِلَى هَذَا يَتَعَيَّنُ السَّاقِطُ مِنْ « ط » ، الْمَخَارِ إِلَى آتِفًا .

(٣) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْفَرَزْدَقِيُّ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) فِي « م » : « سَوْقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ » .

(٥) مُزْمِلِينَ : يُفَكِّدُ زَائِمُهُمْ وَاقْتَرَوْا .

(٦) أى : مَنْ لَا يَتَوَقَّعُ عَلَيْهِمْ وَبِجَارِهِمْ وَيَقْضَى حَقُّهُمْ .

(٧) الْبَدَلُ : الْخَلْفُ وَالْيَوْمُضُ .

(٨) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ .

وَيَعَارِضُ^(١) عَنْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، اسْتَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فِي قَصْرِهِ ، فَأَقْبَرُوا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْوُزَرَاءِ مَشْهُورًا بِالْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَقُولُ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : يَا مَشِيخَةَ السُّوءِ ، يَا مُسْتَحْلِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، يَا آكِلِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، يَا شَهْدَاءَ الزُّورِ ، يَا آخِذِي الرِّشَا ، وَمُتْلِفِي^(٢) الْحُصُومِ ، وَمُلْقِي الشُّرُورِ^(٣) ، وَمُنْبِسِي الْأُمُورِ^(٤) ، وَمُتْلِسِي الرُّوَايَاتِ لَدَى أَتْبَاعِ^(٥) الشَّهَوَاتِ ، ثَبَّأَ لَكُمْ^(٦) وَلَا رَأْيَ لَكُمْ ، فَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَقِفَ^(٧) عَلَى فُسُوقِكُمْ قَدِيمًا ، وَخَوْنِكُمْ لِأَمَانَاتِكُمْ ، مُعْضِي عَنْهُ ، صَابِرٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ احْتَاجَ إِلَى دِقَّةِ نَظَرِكُمْ فِي حَاجَةِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي ذَهْرِهِ فَلَمْ

= الخضراء ، ولد سنة ٣٢٦ هـ ، وقدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع ، وكانت له هيئة لم تزل ترتقى من شيء إلى شيء حتى استُخْلِيفَ على قضاء كورة « ربة » ثم عُيِّنَ إليه بوكالة السيدة « صبيح » - أم هشام المؤيد - فَوَلَّى النظرَ في أموالها وضياعها ، وعظمت مكانته عندها . وولى الشرطة ، والسكة ، والموازين ، وأضيف إليه القضاء بإشبيلية . ولما مات المُستنصر الأموي كان « المؤيد » صغيراً ، ويحيى الاضطراب ، فضمن ابن أبي عامر لأُم المؤيد سكون البلاد ، واستقرار الملك لابنها ، فقام يشقون الدولة ، وغزا وفتح ، ودامت له الإمارة ٢٦ سنة ، غزا فيها بلاد الإفريقية ٥٦ غزاة لم ينهزم له فيها جيش .. وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس) والملك لابن أبي عامر ، لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته يُحَسِّنُ سياسته ، وعظم هيته .. قال عنه المستشرق رينو Reinaud : « جال غزاة المسلمين تحت رايات المنصور في قشتالة ، وليون ، ونابارة ، وأراغون ، وككلونية ، إلى أن وصلوا إلى غاشقونية Gasconne وجنوبي فرنسا .. وجاست خيَّله في أماكن لم يكن خفق فيها عَلمٌ إسلاميٌّ من قبل ، وسقطت في أيدي المسلمين مدينة سانتياغو Santiago من جليقية Galice وهي أقدس معهد مسيحي في أسبانيا » .

تولى - رحمه الله - سنة ٣٩٢ هـ في إحدى غزواته بمدينة « سالم » ولا يزال قبره معروفاً فيها .

[الأعلام ج ٦ ص ٢٢٦ ، ونفع الطب ج ١ ص ٣٨٢ - ٤٠٦ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣] .

(١) أرضاً مُحَسَّنةً : موقوفة .. وَيَعَارِضُ عنها : يُعْطَى بدلاً منها .

(٢) الرِّشَا : جمع رِشْوَةٍ .. وَمُتْلِفِي الحُصُومِ : مُهْلِكِهِمْ .. وفي « م » : « مُتْلِفِي » .

(٣) وَمُلْقِي الشُّرُورِ : حَامِلُهَا .

(٤) وَمُنْبِسِي الْأُمُورِ ، أَيْ : يُعْمَلُونَهَا غُخْلَةً حَتَّى لَا تُعْتَرَفَ حَقِيقَتُهَا .

(٥) فِي « ط » : « لِأَتْبَاعِ » .. وَمُتْلِسِي : طَالِبِي .

(٦) ثَبَّأَ : دَعَا عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ « هُوَ » الْمَائِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .. وفي « م » : « وَاقِفًا » .

لاتصحح .

تُسْعِفُوا ^(١) إِرَادَتُهُ ، مَا كَانَ هَذَا ظَنُّهُ بِكُمْ . وَاللَّهُ لِيَعَارِضَنَّكُمْ ، وَلِيَكْشِفَنَّ سُتُورَكُمْ ، وَلِيَتَّصِحَّ الْإِسْلَامَ فِيكُمْ . وَأَفْحَشَ عَلَيْهِمْ بِهِذَا وَخَوْرَهُ ، فَأَجَابَهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ ضَعِيفُ الْمَنَةِ ^(٢) فَقَالَ : تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَسْأَلُهُ ^(٣) الْإِقَالَةَ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَعِيمُ الْقَوْمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَيَّوَيْهِ ، وَكَانَ جَلْدًا ^(٤) صَارِمًا ، فَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ : مِمَّ تَتُوبُ يَا شَيْخَ السُّوءِ ؟ نَحْنُ بَرَاءٌ مِنْ مَتَابِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْوَزِيرِ فَقَالَ : يَا وَزِيرُ ، بِنَسِ الْمُبْلَغِ أَنْتَ ، وَكُلُّ مَا ^(٥) نَسَبْتَهُ إِلَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ صِفَتُكُمْ مَعَاشِرَ خَدَمِهِ ^(٦) ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَتَسْتَحِلُّونَ ظُلْمَهُمْ بِالْإِخَافَةِ ^(٧) ، وَتَتَحَقِّقُونَ مَعَاشِيَهُمْ بِالرِّشَا وَالْمُصَانَعَةِ ^(٨) ، وَتُبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا نَحْنُ ^(٩) فَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَاتِنَا وَلَا كَرَامَتُنَا ، لَا يَقُولُهَا لَنَا إِلَّا مُتَهَمٌ فِي الدِّيَاةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَامُ الْهُدَى ، وَسُرُجُ ^(١٠) الظُّلْمَةِ ، بِنَا يَتَحَصَّنُ الْإِسْلَامُ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَتُتَفَقَّدُ الْأَحْكَامُ ، وَبِنَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ ، وَتُثَبِّتُ الْحُقُوقُ ، وَتُحَقَّنُ الدِّمَاءُ ، وَتُسْتَحْلَلُ الْفُرُوجُ ، فَهَلَّا إِذْ ^(١١) عَتَبَ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ لَازِلٍ لَنَا ^(١٢)

(١) في « م » : تسعفوا : من الشفاعة .

(٢) المنة : القوة .

(٣) الإقالة : الصفح والتجاوز .

(٤) جلدًا : قويا .

(٥) في « م » و « ط » : « كلما » .. وإذا رُسمت هكذا فإنها تفيد الشرط ، ولا شرط هنا .. وإنما « ما » هنا اسم

موصول بمعنى « الذي » ، ويجب فصلها عن « كل » .

(٦) أى : يامعاشير خدمني .. ومعاشر : جمع مُعَشَّر ، ويُطلق على كل جماعة أئمتهم واحد .

(٧) في « ط » : « بغير الحق » بدل « بالإضافة » .

(٨) تتحققون : تظلمون وتجاوزون .. والمُصَانَعَةُ : كتابة عن الرشوة والمُخَادَعَةُ والمُدَارَاةُ .

(٩) في « م » : « فأما » .

(١٠) سُرُج : مصابيح .

(١١) في « م » : « إذا » .. و « إذ » هي الأنسب للمقام هنا ، لأنها ظرف للدلالة على الزمن الماضي بمعنى

« حين » .

(١٢) في « ط » : « لاذنب فيه لنا » .

فيه ، وَقَالَ بِالْعِظِ مَا قَالَهُ ، تَأْتَيْتُ لِإِبْلَغِنَا رِسَالَتَهُ بِأَهْوَنَ مِنْ إِنْفَاحِشِكَ ^(١) ، وَعَرَضْتُ لَنَا بِالنَّكَارَةِ حَتَّى فَيَهِنَا مِنْكَ فَأَجْبَنَّاكَ عَنْهُ ^(٢) بِمَا يَصْلُحُ الْجَوَابَ عَنْهُ بِهِ ، فَكُنْتُ تَرِيْنُ ^(٣) عَلَى السُّلْطَانِ وَلَا تُفْشِي سِرَّهُ ، وَتُسْتَحْيِينَا ^(٤) بِمَا اسْتَقْبَلْتَنَا بِهِ ؟ فَخُنُ نَعْلَمُ . أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتِمَادَى عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فِينَا ، وَلَا يَعْتَقِدُ هَذَا الْمُعْتَقَدَ فِي صِفَاتِنَا ، وَأَنَّ سِرَّاجِعَ بَصِيرَتِهِ فِي إِثَارِنَا وَتَعْزِيزِنَا ، فَلَوْ كُنَّا عِنْدَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ^(٥) الَّتِي وَصَفْتَهَا عَنَّا ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، لَبَطَلَ عَلَيْهِ كُلُّ ^(٦) مَاصِنَعَةٍ وَعَقْدَةٍ مِنْ أَوَّلِ خِلَافَتِهِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَمَا ثَبَّتَ ^(٧) لَهُ كِتَابٌ مِنْ حَرْبٍ وَلَا سِلْمٍ ، وَلَا شِرَاءٍ وَلَا بَيْعٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَا خَبْسٍ ، وَلَا هِبَةٍ ، وَلَا عِنَقٍ ، وَلَاغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِشَهَادَتِنَا ^(٨) ، هَذَا مَا عِنْدَنَا وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ قَامُوا مُنْصَرِفِينَ ، فَلَمْ يَكَادُوا يَبْلُغُوا بَابَ الْقَصْرِ إِلَّا وَالرُّسُلُ ثَنَادِيهِمْ ، فَأَدْخَلُوا الْقَصْرَ ^(٩) ، فَتَلَقَّاهُمُ الْوُزَرَاءُ بِالْإِعْظَامِ ، وَرَفَعُوا مَنَازِلَهُمْ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ صَاحِبِيهِمْ ، وَقَالُوا ^(١٠) لَهُمْ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ فَرِطٍ مَوْجِدَتِهِ ^(١١) ، وَيَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَتَزَعَّتِهِ ^(١٢) الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى الْجَفَاءِ عَلَيْكُمْ ،

(١) الإنفاحش : القبيح من القول أو الفعل .. وعرضت لنا : نقلت لنا إنكاره بالتلميح والإشارة - وليس صراحة .

(٢) في م : « ففهمناه منك ، وأجبهناه عنك » .

(٣) هكذا في ط .. وترين ، أي : تحجب وتدارى .. وفي م : « :

» نكتب مزمرة على السلطان ولا نفشي سريه » وهذا لا يصح ، إذ يقال : زمر بالحديث : أذاعه وأفشاه .. وهذا يناقض قوله : « ولا نفشي سريه » بهلها .

(٤) في م : « : وتُسْتَحْيِينَا .. وتُسْتَحْيِينَا : تجعلنا نستحي منك وتعتجل .

(٥) في م : « : الحالة » .

(٦) في م : « : كلما » وقد سبق التلميح عليها .

(٧) في ط : « : ثبت » .

(٨) في م : « : بشهادتنا » .

(٩) في م : « : إلى القصر » وكلاهما صواب .

(١٠) في م : « : وقال » سهو من الناسخ . والمناسب للسياق : وقالوا .

(١١) موجدته : غضبه .

(١٢) تزعة الشيطان : إفساده وتحريشه وإغراؤه .

وَيُعْلِمُكُمْ أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ، وَهُوَ مُسْتَبِيرٌ ^(١) فِي تَعْظِيمِكُمْ وَقَضَاءِ حُقُوقِكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا تَرَوْنَ مِنْ صِلَتِهِ وَكِسْوَتِهِ عَلَامَةً لِرِضَاةِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ ^(٢) . فَدَعُوا لَهُ وَقَبَضُوا مَا أَمَرَ لَهُمْ ، وَانصَرَفُوا غَالِبِينَ لَمْ يَمْسَسْنَهُمْ سُوءٌ .

وَلَمَّا نَظَرَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ^(٣) إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ^(٤) يَجْرُ أَذْيَالَهُ وَيَتَبَحَثُ فِي أَتْرَابِ حُيَلَاءِهِ ، نَادَاهُ أَنْ أَرْفَعْ مِنْ ثِيَابِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : أَوْ مَا تُعْرِفُنِي ؟ قَالَ لَهُ مَالِكُ : بَلَى أَنَّى أَعْرِفُكَ ، أُولَئِكَ نُطْفَةُ مَذْرَةِ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ ^(٥) قَدْرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعِلْبَةَ ^(٦) .

(١) مُسْتَبِيرٌ : أَيْ : ذُو بَصِيرَةٍ وَفِطْنَةٍ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مَا تَرَوْنَ مِنْ صِلَةٍ وَكِسْوَةٍ عَامَةٍ » وَسَقَطَ مِنْهَا : « وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ » .

(٣) هُوَ : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ الْبَصْرِيُّ ، أَبُو يَحْيَى ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ عَلَمًا زَاهِدًا ، كَثِيرَ الْوَرَعِ ، تَقِيًّا ، لَا يَأْكُلُ إِلَّا بِإِذْنِ كِسْبٍ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ بِالْأَجْرَةِ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٣١ هـ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : « إِنْ الصَّدِّيقِينَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ طَرِبَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ » .

[انْظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ج ٢ ص ٣٥٧ - ٣٨٨ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

(٤) هُوَ : الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، ظَالِمٌ مِنْ سِرَاقِ بْنِ صَبِاحِ الْأَزْدِيِّ ، الْعَكْبِيُّ ، أَبُو سَعِيدٍ ، أَمِيرٌ ، جَوَادٌ ، قَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْعِرَاقِ .. وَوُلِدَ فِي « كُتَيْبَا » سَنَةَ ٧ هـ . وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ مَعَ أَبِيهِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ لِمَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَفَقِفَتْ عَيْنُهُ بِسَمْرِقَدٍ ، وَانْتَدَبَ لِقِتَالِ الْأَزْرَاقَةِ ، وَكَانُوا قَدْ غَلَبُوا أَهْلَ الْبِلَادِ ، وَشَرَطَ لَهُ أَنْ كُلَّ بَلَدٍ يَهْلِكُ عَنْهُ يَكُونُ لَهُ النَّصْرُ فِي خُرَاجِهِ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَأَقَامَ بِحَارِجِهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا ، لَقِيَ فِيهَا مِنْهُمْ الْأَهْوَالَ ، وَأَخْبَرَهُمْ لَهُ الظُّفَرِيَّيْنِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمَا كَثِيرِينَ ، وَشَرَّدَ بَقِيَّتَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ وَلَايَةَ « خُرَاسَانَ » فَقَدِمَهَا سَنَةَ ٧٩ هـ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ٨٣ هـ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الرِّكْبَ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَعْمَلُ مِنَ الْخَشَبِ .. وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ عَنْ حُرُوبِ الْخَوَارِجِ .

[انْظُرْ الْأَعْلَامُ ج ٧ ص ٣٥١ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٥ ص ٣٥٠ - ٣٥٩ ، وَالْمُتَحَرِّرُ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٢١٦ ، وَالْمَعَارِفُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠] .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَآخِرُكَ نُطْفَةُ قَدْرَةٍ » .. وَمَاورِدَ فِي « ط » هُوَ الصَّحِيحُ .. وَمَذْرَةُ : فَاسِدَةٌ ، كَرِيهَةٌ الرَّاحَةِ .. وَالْجِيفَةُ : جَنَّةٌ لَمِيتٌ إِذَا أَتَتْ .

(٦) الْعِلْبَةُ : الْغَالِطُ (الْبُرْلاز) .

وَيَرَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْعَمَرِيُّ ^(١) : هَذَا هَارُونُ الرَّشِيدِ فِي الطَّوَافِ قَدْ أُخْلِيَ
لَهُ الْمَسْنَى ، فَقَالَ لَهُ : لاجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ، كَلَفْتَنِي أَمْرًا كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا . ثُمَّ جَاءَ
إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ^(٢) : يَا هَارُونُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمُّ ، قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ] ^(٣) . فَقَالَ : ااعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْتَلُّ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ ^(٤) تُسْتَلُّ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ
تَكُونُ ؟ قَالَ : فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا ^(٥) يُعْطُونَهُ مِنْ دِيْلًا مِنْ دِيْلًا لِلدُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ فِيمَا قَالَ ^(٦) : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ ^(٧)
أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَيَقَالَ ، إِنَّ هَارُونَ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ ^(٨) : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ
أُحِجَّ ^(٩) فِي كُلِّ غَايٍ ، وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَمَرِيُّ .

وَيَرَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ] دَخَلَ ^(١٠) عَلَى عُمَرَ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . فَقَالَ لَهُ
عُمَرُ ^(١١) : إِيَّاهُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَتَعْدِيدِ الرِّسَالَةِ . [وَجَأًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ] ^(١٢) . فَقَالَ

(١) هو : عبيد الله بن عبد الله العمري ، من الزُّهَّاد الصالحين .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٢٦] .

(٢) في « : » فقال : يا هارون .

(٣) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « ط » : واحد .

(٥) في « ط » : فجعل .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ثم قال له : والله » .

(٧) في « ط » : فيمن .

(٨) في « م » : « إن هارون بعد ذلك كان يقول » .

(٩) في « م » : « أحب أحج » .

(١٠) في « م » : « الحسن محمد » ومابين المعقوفين ساقط منها .

(١١) في « م » : « فقال عمر » .. وإليه : اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل مهود ، فإذا نوتها كانت للاستزادة من حديث أو عمل ما .

(١٢) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

الْحَسَنُ : مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدِخْلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَمَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ ^(١) إِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ .

وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةَ وَقَدْ عَلَيْهِ ^(٢) الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ ^(٣) غَلَامٌ لِلْكَلامِ ، وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ^(٤) : لِيَنْطِقْ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغَلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَحَ اللَّهُ عَيْدًا ^(٥) لِسَانًا لَا يَفْطَأُ ، وَقَلْبًا حَافِظًا ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ مِنْ سَمْعِ خِطَابِهِ ، وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ . فَقَالَ ^(٦) : صَدَقْتَ ، قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقَالَ الْغَلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَقَدْ تَهَيَّئَ لَافْئِدَ مَرْزِيَّةٍ ^(٧) ، وَقَدْ أَتَيْنَاكَ لِمَنْ اللَّهُ الْبَدَى مَنْ عَلَيْنَا بِكَ ، وَلَمْ يُقَدِّمْنَا ^(٨) إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ، أَمَّا الرُّغْبَةُ فَقَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا ^(٩) ، وَأَمَّا الرُّهْبَةُ فَقَدْ آمَنَّا جَوْرَكَ بِعَدْلِكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : عِظْنِي يَا غَلَامُ . فَقَالَ الْغَلَامُ ^(١٠) : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَاسًا ^(١١) غَرَّهْمُ حِلْمُ اللَّهِ عَنْهُمْ ، وَطُولُ أَمَلِهِمْ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَزَلَّتْ ^(١٢) بِهِمُ الْأَقْدَامُ ، فَهَوُّوا فِي النَّارِ ، فَلَا يَغُرُّنَكَ حِلْمُ اللَّهِ عَنْكَ ، وَطُولُ أَمَلِكَ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ ، فَتَزَلْ ^(١٣) بِكَ قَدَمُكَ

(١) تكررت « من » في « م » سهواً من النسخ .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وفدت الوفود » وسقطت منها كلمة « الخلافة » قبلها .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « تقدم غلام منهم » .

(٤) في « م » : « فقال عمر » .

(٥) في « م » : « العبد » .

(٦) في « م » : « قال عمر » .. وسقط منها : « هذا منك » قبلها .

(٧) يعني : جئنا من أجل التهنئة ، لا من أجل نيل العطايا .

(٨) في « م » : « لم » .

(٩) في « م » : « أتينا منك إلى بلادنا » .

(١٠) في « م » : « فقال : أصلح » .

(١١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إن ناساً من الناس » .

(١٢) في « ط » : « فزلت » .

(١٣) في « م » : « فزل » .

فَنَلَحَقَ بِالْقَوْمِ ، فَلَا جَمَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَالْحَقَّكَ بِصَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ثُمَّ سَكَتَ .
فَسَأَلَ عُمَرُ الْغَلَامَ عَنْ سَيِّئِهِ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ
وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ^(١) ، فَحَمَلْتُ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ
فَقَالَ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا تَفَقَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ لِلْعَتَائِي ^(٢) ، وَكَانَ لَا يُبَالِي بِمَا لَيْسَ بِمَالِكَ لَا تُجِيزُ الْمَلْبُوسُ ؟
فَقَالَ : إِنَّمَا يَرْفَعُ الرَّجُلُ ^(٣) أَدَبُهُ وَعَقْلُهُ ، لَا حِلِيَّتُهُ وَحُلَّتُهُ ، لَحَى ^(٤) اللَّهُ أَمْرًا يُرْضَى أَنْ
تُرْفَعَهُ ^(٥) مَيْتَتُهُ وَجَمَالُهُ ، لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى يُشْرِفَهُ أَصْعَرَاهُ : لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ . وَيَعْلَمُو بِهِ
أَكْبَرَاهُ : هِمَّتُهُ وَبُتَّةُ .

وَلَمَّا دَخَلَ ضَمْرَةٌ بُنْ ضَمْرَةَ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(٦) وَهُوَ مَلِكٌ ، وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا
رَأْيٍ وَعَقْلٍ ، احْتَقَرَتْهُ عَيْنَاهُ ^(٧) لِذِمَامَتِهِ ، فَقَالَ : لَأَنْ نُسَمِّعَ بِالْمُعِيدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَرَاهُ ^(٨) .

(١) فِي « د » : عَنْهُ .

(٢) فِي « د » : « قَوْلُ الْعَتَائِي » .. وَهُوَ : كَلْبُومُ بْنُ عَمْرِو التَّغْلِي . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٣) فِي « د » : « الْمَرْءُ » بِهَلْ « الرَّجُلُ » .

(٤) لَحَى اللَّهُ : كَبَحَ وَلَعَنَ .

(٥) فِي « د » : يَرْفَعُهُ .

(٦) هُوَ : ضَمْرَةُ بْنُ جَابِرِ التُّهْمَلِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمٍ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، مِنْ الشُّجْعَانِ الْفَرَسَانِ ، كَانَ اسْمُهُ وَشَقَّةُ بْنُ
ضَمْرَةَ « فَسَاءَ النِّعْمَانُ ضَمْرَةَ » .. وَالْمُنْذِرُ الَّذِي جَاءَ هَذَا الْمَثَلُ عَلَى لِسَانِهِ هُوَ : الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُهَاشِمِيُّ ،
ثَلَاثُ الْمُنَادِرَةِ مِنْ مُلُوكِ الْحِمْيَرِ ، وَمَاءُ السَّمَاءِ ، أُمُّهُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِخَمِيْنِيَّتِهَا وَجَمَالِهَا .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٣ ص ٢١٦ وَج ٧ ص ٢٩٢ ، وَوَقَايَتِ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٦٨ وَج ٥ ص ٣٥٨ ، وَجَمْعُ
الْأَمْثَالِ لِلْمُهَنْدِي ج ١ ص ١٢٩ - ١٣١ ، وَتَقَاتِلِ الْأَمْثَالَ لِأَبِي الْحَاسَنِ الشَّيْخِيِّ ج ١ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦] .

(٧) فِي « د » : عَيْنُهُ .

(٨) الْمُعِيدِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى مُعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَقَدْ نَسَبُوهُ بَعْدَ أَنْ صَفَرُوهُ وَتَحَقَّقُوا مِنْهُ الثَّلَاثُ .. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ
النَّذْرِ صَارَ مِثْلًا يُعْتَرَبُ لِأَنَّ خَيْرَهُ خَيْرٌ مِنْ مَرَّاهُ .

[انْظُرِ لِلْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ] .

فَقَالَ ضَمْرَةٌ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ (١) ، إِنَّ الْقَوْمَ لَيَسُوا بِجُزْرِ (٢) تُجْزَرُ ، إِنَّمَا (٣) الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا نَطَقَ نَطَقَ بِيَّانٍ ، وَإِذَا قَاتَلَ قَاتَلَ بِحَيَاتِهِ (٤) ، وَالرَّجَالُ لَا تُكَالُ بِالْقَفْزَانِ ، وَلَا تُوزَنُ بِالْقَبَانِ (٥) . فَأَعْجَبَ الْمُنْذِرُ بِكَلَامِهِ .

وَرَوَى أَنَّ رُوحَ بْنَ زَيْبَاعَ (٦) كَانَ (٧) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَتَزَلُّوا ، فَضَرِبَتْ (٨) لَهُمُ الْخِيَامُ وَالظَّلَالُ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ الْمُبْرَدُ ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِرَاعٍ ، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ (٩) فَأَبَى وَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . قَالَ (١٠) لَهُ رُوحٌ : فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ (١١) ؟ قَالَ : أَفَادَعُ (١٢) أَيَّامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا ؟ قَالَ (١٣) رُوحٌ : لَقَدْ ضَنَنْتَ (١٤) بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَادَ بِهَا رُوحُ بْنُ زَيْبَاعَ .

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي

(١) أُبَيَّتَ اللَّعْنُ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أُبَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَلْفَنُ عَلَيْهِ .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : بِجُزُورٍ ، وَالْجُزُورُ : مَا يَصْلُحُ لَأَنْ يُذْبَحَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَجَمْعُهَا : جُزُرٌ .. وَتُجْزَرُ : تُذْبَحُ .

(٣) فِي (م) : وَإِنَّمَا .

(٤) الْجَنَانُ : الْقَلْبُ .

(٥) الْقَفْزَانُ : جَمْعُ قَفِيزٍ ، وَهُوَ مِكْيَالٌ كَانَ يُكَالُ بِهِ قَدِيمًا وَالْقَبَانُ : الْمِيزَانُ ذُو الذَّرَاعِ الطَّوِيلَةِ .

(٦) هُوَ : رُوحُ بْنُ زَيْبَاعَ بْنِ رُوحِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيِّ ، أَبُو رُزْمَةَ ، أَمِيرُ فَلَسْطِينَ أَهْلَامُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَسَيِّدُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الشَّامِ وَقَائِدُهَا وَخَطِيبُهَا .. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ : لَهُ صَحْبَةٌ .. وَذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُوهُ فِي التَّابِعِينَ .. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَةَ وَأَبُو نَعِيمٍ : لَانْصَحَ لَهُ صَحْبَةٌ .. وَأَلْيَاهُ - زَيْبَاعُ - رُؤْيَةٌ .. وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ عَنْهُ : « جَمْعُ رُوحٍ طَاعَةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَدَعَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَفَّةُ أَهْلِ الْحِجَازِ » .. وَلَهُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وثمار القلوب ٥٤٦ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٦ ، ٣٥٨ وغيرهما] .

(٧) فِي (ط) : وَكَانَ .

(٨) فِي (م) : « وَضَرِبَتْ » أَيْ : تُصِيبَتْ وَأُيِّمَتْ .

(٩) فِي (م) : « إِلَى الطَّعَامِ فَأَبَاهُ » .

(١٠) فِي (م) : « قَالَ » .

(١١) فِي (م) : « فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ تَصُومُ ؟ » .

(١٢) فِي (م) : « فَارَغَ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٣) فِي (م) : « وَقَالَ » .

(١٤) فِي (م) : « وَظَنَنْتَ » تَحْرِيفٌ .

مُكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَّاهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قِيلَتْهُ . قَالَ : هَاتِ يَا أُعْرَابِي . قَالَ (١) : سَأُطَلِّقُ لِسَانِي بِمَا خَرِسْتُ بِهِ الْأَلْسُنُ أَدَاءً (٢) لِحَقِّ اللَّهِ ، وَلِحَقِّ أَمَانَتِكَ : إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ (٣) رِجَالُ أَسَاوِ الْأَخْيَارِ لِأَنفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ ، وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ (٤) بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَأَعْظَمُ النَّاسِ غَيْبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَصَحْتَ ، وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ سَيُعِينُنَا (٥) عَلَى مَا قُلْنَا ، وَقَدْ جَرَدْتَ لِسَانَكَ فَهُوَ سَيْفُكَ . فَقَالَ (٦) : أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ لَكَ لَا عَلَيْكَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُرْوَةَ (٧) : حَجَّ الْحَجَّاجُ فَتَزَلَّ بَعْضَ الْمِيَاهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَدَعَا بِالْقَدَاءِ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : أَنْظِرْ مَنْ يَتَعَدَّى مَعِيَ ، وَإِسْأَلْهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمْرِ ، فَتَنْظَرُ نَحْوَ الْجَبَلِ ، فَإِذَا (٨) هُوَ بِرَأْسِ بَيْنِ سَخْلَتَيْنِ (٩) نَائِمٌ ، فَضَرَبَتْهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنتَ الْأَمِيرُ ، فَأَنَافَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اغْمِزْ يَدَكَ وَتَعَدَّ مَعِيَ . فَقَالَ : دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصَّيَامِ فَصُمْتُ . قَالَ : فِي

(١) في « م » : فقال .

(٢) سقطت كلمة « أداء » من « م » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إنك قد اكتنفك » وكلاهما صواب .

(٤) في « م » : دنياك .

(٥) في « م » : سيئين .

(٦) في « م » : « وهو سيفك » ، قال : .

(٧) هو : سعيد بن أبي عروبة مهران ، مولى بني عدى ، البصري ، « أبو النضر » : حافظ للحدث .. لم يكن في زمانه أحفظ منه .. وله مصنفات .. قال الذهبي : « إمام أهل البصرة في زمانه ، لكنه تغير بأخرة » ، ورؤي بالقدر ، توفي سنة ١٥٦ هـ وقيل ١٥٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٨ ، وميزان الاعتدال ص ١٥١ - ١٥٣ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٥] .

(٨) في « ط » : وإذا .

(٩) السُّخْلَةُ : الذكر والأنثى من ولَدِ الضَّأْنِ وللمر سَاعَةُ يُوَلَدُ .. وفي « م » : « بين سُخْلَتَيْنِ » .. والشملة : كساء من صوف أو شعر .. وقد سبق شرحها .

هَذَا الْحَرَّ الشَّدِيدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُنْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ ^(١) غَدًا . قَالَ : إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى الْغَدِ ١ ^(٢) . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ ^(٣) تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ طَعَامٌ ^(٤) طَيِّبٌ . قَالَ : لَمْ تُطِيبْهُ أَلَمْ تَلَمْ وَلَا الطَّبَاخُ ، وَلَكِنْ طَبَيْتَهُ ^(٥) الْعَاقِبَةُ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِكَيْسٍ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ ^(٦) ، فَلَمَّا قَضَى سُكُّهُ ^(٧) وَانْصَرَفَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ^(٨) فَقَالَ لِلرُّسُولِ : قُلْ لَهُ : إِنْ الْكَيْسَ بَخَائِمِهِ ، وَقَالَ الرُّسُولُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ : إِنْ مَلِكًا كَانَ يَفْقَهُ النَّاسَ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَى بِرَجُلٍ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسَ مَكَانَهُ وَهَالَهُمْ أَمْرُهُ ، فَرَاوَدَهُ ^(٩) عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَلَمْ يَقْعَلْ ^(١٠) ، فَرَفَّقَ لَهُ صَاحِبُ شَرْطَةِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ ^(١١) : أَنَا آتِيكَ بِجَدِي تَذْبُحُهُ مِمَّا ^(١٢) يُحِلُّ لَكَ أَكْلُهُ ، فَإِذَا ^(١٣) دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ خِنْزِيرٍ

(١) في « م » : وتصور .

(٢) في « ط » : « لِي غَدٍ » وللمعنى : إن ضمنت لي البقاء إلى غَدِ أفطر اليوم .

(٣) في « م » : كيف .

(٤) سقطت كلمة « طعام » من « ط » .

(٥) في « ط » طيبه .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بعث بكيس فيه خمسمائة درهم ، وقيل : دينار » وسقط منها : « إلى مالك

ابن أنس » قبلها .

(٧) التَّسْكُ : بَعْثُتَيْنِ ، أَوْ بَعَثْتُمْ فَسَكُونُ : كل حق لله تعالى .

(٨) يعنى : بغداد .

(٩) في « م » : فراودوه .

(١٠) سقطت « فلم يفعل » من « م » .

(١١) في « م » : « قال : هاتنا » .

(١٢) في « ط » : بما .

(١٣) في « م » : « وإذا دعا الملك بلحم الخنزير فأكله » ، فأقى صاحب شرطة الملك بلحم ذلك الجدى ، فجعل

صاحب الشرطة يغمزه أن يأكل فأقى .

أَتَيْتَكَ بِهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْمَلِكَ ، فَدَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَى صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
بِذَلِكَ الْجَدْيِ ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَجَعَلَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
يَعْمِزُهُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ
بِهِ قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَهُوَ اللَّحْمُ الَّذِي ذَبَحْتَهُ أَنْتَ ^(١) ؟ .. أَظَنَنْتَ أَنِّي جُنْتُ ^(٢)
بِغَيْرِهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ بِي ، فَإِنْ أَكْرَهُوا
عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ^(٣) قَالُوا : قَدْ أَكَلَهُ فَلَانَ فَيَسْتَنُّ بِي ، فَأَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَقَتَلَ
رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لِكُتُبِ الْأَخْبَارِ ^(٤) : يَا كَعْبُ ،
خَوْفُنَا . قَالَ : أَوْ لِمَسَ فَيَكُفُّمُ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا كَعْبُ ، وَلَكِنْ
خَوْفُنَا . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ ، لَوْ وُاقِفَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ
نَبِيًّا لَأَزْدَدْتِ عَمَلَهُمْ مِمَّا تَرَى ، فَكَفَسَ ^(٥) عُمَرُ وَأَطْرَقَ مِليًّا ثُمَّ أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا كَعْبُ ، خَوْفُنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مَنْخَرٍ ^(٦) تُؤْوِرُ
بِالْمَشْرِقِ ، وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ ، لَعَلَّى دِمَاعُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا ، فَكَفَسَ ^(٧) عُمَرُ ثُمَّ

(١) فِي (م) : « الَّذِي أَنْتَ ذَبَحْتَهُ » .

(٢) فِي (م) : « جُنْتُكَ » .

(٣) فِي (ط) : « أَكَلَ الْخِنْزِيرِ » .

(٤) هُوَ : كُتُبُ بَنِي مَالِكٍ مِنْ ذِي هِجَانَ الْجُمْهُورِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، تَابَعِيٌّ .. كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ
فِي الْبَنِي ، وَأَسْلَمَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَأَخَذَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَغَيْرُهُمْ كَثِيرًا مِنْ
أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْعَابِرَةِ ، وَأَخَذَ هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عَنْ الصَّحَابَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَكَنَ جَنْصَرَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢
هـ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ مِائَةِ وَأَرْبَعِ سِنِينَ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ - ٣٩١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ،
والمعارف ص ٤٣٠] .

(٥) فِي (م) : « فَالْكَفَسَ » .

(٦) الْمَنْخَرُ : قُبُّ الْأَنْفِ .

(٧) فِي (م) : « فَانْكَسَ » .

أَفَاقَ فَقَالَ : يَا كَعْبُ ، زِدْنَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ جَهَنَّمَ لَتَزْفُرُ ^(١) زَفْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَبْقَى ^(٢) مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، حَتَّى يَخْرُ إِبْرَاهِيمُ ^(٣) خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ : يَا رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ ^(٤) الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي .

وَأَسْتَأْذَنَ أَبُو دُحْمَانَ ^(٥) عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ ^(٦) فَحَجَبَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ ^(٧) غَيْرِكَ ، فَأَمْسُوا وَاللَّهِ حَدِيثًا ، فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ الْبَشْرِ ، وَلِبَنِ الْجَانِبِ ، وَنَسْهِيلِ الْحِجَابِ ، فَإِنَّ حُبَّ عِبَادِ اللَّهِ مُوَصَّلٌ بِحُبِّ اللَّهِ ، وَبُغْضُهُمْ مُوَصَّلٌ بِبُغْضِهِ ، لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ^(٨) ، سَيِّدُ الْعُبَادِ فِي زَمَانِهِ ، عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ ،

(١) زَفَرٌ : أَعْرَجَ نَفْسُهُ بَعْدَ مَدَّةٍ لَهَا .. وَيُقَالُ : زَفَرَتِ النَّارُ : سُمِعَ لِاتِّقَادِهَا صَوْتٌ .

(٢) فِي (م) : فَمَا .

(٣) سَقَطَ إِبْرَاهِيمُ ، مِنْ (م) .

(٤) فِي (م) : وَإِنِّي لَا أَسْأَلُكَ .

(٥) هُوَ : أَبُو دُحْمَانَ الْغَلَائِي ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْبَصْرَةِ ، مِمَّنْ أَدْرَكَ دَوْلَتَيْ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ ، وَمدح المهدي ، وَكَانَ طَبِيبًا ظَرِيفًا مَلِيعَ النَّادَةِ .

[انظر ترجمته وبعض أخباره وأشعاره في الأغاني ج ٢٦ ص ٨٩٨٥ - ٨٩٨٧ والورقة لابن الجراح ص ٦٦ - ٦٩ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٠] .

(٦) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيِّنِ أَنَّهُ : سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ، وَالْقِصَّةُ مَرْوُوعَةٌ عَلَى لِسَانِهِ وَهُوَ : سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ بْنِ قَتِيبةِ بْنِ مُسْلِمِ الْبَاهِلِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ .. وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْذُلُ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٤ ، ٧٥ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٤٠ ، وانظر القصة في الجزء نفسه ص ٢٠٠ ، ٢٠١] .

(٧) هَكَذَا فِي (م) وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيِّنِ .. وَفِي (ط) : يَدُ .

(٨) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ بْنِ جَابِرِ الْأَزْدِيِّ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ مَعَ قَتِيبةِ بْنِ مُسْلِمٍ بِخِراسَانَ فِي جَنْدِهِ .. وَكَانَ فَقِيهًا وَرِعًا ، وَمِنْ نَفَاقَاتِ أَهْلِ الْحَدِيثِ .. وَكَانَ لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ فِي زَعْمِهِ وَعِبَادَتِهِ .. تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٧ وفيها توفى سنة ١٢٠ هـ . والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٣] .

أَمِيرُ الْبَصْرَةِ ^(١) ، وَكَانَ تَوْبَهُ إِلَى نَصِيفِ سَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : مَا هَذِهِ الشَّهْرَةُ يَا بَنَ وَاسِيعُ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَاسِيعٍ : أَنْتُمْ شَهَرْتُمُونَا ، هَكَذَا كَانَ لِبَاسُ مَنْ مَضَى ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ طَوَّلْتُمْ ذُبُولَكُمْ ، فَصَارَتِ السَّنَةُ بَيْنَكُمْ يَدْعَا وَشَهْرَةً .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ^(٢) فَقُلْتُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ عَلَيَّ نَحْوَ مَا سَلَّمْتُ رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَكْرَمَ إِكْرَامًا جَزِيلًا ، وَأَمَرَنِي بِدُخُولِ مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فِيهِ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَلَّكَ مَحَلًّا عَالِيًا شَامِخًا ، وَأَنْزَلَكَ مَنْزِلًا شَرِيفًا بَازِغًا ، وَمَمْلَكَةً طَائِفَةً مِنْ مُلْكِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِي حُكْمِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ أَحَدٍ فَوْقَ أَمْرِكَ ، فَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَوْلَى بِالشُّكْرِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلَزَمَ الْوَرَى ^(٣) طَاعَتَكَ ، فَلَا يَكُونُ ^(٤) أَحَدٌ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالشُّكْرِ ^(٥) ، وَلَيْسَ الشُّكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَلَكِنَّهُ بِالْفِعَالِ ^(٦) وَالْإِحْسَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اذْكُرُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ ^(٨) إِنَّمَا صَارَ

(١) هو : بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ ، عَامِرُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْمَرِيُّ ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ وَقَاضِيهَا ، كَانَ رَاوِيَةً فَصِيحًا أَدَبِيًّا .. وَلَهُ عَالِدُ الْقَسْرِ سَنَةَ ١٠٩ هـ فَأَقَامَ إِلَى أَنْ قِيمَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْقُفَيْ سَنَةَ ١٢٥ هـ فَعُزِلَ وَجَسَمَ ، فَمَاتَ سَجِيئًا .. وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ ، وَلَمْ يُحْمَدْ مَبُوتُهُ فِي الْقَضَاءِ .. وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لِيَخْتَصِمَانِ إِلَى فَأُجَدَ أَحَدُهُمَا لِيُحْفَ عَلَى قَلْبِي فَأَقْضِيَ لَهُ ! .. تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٢٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٨٢ ، والمعارف ص ٢٦٦ ، ٣٩٨ وغيرهما من الصفحات] .

(٢) في (م) : دَخَلْتُ عَلَى الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَهُوَ مَلِكُ مِصْرَ .. وَهُوَ : أَحْمَدُ بْنُ بِلَسَ الْجَمَالِي ، أَبُو الْقَاسِمِ شَاهِنشَاهُ ، الْمَلِكُ بِالْمُلْكِ الْأَفْضَلِ ، وَزَعْرٌ ، وَلِدَ بِمَكَا سَنَةَ ٤٥٨ هـ وَخَلَفَ أَبَاهُ فِي إِمَارَةِ الْجِيُوشِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهُوَ أَرْمَنِي الْأَصْلُ ، دَاهِيَّةٌ ، ذَا رَأْيٍ ، حَمِيدُ السِّيَاسَةِ ، وَطَلَعَتْ دَعَائِمُ الْمُلْكِ لِلْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْغِيَاذِي صَاحِبُ مِصْرَ ، وَدَبَّرَ شُعُونَ دَوْلَتِهِ ، فَفُضِّمَ عَلَيْهِ أَمْرُ أَلْبَنِي فَتَسَّ لَهُ مَنْ قُتِلَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ دَارِهِ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٥١٥ هـ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ وِلَايَتِهِ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٣] .

(٣) الْوَرَى : الْخَلْقُ .

(٤) فِي (م) : « : لَا يَكُونُ » .

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ (م) .

(٦) فِي (م) : « : بِالْفِعْلِ وَالْفِعْلُ وَالْفِعَالُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٧) سُورَةُ سَبَأٍ - مِنَ الْآيَةِ ١٣ .

(٨) فِي (م) : « : هَذَا الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ » .

إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدَيْكَ بِجِثْلٍ ^(١) مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَأَتَى اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ ^(٢) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] ^(٣) سَأَلْتُكَ عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ ^(٤) . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَوْرُوكَ لَتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٦) : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا . وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) .

وَأَعْلَمَ أَنَّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] فَسَحَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ، وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَحَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْزِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ^(٨) ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ ^(٩) : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١٠) . فَوَاللَّهِ مَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ تُكُونَ ^(١١) اسْتِدْرَاجًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَفْشَكُرُ أَمْ

(١) هكذا في م : .. ولي ط : : « خارج عن يدك مثل » .

(٢) خَوَّلَكَ : أعطاك لِيَاهِ بِفَضْلِهِ .

(٣) ما بين المعقوفين عن م : وساقط من ط : .

(٤) التَّوْبِيرُ : قَطْرُ الثَّقَرَةِ فِي ظَهْرِ النَوَاةِ .. وَالْقَطْمِيرُ : القشرة الرقيقة على النواة .. والفعليل : قدر المحيط الذي في شَيْءٍ النواة . ويُضْرَبُ بِهَا جَمِيعُ الْمَثَلِ فِي الشَّيْءِ الصَّغِيرِ أَوْ الضَّعِيفِ .. جاء في القرآن الكريم - في سورة النساء - الآية ١٢٤ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ وفي سورة فاطر - الآية ١٣ : ﴿ مَا يَتْلُواكُم مِّنْ قُطُوبٍ ﴾ وفي سورة النساء - الآية ٤٩ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيْلًا ﴾ .

(٥) سورة الجنجر - الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ما بين المعقوفين عن ط : في الموضعين .

(٧) سورة الأنبياء - الآية ٤٧ .

(٨) انظر الآية ٣٦ من سورة ص : .. أَيْ : جعلنا له الريح كَيْفَةً مُتَعَادَةً حَيْثُ أُرَادَ .

(٩) « له » عن ط : .

(١٠) سورة ص : - الآية ٣٩ .

(١١) في م : « يكون » .

أَكْفُرْ^(١) ... فَأَفْجَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَأَنْصَرَّ الْمَظْلُومَ ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلَّدَكَ^(٢) ، وَجَعَلَكَ كَهْفًا لِلْمَلُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْحَائِفِ .

ثُمَّ أَلَمَمْتُ الْمَجْلِسَ بِأَنْ قُلْتُ : قَدْ دَوَّخْتُ الْبِلَادَ^(٣) شَرْقًا وَغَرْبًا ، فَمَا اخْتَرْتُ مَمْلَكَةً تَزُوجُنِي فِيهَا وَوُلِدَ لِي غَيْرُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ أَتَشَدَّثُ شِعْرًا :

وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وَكَتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : أَيُّ سَائِلِكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، إِنْ أُجِبْتَ عَنْهَا صِرْتُ لَكَ تَلْمِيزًا^(٤) : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ ؟ وَمَتَى تُضَيِّعُ أُمُورَ النَّاسِ ؟ وَبِمَ^(٥) تُتْلَقَى النُّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ثَلَاثَةٌ : الْبِرُّ^(٦) يَكُونُ فِي سُلْطَانِ الْفَاجِرِ^(٧) ، فَهُوَ الدَّهْرُ حَزِينٌ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ ، وَالْعَاقِلُ يَكُونُ فِي تَذْيِيرِ الْجَاهِلِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ مَغْمُومٌ^(٨) ، وَالكَرِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى اللِّيمِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ خَاضِعٌ لَهُ ذَلِيلٌ^(٩) .
وَتَضْيِيعُ أُمُورِ النَّاسِ إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمِلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَفَقَّهُ .

(١) انظر الآية ٤٠ من سورة همل ..

(٢) في « م » : « على نصر المظلوم » .

(٣) دَوَّخْتُ الْبِلَادَ ، أَيْ : صِرْتُ فِيهَا حَتَّى عَرَفَهَا ، وَلَمْ تُخَفْ عَلَى طَرَفِهَا .

(٤) في « م » : « صِرْتُ تَلْمِيزًا لَكَ » .

(٥) في « م » : « رُبَّمَا » والمعهود أَنْ أَلْفَ « مَا » الاستفهامية تُحْدَفُ إِذَا سُبِقَتْ بِحَرْفِ جَرٍ .

(٦) الْبِرُّ : الصَّالِحُ مِنَ النَّاسِ .. يَقَالُ : بَرٌّ فُلَانٌ : صَالِحٌ ، ضِدُّ فَجَرٍ ، فَهُوَ بَرٌّ .

(٧) في « ط » : « سلطان فاجر » .

(٨) في « م » : « متعوب مغموم » وقوله « متعوب » لا يصح اسم مفعول ، لِأَنَّ الْفِعْلَ مِنَ الثَّلَاثِ : يُجِبُ ثَمْبًا

فَهُوَ « ثَمْبٌ » ، وَإِذَا عُدَّتْهُ بِالْمُهْزَةِ وَقُلْتُ : أَثَمَّبْتُ فَهُوَ « مُثَمَّبٌ » .. وَفِي اللِّسَانِ : لَا يَقَالُ : مُتْعُوبٌ .

[انظر لسان العرب والمصباح للنهر والمعجم الوسيط وغيرها من اللغج مادة « تصب »] .

(٩) في « م » : « خاضع منه » وسقطت منها كلمة « ذليل » .

وَتَقْلَقِي النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِكَفَرَةٍ شُكْرِهِ ، وَلِزُورِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ . فَصَارَ تَلْمِيزًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : حَجَّ ^(١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَا عَلَى عَقَبَةِ عُسْفَانَ ^(٢) نَظَرَ سُلَيْمَانُ إِلَى السَّرَادِقَاتِ ^(٣) قَدْ ضَرِبَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ ^(٤) ، كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى دُثْيَا عَرِيضَةً بِأَكْلٍ بَعْضُهَا بَعْضًا وَأَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا ، الْمَأْخُودُ بِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ طَارَ غُرَابٌ مِنْ سَرَادِقِ ^(٦) سُلَيْمَانَ ، فِي مَنَاقِرِهِ كِسْرَةٌ ، فَصَبَّاحَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا يَقُولُ هَذَا الْغُرَابُ ؟ قَالَ عُمَرُ : مَا أَذْرِي مَا يَقُولُ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ بِعِلْمٍ . قَالَ : أَخْبِرْنِي . قَالَ : هَذَا غُرَابٌ طَارَ مِنْ سَرَادِقِكَ ^(٧) فِي مَنَاقِرِهِ كِسْرَةٌ ، أَنْتَ بِهَا مَأْخُودٌ ، وَعَنْهَا مَسْئُولٌ ، مِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ ، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتُخْبِرُنَا بِالْعَجَائِبِ ^(٨) ! قَالَ : أَفَلَا أَخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَيْفَ عَصَاهُ ؟ وَمَنْ عَرَفَ الشَّيْطَانَ

(١) في م : « لَمَّا حَجَّ » . ويحيى بن سعيد هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاشي ، أبو سعيد ، قاضي من أكابر أهل الحديث من أهل المدينة . وإلى القضاء بالمدينة في زمن بني أمية ، ولأه يوسف بن محمد الثقفي أيام الوليد بن عبد الملك ، وكان من اختصاص الولاية تعيين القضاة (واستمر ذلك إلى أن استُخْلِفَ أبو جعفر المنصور ، فجعله للخلفاء) ورحل إلى العراق في العهد العباسي ، فولَّى قضاء الحيرة ، وتولى بالهامة - في العراق - سنة ١٤٣ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠١ - ١٠٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩١ - ٧٩٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .
(٢) عُسْفَانَ ، بالضم ، مَنَهْلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَرَحَلَيْنِ . وَالْمَنَهْلَةُ : الْمَنْزِلُ فِي الْمَفَازَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَسَافِرِينَ يُوْجَدُ بِهِ الْمَاءُ .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٢] .

(٣) السَّرَادِقَاتُ : جَمْعُ سَرَادِقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْ حَاطِطٍ أَوْ مُضْرِبٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْفَسْطَاطِ يَجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ لِقُرْسٍ أَوْ مَأْتَمٍ وَلِخُوضِهَا - وَضَرِبَتْ : أَفْهِمَتْ .

(٤) في م : « فَقَالَ : يَا عُمَرُ » .

(٥) في م : « هُوَ » .

(٦) في ط : « سَرَادِقَاتٍ » .

(٧) في ط : « سَرَادِقَاتِكَ » .

(٨) في م : « إِنَّكَ لَتَجِيءُ بِالْمَعْجَبِ » .

كَيْفَ أَطَاعَهُ ؟ وَمَنْ أَتَقَنَّ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَهْنِيهِ الْعَيْشُ ^(١) ؟ قَالَ : لَقَدْ غَشَّتْ عَلَيْنَا ^(٢) مَا نَحْنُ فِيهِ . ثُمَّ ضَرَبَ فَرْسَهُ وَسَارَ .

وَيُرْوَى أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بَرْدَةَ نَحَرَ فِي جَنَازَةٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَتَنَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ وَفُوفًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا ^(٣) : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يُذَكِّرُ النَّاسَ ^(٤) . فَقَالَ لَوَصِيفٍ مَعَهُ : اذْهَبْ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقُلْ لَهُ يَرْتَفِعُ إِلَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، فَجَاءَ الْوَصِيفُ فَأَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى مَالِكِ ، فَصَاحَ بِهِ مَالِكُ : مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَأَجِيبْهُ فِيهَا ، فَإِنْ تَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَجِئْهُ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ . فَلَمَّا دَفَنُوا مَيِّتَهُمْ قَامَ بِلَالٌ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى خَلْقَةِ مَالِكِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ^(٥) نَزَلَ ، وَنَزَلَ مِنْ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي إِلَى الْخَلْقَةِ حَتَّى جَلَسَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَالِكُ [بِنُ دِينَارٍ] ^(٦) سَكَتَ فَأَطَالَ السُّكُوتَ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، ذَكَّرْنَا . فَقَالَ : مَا نَسِيتُ شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ ^(٧) بِهِ . قَالَ : فَحَدَّثْنَا . قَالَ : أَمَا هَذَا فَتَنَعَم .. قَدِمَ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فَدَفَنَاهُ فِي هَذِهِ ^(٨) الْجَبَانَةِ ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِرِجْلِي فَدَفَنَاهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، أَتُذَكِّرُنِي مَا أَلْذِي جَرَّكَ عَلَيْنَا ، وَمَا أَلْذِي أَسْكَنَنَا ^(٩) عَنْكَ ؟ لِأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ ^(١٠) مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتَ مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا مَا اجْتَرَأْتَ عَلَيْنَا ^(١١) هَذِهِ الْجُرْأَةَ .. قَالَ مَالِكُ : فَأَفَادَنِي ^(١٢) هَذَا الْحَدِيثُ عِلْمًا ، أَلَا فَاتَّقُوا دَرَاهِمَهُمْ .

(١) في « م » : عيش .

(٢) غشت علينا : أفسدت علينا ما نحن فيه . وفي « م » : غشت .

(٣) في « م » : فقالوا .

(٤) يُذَكِّرُ النَّاسَ : يَعْظُمُهُمْ .. والوصيف : الخادم .

(٥) في « ط » : دنا منه .

(٦) ما بين الموقوفين ساقط من « م » .

(٧) في « م » : فقال : نسيت شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ هُوَ ؟ .

(٨) في « م » : إلى هله .

(٩) في « م » : سَكَنِي .

(١٠) في « م » : لم تأكل .

(١١) في « م » : على .

(١٢) هكنا في « م » .. وفي « ط » : فأفاد وسقط منها « قال مالك » .

وَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ ^(١) عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ ^(٢) : يَا بْنَ شِهَابٍ ، مَا حَدِيثُ يُحَدِّثُنَا بِهِ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : حَدَّثُونَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّةً كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ . قَالَ : كَذَبُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَبِيُّ خَلِيفَةَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ ، أَمْ خَلِيفَةُ لَيْسَ بِنَبِيِّ ؟ قَالَ : بَلْ نَبِيُّ خَلِيفَةَ . قَالَ : فَأَنَا أَحَدُكُمْ [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] ^(٣) بِمَا لَا تَشْكُ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّ دَاوُدَ : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاخُذْ مِنْ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٤) . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ^(٥) وَعَيْدُ اللَّهِ لِنَبِيِّ خَلِيفَةَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِخَلِيفَةِ غَيْرِ نَبِيِّ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنَّ النَّاسَ لَيَغُرُّونَنَا ^(٦) عَنْ دِينِنَا .

وَرَوَى زَيْدًا عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ وَإِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ ^(٧)

(١) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زُهْرَةَ بن كلاب ، من فريش ، تابعي من أهل المدينة ، وُلِدَ سنة ٥٨ هـ .. وهو أول مَنْ دَوَّنَ الحديث ، وواحد من كبار الحفاظ والفقهاء ، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث ، نصفها مسند .. وعن أبي الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ، ويكتب كل ما يسمع .. نزل الشام واستقر بها ١٠٠ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمَّالِهِ : عليكم بأبن شهاب ، فإنكم لا تجهلون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . تولى - رحمه الله - يشقُب - آخر حُدِّ الحجاز وأول حد فلسطين - سنة ١٢٤ هـ .

ولى تاريخ مولده ووفاته اختلاف .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ - ١١٣] .

(٢) في « م » : قال .

(٣) ما بين المقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) سورة « ص » - الآية ٢٦ .

(٥) في « ط » : فهذا .

(٦) أى : إن الناس يخلعوننا ويجهلوننا نجهل أمر ديننا .. وفى « م » : « ليغرونا » .

(٧) أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي ، وقد مرت ترجمته .. وابن طاووس هو : عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمداني ، من عُبَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ وفقهائهم المشهورين ، ومن رجال الحديث الثقات ، وكان أبوه (طاووس بن كيسان) من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية الحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجُزْأَةً على وعظ الخلفاء والملوك ، وسار ابنه عبد الله على منواله .. وروى عنه .. تولى عبد الله سنة ١٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ وج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٣ - ٢٤] .

فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ^(١) ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى فَرْشٍ قَدْ نُصِذَتْ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْطَاعٌ ^(٢) قَدْ
بُسِطَتْ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَلَاوِزَةٌ ^(٣) بِأَيْدِيهِمُ السَّيُوفُ يَضْرِبُونَ الْأَعْنَاقَ ، فَأَوْتَمًا ^(٤) إَلَيْنَا أَنْ
اجْلِسْنَا ، فَجَلَسْنَا ، فَأَطْرَقَ عَلَيْنَا طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالتَفَتَ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ :
حَدَّثْنَا عَنْ أَبِيكَ ^(٥) قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ
الْجُورَ فِي حُكْمِهِ . فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً ، قَالَ مَالِكٌ : فَضَمَمْتُ يَدَايَ مَخَافَةَ أَنْ
يَنْضَحَنِي بِدَمِهِ ، فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً حَتَّى اسْوَدَّ مَاسِيَّتُنَا وَبَيْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ
طَاوُوسٍ ، تَأْوِيلِي هَذِهِ الدَّوَاةُ ^(٦) ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَأْوِيلِي هَذِهِ الدَّوَاةُ ، فَأَمْسَكَ
عَنْهُ ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَأْوِيلِيهَا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُكْتَبَ بِهَا مَعْصِيَةٌ فَأَكُونَ
شَرِيكَكَ فِيهَا . فَلَمَّا ^(٨) سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ : قَوْمًا عَنِّي . قَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي
مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ مَالِكٌ : فَمَا زِلْتُ أَغْرِفُ لِابْنِ طَاوُوسٍ فَضْلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٩) .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ ^(١٠) : سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنْ

(١) هكذا في « ط » .. في « م » : « لَمَّا بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَابْنِ طَاوُوسٍ فَدَخَلَا عَلَيْهِ . »

(٢) نُصِذَتْ : وَضَعَتْ بِطَرِيقَةٍ مُنَسَّقَةٍ .. وَالْأَنْطَاعُ : جَمْعُ نَظْعٍ ، وَهُوَ بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ يُقْتَلُ فَوْقَهُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ .

(٣) الْجَلَاوِزَةُ : جَمْعُ جَلَوِزٍ ، وَهُوَ الشَّرْطِيُّ الضَّغْمُ الشَّجَاعُ .

(٤) هكذا في « ط » : « وَأَوْتَمًا أَيْ : أَشَارَ . »

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيكَ . »

(٦) الدَّوَاةُ : الْبَهْمَةُ .

(٧) هكذا في « ط » .. ولم تتكرر هذه الجملة في « م » .

(٨) في « م » : « قَالَ : فَلَمَّا . »

(٩) من أول قوله : قَالَ مَالِكٌ .. إِلَى آخِرِ الْجُمْلَةِ عَنْ « ط » ولم يرد في « م » .

(١٠) في « م » : « الْحَوَارِيُّ » ، تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ .. اسْمُهُ مِيمُونٌ .. مِنَ الرَّاهِدِينَ
الزُّرْعِيِّينَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، صَحَّحَ أَبَا سَلِيمَانَ النَّارَافِي وَغَيْرُهُ .. وَكَانَ الْجَنِيدُ يَقُولُ : « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ رِيحَانَةُ
الشَّامِ » ، وَيُرْوَى أَنَّهُ طَلَبَ الْيَتِيمَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا بَلَغَ حَمْلَ كَتَبَهُ إِلَى الْبَحْرِ فَأَغْرَقَهَا وَقَالَ : يَا عَلِيٌّ ، لَمْ أَفْعَلْ بِكَ هَذَا
هُوَئُلَا بِكَ ، وَلَا اسْتَخَفَّاقًا بِحَقِّكَ ، بَلْ كُنْتُ أَطْلُبُكَ لِأَهْتَدِيَ بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَالْآنَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْكَ . وَمِنْ حِكْمِهِ :
« لَا دَلِيلَ عَلَى اللَّهِ سِوَاهُ » ، وَإِذَا حَدَّثَكَ نَفْسَكَ بِبَرَكِ الدُّنْيَا عِنْدَ إِدْبَارِهَا فَهُوَ خُدْعَةٌ ، وَإِذَا حَدَّثَكَ بِبَرَكِهَا عِنْدَ إِقْبَالِهَا
فَذَلِكَ . وَكَانَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ وَابْنُهُ ، كُلُّهُمْ مِنَ الْعَارِفِينَ الزُّرْعِيِّينَ أَيْضًا .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سَنَةَ ٢٣٠ هـ .

ابْنِ السَّمَاكِ^(١) قَالَ : بَعَثَ إِلَى هَارُونَ ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، أَخَذَ حَرَسِيَّانِ بِضَبْعِي فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ^(٢) ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَاعَةِ^(٣) لَقِيتُنِي خَصْمِيَّانِ ضَخْمَانِ^(٤) فَأَخَذَانِي مِنَ الْحَرَسِيِّينَ ، فَأَعَجَلَانِي فِي قَاعَةِ الْقَصْرِ ، فَاتَّهَيْتُ إِلَى الْبُهِوِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَتَلَقَانِي خَصْمِيَّانِ دُونَهُمَا ، فَأَخَذَانِي فَأَعَجَلَانِي فِي الْبُهِوِ ، فَقَالَ لَهُمَا هَارُونَ : ارْفُتُوا بِالشَّيْخِ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَرُّ بِي يَوْمَ مِثْلُ وَلَدْتَنِي أُمِّي أَتَعَبُ فِيهِ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فَأَتَيْتُ اللَّهَ فِي خَلْفِهِ ، وَاحْفَظْ مُحَمَّدًا فِي أَمْتِهِ ، وَانصَحْ لِنَفْسِكَ فِي رِعَايَتِكَ ، فَإِنَّ لَكَ مَقَامًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْتَ فِيهِ أَذَلُّ مِنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَتَيْتُ اللَّهَ ، وَاعْلَمْتُ أَنَّ مِنْ أَخِذِ اللَّهِ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ^(٥) قَالَ : فَاضْطَرَبَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَى مُصَلًى بَيْنَ يَدَيِ فِرَاشِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا ذُلُّ الصِّفَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ ذُلَّ الْمُعَايَنَةِ ؟ قَالَ : فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ . فَقَالَ يَحْيَى^(٦) لِلْخَصْمِيِّينَ : أَخْرِجُوهُ فَقَدْ أَهَكَى أَمِيرَ

= [انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٥ - ٣٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٥ ، وطبقات الصوفية ص ٩٨ - ١٠٢ وكتبته فيها : أبو الحسن ، والذي ألفتناه أجمعت عليه للمراجع ، وانظر طبقات الشمراني ج ١ ص ٨٢ .

(١) من وُعُظَّ هَارُونَ الرَّشِيد . وقد مرت ترجمته .

(٢) الْحَرَسِيَّانِ : مثنى ، مفردة : الْحَرَسِيُّ ، وهو واحد الْحَرَسِ ، ويُطْلَقُ عَلَى الْجُنْدِ الَّذِينَ يُرَاجُونَ لِجَفِظِ الْحَاكِمِ وَحِرَاسَتِهِ .. بِضَبْعِي : الضَّبْعُ : مابين الإبط إلى نصف العُضْدِ من أعلاها ، وهما ضَبْعَانِ .. فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ : فَأَسْرَعَانِي فِي حَنَائِهِ وَمَنْعُطَاتِهِ ، وَالْدِهْلِيزُ : بالكسر : يُطْلَقُ عَلَى الدَّخْلِ بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَارِ .

(٣) فِي « م » : « بَابِ الْقَصْرِ » .

(٤) لَفْظَةُ « خَصْمِيَّانِ » عَنْ « ط » .. وَ « ضَخْمَانِ » عَنْ « م » وَسَاقِطَةٌ مِنْ « ط » .. وَفِي « م » : « خَصْمَانِ » بِالْمِ ، بَدَلُ « خَصْمَانِ » تَحْرِيفٌ .. وَخَصْمِيَّانِ : مثنى ، مفردة : خَصْمِيٌّ ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوْصَلَتْ خُصْمَتَاؤُهُ وَجِبَّ ذِكْرُهُ ، أَيْ : قُطِعَ .

(٥) كَيْتٌ وَكَيْتٌ : وَقَدْ تَكَسَّرَ التَّاءُ فَيَقَالُ : كَانَ فِي الْأَمْرِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، أَيْ : كَذَا وَكَذَا ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْقِصَّةِ وَالْأَحْذَوَةِ ، وَلَا تَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا مَكْرَرَتَيْنِ .

(٦) هُوَ : يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، أَبُو الْفَضْلِ ، سَيِّدُ بَنِي بَرْمَكٍ وَأَفْضَلُهُمْ ، وَهُوَ مُؤَدِّبُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمُعَلِّمُهُ وَمُزَيَّرُهُ .. رَضَعَ الرَّشِيدُ مِنْ زَوْجَةٍ يَحْيَى مَعَ ابْنَةِ الْفَضْلِ ، فَكَانَ يَدْعُوهُ : يَا أُمِّي ! وَأَمْرُهُ لِمَهْدَى سَنَةِ ١٦٣ هـ - وَقَدْ بَلَغَ الرَّشِيدُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عَمَرِهِ - أَنَّ يَلَازِمُهُ ، وَيَكُونُ كَاتِبًا لَهُ ، وَأَكْرَمَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : هِيَ مَعُونَةٌ لَكَ عَلَى السَّفَرِ مَعَ هَارُونَ .. وَلَمَّا رَلَى هَارُونَ الْخِلَافَةَ دَفَعَ هَارُونَ خَاتَمَهُ إِلَى يَحْيَى وَقَلَّدَهُ أَمْرَهُ ، فَبَدَأَ يَعْلُو شَأْنَهُ ، وَاشْتَهَرَ بِحَيِّ بَجُودِهِ وَحَسَنِ سِيَاسَتِهِ ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ نَكَبَ الرَّشِيدُ الْبِرَامِكَةَ ، فَخَبِضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي الرُّقَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ١٩٠ هـ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَاتَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَكْمَلُهُمْ .. وَقَدْ نَدِمَ الرَّشِيدُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْبِرَامِكَةِ ، وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا قَرِطَ مِنْهُ فِي أَمْرِهِمْ .

المؤمنين . ثم دَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : عِظْنِي وَأَوْجِزْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ
الَّذِي أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ بِهِ لَحَقِيقٌ [عَلَيْكَ] ^(١) أَنْ تُحِبَّ مَا يُحِبُّ ، وَتُبْغِضَ
مَا بُغِضَ ، فَوَاللَّهِ ، لَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ دَارًا وَأَبْغَضَتْهَا ، وَأَبْغَضَ دَارًا وَأَحَبَّتَهَا ، كَأَنَّمَا أَرَدَتْ
خِلَافَ رَبِّكَ ، أَوْ أَرَدَتْ سِوَاهُ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ لَوْ بَقِيَ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَهْلِكْ إِلَيْكَ ، فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِعَبْرِكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي
خِلَافَتِهِ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِهِ ^(٢) .

وَدَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ النَّسَاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ تُحِبُّونَ اللَّهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي
حُبِّكَ إِيَّاهُ ، إِنَّكَ لَوْ أَحَبَبْتَهُ إِذَا مَا عَصَيْتَهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ ^(٤) :

تَعْصِي الْإِلَٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْمَقَالِ يَدِيْعُ ^(٥)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ^(٦)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَذَكَّرُكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ ^(٧)

= [انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٤ ، وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٢٨ -
١٣٢ ، ومعجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥ - ٩ ، والمعارف ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وغيرها من كتب التاريخ كالطبري ،
والكامل لابن الأثير ، والبدية والنهاية] .

(١) ما بين للمعوقين ص ٥ م .

(٢) في م : : واحفظ محمدًا في أمته .

(٣) في م : : وعليك السلام أيها الملك .

(٤) الشعر لعمرو الوراق .

(٥) في م : : وهذا لتعزك . وفي ملحق الإحياء ج ٥ ص ٣٢١ ط الدار المصرية : : في الفعل ، بدل في
المقال .. وفي العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٨ : : وهذا محال في القياس بديع .

(٦) في العقد الفريد :

« لو كنت تُضَيِّرُ حُبَّهُ لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ »

(٧) هكذا في ط .. وفي م : : لَفَقِدَ ذَاكَ ، بدل « لشكر ذاك » . وفي العقد الفريد :

« فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَذَكَّرُكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ بِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعٌ »

وَرَزَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ^(١) عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِيَجْفَرِ بَنِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ ^(٢) أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ ، وَالْيَ الْمَدِينَةِ : اخْذَرُ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ غَدًا ^(٣) كَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ نَسَبٌ ^(٤) وَلَا أَبَ ، وَلَا جَدَّ ، فَيَكُونُ أَوَّلَى بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، كَمَا كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَوَّلَى بِنُوحٍ وَلُوطٍ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٥) مِنْ زَوْجَتَيْهِمَا ، أَوْ كَمَا ^(٦) كَانَتْ زَوْجَةُ نُوحٍ وَلُوطٍ ^(٧) أَوَّلَى بِفِرْعَوْنَ مِنْ زَوْجَتِهِ .. مَنْ أَطْلَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِخْ بِهِ نَسَبُهُ ، وَمَنْ أَسْرَعَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَطْطِئْ بِهِ نَسَبُهُ .

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ ^(٨) : بَيْنَمَا الْحُجَّاجُ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ ^(٩) إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَجَعَلَ يَطُوفُ ، فَوَكَّلَ بِهِ بَعْضَ مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ ^(١٠) : إِذَا خَرَجَ مِنْ طَوَافِهِ فَأَتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا قَرَعُ مِنْ طَوَافِهِ ^(١١) أَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ

(١) هو : زيد بن أسلم العدوي ، أبو عبد الله المصري ، فقيه ومفسر من أهل المدينة ، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافة ، واستقله الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مُسْتَفْتِيًا في أمر ، وكان ثقة كبير الحديث ، وكانت له حلقة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم . تولى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[الأعلام ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩٨ .]
(٢) هكذا في « م » وهو الصواب .. وفي « ط » : « عبد الله بن أبي طالب » .. وسقط منها « جعفر » .. وكثيراً ما يُسْتَقَطُّ الكاتب اسماً أو أكثر من تراجم الأعلام حين يزيد على الجلد الثالث .

[انظر أولاد جعفر بن أبي طالب في جمهرة أنساب العرب ص ٦٨ ، ٦٩ ، وانظر نسب قريش ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .]

(٣) في « م » : « اخضر أن تحيى غداً رجلاً ، وتحىء ، بالتاء : تحريف .

(٤) في « ط » : « نَسَبُهُ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « زوجهما ، وكما كانت .

(٧) في « م » : « لوط ونوح » .

(٨) هو : بشير بن السري الأثوي ، أبو عمرو البصري ، ثم المكي الواعظ ، رُمِيَ بالتجهم واعتذر وتاب ، كان ثقة نبأ صاحب مواظ . مات سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة .

[انظر طبقات الصوفية ص ٩٧ ، وميزات الاعتدال ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .]

(٩) الْحُجَّاجُ هو : الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد مرَّ التعريف به . والجحجر : ماحواه الحطيم ، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(١٠) في « م » : « قَالَ .

(١١) سقطت « من طوافه » من « م » .

الْيَمَنِ . قَالَ : أَفَلَاكَ عِلْمٌ بِمُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ :
لَقَدْ تَرَكْتُهُ أَتَيْضَ ، بَضًّا سَمِينًا ، طَوِيلًا عَرِيضًا . قَالَ : وَتِلْكَ ، لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ :
قَالَ فَعَمَهُ ؟ ^(١) قَالَ : عَنْ سِيرَتِهِ وَطَعْمَتِهِ ^(٢) . قَالَ : فَأَجُورُ السَّيْرِ ، وَأَخْبَثُ الطَّعْمِ ،
وَأَعْدَى الْعُدَاةِ عَلَى اللَّهِ وَأَحْكَاوِهِ . قَالَ ^(٣) : فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وَقَالَ : وَتِلْكَ ، أَمَّا
عِلْمَتُ اللَّهِ أَيُّهُ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَأَنْتَ أَمَّا عِلْمَتُ ^(٤) أَنْ اللَّهَ رَبِّي ، وَاللَّهُ لَهُوَ أُمْنَعُ
لِي مِنْكَ ^(٥) أَكْثَرَ مِنْ مَنَعِكَ ^(٦) لِأَيُّحِكَ ؟ قَالَ : أَجَلُ ، أُرْسِلُهُ يَا غَلَامُ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٧) : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ
إِبْرَاهِيمَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِيمَا بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
وَأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَيْسُوا مِنْ قُرَيْشٍ ^(٨) ، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
ابْنَ أَبِي ذُئْبٍ ^(٩) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِابْنِ أَبِي ذُئْبٍ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي فَلَانٍ ؟ قَالَ :
أَشْرَارَ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ أَشْرَارٍ . قَالُوا ^(١٠) : سَلِّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ -

(١) أَيْ : فَعَمَ تَسَالَى . وَالْهَاءُ لِلتَّكْتِ .

(٢) الطَّعْمَةُ ، بِالضَّمِّ : وَجْهُ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ ، وَكُلُّ مَا يَطْعَمُ .. وَبَكَسَرَ الطَّاءِ : الْجِهَةُ الَّتِي مِنْهَا يَرْتَقَى .

(٣) سَقَطَتْ « قَالَ » مِنْ « م » .

(٤) فِي « ط » : « أَفَأَنْتَ مَا عَلِمْتَ » .

(٥) فِي « ط » : « بَلَى مِنْكَ » .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « أَكْثَرَ مِنْكَ » .

(٧) هُوَ : عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ ، أَبُو سَعِيدٍ الْأَصْمَعِيُّ ، رَاوِيَةُ الْعَرَبِ ، وَأَحَدُ أَعْلَمَ الْعُلَمَاءِ بِاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ .. وَقَدْ
سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ وَاقِيَةٍ عَنْهُ .

(٨) فِي « ط » : « لِقُرَيْشٍ » .

(٩) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْغُبَرَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ذُئْبٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى ، مِنْ قُرَيْشٍ ، أَبُو
الْحَارِثِ ، تَابِعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يَفْعَى بِهَا ، وَيُسَمِّيهِ بِسَمِيِّهِ بْنِ الْمُسْتَبِيبِ .. وَلَدَ سَنَةَ ٨٠ هـ
وَكَانَ مِنْ أَوْرَعَ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ فِي عَصَرِهِ .. دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ النَّصُورِ - الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ - الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ
الْآنَ ، وَقَالَ لَهُ : الظُّلُمُ قَاشٍ بِهَذَاكَ ! وَسَأَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَنْهُ وَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، فَقَالَ : ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ أَصْلَحَ فِي بَدَنِهِ
وَأَقْوَمَ بِالْحَقِّ مِنْ مَالِكٍ عِنْدَ السَّلَاطِينِ .. وَقِيلَ : كَانَ يَرَى الْقَدْرَ ، وَهَجَرَهُ مَالِكٌ مِنْ أَجْلِهِ .. وَقَدْ نَفَى عَنْهُ الْقَدْرُ
الْوَاقِدِيُّ .. تَوَفَّى سَنَةَ ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٨٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٢٠ ، والمعارف ص ٤٨٥ ، وطبقات الفقهاء
للشَّيرَازِيِّ ص ٥٢] .

(١٠) فِي « م » : « فَقَالُوا » .

وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ — قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْحَسَنِ ؟ قَالَ : يَا أَخِي بِإِلَاحَتِهِ ^(١) ، وَيَقْضِي بِالْهَوَى . فَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ سَأَلْتُهُ عَنْ نَفْسِكَ لَرَمَاكَ بِدَاهِيَةٍ ، وَتَعَتَكَ بِشَرٍّ أ قَالَ : مَا تَقُولُ فِيَّ ؟ قَالَ : اغْفِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَقُولَ : قَالَ : إِنَّكَ لَا تُعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ ، وَلَا تَقْسِمُ بِالسُّوِيَّةِ . فَتَغَيَّرَ ^(٢) وَجْهُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، صَاحِبُ الْمُوصِلِ ، وَقَالَ : طَهَّرْنِي ^(٣) بِدَمِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ ^(٤) لَهُ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ : اقْعُدْ يَا بُنَى ، فَلَيْسَ فِي دَمِ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ طَهُورٌ ، ثُمَّ تَذَارَكَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ الْكَلَامَ فَقَالَ : دَعْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ... بَلَّغْنِي أَلَاكَ رُزِقْتَ ابْنًا صَالِحًا بِالْعِرَاقِ — يَعْنِي الْمَهْدِيَّ ^(٥) — قَالَ : أَمَا إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَيَصُومُ ^(٦) الْيَوْمَ الْبَعِيدَ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ فَخَرَجَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمُسْتَوْتِقٍ الْعَقْلِ ، وَلَقَدْ قَالَ بِذَاتِ نَفْسِهِ .

وَدَخَلَ أَبُو النَّضْرِ سَالِمٌ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٧) عَلَى عَامِلٍ لِلْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ

(١) الإِلَاحَةُ : الْجَهْدُ وَالضَّغْنُ .

(٢) فِي « م » : « قَالَ : فَتَغَيَّرَ » .

(٣) فِي « م » : « فَقَالَ : طَهَّرْنِي » بِمَعْنَى : اجْعَلْنِي طَاهِرًا وَنَقِيًّا مِنَ الذَّنَبِ .

(٤) فِي « ط » : « قَالَ » .

(٥) فِي « م » : « بِالْمَهْدِيِّ » .

(٦) فِي « م » : « لَيَصُومُ » . وَيَعْنِي بِالْيَوْمِ الْبَعِيدِ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ : الْيَوْمَ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ الْحَارِّ ، حَيْثُ يَطُولُ النَّهَارُ

عَنْهُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ .

(٧) هَكَذَا فِي « م » وَسَائِرُ الْمَرَاجِعِ ، بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ الْغَالِبُ .. أَمَّا فِي « ط » فَالْبَصَادُ الْمُهْمَلَةُ . وَفِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : أَبُو نَصْرٍ ، بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ أَيْضًا وَبِغَيْرِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ .

وَهُوَ : سَالِمُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ ، مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَمِنْ الصَّالِحِينَ ، كَانَ يَخْلُو عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُعَظِّمُهُ .. وَلَهُ أَحَادِيثٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَكَانَ ثِقَةً حَسَنَ الْحَدِيثِ .. تَوَفَّى — رَحِمَهُ اللَّهُ — بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٢٩ هـ .

[انظر الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٠٨ ، وَشَذَرَاتُ النَّهْبِ ج ١ ص ١٧٦ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ١

ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

لَهُ : يَا أَبَا النَّضْرِ ، إِنَّهُ ثَابِتًا كُتِبَ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَفِيهَا ، وَلَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ
إِنْفَادِهَا ، فَمَاذَا تَرَى ؟ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابُ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَيُّهُمَا
اتَّبَعْتَ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .

• • •

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا جَاءَ فِي الزُّوْلَةِ وَالْقَضَاةِ

وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرَرِ وَالْحَطَرِ ^(١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ ، إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) . جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى أَنْ يَخْضَرَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَتَوُا أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِلَّذِي لَكَ مِنْهُ خَاصَّةٌ ، وَبِهَيْدِهِ الْخُصْلَةُ سَلَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٣) مُلْكُهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : كَانَ الَّذِي أَصَابَ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ جَرَادَةَ امْرَأَتِهِ ^(٤) ، وَكَانَتْ مِنْ أَكْرَمِ نِسَائِهِ عَلَيْهِ ، تَحَاكُمُوا إِلَيْهِ مَعَ غَيْرِهِمْ ،

(١) الْفُرَرُ ، يَضُمُّ الْغَيْنِ الْمُتَعَجِّمَةُ : الشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .. وَبِفَتْحِهَا : التَّعْرِضُ لِلْهَلَاكَةِ .

(٢) سُورَةُ « ص » - الْآيَةُ ٢٦ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْطُوفِينَ عَنْ « ط » فِي الْمَوْضِعِينَ .

[انْظُرْ قِصَّةَ فَتْنَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفِيَّةَ سَلْبِ مُلْكِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ « ص »]
تَفْسِيرُ الْكَشَافِ لِلزَّخَرِيِّ ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وَقِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ لِلنَّجَّارِ ص ٣٢٣ - ٣٣١ ، وَضَعُ الْبَارِي بِشَرْحِ
صَحِيحِ الْبَغَارِيِّ لِابْنِ خَبَرٍ ج ٦ ص ٤٥٩ ، وَتَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ٢٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ، وَغَيْرُهَا مِنْ كُتُبِ
التَّفْسِيرِ وَالْأَثَرِ .

(٤) فِي « م » : « امْرَأَتُهُ جَرَادَةُ » وَهِيَ : جَرَادَةُ بِنْتُ غُولَانَ ، وَكَانَ أَبُوهَا مُلْكًا مَجُوسِيًّا عَلَى جَزِيرَةِ « صِينُونَ » -
أَوْ صِيدَا - وَكَانَ جَبَّارًا عَظِيمَ الشَّانِ .. قَتَلَهُ سُلَيْمَانُ ، وَاصْطَلَفَى ابْنَتَهُ « جَرَادَةَ » لِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ رَاضِيَةً الْجَمَالَ
فَأَسْلَمَتْ وَظَهَرَتْ بِمُظْهَرِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، فَأَحْبَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ عَلَى مَقْتَلِ أَبِيهَا .
[انْظُرْ قِصَّتَهَا مَعَ سُلَيْمَانَ فِي الْمُرَاجِعِ السَّابِقَةِ .. وَقَدْ أَلْفَدَ لَهَا الْأُسْتَاذُ / مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَانِقُ قِصَّةً فِي مَجْمُوعَةِ قِصَصِ
الْأَنْبِيَاءِ ط دَارُ الْمَعَارِفِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ « سُلَيْمَانُ وَمُلْكُ الْجَزَائِرِ » تَحْتَ رَقْمِ ١٤] .

فَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِأَهْلِ « جَرَادَةَ » ، فَيَقْضَى لَهُمْ ، فَتَوَتَّبَ ^(١) حِينَ لَمْ يَكُنْ هَوَاً فِيهِمْ وَاحِدًا .

وَمِنْ ذَلِكَ آيَةُ الْمُلُوكِ الَّتِي أُنْزِلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّلَاطِينِ لِمَا اقْتَضَتْهُ مِنَ السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي فِيهَا بَقَاءُ الْمَمَالِكِ ^(٢) وَثُبُوتُ الدُّوَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ^(٣) . ثُمَّ سَمَّى الْمَنْصُورِينَ ، وَأَوْضَحَ شَرَائِطَ النَّصْرِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٤) . فَضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ لِلْمُلُوكِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرَائِطَ ^(٥) كَمَا تَرَى ، فَمَتَى ^(٦) تَضَمَّنَتْ قَوَاعِدُهُمْ ، وَاتَّقَصَّ ^(٧) عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِهِمْ ، أَوْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ أَوْ بَاغٌ ^(٨) ، أَوْ حَاسِدٌ نِعْمَةٍ ، أَوْ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ ، أَوْ رَأَوْا أَسْبَابَ الْغَيْرِ ^(٩) فَلْيَجْعَلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَجِئُوا ^(١٠) مِنْ سُوءِ أَقْدَارِهِ بِإِصْلَاحِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ [سُبْحَانَهُ] ^(١١) بِإِقَامَةِ الْحِزَانِ وَالْقِسْطِ ^(١٢) الَّتِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، وَرُكُوبِ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ الَّتِي قَامَتْ بِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَإِظْهَارِ شَرَائِعِ الدِّينِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَالْأَخِذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْقَوِيِّ عَنِ

(١) فِي « م » : فَتَوَتَّبَ .

(٢) فِي « م » : السُّلْكُ .

(٣) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤٠ .

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤١ .

(٥) فِي « م » : « وَشَرَطَ الشَّرَائِطَ » .

(٦) فِي « ط » : فَمَتَى .

(٧) هَكَذَا فِي « م » بِالضَّادِّ الْمُجَمَّةِ . وَيُقَالُ : اتَّقَصَّ الْقَوْمُ عَلَى السُّلْطَانِ : خَرَجُوا عَلَيْهِ وَخَلَعُوا طَاعَتَهُ .. وَفِي « ط » : « اتَّقَصَّ » بِالضَّادِّ الْمُجَمَّةِ .

(٨) فِي « ط » : « أَوْ بَاغٍ فَتَنَةٌ » .

(٩) فِي « م » : « أَوْ أَسْبَابَ الْغَيْرِ » . وَالْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(١٠) « يَسْتَجِئُوا » يَسْتَجِئُوا .. وَفِي « م » : « يَسْتَجِئُوا » مِنَ الْحَيَاءِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبَيْنِ عَنْ « م » .

(١٢) فِي « ط » : « الْقِسْطُ » بِدُونِ « وَالْعُطْفِ » ، وَمَعْنَاهُ : الْعَدْلُ .

الضعيف ، ومُراعاة الفقراء والمساكين ، ومُلاحظة ذوى الخصاصة ^(١) والمستضعفين ، ولْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَعْلَوْا بِشَيْءٍ مِنَ الشَّرَاطِطِ الْأَرْبَعِ الَّتِي شَرِطْتُ فِي النَّصْرِ .
 رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِلَّا مِمَّا لَدَى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا ^(٣) ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فِكُلُّكُمْ ^(٤) رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » ^(٥) . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّ نَاطِلٍ فِي حَقِّ غَيْرِهِ رَاعِيًا لَهُ ، وَاللَّفْظُ مَأْخُوذٌ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْمُرَاعَاةِ ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لِرِعَايَةِ غَيْرِهِ مِنْ بَأْسِكُلَّهُ ، فَهُوَ الْهَلَاكُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَرَاعِيَ الشَّاةِ يَحْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الذَّنَابُ لَهَا رِعَاءُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٦) فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ أَمْرِ عَلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَهِدْ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ » ^(٧) .

(١) هكذا في ط .. وى م : : ومُلاحَظَةُ ذَوَى الْخِصَاصَةِ : أى : والبحث عن أصحاب الحاجة من الفقراء .

(٢) في م : : أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٣) سقطت « وولدها » من م .

(٤) في ط : : كُلُّكُمْ .

(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الجمعة ج ٢ ص ٦ ط الشعب وفى الجنايز ج ٢ ص ١٠٠ ، وفى الاستقراض ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٨ وفى المتق ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ وفى كتاب الوصايا ج ٤ ص ٦ ، وفى كتاب النكاح ج ٧ ص ٧٤ ، ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٣ بشرح النووى ، ورواه الترمذى فى صحيحه فى كتاب الجهاد ج ٧ ص ١٩٨ بشرح ابن العرفى .

(٦) هو : الإمام مُسْلِمُ بن الحجاج بن مسلم القشِيرى ، أبو الحسين ، أحد أئمة الحُفَظ ، وأعلام المُحَدِّثين ، وُلِدَ بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وأشهر كتبه « صحيح مسلم » جمع فيه اثنى عشر ألف حديث ، كتبها فى خمس عشرة سنة ، وهو أحد الصحيحين المُتَوَلَّ علَيْهِما عند أهل السُّنَّة فى الحديث ، توفى - رحمه الله - بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٠ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٨٨ - ٥٩٠] .

(٧) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٥ ولفظه : « مَا مِنْ أَمْرِ عَلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْتَهِدُ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ » .

وَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ ^(١) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ [تَعَالَى] رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِتَضَجِّهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ » ^(٢) .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ ^(٣) قَالَ : قَالَ لِي ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ^(٥) ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ^(٦) ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلَتْ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ^(٧) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكُمْ

= ورواه أيضاً في كتاب الإيمان ، والرواية هي الرواية .. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٦ شرح النووي .

(١) هو : مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ بن عبد الله الْمُزَنِيُّ ، صحابي ، أسلم قبل المُدَنِّيَّةِ ، وشهد بيعة الرضوان ، وسكن البصرة ، وإليه يُنسَبُ نهر « مَعْقِل » الذي بها . وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ تقريباً ، ودُفِنَ بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧١ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣] .

(٢) ما بين المعقوفين عن م .. والحديث في أَسَدِ الْغَابَةِ : « ما من عبد يسترعيه الله رعيَّةً ، يموت يوم يموت غاشياً لرعيته إلا حُرِّمَ اللَّهُ عليه الجنة » . أخرجه الثلاثة .

[انظر ج ٥ ص ٢٣٣ .. وقد رُوِيَ في مسلم بالرواية التي ذُكِرَتْ آنفاً عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، وكلا الروايتين في مسلم] .

(٣) هو عبد الرحمن بن سَمُرَةَ بن حبيب بن عبد شمس الْقُرَشِيُّ ، أبو سعيد ، صحابي ، من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مُؤَتَّة ، وسكن البصرة ، وفتح « سجستان » وكابل ، وغرما .. وولَّى « سجستان » وغزا « خراسان » ففتح بها قزحاً ، ثم عاد إلى البصرة فوفى بها سنة ٥٠ هـ ، وقيل : سنة ٥١ هـ .. وإليه تُنسَبُ مَبَكَّةُ « سَمُرَةَ » بالبصرة .. وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ، أو عبد كلال ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن » .

[انظر ترجمته في أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٣ ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٤٣٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٠٢ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧] .

(٤) هكذا في « م » وفي صحيح مسلم .. وقد سقط الجار والمجرور في « م » من « ط » .

(٥) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « يا عبد الرحمن بن سَمُرَةَ » .

(٦) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « لا تَسْأَلِ عَنْ الْإِمَارَةِ » .

(٧) انظر الحديث في صحيح مسلم في كتاب الإمارة ، باب النبي عن طلب الإمارة والحرص عليها ج ١٢

ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ شرح النووي .. والبخاري في كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ، وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٥ شرح جلال الدين السيوطي .

(٨) هو : عبد الرحمن بن صخر التَّوْسِيُّ ، وأبو هريرة لقبه ، صحابي ، وكان من أكثر الصحابة حفظاً =

سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَتَسْتَكُونُونَ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعِمَّتِ ^(١) الرُّضِيعَةُ ، وَبَقِسَتْ الْفَاطِمَةُ ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ، [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) قُلْتُ : أَمَرَنِي يَارَسُولَ اللَّهِ ^(٤) ، قَالَ : « إِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ ^(٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(٦) .

= للحديث ورواية له .. وُلِدَ سنة ٢١ قبل الهجرة ، ونشأ يتيمًا ضعيفًا ، وقَدِمَ للمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فأَسْلَمَ سنة ٧ هـ ، ولزم صحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور مع النبي حيث دار ، وَرَوَى عنه ٣٥٧٤ حديثًا ، نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابى وتابعى .. وولى إمرة المدينة مُدَّةً ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه تَمَّ العريكة ، مشغولاً بالعبادة ، فمزله ، وأرادَه بعد زمن على العمل ، فأبى ، وكان أكثر مقامه بالمدينة ، وبها توفى سنة ٥٩ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٦١] .

(١) هكذا في م ، و ط ، وسنن النسائي .. وفي صحيح البخارى « فَنِعِمَّتِ » . وقد ضرب الله عليه وسلم الرُّضِيعَةَ مثلاً للإمارة ، وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذى يهلم عليه لذاته ، ويقطع منافعها دونه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ط الشعب ، وأخرجه النسائي فى سننه فى آخر كتاب البيعة ، فيما يكره من الحرص على الإمارة ج ٧ ص ١٦٢ ، وفى كتاب آداب القضاة ، باب ترك استعمال من يحرس على القضاء ج ٨ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ بشرح السيوطى] .

(٣) مابن المعقوفين من « ط » .. وأبو ذَرٍّ هو : جُنْدُبُ بْنُ جُنْدَبٍ بن سفيان بن عبيد الغفارى ، من كبار الصحابة ، قديم الإسلام ، أسلم بعد أربعة وكان حاسماً ، يُضْرَبُ به المَثَلُ فى الصِّدْقِ ، ولم يكن تأخذه فى الحق لَوَرَمَةٍ لَاحِظَةٍ ، وهو أول من خيَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام .. هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وَوَلَّى عِثَانَ ، فسكن دمشق ، وجعل دينه يحرى عن الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فشكاه معاوية (وكان والى الشام) إلى عِثَانَ (الخليفة) فاستقدمه عِثَانُ إلى المدينة ، فقبضَها ، واستأنف نشر رأيه فى تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فأمره عِثَانُ بِالرَّحْلَةِ إلى « الرِّبْدَةِ » - من قرى المدينة - فسحبها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ . وكان كريماً لا يحزن من المال قليلاً ولا كثيراً ، وَلَمَّا مات لم يكن فى داره ما يُكْفَرْنَ به .. رَوَى له البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٦ - ١٧٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٩ - ٢٣٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ وج ٦ ص ٩٩ - ١٠١ ، والمعارف ص ٢٥٢ ، ٢٥٣] .

(٤) أَمَرَنِي : اجعلنى أميراً .. وفى صحيح مُسْلِمَ : « أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي » وهى بمعناها .

(٥) فى رواية مسلم « خَيْرٌ وَنَدَامَةٌ » .

(٦) انظر الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة أبي ذر ج ٤ ص ٢٣١ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ ^(١) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً ^(٢) لِهَذَا الْأَمْرِ ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ » ^(٣) .

وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً ^(٤) ثُمَّ لَمْ يَحْطَهُمْ بِنُصْحِهِ كَمَا يَحُوطُ أَهْلُ بَيْتِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعَثَ إِلَى عَاصِمٍ ^(٥) يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبَى ، وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِالْوَالِي فَيُوقَفُ ^(٦) عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وُلِدَ بِبُخَارَى سنة ١٩٤ هـ وقام برحلة طويلة في طلب الحديث ، فزار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث ، اختار منها في صحيحه ما وثق بِرَوَاتِهِ ، وهو أول مَنْ وَضَعَ في الإسلام كتاباً على هذا النحو .. وأقام في « بُخَارَى » تَقَضُّبَ عليه جماعة وتناولوه ، بِاللَّيْلِ ، فخرج من « بُخَارَى » إلى « غَزْنَئِكَ » - إحدى قُرَى سمرقند - ولها رَأْفَةٌ مِنْهُ سنة ٢٥٦ هـ . وكان - رحمه الله - حُجَّةً في الحفظ ومعرفة الأسانيد ، وكتابه في الحديث من أوثق الكتب السُّنَّةَ المَعُول عليها في الحديث .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤ - ٣٦ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٥٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٨ - ١٩١] .

(٢) هكذا في « ط » وفي البخاري .. وفي « م » : « كَرَاهَةً » .

(٣) الحديث هنا مُتَّفَقٌ ، ورواه البخاري كاملاً في كتاب المناقب ج ٤ ص ٢٣٨ ط الشعب ، وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٤ ط دار المعرفة .

(٤) في « م » : « ما مِنْ وَالٍ عَلَى عَشْرَةٍ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً » .

والحديث في سنن الدارِمِيِّ : « ما مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقُولَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُقْبَةِ ، أَطْلَقَهُ الْحَقُّ أَوْ أَوْقَبَهُ » .

[انظر سنن الدارِمِيِّ ، كتاب السير ، باب في التشديد في الإمارة ج ٢ ص ٢٤٠ ط دار إحياء السُّنَّةِ] .

(٥) هو : عاصمُ بْنُ سفيان التَّقَفِيُّ ، صحابِيُّ ، وكان يسكن المدينة .. والحديث مَرْوِيُّ في « أَسَدِ الْغَابَةِ » عن حَشْرَجِ بْنِ ثَبَّاتٍ ، عن هشام بن حبيب ، عن بشر بن عاصم عن أبيه .. وَقَدْ ضَعُفَ حَشْرَجٌ وَجُرِّحَ .

[انظر أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والضعفاء الكبير للمُعْتَمِلِ ج ١ ص ٢٩٧ ، وكتاب الضعفاء الصغير للبخاري ص ٧٩ ، ٨٠] .

(٦) في « م » : « فَيَقْدَفُ » .

سَبَّحَانَهُ ^(١) الْجِسْرَ فَيَنْتَفِضُ ^(٢) انْتِفَاضَةً ، فَيَزُولُ كُلُّ عَظِيمٍ مِنْهُ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) الْعِظَامَ فَتَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا ^(٤) ، ثُمَّ يُسْأَلُهُ ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى طَائِعاً ^(٥) أَخَذَ يَدَيْهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ ^(٦) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِياً خَرَقَ بِهِ الْجِسْرَ فَيَهْوَى ^(٧) بِهِ فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفاً . فَقَالَ عُمَرُ : سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا لَمْ أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ سَلْمَانَ وَأَبُو ذَرٍّ ^(٨) حَاضِرَيْنِ ، فَقَالَ سَلْمَانُ :

(١) في « م » : « تعالى » بدل « سبحانه » .

(٢) في « م » : « ينفض » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٤) في « م » : « أماتها » .

(٥) في « م » : « مطيعاً » .

(٦) كِفْلَيْنِ : ضِعْفَيْنِ .

(٧) في « م » : « فهوى » .

(٨) أَبُو ذَرٍّ الْيَفَارِيُّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ .. مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .. وَسَلْمَانُ هُوَ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَابِقُ الْقُرْسِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَّمَهُ ، وَخَدَّثَ عَنْهُ ، وَكَانَ لِيَباً حَازِماً ، مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ وَغُبَاةِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَكَانَ يُسَمَّى نَفْسَهُ : سَلْمَانَ الْإِسْلَامِ .. وَأَصْلُهُ مِنْ بَجُوسِ أَصْبَهَانَ ، عَاشَ عُثْمَرًا طَوِيلًا ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا كَانَ يُسَمَّى بِهِ فِي بِلَادِهِ .. وَقَالُوا : نَشَأَ فِي قَرْيَةٍ « جِيَان » وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْمُوصِلَ ، فَتَصَيَّبَ ، فَصُورِيَّةَ ، وَقَرَأَ كُتُبَ الْقُرْسِ وَالرُّومِ وَالْيَهُودِ ، وَقَصِدَ الْعَرَبَ ، فَفَلَقِيَهُ زَكَبٌ مِنْ بَنِي « كَلْب » فَاسْتَحْدَمُوهُ ، ثُمَّ اسْتَبَدُّوهُ وَبَاعُوهُ ، فَاشْتَرَاهُ رَجُلٌ مِنْ « قُرَيْظَةَ » فَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .. وَعَلِمَ سَلْمَانُ بِخَبَرِ الْإِسْلَامِ ، فَقَصِدَ النَّبِيَّ بَقَاءً ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَلَا زَمَهُ أَبَامًا وَأَلْفَى أَنْ يَحْرَزَ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَعَانَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى شَرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ صَاحِبِهِ ، فَاطَّهَرَ إِسْلَامَهُ .. وَكَانَ قَوِيًّا الْجِسْمِ ، صَحِيحَ الرَّأْيِ ، عَلَماً بِالْشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ الَّذِي ذَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِفْرِ الْخَنْدَقِ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ، حَتَّى اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، كَلَامَهُمَا يَقُولُ : سَلْمَانُ مَيْتًا .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلْمَانُ مَيْتًا أَهْلُ الْبَيْتِ » . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَخْرًا لَا يَتَرَفَّ . وَجُيِلَ أَمْرًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ ٣٦ هـ ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ تُصَدَّقُ بِهِ . وَكَانَ يَنْسُجُ الْخَوْصَ ، وَيَأْكُلُ خَبِيزَ الشَّعِيرِ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٥ - ٥٥٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٨٥ - ٢٠٨ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، والتاريخ الكبير للإمام البخاري ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٣ - ١٧١ ، وكتاب دول الإسلام ج ١ ص ٣١ والمعارف ص ٢٧٠ ، ٢٧١] .

إِى وَاللّٰهُ يَاعْتَرُ ، وَمَعَ السَّبْعِينَ سَبْعُونَ ^(١) خَرِيفاً فِى وَادٍ يَلْتَهَبُ إِلَيْهَا . فَقَالَ عُمَرُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَنْ يَأْخُذْهَا بِمَا فِيهَا ؟ قَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَبَ اللّٰهُ أَلْفَهُ وَالصَّقَى عُدَّهُ بِالْأَرْضِ .

وَرَوَى أَنَّ الْعَبَّاسَ [رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ] ^(٢) قَالَ : أَمَرَنِي يَارَسُولَ اللّٰهِ فَأَصِيبُ وَأُسْتَرِيضَ ^(٣) . فَقَالَ لَهُ : « يَا عَبَّاسُ ، يَاعَمَّ النَّبِيُّ [صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا . أَلَا أَحَدُثُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ ؟ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا لَذَامَةٌ ، وَآخِرُهَا حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ ^(٤) فِى السُّنَنِ : جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّٰهِ ، إِنَّ أَبِي

(١) هكذا فى « م » على أنها مبتدأ مؤخر .. وفى « ط » : « سبعين » أى : مقدار سبعين ، فكلاهما صواب .

(٢) مابن المعقوفين عن « ط » فى الموضعين .. والعبّاس هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، عمُّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن أكابر قُرَيش فى الجاهلية والإسلام ، وجدُّ الخلفاء العباسيين ، وُلِدَ سنة ٥١ قبل الهجرة .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصفه : « هذا بقية آبائى ، أجود قريش كفاً ، وأوصلها ، وكان مُحسناً لقومه ، شديد الرأى ، واسع العقل ، مولعاً بإعتاق العبيد ، كارهاً للزُّق ، اشترى ٧٠ عبداً وأعتقهم .. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة « حُتَيْن » فكان يَمُنُّ نبت حين انبزم الناس .. وشهد فتح مكة . وعُمِيَ فى آخر عمره .. وكان إذا مرَّ بممر فى أيام خلافته ترَّجُلَ عمر إجلالاً له ، وكذلك عثمان .. توفى - رحمه الله - فى المدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع .

[انظر ترجمته فى أَسَدُ الغَابَةِ ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٧ ، وسر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨ - ١٠٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢١٠ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٦٢] .

(٣) فَأَصِيبُ وَأُسْتَرِيضُ : أَتَالُ غَيْرًا وَأُصْلِحُ حَالِي .

(٤) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، أبو داود ، إمام أهل الحديث فى زمانه ، وكان من العلماء العاملين ، أصله من سجستان ، وُلِدَ سنة ٢٠٢ هـ وطُوفَ البلاد ، وكتب عن العراقيين ، والحرايين ، والشاميين ، والمصريين . قال عنه الحافظ موسى بن هارون : خُلِقَ أبو داود فى الدنيا للحديث ، وفى الآخرة للجنة ، وما رأيت أفضل منه - توفى - رحمه الله - سنة ٢٧٥ هـ .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٩ ص ٥٥ - ٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٩١ - ٥٩٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، والأعلام ج ٣ ص ١٢٢ ، وطبقات الفقهاء ص ١٧٢] .

عَرِيفٌ ^(١) عَلَى الْمَاءِ ، وَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ ^(٢) أَنْ تَجْعَلَ لِي الْعِرَاقَةَ مِنْ بَعْدِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعِرَاقَةُ فِي النَّارِ » ^(٣) .

وَرَوَى السَّاجِيُّ ^(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ الْجَائِرُ » ^(٦) . وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ^(٧) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ مِنْ وَاِلٍ وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتَى » ^(٨) بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٩) عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ تَنْشُرُ الْمَلَائِكَةُ سِيرَتَهُ فَيَقْرَعُونَهَا ^(١٠) عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ، فَإِنْ كَانَ عَادِلًا ^(١١) نَجَّاهُ اللَّهُ [تَعَالَى] بِعَذْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْتَفَضَ بِهِ

(١) في « م » : « عَرِيفاً » بالنصب ، وهو خطأ ، والصواب بالرفع .. والعَرِيفُ : الْقِيمُ بِأَثَرِ الْقَوْمِ ، وَسَيِّدُهُمْ .

(٢) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما ورد في رواية أبي داود .. وفي « ط » : « وَإِنِّي أَسْأَلُكَ » .

(٣) الحديث هنا مجتزأ ، وقد رواه أبو داود مُطَوَّلًا في كتاب الخراج والإمارة ، باب في العِرَاقَةِ ، وآخره : قَالَ : « إِنَّ الْعِرَاقَةَ حَقٌّ ، وَلَئِنْ لَلنَّاسِ مِنَ الْعِرَاقِ وَلَكِنَّ الْعِرَاقَ فِي النَّارِ » .

[انظر سنن أبي داود ج ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٤) هو : أَبُو يَحْيَى ، زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّاجِيُّ ، مِنْ الْخَفَاطِ الثَّقَاتِ ، وَمُحَدِّثُ الْبَصْرَةِ فِي عَصَرِهِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٢٠ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٧ هـ عَنْ نَحْوِ تِسْعِينَ سَنَةً .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٦١٠ ، وطبقات الفقهاء ص ١١٤] .

(٥) مابين المقوفين عن « م » .. وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ هُوَ : سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ سَنَانَ الْخُدْرِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، وَلَدَ سَنَةَ ١٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَهُوَ مَشْهُورُ بَكَيْتِهِ .. كَانَ مِنْ مُلَازِمِي النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ ١١٧٠ حَدِيثًا ، وَغَرَا مَعَهُ ١٢ غَزْوَةً ، وَتَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وج ٦ ص ١٤٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٣٢] .

(٦) الحديث أخرجه أبو نعيم في الْحِلْيَةِ في الجزء العاشر ص ١١٤ .

(٧) في « ط » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .. وَقِيلَ : كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِصَلْتَمٍ قَطْ .

(٨) في « م » : « إِلَّا يُؤْتَى بِهِ » .

(٩) في « م » : « عَزَّ وَجَلَّ » .

(١٠) في « م » : « فَيَقْرَعُونَهَا » . وكلاهما صواب .

(١١) في « م » : « عَذْلًا » .. وَمَا بَيْنَ الْمَقْوَفَيْنِ بَيْنَهُمَا سَاقِطٌ مِنْ « ط » .

الصِّرَاطُ انْتِفَاضَةً صَارَ بَيْنَ كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مَسِيرَةٌ سَنَةً ، ثُمَّ يَخْرُقُ بِهِ الصِّرَاطُ ، فَمَا يَلْقَى قَعَرَ جَهَنَّمَ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ ^(١) .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ^(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْقَاضِيَ يَزُولُ فِي مَرْلَقَةٍ ^(٣) أَبْعَدَ مِنْ عَدَنَ فِي جَهَنَّمَ » ^(٤) . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقَاضِيَ الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ ^(٥) شِدَّةِ الْحِسَابِ عَلَى مَا قَضَى حَتَّى يَوَدَّ ^(٦) أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ » ^(٧) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فَمَا يَلْقَى قَعَرَ النَّارِ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ » .. ويقال للرجل : حُرُّ الوجه ، أو سهل الوجه ، إذا لم يكن ظاهرَ الوجنة . والوجنة : ما ارتفع من الخدين .

(٢) هو : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، وكان أعلم الأمة بالاحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أسلم وهو قتي ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، وللشاهد كلها ، مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبهتة الرسول بعد غزوة « تبوك » قاضياً ومُرَشِّدًا لأهل اليمن ، وأُرسل معه كتاباً إليه يقول فيه : « إني بعثت لكم خير أهل » ، فبقي في اليمن إلى أن تولى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وولي أبو بكر ، فعاد إلى المدينة .. ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام .. ولَمَّا أُصِيبَ أبو عبيدة (في طاعون غَمَاس) استخلف مُعَاذًا .. وأُقره « عُمر » . ومات مُعَاذُ بهذا الطاعون سنة ١٨ هـ ، ودُفِنَ بناحية الأردن . وله ١٥٧ حديثاً وكان - رحمه الله - من أحسن الناس وجهاً ، ومن أَسَمَّجِهِمْ كُفًا ، ومن كلام عمر : « لولا مُعَاذُ هَلَكَ عُمَرُ » يَتَوَّعُ يَطْلُمُهُ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٩٤ - ١٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٤] .

(٣) في « ط » : « لِيَزُولَ » أى : تنزلق قَعْمُهُ .. في مَرْلَقَةٍ : في موضع لا تثبت عليه قَعْمٌ - وهذا إذا كان غير عادل في قضائه - وَعَدَنٌ : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٤) هذا الحديث لم أقف عليه .

(٥) هكذا في « م » وفي السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ ، وفي الْعِلَلِ الْمُتَابِعَةِ لابن الجوزي .. وفي « ط » : « في » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مَا يَوَدُّ » وسقط منها : « عَلَى مَا قَضَى » وفي البيهقي « ما ينصني ... قط » .. وفي الْعِلَلِ الْمُتَابِعَةِ : « ما ينصني أَلَا يَكُونُ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ قَطُّ » .

(٧) الحديث أخرجه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٩٦ ، والميمني في موارد الظمان - باب مجاء في الأمراء ص ٣٧٦ ، وابن الجوزي في الْعِلَلِ الْمُتَابِعَةِ ، في كتاب الأحكام والقضايا ج ٢ ص ٧٥٥ وص ٥٦ وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال العقيلي : عمران بن حطان - راوى هذا الحديث عن عائشة - لا يثبت على حديثه .. وقال الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣٥ - مُتَّفَقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وعلى قول الْعَقَلِيِّ : « كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُلْحَقَ الضَّعْفُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِصَالِحٍ أَوْ يَمُنَّ بِهِ » - يعنى : صالح بن سرج ، وهو الذى رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ عِمْرَانَ - فَإِنَّ عِمْرَانَ ضَعُوفٌ فِي نَفْسِهِ .. وقال العجلي : تابعى ثقة .. وقال قتادة : كان لا يثبتهم في الحديث .

وَرَوَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ ^(١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خِرْ لِي ^(٢) . فَقَالَ : أَفْعُدْ فِي بَيْتِكَ .

وَرَوَى ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَيُودُنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرَى ^(٤) وَلَمْ يَكُونُوا أُمَرَاءَ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَمْ مِنْ مُتَحَوِّلٍ ^(٥) فِي مَالِ اللَّهِ ، وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ غَدًا » ^(٦) .

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَأَكْتَالُهُمَا ^(٧) شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ ظَالِمٌ غَشُومٌ ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ » .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) : مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤَمِّرُ عَلَى عَشْرَةِ إِلَّا جِئَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا ^(٩) نَجَاهُ عَمَلُهُ أَوْ أَهْلَكَهُ ^(١٠) . وَقَالَ طَاوُوسٌ ^(١١) لِسَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ

(١) في « ط » : يستعمله .

(٢) أى : اختر لى .

(٣) في « م » : « وفى الحديث » .

(٤) الثريا : مجموعة من النجوم فى صورة الثور ، وكَلِمَةُ « النجم » عَلِمَ عليها .

(٥) مُتَحَوِّلٌ : مُتَعَدِّلٌ .

(٦) الحديث أخرجه البيهقى بمعناه فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٧ ، وابن حبان فى صحيحه فى كتاب السُّمُوع ج ٧ ص ٩ عن أبى هريرة ، مع اختلاف يسير فى لفظه ، وموارد الظمان للهيثمى ، باب ما جاء فى الأمراء ص ٣٧٥ .

(٧) فى « م » : ينالهما .

(٨) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٩) مغلولا : مُقَيَّدًا بطوق من حديد .

(١٠) الحديث رواه البيهقى فى مسنده فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٦ وآخره : « حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » .. وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى الذرّاء : « ما بين وإلى ثلاثة إلا لقي الله مخلولا بميته ، فكأنه غدله أو غلّه جوره » .

(١١) هو : طاووس بن كيسان الخولاني ، أبو عبد الرحمن ، أحد الأعلام التابعين ، كان فقيهاً جليل القدر ، نبهه الذكر ، وراوية للحديث ، وُلِدَ سنة ٣٣ هـ ، وكانت فيه جُرْأَةٌ على وعظ الخلفاء والملوك .. ثوفى حاجاً بالمزدلفة - أو بمنى - سنة ١٠٦ هـ ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك ، وكان حاجاً فى تلك السنة .. وكان - رحمه الله - بأبى القرب من الملوك والأمراء . قال أبو عبيته : مُتَجَبَّوُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : أَبُو ذَرٍّ ، وَطَاوُوسٌ ، وَالتَّوْرَى . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣ - ٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٠٩ -

- ٥١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠ وطبقات الفقهاء ص ٦٥ ، والمعارف ص ٤٥٥] .

الْمَلِكِ : هَلْ تَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) ؟ مَنْ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ . فَاسْتَلْقَى سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ ، وَمَا زَالَ يَتَكَبَّرُ حَتَّى قَامَ عَنْهُ جُلُوسًاؤُهُ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ أَمْرَاءُ فَجَرَةٍ ، وَفَرَاءُ كَذَبَةٍ ، وَأَمَنَاءُ خَوْنَةٍ ، وَعُلَمَاءُ فِسْقَةٍ ، وَغُرَفَاءُ ظُلْمَةٍ ^(٢) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٣) : مَا أَرْذَاكَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَرْذَاكَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا ، وَلَا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ ^(٤) ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا كَثُرَ حِسَابُهُ .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِعِلْمٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ » ^(٥) . رَوَاهُ بُرَيْدٌ ^(٦) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في (٤٠) : « يوم القيامة غداً ؟ قال سليمان : قال طلوس .. » .

(٢) فِسْقَةٌ : جَمْعُ فَاسِقٍ ، وَهُوَ الْعَاصِي .. وَظُلْمَةٌ : جَمْعُ ظَالِمٍ .

(٣) هو : عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيُّ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو عَاصِمٍ ، مُخَلِّدٌ ثَقَفٌ ، وَمِنْ كِبَارِ تَابِعِيِّ أَهْلِ مَكَّةَ .. كَانَ عَابِدًا وَعَاطِلًا .. تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٦٨ هـ تَقْرِيبًا .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٦٦ - ٢٧٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٩٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧ ، والمعارف ص ٤٣٤] .

(٤) هَكَذَا فِي (٤٠) .. وَفِي (٥) : « وَلَا كَثُرَ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَ شَيْطَانُهُ » .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٦ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وأبو داود في سننه ، في كتاب الأقضية ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، والحافظ فيمن الدين الحنبلي في « الْمُحَرَّر » في أول كتاب القضاء ج ٢ ص ٦٣٧ ط دار المعرفة .

(٦) في (٤٠) : « بُرَيْدٌ » تحريف .

وَبُرَيْدٌ هُوَ : بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصْبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيُّ ، مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ « بُرَيْدٍ » وَلَمْ يَشْهَدْهَا ، وَشَهِدَ تَحْيِيرَ ، وَضَعَ مَكَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِلَقَاتِ قَوْمِهِ .. سَكَنَ الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ إِلَى « مَرْو » وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٦٣ هـ . لَهُ ١٦٧ حَدِيثًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٠ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧] .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ ^(١) : جَاءَ صَيْبَانٌ إِلَى عُيَيْدَةَ السُّلَمَانِيِّ ^(٢) يَتَخَايَرُونَ ^(٣) إِلَيْهِ فِي الْوَأَحِيْمِ ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ وَلَا أَتَوَلَّى حُكْمًا أَبَدًا ^(٤) . وَتَخَايَرَ غِلْمَانٌ ^(٥) إِلَى ابْنِ عُمَرَ ^(٦) فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى ^(٧) كِتَابَتِهِمْ وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ ، وَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ .

وَالْمُصَنِّفُونَ يَرْسِلُونَ فِي كُتُبِهِمْ حَدِيثًا مَرْفُوعًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَدِمَ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٨) فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » ^(٩) .
وَفِي أَتَجَارِ الْقَضَاةِ أَنَّ قَاضِيًا قَدِمَ إِلَى بَلَدٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَتَبْلَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا ^(١٠) فَقَدْ ذُبِحَ

(١) هو : أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، وكان أصمً .. تابعي ، وُلِدَ بالبصرة سنة ٣٣ هـ ونشأ بها ، وكان يعمل بزازًا ، وهو من أشرف الكُتَّاب ، تفقه ، ورَوَى الحديث ، واشتهر بالزُّورِ وتعبير الرُّوْيا ، واستكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مؤلفًا لأنس . وتوفي - رحمه الله - بالبصرة سنة ١١٠ هـ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ كِتَابُ « تَعْيِيرُ الرُّوْيا » وَ « مُتَخَبُّ الْكَلَامِ فِي تَهْسِيرِ الْأَحْلَامِ » .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ١٥٤ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٣١ - ٣٣٨ ، وطبقات الفقهاء ص ٩٢ ، ٩٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، والمعارف ص ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

(٢) هو : عُيَيْدَةُ بْنُ قَيْسٍ (أَوْ عُمَرُو) السُّلَمَانِيُّ الشَّامِيُّ ، تابعي ، أسلم بآمين أيام فُضَحِ مَكَّةَ ، ولم يَرِ النَّبِيَّ ، ﷺ . وكان عرباً قومه . وهاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، وحضر كثيراً من الوقائع - وتفقه وروى الحديث ، وكان يوازي (شريحاً) في القضاء . وقد رَوَى عَنْهُ ابْنُ سِيرِينَ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَالتَّحْمِي ، وَغَيْرُهُمْ . توفي - رحمه الله - سنة ٧٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٩٨ ، والمعارف ص ٤٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) يتخايرون إليه : يتحاكمون إليه أيهم أخير .

(٤) كلمة « أَبَدًا » عَنْ « ط » .. وسقطت من « م » .

(٥) فِي « ط » : « غِلْمَانٌ » .. خطأ .

(٦) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد مرت ترجمته .

(٧) فِي « م » : « فِي » بدل « إِلَى » .

(٨) مَكَّنَا فِي « ط » .. وفي « م » : « قَدِمَ لِلْقَضَاءِ » . أي : اجترأ عليه ، أَوْ رَضِيَ بِهِ .

(٩) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْأَفْضِيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَوَّلُهُ : « مَنْ وَلَّى الْقَضَاءَ .. » . وَفِي رِوَايَةٍ : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ » ج ٣ ص ٢٩٧ . وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ آدَابِ الْقَاضِي ج ١ ص ٩٦ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُللِ النَّتَاجِيَةِ ج ٢ ص ٧٥٦ وَابْنُ مَاجَهٍ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ ج ٢ ص ٧٧٤ وَغَيْرُهُمْ .
(١٠) مَكَّنَا فِي « م » .. وفي « ط » : « مَنْ قَدِمَ لِلْقَضَاءِ » .

بغير سيكين ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَبَلَّغْ أَنَّ أُمُورَ النَّاسِ ^(١) ضَائِعَةٌ فِي بَيْدَتَا نَجِثٍ تُجْبِرُهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ أَفَأَكْرَهَكَ ^(٢) السُّلْطَانَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَاشْهَدْ أَنِّي لَا أَطَأُ لَكَ مَجْلِسًا ، وَلَا أُؤَدِّي عِنْدَكَ شَهَادَةً أَبَدًا .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ ، زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَبِيلِ ، وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ ^(٣) ، جَذِلُ الظَّاهِرِ ^(٤) ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ^(٥) ، وَنَضَبَ عُمْرُهُ ^(٦) ، وَنَجَّى ظِلُّهُ ^(٧) حَاسِبَهُ اللَّهُ فَاشْدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَّ عَفْوَهُ .

وَذَكَرَ السُّلْطَانُ لِأَعْرَابِيٍّ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ عَزَوُا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَقَدْ ذُلُّوا فِي الْآخِرَةِ بِالْعَدْلِ ، وَبِقِلِيلٍ فَإِنْ رَضُوا عَنْ كَثِيرٍ ^(٨) بَاقٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّدَمُ حِينَ ^(٩) لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ^(١٠) : حَيَّ قَوْمَ فَمَاتَ صَاحِبُ لَهُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ^(١١) فَلَمْ

(١) في « م » : « أمور المسلمين » .

(٢) في « م » : « فأكرهك » .

(٣) أَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ : ادَّعَى مَالِيَسَ فِيهِ .. وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ : يَنْعَمُ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، وَمِنَ الْحَدِيثِ : « إِنَّ اللَّهَ يَسْخَطُ لَكُمْ كَذَا » أَيْ : يَكْرَهُهُ لَكُمْ ، وَيَنْعَمُ مِنْهُ ، وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ .

[انظر لسان العرب - مادة : سخط] .

(٤) جَذِلٌ : قَرِيجٌ .

(٥) وَجِبَتْ نَفْسُهُ : اُغْتَبَتْ وَتَمَتَّتْ .

(٦) نَضَبَ عُمْرُهُ : نَفَقَ .

(٧) نَجَّى ظِلُّهُ : مَاتَ .

(٨) في « م » : « من كثير » .

(٩) في « م » : « حيث » بدل « حين » .

(١٠) لم ألق على ترجمة مفصلة له .. وذكر الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٩٦ - أنه : « أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، لا بُرَيْدَةَ بن أبي مريم ، ولا يزيد بن أبي مريم ، ولا سعيد بن أبي مريم ، فالثلاثة ثقات » . وهذا يوحى بأن الأول (أبو بكر) غير ثقة .
(١١) أرض فلاة : أرض واسعة مُقْفَرَةٌ .

يَجِدُوا مَاءً ، فَأَتَاهُمُ رَجُلٌ ، فَقَالُوا : ذُنُّنَا عَلَى الْمَاءِ . قَالَ : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(١) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ^(٢) صَرَّافًا وَلَا مَكَّاسًا وَلَا عَرِيفًا وَأَنَا ^(٣) أَذْلُكُمْ عَلَى الْمَاءِ . فَحَلَفُوا لَهُ ثَلَاثًا ^(٤) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا ، فَدَلَّاهُمْ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ ^(٥) : عَاوِنَا عَلَى غُسْلِهِ . فَقَالَ ^(٦) : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(٧) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ ذِكْرُهُ - فَحَلَفُوا لَهُ ، فَأَعَانَهُمْ عَلَى غُسْلِهِ ، ثُمَّ قَالُوا : تَقَدَّمْ وَصَلِّ عَلَيْهِ . قَالَ : لَا ، حَتَّى تَحْلِفُوا لِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ - ^(٨) فَحَلَفُوا لَهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْفَتَحُوا فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا ، وَكَانُوا ^(٩) يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ^(١٠) : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، وَإِمَامٌ ضَلَّالَةٌ ، وَمُمْتَلٍ مِنَ الْمُمْتَلِينَ » ^(١١) .
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَيَّامٍ ^(١٣) : « اغْوِلْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ثلاثة » خطأ ، لأن السياق يستدعي تذكير العدد ، لأن الملعود « يمين » مؤنث .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « لم يكن فيكم » أي : الميت .

(٣) هكذا في « م » .. وزاد في « ط » : « ولا يهيدًا - وفروى : وَلَا عَرِيفًا - فَأَنَا ... »
الصراف : الصيرفي والتقاد ، وهو المستأمن على أموال الخزانة ، يقبض ويصرف ما يستحق .
والمكاس : الذي يحصل المكوس (الضرائب) من التجار .

والبريد : الرسول . والعراف : المنجم أو الكاهن .. أما العريف فقد سبق شرحه .

(٤) في « م » : « ثلاثة » خطأ .

(٥) في « م » : « قالوا : عَاوِنَا » بدون « ثم » .

(٦) في « م » : « قال » .

(٧) في « م » : « ثلاثة » . خطأ .

(٨) هكذا في « م » ، و « ط » بزيادة « يمين » عما تقدم .. وسقطت من « ط » عبارة : « فحلّفوا له » .

(٩) في « ط » : « وكان » .

(١٠) هو الصحابي عبد الله بن مسعود - وقد مرت ترجمته .

(١١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، في « باب أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة » . وجملة : ويمثل من المشغلين لم ترد فيه ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه ليث بن أبي سليم ، وهو مثّل ، وبقية رجاله ثقات .
[انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٩] .

(١٢) في « م » : « الرسول » .

(١٣) في « ط » : « ست أيام » والصواب « ستة » .

يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ ^(١) . ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِ سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا ^(٢) أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ ، وَلَا تَسْأَلُنْ أَحَدًا ^(٣) وَإِنْ سَقَطَ سَوْرَتُكَ ، وَلَا تُؤَيِّنْ أَمَانَةً ^(٤) وَلَا تُؤَيِّنْ يَتِيمًا ، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ ^(٥) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي ^(٦) أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ، وَإِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا ، فَلَا ^(٧) تَقَامِرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ ، وَلَا تَلْبِسَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » ^(٨) .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا قَالَ ^(٩) : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ ^(١٠) لِي : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِي وَتَذَامَةُ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى إِلَيْنِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(١١) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢)

(١) أي : في الأيام الستة .

(٢) في « ط » : « فَإِذَا » .. وفي نص الحديث ، في البيان والتصرف : « في سرارك » بدل « في أمر سِرِّكَ » .

(٣) في البيان والتصرف : « ولا تسأل أحدًا شيئاً » .

(٤) في البيان والتصرف : « ولا تقيض أمانة » .

(٥) الحديث أخرجه ابن حزمة الحسيني في « البيان والتصرف » وأخرجه أحمد عن أبي ذرٍّ - رضى الله عنه - وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

[انظر المصدر السابق ص ١٨٧ ، ١٨٨] .

(٦) « إِنِّي » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) في « ط » وفي نص الحديث : « وَلَا » .

(٨) في نص الحديث : « وَلَا تُؤَيِّنْ » . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢١٠ ، والمحقق هبش الدين الحنبلي في « المغرر » ج ٢ ص ٦٣٨ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(٩) سقطت « قَالَ » من « ط » .

(١٠) في « م » : « وَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ » .. وفي صحيح مسلم : « ثم قال : يَا أَبَا ذَرٍّ » .

(١١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(١٢) في « م » : « النسي » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْيَمَنِ وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ ، فَقُلْتُ ^(١) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ شُبُوحُ ذَوِي أَسْتَانٍ ^(٢) ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ ^(٣) قَلْبِكَ وَلِسَانُكَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْحُصَيْنَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخِرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَقْضِي » ^(٤) .. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ نَهَى أَبَا ذَرٍّ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ عَلِيًّا بِالْقَضَاءِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ [وَمَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ ؟] ^(٥) ، وَمَارُوى بِأَنَّ ^(٦) مَنْ قَدَّمَ لِلْقَضَاءِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ ؟ وَفِيهِ الْبُعْدُ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَالتَّيَمُّنُ بِمُشَاهَدَتِهِ ^(٧) ، وَتَعْلُمُ سُنَنِيهِ وَشَرَائِعَ دِينِهِ ، وَالتَّحَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَشِيَمِهِ ^(٨) ؟ وَابْتِهَامُ أَفْضَلِ : الْمُثُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكُؤُنُ ^(٩) بِحَضْرَتِهِ ، وَمُشَاهَدَتُهُ ^(١٠) وَالصَّلَاةُ حَلْفُهُ ، أَوْ الْقَضَاءُ فِي غَيْبِهِ مَعَ الْبُعْدِ عَنْهُ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا نَهَى أَبَا ذَرٍّ لِمَعْنَى فِيهِ بَقْصَرِهِ عَنْ رُبُوبَةِ الْقَضَاءِ ، وَمِمَّا كَانَ ضِدَّهُ فِي عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١١)] مِنْ اسْتِجْمَاعِ شَرَائِطِ الْقَضَاءِ ، وَقُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَاهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ لِعَلِيٍّ : إِنْ اللَّهَ هَادٍ قَلْبِكَ . وَقَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : إِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا [ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : « إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » فَاسْتَذَلَّنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنْ مِنْ ^(١٢) اسْتِجْمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ قَرِيبًا عَلَى إِنْفَاقِهِ ، لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ النَّهْيِ .

(١) في « م » : « فقال » . خطأ من الناسخ .

(٢) ذوى أسنان ، أى : كبار ، ذوى حكمة وخبرة .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « هادى » بالياء .. وفي نص الحديث : « سيهدى » .

(٤) الحديث رواه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٨٦ وأبو داود في سننه ، في كتاب الأقضية ، باب كيف القضاء ج ٣ ص ٣٠٠ ط الدار المصرية .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .. والتغيير : خدائفة السنن — كتابة عن عدم الدراية بالأمر .

(٦) في « م » : « أن » .

(٧) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بالمشاهدة » .

(٨) في « ط » : « بالمشاهدة » .. والشيم : جمع شيمة ، وهى الطيعة والجميلَّة التى تُحَلَّقُ الإنسان عليها .

(٩) الكؤن بحضرة : الوجود معه .

(١٠) في « ط » : « ومشاهده » .

(١١) جملة رضى الله عنه « ط » .. وما بين المعقوفين بعدها عن « م » وساقط من « ط » .

(١٢) في « م » : « على من » .

وَمِمَّا يُعَدُّ ضَعْفًا عَنِ الْقَضَاءِ طَلَبُهُ إِيَّاهُ ، إِذْ لَمْ يَذَرِ عَوَاقِبُهُ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُنْتَسِرِعَ إِلَى الْأَمَانَةِ ^(١) بِالْجَهْلِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ^(٢) وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ^(٣) 》 . أَيْ : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ . وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَلَمْ يَقْضِ بِهِ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ » ^(٤) . قُلْتُ : فَهَذَانِ الرَّجُلَانِ ضَعِيفَانِ عَنِ رُبِّيَّةِ الْقَضَاءِ : أَحَدُهُمَا يَغْشَاهُ ^(٥) وَظُلْمِهِ ، وَالْآخَرُ بِجَهْلِهِ .

وَقَدْ عَابَتْ جَهْلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ « طَالُوتَ » فَقَالُوا : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ^(٦) 》 فَعَابُوهُ بِخَصْلَتَيْنِ : الْفَقْرِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ ^(٧) الْمَمْلُوكَةِ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ^(٨) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ^(٩) 》 . فَبَيَّنَ شُرُوطَ الْوِلَايَاتِ ^(١٠) وَالْمَمَالِكِ ، وَأَنَّهَا

(١) في « م » : الأمانات .

(٢) هكذا الآية في « ط » .. وهي الصواب .. وفي « م » : « أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا » وسقطت منها : « وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا » .

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٧٢ .

(٤) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأفضية ، باب في القاضي يُخطئ ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجهد فيصيب الحق ج ٢ ص ٧٧٦ ط المكتبة العلمية ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ، باب إثم مَنْ أَقْبَى أَوْ قَضَى بِالْجَهْلِ ج ١٠ ص ١١٦ ورواه غيرهم .

(٥) في « م » : بفسقه .

(٦) سورة البقرة - من الآية ٢٤٧ . وألغى يكون .. الخ أي : كيف يكون ملكاً علينا وهو فقير وضعف النسب ؟

(٧) السَّبْطُ مِنَ الْيَهُودِ ، كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَامُ » .. وَنَبِيُّهُمْ هُوَ : صموئيل (أَوْ شمعون) .

(٩) في « م » : الآية وهي الآية السابقة نفسها من سورة البقرة ، وزادَهُ بَسْطَةً ، أَيْ : سَعَةً وَامتداداً وفضيلة .

(١٠) في « م » : الولاية .

تَفْتَقِرُ ^(١) إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُحْكَمُ ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا تُنْفَذُ ^(٢) الْأَحْكَامُ ، دُونَ مَا ظَنَّهُ
بَنُو إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : الْقَضَاءُ فِي غَيْبَتِهِ أَوْ الْحُضُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ ، فَالْجَوَابُ : أَنَّ أَوَامِرَهُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) فَرَضَ ، يُعْصَى بِتَرْكِهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ مُسْتَحَبٌّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَلَا يُعْصَى ^(٤) بِتَرْكِهِ ، فَعَلِمْنَا بِهِذَا أَنَّهُ إِنَّمَا بَعَثَ عَلَيْنَا
[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) لِلْقَضَاءِ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سُكْنَاهُ بِحَضْرَتِهِ ، لِأَنَّهُ مُبْلَغٌ عَنْهُ إِلَى
الْمَخْلَاقِ شَرِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهَا ^(٦) ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فِي ذَلِكَ ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ أَوْجِبَ
الْجَنَّةَ لِمَنْ قَضَى بِالْحَقِّ .

(١) فِي م : : : : : أَنَّهُا مُفْتَقِرَةٌ .

(٢) فِي م : : : : : يَنْفَذُ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ عَنْ ط .

(٤) فِي ط : : : : : لَا يُعْصَى .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ عَنْ ط .

(٦) فِي م : : : : : بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَجْهِ طَلْبِهِ الْمُلْكَ
وَسَوَالِهِ أَنْ لَا يُؤْتَى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

قَالَ ^(٢) : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، فَطَلَبَ الْمُلْكَ ، ثُمَّ زَادَ
عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ لَا يُؤْتَى مُلْكُهُ أَحَدٌ مِنْ ^(٣) بَعْدِهِ ، وَكَانَ ظَاهِرُهُ يُؤْذَنُ بِالْبُخْلِ . وَالْكَلَامُ
عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهَا : أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ هَذَا بَعْدَ أَنْ سَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) مُلْكُهُ
ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهِ ، فَحِينَ طَلَبَ الْمُلْكَ كَانَ مِلْكًا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي جَدَّدْتُهُ
لِي ، هَبْ لِي عَلَى صِفَاتٍ لَا أَغْصِيكَ فِيهَا ^(٥) فَسَلِّبْنِي إِيَّاهُ وَتَعَايَنِي . يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَدَأَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ أَيْ : مُلْكًا لَا أَغْصِيكَ ^(٦) فِيهِ
فَتَوَاحَدَنِي ، وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « في معرفة » .

(٢) هكذا في « ط » .. والقاتل هو : سليمان ، عليه السلام .. والآية يتقاربان في سورة « ص » - ٣٥ : « قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ » .. وفي « م » : « فَإِنْ قَالَ لَنَا قَاتِلُ : أَلَيْسَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ ... » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بَأَن لَأَيُّوْقُ مِثْلَهُ أَحَدًا » .

(٤) مابن المعقوفين عن « ط » . وقد أشرنا من قبل إلى قصة سَلَبِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) فيها ، أَيْ : فِي الصِّفَاتِ .. وفي « م » : « لَا أَغْصِيكَ فِيهِ » أَيْ : فِي الْمُلْكَ .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا أَغْصِيكَ فِيهِ » .

حِسَابٍ ﴿^(١)﴾ ، فَكَأَنَّهُ أَجَابَ دُعَاءَهُ فَقَالَ : تَصَرَّفَ كَيْفَ شِئْتَ ، فَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنْ أُعْطِيتَ أُجْرَتُ ، وَإِنْ أُنْسَكْتَ فَلَا ثَبَئَةَ ^(٢) عَلَيْكَ فِيهِ . وَهَذَا تَخْصِصٌ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ ^(٣) السَّلَامُ ، وَلَمْ يُحْصَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ سِوَاهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ ^(٤) : ﴿ قَوْلُكَ لَتَسْلُكَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَمَعْنَاهُ ^(٦) : لَا أَسْأَلُهُ فِي بَاقِي عُمرِي بَصِيرَ لِعُمُرِي كَمَا سَأَلْتُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمرِي . وَقِيلَ : لَا تَسْلُطُ ^(٧) عَلَى فِيهِ شَيْطَانًا يَمْلِكُ الْإِذَى ^(٨) قَدْ سَلَطْتَ عَلَى . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ عِلْمًا لَهُ ^(٩) عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ آيَةً لِتُبَيِّنَ ، وَعِلْمًا عَلَى مُعْجَزَتِهِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ ^(١٠) : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مَلِكًا ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ تَسْخِيرَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَسْخَرْنَا لَهُ الرِّيحُ ﴾ ^(١١) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . وَقِيلَ : إِنْ

(١) سورة « ص » - الآية ٣٩ .

(٢) الثَّبَئَةُ : الْعَاقِبَةُ .

(٣) في « ط » : « عَلَيْهِمَا » .

(٤) في « ط » : « قَالَ لِلْخَلَائِقِ » .

(٥) سورة الحججر - الآيات : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَأَمَّا قَوْلُهُ : لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ ، فَقَالَ عطاء : معناه .. » .

(٧) في « م » : « تَسْلُطُ » . لا تصح .

(٨) في « م » : « يَمْلِكُ مَا سَلَطْتُ » .

(٩) سقطت « له » من « ط » .

(١٠) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، البلخي ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، وأصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحلَّت بها .. وهو متهتم ، متروك الحديث .. قال عنه ابن حبان : « كَانَ يَأْخُذُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُوَافِقُ كُتُبَهُمْ ، وَكَانَ يُعْتَبَرُ الرَّبُّ بِالْمُخْلوقات ، وَكَانَ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ » . اهـ . - توفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ، والجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٠ - ١٦٩ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣ - ١٧٥ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٨١] .
(١١) الآية بتمامها في سورة « ص » - ٣٦ : ﴿ فَتَسْخَرْنَا لَهُ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب ﴾ رُخَاءً : يَكُنْ .. أَصَاب : أَرَادَ .

سُلَيْمَانَ كَانَ مُلْكُهُ فِي خَائِمِهِ ، وَلِهَذَا ذَهَبَ مُلْكُهُ بِدَهَابٍ خَائِمِهِ ، فَقَالَ : ﴿ لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ يَعْنِي : اجْعَلْ مُلْكِي فِي نَفْسِي لَا فِي خَائِمِي ، حَتَّى لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، فَإِنْ إِبْلِيسَ لَمَّا أَخَذَ خَائِمَ سُلَيْمَانَ ، تَحَوَّلَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ إِلَى إِبْلِيسَ ، وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ يَحْكُمُ فِيهِ ، حَتَّى أَكْثَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَلْفَى عَلَيْهِ شَبَّهُهُ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ ^(١) : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُ النَّهْوِ ، يُدَلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى سَلَامَانُ الشَّعْبَانِيُّ ^(٢) قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَحْشَعًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » ^(٣) .

وَرَأَى غَيْرُهُ : إِنَّمَا أَرَادَ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُهَا لِغَلَا يَفْتَنَ بِالْمَمْلَكَةِ ، وَلِهَذَا قَدَّمَ سُؤَالَ الْمَغْفُورَةِ عَلَى طَلَبِ الْمَمْلَكَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْوُعَاظِ : إِنَّمَا أَرَادَ : حَتَّى أَتَقَيَّمَ لِأَدَمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ ، حَيْثُ كَانَ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) قَالَ : « إِنْ عَفَرْنَا مِنَ الْجَنِّ جَعَلْتُ بَقْلًا عَلَى ^(٦) الْبَارِحَةِ لِيَقْطَعَ عَلَى صَلَاتِي ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَكَنَنِي مِنْهُ »

(١) هو : عمرو بن عثمان بن كُزَيْب ، أبو عبد الله المَكِّيُّ .. صُوِّفِيٌّ عَالِمٌ بِالْأَصُولِ ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، لَهُ مَصْنُفَاتٌ فِي التَّصَوُّفِ ، وَأَجُوبَةٌ لَطِيفَةٌ فِي الْمَبَارَاتِ وَالْإِشَارَاتِ .. زَارَ أَصْبَهَانَ ، وَمَاتَ بِبَغْدَادَ - وَقَبِلَ بِمَكَّةَ - سَنَةَ ٢٩٧ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٠ - ٢٠٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٢ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٦ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١ ، ٨٢] .

(٢) أملهته كتب التراجم والأعلام المعروفة ، ولم أقف عليه .

(٣) في « ط » : « اللَّهُ تَعَالَى » .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ ج ٦ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ من فتح الباري .. ورواه أيضاً في كتاب التفسير ، باب ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ج ٨ ص ٤٥٦ .. والرواي لهما : أبو هريرة .

(٥) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) الجفريت : التمرد من الإنس أو الجن .. وَيَقْلُتُّ عَلَى : يمرض لى فلتة ، أى : بغتة .. وفي « م » : « يَنْقَلِبُ » تحريف .

فَصَرَعْتُهُ ^(١) ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا ^(٢) إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَلَذَكَّرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا ^(٣) .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ إِلَى خَافِظٍ عَلَيْهِمُ ؟ ^(٤) ، قُلْتُ : يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ ^(٥) الْآيَةِ أَنَّ مَنْ حَصَلَ ^(٦) بَيْنَ يَدَيِ مُلِكٍ لَا يَغْرِفُ قُدْرَهُ ، أَوْ أُمِّيَّةٌ لَا يَغْرِفُونَ فَضْلَهُ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ إِبْرَارَ فَضْلِهِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْهَهُمْ عَلَى مَكَانِهِ وَمَا يُحْسِنُهُ ، دَفْعًا لِلشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ ، فَيُجْعَلَ فِي مَكَانِهِ ^(٧) . وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الْأُمُورَ فِي يَدِ الْخَوَاتِمِ وَاللُّصُوصِ ، وَمَنْ لَا يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَذَاءَ الْأُمَمَةِ مَعَ الْكِفَايَةِ ^(٨) ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى أَمَانَتِهِ وَكِفَايَتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ آلَاتُ الْجَاهِدِ ^(٩) ، وَشُرُوطُ الْقَضَاءِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى مَكَانِهِ ، وَيَخْطُبَ خُطْبَةَ الْقَضَاءِ ^(١٠) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي يَدِ ^(١١) مَنْ لَا يَقُومُ بِهِ .

(١) لفظة « فصرعته » لم ترد في نص حديث البخاري .

(٢) هكذا في صحيح البخاري وغيره .. وفي « ط » : « حتى يصبح فتظرون » .. وفي « م » : « حتى تصبح فتظرون » . والسارية : العمود .

(٣) خاسئاً : صاغراً ذليلاً .

(٤) سورة يوسف - الآية ٥٥ .

(٥) سقطت « هذه » من « ط » .

(٦) حصل : ثبت .

(٧) في « ط » مكانة .

(٨) الكفاية : الاستغناء عن الغير .

(٩) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَنْ كَمَلَ فِيهِ الْجَاهِدُ » . وَكَمَلْتُ ، بفتح الميم : ثبُت .. وبضمها : ثبتت فيه صفات الكمال .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَيَخْطُبُهُ خُطْبَةُ الْقَضَاءِ » أي : بطلبها .

(١١) في « ط » : « فِي يَدَيْ » . انظر إلى الشروط التي يصح معها أَنْ يُقْلَدَ الْإِنْسَانَ الْقَضَاءُ فِي كِتَابِ « الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ » لِلْمَاوَرَدِيِّ - الْبَابُ السَّادِسُ فِي وَلايَةِ الْقَضَاءِ ص ٥٩ - ٦٨ ط دار الفكر .

البَابُ الحَامِسُ فِي فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ (١) إِذَا عَدَلُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٢) .
يَعْنِي : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَامَ السُّلْطَانَ فِي الْأَرْضِ ، يَدْفَعُ الْقَوِيَّ عَنِ الضَّعِيفِ ، وَيَنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، لَأَهْلَكَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ ، وَتَوَاتَبَ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَلَا يَنْتَظِمُ لَهُمْ حَالٌ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ ، فَتَفْسَدُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا . ثُمَّ آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بِإِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)
يَعْنِي : فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَيَأْمَنُ النَّاسُ بِهِ فَيَكُونُ فَضْلُهُ عَلَى الظَّالِمِ كَفَّ يَدِهِ عَنِ الْمَظْلُومِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ أَمَانَهُ وَكَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ (٤) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ :
الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ » (٦) .

(١) فِي « م » : الْقَضَاةُ وَالْوَلَاةُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - مِنَ الْآيَةِ ٢٥١ .

(٣) مِنَ الْآيَةِ وَالسُّورَةِ السَّابِقَةِ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ كَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ .

(٥) فِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٦) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ كَامِلًا فِي كِتَابِ الصِّيَامِ ، بَابُ فِي « الصَّائِمِ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .. وَتَكْمِلَتُهُ : « وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ بِرَفْعِهَا اللَّهُ دُونَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : يَجِزُّكَ لِأَنْصَرِّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .
[انظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٧] .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ ^(٢) ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ^(٣) ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَتِهِ فَاتَّخَفَاهَا ، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ ^(٤) بَيْعَتُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ ^(٥) . »

وَرَوَى كَثِيرٌ بَنُ مَرَّةٍ ^(٦) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرُّعْيَةِ الشُّكْرُ ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِمْرُ ^(٨) وَعَلَى الرُّعْيَةِ الظُّبَيْرُ ^(٩) . »

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « .. » في المسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه .

(٣) سقطت « عليه » من « ط » .

(٤) في « م » : « ما أنفقت » .

(٥) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأذان ، باب « مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ » . [انظر فتح الباري ج ٢ ص ١٤٣] .. وأخرجه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وغيرهما .. وأخرجه مالك في موطئه في كتاب الشُّكْرِ ، باب ما جاء في المتحابين في الله ج ٢ ص ٩٥٢ ، ٩٥٣ ط دار الكتاب اللبناني .. وأخرجه الحافظ فمس الدين الحنبلي في « المهر » ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .. والترمذي في صحيحه ، في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ بشرح ابن العري ، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاة - الإمام العادل ج ٨ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بشرح جلال الدين السيوطي .

(٦) هو : كثير بن مرة الحضرمي الجنعبي .. كان إماماً طالفةً للعلم ، أدرك سبعين بديراً ، وحدث عن مُعَاذٍ ، وأبي الثرداء ، وعبيدة بن الصامت وطبقتهم .. وحدث عنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وسليم بن عامر ، وغيرهم .. وقال عنه الثَّعَالِيُّ : لا بأس به .

[انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٥٧] .

(٧) في « ط » : « عليه السلام » .

(٨) الإمر : الإثم والمعقوبة .

(٩) في « علل الحديث » للإمام الرازي قال : « سألت أبا [الإمام أبي حاتم الحنظلي] عن حديث رواه خالد بن حديش ، عن أبي عون بن أبي ربيعة ، عن غيلان بن جبر ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » قال أبي : هذا حديث مُتَّكِرٌ ، وابن أبي ربيعة مجهول .. وقد أورد الميداني هذا الحديث مجتزئاً في الباب الثلاثين ، في تَبَيُّنٍ من كلام النبي ﷺ ، قال : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ = »

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ ^(١) قَالَ : « لَعَمَلُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَائِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ سَنَةٍ » ، أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً ^(٢) .
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ^(٣) : « لَيَوْمٍ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ رَجُلٍ فِي سِتِّينَ سَنَةً » .
وَقَالَ مَسْرُوقٌ ^(٤) : « لِأَنْ أَقْضِيَ يَوْمًا بِالْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْزَوْ سَنَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٥) .

= مظلوم .. وأورده الألبشي في المُستطرف ، في الباب الرابع عشر ، عن عمر ، رضي الله عنه ، قال : قلت للنبي ﷺ : أعجزني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ما هو ؟ قال : « ظل الله في الأرض ، فإذا أحسن قلبه الأجر ، وعليكم الشكر ، وإذا أساء فعله الإصر ، وعليكم الصبر » .. وكذا ورد منسوباً إلى كعب الأحبار [في ص ٢٠٠ من المرجع نفسه] : « سئل كعب الأحبار عن السلطان ، فقال : « ظل الله في أرضه ، من ناصحه اعتدى ، ومن غشه ضلَّ » .. وورد أيضاً في الصفحة نفسها منسوباً إلى حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه : « لا تسبوا السلطان ، فإنه ظل الله في الأرض ، به يقوم الحق ، ويظهر الدين ، وبه ينفع الله الظلم ، ويهلك الفاسقين » . وأورده الماوردي في كتابه « نصيحة الملوك » في الفصل الأول ، ولم ينسبه ، بل قال : « .. وكذلك قيل : السلطان ظل الله في الأرض » .

[انظر طلي الحديث ج ٢ ص ٤٠٩ ، وجميع الأبطال للميداني ج ٢ ص ٤٨٨ والمُستطرف ج ١ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ (الباب الرابع عشر) ، ونصيحة الملوك للماوردي ص ٧٤] .
(١) في ٤٨ : « رَوَى » .. ويرفعه : ينسب إلى قائله ، وهو : النبي ﷺ ..

(٢) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب بأكثر من رواية ، ويتصرف يسر في ألفاظه ج ٣ ص ١٦٧ ط الدار المصرية .. ولى العقد الفريد ج ١ ص ١٠ في كتاب اللؤلؤة في السلطان .. والماوردي في نصيحة الملوك ص ٣٦٠ وأورده البيهقي في سننه الكبرى ، باب فضل الإمام العادل ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » [ج ٨ ص ١٦٢] .

(٣) هو : قيس بن سعد بن عبادَةَ بن ذَكْوَمِ الأنصاري الحِزْرِيُّ المَدَنِيُّ ، صحابي ، وابن صحابي ، كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمو ، وكان صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه ، وكان كريماً ، ومن ذوى الرأي .. صاحب علياً في خلافة ، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ . وحارب في « صَيْقِن » مع عليٍّ ، ثم كان مع الحسن بن علي ، حتى صالَحَ مطوية ، فرجع إلى المدينة ، وتولى بها سنة ٦٠ هـ . وقيل : تولى في أول ولاية عبد الملك بن مروان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٢ - ١١٣ والمحرر ص ١٥٥] .

(٤) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الممداني ، الوادعي ، أبو عائشة ، تابعي ثقة ، من أهل اليمن ، وكان أبوه شاعراً .. قَدِمَ المدينة في أيام أبي بكر ، رضي الله عنه ، وسكن الكوفة ، وشهد حروب عليٍّ ، كَرَّمَ الله وجهه ، وكان أعلم بالفتيا من شَرِيع (القاضي) وشَرِيع أبصر منه بالقضاء .. ولَقِيَ عُمَرَ بن الخطاب فقال له : ما أسألك ؟ قال : مسروق بن الأجدع . فقال عمر : إن الأجدع شيطان ، بل أنت ابن عبد الرحمن ، فكان يُعَرَفُ بذلك .. توفي - رحمه الله - سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٥ ، والمعارف لآين قبية ص ٤٣٢] .

(٥) من أول قوله : « وقال مسروق » : إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

وَرَوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُصْعَبٍ
ابْنَ شُرَحْبِيلَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ صَفْوَانَ ^(٣) ، قَالُوا لِسَعِيدِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ^(٤) :
« لَقَضَاءُ يَوْمٍ بِالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِكَ عُمْرَكَ » .

وَسَيَتَضَيَّحُ لَكَ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا نَالَتْهُ الرَّعِيَّةُ مِنَ الصَّلَاحِ بِصَلَاحِ
السُّلْطَانِ . وَاعْلَمْ أَرَشَدَكَ اللَّهُ ^(٥) - أَنَّ الْإِنْسَانَ أَعَزُّ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا ، وَأَغْلَاهَا ^(٦) قَدَرًا ،
وَأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً ، وَبِالسُّلْطَانِ صَلَاحِ الْإِنْسَانِ ، إِذَا فَهَوُ أَعَزُّ أَغْلَاقٍ ^(٧) الدُّنْيَا وَأَعْمَقُهَا نَفْعًا
بِرِسْكَ ^(٨) ، وَلِذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَيْنِ : دَارَ الدُّنْيَا ، وَدَارَ الْآخِرَةِ . ثُمَّ كَانَ ^(٩)
السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدَّائِنَيْنِ ، فَأَخْلَقَ بِشَخْصٍ يُعْمُ نَفْعُهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، وَيَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَنْ يَكُونَ شَرَفُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، كَمَا كَانَ قَدْرُهُ فِي الْعُقُولِ جَسِيمًا ^(١٠) ،
وَمَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ كَرِيمًا ، كَمَا كَانَ نَفْعُهُ لِلْعِبَادِ ^(١١) عَمِيمًا ، وَعَلَى قَدْرِ عُمُومِ

(١) هو : سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (الصحابي) وأمه بنت سعد بن أبي وقاص . كان قاضي
المدينة (زمن هشام) وتولى بها سنة ١٢٧ هـ وهو ابن اثنين وتسعين سنة .
[انظر المعارف ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٢) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، واسمه : عبد الله ، كان قاضيًا يُحْمَلُ عنه الحديث .. توفى - رحمه
الله - سنة ٩٤ هـ وهو ابن اثنين وسبعين سنة . ويقال : توفى سنة ١٠٤ هـ .
[انظر المصدر السابق ، وانظر طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٤] .

(٣) هو : محمد بن صفوان بن عبد الله بن أمية بن خلف الجُمَحِي .. وَلَمَّا قَضَاءُ الْمَدِينَةِ سنة ١٠٦ هـ .
[انظر جوهرة أنساب العرب ص ١٦١ والكمال في التاريخ ج ٤ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .

(٤) سعيد بن سليمان : عالم ، مُخَدَّث ، وردت له ترجمة في كتاب الجرح والتعديل للرازي ، وقد روى عن أبيه
(سليمان بن زيد بن ثابت) وَرَوَى عنه الزهري ، ومالك بن أنس ، وعقيل . توفى - رحمه الله - سنة ١٣٢ هـ .
[انظر الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٥ ترجمة ١٠٣] .

(٥) في م : « : أَرَشَدَكَ اللَّهُ » .

(٦) في م ط : « : وَأَغْلَاهَا » .

(٧) أَغْلَاق : نفائس .

(٨) في م ط : « : وَأَعْمَقُهَا بَرَكَةٌ » .

(٩) في م ط : « : ثُمَّ لَمَّا كَانَ » .

(١٠) جَسِيمًا : ذا مكانة عالية .

(١١) مَكَانًا في م : « : وَكَانَ نَفْعُهُ عَمِيمًا » .

الْمُنْعَمَةُ تَشْرُفُ الْأَعْمَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ النِّعْمَةِ تَكُونُ الْمِثْنَةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَعَمُّ خَلْقِ اللَّهِ تَفْعًا ؟ فَهُمْ أَجَلُ خَلْقِ اللَّهِ قَدْرًا لِأَنَّهُمْ تَعَاوَنُوا إِصْلَاحَ الْخَلْقِ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، كَذَلِكَ سُلْطَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، هُوَ خَلَافَةُ النَّبِيِّ فِي إِصْلَاحِ الْخَلْقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى فِتَاءِ الرَّحْمَنِ ^(١) ، وَإِقَامَةِ دِينِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ^(٢) .

وَلَيْسَ فَوْقَ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَنَزِلَةٌ إِلَّا نَبِيُّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، فَاتَّخِذْ عِظَمَ قَدْرِ السُّلْطَانِ [عِنْدَكَ] ^(٣) حُجَّةً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِكَ ، وَنَاصِيحَةً ^(٤) عَلَى قَدْرِ مَا تَقَعُكَ . وَلَيْسَ نَفْعُهُ مَقْصُورًا عَلَى عِمَالَةٍ ^(٥) مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا يَخْبُوكَ بِهَا ^(٦) ، وَلَكِنْ صِيَانَةُ جُمُوعِكَ وَحِفْظُ ^(٧) حَرِيمِكَ ، وَحِرَاسَةُ مَالِكَ عَنِ الْبَغَاةِ ، أَعَمُّ نَفْعًا لَكَ إِنْ عَقَلْتَ ^(٨) . وَلَيْسَ لِلَّهِ [فِي الْأَرْضِ] ^(٩) سُلْطَانٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ شَرَائِطَ الْعَدْلِ وَمَوَالِيْقَ الْإِنصَافِ ، وَشَرَائِعَ الْإِحْسَانِ .

وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ رُتْبَةٌ ، كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الشَّرِيرِ الْجَائِرِ ^(١٠) رُتْبَةٌ لِشَرِيرٍ ، لِأَنَّ شَرَّهُ يَعْصِمُ ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ الْأَوَّلِ يَعْصِمُ ، وَكَمَا أَنَّ بِالسُّلْطَانِ الْعَادِلِ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُنَالُ الرِّقَقَى ^(١١) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْفَوْزُ بِجَنَّةِ

(١) فِتَاءِ الرَّحْمَنِ : سَاحَةِ وَرَحَابِهِ - جَلُّ وَعَلَا .

(٢) تَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ : إِزَالَةَ أَسْوَأِ أَجْزَائِهِمْ ، وَإِصْلَاحَ خَالِمِهِمْ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٤) أَيْ : قَدَّمَ لَهُ النَّصِيحَةَ .

(٥) الْعِمَالَةُ : مَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الشُّيُءِ .

(٦) يَخْبُوكَ بِهَا : يَحْتَصِلُكُ بِهَا .

(٧) فِي « ط » : « وَصِيَانَةُ حَرِيمِكَ » .. وَيُرِيدُ بِصِيَانَةِ جُمُوعِكَ : يَحْفَظُ نَفْسَكَ وَحِمَايَا .

(٨) إِنْ عَقَلْتَ : إِنْ أَتَرَكْتَ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا .. وَفِي « م » : « إِنْ قَدَّرْتَ » .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(١٠) فِي « م » : « الشَّرِيرُ الْجَائِرُ » .

(١١) الرِّقَقَى : الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ .

النَّامُوسُ ، كَذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ الْجَائِرِ تَفْسُدُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُقْتَرَفُ الْمَعَاصِي وَالْآثَامُ ، وَتُورَثُ دَارُ الْبَوَارِ ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ ، فَأَقَامُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَزِمُوا قَوَائِنَ الْعَدْلِ ، فَمَاتَ الْبَاطِلُ ، وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْجَوْرِ ، وَانْتَعَشَتْ قَوَائِنُ الْحَقِّ ، فَأَرْسَلَتِ السَّمَاءُ غَيْثَهَا ^(٢) ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا ، وَنَمَتْ بَجَارِئُهُمْ ، وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ ^(٣) ، وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ ، وَدَثُرَتْ أَرْزَاقُهُمْ ^(٤) ، وَرَخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ ، وَامْتَلَأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ ، فَوَاسَى الْبَخِيلُ ^(٥) ، وَأَفْضَلَ الْكَرِيمُ ^(٦) ، وَقُضِيَتِ الْحُقُوقُ ، وَأُعِيرَتِ الْمَوَاعِينُ ، وَتَهَادَوْا فَضُولَ الْأَطْعِمَةِ وَالتَّحِفِ ، فَهَانَ الْحُطَامُ لِكَثْرَتِهِ ^(٧) ، وَذَلَّ بَعْدَ عِزَّتِهِ ، فَتَمَاسَكَتْ عَلَى النَّاسِ مُرُوءَاتُهُمْ ، وَانْحَفَظَتْ عَلَيْهِمْ أَذْيَانُهُمْ .

وَبِهَذَا يَبَيِّنُ ^(٨) لَكَ أَنَّ الْوَالِيَّ مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ ، وَمَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ ^(٩) النَّاسُ بِسَبَبِهِ ، وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ انْتَشَرَ الْجَوْرُ فِي الْبِلَادِ ، وَعَمَّ الْعِبَادَ ، فَزَكَتْ أَذْيَانُهُمْ ^(١٠) ، وَاضْمَحَلَّتْ مُرُوءَاتُهُمْ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي ، وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ ، فَضَعُفَتِ النُّفُوسُ ^(١١) ، وَقَطَطَتِ الْقُلُوبُ ^(١٢) ،] فَمَنَعُوا الْحُقُوقَ ، وَتَعَاطَوْا

(١) دار البوار : دار الهلاك (جهنم) .

(٢) الغيث : المطر .. وفي م م : « غيائها » أى : ما أغيث به .

(٣) زَكَتْ زُرُوعُهُمْ : نُمَتْ وزادَتْ .

(٤) دَثُرَتْ أَرْزَاقُهُمْ : كَثُرَتْ وزاد خيرها .

(٥) وَاسَى الْبَخِيلُ : أَغْطَى مِنْ مَالِهِ .

(٦) أَفْضَلَ الْكَرِيمُ : زَادَ فِي إِحْسَانِهِ .

(٧) الْحُطَامُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا .

(٨) فِي م ط : « يَبَيِّنُ » .

(٩) مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ : سَيَالُ جَزَاءِ مَا تَاتَلُوهُ وَقَامَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ رَبِّهِ .

(١٠) زَكَتْ أَذْيَانُهُمْ : ضَعُفَتْ عَقَائِدُهُمْ .. اضْمَحَلَّتْ : تَلَاشَتْ .

(١١) مَكَذَا فِي م ط .. وَفِي م م : « وَذَهَبَتْ أَذْيَانُهُمْ ، وَضَعُفَتِ النُّفُوسُ » أى : ضَعُفَتْ وَذَلَّتْ .

(١٢) قَطَطَتِ الْقُلُوبُ : يَحْسَبُ أَشَدَّ الْيَأْسِ .

البَاطِلَ] ^(١) ، وَبَحَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ ، ^(٢) فَرَفَعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَةَ ،
وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غَيْكَهَا ^(٣) ، وَلَمْ تُخْرِجِ الْأَرْضُ رَيْعَهَا ^(٤) وَبَنَاتُهَا ، فَقُلَّ فِي أَيْدِيهِمْ
الْحُطَامُ ، فَقَنَطُوا ، وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ ، وَتَنَاحَرُوا ^(٥) عَلَى الْمَفْقُودِ ، فَمَنَعُوا
الرِّكَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ ، وَبَخِلُوا بِالْمُؤَاسَاةِ الْمَسْتَوْبَى ، وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ ،
وَتَنَازَعُوا الْبِقْدَارَ اللَّطِيفَ ، وَتَجَاحَدُوا الْقَدَرَ الْحَسِيسَ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْإِيمَانُ الْكَاذِبَةُ ،
وَالْحَقْلُ فِي النِّبْعِ ^(٦) ، وَالْخِدَاعُ فِي الْمُعَامَلَةِ ، وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْتِضَاءِ ،
وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ السَّرِقَةِ إِلَّا الْعَارُ ، وَمِنَ الرَّيِّ إِلَّا الْحَيَاءُ ، فَيُظَلُّ أَحَدُهُمْ غَايِبًا مِنْ ^(٧)
مَحَاسِنِ دِينِهِ ، وَمُتَجَرِّدًا عَنْ جَلَابِ مَرْوِيَّتِهِ ، وَأَكْثَرُ هَمِّهِ قَوْتُ دُنْيَاهُ ، وَأَعْظَمُ مَسْرَاتِهِ
أَكْلُهُ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ ^(٨) . وَمَنْ عَاشَ كَذَلِكَ قَبَطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا ^(٩) .

قَالَ ^(١٠) وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : إِذَا هَمَّ الْوَالِي بِالْجَوْرِ ^(١١) ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ النَّفْصَ
فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ : فِي الْأَسْوَأِ ، وَالزَّرْعِ ، وَالضَّرْعِ ^(١٢) ، وَكُلَّ شَيْءٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِالْخَيْرِ
وَالْعَدْلِ ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ الْبَرَكَةَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ كَذَلِكَ .

(١) ما بين الموقوفين عن ط و ط و ساقط من م م .

(٢) بحسوا المكيال : نقصوه وغابوه .. وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ : قِيلُوا وَلَمْ يَرَوْهُ . وَالْبَهْرَجُ : الباطل .. وفي م م :
« وَرَوَّجُوا الْبَهْرَجَ » ، أى : زُفُّوا الباطل وجملوه بروج .

(٣) في م م : « ضَاهَا .

(٤) الرِّيعُ : الزيادة والجماع .

(٥) تَنَاحَرُوا : تَنَاحَرُوا وَتَنَاحَرُوا .. وبالأزى المعجمة : تَنَافَعُوا وَتَنَافَعُوا .. وفي ط و ط : « تَنَاحَرُوا عَنِ الْمَفْقُودِ .

(٦) الْحَقْلُ : الحديقة . وفي م م : « الْجَيْلُ » . وهى بمنحها .

(٧) في ط و ط : « غَايِبًا عَنْ » .

(٨) هكذا في م م .. وفي ط و ط : « أَعْظَمُ مَسْرَاتِهِ هَذَا الْحُطَامُ » .

(٩) في ط و ط : « ظَاهِرَهَا .

(١٠) في م م : « وَقَالَ .

(١١) في م م : « بِالظُّلْمِ » .. والجور والظلم بمعنى واحد .

(١٢) أصل الضَّرْعُ : مَدْرُ الْبَلْبِ ، لكل ذاتٍ ظَلِيفٍ أَوْ تُخَفِّفُ .. والمراد به هنا : الماشية . وفي م م : « وَالزَّرْعُ
وَالضَّرْعُ » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : تَهْلِكُ الْعَامَّةُ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا تَهْلِكُ الْخَاصَّةُ بِعَمَلِ الْعَامَّةِ ، وَالْخَاصَّةُ هُمُ الْوُلَاةُ ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١) : ﴿ وَالْقَوَا قِصَّةٌ لِّأَشْعِصِنَّ الْإِدِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٢) .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ ^(٣) : إِنَّ الرُّعْيَةَ لَتَفْسَدُ بِفَسَادِ الْوَالِي وَتَصْلَحُ بِصَلَاحِهِ ^(٤) .
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ رَجُلًا إِنْ صَلَحَ صَلَحَتِ الْأُمَّةُ .
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنْ مَلَكَ مِنَ الْمُلُوكِ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مَمْلَكَتِهِ مُسْتَخْفِيًا ^(٥) ، فَتَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ لَهُ بَقَرَةٌ ، فَرَاخَتْ الْبَقَرَةُ ^(٦) ، فَحَلَبَتْ لَهُ قَدْرَ حِلَابٍ ^(٧) ثَلَاثِينَ بَقَرَةً ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ ، وَحَدَّثَ ^(٨) نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا ، فَلَمَّا رَاحَتْ ^(٩) مِنَ الْعِدِّ حَلَبَتْ عَلَى النُّصَيْفِ مِمَّا حَلَبَتْ بِالْأَمْسِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا هَالِكُ حِلَابِهَا فَقَصَّ ؟ أَرَعَتْ فِي غَيْرِ مَرْعَاهَا بِالْأَمْسِ ^(١٠) ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَظُنُّ مَلَكَتْنَا هَمْ ^(١١) بِأَخْذِهَا فَقَصَّ لَبْنُهَا ، فَإِنَّ

(١) في م : : تعالى .

(٢) سورة الأنفال - من الآية ٢٥ .

(٣) هو الوليد بن هشام بن معاوية بن عقبة المُنْعَطِي ، مُحَدِّث ثِقَةٌ ، وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ ، وَالْعَجَلِي ، وَالْأَوْزَاعِي ، وَابْنُ حِبَّانٍ . رَوَى عَنْ مَعْدَانَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَوْزَاعِي .. وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ الْفُرَّاةِ ، قَدَّ الصُّوَالِفَ أَيَّامَ الْوَلِيدِ .. وَوَلَّى أَبَوَاهُ الطَّائِفَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١١٥ ، والبداءة والنهاية ج ٩ ص ١٠٠ ، والكمال في التاريخ ج ٤ ص ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٣١٦] .

(٤) في م : : لتصلح بصلاح الولي ، وتفسد بفساده .

(٥) مكنتها في م ط .. وفي م : : مُسْتَخْفِي بِمَكَانِهِ .. والصواب : مُسْتَخْفِيًا بالنصب على الحال .

(٦) راخت البقرة : أوثت بعد الغروب إلى مُزَاجِهَا ، أَيْ : مَاوَاهَا .

(٧) الْحِلَابُ : اللَّبَنُ (تسمية بالمصدر) .

(٨) في م : : وَهَمَّتْ نَفْسُهُ .

(٩) في م ط : : رَاحَتْ عَلَيْهِ .

(١٠) بِالْأَمْسِ ، عَنْ م ط ، وَسَقَطَتْ مِنْ م .

(١١) في م : : أَنَّ مَلَكَتْنَا .

الْمَلِكُ إِذَا ظَنَّمْ ، أَوْ هَمَّ بِالظُّلْمِ دَهَبَتِ الْبَرَكَةُ . فَعَاهَدَ الْمَلِكُ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — فِي نَفْسِهِ أَنْ لَا يَأْخُذَهَا ، فَرَأَتْ مِنَ الْعِدِّ فَحَلَّتْ جِلَابَ ثَلَاثِينَ بَقْرَةً ، فَتَابَ الْمَلِكُ وَعَاهَدَ رَبَّهُ لِأَعْدِلَنْ مَا يَبْقَى .

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي أَرْضِ الْمَغْرِبِ أَنَّ السُّلْطَانَ بَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً لَهَا حَبِيقَةٌ فِيهَا الْقَصَبُ الْحُلُو ، وَإِنَّ قَصَبَةً مِنْهَا تَعَصِرُ قَدَحًا ، فَعَزَمَ عَلَى اخْتِذَاهَا مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَاهَا وَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، ثُمَّ أَتَاهَا عَصَرَتْ قَصَبَةً فَلَمْ تَبْلُغْ نِصْفَ قَدَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ الْبَدَى كَانَ يُقَالُ ؟ فَقَالَتْ ^(١) : هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السُّلْطَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَى اخْتِذَاهَا مِنِّي فَأَرْتَمَعَتْ بِرُكَّتَيْهَا . فَتَابَ السُّلْطَانُ وَأَخْلَصَ اللَّهُ نِيَّتَهُ أَنْ ^(٢) لَا يَأْخُذَهَا أَبَدًا ، ثُمَّ أَمَرَهَا ^(٣) فَعَصَرَتْ ، فَجَاءَ مِلءُ الْقَدَحِ .

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنْ كَانِ يَرَوِي الْأَخْبَارَ بِحَصْرٍ ، قَالَ : كَانَ بِصَعِيدِ بَصْرَ نَخْلَةٌ تُحْمِلُ عَشْرَةَ أَرَادِبٍ ثَمَرًا ^(٤) ، وَلَمْ يَكُنْ ^(٥) فِي الزَّمَانِ نَخْلَةٌ تُحْمِلُ نِصْفَ ذَلِكَ ، فَعَصَبَهَا السُّلْطَانُ ، فَلَمْ تُحْمِلْ فِي ذَلِكَ الْعَامِ شَيْئًا ، وَلَا ثَمَرَةً وَاحِدَةً . قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ لِي شَيْخٌ مِنْ أَشْيَاحِ الصَّعِيدِ : أَعْرِفْ هَذِهِ النَّخْلَةَ فِي الْغُرْبَةِ ^(٦) تُجْنِي عَشْرَةَ أَرَادِبٍ — سِتِينَ وَبَيْتَةً ^(٧) — وَكَانَ صَاحِبُهَا يَبِيعُهَا فِي سِنِينَ الْعَلَاءِ ، كُلَّ وَبَيْتَةٍ بِدِينَارٍ . قَالَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٨) : وَشَهِدْتُ أَنَا بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَالصَّيْدِ فِي

(١) فِي « م » : « قَالَتْ » .

(٢) فِي « م » : « فِي أَنْ لَا » .

(٣) مِثْلًا فِي « ط » .. وَسَقَطَ « ثُمَّ أَمَرَهَا » مِنْ « م » .

(٤) مِثْلًا — بِالنَّصْبِ — فِي « ط » .. وَفِي « م » : « عَشْرَةَ أَرَادِبٍ ثَمَرٍ » بِالْجَمْعِ .. وَكَلَامًا صَوَابٌ ، فَضِيزُ الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ وَالْمَسَاحَةِ يَجُوزُ فِيهِ النَّصْبُ ، وَالْجَمْعُ بِالْإِضَافَةِ ، أَوْ بَيْنَ .

(٥) فِي « م » : « لَمْ يَكُنْ فِي الزَّمَانِ مِثْلَهُ » .

(٦) لَقَدْ يَرِيدُ « الْغُرْبَةِ » الَّتِي تَكُونُ فِي هَذَا الْاسْمِ فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا هَذَا الْاسْمَ لَوُقُوعِهَا غَرْبَ فِرْعَ النَّبْلِ الشَّرْقِ .

[انظر القاموس الجغرافي للبلاد المصرية لعماد محمد رمزي — القسم الثاني ج ٢ ص ٨] .

(٧) الْوَيْتَةُ : كَيْفَتَانِ . وَالْأَرَادِبُ : سِتٌّ وَبَيَاتٌ .

(٨) فِي « ط » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

الْخَلِيجَ مُطْلَقًا لِلرَّعِيَّةِ ، وَالسَّمَكُ فِيهِ يَعْلَى الْمَاءَ بِهِ كَثْرَةً ، وَيَصِيدُهُ ^(١) الْأَطْفَالُ بِالْخَرْقِ ^(٢) ، ثُمَّ حَجَرَهُ الْوَالِي وَمَعَ النَّاسَ مِنْ صَيْدِهِ ، فَذَهَبَ السَّمَكُ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يُرَى فِيهِ إِلَّا الْوَاحِدَةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَهَكَذَا تَتَعَدَّى سَرَائِرُ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمُهُمْ وَمَكْنُونُ ^(٣) ضَمَائِرِهِمْ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ^(٤) .

وَرَوَى أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ فِي كُتُبِهِمْ ، قَالُوا : كَانَ النَّاسُ إِذَا أَصْبَحُوا فِي زَمَانِ الْحِجَاجِ فَلَاقُوا ^(٥) ، يَتَسَاءَلُونَ : مَنْ قُتِلَ الْبَارِحَةَ ؟ وَمَنْ صُلِبَ ؟ وَمَنْ جُلِدَ ؟ وَمَنْ قُطِعَ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .. وَكَانَ الْوَلِيدُ ^(٦) صَاحِبَ ضِيَاعٍ وَالْخَازِئِ مَصَانِعَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ فِي زَمَانِهِ عَنِ الْبَنِيَانِ وَالْمَصَانِعِ [وَالضِّيَاعِ] ^(٧) ، وَشَقَّ الْأَنْهَارَ ، وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ .. وَلَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٨) - وَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ - كَانَ ^(٩) النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْأَطْعِمَةِ الدَّقِيقَةِ ^(١٠) ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي الْأَنْكِحَةِ وَالسَّرَايِ ، وَيَعْمُرُونَ مَجَالِسَهُمْ بِذِكْرِ ذَلِكَ .. وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١١) كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ : كَمْ

(١) في « م » : « وتصيده » .

(٢) الْخَرْقُ : جَمْعُ خَرْقَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُشْرَقَةِ .

(٣) السَّرَائِرُ : جَمْعُ سَرِيرَةٍ ، وَهِيَ مَا يُكْتُمُ وَيُسَرُّ .. وَالْعَزَائِمُ : جَمْعُ عَزِيمَةٍ ، وَهِيَ مَا يُعَزَّمُ عَلَيْهِ ، وَيُرَادُ يُفْعَلُ .. وَالْمَكْنُونُ : الْمُسْتَوْر .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَلِي « م » : « إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » وَكِلَاهُمَا لَهُ وَجْهٌ فِي اللُّغَةِ .

(٥) فِي « ط » : « يَتَلَاوَنَ » . وَالْحِجَاجُ هُوَ : الْحِجَاجُ بْنُ يُوْسُفَ التَّقْفِي . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٦) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٨) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٩) فِي « ط » : « فَكَانَ » .

(١٠) فِي « م » : « الرِّقِيقَةُ » .

(١١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

تُحَفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَكَمْ وَرْدُكَ ^(١) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ؟ وَكَمْ يَحْفَظُ فُلَانٌ ؟ وَمَتَى يَحْتِمُ ؟
 وَكَمْ يَصُومُ ^(٢) مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

(١) الْوَرْدُ : النَّصِيبُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الدُّخْرُ .

(٢) فِي ف ط ه : تَصُومُ .

البَابُ السَّادِسُ
فِي أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَعْبُودٌ
غَيْرُ غَائِبٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَاجِحٍ

اعْلَمْ أَنَّ ^(١) السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ ، وَبَلِيَّتُهُ عَامَّةٌ ، وَقَدْ يَطْرُقُهُ ^(٢) مِنَ الْآفَاتِ وَيَحْتَوِشُهُ ^(٣) مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِلِكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مِمَّا حَمَلَهُ ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ ، لَا يَهْدَأُ ^(٥) فِكْرُهُ ، وَلَا تَسْكُنُ حَوَاطِرُهُ ، وَلَا يَصْنِفُو قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لُبُّهُ ، الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِمْ . وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا وَهُوَ يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ . وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَذْيِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَإِيَالَةِ ضَيْعَتِهِ ^(٦) ، وَتَقْدِيرِ مَعِيشَتِهِ ، وَهُوَ مَذْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ ^(٧) جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكُلُّمَا رَتَّقَ قَتْفًا مِنْ حَوَاشِي مَمْلَكَتِهِ انْفَتَقَ ^(٨) آخَرُ ، وَكُلُّمَا رَمَّ مِنْهَا شَعًا ^(٩) رَثَّ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « اعلما - أرشدكم الله - أن » .

(٢) بطرقه : يطرق عليه ويأتيه .. وفي « م » : « طرَّقه » .

(٣) يَحْتَوِشُهُ : يحيط به .. وفي « م » : « واحتوشته » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « ط » : لا يهدأ .

(٦) إِيَالَةُ ضَيْعَتِهِ (بالياء) : حكمها وتدير أمورها .. وفي « ط » : « إيالة - بالنون - أي : ما يصيب منها » .

(٧) في « م » : بسياسة .

(٨) رَتَّقَ قَتْفًا : سَدَّ وَأَصْلَحَهُ .. الحَوَاشِي : الجوانب والأطراف . انْفَتَقَ : انشق وانفصل .

(٩) في « م » : « رَمَّ شَعًا » . وَالشَّعْتُ : ما تفرق من الأمور .. وَرَمَّ : أصلح .. وَرَثَ : فسد .

آخِرُ ، وَكُلَّمَا قَمَعَ غَدَاؤُا أُرْسِدَ لَهُ أُعْدَاءُ ^(١) ، إِلَى سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ ^(٢) ، وَنَصِيبِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ ، وَبَعَثِ الْجُيُوشِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَاسْتِجْبَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَدَفْعِ الْمَطَالِمِ ، ثُمَّ مِنْ الْعَجَبِ الْعَجَابِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا وَاحِدَةً ، وَأَنَّهُ يَرَزُّ ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا قُوَّتَهَا كَمَا يَرَزُّ ^(٤) آخَاذَ الرِّعَايَا ، ثُمَّ يُسْأَلُ ^(٥) غَدَا عَنْ جَمِيعِهِمْ وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ ، فَيَا لِلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ رَضِيَ أَنْ يُقَالَ [مِنَ الدُّنْيَا] رَغِيْفًا وَيُحَاسَبُ ^(٦) عَلَى آلَافِ آلَافٍ رَغِيْفًا ^(٧) ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ وَيُحَاسَبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مَعْنَى ^(٨) ، وَتَمْتَعُ ^(٩) بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَيُحَاسَبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْفُسِ .. وَعَلَى هَذَا التَّمَطُّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، يَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ ، وَيَبِيعُ أَسْرَارَهُمْ ^(١٠) ، وَيُجَاهِدُ غَدُوَّهُمْ ، وَيَسُدُّ ثُغُورَهُمْ ، وَيُدْفِعُ مُقَاوِمَهُمْ وَمُنَاصِبَهُمْ ^(١١) وَيَعْصِي رَأْيَهُ فِيهِمْ ، وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ ، وَيَرْكَبُ نَهْيَهُ ^(١٢) مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَيَقْتَحِمُ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ ^(١٣) عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِمْ ، ثُمَّ تَجِدُهُمْ لَهُ قَالِينَ ^(١٤) ، وَعَنْهُ غَيْرَ رَاضِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ

(١) أى : ظهر له أعداء يربقونه .

(٢) فى ط : : خصوماته .

(٣) فى م : : ولما يَرَزُّ .. أى : يصيب وينال .

(٤) فى م : : وظلما يَرَزُّ .

(٥) هكذا فى ط .. وهنا فى م : : فلم يُسأل وجمع بنفس واحدة ، ويحاسب على آلاف آلاف من جنسه . وسأق .

(٦) ما بين المعنويين من م : : .. وفى ط : : : ويحاسب منها .

(٧) رَغِيْفٌ : من ط : : وسقطت من م : .

(٨) فى م : : : آلاف آلاف من الأنفس : سهر من الناسخ .. وسأق بعد ذلك .. والبعى : المصير ، واحد المضمران ، وجمعه : أسماء .

(٩) فى ط : : ويستمتع .

(١٠) يَبِيعُ أَسْرَارَهُمْ : يتشمسها ويبحث عنها .. ويُبِيعُ أَسْرَارَهُمْ : يضم بهاء المضارعة (من أراح) : يَرُدُّهَا عليهم .

(١١) فى ط : : : لا يَدْفِعُ مُقَاوِمَهُمْ : أى : ثنائقَهُمْ .. يريد : مَنْ يَمُادِيهِمْ .. ومقاويمي : مُقَالِيهِمْ فى القوة .. وَمُنَاصِبُهُمْ : مَنْ يُظَاهِرُهُمُ التَّمَلُّؤُةَ وَيَقِيمُهَا .

(١٢) يَرْكَبُ نَهْيَهُ : يفعل ويقترف ما نهى الله عنه .

(١٣) يَقْتَحِمُ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ : يُلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ رَوْبٍ .. والجرائم : الأُصُولُ .

(١٤) قَالِينَ : مُبِطِّضِينَ .

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ لَمْ يَرْضَ عَاقِلٌ بِهِذِهِ مَنْزِلَةً ^(١) ، وَلَا اخْتَارَهَا لَيْسَبَ مَرْتَبَةً ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أُخْكِمَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فِي كَلِمَةٍ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ وَلَا تَمُرَّيْ ؟ لَكُمْ صَفُو أَمْرِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ كَذْرُهُ » .

وَيَمَثُلُ السُّلْطَانُ مَعَ الرُّعِيَّةِ كَالطَّبَاحِ مَعَ الْأَكْلَةِ : لَهُ الْعَنَاءُ ^(٣) وَلَهُمُ الْهَنَاءُ ، وَلَهُ الْحَارُ وَلَهُمُ الْقَارُ ^(٤) ، طَلَبَ لِقَوْمِهِ الرَّاحَةَ فَحَصَلَ عَلَى التَّعَبِ ، وَطَلَبَ لَهُمُ النِّعِمَ فَأَخْطَأَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ^(٥) ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا ^(٦) : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا قَى الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرًّا » .

وَكَانَ بَعْضُ سَلَاطِينِ الْمَغْرِبِ ^(٧) يَمِيرُ يَوْمًا وَتَيْنَ يَدْيِهِ الْوُزَرَاءُ ^(٨) إِذْ نَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الثُّجَّارِ ، فَقَالَ لِيُونُسَ : « أَكْجِبْ ^(٩) أَنْ أُبْرِكَ ثَلَاثَ طَوَائِفَ : طَائِفَةً لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَطَائِفَةً لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، وَطَائِفَةً دُنْيَا بِلَا آخِرَةٍ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا ^(١٠) الَّذِينَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَهَؤُلَاءِ الثُّجَّارُ ، يَكْسِبُونَ أَقْوَالَهُمْ ، وَيُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَلَا يُؤْذُونَ أَحَدًا . وَأَمَّا الَّذِينَ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، فَهَؤُلَاءِ الشُّرَطُ

(١) في « م » : الْمَنْزِلَةُ .

(٢) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٣) في « م » : « لَهُ الْيُغَاءُ ، بِالْفَيْنِ الْمُجَمَّةِ ، أَيْ : عِلْمُ الْإِحْتِيَاجِ لِلطَّعَامِ الَّذِي يُؤْكَلُ » .

(٤) الْحَارُ : السَّابِغُ ، وَلِلرَّادِ بِهِ هُنَا : الشُّكَّةُ .. وَالْقَارُ : الْبَارِدُ ، وَلِلرَّادِ بِهِ هُنَا : الشَّيْءُ الْهَيِّنُ ... وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ الْبَرِيِّ : « يَلْتَقِي أَنْكَ هَتَّى ، وَلَمْ حَارُّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا » وَمَعْنَاهُ : وَلَمْ شَرُّهَا مَنْ تَوَلَّى خَيْرَهَا ، وَوَلَّ شَيْئَئِهَا مَنْ تَوَلَّى هَيْئَتَهَا . [انظر لسان العرب — مادة : قرر] .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « طَلَبَ الْقَوْمَ الرَّاحَةَ فَحَصَلُوا عَلَى التَّعَبِ ، طَلَبَ الْقَوْمَ الرَّاحَةَ وَالتَّعَبَ فَأَخْطَأُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

(٦) في « م » : قَالَ .

(٧) في « م » : « السَّلَاطِينُ الْمَغْرِبُ » تحريف .

(٨) في « م » : « الْوُزَعَةُ » أَيْ : الْعَسْكَرُ ، أَوْ الْجُنُودُ الَّذِينَ يَكُونُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى الشَّرِّ .

(٩) في « م » : أَثْرَيْد .

(١٠) سقطت « أَمَّا » مِنْ « ط » .

وَالْخِدْمَةُ ^(١) الَّذِينَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَهُمْ دُتْيَا ^(٢) بِلَا آخِرَةٍ ، فَأَنَا وَأَنْتَ وَسَائِرُ السَّلَاطِينِ .

فَحَقُّ عَلَى جَمِيعِ الزَّرَى أَنْ يَمُدُّوا السُّلْطَانَ بِالْمُنَاصَحَاتِ ^(٣) ، وَيُخْصِصُوا بِالذُّعَوَاتِ ، وَيُعِينُوهُ عَلَى سَائِرِ ^(٤) الْمَحَاوَلَاتِ ، وَيَكُونُوا ^(٥) لَهُ أَعْيُنًا نَاطِرَةً وَأَيْدِيًا بَاطِنَةً ، وَجُنَّتَا وَاقِيَةً ^(٦) ، وَالْمِئَنَةُ نَاطِقَةً ، وَقَوَادِمُ تَنْهَضُهُ ، وَقَوَائِمُ تُقْلُهُ ^(٧) . وَهَيْهَاتَ مِنْهُ السَّلَامَةُ ، وَأَنْتَى لَهُ بِالسَّلَامَةِ ^(٨) ؟ وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَاطِينِ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : « اَعْلَمُوا أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْجَنَّةَ لَا يَجْتَمِعَانِ » .

قَالَ شَيْخُنَا — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ ^(٩) لَهُ قَدْرٌ قَالَ : أُرْسِلَ إِلَيَّ السُّلْطَانُ أَنْ طَلَّقَ أَمْرًا لَكَ ، وَكَانَ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَنْعَضِي أَصْحَابِي ، فَأَتَيْتُ ذَلِكَ ، وَرَاجَعْتُ الرُّسْلَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لِي نَاصِحٌ مِنْهُمْ : خُذِ الْأَمْرَ مُقْبِلًا ^(١٠) فَإِنَّهُ لَاحِلَةٌ لَكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَخَافُ فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَارًا ، فَفَارَقْتُهَا .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ فِي جَنْبِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ » ^(١١) .

(١) الشَّرْطُ : حَفَظَةُ الْأَمْنِ وَأَعْوَانُ السُّلْطَانِ (جمع شَرْطَةٍ) .. وَالْخِدْمَةُ : الْجَمْعُ ..

(٢) فِي « م » : الدُّنْيَا .

(٣) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ « فَحَقُّ » إِلَى هُنَا ، عَنْ « ط » ، وَنَاقِطٌ مِنْ « م » .. وَالزَّرَى : الْخَلْقُ .

(٤) فِي « م » : « فِي سَائِرِ » .

(٥) فِي « م » : « وَيَكُونُونَ » . خَطَأً .. وَالصُّرُوبُ حَذْفُ النَّونِ — مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْصُوبٍ .

(٦) جُنَّتَا وَاقِيَةً : اسْتَرَا تَقِي الْإِنْسَانَ وَتَحْمِيهِ ، جَمْعُ « جُنَّة » .. وَفِي « م » : « وَجُنَّتَا » جَمْعُ « جَنْبٍ » ، وَهُوَ الطَّلَاعُ الْمُتَّقَدُّ .

(٧) الْقَوَادِمُ : الرِّيشَاتُ الْكُبَارُ فِي مَقْدَمِ جَنَاحِ الطَّائِرِ تَسَاعِدُهُ عَلَى الطُّوَانِ .. وَالْقَوَائِمُ : الْأَرْجُلُ .. تُقْلُهُ : تَحْمِلُهُ وَتَرْفَعُهُ .

(٨) هِيَئَاتُ : بَعِيدٌ .. وَأَنْتَى : وَمِنْ أَيْنَ ؟

(٩) فِي « م » : شَيْخٌ .

(١٠) مُقْبِلًا : قَاصِدًا إِلَيْهِ وَمُرْجِيًا بِهِ .

(١١) مِنَ الْآيَةِ ٧٨ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ ^(١) الرَّشِيدُ لَقِيَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَمَرِيُّ ^(٢) فِي الطَّوَافِ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا هَارُونُ ! قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمَّ . قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ : لَا يُحْصِيهِمْ
إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ : اَعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِيهِ ، وَأَنْتَ
وَاحِدٌ ^(٣) تُسْأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ . فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا
يُعْطُونَهُ مَنَدِيلًا ^(٤) لِلدَّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ ، إِنْ الرَّجُلَ لَيُسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ
الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟

وَيُقَالُ : إِنْ هَارُونُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّ ^(٥) أَنْ أُحَجَّ كُلَّ سَنَةٍ ^(٦) ،
وَمَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَمَرٍ ^(٧) يُسْمِعُنِي مَا أُكْرَهُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ أَحْمَقُ
مِنَ السُّلْطَانِ ؟ وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ عَصَانِي ؟ وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اِعْتَرَّ ^(٨) بِي ؟ أَيَا رَاعِيَ السُّوءِ
دَفَعْتُ إِلَيْكَ غَنَمًا سِمَانًا صِيحَاخًا ^(٩) فَأَكَلْتُ اللَّحْمَ ، وَشَرِبْتُ اللَّبَنَ ، وَاتَّقَدَمْتُ
بِالسَّمَنِ ^(١٠) ، وَلَيْسَتْ الصُّوفُ ، وَتَرَكْتُهَا عِظَامًا تُفْعِقُ ، وَلَمْ تَأُوِ الضَّالَّةَ ، وَلَمْ تُجَبِّرِ
الْكَبِيرَ ^(١١) .. الْيَوْمَ أَتَقِمُّ لَهَا مِنْكَ .

(١) سقطت « هارون » من « م » .

(٢) من الزُّمَّادِ الصَّالِحِينَ ، وتوفى في عهد هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .

(٣) « واحد » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٤) في « ط » : « منديلًا منديلًا » .

(٥) في « ط » : « أحب » .

(٦) في « م » : « في كل سنة » .

(٧) في « م » : « من ولد «عمر» . تحريف .. والصواب ما أثبتناه .

(٨) في « م » : « وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اِعْتَرَّ بِي ؟ » .

(٩) في « م » : « غَنَمًا صِيحَاخًا سِمَانًا » .

(١٠) اتَّقَدَمْتُ بِالسَّمَنِ : أَكَلْتُ خُبْزَكَ به .

(١١) يُقَالُ : جَبَّرَ الْعَظَمَ الْكَبِيرَ : أَخَذَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ .

البَابُ السَّابِعُ فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ

اعْلَمُوا — أَرْسَلَكُمُ اللَّهُ — أَنَّ فِي وُجُودِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَةً لِلَّهِ تَعَالَى عَظِيمَةً ، وَنِعْمَةً عَلَى الْعِبَادِ جَزِيلَةً ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَبَلَ الْخَلْقَ ^(١) عَلَى حُبِّ الْإِتِّصَافِ ، وَعَدَمِ الْإِنْتِصَافِ ، وَمَثَلُهُمْ بِأَلَا سُلْطَانٍ مَثَلُ الْحَيَّتَانِ ^(٢) فِي الْبَحْرِ ، يَزْدَرِي ^(٣) الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ ، فَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ لَمْ يَسْتَظِمْ لَهُمْ أَمْرٌ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُمْ مَعَاشٌ ، وَلَمْ يَهْتَمُوا ^(٤) بِالْحَيَاةِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : لَوْ رُفِعَ السُّلْطَانُ مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ حَاجَةٍ .

وَمِنَ الْحِكْمِ الَّتِي فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ^(٥) أَنَّهُ مِنْ حِجَجِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٦) عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ ، لِأَنَّهُ كَمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِقَامَةُ أُمُورِ ^(٧) الْعَالَمِ

(١) فِي ١ م : : « الْخَلْقِ » .. وَجَبَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ : خَلَقَهُمْ وَمَثَلَهُمْ .

(٢) فِي ١ م : : « الْحَيَّتَانِ » .

(٣) يَزْدَرِي : يَتْلَعُ .

(٤) فِي ١ م : : « لَمْ يَسْتَظِمْ لَهُمْ أَمْرٌ فِي مَعَاشٍ ، وَلَمْ يَهْتَمُوا » .

(٥) فِي ١ م : : « فِي السُّلْطَانِ » .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُفَوِّضِينَ عَنْ « ط » .

(٧) فِي ١ م : : « أُمُورِ » .

واعتداله بغير مدبر يتفرد بتدبيره ، كذلك لايتوهم وجوده وتربيته ، ومافيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه ، وعالم اتقنه ، وحكيم دبره .

وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم إلهان للعالم ، والعالم بأسره في سلطان الله تعالى ، كالبالد الواحد في يد سلطان الأرض ، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرد ، ولا يصلح الآخر إلا بالمشاركة ^(١) ، وهما : الملك ، والرأي ، فكما ^(٢) لا يستقيم الملك بالشركة ^(٣) لا يستقيم الرأي بالانفراد به .

ومثال السلطان القاهر لرعيته ، والرعية ^(٤) بلا سلطان ، مثال بيت فيه سراج مثير وحوله فقام من الخلق ^(٥) يعالجون صنائعهم ، فيبينما هم كذلك طفيء السراج ، فقبضوا أيديهم ^(٦) للوقت ، وتعطل جميع ما كانوا فيه ، فتحرك الحيوان الشرير ، وحشخش الهام ^(٧) الحسيس ، فذبت العقرب من مكانها ^(٨) ، وسقطت الفأرة ^(٩) من جحرها ، وخرجت الحية من معدنها ^(١٠) ، وجاء اللص بجلبه ، وهاج البرغوث مع حفارته ، فتعطلت المنافع ، واستطارت ^(١١) فيهم المضار . كذلك السلطان ^(١٢) إذا كان قاهرا لرعيته ، كائب المنفعة به عامة ، وكائب الدماء في أهلها محققة ،

(١) هكذا في م .. ولى ط : « لا يصلح أحدهما بالتفرد ، ولا يصلح الآخر بالمشاركة » بسقوط أداة الاستثناء « إلا » في الموضعين ، والسياق يتطلب وجودها .

(٢) في م : « وكما » .

(٣) في م : « بالمشاركة » . تحريف .

(٤) في م : « ورعية » .

(٥) في م : « قيام من الناس » . بتسهيل الهمز . والقيام : الجماعة من الناس .

(٦) قبضوا أيديهم : فأسكروا عن العمل .

(٧) عخشخش : صوت .. والهام : جمع هامة ، وهي طير صغير من طيور الليل .. وفي م : « الهوام » .

(٨) ذبت العقرب من مكانها : خرجت وسارت من المكان الذي تتوارى فيه .

(٩) سقطت الفأرة : خرجت .

(١٠) مغلينا : مكانها وموضعها .

(١١) استطارت : فشت وانتشرت .

(١٢) سقطت كلمة « السلطان » من ط » .

وَالْحَرَمُ ^(١) فِي خُلُوبِهِنَّ مَصُونَةٌ ، وَالْأَسْوَاقُ غَامِرَةٌ ، وَالْأَمْوَالُ مَحْرُوسَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الْفَاضِلُ ظَاهِرًا ، وَالْمَرَافِقُ حَاصِلَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الشَّرِيرُ مِنْ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالذَّغَارَةِ نَحَامِلًا ^(٢) .

وَإِذَا ^(٣) اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ دَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَلَوْ جُعِلَ ظَلَمُ السُّلْطَانِ ^(٤) حَوْلًا فِي كَيْفَةٍ ، [ثُمَّ جُعِلَ فَسَادُ الرِّجِيَّةِ وَمَظَالِمُهُمْ وَمَرْجُهُمْ فِي سَاعَةٍ — إِذَا اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ — فِي كَيْفَةٍ] ^(٥) كَانَ هَرْجٌ سَاعَةٌ أَعْظَمُ ^(٦) وَأَرْجَحُ مِنْ ظَلَمِ السُّلْطَانِ حَوْلًا ، وَكَيْفَ لَا ، وَفِي زَوَالِ السُّلْطَانِ ، أَوْ ضَعْفِ شَوْكِهِ ^(٧) سَوْقُ أَهْلِ الشَّرِّ ، وَتَكْسَبُ الْأَجْنَادُ ، وَنِفَاقُ أَهْلِ الْبَيَارَةِ وَالسُّوقَةِ وَالْمُصَوِّصِ وَالْمَنَاهِيَةِ ^(٨) . وَقَالَ الْفَضِيلُ ^(٩) : جَوْرٌ سِتِّينَ سَنَةً خَيْرٌ مِنْ هَرْجٍ سَاعَةٍ ^(١٠) .

وَلَا يَتِمَّنِي زَوَالُ السُّلْطَانِ إِلَّا جَاهِلٌ مَعْرُورٌ ، أَوْ فَاسِقٌ يَتَمَنَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ ، فَحَقِيقٌ عَلَى كُلِّ رَجِيَّةٍ أَنْ تَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِصْلَاحِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْ تَبْذُلَ لَهُ نَصَحَهُ ، وَتُخَصِّصَهُ بِصَالِحِ دُعَائِهَا ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ ^(١١) صَلَاحَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ^(١٢) ، وَفِي فُسَادِهِ فُسَادُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ : إِذَا ^(١٣) اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أُمُورُ السُّلْطَانِ

(١) فِي د م : « فَالْحَرَمُ » .. وَالْخُلُوبُ : جَمْعُ خَلِيٍّ ، وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يُوَارِي الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْتٍ وَغَوِيٍّ .
(٢) فِي د م : « وَط » ، جَاءَتْ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ : « ظَاهِرًا ، وَحَاصِلَةٌ ، وَغَامِلًا » بِالرَّفْعِ .. وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أُبَيِّنَاهُ .

(٣) فِي د م : « فَإِذَا » .

(٤) فِي د ط : « : النَّاسِ » . وَلَا تَصِحُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ .. وَالْعَرُولُ : السُّتَّةُ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ د م : « وَسَاقَطَ مِنْ د ط » .. وَالْهَرْجُ : الْفِتْنَةُ وَالْاضْطِرَابُ .

(٦) فِي د م : « : أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ وَأَرْجَحُ » .

(٧) شَوْكُهُ : قُوَّتُهُ وَبَأْسُهُ .

(٨) أَهْلُ الْبَيَارَةِ : الَّذِينَ يَسْتَوْنُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِفْسَادِ .. وَالسُّوقَةُ : الرِّجِيَّةُ وَأَوَسَاطُ النَّاسِ .. وَالْمَنَاهِيَةُ : الَّذِينَ يَسْطُونُ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُمْ وَيَأْخُذُونَهُ قَهْرًا وَغَلَبَةً .

(٩) هُوَ : الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(١٠) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي د ط : « : سَنَةً » .

(١١) فِي د م : « : صَلَاحٌ » ، بَدَلُ « صَلَاحَةٍ » ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْبِلَادِ » مِنْ د م .

(١٣) فِي د م : « : إِنْ » .

البَابُ الثَّامِنُ فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ

قَالَ ^(١) حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : مَثَلُ مَضَارِّ السُّلْطَانِ فِي جَنْبِ مَنَافِعِهِ ، مَثَلُ الْعَيْثِ
الَّذِي هُوَ سُقْيَا ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرَكَاتِ السَّمَاءِ ، وَحَيَاةِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ
يَتَأَذَى بِهِ الْمُسَافِرُ ، وَيَتَدَاعَى ^(٣) لَهُ الْبَيْتَانُ ، وَتَكُونُ فِيهِ الصَّوَاعِقُ ، وَيَكْدِرُ سَيُولُهُ
فَتَهْلِكُ ^(٤) النَّاسَ وَالذَّوَابَّ وَالذَّخَائِرَ ، وَيَمُوجُ لَهُ الْبَحْرُ فَتَشْتَدُّ يَلِيلَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ ،
وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخَلْقَ - إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَا ^(٥) ،
وَالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَ ، وَالرِّزْقِ الَّذِي بَسَطَ ^(٦) ، وَالرَّحْمَةَ الَّتِي نَشَرَ - أَنْ يُعْظَمُوا نِعْمَةَ ^(٧)
رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا ^(٨) ، وَيَلْقُوا ذِكْرَ خَوَاصِّ الْأَذْيَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخَلْقِ .

(١) في « م » : « قالت » . وكلاهما صواب .. وهذا الباب ورد في جيمة ابن المقفع التي تشمل على محاسن الآداب ..

[انظر نمار القلوب ص ١٩٩] .

(٢) العيث : المطر .. والسقيا : الاسم من السقي .

(٣) يتداعى : يتصدع .

(٤) في « م » : فهلك .

(٥) في « م » : أحياها .

(٦) في « م » : بسطه .

(٧) في « ط » : رحمة .

(٨) في « م » : « يشكرونها » . خطأ .

وَمِثْلَهُ أَيْضًا مَثَلُ الرِّيحِ الَّتِي تُرْسِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى نَشْرًا ^(١) تَبْنِي يَدَي رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ ، وَيَجْعَلُهَا لِقَاحًا لِلشَّجَرَاتِ ، وَرَوَاحًا لِلْعِبَادِ يَتَسَمَّوْنَ مِنْهَا ^(٢) ، وَيَقْلِبُونَ ^(٣) فِيهَا ، وَتَجْرِي بِهَا مِيَاهُهُمْ ، وَتَقْدُ بِهَا زَيْرَاتُهُمْ ، وَتَسِيرُ بِهَا فِي الْبَحْرِ أَفْلَاكُهُمْ ، وَقَدْ تَضَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي بَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ ، وَتَخْلُصُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَشْكُرُهَا الشَّاكِرُونَ ، وَقَدْ يَتَأَذَى ^(٤) بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يُخْرِجُهَا ^(٥) ذَلِكَ عَنْ مَنَازِلِهَا مِنْ قَوَامِ عِبَادِهِ ^(٦) ، وَكَمَامِ نِعْمَتِهِ .

وَمِثْلَهُ أَيْضًا مِثَالُ ^(٧) الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ ^(٨) جَعَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) حَرَّهُمَا وَبَرْدَهُمَا صِلَاحًا لِلْحَرِثِ وَالنَّسْلِ ، وَنَجَاحًا لِلْحَبِّ ^(١٠) ، وَالثَّمَرِ ، يَجْمَعُهُمَا الْبَرْدُ بِإِذْنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، وَيُخْرِجُهُمَا ^(١١) الْحَرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَتَنْضَجُ ^(١٢) عَلَى اعْتِدَالِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِمَا . وَقَدْ يَكُونُ الْأَذَى فِي حَرِّهِمَا وَبَرْدِهِمَا وَسُمُومِهِمَا وَزَمْهِرِهِمَا ^(١٣) ، وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَسَبَّانِ إِلَّا ^(١٤) إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَقَدْ غَمَرَ صِلَاحُهُمَا أَذْيُهُمَا .

(١) نَشْرًا : طَيِّبَةً .

(٢) لِي : ط : ع : وَيَتَسَمَّوْنَ .

(٣) لِي : ط : ع : يَنْقَلِبُونَ .

(٤) لِي : م : ع : وَيَتَأَذَى .

(٥) لِي : ط : ع : وَلَا يُزِيلُهَا .

(٦) لِي : ط : ع : عِبَادَتِهِ .. وَالْقَوَامِ : الْقُدْرَةُ .

(٧) لِي : م : ع : مَثَلُ .

(٨) لِي : م : ع : الَّذِي لَا تَصِحُّ هُنَا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِّضِينَ عَنْ م : ع : فِي الْمَوْضِعِينَ .

(١٠) لِي : م : ع : لِلْأُتْمَامِ وَالْحَبِّ .

(١١) لِي : م : ع : وَيُخْرِجُهَا .

(١٢) لِي : ط : ع : فَيَنْضَجُ .

(١٣) لِي : م : ع : وَسَمَامُهَا وَزَمْهِرُهَا . تحريف من التامخ .. والسموم : الرِّيحُ الْحَارَّةُ .. والزَمْهِرُ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(١٤) لِي : ط : ع : لَا يَتَسَبَّانِ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ .. وَسَقَطَتْ مِنَ الْعِبَارَةِ أَدَاةُ الْاسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ ^(١) اللَّيْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَبَاسًا ^(٢) وَنَوْمًا وَرَاحَةً وَسُبَاتًا ^(٣) ، وَقَدْ يَسْتَوْحِشُ لَهُ ^(٤) أَخُو الْفَقْرِ ، وَيُسَارِعُ فِيهِ أَهْلُ الدَّعَاةِ وَالْفَسَادِ ، وَاللُّصُوفُ ، وَتَعْدُو فِيهِ السَّبَاحُ ، وَتَنْتَشِرُ ^(٥) فِيهِ الْهَوَامُ ، وَذَوَاتُ الْحِمَةِ ^(٦) وَالسُّمُومُ الْقَاتِلَةُ . ثُمَّ لَا يَتَسَى الْعِبَادُ نِعَمَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٨) صَغِيرُ ضَرَرِهِ بِكَبِيرِ نَفْعِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا بِمِثَالِ ^(٩) النَّهَارِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٠) ضِيَاءً وَنُورًا وَنُشُورًا وَاجْتِسَابًا وَالتَّشَارًّا ، وَقَدْ تُكُونُ ^(١١) فِيهِ الْحُرُوبُ وَالْعَارَاتُ ، وَالتَّعَبُ وَالتَّصَبُّ ، وَالشُّخُوصُ ^(١٢) وَالْحُصُومَاتُ ، فَتَسْتَرِيحُ الْخَلْقُ مِنْهُ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ ^(١٣) الْعِبَادُ نِعْمَةَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(١٤) عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وَهَكَذَا كُلُّ جَسِيمٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَكُونُ ضَرَرُهُ خَاصًّا ، وَنَفْعُهُ عَامًّا ، فَهُوَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَفْعُهُ خَاصًّا فَهُوَ بَلَاءٌ عَامٌّ ، وَلَوْ كَانَتْ نِعَمُ الدُّنْيَا صَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ ، وَمَيَسُورًا مِنْ غَيْرِ مَعْسُورٍ ، لَكَانَتْ الدُّنْيَا ^(١٥) هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا تَعَبُ فِيهَا وَلَا تَصَبُّ .. وَقَدْ قَالَ ^(١٦) الشَّاعِرُ :

لَا تَرْجُ شَيْفًا خَالِصًا نَفْعُهُ فَالْفَيْتُ لَا يَحُلُو مِنَ الْعَيْبِ ^(١٧)

(١) فِي م م : يُقَالُ . (٢) لِبَاسًا ، أَيْ : سَاتَرًا لَكُمْ يُلْتَمِيزُ كَلْبَاسَ .

(٣) سُبَاتًا : سَكَنًا وَرَاحَةً لِأَهْلِيكُمْ . (٤) يَسْتَوْحِشُ لَهُ ، أَيْ : لَا يَأْنِسُ بِهِ .

(٥) فِي م م : يَنْتَشِرُ ، وَكَلَامًا صَوَابٌ .

(٦) ذَوَاتُ الْحِمَةِ : الْحَشَرَاتُ السَّامَّةُ الَّتِي لَا إِيرَةَ تَضْرِبُ بِهَا ، كَالْعَقْرَبِ وَالْحَوْهَا .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ ط . (٨) يَرْزَأُ : يُصِيبُ .

(٩) فِي م م : مِثَلُ . (١٠) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ م م .

(١١) فِي م م : يَكُونُ .

(١٢) التَّصَبُّ : الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ .. وَالشُّخُوصُ : السَّعَى .

(١٣) فِي م م : نَسِيَ . (١٤) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ م م .

(١٥) فِي م م : لَكَانَتْ هِيَ . (١٦) فِي م م : وَقَالَ .

(١٧) فِي رَوَايَةٍ : لَا يَحُلُو مِنَ الْعَيْبِ ، أَيْ : مِنَ الْفَسَادِ ..

وَالْبَيْتُ لِأَيِّ فَحِصِ الشُّبْهِ .

[انظر نمار القلوب للشمالي ص ٦٥٦ وجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص ٦٢٥] .

البَابُ الثَّاسِعُ فِي بَيَانِ مَنَزَلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مَنَزَلَةَ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ بِمَنَزَلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا صَفَتِ الرُّوحُ مِنَ الْكَدْرِ سَرَتْ إِلَى الْجَوَارِحِ سَلِيمَةً ، وَسَرَتْ ^(١) فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْجَسَدِ ، فَأَمِنَ الْجَسَدُ مِنَ الْفَيْزِ ، فَاسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ وَالْحَوَاسُّ ، وَانْتَضَمَ أَمْرُ الْجَسَدِ ، وَإِنْ تَكَدَّرَتِ الرُّوحُ أَوْ فَسَدَ مَزَاجُهَا ، فَيَاوِيحِ الْجَسَدِ ^(٢) ، فَتَسْرِي إِلَى الْحَوَاسِّ وَالْجَوَارِحِ كِدْرَةً ، مُنْحَرِفَةً ^(٣) عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، فَاتَّخَذَ كُلُّ غَضِيٍّ وَحَاسَّةٍ بِقِسْطِهِ مِنَ الْفَسَادِ ، فَمَرَضَتِ الْجَوَارِحُ وَتَعَطَّلَتْ ، فَتَعَطَّلَ نِظَامُ الْجَسَدِ ، وَجَرَّ ^(٤) إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِثَالُ النَّارِ ، وَمِثَالُ الْخَلْقِ مِثَالُ الْخَشَبِ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُعْتَدِلًا لَمْ يَخْتِجْ إِلَى النَّارِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَأَوِّدًا ^(٥) اخْتِجَ إِلَى النَّارِ لِيُقَامَ ^(٦) أَوْدُهُ فَيُعْدَلَ عَوِجُهُ ، فَإِنْ أَفْرَطَتْ ^(٧) النَّارُ احْتَرَقَ الْخَشَبُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ أَوْدُهُ ، وَإِنْ

(١) فِي م م : وَجَرَتْ .

(٢) فِي م م : أَجْزَاءُ الْجَسَدِ .

(٣) هَكَذَا فِي م م .. وَفِي ط : وَهِيَ مُنْحَرِفَةٌ .

(٤) وَجَرَّ إِلَى الْفَسَادِ : أَذَى إِلَيْهِ .. وَفِي م : جَرَى : أَيْ : أَسْرَعَ .

(٥) مُتَأَوِّدًا : مَعُوجًا .. وَالْأَوْدُ : الْإِعْوجُاجُ .

(٦) فِي م م : لِيُقَامَ .

(٧) فِي م م : وَإِنْ أَفْرَطَتْ .

فَصَرَبَ ^(١) النَّارُ لَمْ يَلِنِ الْخَشَبُ لِقَبُولِ الْاِغْتِدَالِ ، فَيَقْفَى مُتَاوِّدًا ، وَإِذَا كَانَتِ النَّارُ مَعْتَدِلَةً اعْتَدَلَ الْخَشَبُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي أَطْوَارِهِ ، إِنْ أَقْرَطَ ^(٢) أَهْلَكَ الْخَلْقَ ، وَإِنْ فَرَطَ لَمْ يَسْتَقِيمُوا ، وَإِنْ اعْتَدَلَ اعْتَدَلُوا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ عَيْنِ خُرَّارَةٍ فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ ^(٣) ، فَإِنْ حَلَا مَشْرِئُهُ وَعَذَبَ طَعْمُهُ وَسَلِمَتْ مِنَ الْكَدْرِ وَالْفَسَادِ أَوْصَافُهُ ، اخْتَلَجَ ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَاجْتَلَعَتْهُ صَافِيًا صِرْفًا ، ثُمَّ شَرِئَتْهُ عُرُوقُ الْأَشْجَارِ فَاعْتَدَتْ بِهِ كَذَلِكَ ، فَغُلْظَتْ سُوقُهَا ، وَفَرَعَتْ أَغْصَانُهَا ، وَامْتَدَّتْ أَفْئَانُهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ أَوْزَاقَهَا ، وَأَبْرَزَتْ أَزْهَارَهَا ، ثُمَّ قَذَفَتْ بِمَارِهَا فَجَاءَتْ عَلَى أَثَمٍ طَبِيعَتِهَا كَثِيرًا وَلَطْعَمًا ، وَلَوْنًا وَرَائِحَةً ، فَتَقَوَّتْ ^(٦) بِهَا الْعِبَادُ ، وَأَكَلَتْ حُطُوطُهَا ^(٧) الْبَهَائِمُ وَالْحَشَرَاتُ ، وَسَقَطَ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَأَحْرَزَ كُلٌّ مِنْهَا قُوَّتَهُ ^(٨) ، وَاسْتَقَامَ النُّظَامُ ، وَإِنْ كَانَ فِي حَوَاشِي الْأَرْضِ مَا يَهْدُقُ ^(٩) عَنِ الْإِتْبَاتِ وَالنَّفْعِ ، وَيُكْدَى ^(١٠) عَنِ الزُّكَاةِ وَالرَّبِيعِ ، أَوْ كَانَ ^(١١) فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ مَا يَبْرُزُ حَمْلُهُ وَيَقِلُّ نَبْعُهُ ، أُعْطِيَ كُلٌّ ذَلِكَ الْغَايَةَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأُطْلِعَ مَا فِي قُوَّاهُ ، وَلَمْ يُغَادِرْ مُمْكِنًا إِلَّا وَقَا

وَأِنْ كَانَ فِي الْعَيْنِ كَدْرٌ أَوْ فُسَادٌ أَوْ يُلْحَقُ ، شَرِئَتْهَا الْأَشْجَارُ كَذَلِكَ ، فَفَسَدَ مِرْزَاجُهَا ، وَأَضُرَّ النُّجُوزُ الْقَاسِدُ بِالطَّلِبِ ، فَرَقَّتْ سُوقُهَا ، وَضَعُفَتْ أَغْصَانُهَا ، وَتَغَيَّرَتْ أَوْزَاقُهَا ،

(١) فِي « م » : فَصَرَبَ .

(٢) أَقْرَطَ : جَاوَزَ الْحَدَّ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .. وَفَرَطَ : فَصَرَبَ وَفَتَاهَوْنَ .

(٣) عَيْنُ خُرَّارَةٍ : جَارِيَةٍ .. وَأَرْضُ خَوَّارَةٍ : لَيِّنَةٌ سَهْلَةٌ .

(٤) اخْتَلَجَ : تَحَرَّكَ .. وَلِي « م » : « تَخَلَّجَ » .. وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٥) سُوقُهَا : سِقَابُهَا .. فَرَعَتْ : طَالَتْ وَعَلَتْ .. أَفْئَانُهَا : أَغْصَانُهَا .. وَالْفَتْنُ : الْفُضْنُ الْمُسْتَقِيمُ .

(٦) تَقَوَّتْ بِالْشَيْءِ : أَكَلَتْ .

(٧) حُطُوطُهَا : نَصِيبُهَا .

(٨) فِي « م » : « فَأَحْرَزَ مِنْهَا كُلُّ وَاحِدٍ قُوَّتَهُ » .

(٩) يَهْدُقُ : يَصْغُرُ .. وَيُقَالُ : الْإِبِلُ تَرْغَى وَفَى الشَّجَرِ ، أَيْ : مَا دَقَّ مِنْهُ وَخَسَّ .

(١٠) يُكْدَى : يَقْلُ عَصَاهُ ، وَيَقْطَعُ عَطَاةً .

(١١) فِي « م » : « لَوْ كَانَ فِيهِ » .

وَقُلْتُ أَزْهَارُهَا وَثِمَارُهَا ، وَدَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَجَاءَتِ الثَّمَرَةُ وَهِيَ تَزُرُّ قَدْرُهَا ^(١) ، رَدِيءٌ طَعْمُهَا ، كَاسِفٌ لَوْنُهَا ^(٢) ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ النِّقْصِ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ بِمِثْلِ مَا دَخَلَ [مِنَ الْمَنَافِعِ] ^(٣) عَلَيْهِمْ فِي الْأَوَّلَى ، وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ ^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْحَشَرَائِ لَتَمُوتُ فِي أَجْحَرَتِهَا ^(٥) هَرَالاً بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » يَعْنِي : إِذَا كَثُرَتِ الْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ ، حَبَسَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا ، وَمَنَعَتِ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا ، فَهَلَكَ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَائُ وَالنُّوَابُ .

(١) يعنى : صغيرة الحجم .

(٢) كاسف لونها ، أى : ذهب وتغير لونها المعبود .

(٣) ما بين المقوفين عن « م » .

(٤) فى « م » : رسول الله .

(٥) فى « م » : « جحرها » .

البَابُ العَاشِرُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِّ الشَّرْعِ بِهَا فِيهَا نِظَامُ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : اللَّيْنُ وَتَرْكُ لَفْظَاظِهِ ^(١) ، وَالْمُشَاوَرَةُ ، وَإِنْ لَا يُسْتَعْمَلُ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْوَلَايَاتِ رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِيهَا مِنْ انْتِظَامٍ أَمَرَ الْجَمْلَةَ ^(٢) ، وَاسْتِقَامَةَ الْأَمْرِ ، نَصَّ عَلَيْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ .

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ مِنْ أَسَاسِ الْمَمَالِكِ ^(٣) ، وَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُلُوكِ : ائْتَنَانِ نَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَوَاحِدَةً قَالَهَا الرُّسُلُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا الْإِلَهِيَّةُ فَقَالَ ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُلْقَيْنَاكَ مِنْ خَوْلِكَ ، فَأَغْفُ عَنْهُمْ ، وَاصْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(٥) وَفِي الْآيَةِ إِشَارَتَانِ : إِحْدَاهُمَا ^(٦) : أَنَّ الْفَظَاظَةَ تُنْفَرُ الْأَصْحَابَ وَالْجُلَسَاءَ ، وَتُفَرَّقُ الْجُمُوعَ وَالْحَشَمَ ^(٧) ، وَإِنَّمَا الْمَلِكُ مَلِكٌ بِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَشَمِهِ

(١) الْفَظَاظَةُ : الْقِسْوَةُ وَالثَّلْثَةُ .

(٢) فِي د م : انتظام الجملة .

(٣) فِي د م : المملكة .

(٤) فِي د م : فقد قال .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ — مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٦) فِي د م : وإحداهما .

(٧) فِي د م : تنفّر الأصحاب والحشم والجُلَسَاءَ والأولياء ، وتفرق الجموع والخدم .

وَأَتْبَاعِهِ ^(١) ، وَأَخْلَقَ بِخَصْلَةٍ ^(٢) تُثْقِرُ الْأَوْلِيَاءَ ، وَتُطْلِعُ الْأَعْدَاءَ ، فَقَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ رَضُضَهَا ، وَالْأَخِيرَازُ مِنْ سُوءِ مَعْيَتِهَا ^(٣) ، وَلَيْكُنْ ^(٤) كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَخْفِضُ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالُوا : هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَجَبْتُكَ .. دَلَّ الْأَثَرُ عَلَى أَنَّهُ مَا اسْتَأْثَرَ بِشَرَفِ الْمَجْلِسِ ، وَلَا بَايَتَهُمْ ^(٦) بَرِيٌّ ، وَلَا مَقْعِدٌ .

وَقَدْ يَتْلُعُ بِاللَّيْلِ بِمَا لَا يَتْلُعُ بِالْفَلْظَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرِّيحَ تَهْوُونَ ^(٧) أَصْوَاتَهَا فَيَتَدَاخَلُ لَهَا ^(٨) الشَّجَرُ ، وَتَسْتَغْطِفُ الْأَفْئَانُ وَالْأَغْصَانُ ، وَفِي الْفَرْطِ ^(٩) تَنْكَسِيرُ الْأَغْصَانِ ؟ وَالْمَاءُ يَلِينُ فِي أَصُولِ الشَّجَرِ يَتَلَمَّعُهَا مِنْ أَصْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَّةُ مَعَ صَعْوَتِهَا وَسَمُّهَا وَتَغْيِيهَا فِي جُحْرِهَا تَرْقَى بِالْكَلَامِ حَتَّى تُسْتَغْطَفَ فَتَخْرُجَ ، فَالْإِنْسَانُ أُخْرَى أَنْ يُسْتَمَالَ يَلِينُ الْقَوْلُ وَحُسْنُ الْمَنْطِقِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ يُمُيٍّ إِلَيْكَ فَكَافُهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ سُوءٍ قَالَهَا ^(١٠) كَلِمَةً جَمِيلَةً وَحُسْنُ تَنَاءٍ عَلَيْهِ .

(١) في « م » : « واتباعه وحشمه » .

(٢) أخلق بخصلة .. الخ يعني : جدير بهذه الخصلة أن تثقُر الأتباع والأنصار ، وتعلمهم يُعرضون عنه .. ويقال : أخلق به ، وما أخلقه أن يفعل كذا ، أى : ما أجدره وأزلاه .

(٣) قَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ .. الخ .. أى : جدير بكل حاكم أن يتخصَّن من سوء عاقبتها .

(٤) في « ط » : « وَلْيَكُنْ » .

(٥) سورة الشعراء - الآية ٢١٥ .. واخفض جناحك ، أى : ألن جانيك وتواضع .

(٦) دَلَّ الْأَثَرُ ، يعنى : هذا الخبر المروى .. وَلَا بَايَتَهُمْ ، أى : وَلَا خَالَفَهُمْ .. وَفِي « ط » : « وَلَا فَاغَهُمْ » . وهى بمعناها .

(٧) تَهْوُونَ أَصْوَاتَهَا : تصير خفيفة هيئة .. وَفِي « م » : « تَهْوِلُ » بِاللَّامِ ، أى : تصير مخيفة مُفرزة .. وهذه

لا تصح ، والأولى هى المناسبة للمقام .

(٨) في « م » : « بِهَا » بدل « لَهَا » .

(٩) الْفَرْطُ : تَجَاوَزَ الْحَدَّ .. ويعنى به : اشتداد الرياح وتجاوز حدها فى الشدة .

(١٠) في « م » : « بِكُلِّ كَلِمَةٍ قَالَهَا جَمِيلَةً » .

وَالْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، فَإِذَا قِيلَ لَنَا : كَيْفَ يُشَاوِرُهُمْ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ وَإِمَامُهُمْ ، وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ مُشَاوَرَتُهُ ، وَأَنْ لَا يَفْصِلُوا أَمْرًا دُونَهُ ؟ قُلْنَا : هَذَا أَدَبُ أَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ نَبِيُّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) بِهِ ، وَجَعَلَهُ مَأْذُنَةً لِسَائِرِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ ، لِمَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي الْمَشَاوَرَةِ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَتِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنَّ نَفُوسَ الْجُلَسَاءِ وَالنَّصَحَاءِ وَالْوُزَرَءِ تَصْلُحُ عَلَيْهِ ، وَتَجْمَلُ إِلَيْهِ ، وَتُخَضَّعُ عَنَوَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، شِرْعَةً لِتَبِيِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) ، وَلِذِي الْإِمْرَةِ ^(٣) مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٤) ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ فِي غَزْوَةٍ ^(٥) فَأَمَرَهُمْ بِالْتَّزْوِلِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ هَذَا بِأَمْرِكَ فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ كَانَ ^(٦) غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَنْزِلٍ . فَسَمِعَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : ارْتَحِلُوا .

(١) هكذا في م .. وقد كرر الناسخ الجار والمجرور « به » .. وفي ط : « : أدب الله تعالى نبيه عليه السلام » .

(٢) في ط : « عليه السلام .. والشرعة : المذهب والطريق المستقيم .

(٣) في م : « : الأمر ، أى : الحال والشأن . والإمرة : الإمارة .

(٤) ما بين المقوفتين عن ط : « .

(٥) هي غزوة بدر حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل ، فقال له الحباب بن المنذر (وليس سعدًا كما سيأتي) : « يا رسول الله ، أهذا منزل أنزلَكَ اللهُ ليس لنا أن نتقدم منه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .. فقال الحباب : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أذى ماء من القوم ، ثم نبني عليه حَوْضًا فنملؤه ماءً ، فشرب ولا يشربون (يعنى الكفار) . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد أنشرك بالرائى » .. وقبل أيضاً نصيحة سعد بن معاذ في الغزوة نفسها حينما أشار ببناء عريش له ، صلى الله عليه وسلم ، لكي يشرف منه على المعركة ويوجهها .. ففعل الرسول بتصيحته وأثنى عليه .. وفي م : « غزوة تبوك » .. لَعَلَّهُ وَهُمْ مِنَ النَّاسِخِ ، فلم يستشر الرسول (ﷺ) سعدًا في تبوك ، بل استشار عمر بن الخطاب حينما أقام المسلمون مئة عشرين يومًا بها ، ولم يلقوا جموع الروم ، فأشار عمر بالرجوع إلى المدينة ، وعمل الرسول بمشورته .

[انظر غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ص ١٥ ، وص ١٦٥ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها ، وج ٥ ص ٣ وما بعدها ، وصور من حياة الرسول ص ٣٠٨ وما بعدها ، وص ٥٥٦ وما بعدها وغير ذلك من كتب السيرة المشهورة والتاريخ] .

(٦) في م : « يكن .

وَمِنْ أَقْبَحَ مَا يُوصَفُ بِهِ الرِّجَالُ - مُلُوكًا كَانُوا أَوْ سُوقَةً - الِاسْتِنْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَتَرْكُ
الْمُشَاوَرَةِ - وَسَتَعْفِدُ لِلْمُشَاوَرَةِ بَابًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْحَصْلَةُ الثَّالِثَةُ ، مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
اسْتَعْمِلْنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « إِنْ أَلَا لِنَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ
أَرَادَهُ » . وَالسَّرُّ فِيهِ : أَنَّ الْوَلَايَاتِ أَمَانَاتٌ ، وَتَصَرُّفٌ فِي أَرْوَاجِ الْخَلَائِقِ وَأُمُورِهِمْ ،
وَالسَّرْعُ إِلَى الْأَمَانَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا يَخْطُبُهَا مَنْ يُرِيدُ أَكْلِهَا ، وَإِذَا ^(٣) اتَّخَذَ
خَائِنٌ عَلَى مَوْضِعِ الْأَمَانَاتِ كَانَ كَاسْتِزْعَاءِ ^(٤) الذَّنْبِ عَلَى الْعَنَمِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْحَصْلَةِ
تَفَسَّدَتْ قُلُوبُ الرُّعَايَا عَلَى مُلُوكِهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا امْتَضَتْ حُقُوقُهُمْ ، وَأَكَلَتْ أُمُورَهُمْ ،
فَسَدَتْ نِيَّتُهُمْ ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالِدَّعَاءِ وَالشُّكْكِ ، وَذَكَرُوا سَائِرَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَكَانُوا كَالنِّيْتِ السَّائِرِ الَّذِي أُشْدِنَاهُ ^(٥) :

وَرَأَى الشَّيْءَ يَحْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا ذِنَابٌ ^(٦)

فَإِذَا ^(٧) نَحَانَ أَهْلُ الْأَمَانَاتِ ، وَفَسَدَ أَهْلُ الْوَلَايَاتِ ، كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ ^(٨) :
بِالْمِلْحِ يُصْلَحُ مَا يَحْشَى تَغْيِيرَهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغَيْرُ ^(٩) ؟
وَقَالَ آخَرُ :

(١) فِي « م » : « اسْتَعْمِلْنِي عَلَى عَمَلٍ » .

(٢) فِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٣) فِي « م » : « فَلِذَا » .

(٤) فِي « م » : « كَانَ كَمَنْ اسْتَزَعَى » .

(٥) فِي « م » : « أَنْشَدْنَاهُ أَوَّلًا » .. وَقَدْ مَرَّ الْبَيْتُ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ .

(٦) الشُّطْرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، فِي الْبَابِ الثَّالِثِ : « فَكَيْفَ إِذَا الذَّلَالُ لَهَا رِعَاءٌ » .

(٧) فِي « م » : « وَإِذَا » .

(٨) فِي « م » : « كَمَا قِيلَ » .

(٩) الْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

ذَنبٌ تَرَاهُ مُصَلِّياً فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ ^(١)
يَدْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْقَرِيسَةِ مَا تَفْعُ ^(٢)
عَجَلُ بِهَا يَأْذَا الْعَلَا إِنَّ الْفَوَادَ قَدِ انْصَدَعُ ^(٣)

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ التَّصَدَّى لِلْأَمَانَةِ ، وَحُطْبَةُ الْوَلَايَةِ . وَرَوَى ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَكُونَ الرُّكَاةُ مَقْرَماً ، وَالْأَمَانَةُ
مَعْتَمَماً » ^(٦) . فَجَيْتَيْدُ . يَدْعُو عَلَيْهِ الضَّعِيفُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ ، وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ^(٧)
الشَّرِيرُ ، وَيُخَايِرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ ^(٨) ، وَيَقْبَحُ تَنَاوُهُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ ، وَيَتَمَنُّونَ الرَّاحَةَ مِنْهُ ،
وَيَنْظُرُونَ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا ^(٩) سِوَاهُ .

* * *

(١) في م : « غَلَوْتُ بِهِ » بدل « مَرَرْتُ بِهِ » .

(٢) وَجُلُّ دُعَائِهِ : مُعْظَمُ دُعَائِهِ .. وفي م : « دُعَاهُ » .. ولا يستقيم بها الوزن .

(٣) انْصَدَعُ : انْشَقَّ .. وفي م : « انْشَطَعَ » .

(٤) في م : « رَوَى » .

(٥) في ط : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) أخرجه الترمذی فی أبواب الفتن ، عن أبي هريرة ، مُتَّحِزّاً من حديث طويل ، أوَّلُهُ : « إِذَا أَخَذَ الْقَبْرُ
دَوْلًا ، وَالْأَمَانَةُ مَعْتَمَماً ، وَالرُّكَاةُ مَقْرَماً قَلْبُوتَقْبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَرَاءَ وَزَلْزَلَةً وَخَسْفًا ... » .

[انظر صحيح الترمذی ج ٩ ص ٥٩] .

(٧) وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ، أى : يجلس له على الطريق يرقبه (لكى يحميه) .. والمراصد : جمع مرصد ، وهو طريق
الرصد والارتقاب .

(٨) يُخَايِرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ : يستتره ويحميه من الناس .

(٩) لها : للولاية .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَايَاتُ لَهُ دُونَهَا

فَأَوَّلُ الْخِصَالِ وَأَحَقُّهَا بِالرَّعَايَةِ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ قِيَامُ الْمُلْكِ ^(٢) ، وَدَوَامُ الدُّوَلِ ،
وَأَسُّ ^(٣) كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، سَوَاءٌ كَانَتْ تَبَوُّعِيَّةً أَوْ إِصْلَاحِيَّةً .. اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَدْلِ ، ^(٤) ثُمَّ عَلَّمَ سَبْحَاتِهِ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ النَّفْسِ يَصْلُحُ عَلَى الْعَدْلِ ، بَلْ
يُطَلَّبُ الْإِحْسَانُ ، وَهُوَ فَوْقُ الْعَدْلِ ^(٥) فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٦) . فَلَوْ وَسَّعَ الْخَلْقُ الْعَدْلَ مَا قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ^(٧) الْإِحْسَانَ ، فَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ
حَتَّى يَزَادَ عَلَى الْعَدْلِ ، كَيْفَ يَصْلُحُ إِذَا لَمْ يَتْلُغْ بِهِ الْعَدْلُ ؟ .

وَالْعَدْلُ يَمِيزُ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٨) فِي الْأَرْضِ ، الَّذِي بِهِ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ،

(١) في م م : في معرفة .

(٢) قِيَامُ الْمُلْكِ : عِمَادُهُ وَنِظَامُهُ .

(٣) في م م : « وَأَسَاسٌ » .. وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ وَاحِدٌ .

(٤) في م م : « الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ » .

(٥) فوق العدل ، أي : يعلو عليه .. ويعدّها في م م : « قَالَ تَعَالَى » .

(٦) سورة النحل - من الآية ٩٠ .

(٧) في م م : « مَا قَرَنَ بِهِ » .

(٨) ما بين المعقوفين عن م م .

وَلِلْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ ، وَكَيْسَ مُوَضِّعِ الْمِيزَانِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ فَقَطْ ، بَلْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ
أَيْضًا ، فَمَنْ أَرَاكَ مِيزَانَ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْوَالِي ^(١) أَنَّ الْمَلِكَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ ، قَرَأَهُ أَيْتٌ ^(٢) ، وَقَلْبُهُ وَزِيَرُكَ ، وَيَدَا
أَعْوَانِكَ ، وَرِجْلَاهُ رَعِيَّتُكَ ، وَرُوحُهُ عَدْلُكَ ، وَمَا بَقَاءُ جَسَدٍ بِلَا رُوحٍ ، وَإِذَا أَرَذْتَ ذُرْوَةَ
الْعَدْلِ فَأَعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٍ : كَبِيرٌ ، وَصَغِيرٌ ^(٣) ، وَوَسْطٌ .. فَاجْعَلْ كَبِيرَهُمْ
أَبًا ، وَوَسْطَهُمْ أَخًا ، وَصَغِيرَهُمْ ابْنًا ^(٤) ، فَبِرُّ أَبَاكَ ، وَكَرِيمُ أَخَاكَ ، وَارْحَمِ ابْنَكَ ^(٥) ،
فَإِنَّكَ وَاصِلٌ بِذَلِكَ إِلَى بَرِّ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ عَدْلَ ^(٦) الْمَلِكِ يُوجِبُ الْاجْتِمَاعَ عَلَيْهِ ، وَخَوْرَهُ يُوجِبُ الْافْتِرَاقَ عَنْهُ ..
عَدْلُ ^(٧) الْمَلِكِ حَيَاةُ رَعِيَّتِهِ . وَفِي مَثَوِي الْحِكْمِ : سُلْطَانٌ جَائِرٌ أَرْبَعِينَ عَامًا ^(٨) خَيْرٌ مِنْ
رَعِيَّةٍ مُهْمَلَةٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّهَارِ .. إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ ^(٩) فِيمَا قَرَبَ مِنْهُ صَلَاحٌ لَهُ
مَابَعْدَ عَنْهُ .. فَضْلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِعْطَاءِ ، وَشَرَفُهَا فِي الْغَفْوِ ، وَعِزُّهَا فِي الْعَدْلِ .. عِدَّةُ
السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ النُّصَحَاءِ ، وَتَبَاطُؤُهَا بِالْأَعْوَانِ ، وَإِقَامَةُ سُوقِ الْعَدْلِ ..
أَفْضَلُ الْأَرْزَمَةِ أَرْزَمَةُ أُمَّةِ الْعَدْلِ .

(١) في م : : أَيُّهَا الْمَلِكُ .

(٢) مكنا في ط .. وفي م وقع اضطراب في هذه الجملة من الناسخ ، إذ وضع كلمات مكان أخرى ، فلم
يسقم المعنى .

(٣) في م : : صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ .

(٤) في م : : وَلَدًا .

(٥) في م : : وَلَدَكَ .

(٦) في م : : عَنْدَكَ ، بَدَلُ عَدْلٍ ، تَعْرِيفٌ .

(٧) في م : : وَعَدْلٌ .

(٨) في م : : سِتَّةٌ .

(٩) في م : : إِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ .

ثُمَّ الْعَدْلُ يَنْقَسِمُ فِئَتَيْنِ : فَسَمَّ (١) إِلَهِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] (٢) عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي مَا يُشَبِّهُ الْعَدْلَ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ (٣) الَّتِي هَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَنَشَأَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ . وَبَعِيدٌ أَنْ يَقْبَى سُلْطَانٌ ، أَوْ تُسْتَقِيمَ رَعِيَّةٌ فِي حَالِ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ بِلَا عَدْلٍ قَائِمٍ ، وَلَا تَرْتِبٍ لِلْأُمُورِ ثَابِتٍ ، فَذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ وَلَا يُمَكِّنُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٤) سَلَبَ مُلْكُهُ حِينَ جَلَسَ الْخَصَمَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ لِأَحَدِهِمَا خَاصَّةٌ بِسُلَيْمَانَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِخَاصَّتِي (٥) فَأَقْضَى لَهُ ، فَسَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكُهُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّهِ . فَاجْعَلِ الْعَدْلَ رَأْسَ سِيَاسَتِكَ فَتَسْقُطَ عَنْكَ جَمِيعُ الْآفَاتِ الْمُنْهَسِدَةِ لِلْسِّيَاسَةِ ، وَتَقُومَ لَكَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَمْلَكَةُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ (٦) . وَأَسَدٌ خَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلُومٍ (٧) . وَسُلْطَانٌ ظَلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تُلُومٍ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (٨) : إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكَ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا فَعَلَيْهِ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ .. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَحْرَزَانِ الْمُلْكَ . وَاتَّفَقَ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَقَالُوا : الْمُلْكُ بِنَاءٌ ، وَالْجُنْدُ أَسَاسُهُ ، فَإِذَا قَوِيَ الْأَسَاسُ دَامَ الْبِنَاءُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْأَسَاسُ انْهَارَ الْبِنَاءُ .

(١) سقطت « فِئَتَيْنِ » من « م » .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) الإصلاحية : التي تأتي بما هو نافع ، وتزيل الفساد .. وفي « م » : « الاصطلاحية » . وتعني : ما اتفقوا وتعارفوا عليها .. وهرم عليها : كبر وضمف .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « م » : « لصاحبي » .

(٦) مطر وابل : شديد القطر .

(٧) أسد خطوم : عنيف ، يأتي على كل شيء .. وسُلْطَانٌ ظَلُومٌ : جارٍ وجَلَّوَزٌ الحَدُّ فِي الظُّلْمِ .

(٨) هو : الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .. وقد مررت ترجمته .

فَلَا سُلْطَانَ إِلَّا بِجُنْدٍ ، وَلَا جُنْدَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا مَالَ إِلَّا بِجَبَايَةٍ ، وَلَا جَبَايَةَ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، وَلَا عِمَارَةَ إِلَّا بِعَدْلٍ . فَصَارَ الْعَدْلُ أَسَاسًا لِسَائِرِ الْوَلَايَاتِ ^(١) .

فَأَمَّا الْعَدْلُ النَّبَوِيُّ [فَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِيهِ] ^(٢) أَنْ يَجْمَعَ السُّلْطَانُ إِلَى نَفْسِهِ حَمَلَةَ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ حِفَاطُهُ وَرِعَايَتُهُ وَقَضَائُهُ ، وَهُمْ الْأِدْلَاءُ ^(٣) عَلَى اللَّهِ [تَعَالَى] وَالْقَائِمُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَالنَّاصِحُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِإِيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

فَاتَّخَذَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ شِعَارًا ، وَالصَّالِحِينَ دِفْأًا ^(٥) ، فَتَدَوَّرَ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَ نَصَائِحِ الْعُلَمَاءِ ، وَدَعَوَاتِ ^(٦) الصَّالِحَاءِ ، وَأَخِطَ بِمُلْكِهِ يَدَوَّرُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ أَنْ تَقُومَ عُمُدُهُ ^(٧) ، وَيَطُولَ أَمْدُهُ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَرَّبَهُمُ ^(٨) اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَاصْطَفَاهُمْ بِخَالِصِ مَعْرِفَتِهِ ، فَقَالَ ، جُلٌّ مِنْ قَائِلٍ : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ » ^(٩) ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَتَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ ، وَتَلَّتْ بِأُولَى الْعِلْمِ ، وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(١٠) الْمُؤَقَّقُونَ عَنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، لِأَنَّ

(١) هكذا في م .. و في ط : : « الأسس » بدل « الولايات » .

(٢) ما بين المقوقين عن م .. وساقط من ط .. و في ط : : « فأن » مكان « أن » .

(٣) الأدلء : جمع ذليل ، وهو المرثد . وما بين المقوقين - بعدما - عن ط .

(٤) ما بين المقوقين عن م .. في الموضعين .

(٥) الشعار : ما ولي الجسد من الثياب ، وهو كناية عن شدة الالتصاق والقرب .. والذئار : ما يندثر به الإنسان من كساء أو غيره ، ويُنسَفُ فرق الشعار .. وفي حديث الأنصار ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أنتم الشعار والناس الذئار » أي : أنتم الخاصة والبطانة ، تصفهم ، صلى الله عليه وسلم بالموثقة والقرب .

(٦) في م : : « ودقوة » .

(٧) في م : : « تقوم عُمُودُهُ » .

(٨) في م : : « وقد قرَّبَهُمُ » .

(٩) سورة آل عمران - من الآية ١٨ .

(١٠) ما بين المقوقين عن ط .. في الموضعين .

الأنبياء^(١) تَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَقِي تَعْظِيمِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ امْتِنَالٍ لِأَمْرِ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَعْظِيمٍ لِمَنْ أُنْتَى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَيَجِبُ تَرْفِيعُ مَجَالِسِهِمْ ، وَتَمْيِيزُ مَوَاضِعِهِمْ عَمَّنْ سِوَاهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٣) . وَفِيهِ اسْتِمَالَةُ قُلُوبِ الرُّعِيَّةِ ، وَخُلُوصُ نِيَّاتِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ ، وَاجْتِمَاعُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ [وَتَوْقِيرِهِ]^(٤) ، فَوَاجِبٌ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ لَا يَقْطَعَ أَمْرًا دُونَهُمْ ، وَلَا يَنْصِلَ حُكْمًا إِلَّا بِمُشَاوَرَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ فِي مُلْكِ اللَّهِ يَحْكُمُ ، وَفِي شَرِيعَتِهِ يَتَصَرَّفُ ، وَأَقْلُ الْوَاجِبَاتِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْزِلَ نَفْسَهُ مَعَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَلَا يَتَّهَمَهُ ، أَلَيْسَ إِذَا خَالَفَ وَآلِيَهُ أَمْرُهُ وَمَا رَسَمَهُ لَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ عَزَلَهُ وَعَاقَبَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتُهُ ؟ وَإِذَا امْتَكَلَ أَوَامِرَهُ ، وَازْدَجَرَ مِنْ زَوَاجِرِهِ حَلَّ مِنْهُ مَحَلُّ الرِّضَاءِ ؟ فَوَاعَجِبَا لِمَنْ يَغْضَبُ عَلَى وَآلِيهِ إِذَا خَالَفَهُ ، ثُمَّ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ إِذَا خَالَفَهُ !

فَهَذِهِ طَرِيقُ إِقَامَةِ الْعَدْلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالسِّيَاسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِرُجُوعِهِ الْمَصْلَحَةِ ، الْآخِذَةُ لِزِمَةِ التَّذْيِيرِ^(٥) ، السَّالِمَةِ مِنَ الْعُيُوبِ ، الْمُتَمَهِّدَةُ لاسْتِقَامَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ . وَكَمَا أَنَّ الْمَلِكَ الْحَاظِمَ لَا يَتِمُّ حَزْمُهُ إِلَّا بِمُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَخْيَارِ ، كَذَلِكَ لَا يَتِمُّ عُدْلُهُ إِلَّا بِاسْتِفْتَاءِ الْعُلَمَاءِ الْأَثَرَارِ ، وَقَدْ وَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي قِصَّةِ مُتَطَلِّمٍ مِنْ غَمْرٍو بْنِ مُسْعَدَةَ^(٦) :
« يَا غَمْرُو ، اغْمُرْ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا » .

(١) في م : : عليهم السلام .

(٢) في م : : امتثال أمر الله .

(٣) سورة المجادلة - من الآية ١١ .

(٤) ما بين المقوفين عن م : وساقط من ط .

(٥) في م : : الأخذ بدل الآخذة . تحريف .. وَأَزْمَةُ التَّذْيِيرِ : مِلَاكُهَا وَقَرَأُهَا ، جَمْعُ زِمَامٍ .

(٦) هو : غَمْرُو بْنُ مُسْعَدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَوْلٍ ، أَبُو الْفَضْلِ الصُّوْلِيُّ ، وَزَيْرُ الْمَأْمُونِ ، وَأَحَدُ الْكُتَّابِ الْبُلْغَاءِ ، كَانَ يُوقِعُ بَيْنَ يَدَيِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبِزْزَمَكِيِّ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ ، فَرَفَعَ مَكَاتِهِ وَأَغْنَاهُ .. وَكَانَ جَوَادًا مُمَدِّحًا نَبِيلًا .. تَوَلَّى فِي أَدْنَى (أَطْنَى) بَرْكِيَا سَنَةَ ٢١٧ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٥ - ٤٧٨ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وتاج بغداد ج ١٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ١٢٧ - ١٣١ وفيه : أن وفاته كانت سنة ٢١٤ هـ] .

وَفِي إِشَاعَةِ الْعَدْلِ قُوَّةُ الْقَلْبِ ^(١) ، وَطَبِيبَةُ النَّفْسِ ، وَلُزُومُ الْيَقِينِ ، وَأَمَانٌ مِنَ الْعَدُوِّ .
وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ الْهَرَمَزَانُ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ حَاجِبًا
وَلَا بَوَائِمًا ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ فِي الْمَسْجِدِ . فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِيًا مُتَوَسِّدًا كَرُومًا مِنَ
الْحَصْبَاءِ ^(٣) وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : عَذْلُكَ قَامِنَتْ فِينَتْ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : رَأَيْتُ
عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ جَمَعَ الْحَصْبَاءَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ^(٤) عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَدْ وَضَعَ أَحَدَ جَانِبَيْ رِدَائِهِ ^(٥) عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُؤَمِّدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَكَتَبَ عَامِلٌ جِمْنَصَ ^(٦) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ : أَنَّ مَدِينَةَ جِمْنَصَ قَدْ تَهَدَّمَتْ وَاحْتَاثَتْ إِلَى إِصْلَاحٍ ^(٧) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :
حَصَّنَهَا بِالْعَدْلِ ، وَتَقَيَّ طُرُقَهَا مِنَ الْجَوْرِ ، وَالسَّلَامَ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ حُرِمَ الْعَدْلَ فَلَا تَحْتَرِفْ فِيهِ ، وَلَا تَحْتَرِفْ لِلنَّاسِ فِي سُلْطَانِهِ ^(٨) .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ ^(٩) : مَا شِئْتُ الْمَأْمُونُ فِي بُسْتَانٍ ، وَالشَّمْسُ عَنْ يَسَارِي وَالْمَأْمُونُ

(١) لِي د م : : « قوام القلب » .

(٢) هو : قُرْمَةُ تِلْكَ « خُوزِستان » .. جِيءَ بِهِ أُسِيرًا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ ،
فَمَزَالَ الْمُؤَكَّلُ بِهِ « بِالْهَرَمَزَانِ » يَقْضِي أَمْرَ عُمَرَ حَتَّى عَمِرَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ نَائِمًا مُتَوَسِّدًا دِرَّتُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ
« الْهَرَمَزَانُ » قَالَ : « هَذَا - وَاللَّهِ - الْمَلِكُ الْهَقِيقِيُّ » ، عَذْلُكَ فَلَيْتَ فَيَمْتُتَ ! وَاللَّهِ ، إِنْ قَدْ تَحَدَّثْتُ أَرْبَعَةَ مِنْ مُلُوكِ
الْأَكْبَادَةِ أَصْحَابِ التَّيْجَانِ ، لَمَا جِئْتُ أَحَدًا هَيْبِي لِصَاحِبِ هَذِهِ الدَّرَةِ . وَلَمَّا أَسْلَمَ ، سَمَّاهُ عُمَرَ « عُرْفَةُ ذُو
الدَّرَةِ » .. قِيلَ يَوْمَ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَنَةَ ٢٣ هـ .. قَتَلَهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هُوَ
وَبَنَاتُ أُمِّي لَوْلَاةُ الْبُحُوسَى - الَّذِي طَعَنَ عُمَرَ - وَجُفَيْتُهُ (رَجُلٌ أَصْعَمِي) .

[انظر المعارف لابن قُتَيْبَةَ ص ١٨٧ و ٤٢١ ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ لِلْعَالِمِيِّ ص ٨٦] .

(٣) لِي د م : : « الْحَصْبَاءُ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .. وَالْحَصَا وَالْحَصْبَاءُ : صِغَارُ الْحِجَارَةِ .. وَالدَّرَةُ : السَّوْطُ يُعْتَرَبُ بِهِ .

(٤) لِي د ط : : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٥) لِي د م : : « إِحْدَى جَانِبِي رِدَائِهِ » .. وَالْجَانِبُ : الشَّقُّ وَالنَّاحِيَةُ .

(٦) جِمْنَصُ : مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحَلَبَ .. تُذَكَّرُ وَقَوْلْتُ ، وَهِيَ مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ (التَّنْوِينِ) لِلْعِلْمِيَّةِ
وَالْعُجْمَةِ .

(٧) لِي د م : : « وَتَهَدَّمَتْ وَاحْتَاثَتْ إِلَى الصَّلَاحِ » .

(٨) لِي د م : : « فَلَا تَحْتَرِفْ لَهُ » .. وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « خَيْرٍ » الثَّانِيَةِ مِنْ « ط » .

(٩) يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : قَاضِي قِضَاةِ بَغْدَادَ عَلَى أَهْلِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

فِي الظَّلِّ ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَقَعَتِ الشَّمْسُ أَيْضاً عَلَيَّ ، فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : تَحَوَّلْ مَكَانِي وَأَتَحَوَّلْ مَكَانَكَ حَتَّى تُكُونَ فِي الظَّلِّ كَمَا كُنْتُ ، وَأَقِيكَ الشَّمْسَ كَمَا وَقَعَتْ بِي ، فَإِنْ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَنْدِلَ الرَّجُلُ عَلَى بِطَائِيهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى يَتْلَعَ الْعَدْلُ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى ، فَعَزَمَ عَلَيَّ ^(١) فَتَحَوَّلْتُ .

وَكَانَ يُقَالُ : لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ بَقَاءِ مُلْكِ الْعَاصِي .. وَقِيلَ لِلْإِسْكَندَرِ : لَوْ أَكْثَرْتَ مِنَ النِّسَاءِ حَتَّى يَكْثُرَ نَسْلُكَ وَيَحْيَا ذِكْرُكَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا يُحْيِي الذِّكْرَ الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ ، وَالسَّيْرَةُ الْحَمِيدَةُ ، وَلَا يَحْسُنُ بَعْدَ يَلْبِ الرِّجَالِ أَنْ تُغْلِبَهُ النِّسَاءُ .. وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَنْ اتَّخَذَ الْعَدْلَ سُنَّةً كَانَ لَهُ أَحْسَنُ جَنَّةٍ ^(٢) ، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ حُلَّةَ الْعَدْلِ ، اسْتَكْمَلَ زِينَةَ الْفَضْلِ ^(٣) . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ^(٤) : إِنْ الْإِمَامَ الْعَادِلَ لَيْسَتْ الْأَصْوَاتُ عَنِ اللَّهِ ، وَإِنْ الْإِمَامَ الْجَائِرَ لَتَكْثُرَ مِنْهُ الشَّكَايَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ الْحَكِيمُ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ مُنْهَلًا ^(٥) حَتَّى يَتَخَطَّى إِلَى أَرْكَانِ الْعِمَارَةِ وَمَبَانِي الشَّرِيعَةِ ، فَيَجِيئُهُ يَبُحُّ اللَّهُ [تَعَالَى] مِنْهُ ^(٦) .

وَقَالُوا : لَا تُظْلِمِ الضُّعَفَاءَ فَتَكُونَ مِنْ لِقَامِ الْأَقْيَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَمِيرٌ بِلَا

(١) عَزَمَ عَلَيَّ : أَمَرَنِي وَشَدَّدَ عَلَيَّ .

(٢) لِي (١) : « أَحْصَنَ جَنَّةً » . وَالْجَنَّةُ : كُلُّ مَا وَفَى الْإِنْسَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .

(٣) لِي (٢) : « رِبَّةُ الْفَضْلِ » . وَالرِبَّةُ : الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ .

(٤) هُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ بْنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - ابْنُ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مَفْتًى الْمَدِينَةِ ، وَأَحَدَ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ قَبْلَهُ ، وَيُعَدُّ مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ ، لَقِيَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَصَحَّحَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .. وَهُوَ مُؤَدَّبٌ عَمْرٍاءُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. قَالَ عُمرُ : « لَأَنْ يَكُونَ لِي مَجْلِسٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا » .. وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثِقَةً عَالِمًا ، قَبِيحًا ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ بِالشَّعْرِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، أورد أبو تمام قطعة منه في « الحماصة » . وأورد أبو الفرج الأصبهاني كثيرًا منه في الأغاني .. توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة ٩٨ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١٥ ، ١١٦ ، وحبلى الأولياء ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢] .

(٥) مُنْهَلًا : نَزْرُوكًا لَمْ يَمُجِّلْ بِالْعِقَابِ .. وَلِي « ط » : « مُنْهَلًا » .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ (١) .. وَرُبَّعَ اللَّهِ مِنْهُ : بِأَخْذِهِ أُخِذَ عُزَيْرٌ مُتَقَدِّرٌ ، فَرُبَّعَ الرِّعْيَةَ مِنْ ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ .

عَدْلٍ ، كَعَمِيمٍ بِلَا مَطَرٍ ، وَعَالِمٍ بِلَا وَرَعٍ ، كَأَرْضٍ بِلَا تَبَاتٍ . وَشَابٌ بِلَا ثَوْبَةٍ ، كَشَجَرٍ
بِلَا ثَمَرٍ . وَغَنِيٌّ بِلَا سَخَاءٍ كَقَفِيلٍ بِلَا مِفْتَاحٍ ^(١) . وَفَقِيرٌ بِلَا صَبْرٍ ، كَسِرَاجٍ ^(٢)
بِلَا ضَوْءٍ . وَامْرَأَةٌ بِلَا حَيَاءٍ ، كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ . وَقَالَ كِسْرَى ^(٣) : اتَّفَقَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ
عَلَى أَرْبَعٍ خِصَالٍ : أَنَّ الطَّعَامَ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا عَلَى شَهْرَةٍ ، وَالْمَرْأَةُ لَا تُنْظَرُ إِلَّا إِلَى
زَوْجِهَا ، وَالْمَلِكُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ يَعْدِلُهُمْ يَعْدِلُ مَنْ دُونَهُمْ ، وَالَّذِينَ
إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا ^(٤) كَانَ نَافِعًا غَيْرَ مَرْذُودٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : رُبُّ مَا شِئْتَ بِالْإِصْصَافِ
وَأَنَا رَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ بِهِ ^(٥) . وَالظُّلْمُ أَدْعَى شَيْءًا إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ ، أَوْ تَعْجِيلِ نِقْمَةٍ .
وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَثَرُ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ الذُّبُّ بَعْدَ الذُّبِّ ، وَمَثَرُ مِنْ هَذَا ^(٦) الْعُدْوَانُ عَلَى
الْعِبَادِ . وَمَتَى لَرَادَ السُّلْطَانُ حُسْنَ الصَّيِّتِ ^(٧) ، وَجَمِيلَ الذِّكْرِ ، فَلْيَقِمِ سُوقَ الْعَدْلِ ،
وَأَنْ أَحَبُّ الرُّلْفَى ^(٨) عِنْدَ اللَّهِ وَشَرَفُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَلْيَقِمِ سُوقَ الْعَدْلِ ، وَإِنْ أَحَبَّهَا
جَمِيعًا فَلْيَقِمِ سُوقَ الْعَدْلِ . وَالَّذِي ^(٩) يَخْلُدُ بِهِ ذِكْرُ الْمُلُوكِ عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ ، عَدْلٌ
وَاضِحٌ ، أَوْ جَوْرٌ فَاضِحٌ ، هَذَا يُوجِبُ لَهُ الرَّحْمَةَ ، وَهَذَا يُوجِبُ لَهُ اللَّعْنَةَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « كفيل بلا ملح » وسأقي بعد ذلك عند قوله : « طعام بلا ملح » حيث
سقطت الجملتان منها ، سهواً من الناسخ .

(٢) السراج : البصباح .

(٣) هو : كِسْرَى أَوْ شِيْرَوَان بن قِيَاد ، من ملوك العجم ، ومُضْرَبٌ به المثل في العدل ، وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي زَمَانِهِ ، لَتَسْعَ سِتِّينَ مَخْلَتْ مِنْ مُلْكِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحِرُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : « وَلِدْتُ فِي زَمَنِ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ » .. وَكَانَ سَائِرُ الْأَكَاْسِرَةِ ظَلَمَةً فَجَرَةً .. ظَلَّ مُلْكُهُ قَاتِلًا سِيعًا وَلَرْبَعِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ .

[انظر المعارف ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، وثمار القلوب ص ١٧٨ ، ١٧٩] .

(٤) في « م » : « قالوا فعلوا » بدون « أَوْ » .

(٥) رُبُّ : أَطْلَبُ .. زَعِيمٌ : كَفِيلٌ .. الظُّفْرُ : الْقَوَازِ .

(٦) في « م » : « وشر منه » .

(٧) في « م » : « بَعْدَ الصَّيِّتِ » والصَّيِّتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ .

(٨) الرُّلْفَى : الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ .

(٩) في « م » : « الَّذِي » بدون عطف ، والسياق يستدعيه .

(فصل)

فَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْعَدْلِ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا عَلَى الْجَوْرِ فَيَقُومُ بِهَا أَمْرُ الدُّنْيَا ، وَكَانَهَا تُشَاكِلُ مَرَاتِبَ الْإِنصَافِ ^(٢) عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُلُوكُ الطُّوَايِفِ فِي أَيَّامِ الْفُرْسِ ، وَكَانُوا كُفَّارًا بِاللَّهِ تَعَالَى ، يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالتَّنِيرَانَ ^(٣) ، وَيَتَّبِعُونَ هَوَاجِسَ ^(٤) الشَّيْطَانِ ، فَوَضَعُوا ^(٥) بَيْنَهُمْ سُنَّةً ، وَأَسَّسُوا لَهُمْ أَحْكَامًا ، وَأَقَامُوا لَهُمْ مَرَاتِبَ فِي النَّصَفَةِ ^(٦) بَيْنَ الرُّعَايَا ، وَاسْتَجَبَاءِ الْخَرَاجَاتِ ، وَتَوْظِيفِ الْمَكُوسِ ^(٧) عَلَى التَّجَارَاتِ ، كُلُّ ذَلِكَ بِعُقُولِهِمْ عَلَى وَجْهِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا مِنْ بَرَهَانٍ ^(٨) ، يَدَّ أَلَّهُ لَمَّا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ ، مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، فَمِنْهَا

(١) في م : : : الاصطلاحية .

(٢) في م : : : وكانه تُشَاكِلُ مراتب الإنصاف .. تُشَاكِلُ : يشابه ويُماثل .

(٣) هكذا في م : : : ولي ط : : : كفارًا يعبدون النيران .

(٤) الهواجس : كل ما يخطر بالبال من خواطر ووسوس .

(٥) في م : : : فَوَضَعُوا أَي : فَاثَقَفُوا عَلَى وَضْعِ .. وَالسُّنَّةُ : الطَّرَاقُ وَالْأَخْلَاقُ ، جَمْعُ سُنَّةٍ .

(٦) النَّصَفَةُ : الْإِنصَافُ .

(٧) اسْتَجَبَاءُ الْخَرَاجِ : جَمْعُهُ .. وَالْمَكُوسُ : الضَّرَائِبُ .

(٨) في م : : : وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا بِرَهَانٍ أَي : وَلَا أَقَامَ عَلَيْهَا دَلِيلًا .

(٩) في م : : : نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ .

مَا أَفَرَّتْهُ فِي نِصَابِهِ ^(١) ، وَمِنْهَا مَا نَسَخْتَهُ وَأَبْطَلْتَ حُكْمَهُ ، فَعَادَتْ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ إِلَى أَمْرِ ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُكْمُ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ ، وَيَبْطُلُ مَا سِوَاهُ .

وَكَانَ مُلْكُهُمْ مَحْفُوظًا بِرِعَايَاتِهِمْ لِلْقَوَائِنِ ^(٣) الْمَالُوفَةِ بَيْنَهُمْ ، فَانْقَطَعَ بِذَلِكَ خَبْلُ الْهَمَلِ ^(٤) ، فَكَانُوا ^(٥) يَقِيمُونَ بِهَا وَاجِبَ الْحُقُوقِ ، وَيَتَعَاظُونَ بِهَا مَا لَهُمْ وَ [مَا] عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ هَذَا ^(٦) كَانَ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ الْكَافِرَ الْحَافِظَ لِشَرَائِطِ السِّيَاسَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ ^(٧) أَبْقَى وَأَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ الْمُؤْمِنِ الْعَدْلِ فِي نَفْسِهِ ، الْمُضَيِّعَ لِلْسِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَالْجَوْرَ الْمُتْرَبَّ أَبْقَى مِنَ الْعَدْلِ الْمُهْمَلِ ، إِذْ لَا شَيْءَ أَصْلَحَ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ مِنْ تَرْتِيبِ الْأُمُورِ ، وَلَا شَيْءَ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ إِهْمَالِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ دِرْهَمًا يُؤْخَذُ مِنَ الرَّعِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْإِهْمَالِ وَالْخُرْقِ ^(٨) - وَإِنْ كَانَ عَدْلًا - أَفْسَدَ لِقُلُوبِهَا ^(٩) مِنْ عَشْرَةِ ثَوَاقِدَ مِنْهَا سِيَاسَةً عَلَى زَمَانٍ مَعْرُوفٍ ، وَرَسْمٍ مَالُوفٍ ، وَإِنْ كَانَ جَوْرًا ، فَلَا يَقُومُ السُّلْطَانُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَلَا لِأَهْلِ الْكُفْرَانِ ^(١٠) إِلَّا بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ النَّبَوِيِّ ، وَمَا يُشْبِهُ الْعَدْلَ مِنَ التَّرْتِيبِ الْإِصْطِلَاحِيِّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ^(١١) : الْمُلُوكُ ثَلَاثَةٌ : مَلِكٌ دِينٍ ، وَمَلِكٌ خَزَنِ ، وَمَلِكٌ هَوَى ..

(١) في « م » : « مَا أَفَرَّتْهُ فِي نِصَابِهِ » . والنِّصَابُ : الْأَمَلُ .

(٢) في « ط » : « إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » .

(٣) في « م » : « بِرِعَايَاتِهِمُ الْقَوَائِنِ » .

(٤) الْهَمَلُ : الْإِهْمَالُ .. وفي « م » : « الْهَمَلُ » أَيْ : التَّخْلُفُ فِي الْخَيْرِ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ .

(٥) في « م » : « وَكَانُوا » .

(٦) في « م » : « وَرَعْنَا هَذَا » وَسَقَطَتْ « إِنْ » بَعْدَهَا . وَ [مَا] زِيَادَةُ لَمْ تَرِدْ فِي « م » وَ « ط » .

(٧) في « م » : « الْإِصْلَاحِيَّةِ » .

(٨) الْخُرْقُ : بَضْمُ الْحَقِّ لِلصَّحَةِ : الْجَهْلُ وَالْخَطَأُ .

(٩) في « م » : « أَفْسَدَ قُلُوبَهَا » .

(١٠) في « م » : « الْكُفْرُ » بَدَلَ « الْكُفْرَانِ » .

(١١) هُوَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفَرَسِ ، وَوُلِدَ فِي الْعِرَاقِ سَنَةَ ١٠٦ هـ . وَكَانَ جَوْسِيًّا ، وَكَانَ اسْمُهُ رُوزِيَّةً قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَيُكْنَى بِأَبِي عَمْرٍو ، فَلَمَّا أَسْلَمَ تَسَمَّى بِعِمْلَانَةَ ، وَتَكْنَى بِأَبِي عَمَدٍ ، وَأَمَّا الْمُقَفَّعُ - أَبُوهُ - فَاسْمُهُ الْمُبَارَكُ ، وَلَقَّبَ بِالْمُقَفَّعِ لِأَنَّ الْحِجَاجَ ضَرِبَهُ فَفَقَعَتْ يَدُهُ ، أَيْ تَشَتَّتَتْ . وَهُوَ مِنْ أُمَّةِ الْكُتَّابِ ، وَأَوَّلُ مَنْ =

فَأَمَّا مَلِكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ ^(١) لِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ دِينَهُمْ كَانُوا رَاضِينَ ^(٢) ، وَكَانَ السَّاحِطُ فِيهِمْ ^(٣) بِمَنْزِلَةِ الرَّاضِي . وَأَمَّا ^(٤) مَلِكُ الْحَزْمِ فَيَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ ، وَلَا يَسْلُمُ مِنَ الطَّغْنِ وَالسَّخَطِ ، وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الدَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوَى . وَأَمَّا مَلِكُ الْهَوَىٰ فَلْيَعْبُ سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرٍ ^(٥) .

وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ نَزَلَ بِهِ صَمَمٌ ، فَأَصْبَحَ مُسْتَرْجِعًا ^(٦) مُهْتَمًّا بِأُمُورِ الْمَظْلُومِينَ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ اسْتِعَاثَتِهِمْ ، فَأَمَرَ مُنَادِيَهُ أَنْ لَا يَلْبَسَ أَحَدٌ فِي مَمْلَكِيهِ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومٌ ^(٧) ، وَقَالَ : لَئِنْ مُنِعْتُ سَمْعِي لَمْ أُنْعَمْ بِصَرِي ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ ظَلِمَ لَيْسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ وَوَقَفَ تَحْتَ قَصْرِهِ فَكَشَفَ ^(٨) عَنْ ظَلَامَتِهِ . قَالَ شَيْخُنَا : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَجَّازِيُّ ، وَكَانَ يَمُنُّ دَخَلَ الصَّيْنِ ، بِسِيرَةٍ عَجِيبَةٍ غَرِيبَةٍ لِمُلُوكِهَا فِي سِيَاسَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلْبَيْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْمَلِكُ نَاقُوسًا مَوْصُولًا بِسِلْسِلَةٍ ، وَطَرَفُ السِّلْسِلَةِ فِي خَارِجِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَيْهَا أُمْتَاءٌ لِلسُّلْطَانِ وَحَفَظَةٌ ، فَيَأْتِي الْمَظْلُومُ فَيَحْرُكُ

= عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق .. ترجم كتب أرسطوطاليس الثلاثة في المنطق للمصور العباسي .. وترجم عن الفارسية كتاب « كليلة ودمنة » وهو أشهر كتبه ، وأنشأ رسائل غاية في الإبداع ، منها : الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، والبيتمة ، وغيرها .. ألهم بالزندقة ، فقتله أمر البصرة سفیان بن معاوية المهلبی سنة ١٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٥ ، وثمار القلوب ص ١٧٦ وص ١٩٩ ، ٢٠٠ وغيرها من المصنفات] .

(١) في « د » : : إذا قام .

(٢) في « د » : : راضين ، ياعين ، وهو يخالف لقواعد اللغة - انظر الفصل في ألوان الجموع ص ١١ - وقد ورد هذا النص في « الأدب الكبير » - ص ٧٣ ط بيروت - تحت عنوان « الملوك ثلاثة ، باختلاف يسر في الأسلوب » .

(٣) في « ط » : : فيه .

(٤) في « د » : : قائماً .

(٥) أي : أن الملوك الذين يقوم على النهو والهوة لا يكتب له الدوام ، وسرعان ما يهلك ويُدْمَر .

(٦) هكذا في « د » .. ومُسترجعاً ، أي : قَالَ : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .. وفي « ط » : : « منوجماً » .

(٧) في « د » : : « لأ مظلوماً » . وكلاهما له وجه في اللغة ، فالأول مرفوع على البدلية ، والآخر منصوب على الاستثناء .

(٨) في « ط » : : « فيكشف » .. والظلمة : ما يطلبه المظلوم .

السُّلْسِلَةُ ، فَيَسْمَعُ الْمَلِكُ صَوْتَ النَّاقُوسِ ، فَيَأْمُرُ بِإِدْخَالِ الْمَظْلُومِ ، فَكُلُّ مَنْ حَرَّكَ
السُّلْسِلَةَ تَمْسِكُهُ تِلْكَ الْحَفَظَةُ حَتَّى تُدْخِلَهُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ .

(١) لِي م م : تَدْخُلُ .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّصْيِيرِ عَلَى الْخِصَالِ الَّتِي رَعِمَ الْمُلُوكُ أَهْلِهَا أَزَالَتْ ذَوَلَّتَهُمْ وَهَدَمَتْ سُلْطَانَهُمْ

أَهْلِهَا الْمَلِكُ ، أَخْرِصْ كُلَّ الْجِرْصِ أَنْ تُكُونَ خَيْرًا بِأُمُورِ عَمَلِكَ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ
يَفْرُقُ ^(١) مِنْ خَيْرَتِكَ بِه قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ ، وَالْمُحْسِنُ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ بِهِ قَبْلَ ^(٢)
أَنْ يَأْتِيَهُ ثَوَابُكَ .. قَالَ ^(٣) أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا زَالَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ مُسْتَقِيمًا حَتَّى أَفْضَى
أَمْرُهُمْ إِلَى أَهْلِهِمُ الْمُتَرَفِينَ ^(٤) ، فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ - مِنْ عَظِيمِ شَأْنِ الْمُلْكِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ -
قَصْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَإِثَارَ اللَّذَاتِ ، وَالْدُّخُولِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَمَسَاحِطِهِ ، جَهْلًا مِنْهُمْ
بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمْنًا لِمَكْرِهِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٥) الْعِزَّ ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ
النِّعْمَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ ^(٦) وَمَرْوَانُ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَرْوَانَ الْجَمَارِ ، وَهُوَ

(١) يَفْرُقُ : يَشْعُدُ خَوْفُهُ .

(٢) فِي م : : : يَعْلَمُكَ قَبْلَ .

(٣) فِي م : : : وَقَالَ .

(٤) أَفْضَى أَمْرُهُمْ : وَصَلَ وَانْقَهَى .. وَالْمُتَرَفِينَ : الْمُتَعَفِّينَ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُتَرَفِينَ عَنْ م : : .

(٦) هَكَذَا فِي م : : : وَلِي د ط : : : عُبَيْدُ اللَّهِ - وَهُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَالْمَرْأَةُ هُنَا الْأُولَى ،
حَيْثُ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ هَلَكَ بَعْدَ مَقْتُلِ أَبِيهِ كَلًّا وَعَطِشًا ، وَالْقِصَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ هُنَا جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، =

أَخْرَجَ مُلُوكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَتَلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي كُورَةِ بُوصِيرٍ ^(١) : لَمَّا زَالَ مُلْكُنَا وَهَرَبَتْ
إِلَى أَرْضِ الثُّوْبَةِ ^(٢) فِيمَنْ اتَّبَعَنِي ^(٣) مِنْ أَصْحَابِي ، فَسَمِعَ مَلِكَ الثُّوْبَةِ بِخَبْرِي ، فَجَاءَنِي ،
فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَلَمْ يَقْعُدْ عَلَيَّ فِرَاشِ اقْتَرَشْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَقْعُدُ عَلَيَّ ثِيَابِنَا ؟ قَالَ :
لَا . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مَلِكٌ ، وَحَقٌّ عَلَيَّ كُلُّ مَلِكٍ أَنْ يَقَاضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ
إِذَا رَفَعَهُ . ثُمَّ قَالَ لِي : لِمَ تَشْرَبُونَ الْحَمْرَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَطْوُونَ الزُّرْعَ
بِدَوَابِّكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَسْتَعْمِلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَتَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ
وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ فَقُلْتُ : زَالَ عَنَّا الْمُلْكُ ، فَقُلْنَا أَنْصَارُنَا ، وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ
مِنَ الْأَعَاجِمِ دَخَلُوا دِينَنَا ، وَلَنَا عَبِيدٌ وَاتِّبَاعٌ فَعَلُوا ذَلِكَ عَلَيَّ كَرِهًا مِنَّا . فَأَطْرَقَ مَلِيًّا يُقَلِّبُ
كَفْيَهُ وَيَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ ^(٤) ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ

= وقد أوردها ابن العماد في شذرات الذهب عندما قرأ ، ثم غفر عليه وسجن ، وحدث بها أبا جعفر المنصور ..
وعبد الله هذا هو عبدالله بن مروان بن محمد الأموي ، وهو من بقايا بني أمية في الشام ، شهد وقائع الكارثة وزوال
دولتهم في أيام أبيه سنة ١٣٢ هـ . وقرئ عبد الله بن مروان من عبد الله بن علي العباسي (عم السفاح) إلى بلاد النوبة ،
ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث في فلسطين - وقيل في جندة - فأجذ وسجن في بغداد ، ومات نحو سنة
١٧٠ هـ في أيام الرشيد .

أما أبوه مروان بن محمد ، فقد لُقِّبَ بالجمار - أو حمار الجزيرة - لجرأته وصبره في الحرب .. وقيل غير ذلك .
واشتهر بمروان الجفندي ، نسبة إلى مؤدبه جند بن درهم ، وكانت مدة خلافته - إلى أن يوقع السفاح - خمس سنين
وشهرًا .. وليلي أن قُتِلَ : خمس سنين وعشرة أشهر .. وله غزوات وفوحات ، وحروب كثيرة مذكورة في كتب
التاريخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وج ٧ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والإمامة والسياسة
ج ٢ صفحات متفرقة ، وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٧٤ - ٧٧ ، وتاريخ الطبري ج ٧ حوادث سنة ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٣٢ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ حوادث السنوات نفسها التي عند الطبري ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٨٧ ،
وشذرات الذهب ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(١) في « م » : « كُرَّة » أي : الحملة التي قُتِلَ فيها ، اسم مَرَّةٍ من الكَرِّ .. والكُورَةُ : الصُّقْعُ ، أو البقعة التي
يجتمع فيها قَرَى ومحال . وبُوصِير : اسم لأربع قرى بمصر ، والتي قُتِلَ فيها مروان بن محمد هي : بوصير ، قورينيس ، أو
بُوصير الأفمونين .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(٢) في « م » : « الصين » . تحريف من الناسخ .

(٣) في « م » : « تَيْتَنِي » .

(٤) أي : يُؤَثَّرُ فيها بغير أو نحوه ، يفكر كأنما يُحَلِّثُ نفسه .. ومَلِيًّا : طويلاً .

الله ^(١) ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ ، فَسَلَبَكُمْ اللَّهُ الْعِزَّ بِذُنُوبِكُمْ ، وَلَهُ فِيكُمْ نِقْمَةٌ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا ، وَأَخَافُ أَنْ يَجْلَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ يَبْلَدِي فَيُصِيبُنِي مَعَكُمْ ، وَإِنَّمَا الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَتَزَوَّدُوا مَا اخْتَجَجْتُمْ إِلَيْهِ وَارْتَحِلُوا عَنْ بَلَدِي ، فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا ^(٢) .

وَسُئِلَ بُزْرَجِيهْرُ ^(٣) : مَا بَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ ^(٤) صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ، بَعْدَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَشِدَّةِ ^(٥) الْأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَلَدُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرِّجَالِ . وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَوْتُ أَلْفٍ مِنَ الْعَالِيَةِ أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ ^(٦) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِنَّ زَوَالَ الدُّوَلِ بِاصْطِنَاعِ السُّفُلِ ^(٧) . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٨) : أَظْلَمَ النَّاسُ لِنَفْسِهِ الْيَقِينُ : إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبُهُ ، وَأَثْكَرَ مَعَارِفُهُ ، وَاسْتَحَفَّ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

(١) في (م) : « مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » .

(٢) جملة : « فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا » عن « ط » ، ولم يُرد في « م » .

(٣) اسم فارسي مُركَّب من جزأين : « بُزْرَج » وهو معرب : بزرگ ، أي : عظيم .. و « يهْر » بمعنى : فمس .. والفرس تقدم الوصف على الموصوف فيكون التركيب على النسق العربي : « عظيم كالشمس » .. وكان بُزْرَجِيهْرُ من حُكَمَاءِ الْفَرَسِ ، وَوَزِيرًا لَأَبُو شِرْوَانَ .

[انظر أدب الدنيا والدين ، صفحات متفرقة ، وص ٣٥ (حاشية) ط الدار المصرية اللبنانية ، وإعجام الأعلام

ص ٧٣ ، ٧٤] .

(٤) آل ساسان : ملوك الفرس .

(٥) في (م) : « وشباب الأركان » .

(٦) السُّفْلَةُ وَالسُّفْلَةُ : أسافل الناس وغوغاؤهم .

(٧) الاصطناع : الاختيار .

(٨) في (م) : « رحمه الله » .. والشافعي هو : الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المُطَّلِبِيُّ ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة .. وُلِدَ في غزوة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ . ومات أبوه شاباً ، فَنَشَأَ يَتِيماً في حجر أمه .. وحُجِّلَ من غزوة إلى مكة وهو ابن ستين . ونشأ بها .. وكان من أحلق قريش بالرُّمَى ، يصيب من عشرة أسهم عشرة أو تسعة .. ثم أقبل على العربية والشعر ، فبدع في ذلك وتقدم .. ثم حُبِبَ إِلَيْهِ الْفَقْهُ وَالْحَدِيثُ ، فَسَادَ أَهْلُ زَمَانِهِ .. وَأَقْبَى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكياً مُفْرَطاً .. وله تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب « الأم » في الفقه .. زار بغداد مرتين ، ثم قصد إلى مصر سنة ١٩٩ ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ وبقي معروف وقُرِّرَ .

[وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ زَوَالِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي سَلَبَكَ مُلْكَكَ ؟ قَالَ : إِعْطَاؤُنَا مَنْ بَطَرَ وَطَعَى ، وَرَفَعَ عَمِلَ الْيَوْمِ لِعَدُوِّ] ^(١) . وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ أَنْ سَلَبُوا مُلْكَهُمْ ^(٢) : مَا الَّذِي سَلَبَ عِزُّكُمْ ، وَهَدَمَ مُلْكَكُمْ ؟ فَقَالَ : شَعَلْنَا لَذَائِنَا عَنِ التَّفَرُّغِ لِمِهْمَاتِنَا ، وَوَرَقْنَا بِكُفَاتِنَا ^(٣) فَأَثَرُوا مُرَافِقَهُمْ عَلَيْنَا ، وَظَلَمَ عُمَّالُنَا رَعِيَّتَنَا ^(٤) فَأَنْفَسَدَتْ يَبَائِثُهُمْ لَنَا ، وَكَمَنُوا الرَّاحَةَ مِنَّا ، وَحُمِلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ^(٥) قَقْلٌ دَخَلْنَا ، وَبَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ^(٦) فَزَالَتِ الطَّاعَةُ مِنْهُمْ لَنَا ، وَقَصَدْنَا عُلُوبَنَا ، فَقَلَّ نَاصِرُنَا . وَكَانَ أَعْظَمَ نَارَإِلَ بِهِ مُلْكُنَا اسْتِئْثَارَ الْأَخْبَارِ عَنَّا ، [ثُمَّ أَنَا وَلَيْتَنَا أَكْبَرَ الْأَعْمَالِ لِأَصْغَرِ الْعُمَالِ ، قَالَ أَمَرْنَا إِلَى مَا آل] ^(٧) .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ فِي مَدَمِ السُّلْطَانِ ، وَأَعْظَمُهَا وَأَسْرَعُهَا فِي إِنْسَادِهِ وَتَفْرِيقِ الْجَنَاحِ عَنْهُ : إِظْهَارُ الْمُحَابَاةِ ^(٨) لِقَوْمِ دُونِ قَوْمِ ، وَالْمَيْلُ إِلَى قَبِيلَةٍ دُونَ قَبِيلَةٍ ، فَمَنْ أَعْلَنَ بِحُبِّ قَبِيلَةٍ فَقَدْ بَرَى مِنْ قِبَائِلٍ . وَقَدْ يَمَّا قِيلَ : الْمُحَابَاةُ مَفْسَدَةٌ ^(٩) . وَقَالَ

= [انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥ - ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ - ٧٣ والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٤٢ والأعلام ج ٦ ص ٢٦ ، ٢٧ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩ - ١٢ ومعجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨١ - ٣٢٧ وطبقات للفرسين ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٣ وطبقات الشافعية (الذي على طبقات الشيرازي) ص ١٨٥ - ١٨٨ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٩ وغيرها من كتب التراجم] .

(١) ما بين المقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « بعد زوال ملكه » .

(٣) كُفَاتُنَا : مَنْ يَقُومُونَ مَقَامَنَا .

(٤) من أول قوله : « فأثروا » إلى قوله « رعييتنا » عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) حُمِلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ، أَيْ : أَثْقِلَ عَلَيْهِمْ . وَالْخُرَاجُ : الْجِزْيَةُ أَوْ الْإِتَاوَةُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ .

(٦) بَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ، أَيْ : ذَهَبَ وَضَاعَ .

(٧) ما بين المقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٨) في « م » : « عن إظهاره للمحابة » . وَالْمُحَابَاةُ : الْمَسَاحَةُ ، وَإِعْطَاءُ الشَّيْءِ بِلُونِ عَوْضٍ ، مَأْخُذٌ مِنْ خَبَرَتِهِ ، إِذَا أُعْطِيَ .

(٩) الْمَفْسَدَةُ : الضَّرَرُ .. يَقَالُ : هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ مَفْسَدَةٌ لَكُنَّا ، أَيْ : فِيهِ فَسَادٌ .

مَهْيُودُ الْمُؤَبَّدَانِ ^(١) : مِنْ زَوَالِ السُّلْطَانِ ^(٢) تَقَرِّبُ مَنْ يَتَّبِعِي أَنْ يَبَاعَدَ ، وَمُبَاعَدَهُ مَنْ يَتَّبِعِي أَنْ يُقَرَّبَ ، وَحَيْثُ حَانَ أَوَّانُ الْعَذْرِ . وَقِيلَ لِمَلِكٍ بَعْدَ ذَهَابِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَكُمْ ؟ قَالَ : يَقْنِي بِدَوْلَتِي ، وَاسْتَبْدَادِي بِمَعْرِفَتِي ، وَإِعْغَالِي ^(٣) اسْتِشَارَتِي ، وَإِعْجَابِي بِشِدَّتِي ، وَاضَاعَتِي الْجِيلَةَ فِي وَقْتِ حَاجَتِي ^(٤) وَالتَّائِي عِنْدَ الْعَجَلَةِ ^(٥) .

وَلَمَّا أَحِيطَ بِمَرْوَانَ الْجَفِيدِي ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : لَهْفَاهُ ^(٦) عَلَى ذُوْلَةِ مَائِصِرْتِ ، وَكَفَّ مَا ظَلِمَتْ ^(٧) ، وَنِعْمَةً مَا شَكِرْتَ ! فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ « تُسَيِّلُ » ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ أَشْرَافِ الرُّومِ : مَنْ أَغْفَلَ الصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ ، وَالْحَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ ، أَصَابَهُ بِمِثْلِ هَذَا .. وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَ ^(٨) بَنِي مَرْوَانَ ؟ قَالَ : تَحَاسُدُ الْأَكْفَاءِ ^(٩) ، وَانْقِطَاعُ الْأَخْبَارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَرَ ^(١٠)

(١) الْمُؤَبَّدَانِ : فَيهِ الْقُرْبَى ، وَحَاكِمُ الْيُوسُ .. وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ : الْمُؤَبَّدُ : الْقَاضِي .. وَالْمُؤَبَّدَانِ لِلْمَجُوسِ ، كَقَاضِي الْقَضَاةِ لِلْمُسْلِمِينَ .

[انظر اللسان — مادة موبد ، والمقد الفريد ج ١ ص ٢٩٤] .

(٢) فِي « م » : « مِنْ عِلَامَةِ زَوَالِ السُّلْطَانِ » .

(٣) الْإِعْغَالُ : تَرْكُ الشَّيْءِ إِهْمَالًا مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ .. وَفِي « م » : « وَاسْتِغْفَالٌ » وَهُوَ تَرْقُبُ الْعُقْلَةِ .

(٤) فِي « ط » : « وَقْتُ حَاجَتِي » بِنُونٍ « فِي » .

(٥) فِي « م » : « عِنْدَ عَجَلَتِي » . وَالْعَجَلَةُ : السَّرْعَةُ .

(٦) فِي « م » : « مَا لَهْفَاهُ » .

(٧) كَفَّ مَا ظَلِمَتْ : مَا نَالَتْ ، أَوْ : مَا غَلِبَتْ .

(٨) فِي « م » : « بِمُلْكِهِ » .

(٩) الْأَكْفَاءُ : جَمْعُ كُفٍّ ، وَهُوَ السُّمَائِلُ وَالنَّظِيرُ .

(١٠) فِي « ط » : « يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ » خَطَأً .. وَهُوَ : يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، أَبُو خَالِدٍ ، مِنْ بَنِي فِزَارَةَ ، أَمِيرٌ وَقَائِدٌ ، وَمِنْ وَلَاةِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٨٧ هـ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّامِ ، وَلَقِيَ « قُسَيْرِينَ » لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، ثُمَّ جُمِعَتْ لَهُ وَلَايَةُ الْعِرَاقَيْنِ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ سَنَةَ ١٢٨ هـ فِي أَيَّامِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَاسْتَفْعَلَ أَمْرَ الدَّوْلَةِ الْعِيَّاسِيَّةِ فِي زَمَنِ إِمَارَتِهِ ، فَقَاتَلَ أَشْيَاعَهَا مُتَّةً ، وَغَلِبَتْ جِيُوشُ « خُرَّاسَانَ » عَلَى جِيُوشِهِ ، فَرَحَلَ إِلَى وَاسِطٍ وَتَخَصَّنَ بِهَا ، فَوَجَّهَهُ « السُّفَّاحُ » أَخَاهُ الْمَنْصُورَ لِحَرْبِهِ ، فَمَكَثَ الْمَنْصُورُ زَمَنًا بِوَاسِطٍ يَقَاتِلُهُ حَتَّى أَحْيَاهُ أَمْرُهُ ، فَكَتَبَ لَهُ بِالْأَمَانِ وَالصَّلَاحِ . وَأَمَضَى « السُّفَّاحُ » الْكِتَابَ ، فَرَضَى ابْنَ هُبَيْرَةَ وَأَطَاعَ ، وَأَقَامَ بِوَاسِطٍ ، وَعَمِلَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِي عَلَى الْإِنْقَاعِ بِهِ ، فَفَقَضَ « السُّفَّاحُ » عَهْدَهُ لَهُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ بِقَصْرِ « وَاسِطٍ » سَنَةَ ١٣٢ هـ .. وَكَانَ سَخِيحًا ، جَسِيمًا ، خَطِيئًا ، وَفِيهِ حَسَدٌ .. وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يَقُولُ : « لَا يَمُوتُ مُلْكٌ هَذَا فِيهِ » .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣١٣ - ٣٢١] .

كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَضَعَ ^(١) مِنْ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ^(٢) ، وَكَانَ لَا يَمُدُّهُ بِالرَّجَالِ ، وَلَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ مَا يَرِدُ ^(٣) عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ ^(٤) :
أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى نَارِ قِيُوشِكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ ^(٥)

(١) يَضَعُ منه : يُذِلُّه وَيُخْطِئُ مِنْ قُدْرِهِ .

(٢) هو : نصر بن سيار بن ولفع بن خُرَيْب بن ربيعة الليثي الكناني ، أمير من الدُّعَاة الشَّجَعَانِ ، وكان من الخطباء الشعراء .. كان شيخ مُصَنِّفِ بَخْرَسَانَ ، ووالى « تَلَخ » لم وَلَّى إمْرَةَ خُرَاسَانَ سنة ١٢٠ هـ . وقويت الدهوة العباسية في أيامه ، فكتب إلى بني مروان بالشام يمدحهم وينذرهم ، فلم يَأْبَهُوا لِلخَطَرِ ، فصار يدير الأمور إلى أَنْ أُعْثِقَتِ الحيلة ، وتقلَّب أبو مسلم على « خُرَاسَانَ » فخرج نصر بن سيار من « مَرُو » سنة ١٣٠ هـ ورحل إلى « نيسابور » فَسَرَّ أَبُو مسلم إليه « قُحْطَبَةُ بْنُ شَيْبٍ » فانتقل نصر إلى « قُومِس » وكتب إلى ابن هبيرة - وهو بواسط - يطلب منه مددًا ومعونة ، وكتب إلى مروان بن محمد - وهو بالشام - وأخذ ينتقل منتظرًا النجدة إلى أَنْ تَمْرَضَ فِي مَقَارِفَةِ بَيْنِ الرَّيِّ وَهَلْدَانَ ، ومات بِسَاوَةَ سنة ١٣١ هـ .

[انظر تاريخ الطبري ج ٧ صفحات متفرقة ، والكامل في التاريخ ج ٤ وغيرهما من كتب التاريخ المشهورة ، وانظر الأعلام ج ٨ ص ٢٣ . وفي الْمُصَنِّفِ لابن حبيب ص ٢٥٥ أنه حُصِرَ بِمَرُوفَاتٍ ثَلَاثَ سِنِينَ - انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، وص ١٥٨ ، ١٥٩] .

(٣) في « م » : : سلطان .. وفي « ط » : : بمنها : « ما يُؤْرَدُ » .. وما يَرِدُ ، أى : يبلغه ويوافيه .

(٤) هذه الأبيات من شعره ، وقد كتبها ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ عندما بدأت الفتنة تطل برأسها ، وبدأ العباسيون التحرك في « خُرَاسَانَ » بقيادة أُمِّ مسلم الخراساني لانتفاض على الدولة الأموية .. وقد وردت هذه الأبيات في البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٨ ، وفي تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٦٩ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٣ ، وفي عيون الأخبار ، كتاب الحرب ، ص ١٢٨ .

(٥) هكذا البيت في « م » ، و « ط » .. وفي العقد الفريد : « ويوشك أن يكون له ضِرَامٌ » .. وفي الطبري :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضَى نَجْمِ قُيُوشِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ
وَلَى الْكَامِلِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضَى نَارِ وَأَغْشَى أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ
وَلَى الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى حَرِّ قِيُوشِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ
وَلَى عَيُونِ الْأَخْبَارِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى حَرِّ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وَأَنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكُو وَأَنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ ^(١)
فَقُلْتُ تَجَامَلًا : يَا لَيْتَ شِعْرِي الْإِقَاطُ أُمِيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ ! ^(٢)

وَكَانَ الْعَبَّاسِيُّونَ يُؤَسِّسُونَ لِدَوْلَتِهِمْ ، وَلَا تَصِلُ أَنْبَارُهُمْ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ حَتَّى اسْتَحْفَلَ ^(٣) أَمْرُهُمْ ، وَضَعَفَ أَمْرُ بَنِي أُمِيَّةٍ .. وَسُئِلَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمِيَّةٍ : مَا الَّذِي أَضْعَفَ مُلْكَكَ بَعْدَ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَبَيَاتِ الْأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : الْاسْتِغْدَادُ بِرَأْيِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَيَّ كُتُبُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنْ أُمِدَّهُ بِالْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الْاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأَمْوَالِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَسَادِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُ ^(٤) ، وَهِيَئَاتِ أَنْ تَنْتَقِصَ ^(٥) عَلَيَّ خُرَاسَانَ . فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ مِنْ خُرَاسَانَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بِالْعُودَيْنِ يُذَكَّى » ..

وفي الطبري :

لَبِثَ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ لَذْكَى وَأَنَّ الْحَرْبَ تَبْدُؤُهَا الْكَلَامُ
وفي الكامل « مبدؤها كلام » .

وفي عيون الأخبار بعد هذا البيت :

لَبِثَ لَمْ يُظْلِمَهَا غِلَاءَ قَوْمٍ يَكُونُ زَعْوَدُهَا جُفَتْ وَهَامٌ
(٢) هكذا البيت في « م » و « ط » ..

وفي الطبري وابن الأثير ، وعيون الأخبار ، والبيان والبيان :

« فَقُلْتُ مِنَ التَّحَبُّبِ لَيْتَ شِعْرِي » .

وفي البيان والبيان بعد هذا البيت :

لَبِثَ كَانُوا لِيَحْيِيَهُمْ نِيَامًا فَقُلْ : قَوْمُوا قَدْ طَالَ الْمَنَامُ
(٣) استحفل : تفاقم واشتد .. وفي « م » : « استحفل » تحريف من الناسخ .

(٤) الْيَقِيلُ : الجهة أو الناحية .

(٥) وهيات أن تنتقص عليّ خراسان أي : من المستبعد أن يخرج أهلها عليّ ويعلموا طاعتي .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِمَةِ الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ^(٥)

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَابِ دَوَامُ الْمُلْكِ مَعَ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ .. اعْلَمُوا أَنَّ الْكِبَرَ
وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ وَيُكْسِبَانِ الرِّذَائِلَ ، لِأَنَّ الْكِبَرَ ^(١) يَكُونُ بِالْمَنْزِلَةِ ،
وَالْعَجَبُ ^(٢) يَكُونُ بِالْفَضِيلَةِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ يُجِلُّ نَفْسَهُ ^(٣) عَنْ رُتْبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالْمُعْجَبُ
يَسْتَكْبِرُ فَضْلَهُ عَنِ اسْتِزَادَةِ الْمُتَأَدِّبِينَ ^(٤) ، وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ
وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .

وَالْكِبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَكُلُّ كِبَرٍ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَمَقْرُونٌ
بِالشَّرِّ ، وَلِلَّذَلِكَ ^(٥) قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : « أَتَهَاكُ عَنِ الشَّرِّ
بِاللَّهِ ، وَالْكِبَرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَغْضَبُ ^(٦) مِنْهُمَا » . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ

(٥) ل د ط : : : الصفات الدائمة التي زعم الحكماء أنها لا تدوم معها مملكة .

(١) ل د م : : : الكبر .

(٢) العجب : الكبر والزهو .

(٣) يُجِلُّ نَفْسَهُ : يَهْتَمُّهَا .

(٤) أى : يُعَدُّ نَفْسَهُ مِنَ الْفَضْلِ بِمَعْنَى ذَلِكَ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْ ذَوِيهِ .

(٥) ل د م : : : وكذلك .

(٦) ل د م : : : قَاتَنَهُ يَغْضَبُ مِنْهُمَا .. وَفِي آدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ : « فَإِنَّ اللَّهَ يَحْجِبُ مِنْهُمَا » .

[انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ، الفصل الأول : في مجابة الكبر والإعجاب ص ٢٨٥ - ٢٩١ ط الدار المصرية اللبنانية] .

بَابَكَ ^(١) : مَا الْكِبَرُ إِلَّا فَضْلٌ حُنِقَ لَمْ يَذَرِ صَاحِبُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ ، فَصَرَفَهُ إِلَى الْكِبَرِ ..
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَا تَكْبِيرُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ ^(٢) يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ .. وَلَمْ تَزَلِ
الْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى ^(٣) الْكِبَرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَقَى كَانَ عَذَبَ الرُّوجِ لَا مِنْ خَصَاصَةٍ وَلَكِنْ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرٌ ^(٤)
وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ ^(٥) إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي
ظَنِّكَ ، وَأَنْ أَغْدِيَّ مِثْلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ .. قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : قَدْ ^(٦) يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ مُعْظَمِ
النِّقَاصِ ، قَرَبٌ فَيَقْبِرُ سَادَ قَوْمُهُ ، وَرُبُّ أَحَقَمَ سَادَ قَبِيلَتِهِ ، مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ^(٧)

(١) هكذا بالراء المهملة في « ط » .. وفي « م » : « أَرْدَشِيرُ » بالزاي المعجمة ، وسقط منها « ابن بابك » ..
وكلاهما صواب ..

وهو : أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكِ بْنِ سَامَانَ الْأَكْبَرِ ، وَيُلَقَّبُ بِسَامَانَ الْأَصْفَرِ .. أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ أُمَّةَ الْفَرَسِ بعدما تفرقت
على يد الإسكندر إلى ملوك طوائف ، يملك كل ملك ناحية من البلاد ، وكان هو أحد هؤلاء الملوك .. وله كتاب في
حُسْنِ السِّيرَةِ يُفَضِّلُ الْمَثَلَ بِهِ ، وَتَقْبِضُ الْمُلُوكَ مِنْهُ . ومن أقواله : « إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغَبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ
الطَّاعَةِ .. وَاصْلَاحٌ لِلْخَاصَّةِ مَعَ فُسَادِ الْعَامَةِ .. وَلَا عِمَارَةٌ إِلَّا بِعَدْلِ وَحُسْنِ سِيَاسَةٍ .

وكلمة « أَرْدَشِيرُ » مكونة من كلمتين : « أَرْد » بمعنى : دقيق و « شِير » بمعنى : حليب .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٣ وما بعدها ، وثمار القلوب ص ١٧٨ وإعجام الأعلام ص ٦٢] .

(٢) الذَّلَّةُ : الهوانة .

(٣) تتحامى : تتجنب .

(٤) الخصاصة : الفقر والحاجة وسوء الحال .

(٥) أفلاطون : من نوابغ المفكرين والحكماء ، ومن مشاهير فلاسفة اليونان ، ولد سنة ٤٢٧ قبل الميلاد تقريباً ،
وهو تلميذ « سقراط » ومُتَعَلِّم « أرسطو » ، ومن مؤلفاته كتاب « الجمهورية » و « المحاورات » . توفي سنة ٣٤٧ قبل
الميلاد .

[انظر ترجمته وفلسفته في كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني سلسلة نوابغ الفكر العربي ط دار
المعارف] .

(٦) في « م » : وقد .

(٧) هو : الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ بْنِ عِقَالِ الْمَجَاشِمِيِّ الدَّارِمِيِّ التِّيمِيُّ ، صحابيٌّ ، ومن سادات العرب في الجاهلية ،
قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَدَّ « دَارِم » مِنْ تَيْمِ ، فَأَسْلَمُوا ، وَشَهِدُوا حُنَيْنًا وَفَتْحَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ . وسكن
المدينة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ورحل إلى « دومة الجندل » في خلافة أبي بكر ، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر
وقائع حتى البجعة ، واستشهد بالجزورجان سنة ٣١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١٢٨ - ١٣٠ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ١

ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ والمعارف ص ٣٤٢] .

الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ » ^(١) .

قَالُوا : وَلَا يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ الْكِبَرِ ، وَحَسْبُكَ مِنْ رِذِيلَةٍ تُسَلِّبُ السِّيَادَةَ . وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « بَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُهْدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ^(٢) .

فَقَرَنَ الْكِبَرَ بِالْفَسَادِ وَمُنْعًا مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) : « مَا صَافَرْتُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » ^(٤) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا رَأَيْتُ مُتَكَبِّرًا إِلَّا تَحَوَّلَ دَاوُهُ فِي ، يَنْبَغِي أَنِّي أَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِبَرَ يُوجِبُ الْمَقْتَ ، وَمَنْ مَقَّتْهُ رِجَالُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ حَالُهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَتْهُ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ^(٥) . وَمَنْ كَرِهَهُ الْحُمَاةُ تَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ . وَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْاسْتِنْدَادِ بِالرَّأْيِ ^(٦) وَتَرْكِ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ .

(١) لى جبهة أنساب العرب ، وفى المعارف لابن قتيبة ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أطلق هذا على « حُثَيْبَةَ ابن جحش » ، وكان فى الجاهلية من الجزائين ، ويقود عشرة آلاف ، ودعا النبی صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يجع ، ولم يدخل فيه ، وقال للنبی صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أدنو من جوارك فواوئعنى ، فوادة ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المدة انصرف هو وقومه إلى بلادهم ، وقد أسنوا وأبشوا ، ومن الحافر ، فأغار حُثَيْبَةُ بذلك الحافر على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الحارث بن عوف : بئس ما جزيت به عمداً أسننت فى بلاده ثم غزوته !

فقال : هو ما ترى . فقال النبی صلى الله عليه وسلم فيه : « الأحمق المطاع » .

وكان حُثَيْبَةُ من الأعراب الأجلاف ، ثم أسلم ، ولوتد حين ارتدت العرب ، وبعت به خالد بن الوليد مُعِيماً إلى أبى بكر فى المدينة ، فكان صبيان المدينة يقولون : يا عدو الله ، أكفرت بعد إيمانك ؟ وله مع الرسول وأبى بكر وعمر وعثمان مواقف ذكرها كتب السيرة والتاريخ تدل على غلظته وجفاله .

[انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ ، وجبهة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ ، والمعارف ص ٣٠٢ - ٣٠٤ .]

(٢) سورة القصص - الآية ٨٣ . ولم ترد فى « ط » : « والعاقبة للمتقين » .

(٣) فى « ط » : « تجل وعز » .

(٤) سورة الأعراف - من الآية ١٤٦ .

(٥) غص بالماء : وقف فى خلقه فلم يكد يسيفه .

(٦) بالرأى : عن « م » وسالطة من « ط » .

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَقُومُ مَعَهَا الْمَمْلَكَةُ : الْكَذِبُ ، وَالْعَدْرُ ، وَالْحُبْتُ ، وَالنَّجُورُ .
وَالسُّخْفُ ^(١) . وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : سَبْتُ بِخَصَالٍ لَا تُتَغْفَرُ مِنَ السُّلْطَانِ :
الْكَذِبُ ، وَالْخَلْفُ ^(٢) ، وَالْحَسَدُ ، وَالْحِلْدَةُ ، وَالْبُحْلُ ، وَالْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَابًا لَمْ
يُوثِقْ بِوَعْدِهِ وَلَا بِوَعْدِهِ ، فَلَمْ يَرْجَحْ خَيْرُهُ ، وَلَمْ يُخَفِ شَرُّهُ ، وَلَا بَهَاءَ إِسْلَاطَانِ
لَا يَرْهَبُ .. وَقَالَ الْحُكَمَاءُ : تَحْرَابُ الْبِلَادِ وَفَسَادُ الْعِبَادِ مَقْرُونَانِ يَابِطَالِ الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ
مِنَ الْمُلُوكِ .

وَالْكَذِبُ أَسْقَطُ الْأَخْلَاقِ ، وَأَغْلَبُ شَيْءٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأُخْرَى أَنْ لَا يَنْتَرَعَ عَنْهُ
لِضَرَّائِهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَمْ تُكَذِّبْ ؟ قَالَ : لَوْ تَعَزَّزْتُ ^(٣) بِهِ مَا تَرَكْتُهُ . وَهُوَ نَوْعٌ
مِنَ الْفُحْشِ ، وَضُرَّتْ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتِعْدَابُ الْمَتَى ، وَهُوَ أَضْعَافُ فِكْرِ
الْحَقِّقِيِّ ^(٤) وَمِنْ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى صَاحِبِهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذِبَةٍ ^(٥)
طَائِحَةٍ نُسِبَتْ إِلَيْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا تَبَّ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ ^(٦)

فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ ^(٧)

وَقَالَ غَيْرُهُ ^(٨) :

(١) السُّخْفُ : النقص .

(٢) الخلف ، بفتح الحاء المعجمة : السقط والردى من القول . وفي الأمثال : « سَكَتَ الْفَأْ وَطَلَّقَ تَحْلَقًا »

(٣) تعزَّزْتُ : صبرت عزيرًا .

(٤) أَضْعَافُ فِكْرِ الْحَقِّقِيِّ : اختلاط واضطراب أفكارهم .

(٥) في « ط » : « كَذْبَةٌ » اسم مرة من الكذب . وطائحة : متشرة هاهنا وهاهنا .

(٦) في أدب الدنيا والدين للماوردي : وفي عيون الأخبار « مِنَ الْبَلِيَّةِ » .

(٧) هكذا في « م » وفي أدب الدنيا والدين .. وفي « ط » : « وَإِذَا » وفي عيون الأخبار : « مَهْمَا » .

[انظر أدب الدنيا والدين الفصل الخامس ، في الصدق والكذب ص ٣١٨ ط الدار المصرية اللبنانية وانظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤] .

(٨) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي ، أبو الحسن ، فقيه شافعي ، وشاعر ، كان ضريرًا ، سافر إلى بغداد ومدح فيها الخليفة المعتز .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٩ - ٢٩٢ وشذرات الذهب

ج ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠] .

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْتُمُ وَلَيْسَ فِي الْكُذَّابِ حِيلَةٌ ^(١)
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذَّابُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) . وَأَمَّا
الْحَسَدُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَسُودًا لَمْ يُشْرَفْ أَحَدًا ^(٤) . وَإِذَا ضَاعَتِ الْأَشْرَافُ هَلَكَتِ
الْأَجْبَاعُ ، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى أَشْرَافِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَ لَهُمْ سَادُوا ^(٥)
وَأَمَّا الْبُخْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٦) كَانَ بَخِيلًا لَمْ يَتَّصِحْهُ أَحَدٌ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوِلَايَةُ إِلَّا
بِالْمُتَّصِحَةِ ^(٧) . وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَخْلُ ، لِأَنَّ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ فِي يَدَيْهِ .

وَأَمَّا الْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٨) كَانَ جَبَانًا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ ، وَضَاعَتْ ثَغُورُهُ .

وَإِذَا كَانَ حَدِيدًا غَضُوبًا ^(٩) وَالْقُدْرَةُ مِنْ وَرَائِهِ هَلَكَتِ رَعِيَّتُهُ وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ
يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَائِهِ حَاجَتِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أَسْقُفٌ ^(١٠) تَجْرَانِ عَلَى مُصْطَبِ بْنِ
الزُّبَيْرِ [فَكَلَّمَهُ بِشَيْءٍ أَغْضَبَهُ] ^(١١) ضَرَبَ وَجْهَهُ بِالْقَضِيبِ فَأَذَمَاهُ ، فَقَالَ الْأَسْقُفُ : إِنَّ

(١) فِيمَنْ يَنْتُمُ : أَيْ فِي الَّذِي يَرْفَعُ الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْإِشَاعَةِ وَالْإِنْسَادِ .

(٢) فِي م : « وَ قَالَ تَعَالَى » .

(٣) سُورَةُ النُّحْلِ - مِنَ الْآيَةِ ١٠٥ . وَتَمَامُ الْآيَةِ : « أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » . وَفِي م : « الْخَاسِرُونَ » ، خَطَأً مِنَ
النَّاسِخِ .

(٤) أَيْ : لَمْ يُعْظَمْ أَحَدًا .

(٥) السَّرَاةُ : الْأَشْرَافُ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا يَكَادُ يَوْجَدُ لَهُ نَظَرٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ « فَيْبَلٌ » عَلَى « قَمَلَةٍ » ..
وَلِ اللِّسَانِ : السَّرَاةُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ عِنْدَ سَيُوبِهِ ، قَالَ : وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : سَرَوَاتُ . وَقَوْلُهُمْ :
قَوْمُ سَرَاةٍ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، جَاءَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَالْقِيَاسُ : سَرَاةٌ ، مِثْلُ : قَضَاةٌ ، وَرَعَاةٌ ، وَغَرَاةٌ .

(٦) فِي د ط : « فَإِذَا » .

(٧) سَقَطَتْ أَدَاةُ الْإِسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » مِنْ م « سَهَوَا مِنَ النَّاسِخِ ، وَلَا يَصِحُّ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

(٨) فِي د ط : « فَإِذَا » .

(٩) حَدِيدًا غَضُوبًا : شَدِيدًا كَثِيرَ الْغَضَبِ .

(١٠) الْأَسْقُفُ ، بِشَدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا : رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ التَّهَارِيِّ فَوْقَ الْقَيْسِيِّ وَدُونَ الْمُطَرَّانِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ عَنْ م « وَسَاقَطَ مِنْ د ط » .

شَاءَ الْأَمِيرُ أَخْبِرْتُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهَا ^(١) . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : لَا يَتَّبِعُنِي لِلْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهَا وَمِنْهُ يُلْقَمَسُ الْجُلُمُ ، وَلَا جَائِزًا وَمِنْهُ يُلْقَمَسُ الْعَدْلُ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : يَهْلِكُ السُّلْطَانُ بِالْإِعْجَابِ وَالْإِحْتِجَابِ ، فَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، وَأَمَّا الْإِحْتِجَابُ فَهُوَ أَوْحَى ^(٣) الْخِلَالِ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا لِلدُّوَلِ ، لِأَنَّهُ ^(٤) إِذَا اخْتَجَبَ السُّلْطَانُ [سَاعَةً] ^(٥) فَكَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّ الْحُجْبَةَ مَوْتُ حُكْمِي ، فَتَقْبُثُ بَطَانَتُهُ بِأَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ وَحَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، لِأَنَّ الظَّالِمَ قَدْ أَمِنَ أَنْ لَا يَصِلَ الْمَظْلُومُ إِلَى السُّلْطَانِ . وَمُعْظَمُ مَا رَأَيْنَا فِي أَعْمَارِنَا ، وَسَمِعْنَا عَنْ سَمِعْنَا مِنْ دُخُولِ الْفَسَادِ عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ حُجْبَتِهِمْ عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأُمُورِ ، فَلَا تَزَالُ ^(٦) الرَّعِيَّةُ ذَا سُلْطَانٍ وَاحِدٍ مَا وَصَلُوا إِلَى سُلْطَانِهِمْ ، فَإِذَا اخْتَجَبَ فَهُنَاكَ سَلَاطِينُ كَثِيرَةٌ .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْرُورُ ، اخْتَجَبْتَ عَنِ الرَّعِيَّةِ بِالْحُجَابِ وَالْأَبْوَابِ ، وَجَعَلْتَ دُونَهُمْ بَرْوَجًا ^(٧) مُشِيدَةً ، وَحِطَّائِرَ بِالْحِجَارَةِ وَالْمَاءِ وَالطِّينِ مَانِعَةً ، وَبَابَ اللَّهِ مَفْتُوحًا لِلسَّائِلِينَ ، لَيْسَ هُنَاكَ حَاجِبٌ ^(٨) وَلَا بَوَابٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٩) . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَيْسَ بَيْنَ أَنْ يَمْلِكَ السُّلْطَانُ رَعِيَّتَهُ أَوْ تَمْلِكُهُ إِلَّا الْحَزْمُ وَالتَّوَانِي ، وَكَمَالُهُ أَمْرَانِ : شِدَّةٌ ^(١٠) فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ امْتِنَهَانٍ .

(١) في « ط » : « قَالَ : قُلْ . قَالَ : لَا تَغْضَبُ بَعْدَهَا » .

(٢) الْأَوْزَاعِيُّ : هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو ، إِمَامُ الدِّينَارِ الشَّامِيَّةِ فِي الْفِقْهِ وَالزُّهْدِ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٣) أَوْحَى الْخِلَالِ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ .

(٤) في « ط » : « فَإِنَّهُ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمَقْرُوفَيْنِ عَنْ « م » .

(٦) في « ط » : « وَلَا تَزَالُ » .

(٧) في « م » : « جِبَالًا » . وَالْبَرْوَجُ : الْحِصُونُ ، جَمْعُ بُرْجٍ ، وَيُقَالُ عَلَى الْبِنَاءِ الْعَالِ الْذَاهِبِ فِي السَّمَاءِ .

(٨) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « لَا حَاجِبَ » .

(٩) سُورَةُ الْفُرْقَانِ — مِنَ الْآيَةِ ٥٧ .

(١٠) في « م » : « سَعَةُ شِدَّةٍ » .

وَسُئِلَ بَزْرَ جَمَهْرُ : أَيُّ الْمُلُوكِ أَحْزَمُ ؟ فَقَالَ ^(١) : مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزْلُهُ ، وَقَهْرُ لُبِّهِ هَوَاهُ ، وَأَغْرَبَ عَنْ ضَمِيرِهِ فِعْلُهُ ، وَلَمْ يَخْتَدِعْهُ ^(٢) رِضَاهُ عَنْ حَظِّهِ ، وَلَا غَضَبُهُ عَنْ كَيْدِهِ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : زَوَّالُ الدُّوَلِ فِي اصْطِنَاعِ السُّؤْلِ ^(٣) ، وَمَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَقَالُوا : مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْقِفْظَةِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفِظَةِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : أَحْسَنُ مَا وَجَدْتُ فِي طِرَازِ الْحِكَمِ مِنَ الْبَلَاغَةِ : الْبُحْلُ وَالْجَهْلُ مَعَ التَّوَاضُّعِ خَيْرٌ مِنَ السُّخَاءِ وَالْعِلْمِ مَعَ الْكِبَرِ ، فَيَا لَهَا حَسَنَةً غَطَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ ! وَيَا لَهَا سَيِّئَةً غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ !

(١) في « م » : قال .

(٢) يَخْتَدِعُهُ : يَخْدَعُهُ .

(٣) في « م » : « باصطناع » . والسُّؤْلُ : الجهلاء والسُّقَاط من الناس وأراذلهم ، جمع « سافل » .

(٤) هو : يحيى بن خالد بن برمك ، مؤدب هارون الرشيد ، وقد مرت ترجمته .

الباب الرابع عشر

في الخصال المحمودّة في السلطان

وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ عَلَيْهَا فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ قَصَرْتَ قُوَّتَكَ عَنْ عَدُوِّكَ فَتَحَلَّى بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي لَيْسَ لِعَدُوِّكَ مِثْلُهَا ، فَإِنَّهَا الْكَافِيَةُ ^(١) مِنَ الْغَارَةِ الشُّعْوَاءِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِصَعْمَصَةَ بْنِ صُوْحَانَ ^(٢) : صِيفٌ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرِغِيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، غَارِيًّا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُذْرِ ، سَهْلًا لِلْحِجَابِ ، مَصُونًا لِلْبَابِ ، مُتَحَرِّيًا لِلصُّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ لِلْقَوِي ، وَلَا بَجَافٍ لِلْقَرِيبِ .

وَقَالُوا : الْمُنْفَعَةُ ^(٤) تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ ، وَالْمَضَرَّةُ تُوجِبُ الْبِغْضَةَ ^(٥) ، وَالْمُخَالَفَةُ تُوجِبُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْمُتَابَعَةُ تُوجِبُ الْأَلْفَةَ ، وَالصَّدْقُ يُوجِبُ الثِّقَةَ ، وَالْأَمَانَةُ تُوجِبُ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فَإِنَّ الْكَافِيَةَ » . لا تصح .. والغارة الشُّعْوَاءُ : المنتشرة الفاشية .

(٢) هو : صَعْمَصَةُ بْنُ صُوْحَانَ بْنِ حَجَرٍ بْنِ الْخَارِثِ الْعَبْدِيُّ ، أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَرَهُ ، وَصَغُرَ عَنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَلِذَلِكَ فِي « دَارَيْنِ » قَرَبَ الْقَطِيفِ ، وَكَانَ حَظِييًا فَصِيحًا ، لَسِيْنَا ، ذَنِيًا ، فَاضِيًا ، شَهِدَ « صَفَيْنَ » مَعَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ مَوَاقِفَ . وَهُوَ مِنْ سُرَّةِ عُمَانَ إِلَى الشَّامِ . تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٥٦ هـ عَنْ نَحْوِ ٧٠ عَامًا وَدُفِنَ فِي الْبَحْرَيْنِ ، وَقِيلَ : مَاتَ بِالْكُوفَةِ .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٥٥] .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) في « م » : « قَالُوا فَالْمُنْفَعَةُ » .

(٥) الْبِغْضَةُ ، بِكَسْرِ الْبَاءِ الْمَعْجَمَةُ : شِدَّةُ الْبُغْضِ .

الطَّمَانِينَةُ ، وَالْعَدْلُ يُوجِبُ اجْتِمَاعَ الْقُلُوبِ ، وَالْجَوْرُ يُوجِبُ الْفُرْقَةَ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاغِدَةَ ، وَالْإِسْطَاطُ يُوجِبُ الْمُؤَانَسَةَ ، وَالْإِنْقِيَاضُ يُوجِبُ الْوَحْشَةَ ، وَالْكَبِيرُ يُوجِبُ الْمَقْتَّ ، وَالْتَوَاضُعُ يُوجِبُ الْمِقَّةَ ^(١) ، وَالْجُودُ يُوجِبُ الْحَمْدَ ، وَالْبُحْلُ يُوجِبُ الْمَدَمَةَ ، وَالتَّوَانِي يُوجِبُ التَّضْيِيعَ ، وَالْجِدُّ يُوجِبُ رَجَاءَ الْأَعْمَالِ ، وَالْهُوَيْنِي يُوجِبُ الْحَسْرَةَ ^(٢) ، وَالْحَزْمُ يُوجِبُ السُّرُورَ ، وَالتَّقْرِيرُ ^(٣) يُوجِبُ الثَّدَامَةَ ، وَالْحَذَرُ يُوجِبُ الْعُدْرَ ، وَاصَابَةُ التَّدْبِيرِ تُوجِبُ بَقَاءَ النِّعَمَةِ ، وَبِالتَّائِي تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ ، وَبِالْيَمْنِ كَنَفٌ ^(٤) الْمُعَاشَرَةِ تَدْوِمُ الْمَوَدَّةَ ، وَبِحِفْظِ الْجَانِبِ تَأْنِسُ النَّفُوسُ ، وَبِسَعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطْيِبُ عَيْشُهُ .

وَالِاسْتِيْهَانَةُ تُوجِبُ التَّبَاعُدَ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّنِيتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ^(٥) ، وَعَدْلُ الْمُنْعَلِقِ يُوجِبُ الْجَلَالََةَ ^(٦) ، وَبِالنِّصْفَةِ تَكْثُرُ الْمُوَاسَلَةُ ^(٧) ، وَبِالْإِفْتِضَالِ يَعْظُمُ الْقُدْرُ ، وَبِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو ^(٨) الْأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّوْدُ ^(٩) ، وَبِالْجِلْمِ عَنِ السُّيُوءِ يَكْثُرُ ^(١٠) الْمَصَارِكُ عَلَيْهِ ، وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدُّدِ ^(١١) تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرِيمِ ، وَبِتَرْكِ مَا لَا يَنْفَعُكَ يَسِمُ لَكَ الْفَضْلُ .

(١) الْمِقَّةُ : الْمَحَبَّةُ .

(٢) فِي « م » : « يُوجِبُ الْحَسْرَةَ » . وَالْهُوَيْنِي هُنَا بِمَعْنَى الْمَهَابَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَهِيَ تَصَغِيرُ « الْهُوَيْنِي » .

(٣) التَّقْرِيرُ : التَّعَرُّضُ لِلْمَلَكَةِ .

(٤) الْكَنَفُ : جَانِبُ الشَّيْءِ .

(٥) فِي « م » : « تَكْرُ الْمِيبَةِ » .

(٦) فِي « م » : « وَبِمَثَلِ الْمُنْعَلِقِ تُحِبُّ الْجَلَالََةَ » .

(٧) أَيْ : وَبِالْإِنْفِصَالِ يَكْثُرُ الْإِحْسَانُ وَالْوِصَالُ .

(٨) تَزْكُو : تَزِيدُ وَتَسْمُو .

(٩) الْمُؤْنُ : الْأَمْوَالُ . وَاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ : تَقْدِيمُ الْكَفَالَةِ مِنْهَا لِئَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهَا . وَالسُّوْدُ : السِّيَادَةُ وَالْجِدُّ وَالشَّرَفُ .

(١٠) فِي « ط » : « تَكْثُرُ » .

(١١) فِي « م » : « وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدُّدِ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السِّيَاسَةَ تُكْسُو أَهْلَهَا الْمَحَبَّةَ ، وَالْقَطَاطَةَ تُخْلَعُ عَنْ صَاحِبِهَا ^(١) ثَوْبَ الْقَبُولِ . وَمِنْ صِعْرِ الْهِمَّةِ الْحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى التَّعَمُّعِ ، وَالتَّظَرُّرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَاةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَخْلُصْ ^(٢) لِدَمِّهِ ، وَمَنْ صَبَّرَ غَيْمَ ، وَمَنْ سَكَتَ سَلِيمَ ، وَمَنْ خَافَ خَيْرَ ^(٣) ، وَمَنْ اِغْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَّ ، وَمَنْ فَهَمَ عَلِمَ ، وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ الثَّدَامَةُ ، وَمَعَ التَّائِي السَّلَامَةُ .

زَارِعُ الْبِرِّ ^(٤) يَخْصُدُ السُّرُورَ .. صَاحِبُ الْعَاقِلِ مَغْبُوطٌ ^(٥) .. صَدِيقُ الْجَاهِلِ ثَعِبٌ ^(٦) .. إِذَا جَهِلْتَ فَاسْأَلْ ، وَإِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَالْتَدِمْ ، وَإِذَا تَدِمْتَ فَاقْلَعْ ^(٧) ، وَإِذَا أَفْضَلْتَ فَاسْكُتْ ^(٨) ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاجْمِلْ ^(٩) ، وَإِذَا أُعْطِيتَ فَاجْزِلْ ^(١٠) ، وَإِذَا غَضِبْتَ ^(١١) فَاخْلُصْ .. مَنْ بَدَأَكَ بِبِرِّهِ فَقَدْ شَخَّلَكَ بِشُكْرِهِ .. الْمُرُوءَاتُ كُلُّهَا تَتَّبِعُ لِلْعَقْلِ .. الرَّأْيُ تَتَّبِعُ لِلتَّجَرِبَةِ .. الْعَقْلُ أَصْلُهُ التَّكَبُّثُ ، وَتَمَرَّتُهُ السَّلَامَةُ .. وَالتَّوْفِيقُ أَصْلُهُ الْعَقْلُ ، وَتَمَرَّتُهُ التَّجَمُّعُ ^(١٢) ، وَالتَّوْفِيقُ وَالْاجْتِهَادُ زَوْجَانِ ، فَلَا اجْتِهَادَ ^(١٣) سَبَبٌ ، وَالتَّوْفِيقُ يَنْجَحُ بِالْاجْتِهَادِ ^(١٤) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ

(١) لِي د م : : تَخْلَعُ صَاحِبِهَا .

(٢) يَخْلُصُ : يَسْكُنُ وَيَتَأَنَّى عِنْدَ الْغَضَبِ .

(٣) خَيْرٌ : تَقَطُّعٌ وَاسْتَقْدَامٌ .

(٤) لِي د م : : زَارِعُ الصُّبْرِ .

(٥) مَغْبُوطٌ : حَالُهُ حَسَنَةٌ يَهْتَمُّ بِهَا النَّاسُ عَلَيْهَا .

(٦) لِي د م : : مَصْرُوبٌ لَا تَصُحُّ . وَقَدْ سَبَقَ الصَّلَاقُ عَلَيْهَا .

(٧) فَاقْلَعْ : أَيْ فَكُفَّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَكَ تَدَلِمًا .

(٨) أَفْضَلْتَ : أَيْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِنْسَانٍ .

(٩) فَاجْمِلْ : أَيْ فَاحْصِنِ .

(١٠) اِجْزِلْ : اَلْوَسِغْ وَارْخُزْ .

(١١) لِي د م : : عَصِيَتْ .

(١٢) التَّجَمُّعُ : النِّجَاحُ .

(١٣) لِي د م : : وَالْاجْتِهَادُ .

(١٤) لِي ط : : الْجَهْدُ .

سُبُلًا ﴿١﴾ . فَلَا عَمَالَ ﴿٢﴾ كُلُّهَا تَبِعَ لِلْمَقْلُورِ .

وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعٍ كُتِبَ .. مِنَ التَّوْرَةِ : مَنْ قَتَعَ شَيْعَ . وَمِنْ الزَّبُورِ ﴿٣﴾ : مَنْ سَكَتَ سَلِمَ . وَمِنْ الْإِنْجِيلِ : مَنْ اعْتَزَلَ نَجَا ﴿٤﴾ . وَمِنْ الْقُرْآنِ : ﴿ وَمَنْ يَخْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥﴾ .

الْحِلْمُ شَرَفٌ ، وَالصَّبْرُ ظَفَرٌ ﴿٦﴾ ، وَالْمَعْرُوفُ كَنْزٌ ، وَالْجَهْلُ سَفَةٌ ، وَالْأَيَّامُ دَوْلٌ ، وَالْدَّهْرُ غَيْرٌ ﴿٧﴾ ، وَالْمَرْءُ مَنَسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَمَاخُودٌ بِعَمَلِهِ .. اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يُكْسِبُ الْحَمْدَ .. أَكْرِمُوا الْجَلِيسَ يَغْمُرْ ثَابِدِيكُمْ .. انْصِفُوا مِنْ تُفُوسِكُمْ يُوثِقُ بِكُمْ .. إِهَانُكُمْ وَالْأَخْلَاقُ الدَّنِيَّةُ ، فَإِنَّهَا تُضَيِّعُ الشَّرَفَ ، وَتُهْدِمُ الْمَجْدَ .. تَهْنِئَةُ الْجَاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جَرِيرَتِهِ ﴿٨﴾ .. رَأْسُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقَالَهَا .

وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعٍ كَلِمَاتٍ : لَا تُحْمَلُ بِطَنُكَ مَالًا يُطِيقُ ﴿٩﴾ ، وَلَا تَعْمَلْ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ ، وَلَا تُقَرَّ بِأَمْرَةٍ ﴿١٠﴾ ، وَلَا تُثِقِ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ .

(١) سورة العنكبوت - من الآية ٦٩ .

(٢) في ط : : والأعمال .

(٣) الزَّبُورُ : الكتاب المزمور ، أى الذى أُثِيقَتْ كِتَابَتُهُ ، وغلب عل مُصَنَّفِ داود عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا خُلُودُ زَبُورًا ﴾ . سورة النساء - من الآية ١٦٣ .

(٤) في م : : « مَنْ سَكَتَ نَجَا » .

(٥) سورة آل عمران - من الآية ١٠١ . وفي ط : : « وَمَنْ اعْتَصَمَ » . مخالف للآية .

(٦) ظَفَرٌ : قَوَزٌ وَتَوَالٌ .

(٧) الْأَيَّامُ دَوْلٌ : تدور وتتقل من حال إلى حال . وَغَيْرُ الدَّهْرِ : أحواله وأحداثه الْمُتَغَيِّرَةُ أيضًا .

(٨) التَّهْنِئَةُ : الصَّبَاحُ وَالزَّجْرُ . والجريدة : الجنابة والذنب .

(٩) في م : : « لَا تُحْمَلُ طَنُكَ مَا لَا يَطِيقُ » .

(١٠) في م : : « بِأَمْرَةٍ » .

البَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ

فِيمَا يَعْرِزُ بِهِ السُّلْطَانُ .. وَهِيَ الطَّاعَةُ (٥)

قَالَ مَلِكُ فَارِسَ لِمُوَيْدَانَ مُوَيْدَ : مَا شَيْءٌ وَاجِدٌ يَعْرِزُ بِهِ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ : الطَّاعَةُ .
قَالَ : فَمَا مِلَاكُ الطَّاعَةِ (١) ؟ قَالَ : التَّوَدُّدُ إِلَى الْخَاصَّةِ ، وَالْعَدْلُ عَلَى الْعَامَّةِ . قَالَ :
صَدَقْتَ . الْأَمَانَةُ مَعْقِلُ (٢) الطَّاعَةِ ، وَالطَّاعَةُ نَيْتَةُ الْمُلْكِ (٣) . وَكَانَ يُقَالُ : طَاعَةُ
السُّلْطَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : عَلَى الرِّغْبَةِ ، وَالرَّهْمَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ ، وَالذَّبَائَةِ .. وَلَمَّا دَخَلَ
سَعْدُ الْعَشِيرَةِ (٤) عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ جَمْتِيرَ (٥) قَالَ لَهُ : يَا سَعْدُ ، مَا صَلَاحُ الْمُلْكِ ؟

(٥) في د م : : في بيان معرفة السلطان .. وهي الطاعة .

(١) في د م : : ملال « تحريف .. ومِلَاكُ الطاعة ، بفتح الميم وبكسرهما : قِوَاهُهَا وَغِلَاصَتُهَا .

(٢) الْمَعْقِلُ : الْمَلْجَأُ وَالْجَيْشُ ، وَجَمْعُهُ : مَعَاقِلُ .

(٣) في د م : : زينة الجِلَّةِ . والجِلَّةُ : الشريعة أو الدين .

(٤) هو : سعد العشيرة بن مَلْجَحٍ — وفي الأعلام : ابن مالك — بن أَدَدَ ، من كهلان ، من القحطانية ، من
رجال العرب في الجاهلية ، وبنيوه عِدَّةٌ يُعْرَفُونَ : الْحَكَمُ ، وَصَعْبٌ ، وَجُفْجَفَى ، وَزَيْدُ اللَّهِ ، وَثَبْرَةُ ، وَجَسْرٌ ، وَعَلَانْدُ
اللَّهِ . وَسَمَّى « سعد العشيرة » لأنه كان يركب معه أبنائه ، وأبناء أبنائه ، وهم نحو مائة رجل ، فإذا سئل عنهم
قال : هؤلاء عشيرتي .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٦ ، والمعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وثمار القلوب ص ١٠٤] .

(٥) جَمْتِيرُ : أمة قبيلة من اليمن ، وهو جَمْتِيرُ بن سِبَا بن لَشْتَجَبَ بن يَحْرَبَ بن قَحْطَانَ . وقيل : هو من ملوك اليمن
في الجاهلية ، وإليه تنتمي القبيلة ، ومدينة « ظفار » كانت له .

[انظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط مادة : حمر .. ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧] .

قَالَ : مُعْدِلَةٌ شَائِعَةٌ ، وَهَيْبَةٌ وَازِعَةٌ ^(١) وَرَعِيَّةٌ ^(٢) طَائِعَةٌ . فَإِنَّ فِي الْمُعْدِلَةِ حَيَاةَ الْأَنْهَامِ ، وَفِي الْهَيْبَةِ نَفَى الظَّلَامِ ، وَفِي طَاعَةِ الرَّعِيَّةِ الثَّالِفَ ^(٣) وَالْإِلْتِمَامَ .

طَاعَةُ الْأُيُمَّةِ فَرَضٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ ^(٤) طَاعَةَ السُّلْطَانِ مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ .. اتَّقُوا اللَّهَ بِحَقِّهِ ^(٥) ، وَالسُّلْطَانَ بِطَاعَتِهِ ^(٦) . مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) إِجْلَالُ السُّلْطَانِ - عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا .. الطَّاعَةُ تُؤَلَّفُ شَمْلَ الدِّينِ ، وَتُنْظَمُ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ .. عِصْيَانُ الْأُيُمَّةِ يَهْدِمُ أَرْكَانَ الْحِلَّةِ . أَوَّلَى النَّاسِ بِطَاعَةِ السُّلْطَانِ وَمُنَاصَحَتِهِ أَهْلُ الدِّينِ وَالتَّعَمُّ وَالْمُرُوءَاتِ ، إِذْ لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ ^(٨) ، وَلَا تَكُونُ التَّعَمُّ وَالْحُرْمُ مَحْفُوظَةً إِلَّا بِهِ .. الطَّاعَةُ مِلَاكُ الدِّينِ .. الطَّاعَةُ مَعَاقِلُ ^(٩) السَّلَامَةِ ، وَارْفَعُ مَنَازِلَ السَّعَادَةِ الطَّرِيقَةُ الْمُتَلَى ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى قِوَامُ الْأُمَّةِ ^(١٠) ، وَقِيَامُ السَّنَةِ بِطَاعَةِ الْأُيُمَّةِ عِصْمَةٌ ^(١١) مِنْ كُلِّ يَفْتَنَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ .. طَاعَةُ الْأُيُمَّةِ عِصْمَةٌ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وَحِرْزٌ ^(١٢) لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا .

وَلَيْسَ لِلرَّعِيَّةِ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَى الْأُيُمَّةِ فِي تَذْيِيرِهَا ، وَإِنْ سَوَّلَتْ لَهَا أَنْفُسُهَا ، بَلَّ عَلَيْهَا الْإِلْتِمَادُ ، وَعَلَى الْأُيُمَّةِ الْجَاهِدُ .. بِالطَّاعَةِ يَقُومُ الْحُدُودُ ، وَتُؤَدَّى الْفَرَائِضُ ، وَتُحَقَّنُ

(١) الْمُعْدِلَةُ ، بكسر الدال وضعها : العدل والاستقامة . ووازعٌ : زاجرةٌ وممانعة .

(٢) فِي « م » : « رَغْبَةٌ » بَدَلُ « رَعِيَّةٍ » تَحْرِيفٌ .

(٣) الثَّالِفُ : اسْتِثْنَاءُ الْقُلُوبِ بِالْمُرُوءَةِ وَالْإِحْسَانِ . وَفِي « م » : « التَّالِيفُ » أَيْ : الْجَمْعُ وَالْتِمَامُ .

(٤) « كَأَنَّ » عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : « لِحَقِّهِ » .

(٦) فِي « م » : « لِطَاعَتِهِ » .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِضِينَ عَنْ « م » .

(٨) فِي « م » : « إِلَّا بِالسُّلْطَانِ » .

(٩) فِي « ط » : « مَعَادِلُ » أَيْ : مَنَازِلُ : جَمْعُ مَعْدِلٍ .

(١٠) أَيْ : عِمَادُ الْأُمَّةِ وَنِظَامُهَا يَقُومَانِ عَلَى مَا يُسْتَمْسَكُ بِهِ وَيَتَصَلَّمُ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ الْمُحْكَمَةِ وَالدِّينِ الْحَنِيفِ .

(١١) فِي « ط » : « الطَّاعَةُ عِصْمَةٌ » .

(١٢) فِي « م » : « وَحِزْرٌ » تَحْرِيفٌ .

الدَّمَاءُ ، وَتَأْمَنُ السَّبِيلُ ^(١) .. الإِمَامَةُ ^(٢) عِصْمَةٌ لِلْعِبَادِ ، وَحَيَاةٌ لِلْبِلَادِ ، أَوْجَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَصَّهُ بِفَضْلِهَا وَحَمَلَهُ أَغْيَاءَهَا ^(٣) الطَّاعَةَ ، فَقَرَّبَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) .. طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ هَذِي لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِهَا ، وَمُؤْتَلٌ ^(٥) لِمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا .. الْخَارِجُ ^(٦) مِنَ الطَّاعَةِ مُنْقَطِعُ الْعِصْمَةِ ، بَرَاءٌ مِنَ الذِّمَّةِ ، مُبَدَّلٌ بِالْكَفْرِ النَّعْمَةِ ^(٧) .. طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَدِينُهُ الْقَوِيمُ ، وَجَنَّتُهُ الْوَاقِيَةُ ، وَكَيْفَايَتُهُ الْعَالِيَةُ .

إِبَائُكُمْ وَالْخُرُوجُ عَنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا غِشَّ الْأَئِمَّةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِعْلَاصِ وَالتَّصْبِيحَةِ .. مَا مَشَى قَوْمٌ إِلَى سُلْطَانٍ لِيُذْلُوهُ إِلَّا أَذْلَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا .. الطَّاعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْمَحَبَّةِ .. طَاعَةُ الْمَحَبَّةِ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الْهَيْبَةِ .. لِلرَّعِيَةِ عَلَى السُّلْطَانِ الْإِسْتِصْلَاحُ لَهُمْ ، وَالتَّعَهُدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحُسْنُ السِّيَرَةِ فِيهِمْ ، وَالْعَدْلُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ ، وَحَقُّ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ^(٨) الطَّاعَةُ ، وَالْإِسْتِقَامَةُ ، وَالشُّكْرُ . وَالْمَحَبَّةُ بِالرَّعِيَةِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّاعِي مَا لَيْسَ بِالرَّاعِي مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ .. لَوْلَا الرُّعَاةُ هَلَكَتِ الرُّعِيَّةُ ، وَلَوْلَا الْمُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَائِمُ ^(٩) .

• • •

(١) في م : : « وَيَأْمَلُ » بِاللَّامِ . تَحْرِيفٌ . وَالسَّبِيلُ : الطَّرِيقُ ، جَمْعُ سَبِيلٍ ، وَيُطْلَقُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ .

(٢) في م : : « الطَّاعَةُ » بِدَلِّ الْإِمَامَةِ .

(٣) في م : : « خَصَّهُ فَضْلُهَا ، وَحَمَلَهُ غِيَاءَهَا » .

(٤) سورة النساء — من الآية ٥٩ .

(٥) مُؤْتَلٌ : مَلَجَأٌ .

(٦) في م : : « الْخُرُوجُ » .

(٧) الصَّوَابُ لَفْعٌ أَنْ يُقَالَ : « مُبَدَّلُ الْكَفْرِ بِالنَّعْمَةِ » فَلْيَاءٌ تَدْخُلُ عَلَى الْمَرْكُوكِ .

(٨) في م : : « عَلَى الرَّعِيَّةِ » .

(٩) الْمُسِيْمُ : الرَّاعِي .. وَالسَّوَامُ : جَمْعُ سَائِمَةٍ ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْإِبِلِ وَالْمَاشِيَةِ الَّتِي تُرْسَلُ لِلرُّعْيِ وَلَا تُغْلَفُ . وَفِي

م : : « وَلَوْلَا الْمُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَامُ » .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ فِي مِلَاكِ أُمُورِ السُّلْطَانِ

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرِّحْمَةُ وَالْعَدْلُ بِخُرَزَانِ الْمَلِكِ ^(١) . وَقَالَ زِيَادُ ^(٢) : مِلَاكِ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : السُّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَالْمُجَازَاةُ لِلْمُحْسِنِ ، وَصِدْقُ الْقَوْلِ . وَلَمَّا غَزَا سَابُورُ ذُو الْأَكْحَافِ ^(٣) مَلِكَ الرُّومِ ، وَأُخْرِبَ بِلَادُهُ ، وَكُلَّ جُنْدُهُ ، وَأَفْتَى بَطَارِقَتَهُ ^(٤) قَالَ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ وَأُخْرَيْتَ ، فَأَخْبِرْنِي ، مَا الْأَمْرُ الَّذِي تَشَبَّهْتَ ^(٥) بِهِ حَتَّى قَوَيْتَ عَلَى مَا أَرَى ، وَبَلَّغْتَ فِي السِّيَاسَةِ مَا لَمْ يَبْلُغُهُ

(١) بِخُرَزَانِ الْمَلِكِ : بِصُوفَانِهِ وَبِحِفْظَانِهِ .

(٢) هُوَ : زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ ، أَمِيرُ مِنَ النُّعَاةِ ، وَمِنَ الْقَادَةِ الْفَاتِحِينَ ، مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ . اخْتَلَفُوا فِي اسْمِ أَبِيهِ ، فَقِيلَ : حَبِيبُ الثَّقَفِيِّ ، وَقِيلَ : أَبُو سَفِيَّانٍ ، وَأُمَّةٌ سَحْيَةٌ ، جَارِيَةُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ الثَّقَفِيِّ .. أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَرَهُ ، وَأَسْلَمَ ، فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ كَاتِبًا لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، ثُمَّ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَيَّامَ إِمْرَتِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ إِثْرَةَ فَارَسَ ، وَلَمَّا تَوَلَّى عَلَى امْتِنَاعِ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَتَحَصَّنَ فِي قَلَاعِ فَارَسَ . وَبَيَّنَ لِمُعَاوِيَةَ أَنَّهُ أَخُوهُ مِنْ أَبِيهِ (أَبِي سَفِيَّانٍ) فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِبَلَدِهِ ، فَقَدِمَ زِيَادٌ عَلَيْهِ ، وَأَخْلَفَهُ مُعَاوِيَةُ بِنَسَبِهِ سَنَةَ ٤٤ هـ فَكَانَ عَضُدَهُ الْأَعْوَى ، وَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَسَائِرَ الْعِرَاقِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي وِلَايَتِهِ إِلَى أَنْ تَوَلَّى سَنَةَ ٥٣ هـ . وَكَانَ خَطِيبًا فَصِيحًا . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٣ والمعارف ص ٢٨٨ وغيرها من الصفحات ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧ .]

(٣) هُوَ : سَابُورُ بْنُ هَرْمِزَ ، وَذُو الْأَكْحَافِ ، لَقِبَ لَهُ ، وَقِيلَ : لَقَّبَ بِبَلَدِهِ لِأَنَّهُ أَمْرَ بَلَدِ الْأَكْحَافِ أُسْرَى الْحَرْبِ . وَلَدَ سَنَةَ ٣١٠ مِيلَادِيَّةً وَتَوَلَّى سَنَةَ ٣٧٩ م .

[انظر ترجمته في المعارف لابن تقيّة ص ٦٥٦ - ٦٥٩ .]

(٤) فِي م : « : بَطَارِقَتُهُ » بِالْكَافِ . وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٥) فِي م : « : شَبَّهْتُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

مَلِكٌ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُضْبَطُ ^(١) الْأَمْرُ بِحَقِّهِ أَذِيتُ إِلَيْكَ الْحَرَاجُ ، وَصِرْتُ كَبَغْضِ الرُّعْيَةِ فِي الطَّاعَةِ لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ سَابُورُ : إِنِّي لَمْ أَزِدْ فِي السِّيَاسَةِ عَلَى ثَمَانٍ خِصَالٍ : لَمْ أَهْرُلْ فِي أَمْرٍ وَلَا نَهَيْ ، وَلَمْ أَخْلِفْ فِي وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ ^(٢) ، وَوَلَّيْتُ أَهْلَ الْكِفَايَةِ ، وَأَثْبَتُ عَلَى الْعَنَاءِ لَا عَلَى الْهَوَى ، وَصَرَّيْتُ لِلْأَدَبِ لَا لِلْعُصْبِ ، وَأَوْدَعْتُ قُلُوبَ الرُّعْيَةِ الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ جُرْأَةٍ ، وَالْهَيْبَةَ مِنْ غَيْرِ ضَعْفَةٍ ^(٣) ، وَعَمَمْتُ بِالْقَوَرِ ^(٤) ، وَمَنَعْتُ الْقُصُولَ ^(٥) . فَأَذْعَنَ لَهُ ، وَأَدَّى إِلَيْهِ الْحَرَاجَ .

وَكَتَبَ الزُّوْلَيْدُ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ ^(٦) بِسِيرَتِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي أَقْفَضْتُ رَأْيِي وَأَثْمْتُ هَوَايَ ، وَأَذْنَيْتُ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ فِي قَوْمِهِ ، وَوَلَّيْتُ الْحَرْبَ الْحَازِمَ فِي أَمْرِهِ ، وَقَلَّدْتُ الْحَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانِيهِ ^(٧) ، وَقَسَمْتُ لِكُلِّ حَصْنٍ مِنْ نَفْسِي قَسْماً يُعْطِيهِ حَقّاً ^(٨) مِنْ تَطَرِّيٍّ وَلَطِيفٍ عِنَايَتِي ، وَصَرَفْتُ ^(٩) السَّيْفَ إِلَى الْبَطْرِ ^(١٠) وَالْمُسِيءِ ، فَخَافَ الْمُذْبِذِبَ صَوْلَةَ الْعِقَابِ ^(١١) ، وَتَمَسَّكَ الْمُحْصِنُ بِحَظِّهِ مِنَ الْقَوَابِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ^(١٢) : إِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحْصِناً لِسِرِّهِ ، بَعِيداً مِنْ أَنْ يُعْرِفَ مَا فِي

(١) فِي م : « مَا يُضْبَطُ » .

(٢) الْوَعْدُ : يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَقِيلَ : الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ كَرَمٍ ، وَالْوَعِيدُ فِي الشَّرِّ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ غَضَبٍ .

(٣) ضَعْفَةٌ : حَقْدٌ .

(٤) عَمَمْتُ : شَبَّلْتُ . يُقَالُ : عَمَّ الْقَوْمَ بِالْمَطِيَةِ : شَجَّلَهُمْ .

(٥) الْقُصُولُ : جَمْعُ قُضْلٍ ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ . وَأَذْعَنَ : انْقَادَ .

(٦) فِي م : « يَكْتُبُ إِلَيْهِ » .

(٧) قَلَّدْتُ الْحَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانَتِهِ : فَوَضَعْتُ أَمْرَهُ لِلَّذِي يُوَدَّى حَقَّهُ وَيُوفِيهِ .

(٨) قَسَمْتُ قَسْماً : تَحَصَّنْتُ حُزْماً .. وَالْحَقُّ : النَّصِيبُ .

(٩) صَرَفْتُ السَّيْفَ : رَدَدْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ .. وَفِي ط : « وَصَرَفَ » .

(١٠) الْبَطْرِ : الَّذِي يَنْكُرُ الْحَقَّ وَلَمْ يَقْبَلْهُ .

(١١) صَوْلَةُ الْعِقَابِ : شِدَّتُهُ .

(١٢) هُوَ : أَبُو عُبَيْدَةَ مَقْعَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الْبَصْرِيُّ ، مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَلِدَهُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ ، وَاسْتَقْدَمَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٨ هـ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ كُتُبِهِ .

نَفْسِهِ ، مُتَحَيِّرًا لِلزُّرَّاءِ ، مَهِيًّا ^(١) فِي أَنْفُسِ الْعَامَّةِ ، مُكَافِئًا بِحُسْنِ الْبَلَاءِ ، لَا يَخَافُهُ
الْبَرِيُّ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْمُجْرِمُ ^(٢) ، كَانَ خَلِيقًا لِبَقَاءِ مُلْكِهِ .

= قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه » . وكان شعريًا .
وقال ابن قتيبة : « كان يفض العرب ، وصنّف في مثاليهم كتبًا ، وكان مع سعة علمه ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه » . وكانت وفاته باليمامة سنة ٢٠٩ هـ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٧٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٥ - ٢٤٣ ، وإنباء الرواة ج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٨٧ ، وإشارة الصين في تراجم النحاة واللغويين ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢ - ٢٥٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٤ - ١٦٢ ، وشنرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ، ٢٥] .
(١) مَهِيًّا : مُعْظَمًا .
(٢) فِي « م » : « الظالم المجرم » .

البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ

أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ كَانَ شَرِكَةً ^(١) بَيْنَ الرَّعَايَا ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ [فِيهِ] ^(٢) قِسْطُهُ ،
لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي خَفِيفِهِ ^(٣) ، وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ
عَدُوِّهِ . كَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ^(٤) .
وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : أَفْضَلُ السُّلْطَانِ ، مَنْ أَمِنَهُ الْبَرِيُّ وَخَافَهُ الْمُجْرِمُ . وَشَرُّ
السُّلْطَانِ ، مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ وَأَمِنَهُ الْمُجْرِمُ . وَقَالَ عُمَرُ لِلْمُغِيرَةِ ^(٥) لَمَّا وَلَّاهُ الْكُوفَةَ :

(١) فِي « م » : شُرَكَةً .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .. وَقِسْطُهُ : حَقُّهُ وَنَصِيبُهُ .

(٣) فِي خَفِيفِهِ : عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ « م » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ . وَالْخَفِيفُ : الْجَزْوُ وَالظُّلْمُ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : يَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ مِنْ إِمَامِ الْمَدِينَةِ فَتَطُوفُ بِهِ عَلَى سَكَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَقْضِيَ
حَاجَتَهَا . وَالْأُمَّةُ : الْمَرْأَةُ الْمَمْلُوكَةُ ، خِلَافَ الْخُرَّةِ .

(٥) عُمَرُ ، هُوَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ ..

وَالْمُغِيرَةُ هِيَ : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودِ التَّمِيمِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ ذُحَاةِ الْعَرَبِ وَقَادِمُهُمْ وَوَلَانُهُمْ ،
صَحَابِيُّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : « مُغِيرَةُ الرَّأْيِ » . وَوُلِدَ فِي الطَّائِفِ سَنَةَ ٢٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَغَادَرَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
بَنِي مَالِكٍ ، فَدَخَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَانْجَلَا عَلَى الْقُرْقُوسِ ، وَعَادَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ تَرَدَّدَ فِي قَبُولِهِ ، ثُمَّ أَسْلَمَ
سَنَةَ ٥ هـ . وَشَهِدَ الْخَنْدِيبِيَّةَ وَالْهَمَامَةَ وَفُجُوحَ الشَّامِ ، وَخَفِضَتْ عَنْهُ بِالرُّمُوكِ ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَنِهَالُونَ وَهَمْدَانَ ،
وغيرها . وَلَمَّا وَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْبَصْرَةِ فَفَتَحَ عِلَّةَ بِلَادٍ ، وَعَزَلَهُ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْكُوفَةَ ، وَأَقْرَبَهُ عُمَانُ عَلَى الْكُوفَةِ ، ثُمَّ
عَزَلَهُ ، وَلَمَّا حَدَّثَتْ الْفَتَنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ احْتَرَمَهَا الْمَغِيرَةُ ، وَحَضَرَ مَعَ الْحَكَمَتَيْنِ . ثُمَّ وَلَّاهُ مَعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا
إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٥٠ هـ .

[انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ ج ٧ ص ٢٧٧ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٥ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، وَالْمَغِيرُ ص ١٨٤ وَالْمَعَارِفُ
ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

يَا مُبِيرُهُ ، لِيَأْمَنَكَ الْأَبْرَارُ ، وَلِيَحْفَكَ ^(١) الْفُجَّارُ . وَفِي جِحَمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : شَرُّ الْمَالِ مَالٌ لَا يَنْفَقُ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْإِنْعَوَانِ الْحَاذِلُ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ ، وَشَرُّ الْبِلَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ ^(٢) خِصْبٌ وَلَا أَمْنٌ ، وَخَيْرُ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَيْفُ لَا مَنْ أَشْبَهَ الْجَيْفَةَ وَحَوْلَهَا ^(٣) النَّسُورُ . وَعَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَالُوا : سُلْطَانٌ خَافَهُ الرُّعِيَّةُ خَيْرٌ لِلرُّعِيَّةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَخَافُهَا . وَفِي الْأَمْثَالِ الْعَامَّةِ : رَهْبُوتٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ رَحْمُوتٍ ^(٤) . وَكَانَ يُقَالُ : شَرُّ حِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنَ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَالْبُهْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ ^(٥) : جَارٌ مُلَازِمٌ ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا ، وَامْرَأَةٌ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لِسْتِكَ ^(٦) ، وَإِنْ غِبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا . وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدَكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلَكَ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : مَتَى أَصْبِلُ وَأَنَا أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ ^(٧) : إِذَا مَلَكَتْكَ امْرَأَةٌ ، إِنْ أَطْعَمَتْهُمُ أَذْلُوكَ ، وَإِنْ عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ ^(٨) : لِسْلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : السُّلْطَانُ سُوقٌ ، مَا نَفَقَ ^(٩) عِنْدَهُ أَتَى بِهِ .

وَفِي كِتَابِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ ^(١٠) : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْبِرِّ

(١) فِي « ط » : لِيَحْفَكَ .

(٢) فِي « م » : « وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَدٌ لَيْسَ فِيهِ » .

(٣) فِي « م » : « حَوْلَهَا » بَدُونٌ « وَوَلَوْ » .

(٤) الرُّهْبُوتُ : الرُّهْبَةُ . وَالرُّحْمُوتُ : الرَّحْمَةُ : وَالْمَعْنَى : لِأَن تَرَهَّبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرْحِمَ .

(٥) الْفَوَاقِرُ : الْفُقَرَاءُ ، مَفْرَدُهَا : فَاقِرَةٌ .. وَفِي « م » : « الْمَقَائِرُ » وَمَعْنَاهَا : وَجْهُ الْفَقْرِ ، يُقَالُ : سَدَّ اللَّهُ مَفَازَهُ ، أَيْ : أَغْنَاهُ .

(٦) لِسْتِكَ : عَابَتْكَ بِلِسَانِهَا وَذَكَرَتْكَ بِالسُّوءِ .. وَفِي « ط » : « أَلَسْتِكَ » .

(٧) فِي « م » : قَالَ .

(٨) هُوَ : أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ ، سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٩) نَفَقَ : زَاغَ .

(١٠) هُوَ كِتَابُ « التَّاج » الَّذِي تَرْجَمَهُ عَنِ الْفَارْسِيَةِ ، وَقَدْ سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

وَالْمُرُوءَةُ عِنْدَهُ نِفَاقٌ ^(١) فَسَيَكْسُدُ بِذَلِكَ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ ^(٢) . وَسَمِعَ زَيْادَ رَجُلًا يَذُمُّ الزَّمَانَ ^(٣) فَقَالَ : لَوْ كَانَ يَذِرُ مَا الزَّمَانُ لَعَاقَبْتُهُ ، إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ السُّلْطَانُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ الْكَوَّاءِ ^(٤) : صِفْ لِي الزَّمَانَ . فَقَالَ : أَنْتَ الزَّمَانُ ، إِنَّ تَصْلُحَ يَصْلُحَ ، وَإِنْ تَفْسُدَ يَفْسُدَ . وَالْمَثَلُ السَّائِرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُحَذَرَ : الْعَدُوُّ الْفَاجِرُ ، وَالصَّدِيقُ الْغَادِرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ . وَقَالَ بُزْجِمَهُرُ : أَدْوَمُ التَّعَبِ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ السَّيِّئِ الْخُلُقِ ^(٥) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةِ سُلْطَانٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَقَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ^(٦) : لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ فَهُوَ هَلَاكُ الدِّينِ ، وَأَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَهُوَ هَلَاكُ الدُّنْيَا ، فَلَا حِيلَةَ لَكَ ^(٧) إِلَّا الْمَوْتُ أَوْ الْهَرَبُ مِنْهُ . وَقَالُوا : الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَالنَّهْرِ الصَّافِي ^(٨) يَتَنَفَّحُ بِهِ الْأَشْرَارُ وَالْأَخْيَارُ ، وَلَا يَضُرُّ أَحَدًا ، وَالْمَلِكُ السَّوُّءُ مِثْلُ الْجِيْفَةِ يُسْرِعُ إِلَيْهَا شِرَارُ الْحَيَوَانِ وَيَتَحَامَاهَا النَّاسُ ^(٩) .

(١) نِفَاقٌ : جمع نَفَقَةٍ ، وهي اسم من الإنفاق .

(٢) يَكْسُدُ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ : يصيران كاسينتين لارَوَاجَ لهما ولا انتشار .

(٣) يَذُمُّ الزَّمَانَ : يبعيه .

(٤) في م : : لابن اللّوى ، تحريف من الناصب .

وابن الكوّاء هو : عبد الله بن عمرو بن النعمان ، من بني مَشْكُر . عالم كبير ، ونسابة مشهور . وقيل لأبيه الكوّاء لأنه كَوَّى في الجاهلية . وكان من أنصار علي ، وحارب معه في صفين ، ثم خرج عليه .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٨ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٥٣] .

(٥) الْخُلُقُ : السَّجِيَّة . وفي م : : الْخُلَيْقَةُ ، وهي : الطبيعة التي يُهْلَقُ العَرَّةُ بها .

(٦) في م : : بين خَيْرَتَيْنِ .. والخيار : اسم بمعنى طلب خير الأمرين .

(٧) هَكَذَا في ط .. وفي م : : ه . ولا يصح إرجاع الضمير هنا إلى الملك ، والألف المضمة .

(٨) في م : : كالنهر الجاري الحافي .

(٩) يتحاماها : يتجنبها .

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ

فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهَ لَيَرْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَرَعُ ^(١) بِالْقُرْآنِ » . مَعْنَاهُ ^(٢) : يَدْفَعُ . وَقَالَ كَتَبَ ^(٣) : مَثَلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّلْطَانِ وَالنَّاسِ مَثَلُ الْفُسْطَاطِ وَالْعُمُودِ وَالْأُتُنَابِ ^(٤) وَالْأَوْتَادِ ، فَالْفُسْطَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالْعُمُودُ : السُّلْطَانُ ، وَالْأُتُنَابُ ^(٥) وَالْأَوْتَادُ : النَّاسُ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهُمْ إِلَّا بِبَعْضٍ .

وَقَالَ أُرْدَشِيرُ لَابْنِهِ . يَا بُنَيَّ ، إِنْ الْمَلِكَ وَالَّذِينَ أَخَوَانِ لَا غِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، فَالَّذِينَ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، وَمَنْ لَمْ ^(٦) يَكُنْ لَهُ أَسٌّ فَهُوَ مَهْذُومٌ ^(٧) ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ . يَا بُنَيَّ اجْعَلْ حِدِيثَكَ مَعَ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ ، وَعَظِيمَتِكَ لِأَهْلِ الْجِهَادِ ،

(١) فِي « ط » : « يَرَعَى » بِدَلِّ « يَرَعُ » فِي الْمَوْضِعِينَ .

(٢) فِي « ط » : « مَعْنَاهُ : أَيْ » .

(٣) فِي « م » : « قَالَ » بِحَذْفِ الْوَاوِ . وَكَتَبَ هُوَ : كَتَبَ الْأَحْبَارُ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) الْفُسْطَاطُ : بَيْتٌ مِنْ شَجَرٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا مُجْتَمَعُ النَّاسِ . وَالْأُتُنَابُ : مَا يُشَدُّ بِهِ الْبَيْتُ مِنَ الْحِجَالِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرِيقِ .

(٥) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْأُتُنَابِ » مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « وَمَا لَمْ » . وَالْأَسُّ : الْأَسَاسُ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٧) فِي « م » : « فَتَهْذُومٌ » .

وَبَشِّرْكَ ^(١) لِأَهْلِ الدِّينِ ، وَسِرِّكَ لِمَنْ عَنَاهُ مَا عَنَّاكَ ، وَلِتَكُنَّ ^(٢) مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ . وَكَانَ يُقَالُ : الدِّينُ وَالسُّلْطَانُ تَوْأَمَانِ ^(٣) .

(١) البشِّرُ : طلاقة الوجه والسرور .

(٢) لى د م : وَلِتَكُنَّ .

(٣) هكذا فى « م » و « ط » .. والصواب : تَوْأَمٌ « أو تَوَّامٌ » ويُطلق على المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى مازاد ، ذكراً كان أو أنثى . والجمع : توائم .

البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ

فِي خِصَالِ جَامِعَةِ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ

قَالُوا : ظَفَرُ^(١) الْمَلِكِ يَعُدُّوهُ عَلَى حَسَبِ عَدْلِهِ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَتُكُونُهُ^(٢) فِي حُرُوبِهِ عَلَى حَسَبِ جَوْرِهِ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَإِصْلَاحُ الرِّعْيَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . وَقَالُوا : تَأَجُّجُ الْمَلِكِ عَفَافُهُ ، وَحِصْنُهُ إِصْصَافُهُ ، وَسِلَاحُهُ كَفَافُهُ^(٣) ، وَمَالُهُ رَعِيَّتُهُ^(٤) . وَقَالَتْ حُكْمَاءُ الْهِنْدِ : لَا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِيحَّةَ مَعَ نَهَمٍ^(٥) ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبَرٍ^(٦) ، وَلَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا بَرٍّ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ جِرْصٍ ، وَلَا وِلَايَةَ حُكْمٍ مَعَ عَدَمِ فِقْهِ ، وَلَا سُودَّدَ مَعَ اتِّقَاعٍ^(٧) ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ تَهَاوُنٍ وَجَهَالَةٍ وَزَّارَةٍ .

(١) الظَّفَرُ : القَلْبَةُ والقَهْرُ .

(٢) فِي « م » : « وَيَكُونُ » . وَالنُّكُوبُ : الْمَصَالِبُ ، مَقْرَعُهَا : نَكَبٌ .

(٣) كَفَافُهُ : الَّذِينَ تَكُونُ بِهِمُ الْكَفَايَةُ وَيَسْتَعْنِي بِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ . وَفِي « ط » : « وَسِلَاحُهُ كَفَافُهُ » بِالْهَمْزِ ، وَهِيَ : الْمَمَالَةُ فِي الْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ ، وَمِنْهَا الْكَفَايَةُ فِي الزَّوْجِ . أَمَّا الْكَفَايَةُ بِمَعْنَى الْمَقْدَرَةِ أَوْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ ، فَهِيَ مُؤَلَّدَةٌ ، لِذَا قَالَ أَوَّلَى هِيَ الْمَقْصُودَةُ هُنَا .

(٤) فِي « م » : « وَمَالُ رَعِيَّتِهِ » بِالْعَطْفِ عَلَى « كَفَافِهِ » .

(٥) التَّهَمُّ : الْإِفْرَاطُ فِي الشَّهْوَةِ .

(٦) فِي « ط » : « وَلَا بِنَاءَ » . وَالثَّنَاءُ : لِلدِّحِّ . وَالْكِبَرُ : الْعِظَمَةُ وَالتَّجَبُّرُ .

(٧) فِي « م » : « أَسْقَامٌ » . تَحْرِيفٌ . وَالسُّودَّدُ (يَهْمُزُ وَيَفِرُّ هَمْزٌ) : السِّيَادَةُ وَالشَّرَفُ .

وَلَمَّا وَلَّى أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيقُ] ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الْمَظْلُومِ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَلَا أضعَفَ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . وَقِيلَ لِلْإِسْكَانْدَرِ : بِمَ نَلْتَ مَا نِلْتَ ؟ قَالَ : بِاسْتِمَالَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ . وَقَالَ بُزْرَجِيهٌ : مُوسُوا أحرَارَ النَّاسِ بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ^(٢) ، وَالْعَامَّةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسُّفَلَةِ بِالْمَخَافَةِ . وَقَالَ الْمُؤَيَّدَانُ : السِّيَاسَةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْمَلِكِ : الرُّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذُ الْحَقِّ مِنْهُمْ ^(٣) فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، وَسُدُّ الْفُرُوجِ ^(٤) ، وَأَمْنُ السَّبِيلِ ، وَأَنْ يَنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، وَلَا يَحْمِلَ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ .

وَقَالُوا : الْوَلَّى مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوجِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ [وَكَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا بَقَاءَ لَهُ إِلَّا بِهِ] ^(٥) . وَيَعُدُّ الْوَلَّى مِنْ إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ مَعَ إِفْسَادِ نَفْسِهِ ، كَبُعْدِ الْجَسَدِ مِنَ الْبَقَاءِ ^(٦) بَعْدَ ذَهَابِ الرَّأْسِ . وَالسُّلْطَانُ خَلِيقٌ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ مِنْ ذُرَى النَّصْرِيَّةِ ، وَالتَّجَرُّعَ لِمَرَارَةِ قَوْلِهِمْ ، وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْسُدَ الْوَلَاةَ ^(٧) إِلَّا عَلَى حُسْنِ التَّنْذِيرِ ، وَلَا أَنْ يَكْذِبَ ، لِأَنْ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَا أَنْ يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْغَضَبَ وَالْقُدْرَةَ لِقَاحُ الشَّرِّ وَالنَّدَامَةِ ، وَلَا أَنْ يَسْخَلَ ، لِأَنَّهُ أَقْلُ النَّاسِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَا أَنْ يَحْقِدَ ، لِأَنَّ قُدْرَةَ جَلٍّ عَنِ الْمَجَازَاةِ .

وَلَا يَتَّبِعِي لِلْوَلَّى أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَبْقَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالسَّوْطِ ، وَلَا سَوَاطِئَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْحَبْسِ ، وَلَا حَبْسَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْجَفَاءِ وَالْوَعِيدِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَضْعُ سَبْقِي حَيْثُ يَكْفِينِي ^(٨) سَوَاطِي ، وَلَا سَوَاطِي حَيْثُ يَكْفِينِي لِسَانِي ، وَلَوْ أَنَّ بَنِي وَثِينَ

(١) ما بين المعرفتين عن « م » .

(٢) بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ، أَيْ : بِالْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ .

(٣) فِي « م » : « مِنْهُ » ، أَيْ : مِنَ الْمَلِكِ .

(٤) الْفُرُوجُ : الثُّغُورُ الَّتِي يُخَافُ مِنْهَا تَسَلُّ الْعَدُوِّ .

(٥) ما بين المعرفتين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٦) فِي « ط » : « مَعَ الْبَقَاءِ » .

(٧) سَقَطَتْ « الْوَلَاةُ » مِنْ « ط » .

(٨) فِي « م » : « يَكْفِي » .

النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا مَدَّوْهَا خَلَّتْهَا ، وَإِذَا خَلَّوْهَا مَدَّدْتُهَا . وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ ^(١) : كَانَ مُعَاوِيَةُ كَالْجَمَلِ الطَّبِّ ^(٢) ، وَالْجَمَلُ الطَّبُّ هُوَ الْحَادِثُ بِالشَّيْءِ ^(٣) ، لَا يَضَعُ يَدَهُ إِلَّا حَيْثُ تَبْصُرُ عَيْنُهُ .

وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُعْلَمَ رَعِيَّتُهُ ^(٤) أَنَّهُ لَا يُصَابُ خَيْرُهُ إِلَّا بِالْمُعَاوِيَةِ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ . وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَدَعَ تَفَقُّدَ لَطِيفِ الْأُمُورِ ^(٥) أَكْثَالًا عَلَى نَظَرِهِ فِي جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِللَّطِيفِ مَوْقِعًا يَتَفَقَّحُ بِهِ . وَقَدْ آتَى اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٦) مُلْكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٧) ، ثُمَّ تَفَقَّقَ الطَّيْرُ فَقَالَ : مَالِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَ ؟ لَأَنَّ التَّهَاوُنَ بِالْيَسِيرِ أَسَاسُ الْوُقُوعِ فِي الْكَبِيرِ ^(٨) .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْمَعْنَى وَأَجَادَ :

تَفَقَّقُ السَّادَاتُ إِخْوَانَهُمْ فَضِيلَةً لَا تُكْثِرُ السُّودَدَا
هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَى مُلْكِهِ قَدْ قَالَ : مَالِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَا

(١) هو : عامر بن شراحيل بن عبيد ، الشَّعْبِيُّ ، الحميرِيُّ ، أبو عمرو ، كوفيٌّ جليل القَدَرِ ، ورواية من الثَّابِعِينَ ، ويُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحِفْظِهِ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٩ هـ فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَدْرَكَ مَحْشَمَاتِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . اتَّصَلَ عَامِرُ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَكَانَ نَدِيمَهُ وَصَاحِبَهُ وَرَسُولَهُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ . وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ ، وَاسْتَقْبَضَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَاخْتَلَفُوا فِي وَفَاتِهِ مَا بَيْنَ سَنَةِ ١٠٣ - ١٠٧ هـ .

رَافِظِ الْأَعْلَامِ ج ٣ ص ٢٥١ ، وَرَوَاهُ الْأَعْيَانُ ج ٣ ص ١٢ - ١٦ ، وَتَذَكُّرَةُ الْخَفَاطِ ج ١ ص ٧٩ - ٨٨ ، وَحُلَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ج ٤ ص ٣١٠ - ٣٣٨ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ج ١٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٤ ، وَالْمَعَارِفُ ٤٤٩ - ٤٥١] .
(٢) الطَّبُّ : الْحَادِثُ الْمَاهِرُ ، وَالرَّفِيقُ الْحَكِيمُ .

(٣) فِي « م » : بِالْمَشْيِ .

(٤) فِي « م » : يَتْلَمُ مِنْ رَعِيَّتِهِ .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : أُمُورُ الرِّعْيَةِ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِّقِينَ عَنْ « م » .

(٧) فِي « م » : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٨) فِي « ط » : الْكَبِيرُ ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ ، مِنْ قَوْلِهِ : « وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ ... » إِلَى نَهَايَةِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ « م » ، وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

وَقَالَ ^(١) الشَّاعِرُ :

لَا تَحْفَرَنَّ شَيْبًا كَمْ جَرَّ شَرًّا شَيْبٌ ^(٢)

وَقَالُوا : أَصْلُ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَا تَدْعُ ^(٣) مَبَاشَرَةَ جَسِيمِ أُمْرَةٍ ،
فَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعٌ إِنْ غُفِلَ عَنْهُ تَفَاقَمَ ، وَلَا يُلْزَمُ نَفْسَهُ مَبَاشَرَةُ الصَّغِيرِ أَبَدًا فَيَصِيعُ الْكَبِيرُ .
وَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ : وَلَيْتَكَ حِجَابَتِي ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعٍ : الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ ، وَصَاحِبِ
الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ سَخُنَهُ فَسَدَ ، وَصَارِخِ اللَّيْلِ لِشَرِّ دَقَائِهِ ، وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ ،
فَالْتِهَاوُنُ بِالْبَرِيدِ سَاعَةً يَخْرُبُ ^(٤) عَمَلُ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ^(٥) يَقُولُ : لِأَعْمَلَنَّ اللَّيْنَ ^(٦) حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ إِلَّا بِالشَّدَةِ ^(٧) ،
وَلَا تُخَيَّرَنَّ مِنَ الْخَاصَّةِ مَا أُيْتِنْتُمْ عَلَى الْعَامَّةِ ، وَلِأَعْمِدَنَّ سِتْفِي حَتَّى يَسْلُهُ
النَّحْقُ ، وَلِأَعْطِيَنَّ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ ^(٨) لَمَّا كَمَلَ مُلْكُهُ ، وَأَبَادَ

(١) لى ط : « وقد قال » .

(٢) الشَّيْبُ : أول شبوب النار . يره : أَنْ عَلَى الْإِنْسَانَ أَلَا يَسْتَبِينَ بِالشَّيْءِ الصَّغِيرِ ، فَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ
الشَّرِّ .

(٣) لى ط : « ولا تدع » .

(٤) يَخْرُبُ : يُفْسِدُ .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو العباس ، أول خلفاء الدولة
العباسية ، وأحد الجبارين اللُّهَاءِ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ ، وَنَشَأَ بِالشَّرَاءِ (بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ) وَقَامَ
بِدَعْوَتِهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِي ، مُقَوِّضَ عَرْشِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْكَوْفَةِ سَنَةَ ١٣٢ هـ . وَكَانَ شَدِيدَ
الْعُقُوبَةِ ، عَظِيمَ الْاِتِّقَامِ ، تَتَبَعَ بِقَائِلِي الْأُمَوِيِّينَ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالْإِحْرَاقِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْأَطْفَالِ وَالْجَالِينَ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ ، وَلَقِبَ بِالسَّفَّاحِ لِكَثْرَةِ مَا سَفَحَ مِنْ دِمَائِهِمْ . وَبِعَظَمِ ذَلِكَ فَكَانَ جَوَادًا بِالْمَالِ ، فَصِيحًا ، عَلَمًا ، وَلَهُ
كَلِمَاتُ مَأْتُورَةٍ . مَرَضَ بِالْجُدْرَى وَمَاتَ شَابًا بِالْأَنْهَارِ سَنَةَ ١٣٦ هـ ، وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٧ ، وابن الأثير ج ٤ حوادث سنة ١٣٢ ، ١٣٦ ، ودول الإسلام للهمبى ج ١ ص ٩١ -
٩٣ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣١١ - ٣١٤ ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ١١٦ ، وفوات الوفيات ج ٢
ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦ - ٥٣] .

(٦) أى : أَعْمَلْ بِهِ .

(٧) لى م : « حتى لا ترفع الشدة » .

(٨) لى م : « أردشير » بالزى للمجمة .. سبق التعليق عليها .

أَعْدَاءَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ حَاكِمٌ عَلَى الْمُقُولِ كَالْعَبْرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْهَا ^(١) مُحْكَمٌ كَالْجَرِيَةِ ،
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَجْمَعَ لِلْعَقْلِ مِنْ خَوْفِ حَاجَةٍ ^(٢) يَتَأَمَّلُ بِهَا صَفَحَاتِ خَالِهِ . وَكَانَ عَمُرُ
يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ^(٣) وَالْقُوَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِي الرَّشِيدُ : هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَاتٍ جَامِعَاتٍ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ،
يَقُلُّ لَفْظُهَا ، وَيَسْهُلُ حِفْظُهَا ، تَكُونُ لِأَغْرَاضِهَا لَفَقًا ^(٤) ، وَلِمَقَاصِدِهَا وَقْفًا ^(٥) ، تُشْرَحُ
الْمُسْتَبْهَمَ ، وَتُوضَعُ الْمُسْتَعْجَمُ ؟ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . دَخَلَ أَكْثَرُ بَنِي
صَنِيئِ حَكِيمِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِهَا فَقَالَ لَهُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا تَزَالُ
بِصَدْرِي مُحْتَاجَةً ^(٧) ، وَمَا تَزَالُ الشُّكُوكُ عَلَيْهَا وَالْجَنَّةُ ^(٨) ، فَأَلْبِثْنِي بِمَا عِنْدَكَ فِيهَا .
فَقَالَ : أَتَيْتُ اللَّعْنَ ^(٩) سَأَلْتُ خَيْرًا ، وَاسْتَبْتَأْتُ بِصِيرًا ، وَالْجَوَابُ يَشْفَعُهُ ^(١٠)
الصَّوَابُ ، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ . قَالَ : مَا السُّؤْدُودُ ؟ قَالَ : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ
الْعَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ ^(١١) . قَالَ : فَمَا الشَّرَفُ ؟ قَالَ : كَفُّ الْأَذَى وَتَذَلُّ
النَّدَى ^(١٢) . قَالَ : فَمَا الْمَجْدُ ؟ قَالَ : حَمْلُ الْمَقَارِمِ ^(١٣) وَإِيتَاءُ الْمَكَارِمِ . قَالَ :

(١) يُحْكَمُهَا : يَجْعَلُهَا حَكِيمَةً . يُقَالُ : أَحْكَمْتُ التَّجَارِبَ فَلَاثًا : جَمَعْتُهَا حَكِيمًا .

(٢) لِي ط : « مِنْ خَوْفِ وَحَاجَةٍ » .

(٣) الضَّعْفُ ، بَفَتْحِ الضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ فِي لَفْظِ تَمِيمٍ ، وَبِضْمِهِ فِي لَفْظِ قُرَيْشٍ : الْغَزَالُ . وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : الْفَرَاخُ .

(٤) أَيْ : تَعْبِيرُ أَهْلِهَا وَمَقَاصِدِهَا . وَفِي « م » : « لِأَغْرَاضِكِ » .

(٥) أَيْ : مُؤَلِّقَةً لِلْمُرَادِ مِنْهَا .

(٦) لِي م : « أَلَسْتُمْ » بَدَلَ « الْمُسْتَبْهَمِ » تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَالْمُسْتَبْهَمُ : الْغَامِضُ الَّذِي يَصْعَبُ
إِدْرَاكُهُ . وَالْمُسْتَعْجَمُ : غَيْرُ الْوَاضِحِ .

(٧) يُقَالُ : اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي كَذَا ، أَيْ : خَطَرَ مَعَ شَكٍّ وَمُتَارَعَةٍ . وَفِي « م » : « مُتَحَلِّجَةٌ » أَيْ : مُجْتَمِعَةٌ
وَمُضْطَرِبَةٌ .

(٨) وَالْجَنَّةُ : دَاخِلَةٌ .

(٩) أَتَيْتُ اللَّعْنَ : مِنْ تَحِيَّةِ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَعْنَاهَا : أَتَيْتُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ .

(١٠) يَشْفَعُهُ : يَجْتَمِعُهُ .

(١١) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَابَةُ وَالذَّنْبُ .

(١٢) النَّدَى : الْخَيْرُ ، وَالْجُودُ ، وَالسَّخَاءُ .

(١٣) الْمَقَارِمُ : مَا يَلْزَمُ أَكْلَؤُهُ مِنَ الْمَالِ ، تَأْدِيَةً أَوْ تَرْوِيضًا . (الْغَرَامَاتُ) .

فَمَا الْكَرْمُ ؟ قَالَ : صِدْقُ الْإِخَاءِ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ ^(١) . قَالَ : فَمَا الْعِزُّ ؟ قَالَ شِدَّةُ
الْعُضْدِ وَكَثْرَةُ الْعَدَدِ ^(٢) . قَالَ : فَمَا السَّمَاحَةُ ؟ قَالَ : بَذْلُ النَّائِلِ ^(٣) وَحُبُّ السَّائِلِ .
قَالَ : فَمَا الْغِنَى ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا يَكْفِي ، وَقَوْلَةُ التَّعْنِي . قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ :
لُبُّ ^(٤) تُعِينُهُ تَجَرِبَةٌ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَوْزَيْتَ زُنَادَ بَصِيرَتِي ^(٥) ، وَأَذْكَيْتَ نَارَ
خَيْرَتِي ^(٦) فَاحْتَكِم . قَالَ : لِكُلِّ كَلِمَةٍ بِحِمَّةٌ ^(٧) . قَالَ هِيَ لَكَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَقَالَ
لِي الرَّشِيدُ : وَلَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ بَذْرَةٌ ^(٨) ، فَانصَرَفْتُ بِمِائَتَيْنِ أَلْفًا .

وَكَانَ قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ يَقْدُ عَلَى قَبَصَرٍ فَيَكْرِمُهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : قَالَ : مَا أَفْضَلُ
الْعَقْلِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ . قَالَ : مَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ
عَلَمِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمَرْوَةِ ؟ قَالَ : اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ
السَّائِلِ ؟ قَالَ : مَا قُضِيَ بِهِ الْحَقُوقُ .

(١) « وَالرَّخَاءُ » عَنْ (م) ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ط) .

(٢) فِي (م) : « وَثَرَوَةُ الْعَدَدِ » .. وَثَرَةُ الْعُضْدِ : الْقُوَّةُ .

(٣) بَذْلُ النَّائِلِ : بَذْلُ الْعَطَاءِ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ .. وَفِي (م) : « نَيْلُ النَّائِلِ » أَيْ : إِصَابَةُ الْعَطَاءِ .

(٤) لُبُّ : عَقْلٌ .

(٥) أَوْزَيْتَ : أَوْزَنْتَ ، وَالزُّنَادُ ، جَمْعُ زُنَيْدٍ ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي تُقَدِّحُ بِهِ النَّارَ . وَتَقُولُ لِمَنْ أَلْجَدَّكَ وَأَحَاثَكَ :
وَزَتْ بِكَ زُنَادِي .

(٦) فِي (ط) : « نَارُ حَرِيقٍ » . وَأَذْكَيْتَ : أَشْعَلْتَ .

(٧) هَكَذَا فِي (م) . وَالْحِمَّةُ : الْكَرَمَةُ مِنَ الْإِبِلِ .. وَفِي (ط) : « هَجْمَةٌ » وَهِيَ : الْعَدَدُ الْعَظِيمُ مِنَ الْإِبِلِ لَا يَبْلُغُ
الْمِائَةَ .

(٨) فِي (م) : « لَكَ ، بِلَوْنٍ وَلَوْ . وَالْبَذْرَةُ : كَيْسٌ فِيهِ مَقْدَارٌ مِنَ الْمَالِ يُقَدَّمُ فِي الْعَطَايَا ، وَيُعَامَلُ بِهِ ، وَيَخْتَلَفُ
بِاخْتِلَافِ الْمَعْرُوفِ .

البَابُ الْمُوفَى عِشْرِينَ

فِي الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ ^(١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا كَانَ أَحْوَجَنِي أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِي أَرْبَعَةٌ ، لَا يَكُونُ عَلَى بَابِي أَعْفُ مِنْهُمْ . قِيلَ : مَنْ هُمْ ^(٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : هُمْ أَرْكَانُ الْمُلْكِ ، لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا بِهِمْ ، كَمَا أَنَّ السَّرِيحَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِأَرْبَعِ قَوَائِمٍ ، فَإِنْ نَقَصَ قَائِمَةٌ وَاحِدَةٌ عَابَهُ ذَلِكَ : أَحَدُهُمْ قَاضٍ لَا تَأْخُذُهُ ^(٣) فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ شَرْطَةٍ يَنْصِفُ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالثَّالِثُ صَاحِبُ خَرَاجٍ يَسْتَقْضِي ^(٤) وَلَا يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ، فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْ ظُلْمِهِمْ . ثُمَّ عَضَّ عَلَى أَصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ : آوْ ، آوْ ^(٥) .

(١) في « م » : « الباب الموفى عشرون في معرفة الخصال ... » الموفى : المم ، من توفية العدد .. وقوله عشرون : خطأ ، والصواب « عشرين » مفعول لاسم الفاعل « الموفى » .

(٢) في « م » : « منهم » متصلة ، خطأ من الناسخ في الرسم الإملائي .

(٣) في « م » : « لا يأخذ » .

(٤) يستقضى : يطلب من الناس قضاء ما عليهم . وفي « ط » : « يستقضى » بالصاد المهملة . والأول أوجه .

(٥) في « م » : « كل مرة يقول : آو » .

فَقِيلَ ^(١) : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : صَاحِبُ بَرِيدِ يَأْتِنِي ^(٢) بِخَبَرِ هَؤُلَاءِ عَلَى الصُّحَّةِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَصْلُحُ الْوَالِي إِلَّا بِأَرْبَعِ خِصَالٍ ، إِنْ نَقَصَتْ وَاحِدَةً لَمْ يَصْلُحْ لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ : قُوَّةٌ عَلَى جَمْعِ ^(٣) الْمَالِ مِنْ أَبْوَابِ حِلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فِي حَقِّهِ ، وَثَبَّةٌ لَا جَبْرُوتَ فِيهَا ، وَلِينٌ لَا وَغْنَ فِيهِ .

(١) في ط : : فقال .

(٢) في ط : : يكتب .

(٣) في م : : جميع : تصحيف من الناسخ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ

قَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ ^(١) لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ^(٢) ذَلِكَ ، فَإِنْ زَوَّالَ الْكَرَامَةِ بِزَوَالِهِمَا ، وَلَكِنْ يُعْجِبُكَ إِنْ أَكْرَمُوكَ ^(٣) لِأَدَبٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ دِينٍ .

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ حَاجَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ ^(٤) أَكْثَرُهُمْ عِيَالًا وَأَتْبَاعًا وَحَشَنًا [وَحَدَمًا] ^(٥) وَأَصْحَابًا ، وَالْخَلْقُ مُسْتَعِيلُونَ مِنَ السُّلْطَانِ مَالَهُ مِنْ الْخَلَائِقِ السَّيِّئَةِ ^(٦) ، وَالطَّرَائِقِ الْعَلِيَّةِ ، مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَقَطْعِ الشَّجَائِرِ ، وَفَصْلِ الْخِصَامِ ، فَهَوَ أَخْرُجَ خَلْقُ اللَّهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ ، وَجَمْعِ الْحُكْمِ . وَشَخْصٌ بِلَا عِلْمٍ كَبَلَدٌ بِلَا أَهْلٍ ، وَكَشَجَرَةٌ بِلَا نَبَاتٍ ^(٧) . وَأَفْضَلُ مَا فِي السُّلْطَانِ حُصُوصًا ، وَفِي النَّاسِ عُمُومًا ، مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّحَلُّى بِهِ ، وَالشَّوْقُ إِلَى اسْتِمَاعِهِ ، وَالتَّعْظِيمُ لِحَمَلَتِهِ ،

(١) فِي «م» : «السُّلْطَانِ» .

(٢) فِي «م» : «يُعْجِبُكَ» .

(٣) فِي «م» : «أَكْرَمُوكَ» . وَالضَّمِيرُ يَمُودُ إِلَى السُّلْطَانِ فِي هَامِشِ رَقْمِ (١) .

(٤) فِي «ط» : «وَالِ التَّفَقُّهِ» .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُفَوِّضِينَ عَنْ «م» فِي الْمَوْضِعِينَ .

(٦) السَّيِّئَةِ : الرَّفِيعَةُ الْقُدْرَةِ .

(٧) قَوْلُهُ : «وَكَشَجَرَةٌ بِلَا نَبَاتٍ» عَنْ «م» وَسَاقَطَ مِنْ «ط» .

فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ ^(١) ، وَيُعِدُّهُ مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ ^(٢) ، وَمُضَاهَاةِ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ، وَهُوَ مِنْ أَوْكِدِ ^(٣) مَا يَتَحَبَّبُ ^(٤) بِهِ إِلَى الرُّعْيَةِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ خَالِيًا مِنَ الْعُلُومِ رَكِبَ هَوَاهُ ، وَأَضَرَّ بِرِعْيَتِهِ ، كَالدَّابَّةِ بِلَا رَسَنِ ^(٥) تَمُرُّ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَقَدْ تَتَلَفُ مَا تَمُرُّ بِهِ ^(٦) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ زَهَرَ الْقَضَائِلِ ، وَحُسْنَ الْمَنَاقِبِ ، وَبَهَاءِ الْمَجَالِسِ ^(٧) ، وَمَا ضَادُّ ذَلِكَ ^(٨) مِنْ قُبْحِ الْمَنَالِبِ ^(٩) ، وَفُحْشِ الرَّدَائِلِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَظْهَرُ عَلَيْكَ وَيُعْظَمُ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا أُوتِيْتَهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ ، وَشَرَفِ الْحُظُورَةِ ^(١٠) ، فَيَكُونُ حُسْنُكَ أَحْسَنَ ، كَمَا يَكُونُ قُبْحُكَ أَقْبَحَ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ ، أَخُوْجَ إِلَى مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَصُحْبَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَدِرَاسَةِ كُتُبِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، وَمُطَالَعَةِ دَوَائِرِ الْعُلَمَاءِ [وَمَجَامِعِ الْفُقَهَاءِ] ^(١١) ، وَسِيرِ الْحُكَمَاءِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ^(١٢) كَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ ^(١٣) لِمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَفَصْلِ خُصُومَاتِهِمْ ، وَتَعَاطَى حُكُومَاتِهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بَارِعٍ ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ ، وَبَصِيرَةٍ بِالْعِلْمِ

(١) «فيه» عن «ط» ولم يرد في «م» .

(٢) في «ط» : «البهيمية» وهي : كل ذات أربع فواهم من قَوَابِ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، مَا عدا السَّباع .. ومضاهاته : مشابته .

(٣) وهو : أى العلم .. أَوْكِدَ : أَوْثَقَ وَأَحْكَمَ . وفي «م» : «أَكْد» على الإبدال .

(٤) في «م» : «تَحَبَّبُ» .

(٥) الرِّسْنُ : الْحَبْلُ .

(٦) في «م» : «عليه» . وكلاهما صواب ، يقال : تَمُرُّ بِهِ ، وَعَلَيْهِ .

(٧) في «ط» : «الخاصين» .

(٨) في «م» : «وما صار من ذلك» صار : تصحيف من الناسخ .

(٩) المنالِب : العيوب ، جمع مَنَلَةٍ .

(١٠) الْحُظُورَةُ : بضم الحاء المهملة وكسرهما : المحبة وَعُلُوُّ الشَّانِ عند النَّاسِ .

(١١) ما بين المقوفين عن «ط» .

(١٢) في «م» : «يَكُونُ» .

(١٣) في «م» : «لِنَفْسِهِ» .. تصحيف .

وَدِرَاسَةِ طَوِيلَةٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ لَوْ لَمْ يَعُدَّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ عِدَّتَهَا ، وَلَمْ يُقَدِّمَ لَهَا أَهْبَتَهَا ^(١) ؟

وَالثَّانِي : أَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْدُمُونَ مَنْ يَنْكِرُ ^(٢) عَلَيْهِمْ وَيُعَارِضُهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَسَاوِيَهُمْ ^(٣) ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُمْ عَلَى رِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَرَاشِدَهُمْ ^(٤) .

وَمُنَاطَرَةُ الْأَكْفَاءِ ، وَمُعَاشَرَةُ النُّظَرَاءِ تُلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ ^(٥) ، وَتَهْذِيبٌ لِلنَّفُوسِ ^(٦) ، وَتَنْذِيرٌ ^(٧) لِمَا خِذَ الْأَحْكَامُ ، بِخِلَافِ السُّلْطَانِ ^(٨) ، فَإِنَّ ارْتِفَاعَ دَرَجَتِهِ يَقْطَعُ عَنْهُ جَمِيعَ ذَلِكَ ، إِذْ لَا يَلْقَاهُ وَلَا يُجَالِسُهُ إِلَّا مُعَظَّمُ لِقَدْرِهِ ، مُبْجَلٌ ^(٩) لِشَأْنِهِ ، وَسَائِرُ لِمَسَاوِيِهِ ، وَمَادِحٌ لَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَوَابُهُ لَهُمْ صِدْقُ الْأَمِيرِ . وَعَلَى قَدْرِ الْمَرْتَبَةِ يَكُونُ غُلُوُّ السَّقَطَةِ ، كَمَا أَنَّ عَلَى قَدْرِ ارْتِفَاعِ الْحَائِطِ ^(١٠) يَكُونُ صَوْتُ الْوَجْبَةِ ^(١١) .

(١) في م : : وَلَمْ يَحْمَ لَهَا أَهْبَتَهَا ، وَالْأَهْبَةُ : الْمُنَّةُ .

(٢) في م : : وَيَكْزُرُ ، أَيْ : يَرُدُّ .

(٣) النَّسَائِي : الْمَلَابِيبُ وَالنَّقَاصُ ، (لَا يُهْمَزُ) قِيلَ : لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقِيلَ : وَاحِدُهَا سَوْءٌ - عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

(٤) الْمُرَاشِدُ : الْمَقَاصِدُ .

(٥) في ط : : الْعُقُولُ . وَتُلْقِيحُ الْعُقُولِ : تَهْذِيبُهَا وَاسْتِجْلَافُهَا .

(٦) في ط : : النَّفُوسُ .

(٧) في م : : وَتَدْرِبُ .

(٨) سَقَطَتْ كَلِمَةُ «السُّلْطَانِ» مِنْ «م» سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٩) مُبْجَلٌ : مُعَظَّمٌ .

(١٠) في م : : قَدْرُ الْحَائِطِ .

(١١) الْوَجْبَةُ : صَوْتُ السَّقَاطِ .

فصل

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يُؤَمَّرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يَأْمَرَ ^(١) بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَجَلَ قَدَرًا مِنْ أَنْ يَقْبَلَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَلَا أَرْفَعَ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَتَّعَلَّمَ حُكْمُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَى شَأْنًا مِنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ اللَّهِ ، وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٢) الْعِلْمُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ - سُبْحَانَهُ - نَفْسَهُ ، وَتَمَدَّحَ بِسَعْتِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَالْكُرْسِيُّ هُوَ الْعِلْمُ ، وَالْكُرَاسِيُّ هُمُ الْعُلَمَاءُ . وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فَضِيلَةً فَرَّغَبَهُ الْمُلُوكُ وَذَوِي الْأَخْطَارِ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَشْرَافُ وَالشُّيُوخُ فِيهِ أَوْلَى ، لِأَنَّ الْخَطَأَ فِيهِمْ أَقْبَحُ ، وَالْإِتْدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ .

حُكِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ ^(٤) دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفِقْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، مَا عِنْدَكَ فِيمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَغَلُونَا فِي الصُّغَرِ ، وَاشْتَغَلْنَا فِي الْكِبَرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِمَ لَا تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ : أَوْ يَحْسُنُ بِمِثْلِي طَلَبُ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ . قَالَ : وَإِلَى ^(٥) مَتَى يَحْسُنُ طَلَبُ ^(٦) الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَا حَسُنْتُ بِكَ الْحَيَاةَ ^(٧) .

(١) هكذا في م . . وفي ط : « يُؤَمَّر » ، مكررة .

(٢) ما بين المعقوفين عن م .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥ .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي ، الهاشمي ، أبو إسحاق ، ويقال له : ابن شكله ، نسبة إلى أمه ، وكانت جارية سوداء . أخوه هارون الرشيد ، وعمه المأمون ، ولد في بغداد سنة ١٦٢ هـ . وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها ، فأقام فيها أربع سنين ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون ، كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبايعه كثيرون ببغداد ، فطلبه المأمون ، فاستتر ، فأهدر دمه ، فجاءه مستسلماً ، فمسحه سنة أشهر ، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله ، فاعتذر ، فسفاه عنه . ولم تكن له مواهب الحكم ، وكانت له دراية بالشعر والأدب ، كما كان يجيد الغناء والضرب على العود وتحسين المأدبة . مات في ١٨٢٤ سنة ٢٢٤ هـ . وصلى عليه للمعتصم .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وقارخ بغداد ج ٦ ص ١٤٢ - ١٤٨] .

(٥) في م : « قَالِ » .

(٦) سقطت « طَلَب » من « ط » .

(٧) انظر « أدب العلم » الباب الثاني من « أدب الدنيا والدين للماوردي » ص ٥٨ ط الدار المصرية اللبنانية .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى شَخْصًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيُحِبُّ النَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحْيِي ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، أَسْتَحْيِي أَنْ تُكُونَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِنْمَا كُنْتَ فِي أَوَّلِهِ ؟ وَلَئِنْ الصَّغِيرَ أَعْدَرَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَهْلِ عُدْرٌ .

وَفِي مَثُورِ الْحِكَمِ : جَهْلُ الشَّبَابِ مَعْدُورٌ ، وَعِلْمُهُ مَحْفُورٌ ، فَأَمَّا الْكَبِيرُ فَالْجَهْلُ بِهِ أَقْبَحُ ، وَتَقْصُهُ عَلَيْهِ أَفْضَحُ ، لِأَنَّ عُلُوَّ السِّنِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِ فَضْلًا ، وَلَمْ يُعْذِرْهُ عِلْمًا ، كَانَ الصَّغِيرَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْأَمَلَ فِيهِ أَقْوَى ، وَحَسْبُكَ تَقْيِصَةُ فِي رَجُلٍ ^(١) يَكُونَ الصَّغِيرَ الْمُسَاوِي لَهُ فِي الْجَهْلِ أَفْضَلَ مِنْهُ . وَكُلُّ مَا ذَكَرْتَاهُ ^(٢) مِنْ حَاجَةِ الشَّبَحِ إِلَى الْعِلْمِ فَحَاجَةُ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ ، وَدَوَاعِيهِ إِلَى الْخِسَابِ أَشَدُّ ، لِأَنَّ مَنْ عَدَاهُ إِنَّمَا تَخْصُهُ نَفْسُهُ الْوَالِدَةُ ، فَيَمُوتُ ^(٣) عَلَيْهِ تَخْصِيلُ مَا يَقُومُهَا بِهِ ، وَالْمَلِكُ مُتَصَبٌّ لِسِيَاسَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِيهِمْ ، فَهُوَ إِلَى الْعِلْمِ أَخْوَجُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَرُّ السِّنِّينِ مُتَرَجِّمًا عَنِ الْفَضْلِ فِي الْإِنْسَانِ سَمِيئَةً طِفَلًا
وَمَا تَنْفَعُ الْأَعْوَامَ حِينَ تَعْلُمُهَا وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِمْ عِلْمًا وَلَا عَقْلًا ^(٥)
أَرَى الدُّفْرَ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلًا إِلَى كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَانَ بِهِ جَهْلًا

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ عِرْ لا يُؤْمِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يُؤَكِّدُهُ ^(٦) عَقْلٌ مُضَلَّةٌ ، وَكَيْفَ يَسْتَكْفِ ^(٧) مَلِكٌ أَوْ ذُو مَنْزِلَةٍ عَلَيْهِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ؟

(١) هكذا في المصدر السابق وفي ط .. وسقطت في رجل من م .

(٢) هكذا في م . وفيها جماعت « وكُلُّمَا » متصلة ، والصواب فصل « ما » عن « كل » .. وفي ط : : « وكما ذكرناه » .

(٣) هكذا في م .. وفي ط : : « فَيَمُوتُ » . وكلاهما بمعنى .

(٤) انظر الأبيات في « أدب الدنيا والدين » الباب الثاني - أدب العلم ص ٥٨ ، ٥٩ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٥) في م : : « وما ينفع » .. وفي رواية :

« وما تنفع الأيام حين يَفْلُحُهَا وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِمْ عِلْمًا وَلَا عَقْلًا »

[انظر للمرجع السابق - أدب العلم] .

(٦) في م : : « لا يؤيد » .

(٧) يستكف : يأنف ويحتج .

وَهَذَا ^(١) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَحَلَ [مِنْ الشَّامِ] ^(٢) إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ ^(٣) إِلَى لِقَاءِ الْحَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ قَالَ : ﴿ هَلْ أَلْبِئْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَحْلًا ﴾ ^(٤) ، هَذَا وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ وَكَلِيمُهُ . وَهَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفَوْنَهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، قَدْ أَوْصَاهُ رَبُّهُ ^(٥) وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ مَا فِي خَزَائِنِهِ ^(٦) فَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ رَبُّ زُرِّي عِلْمًا ﴾ ^(٧) ، فَلَوْ كَانَ فِي خَزَائِنِهِ أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ لَتَبَّهَهُ عَلَيْهِ . وَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا فَخَرَتْ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهَا وَتَقْدِيسِهَا لِرَبِّهَا فَخَرَّ ^(٨) آدَمُ بِالْعِلْمِ : ﴿ فَقَالَ الْبُشَيْرِيُّ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٩) ، فَلَمَّا عَجَزُوا ، أَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَأَخْلَقَ بِحَصَلَةٍ تَسْتَدْعِي السُّجُودَ لِحَامِلِهَا أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ ، وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدْبُرُهُ .

وَلَا تُنْصِبَنَّ لَكَ عُذْرًا بِمَا رَوَى فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ ، مِثْلُ : الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْوُشْمِ فِي الْحَجَرِ ^(١٠) ، وَالَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الْكِبَرِ كَالْتَنْقِشِ عَلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَمِعَ الْأَخْنَفُ ^(١١) رَجُلًا يَقُولُ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَنْقِشِ فِي الْحَجَرِ . فَقَالَ ^(١٢) الْكَبِيرُ أَكْبَرُ عَقْلًا ، وَلَكِنَّهُ أَشْغَلُ قَلْبًا ، فَفَحَصَ عَنِ الْمَعْنَى ، وَتَبَّهَ عَلَى الْعِلْمَةِ ^(١٣) .

(١) في « م » : « وهذا » بدون الواو .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) بحر الظلمات : البحر المتوسط .

(٤) سورة الكهف - من الآية ٦٦ .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وهذا محمد ، صل الله عليه وسلم ، قد أوصاه ربه سبحانه » .

(٦) في « ط » : « خزانته » في الموضعين .

(٧) سورة طه - من الآية ١١٤ . وفي « م » بدلها : « ولو » .

(٨) فخر : جواب لما وفي « م » : « وفخر » ولا يصح المطف هنا .

(٩) سورة البقرة - من الآية ٣١ .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر » .

(١١) هو الأخنف بن قيس ، وقد مرت ترجمته .

(١٢) في « م » : « فقال الأخنف » .

(١٣) في « م » : « وتبَّه على البحر » أي : على الماء . وفي « ط » : « عن العيلة » وفي أدب الدنيا والدين : « لقد فحص الأخنف عن المعنى وتبَّه ، وتبَّه على العيلة » لأن قواطع الكبير كثيرة .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) يُسَلِّمُونَ شَيْئَهَا وَكُھُولًا
وَأَحْدَاثًا ، وَكَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ، وَهُمْ بِحُورِ الْعِلْمِ ، وَأَطْوَادِ الْحِكْمِ
وَالْفِقْهِ . غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الصَّغَرِ أَرْسَخَ أَصُولًا ، وَأَبْسَقَ فُرُوعًا ^(٢) وَلَيْسَ إِذَا لَمْ يَحْزُهُ
[كُلُّهُ] ^(٣) يَفُوتُهُ كُلُّهُ . قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ
وَأُخَافُ أَنْ أَضَيِّعَهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَفَى بِتَرْكِكَ ^(٤) لَهُ تَضْيِيعًا .

وَبَعْضُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ الشَّرِّ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْجَاهِلِ نَحْتٌ غِيبٌ ^(٥) الْجَهْلُ مَثَلُ
الْحَمَالِ نَحْتٌ جَمِلٌ ثَقِيلٌ ، فَإِنْ هُوَ ^(٦) كَلَّمَا أَعْيَا تَقْصَهُ قَلِيلًا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يَنْقُصَهُ كُلُّهُ
فَيَسْتَرْيَحُ مِنْهُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَطْرَحِ الْقَلِيلَ حَتَّى يَطْرَحَ الْكَثِيرَ ، فَمَا أَوْشَكُهُ أَنْ يَصْرَعَهُ
جَمْلُهُ ، وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ ، إِذَا تَعَلَّمَ قَلِيلًا قَلِيلًا ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى يَقِيَّتِهِ ، وَإِنْ لَمْ
يَتَعَلَّمْ فِي الْكِبَرِ لِمَا فَاتَهُ فِي الصَّغَرِ ، فَأَوْشِكُ بِهِ أَنْ يَمُوتَ نَحْتٌ غِيبٌ الْجَهْلِ .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) أَبْسَقَ فُرُوعًا : أَلْهُمُ ارْتَفَاعًا .

(٣) ما بين المعقوفين فقط عن « م » . وفيها : « إذا لم يَحْزُهُ كُلُّهُ يَفُوتُهُ » وجزم الفعل الأخير لوجه له .
والصواب : يَفُوتُهُ .

(٤) في « م » : « بتركه » لا تصح .

(٥) الثُّبُ : العاقبة . ولعلها تصحيف عن « عبء » .

(٦) في « ط » : فَإِنَّهُ .

(٧) في « ط » : « قَلِيلًا قَلِيلًا » .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ
فِي الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ^(١)

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ : خَرَجْتُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى
الْجَبَايَةِ ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ^(٢) ثُمَّ قَالَ : يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، إِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ ،
فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ^(٣) لِلْخَيْرِ ، اخْفِظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ^(٤) ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ^(٥) ، وَهَمَّجٌ رَعَاغٌ ، أَتْبَاعُ

(١) هذا العنوان في (م) و (ط) ينتهي عند قوله « أبا طالب » أما « رضى الله عنه ... وما بعدها » فهي بداية
الفقرة .

وكُمَيْلٌ هو : كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ النَّخَعِيِّ : تابعي ثقة ، ومن أصحاب علي بن أبي طالب ، وُلِدَ سنة ١٢ هـ ،
وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، شهد « صفين » مع عليٍّ ، وسكن الكوفة ، ورَوَى الحديث . قتله الحجاج صبراً سنة
٨٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٣٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤١٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٩١ ،
وقد وردت هذه الوصية في نهج البلاغة باختلاف يسير في بعض ألفاظها ، بدون إدخال في المعنى - انظر نهج البلاغة
بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٩١ - ٦٩٢ ط دار البلاغة - بيروت وص ٤٩٥ - ٤٨٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(٢) الْجَبَايَةُ : الْمَقْبَرَةُ . وَأَصْحَرَ : صار في الصحراء . وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ : تنفس نفساً طويلاً من ثَقَبٍ أَوْ كَرْبٍ .

(٣) أَوْعِيَّةٌ : جمع وعاء .. وأوعاها : أحفظها .

(٤) الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ : الْمُتَالِفُ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ .

(٥) المتعلم على سبيل النجاة : إذا أتمَّ عِلْمَهُ نَجَا .

كُلُّ تَاعِيٍّ ^(١) ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَظْهِرُوا بِثَوْرِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ الْمَالَ ، وَالْعِلْمُ يَرْكُؤُ ^(٢) عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ التَّفَقُّةُ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعَالِمُ مَحْبُوبٌ ^(٣) ، وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ^(٤) ، يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلُ الْأُخْدُونَةِ ^(٥) بَعْدَ وَفَاتِهِ .

مَاتَ حُزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَشْخَاصُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا ، إِنَّ هَا هُنَا - وَأَشَارَ يَدَيْهِ إِلَى صُلْبِهِ - لَعَلَّمَا جَمًّا لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ^(٦) ، بَلَى قَدْ أَصَبَتْ لَهُ لِقْنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ^(٧) ، يَسْتَغْمِلُ آلَةَ ^(٨) الدِّينِ لِلدُّنْيَا ، وَيَسْتَظْهِرُ ^(٩) بِحُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كِتَابِهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ^(١٠) وَيَنْعَمِيهِ عَلَى عِبَادِهِ ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ ^(١١) ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَجْنَاتِهِ ^(١٢) ، يَفْقِدُ الشُّكَّ فِي قَلْبِهِ

(١) الهمج : الخنقى من الناس .. والزراع : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس . والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق .

(٢) يركؤ : يزاد نماؤ .

(٣) قوله : « والعالم محبوب » عن « م » ولم ترد في « ط » ولا في نهج البلاغة .

(٤) وهكذا في « م » .. وفي « ط » : « ومحبة العالم دين يُدَانُ الله به » .

وفي نهج البلاغة ط دار الكتاب اللبناني : « معرفة العلم دين يُدَانُ به » .

وسقطت كلمة « معرفة » من طبعة دار البلاغة .

(٥) الأخدونة : ما يتحدَّث به .

(٦) جَمًّا : كثيرًا .. لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ، أى : لو وجدت له حاملين لأمرئته وبنته .

(٧) اللقن : من يفهم بسرعة ، ألا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل ، فهو يستعمل وسائل الدين لطلب الدنيا ، ويستعين بِنِعمِ الله على إلهاء عبادته ، ومن هنا صار غير مأمون على العلم .

(٨) سقطت كلمة (آلَة) من « م » .. وفي نهج البلاغة : « مستعملًا آلَة الدِّينِ للدُّنْيَا » .

(٩) في « ط » : « يستظهر » .

(١٠) في نهج البلاغة : « ومُستظهرًا بِنِعمِ الله على عبادته ، وبِحُجَجِهِ على أوليائه » .

(١١) في نهج البلاغة : « أو مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ » والمُنْقَادُ لأهل الحق هو المُقلد في القول والعمل ، ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه ، فلذا يسرع الشك إلى قلبه لأقل شبهة .

(١٢) أجناته : جوانبه . وهكذا وردت في نهج البلاغة .. وفي « ط » و « م » : « إغباته ، أى : خشوعه وتواضعه . والأول أَوْجَه » .

بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَيْءٍ ، أَلَا لَا ذَا ، وَلَا ذَاكَ ^(١) ، أَوْ مِنْهُمَا بِاللَّذَاتِ ^(٢) ، سَرِيعَ الْإِثْقَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ ^(٣) آخَرَ شَأْنُهُ جَمَعَ الْمَالِ وَالْأَدْحَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ [فِى شَيْءٍ] ، أَقْرَبُ [شَيْءٍ] شَبَّهَ بِهِمَا ^(٤) الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ، اللَّهُمَّ فَكَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ يَمُوتُ حَامِلِيهِ .

وَلَكِنْ لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٥) بِحُجَّةٍ ، لِفَلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَمَنْ أَوْلَيْكَ ؟ وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ ؟ أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ^(٦) ، الْأَكْثَرُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ، تُخْزِنُ الْحِكْمَةَ فِى قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَزْرَعُوهَا فِى قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، وَيُودِعُوهَا فِى صُدُورِ نُظَرَائِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ ^(٧) فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَحْشَنَهُ الْمُتَرَفُّونَ ^(٨) ، وَاسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادِ أَرْوَاحِهَا مُتَعَلِّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ، أَوْلَيْكَ تُخْلِفَاءُ اللَّهِ فِى بِلَادِهِ ^(٩) وَدُعَائِهِ إِلَى دِينِهِ ، آوِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيِهِمْ !

-
- (١) أى : لا يصلح لحمل العلم واحد منهما .
 (٢) فى « م » : « مهوم » بالرفع . خطأ . وفى « ط » : « مهوما » .. وفى نهج البلاغة : « أو مهوماً باللذة » ، وهى الأنسب . والمنهوم : المنقوط فى شهوة الطعام .
 (٣) فى « م » و « ط » : « أم » .. وفى نهج البلاغة : « أو مُقَرَّمًا بالجمع والأدحار » .
 (٤) سقطت « بهما » من « م » . وما بين المقوفين عن نهج البلاغة .
 (٥) فى « م » : « سبحانه وتعالى » . وفى نهج البلاغة : « لا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إِذَا ظَاهَرَا مشهورًا ، أَوْ خَائِفًا مغمورًا » .
 (٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى نهج البلاغة : « وكم ذا ؟ وأين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً » .
 (٧) فى نهج البلاغة : « على حقيقة البصرة » .
 (٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « استَوْحَشَنَهُ » .. وفى نهج البلاغة : « استَوْعَرَهُ » أى : رآه وعَرَا . والمعنى : أَنَّهُمْ عَنَلُوا مَا اسْتَحْشَنَهُ الْمُتَعَمُّونَ لَيْتًا ، وهو : الزهد .
 (٩) فى نهج البلاغة : « أرضه » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْعَقْلِ وَاللَّهَاءِ وَالْمَكْرِ (٥)

قَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الْأَسْرَارِ (١) حَقِيقَةَ الْعَقْلِ وَأَقْسَامَهُ (٢) ، وَمَحَلَّهُ وَأَحْكَامَهُ ، بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرُهَا مَتَابَعَةً وَمَدَارِكَةً وَلِبَابَ مَا تَحَرَّرَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ . إِنَّهُ (٣) الْإِسْتِشْهَادُ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْعَالِيَةِ ، فَمَنْ كَانَ فِي طَرَفِهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمَا شَاهَدَ عَلَى مَا غَابَ عَنْهُ ، كَانَ مَعَهُ عَقْلٌ ، وَيُسَمَّى (٤) عَاقِلًا عِنْدَ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَبِهِ يَقْوَجُهُ الشَّكْلُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ (٥) نَظَرَ إِلَى قَصْرِ قَدْ كَمَلَ بَنِيَانُهُ ، وَخَصَصَتْ أَرْكَانُهُ (٦) وَجُعِلَتْ فِيهِ مِنَ الْأَلَابِ مَا يَكْتَفِي بِهِ سَاكِنُوهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ ، فَرَأَى ثِيوبًا مَقْطُوعَةً ، وَأَبْوَابًا مَنصُوبَةً ، وَفُرْشًا مَفْرُوشَةً ، وَزَرَائِي مَبْثُوثَةً (٧) ، وَمَوَائِدَ مَوْضُوعَةً ، وَصِحَاحًا (٨)

(٥) فِي « ط » : « الْحَيْث » بَدَلُ « الْمَكْرِ » .

(١) هَذَا الْكِتَابُ مِنْ كِتَابِ أَبِي بَكْرٍ الطَّرِطُوشِيِّ الَّتِي لَمْ تَشْرُ إِلَيْهَا الْمَرَاجِعُ الَّتِي أُرْتِخَتْ لَهُ وَأُخْصِتْ مُؤَلَّفَاتُهُ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ « سَرَايِ الْمُلُوكِ » .

[انْظُرْ إِلَى بَكْرِ الطَّرِطُوشِيِّ لِلدَّكْتُورِ جَمَالِ الشَّيَالِ — سِلْسِلَةُ أَعْلَامِ الْعَرَبِ (٧٤) ص ٧٨] .

(٢) سَقَطَتْ « وَأَقْسَامَهُ » مِنْ « م » .

(٣) لِي « م » : « إِنَّ » .

(٤) فِي « م » : « يُسَمَّى » بِلَوْنٍ وَارٍ الْعَطْفِ .

(٥) فِي « م » : « وَذَلِكَ مَنْ » .

(٦) خَصَصَتْ أَرْكَانَهُ : صَارَتْ مَنِيْعَةً . وَفِي « م » : « حَضَّتْ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) زَرَائِي مَبْثُوثَةٌ : يُسْطًى أَوْ وَسَائِدٌ مُفَرَّقَةٌ . مَفْرُودًا : زَرْيَّةٌ ، وَهِيَ الْوَسَادَةُ تُبْسَطُ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا .

(٨) الْمَصْحَافُ : آتِيَةُ الطَّعَامِ ، مَفْرُودًا : صَحْفَةٌ .

مَصْفُوفَةٌ ، وَأَرَاتِكَ ^(١) مَنْصُوبَةٌ ، وَحِجَالًا مَسْنُودَةٌ ^(٢) ، وَطُسُونًا ^(٣) وَأَبَابِيْقٌ ، وَبَيُوتٌ مَاءٍ ،
وَمَيَابِيْعٌ تَصُبُّ الْمَاءَ وَتَحْتَهَا بَلَالِيْعٌ لَغِيْضِ الْمَاءِ ^(٤) [وَطَبَقَانِ لِلضِّيَاءِ الْوَاقِعِ ، وَمَذَاهِنَ
لِلدُّخَانِ الْخَارِجِ وَالْهَوَاءِ] ^(٥) إِلَى سَائِرِ مَا يَسْتَعِدُّهُ ^(٦) الْعُقَلَاءُ لِلْإِنْفِجَاعِ ، ثُمَّ فَكَّرَ : هَلْ
هَذَا الْقَصْرُ بِمَا حَوَاهُ صَنَعَةٌ قَادِرٍ صَانِعِ عَالِمٍ حَيٍّ ، أَوْ اتَّفَقَ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَكَّبَ عَلَى
صُورَتِهِ بِلَا صَانِعٍ ؟ فَاسْتَقَرَّ فِي عَقْلِهِ بِالضَّرُورَةِ اسْتِحَالَةٌ وَجُودِهِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ ، وَأَنَّهُ
مُفْتَقِرٌ إِلَى صَانِعٍ صَنَعَهُ .

وَهَذَا عِلْمٌ يَهْجُمُ عَلَى الْعُقُولِ ، لَا يَفْتَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، وَإِنَّمَا كَثُرَتْ لَكَ هَذِهِ
الْأَمْثِلَةُ ، لِأَنَّ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَلَطِيفِ الصَّنَعَةِ وَالْعَجَائِبِ أَكْثَرُ مِمَّا فِي الْقَصْرِ
بِاضْتِعَافِ مُضَاعَفَةٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ قَرَأَى مَا فِيهَا ^(٧) مِنَ الْعَجَائِبِ
وَالْتَرَكِبِ ، وَتَنَفَّعَ كُلَّ غَضْوٍ وَتَحْصِيصِيهِ ، إِنَّمَا يَجْلِبُ نَفْعٌ أَوْ دَفْعٌ ضَرٌّ ، فَأَتَعَمَّ ^(٨)
نَظَرُهُ فِي غَضْوٍ وَاحِدٍ مَثَلًا ، وَهُوَ فَمُهُ ، فَبَرَى فِي أَوَّلِهِ أَسْنَانًا تُشْبِهُ الْقُفُوسَ ^(٩) تَصْلُحُ
لِلْقَطْعِ ، وَفِي آخِرِهِ طَوَاجِينَ مُضْرَمَةٌ ^(١٠) تَصْلُحُ لِلطَّخَنِ ، وَشِلَقَيْنِ ^(١١) كَأَنَّهُمَا يُفَالُ

(١) قوله : « وأراتك منصوبة » عن « ط » ولم ترد في « م » . والأراتك : المقاعد المتَّجدة ، مفردة : أَرَبَكَةٌ .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وحجلاً مشنودة » . والحجل والجبال : الستائر ، مفردة : حَجَلَةٌ .

(٣) في « م » : « وطسونا » . والطسنت : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوي ، يُسَلُّ فيه ، مُعَرَّبٌ « تسنت » ،

بالشين المعجمة .

(٤) الميَابِيْع : قنوات ، أو أنابيب تصرف بها الماء من سطح بناء ، أو موضع عالٍ . وبلاليع لغيب الماء : ثقب

لتصرف الماء ، ومفردها : بِالْوَعَةِ .. وفي « م » : « بلالع » خطأ من الناسخ .

(٥) ما بين المعروضين عن « م » وساقط من « ط » . والطبقان : التوافذ المستديرة .

(٦) يستعده : يهيئ .

(٧) في « ط » : « قرأى فيها » .

(٨) في « م » : « فليتعم » وتكررت كلمة « واحد » بعدما سهواً من الناسخ . وأتعم نظره في كذا : دقه وأطال

الفكرة فيه .

(٩) في « ط » : « الفأس » .

(١٠) مضرمة : مخرجة .

(١١) في « م » : « وشلقه » . والشلق : جانب الفم مما تحت الحذ . والشقال ، بكسر التاء المشددة : ما يتسبط

تحت الرخى ، من جلد وغيره ، ليسقط عليه الدقيق ، ويضم التاء المشددة أحياناً : الحجر الأسفل من الرخى . والأول

هو المراد .

الرَّحَى ، يَمْنَعَانِ أَنْ يَتَهَرَّقَ الطَّعَامُ ^(١) إِلَى خَارِجٍ ، وَلِسَانًا يَرُدُّ مَا انْقَلَبَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّوَّاجِينِ ، ثُمَّ يَلْقَى ذَلِكَ بُلْعُومٌ لَا زُرَادٍ بِهِ الطَّحْنِ ^(٢) ، عِلْمٌ بِأَذْنَى تَأْمُلُ أَنْ هَذِهِ الْحِلْفَةُ مَا انْفَعَلَتْ بِنَفْسِهَا اتِّفَاقًا ، بَلْ هِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى قَصْدٍ قَاصِدٍ ، وَجَعِلَ جَاعِلٌ ^(٣) .
وَعَلَى هَذَا النَّمِطِ لَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ ^(٤) مَنَفَعَةَ كُلِّ عَضْوٍ لَوَقِفْتَ عَلَى الْعَجَبِ ^(٥) ، وَلَكِنْ تَرَكْنَاهُ كَرَاهِيَةَ التَّطْوِيلِ . وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى ثَبَّهَ الْكِتَابُ الْمُهِينُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٦) . وَبِهَذِهِ الْعِبَرَةِ تُسْتَقْبَلُ الْعُقُولُ بِإِتِّبَابِ الصَّانِعِ ، وَتُسْتَعْنَى عَنِ النَّظَرِ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ ^(٧) . فَالْعِلْمُ الْمُفِيدُ لِإِتِّبَابِ الصَّانِعِ فِي الشَّاهِدِ ، مِثْلُ : الْبِنَاءِ ، وَالْتِجَارِ ، وَالْحَيَاطِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ ، بَعْدَ النَّظَرِ فِي صَنَائِعِهِمْ عَلَى اضْطِرَّارٍ .

وَالْعِلْمُ الْمُتَّبِثُ لِلصَّانِعِ - سُبْحَانَهُ - عِنْدَ النَّظَرِ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ ^(٨) عِلْمٌ اسْتِدْلَالٍ ، اِعْتِبَارًا ^(٩) لِلْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ ، إِذْ لَا فَرْقَ فِي الْعُقُولِ بَيْنَ صَنْعَةٍ وَصَنْعَةٍ فِي اقْتِضَاءِ صَانِعٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الشَّاهِدِ ضَرْوِيًّا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَزَلْ يَرَى الْبِنَاءَ يَبْنَى ، وَالْحَيَاطَ يَخِيطُ ، وَالتِّجَارَ يَتَجَرُّ الْحَشَبَ ، وَلَمْ تَرَ الْعُقُلَاءُ الْقَدِيمَ - سُبْحَانَهُ - يَخْلُقُ وَيَخْتَرِعُ ، وَإِنَّمَا اسْتِفَادُوهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّاهِدِ ، فَإِنْ قِيلَ : فَأَيُّ الْعِلْمَيْنِ أَقْوَى فِي النُّفُوسِ وَاتَّبَثْ فِي

(١) في « د » : « يَمْنَعَانِ الطَّعَامُ أَنْ يَهْرَقَ » . يُقَالُ هَرَقَ الْمَاءُ ، أَيْ : أَرَاقَهُ وَصَبَّهُ ، وَالْمَاءُ فِيهَا لَيْسَتْ أَصْلِيَّةً ، وَإِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنْ هِزَةٍ « أَرَاقَ » وَفِيهَا لُغَاتٌ .

[انظر لسان العرب - مادة هرق] .

(٢) في « د » : « بُلْعُومٌ يَصْلُحُ لِإِزْدِرَادِ هَذَا الطَّحْنِ » . وَالْإِزْدِرَادُ : التَّلَجُّ .

(٣) جَعَلَ جَاعِلٌ : أَيْ : خَلَقَ خَالِقٌ .

(٤) في « د » : « نَصِفُ » .

(٥) في « د » : « الْغَضَبِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) سورة الذَّارِيَاتِ - الْآيَةُ ٢١ .

(٧) الْجَوهر : مَا قَامَ بِنَفْسِهِ ، وَيُقَابِلُهُ التَّرَضُّ ، وَهُوَ مَا قَامَ بغيرِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْلِيلُ عَلَيْهِ بِتَوْسِعٍ فِي مَنْ مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ .

(٨) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « د » : « عِنْدَ الْخَلْقِ النَّظَرُ فِي الْعَالَمِ » .

(٩) سَقَطَتْ « اِعْتِبَارًا » مِنْ « د » .

الْعُقُول ، الْعِلْمُ بِالصَّانِعِ : النَّظَرُ فِي السَّرِيرِ ^(١) وَاقْتِصَائِهِ لِلشَّجَارِ ، أَمْ ^(٢) الْعِلْمُ بِالْإِلَهِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا يَسْتَدْعِي تَفْصِيلًا وَتَدْقِيقًا ، وَلَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْضِعًا لِذَلِكَ ، فَحَيْثُ نَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُ عَقْلًا غَيْرِيًّا ، وَنُسَمِّيه عَاقِلًا ، وَنَوَجِّهُ التَّكْلِيفَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ التَّكْلِيفِيُّ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَاَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ : مَلَائِكَةً ، وَآدَمِيَّينَ ، وَشَيَاطِينٍ ، وَبَهَائِمٍ . فَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَقُعُولٌ بِلَا شَهَوَاتٍ وَلَا هَوَى بِمَقَارِنِهِ ، وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَشَهَوَاتٌ بِلَا عُقُولٍ ، وَأَمَّا الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ فَرَكَّبَ اللَّهُ فِيهَا الْعُقُولَ وَالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى ، وَهَكَذَا رَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ الْعَقْلَ وَالْهَوَى وَالشَّهَوَةَ ، فَغَلَبَتْ شَهَوَاتُ الشَّيَاطِينِ وَهَوَاهُمْ عُقُولُهُمْ ، فَقَطَّعُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ : بِالْكِبْرِ ^(٣) وَالْعُجْبِ ، وَالْمَقْتِ ^(٤) وَالْفَخْرِ ، وَالذَّغْوَى ، وَالْحَسَدِ ، وَالْأَذْيَةِ ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْمُهْلِكَةِ . وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَقَقَضَتْ ^(٥) أَوْقَاتُهَا فِي شَهَوَاتِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ . وَأَمَّا الْآدَمِيُّونَ فَرَكَّبَ فِيهِمْ عُقُولَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَخْلَاقَ الشَّيَاطِينِ ، وَشَهَوَاتِ الْبَهَائِمِ ، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ هَوَاهُ مِنْهُمْ فَكَأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ : كَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ عَقْلُهُ مَغْلُوبًا بِهَوَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ ^(٦) مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَائِبِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرَبِ ^(٧) فَأَكَلَ وَتَمَتَّعَ بَعْدَ أَنْ كَسَبَهُ مِنْ حِلِّهِ ^(٨) فَهَذَا مِنْ عَالَمِ الْبَهَائِمِ [وَإِنَّمَا الْحَقْنَاهُ بِعَالَمِ الْبَهَائِمِ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أقوى وأثبت في العقول عند النظر في السرير » .

(٢) في « م » : « للتحارم » . تحريف .

(٣) في « م » : « كالكبر » ، وسقطت منها « المذمومة » والسياق يتطلب وجودها .

(٤) « والمقت » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٥) تقضت أوقاتها : قُتِيت . وانقطعت . وفي « م » : « ققضت أوقاتها » .

(٦) « المباحات » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) « الخرب » عن « ط » وسقطت من « م » ، والمراد بها : الزرع .

(٨) أي : بعد أن كسبه من حلاله .

لأنه لا تكليف على البهائم [(١) وكذلك هذه المباحث لا حرج في الاستمتاع بها بعد أن يكون كسبه (٢) من حله . وإن كان الغالب عليه أخلاق الشياطين : من الكبير ، والعجب ، والحسد ، والغش ، إلى سائر الأخلاق المذمومة - فهذا من عالم الشياطين . وإن اجتمع في الشخص إفراط الشهوات وأتباع الهوى والأخلاق المذمومة ، فيكون آدمياً في صورته ، شيطانياً في خلاقه ، بهيمة في شهواته ، فلا يصلح للصحية . وإن ثبت (٣) هذا فاعلم أن هذا العقل العريز أطول رقدة (٤) من العين ، وأخرج إلى السعد من السيف (٥) .

فصل

فأما العقل المكسب ، وهو نتيجة العقل العريز ، فهو نقابة المعرفة (١) ، وإصابة الفكر ، وليس له حد ينتهي إليه ، لأنه ينمو إذا استعمل ، وينقص إن أهمل (٢) وتماؤه يكون بأحد وجهين :

إما أن يقارنه من مبدئ الشؤ ذكاء وحسن فطنة ، كالذي قال الأصمعي : قلت لإسلام حدث من أولاد العرب ، كان يُحادثني (٣) وأمتعني الله بفصاحته وملاحته :

(١) ما بين المعرفين عن ط و ساقط من م .

(٢) في م : بعد أن كسبه .

(٣) في م : وإذا ثبت .

(٤) الرقدة : التومة .

(٥) سعد السيف : أخذ مائة . والمراد بقوله هذا : أن ذلك الإنسان الذي يتسم بهذه الصفات الجيدة ، كالإنسان المستغرق في نومه ، وكالسيف الذي ران عليه الصدأ فقدف صلاحته ، فهذا الإنسان في حاجة إلى من يوقظه من تلك الغفلة التي يحياها ، وإلى تهذيب وتزويج للنفس .

(٦) نقابة المعرفة : القادها .

(٧) في م : إذا أهمل .

(٨) هكذا في م وفي أدب الدنيا والدين ص ٢٨ من الباب الأول - فضل العقل وذم الهوى . ط الدار المصرية . ومحدثي : يكلمني .. وفي ط و س : يملئي .

أَسْرَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَخْمَقُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟
قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حُمْقِي جَنَائِيَّةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَتَقَيَّ عَلَيَّ حُمْقِي . فَاسْتَخْرَجَ
هَذَا الصَّبِيَّ يَفْرِطُ ذَكَائِهِ مَا يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا .

وَقِيلَ لِنَعِضِ الصَّبِيَّانِ : أَلَيْكَ أَبُ ؟ قَالَ : فَكَأَنِّي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَقَدْ قَالَتْ
الْحِكَمَاءُ : آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ الْفَهْمِ ، وَغَايَةُ إِصَابَةِ الْوَعْدِ ، وَلَيْسَ لِلذَّكَاةِ غَايَةٌ ، وَلَا
لِجَوْدَةِ الْقَرِيبَةِ نِهَائَةٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ^(١) [الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذَكَائِهِ]
قَالَ لِأَبِيهِ - وَهُوَ طِفْلٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُؤْزِرُ أَحَاهُ عَلَيْهِ : يَا أَبَتِ ^(٢) ، نَعْلَمُ مَا مَكَلَى وَنَمَثَلُ
أَخِي مَعَكَ : أَنَا كَفَرَجُ الْحَمَامِ ^(٣) أَتَبْحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ^(٤) وَكُلَّمَا كَبُرَ ازْدَادَ
مَلَاخَةً وَحُسْنًا ، فَتَبْنِي لَهُ الْعَلَالِيُّ ^(٥) وَيَتَّخِذُ لَهُ الْمُرَبَّاعَاتِ ، وَيَسْتَحْسِنُهُ الْمُلُوكُ ، وَنَمَثَلُ
أَخِي مَثَلُ الْجَحَشِ ، أَمْلَحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ، وَكُلَّمَا كَبُرَ قَبِيحَ وَصَارَ إِلَى
الْفَهْفَرَى ^(٦) إِنَّمَا يَصْلُحُ لِحِمْلِ الزَّيْلِ وَالتَّرَابِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : مَا يَصْلُحُ لِدَوَى الْحُنْكَةِ ^(٧) وَصِحَّةِ الرُّؤْيَةِ ، لِيَطُولَ مُعَاصَرَةُ الْأُمُورِ ،

(١) ما بين المقروضين عن « ط » . وإيَّاس هو : إياس بن معاوية بن قرة المزني ، أو وإيلة ، ولده عمر بن
عبد العزيز قضاء البصرة ، وكان أحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، وُلِدَ سنة ٤٦ هـ ، وضُرِبَ المثل بذكائه
فقيل : « أذكى من إياس » . وقال عنه الجاحظ : إنه من مفاخر مُضَرٍّ ، ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الخدس ،
نُفَّاسًا ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجيهاً عند الخلفاء . وللمدائني كتاب سماه « زكن إياس » والزكن : التفرس في
الشيء بالظن الصائب . توفي - رحمه الله - بواسطة سنة ١٢٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٩٨ - ١٠١ ، والمعارف ص ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ج
١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وثمار القلوب ص ٩٢ - ٩٤ ، وميزان الاعتدال
ج ١ ص ٢٨٣] .

(٢) ل م ن : « يا أبة » . وكذا جاءت في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤١٩ ط دار الثقافة - بيروت .

(٣) في م ن : « كَفَرَجُ حَمَام » .

(٤) يريد : عند أول خروجه من البَيْضَةِ يكون قبيح المنظر .

(٥) العَلَالِيُّ : الثُّرْفُ العالية ، جمع عُلْوٍ بضم العين وكسرهما .

(٦) الْفَهْفَرَى : الرَّجُوعُ إِلَى الْخَلِيفِ .

(٧) لِدَوَى الْحُنْكَةِ : لِأَصْحَابِ التَّجَرِبَةِ وَالْبَصَرِ بِالْأُمُورِ .

وَكثرةِ التَّجَارِبِ ^(١) ، وَمُرُورِ الْغَيْرِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ ، وَثَقَلِ الْأَيَّامِ وَتَصَرَّفِ الْحَوَادِثِ ، وَتَنَاسُخِ الدُّوَلِ ^(٢) قَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ وَجُوهُ الْغَيْرِ ^(٣) ، وَصَدَّتْ لَأَسْمَاعِهِمْ أَنْوَاعُ الْأَخْبَارِ وَأَنَارُ الْغَيْرِ ^(٤) .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ^(٥) ، وَثَقَلِ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالُوا : التَّجَرِبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ ، وَالْبِرَّةُ ^(٦) نَمْرَةُ الْجَهْلِ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالُوا : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَنَبَايِخُ الْأَخْبَارِ ، لَا يَطْمِشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَدِمُوا ذِكَاءَ الطَّبِيعِ فَقَدْ أَفَادَتْهُمْ الْأَيَّامُ حُنْكَةً ^(٧) وَتَجَرِبَةً .

وَقَدْ قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ تَقَى لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ تَمَامَ الْعَقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ ^(٩)
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا ^(١٠)
غَيْرَ أَنَّ لِلْعَقْلِ آفَاتٍ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَيْفَ يَرْجُو الْعَاقِلُ النَّجَاةَ ،

(١) في « ط » : « وكثر التجارب » . والغير : الأحوال والأحداث المتغيرة .

(٢) تناسخ الدُّوَل : تدولها ، فكان بعضها مكان بعض .

(٣) هكذا في « ط » : وفي « م » : « والغير » .

(٤) هكذا في « ط » : وفي « م » : « الدير » . والغير : جمع بيرة ، وهي : الاعتباط والاعتبار بما تضمني .

(٥) في « م » : « تأديبا » .

(٦) البرة : الغفلة .

(٧) في « م » : « حيلة » .

(٨) في « م » : « وقال » . والبيت منسوب إلى بلال الأنصاري . [انظر مجمع الحكم والأمثال ص ٣٣٧] .

(٩) الشطرة الثانية من هذا البيت في المرجع السابق : « وَأَنَّ كَمَالَ الْعَقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ » .

(١٠) انظر : أدب الدنيا والدين ، الباب الأول : فضل العقل ودم الهوى .

وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ قَدْ اسْتَفْتَاهُ ^(١) ؟ وَالْهَوَى أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُنْفَذَ ^(٢) فِيهِ حِيلَةُ الْحَازِمِ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَعْمَضُ مَسْلَكًا فِي الْجَنَانِ مِنَ الرُّوحِ فِي الْجُنُونِ ، وَأَمْلَكُ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالْمَالِكُ لِلشَّيْءِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : كَمْ مِنْ عَقِلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ حُرًّا فَلَا يَهْوَى ، وَإِلَّا صَارَ عَبْدًا . كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ^(٣) :

أَنْفَسَ حُرَّةً وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنْ رَقِيَ الْهَوَى لَرَقَى شَبِيدُ

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ ^(٤) إِذَا تَنَاهَى وَزَادَ فِي الْإِنْسَانِ ، هَلْ يَكُونُ فَضِيلَةً أَمْ لَا ؟ فَقَالَ مُعْظَمُ الْعُقَلَاءِ : إِنَّهُ فَضِيلَةٌ إِذَا كَانَ مَجْمُوعَ أَحَادٍ ، وَالْأَحَادُ فَضَائِلُ ، وَلَا شَكَّ ^(٥) أَنَّ كَثْرَةَ الْفَضَائِلِ فَضِيلَةٌ ، أَمَّا ^(٦) الشَّيْءُ الْمَحْدُودُ فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ فِيهِ نَقْصًا ^(٧) مِنَ الْمَحْدُودِ ، كَالْتَهَوُّرُ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّيْذِيرُ ^(٨) فِي الْكَرَمِ ، فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِي

(١) استفتاء : أحاطاً به .

(٢) في « ط » : ينفذ .

(٣) هو : أبو الحسن ، علي بن الجهم بن بدر ، من أهل بغداد ، وهو من الشعراء المجيدين ، وشعره فيه رقة ، كان معاصراً لأن ثمام ، وتخصّص بالتوكل المباسي ، ثم غضب عليه فنفاه إلى « خراسان » فأقام بها مدة ، وانتقل إلى « حلب » ، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨ ط الشعب] .

(٤) هكذا في « ط » وفي أدب الدنيا والدين ص ٣٢ .. وفي « م » : « في المكتسب في العقل » .

(٥) في « م » : « فلا شك » .

(٦) في « م » : « وأما » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يكون فيه الزيادة والنقصان فيه نقصاً » . وفي أدب الدنيا والدين : « زيادة العقل فضيلة ، لأن المكتسب غير محدود ، وإنما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصاً مذموماً ، لأن ما جاوز الحد لا يُسمى فضيلة ، كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة نُسب إلى التهور ، والسخي إذا زاد على حد السخاء نُسب إلى التبيذير » .

[انظر أدب الدنيا والدين - الباب الأول ص ٣٢ ، ٣٣ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٨) سقطت كلمة « التبيذير » من « م » .

الْعَقْلُ الْمُكْتَسَبُ فَرِيَادَةٌ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ، وَحَسَنُ إِصَانَةٍ بِالظُّنُونِ ، وَمَعْرِفَةٌ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلَ النَّاسِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) : الْعَقْلُ حَيْثُ كَانَ الْوَفْقُ ^(٢) مَالُوفٌ . وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣) : مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ بِحِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ، كَانَ خُفَّةً فِي أَغْلَبِ الْخِصَالِ عَلَيْهِ . وَلَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ حَشَدَتِ الرُّومُ ^(٤) وَاجْتَمَعَتِ مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الْآنَ يَشْتَغِلُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِيمَكِنْتَا ^(٥) الْفُرَّةُ مِنْهُمْ ، وَالْوَثْبَةُ عَلَيْهِمْ ، وَصَرَّحُوا فِي ذَلِكَ مُشَاوَرَاتٍ ، وَتَرَجَعُوا فِيهِ بِالْمُتَنَظَّرَاتِ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةٌ لِلدَّفْعِ وَفُرَّةٌ لِلشَّحْرِ ^(٦) وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ^(٧) مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : مِنَ الْحَزْمِ عَرْضُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا ، فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ ^(٨) : غَدَا أُخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ الْوَعْدِ ^(١٠) وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِخْصَارِ كَلِمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ

(١) في م : : : صل الله عليه وسلم .

(٢) في ط : : : آلف .

والمعنى : أن العاقل يتميز بحسن الخلق ، ومن ثم تستهل طبعه وتطبع معاشرته .

(٣) هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وُلِدَ بالمدينة سنة ٣٧ هـ . وتولى بغيره - بين مكة والمدينة - سنة ١٠٧ هـ . وكان صالحاً ثقة ، ومن سادات التابعين . قال ابن عسبة : كان القاسم أفضل أهل زمانه .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ١٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠] .

(٤) حَشَدَتِ الرُّومُ : اجتمعوا وتحفوا في التعاون ، وفي م : : : حَشَحَشَتْ : أى : تحركوا للنهوض .

(٥) في م : : : فَمَكِنَّا .

(٦) فُرَّةٌ الشَّحْرِ : الفُرَّةُ التي في الحلق ، أهل الصدر . والمراد هنا : أنها فرصة مناسبة للمواجهة .

(٧) هكذا في ط : : : وفي م : : : وكان رجل من ذوى الرأى منهم .

(٨) في م : : : قال .

(٩) ما بين المعقوفين عن م : .

(١٠) هكذا في م : : : وفي ط : : : فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ للوعد .

فَدَّ أَعْدَهُمَا ، ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا ، وَأَلَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى الْآخَرِ ، فَتَرَانِبًا وَتَهَارُشًا ^(١) حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا ، فَلَمَّا بَلَغَا الْعَايَةَ فَتَحَ بَابَ يَتِّ عِنْدَهُ ، وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذُفْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ ، وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا ، وَوَدَّيَا جَمِيعًا عَلَى الذَّنْبِ فَلَا مِنْهُ مَا أَحَبُّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ ^(٢) : مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذَّنْبِ مَعَ الْكِلَابِ ، لَا يَزَالُ الْهَرَجُ ^(٣) وَالْفِتْنَالُ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ يَظْهَرِ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ تَرَكُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ ^(٤) . فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ ^(٥) وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِمْ .

وَأَمَّا الْمَذْمُومُ فِي هَذَا الْبَابِ فَصَرَّفَ ^(٦) الْعَقْلُ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ . قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٧) : وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَدُعَاةُ الْعَرَبِ سِتَّةٌ : مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٨) وَالْمُعَوَّرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَزَيْيَادُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُذَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ ^(٩) . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ : « أَنَا ، لِلْأَنَاءِ ، وَعَمْرُو لِلْبِدْيَةِ ، وَزَيْيَادُ لِلصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَالْمُعَوَّرَةُ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ .

(١) التحريش : الإغراء أو التهيج بين الإنسان والحيوان . أَلَبَّ : حَرَّشَ . وَتَهَارَشَا : تَقَاتَلَا .

(٢) في م : « : قَالَ : مَثَلُكُمْ » .

(٣) الْهَرَجُ : الفتنه والاختلاط .

(٤) تَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ : اجتمعوا وتوافقوا على قتاله .

(٥) في م : « : فَاسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ مِنْهُ » .

(٦) في م : « : صَرَّفَ » . والصواب ما جاء في « ط » حيث إن الفاء تقع في جواب « أَمَّا » .

(٧) هو الْمُحَدَّثُ ، عالم الكوفة عامر بن شراحيل .. وقد مرَّ التعريف به .

(٨) معاوية بن أبي سفيان . مرَّ التعريف به ..

وعَمْرُو بن العاص بن وائل السهْمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، صحابيٌّ ، من أشهر الفاعقين ، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي لِيَسْلَمَ إِلَيْهِمْ مَنْ عَنْده من المسلمين ، قبل أن يدخل الإسلام . وكان من أولي الرأي والحزم والمكيعة .. فَتَحَ مصر ، وكان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر بن الخطاب ، وضع يَسْرِينَ ، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية ، ولأه عمر فلسطين ثم مصر ، وعزله عثمان ، ولَمَّا كانت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية ، كان عمرو مع معاوية ، ولَمَّا تمَّ الأمر لمعاوية ولأه على مصر سنة ٣٨ هـ . وأطلق له خراجها ست سنين . تولى بالقاهرة سنة ٤٣ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٨] .

(٩) الْمُعَوَّرَةُ بن شعبة بن أبي عامر ، صحابيٌّ ، وقد مرَّ التعريف به .

قَالَ قُيُصَّةُ بْنُ جَابِرٍ ^(١) : مَا رَأَيْتُ أُعْطِيَ لِحْزِيلٍ مَالٌ يَغْيِرُ سُلْطَانٍ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٢) ، وَلَا رَأَيْتُ أَثْقَلَ حِلْمًا وَلَا أَطْوَلَ أَثَاةً مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ وَلَا أُنْزِلَهُمْ حِينَ يَجْتَمِعُونَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلَا أَشْبَهَ سِرًّا بَعْلَانِيَّةً مِنْ زِيَادٍ ، وَلَوْ أَنَّ الْمُعِيرَةَ كَانَتْ فِي مَدِينَةٍ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ^(٣) لَا يُخْرَجُ مِنْ بَابٍ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَكْرِ ، لَخَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٤) : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : يَا عُوَيْمِرُ ^(٦) ازْدُدْ عَقْلًا تَزِدُّكَ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا . قُلْتُ : يَا بِي [أَتَيْتُ] وَأُمِّي ^(٧) وَمَنْ لِي بِالْعَقْلِ ؟ قَالَ : اجْتَنِبْ

= وزباد بن أبيه - في « ط » : « زباد بن أُمِّية » والأشهر : « ابن أبيه » وقد مرَّ التعريف به .
وقيس بن سعد بن عباد ، مرَّ التعريف به أيضًا .

وعبد الله بن بُنْزَلٍ بن ورقاء الخُزَاعِي ، صحابيٌّ ، وكان من النُّخَلَةِ الفصحاء ، انتهت إليه السيادة في خزاعة .. أسلم يوم الفتح ، وشهد حُتَيْبًا والطَّائِفَ وتبوك ، وقَاتَلَ مع عليٍّ بِصِفَيْنَ ، فكان قائدَ الرِّجَالِ ، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقعه ، فكَاتَرَ عليه أصحاب معاوية ، فَقِيلَ ، وكان ذلك سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، والمهر ص ١٨٤] .

(١) هو : قُيُصَّةُ بْنُ جَابِرٍ بن وهب الأَسَدِيُّ الكُوفِيُّ ، تابعيٌّ ، من رجال الأحاديث والفقهاء ، كان فصيحًا ، ويُعد من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، وهو آخر معاوية من الرضاة ، توفي سنة ٦٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٨ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٢٥] .

(٢) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ المدني ، أبو محمد ، صحابيٌّ من الشجعان ، ومن الأجراد ، يُسمى طلحة الجود ، وطلحة الفياض ، وهو أحد العشرة المُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان من ذُفَاة قُرَيْشٍ ومن عُلمائهم ، وشهد أحدًا مع رسول الله ، ﷺ ، وثبت معه ، وبابه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جرحًا وسُيِّمَ . وشهد الحندق وسائر المشاهد ، وقُتِلَ يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٨٥ - ٨٩ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٧ - ٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣ - ٤٠ ، والمعارف ص ٢٢٨ - ٢٣٤ ، والمهر ص ٣٥٥] .

(٣) قوله : « لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ » عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) أبو الدرداء هو : عُوَيْمِرُ بْنُ مَالِكٍ . وقد مرَّ التعريف به .

(٥) في « ط » : « عليه السلام » .

(٦) في « م » : « يَا عَمْرُو » تحريف ، والصواب عُوَيْمِرُ . وقد مرَّ .

(٧) ما بين المعقوفين ورد في حديث عويمر مع رسول الله ، ولم يرد في « م » و « ط » .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ط الدار المصرية] .

مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَدَّ قَرَائِصَ اللَّهِ تَكُنْ عَاقِلًا ، ثُمَّ تَنْقُلْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَزِدُّ فِي الدُّنْيَا عَقْلًا ، وَتَزِدُّ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا ، وَعَلَيْهِ عِزًّا .

وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالذِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا ^(٢)
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيَهَا ^(٣)
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصْدَقُهَا وَلَسْتُ أُرْشِدُ إِلَّا حِينَ أُغْصِبُهَا ^(٤)
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثُهَا إِنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَهُ فِي إِرْشَادٍ ، وَمَنْ رَأَيْتُهُ فِي إِمْدَادٍ ، فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ ، وَفَعْلُهُ حَمِيدٌ ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهَلَهُ فِي إِغْوَاءٍ ^(٦) فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ ، وَفَعْلُهُ ذَمِيمٌ ، فَأَمَّا مَنْ صَرَفَ فَضْلَ عَقْلِهِ إِلَى الْبُهَاءِ وَالْمَكْرِ وَالشَّرِّ ^(٧) وَالْحَيْلِ وَالْخَدِيعَةِ ، كَالْحَبَّاجِ

(١) في (ط) : « وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ .. شعر » . وقد وردت في الديوان عل أنها منسوبة إليه .

[انظر ديوانه الذي جمعه عبدالعزيز الكرم ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، ٣٥] وقد وردت الأبيات في (م) ، متصلة كأنها نثر .

(٢) هكذا البيت في (ط) وفي أدب الدنيا والدين .. وساديا : سادسها . وفي (م) : « والعرف سادسها » . وفي الديوان : « والفضل سادسها » .

(٣) هكذا البيت في (ط) ، وفي أدب الدنيا والدين .. وعاشيها : عاشيها . وفي (م) : « واللين عاشيها » .. وفي الديوان : « واللين باقيها » .

(٤) هكذا البيت في (ط) ، ، وفي أدب الدنيا والدين ، وفي (م) .. وفي الديوان : « والنفس تعلم أني لا أصادقها » .

(٥) هكذا البيت في (ط) وفي (م) .. وفي أدب الدنيا والدين : « مَنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا » وبعد هذا البيت :

عِنَاكَ لَقَدْ دَقَّقْتُ مِنْكَ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْلَاهُمَا مَا كُنْتُ لِقَدِيدِهَا

ولم يرد هذا البيت الأخير في (م) و (ط) .. والبيتان الأخيران لم يردا في الديوان .

[انظر الديوان ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، وحاشية رقم ٥٧ للمحقق ط الدار المصرية] .

(٦) في (م) : « إغواء » .

(٧) في (ط) : « والشكر » . خطأ .

وَيَزَادُ وَأَشْيَاهِمَا فَمَذْمُومٌ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَسْتُ بِالْخَبِثِ ، وَالْخَبِثُ لَا يَخْدَعُنِي . وَقَالَ الْمُفِيرَةُ : كَانَ ^(١) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ .

وَالْمَوْصُوفُ بِالذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ مَذْمُومٌ ، وَصَاحِبُهُ مَحْنُورٌ ، تَخَافُ غَوَايِلُهُ ، وَتَحْذَرُ غَوَاقِبَ حَبَائِلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٢) أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَعْزِلَ زَيْدًا عَنْ وَلَدَيْهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَعَنْ مَوْجِدَةً ^(٣) أَوْ حَيَاتَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُحْمِلَ النَّاسَ عَلَى فَضْلِ عَقْلِكَ .. وَكَتَبَ زَيْدٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ فِي شِمَالِي ، وَيَمْنُنِي فَارِغَةٌ ، فَوَلَّيْتُ الْجَحَازَ أَكْفِكَ أَهْلَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِهِ . فَطُعنَ فِي إِصْبَعِهِ ^(٥) بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَمَاتَ .. فَتَحَنَّنَ وَإِنْ كُنَّا نَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّا نَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ وَنُوصِي بِهَا ^(٦) . وَالْإِسْخَاعُ فِي الْحِيلَةِ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ الْعُقَلَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لَطَائِلُ الرُّفْعَةِ ، وَبَغَايِ الْمُسَبِّلَةِ ، وَمُرْتَادِ أَمْرِ كَانَ ، ذَقَّ أَوْ جَلَّ ، خَيْرًا ^(٧) مِنَ الْحِيلَةِ . وَأَضْعَفُ الْحِيلَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّدَةِ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ ^(٨) : مَلَكَ الْعَقْلُ الْحِيلَةَ وَالتَّائِي لِلْسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيُّ مِنَ الْأُمُورِ .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ لِكِسْرَى فَقَالَ : أَنَا أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : يُشَدُّ ^(٩) بِرِجْلِي حَبْلٌ ، طَرَفُهُ بِرَقِيقَةِ الْفِيلِ ، وَبِرِجْلِي

(١) فِي « م » : « كَانَ - وَاللَّهُ » قَسَمَ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُتَوَفِّينَ عَنْ « ط » .

(٣) الْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « كَتَبَ زَيْدٌ إِلَى عُمَرَ ، وَهُنَّ مِنَ النَّاسِ . وَالصَّوَابُ : « مُعَاوِيَةُ » .

(٥) طُعنَ فِي إِصْبَعِهِ : أَصَابَهُ الطَّاعُونُ .

(٦) فِي « ط » : « وَتَوَاصَى بِهَا » . وَنَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ : نَكْرَهُهُ . وَنَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ : نَرْبِّدُهَا .

(٧) فِي « م » وَ« ط » : « خَيْرٌ » . وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْتَاهُ - خَيْرٌ لَيْسَ .

(٨) فِي « ط » : « وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » .

(٩) فِي « م » : « تُشَدُّ » .

الأخرى ^(١) كذلك ، ويُشَدُّ طَرَفُهُ ^(٢) بِرَقِيَّةِ الْفِيلِ ، ثُمَّ يُسَاقُ الْفِيلُ ^(٣) بِالضَرْبِ وَالزُّجْرِ فَلَا أَتْرَحْرُحَ ، ثُمَّ طَلَبَ ^(٤) أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعٍ مِنَ الْفَيْلَةِ ، فَمَرَّتْ بِحَدِيثِهَا ، فَقَسَمُوهُ شَطْرَيْنِ ، فَقَالَ كِسْرَى : مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مَا فِيهِ عَقْلُهُ هَلَكَ بِأَكْبَرِ مَا فِيهِ ، فَتَنَظَّمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٥) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرُهُ عَقْلُهُ أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ ^(٦)

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا أَبَا الْوَلِيدِ ^(٧) يَخْكِي أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِيَّيْ أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ ، فَأَخْرَجَ اثْبُوتَهُ قَصَبَ فِيهَا إِبْرَ عِدَّةٌ ، ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ ، وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ ، فَتَقَعَ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ ^(٨) الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ ، حَتَّى قَرَعَ دَسْتَهُ ^(٩) ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْهَوَانِ ، فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِحَقْوَةِ ذِكَايِهِ ، وَأَدْبَتُهُ كَنَى لَا يَصْرِفُ قَرَطَ ذِكَايِهِ فِي الْفُضُولِ ^(١٠) .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَقْلَ الْمُكْتَسَبَ إِذَا تَنَاهَى لَا يَكُونُ فَضِيلَةً ، قَالَ : لِأَنَّ الْفَضَائِلَ هِيَ بَاتُ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ فَضِيلَتَيْنِ ^(١١) نَاقِصَتَيْنِ ، فَمَا جَاوَزَ التَّوَسُّطَ خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْفَضِيلَةِ ،

(١) في م : : الآخر .

(٢) في م : : وَشَدُّ طَرَفِهِ ، أَيْ : الْحَبْل .

(٣) في م : : ثُمَّ لَسَاقُ الْفَيْلَةِ .

(٤) في م : : ثُمَّ تَعَاطَى ، أَيْ : أَتَدَمَّ عَلَيْهِ وَقَعَلَهُ .

(٥) البيت أنشده ابن نلكك لأبيه ، وهو : أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ فِي شُكْوَى الزَّمَانِ ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْمُتَنَبِّئِ .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٣ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ٦ - ١١ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٠ ، والصُّحُحُ الْمُتَنَبِّئِ عَنْ حَبِيبَةِ الْمُتَنَبِّئِ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط دار المعارف] .

(٦) في أدب الدنيا والدين : : أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ .

(٧) هو : أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاهِجِي ، سُلَيْمَانُ بْنُ خُلْفٍ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ . انظر المقدمة .

(٨) في م : : مِنْ عَيْنِ .

(٩) دَسْتُهُ : لَيْعُهُ .

(١٠) في م : : لَا يَصْرِفُ بِقَرَطِ ذِكَايِهِ فِي الْفُضُولِ ، أَيْ : فِيهِمَا لَاحِظٌ فِيهِ .

(١١) هَكَذَا فِي ط : : وَفِي أدب الدنيا والدين .. وفي م : : مِنْ فَضِيلَتَيْنِ .

كَانَكَرَمُ الَّذِي هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْبُحْلِ وَالتَّبَذِيرِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَسَطٍ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ .
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ لِلْأَسْكَنْدَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عَلَيْكَ بِالاعتِدَالِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزَّهَادَةَ
غَيْبٌ ، وَالتَّقْصَانُ عَجْزٌ .. وَفِي الْحَدِيثِ .. أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ :
« خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا » . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَيْرُ الْأُمُورِ
الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِي ، وَمِنْهُ يُلْحَقُ النَّالِي . قَالُوا : لِأَنَّ زِيَادَةَ الْعَقْلِ ^(٢) تُفْضِي
بِصَاحِبِهَا إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ .

قُلْنَا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ بِمَا قَدَّمْنَاهُ لِنَصَرَةِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مَنْقُوضٌ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ ،
وَبِالْعُلُومِ ، وَبِسَائِرِ الْفَضَائِلِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ
[فَتَقُولُ] ^(٣) : الذَّهَاءُ وَالْمَكْرُ كَسْبٌ مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرَ الْعَقْلِ ، لَيْسَتْ مِنْ لَوَائِمِ الْعَقْلِ ،
فَإِنْ شَاءَ تَذَاهَى وَمَكَّرَ ، وَإِنْ شَاءَ كَفَّ عَمَّا يَقُولُ فِي كُلِّ شَرٍّ يَكْتَسِبُهُ الْعَاقِلُ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَلَيْسَ ^(٤) عَقْلُهُ أَوْفَعُهُ فِيهِ ، بَلْ إِنَّمَا أَوْفَعُهُ فِيهِ قَلَّةُ عَقْلِهِ ^(٥) . وَكَانَ بَرْزَجِيهْرُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ
كِتَابِ أُمَمَالِهِ ، وَتَسَقَّى كُلَّ بَابٍ عَلَى حِيَالِهِ ^(٦) يَقُولُ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَ هَذِهِ
الْأُمَمَالَ ^(٧) فَصَارَ عَالِمًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَهَا وَلَمْ يَهَيِّرْ عَالِمًا . وَأَنَا أَقُولُ : لَيْسَ
الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يَهَيِّرْ
مُهَذَّبًا كَامِلًا .

(١) فِي « ط » : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) فِي « م » : الرِّيَاضَةُ فِي الْعَقْلِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ مِنْ عَدَدِنَا .. وَفِي « ط » : قُلْنَا « بَدُونَ الْفَاءِ » . وَسَقَطَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ إِلَى
قَوْلِهِ : « كَسْبٌ مَعَانٍ » .

(٤) فِي « م » : لَيْسَ « بَدُونَ وَارِوِ الْعَطْفِ » .

(٥) فِي « م » : أَوْفَعُهُ قِلَّةُ عَقْلِهِ .

(٦) عَلَى حِيَالِهِ ، أَيْ : بِالْإِثْرَادِ .

(٧) فِي « م » : الْأَعْمَالُ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ، وَالْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ ^(١) فَلَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يَسْتَعْفِي عَنِ الْوُزَرَاءِ لَكَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ كَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ . ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةَ الْوُزَرَاءِ فَقَالَ : ﴿ اِهْدُ بِهِ أُرَى * وَأَهْرُكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(٢) . دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْوِزَارَةِ أَنْ يَشُدَّ ^(٣) قَوَاعِدَ الْمَمْلَكَةِ ، وَأَنْ يُفَضِّلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِعُجْرِهِ ^(٤) وَيُجَرِّه إِذَا اسْتَكْبَلَتْ ^(٥) فِيهِ الْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ كَفَى لِسَبْحِكَ كَثِيرًا * وَلَذِكْرُكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) . دَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَنَّ بَصُوحَةَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ^(٧) وَأَهْلَ الْخَبِيرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ تَنْتَظِمُ ^(٨) أُمُورَ الدُّنْيَا وَأُمُورَ الْآخِرَةِ ، وَكَمَا أَنَّ أَشْجَعَ النَّاسِ يَخْتَاجُ إِلَى

(١) الْآيَةُ ٢٩ مِنْ سُورَةِ طه .

(٢) الْآيَاتَانِ : ٣١ ، ٣٢ مِنْ سُورَةِ طه .

(٣) فِي « ط » : « تَشَدُّ » .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « بِعُجْرِهِ » .. وَيُفَضِّلُ إِلَيْهِ بِعُجْرِهِ وَيُجَرِّه ، أَيْ : بِمُحَبَّةٍ وَأَمْرِهِ كُلِّهِ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « اسْتَكْبَلَتْ » . وَالْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ : الْخِصَالُ الْحَسَنَةُ ، جَمْعُ نَحْلَةٍ .

(٦) الْآيَاتَانِ : ٣٣ ، ٣٤ مِنْ سُورَةِ طه .

(٧) فِي « م » : « وَالصَّالِحِينَ » .

(٨) فِي « م » : « تَنْتَظِرُ » . تَعْرِيفٌ مِنَ النَّاسِ .

السَّلَاج ، وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ إِلَى السَّوْطِ ^(١) وَأَحَدَ الشَّفَارِ إِلَى الْمِسْنِ ، كَذَلِكَ يَخْتِاجُ أَجَلَ الْمُلُوكِ وَأَعْظَمَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ إِلَى الْوَزِيرِ .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةً إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ^(٢) وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) . وَإِنَّمَا اسْتَقْبَلَتِ الْوِزَارَةُ مِنَ الْوَزِيرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ ^(٤) يُرِيدُ : أَنَّهُ يَحْمِلُ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ وَأَعْبَائِهَا وَاتَّقَالِهَا مِثْلَ الْأَوْزَارِ .

أَسْعَدَ الْمُلُوكَ مَنْ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ ^(٥) إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ . وَقَالَ وَهْبُ ابْنِ مُثَنَّبٍ : قَالَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِفِرْعَوْنَ : آمِنْ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَلَكَ مُلْكُكَ ، قَالَ : حَتَّى أَشَاوَرَ هَامَانَ ، فَشَاوَرَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَتِمَّا أَنتَ إِلَهَ تُعْبَدُ إِذْ صِرْتَ تُعْبَدُ ، فَأَنْفَ وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كَانَ وَزِيرُ الْحَجَّاجِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ^(٦) لَا يَأْلُوهُ خِيَالًا ، وَلَيْفَسَ الْقُرَنَاءُ شَرَّ قَرِينٍ لِشَرِّ حَدِيدٍ ^(٧) .

وَأَشْرَفَ مَنَازِلِ الْأَدَمِيِّينَ النَّبِيُّ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ الْوِزَارَةُ . الْوَزِيرُ عَوْنٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَشَرِيكٌ فِي التَّذْيِيرِ ، وَظَهِيرٌ عَلَى السِّيَاسَةِ ، وَمَفْرَعٌ عِنْدَ

(١) في م : « وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ بِحِجَابِ السَّوْطِ » . وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ : أَحْسَنَهَا وَأَمَهَرَهَا — أَفْعَلَ تَفْضِيلًا .

(٢) في م : « وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ » فِي الْمَوْضِعِينَ . تَحْرِيفٌ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَحْكَامِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ ، وَالتَّنَافُ فِي الْبَيْعَةِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الزَّهَدِ .

(٤) يَهْنَى : أَنَّ الْوَزَرَ هُوَ الْجِسْلُ الثَّقِيلُ ، وَالْوَزِيرُ : خَاصَّةُ الْمَلِكِ الَّذِي يَحْمِلُ ثِقْلَهُ وَيُعِينُهُ بِرَأْيِهِ .

(٥) في م : « مَلِكٌ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ » .

(٦) هُوَ : يَزِيدُ بْنُ دِهْزَانَ التَّقِيُّ ، أَبُو الْعَلَاءِ ، وَأَبُو مُسْلِمٍ كُتِبَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ مِنْ مَوَالِي ثَقِيفٍ ، وَجَعَلَهُ الْحَجَّاجُ كَاتِبًا لَهُ ، فَظَهَرَتْ مَزَايَاهُ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ الْحَجَّاجُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْخَرَاجِ بِالرَّاقِ ، وَأَفَرَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ مَوْتِ الْحَجَّاجِ سَنَةَ ٩٥ هـ ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ وَتَوَلَّى أَخُوهُ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ٩٦ هـ عَزَلَهُ ، وَاسْتَبْقَاهُ فِي الشَّامِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ وَلَّى إِمَارَةَ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ ١٠١ هـ فَاتَّصَرَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوهُ سَنَةَ ١٠٢ هـ ، وَاتَّهَمُوا بِقَتْلِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصْرِ ، فَقَتَلَهُ بِشَرِّ بْنِ صَفْوَانَ الْكَلْبِيِّ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٨٢ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، وَالْمَجْلِسُ ص ٤٩٢ ، وَتَارِخُ الطَّبَرِيِّ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ مُهَيِّاتِ كُتُبِ التَّارِخِ] .

(٧) لَا يَأْلُوهُ خِيَالًا : لَا يَقْصُرُ فِي إِنْصَادِهِ . وَالْحَدِيدُ : الصَّدِيقُ .

التَّائِلَةُ^(١) . الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ سَنْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : نِعَمَ الظَّهِيرُ الْوَزِيرُ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَسْتَفِيدُ الْمَلِكُ مِنَ الْوُزَرَاءِ أُمْرَانِ : عِلْمٌ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ، وَبَقَايَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ ، فَيَزُولُ شَكُّهُ .

وَأَوَّلُ مَا يَظْهَرُ ثَبَلُ السُّلْطَانِ وَقُوَّةُ تَمَيُّزِهِ ، وَجَوْدَةُ عَقْلِهِ فِي اسْتِنْحَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَاسْتِنْفَادِ الْجُلَسَاءِ^(٢) وَمُحَادَاثَةِ الْعُقَلَاءِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ خِلَالٍ تُدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ ، وَبِهَا يَجْمَلُ فِي الْخُلُقِ ذِكْرُهُ ، وَيَجَلُّ فِي الْعُقُولِ^(٣) قُدْرُهُ ، وَتَرَسُّعُ^(٤) فِي النُّفُوسِ عَظَمَتُهُ ، وَالْمَرَّةُ مَوْسُومٌ بِقَرِينِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ : حِلَّةُ الْمُلُوكِ وَنِيَشْتُهُمْ وَزَرَائِهِمْ . وَفِي كِتَابِ « كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ »^(٥) لَا يَصْلُحُ السُّلْطَانُ إِلَّا بِالْوُزَرَاءِ ، وَلَا الْأَعْوَانُ^(٦) إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَلَا الْمَوَدَّةُ^(٧) وَالنَّصِيحَةُ إِلَّا بِالسَّرِّ^(٨) وَالْعَفَافِ .. وَأَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ ضَرَرًا عَلَى النَّاسِ عَامَّةً وَعَلَى الْوَلَاةِ خَاصَّةً أَنْ يُخْرَمُوا صَالِحَ الْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ ، فَكَوْنُ أَغْوَانِهِمْ غَيْرَ ذِي جَدْوَى وَغَيْ^(٩) . وَتَحَذَّرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ غَيْرَ الْمُتَحَرِّينَ ، كَنَّى لَا تُضَيِّعُ الْأُمُورَ ، كَمَا تَحَذَّرُ أَنْ يَتَطَلَّبَ بِغَيْرِ طَبِيبٍ بَصِيرٍ مَأْمُونٍ .

(١) الظهير : الموثق .. المنفرد : مَنْ تُلَجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ تَزَوُّلِ الْمُعْطَبِ .

(٢) استنفاذ الوزراء : انقضاءهم واختيارهم . واستنفاد الجلساء : اختيارهم جميعهم .

(٣) لِي م : : : فِي الْعُقُولِ .

(٤) لِي م : : : تَرَسَّعَ .

(٥) هُوَ كِتَابُ رَضِيَهِ الْفَلَسُوفِ الْهِنْدِيُّ « تَيْلَسَا » ، وَقِيلَ : وَضَعَهُ غِيَرُهُ ، وَقَدْ عَرَّبَهُ - عَنْ الْبَهْلَوِيَّةِ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ . وَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكِتَابُ مِنَ الذَّبْحِ وَبُعْدِ الشُّقَرَةِ مَا لَمْ يَلِدْهُ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْرَاسِ الْأَدَبِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ، وَلَمَّا اسْتَطَاعَهُ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ مَحَبَّبٍ بِأَعْلَى بَلَدٍ قَارِكَةٍ . وَقَدْ اِهْتَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَحَضَّرَةِ بِهِ ، فَتَبَيَّنَ إِلَى اللُّغَاتِ : الْفَارْسِيَّةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَالتُّرْكِيَّةِ ، وَالْيُونَانِيَّةِ ، وَاللَّاتِينِيَّةِ ، وَالْعَبْرِيَّةِ ، وَالسَّرِّيَانِيَّةِ ، وَالْإِيطَالِيَّةِ ، وَالْأَسْيَانِيَّةِ ، وَالْفَرَنْسِيَّةِ ، وَالْأَلْمَانِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ .

(٦) لِي م : : : وَالْأَعْوَانُ .

(٧) لِي م : : : وَالْمَوَدَّةُ .

(٨) لِي م : : : إِلَّا بِالرَّأْيِ .

(٩) لِي م : : : جَدْوَى . : : : وَفِي م : : : غَنَاءُ .

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ ^(١) : لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا رَأَاهُ غَضِبَانِ ^(٢) كَتَبَ لَهُ ثَلَاثَ صَحَافٍ ^(٣) فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ : اِرْحَمِ الْمُسْكِينِ ، وَانْحَشِ الْمَوْتَ ، وَادْكُرِ الْآخِرَةَ ، فَكُلَّمَا غَضِبَ الْمَلِكُ نَازَلَهُ صَحِيفَةٌ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُهُ . . . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : يَحِقُّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ أَلْفَ ^(٤) مَا يَكُونُ نَظَرًا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ خَطَرًا ، وَلَا يَذْهَبُ حُسْنُ أَثَرِهِ فِي الرِّعْيَةِ بِخَوْفِهِ ^(٥) لَهَا ، وَلَا يَسْتَعْنِي بِتَدْبِيرِ الْيَوْمِ عَنْ تَدْبِيرِ غَدٍ ، وَأَنْ يَكُونَ حَذَرُهُ لِلْمَلَاقِينَ أَكْثَرَ مِنْ حَذَرِهِ لِلْمُتَبَاعِدِينَ ، وَأَنْ يَتَّقِيَ بِطَانَةِ السُّوءِ أَشَدَّ مِنْ اتِّقَائِهِ الْعَامَّةِ ، وَلَا يَطْمَعَنَّ فِي إِصْلَاحِ الْعَامَّةِ إِلَّا بِالْخَاصَّةِ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : لِكُلِّ مَلِكٍ بِطَانَةٌ حَتَّى يَجْمَعَ بِذَلِكَ ^(٦) جَمِيعَ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بِطَانَةً عَلَى حَالِ الصُّوَابِ ، أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصُّلَاحِ عَامَةُ الرِّعْيَةِ .

وَمِثَالُ الْمَلِكِ الْخَيْرِ وَالْوَزِيرِ السُّوءِ ^(٧) الَّذِي يَمْنَعُ النَّاسَ خَيْرَهُ ، وَلَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الدُّنُوِّ مِنْهُ ، كَالْمَاءِ الصَّافِي فِيهِ التَّمَسَّاحُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ دُخُولَهُ ، وَإِنْ كَانَ سَابِحًا ، وَكَانَ إِلَى الْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَمِثْلُ ^(٨) السُّلْطَانِ مِثْلُ الطَّبِيبِ ، وَمِثْلُ الرِّعْيَةِ كَمِثْلِ الْمَرْضَى ، وَمِثْلُ الْوَزِيرِ كَمِثْلِ السُّفِيرِ بَيْنَ الْمَرْضَى وَالْأَطِبَّاءِ ، فَإِنْ كَذَبَ السُّفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ ، وَكَمَّا أَنَّ السُّفِيرَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا مِنَ الْمَرْضَى وَصَفَ لِلطَّبِيبِ يَقِضْ ذَاتِهِ ، فَإِذَا سَقَاهُ الطَّبِيبُ

(١) من رجال الحديث ، رَوَى عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَيَزِيدُ بْنُ مَسْرَةَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ، ص ٦٠ صفحات متفرقة] ولي « م » : « شرح بن عبدالله » تحريف .

(٢) في « م » : « غضباناً » خطأ ، والصواب يثبته من الصرف ، صفة مخومة بألف ونون زائدتين .

(٣) في « م » : « كتب له صحائف » .

(٤) في « م » : « يحق على الملك اللطف » أى : أن يكون اللطف .

(٥) في « ط » : « بخوفه » .

(٦) في « م » : « ذلك » .

(٧) في « م » : « الوزير الشرير » .

(٨) في « م » : « ومثال » .

عَلَى صِفَةِ السُّفِيرِ هَلَكَ الْعَلِيلُ ، كَذَلِكَ الْوَزِيرُ ، يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَلِكِ مَا لَيْسَ فِي الرَّجُلِ
يَقْتُلُهُ الْمَلِكُ ، فَمِنْ هَاهُنَا شَرْطُنَا ^(١) أَنْ يَكُونَ الْوَزِيرُ صَدُوقًا فِي لِسَانِهِ ، عَدْلًا فِي دِينِهِ ،
مَأْمُونًا فِي أَخْلَاقِهِ ^(٢) ، بَصِيرًا بِأُمُورِ الرِّعْيَةِ ، وَتَكُونُ بَطَانَةُ الْوَزِيرِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ
[وَالذِّيَانَةِ] ^(٣) وَالْبَصِيرَةِ ، وَيَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ لَيِّمًا ، فَالْأَيُّمُ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا
أَقَارِبَهُ ، وَالْكَرَّ مَعَارِفَهُ ، وَاسْتَحَفَّ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

وَلَمَّا أَرَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ كَاتِبَ الْحِجَاجِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ،
قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَسَأَلْتُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تُحْيِيَ ^(٤) ذِكْرَ الْحِجَاجِ
بِاسْتِكْتَابِكَ إِيَّاهُ . فَقَالَ ^(٥) : يَا أَبَا حَفْصٍ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ حَيَاتَهُ دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٍ .
قَالَ عُمَرُ : أَنَا أَوْجَدُكَ مَنْ هُوَ أَغْفُ مِنْهُ فِي الدِّينَارِ وَالْدِرْهَمِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
إِبْلِيسُ ، مَأْمُسٌ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَقَدْ أَهْلَكَ هَذَا الْخَلْقَ .. وَدَخَلَ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَأَدَبٌ
عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ذَمِيًّا ^(٦) كَانَ الْخَلِيفَةُ يَحِبُّ إِلَيْهِ وَيُقَرِّبُهُ ، فَقَالَ :
يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ فِي الْوَرَى وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ ^(٧)
إِنْ الَّذِي شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

(١) فِي د م : : شَرْطٌ .

(٢) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي د ط : : مَأْمُونًا فِي الْخِلَافَةِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ عَنْ د م .

(٤) هَكَذَا فِي د ط .. وَفِي د م : : أَنْ تُحْيِيَ . وَسَقَطَتْ « لَا » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَالسِّيَاقُ يَسْتَدْعِي
وُجُودَهَا .

(٥) فِي د م : : قَالَ .

(٦) قِيلَ : هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيُّ نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ صَرَاحًا تَوَاضَعًا مِنْهُ ، وَقَدْ أُنْشِدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
الْآتَيْنِ عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَى الْأَفْضَلِ « شَاهِنْشَاه » ابْنِ أَمِيرِ الْجَبِيوشِ ، لِيُوعِظَهُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ،
فَوَعِظَ الْأَفْضَلُ حَتَّى بَكَى ، ثُمَّ أُنْشِدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَأَشَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ ، فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَحَدَّثَ مَا هُوَ
مَذْكُورٌ بِهِ ذَلِكَ .

[انْظُرْ نَفْعَ الطَّبِيبِ ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٢٦٣ ، وَالْمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، وَفِيهِ نَسَبُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ ، وَانْظُرْ لِمَقْدَمَةِ] .

(٧) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي د ط .. أَمَّا الشُّطْرَةُ الْأُولَى فَوُرِدَتْ فِي د م : : هَكَذَا : « يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ لَازِمَةٌ » .. وَفِي وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ وَنَفْعِ الطَّبِيبِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ » ..

وَأَشَارَ إِلَى الذَّمِّ : فَاسْأَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ .. فَسَأَلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَقُولَ : هُوَ صَادِقٌ ، فَأَعْتَرَفَ بِالْإِسْلَامِ .

لَا يَعْرِفُ وَنَزِيرُ الْمَلِكِ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ حَتَّى يُرَاعِيَ مِنْ صَاحِبِهِ الْوَائِي بِهِ مَا يُرَاعِيهِ ^(١) الْعَاشِقُ الْغَيُورُ مِنَ الْمَعشُوقَةِ الْمُتَهَمَةِ ^(٢) . وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ ^(٣) قَدْ كَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ وَقَالَ لِوَلِيِّهِ : إِذَا رَأَيْتَنِي غَضَبَانَ ^(٤) فَادْفَعْ إِلَيَّ رُقْعَةً بَعْدَ رُقْعَةٍ ^(٥) فَكَانَ فِي الْوَاحِدَةِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ ، وَإِنَّكَ سَتَمُوتُ ^(٦) وَتَعُودُ إِلَى التُّرَابِ فَيَأْكُلُ بَعْضُكَ بَعْضًا . وَفِي الثَّانِيَةِ : ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ . وَفِي الثَّالِثَةِ : اقْضِ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ .

إِذَا كَانَ الْوَزِيرُ يُسَاوِي الْمَلِكَ فِي الرَّأْيِ وَالْهَيْبَةِ ^(٧) وَالطَّاعَةِ فَلْيَصْرَعْهُ الْمَلِكُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْعُلْ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ الْمَصْرُوعُ . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا سَكَنَتِ الدُّهْمَاءُ خَافَ ^(٨) الْوُزَرَاءُ .. وَلَمَّا كَانَتْ أُمُورُ الْمَمْلَكَةِ عَائِدَةً إِلَى الْوُزَرَاءِ ، وَأَزِيمَةُ الْمُلُوكِ فِي أَكْفِ الْوُزَرَاءِ ^(٩) سَبَقَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْمَكَلِّ السَّائِرِ فَقَالُوا : لَا تَعْتَرِ بِمَوَدَّةِ الْأَمِيرِ إِذَا غَشَّكَ الْوَزِيرُ ، وَإِذَا أَحَبَّكَ الْوَزِيرُ فَلَا تَحْشُ الْأَمِيرَ . وَيُقَالُ : الْخَرْقُ مِمَارَاةُ الْأَمْرَاءِ ^(١٠) وَمُعَادَاةُ الْوُزَرَاءِ ، وَرُبَّ أَمْرٍ كَرِهَهُ الْأَمِيرُ فَقَمَّ بِالْوَزِيرِ ، وَحَكَمَ مِنْ أَمْرِ أَرَادَهُ الْأَمِيرُ فَتَقَاهُ عَنْهُ الْوَزِيرُ ، وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ كَالدَّارِ ، وَالْوَزِيرُ بَابُهَا ، فَصَنْ أَمَى الدَّارِ مِنْ بَابِهَا وَلَجَّ ، وَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ بَابِهَا أُرْجِعَ ^(١١) .

(١) فِي د م : : مَا يُرَاعَى .

(٢) فِي ط : : الدُّهُمَةُ .

(٣) فِي د م : : بَعْضُ الْخُلَفَاءِ .

(٤) فِي أ م : : غَضَبَانَا .. لَا تَصِح .

(٥) قَوْلُهُ : بَعْدَ رُقْعَةٍ مِنْ د م : وَسَالِطٌ مِنْ ط .

(٦) فِي د م : : سَمُوتٌ .

(٧) فِي د م : : فِي الرَّأْيِ وَالْهَيْبَةِ .

(٨) فِي د م : : خَافَتْ ، وَالْدُهْمَاءُ : عَائِمَةُ النَّاسِ وَسَوَادُهُمْ .

(٩) الْأُرْمَةُ : جَمْعُ زَنْمٍ ، وَهُوَ الْيَقُودُ . وَالْمِرَادُ هُنَا : أَنَّ الْوُزَرَاءَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ فِي تَصْرِيفِ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ .

(١٠) الْمُتَلَاةُ : الْمُتَابَعَةُ وَالْمُجَادَلَةُ .

(١١) أُرْجِعَ : طُرِدَ .

وَمِنْ شُرُوطِهِ : أَنْ يَكُونَ قَبِيَّ الْجَنَبِ ، نَاصِحَ الْغَيْبِ ، لَا يَقْبَلُ دَقِيقَةً ^(١) وَلَا يَكْتُمُ نَصِيحَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِوَزِيرِهِ : لَا تُكُونَنَّ ^(٢) إِلَى مَا تُسِرُّنِي بِهِ أَسْرَعَ ^(٣) مُبَادَرَةً مِنْ إِنْذَارِي فِيمَا يُخَافُ ^(٤) عَلَى مِنْهُ .. وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ : أُعْطِيَ مِنْ أَثَاكَ بِمَا تُكْرَهُ ، كَمَا تُعْطَى مِنْ أَثَاكَ بِمَا تُحِبُّ ، فَإِنْ مِنْ أَلْذَرِ كَمَنْ بَشَّرَ .

وَمِنْ شُرُوطِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلًا كَلِيلَ نَهَامَةٍ لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ ^(٥) . وَمَوْقِعُ الْوَزِيرِ مِنَ الْمَلِكِ مَوْقِعُ الْمَلِكِ ^(٦) مِنَ الْعَامَةِ . وَكَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتِ الرَّجِيَّةُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدُوا ، كَذَلِكَ الْوُزَرَاءُ ، إِذَا فَسَدُوا فَسَدَ الْمَلِكُ ، وَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ الْمَلِكُ .

وَكَانَ يُقَالُ : آفَةُ الْعَقْلِ الْهَرَى ، وَآفَةُ الْأَمِيرِ سَخَافَةُ الْوَزِيرِ . وَقَالَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ لِوَزِيرِهِ عَلِيِّ بْنِ عِمْسَى ^(٧) : ائْتِ اللَّهَ يُعْطِفَنِي عَلَيْكَ ، وَلَا تَعَصِهِ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ . وَقَالَ

(١) الدقيقة : الأمر الحقير الصغير .

(٢) في م : « ما يكون » .

(٣) في م : « أَسْرَعَ مِنْكَ » .

(٤) في م : « إلى إِنْذَارِي فِيمَا تُخَافُ » .

(٥) نَهَامَةٌ : أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز والبحن ، والقُرَّ ، بفتح القاف للمُشَاكَلَة مع الخُرَّ : البرد .

(٦) موقع الملك : عن ط ، وسقطت من م : سهوا من الناسخ .

(٧) المقتدر بالله هو : الخليفة العباسي جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل بن المتحضر . وُلِدَ في بغداد سنة ٢٨٢ هـ ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه للمكتفي سنة ٢٩٥ هـ ، فاستصره الناس ، فخلعوه سنة ٢٩٦ هـ ونصبوا عبد الله ابن المعتز ، ثم قتلوا ابن المعتز ، وأجند المقتدر بعد يومين ، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن والاضطرابات إلى أن قُتِلَ سنة ٣٢٠ هـ .

أما علي بن عيسى فهو : علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد ، وُلِدَ سنة ٢٤٤ هـ ، وهو فارسي الأصل ، نشأ كاتباً كافيته ، وولى مكة ، واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠ هـ فولاه الوزارة ، فأصلح الأحوال ، وأحسن الإدارة ، وحملت سيرته ، ثم عزله المقتدر سنة ٣٠٤ هـ ، وحجسه ، ونفاه إلى مكة سنة ٣١١ هـ ، ومنها إلى صنعاء ، ثم أَيْدَنَ له بالعودة إلى مكة سنة ٣١٢ هـ فعاد ، وولى فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ثم أعاده المقتدر إلى الوزارة ، فرجع إلى بغداد سنة ٣١٤ هـ ، وعاد فنقم منه سنة ٣١٦ هـ فزله ، وهكذا كانت حياته ملوَّها بالاضطراب إلى أن توفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢١ ، وج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٠ - ٤٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢١٢ - ٢١٩ ، والكمال لابن الأثير ج ٦ ص ٩١٩ وصفي جليلي ، كتبه عن صفرية] .

الْمَأْمُونُ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ^(١) : إِيَّاكَ أَنْ تُعْصِيَ اللَّهَ فِيمَا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيَّ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ .
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَزِيرِ أَنْ يَكْتُمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَةً وَإِنْ اسْتَقْلَهَا . وَمَوْفِعُ الْوَزِيرِ مِنَ
الْمَمْلَكَةِ كَمَوْفِعِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَكَالْيَدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ قَبْضُهُمَا وَبَسَطُهُمَا صَحَّ
التَّدْبِيرُ ، وَإِذَا سَقَمَا دَخَلَ النُّقْصُ عَلَى الْجَسَدِ . وَلَا تَصْلُحُ الْوِزَارَةُ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ
أَهْلِهَا ، كَمَا لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . وَشَرُّ الْوُزَرَاءِ مَنْ كَانَ الْأَشْرَارُ
[أَيْضاً]^(٢) لَهُ وَزَرَاءَ وَبَطَانَةً وَدَخَلًا^(٣) . وَأَوْصَتْ امْرَأَةً ابْنَهَا وَكَانَ مَلِكًا ، فَقَالَتْ :
يَا بُنَيَّ ، يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ : وَزِيرٌ يَتَّقِي بِرَأْيِهِ ، وَيَفْضِي إِلَيْهِ بِأَسْرَارِهِ ،
وَحِصْنٌ يُلْجَأُ إِلَيْهِ إِذَا فَرَعَ ، وَسَيْفٌ إِذَا تَأَزَّلَ الْأَقْرَانُ لَمْ يَخُونَهُ^(٤) ، وَذَخِيرَةٌ خَفِيفَةٌ
الْمَخِيلُ ، إِذَا تَأَيَّتَهُ^(٥) ثَابِتَةٌ مَعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَذْهَبَتْ هَمَّهُ ، وَطَبَاخٌ
إِذَا لَمْ يَشْتَهَ الطَّعَامَ طَبَخَ لَهُ مَا يَشْتَهِيهِ .

(١) المأمون هو : الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .
أما محمد بن يزداد فهو : محمد بن يزداد بن سويد المروزي ، من كتّاب الإنشاء في الدولة العباسية ، وقد استوزره
المأمون ، وتولى المأمون وهو على وزارته ، وعاش إلى أيام الواثق بالله ، وتولى يَسْرَ من رأى سنة ٢٣١ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣] .

(٢) ما بين المعرفتين عن « ط » و « م » .

(٣) الدُّخْلُ : الفساد والعبث والريبة .

(٤) في « م » : « لَمْ يَخْفُ أَنْ يَخُونَهُ » .

(٥) في « ط » : « تَأَيَّتَهُ » .

« م » حذفت (٥)

قوله « ط »

« حذفت « ط » لآلة : « ط » « م » (٥)

البَابُ الحَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَعْلَاءُ يُؤْمِدُ بَعْضُهُمْ عَضُدَ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا وَلَدَا لَيْسَ لَكَ الْخُلْدُ فَلَا عَيْلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ ^(٢) .

يَتَّبِعِي ^(٣) لِلْمَلِكِ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ، وَذَوِي الرَّأْيِ وَالْحَسَبِ ، وَذَوِي الْقَبَارِبِ وَالْعِمْرِ ، فَمُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ لِقَاحُ الْعَقْلِ وَمَادَّةُهُ ، وَلِلذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ ^(٤) ، فَقَالَ الْقَدَمَاءُ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَتَبَايَعُ الْأَعْبَارِ ، لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَنْفُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . وَقَالُوا : عَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ^(٥) فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاةَ الطَّيِّعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُمُومِهِمْ وَجْهَةُ الْعِمْرِ ، وَتَصَدَّتْ لَأَسْمَاعِهِمْ آقَارُ الْعِمْرِ . وَقَالُوا : رَأَى الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْفُلَامِ .

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .. والأعلاء : الأجياء في غير ذات الله .

(٢) الأيتان : ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان . وَخَدُولًا : كثير الجذلان لَيْسَ بِوَالِيهِ .

(٣) فِي د ط .. د وَيَتَّبِعِي .

(٤) هَكَذَا فِي د ط .. د وَفِي د م : : الْمَشَايِخ . وَانْظُرْ أَدَبَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ - الباب الأول ص ٢٦ ط الدار المصرية .

(٥) فِي د ط : : عَلَيْكَ بِآرَاءِ الْمَشَايِخ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ^(١) لِحُجَلَسَائِهِ : جَبَّيْنِي ثَلَاثًا ^(٢) : لَا تُطْرُونِي ، فَإِنِّي أَعْرِفُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ ، وَلَا تُكْذِبُونِي ، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكُذُوبٍ ، وَلَا تَعْتَابُوا ^(٣) عِنْدِي أَحَدًا فَيَسُدَّ قَلْبِي عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالشَّجَارِبِ تَأْدِيَةً ، وَتَقَلَّبَ الْأَيَّامُ عِظَةً .. وَقَالُوا : الشَّجَرَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ ، وَالْعَرَّةُ نَمَرَةُ الْجَهْلِ .. وَقَدْ قَالَ هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ ^(٤) وَهُوَ أَحَدُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، حِينَ تَنَافَرُ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ ، وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَلَةَ ^(٥) : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ السَّنِّ ، الْحَدِيثُ النَّظَرُ ^(٦) .. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشُّبَابِ ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ رَأْيًا لَمْ يُعْطَهُ طَوْلُ الْقَدَمِ ، وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ ، وَالْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ أَصْدَقُ عَلَى الْعُقُولِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُعَاوِيَةَ ^(٧) : عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْأَيَّامِ ^(٨) أَعْدَاءَ كَاثُوا أَوْ

(١) هو الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ، وقد مر التعريف به .

(٢) في (م) : « ثلاثة » . ولا تُطْرُونِي أى : ولا تُبالغوا في الشاء عَنِّي .

(٣) في (م) : « ولا تفتابون » خطأ ، والمصواب حذف النون .

(٤) هو : هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ بْنِ مَيْمَانَ النَّزَارِي ، كان حَكَمًا من حكام العرب في الجاهلية ، يفضي بين السادات فيرضون بقضائه ، ولا يردُّ قوله ، أدرك الإسلام ، وله صحبة ، وكان حياً في خلافة عمر بن الخطاب ، وله معه حديث .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٣ ، والمهر ص ١٣٥ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٢ ، ومنهاج اليقين لأويس وفا الأرنؤنجاني ص ١٦ وأدب الدنيا والدين الباب الأول ص ٢٧] .

(٥) في (ط) : « علابة » بالياء ، خطأ .

وعامر بن الطفيل بن مالك بن الأحوص ، وعلقمة بن عَلَلَةَ بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، كُلُّ منهما سيّد من سادات قومه ، وفارس ، وشاعر .

[انظر المراجع السابقة] .

(٦) في أدب الدنيا والدين : « الحديده النهن » .

(٧) هو : عبد العزيز بن زُرَّارَةَ الكَلَابِيُّ ، قائد من الشجعان الْمُتَقَلِّبِينَ في زَمَنِ مُعَاوِيَةَ ، وكان فيمن غزا القسطنطينية ، وأبلى في قتال الروم بلاءً حسناً ، وقُتِلَ في إحدى الوقائع سنة ٤٩ هـ . ولما تُيِّمُ لمعاوية ، قال : « هلك والله قُتَّى العرب » .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٧ ، والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٢٢٧] .

(٨) في (م) : « الأولياء » ، أى : للتأمرين والهيبن . والأَيَّامُ : قُوَى الْأَبْطَابِ ، أى أصحاب العقول ، جمع

صِدْقَاءَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ تَزِيدُ ^(١) فِي لَشْرَفٍ . وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) : إِنْ الرَّجُلُ يَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيَلْقَى الرَّجُلَ الْعَاقِلَ لَيَكُونُ [بِعَقْلِهِ] ^(٣) عَاقِلًا أَيَّامًا . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَرُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بِقَصْرِ بَارِضٍ بِمِصْرَ ، فَوَجَدَ فِيهِ مَكْتُوبًا :

عَدَوْنًا مِنْ قُرَى اضْطَحِرَ	إِلَى الْقَصْرِ فَعَلَنَاهُ ^(٤)
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْقَصْرِ	فَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ	إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءَ ^(٥)
وَفِي الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ	عَلَامَاتٌ وَأَشْبَاهُ ^(٦)
فَلَا تُصْحَبُ أَحَا الْجَهْلِ	وَأِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أُرْدَى	حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ ^(٧)

قَالَ : وَوَجَدَ ^(٨) عَلَيْهِ نَسْرًا وَاقِعًا ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَنْ بَنَى هَذَا الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : كَمْ لَكَ مِنْذُ وَقَعْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : تِسْعُمِائَةِ سَنَةٍ . وَفِي الْأَمْثَالِ : يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِحَلِيلِهِ . وَلَمَّا حَجَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ^(٩) نَزَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ

(١) في م : « يزيد » .

(٢) هو : سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَيْمُون . مَرُّ التعريف به .

(٣) ما بين المقوفين عن م : « وساقط من ط » .

(٤) اضْطَحِرَ : من أقدم مُدُنِ فَارِسَ وأشهرها ، وبها كان قصر ملك فَارِسَ .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢١١] .

(٥) هكذا في م : « .. وفي ط : « : إذا ما هُوَ مَا شَاءَ » .

(٦) أي : لثامه . وأشبهه : جمع شَيْءٍ أو شَيْءٍ .

(٧) أُرْدَى حَلِيمًا : أهلكه حين صَحْبَةٍ .

(٨) في ط : « : وَوَجَدْنَا » لا تصح .

(٩) في ط : « : عبيد الله » خطأ .. وهو : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ، صحابيٌّ ، وَلِدَ بِأَرْضِ الْحِمْيَرِ لَمَّا هَاجَرَ أَبَوَاهُ إِلَيْهَا ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسَ ، وَهُوَ أَخُو مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ لِأُمِّهِ ، وَكَانَ كَرِيمًا يُسَمَّى بِتَحْرِ الْجُودِ . وَلِلشُعْرَاءِ فِيهِ مَثَلٌ . وَكَانَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ يَوْمَ « صَفِّينَ » . وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨٤ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، والمخير ص ١٤٧ - ١٥٠ ، والمعارف ص ٢٠٦ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٨ - ٢٠٠] .

قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَرَفْنَا خِيَارَكُمْ مِنْ أَشْرَارِكُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : نَزَّلْنَا وَمَعَنَا أَنْعِيَارٌ وَأَشْرَارٌ ، فَتَزَلْ أَنْعِيَارُنَا عَلَى أَنْعِيَارِكُمْ ^(١) وَأَشْرَارُنَا عَلَى
أَشْرَارِكُمْ ، فَعَرَفْنَاكُمْ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ الدُّخَانُ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ . وَقَالَ
الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : الصَّاحِبُ لِلصَّاحِبِ كَالرُّقْمَةِ فِي الثَّوْبِ ، إِنْ لَمْ تُكُنْ مِفْلَهُ ^(٣) شَانَتْهُ .
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ مِسْنَجٍ ^(٤) لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : يَا أَبَا بَخْرٍ ، مَا أَشْتَأُقُ إِلَى غَائِبٍ إِذَا
حَضَرْتُ ، وَلَا أَتَفِغُ بِحَاضِرٍ إِذَا غَيْبَ ، فَأَعَدَّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَاتِبُ ^(٥) فَتَطَمَنَ
فَقَالَ :

وَأَنْتَ هَوَى النَّفْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْمُطَاعُ
وَمَا بِكَ إِنْ بَعُدُوا وَخَشَتْهُ وَمَا مَعَهُمْ إِنْ بَعُدْتَ اجْتَمَاعُ ^(٦)

(١) في م : « فَنَزَلَ خِيَارُنَا عَلَى خِيَارِكُمْ » .

(٢) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُخَيْدِ الْأَوْزَاعِي ، وقد مر التعريف به .

(٣) في ط : « فِي مِفْلِهِ » . وشأنه : عاقبه .

(٤) في م : « و ط ط » : ملك « بدون ألف صغيرة فوق الميم تدل على الألف المحذوفة .

وهو : مالك بن مِسْنَجٍ بن « سيار » - وقيل : « شيان » و « سنان » - البكري ، سيد ربيعة في زمانه ، كان مقدماً
رئيساً ، وُلِدَ في عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإليه تُنسَبُ المسابقة . أصيبت عينه في معركة بالجبفرة (موضع
بالبصرة) وقيل : قُتِلَ يوم الجمل ، وتوفي سنة ٧٣ هـ ، وكان يُقال : سَادَ الْأَخْنَفُ بِجُلُوبِهِ ، « وساد مالك بن
مِسْنَجٍ بحبة العشرة له » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٦٥ ، والمهر ص ٢٦١ و ٣٠٢ ، والمعارف ص ٤١٩ ، وغار القلوب ص ٣٩٨ ،
والحيوان ج ١ ص ٢٧٠] .

(٥) هو : إبراهيم بن العباس بن محمد بن سُوَيْلٍ ، أبو إسحاق ، كاتب العراق في عصره ، وُلِدَ سنة ١٧٦ هـ
وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها ، وكان إبراهيم مقرباً من الخلفاء ، فكان كاتباً للمعتصم والواقع
والمشكل . وتنقل في الأعمال والدلولين إلى أن مات سنة ٢٤٣ هـ يسرَّ مَنْ رَأَى ، وله ديوان شعر رقيق .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٤٥ ، ومعجم الأديباء لياقوت ج ١ ص ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١١٧ ،
١١٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤ - ٤٧ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٥٧ - ٣٥٣ ط الشعب] .

(٦) هكذا في م .. وفي ط : « وَخَشَتْهُ » بدل « وَخَشَتْهُ » . والوحشة : الحروف والانقطاع وبُعد القلوب
عن المودات .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ^(١) : الْمَالُ غَايَةٌ وَرَاجِعٌ ، وَالسُّلْطَانُ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَالْإِنْعَوَانُ كُنُوزٌ وَاقِرَةٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : تَنَاطَرَ رَجُلَانِ [مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ] ^(٢) وَأَعْرَابِيٌّ حَاضِرٌ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : مَنَازِلَةٌ مِثْلُكَ فِي الدِّينِ قَرَضٌ ، وَالْإِسْتِمَاعُ مِنْكَ أَدَبٌ ، وَمُجَالَسَتُكَ نَعْنٌ ، وَمَعْرِفَتُكَ عِزٌّ ، وَمُذَاكَرَتُكَ تَلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ ^(٣) وَشَحَذٌ ، وَإِخَاؤُكَ شَرَفٌ وَفَخْرٌ .. وَقَالَ السُّمَيْمَانِيُّ ^(٤) : عَنَى مُحَارِقٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ^(٥) :

- (١) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء ، أبو العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، وُلِدَ سنة ١٨٢ هـ ، وكان جده الأعلى « زريق » من موالى طلحة بن عبد الله ، المعروف بطلحة الطُّلحات .. وَلِيَّ إِثْرَهُ الشَّامَ ثَلَاثَةَ ، فَقِيلَ إِلَى مِصْرَ سَنَةً ٢١١ هـ فَأَقَامَ سَنَةً ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الدِّيَّوَرِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْمَأْمُونُ « خِرَاسَانَ » وَظَهَرَتْ كِفَايَتُهُ فَوُلِيَ طَبْرِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَالرَّيَّ وَالسُّودَانَ ، وَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ تَوَلَّى بَنِيْسَابُورَ - وَقِيلَ : بِسَبُورَ - سَنَةً ٢٣٠ هـ . وَكَانَ كَرِيمًا بِأَذَلًا لِلْمَالِ ، مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفُجْرَةٍ ، وَلِلشَّعْرَاءِ فِيهِ تَرَاثٌ كَثِيرٌ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٨٣ - ٤٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ ، وأخباره كثيرة في ابن الأثير ، والطبري ، ومروج الذهب ، والأغانى] .
(٢) ما بين الموقوفين عن (م) وساقط من (ط) .
(٣) هكنا في (ط) .. ولي (م) : « تَلْقِيحُ الْعُقُولِ » .

(٤) هو : أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار ، أديب وفنوي ، سمع أبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل بن المأمون ، وكان صديقًا ، ثقة في الرواية . وقد كتب الكثير ، وأكثر كتبه بخطه . تولى - رحمه الله - سنة ٤١٥ هـ . والسُّمَيْمَانِيُّ : قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ : « لَا أَعْرِفُ نَسَبَهُ إِلَى مَاذَا هِيَ ، وَهِيَ بِكسر السينين المهملتين ، وسكون الميم الأولى وضع الثانية ، وبالنون ، ثم وجدت في ذُرَّةِ الثَّوَالِصِ لِلْحَرِيرِيِّ مَا مِثَالُهُ : وَيَقُولُونَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْفَاكِهَةِ وَالْبَاقِلَاءِ وَالسَّمْسِمِ : فَكَهَانِي ، وَبَاقِلَانِي ، وَسَمْسَمَانِي ، فَيُخْطِئُونَ فِيهِ - وَيَبِينُ وَجْهُ الْخَطَأِ - ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَوَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُنْسَوْبِ إِلَى السَّمْسِمِ : مَسْمَسِي . وَتُسَمَّى الْكَلَامُ إِلَى آخِرِهِ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى هَذَا ، عَلِمْتُ أَنَّ نِسْبَةَ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى السَّمْسِمِ ، وَأَنَّهُ اسْتَقْبِلَ عَلَى اصطلاح النَّاسِ » . وَقَدْ ضَبْطَهُ بِإِقْرَارٍ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ بِالْفَتْحِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى « سَمْسَمِ » الْبَلَدَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ فَقَالَ : « السُّمَيْمِي » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠ ، ومعجم مقيدات ابن خُلِّكَانَ ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، وَإِتْبَاهُ الرُّوَاةِ عَلَى أَتْبَائِهِ الثُّخَاةِ ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ومعجم الأدباء ج ١٤ ص ٥٨ - ٦١ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٢ ، وَدَرَةُ الثَّوَالِصِ لِلْحَرِيرِيِّ ص ١١٢ ، ١١٣] .
(٥) المأمون : مَرَّ الصَّرِيفُ بِهِ .

وَسُخَارِقٌ هُوَ : أَبُو الْمُهَنْتِ بِنِ يَحْيَى الْجَزَارِ ، إِمَامُ عَصَرِهِ فِي فَنِّ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ صَوْتًا ، كَانَ عَمَلُكَ لِعَاتِكَةِ بِنْتِ شَهْدَةَ بِالْكُوفَةِ ، وَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْهُ الْغَنَاءَ وَالضَّرْبَ عَلَى الْعُودِ وَبَاعَتْهُ ، فَصَارَ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَعْجَبُ بِهِ حَتَّى أَقْنَعَهُ مَرَّةً عَلَى السَّرِيرِ مَعَهُ وَأَعْطَاهُ ٣٠ ألفَ دِرْهَمٍ . وَاتَّصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَأْمُونِ ، وَزَارَ مَعَهُ دِمَشْقَ . وَتَوَلَّى بِسَبُورَ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٣١ هـ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٩١ ، والأغانى ج ٢٠ ص ٧١٧٤ - ٧٢٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨٠]

وَأَتَى لَمُشْتَقًا إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنَّ كِدْرَتْ عَلَيْهِ ^(١)
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنَّ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي ، وَلَا إِنَّ صِرْتُ طَوَّعَ يَدِيهِ ^(٢)
فَطَرَبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : وَتَحَكَ ^(٣) يَا مُحَارِقُ ، خُذْ مِنِّي نِصْفَ الْخِلَافَةِ وَأَعْطِنِي هَذَا
الْإِنْسَانَ .

وَقَالَتْ ^(٤) الْحُكَمَاءُ : النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ تُلْقِيحُ الْعُقُولِ . وَقَالُوا : الْمَاعِزُ
لَا تَنْقَطِعُ صِدَاقَتُهُ ، وَالْأَحْمَقُ لَا تَذُومُ مَوَدَّتُهُ ، فَاتَّخَذَ مِنْ نَصَحَائِهِ أَصْحَابَكَ مِرَاةً
لِطَّبَائِعِكَ وَفَعَالِيكَ ، كَمَا تَتَّخِذُ لَوَجْهِكَ الْمِرَاةَ الْمَجْلُوءَةَ ^(٥) ، فَإِنَّكَ إِلَى صَلَاحِ طَبَائِعِكَ
أَخْوَجُ مِنْكَ إِلَى تَحْسِينِ صُورَتِكَ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ^(٦) نَظَرْتُ فِي اللَّذَاتِ ^(٧) فَوَجَدْتُهَا كُلُّهَا مَمْلُوءَةً ^(٨)
خَلَا سَبْعَةً . قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ^(٩) قَالَ : خُبْرُ الْحِنْطَةِ ،

(١) البيان لأبي العتاهية ، وقد وردنا في ديوانه تحت عنوان « الصديق الصادق » . وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي :
« وإلى لاحتاج ، بدل « وإلى لمشتاق » .

[انظر ديوان أبي العتاهية ص ٤٦٤ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٨٠] .

(٢) عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ : أَي تَمَّ يَعْذِرُنِي فِي أَمْرِهِ إِذَا جَازَيْتُهُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَلَا يَلُومُنِي عَلَى مَا أَفْعَلُهُ .. وفي « م » :
« مِنَ الْإِخْوَانِ » . وفي الديوان : « كُنْتُ » بدل « صِرْتُ » .

(٣) فِي « م » : « وَتَلَّكَ » .. وَوُجَّعَ : كَلِمَةُ تَرْجُمُ وَتَوَجَّعَ . وَقِيلَ : هِيَ بِمَعْنَى « وَيل » ، وَتَسْتَعْمَلُ أَصْلًا فِي
الدُّعَاءِ عَلَى الشَّخْصِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ عَذَابٍ ، وَاسْتَعْمِلْتُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ .

(٤) فِي « م » : « وَقَالَ » . وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٥) فِي « م » : « الْمَجْلُوءَةُ » وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٦) هُوَ : الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّرْحَسِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ، تَوَلَّى وَزَارَةَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ
أَخِيهِ « الْفَضْلِ » ذِي الرِّبَاسِيِّ . وَهُوَ أَحَدُ كِبَرَاءِ الْقَادَةِ وَالْوَلَاءِ فِي عَصْرِهِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٦٦ هـ وَاشْتَهَرَ بِالنِّصَاحَةِ
وَالْأَدَبِ وَالذِّكَاةِ الْمَفْرُطِ ، وَحُسْنِ التَّوْقِيعَاتِ وَالْكَرَمِ ، وَهُوَ وَالِدُ « بُورَانَ » زَوْجَةِ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يُحِبُّهُ وَيُبَالِغُ
فِي إِكْرَامِهِ ، وَلِلشُّعْرَاءِ فِيهِ أَمَادِيحٌ . تَوَفَّى فِي « سَرَخْسَ » مِنْ بِلَادِ خِرَاسَانَ سَنَةَ ٢٣٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣١٩ - ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٠ -
١٢٣ ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ ، وله أخبار وأقوال منثورة في كتب الأدب العربي ، كعميون الأخبار ،
والكامل ، وغيرها] .

(٧) فِي « م » : « وَفِي اللَّذَاتِ كُلِّهَا » .

(٨) فِي « م » : « فَوَجَدْتُهَا مَمْلُوكَةً » بِالْكَافِ . وَمَا وَرَدَ فِي « ط » ، أَصَحُّ مَعْنَى .

(٩) جَمَلَةٌ : قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ « عَنْ « ط » ، وَمُسَاطَعَةٌ مِنْ « م » .

وَلَحْمُ الْفَتَمِ ، وَالْمَاءُ الْبَارِدُ ، وَالتُّوبُ النَّاعِمُ ، وَالرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْفِرَاشُ الْوَطِئُ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُحَادَثَةِ
الرِّجَالِ ؟ قَالَ : صَدَقْتُ ، وَهِيَ أَوْلَاهُنَّ .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَكَلْتُ الْحُلُوَّ
وَالْحَامِضَ حَتَّى لَا أُجِدَ [لِوَاحِدٍ] ^(١) مِنْهُمَا طَعْمًا ، وَشَمَنْتُ الطَّيِّبَ حَتَّى لَا أُجِدَ
لَهُ رَائِحَةً ^(٢) ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ حَتَّى مَا أَبَالِي امْرَأَةً أَتَيْتُ أَمْ حَائِطًا ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَلَذَّ
مِنْ جَلِيسٍ يُسْقِطُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُوْتَةَ التَّحْفِظِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ مُحَادَثَةِ
الْإِخْوَانِ فِي اللَّيَالِي الزُّهْرِ عَلَى اللَّيَالِي الْغُمَرِ ^(٣) . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ قَرَّبَ السُّقْلَةَ ^(٤)
وَأَذَانَهُمْ ، وَبَاعَدَ ذَوِي الْعَقْلِ ^(٥) وَأَقْصَاهُمْ ، اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ ^(٦) ، وَمَنْ مَنَعَ الْمَالَ مِنْ
الْحَمْدِ ^(٧) وَرَبَّةً مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

وَمِنْ الْكَلَامِ الشَّرِيفِ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَخْوَجَ ذَا الْقُلْدَرَةِ إِلَى دِينٍ يَخْرِجُهُ ^(٨) ،
وَحَيَاءُ بَكْفُهُ ، وَعَقْلٌ يَعْدِلُهُ ^(٩) وَإِلَى تَجَرِبَةٍ طَوِيلَةٍ وَعِيبٍ ^(١٠) مَحْفُوظَةٍ ، وَإِلَى أَغْرَاقِ

(١) ما بين المقوفين عن « م » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَشَمَنْتُ الرَّائِحَةَ حَتَّى لَا أُجِدَ لَهَا رَائِحَةً » .

(٣) الليالي الزُّهْر : الصَّافِيَّة .. وَاللَّيَالِي الْغُمَرُ : الْأَمَاكِنُ الصَّلْبَةُ الْبَعِيدَةُ . وَيُقَالُ : هَجَرْتُ أَخِي عَلَى غُمَرٍ ، أَيْ :
عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالْقَرَابَاتِ .. وفي « م » : « فِي التَّلَالِ الزُّهْرِ عَلَى اللَّيَالِي الْغُمَرِ » .

(٤) السُّقْلَةُ : السُّقْلَةُ مِنَ النَّاسِ : هَوَاهُؤُهُمْ وَأَسَاطِلُهُمْ .

(٥) في « م » : « ذَوِي الْفَضْلِ » .

(٦) الْخِذْلَانُ : عَدَمُ الثَّمَرَةِ .

(٧) الْحَمْدُ : الثَّناء الْجَمِيلُ ، يَرِيدُ : مَنْ أَمْسَكَ مَالَهُ بِخُلَا وَلَا يَقْبَلُ بِهِ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ .

(٨) يَخْرِجُهُ : يَمْنَعُهُ وَيَكْفُهُ عَنِ الْمَأْتِمِ .

(٩) في « م » : « وَعَدْلٌ يَعْدِلُهُ » . وَالْعَدْلُ : الْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ ، وَهُوَ عِلَافُ الْجَوْرِ .

(١٠) الْبُيْرُ : الْإِتْمَانُ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَا مَضَى ، مُفْرَدَةً : عَيْبَةٌ . وفي « م » : « يُغَيِّرُ مَحْفُوظَةً » . وَالْبُيْرُ : أَخْوَالُ الدُّهْرِ
وَأَحْدَاثُهُ الْمُتَغَيِّرَةُ ، وَمَتَأَنَّى بَعْدَ قَلِيلٍ .

تَسْرِي إِلَيْهِ ، وَأَخْلَاقٍ ^(١) تُسَهِّلُ الْأُمُورَ عَلَيْهِ ، وَإِلَى جَلِيسِ رَقِيقٍ ، وَرَأَيْدِ شَفِيقٍ ، وَإِلَى
عَيْنٍ تَنْظُرُ الْعَوَاقِبَ ، وَعَقْلٍ يَخَافُ الْغَيَّرَ ^(٢) وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ يَوْمَ ظَفَرِ الْأَيَّامِ لَمْ يَخْتَرَسْ مِنْ
سَطَوَاتِ الدَّهْرِ ، وَلَمْ يَتَحَفَظْ مِنْ فَلَاتَاتِ الزَّلِيلِ ، وَلَمْ يَتَعَاطَمَهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا تَنَاءٍ
وَإِنْ سَمُحٌ ^(٣) ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ جَلِيسِكَ أَمْرًا تُكْرَهُهُ ، أَوْ خَلَّةً ^(٤) لَا تُحِبُّهَا ، أَوْ صَدْرَتْ
مِنْهُ كَلِمَةٌ غَوْرَاءُ ، أَوْ هَفْوَةٌ غَبْرَاءُ ، فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ ، وَلَا تُصْنِمِ وُدَّهُ ، وَلَكِنْ دَاوِ كَلِمَتَهُ ،
وَاسْتَرْ عَوْرَتَهُ ، فَأَتْبِقِهِ ، وَابْتَرَأْ مِنْ عَمَلِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِلَىٰ بَرِيءٍ
مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) . فَلَمْ يَأْمُرْ بِقَطْعِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عَمَلِهِمْ [السُّوء] . قَالَ
الشَّاعِرُ ^(٦) :

إِذْ رَأَىٰ مِنْهُ مَفْصِلٌ فَقَطَعَتْهُ يَبْقِيَتْ وَمَا بِي لِلنُّهُوضِ مَفَاصِلُ ^(٧)
وَلَكِنْ أَذَاهُ فَإِنْ صَحَّ سَرْنَى وَإِنْ هُوَ أَغْنَىٰ كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ ^(٨)

وَأَمَّا رَجُلٌ إِلَىٰ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَشَكَا إِلَيْهِ صَدِيقَهُ ، وَعَزَمَ عَلَىٰ قَطْعِيَّتِهِ ^(٩) وَالْإِتْقَامِ
مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : أَتَفْهَمُ مَا أَقُولُ لَكَ [فَأَكْلُمُكَ] ^(١٠) أَمْ بِكَ مِنْ فَوْرَةِ الْغَضَبِ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أخلاق » وهي بمعنى نفائس أو صداقات . أمّا الأعراف ، فهي جمع عرق ، وهو مجرى الدم في الجسد ، والمراد بها : الأصول .

(٢) في « م » : « العير » . تحريف .

(٣) هكذا في « ط » .. والظاهر : التُّبَدُّ . وسَمُحٌ : قَبِيحٌ .. وفي « م » : « ولا تناء وإن سَمُح » أي : ولا مدح وإن لأن وسهل . وما ورد في « ط » هو الأنسب للسياق .

(٤) الْخَلَّةُ ، بفتح الحاء المعجمة : الخصلة .

(٥) الآية ٢١٦ من سورة الشعراء .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » . وفي « م » : « وقال » .

(٧) الْمَفْصِلُ : مُلتقى كل عَظْمَيْنِ في الجسد . وراب : فسد . وفي « م » : « ومالي بالنهوض » .

(٨) أَغْنَىٰ : أعجز ، أي : أعجزني فلم أستطع مداواته . والتَّحَامُلُ : تحمُّلُ الشَّيْءِ عَلَىٰ مَشَقَّةٍ وَإِعْيَاءٍ .

(٩) القطيعة : المجران والصدُّ . وفي « ط » : « قَطْعِهِ » وهي بمعناها .

(١٠) ما بين المعقوفين عن « ط » .

مَا يَشْغَلُكَ ^(١) عَنْهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لِمَا تَقُولُ وَاعٍ . فَقَالَ ^(٢) : أَسْرُورُكَ بِمَوَدِّتِهِ كَانَ أَطْوَلَ
 أَمْ غَمُّكَ بِذَنبِهِ ؟ قَالَ : بَلَى سُرُورِي . قَالَ : أَفَحَسَنَاتُهُ عِنْدَكَ أَكْثَرُ أَمْ سَيِّئَاتُهُ ؟ قَالَ : بَلَى
 حَسَنَاتُهُ . قَالَ : فَاصْفَعْ بِصَالِحِ أَيَّامِكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَهَبْ لِسُرُورِكَ جَزْمَهُ ، وَاطْرَحْ مُوَدَّةَ
 الْعُصْبِ وَالْإِتْقَامِ مِنْهُ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَقَالَ مَا أَهْمَلْتَ فَتَطُولُ مُصَاحَبَةُ الْعُصْبِ ، وَأَنْتَ صَائِرٌ
 إِلَيَّ مَا تُحِبُّ .

• • •

(١) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مَا شَغَلَكَ » .

(٢) فِي « م » : « قَالَ » .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ

جَمَالُ السُّلْطَانِ

قَدْ ذَكَّرْنَا الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنْ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الْأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ ، وَذَكَّرْنَا الْآنَ الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنْ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الثَّاجِ وَالطُّيْلَسَانِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْكَمَالِ ، فَأَصْنُهَا ^(١) وَقَاعِدَتُهَا الْعَفْوُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِحُدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضٌ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . ^(٢) فَلَمَّا تَرَكْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ، فَذَهَبَ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ ^(٣) أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَاعْلَمُوا ، أَرَسَدْتُكُمْ اللَّهُ ، أَنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَفْوِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ ^(٤) وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ

(١) فِي « ط » ، « فَأَكْمَلَهَا » .

(٢) الْآيَةُ ١٩٩ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .. لِحُدِّ الْعَفْوِ : مَاعِظًا وَتَوْسِيرًا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَهِيَ مَا لَا يَجْهَدُهُمْ . وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ : بِالْمَعْرُوفِ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ . وَأَعْرِضٌ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « رَبُّكَ يَأْمُرُكَ » .

(٤) نَدَبَ إِلَيْهِ : دَعَا إِلَيْهِ .

عن الناس ، والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ . فَأَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى مَحَبَّةً لِلْعَافِينَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢) . وَعَزَّائِمُ الْأُمُورِ مِنْ صِفَاتِ الْمُصْطَفَيْنِ مِنَ الرُّسُلِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٣) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٤) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ (٥) . فَاسْتَعْلَفَ الْخَلْقَ ، وَلَذَنَّهُمْ إِلَى أَنْ يَغْفُوا (٦) عَنِ الْجُنَاةِ وَالظَّالِمِينَ وَالخَاطِئِينَ ، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ اللهُ بِهِمْ ، وَقَالَ فِيهِمْ اتَّصَرَ وَلَمْ يَغْفُ : ﴿ وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِغَدِّ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٧) . فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُتَّصِرِ وَالْمُتَّقِمِ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ فَضِيلَةً .

ثُمَّ كَشَفَ الْغِطَاءَ وَأَزَالَ (٨) الْعُذْرَ ، وَصَرَّحَ بِتَفْضِيلِ الْعَافِينَ عَلَى الْمُتَّصِرِينَ ، وَالْوَاهِبِينَ خُفُوفَهُمْ عَلَى الْمُتَّقِمِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (٩) . وَهَذَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِتِّصَارَ عَدْلٌ ، وَالْعَفْوُ فَضْلٌ ، وَفَضَّلَ اللهُ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ عَدْلِهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَدَلَ عَلَيْنَا فَأَخَذْنَا بِحَقِّهِ هَلَكْنَا ، وَإِنْ عَفَا عَنَّا بِرَحْمَتِهِ نَخْلُصْنَا ، وَلَوْ كَانَ الْعَدْلُ يَسْغُ الْخَلَاقَ لَمَا قَرَنَهُ اللهُ [تَعَالَى] (١٠) بِالْإِحْسَانِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعَدْلَ (١١) امْتِصْفَاءٌ وَمُنَاقَشَةٌ - وَذَلِكَ بِمَا تُضَيِّقُ عِنْدَهُ النَّفُوسُ ، وَتُخْرِجُ لَهُ الْعُدُورُ - نَاطِقٌ

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٤٣ من سورة الشورى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف .

(٤) من الآية ٣٧ من سورة الشورى .

(٥) من الآية ٢٢ من سورة النور .

(٦) في م : : : وَلَذَنَّهُمْ إِلَى الْعَفْوِ .

(٧) الآية ٤١ من سورة الشورى .

(٨) في م : : : وَلَوَاحٍ .

(٩) الآية ١٢٦ من سورة النحل .

(١٠) ما بين المعفوتين عن م : .

(١١) في م : : : وَأَنَّ فِي الْقَتْلِ .

الإِحْسَانَ بِالْعَدْلِ ^(١) فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٢) .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِتِّصَارَ الْإِقَامَ وَعَذَابَ يَلَا اِمْتِنَانٍ ، وَالْعَفْوُ مَحَبَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَالْإِحْسَانُ ^(٣) ،
وَأَيْضًا فَلَا اِتِّصَارَ سَيِّئَةٍ وَالْعَفْوُ حَسَنَةٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ﴾ ^(٤) . وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِتِّصَارَ سَيِّئَةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِثْلُهَا ﴾ ^(٥) ، غَيْرَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ ^(٦) سَيِّئَةً لَمَّا كَانَتْ تَبِيجَةً سَيِّئَةٍ ، لَا أَنَّهُ ^(٧) لَا يَجُوزُ
الْإِتِّصَارُ ، وَهُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُثَيْلٍ التَّغْلِييُّ ^(٨) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ ^(٩)

فَسُمِّيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْجَهْلِ جَهْلًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ جَهْلًا .. وَعَنْ هَذَا رَوَتْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : ... وبحرج له الصدر نيط فقال ، وسقط « بالعدل » منها .. وناط : علق .

(٢) من الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) من أول قوله : وأيضًا .. إلى هنا . عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) من الآية ٣٤ من سورة فصلت .

(٥) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٦) في « ط » : « إنما سُمِّيَتْ » ..

(٧) في « م » : « لأنه » .. لا يصح .

(٨) في « م » : « التعلبي » . تحريف من الناسخ .

وهو : كُثَيْلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ تَغْلِبَ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ الْمُهَلَّبِ ، أَخِي كُثَيْبَ . شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى ، وُلِدَ فِي هِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي بِلَادِ رَيْحَةَ ، وَتَجَوَّلَ فِيهَا فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَدَا ، وَكَانَ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ نَفْسًا ، وَهُوَ مِنَ الْفُتَاكَ الشُّجْعَانِ . سَادَ قَوْمَهُ « تَغْلِبَ » وَهُوَ قَتَّى ، وَهَمَّرَ طَوِيلًا ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْمَلِكَ عَمْرُو بْنَ هِنْدَ . وَتَوَلَّى سَنَةَ ٤٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيًا .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، وانظر معلقته في شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأثيري ص ٣٦٩ - ٤٢٨ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٨٣٨ - ٣٨٤٦ ، والخبر ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ونثر القلوب ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، والمعارف ص ٩٦ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٥] .

(٩) هذا البيت من مُتَعَلِّقَتِهِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا : « أَلَا هُمِّي بِصَحْتِكَ فَاصْبِحْنَا » . وَمَعْنَى « فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ » أَيْ : فَتَهْلِكُ أَوْ تَجْزَاهُ وَتَعْلِقُهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جَهْلِهِ ، فَتَسْبِ الْجَهْلُ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْإِهْلَاكَ وَالْمُعَابَةَ ، لِيُزَوِّجَ اللَّفْظَانِ ، فَتَكُونُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ لَفْظِ الْأُولَى ، وَهِيَ تَخَالِفُهَا فِي الْمَعْنَى ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . أَيْ : فَتَعَابِقُوهُ عَلَى اعْتِدَائِهِ . وَالثَّانِي لَيْسَ اعْتِدَاءً فِي الْحَقِيقَةِ ، بَلْ هُوَ « عَذْلٌ » وَسُمِّيَ اعْتِدَاءً لِلشَّكَاكَةِ وَالتَّوَلُّفِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ .

[انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٦ ط دار المعارف] .

عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ، ﷺ ، مُتَّصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ^(١) ظَلَمَهَا قَطُّ ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا اتَّهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَلَا يَقُومُ لِمَعْصِيَةِ شَيْءٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : « يُتَادَى مُتَادِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ ^(٢) فَلْيَقُمْ . فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا » . فَإِنْ عَفَوْتَ أَبْهَا الْعَطَالِبِ كَانَ أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ تَعْفَ كَانَ حَقُّكَ قَبْلَ مَنْ ظَلَمَكَ ^(٣) ، وَلَئِنْ يَكُونُ أَجْرُكَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْثَقُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ مَخْلُوقٍ . وَأَبْضًا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَعْفَ ^(٤) نِلْتَ حَقَّكَ بِلَا زِيَادَةٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ [لَكَ] ^(٥) حَسَنَةٌ أَسَدَّتْهَا ^(٦) لِأُخِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَفْعَالٍهَا » ^(٧) .

وَضَمَعَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي مَخْبُوسٍ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ مُجْرِمًا فَالْعَفْوُ يَسْمَعُهُ ، وَإِنْ كَانَ بَرِيًّا ^(٨) فَالْعَدْلُ يَسْمَعُهُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْكُتَّابِ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ ، فَقَالَ : لَا أَبَالِي . [قِيلَ لَهُ : وَلِمَ لَا تَبَالِي ؟] ^(٩) . قَالَ : إِنْ صَدَّقَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَفْوُهُ ^(١٠) ، وَإِنْ كَذَبَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَذْلُهُ . وَلَمَّا دَخَلَ عَيْنَتُهُ ابْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : يَا بَنِي الْخَطَّابِ ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ ^(١١) وَمَا تُحْكِمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهُمْ بِأَنْ يُوقَعَ بِهِ ، فَقَالَ ابْنُ أُخِيحٍ : يَا أَمِيرَ

(١) الْمَظْلَمَةُ : مَا تَطْلِبُهُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَهُوَ اسْمٌ مَا أُعْذَتْ مِنْكَ .

(٢) فِي « م » : « لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ » .

(٣) أَيْ : عَهْدٌ مِنْ ظَلَمِكَ .

(٤) فِي « ط » : « فَإِنْ لَمْ تَعْفَ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْذَرَيْنِ عَنْ « م » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٦) أَسَدَّتْهَا : أَطْعَمَتْهَا .

(٧) مِنَ الْآيَةِ ١٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٨) مَكْنًى فِي « م » وَ« ط » بِدُونِ هَمْزٍ . أَيْ : بَرِيًّا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْذَرَيْنِ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .

(١٠) فِي « م » : « فَضَلَّتْ » .

(١١) الْجَزَلَ : الْكَثِيرَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١) يَقُولُ : ﴿ لِحِدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعَزْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عَمْرٌ حِينَ ثَلَاثًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَمْرٌ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اِرْحَمْ تَرْحَمْ ﴾ وَكَانَ يُقَالُ : أَوْلَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَحَقُّهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ .. وَفِي الْإِنْجِيلِ : أَفْلَحَ أَهْلُ الرَّحْمَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَيَرْحَمُونَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَقَدْ أَبْقَضَ اللَّهُ الْمُتَسَرِّعِينَ إِلَى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ [فَبَالِيَهُمْ] ^(٣) انْتَهَبَ الْقَسْوَةَ وَالْغِلَظَةَ وَالتَّبَاعُدَ مِنَ الرَّحْمَةِ .. وَلَمَّا تَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ جَالُوْتَ أَبْقَى عَلَيْهِ ، يُؤَمِّدُ عُدُوَّهُ وَطَالِبِيهِ ^(٤) وَقَالَ : يَا رَبِّ ^(٥) أَعْظِمْ دَبِي فِي عِيُونِ ^(٦) أَغْدَائِي كَمَا عَظُمْتَ فِي عَيْنِي دَمَ عَدُوِّي ، وَكَذَلِكَ خَلَّصْنِي مِنْ جَمِيعِ الْهُمُومِ .

وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : لَا سُودَدَ مَعَ الْبِقَاعِ ، وَلَا سِيَّاسَةَ مَعَ عَزَازَةِ نَفْسٍ وَغَضَبٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَيْسَ الْإِفْرَاطُ فِي شَيْءٍ أَجْوَدَ مِنْهُ فِي الْعَفْوِ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ أَفْبَحَ مِنْهُ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف . وقد مرّت .

(٣) في « م » : « هَرَقَ الدِّمَاءَ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .. وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٤) هكذا في « م » .. وَفِي « ط » : « أَبْقَى عَلَيْهِ وَهُوَ يُؤَمِّدُ عَدُوَّهُ وَطَالِبِيهِ .. وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ

- الْجُزْءِ السَّادِسِ ، ص ٢٠٣ - « أَنْ « طَالُوتَ » - وَكَانَ مَلِكًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَعَدَّ دَاوُدَ أَنْ قَتَلَ « جَالُوتَ » ، أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَيُعْطِيهِ نِصْفَ مُلْكِهِ ، فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ جُنُودَ « جَالُوتَ » وَقَتَلَ دَاوُدَ « جَالُوتَ » ، حَسَدَ « طَالُوتَ » وَلَمْ يَفِ لَهُ بِوَعْدِهِ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَمْلَكَتِهِ .. ثُمَّ نَدِمَ « طَالُوتَ » ، فَذَهَبَ يَطْلُبُهُ إِلَى أَنْ قُوِّلَ ، وَمَلِكًا دَاوُدَ ، وَحَصَلَتْ لَهُ النَّبُوءَةُ ... وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .

[انظر قصة طالوت وجالوت وكيف قتل داود جالوت في القرآن الكريم ، سورة البقرة : الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١ ، وانظر تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ١٨٢ وما بعدها ، والكشاف للزعرشري المجلد الأول ص ٣٧٨ - ٣٨٢ ، والقرطبي المجلد الثاني ص ١٠٥١ - ١٠٦٦ وتفسير حمزة وآخرين ج ٢ ص ١٤٤ - ١٥٣ وغيرها من المصادر] .

(٥) في « م » : « رَبِّ » .

(٦) في « ط » : « عَيْنِ » .

فِي الْعُقُوبَةِ . وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ ، مَذْمُومٌ فِي الْعَفْوِ ^(١) ، مَحْمُودٌ فِي الْعُقُوبَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تُحْطِئَ فِي الْعَفْوِ فِي آيَةِ قَضِيَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُحْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ ^(٢) فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي ، وَجَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي ، وَغَوْرَةٌ لَا يُوَارِيهَا سِتْرِي .. وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَيْسَ عَلَيَّ فِي الْحِلْمِ مُؤَنَّةٌ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ أَهْلَ الْجَرَائِمِ عَلِمُوا رَأْيِي فِي الْعَفْوِ فَيَذْهَبَ الْخَوْفُ عَنْهُمْ ^(٣) فَتَخْلُسَ لِي قُلُوبُهُمْ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَنْصُورِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْإِتْقَامَ الْإِيصَافُ ، وَالْتَجَاوُزُ فَضْلٌ ، وَالْمُتَجَاوِزُ ^(٤) قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُنْصِفِ ، وَنَحْنُ نُعِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكَسِ النَّصِيصِينَ ، وَأَنْ لَا يَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَتَيْنِ ، فَأَعْفُ عَنَّا يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ . فَعَفَا عَنْهُمْ .

وَأَتَشَدُّوا :

وَإِذَا بَعَى بَاغٌ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَاقْتُلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ^(٥) لَمَّا عَفَا عَنْهُ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَيَّ يَوْمِيكَ أَشْرَفُ ، أَيُّوْمَ ظَفِرْتُ ^(٦) أَمْ يَوْمَ عَفَوْتُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْ لَلْأَعْيُنِ جَانِ بِجُزْمِهِ عَلَيَّ ^(٧)

(١) في م : « وكذلك التقصير في مذموم العفو » .

(٢) في م : « في الفعل » .

(٣) عنهم « عن ط » . وبهذا في م : « فيخلص » .

(٤) في م : « والتجاوز » .

(٥) هو : مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، من الأمراء ، وكذلك كان أبوه من الأمراء الفاتحين ، وكان جده كبير القدر عند يزيد بن معاوية .

[انظر المعارف ص ٤٠٧ ، والأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، ١٩٠] .

(٦) ظفر يمشوه : غلب عليه وقهره .

(٧) هكذا البيت في م و ط .. والبيتان من المنسرح ، وقد وردا في العقد الفرید ، وتمثل بهما رجل من أهل بغداد يمدح بهما المأمون عندما دخل بغداد وتلقاه وجوه أهلها مهتئين مادحين . والبيت في العقد الفرید :

حَتَّى تَمْنَى الْعَفَاةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ ^(١)

وَرَفَعَ إِلَى أُوْشَيْرِزَانَ أَنَّ الْعَامَّةَ تُؤْتَبُ الْمَلِكُ فِي مُعَاوَدَةِ الصَّفْحِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ مَعَ تَتَابُعِهِمْ فِي الذُّنُوبِ ، فَوَقَعَ ^(٢) : الْمُذْنِبُونَ مُرَضًى ، وَتَحَنُّنٌ أَطِيَاءٌ ، وَلَيْسَ مُعَاوَدَةُ الدَّاءِ بِإِهْلَامِهِمْ بِمَانِعِنَا مِنْ مُعَاوَدَةِ الْعِلَاجِ لَهُمْ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣) : مَا قُرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ جَلَمٍ إِلَى عِلْمٍ ، وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ ... وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٤) لَمَّا ظَفَرَ بِالْمَهْلَبِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلِمَ ظُلْمَكَ [وَلَا نُصِرَ نَصْرَكَ] ^(٥) وَلَا عَفَا عَفْوَكَ . وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ : الْمُعَاقِبُ مُسْتَدْعٍ لِعِدَاوَةِ ^(٦) أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، وَالْعَافِي مُسْتَدْعٍ لِشُكْرِهِمْ ، أَوْ مُكَافَأَتِهِمْ أَيَّامَ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأنَّ يَتَنَى عَلَيْكَ بِالنَّاسِ الصُّلْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُتَسَبَّ إِلَى ضَيْقِهِ .. وَقَالَتِ الْعَتْرَةُ مُوجِبَةً إِقَالَةَ عَتْرَتِكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَعَفْوُكَ عَنِ النَّاسِ مُوصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ^(٧) ، وَعِقَابُكَ مُوصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْعَافِينَ .

وَقَالَ الْمَنْصُورُ : عَفْوَةُ الْأَحْرَارِ التَّعْرِيفُ ، وَعَفْوَةُ الْأَشْرَارِ التَّصْرِيحُ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ :

مَا زِلْتُ فِي الْبَلَدِ لِلْقَوَالِ وَأَطُ مَلَايَ لِقَائِهِ بِجُزْمِهِ غُلِقَ

وَالْعَالِي : الْأَسِيرُ . وَالْمُجْرِمُ : الذَّنْبُ . وَغُلِقَ : مَأْخُودٌ وَحَاسَبٌ . وَجَانٌ : الْجَانِ الَّذِي يَرْتَكِبُ جُنَايَةً أَوْ جَرِمَةً تَسْمَعُ الْمُعَاقِبَ .

(١) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ :

حَتَّى تَمْنَى الْبِرَاءَةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ

وَالْعَفَاةُ الْبِرَاءَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهِيَ الدِّينُ لَمْ يَرْتَكِبُوا مَا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْعِقَابَ .

[انظر المقدِّم الفريد ج ٢ ص ١٢ ، ١٣] .

(٢) فَوَقَعَ : أَيْ كَسَبَ رَأْيَهُ بِإِجْازٍ عَلَى مَا رَفَعَ إِلَيْهِ .

(٣) فِي (م) : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

(٤) سَقَطَتْ : ابْنُ مَرْوَانَ : (م) .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ (ط) .

(٦) فِي (م) : مُبْتَدِعٌ لِلْعِلَاوَةِ . تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) فِي (م) : لَكَ . وَسَقَطَ مَا بَيْنَ « عَنْكَ » وَ « لَكَ » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

لَمَّا رَأَيْتُ الذُّنُوبَ جَلَّتْ عَنِ الْمُجَازَاةِ بِالْعِقَابِ
جَعَلْتُ فِيهَا الْعِقَابَ عَفْوًا أَمْضَى مِنَ الضَّرْبِ لِلرَّقَابِ ^(١)

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : لَا تَزَالُ الْعَرَبُ بَيِّنَةُ الْفَضْلِ مَالِمُ تُعَدُّ الْعَفْوُ ضَمِيمًا ، وَابْتَدَلُ
سَرَفًا ^(٢) .. وَفِي الْحِكْمَةِ : إِذَا اتَّقَمْتَ فَقَدْ اتَّصَفْتَ ، وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَدْ تَفَضَّلْتَ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اقْبَلِ الْعُذْرَ وَإِنْ كَانَ مَصْنُوعًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْجَبِ الْمُرُوءَةِ
قَطِيعَتَهُ أَوْ يَكُونَ ^(٣) فِي قَبُولِكَ عُذْرُهُ تَشْجِيعُهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، أَوْ عَوْنُهُ عَلَى الشَّرِّ ، فَإِنَّ
قَبُولَكَ الْعُذْرَ ^(٤) فِيهِ اشْتِرَاكَ فِي الْمُنْكَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْفِيلُ دِمَشْقَ حُشِيرِ النَّاسِ لِرُؤْيِيهِ ، وَصَعِدَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عِلِّيَّةٍ ^(٥) لَهُ مُتَطَلِّعًا ،
فَبَيَّنَا ^(٦) هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ فِي بَعْضِ الْحُجَرِ فِي قَصْرِهِ رَجُلًا مَعَ بَعْضِ حُرَمِهِ ^(٧) ، فَأَتَى
الْحُجْرَةَ وَذُقِيَ الْبَابَ ^(٨) ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَتْحِهِ بُدً ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا هَذَا ^(٩) أَفَى قَصْرِي وَتَحْتَ جَنَاحِي تُهَنِّئُكَ حُرْمِي [وَأَنْتَ فِي قَبْضَتِي] ^(١٠) ؟ مَا حَمَلَكَ
عَلَى ذَلِكَ ؟ فَجَبَّتْ ^(١١) الرَّجُلُ وَقَالَ : حِلْمُكَ أَوْفَعَنِي . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : فَإِنْ عَفَوْتُ

(١) هكذا في م .. وقد ورد البيان في ط « كثر فيه تقديم وتأخير في بعض الألفاظ مما أفقد الكلام الوزن
مثل : جعلت العقاب فيها عفوا .. والبيان من مخرج البسيط .

(٢) العقيم : الطلم أو الإذلال ، ونحوهما . والبذل : العطاء والجود . والسرف : الإسراف .

(٣) في م : « تكون » .

(٤) في ط : « للعدو » .

(٥) في م : « في علية » . وقد سبق شرحها .

(٦) في ط : « فبيننا » وكلاهما صحيح .

(٧) الحرم : جمع حُرْمَةٍ ، وتطلق على المرأة ، وعلى أهل الرجل ، وما لا يحل انتهاكه .

(٨) هكذا في ط .. وفي م : « فأتى الباب » .

(٩) في ط : « فقال : يا هذا » . وفي م : « في » بدون همزة الاستفهام ، وهذا جائز في اللغة - على

التقدير .

(١٠) ما بين المعقوفين عن ط « وهو وارد في « المستطرف للأبشي » وساقط من م » .

[انظر للمستطرف ج ١ ص ٤١١ ، ٤١٢] .

(١١) في م : « قال : فجهت » أي : شخب لونه من الحيرة والدهشة مأخوذاً بالحجة .

عَنْكَ تَسْتَرُّهَا عَلَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَحَلَّى سَبِيلَهُ . وَهَذَا مِنَ الدَّهَاءِ الْعَظِيمِ ، وَالْحِلْمِ
الْوَاسِعِ أَنْ يُطْلَبَ السِّرُّ مِنَ الْجَانِي ، وَهُوَ غَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(١) :

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذُنُونَ قَنَاتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ ^(٢)

وَأَتَى مُوسَى الْهَادِيَ ^(٣) بِرَجُلٍ قَدْ جَنَى ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَتَهَدَّدُهُ ، فَقَالَ
الرَّجُلُ : إِنْ اعْتَذَرِي ^(٤) مِمَّا تُقَرِّعُنِي [به] ^(٥) رَدُّ عَلَيْكَ ، وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتَهُ ذَنْبٌ ^(٦)
وَلَكِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ تُرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَرْهَدَنْ عِنْدَ الْمُعَافَاةِ فِي الْأَجْرِ

فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ . وَقَالَ الْمُتَهَلِّبُ ^(٧) : لَا شَيْءَ أَبْقَى لِلْمَلِكِ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا
وَقَفَتْ رَعِيَّتُهُ مِنْهُ بِحَسَنِ الْعَفْوِ لَمْ يُوجِشْهَا الذَّنْبُ وَإِنْ عَظُمَ ^(٨) ، وَإِنْ نَحِشَتْ مِنْهُ

(١) غَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، أَيْ : فَخْوَاهُ وَمَعْنَاهُ .

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي (م) و (ط) . وَهُوَ مِنَ الْبَسِيطِ . وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ : « إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ » وَهَذَا خِلَافُ
الْمُرَادِ .

(٣) هُوَ : أَبُو مُحَمَّدٍ ، مُوسَى الْهَادِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ ،
وُلِدَ بِالرَّيِّ سَنَةَ ١٤٤ هـ - وَقِيلَ : سَنَةَ ١٤٧ هـ - وَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ١٦٩ هـ . وَكَانَ غَالِيًا بِجُرْجَانَ ،
فَأَقَامَ أَخُوهُ «الرَّشِيدَ» بِيَعْتَهُ ، وَاسْتَبَدَّتْ أُمُّهُ «الْحُزْرَانُ» بِالْأَمْرِ ، وَأَرَادَ خَلْعَ أَخِيهِ «هَارُونَ الرَّشِيدَ» مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ
وَجَعَلَهَا لِابْنِهِ جَعْفَرٍ ، فَلَمْ تَرَأْهُ ذَلِكَ ، فَزَجَرَهَا ، فَاحْتَالَتَ عَلَيْهِ حَتَّى سَخَّه . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَذُفِّنَ بِعَيْسَى آهَادَ ،
وَمُنْتَدَى خِلَافَتِهِ سَنَةَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَكَانَ طَوِيلًا جَسِيمًا ، شَجَاعًا ، جَوَادًا ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٣٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢١ - ٢٥ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ١٧٣ -
١٧٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٦ - ٣٤٠ ، والمعارف ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١١٣ ،
وتاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٧ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٣ وما بعدها] .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « اعْتَذَرِي » وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « الرَّجُلِ » مِنْهَا ..

(٥) فِي (م) : « فِيمَا تُقَرِّعُنِي » . وَمَا بَيْنَ الْمُعْتَفِينَ عَنْ « ط » وَعَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٦) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : « وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتَ ذَنْبًا » . وَقَوْلُهُ : « ذَنْبًا » بِالنَّصْبِ ، خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ
بِالرَّفْعِ . وَرَبَّمَا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ سَهْوًا عَامِلَ النَّصْبِ فِيهَا ، وَهُوَ الْفَعْلُ « يُذَمُّ » حَيْثُ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
هَكَذَا :

.... وَإِقْرَارِي بِهِ يُذَمُّ ذَنْبًا لَمْ أَجِيزْ . [انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠] .

(٧) فِي (م) : « الْمُهَلِّبُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَهُوَ الْمُتَهَلِّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٨) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « عَظُمَ » إِلَى قَوْلِهِ : « صَغُرَ » عَنْ « ط » ، وَسَقَطَ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

الْعُقُوبَةُ أَوْحَشَهَا الذَّنْبُ وَإِنْ صَنَعَ ، حَتَّى يَضْطَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصَصَةِ .

وَمِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ فِي مِثْلِ هَذَا قَوْلُ سَابُورَ ^(١) ، وَقَدْ جَمَعَ أَوْلَادَهُ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ^(٢)
 إِنْ أُعْجِزَكُمُ أَنْ تُثْمَلُوا قُلُوبَ الرُّعِيَّةِ حُبًّا فَأَمْلَقُوهَا خَوْفًا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنْ تُحْمَلَ الْعُقُوبَةُ
 عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ^(٣) وَلَكِنْ تُعْجِلُهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ فَشَرُّهُمْ بِهِمْ مِنْ خَلْفَتِهِمْ ﴾ ^(٤) . وَهَذَا مَعْنَى لَا يَحْتَلُ عَمَّا أَوْجَبْتَاهُ ^(٥) وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ
 سَابُورَ ، وَلَا يُخَالِفُ مَا قَرَرْنَا مِنْ حُسْنِ الْعَفْوِ ، بَلْ هُوَ ^(٦) مَحْمُولٌ عَلَى الْوَاجِبِ
 الْمُسْتَحَقِّ ، أَوْ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ إِغْرَاءٌ بِرُكُوبِ ^(٧) أُمَثَالِهِ ، فَهَذَا هُنَا يَكُونُ الْعَفْوُ مَفْسَدَةً .
 فَيَا أَيُّهَا الْمَعَاقِبُ ، إِذَا أَقَمْتُ عَلَى مُذْنِبٍ عُقُوبَةً فَلَا تُكُنْ كَالْمُتَشَفِّى الْمُنْتَلِذِ بِعَذَابِهِ ،
 لَأَنَّكَ وَإِيَّاهُ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، آدَمَ وَحَوَّاءَ ، لَمْ تَفْضُلْهُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، بَلْ بِمَا فَضَّلَكَ
 اللَّهُ بِهِ تَطَوُّلاً عَلَيْكَ ، فَادَّكَّرَ ^(٨) لَوْ كُنْتُ فِي مَقَامِهِ وَكَانَ فِي مَقَامِكَ ، وَلَا تَأْمَنُ ثَقَلَبُ
 الدُّهْرِ فَتَقْوِمَ مَقَامُهُ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ وَلَا يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَاحْذَرِ التَّفْرِيطَ
 وَالتَّفْصِيرَ ، وَأَقِمْ نَفْسَكَ مُذْنِبًا أَيْمَمَ لِلْعُقُوبَةِ ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ مُقَدَّرًا كَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ
 مُقَدَّرًا ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ لِلتَّقْوِيمِ لَا لِلِإِتْقَامِ ، وَلِلزَّجْرِ لَا لِلْهَوَى . وَعَنْ هَذَا قَالَ
 بُرْزَجِيمُهُ : لَا يَتَنَبَّي لِلْمُلُوكِ أَنْ يُكْرِمُوا أَحَدًا يَهْوَانِ ^(٩) مَنْ لَيْسَ لِلْهَوَانِ أَهْلًا ، وَلَا أَنْ
 يُهَيِّنُوا أَحَدًا يَكْرَامُ ^(١٠) مَنْ لَيْسَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا .. لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى

(١) اسم يُطلق على علة ملوك من ملوك الفرس . وقد سبق التعليق عليه .

(٢) « فقال : يا بني » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) في « م » : « هل من يستحقها » . والمعنى يتطلب وجود « لا » النافية ، كما ورد في « ط » .

(٤) من الآية ٥٧ من سورة الأنفال . ومعناها : فَرَّقْ وَبَلِّغْ وَخَوِّفْ بِهِمْ .

(٥) في « م » : « عَمَّا أَوْجَبْتَاهُ » .

(٦) في « ط » : « بل هنا » .

(٧) هكنا في « م » .. وفي « ط » : « إغرائَ بِرُكُوبِ » .

(٨) هكنا في « ط » .. وفي « م » : « فإنك » ولم يأتِ بعدها خبر « فإن » .

(٩) في « م » : « فهو ان » تحريف .

(١٠) في « م » : « بكرامة » .

الإحسان ، وَلَا عَلَى الْبُحْلِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى الْبُذْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا ^(١)

فَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى بِالْكَرْهِ لَمْ يَغْشَ مُسْلِمًا ^(٢)

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : التَّنْكِيلُ وَالْعُقُوبَةُ أُمْنِيَّةُ الْمَلِكِ الشَّرِيفِ ، وَعَلَى يَدِهِ يَتَعَثُّ اللَّهُ مَلَكًا غَيْرَ رَحِيمٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ غَضَبٌ أَوْ رِضًا إِلَّا لِلثَّوَابِ ^(٣) أَوْ عِقَابٍ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ ^(٤) : فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى السُّوقَةِ إِنَّمَا هُوَ يَقْدِرَتُهُ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ الْمَكَارِمِ ، فَكُلَّمَا اسْتَكْتَرَ مِنْهُمَا بَاطِلٌ فَضِيلَتُهُ وَاسْتَحَقَّقَهُ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَكُلَّمَا نَقَصَ مِنْهُمَا ^(٥) قَرَبَ مِنَ السُّوقَةِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنِّي لِأَجِدُ لِعَفْوِي لَذَّةً أَكْثَرُ مِنْ لَذَّةِ الْإِقْتِمَامِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمَلِكُ أَوْ أَهَانَ ^(٦) عَلَى ظَنٍّ بِغَيْرِ ^(٧) يَقِينٍ أَدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قُبْحِ الْخَطَا فِي الرَّأْيِ أَكْثَرُ مِنْمَا أَدْخَلَ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْقَائِلُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ ، وَمَا ظَفَرَ مِنْ ظَفِيرٍ بِالْإِثْمِ . وَقِيلَ لِأَفْلَاطُونِ : أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ يُشْبِهُ أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ .

(١) الْأَجْرَامُ : جَمْعُ جُرْمٍ ، وَهُوَ الْجُرْمَةُ وَالذَّنْبُ .

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « ط » .. وَفِي « م » : « إِذَا مَا لَذَّةٌ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَلَمْ يَغْشَ » ، يُقَالُ : غَشِيَ الْعَذَابُ : إِذَا أَتَاهُ ، أَوْ لَا يَسْأَلُ وَبِأَسْرَةٍ .

(٣) فِي « م » : « ثَوَابٍ » .

(٤) فِي « م » : « أُرْدَشِيرُ » بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ . وَقَدْ سَبَقَ الصَّلَاحُ عَلَيْهَا .

(٥) فِي « م » : « مِنْهُمْ » . لَا تَصَحُّ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « عَاقَبَ وَأَهَانَ » . وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْمَلِكِ » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَالسِّيَاقُ يَسْتَدْعِي وَجُودَهَا .

(٧) فِي « م » : « غَيْرِ » .

وَقَالَ الْحَكِيمُ : الْجَلْمُ فِدَامُ السَّيْفِ ^(١) وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : السَّيِّدُ الَّذِي لَا يَشِينُ حُسْنَ الظَّهِيرِ بِفَيْحِ الْإِتْقَامِ ، وَخَيْرُ مَنَاقِبِ الْمُلُوكِ الْعَفْوُ . وَكَانَ يَخْنِي بَنُ مُعَاذٍ ^(٢) يَقُولُ : سَبَّحَانَ مَنْ أَذَلَّ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ ، وَأَذَلَّ الذَّنْبُ بِالْعَفْوِ .. إِلَهِي ، إِنْ عَفَوْتَ فَخَيْرٌ رَاحِمٍ ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَخَيْرٌ ظَالِمٍ .. إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ لَا تَرْضَى إِلَّا عَنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْخَاطِئُونَ ؟ وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا أَهْلُ وَقَائِكَ ، فِمَنْ يَسْتَفِيئُ الْمُسْتَفِيئُونَ ؟ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَنَّ اللَّهَ ذُو جِلْمٍ وَلَكِنْ لِعِزِّ الْجِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ ^(٣)
وَرَوَى أَنَّ الْحَجَّاجَ أَخَذَ أَخَا لِقَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَّاعَةِ ^(٤) فَقَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ إِنْ قَالَ : وَلِمَ ؟

(١) هكذا في « ط » . والقياس : ما يوضع على القم مبدأ له . وقد جاء هذا القول في حديث للإمام علي ، كرم الله وجهه ، ويعني : أن الجلم من السفيه يغطي فاه ويُسكِّتُه عَنْ سَفِيهِهِ . وفي « م » : « قوام السفيه » . أى : يقيمه ويزيل اعوجاجه .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط - مادة قَدَم] .

(٢) هو : يحيى بن مُعَاذِ بْنِ جَعْفَرِ الرَّازِي ، أبو زكريا ، من الوُحَاظِ الزاهدين من أهل الرِّيِّ ، ولم يكن له نظير في وقته . تولى بنسأبور سنة ٢٥٨ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٥١ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٧ - ١١٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ وغيرها من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٥ ، ١٦] .

(٣) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « يعز بدل لعز » تحريف . وقد ورد البيت في عيون الأخبار ، وفيه : « بقلِّ الجلم ينتقم الحليم » .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٥ كتاب السؤدد ، ط المهمة العامة للكتاب] .

(٤) في « ط » : « القطري » .. وفي « م » : « لأخذ قطري » خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وقطري هو : أبو نعامه قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَّاعَةِ ، (واسمه : جعونة) بن مازن بن يزيد الكنانى المازنى القهسى ، من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم . كان خطيباً ، فارساً ، شاعراً .. استضعف أمره في زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وبقي قطري ثلاث عشرة سنة يقاتل ويُسَلِّمُ عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين - وقيل عشرين سنة - والحجاج بن يوسف الثقفى يُسَيِّرُ إليه جيشاً بعد جيش ، وهو يرددهم ويظهر عليهم . وقطري ليس اسمه ، ولكنه نسبة إلى بلده « قطر » بين البحرين وعمان ، وكانت كُنْيَتُهُ في الحرب أبا نعامه ، (ونعامه قرسه) وهو صاحب الأبيات المشهورة التى أولها « أقول لها وقد طارت شعاعاً » قِيلَ سنة ٧٨ هـ على الأرجح . وقد اختلف المؤرخون في مقتله ، فقيل : عثر به فرسه فانلقت فخنقه فمات ، وجيء برأسه إلى الحجاج . وقيل توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى فقاتله ، وقِيلَ في المعركة بالرِّيِّ أو بطبرستان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والبيان والبيان ج ١ ص ٣٤١ وغيرها من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٩٣ - ٩٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، ودوان شعر الخوارج ص ١١٩ ، وانظر تاريخ الطبرى وابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ والأدب] .

قَالَ : لِيُخْرِجَ أُخِيكَ عَلَيَّ . فَقَالَ : إِنَّ ^(١) مَعِيَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَأْخُذَنِي بِذَنْبِ أُخِي . قَالَ : هَاتِيهِ . قَالَ : إِنَّ ^(٢) مَعِيَ أَوْكَدُ مِنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٣) . فَتَعَجَّبَ مِنْ جَوَابِهِ وَحَلَّى سَبِيلَهُ . وَلَمَّا وَقَدَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(٤) عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ لَهُ بِجَانَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِصْرَافَ ، رَأَى فِي الطَّرِيقِ جَانِيَةً بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(٥) ؟ قَالَ : ثَلَاثُ لِي غُلَامًا ، فَإِنْ أَغْضَبَنِي يَضْرِبُ مَفْرَقَكَ ^(٦) بِالسَّيْفِ : فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، فَأَتَاعَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ^(٧) ثُمَّ قَدِمَ مُسْلِمُ الشَّامَ ، فَأَتَاعَ مِنْهُ مُعَاوِيَةَ

(١) في ١ ط ، : : قَالَ : فَإِنَّ .

(٢) في ١ م ، : : فَإِنَّ .

(٣) وردت في عدة سور من القرآن الكريم :

— في سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .

— وفي سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

— وفي سورة فاطر ، من الآية ١٨ .

— وفي سورة الزمر ، من الآية ٧ .

(٤) هو : عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو يَزِيدٍ ، وَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ .. صَحَابِيٌّ ، فَصِيحُ اللِّسَانِ ، شَدِيدُ الْجَوَابِ ، وَهُوَ أَخُو « عَلِيٍّ » وَ « جَعْفَرٍ » لِأُمِّهِمَا ، وَكَانَ أَسَنُّ مِنْهُمَا .. وَهُوَ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَيَّامِهَا وَمَأَثَرِهَا وَمَثَالِهَا وَأَنْسَابِهَا ، أَخْرَجَتْهُ قُرَيْشٌ كَرْهًا لِقِتَالِهَا مَعَهَا ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ « بدر » ، فَشَهِدَهَا مَعَهُمْ ، وَأَسْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَادَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨ هـ ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ مَوْثَةَ ، وَثَبَّتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَفَارَقَ أَخَاهُ عَلِيًّا فِي خِلَاقِهِ ، وَوَفَدَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي ذَنْبِ لِحْفِهِ ، وَعَمِيَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ . وَكَانَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ عَنْهُ الْأَنْسَابَ وَالْأَخْبَارَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ . تَوَلَّى سَنَةَ ٦٠ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٤٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤ ، والمهر ص ٤٥٧ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٦٣ - ٦٦ ، والمعارف ص ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٢٤] .

(٥) « بِهَا » عَنْ « ط » .

(٦) الْمَفْرَقُ مِنَ الرَّأْسِ : حَيْثُ يَتَرَقَّى الشَّعْرُ .

(٧) هو : مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، تَابِعِيٌّ ، مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، كَانَ مَقِيمًا بِمَكَّةَ ، وَاتَّعَبَهُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَعْرِفَ لَهُ حَالَ أَهْلِ الْكُوفَةِ حِينَ وَرَدَتْ عَلَيْهِ كَتِيبَةٌ يَدْعُوهُ وَيَهْأُونُ لَهُ ، فَحَرَلَ مُسْلِمٌ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَخَذَ بِرِيعة ١٨,٠٠٠ مِنْ أَهْلِهَا ، وَكُتِبَ لِلْحَسَنِ بِذَلِكَ ، فَشَعَرَ بِهِ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ (أَمِيرُ الْكُوفَةِ) فَطَلَبَهُ ، فَضَمَّهُ النَّاسَ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْهُ ، فَأَوَّزَى إِلَى دَارِ امْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ فَأَخَفَتْهُ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَرَفَ مَكَانَهُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ وَقَتْلَهُ سَنَةَ ٦٠ هـ ثُمَّ صَلَبَهُ . وَفِي الْكُوفَةِ ضَرْعٌ يُقَالُ إِنَّهُ قَبْرُهُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِاسْمِهِ . [انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ ، والمهر ص ٥٦ و ٤٨٠ وغيرهما من الصفحات ، وطبقات ابن سعد ج ٤ =

ضَيْعَةً ^(١) فَبَلَغَ الْحُسَيْنَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَبْرَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنِّي لَا أُجِيزُ بَيْعَ مُسْلِمٍ .
فَارْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مُسْلِمٍ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ الْحُسَيْنِ يَأْمُرُ بِرَدِّ الْمَالِ . فَقَالَ مُسْلِمٌ : أَمَّا
دُونَ أَنْ أَضْرِبَ مَفْرَقَكَ بِالسَّيْفِ فَلَا . فَفَضَحَكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَهَدَّدَنِي أَبُوكَ
بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ أُمْلَكَ ، وَسَوْغَةَ الْمَالِ ^(٢) ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ [حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ] ^(٣) :
عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ جُلْمًا وَجُودًا .

= ص ٤٢ في ترجمة عقيل بن أبي طالب ، والمعارف ص ٢٠٤ ، والطبري ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٨١ ، وابن الأثير ج ٣ صفحات كثيرة متفرقة [.

(١) في م : « جارية » .

(٢) سَوْغَةُ الْمَالِ : تركه خالصاً له .

(٣) ما بين المقوفين عن م « وساقط من ط » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ

وَهَذَا الْبَابُ مِمَّا يَعْلَمُهُ ^(١) الْحُكَمَاءُ مِنْ أَسَاسِ الْمَمْلَكَةِ ، وَقَوَاعِدِ السُّلْطَنَةِ ، وَيَنْفَعُ إِلَيْهِ الرَّئِيسُ وَالْمَرْعُوسُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ^(٢) فِي بَابِ الْخِصَالِ الْفِرْقَانِيَّةِ ، وَنَذَكُرُ [هَاهُنَا] ^(٣) فَوَائِدَهَا وَمَحَاسِنَهَا .

اعْلَمُوا أَنَّ الْمُسْتَشِيرَ ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمُسِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْيًا ، كَمَا تَزْدَادُ النَّارُ بِالسَّلِيطِ ^(٤) ضَوْئًا ، فَلَا يُقْذَفَنَّ فِي رُوعِكَ ^(٥) أَنَّكَ إِذَا اسْتَشَرْتَ الرَّجَالَ ظَهَرَ [لِلنَّاسِ] ^(٦) مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ ، فَيَمْنَعُكَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَاوَرَةِ ، فَإِنَّكَ لَا تَرِيدُ الرَّأْيَ لِلْفَخْرِ بِهِ ، وَلَكِنْ لِلِإِنْفَاجِ بِهِ ، فَإِنْ ^(٧) أَرَدْتَ الذِّكْرَ كَانَ أَفْخَرُ لِلذِّكْرِ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ ذَوِي الْأَلْبَابِ لِسِيَاسَتِكَ أَنْ يَقُولُوا : لَا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ ،

(١) لِي م م م : : : تَعْلَمُهُ ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٢) لِي م م م : : : ذَكَرْنَاهُ . وَالْخِصَالُ الْفِرْقَانِيَّةُ : هِيَ الَّتِي رَدَّ الشَّرْعُ بِهَا ، وَالَّتِي تَفَرَّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْرِفَتَيْنِ عَنْ ط ط : وَسَاقَطٌ مِنْ م م .

(٤) السَّلِيطُ : الزُّهْتُ . أَوْ دَهْنُ الزَّيْتِ الَّذِي يَسْتَخْدَمُ فِي الْمَصَابِيحِ .

(٥) أَيْ : فِي عَقْلِكَ ، أَوْ نَفْسِكَ ، أَوْ قَلْبِكَ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْرِفَتَيْنِ عَنْ ط ط : وَسَاقَطٌ مِنْ م م .

(٧) لِي م م م : : : وَإِنْ .

وَلَا يَمْتَنِعُ عَنْكَ عَلَى إِتْفَاقِ رَأْيِكَ ، وَظُهُورُ صَوَابِهِ لَكَ عَنِ الِاسْتِشَارَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ عِزَّةً ^(١) لَا مَشُورَةَ فِيهَا ، فَحَمَلَهُ حُسْنُ الْأَدَبِ ،
وَعِلْمُهُ بِمَوَاقِعِهِ فِي النُّفُوسِ عَلَى الِاسْتِشَارَةِ فِيهِ ، فَقَالَ فِيهِ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِلَى أَرَى فِي الْمَنَامِ
أَلَيْ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ ^(٢) وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَرَسَمُ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَقَالَ ^(٣) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الرَّأْيُ الْفَرْدُ كَالْخَيْطِ السَّحِيلِ ^(٤) ،
وَالرَّأْيَانِ كَالْخَيْطَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةُ الْآرَاءُ لَا تَكَادُ تَنْقُطِعُ .. وَيُرْوَى أَنَّ رُومِيًا وَقَارِيسِيًّا تَفَاحَرَا ،
فَقَالَ الْفَارِيسِيُّ : نَحْنُ لَا نُمَلِّكُ عَلَيْنَا مَنْ يُشَاوِرُ . وَقَالَ الرَّومِيُّ : وَنَحْنُ لَا نُمَلِّكُ عَلَيْنَا
مَنْ لَا يُشَاوِرُ .. وَقَالَ بِزْرَجِيهَرُ : إِذَا أَشْكَلَ الرَّأْيُ عَلَى الْحَازِمِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَضَلَّ ^(٥)
لَوْلَاةٌ فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا ، فَالْتَمَسَهَا فَوَجَدَهَا ، كَذَلِكَ الْحَازِمُ ، يَجْمَعُ ^(٦) وَجُوهَ
الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمُشْكِكِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ الصَّوَابُ .

وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ كَثُرَتْ اسْتِشَارَتُهُ حُدِثَتْ إِمَارَتُهُ .. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ ، قَالَ بَعْضُ
الْمُلُوكِ : إِنَّ الْمَلِكَ الْحَازِمَ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزَمَةِ ^(٧) كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ
الْأَنْهَارِ ، وَيَتَأَلَّ بِالْحَزْمِ وَالرَّأْيِ مَا لَا يَتَأَلَّهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنْدِ . وَلَمْ تَزَلْ حَزَمَةُ الرُّجَالِ
يَسْتَحْلُونَ مَرَاتِرَ ^(٨) قَوْلِ النُّصَحَاءِ ، كَمَا يَسْتَحْلِي الْجَاهِلُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى الْهَوَى . وَقَالَ

(١) عِزَّةٌ : فريضة من الله لا بد من فعلها .

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٣) في ١ م : ١ : قال « . وقد ورد هذا القول في عيون الأخبار ، ونصه : « الرَّأْيُ الْفَرْدُ كَالْخَيْطِ السَّحِيلِ ،
وَالرَّأْيَانِ كَالْخَيْطَيْنِ الْمُرْمِينِ ، وَالثَّلَاثَةُ مَرَارٍ (أَيْ الْخَيْلُ الَّذِي أُجِيدَ ظُهُرُهُ) لَا يَكَادُ يَنْقُضُ » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٣١] .

(٤) الْخَيْطُ السَّحِيلُ : الَّذِي يُفَقِّلُ عَلَى قُوَّةٍ وَاحِدَةٍ .

(٥) أَضَلَّ : ضَيَّعَ .

(٦) في ١ م : ١ : بجميع « . تحريف من التناسخ .

(٧) الْحَزَمَةُ : جَمْعُ حَازِمٍ .

(٨) مَرَاتِرُ : جَمْعُ مَرٍّ ، عَلَ غَيْرِ قِيَاسٍ . وَيَسْتَحْلُونَ مَرَاتِرَ قَوْلِ النُّصَحَاءِ ، أَيْ : يَجْلُونَ حَلَاوَةَ الْأَقْوَالِ مِنْ
نَصِيحَتِهِمْ بِغَرَمِ مَرَاتِرِهَا ، لِأَنَّ عَاقِبَتَهَا حَمِيدَةٌ حَسَنَةٌ .

الْمَأْمُونُ لِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(١) : صِيفٌ لِي أَخْلَاقِ الْمَخْلُوعِ - يَغْنَى أُنْحَاهُ الْأَمِينُ -
فَقَالَ : كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقُ الْأَدَبِ ، يَتَّبِعُ مِنْ نَفْسِهِ مَا ثَابَاهُ هِمَمُ الْأَخْرَارِ ،
وَلَا يَصْنَعُ ^(٢) إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ، فَيَرَى سُوءَ عَاقِبَتِهِ ، فَلَا ^(٣)
يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُ بِهِ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ^(٤) ؟ قَالَ : يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ
بِالتَّيْدِيرِ ^(٥) وَيَقْرُقُهَا بِسُوءِ التَّيْدِيرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِذَلِكَ مَاحِلٌ مَحَلُّهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ
لَذَاذَةَ النَّصَائِحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَةَ ^(٦) الرُّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ شَهَوَاتِهَا ، مَا ظَفِرَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْفَادُ الْمُلُوكِ الْأُمُورَ بِغَيْرِ ^(٧) رُويَةٍ ، كَالْعِبَادَةِ بِغَيْرِ رِيَّةٍ . وَلَمْ تَزَلِ
الْعُقُلَاءُ عَلَى اخْتِلَافِ آرَائِهِمْ يَسْتَهْلِكُونَ الْعُيُوبَ ، وَيَسْتَحْيِرُونَ ^(٨) صَوَابَ الرَّأْيِ مِنْ كُلِّ ،
حَتَّى الْأُمَةِ الْوَكْعَاءِ ^(٩) . هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى

(١) هو : طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أبو الطيب ، وأبو طلحة ، من كبار الوزراء والقواد أديبا
وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطّد الملك للمأمون ، وُلِدَ في برشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩ هـ ، وسكن
بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، ولما مات الرشيد وولى الأمين ، كان المأمون في
« مرو » فالتفت طاهرا للزحف إلى بغداد ، فهاجها ، وظفر بالأمين وقتله سنة ١٩٨ هـ . وعقد البيعة للمأمون ،
فولاه شرطة بغداد ، ثم ولّاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب في السنة نفسها ، وولّاه خراسان سنة ٢٠٥ هـ .
مات مقتولا بمرو - وقيل : مات مسموما سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٢١ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٥٣ - ٣٥٥ ، وشفرات الذهب ج ٢
ص ١٦ ، ١٧ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥١٧ - ٥٢٣ ، وثمار القلوب ص ٢٩١ ، والمعارف ص ٣٨٥ ،
وما بعدها . والطبري ج ٨ صفحات متفرقة ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ، والبدلية والنهاية ج ١٠] .

(٢) في « ط » : « لَا مُصْنِعًا » .

(٣) في « م » : « وَلَا » .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فَكَيْفَ حُرُوبُهُ ؟ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بِالتَّيْدِيرِ » . تحريف .

(٦) في « م » : « مَشُورَاتٍ » .

(٧) في « م » : « مِنْ غَيْرِ » .

(٨) يستهلون العيوب : أي يطلبون مَنْ يهدى إليهم عُيُوبُهُمْ . وله عن « عيون الأخبار » .. وفي « م » ،
و « ط » : « يَسْتَهْلِكُونَ الْعُيُوبَ » .. ويستحرون : ينشرون .

(٩) هكذا في « عيون الأخبار » .. وفي « م » : « مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَتَّى لِلْأُمَةِ الْوَكْعَاءُ » .. وفي « ط » : « حَتَّى الْإِمَةِ
الْوَكْعُ » .. والوكعاء ، مِنَ الْوَكْعِ ، وَهُوَ مِيلَانٌ فِي صَدْرِ الْقَدَمِ نَحْوَ الْبَيْضِ ، وَبِمَا كَانَ فِي إِبْهَامِ الْيَدِ ، وَأَكْثَرُ مَا
يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْإِمَامِ اللَّاتِي يَكْتَدُنْ فِي الْعَمَلِ .. أَمَّا الْإِمَةُ ، فَهُوَ الْمُرَدَّدُ الَّذِي لَا يَبْقَى عَلَى شَيْءٍ . وَالْوَكْعُ :
المرضى .

إِلَى عِيُوبَى . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُنْتَعِ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُنْتَعِ
الْمَزِيدَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الثَّوْبَةَ لَمْ يُنْتَعِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِخَارَةَ لَمْ يُنْتَعِ الْخَيْرَةَ ^(١)
وَمَنْ أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُنْتَعِ الصَّوَابَ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَجِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فِطِيرِهِ ،
وَأَخْيَرُهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْدِيرِهِ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وُزَرَاءَهُ ، فَقَالَ
أَحَدُهُمْ ^(٢) : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا ، فَإِنَّهُ أَمُوتُ لِلْسَّرِّ ،
وَأَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ ، وَأَجْدَرُ لِلسَّلَامَةِ ، وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ ^(٣) .. وَكَانَ بَعْضُ
مُلُوكِ الْعَجَمِ إِذَا شَاوَرَ مَرَاتِبَهُ فَقَصُرُوا فِي الرَّأْيِ ، دَعَا الْمُوَكَّلِينَ ^(٤) بِأَرْزَاقِهِمْ فَعَاقَبَهُمْ ،
فَيَقُولُونَ تُعْطَى مَرَاتِبُكَ وَتُعَاقِبُنَا ۚ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَمْ يُحْطُوا إِلَّا لِعَلْقِ قُلُوبِهِمْ
بِأَرْزَاقِهِمْ ، وَإِذَا ^(٥) اهْتَمُّوا أَخْطَلُوا . وَكَانُوا إِذَا اهْتَمُّوا بِمُشَاوَرَةِ رَجُلٍ بَعَثُوا إِلَيْهِ بِقُوَّتِهِ .
وَقُوَّتُ عِيَالِهِ لِسِتَةٍ ^(٦) لِيَتَفَرَّغَ لَهُ . وَكَانَ يُقَالُ : النَّفْسُ إِذَا أُخْرِزَتْ قُوَّتُهَا اطْمَأَنَّتْ .

وَإِذَا شَاوَرْتَ فَاصْذِقِ الْخَبَرَ تَصْذِقْكَ الْمَشُورَةُ ، وَلَا تُكْثِمِ الْمُسْتَشَارَ فَتَوْتِي مِنْ قِبَلِ
نَفْسِكَ . وَقَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ : لَا يَمْتَنِعُكَ شِدَّةُ بَأْسِكَ فِي بَاطِنِكَ ، وَلَا عُلُوُّ
مَكَانِكَ فِي نَفْسِكَ مِنْ أَنْ تَجْمَعَ إِلَى رَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ ، فَإِنْ أَحْمَدْتَ ^(٧) أَحَبَّيْتَ ، وَإِنْ
أَخْطَأْتَ ^(٨) عُذِرْتَ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ حِصَالًا ، مِنْهَا : إِنْ وَافَقَ رَأْيُكَ رَأْيَ غَيْرِكَ اِزْدَادَ

(١) الْخَيْرَةُ : الْإِخْتِيَارُ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » وَهُوَ الْخَاسِبُ هُنَا لِلْسِّيَاقِ .. وَفِي « م » : « لَا أَحَدُهُمَا » لَا تَصَحُّ .

[انْظُرْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٢ - كِتَابُ السُّلْطَانِ ، بَابُ الْمَشَاوَرَةِ وَالرَّأْيِ] .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » مَا عَدَا « بَعْضٌ » فَهِيَ عَنْ « م » وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ .. وَالْعِبَارَةُ فِي « م » : « وَأَرْزَمُ لِلرَّأْيِ ،
وَأَحْزَمُ وَأَعْفَى لِبَعْضٍ مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ » .

(٤) فِي « م » : « الْمُوَكَّلِينَ » .

(٥) فِي « م » : « فَإِذَا » .

(٦) فِي « ط » : « لِسِتَةٍ » .

(٧) أَحْمَدَ الرَّجُلُ : قَتَلَ مَا يُحْتَمَدُ عَلَيْهِ ، فَصَارَ عَمُودًا .

(٨) فِي « م » : « اُتَّفَقَتْ » .

رَأَيْكَ شِدَّةً عِنْدَكَ ، وَإِنْ خَالَفَكَ ^(١) عَرَضْتَهُ عَلَى نَظَرِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُتَعْتِلًا ^(٢) لِمَا رَأَيْتَهُ قَبْلَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ مُتَضَيِّعًا ^(٣) اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ ، وَتَجِدُ بِذَلِكَ ^(٤) النَّصِيحَةَ مِنْ شَاوَرَتِهِ وَإِنْ أُخْطِئَ ، وَتَمَحَضَ ^(٥) لَكَ مَوَدَّتُهُ وَإِنْ قَصُرَ .. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْمُشَاوَرَةِ إِلَّا أَنْتَ إِنْ أَصَبْتَ ^(٦) مُسْتَبْدًا سَلَبْتَ فَايِدَةَ الْإِصَابَةِ بِالسَّيَةِ الْحَسَدَةِ ، وَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا اتِّفَاقٌ ، وَلَوْ فَعَلَ كَذَا ^(٧) لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا شَاوَرْتَ فَأَصَبْتَ أَحْمَدَ ^(٨) الْجَمَاعَةَ رَأَيْكَ ، لِأَنَّهُمْ لِنَفْسِهِمْ يَحْمَدُونَ ، وَإِنْ أُخْطِئْتَ حَمَلَ الْجَمَاعَةَ عَنْكَ ^(٩) ، لِأَنَّهُمْ عَنْ نَفْسِهِمْ يَكْفِحُونَ ^(١٠) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْلَ الْغَلِيظَ يُسْتَمَعُ لِفَضْلِ عَاقِبَتِهِ ، كَمَا يُتَكَارَهُ شَرُّ الدَّوَاءِ الْمَرُّ لِفَضْلِ مَعْنِيَتِهِ ^(١١) . وَقَالَ أَغْرَابِيُّ : مَا عَثَرْتُ قَطُّ حَتَّى عَثَرَ قَوْمِي . قِيلَ لَهُ ^(١٢) : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ .. وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ بَأَنِي عَبَسَ ! فَقَالَ ^(١٣) : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ نَطِيعُهُ ، فَكَاثَا أَلْفُ حَازِمٍ . [وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أَطَعْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ] ^(١٤) . وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صُحْبَةٍ مِنْ غَابَتِ نَحَاصُّهُ

(١) في « ط » : « خَالَفَكَ » .

(٢) مُتَعْتِلًا : غَالِبًا مَرْتَفَعًا .

(٣) مُتَضَيِّعًا : مِنَ الضَّيْعَةِ ، وَهِيَ خِلَافُ الرِّقَّةِ فِي الْقَدْرِ .. وَفِي « ط » : « مُتَضَيِّعًا » .

(٤) في « م » : « وَذَلِكَ أَنَّهُ تَجِدُ فِي ذَلِكَ » .

(٥) تَمَحَضَ : تَخَلَّصَ .. وَفِي « ط » : « تَمَحَضَ » . وَفِي عِبْرَةِ الْأَخْبَارِ : « يَمَحُضُ » بِالْيَاءِ .

(٦) في « ط » : « أَصَبْتَهُ » .

(٧) في « م » : « أَفْعَلَ هَذَا » .

(٨) في « م » : « فَأَحْمَدَ » هِيَ : أَتَمُّ عَلَيْكَ .

(٩) في « ط » : « حَمَلَ الْجَمَاعَةَ خَطَاكَ » .

(١٠) في « م » : « يَكْفِحُوا » خَطَاً ، وَالصَّوَابُ ثُبُوتُ التَّوْنِ .

(١١) كَلِمَةُ « الْمَرُّ » عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ « م » . وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ .

(١٢) في « ط » : « قَالُوا » .

(١٣) في « م » : « يَا بَنِي عَبَسَ ، مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ ! فَقَالُوا » .

(١٤) مَا بَيْنَ الْمُعَظِّمَيْنِ عَنْ « م » وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .

نفسه ، والاحتياط في هوى مستشيريه . وفي حكيم الهند : من التمس من الإخوان الرخصة ^(١) عند المشورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه ، أخطأ الرأي ، وازداد مرضاً ، وحمل الوزر .

وقالت الحكماء : لا تُشاور مُعلماً ^(٢) ، ولا راعى غم ، ولا كثير القمود مع النساء ، ولا صاحب حاجة يُريد قضاءها ، ولا خائفاً ، ولا من يرهقه أحد السيليين ^(٣) . وقالوا : لا رأي لحاقن ، ولا لحازق ، ولا لحاقب ^(٤) ، ولا تُشاور من لا دقيق عنده . والحازق : هو الذي ضغطة الخف الضيق . والحاقب : هو الذي يجد في بطنه رزاً ^(٥) .. وقالوا : من شكك إلى عاجز أعاره عجزه ، وأمدّه من جزعه .

ومن لطيف ما جرى في الاستشارة أن زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يؤثبه القضاء ، فأشار به ، فبعث إلى أبي بكر ، فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين [به] على أبي بكر ^(٦) فقال أبو بكر لعبيد الله : أئشذك الله ، أئثرى لى [أن ألى] ^(٧) القضاء ؟ قال : اللهم لا .. قال زياد : سبحان الله ، استشرتكَ فأثرت على به ، ثم أسمعك ثنهاة ! فقال : أيها الأمير ، استشرني فأجتهد لك الرأي ، ونصحتك ونصحت للمسلمين ، واستشارني فأجتهدت له رأياً ، ونصحتهُ .. وروى أن الحجاج بعث إلى المهلب يستنجله [في] ^(٨) حرب

(١) ل م : « من الرخصة » . و « من » زيادة من الناصح ، فقد ورد النص بدونها في « ط » . ولى عيون الأخبار .. والرخصة : التسهيل في الأمر والتيسير .

(٢) أى : من له من تعلمه .

(٣) أصل السيل : الطريق ، والمراد هنا : مخزجاً البول والغائط .

(٤) فى م : « ولا لحاقب ولا لحازق » وسياق تفسيرهما .

(٥) هكذا ل م : « ولى عيون الأخبار .. والرز : قرقة البطن . وفى « ط » : « الذى يجد فى بطنه ثقلاً » .

(٦) من أول قوله : « فامتنع عليه » إلى هنا عن « ط » ومطابق لما ورد فى عيون الأخبار ، وساقط من « م » ... وما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

(٧) ما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

(٨) ما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

الْأَزَاقَةَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمُهِلُّبُ : إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ ذُوْنَ مَنْ يَبْصُرُهُ ^(١) .

فَصَلِّ فِي النَّصِيحَةِ ^(٢)

اعْلَمُوا أَنَّ النَّصِيحَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْحَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْجَارًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُهْدِي أَنْ يُهَوِّكُمْ ﴾ ^(٣) .. وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ^(٤) .. ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٥) .. وَقَالَ ﷺ ^(٦) : ﴿ إِنْ الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٧) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ﴿ لِلَّهِ وَلِلْكَتَابِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَتِهِمْ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في عيون الأخبار .. وفي م : « عند من يملكه » .. وفي ط : « دون من لا يبصره » ، بزيادة لا . لا تصح .

(٢) كلمة « فصل » عن ط « ولم ترد في م » .

(٣) من الآية ٣٤ من سورة هود .

(٤) من الآية ٩٣ من سورة الأعراف .. وآسى : أخزن .

(٥) من الآية ٧٩ من سورة الأعراف . وهذا القول حكاه الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا صالح - عليه السلام - حينما عقر قومه الناقة فأعلمتهم الرجفة - أو الصيحة - فأصيحوا صيحة واحدة لا حراك بها ، ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ : يَا قَوْمِ ، لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ رَسُولًا نَصِيحًا ﴾ ، ولكن لا تحبون الناصحين .

(٦) في ط : « عليه السلام » .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العقق ، باب : العبد إذا أحسن عبادة ربه ، ونصح سيده .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب ثواب العبد إذا نصح لسيده . وما لك في الموطأ ، في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في المملوك وبيته .

(٨) ما بين المعقوفين عن م .

(٩) هكذا الحديث في ط .. وفي م : « جاءت عبارة » إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ « مرة واحدة لم تتكرر ، وكلاهما مروي .. وروى الحديث مرة عن أبي هريرة ، وأخرى عن ابن عمر ، وثالثة عن نعيم الدار . وقد أخرجه البخاري في آخر كتاب الإيمان .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة .. والترمذي في أبواب البر والصلة ، والنسائي في كتاب البيعة - النصيحة للإمام .. والدارمي في كتاب الرقائق ، باب الدين النصيحة .. وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة .

فَالنُّصْحُ فِي الْجُمْلَةِ : فِعْلُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ الصَّلَاحُ وَدَفْعُ الْمَلَامَةِ ^(١) ، مَاخُذٌ مِنَ النَّصَاحَةِ ، وَهِيَ السُّلُوكُ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهَا ، وَتُصَغَّرُهَا نُصِيْحَةٌ ، نَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا قَبِيصٌ مَنْصُوحٌ ، أَيْ : مَخِيطٌ ، وَنَصَحْتُهُ نُصْحًا إِذَا خِطَّتُهُ ^(٢) .

وَيَخْتَلِفُ النُّصْحُ فِي الْأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ الْأَشْيَاءِ ، فَالنُّصْحُ لِلَّهِ ^(٣) هُوَ : وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَرْبِيئُهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ عَقْلًا ^(٤) وَقَوْلًا ، وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ مَسَاحِطِهِ ، وَمُؤَالَاةٌ مِنْ أَطَاعِهِ ، وَمُعَاذَاةٌ مِنْ عَصَاةٍ ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعُصَاةِ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَإِرَادَةُ ^(٥) بَثِّ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي عِبَادِهِ .

وَالنُّصِيْحَةُ لِكِتَابِهِ : إِقَامَتُهُ فِي التَّلَاوَةِ ، وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ ، وَتَفْهَمُ مَا فِيهِ ، وَاسْتِعْمَالُهُ ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَطَعْنِ الطَّاعِينَ ، وَتَعْلِيمُ مَا فِيهِ لِلْمُخَلَّاقِ أَجْمَعِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كِتَابُ أَرْزَاقِهِ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَعْلَمَزْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦) .

وَالنُّصِيْحَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ ، وَالْحِمَايَةُ مِنْ ذَوْنِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فِي بَثِّ الدَّعْوَةِ وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ .

وَالنُّصِيْحَةُ لِلْإِئِمَّةِ : مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تُكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ ، فِي تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْعَقْلَةِ ،

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « والملامة » .. وسقطت كلمة « دفع » سهواً من الناسخ . ولا يصح الكلام بكونها .

(٢) انظر لسان العرب -- مادة « نصح » .

(٣) هنا في « م » « كرر الناسخ جملة « الخضوع له » سهواً منه ، وستأتي بعد قليل .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « عَمَّا لَيْسَ بِأَهْلٍ عَقْلًا » .

(٥) في « م » : « وإرادة » .

(٦) الآية ٢٩ من سورة « ص » .

وَأَرْشَادِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ ، وَتَغْلِيهِمْ مَا جَهِلُوا ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِمُ السُّوءَ ، وَإِعْلَانِهِمْ بِأَخْلَاقِ عَمَلِهِمْ [وَسَيَرِهِمْ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَسَدَّ خَلَّتِيهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتُصْرَتِيهِمْ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ] ^(١) وَرَدَّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةَ إِلَيْهِمْ .

وَالْتَّصُحَّ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ : الشَّقَقَةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ ، وَالرَّحْمَةُ لِصَغِيرِهِمْ ، وَتَغْرِيبُ كُرْبِهِمْ ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسَعِدُهُمْ ، وَتَوْقِي مَا يَشْغُلُ خَوَاطِرَهُمْ وَيَفْتَحُ بَابَ الْوَسَاوِسِ ^(٢) عَلَيْهِمْ . وَمِنَ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْتَةِ نَفْسِهِ وَتَبَذُّهُ وَخَوَاطِرِهِ عَنْهُمْ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : لَقَطَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثَوَاةً مِنَ الطَّرِيقِ ، فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ حَتَّى مَرَّ بِدَارِ قَوْمٍ فَأَلْقَاهَا فِي الدَّارِ وَقَالَ ^(٣) : يَا كُلُّهَا دَا جَنَّهُمْ ^(٤) .

وَالْتَّصُحَّ لِجَمِيعِ النَّبْلِ : أَنْ يُحِبَّ إِسْلَامَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقَوْلِ ^(٥) ، وَيُحَذِّرَهُمْ سُوءَ مَعْبَةِ الْكُفْرِ ، وَبِالسَّيْفِ إِنْ كَانَ ذَا سُلْطَانٍ ، أَوْ يَكْفُوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُوا ذِمَّةً ، وَإِلَّا فَالْقَتْلُ نَصَحًا لِلَّهِ ^(٦) لِإِقَامَةِ أَمْرِهِ فِيهِمْ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ النَّبِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « ثَلَاثٌ لَا يَقُولُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : الْعَمَلُ لِلَّهِ ، وَمُتَاصِحَةُ وَلَاةِ الْأَمْرِ ، وَالْإِعْصَامُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ » ^(٧) . وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٨) :

(١) ما بين المقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « الوسواس » وهو : الحديث الخفى المختلط الذى لا تقع فيه ولا غير . جمعه : « وسواس » .

(٣) في « م » : « وقال » .

(٤) الدَّاجِن : كُلُّ مَا أَلْفَ الْبُيُوتِ وَأَقَامَ بِهَا ، مِنْ حَيَوَانٍ وَطَيْرٍ . جَمْعُهُ : « دَوَاجِن » .. وفى « م » : « يأكلها دجاجهم » .

(٥) في « م » : « بالقبول » .

(٦) في « ط » : « نصحاً لإقامة » .

(٧) في « م » : « مَنْ وَرَائِهِمْ » . والحديث أخرجه الترمذى فى أبواب العلم ج ١٠ ص ١٢٦ بشرح ابن العرى .

(٨) هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى ، الأنصارى ، السلمى ، صحابى ، ولد سنة ١٦ قبل الهجرة ، وشهد العقبة فى السبعين من الأنصار ، وهو من المكثرين فى الرواية عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة .. غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيام حياته حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم . روى له البخارى ومسلم وغيرهما . توفى - رحمه الله - سنة ٧٨ هـ على الأرجح ، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة .

« بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَنْتَنِي : فِيمَا اسْتَطَعْتُ ، وَالتَّصْنِجَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » ^(١) . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ^(٢) قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : الْعِلْمُ يُلْفَهُ النَّبْرُ وَالْفَاجِرُ ، وَالْحِكْمَةُ يَنْطَلِقُ بِهَا النَّبْرُ وَالْفَاجِرُ ، وَالتَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا تُثَبَّتُ ^(٤) إِلَّا فِي قُلُوبِ الْمُتَحَيِّينَ ، الَّذِينَ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ ، وَصَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ جُرْعَةَ التَّصِيحَةِ مَرَّةٌ لَا يَبْقَلُهَا إِلَّا أَوْلُو الْعَزَمِ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَى عُبُوبِي . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : قُلْ لِي فِي وَجْهِ مَا أُكْرَهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ مَالِكٌ : التَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ هِيَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ .

وَمِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْقَصْدُ وَالتَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي أُمُورِهِمْ ، وَالتُّقُوسُ مُسْتَقْبَلَةٌ لِلتَّصْنِجِ ، نَافِرَةٌ عَنْ أَهْلِهِ ، وَمَائِلَةٌ إِلَى مَا وَافَقَ هَوَاهَا . وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمِ : وَدَكَ مَنْ نَصَحَكَ ، وَقَلَاكَ ^(٥)

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٠٤ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، والتاريخ الكبير للبخارى ج ٢ ص ٢٠٧ ، والمخير ص ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٤ ، وسر أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣] .

(١) أخرجه البخارى في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، عن جرير بن عبد الله ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة ، وجميع الزوائد ج ١ باب في النصيحة .

(٢) في « ط » : « عليه السلام » .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ج ١ ص ٥٧ من فتح البارى . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب « من محصل الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ بشرح النووي .

(٤) أى : لا تستقر . وفي « ط » : « لا تثبت » .

(٥) قَلَاكَ : أَبْغَضَكَ .

مَنْ مَشَى فِي هَوَاكَ . وَكَانَ يُقَالُ : أَخَوَكَ مَنْ اخْتَمَلَ يُقَالُ (١) تَصِيحَتِكَ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ (٢) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِزَيْدٍ فَقَالَ غَشَشْتَنِي ، وَالنَّصْحُ مُرٌّ
وَمَالِي أَنْ أَكُونَ نَصَحْتُ زَيْدًا وَزَيْدٌ طَاهِرُ الْأَنْوَابِ بُرٌّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ زَيْدًا يُقَالُ عَلَيْهِ فِي مَعْنَاهُ شَرٌّ (٣)
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعَلَى النَّصُوحِ نَصِيحَتِي وَعَلَى عِصْيَانِ النَّصُوحِ (٤)
وَلِلْقَطَائِمِ (٥)
وَمَعْصِيَةِ الشُّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا تَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا (٦)

(١) في د ط : : أنقل .

(٢) في د ط : : وقال بعضهم شعراً .

(٣) في معناه : أي في المنزل الذي غشى به عن الناس .. وفي د م : : في معناه : وهي الأرض الحرّة الطين المستوية ، أو القاع الذي يملك الماء .

(٤) النصوح : الذي بالغ في النصح أو نخلص فيه .

(٥) في د ط : : وللقطائمي شعر .

والقطامي هو : عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ بن عمرو بن عبّاد ، من بني جُشَمِ بن بكر ، أبو سعيد الضفلي ، الملقب بالقطامي ، شاعر غزل ، فحل ، وهو أول مَنْ لُقِّبَ « صريع الغواني » ، وكا من نصارى تغلب في العراق ، وأسلم ، وهو ابن أخت الأخطل الشاعر النصراني المشهور ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين ، وقال : الأخطل أبعد منه ذكراً ، وأمن شعراً . توفي نحو سنة ١٣٠ هـ . والقطامي بضم القاف وضحها ، مأخوذ من الليث ، أو الصقر ، المشتق من اللحم .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، ٨٩ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٣ - ٧٢٦ ، والأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٥٧ - ٩٤٩٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ، وانظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ج ٢ العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والقطامي حياته وشعره . د . زكي عابدين ط المعارف - إسكندرية] .

(٦) الشفيق : المشفق .. وتزيدك منه استعاضاً : وذلك لما وقع بك من سوء .. وفي العقد الفريد ، والشعر والشعراء : « يزيدك » . والبيان من قصيدة يثوره الشاعر فيها يذفر بن الحارث الكلبي ويحمده حين فكّه من الأسر ، وأعطاه مائة من الإبل ، وردّ عليه ما سلب منه في الحرب التي نشبت بين قبيلة الشاعر « تغلب » و « قيس » في أثناء فتنة ابن الزبير .

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا
وَلَوْ رَقَّةً بِنِ تَوْفَلٍ ^(١) :

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَلِمٍ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا التَّيْدِيرُ فَلَا يَغُرُّكُمْ أَحَدٌ ^(٢)
لَا شَيْءٌ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا إِلَالَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ ^(٣)
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ هَرْمُزٌ ، هَرْمُزٌ ، يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادَ فَمَا خَلَدُوا ^(٤)

= [انظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، والمقد الفرید ج ١ ص ٦١ ،
والشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٢٤ . والقصيد في الأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٨١ ، ٩٤٨٢ ولم يرد البيتان فيها .
(١) في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : أن هذا الشعر نسبوه إلى ورقة بن نوفل ، وزعموا أنه قاله حين رأى
قريشاً تُعَذِّبُ بِلَالاً عَلَى إِسْلَامِهِ . وكذا وردت في الحُرَاقَةِ ، وفي نسب قريش .

ورقة : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، من قريش ، حكيم جاهل ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتخصر ،
ولقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني .. أدرك ورقة أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ،
وهو ابن عم السيدة خديجة أم المؤمنين .. وفي حديث ابتلاء الوحي بخبر حراء أن النبي ، صلى الله عليه وسلم رجع إلى
خديجة وقرأه يرفح ، فأخبرها ما حدث له ، فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل - وكان شيخاً كبيراً قد غوي -
فقال له خديجة : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره الرسول : صلى
الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ليتي فيها جَدْع (أى : شأناً
صغيراً ، ليكون أمكن لنصره) ليتي أكون حياً إذ يخرجك قومك ! فقال الرسول : لَوْ مُخْرِجِي هُمْ ؟ قال : نعم ، لم
يأت رجل قط بمثل ما جئت به إِلَّا عُرِي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مُرُوَرًا .
وتوفي ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٢ ، والكمال ج ٢ ص ٣١ ،
والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ج ١ ص ٢٣ ،
وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٩٧ - ٢٠٤ باب بدء الوحي ، والمغرب ص ١٧١ ، والمعارف ص ٥٩ ،
والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٠٠ - ٥٠٤ ، وج ٩ ص ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ونسب قريش ص
٢٠٧ ، وخرقانة الأدب ج ٣ ص ٣٨٩ - ٣٩٥] .

(٢) هذا البيت منسوب أيضًا إلى أمية بن أبي الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل .

[انظر الأبيات الثانية التي منها هذه الأبيات الثلاثة في نسب قريش ص ٢٠٨ ، وخرقانة ج ٣ ص ٣٨٩ ، وانظر
المفصل ج ٩ ص ٧٠٣] .

(٣) يُودِي : يهلك وبغنى بالموت .. وفي نسب قريش ، وخرقانة الأدب ، وطبقات ابن سعد : « يَتَقَى إِلَالَهُ » بدل
« إِلَّا إِلَالَهُ » والشرطة الأولى في طبقات ابن سعد : « لَا شَيْءٌ فِيمَا تَرَى إِلَّا بَشَاشَةٌ » قاله عمر بن الخطاب ممثلًا به .

[انظر الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧] .

(٤) هَرْمُز : من ملوك المعجم .. وعَدَ : قوم هود .

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ ^(١) : إِنَّمَا يُحْسِنُ الاختِيَارَ لغيرِهِ مَنْ يُحْسِنُ الاختِيَارَ لِنَفْسِهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِيمَنْ لَا خَيْرَ لَهُ فِي نَفْسِهِ . وَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ ^(٢) : لَنْ يَنْصَحَكَ امْرُؤٌ لَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ وَرَأَيْتُكَ فِي الْمَعْرِفَةِ أَمْثَلُ لِنَفْسِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، لِأَنَّهُ يَخْلُو ^(٤) مِنْ هَوَاكَ . وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : إِنْ شِئْتُمْ لَا تَنْصَحَنَّ لَكُمْ : إِنْ أَحَبَّ عِبَادُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ نَصْحًا .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا لَطَمَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ تُثَبِّتُنِي وَتُعَاقِبُهُ فَلَا تُثَبِّتُنِي وَلَا تُعَاقِبُهُ ^(٥) . وَمِنْ الْخِصَالِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْجِلْمُ ^(٦) .

(١) هو : عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهري بالولاء ، أبو محمد ، تقيه من الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك ، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ ، وجمع بين الفقه والحديث والعبادة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان حافظاً ثقة مجتهداً ، وعُرض عليه القضاء فحبط نفسه ولزم بيته . توفي - رحمه الله - بمصر سنة ١٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

(٢) في د م : : « الحكماء » .

(٣) في د م : : « نفسه » وكلامها صحيح .

(٤) يَخْلُو : خَالٍ .

(٥) في د م : : « إنك تثبتني وتعاقبه ، فلا تثبتني ولا تعاقبه » .

(٦) الجِلْمُ : الأناة وضبط النفس .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْحِلْمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْنَعِ الصَّنُفْعَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(٢) . قَالَ عَلِيٌّ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّنُفْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا عِتَابٍ . وَقِيلَ : الصَّنُفْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا تَوْبِيخٍ فِيهِ وَلَا حِقْدٍ مَعَهُ .. وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : كَاذَ الْحَلِيمِ أَنْ يَكُونَ نِيًّا . وَهُوَ أَنْ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلَا تُكْثِرَ ^(٤) عَلَيَّ فَأَنْسَى . قَالَ : « لَا تُغَضِبْ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحِلْمَ أَشْرَفُ الْأَخْلَاقِ وَأَحَقُّهَا بِذَوِي الْأَلْبَابِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ رَاحَةِ السَّرِّ وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهِ السُّلْطَانُ ، لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِإِقَامَةِ أَوْدِ الْخَلْقِ ^(٥) وَمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا يُطِيفُونَ بِهِ فِي حَالِ سِلْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ بَابَهُ حِينَ تَنَازَعَهُمْ

(١) الآية ٧٥ من سورة هود .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة الحجر .

(٣) في « م » : « وقال علي بن أبي طالب » .

(٤) في « ط » : « ولا يكثر » . وأعشى بن ، أى : أتضع بين في معيشتي . والحديث رواه مالك في الموطأ ، في

كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في الغضب ، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، والترمذي في كتاب البر .

(٥) في « ط » : « الخلائق » .

وَحُصُومَاتِهِمْ وَشُرُورِهِمْ ، وَكَذَّبُوا نُفُوسَهُمْ ، وَضَيَّقُوا خَلْقَهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ جِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ بَوَادِرَهُمْ ^(١) ، وَإِلَّا وَقَعَ تَحْتَ عِبَاءٍ ثَقِيلٍ . وَكَانَ أُنُوشِيرُوَانُ ذَا جِلْمٍ وَأَنَاةٌ ، وَكَانَ يَقُولُ : فِيَّ خَصَلَتَانِ ، لَوْلَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضَوَّيْتُ بِهِمَا ذَرْعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

وَرَوَى أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا ^(٢) لَقِيَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ الْأَشْيَاءِ [فِي الدَّانِيَيْنِ] ^(٤) . قَالَ : غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ : [يَا رُوحَ اللَّهِ] وَمَا يَنْجِيْنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ [تَعَالَى] ؟ قَالَ : تَرْكُ الْغَضَبِ . قَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، كَيْفَ بُدُّوْهُ ^(٥) الْغَضَبِ ؟ قَالَ : التَّعَزُّزُ ، وَالتَّكْوِينُ ، وَالتَّفَحُّرُ عَلَى النَّاسِ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « وَجِبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَرِمَ » .

وَالَّذِي يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ^(٦) فِي هَذَا الْبَابِ قِصَّةُ إِسْحَاقَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : « يَا بُنَيَّ إِلَى أَرَى فِي الْمَتَامِ أَلَيْ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

(١) بَوَادِرُهُمْ : مَا يَثُورُ مِنْهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنْ خَطَا أَوْ سَقَطٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : « فَلَنْ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ » . وَفِي « م » : « بَوَادِرِهِمْ » أَيْ : مَا يَلُوحُ مِنْهُمْ .

(٢) هُوَ : سَيِّدُنَا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَعِنْدَ النَّصَارَى يُسَمَّى « يوحنا المعمدان » لِأَنَّهُ كَانَ يَمْتَدُّ بِالمَاءِ لِلتَّوْبَةِ .. مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا زَكْرِيَّا فِي شَيْخُوخَتِهِ ، وَبِرَغْمِ هَقْمِ زَوْجَتِهِ ، وَخَصَّةِ اللَّهِ بِمَوَاهِبِ عَظِيمَةٍ ، مِنْهَا جِلْدَةُ الذِّكَاةِ وَالْقِطْعَةُ ، وَأَنَّهُ بِصُورَةٍ فِي التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَتَقْوَاهُمْ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ . وَكَانَ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ وَخَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ .. قَتَلَهُ الْمَلِكُ « هِرُودَس » وَقَدَّمَ رَأْسَهُ إِلَى « سَالُومِي » بِنَاءً عَلَى طَلِبِهَا ، وَذَكَرُوا فِي سَبَبِ قَتْلِهِ أَنَّهُ وَقَفَ ضِدَّ رَغْبَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ فِي زَوَاجِهِ بِهَا ، وَكَانَتْ مِنْ مَحَارِمِهِ .. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .

[انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٧٠ - ٤٨٠ ، والمعارف ص ٥٢ ، ٥٣ ، وانظر تفسير الآيات : ٣٨ - ٤٠ من سورة آل عمران ، والآيات من : ١ - ١٥ من سورة مريم ، والآيات ٨٩ ، ٩٠ من سورة الأنبياء] .

(٣) فِي « ط » : « عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) بُدُّوْهُ الْغَضَبِ : أَيْ بَدَأَهُ وَظَهَّرَهُ ، مِنْ بَدَأَ يَبْدُو بُدْءًا ، إِذَا ظَهَرَ . أَمَّا « يَبْدُو » بِكسر الباء وَضَعِ الدَّالِ مَعَ كسر الواو الْمَشْدُودَةِ فَضَى : الْآفَةُ وَالْمَرَضُ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » . وَفِي « ط » : « وَالَّذِي يَجْمَلُ أَنْ يُضْرَبَ » .

مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ .. ثُمَّ إِنَّهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ﴿٢﴾ وَأَمَرَ عَلَى خَلْقِهِ ﴿٣﴾ السَّكِينِ ، فَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَبِشْنَااهُ بِغَلَامٍ خَلِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ .

وَفِي الْأَخْبَارِ يَقُولُ إِبْلِيسُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ : إِنْ الْحَدِيدَ مِنَ الرُّجَالِ لَمْ يَنَاسُ ﴿٥﴾ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ يُخَيِّ الْمَوْتَى بِدَعَائِهِ ، لِأَنَّهُ ثَانِي عَلَيْهِ سَاعَةً يَحْتَدُّ فِيهَا فَيَصِيرُ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ ﴿٦﴾ . وَيُرْوَى أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ﴿٧﴾ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، وَقَدْ اسْتَحْفَظَ الْقَضْبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ إِنَّمَا تَغْضَبُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَلَا ﴿٨﴾ تَغْضَبُ لَهُ بِأَكْثَرٍ مِنْ غَضَبِهِ لِنَفْسِهِ .

وَأَعْلَمُ - أُرَشِدَكَ اللَّهُ - أَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا قِيَمَةَ لَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ ، فَمَا أَنْحَمَهَا وَأَجَلَ قَدَرَهَا وَأَعْظَمَ شَأْنَهَا ! لِأَنَّكَ إِذَا كُنْتَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ إِنَّمَا تَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِ اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَالَّذِي ﴿٩﴾ تَعَالَى قَدْ حَدَدَ حُدُودًا ، وَشَرَعَ شَرَائِعَ ، وَأَقَامَ

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .. وقد اختلف المفسرون في الذبح مَنْ هو ، فقيل : إنه « إسحاق » ، وهذا قول عمر ، وعلي ، والعباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود ، وكعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وعبادة ، ومسروق ، وعكرمة ، والزهري ، والسدي ، ومقاتل ، رضى الله عنهم . وقيل : إنه « إسماعيل » . وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، والشعبي ، ومجاهد ، والكلبي ، واحجوا على ذلك بقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « أَنَا ابْنُ الذَّيْحَيْنِ » يريد إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب ، وأن الذبح كان بمكة ، وإسحاق لم يكن بمكة ، بل كان بالشام ، وإسماعيل هو الذى شارك في بناء البيت مع أبيه ، وهو الذى وصِفَ بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهو صوره على الذبح .. وقد أورد المفسرون حججا أخرى كثيرة على أن الذبح هو إسماعيل دون إسحاق ، وكان الزُّجَّاج يقول : الله أعلم أيهما الذبح . [انظر تفسير الفخر الرازي ، المجلد الثالث عشر ، الجزء السادس والعشرين ص ١٥٢ - ١٥٥] .

(٢) ثَلَاثَ لَيَالٍ : أُنْجِئَهُ عَلَى جَبِينِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

(٣) فِي « م » : « وَأَمَرَ خَلْقَهُ عَلَى السَّكِينِ » .

(٤) الآية ١٠١ من سورة الصافات . وفي « م » و « ط » : « وَبَشَّرْنَاهُ » بالواو . والآية بالفاء .

(٥) فِي « م » : « نَاسٌ » .

(٦) فِي « م » : « فَتَصِيرُ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ » .

(٧) هو : جعفر بن محمد بن الأشعث . من ولادة الرشيد على « غراسان » .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ وغيرها من الصفحات] .

(٨) فِي « ط » : « وَلَا » .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فِي مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَاللَّهُ .. » .

فَرُوضًا وَسُنَّةً ، وَنَهَى عَنْ خُلُودٍ وَرُسُومٍ ، ثُمَّ قَدَّرَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ حَدًّا مَخْدُودًا ، وَنَهَى أَنْ يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ الْحَدَّ ، فَلَا يُقْتَلُ مِنْ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ وَالْحَبْسَ وَالْأَذَبَ وَالْحَدَّ ، وَلَا يُحْبَسُ غَيْرُ مَنْ اسْتَوْجَبَ الْحَبْسَ .

وَكَاتِبَ الْخُلَفَاءِ يُؤَدَّبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ ، فَمَنْ عَثَرَ مِنْ ذَوِي الْمُرَوَّاتِ أُقِيلَتْ عَثْرَتُهُ وَلَمْ يُقَابَلْ بِشَيْءٍ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ » ^(١) . وَمَنْ سِيَّأَهُمْ كَانَ يُقَابَلُ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِ وَهَفْوَتِهِ ، فَكَانَ ^(٢) يُقَامُ قَائِمًا فِي مَجْلِسٍ يَقْعُدُ فِيهِ نَظَرَاؤُهُ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عُقُوبَتُهُ ، وَآخَرُ يُشَقُّ جَبْهُهُ ^(٣) ، وَآخَرُ تُنَزَعُ عِمَامَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَآخَرُ يُكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّتِي فِيهِ بَعْضُ الْغِلْطَةِ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) : كَاتِبَ الْعِمَامَةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِذَا أُحْدِثَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ [بِعَثْرَةٍ] ^(٥) تُزَعَتْ عِمَامَتُهُ ، وَيُطِيفُ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيَقِيلُ : هَذَا أُحْدِثَ بِكُمُورِهِ ^(٦) ، فَلَمَّا وَلَّى زِيَادَ ضَرْبَهُمْ وَنَزَعَ عِمَامَتَهُمْ ، فَلَمَّا وَلَّى مُصَنَّبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ خَلَقَ مَعَ الضَّرْبِ رُيُوسَهُمْ ، فَلَمَّا وَلَّى بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ ^(٧) أَقَامَهُمْ عَلَى الْكُرَاسِيِّ ، ثُمَّ مَدَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَسَرَّهَا بِسِنَامٍ ، ثُمَّ تَرَعَ الْكُرْسِيُّ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَحْرِمَ يَدَهُ ، فَمِنْ مَيِّتٍ وَمِنْ حَيٍّ ^(٨) ، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّاجِ قَالَ : كُلُّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخلود ، باب في الحد يُشْفَعُ فِيهِ ج ٤ ص ١٣١ ط الدار المصرية ، واستثنى لآخره الخلود ، فقال : « أَقِيلُوا ذَوِي الْمِهَاتِ عَوَامِهِمْ إِلَّا الْمُخْلُودَ » .

(٢) ل ٥ م : « وَكَانَ » .

(٣) جيب القميص ولحوه : ما يُلْخَلُّ منه الرأس عند نُبْيِهِ .

(٤) هو : عامر بن شراحيل ، وقد مرَّت ترجمته ، والشَّعْبِيُّ نسبة إلى « شُعْب » جبل باليمن ، وقيل : بطن من عُثْمَانَ .

(٥) ما بين المقنوعين عن « م » .

(٦) أُحْدِثَ بِكُمُورِهِ : أَيِ يَسْقُطُ . وَل ٥ م : « لَنُحْلَ بِكُمُورِهِ » والثَّقَرُ : موضع الخفاقة من فُروج الجِلْدَانِ يَمُا عَلَى دَارِ الْحَرْبِ أَوْ الْقَوْرَةِ .

[انظر اللسان - مادة ثغر] .

(٧) هو : بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ ، كَانَ صَمَحًا جَوَادًا ، وَلَى إِثْرَةَ الْمَرَقِينِ (البصرة والكوفة) لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ٧٤ هـ ، وَهُوَ أَوَّلُ أَمِيرٍ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ . تَوَلَّى سَنَةَ ٧٥ هـ عَنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَتَوَلَّى .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٥٥ ، والمعارف ص ٣٥٥] .

(٨) ل ٥ م : « وَبَيْنَ مَقْتُولٍ » .

هَؤُلَاءِ يَلْعَبُ ، مَنْ أَحَدٌ بِغَرِهِ ، ضَرِبَ عُنُقَهُ ^(١) . وَقَالَ أُرْسِنَا طَالِيسُ : النَّفْسُ الدَّلِيلَةُ لَا
تُجِدُ أَلَمَ الْهَوَانِ ، وَالنَّفْسُ الشَّرِيفَةُ تُؤَثِّرُ فِيهَا ^(٢) مَسِيرُ الْكَلَامِ ، وَفِيهِ قِيلَ :
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَالِ الْجَرْجِ بِمَيِّتٍ إِسْلَامٌ ^(٣)

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَجَاوَزَ فِي الْمُقْوَةِ فَوْقَ مَا حَذَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، شَارَكَ الْمُجْرِمَ فِي
الدُّنْبِ ، وَاسْتَوْجَبَ مَا اسْتَوْجَبَهُ الْمُجْرِمُ مِنَ الْمُقْوَةِ ، وَتَبَيَّنَ فِي الْآخِرَةِ ^(٤) أَنَّهُ إِذَا
يُعَاقَبُ لِلْهَوَى وَالتَّشَنُّقِ ، إِذَا فَمَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى . وَفِي كِتَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ،
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الْقَاهِرُ لِنَفْسِهِ أَشَدُّ مِنْ يَفْتِيحِ الْمَدِينَةِ [وَحَدَهُ] ^(٥) ، وَصَدَّقَ نَبِيُّ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٦) ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَفْتِيحُ الْمَدِينَةَ وَيَقْهَرُ أَهْلَهَا ، وَيَغْلِبُ جُنُودَهَا وَحُمَاتَهَا ،
وَيَقْتُلُ أَبْطَالَهَا ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ شَهْوَتُهُ وَيَقْبَى أُسِيرًا فِي ذَلِّ هَوَاهُ ، قَدْ قَهَرْتُهُ قَيْتَةُ يَطْنُبُورَهَا ^(٧) ،
أَوْ قَدْ حُ خَمِرٍ يَذْهَبُ بِعَقْلِهِ .

وَقَالَ أَكْبَمُ بْنُ صَيْفَى ^(٨) : الصَّبْرُ عَلَى جَرْجِ الْجِلْمِ أَغْذَبَ ^(٩) مِنْ جَنَى لَمْرِ الْقَدَمِ .

(١) في « م » : « مَنْ أُنْقِلَ بِغَرِهِ ضَرِبَتْ عُنُقُهُ » .

(٢) في « م » : « لَهَا » تحريف .

(٣) البيت لأبي الطَّيِّبِ المَتِينِي من قصيدة يمدح فيها أبا الحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ المُرِّي الخراساني ، وكانت بينهما
مودة بطبرية . ومعنى البيت : أن الإنسان إذا كان هيناً في نفسه ، سهل عليه احتيال الهوان ، كالميت الذي لا يتألم
بالجراحة .


[انظر ديوان المَتِينِي ج ٤ ص ٢١٧ للبرقوق ، وشرح ديوان أبي الطَّيِّبِ المَتِينِي لأبي الملاء المَرِي ج ٢ ص ٢٢٢
سلسلة ذخائر العرب . ط دار المعارف] .

(٤) في « م » : « بِالْآخِرَةِ » .

(٥) ما بين المَوْضُوعَيْنِ عَنْ « ط » .

(٦) في « ط » : «  » .

(٧) القَيْتَةُ : الْأُمَةُ ، وَغَلِبَ عَلَى الشُّعْبَةِ . وَالطَّنْبُورُ : آتَةٌ مِنْ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ .

(٨) هو : أَكْبَمُ بْنُ صَيْفَى بْنِ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ خَاشَنِ التَّيْمِيِّ ، حَكِيمُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَحَدُ الْمُعْتَمَرِينَ ،
عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَقَصَدَ الْمَدِينَةَ فِي مَائَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ سَنَةَ ٩ هـ ،
وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ  ، وَأَسْلَمَ مِنْ بَلْغِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ . وَأَعْيَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٦ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، وَالْمَعْرِ ج ١٣٤ ، وَالْمَعَارِف ٢٩٩] .

(٩) في « م » : « أَغْظَمَ » .

وَسَأَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَثِيرًا مِنْ كِبَرَاءِ فَارِسٍ عَنْ أُجُودِ
مُلُوكِهِمْ ^(١) عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ : لِأَرْدَشِيرَ فَضْلُ السَّبَقِ ، غَيْرَ أَنَّ أَحْمَدَهُمْ سِيرَةَ أُنُوشِرْوَانَ .
قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْإِيَّاءُ . فَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
هَمَا تَوَاقُمٌ يَتَّبِعُهُمَا ^(٢) غُلُوُّ الْهَيْمَةِ .

وَمِنْ مَخْمُودِ السَّيِّرَةِ أَنَّ يَعْزِفَ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ لَا تَعْجَلُ بِالثَّوَابِ
وَلَا بِالْعِقَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذْوَمُ لِحُوفِ الْحَايِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي . وَقَالَ مَخْمُودُ
الْوَرَّاقِ ^(٣) :

سَأَلْتُ نَفْسِي الصَّنْعَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَأَنَّ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ ^(٤)
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلُ مُقَابِمْ ^(٥)
فَأَمَّا الَّذِي قَوَّيْتُ فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ	وَأَتَّبِعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَائِمٌ ^(٦)
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنَّ قَالِ صُنْتُ عَنْ	إِجَابَتِهِ نَفْسِي وَإِنَّ لَامَ لَائِمٌ ^(٧)
وَأَمَّا الَّذِي يَطْلِي فَإِنَّ زَلَّ أَوْعَفَا	تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ ^(٨)

(١) هكذا في (م) ، وفي العقد الفريد .. وفي (ط) : « كثيرًا من كبراء فارس : مَنْ أَحْمَدُ مُلُوكِهِمْ ... » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٣ باب الحِلْمِ] .

(٢) في (م) : « يتبعهما » .

(٣) هو : محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكره شعره في المواضع والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا . وتوفى في
خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠ هـ على الأرجح . والأبيات الخمسة في « أدب الدنيا والدين » منسوبة إلى الخليل
ابن أحمد .

[انظر غوات الوفيات ج ٤ ص ٧٩ - ٨١ ، وطبقات الشعراء ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والأعلام ج ٧ ص ١٦٧ ،
وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ - ٨٩ ، وأدب الدنيا والدين ، الفصل الرابع من الباب الخامس ص ٣٠٦ ، والمعصر
النصاسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٤٠٩ - ٤١٣] .

(٤) هكذا البيت في (م) ، و(ط) ، وفي المستطرف ج ١ ص ٤١٨ .. وفي العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٢ وأدب
الدنيا والدين .. والشطرا الثانية من البيت في المرجعين الأخيرين : « وَإِنَّ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَى الْجَرَائِمِ » .

(٥) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٦) في المستطرف وأدب الدنيا والدين : « فَأَعْرِفُ قَلْبَهُ » في الشطرة الأولى .. وفي العقد الفريد : « والحق قائم »
في الشطرة الثانية .

(٧) هكذا البيت في (ط) ، وفي العقد والمستطرف ، ولم يرد في (م) . والبيت في أدب الدنيا والدين :

فَأَمَّا الَّذِي قَوَّيْتُ فَأَعْلَمُ دَائِمًا أَصُونُ بِهِ عِزِّي وَإِنَّ لَامَ لَائِمٌ

(٨) في المستطرف : « إِنَّ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ » .. وفي العقد : « إِنَّ الْفَضْلَ لِلْحَمْدِ لَائِمٌ » .. وفي أدب الدنيا
والدين : « إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمٌ » .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَسْرَعَ النَّاسِ جَوَابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ ..
لَا تُوقَدَنَّ بَيْنَ جَنَّتَيْكَ جَمْرَةَ الْغَضَبِ ، وَارْذُدْ إِسَاءَتَهُ ^(١) بِالْحِلْمِ ، فَإِنَّ شَجَرَ النَّارِ إِذَا
الْحُتَّ عَلَيْهَا الرِّيحُ نَحَاكَتْ أَغْصَانَهَا فَتَشْتَغِلُ نَارًا وَتَحْتَرِقُ مِنْ أَصُولِهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) : ثَلَاثٌ مَنِ اجْتَمَعْنَ فِيهِ فَقَدْ سَعِدَ : مَنْ
إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَإِذَا قَدَّرَ
عَفًّا وَكَفَّ .. وَمِثْلُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ حَدِّ الْحِلْمِ فَقَالَ : وَكَيْفَ يُعْرِفُ فَضْلُ شَيْءٍ
لَمْ يَرِ كَمَالُهُ فِي أَحَدٍ ^(٣) ؟ .

وَقَالَ الْأَخْثَنْفُ [لِإِيَّاهِ] ^(٤) : يَا بَنِيَّ ، إِنْ أُرِدْتَ أَنْ تُؤَاخِي رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ
أُصْلَقَ ^(٥) وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ .. وَكَانَ سَلَمٌ ^(٦) بَيْنَ نُوْفَلٍ سَيِّدِ بَنِي كِنَانَةَ ، فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ
قَوْمِهِ بِسَيْفِهِ ، فَأَخَذَ فَاتَى بِهِ إِلَيْهِ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَلْدَى فَعَلْتَ ؟ أَمَا خَشِيتُ الْإِثْقَامَ ؟
قَالَ : فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ ^(٨) ، إِلَّا أَنْ تُكْظِمَ الْغَيْظَ ، وَتَعْفُوَ عَنِ الْجَانِي ، وَتَحْلَمَ عَنِ الْجَاهِلِ ،
وَتَحْتَمِلَ الْمَكْرُوهَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ ؟ فَحَلَى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ قَاتِلُهُمْ ^(٩) :
يُسَوِّدُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةِ بَلِ السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ سَلَمٌ بَيْنَ نُوْفَلٍ ^(١٠)

(١) في م : : : إساءتك .

(٢) في م : : : رحمة الله عليه .

(٣) قوله : : في أحد ، عن ط .

(٤) ما بين المعرفين عن ط . وساقط من م .

(٥) جواب الشرط محذوف ، تقديره : فأغضبه .

(٦) في م : : : مسلم ، تحريف .

(٧) في العقد الفريد : « فوثب رجل على ابنه وابن أخته فجرحهما ، فأتى به ... » .

[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٦] .

(٨) في العقد : « فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ إِذَا » وسَوَّدْنَاكَ : جعلناك سيئاً .

(٩) في ط : : « فقال قاتلهم شعراً » .

(١٠) في العقد : « بل السَّيِّدُ الصَّبِيرُ » . والصَّبِيرُ : الشريفة الشجاع .

وَقَالَ رَجُلٌ [مِنْ كَلْبٍ] ^(١) لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَّانَةَ ^(٢) : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَأُعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً مَا يُعْطِيهَا الْعَبِيدُ ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ .. وَمِنْ أُنْقَالِ الْعَرَبِ :
أَحْلَمُ تَسُدُّ .. وَيُرْوَى أَنَّ هِشَامًا ^(٣) غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ فَشَتَّمَهُ ، فَوَبَّخَهُ
الرَّجُلُ وَقَالَ ^(٤) : أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تُشْتَمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؟ فَأَطْرَقَ هِشَامٌ
وَاسْتَحْيَا وَقَالَ لَهُ : اقْصِرْ . فَقَالَ : أَنَا إِذَا سَفِيتُ مِثْلَكَ . قَالَ : فَخُذْ بِذَلِكَ ^(٥) عِوَضًا
[مِنْ الْمَالِ] ^(٦) . قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقْعَلَ . قَالَ : فَهَبْهَا لِلَّهِ . قَالَ مَرَى اللَّهِ ثُمَّ لَكَ ..
فَنَكَسَ هِشَامٌ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُعَوِّدُ لِمِثْلِهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ شَرُّوْا حَتَّى يَذِلُّوْا وَإِنْ عَزُّوْا لِأَقْوَامٍ ^(٧)
وَيُشْتَمُّوْا قُصْرَى الْأَلْوَانِ مُسْفِرَةً لاصْفَحْ ذَلَّ وَلَكِنْ صَفَحْ إِكْرَامٍ ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن ط . ط . وكتب : قبيلة معروفة .

[انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ط دار الكتاب المصري - اللبناني ، ومعجم قبائل العرب
لكحالة ج ٣ ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .]

(٢) هو : الحَكَمُ بْنُ عَوَّانَةَ الْكَلْبِيُّ ، كان واليًا على السند ، ثم استخلفه هشام بن عبد الملك على خراسان سنة
١٠٩ هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري (أمير العراق) وكان عالمًا بأيام العرب وأنسابها .
[انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٠٥ ، ١٠٨ ، والبداهة والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٠ ، والكمال لابن الأثير
ج ٤ ص ٢٠٠ ، وإنباء الرواة ج ٢ ص ٣٦١ .]

(٣) هو : الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وقد مر التعريف به .

(٤) في ط : : فقال له .

(٥) هكذا في م . . وفي ط : : فقال : أخذ من ذلك . وسقط الضمير « أنا » قبلها .

(٦) ما بين المعقوفين عن ط . ط . وساقط من م .

(٧) هكذا البيت في ط ، وفي المستطرف .. وفي م : : لم يبلغ . وزاد الناسخ ألقا في « الأقوام » سهواً
منه . والشرطة الأولى من البيت في العقد الفريد وأدب الدنيا والدين :

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ كَرُّوْا .

[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١٩ ، والعقد ج ٢ ص ٣٨ ، وفي المصدر الأخير « لا » بدل « لن » .. وأدب الدنيا
والدين ص ٣٠٤ .]

(٨) هكذا البيت في م ، و ط ، والمستطرف .. ومُشْتَمِرَةٌ : مُشْرِقة . وفي العقد الفريد :

وَيُشْتَمُّوْا قُصْرَى الْأَلْوَانِ كَاسِفَةً لِأَذَلِّ عَجْزٍ وَلَكِنْ ذَلَّ أَخْلَامُ

وفي أدب الدنيا والدين : « صَفَحَ أَخْلَامُ » .. وكاسفة : متفجرة .

وَقَالَ آخَرُ :

وَجَهْلُ رَدَدَنَاهُ بِفَضْلِ حُلُومِنَا وَلَوْ أَتْنَا شَيْئًا رَدَدَنَاهُ بِالْجَهْلِ ^(١)
رَجَحْنَا وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومُ كَثِيرَةٍ وَعُدْنَا عَلَى أَهْلِ السَّفَاهَةِ بِالْفَضْلِ

وَقَالَ هِشَامُ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ^(٢) : صِيفٌ لِي الْأَخْفَافُ بْنُ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ عَنْهُ بِثَلَاثٍ ^(٣) ، وَإِنْ شِئْتَ بِأَثْنَتَيْنِ ، وَإِنْ شِئْتَ بِوَاحِدَةٍ .
فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْهُ بِثَلَاثٍ . قَالَ : كَانَ لَا يَحْرُصُ ، وَلَا يَجْهَلُ ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقَّ إِذَا
تَوَلَّى بِهِ ^(٤) . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِأَثْنَتَيْنِ . قَالَ : كَانَ يُؤَيِّرُ الْخَيْرَ ، وَيَتَوَقَّى الشَّرَّ ^(٥) .
قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِوَاحِدَةٍ . قَالَ : كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ ^(٦) . وَقَالَ أُنْكَمُ
ابْنُ صَيْفِي : الْعَلَبَةُ وَالْعَزُّ لِلْحِلْمِ .

وَقَالَ الْأَخْفَافُ [بْنُ قَيْسٍ] ^(٧) : وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرَّجَالِ .. وَصَدَقَ
الْأَخْفَافُ ، فَإِنَّ مَنْ حَلِمَ كَانَ النَّاسُ أَنْصَارَهُ . كَمَا رُويَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَرْفَ فِي شَيْءٍ بَعْضِ
الْأَذْيَاءِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَحَمَى لَهُ ^(٨) بَعْضُ الْمَنَانِ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ،

(١) الحُلُومُ : العقول ، جمع حِلْمٍ ، وهو تقيض السَّقْوِ .

(٢) هو : خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي الجثفري ، من فصحاء العرب المشهورين ، كان
يحالِسُ عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله مهمما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أبسر أهلها مالا ،
وعاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العبّاسي ، وحظي عنده . وكان أقدر الناس على مدح الشيء وذمّه .. توفي نحو سنة
١٣٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١ ، ١٢ في ترجمة أبي بردة الأشعري ، والمعارف ص
٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ومنهاج اليقين ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ وصفحات متفرقة] .

(٣) أى : بثلاث خلايل أو صفات أو مزاي .

[وانظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧] .

(٤) في المرجع السابق : « كان لا يجهل ولا يخفى ولا يخل » .

(٥) في العقد : « كان مَوْقَى الشَّرِّ ، مُلْقَى الْخَيْرِ » .

(٦) في المرجع السابق : « كان أقوى الناس على نفسه » .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٨) أى : منّته ودفع عنه .

أَلَا تُتَصَبَّرُ لَكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : وَلِمَ ؟ ^(١) قَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْجِلْمَ أَتَصَبَّرُ لِي مِنَ الرِّجَالِ ، وَهَلْ حَامَيْتَ فِيَّ إِلَّا لِجِلْمِي ؟ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِي : وَاللَّهِ لَا تُفَرِّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ : الْآنَ وَقَعْتَ فِي الشُّغْلِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ رَجُلًا يَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ اسْتِضَافَ قَوْمًا ^(٢) فَأَضَافُوهُ ، وَلَهُمْ كَلْبَةٌ تَنْبُحُ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَتُبْحُ ^(٣) ضَيْفَ أَهْلِ اللَّيْلَةِ ، فَعَوَى جَرَاؤُهَا ^(٤) فِي بَطْنِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيًّا لَهُمْ ، أَوْ قَلِيلًا مِنْ أَقْبَالِهِمْ ^(٥) ، فَقَالَ : مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَةٍ تَكُونُ بَعْدَكُمْ ، يَظْهَرُ سَفَهَاؤُهَا عَلَى حُلَمَائِهَا .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : إِيَّاكُمْ وَرَأَى الْأَوْغَادِ . قَالُوا : وَمَا رَأَى الْأَوْغَادِ ^(٦) ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَرَوْنَ الصَّنْعَ وَالْعَفْوَ عَارًا .. وَسُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الْجِلْمِ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِي تُصَبِّرُ عَلَيْهِ ^(٧) ، وَأَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي صَبُورٌ . وَيُرْوَى أَنَّ الْمُهْلَبَ نَارَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَرَاتِي ^(٨) عَلَى الْمُهْلَبِ ، وَالْمُهْلَبُ سَاكِتٌ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا سَبَّيْتُ ^(٩) اسْتَحْيَيْتُ مِنْ سُخْفِ السَّبَابِ وَغَلْبَةِ اللَّعَامِ وَالسُّفْلَةِ ، وَكَانَ إِذَا سَبَّيْتُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ ، وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ ^(١٠) بِأَنْ ظَلِمَ بِفَضْلِ الْقَحَّةِ ^(١١) ، وَتَبَيَّدَ الْمُرُوءَةُ ، وَخَلَجَ رِيقَةُ الْحَيَاءِ ^(١٢) ، وَقَوْلُهُ الْاِخْتِرَاتِ بِسُوءِ النِّتَاءِ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أَلَا تُتَصَبَّرُ لَكَ » . وسقطت أداة الاستفهام « وَلِمَ » منها .

(٢) استضاف قوماً : سألهم الضيافة .

(٣) في « م » : « فَنَبَحَ عَلَيَّ » وكلامها صواب .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « جَرَاؤُهَا » .

(٥) القَيْلُ : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . وقد مرَّ .

(٦) قوله : « قَالُوا » وما رأى الأوغاد « عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « هو الذَّلُّ تصير عليه » . وفي العقد الفريد : « هو الذَّلُّ ، أَتَصَبَّرُ عَلَيْهِ ؟ » قاله الأخنف لرجل طلب منه أن يعلمه الجِلْمَ .

(٨) أَرَاتِي : زادت .

(٩) في « م » : « سَبَّيْتُ » تعريف .

(١٠) أي : ارتفعت كثيراً وعظمت . وفي « م » : « سمعت » أي : لانت وسهلت . والأول أوجه .

(١١) القَحَّةُ : الجفاء ولؤم الطبع . وفي « م » : « يَنْهَلُ القَحَّةُ » .

(١٢) الرِّيقَةُ في الأصل : غُرُورَةٌ في خَيْلٍ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ لَوْ يَدُهَا تُمَسِّكُهَا . والمراد هنا أنه تجاوز حدود اللياقة والأدب .

وَمَرَّ الْمَسِيحُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالُوا لَهُ شَرًّا ، وَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا ، فَقِيلَ لَهُ ^(٢) : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ يَتَقَفُّ مِنَّا عِنْدَهُ .. وَقَالَ أَكُنْتُمْ بَنِي صَيْفِي : مَنْ حَلَمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ ، وَكَفَّرَ النِّعْمَةَ لَوْمْ ، وَصَحْبَةُ الْجَاهِلِ شَوْمْ ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ غُنَمٌ ، وَالْمُبَاشَرَةُ يُنَمُّ ^(٣) وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ الشُّعْبِيَّ بِقَبَائِحَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الشُّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَعَفَرَ اللَّهُ لِي . وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا سَبْتَكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَعَكَ - وَاللَّهِ - يَدْخُلُ لَامِعِي .. وَقَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْنَفِ [بَنِي قَيْسٍ] ^(٤) : إِنْ قُلْتَ لِي كَلِمَةً ^(٥) لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا ^(٦) . فَقَالَ لَهُ الْأَخْنَفُ : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ [لِي] عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً ^(٧) .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ الْأَخْنَفَ وَهُوَ يُعَاشِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَقَفَ الْأَخْنَفُ وَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ كَانَ بَقِيَ مَعَكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ هَاهُنَا ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَمِعَكَ فَيَتَيَّانَ الْحَيُّ أَنَّ يُؤْذَوْكَ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : لَسْتُ ^(٨) أَذْخُلُ فِي حَرْبِ الْعَالِبِ فِيهِ ^(٩) شَرٌّ مِنَ الْمَقْلُوبِ . وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ ^(١٠) :

(١) ما بين المقوفين عن ط .

(٢) له ، عن ط .

(٣) مُبَاشَرَةُ الْأَمْرِ : أَنْ تُخَضِّرَهُ وَتُلْقِيَهُ بِنَفْسِكَ . وَالْيَمْنُ : الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ .

(٤) ما بين المقوفين عن ط .

(٥) هكذا في م . .. وفي ط : : إِنْ قُلْتَ كَلِمَةً .

(٦) هكذا في ط . .. وفي م : : لَأَقُولَنَّ لَكَ عَشْرًا .

(٧) ما بين المقوفين عن م . . وقوله : : لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً كَرَّرَهَا النَّاسُ سَهْوًا .

(٨) في م : : مَا كُنْتُ .

(٩) فيه : أَيْ فِي الْقِتَالِ . فَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ ، كَأَمْرِ هَذَا .

(١٠) في ط : : وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ شَيْعَرًا وَالْأَخْيَرَةُ وَرَدَتْ بِدُونِ أَلْفٍ ، خَطَأً . وَلَقِيْطُ هُوَ : لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغُلَامِيُّ ، مِنْ تَمِيمٍ ، فَارِسٌ ، وَشَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ ، وَكُنْيَتُهُ « أَبُو دُخَشَوَس » ، وَهُوَ بَنُوهُ .

وَلَا عَقِبَ لَهُ غَيْرُهَا ، وَيُقَالُ لَهُ : أَبُو نَهْشَلٍ ، قِيلَ يَوْمَ « شَيْبِ جَبَلَةٍ » فِي نَجْدٍ ، قَالَ يَأْقُوتُ : وَهُوَ يَوْمٌ بَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي حَامِرٍ مِنْ صَعْصَعَةٍ ، مِنْ أَكْظَمِ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشَدِّهَا ، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهِ لِبَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ لَقِيْطُ رَئِيسَ تَمِيمٍ فِيهِ ، فَقَتَلَهُ عِمَارَةُ الْوَهَابِ الْمِصْبِيُّ ، وَقِيلَ : قَتَلَهُ شَرِيحُ بْنُ الْأَحْوَسِ سَنَةَ ٥٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

فَقُلْ لِّبَنِي سَعْدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ تُرْقُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْيَتْ^(١)
أَغْرَكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنَ مِثْمَةٍ بِصِيرٍ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَحْدَقُ^(٢)
وَأَنْتَ قَدْ سَابَيْتَنِي فَقَهَرْتَنِي هَيِّئًا مَرِيفًا أَنْتَ بِالْفَحْشِ أَحْدَقُ^(٣)

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ذَرٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنْتَ الَّذِي تَفَاكُ مُعَاوِيَةَ مِنَ الشَّامِ ؟ وَاللَّهِ^(٤) لَوْ
كَانَ فِيكَ خَيْرٌ^(٥) مَا تَفَاكَ . فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنْ وَرَأَيْتَ عَقَبَةَ كَثُودًا^(٦) ، إِنْ نَجَوْتُ
مِنْهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ لَمْ أَنْجُ مِنْهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا قُلْتَ .. وَقَالَ لِقَمَّانَ لِإِيبِي :
يَا بَنِي ، ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةٍ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ،
وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَلَا الْخَوَكُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .. وَمَسَّبَ رَجُلٌ بَعْضَ
الْحُلَمَاءِ^(٧) فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ أَغْنَى . فَقَالَ الْحَلِيمُ^(٨) : وَعَنْكَ أَغْرَضَ . وَفِي
هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ جَلِيٍّ أَصَمُّ وَأَذْنِي غَيْرُ صَمَاءَ^(٩)

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٤ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٠٤ ،
وج ٣ ص ٣٤٧ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٩١٧ - ٣٩٤٩] .

(١) تُرْقُونَ مِنِّي : تَهْلِكُونَ مِنِّي رَقِيْقًا ، أَيْ مَلُوكًا .
(٢) أَحْدَقُ : شَمِعَ بِصِيرٍ ، تَحْرِيفٌ . وَالشَّيْمَةُ : الْخُلُقُ . وَأَحْدَقُ : أَكْثَرُ إِحَاطَةً . وَفِي « ط » ، وَأَدَبَ الدُّنْيَا
وَالدِّينَ : « أَخْرَقَ » ، أَيْ : أَجْهَلَ .

(٣) فِي « م » : « مِنْهَا » بَدَلُ « مَرِيفًا » . وَهُوَ مُصَدَّرٌ ، وَفِي اللِّسَانِ : هُنَا وَمُنَا : أَيْ ذَكَرَهُ الْمُهَاجِرُ وَالْأُمَايُّ .
وَالْمُرَادُ بِهِ مَا يَعْزِزُ لِلْإِتْمَانِ مِنْ أَحَادِيثِ النَّفْسِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ : « وَإِنْ
أَنْتَ قَدْ فَاحَشَيْتَنِي فَقَهَرْتَنِي » .

[انظر المرجع السابق ص ٣٠٥] .

(٤) لَفْظُ الْقَسَمِ عَنْ « م » ، وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(٥) فِي « م » : « غَيْرًا » بِالنَّصْبِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ ، اسْمٌ لَكَانَ .

(٦) كَثُودًا : شَدِيدَةٌ صَعْبَةٌ . وَقَدْ وَرَدَتْ فِي « م » بِالرَّفْعِ . لَا تَصَحُّحٌ .

(٧) فِي « ط » : « الْحُكَمَاءُ » .

(٨) فِي « ط » : « الْحَكِيمُ » .

(٩) جَلِيٍّ أَصَمُّ : وَاسِعٌ لَا يَتَرَعَّزُ . وَالْبَيْتُ فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ، فِي بَابِ الْجَلَمِ وَالْغَضَبِ ج ٣ ص ٢٨٤ ، وَفِي
أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ص ٣٠٧ ، وَهُوَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ لِقَاتِلِهِ .

وَقِيلَ يَوْمًا لِلْأَخْفِيفِ : مَا أَحْلَمَكَ ! فَقَالَ : لَسْتُ بِحَلِيمٍ ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ ^(١) ، وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَأَجِمْ ^(٢) لَهَا ثَلَاثًا ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْ جَوَابِهَا إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ
مَا هُوَ شَرُّ مِنْهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْجَلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا كَانَ عِنْدَ السَّخِطِ لَا يَتَحَلَّمُ ^(٣)
كَمَا لَا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَا يَتَحَسَّمُ ^(٤)

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ جَعْفَرَ ^(٥) بْنَ مُحَمَّدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَمَا مَا قُلْتَ مِمَّا
هُوَ فِينَا فَإِنَّا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ ، وَمَا قُلْتَ مِمَّا لَيْسَ فِينَا فَإِنَّا نَكِلُكَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .. وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا الْعُضْبَ ، قَرَّبَ غَضَبِ اسْتَحْقَ الْغَضْبَانِ بِهِ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى ..
وَقَالَ أَكْثَرُ بَنِي صَيْفَى : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ حَلِيمًا حَتَّى يَقُولَ السُّفِيَّةُ إِنَّهُ لَضَعِيفٌ مُسْتَذِلٌّ ،
وَلَا يَكُونُ مُخْلِصًا حَتَّى يَقُولَ الْأَخْمَقُ : إِنَّهُ لَمُفْسِدٌ .. وَمِنْ أَشْعَرِ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْجَلْمِ قَوْلُ
كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ^(٦) :

(١) اتَّحَالَمَ : اْتَظَاهَر بِالْجَلْمِ .

(٢) فَأَجِمْ : أَسْكُثْ عَلَى غَيْظٍ .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. والشطر الثاني في العقد الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ السَّخِطِ لَمْ يَتَحَلَّمِ » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤١] .

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » . ويحشم ، بالحاء المهلهلة ، أَيْ : يَتَّقَاهُ وَيَتَجَنَّبُهُ . والشطر الثاني في العقد
الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَمْ يَتَحَسَّمِ » ويحشم ، بالهميم للمجمة : يَتَحَلَّمُ .
(٥) في « م » : « الْأَخْفِيفُ » خطأ .

(٦) هو : كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ الْمَازِنِيُّ ، أَبُو الْمُضَرَّبِ ، أَحَدُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ،
وَكَانَ مِنْ أَشْهُرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ هَجَا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَظَلَّ يَشْبِهُ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَأَهْدَرَ النَّبِيُّ دِمَهُ ، فَجَاءَهُ مُسْتَأْمِنًا ، وَقَدْ أَسْلَمَ ، وَأَنْشَدَهُ لَامِيَةً لِلْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا : « بَانَتْ سَعَادٌ » فَعَفَا عَنْهُ
النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ بُرْدَتَهُ . وَأَسْرَنَتْ عَرِيْقَةً فِي الشَّعْرِ ، فَأَبْهَوَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَأَعْوَهُ بُجَيْرٌ ،
وَابْنَةُ عَقِيَّةٍ ، وَحَفِيدَةُ الْوُثَامِ ، كُلُّهُمْ شُعْرَاءُ . تَوَلَّى كَعْبٌ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ٢٦ هـ تَقْرِيْبًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٦ ، والأغاني ج ١٨
ص ٦٣٥٨ - ٦٣٧١ ، والمعجم لأبن رَشِيق ج ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، وأسد الغابة ج ٤٧٥ - ٤٧٧ ، وانظر مقدمة
ديوانه الذي حققه الأستاذ علي قاصود ص ٦٠] .

إِذَا أَتَيْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ ^(١)
وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَحْلَمُ مِنْ فَرَجِ طَائِرٍ ^(٢) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْعَضْبُ ^(٣)
عَدُوُّ الْعَقْلِ ، وَلِلذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ . وَقَالَ صَعَصَعَةُ بْنُ
صُوحَانَ : الْعَضْبُ مِقْدَحَةُ الْعَقْلِ ، فَرُبَّمَا أَصْلَدَ وَرُبَّمَا أُرْتَدَّ ^(٤) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِذَا جَاءَ
الْعَضْبُ تَسَلَّطَ الْعَطْبُ ^(٥) وَكَانَ ابْنُ عَرُونَ ^(٦) إِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ :
سُبْحَانَ اللَّهِ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : دَفَعَ أُرْدَشِيرُ ^(٧) إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَقُومُ
عَلَى رَأْسِهِ كِتَابًا ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَنِي اشْتَدَّ غَضَبِي فَأَذْفَعُهُ إِلَيْ ، فَكَانَ فِيهِ : أُسْكُنْ
فَلَسْتُ بِإِلَهٍ ، إِنَّمَا أَنتَ بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُكَ بَعْضًا ، وَتَصِيرَ عَنْ قَرِيبٍ لِللُّثُودِ
وَالْتَرَابِ . وَهَذِهِ السِّيرَةُ أَوَّلُ مَنْ سَنَهَا مَلِكٌ ثُبَيْعٌ ، أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي كِتَابٍ ، أُسْكُنْ
فَلَسْتُ بِإِلَهٍ ، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : إِذَا غَضِبْتُ فَأَعْرِضْنِي عَلَى ، فَكَانَ إِذَا غَضِبَ عَرَضَهُ
عَلَيْهِ ، فَإِذَا قَرَأَهُ سَكَنَ غَضَبُهُ .

(١) هكذا البيت في «م» و«ط» والمستطرف .. وفي الديوان : «لَمْ تُقَصِّرْ» بدل «لَمْ تُعْرِضْ» .. وتقصير عن
الجهل : تكف عن .. والحنا : الفحش في القول وغيره .

[انظر الديوان ص ٨٠ ، والمستطرف ج ١ ص ٤١٩] .

(٢) قيل : ضُرب به المثل في الجلم لأنه يخرج من بيضة في أرفع مواضع في الجبل ، ولا يتحول من مكانه حتى
يتوفر ريشه ويقوى على الطيران .

[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩] .

(٣) في «ط» : «إِنَّ الْعَضْبَ» .

(٤) المِقْدَحَةُ : حديدة الزُّنْدِ يُقَدَّحُ بها لإشعال النار .. فربما أصلد : صَوَّتْ ولم يُور .. وربما أُرْتَدَّ : قدح .

(٥) العطب : الملاك والفساد .

(٦) في «ط» : «ابن حوان» خطأ .

وهو : عبد الله بن عون بن أَرْطِقَانَ ، المُرَنْجِيُّ بالولاء ، شيخ أهل البصرة ، كان إماماً في العلم ، ورأساً في العبادة ،
ومن حفاظ الحديث الثقات ، وأعلم أهل العراق بالسنَّة ، وكان يمزو ويركب الخيل ، أخذ عنه الثوري ، ويحيى
القطان ، وغيرها .. قال عنه ابن المبارك : ما رأيت أفضل من ابن عون . توفي رحمه الله في رجب سنة ١٥١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، والمعارف ص ٤٨٧ ، ٤٨٨] .

(٧) في «م» : «أُرْدَشِير» .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ، فَإِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ ، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَى ^(١) ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجِزَ .. وَفِي الْحِكْمَةِ مَكْتُوبٌ : [مَنْ أَطَاعَ الْوَاسِيَّ ضَيَّعَ الصِّدْقَ وَ] ^(٢) مَنْ أَطَاعَ الْغَضَبَ حُرِمَ السَّلَامَةُ ، وَمَنْ عَصَى الْحَقَّ غَمَرَهُ الدُّلُّ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : كَظَمُ الْغَيْظِ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، وَالتَّشَفُّي ضَرْبٌ مِنَ الْجَزَعِ . وَقَالَ آخَرُ : أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٤) : إِذَا غَلَبَ عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعُ حِصَالٍ فَقَدْ عَطِبَ : الرُّغْبَةُ ، وَالرُّهْبَةُ ، وَالشَّهْوَةُ ، وَالْغَضَبُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ : إِنَّ فَلَانًا يَمُتُّ فِيكَ ، فَقَالَ : لَا غِيظَنَ مِنْ أَمْرِهِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَهُ ، قِيلَ لَهُ : وَمَنْ أَمْرُهُ ، قَالَ : الشَّيْطَانُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ : إِنِّي مَرَرْتُ بِفُلَانٍ وَهُوَ يَمُتُّ فِيكَ ^(٥) وَتَذَكَّرْتُكَ بِأَشْيَاءَ رَاحِمَتِكَ مِنْهَا : قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ ^(٦) : فَإِيَّاهُ فَارْحَمْ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : ثَلَاثَةٌ لَا يَلَامُونَ عَلَى الْغَضَبِ : الْمَرِيضُ ، وَالصَّائِمُ ، وَالْمُسَافِرُ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِي ^(٧) .. إِنِّي لَجَالِسٌ ^(٨)

(١) اسْتَغْفَى : طَلَبَ التَّقْوَى ، أَوْ طَلَبَ مِنْ مُكَلِّفِهِ أَنْ يُسْقِطَ عَنْهُ تَكْلِفَهُ ، إِذَا أَسَاءَ فِيمَا كُتِّفَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْذُوفِينَ مِنْ «م» وَاسْقَطَ مِنْ «ط» .

(٣) فِي «م» : «الْحُكَمَاءُ» .

(٤) فِي «م» : «الْحُكَمَاءُ» .

(٥) يَمُتُّ فِيكَ : يَسْتَبْكُ وَيَضْحَكُ .

(٦) الْفِعْلُ «قَالَ» مِنْ «م» وَلَمْ يَرِدْ فِي «ط» .

(٧) هُوَ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بْنِ سَيَانَ الْيَنْقَرِيُّ السَّعْدِيُّ التَّحِمِيُّ ، أَبُو عَلِيٍّ ، أَحَدُ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ وَعُقَلَاءُهَا الْمَوْصُوفِينَ بِالْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا اشْتَبَرَ وَسَادَةً فِي الْمَجَاهِلَةِ ، وَهُوَ يَمُنُّ حَرَمَ الْخَمْرِ عَلَى نَفْسِهِ فِيهَا . وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي وَفْدِ تَمِيمِ سَنَةِ ٩ هـ فَأَسْلَمَ ، وَقَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَاهُ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الزَّوْبَرِ ، وَاسْتَمْلَعَهُ عَلَى صِدَقَاتِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ ٣٣ وَلَدًا . نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي أَوَّلِ خَرَابِهَا وَمَلِكٌ بِهَا سَنَةَ ٢٠ هـ . [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ ، وَالْمُهَرِّجُ ١٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وَانظر

جُمُالُ تَعْلِيْقِ ج ١ ص ٢٩ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٣٠١] .

(٨) فِي «ط» : «إِنِّي جَالِسٌ» .

مَعَهُ فِي فِتْنَةٍ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا إِذْ جَاءَتْ (١) جَمَاعَةٌ يَحْمِلُونَ قَتِيلًا ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مَأْسُورٌ ،
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُكَ قَتَلَهُ أَهْلُكَ (٢) فَوَاللَّهِ مَا قَطَعَ حَدِيثَهُ وَلَا حَلَّ حَبْوَتِهِ (٣) حَتَّى قَرَعَ مِنْ
مَنْطِقِهِ (٤) ثُمَّ انْتَبَهَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ ثَانِيًا وَتَعَزِيَةً إِخْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ (٥)
كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أُخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي (٦)
ثُمَّ التَفَتَ (٧) إِلَى بَعْضِ وَلَدِهِ فَقَالَ : قُمْ فَأَطْلِقْ عَمَّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَسُقْ إِلَى أُمِّهِ
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَإِنَّهَا غَرِيبةٌ .

وَمِنْ أَتْبَلِ يَتَبَقَّ قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلٌ بَعْضُهُمْ :
فُصِّحَ بِالْخَيْرِ خُرْسَ بِالْحَنَّا رُجِحَ الْأَحْلَامُ ذَيْبَالُ الْأُرْزُ (٨)
وَقَالَ : آخِرُ (٩) :

بِأَحْلَامٍ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسَتَهُمْ إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءُ عَرَبُ لِسَانٍ (١٠)

(١) في « ط » : « جَاءَتْ » .

(٢) هكذا في « م » و « ط » ، والمستطرف .. وفي رواية أخرى : « قيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك » .
[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وحيون الأخبار ص ٢٨٦] .

(٣) الحَبْوَةُ : الاحْتِباءُ ، وهو الجلوس على التَّيِّهَةِ وَضَمَّ فَيَحْدِيهِ وَسَاقِيهِ إِلَى بَطْنِهِ بِذِرَاعِهِ لِيَسْتَقِدَّ . « مثاقفة الخاء » .

(٤) في حيون الأخبار ، والعقد الفريد - باختلاف يسير في لفظه : « حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى
ابن له في المجلس ، فقال له : قُمْ فَأَطْلِقْ عَن ابْنِ عَمِّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَاحِلْ إِلَى أُمِّهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَإِنَّهَا غَرِيبةٌ ، ثُمَّ
أَنشَأَ يَقُولُ ... » وذكر أحياناً أربعة ، ليس من بينها هذان البيتان . وقد وردا في المستطرف ج ١ ص ٤٠٦ .

(٥) في المستطرف : « أقول للنفس تصبراً » .

(٦) خَلَفَ : عَوَضَ .

(٧) في « م » : « انْطَلَقَ » .

(٨) فُصِّحَ : جمع فصيح ، كقضب وقضب .. رُجِحَ الْأَحْلَامُ : حقولهم ناضجة مكتملة .. ذَيْبَالُ : طويل الذيل .
وَالْأُرْزُ : جمع لُزَارٍ . وَذَيْبَالُ الْأُرْزِ : كتابة عن الفتي .

(٩) في « ط » : « وقال غيره » .

(١٠) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل .. وقد ورد في كتاب الأمالي ، لأبي علي القالي : « أَحْلَامُ
عَادٍ ، بَدُونِ الْبَاءِ ، وَبِهَذِهِ الرِّوَايَةِ يَكُونُ قَدْ دَخَلَ الْحَرَمُ ، وَهُوَ حَذَفُ الْفَاءِ مِنْ « فَعُولِن » .. وَالْأَحْلَامُ
الْأَجْسَامُ ، وَأَضَافَهَا إِلَى عَادَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ضَخْلَمَ الْأَجْسَامِ .. وَالْعَوْرَاءُ : المعالي الغامضة المبهمة .. عَرَبُ لِسَانٍ : لسان
عربي فصيح . وَفِي الْأَمَالِي : « عَرَبُ لِسَانٍ » أَيْ : فِي لِسَانِهِ حِجَّةٌ ، وَالْأَوَّلُ لَوَجْهٌ .

إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخْشَ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا آدَوُا بِحُسْنِ بَيَانٍ ^(١)

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمٌ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةٌ مَنْ لَمْ يَرُدِّ الْقَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةٌ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ تَعَالَى ؟ وَقِيلَ لِلْمُسْكَنْدَرِ : إِنْ فُلَانًا وَفُلَانًا يَنْتَقِصَانِكَ وَيُثْلِبَانِكَ ^(٢) فَلَوْ عَاقَبْتُهُمَا . فَقَالَ : هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْدُوٌّ فِي ثَلَاثِي وَتَنْقِصِي . وَيُرَوَّى أَنَّ جَرِيرَ بْنَ عَنيدِ اللَّهِ ^(٣) بَيْنَمَا هُوَ رَاكِبٌ قَدْ أُرْدَفَ ابْنُهُ ^(٤) إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مِنْهُ ، وَجَرِيرٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ [لَه] ^(٥) ابْنُهُ :

يَا أَبَتِ ، لِمَ سَكَتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَا بَنِي ، أَفَأَوْسَعُ جُرْحِي ؟ ! وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٦) : مَتَى أَشْفَى غَيْظِي ؟ أَحِينَ أَقْدِرُ فَيَقَالَ : لَوْ عَفَوْتُ ؟ أَمْ حِينَ أَعْجَلُ فَيَقَالَ : لَوْ صَبِرْتُ ؟ وَسُئِلَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَخْتَفِ : أَكَانَ الْأَخْتَفُ يَغْضَبُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، لَوْ لَمْ يَغْضَبْ مَا بَانَ جِلْمُهُ ، كَانَ يَغْضِبُهُ الشَّيْءُ يَبِينُ فِي وَجْهِهِ الْوُثْمَانُ وَالثَّلَاثَةُ وَهُوَ يَصْبِرُ وَيَحْلُمُ ^(٧) . وَمَنْ لَمْ يَغْضَبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَمِثُلُهَا يَغْضَبُ فَقَدْ فَقَدَ مِنَ الْفَضَائِلِ الشُّجَاعَةَ وَالْأَنَفَةَ ، وَالْجَمِيَّةَ وَالِدِّفَاعَ ، وَالْأَخْذَ بِالثَّأْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تَنْتَاجُ

(١) في الأمال : « لَمْ تُخْشَ » . ول « م » : « أَوْدَى » بدل « آدَوَا » لا تصح .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٨ ط دار الجليل] .

(٢) يَثْلِبَانِكَ : يعبثانك .. وبعدها في « م » و « ط » : « فلو عاقبتهم » . فقال : هم

(٣) هو : جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، أبو عمرو ، أسلم في السنة التي توفى فيها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الصورة ، قال عنه عمر بن الخطاب : « جرير » يوسف هذه الأمة ، لحسنه . وهو سيد قومه ، أمره عمر بن الخطاب على « بجملة » .. وأقام جرير بالكوفة ، واعتزل « عليا » و « معاوية » . وتوفى بقرقيسيا . وقيل : بالسرقة سنة ٥١ أو ٥٤ هـ .

[انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، والمعارف ص ٢٩٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٣ ،

١٤٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٥ ، ١١٦ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٠٢] .

(٤) أي : أَرْكَبُهُ خلفه .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « م » : « الْحُلَمَاءُ » باللام ، وقد ورد هذا القول في « عيون الأخبار » على لسان عمر بن عبد العزيز .

[انظر المرجع السابق ص ٢٩٠] .

(٧) ويَحْلُمُ « عن « ط » ولم ترد في « م » .

الْعَضْبُ ، وَمَنْ ^(١) فَقَدْ الْعَضْبَ فَقَدْ أَصَّ الْفَضَائِلَ - عَلَى مَا سَنَذَكُرُ فِي بَابِ الشَّجَاعَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَعِنْدَ فَقْدِ الشَّجَاعَةِ تَكُونُ الْمَهَانَةُ ، وَمِنْ الْمَهَانَةِ يَكُونُ ^(٢) سَفْسَافُ الْأَخْلَاقِ ، وَزْدَالَةُ الطَّبَاعِ ، فَلَا ^(٣) يَبْقَى لِسَائِرِ فَضَائِلِهِ مَوْقِعٌ . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَعْضُبْ فَلَيْسَ بِحَلِيمٍ ، لِأَنَّ الْحَلِيمَ إِذَا يُعْرِفُ عِنْدَ الْعَضْبِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) الْجَاهِلُ حَصَنٌ ، وَالْحَلِيمُ حَاكِمٌ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : مَنْ اسْتَعْضِبَ فَلَمْ يَعْضُبْ فَهُوَ جِمَارٌ ، وَمَنْ اسْتَرْضَى فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ جَبَّارٌ . وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٥) يَعْضُبُ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ يَعْضُبُ ^(٦) لَا لِنَفْسِهِ ، بَلْ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ رَبِّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَامَدَحَ مَنْ لَا يَعْضُبُ وَإِنَّمَا مَدَحَ مَنْ كَظَمَ الْغَيْظَ ، فَقَالَ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ ^(٧) .

وَأُنْشِدَ ^(٨) النَّابِغَةُ الْجَعْفِدِيُّ ^(٩) بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١٠) :

(١) في م : : : فَنَنْ .

(٢) في م : : : تَكُونُ . : : : وَالسَّفْسَافُ : الرَّدِيءُ الْخَفِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَمَلٌ .

(٣) في م : : : وَلَا .

(٤) في م : : : وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يَقُولُ .

(٥) في ط : : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) في م : : : يَعْضُبُ اللَّهُ .

(٧) سورة آل عمران - من الآية ١٣٤ .

(٨) في ط : : : وَقَدْ أُنْشِدَ .

(٩) هو : قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجَعْفِدِيُّ الْعَامِرِيُّ ، أَبُو لَيْلٍ ، شَاعِرٌ مُفَلِّقٌ ، وَصَحَابِيُّ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أُنْشِدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ - اللَّذَيْنِ مَعْنَى - لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ : لَا تَقْضُضْ اللَّهُ فَاكٌ ، فَعَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَسْقُطْ لَهُ سَنٌ وَلَا ضَرْسٌ ... وَكَانَ مِنْ أَشْهُرِهِا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسُمِّيَ « النَّابِغَةُ » لِأَنَّهُ أَقَامَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يَقُولُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ نَبَغَ فَقَالَ .. وَكَانَ مِنْ هَجَرَ الْأَوْثَانِ وَنَبَى عَنْ الْخَمْرِ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْلَمَ ، وَأَدْرَكَ « صَيْفَيْنِ » وَشَهِدَهُمَا مَعَ « عَلِيٍّ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - نَحْوَ سَنَةِ ٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، وأمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٥ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والأغاني ج ٥ ص ١٦٤٥ - ١٦٧٨] .

(١٠) في م : : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا ^(١)
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا ^(٢)
فَلَمْ يَتَكَبَّرِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ اسْتَتَبَعَ سَفِينَهَا وَيَقُولُ ^(٣) :
أَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ عَنِّي .

وَأَعْلَمُوا - أُرْشِدَكُمْ اللَّهُ - أَنْ أَحْسَنَ إِحْصَالِ الْمُلُوكِ وَأَجْلَهَا قَدْرًا - وَهِيَ حِلْيَةُ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِبَسَةُ ^(٤) الْأَصْفِيَاءِ ، وَجَمَالُ السُّوقَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَأَعْظَمُهَا فِي النَّفْسِ مَوْقِعًا ،
وَأَعْمَهَا عَلَى الرُّعَايَا نَفْعًا ، وَأَخْلَدُهَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ذِكْرًا ، وَأَجْمَلُهَا فِي الْمَحَافِلِ
وَالْمَحَاسِنِ نَشْرًا ، وَهِيَ الْفَضِيلَةُ الَّتِي تُعْمَمُ سَائِرَ الْفَضَائِلِ ، وَتَكْمُلُ بِهَا سَائِرُ الْمَحَاسِنِ
- الْحِلْمُ ^(٥) . وَهَا أَنَا أَثْلُو عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْضِي مِنْهُ ^(٦) الْعَجَبُ .

هَذِهِ ذَوْلَةُ آلِ الْعَبَّاسِ ، أَوَّلُهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ
أَحْلَمُ ^(٧) مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَالِي لِي لَذُو الْعَفْوِ مَا
تَقَرَّبُوا إِلَيَّ إِلَّا بِالْحَرَائِمِ ، فَعَمَّ ^(٨) حِلْمُهُ سَائِرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ
الْمَثَلُ بِحِلْمِهِ ^(٩) ، وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ تَهَيَّأَ مُلْكُهُ وَقَهَرَ أَخَاهُ الْأَمِينَ ^(١٠) .

(١) هكذا البيت في « ط » والشعر والشعراء والمقد الفريد .. ولي « م » والأخاني وأسد الغابة وأدب الدنيا
والدين : « يكن » بالياء .. وجاء الفعل « يُكْذَرَا » بالياء في جميع المصادر السابقة ما عدا « م » ، فقد جاء بالياء
« يُكْذَرَا » .

(٢) الورد في اللغة خلاف الصنبر . يقال : وَرَدَ للماء : إذا أشرف عليه . وصنبر عن الماء : إذا رجع عنه .

(٣) في « م » : « يقول » - بدون ولو قبله .

(٤) اللبسة : ما يُلبسُ .

(٥) هكذا في « ط » .. والحلم : خير « أن » المتقدم .. ولي « م » : « وهي الحلم » .

(٦) في « ط » : « فيه » . و « ما » هنا نافية .

[انظر المعجم الوسيط — مادة « قضى »] .

(٧) في « ط » : « أجبل » .

(٨) في « ط » : « فاق » .

(٩) في « م » : « يضرب بجليله المثل » .

(١٠) هو : الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد ، وُلِدَ في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع بالخلافة بعد
وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بم عهد منه ، وكان « المأمون » وليّ العهد من بعده ، وفي سنة ١٩٥ هـ أعلن « الأمين » =

وَمِنْهَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، أُولَئِهِمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَآخِرُهُمْ مَرْوَانُ الْجَعْفَرِيُّ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَا جَرَمَ ^(١) ، ذَاتَ لَهُ الدُّنْيَا ، وَمَلَكَ ^(٢) بِهَا رِقَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَصَارَ جِلْمُهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ^(٣) وَيَقْتَدَى بِهِ الْخُلُقُ ، وَيَتَحَلَّى بِهِ الْعُقَلَاءُ ، حَتَّى حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ خَيْطٌ عَنكَبُوتٍ ، أَوْ شَعْرَةٌ ، مَا انْقَطَعْتُ ، إِذَا جَذَبُوا أُرْسَلْتُ ، وَإِذَا أُرْسَلُوا جَذَبْتُ .

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الْفُرْسِ ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ دَوْلِ الْأَرْضِ وَأَشَدَّهَا بَأْسًا ، وَأَكْثَرَهَا عُلُومًا وَحِكْمًا ^(٤) ، لَمْ يَكُنْ فِي أَكَاسِرِهَا أَحَدٌ مِنْ كِسْرَى أَوْ شِيرَوَانَ ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ، وَتُطَرَّرُ بِسِيرَتِهِ الْكُتُبُ وَالْمُصَنَّفَاتُ ، فَمَرُوى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ كَبِيرًا مِنْ كَبَرَاءِ فَارِسَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْمَدُ بِحَصَالِ مُلُوكِكُمْ ، فَقَالَ : السَّبْقُ لِشِيرَوِيهِ ، وَأَحْمَدُهُمْ سِيرَةُ أَوْشِيرَوَانَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَمَا كَانَ أَغْلَبُ بِحَصَالِهِ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ . قَالَ عَلِيٌّ : هُمَا تَوَامٌ يَنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهَيْمَةِ .. وَتَلَعٌ مِنْ جِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَضِيقُ صَدْرَهُ بِجِلْمِهِ فَقَالَ : فَيُغْصَلَتَانِ ، لَوْ لَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرُّعْيَةِ لَضِيقَتْ بِهِمَا ^(٥) ذَرَعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

فَأَخْلَقَ بِحَصَلَةِ نَعْمٍ مَنَفَعَتَهَا ، وَيَقَعَى عَلَى الذَّهْرِ جَمَالُهَا ، وَتَحَلَّى فِي الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ ^(٦) وَالْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ بِهَجَّتِهَا وَحُسْنِ مَصَادِيرِهَا وَمَوَارِدِهَا ، أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ

= خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، وقام النزاع بين الأمين والمأمون إلى أن قُتل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وكان سعى التدبير ، كثير التدبير ، منصرفًا إلى اللهو ومجالسة الندماء .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٢٧ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ٤٦ - ٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٥ - ٣٦٤] .

(١) لَا جَرَمَ : حَقًّا .. وَلِي : ط : وَلَا جَرَمَ : بِالْوَارِ قَبْلُهَا .

(٢) فِي : م : : وَفَهْر : .

(٣) فِي : م : : وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ .

(٤) فِي : م : : وَحِلْمًا .

(٥) فِي : م : : : بِهَا : خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي : م : : : فِي الْعُقَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ .

شِعَارًا وَدَنَارًا ، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ الْحُكَمَاءَ مِنَ الْمُلُوكِ خَاصَّةً ، وَأَمَّا ^(١) مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ
الرُّعِيَّةِ - كَالْأُخَنَفِ وَنُظَرَائِهِ - فَلَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً .

(١) في د ط : ، ، فَنَّمَا .

الباب التاسع والعشرون

فِيمَا يَسْكُنُ بِهِ الْغَضَبُ (٥)

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى تَغْيِيرِ اسْتِكَانِكَ (١) ، وَتَبَدُّلِ صُورَتِكَ ، وَاحْتِمَارِ وَجْهِكَ ، وَانْفِجَاحِ أَوْدَاجِكَ ، وَذَهَابِ جَنَانِكَ (٢) ، وَسَقَطِ كَلَامِكَ ، وَنُخْشِ مَا مَخْرُجٍ مِنْ فَيْكِ ، لِأَمْسَكْتَ عَنِ الْغَضَبِ ، وَأَطْلَمَا كُنْتَ تَسْتَجِي أَنْ تَتَكَلَّمَ [بَيْنَ يَدَيِ الْجُلَسَاءِ] (٣) بِالسَّيْرِ الْجَائِزِ ، فَعَمَدْتَ تَهْدُرُ (٤) بِالْكَثِيرِ الْفَاجِشِ ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ غَضِبَ اسْتَذَكَّرَ إِذَا صَحَا وَسَكَنَ ، عَزَّ بِهِ (٥) انْقِلَابُ صُورَتِهِ ، وَتَغْيِيرُ وَجْهِهِ ، وَاضْطِرَابُ شَفَتَيْهِ ، وَازْتِعَادُ أَطْرَافِهِ ، وَسَقَطُ كَلَامِهِ ، وَفُحْوَى خَطَايِهِ ، وَالتِّفَافُ لِسَانِهِ ، وَخِفَةُ عَقْلِهِ ، وَطَيْشُهُ ، وَوُثُوبُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُ نِمِرٌ ، وَسُرْعَةُ التِّفَاتِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَمَا كَأَنَّهُ قِرْدٌ ، وَعَدَمُ فَهْمِهِ لِمَا يَسْمَعُ ، وَقِلَّةُ التِّفَاتِهِ إِلَى مَنْ يَعْطُلُهُ وَيَتَصَحَّحُهُ كَأَنَّهُ أُحْمَقٌ .

(٥) في « ط » : : فيما يُسْكُنُ الغضب .

(١) استِكَانِكَ : مُدْوَلِّكَ وَوَقَارِكَ . وفي « ط » : : أَشْكَالِكَ .

(٢) الْجَنَانُ : القلب . والأوداج : ما أحاط بالثَّق من العروق .

(٣) ما بين المعرفين عن « ط » .

(٤) تَهْدُرُ ، بضم الدال المهملة وبكسرهما : تنطق وتَصَوِّت .

(٥) عَزَّ بِهِ : اشتد وشق عليه .. وفي « ط » : عَزَّزَ بِهِ لعله يريد عَزَّزَ بِهِ ، بمعنى : عَزَّضَهُ لِلْهَلَاكَةِ .

وَمِنْ شُؤْمِ الْعُضْبِ وَعَظِيمِ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ النَّفْسَ ، وَيَسْلُبُ الرُّوحَ . وَكَانَ سَبَبُ
مَوْتِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ كَلَامٌ ، فَعَجَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ
فَقَالَ : يَا مَنْ يَلْحَقُ أُمُّهُ ^(١) فَفَتَحَ فَاهُ لِجَنِيَّةٍ ، وَإِذَا بِجَنِيَّةٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَتَسَكَ
عَلَى فِيهِ وَرَدَّ كَلِمَتَهُ وَقَالَ : يَا بَنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخُوكَ ، وَإِمَامُكَ ، وَلَهُ السُّنُّ عَلَيْكَ .
فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْصٍ فَتَلَّتْنِي ! قَالَ : وَمَا صَنَعْتُ [بِكَ] ^(٢) ؟ قَالَ : رَدَدْتُ فِي جَوْفِي ^(٣)
أَخَرٌ مِنَ الْجَمْرِ .. وَمَالَ لِجَنِيَّةٍ فَمَاتَ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ يَزِيدُ ^(٤) عَلَى الْحَقِّ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ ^(٥) يَتَّقِلُ مِنَ الْحَالَةِ ^(٦) الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا .. كَانَتْ الْفَرَسُ تَقُولُ :
إِذَا غَضِبَ الْقَائِمُ فَلْيَجْلِسْ ، وَإِذَا كَانَ جَالِسًا فَلْيَقُمْ ، وَبِهَذَا الْمَذْهَبِ كَانَ يَأْخُذُ الْمَأْمُونُ
نَفْسَهُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقَسْوَةَ ، فَقَالَ : اطْلُعْ فِي الْقُبُورِ ، وَاعْتَبِرْ
بِالتَّشْوِيرِ . وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ الطُّوَايِفِ إِذَا غَضِبَ الْفَقِيَّ بَيْنَ يَدَيْهِ مَفَاتِيحَ ثَرْبِ
الْمُلُوكِ فَيَزُولُ غَضَبُهُ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ ^(٧) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ ﴾ ^(٨) بِعَنَى : إِذَا غَضِبْتَ ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَخَافَ [مِنْهُ] ^(٩) فَيَزُولُ غَضَبُهُ ..

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي : أنه قال له : « يا ابن اللعناء » . وهو سب .

[انظر المرجع السابق ص ٢٧١ ، ٢٧٢] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « رَدَدْتُ نَفْسِي » .. وفي تاريخ الخلفاء : « رَدَدْتُ فِي جَوْفِي » .

(٤) في « م » : « قد يزيد » .

(٥) في « ط » : « أَنْ » .

(٦) في « م » : « عن الحالة » .

(٧) هو : عِكْرِمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِّي الْمَدَنِي ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، تَابِعِي ، أَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْتَّسْوِيرِ وَالْمَغَازِي ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٥ هـ ، وَطَافَ بِالْبِلْدَانِ ، وَرَوَى عَنْ زُهَاءٍ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ ،
مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ تَابِعِيًا . تَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٠٥ هـ وَكَثِيرٌ غَزَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، قَلِيلٌ : مَاتَ أَعْلَمُ النَّاسِ
وَأَشْعَرُ النَّاسِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٤٧ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ -

٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦ ، والمعارف ص ٤٥٥ -

٤٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦] .

(٨) سورة الكهف - من الآية ٢٤ .

(٩) ما بين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » .

وَفِي التَّوْرَةِ : يَا بَنِي آدَمَ ، اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ اذْكُرَكَ حِينَ اَغْضَبَ ، وَلَا اُحْمَقْ (١)
فِيْمَنْ اُحْمَقُ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ نَفْرَةَ الْقُلُوبِ عَنْهُ ، وَسُقُوطَ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَ اُتْبَاءِ جِنْسِيهِ ، وَوَصْفَهُمْ
لِمَقَابِحِهِ وَطَبِيعِهِ وَسُخْفِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبِيًّا لِرِوَالِ غَيْظِهِ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ الْعَطَافَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَانْطِلَاقَ الْأَلْسِنَةِ بِالتَّنَائِي عَلَيْهِ ، وَمِثْلَ التُّفُوسِ
إِلَيْهِ ، وَأَنَّ الْجَنَمَ عِزٌّ وَهَيْبَةٌ ، وَأَنَّ السُّفْهَ ذُلٌّ وَشَيْنٌ . رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : « مَا أَزْدَادَ رَجُلٌ بَغْوَ إِلَّا عِزًّا ، فَأَعْفُوا يُعِزُّكُمْ اللَّهُ » (٢) .. وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءَ : مَنْ يَذْكُرْ قُدْرَةَ اللَّهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ قُدْرَتَهُ فِي ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَكَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ
الْفُرْسِ كِتَابًا وَدَفَعَهُ إِلَى وَهْبِهِ وَقَالَ لَهُ (٣) : إِذَا غَضِبْتَ فَنَاقِلِيهِ ، وَفِيهِ مَكْتُوبٌ : مَا لَكَ
وَاللَّعْظَبِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ ، اَرْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. وَكَانَ
مُعَاوِيَةُ كَثِيرًا مَا يَنْشِدُ (٤) :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَلْصَقَتِ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ (٥)
وَ اغْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَابِهِمْ نَقَضِي بِحُكْمِ عَادِلٍ فَاصِلِ (٦)

(١) اَحْمَقَكَ : اَهْلَكَكَ .

(٢) فِي « م » : « فَأَعْفُوا يَعْفُوَكُمْ اللَّهُ » قَوْلُهُ : « يَعْفُوَكُمْ » تَصْحِيفٌ . وَالحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب
البر ، باب استحباب العفو والتواضع ، ج ١٦ ص ١٤١ شرح النووي ، وأخرجه الترمذی في صحيحه في أبواب
البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ج ٨ ص ١٨٤ بشرح ابن العربي ، وأخرجه الدارمی في سننه في كتاب الزكاة ،
باب فضل الصدقة ج ١ ص ٣٩٦ . ونص الحديث كاملاً عند الثلاثة : عن أبي هريرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« مَا نَقَضَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » .
(٣) لَهُ « عَنْ ط » .

(٤) فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ إِذَا جَلَسَ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ يَقُومُ السَّيَافُونَ عَلَى رَأْسِهِ
بِالسَّيْفِ ، فَيَنْشِدُ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَأْمُرُ مَنْ يَنْشِدُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ الَّتِي سَمِعْتُ .. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ نَسْبُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ
لَأَبِي الْحَقِّ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُمَثِّلُ بِهَا . وَهِيَ مِنَ الْمَرِيعِ .
[انظر البدایة ج ٩ ص ٦٩ والعقد ج ٥ ص ١٥٥] .

(٥) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « أَيُّ » بَدَلُ « إِنَّا » وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ : « نَالَتْ » بَدَلُ « مَالَتْ » .

(٦) فِي « م » : « فَاضِلٌ » بَدَلُ « فَاصِلٌ » . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ : « وَاصْطَوْرَعُ » بَدَلُ « وَاعْتَجَلَ » وَهِيَ بِمَعْنَى
وَاحِدٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « بَارَأَهُمْ » بَدَلُ « بِأَلْبَابِهِمْ » . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالْعَقْدِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :
=

نَحَافُ أَنْ نُسَفَّهُ أَخْلَامُنَا فَتَحْمَلَ اللَّهْمَ مَعَ الْخَامِلِ ^(١)
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى ذُلِّ الْعُذْرِ ^(٢) .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا مَا اعْتَرَّتْكَ فِي الْعُصْبِ الْعِزُّ فَادْكُرْ تَذَلُّلَ الْإِعْذَارِ ^(٣)
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

زُرَرْنَا عَلَى غَيْرِ الْفَوَاحِشِ قُمْصَتَا وَلَمْ تَسْتَجِزْ إِلَّا الَّذِي هُوَ أُجُورُ ^(٤)

وَقَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ مُحَارِبٍ لَهَارُونَ الرَّشِيدِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْأَلُكَ
 بِالَّذِي أَلْتَّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْلَ مَنَى بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَبِالَّذِي هُوَ أَقْدَرُ عَلَى عِقَابِكَ مِنْكَ عَلَى
 عِقَابِي لَمَّا ^(٥) عَفَوْتَ عَنِّي . فَقَعَا عَنْهُ لَمَّا ذَكَرَهُ قُدْرَةُ اللَّهِ [تعالى] ^(٦) عَلَيْهِ . وَقَالَ
 رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ
 مَا تُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللَّهَ تَعَالَى مَا يُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، وَكَانَ مَعَ أَخِيهِ عَلَيْهِ : إِنِّي شَاوَرْتُ فِي
 أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ ، إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قُدْرَكَ فَوْقَ ذَلِكِ ، فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلْإِيمِ

لا تَهْمَلِ الْهَاطِلَ حَقًّا وَلَا تُرْضَ بِدُونِ الْحَلِّ لِلِهَاطِلِ

غير أن في البداية جاء : « نلفظ دون » بدل « نرضى بدون » .

(١) نُسَفَّهُ أَخْلَامُنَا : تطوَّش وتجهل عقولنا . والخالل : الخفى الساقط الذى لا تباعة له . والشطرة الثانية في البداية
 والنهاية : « شَجَّهَلُ الْحَقُّ مَعَ الْجَاهِلِ » .

(٢) الْمُدَّرُ : الحجة التى يعترض بها . وفى « م » : « والفدر » لا تصح .

(٣) هكذا البيت فى « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من الخفيف .. وفى « م » : « ومنهاج اليقين » : وإذا
 ما اعتراك ، أى اعترضك وغشيك .

[انظر الباب الخامس - الفصل الرابع من أدب الدنيا والدين ص ٣١٢ ومنهاج اليقين ص ٤٢٧] .

(٤) الْقُمْصُ : جمع قميص ، وسكنت الميم لضرورة الشعر . والشطرة الأولى من البيت كتابة عن الطهارة وعدم
 ارتكاب ما يشين النفس ، والثانية كتابة عن التسامح والعفو ، وسلوك أسهل طريق في المعاملة .

(٥) هكذا فى « ط » وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « أما » تحريف . واللام هنا واقعة فى جواب الْقَسَمِ .

(٦) ما بين المعقوفين عن « م » .

حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمُشِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ ،
إِلَّا أَنَّكَ أُبَيِّتَ أَنْ تَطْلُبَ النِّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عُوذْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ ،
وَأَنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَأَ الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تُعَذِّلْ وَلَمْ تَلُمْ ^(١)

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ ^(٢)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : الْعَضْبُ عَلَى مَنْ لَا تَمْلِكُ عَجْزٌ ، وَعَلَى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا يَقُولُ إِلَيْهِ الْعَضْبُ مِنَ التَّذَمُّعِ وَمَذَلَّةِ الْإِيتِقَامِ ، وَمَشْرُوعِ الْقَصَاصِ فِي
بَدَنِهِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرُدُّهُ مِنَ الْعَضْبِ ^(٤) .

(١) هكذا البيت في « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من البسيط .. وفي « م » سقطت « ي » من الشطره الأولى ، سهواً من التماسخ .. والشطره الثانية من البيت في العقد الفريد : « فِيمَا أَنَاكَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَمْ تَلُمْ » . والمعنى : أَنْ يَرْكَبَ لِي مَهْذً وَهِيًا لِي الْعُذْرَ عَمَّا بَدَرَ مِنِّي فَعَفَوْتُ عَنْهُ بِدُونِ تَأْنِيهِ أَوْلَوِي .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣١٣ والعقد ج ٢ ص ١٩] .

(٢) في أدب الدنيا والدين بعد هذا البيت :

لَنْ جَعَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَتَّعْتُ بِهِ إِلَى نَفْسِ اللُّؤْمِ أَخْطَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
لَعَنُوا بَعْدِي وَسَطَوُا إِنْ سَطَوْتُ بِهِ فَلَا عِدَّتُكَ مِنْ عَالٍ وَمُنْتَقِمٍ

(٣) في « م » : « الْحُكَمَاءُ » .

(٤) يَرُدُّهُ مِنَ الْعَضْبِ : يَمْنَعُهُ مِنْهُ .. وفي « م » : « يَرْغَبُهُ عَنِ الْعَضْبِ » أى : يجعله يتركه ويذهب فيه .

البَابُ الثَّلَاثُونَ

فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ (١)

وَهَذِهِ - الْخَصْلَةُ - الْجَلِيلُ قَدْرُهَا ، الْعَظِيمُ مَوْقِعُهَا ، الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا (١) وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَأَسَاسُهَا (٢) وَتَاجُهَا وَجَمَالُهَا - نَعْنُو لَهَا الْوُجُوهَ ، وَتَذُلُّ لَهَا الرِّقَابُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا الْجَبَابِرَةُ ، وَيُسْتَرْقَى (٣) بِهَا الْأَحْرَارُ ، وَيُسْتَمَالُ بِهَا الْأَعْدَاءُ ، وَيُسْتَكْتَرُ بِهَا الْأَوْلِيَاءُ ، وَيَحْسُنُ بِهَا الشُّعَاءُ ، وَيُمْلِكُ بِهَا الْقُرَبَاءُ وَالْبَعْدَاءُ ، وَيَسُودُ بِهَا فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمُ الْقُرَبَاءُ .

وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ بِالْعَزَائِمِ الْوَاجِبَاتِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْجَمَالِ وَالْمُتَمَمَّاتِ ، وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كَافِرٍ تَرَكَ دِينَهُ وَالتَزَمَ دِينَ الْإِسْلَامِ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا يَمْنَاهُ ، وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ مُسْلِمٍ ارْتَدَّ فِي أَرْضِ الشَّرِكِ افْتِنَانًا يَسِيرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَأَخْلَقَ بِخَصْلَةٍ يَتَرَكُ لَهَا الْإِنْسَانُ دِينَهُ الَّذِي يَتَذَلُّ دُونَهُ نَفْسُهُ أَنْ تُكُونَ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، عَظِيمَةَ الْخَطَرِ . وَأَحْوَجُ خَلَقَ اللَّهُ إِلَيْهَا أَفْقَرَهُمْ إِلَى عَطْفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ الْوُجُوهَ إِلَيْهِ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَالْوُلَاةُ .

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » أضاف إلى العنوان سطرا من المتن إلى قوله : « الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا » .

(٢) في « م » : « مَصْلُوحُهَا وَمَوْرِدُهَا » .

(٣) في « م » : « وَسَيَّاسُهَا » أَيْ : اِتِّلَاكُ أُمُورِهَا .

(٣) في « م » : « يُسْتَرْقَى » .

وَأَعْلَمُوا يَامَعَشَرَ مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ آلاءُهُ وَنِعَمَاهُ ^(١) أَنَّهُ لَيْسَ فِي
الْجَنَّةِ « لا » ، وَحَسْبُكَ بِكَلِمَةٍ لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ سُقُوطاً وَضَعَةً ^(٢) ، وَإِنَّمَا أُنْشِئَتْ ^(٣)
الْجَنَّةُ عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ .

وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ - أَغْنَى الْكَرَمَ وَالْجُودَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْإِنْفَارَ - بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. يُوصَفُ
الْبَارِي تَعَالَى بِالْجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِالسَّخَاءِ ، كَمَا يُوصَفُ بِالْعِلْمِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعَقْلِ ،
لِعَدَمِ التَّوْقِيفِ . وَحَقِيقَةُ الْجُودِ هِيَ أَنَّ لَا يَصْنَعُ عَلَيْهِ الْبَذْلُ . وَيُقَالُ : السَّخَاءُ هُوَ الرِّبْيَةُ
الْأُولَى ، ثُمَّ الْجُودُ ، ثُمَّ الْإِنْفَارُ ، فَمَنْ أُعْطِيَ الْبَعْضَ وَأَمْسَكَ الْبَعْضَ فَهُوَ صَاحِبُ
سَخَاءٍ ، وَمَنْ بَذَلَ الْأَكْثَرَ ^(٤) فَهُوَ صَاحِبُ جُودٍ ، وَمَنْ أَثَرَ غَيْرَهُ بِالْحَاضِرِ وَبَقِيَ هُوَ فِي
مُقَاسَاةِ الضَّرِّ فَهُوَ صَاحِبُ إِنْفَارٍ .

قَالَ ^(٥) ذُو الثَّنُونِ ^(٦) : بِدَايَةِ السَّخَاءِ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي يَدَيْكَ ^(٧) ، وَنَهَايَتُهُ أَنْ
تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَأَنْ لَا تُبَالِيَ مِنْ كُلِّ ^(٨) الدُّنْيَا . وَتَذَاكُرُ قَوْمَ مَنْ

(١) في م : « : وأسبغ عليه نعماءه » أي : أتم عليه الرفافة وطيب العيش .

(٢) الضمة : الانحطاط .

(٣) في ط : « : أُسِّسَتْ » .

(٤) في ط : « : الأكبر » .

(٥) في م : « : وقال » .

(٦) في م : « : ذو الثنون » خطأ من الناسخ .

وهو : ذو الثنون بن إبراهيم المصري ، أبو الفيض ، ويقال له : ثوبان بن إبراهيم الإجمعي المصري ، وأصله من النوبة ،
وهو أحد الزهاد العبّاد المشهورين من أهل مصر ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر في
ترتيب الأحوال ، ومقامات أهل الولاية ، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم ، واتهمه لدى المتوكل العباسي
بالزندقة . فاستحضره إليه ، فلما دخل عليه وعظه ، فيكى المتوكل ، ثم أطلقه وردّه إلى مصر مكرّماً ، وتولى بالجزيرة
سنة ٢٤٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وطبقات الصوفية ص ١٥ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥ ،
وج ١٠ ص ٣ ، ٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٠ - ٧٢ ، والرسالة القشورية ج ١ ص ٥٨ - ٦١ ، ووفيات
الأعيان ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ - ٣٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٣٢ -
٥٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٢١٨ - ٢٢٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٢ مادة أنجم] .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : « : بما في أيدي الناس » وستأتي ، وقد سقط ما بينهما سهواً من الناسخ .

(٨) في م : « : أكل » .

مِنَ الرُّهَادِ عِنْدَ رَابِعَةِ الْعَدَوِيَّةِ ^(١) فَجَعَلُوا يَذْمُونَ الدُّنْيَا وَيُكْثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ رَابِعَةُ :
مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَأَصْلُ السَّخَاءِ هُوَ السَّمَاخَةُ ، وَأَنْ يُؤْتِيَ مَا يُؤْتِيهِ عَنْ ^(٢) طَبِيعَةِ نَفْسٍ [وَالشِّرَاجُ صَدْرٌ] ^(٣) . وَقَدْ يَكُونُ الْمُعْطَى بِخِيَلًا إِذَا صَغُبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ ، وَالْمُمْسِكُ سَخِيًّا إِذَا
كَانَ لَا يَسْتَصْنَعُ الْعَطَاءَ وَإِنْ مَنَعَ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ جَوَادًا
وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ عَطَاءٌ فِي الْأَزَلِ ، لِأَنَّ الْعَطَاءَ فِعْلٌ ، وَالْفِعْلُ فِي الْأَزَلِ مُسْتَحِيلٌ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَيْهَا الْجَامِعُ ، لَا تُخْذَعَنَّ ، فَالْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ
لِلْمَعَادِ ^(٤) ، وَالتَّمَرُّكُ لِلْعَدُوِّ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَلَّوْنَ عَلَى أُنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَصَةٌ ﴾ ^(٥) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي . فَبَعَثَ النَّبِيُّ ، ﷺ ، إِلَى أَزْوَاجِهِ ، فَقُلْنَ :
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ، ﷺ : مَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَا
يُطْعِمُكَ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ .. فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا ضَيْفُ النَّبِيِّ ، ﷺ ، فَأَكْرِمِيهِ ،

(١) هي : رابعة بنت إسماعيل الصلوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك البصرية ، سالحة مشهورة من أهل البصرة ،
ومولدها بها ، ولها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر ، ومن كلامها : « اكمسوا حسناتكم كما تكسون سيئاتكم » .
توفيت سنة ١٣٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٨ ،
وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٠ في ترجمة محمد بن إسماعيل الشكلى ، وشذرات
الذهب ج ١ ص ١٩٣ ، وسفر أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٤١ - ٢٤٣] .

(٢) في « ط » : « من » . وتؤتي : يُعْطَى ، من الإِجَاء .. وفي « م » : « يَأْتِي مَاتِي » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) المَعَاد : الحياة الآخرة .

(٥) سورة الحشر - من الآية التاسعة .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

وَلَا تُدْخِرِي ^(١) عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ الصَّبِيَةِ . فَقَالَ ^(٢) : قَوْمِي فَعَلِيبُهُمْ عَنْ قُوْتِهِمْ ^(٣) حَتَّى يَتَأَمُّوا ، ثُمَّ أَسْرَجِي وَأُبْرِزِي [العِشَاء] ^(٤) فَإِذَا أَخَذَ الضَّيْفُ بِأَكْلِهِ ، قَوْمِي كَأَنَّكَ تُصْلِحِينَ السَّرَاجَ فَاطْفِيفِيهِ ، وَتَعَالَى نَمَضْعُ السِّنْتِنَا لِضَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٥) . فَفَعَلْتُ ، وَجَعَلَا يَمَضْعَانِ السِّنْتَهُمَا وَالضَّيْفُ يَطْلُنُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، وَهَاتَا طَاوِثَيْنِ ^(٦) ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا ، تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ^(٧) هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَزَلْتُ ^(٨) ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الْآيَةِ ^(٩) .

وَقَالَ أَنَسٌ : أَهْدَى لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ رَأْسُ شَاةٍ مَشْوِيَةٍ ، وَكَانَ مَجْهُودًا ^(١٠) ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى جَارٍ لَهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ الْجَارُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ آخَرَ ، فَتَدَاوَلَتْهُ سَبْعَةٌ ^(١١) أَيَّامٍ حَتَّى عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَزَلْتُ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ الْعَدَوِيُّ : انْطَلَقْتُ يَوْمَ الزُّمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّ لِي ، وَمَعِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ، وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ ^(١٢) سَقَيْتُهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آوِ .. فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَلَا تُدْخِرِينَ » بالنون ، لا تصح . وفي الحديث الذي رواه البخاري : « لَا تُدْخِرِي » .

(٢) في « م » : « قَالَ » .

(٣) أى : اشغلهم وألهوهم عنه .

(٤) ما بين المقومتين عن « م » . وأسرجي : خشي الطقاع ، أو أوقدي السراج .

(٥) في « م » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) طَاوِثَيْنِ : جالِثَيْنِ .

(٧) في « م » : « وَفُلَانٍ » .

(٨) في « م » : « وَزَلَّ » .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ج ٨ ص ٦٣١ من فتح الباري .

(١٠) أى : فقيرًا مُفسِرًا .

(١١) في « م » : « سَبْعٌ » خطأ ، والصواب « سبعة » فاليبت مذكر في اللغة .

(١٢) الرَّمَقُ : بقية الروح .

العاصي ^(١) قُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آو . فَأَشَارَ هِشَامُ أَنْ يُطْلَقَ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ » ^(٢) بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ » ^(٣) . وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَايِدِ الْبَخِيلِ ، ^(٤) . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « ابْنُ آدَمَ ، إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ » ^(٥) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السَّخَاءَ عَلَى وَجْهِهِ : سَخَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَسَخَاءٌ فِي الدُّنْيَا ، فَالسَّخَاءُ فِي الدُّنْيَا : الْبَذْلُ ، وَالْعَطَاءُ ، وَالْإِنْفَاقُ ، وَسَخَاءَةُ النَّفْسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ^(٦) ، وَعَلَامَتُهُ تَرْكُ الْأَدْعَارِ ، وَيُبْغِضُ جَمِيعَ الْمَالِ ، وَتَعَاهُدُ الْإِخْوَانَ ^(٧) ، مَسْرُورًا قَلْبُهُ بِذَلِكَ . وَالسَّخَاءُ فِي الدِّينِ : أَنْ تُسْخَوْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » - بعد قوله : قُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ - « فَأَشَارَ أَنْ نَعْم » وسقطت بعض الكلمات سهواً من الناسخ مما جعل العبارة لا تستقيم معنى .

وهشام هو : هشام بن العاص بن وائل بن هاشم ، صحابي ، وهو أخو عمرو بن العاص ، وأصغر سنّاً منه ، أسلم بمكة قديماً ، وهاجر إلى بلاد الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عاد إلى مكة حين بلغه هجرة النبي ، صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة ، يريد اللحاق به ، فحبسه أبوه وقومه بمكة ، فأقام إلى ما بعد وقعة الخندق ، ورحل إلى المدينة ، فشهد الوقائع وقُيِّل في أجناده سنة ١٣ هـ في خلافة أبي بكر ، وقيل : في الرموك ، وكان - رحمه الله - شجاعاً صالحاً . [انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٣ و ص ٢٧١] .

(٢) عبارة « قريب من الجنة » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٣) عبارة « قريب من النار » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذی في أبواب البرّ والصّلة ، باب ما جاء في السخاء ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ج ١٨ ص ٩٤ بشرح النووي ، والترمذی في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٠٧ بشرح ابن العرفي .

(٦) سبق تخريجها .

(٧) تعاهد الإخوان : تقدّم والاهتمام بأحوالهم .

بِنَفْسِكَ ^(١) .. أَنْ تُثْلِفَهَا فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُرِيْقَ دَمَكَ فِي اللَّهِ سَمَاحَةً مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ ^(٢) لَا تُرِيدُ بِذَلِكَ ثَوَابًا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا ، وَإِنْ كُنْتُ ^(٣) غَيْرَ مُسْتَعْنٍ عَنِ الثَّوَابِ ، لِأَنَّ الْعَالِبَ عَلَى قَلْبِكَ ^(٤) حَسَنُ كَمَالِ السَّخَاءِ ، بِتَرْكِ الْإِخْتِيَارِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَفْعَلَ اللَّهُ بِكَ مَا لَا تُحْسِنُ أَنْ تُخْتَارَهُ لِنَفْسِكَ .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنِ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ إِذَا سُئِلَ ، الْحَلِيمُ إِذَا اسْتُجْهِلَ ، الْكَرِيمُ الْمُجَالِسَةَ لِمَنْ جَالَسَهُ ، الْحَسَنُ الْخُلُقِي ^(٥) لِمَنْ جَاوَرَهُ . وَقَالَ الثَّعْمَانُ بْنُ الْمُثَنِّبِ يَوْمًا لِحُلَسَائِهِ : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَيْشًا ، وَأَلْعَمُهُمْ بَالًا ، وَأَكْرَمُهُمْ طِبَاعًا ، وَأَجْلَهُمْ فِي النَّفُوسِ قَلْبًا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ قَتِي : أَيُّتُ اللَّعْنِ ^(٦) ، أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسُ فِي فَضْلِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : بَاعَ طَلْحَةَ [بْنُ عُثْمَانَ] ^(٧) أَرْضًا بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَالُ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا يَبِيتُ هَذَا عِنْدَهُ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ لَعِيرٌ ^(٨) بِاللَّهِ .. ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُهُ يَخْتَلِفُ حَتَّى قَسَمَهَا ، وَمَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ .

وَكَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ ^(٩) يَقُولُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أُرَدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، لِإِنَّهُ إِنْ كَانَ

(١) في « ط » : « تسخو نفسك أن يظفها الله تعالى » .

(٢) في « م » : « كراهية » .

(٣) في « م » : « وإن كان » .

(٤) في « م » : « على قلبه » .

(٥) في « م » : « الحسن المجاور » .

(٦) أَيُّتُ اللَّعْنِ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أَيُّتُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ .

(٧) ما بين المقوفين عن « ط » .. والحسن هو : الحسن البصري .. وطلحة هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان .. وكلاهما سبق التعريف بهما .

(٨) ما يطرقة : ما يحدث له . والغير : مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالشَّيْءِ .

(٩) هو : أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَصَنٍ بْنِ حُلَيْفَةَ الْفَزَارِي ، تَابِعِي مِنْ رِجَالِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْعِرَاقِ ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، جَوَادًا ، مُقْلَمًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ . تَوُفِيَ سَنَةَ ٦٦ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، والكمال لابن الأثير ، حوادث سنة ٦٦] .

كَرِيمًا أَصُونُ عِرْضَهُ ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَا أَصُونُ عَنْهُ عِرْضِي . وَكَانَ مُورِثُ ^(١) الْبَغِيلِ
يَتَلَطَّفُ فِي إِذْخَالِ الرَّفِيقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، فَيَضَعُ عِنْدَ أَحَدِهِمُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَيَقُولُ : أَمْسِكُوهَا
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَأَنْتُمْ مِنْهَا فِي جِلٍّ ^(٢) .. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ ^(٣) : أَعْطَى
الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ^(٤) جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ ، فَلَمَّا تَفَدَّ مَا عِنْدَهُ رَكِيبَ قَوْمِهِ وَأَخَذَ
زُجْمَهُ يُرِيدُ الْغَزْوَ ، وَمَاتَ بِمَنْبِجٍ ^(٥) ، فَأُخْبِرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَنْبِجٍ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا
الْحَكَمُ وَهُوَ مُتْلِقٌ ^(٦) لَا شَيْءَ مَعَهُ ، فَأَغْنَانَا .. قِيلَ : كَيْفَ أَغْنَاكُمْ وَهُوَ مُتْلِقٌ ؟
فَقَالَ ^(٧) : مَا أَغْنَانَا بِسَالٍ ، وَلَكِنَّهُ عَلَّمَنَا الْكَرَمَ ، فَعَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَعْتَيْنَا .

وَأَكْرَمُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ بِرَحِمِ بَيْتِهِ وَبَيْتَهُ ،
فَقَالَ : هَذَا خَالِطِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهِ سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ بُرَاحٍ بِالسَّالِ
إِلَى الْعَشِيَّةِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَالْمَالُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالْخَالِطُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا بَعَثَ إِلَى
حَنْظَلَةَ بِجَابِيَةٍ ، فَوَاقَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : قَبِيحٌ أَنْ أَخْذَهَا لِنَفْسِي وَأَنْتُمْ حُضُورٌ ،
وَأَكْرَهُ أَنْ أُحْصِرَ بِهَا وَاجِدًا مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ لَهُ حَقٌّ وَحُرْمَةٌ ، وَهَذِهِ لَا تَحْتَمِلُ الْقِسْمَةَ ،
وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِجَابِيَةٍ أَوْ وَصِيفٍ ^(٨) .

(١) في « ط » : « مروان » خطأ . وهو مُورِثُ الْبَغِيلِ « ابن المشرج » وقد مرَّ التعريف به .

(٢) أى : هى مُباحة لكم بلا ثبئة .

(٣) هو : محمد بن عبد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموى ، من بنى هبة بن أبى سفيان ، وهو من أهل
البصرة ، كان أديبًا فصيحًا ، وشاعرًا ، كثير الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . توفى سنة ٢٢٨ هـ . وهو غير
« العتبي » المؤرخ محمد بن عبد الجبار .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والمعارف ص ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، وشلرات
الذهب ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والعيبر للذهبي ج ١ ص ٣١٧] .

(٤) هكذا في « م » و « ط » . ولعله يريد الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وهو من سادة قريش
ووجوهها ، وكان مُتْلِقًا كريمًا ، تَخَلَّى عن الدنيا في آخر أيامه ولزم الثغور ، وتوفى بالشام .

[انظر نسب قريش ص ٣٣٩ - ٣٤١] .

(٥) مَنْبِج : بلدة بالشام ، كانت شمال شرق حلب .

(٦) مُتْلِقٌ : أى تَفَدَّ مَالَهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ .

(٧) في « م » : قال .

(٨) الوصيف : الخادم .

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ^(١) : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْحَى مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .. تَزَلَّتْ بِالنَّابِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ ، فَحَضَرَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ تَزَلَّ بِكَ ضَيْفَانٌ ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٢) . فَلَمَّا كَانَ ^(٣) الْعَدُ جَاءَ بِأُخْرَى وَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٤) . فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنْ أَلِيٍّ نَحَرَّتْ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ ، فَقَالَ : إِيَّيْ لَا أَطْعِمُ أَضْيَافِي الْفَاقِثَ .. فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا وَالسَّمَاءُ تُمِطِرُ ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّجِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَدِي لَنَا مِنْهُ ، وَمَضَيْنَا ، فَلَمَّا مَتَعَ ^(٥) النَّهَارُ إِذَا ^(٦) بِرَجُلٍ يَصْبِيحُ خَلْفَنَا : قُمُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ اللَّقَامُ ، أَعْطَيْتُمُونِي ^(٧) ثَمَنَ الْفَرَى ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحَفَنَّا وَقَالَ : لِنَأْخُذْهَا ^(٨) وَلِأَلَا طَعْنَتْكُمْ بِرُمْحِي ، فَأَخَذْنَاهَا ، وَالصَّرَفَ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بِلَا شَيْءٍ فَلْيَصْحَبْ أَهْلَ الْقُبُورِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ : تَعَجُّلِهِ ، وَتَصْفِيغِهِ ، وَسِتْرِهِ ، فَإِذَا عَجَلَهُ فَقَدْ هَنَأَ ^(٩) ، وَإِذَا صَغُرَ ^(١٠) فَقَدْ عَظُمَ ، وَإِذَا سَتَرَهُ فَقَدْ تَمَّعَ ^(١١) . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَانَ أَحَدُهُمْ يَشْقُ إِزَارَهُ لِأَجْحِيهِ يَنْصَفِينِ . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ ^(١٢) : فِي كُلِّ شَيْءٍ سَرَفٌ ^(١٣) إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ .. وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ ، فَقَالَ : لَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ ، فَقَلَبَ اللَّفْظَ وَاسْتَوْفَى الْمَعْنَى ، وَنَظَّمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ ^(١٤) فَقَالَ :

- (١) هو : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، أحد الأجداد المشهورين . وقد مر التعريف به . وقد وردت هذه القصة في الرسالة القصصية ج ٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
 (٢) الشأن : القدر . ويُطلق أيضًا : على الحال والحاجة والمنزلة وغيرها .
 (٣) في « م » : « فلما جاء » . (٤) في « م » : « ما شأنكم ؟ » .
 (٥) متع النهار : بلغ غاية ارتقاعه .. وفي « م » : « أمتع » . ويقال أيضًا متع النهار ، بالحاء المهملة ، وأمتع ، أي : طال وأفتد .
 (٦) في « م » : « وإذا » . (٧) في « م » : « أعطيتمونا » .
 (٨) هكذا في « م » بالجزم ، للأمر .. وفي « ط » : « لتأخذونها » .
 (٩) أي : جملة صالحًا يُسرُّ به .
 (١٠) في « م » : « فإذا » . وصغره : قلل من شأنه .
 (١١) في « م » : « غم » أي : ستره .
 (١٢) في « م » : « وقال : المعروف .. بدل المغيرة » . وهو - المغيرة بن شعبة ، وقد مر التعريف به .
 (١٣) السرف : مجاوزة الحد .
 (١٤) هو : محمد بن حازم بن عمرو ، الباهل بالولاء ، أبو جعفر ، شاعر مطبوع ، كثير الهجاء ، لم يمدح =

لَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرَفٌ وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ ^(١)
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تَقْدُمُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ تُلْفُ

وَأَمَّا طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفِ الْخَزَاعِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ ^(٢) وَإِنَّمَا
سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْبَذْلِ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَكَانَ يَتَنَاقَشُ الرُّقَابَ فَيَعْتَقُهَا ^(٣) ،
وَكَانَ كُلُّ مُعْتَقٍ يُؤَلِّدُ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ سَمَّاهُ طَلْحَةَ ، فَبَلَغَ عِنْدَهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ كُلُّ مُسَمًّى
طَلْحَةَ ، فَسُمِّيَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، ثُمَّ وَلِيَ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٤) :

نَضَّرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ^(٥)

وَبَلَغَهُ ^(٦) أَنَّ مُعَلِّمَهُ كَانَ فِي الْكِتَابِ ^(٧) بِالْحِجَازِ قَدْ قَعَدَ بِهِ الدَّهْرُ ^(٨) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ

= من الخلفاء غير المأمون العباسي . ولد ونشأ بالبصرة ، وسكن بغداد ، وأكثر شعره في القناعة ، ومدح الثَّوْنُونَ ،
وذم الجزم والطمع . تولى في بغداد سنة ٢١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٩٥ ، والورقة لابن الجراح ص ١١٧ - ١١٩ ، وطبقات
الشعراء لابن المعتز ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، والأغانى ج ١٤ ص ٤٩٦٥ - ٤٩٨٥ .]

(١) البيتان من المنصرح ، وفي عيون الأخبار : « ما الفقر » بدل « لا الفقر » .

[انظر المرجع السابق ص ٢٤٦ .]

(٢) هو : طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، أحد الأجيال المقلمين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه ، وكان
أبوه كاتب عمر بن الخطاب بالمدينة ، ذهبت عنه بسمرة قد ، وكان يحمل إلى بني أمية فيكرمونه ، ولأه زباد بن مسلم
على « سجستان » وتولى وهو والي عليها سنة ٦٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، والمثير ص ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢
ص ١٣٤ ، ١٣٥ .]

(٣) يعتقها : يحررها . وفي « م » : « يعقها » تصحيف .

(٤) هو : عبد الله بن قيس الرقيات .

(٥) البيت في معجم البلدان ج ٣ ص ١٩١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥
وفيهما : « رحم الله » بدل « نَضَّرَ الله » .

(٦) في « ط » : « قد بلغه » .

(٧) هكذا في « م » و « ط » .. والكتاب : موضع لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد
خطأها الفهرست زبادى والمورد ، فهما يريان أن الصواب هو : المكتب . ولكن أغلب المعاجم تقول : إن الكتاب أو
المكتب واحد ، وهو مكان تعليم الصبية . ومن ثم فلا خطأ .

[انظر لسان العرب ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، وغيرها من المعاجم .]

(٨) أى : صَبْرُهُ هَرَمًا لَا يَسْتَطِيعُ السَّرَّ أَوْ الْكَسْبَ .

غَلَامِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَقَالَ : سَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، فَإِنْ يَكُنْ مَاتَ وَلَهُ وَلَدٌ فَأَذْفَعَهَا إِلَيْهِ وَلَدِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَفَرَّقَهَا عَلَى قَوْمِهِ ، فَوَافَقَهُ الرَّسُولُ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يُعْقِبْ ^(١) ، فَفَرَّقَهَا فِي قَوْمِهِ ^(٢) .. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَكَانَ مِنَ الْخَاشِعِينَ : يَابْنَ آدَمَ ، أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ كَرِيمًا وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ^(٣) ، وَنَهَاكَ أَنْ تَكُونَ لَيْمًا وَتَدْخُلَ النَّارَ . وَقَالَ حَكِيمُ بْنُ جَزَاءٍ ^(٤) : مَا أَصْبَحْتُ قَطُّ صَبَاحًا لَمْ أَرِ بِبَابِي طَالِبَ حَاجَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا مُصِيبَةً أَرْجُو نَوَائِبَهَا .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ : الْمَعْرُوفُ كَثَرُ لَا يَتَعَدُّ مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ وَأَشْجَعِهِمْ ^(٥) ، وَلَمَّا ^(٦) مَاتَ وَجِدَ عَلَيْهِ مِائَةَ ^(٧) أَلْفٍ دِينَارٍ .. وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : اتَّهَزِ الْقُرْصَ ^(٨) عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، وَلَا تُحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْيِيرَكَ عَلَى نَفْسِكَ تَوْفِيرٌ لِحِزَانَةِ غَيْرِكَ ، فَكَمْ مِنْ جَائِعٍ لِبَعْلِ حَلِيلَتِهِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٩) : مَا جَمَعْتُ مِنَ الْمَالِ نَوْقَ قُوْتِكَ ، فَإِنَّمَا أُلْتُ فِيهِ خَازِنَ لِعَيْرِكَ .

(١) أى : لم يترك ولدًا .

(٢) فى م : : (عَلَى قَوْمِهِ) .

(٣) فى م : : (وَلَكَ الْجَنَّةُ) .

(٤) هو : حَكِيمُ بْنُ جَزَاءٍ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، أَبُو خَالِدٍ ، صَحَابِيٌّ ، قُرَشِيٌّ ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّى خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِدَ بِمَكَّةَ ، وَشَهِدَ حَرْبَ الْفِجَارِ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبَيْعَةِ وَبَعْدَهَا ، وَعَمَّرَ طَوِيلًا ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَلَهُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ ٤٠ حَدِيثًا ، وَتَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٥٤ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٦٩ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، والمعارف ص ٣١١ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ ، وكتاب المجرى والتعديل ج ٣ ص ٢٠٢ ، ونسب قريش ص ٢٣١] .

(٥) من أول قوله : وقال أبو علي .. إلى هنا عن م : وساقط من ط .

(٦) فى م : : (فلما) .

(٧) هكنا فى م : .. وفى ط : : (ملنا) بالرفع . لا تصح .

(٨) فى م : : (القرصة) .

(٩) ما بين المقوفين عن ط .

وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ إِلَى أَنْ كَفُّوا ، فَلَمَّا رُفِعَ إِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ^(١) .
 إِتَارًا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالرُّمْلَةِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ،
 فَحَضَرَ طَبَقٌ فِيهِ تَيْنٌ أُخْضِرَ وَقَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ ^(٣) ، فَكَانَ الْوَاحِدُ يُمَدُّ يَدَهُ فَإِذَا ظَفِيرَ بِحَبِيَّةٍ
 حِصْرِمٍ ^(٤) يَأْكُلُهَا ، وَإِنْ ظَفِيرَ بِطَبِيبٍ ^(٥) دَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَلَمَّا رُفِعَ الطَّبَقُ
 إِذَا الطَّبِيبُ كُلُّهُ فِي الطَّبَقِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ عَلَى يَشْرِ الْحَافِي ^(٦) فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَقَدْ تَعَرَّى مِنَ
 الثِّيَابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا نَصْرٍ ، النَّاسُ يَزِيدُونَ الثِّيَابَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَنْتَ تَنْقُصُ ؟
 فَقَالَ : ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَمَا هُمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَا أُؤَسِّسُهُمْ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرَافِقَهُمْ ^(٧)
 بِنَفْسِي فِي مُقَاسَاةِ الْبَرْدِ . وَقَالَ الْأَسَازُ أَبُو عَلِيٍّ : لَمَّا سَعَى غُلَامٌ خَلِيلٌ ^(٨) بِالْصُّوْفِيَّةِ

(١) في د م : لم يأكل أحد منهم شيئاً .

(٢) يُطلق هذا الاسم على عِدَّةِ مَحَالٍّ وَمُتَدْنَ ، أشهرها : رملة فلسطين .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩ مادة : رملة] .

(٣) غَسَقَ اللَّيْلُ : أَظْلَمَ .

(٤) هكذا في ط .. وفي د م : فَإِنْ وَجَدَ لِحِيَّ حِصْرِمٍ لا يصح ، والصواب : فَإِنْ وَجَدَ الْحَبِيَّةَ
 حِصْرِمًا .. والحِصْرِمُ : الثَّعْرُ قَبْلَ التَّضْجِجِ .

(٥) الطَّبِيبُ : كُلُّ مَا تَسَلَّطَهُ الْخَوَاسِ أَوْ النَّفْسُ ، ويريد به هنا : الثَّارِ النَّاضِجَةُ الْجِهْدَةُ .

(٦) هو : يَشْرُ بْنُ الْخَلَرِثِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرُوزِيِّ ، أَبُو نَصْرٍ ، المعروف بالخالِ ، من كبار الصالحين ،
 له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل « تَمْرُو » . ولد سنة ١٥٠ هـ ، وسكن بغداد ،
 ومها توفي سنة ٢٢٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٤ ، وطبقات الصوفية ص ٣٩ - ٤٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٣ -
 ٧٧ ، وطبقات الشعرائين ج ١ ص ٧٢ - ٧٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٧ ، وحلب الأولياء ج ٨ ص
 ٣٣٦ - ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٦٧ - ٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ج
 ١ ص ٤٦٩ - ٤٧٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٠٩ - ١١٨] .

(٧) في طبقات الأولياء : « فَأَرَدْتُ أَنْ أُؤَسِّسَهُمْ » .

(٨) أَبُو عَلِيٍّ هُوَ : أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقِ . وغلام خليل هُوَ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ غَالِبٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ مُرْدَاسٍ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 الزَّاهِدِ ، الْبَاهِلِي ، المعروف بغلام خليل ، سكن بغداد وحَدَّثَ بِهَا ، قيل : إنه كَانَ زَاهِدًا صَالِحًا . قال الدارقطني :
 متروك الحديث . وقيل : كَانَ يَرُوي الْمَآكِرَ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولِينَ . توفي ببغداد سنة ٢٧٥ هـ وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٨ - ٨٠ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر القصة في
 الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

إِلَى الْخَلِيفَةِ ^(١) بِالرَّزْدَقَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَمَّا الْجُنَيْدُ ^(٢) فَإِنَّهُ تَسَرَّ بِالْفَقِيهِ ، وَكَانَ يُفْتَى عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ ^(٣) وَأَمَّا الشُّحَامُ وَالرُّقَامُ وَالتُّورِيُّ ^(٤) وَجَمَاعَةٌ فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَبُسِطَ النَّطْعُ لِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَتَقَدَّمَ التُّورِيُّ أَمَامَهُمْ ^(٥) فَقَالَ لَهُ السَّيَافُ : أَتُذَرِّي لِمَاذَا تَتَقَدَّمُ وَتُسَابِقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ^(٦) يُعْجِلُكَ ؟ قَالَ : أُوَثِّرُ أَصْحَابِي بِحَيَاةِ

(١) هو الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن جعفر بن المعتصم ، وُلِدَ سنة ٢٢٩ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهتدي بالله يومين ، وطالت أيام ملكه ، وكانت مضطربة ، وكثيرة العزل والتولية . توفي سنة ٢٧٩ هـ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٦٠ - ٦٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ - ٤٣٠ ، وغيرها من أمهات كتب التاريخ] .

(٢) هو : الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم الحنّاز ، صوفي ، من العلماء بالدين ، وُلِدَ ونشأ ببغداد ، وكان فقيهاً على مذهب « أبي ثور » وعُدَّ العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بالكتاب والسنة ، وكان كبير الشأن . توفي ببغداد سنة ٢٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٤١ ، وطبقات الصوفية ص ١٥٥ - ١٦٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٨٧ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨٤ - ٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٦ - ١١٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٦٦ - ٧٠ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٦ - ١٣٦] .

(٣) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي إيمان الكلبي البغدادي ، أبو ثور ، الإمام الحافظ الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي ، قال عنه ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنف الكتب ، وشرع على السنن ، ودافع عنها . مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٦٥ - ٦٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وطبقات المفسرين للدوادى ج ١ ص ٩ ، والمعبر للذهبي ج ١ ص ٣٣٩ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٧٢ - ٧٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤] .

(٤) الشُّحَامُ : بالغ الشَّحْم ، والرُّقَامُ : هو الذي يقوم بوضع علامة على الشيء تميزه عن غيره . والقصة وردت في حلية الأولياء ، وطبقات الأولياء ، وتاريخ بغداد ، وسر أعلام النبلاء ، ولم يرد فيها ذكر للشُّحَامِ أو الرُّقَامِ ، وورد ذكرهما في الرسالة القشيرية ..

أما التُّورِيُّ فهو : أحمد بن محمد التوري البغدادي ، أبو الحسين ، كان شيخ الصوفية في وقته ، وكان مذكوراً بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة ، ونسبته إلى « نور » بِلَيْلَةٍ بين « بخاري » و « سمرقند » . وقيل : لنور كان في وجهه فشبب إليه . توفي - رحمه الله - سنة ٢٩٥ هـ .

[انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٧٠ - ٧٧ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٠ - ١٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٦٢ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٦٤ - ١٦٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٥٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، وج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

(٥) قوله : « أَمَامَهُمْ » عن « ط » .

(٦) في « ط » : « وماذا » .

سَاعَةٍ ، تَحْتَرِ السَّيَافُ ، وَأَتَى الْخَبَرَ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَرَدُّهُمْ إِلَى الْقَاضِي لِيَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ ^(١) ، فَالْقَى الْقَاضِي عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ الثَّوْرِيَّ مَسَائِلَ فَمَهِيئَةً ، فَأَجَابَ عَنِ الْكُلِّ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا قَامُوا قَامُوا بِاللَّهِ ، وَإِذَا نَطَقُوا نَطَقُوا بِاللَّهِ ، وَسَرَدَ الْفَاطَا حَتَّى أَهْبَكَ الْقَاضِي ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ .

وَلَمَّا مَرَضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَنَ عِبَادَةَ اسْتَبَطَّ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ ^(٢) : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ ^(٣) عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنِي اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزَّهَارَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يَتَادَى : أَلَا ^(٤) مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ ^(٥) فَهُوَ مِنْهُ فِي جِلٍّ ، فَكَسِرَتْ عَقَبَةُ بَابِهِ بِالْمَشْيِ لِكَثْرَةِ الْعَوَادِ .. وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجَوَادِ ، خَرَجَ إِلَى ضَيْعِهِ لَهُ ، فَتَزَلَّ عَلَى نَحِيلِ قَوْمٍ وَفِيهَا غُلَامٌ أَسْوَدُ يَقُومُ عَلَيْهَا ، فَأَتَى بِقُوَّتِهِ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ ، وَدَخَلَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغُلَامِ ، فَرَمَى إِلَيْهِ ^(٦) بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ ، فَأَكَلَهُمَا وَعَبَدُ اللَّهِ يَنْظُرُ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، كَمْ قَوْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ . قَالَ : فَلِمَ أَثَرْتُ هَذَا الْكَلْبَ ؟ قَالَ : مَا هِيَ بِأَرْضٍ كِلَابٍ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعًا فَكَرِهْتُ رَدَّهُ . قَالَ : فَمَا أَنتَ صَانِعُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَطْوِي يَوْمِي هَذَا . قَالَ ^(٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَلَا أَمُّ عَلَى السَّخَاءِ وَهَذَا أَسْحَى مِنِّي ، فَاشْتَرَى الْغُلَامَ وَالْحَائِطَ ^(٨) وَمَا فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ ، فَأُعْتَقَ الْغُلَامَ وَوَهَبَ ذَلِكَ لَهُ .

(١) في ١ م : « شَعَرَ حَالَهُمْ » . وكان على القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق .

[انظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٤] .

(٢) في ١ ط : « دَقَالَ » .

(٣) في ١ م : « لِمَا لَكَ » .

(٤) « أَلَا » عن ١ م .

(٥) في ١ م : « مَالًا » بالنصب . لا تصح .

(٦) في ١ م : « لَه » في الموضعين .

(٧) في ١ م : « دَقَالَ » .

(٨) هكذا في ١ م .. وفي ١ ط « والرَّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ » فاشترى الحائط والغلام .

[انظر القصة في المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧] .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ^(١) : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سُوْقَةَ ^(٢) بِالْعَدَاةِ صَاحِبَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَبِالْعَشِيِّ سَأَلْنَا لَهُ ^(٣) مِنْ أَصْحَابِهِ خُبْرَةً ^(٤) . وَقَالَ أَبُو عَيْدٍ الرَّحْمَنُ ^(٥) : دَخَلَ أَبُو عَيْدٍ اللَّهِ الرَّوْذَبَارِيُّ ^(٦) إِلَى دَارِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُ غَائِبًا ، وَهَنَّاكَ يَتُّ مُقْفَلٌ ، فَكَسَّرَ الْقِفْلَ وَأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ فَأُلْقُوهُ ^(٧) إِلَى السُّوقِ فَبَاعُوهُ ، وَأَصْلَحُوا بِهِ وَقَتْنَا مِنَ الثَّمَنِ ^(٨) فَجَاءَ صَاحِبُ ^(٩) الرَّوْذَبَارِيِّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، وَتَخَلَّتْ امْرَأَتُهُ ^(١٠) بَعْدَهُمُ الدَّارَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ ، فَدَخَلَتْ يَتًّا وَرَمَتْ الْكِسَاءَ ^(١١) وَقَالَتْ : يَا أَصْحَابَنَا : هَذَا

- (١) هو : سفيان الثوري . وفي « ط » : « الثوري » بالنون . خطأ .
 (٢) هو : محمد بن سُوْقَةَ الثَّوْرِيُّ ، الكوفي ، وكنيته أبو بكر ، من القراء ، وأهل العبادة والفضل ، والدين والسخاء ، ومُحَدَّث ثقة ، ولكنه ليس بكثير الحديث ، ذكره النسائي وابن حبان في الثقات ، وقال عنه سفيان الثوري : كان محمد بن سُوْقَةَ لا يحسن أن يحصى الله .
 [انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٥ ص ٣ - ١٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٥٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٨ .]
 (٣) في « م » : « سألناه » .
 (٤) الهبة : الخبز الذي يؤكل ، وتطلق على العلقة ، وهي : عجين يوضع في الرمد الحار حتى ينضج .
 (٥) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدِيُّ السَّكِيُّ النيسابوري ، أبو عبد الرحمن ، من علماء المتصوفة وصاحب تاريخهم وطبائهم وتفسيرهم ، بلغت تصانيفه مائة مصنف أو أكثر ، ولد في نيسابور سنة ٣٣٠ هـ وتوفي بها سنة ٤١٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٩٩ ، ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٠٨ ، ومقدمة طبقات الصوفية ص ١٦ - ٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وسور أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٧ - ٢٥٥ ، وطبقات الأولياء ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .]
 (٦) هو العارف الزاهد ، شيخ الصوفية : أحمد بن عطاء الرَّوْذَبَارِيُّ ، أبو عبد الله ، شيخ الشام ، وشيخ الصوفية في وقته ، وهو ابن أخت الصوفي الشهير أبي علي الروذباري . نشأ ببغداد ، وأقام بها زمنا طويلا ، ثم انتقل منها إلى « صور » من بلاد ساحل الشام ، وبها توفي سنة ٣٦٩ هـ .
 [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وطبقات الأولياء ص ٥٤ - ٥٨ ، وطبقات الصوفية ص ٤٩٧ - ٥٠٠ ، وانظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧ مادة « روذبار » .]
 (٧) هكذا في « ط » . وأُلقُوهُ : أرسلوه .. وفي « م » : « وأمر بجميع ما وجد فيه فألقوه » .
 (٨) أي : اشتروا بعض حاجات لهم من الثمن الذي باعوا به .
 (٩) سقطت « صاحب » من « م » . وفي الرسالة القشيرية : « فدخل صاحب المنزل » .
 (١٠) في « ط » : « فدخلت » .. وفي « م » : « امرأة » .
 (١١) في « ط » : « بالكساء » .

أَيْضًا ^(١) مِنْ جُمْلَةِ الْمَتَاعِ ، فَبَيْعُهُ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : لِمَ تَكَلَّفْتَ هَذَا بِاخْتِيَارِكَ ؟
فَقَالَتْ : اسْكُتْ ، مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ يَبَاسِطُنَا وَيَحْكُمُ عَلَيْنَا وَيَقِي لَنَا شَيْءًا نُدْخِرُهُ
عِنْدَهُ ^(٢) ؟ .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَخْرِ فَوَرِثَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى إِخْوَانِهِ
صَرْرًا ^(٣) وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْأَلَ ^(٤) لِإِخْوَانِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي وَأُبْخُلُ عَلَيْهِمْ بِحَالِي .
وَيُرَوَّى أَنَّ الْأَشْثَثَ بْنَ قَيْسٍ ^(٥) أَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ^(٦) يَسْتَعِيرُ مِنْهُ قُدُورًا كَانَتْ
لِأَبِيهِ حَاتِمٍ ، فَمَلَأَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا لَنُعِيرُهَا فَارِغَةً .

وَقَالَ بَرْزَجِيهْرُ : لَا عِزَّ أَثْبَتُ أَرْكَائًا وَلَا أَبْدُخُ بَنِيَانًا ^(٧) مِنْ بَثِّ الْكَرَمِ ^(٨) وَاتَّخِصَابِ

(١) في (م) جاء الناسخ بالفعل « اسكت » سهواً منه ، بدلاً من « هذا أيضاً » وسيأتي بعد قليل .

(٢) انظر القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٦ وطبقات الأولياء ص ٥٦ .

(٣) جمع صرّة ، وهي ما يجمع فيه الشيء ويُشَدُّ .

(٤) في (م) : « كُتِّ أسأل » .

(٥) هو : الْأَشْثَثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ نَعْدِي كَرِبِ الْكَنْدِيِّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، أَمِيرُ كِتْدَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي حَضْرَمَوْتِ ، وَوَقَعَ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَسْلَمَ ، وَارْتَدَّ فِي أَهْلَامِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ تَابَ ، وَشَهِدَ الْيَوْمُوكَ فَأَصْبَحَتْ عَنْهُ ، وَشَهِدَ كَثِيرًا مِنَ الْوَقَائِعِ ، وَأَبْلَى الْبَلَاءَ الْحَسَنَ ، وَكَانَ جَوَادًا كَرِيمًا . تَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٣٣٢ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٢٧ - ٤٢٩ ، والمعارف ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وثمار القلوب ص ٨٨ ، ٨٩] .

(٦) هو : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحَشْرَجِ الطَّائِي ، أَبُو وَهْبٍ ، أَمِيرُ صَحَابِيٍّ ، وَمِنْ الْأَجْوَادِ الْعَفْلَاءِ ، كَانَ رَئِيسَ طَلَبٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَقَامَ فِي حَرْبِ الرِّدَّةِ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ ابْنُ حَاتِمِ الطَّائِي الْمَوْصُوفِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ سَنَةَ ٩ هـ ، وَشَهِدَ فَتْحَ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ سَكَنَ الْكُوفَةَ وَشَهِدَ مَعَ عَلِيِّ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَالتَّهْرَوَانَ ، وَفَقَّتْ عَنْهُ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٦٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٨ - ١٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٨٩ - ١٩١ ، والتاريخ الكبير ج ٧ ص ٤٣ ، والعبر ج ١ ص ٥٥ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والجرح والتعديل ج ٧ ص ٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ١٣ ، وشننرف الذهب ج ١ ص ٧٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٨٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨] .

(٧) في (ط) : « أُنْدَحْ شَأْنًا ، وَأُنْدَحْ : أَكْرَسَ سَعَةً .

(٨) في (ط) : « مِنْ بَيْتِ الْكَرَمِ » .

الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِزَّ التَّعْظِيمِ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ بَاقٍ ^(١) فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، وَمَنْ تَحَصَّنَ بِالْجُودِ وَتَحَرَّرَ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ ظَفِرَ بِمَنْ نَاوَاهُ ^(٢) وَرَبِحَ الشُّكْرَ وَالْقَوَابَ .

وَيُرْوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ^(٣) ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجَوَادِ ، عَطِشَ يَوْمًا فِي طَرِيقِهِ ، فَاسْتَسْقَى مِنْ مَنَزِلِ امْرَأَةٍ ، فَأَخْرَجَتْ كُوزًا وَقَامَتْ لِحُلْفِ الْبَابِ وَقَالَتْ : تَنَحُّوا عَنِ الْبَابِ وَلْيَأْخُذْهُ بَعْضُ غِلْمَانِكُمْ ، فَإِنِّي امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ زَوْجِي ^(٤) مُنْذُ أَيَّامٍ . فَشَرِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٥) وَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ ^(٦) . قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَسْحَرُنِي ؟ فَقَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرِينَ آلَفًا . قَالَتْ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ! فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ ^(٧) آلَفًا . قَالَتْ : أَفْ لَكَ .. فَحَمَلَتْ إِلَيْهَا ^(٨) ثَلَاثِينَ آلَفَ دِرْهَمٍ ، فَمَا أُمِسَتْ حَتَّى كَثُرَ خَطَايَاهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : قَصَدَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أُرْتَعِمَايَةَ دِرْهَمٍ عَلَى دَيْنٍ ^(٩) . فَدَعَلَ الدَّارَ وَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَلَ

(١) « بَاقٍ » مِنْ « ط » .

(٢) نَاوَاهُ : نَافَرَهُ وَعَادَاهُ .

(٣) فِي « م » ، وَ « ط » ، وَالْمُسْتَرْفِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، تَصْحِيفٌ ، وَالصُّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَقَدْ ذُكِرَ الْأَسْمُ صَحِيحًا فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ، وَهُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ التَّنْفُزِيُّ ، ابْنُ الصَّحَابِيِّ « أَبِي بَكْرَةَ » نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ ، وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ خَزَنًا ، لَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَلْحَانِ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ أَمِيرَ سِجِسْتَانَ ، وَلَيْسَ سَنَةَ ٥٠ هـ - ٥٣ هـ . وَعَزَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ وَلِيَهَا فِي إِسْرَةِ الْحِجَابِ ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَرَوَةٌ وَاسِعَةٌ فَاشْتَهَرَ بِأَخْيَارِ مِنَ الْجُودِ تَشْبِيهِ الْحَيَالِ . نَقَلَ الذَّهَبِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَنْفَقُ عَلَى جِهَاتِهِ ، وَيُزَوِّجُ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ الزَّوْجَ ، وَيُعِيقُ فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ عَدٍ - وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ - تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِسِجِسْتَانَ سَنَةَ ٧٩ هـ .

[انْظُرِ الْقِصَّةَ فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ج ٢ ص ٥٠٤ ، وَالْمُسْتَرْفِ ج ١ ص ٣٤٧ ، وَقَارِنْ مَا جَاءَ فِيهَا وَفِي الْأَعْلَامِ وَالرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ .. وَانْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وَسُورَ أَعْلَامِ الْبِلَاءِ ج ٤ ص ١٣٨ ، وَالْمُهَبَّرِ ص ١٥٠ ، وَالْمَعَارِفِ ص ٥٣٣ ، وَفَوَاتِ الْوَقَائِتِ ج ٢ ص ١٧١ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَالتَّارِخِ الْكَبِيرِ ج ٥ ص ٣٧٥ ، وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٤٧ وَص ٢٥٢] .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » ، وَالْمُسْتَرْفِ .. وَفِي « م » ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ : « مَاتَ خَلَامِي » .

(٥) فِي « ط » وَ « م » : « عَبْدُ اللَّهِ » تَصْحِيفٌ .

(٦) فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ وَالْمُسْتَرْفِ : « عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ » .

(٧) فِي « ط » : « ثَلَاثِينَ » .

(٨) فِي « م » : « لَهَا » .

(٩) فِي « م » : « دَخَنَ عَلَى » .

الدَّارَ بَاكِيًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلَّا تَعَلَّمْتَ حِينَ شَقِيتَ ^(١) عَلَيْكَ الْإِجَابَةَ ؟ قَالَ ^(٢) :
 إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّدْ حَالَهُ حَتَّى اخْتَجَّ إِلَى مُكَاشَفَتِي . وَقَالَ أَكْثَرُكُمْ بَنُ صَنِيْفُ :
 صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَكَأً . وَقَالَ الْفَضِيلُ : مَا كَانُوا يُعَدُّونَ
 الْقَرْضَ مَعْرُوفًا .

وَيَرَوَى عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدَاتِ أَنَّهَا قَالَتْ لِحَبَّانَ بْنِ هِلَالٍ ^(٣) وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ
 أَصْحَابِهِ : مَا السَّخَاءُ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الْبَذْلُ وَ الْإِنْتَارُ . قَالَتْ : فَمَا السَّخَاءُ فِي الدِّينِ ؟
 قَالَ : أَنْ تُعْبِدِيَ ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى سَخِيَّةً بِهْ نَفْسِكَ غَيْرَ مُكْرَهَةٍ . قَالَتْ : أَتُرِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ
 جَزَاءً ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ عَلَى الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ أَثْمَالِهَا . قَالَتْ : فَإِذَا
 أُعْطِيتُمْ وَاحِدَةً وَأَخَذْتُمْ عَشْرًا ، فَأَيُّ ^(٥) شَيْءٍ سَخِيتُمْ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ تُعْبُدُوا اللَّهَ
 [تَعَالَى] ^(٦) مُتَنَعِّمِينَ مُتَلَذِّذِينَ بِطَاعَتِهِ ، غَيْرَ كَارِهِينَ ، لَا تُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَجْرًا ، أَلَا
 تَسْتَحْيُونَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَيَعْلَمَ مِنْهَا أَنَّهَا تُرِيدُ شَيْئًا بِشَيْءٍ ؟ .

وَقَالَتْ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدَاتِ لِبَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ : أَتُظُنُّ السَّخَاءَ فِي الدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ فَقَطْ ؟
 إِنَّمَا السَّخَاءُ فِي بَذْلِ مَهْجِ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الدَّقَاقُ : لَيْسَ ^(٧) السَّخَاءُ أَنْ
 يُعْطِيَ الْوَاجِدُ الْمُعْدِمَ ^(٨) ، إِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ يُعْطِيَ الْمُعْدِمُ الْوَاجِدَ .

(١) في م : : و شق .

(٢) في م : : قال .

(٣) هو الحافظ حَبَّانُ بْنُ هِلَالِ الْبَصْرِيِّ ، أَبُو حَيْبٍ ، مُخَلِّتُ ثَقَّةٍ ، وَثَقَّةُ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثَقَّةً
 ثَقْبًا ، اِمْتَنَعَ مِنَ التَّحْلِيثِ قَبْلَ مَوْتِهِ . وَتَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢١٦ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، والإكمال لابن
 ماكولا ج ٢ ص ٣٠٣ وفي حَبَّانَ بفتح الحاء المهملة] .

(٤) في م : : تعبد .

(٥) في م : : يأتى .

(٦) ما بين المعرفتين عن ط .

(٧) في ط : : وليس . وأبو بكر هو : العارف بالله أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دُلُوبِ الدَّقَاقِ .

[انظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥١١ و ص ٦٨٠ ، وصفحت أخرى مخرقة] .

(٨) الْمُعْدِمُ : الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : كَانَ الْأَسَاقِطُ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ ^(١) مِنْ الْأَجَوَادِ ، لَمْ يَكُنْ يَتَأَوَّلُ أَحَدًا شَيْئًا بِيَدِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْرَحُهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَتَأَوَّلُهُ الْآخِذُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانَ يَقُولُ : الدُّنْيَا أَقْلٌ عَظِيمًا مِنْ أَنْ يَرَى مِنْ أَجْلِهَا يَدِي فَوْقَ يَدِ أُخْرَى ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » . وَكَانَ يَتَوَضَّأُ يَوْمًا فِي صَحْنٍ دَارِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَسَأَلَهُ شَيْئًا فَلَمْ يَحْضُرْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى أَفْرُغَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ : اخُذِ الْقُمُصَةَ ^(٣) وَاخْرُجْ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَعَلِمَ أَنَّهُ بَعْدَ ، صَاحَ وَقَالَ : دَخَلَ الْإِنْسَانُ وَاتَّخَذَ الْقُمُصَةَ ، فَمَسَحَ بِهَا وَغَسَّاهُ ، فَلَمْ يَدْرِكْهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَلُومُونَهُ عَلَى الْبَذْلِ . وَفِي مَعْنَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَلَأْتُ يَدِي مِنَ الدُّنْيَا مِرَارًا فَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي ^(٤)
وَلَا وَجِبْتُ عَلَى زَكَاةِ مَالٍ وَعَلَّ نَجِبُ الزَّكَاةِ عَلَى جَوَادِي ^(٥)

وَكَانَ أَبُو مَرْزُوقٍ أَحَدَ الْكِرَامِ ، فَمَدَحَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ : مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ قَدَّمْنِي إِلَى الْقَاضِي وَأَدْعِ ^(٦) عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ ذِرْهُمٍ حَتَّى أَقِرَّ لَكَ بِهَا ، ثُمَّ اخْبِسْنِي ، فَإِنْ أَهْلِي لَا يَتْرَكُونَنِي ^(٧) مَسْجُوبًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ ^(٨) ، فَلَمْ يُمَسِّ ^(٩) حَتَّى دُفِعَ

(١) هو : أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي ، المعروف بالصعلوكي ، الأصبهاني أصلاً ومولداً ، النيسابوري داراً وإقامة ، كان متصوفاً ، وإماماً في الفقه والتفسير والحديث والعلوم اللغوية كلها . توفي - رحمه الله - بنيسابور سنة ٣٦٩ هـ . وصلى عليه ابنه « سهل » - وكان مثل أبيه علماً وورعاً - ودُفِنَ في المسجد الذي كان يدرس فيه .

[انظر وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية للحسيني ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وانظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٨ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) في « م » : « عليه السلام » وسقط منها « قال » سهواً من الناسخ .

(٣) القُمُصَةُ : إنباء صغير من نحاس وغيره .

(٤) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٥) في « م » : « وما وجبت » . وفي العقد الفريد : « على الجواد » .

[انظر البيتين في المرجع السابق ج ١ ص ١٩٨ .

(٦) في « م » : « فأدعي » خطأ ، أمر مني على حذف حرف العلة .

(٧) في « م » : « لا يتركوني » .

(٨) قوله : « ففعل ذلك » عن « ط » .

(٩) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي « م » و « ط » : « يُمسوا » .

إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ^(١) . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ جَرِيرٍ : رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فَرَّقَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي مَجْلِسٍ ، وَهُنَا لَيَخِيطُ إِزَارَهُ بِيَدِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْمُنْكَدِرُ عَلَى ^(٢) عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَصَابَتْكِ فَاقَةٌ ^(٣) . فَقَالَتْ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَلَوْ كَانَ ^(٤) عِنْدِي عَشْرَةُ آلَافٍ لَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا جَاءَتْهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ^(٥) ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا فِي أَثَرِهِ ، فَاشْتَرَى جَارِيَةً بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَقُلِدَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، فَكَانُوا عِبَادَ الْمَدِينَةِ : مُحَمَّدٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، بَنُو الْمُنْكَدِرِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ^(٦) : كَانَ جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ فِي دَارِ الْمُطَّلِبِ ^(٧) ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ

(١) في م : : عشرة ألف ، وسقطت منها لفظة « درهم » .

[انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٩] .

(٢) هكذا في ط ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٥ .. وفي م : : « مولى » بدل « على » تصحيف .. والمُنْكَدِرُ هو : الْمُنْكَدِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَذَلِ ، الْقُرَشِيُّ الْقَيْمِيُّ ، وَلَدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ تَبْتَ لَهُ صُحْبَةٌ .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٥] .

(٣) في ط : : « أصابني » . والفاقة : الحاجة .

(٤) في ط : : « كانت » .

(٥) هو : خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ بْنُ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةِ الْقُرَشِيُّ ، أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَمَاتَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ أَخُو عَقَّابٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ أَسِيدٍ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٨٩ ، والمعارف ص ٢٨٣] .

(٦) هو : يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ زِيَادٍ ، الْبَغْدَادِيُّ ، أَبُو زَكْرِيَا ، مِنْ أئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَمُؤَرِّسِي رِجَالِهِ ، وَإِمَامُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، نَحَسَ الذَّمُّ بِسَبِّهِ الْخُفَافُ ، وَلَدَ سَنَةَ ١٥٨ هـ ، وَكَانَ أَبُوهُ « مَعُونٌ » كَاتِبًا لِلْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ . وَقِيلَ : كَانَ عَلَى خِرَاجِ « الرُّيِّ » فَمَاتَ وَخَلَفَ لِيَحْيَى ثَرَوَةٌ كَبِيرَةٌ ، أَنْفَقَهَا كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَعَاشَ بِبَغْدَادَ ، وَتَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ حَاجًّا سَنَةَ ٢٣٣ هـ وَصَلَّى عَلَيْهِ أَمْرُهَا .

[انظر ترجمته في سيرة أعلام النبلاء ج ١١ ص ٧١ - ٩٦ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣١ ، والجرح والتعديل ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٨ ، وج ٩ ص ١٩٢ ، والتاريخ الكبير ج ٨ ص ٣٠٢] .

(٧) هو : الْمُطَّلِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ ، وَآلٍ ، كَانَ فِي مَكَّةَ ، وَوَلَّى إِمْرَةَ مِصْرَ لِلْمَأْمُونِ سَنَةَ ١٩٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٥٢] .

يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ لِلْعَلَامِ : اذْهَبْ إِلَى الْجَوَارِي ^(١) فَقُلْ لَهُنَّ : مَنْ أَرَادَتْ ^(٢) مِنْهُنَّ أَنْ تُصْنِعَ رِيَابَهَا ^(٣) فَلْتَبْعَتْ بِهَا ، فَجَاءَ الْعَلَامُ بِرِيَابٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ : خُذْهَا .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَتْ جَرَتْ ^(٤) حَرْبٌ بِالْبَادِيَةِ ثُمَّ ^(٥) اتَّصَلَتْ بِالْبَصْرَةِ ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ فِيهَا ، حَتَّى مَثَى بَيْنَ النَّاسِ بِالصُّلْحِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، قَالَ : قَبِعْتُ - وَأَنَا غُلَامٌ - إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَازِمٍ ^(٦) فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لِي ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ شِمْلَةٌ ^(٧) يَخْلُطُ بِرَأْيِ لَعْنَةٍ لَهُ ^(٨) فَخَبِرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ اللَّعْنَ ، ثُمَّ غَسَلَ الْقَصْعَةَ وَقَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، غَدَيْتَا ، فَأَنْتَ بَزَيْتِ وَنَمَرٍ ، قَالَ : فَدَعَانِي ، فَقَدِرْتُهُ أَنْ أَكُلَ مَعَهُ ^(٩) ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَتَهُ وَتَبَّ إِلَى طِينِ مُلْقَى فِي الدَّارِ ، فَعَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ ^(١٠) ثُمَّ صَاحَ بِالْجَارِيَةِ فَقَالَ : اسْقِنِي مَاءً ، فَأَنْتَ بِنَاءٍ فَشَرِبْتُهُ ، وَتَسَحَّ فَصَلُّهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَاءُ الْفَرَاتِ يَنْمِرُ الْبَصْرَةَ بِزَيْتِ الشَّامِ ^(١١) مَتَى تُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ ؟ ثُمَّ قَالَ : عَلَى بِرْدَائِي ، فَأَنْتَ بِرِدَائِهِ عَدْنِي ، فَأَرْتَدِي بِهِ عَلَى تِلْكَ الشِّمْلَةِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَتَجَافَيْتُ ^(١٢) عَنْهُ اسْتِفْبَاحًا ، لِزَيْلِهِ ،

(١) في م : : للجواري .

(٢) في ط : : أراد .

(٣) هكذا في ط .. وفي م : : لوبها .. لا تصح ، بقوله ، بعد ذلك : فلتبعت بها ، يقتضى الجمع .

(٤) جرت ، عن ط .

(٥) في م : : وم .

(٦) هكذا في م ، و ط .. وفي حيون الأخبار أنه : ضِرَارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْدٍ بْنِ زُرَّارَةَ وَهُوَ الصَّحِيحُ .. والقصة حكاها الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَحَدِ شُيُوخِهِ ، أَنَّ حَقِيَّةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : أُرْسِلُنِي إِلَى ضِرَارٍ ... الخ ، فَهِيَ حَدَّثَتْ لِقِيَّةَ هَذَا وَلَيْسَ لِلأَصْمَعِيِّ ..

[انظر القصة في المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .]

(٧) في م : : في شِمْلَةٍ ، والشِّمْلَةُ : كساء من صوف أو شعر يَنْطَلِي بِهِ أَوْ يَنْتَلِفُ بِهِ .

(٨) الرُّ : القمح .. وفي ط : : يخلط نوى لعنة له حلوب . : يخلط : يثق .

(٩) أى : كرهت أَنْ أَكُلَ مَعَهُ لِقَدْرَتِهِ .

(١٠) في ط : : يده .

(١١) هكذا في ط .. وفي م : : بتمر الشام بزيت البصرة .

(١٢) تجافيت : ابتعدت .

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَمَشَى إِلَى الْقُرْمِ ، فَلَمْ تَبْقَ حَبْوَةٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ فَحَمَلَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَخْيَارِ مِنَ الدَّهَاتِ فِي مَالِهِ وَانْصَرَفَ .

وَكَانَ الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ^(١) الْفَقِيهَ لَمَّا سَجِنَ يُعْطَى كُلَّ يَوْمٍ السَّجَانَ دِينَارًا ، فَاسْتَكْرَهَ أَصْحَابُهُ وَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ خَفْصُ بْنُ عُمَارَةَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : إِذَا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِي يَدَيْهِ . فَخَرُّ الْبُهْلُولُ عَلَى يَدَيْهِ وَقَبَّلَهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : سَأَلْتُكَ يَا اللَّهِ ، أَلَيْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ هَذَا ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ ^(٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

ذَيْبِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمِيْدِي غِيَّةَ غَدَا ^(٤)
أَيْهِنِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَى أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدًا ^(٥)

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ^(٦) يَنْفَقُ عَلَى أَرْبَعِينَ دَارًا مِنْ جِوَارِيهِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ ^(٧) ، وَأَرْبَعِينَ أَمَامَهُ ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهِم بِالْأَصَاغِي

(١) هو : الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ، أَبُو عَمْرٍو الْحَجَرِيُّ ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الزُّهَّادِ ، مِنْ أَهْلِ الْقُرْمِ ، وَأَخْبَارِهِ فِي الزَّهْدِ كَثِيرَةٌ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْفَقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، وَعَارِضُ أَمْرِ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي زَمَنِهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ الْعَمَكِيُّ فِي أَنْ يُرْسَلَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ عَنْهُ (مَلِكُ أَسْبَايَا) مِنَ السَّلَاحِ ، فَتَصَحَّحَ الْبُهْلُولُ ، وَأَلْحَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْتَنَعَ مِنْ إِسْرَافِ السَّلَاحِ لَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْعَمَكِيُّ مِنْ فُلُكِهِ ، وَجَرَدَهُ ، وَضَرَبَهُ عَشْرِينَ سَوْطًا ، وَحَبَسَهُ . وَبَقِيَ أَثَرُ السَّهَاطِ فِي جَسَدِهِ ، وَنَفِلَ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مَوْتِهِ سَنَةَ ١٨٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٧٧] .

(٢) في م : : يقول : .

(٣) هو خُطَّابُ بْنُ يَتْفَرٍ ، وَقَدْ قَالَ هَذَا عِنْدَمَا عَاتَبَتْهُ أُمُّهُ عَلَى جَوْدِهِ .

[انظر خزانة الأدب ج ١ ص ٤٠٦ ، وَالْأُمَالِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي ج ٢ ص ٧٩ ، وَالْمِفْصَلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ج ٩ ص ٤٧٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ - مَادَّةُ « عَلَل »] .

(٤) غِيَّةٌ : عَائِيَّتُهُ . وَهَذَا الْبَيْتُ تَرْجِيئُهُ الثَّانِي ، وَالثَّانِي تَرْجِيئُهُ الْأَوَّلُ فِي الْخِزَانَةِ .

(٥) في م : : « واط » : « مَا تَرَى » : تَصْغِيرُ . وَالتَّصْغِيرُ مِنَ الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَهَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ فِي قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لِحَافِمٍ ، وَنُسِبَ أَيْضًا لِلتُّرَيْدِ بْنِ الْعَمَّةِ .

[انظر لسان العرب مادة « عَلَل » وَدِيوَانُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّنَةِ ص ١١٨] .

(٦) في م : : « واط » : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ » : تَصْغِيرُ . وَقَدْ مَرَّ .

(٧) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « وَيَتَّقُ » : عَنْ « واط » وَاسْلُطَ مِنْ « م » .

وَالْكُسْرَى فِي الْأَعْيَادِ ، وَيَبْعَثُ فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ ، وَاشْتَرَى يَوْمًا جَارِيَةً بِعَشْرَةِ
آلَافٍ ، فَطَلَبَ ^(١) ذَابَّةً يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : هَذِهِ ذَاتِي ، فَقَالَ : اَحْمِلُوهَا عَلَى
ذَاتِيهِ إِلَى دَارِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرٍ ^(٢) :

وَعَاذِلِي تَحْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي تُرُوحُ وَتَعْلُو بِالْمَلَامَةِ وَالْفَسَمِ ^(٣)
تَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ ^(٤)
وَأَمِّي أَحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ اسْتَطِيعَهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ ^(٥)

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ الْحَيَاءُ يَمْنَعُنِي أَنْ أَذْكُرَهَا . قَالَ : فَحُطِّطْهَا فِي الْأَرْضِ . فَحُطَّ
فِي الْأَرْضِ : أَيْ فَيَقِيرُ . فَقَالَ لِغُلَامِهِ : يَا كَبِيرُ ، اكْسُهُ حُلِيًّا ، فَكَسَاهُ الْحُلَّةَ ، فَقَالَ :

كَسَوْنِي حُلَّةً ثَبَلَى مَحَاسِنَهَا فَسَوَّفَ أُكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ حُلَلًا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي دِمَكْرَ صَاحِبِهِ كَالثَنِيثِ يُحْيِي ثَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرَمَةً لَا تَبْغِينَ بِمَا قَدْ نِلْتَهُ بَدَلًا ^(٦)
لَا تَزْهَدْ الدُّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ كُلُّ امْرِئٍ سَوَفَ يُجْزَى بِالْيَدَى فَعَلًا

(١) في م : : وطلب .

(٢) هكذا في م و د ط .. ولم أقف عليه ، والأبيات المنسوبة إليه هنا تُسبِت لأكثر من شاعر ، ففي
« الوحشيات » منسوبة إلى « عبادة بن أبي الكلب » وفي معجم البلدان تُسبِت إلى « مُضَرَّس بن رَبِيعٍ » وفي اللسان
تُسبِت إلى « عمرو بن شَأْس » .

[انظر « الوحشيات » لأبي تمام ص ٦٩ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٦٣ مادة « ضمر » ، واللسان مادة « زعم »] .

(٣) العاقلة : التي تلوم وتعتب .

(٤) زَعَمَ هنا بمعنى : قال ووَعَدَ .

(٥) في الوحشيت : « لم أَلَمْ » .

(٦) الشطرة الأولى من البيت في م : : « إِنْ حُزْتُ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرَمَةً » ، أفتح الناسخ الفعل « حُزْتُ »

زيادة من عنده .. وربما كان يريد وضعه بدلًا من « نِلْتَ » ولا يستقيم الوزن إلا بحذف أحد الفعلين .

قَالَ عَلِيٌّ : زِدْهُ مِائَةَ دِينَارٍ . فَأَعْطَاهُ إِثْنَاهَا ، فَلَمَّا وَثَّى الْأَعْرَابِيُّ ^(١) قَالَ قَتَبَرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ قَرَفْتَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ لَأَصْلَحَتْ بِهَا مِنْ شَأْنِهِمْ . فَقَالَ : مَهْ يَأْقَتَبَرُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « اشْكُرُوا لِمَنْ آتَى عَلَيْكُمْ ، وَإِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ » ^(٢) . وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ ^(٣) : إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ مِنْى حَاجَةً فَلْيَرْفَعْهَا فِي رُفْعَةٍ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى فِي وَجْهِهِ ذُلَّ الْحَاجَةِ .

قُرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ ^(٤) :

وَأَمْرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَيْهِ مَا حَيْثُ سَبِيلٌ ^(٥)
أَرَى النَّاسَ مُخْلَّانَ الْكِرَامِ وَلَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَبِيلٌ ^(٦)
وَأِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يَزِرِي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ ^(٧)

(١) قوله : « فلما وثى الأعرابي » من « ط » .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه مجتزأ في كتاب الأدب ج ٢ ص ١٢٢٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب قتال أهل البغي ، باب ما على السلطان من إكرام وجوه الناس ج ٨ ص ١٦٨ ، وفيه سعيد بن مسلفة ، وهو ضعيف .
(٣) هو : مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري ، أبو عبد الله ، زاهد ، من كبار التابعين ، له كلمات في الحكمة مأثورة ، وُلِدَ في حياة النبي ، ﷺ ، وهو ثقة فيما رواه من الأحاديث . كانت إقامته بالبصرة ، وفيها تولى سنة ٨٧ هـ على الأرجح .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٤١ - ١٤٦] .

(٤) هو القاضي أبو الوليد الباجي شيخ الأئمنس وعلمها في زمانه . وهو ممن سمع منه « الطرطوشي » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وقد مرَّ بنا ذلك في المقدمة .. والشعر ورد في الأملال لأبي علي القالي ، والمقد الفريد ، ووفيات الأعيان ، والمستطرف ، وهو لإسحاق الموصلي ، وقد طلب منه « الرشيد » أن ينشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة ، منها هذه الأبيات .

[انظر الأملال ج ١ ص ٣١ ، والمقد ج ١ ص ٢١٧ ، والوفيات ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٧٨] .

(٥) هكذا البيت في « ط » والمستطرف .. وفي « م » والمقد ، والوفيات : « فليس إلى متأمرين سبيل » ، وفي الأملال : « فذلك شيء ما إليه سبيل » .

(٦) هكذا البيت في « م » و « ط » والوفيات .. وفي الأملال : « أرى الناس مُخْلَّانَ الجِوَادِ ... » ، وفي المستطرف : « أرى الناس إخوان الكرم وما أرى .. » .

(٧) هكذا البيت في « م » و « ط » والوفيات .. وفي الأملال : « فإني » بدل « وإني » .

وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمَتْهُ إِذَا نَالَ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ^(١)
وَلَعُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ^(٢) :

وَأَنَّى امْرُؤٌ عَافَى إِنَّا لَنِي شِرْكَةٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافَى إِنَّا لَنَك وَاحِدٌ^(٣)
أَتَضْحَكُ مِنِّي أَنْ سَمِنتَ وَأَنْ تَرَى بِجِسْمِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدٌ^(٤)
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَارَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَصْلُ الْمَحَاسِنِ كُلُّهَا الْكَرَمُ ، وَأَصْلُ الْكَرَمِ تَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ
الْخِرَامِ ، وَسَخَاوُهَا بِمَا مَلَكَتْ عَلَى الْخَاصِّ^(٦) وَالْعَامِّ ، وَجَمِيعُ خِصَالِ الْخَيْرِ مِنْ

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الأمل والوفيات : « إذا نال شفا » .

(٢) هو عُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ بِنُ زَيْدِ الْقَيْسِ ، مِنْ عَطْفَانٍ ، مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفُرسَانِهَا وَأَجْوَادِهَا ، كَانَ يُلَقَّبُ بِعُرْوَةِ الصَّعَالِكِ ، لِيَجْمَعَهُ لِأَهْلِهِمْ ، وَقِيَامُهُ بِأَمْرِهِمْ إِذَا أَحْتَفَقُوا فِي غَزْوِهِمْ ، وَكَانَ يُمَيِّزُ بِأَخْلَاقِهِ كَرَمَةً تَجَلَّى فِي كُلِّ مَكَانٍ يَصْنَعُهُ مِنْ إِحْسَانٍ ، وَيُذِلُّهُ مِنْ عَطْفِ نَجْمِهِ الْفَقْرَاءَ وَالْمَرْضَى وَالضُّعْفَاءَ . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ٣٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٧٥ - ٦٧٧ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١١ - ٤١٣ ، والأغاني ج ٣ ص ٩١٩ - ٩٩٤ ، وشعراء النصرانية في الجاهلية ص ٨٨٣ - ٩١٦ ، وديوان عروة بن الورد ص ٧ - ١٥ ط دار صادر] .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الشعر والشعراء ، والأغاني ، والديوان ، وشعراء النصرانية « إني » بحذف الواو ، وبهذه الرواية يكون قد دخله « الحزم » بحذف الحرف الأول من « فعولن » كما مر . والعاق : الضيف طالب المعروف . ومعنى البيت يقول : إني أملك إناؤي لنا حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقتني إنسان وجد ذلك مهيباً له ، وكان شريكى فيه ، قل لو فكر عندى ، وأنت امرؤ عافى إننا لك واحد ، أى : تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك ، فتشبع وهم يجوعون ، وأنا أهول وأضيافى يستنون .
[انظر المصادر السابقة] .

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي المصادر السابقة : « أتمرأ » مكان « أتضحك » .. وفي الشعر والشعراء ، والأغاني : « بجسمي شس الحق » .. وفي الديوان وشعراء النصرانية : « بوجهي شحوب الحق » .. ومعنى قوله : « والحق جاهد » أى : يجهد الناس ، وذلك أن الحق يطرقه فيؤثره على نفسه وعلى عياله .. والحق الذى ذكره هنا هو : صلة الأرحام ، وإعطاء السائل وذوى القربى ، فمن قبل ذلك جهده .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. والمصادر السابقة ، معانداً « الأغاني » فيها « أفرق » مكان « أقسم » .. ومعنى البيت : أقسم قوت جسمي ، وأؤثر به الغير على نفسي ، وأجتري بحسب الماء القراح الذى لا يخالطه شيء من اللبن وغيره .. وللماء بارد : أى في الشتاء ، وذلك أشد .

وهذه الأبيات الثلاثة هي التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان : « مايسرني أن أحتد من العرب بمن ولذي ، ثم يلقى ، إلا عروة بن الورد » .

(٦) في « م » : « عن الخاص » .

فَرُوْعِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ طَعَامٌ ، فَعَلَا السَّعْرَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَبِيعَ لَهُ ،
ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ رُبْعُ الْقَفِيزِ ^(١) ، فَبِيعَ لَهُ : تَبِيعُ وَتَشْتَرِي ؟ فَقَالَ : نَفْرَحُ إِذَا فَرَحَ
النَّاسُ وَنَحْزَنُ كَمَا حَزَنُوا .

وَلَا مَ حَاتِمَ طَعْمٍ ^(٢) :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَالَيْتُ أَلَا أَمْنَعُ الدَّهْرَ جَائِعًا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّاحِمِ الْآنَ أَغْنِي فَإِنْ أَتَيْتَ لَمْ تَسْطِيعْ نَعَضُ الْأَصَابِعَ ^(٣)
فَهَلْ مَا تَرَوْنَ الْآنَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ يَتَرَكِي يَابَنُ أُمِّ الطَّبَّائِعَا ^(٤)
وَقَالَ آخَرُ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْغِرْضِ فِي الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أُوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْغِرْضِ إِنْ أُوْدَى بِمُحْتَالٍ

وَبَرَّى ^(٥) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شَيْئًا ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : أَتَيْتُ بِحِمَالٍ يَحْمِلُهُ لَكَ ، فَأَتَاهُ بِحِمَالٍ ، فَأَعْطَاهُ

(١) في « م » : ربع القفيز من طعام . والقفيز : مكبال كان يكال به قديمًا ، ويختلف مقداره من بلد لآخر ،
ويعادل بالتقدير المصري نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) في « ط » : « زَلِمَ حَاتِمٌ طَعْمٌ » فقال « خطأ . والصواب ماورد في « م » « فالشعر لأُم حاتم وليس له . وأمه
هي : غنية بنت عفيف ، وكانت ذات بصر ، ومن أسقى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تمسك شيئاً تملكه ،
فحجر عليها إخوتها ، ومنعوا ما لها ، حتى تلوق ألم الجوع .. حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها قطعاً من
الإبل ، فجاءها امرأة من هوازن كانت تأتيا كل سنة تسألها المعطاء ، فقالت : والله لقد عضني من الجوع ما لم أسمع
معه سائلاً أبداً ، فأعطتها الإبل ، وأنشدت هذه الأبيات التي معنا .. أما حاتم فهو : حاتم بن عبد الله بن سعد بن
الحشرج الطائي ، أبو عدى ، كان فارساً وشاعراً جاهلياً ، جواداً ، يُضرب المثل ببجده ، وقد تولى سنة ٤٦ قبل
الهجرة تقريباً ، وبعضهم أرخ وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ، ^(١) .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٥١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والأغاني ج ١٩ ص ٦٦٩٣ -
٦٧٣٠ ، وشعراء النصرانية ص ٩٨ - ١٣٤] .

(٣) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المصادر السابقة « اللحمى » بالياء . « ولم تفعل ، مكان » لم تسطع ، .
(٤) مكنا البيت في « م » و « ط » .. والشطرة الأولى من البيت في الأغاني : « وما إن تَرَوْنَ اليومَ إِلَّا طَبَّاعًا ..
وفي الشعر والشعراء : « وَلَا مَاتَرُونَ اليومَ إِلَّا طَبِيعَةً » .. وفي شعراء النصرانية : « وماذا ترون اليوم إلا طبيعة » .
(٥) في « م » : « وَرَوَى » .

طَلَسَانَهُ ^(١) وَقَالَ ، يَكُونُ كِرَاءُ الْحِمَالِ مِنْ قِبَلِي ^(٢) .

وَبَرَوَى أَنَّ الْبَيْتَ بْنَ سَعْدٍ ^(٣) سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ سُكْرَجَةً عَسَلٍ ^(٤) فَأَمَرَ لَهَا بِزِقٍ عَسَلٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهَا ، وَتَحَنُّنُ تُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِ نِعْمَتِنَا .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا اسْتَصَافَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْبٍ ^(٥) ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَرْجِعَ لَمْ يَعْثُرْ غِلْمَانَهُ ، فَسُئِلَ ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّهُمْ لَا يُعِينُونَ مَنْ ارْتَحَلَ عَنَّا ، وَفِي مَعْنَاهُ يَقُولُ الْمُتَنَبِّي ^(٧) :

(١) الطَّلَسَانُ : وشاح يُوَضَّعُ عَلَى الْكَتِفِ ، أَوْ يَحِيطُ بِالْبَدَنِ ، خَالِي مِنَ التَّضْفِيلِ وَالْخِيَاطَةِ . وَهُوَ مَأْثُوفٌ فِي الْعَامِيَةِ الْمِصْرِيَّةِ « بِالشَّالِ » وَهُوَ لَفْظَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْرُوبَةٌ .

(٢) فِي (م) : : يَكُونُ هَذَا « أَيْ : هَذَا الطَّلَسَانُ .. وَكَرَاءُ الْحِمَالِ : أَجْرُهُ . مِنْ قِبَلِ : أَنْحَمِلُهَا مِنْ عِنْدِي . (٣) هُوَ : الْبَيْتُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الْقَهْمِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَبُو الْخَارِثِ ، إِمَامٌ مِصْرِيٌّ فِي عَصْرِهِ ، حَدِيثًا وَقَفِيًّا ، وُلِدَ لَهُ ثَلَاثُونَ - مِنْ قَرَى مِصْرَ - سَنَةَ ٩٤ هـ ، وَكَانَ مِنَ الْكِرَمَاءِ الْأَجْوَادِ ، قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : « الْبَيْتُ أَقْبَهُ مِنْ مَالِكٍ ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ » . تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٧٥ هـ ، وَدُفِنَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، وحلقة الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ - ٣٣٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ - ١٤ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٣ ، ولذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦] .

(٤) السُّكْرَجَةُ : إِنَاءٌ صَغِيرٌ يُوضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ مِنَ الْأَقْمِ .

(٥) هَكَذَا فِي (ط) .. وَالْمَعْنَى : لَجَأَ إِلَيْهِ . وَفِي (م) : : اسْتَصَافَ عَبْدُ اللَّهِ ، أَيْ : اسْتَجَارَ بِهِ .. وَجَدَ اللَّهُ بِنَ عَامِرٍ سَبْقَ التَّعْرِيفِ بِهِ .

(٦) فِي (م) : : فَسَأَلَ .

(٧) هُوَ : الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ ، وَأَحَدُ مَافَاخِرِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ، أَحَدُ بَنِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْجَيْفِيِّ ، الْكُوفِيُّ ، الْكِنْدِيُّ ، وَلِدَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٣٠٣ هـ وَطُوفَ بِالْبِلَادِ ، وَمدَحَ سِيفَ الدَّوْلَةِ ابْنَ حَمْدَانَ بِالشَّامِ ، وَكَافُورَ الْإِسْخَمِيْدِيِّ بِمِصْرَ ، وَعَضِدَ الدَّوْلَةَ لِبَنِي بُوَيْهِ الدَّهْلِيِّ .. مَاتَ مَقْتُولًا سَنَةَ ٣٥٤ هـ ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١١٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٥ ، ومقدمة شرح ديوان المتنبّي للبرقوق ج ١ ص ٢٠ - ٨٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٢٤] .

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ فَكَّرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ ^(١)

(١) البيت من قصيدة له يعاتب فيها سيف الدولة .. ومعنى البيت : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك ، حتى لا تضطر إلى مفارقتهم ، فهم المختارون لفراقك ، فكانهم هم الراحلون عنك .
[انظر الديوان ج ٤ ص ٨٩] .

البَابُ الْحَادِي وَالْثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا

الشُّحُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الْبُخْلُ وَمَنْعُ الْفَضْلِ . كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُحِّ نَفْسِي وَإِسْرَافِهَا وَوَسْوَاسِيهَا » ^(١) . وَرَوَى جَابِرٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « اتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَفْلَكٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا الدِّمَاءَ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ » ^(٣) . وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مُفَرَّقُونَ فَقَالُوا ^(٤) : الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ ^(٥) ، فَإِنَّ الْبُخْلَ أَكْثَرُ مَا يَقَالُ فِي التَّفَقُّةِ وَاسْتِصَاكِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٧) . وَقَالَ تَعَالَى ^(٨) : ﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلْهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ^(٩) . وَقَالَ تَعَالَى فِي الشُّحِّ : ﴿ أَشِحَّةً

(١) ذكره القرطبي عن أنس عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر [ج ٨ ص ٦٥٠ ط الشنب] .

(٢) في « ط » : « عليه السلام » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه مجتزئاً في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ج ٨ ص ١٣٤ .
شرح النووي ، والقرطبي في تفسيره - انظر المصدر السابق .

(٤) في « م » : « فقال » لا تصح .

(٥) في « م » : « البخيل » تصحيف .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

(٨) قوله : « تعالى » عن « ط » في المواضع الثلاث .

(٩) سورة محمد ، من الآية ٣٨ .

عَلَى الْغَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وَالشُّحُّ^(٣) يَتَنَبَّهُ عَلَى الْكَرَّازَةِ^(٤) ، وَالْإِمْتِنَاعِ ، فَهُوَ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَلَفِي جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَيْسَ الشُّحُّ أَنْ يَمْتَنَعَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، وَإِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ يَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ^(٥) : سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكَتْ ، سَمِعْتُ اللَّهَ [تَعَالَى] يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ شَرِيعٌ ، لَا يَكَاذُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ يَدِي شَيْءٌ . فَقَالَ^(٦) لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : هَذَا لَيْسَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَهُ^(٧) اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ^(٨) أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبُحْلُ ، وَفِيهِ الشَّيْءُ^(٩) الْبُحْلُ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا كَمَا تَرَى .

(١) سورة الأحزاب ، من الآية ١٩ .

(٢) سورة الحشر ، من الآية ٩ . وسورة التغابن ، من الآية ١٦ .

(٣) في « ط » : « فالشُّحُّ » .

(٤) في « م » : « عن الكرَّازة » . والكرَّازة : التصنيق والبُحْلُ .

(٥) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، الحنظلي بالولاء ، التيمي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن ، شيخ الإسلام ، وقدة الزاهدین ، ولد سنة ١١٨ هـ أو بعدها بعام ، وأُتِيَ عمره في الأسفار حاجًا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه ، والعربية ، حدِّث عنه كثيرون من أهل الأقاليم ، منهم يحيى بن معين ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وحبان بن موسى ، وغيرهم . وكان من سكان « خراسان » .. تولى بيت (علي الفرات) منصرفًا من غزو الروم سنة ١٨١ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ - ١٦٩ ، وطبقات الشعماني ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ، والورقة لابن الجراح من ١٥ - ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٧٨ - ٤٢١ ، والمعارف ص ٥١١ ، وطبقات الفقهاء ص ١٠٢ ، ١٠٨ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨١ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢١٢] .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « وقال : ليس بالشُّحُّ » .

(٨) في « م » : « يذكره » .

(٩) في « م » : « ولكن الشُّحُّ مكانه » .

(١٠) في « م » : « وفي الاسم » . وفي تفسير القرطبي : « وفي الشيء » .

[انظر ج ٨ ص ٦٥٠٩] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الشُّحُّ ^(١) أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَقْبَلِ الْإِيمَانَ . وَقَالَ طَاوُوسٌ : الشُّحُّ أَنْ يَحُلَّ الْمَرْءُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَالْبُحْلُ أَنْ يَحُلَّ بِمَا فِي يَدَيْهِ . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ، وَفَرَى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّاتِيَةِ » ^(٣) . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(٤) : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ الشُّحُّ إِلَى أَنْ يَمْتَنِعَ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَقَدْ وَقَاهُ شُحَّ نَفْسِهِ .

وَقَالَ أَبُو التَّيَّاحِ الْأَسَدِيُّ ^(٥) : رَأَيْتُ رَجُلًا فِي الطَّلَافِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسِي لَمْ أَسْرِقْ ، وَلَمْ أَرِنْ . وَلَمْ أَفْعَلْ [شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى] ^(٦) ، وَإِذَا الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ ^(٧) .

(١) سقطت « الشح » من م .

(٢) في ط : عليه الصلاة والسلام .

(٣) الحديث مروي أيضاً في المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) هكذا في ط ، وفي تفسير القرطبي .. وفي م : أبو زيد .. ولعله يريد به ثابت بن زيد بن النعمان بن مالك ، وكنيته أبو زيد ، صحابي ، وقيل : إنه أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وتوفي في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فوقف عمر على قبره ، وقال : لقد ذُنُّ اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .. وفيه خلاف .

[انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٦٩] .

(٥) هو : أبو التَّيَّاحِ يَزِيدُ بن حَمِيد ، فقيه ومحدث ثقة .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٣٨ ، وج ٣ ص ٣٢٥ ، والمعارف ص ٤٦٨ ، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ وفيه : أبو المهاجر . خطأ] .

(٦) ما بين المقوسخين عن ط « وسافط من م » ، والقرطبي .

(٧) هو : عبد الرحمن بن عَوْفٍ بن عبد عوف بن عبد الحارث ، أبو محمد ، الزُّهْرِيُّ الْقُرَشِيُّ ، من كبار الصحابة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وكان من الأجواد الشجعان ، ولد حوالي سنة ٤٤ قبل الهجرة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها ، وكان يحترف التجارة . ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله ، توفي في المدينة سنة ٣٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٣٢١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٠ - ٤٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٨ - ١٠٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١ ص ٦٨ - ٩٢ ، وطبقات ابن سعد ص ١٣٠ - ١٣٧ ، والمعارف ص ٢٢٥ ، والجرح والتصديق ج ٥ ص ٢٤٧ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٣٨ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠] .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبُحْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا يُخْلِفَ وَلَا يُثِيبَ ، وَهَذَا يُؤْمِنُ
التَّصَدِيقُ بِمَا تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ ، وَيَطْرُقُ الْحَلَلُ وَالْإِمْتِنَاعُ إِلَى جَمِيعِ الْأَوَامِرِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ
الْخَالِقِ ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ^(١) فِي تَرْكِ مُعَاوَنَتِهِمْ وَالْتِمَاسِ لَهُمْ . وَقَالَ كِسْرَى
لَأَصْحَابِهِ : أَيُّ شَيْءٍ أَضُرُّ بِأَهْلِ آدَمَ ؟ قَالُوا : الْفَقْرُ . فَقَالَ ^(٢) كِسْرَى : الشُّحُّ أَضُرُّ مِنْ
الْفَقْرِ ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحَ لَا يَتَّسِعُ أَبَدًا .

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، كَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَالُوا لَهُ :
تَشْتَرِي بِهَا ضَيْعَةً ، فَصَتَرَبَ حَيْمَتَهُ خَارِجَ مَكَّةَ ، وَصَبَّ الدَّنَانِيرَ ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ
كَانَ يُعْطِيهِ قَبْضَةً قَبْضَةً ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ قَامَ وَنَفَضَ الثُّوبَ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ . وَلَمَّا
قَرَّبَتْ وَقَاتُهُ قَالَ : مُرُوا فَلَا تَأْخُذْ بِي ، وَكَانَ الرَّجُلُ غَائِبًا ، فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ ،
فَدَعَا بِتَذْكِيرِهِ ^(٣) فَوَجَدَ عَلَيْهِ ^(٤) سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ دَيْنًا ، فَقَضَاهَا وَقَالَ : هَذَا غَسَلِي
إِيَّاهُ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يُؤْذِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى وَجْهَهُ الْبَلَدَ ^(١) وَقَالَ : يَقُولُ
لَكُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُوا الْيَوْمَ عِنْدِي ، فَأَتَتْهُ فَمَلَعُوا الدَّارَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَ
الْخَبَرَ ، فَأَمَرَ أَنْ تُشْتَرَى الْفَاكِهَةُ ^(٢) فِي الْوَقْتِ ، وَأُمَرَ بِالْخُبْزِ وَالطَّبِيبِ ، فَأَصْلَحَ الْفَرَى ،
فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لِوُكَلَايِهِ : أَمْوَجُودُ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَتَعَدَّ هَؤُلَاءِ
كُلُّهُمْ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَنَا !

وَمِنْ الْخِصَالِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ، وَلَعَلَّهَا مِنَ الْأُصُولِ ، الصَّبْرُ .

(١) في م : : وبين العبد والخلق .

(٢) في م : : قال .

(٣) أوصى بأن يفعله محمد بن عبد الحكم .

(٤) التذكير : ما تستذكر به الحاجة .

(٥) في م : : « فوجد فيها » .

(٦) وجوه البلد : ساداته وأشرافه .

(٧) في ط : : « الفواكه » .

البَابُ الثَّانِي وَالْثَلَاثُونَ

فِي الصَّبْرِ

الصَّبْرُ زِمَامٌ سَائِرِ الْخِصَالِ ^(١) ، وَزَعِيمُ الثَّمَنِ وَالظَّفَرِ ^(٢) ، وَمَلَاكٌ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَبِهِ يُتَالُ كُلُّ خَيْرٍ وَمَكْرُمَةٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَمَثَّلَ كَلِمَةً ثَوِيًّا تِلْكَ الْحُسْنَى عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٤) : ﴿ إِنَّمَا يُجَلِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٥) . فَمُعْظَمُ وَطَائِفِ الدِّينِ ذَكَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَزَاءَ مَعْلُومَاتٍ لِمَنْ أَقَامَهَا ، إِلَّا الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ [مُجَازَاةٌ] ^(٦) بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ^(٧) . قِيلَ : عَنِ الدُّنْيَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ جَعَلَهُمُ اللَّهُ رُؤَسَاءَ ، وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ^(٨) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ إِلَهِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ

(١) فِي ١ م : « زِمَامُ الْخِصَالِ » .

(٢) الثَّمَنُ : الْفَوْزُ بِالشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . وَالظَّفَرُ : الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ . وَمَلَاكٌ : يَرَامُ .

(٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٣٧ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْفُوفِينَ عَنْ « ط » فِيمَا سِيَّأَى مِنْ قَوْلِهِ : « تَعَالَى » .

(٥) سُورَةُ الزُّمَرِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٠ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْفُوفِينَ عَنْ ١ م .

(٧) سُورَةُ السَّجْدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٢٤ .. وَلِى ١ م : خَطَطُ التَّنَاسُخِ بَيْنَ جُزْءٍ مِنَ الْآيَةِ ٧٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ وَجَاءَ بِقِيَةِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ ، الْآيَةِ ٢٤ حَتَّى مَعْنَا ، وَهِيَ ﴿ لَمَّا صَبَرُوا ﴾ .

(٨) سُورَةُ الْجِنِّ ، الْآيَةُ ٩٧ .

لَا يَكْذِبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١﴾ . وَقَالَ [تَعَالَى] :
﴿ وَلَقَسْنَا مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كُبِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

ثُمَّ نَدَبَهُمْ إِلَى الصَّبْرِ مَعَ وَجُودِ الْأَذَى فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَلْتَكُنْ لَكُمْ مِنْ
عِزِّ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٣﴾ . فَالصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الْأَوَامِرِ وَالْمَكَارِهِ ، وَعَنِ التَّوَاهِي
وَالْمَعَاصِي ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُؤَدُّونَ قَبِيلَ لَهُمْ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ
عُشَى الدَّارِ ﴾ ﴿٤﴾ . فَأَعْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَثَابَهُمْ ﴿٥﴾ جَنَّتُهُ بِصَبْرِهِمْ ، يَعْنِي : صَبَرْتُمْ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ ، وَصَبَرْتُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ لِنَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ﴿٦﴾ أَيِ : اخْبِرْ نَفْسَكَ [الْآيَةُ] ﴿٧﴾ . فَمِنْ أَمَارَاتِ
حُسْنِ التَّوْفِيقِ وَعَلَامَاتِ السَّعَادَةِ الصَّبْرُ فِي الْمُلْكَاتِ ﴿٨﴾ ، وَالرَّفْقُ عِنْدَ التَّوَزُّلِ .

وَفِيمَا يَرَوِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دَاوُدُ ، مَنْ صَبَرَ عَلَيْنَا
وَصَلَّ إِلَيْنَا . وَقَالَ سَفِيَانُ : بَلَّغْنَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ فَمْرَةً ، وَفَمْرَةُ الصَّبْرِ الظَّفَرُ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٩﴾ . فَعَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى ﴿١٠﴾ ، يَعْنِي : اصْبِرُوا عَلَى مَا قَرَضَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَصَابِرُوا عَذَابَكُمْ ، وَرَابِطُوا فِيهِ قَوْلَانِ : قِيلَ : رَابِطُوا عَلَى الْجِهَادِ .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٦ .

(٣) تكملة الآية السابقة (١٨٦) من سورة آل عمران .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٤ .

(٥) في « م » : « أَثَابَهُمْ » .

(٦) في « م » : « مَعَاصِي » .

(٧) سورة الكهف ، من الآية ٢٨ .

(٨) ما بين للمعروفين عن « ط » .

(٩) الْمُلْكَاتِ : المصائب والنوازل الشديدة .

(١٠) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(١١) في « م » : « بِمَعْنَى التَّقْوَى » خطأ من الناسخ .

وَالثَّانِي : رَابِطُوا عَلَى اتِّظَارِ الصَّلَوَاتِ ، بِدَلِيلِ مَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُذَلِّكُمْ عَلَى مَا يَحْطُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ^(٢) وَاتِّظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ » ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا اتَّكَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ^(٤) قَالَ : اتِّعَاقُ بِالْكَوْكَبِ فَصَبْرٌ [وَبِالْقَمَرِ فَصَبْرٌ] ^(٥) وَاتِّعَاقُ بِذَبْحِ ابْنِهِ فَصَبْرٌ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى] ^(٦) : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٧) . فَبَدَأَ بِالصَّبْرِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ دُونَ الْمُصَلِّينَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) لِلْأَنْصَارِ : « مَا يَكُنْ ^(٩) عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعِزْ ^(١٠) يُعِزَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ

(١) في « م » : « قَالَ النَّبِيُّ » .

(٢) قوله : « وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ » من « ط » ، وهي مذكورة في نص الحديث .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ بشرح النووي ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ج ١ ص ١٤٨ ، وكتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ج ١ ص ٢٥٥ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل المشي إلى المسجد للصلاة ج ٣ ص ٦٢ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية ١٢٤ .

(٥) ما بين المقوفين من « م » .

(٦) ما بين المقوفين من « ط » .

(٧) سورة البقرة ، من الآية ١٥٣ . وفي « م » : « واسْتَعِينُوا » بالواو . وَهُمْ وَخَلَطَ مِنَ النَّاسِخِ ، إِذْ أَنْ الْوَاوُ ذُكِرَتْ فِي آيَةِ الْخَامَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ السُّورَةِ نَفْسَهَا .. وَالْآيَةُ بِتَامِهَا : ﴿ واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ .

(٨) في « ط » : « عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » .

(٩) هكذا في « م » و « ط » وصحيح مسلم .. وفي التَّوْطُّأَ وَالْبَخَارَى : « مَا يَكُونُ » . وَكَلَامًا صَوَابًا . وَسَبَبَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ .

(١٠) مَنْ يَسْتَعِزُّ : أَيْ يَظْهَرُ الْيَقِينُ .

الله ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرَ أَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ ، ^(١) . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا لَيْدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ ، فَأُخْبِرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فَشَقَّ عَلَيْهِ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُخْبِرْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ، فَقَالَ لَهَا : « أَتَقِي » ^(٥) اللهُ وَأَصْبِرِي ، فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِجَنَلٍ مُصِيبَتِي ^(٦) ، فَلَمَّا قِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللهِ ، جَاءَتْ إِلَيْهِ تَعْتَذِرُ أَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهُ ، وَقَالَتْ : سَأَصْبِرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » ^(٨) ، وَيَحْتَمِلُ ^(٩) هَذَا الْحَدِيثُ وَجْهَيْنِ : أَمَّا الْخَطَأِيُّ ^(١٠) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّبْرَ الْمَحْمُودَ عِنْدَ أَوَّلِ

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب الاستغفار عن المسألة ، وآخره : « ... عطاء خيرًا وأوسع ... » وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب فضل التصدق والصبر ، وآخره : « وما أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عطاء خيرَ وأوسع من الصبر » رفع « خير » والتقدير : هو خير . ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب الصدقة ، باب ما جاء فى التصق من المسألة ، والدارمى فى كتاب الزكاة ، باب فى الاستغفار عن المسألة .

(٢) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه وغيره . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب إعطاء المولفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يُعطَ ، والترمذى فى المناقب .

(٤) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) فى « م » : « اتق » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « بمصيتى » .

(٧) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ج ٣ ص ١٤٨ من فتح البارى .. ومسلم فى كتاب الجنائز ، باب الصبر على المعية عند الصدمة الأولى ج ٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بشرح النووي .

(٩) من قوله : « ويحتمل » إلى قوله : « الصدمة الأولى » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(١٠) فى « ط » : « الطائى » خطأ ، والتصويب من فتح البارى ، فالقول الذى معنا هنا منسوب له فى المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . وهو : الفقيه المحدث حمَّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى ، أبو سليمان الخطائى ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠١٨ - ١٠٢٠] .

تُزُولُ الْمُصِيبَةِ ، وَقَدْ فَاتَكَ بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْقَابِسِيُّ ^(١) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّدْمَةَ الْأُولَى ^(٢) وَتَتْ أَمْرَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) بِالصَّبْرِ . وَكَانَ هَذَا تَعْلِيمًا لِكُلِّ مَنْ فَاتَهُ الصَّبْرُ يَذْهُولُ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ غَلِيَةٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ : « الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ » . وَفِي مَثْنَوِي الْحَكَمِ : قَالَتِ الصَّحَّةُ : أَنَا لِاحِقَةٌ بِأَرْضِي الْمَغْرِبِ ، قَالَ الْجُوعُ ^(٥) وَأَنَا مَعَكَ . قَالَ الْإِيمَانُ : أَنَا لِاحِقٌ بِأَرْضِي الْحِجَازِ ، قَالَ الصَّبْرُ : أَنَا مَعَكَ . قَالَ الْمُلْكُ : أَنَا لِاحِقٌ بِأَرْضِي الْعِرَاقِ ، قَالَ الْفَتْكُ : أَنَا مَعَكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَجَلَةَ خُرِقَ ^(٦) وَمَخْرَجُهَا مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَأَخْرَقَ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، وَتَغَلَّ ^(٧) ذَلِكَ كَالْقَلْبِ عَلَى النَّارِ ، إِنْ كَانَ مَاؤُهَا ^(٨) قَلِيلًا غَلَّتْ يَسِيرُهُ مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً لَمْ تَغْلِ ^(٩) حَتَّى تَكْثُرَ نَارُهَا وَتَطُولَ مُدَّتُهَا . وَفِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ خِرَد » ^(١٠) وَكَيْسِ ^(١١) لِلْعَجَمِ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، قَالَ : مُحَرَّمٌ عَلَى السَّامِعِ

(١) هو : الحافظ ، الْمُحَدَّثُ ، الفقيه الأصولي ، علي بن محمد بن خلف الماعري ، أبو الحسن ، من أهل القيروان من قرى قابس ، ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان ضريباً ، وله كتب غاية في الصَّحَّةِ ، وكان يضبطها له ثقات أصحابه ، وكان زوجها زاهداً تقياً . توفي - رحمه الله - بالقيروان سنة ٤٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٠ - ٣٢٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨] .

(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من م .

(٣) في م : « عليه السلام » .

(٤) في ط : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) في م : « المجزع » ، تصحيف .

(٦) الخُرْقُ : الجهل والحق .

(٧) في م : « ومثال » .

(٨) في م : « مَلُوءُهَا » . وفي ط : « ماؤه » . والقيتر : مؤنثة ، وقد تُذكر .

(٩) في م : « لَمْ تَغْلِ » .

(١٠) جَاوِيدَانِ : لفظة فارسية معناها : الخالد ، أو الطويل العمر . وخِرَد : العقل والذكاء . وبضم الخاء وسكون الدال : الصغر من كل شيء .

وهذا الكتاب منسوب إلى « هوسنك شاه » وقد غرَّبه الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، وخصه أيضاً في تعريبه . وأورد الشيخ علي بن مسكويه هذا الملخص في كتابه التَّمَسُّي بِأَدَابِ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ .

[انظر كشف الظنون للحاجي خليفة ج ١ ص ٣٨٧] .

(١١) في م : « ليس » بدون الواو .

تَكْذِيبُ الْقَائِلِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، هُنَّ غَيْرُ الْحَقِّ : صَبْرُ الْجَاهِلِ عَلَى مَضَضِ الْمُصِيبَةِ ، وَعَاقِلٌ أَبْقَضَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَاةٌ أَحَبَّتْ كَنَّهُ (١) .

فصل

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى أَقْسَامٍ : صَبْرٌ عَلَى مَا هُوَ كَسْبٌ لِلْعَبْدِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْكَسْبِ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ لِلْعَبْدِ ، فَكَصْبُهُ (٢) عَلَى مُقَاسَاةٍ (٣) مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا لَهُ فِيهِ مَشَقَّةٌ ، وَيَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ (٤) عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَأَوَّلُ أَقْسَامِهِ وَأَوَّلَاهَا (٥) : الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالِاتِّهَاءِ عَمَّا (٦) نَهَى عَنْهُ . وَالثَّانِي : الصَّبْرُ عَلَى مَا فَاتَ إِذْرَاكُهُ مِنْ مَسْرَّةٍ ، أَوْ تَقْصُصُتْ أَوْقَاتُهُ مِنْ مُصِيبَةٍ . وَالثَّلَاثُ : الصَّبْرُ فِيمَا يَنْتَظَرُ وُرُودَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى حُدُوثَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَخَافُهَا . وَالرَّابِعُ : الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلَّ مِنْ أَمْرِ مَخُوفٍ ، وَجَمِيعُ أَقْسَامِهِ مَحْمُودَةٌ (٧) بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَفِي كُلِّ مِلَّةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ أَوْ كَافِرَةٍ .

وَقَالَ أَكْثَرُ بَنِي صَيْفَى : مَنْ صَبَرَ ظَفِيرٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨) : الصَّبْرُ مَوَلِيَّةٌ لَا تَكْبُرُ ، وَالْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُرُ (٩) . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : الصَّبْرُ

(١) الكِنَّةُ : امرأة الابن .

(٢) في م : : كَصْبُهُ .

(٣) في م : : مقامات ، تصحيف .

(٤) في م : : : وجوه أخرى .

(٥) في م : : : : : .

(٦) في م : : : : : لا تصح هنا ، إذ أن « مَنْ » اسم موصول للعاقل بعكس « ما » التي تستعمل لغیر العاقل .

(٧) في م : : : : : محمود .

(٨) في م : : : : : رضى الله عنه وكرّم الله وجهه ، معاً .

(٩) لا تكبر : لا تكبر على وجهها : وسيف لا ينبو : يصيب الضرب .

الدَّرَك . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١) : « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ . وَبِالصَّبْرِ يَتَوَقَّعُ الْفَرَجُ » .
 وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكَرُوبِ وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ » . وَقَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : « أَفْضَلُ الْعِلْمَةِ ^(٢) الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَةِ » . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ ^(٣) : لَمْ
 أَسْمَعْ أُعْجِبَ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) : لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ
 مَعْطَيْنِ ^(٥) مَا بَالَيْتُ أَتَهُمَا رَكْبَتْ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِالصَّبْرِ عَلَى مَوَاقِعِ الْمَكْرُوهِ
 تُدْرِكُ الْحُظُوظُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفْتِخِ فِي كِتَابِ : « الْيَقِينَةِ » ^(٦) : « الصَّبْرُ صَبْرَانِ ^(٧) ، فَالْقَامُ أَصْبَرُ
 أَجْسَامًا ، وَالْكِرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا . وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ
 الْجَسَدِ ^(٨) عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ ^(٩) الْحَمِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ
 غَلَبًا ، وَلِلْأُمُورِ مُحْتِمَلًا ، وَلِحَاشِيهِ عِنْدَ الْحِفَاطِ مُرْتَبِطًا ^(١٠) . وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمَةِ :
 مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيَعِدْ لِلْمَصَائِبِ قَلْبًا صَبُورًا . وَقَالَ بَرْزَجِيهَرُ : لَمْ أَرْ ظَهِيرًا ^(١١) عَلَى

(١) في م : « وعليه السلام » في الموضعين .

(٢) العِلْمَةُ : مَا أُعِدَّ لَأَمْرٍ يَحْدُثُ .

(٣) هو : عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، العامري بالولاء المعروف بالكاتب ، عالم بالأدب ، ويُنْصَرَفُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
 البلاغة ، سكن الشام ، وصار كاتباً لمرwan بن محمد آخر ملوك الدولة الأموية .. توفي سنة ١٣٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٨ - ٣٣٢ ، وثمار القلوب
 ص ١٩٦ - ١٩٩] .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) في م : « لو كان الشكر والصبر مطيئان » والأخيرة خطأ من الناسخ ، والصواب : « مطيئين » .

(٦) وفي الأدب الكبير أيضاً .

(٧) هكذا في م ، و « ط » .. والكلام هكذا يبدو ميتوراً ، ففي الأدب الكبير : « الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرُ الْمَرْءِ عَلَى
 مَا يَكْرَهُ ، وَصَبْرُهُ عَمَّا يُحِبُّ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ أَكْبَرُهُمَا وَأَشْبَهُهُمَا - يَعْنِي أَمْلَهُمَا - أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مُضْطَرّاً .
 وَعَلِمَ أَنَّ الْقَامَ أَصْبَرُ أَجْسَاداً .. » الخ .

[انظر المصدر السابق ص ١١٠] .

(٨) في م : « الجسم » .

(٩) في م : « وصف » .

(١٠) الجُنَاشُ : النَّفْسُ وَالْقَلْبُ .. والمراد : أَنْ يَكُونَ ثَابِتاً عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

(١١) ظهيراً : مُبِيناً .

تَنْقِلُ الثُّوْلَ كَالصَّبْرِ ، وَلَا مُذِلًّا لِلْحُسَادِ كَالْتَّجَمُّلِ ، وَلَا مَكْسِبَةً لِلْإِجْلَالِ كَتَوَقُّي
الْمَرْاجِ (١) ، وَلَا مَجْلِبَةً لِلْمَقْتِ كَالْإِعْجَابِ ، وَلَا مَتَلَفَةً لِلْمُرُوءَةِ كَاِسْتِعْمَالَ الْهَزْلِ فِي
مَوْضِعِ الْجِدِّ .

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (٢) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالِإِتِّهَاءِ عَنْ
مَحَارِمِهِ ، فَبِهِ يَصِحُّ أَذَاءُ الْفَرَائِضِ وَاسْتِكْمَالُ السُّنَنِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا
يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) . وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . وَقَالَ الْجُنَيْدُ : الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا
سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، وَهَجْرُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى
اللَّهُ [تَعَالَى] (٤) شَدِيدٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى شَدِيدٌ . وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ : تَجَرُّعُ
الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيسٍ (٥) . وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ (٦) إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّا
وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٧) بَكَى ثُمَّ قَالَ : وَاعْجَبَاهُ ! أُعْطِيَ وَأُتِنِيَ (٨) .
وَقَالَ الْخَوَاصُّ (٩) : الصَّبْرُ : الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

(١) المَرْاج : الْهَزْلُ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « الْقِسْمُ الثَّانِي » خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) سُورَةُ الزُّمَرِ ، مِنَ الْآيَةِ الْعَاشِرَةِ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُودَيْنِ عَنْ « م » ..

(٥) التَّحْيِيسُ : التَّجَهُُّمُ .

(٦) مِنْ رِوَاةِ الْحَلِثِ . [انْظُرْ مِيزَانَ الْإِحْتِدَالِ ج ١ ص ٤٥٢] .

(٧) سُورَةُ « ص » مِنَ الْآيَةِ ٤٤ .

(٨) فِي « م » : « وَاعْجَبَاهُ » وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : « أُعْطِيَ » قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأَوَّلَى الْأَرْبَابِ ﴾ .. وَهِيَ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنْ سُورَةِ (ص) وَالْمُرَادُ بِالتَّاءِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

(٩) هُوَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، صَوَّقَ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ ، وَكَانَ أَوْحَدَ الْمُشَافِخِ فِي وَقْتِهِ ، وَلِدَ
فِي « سُرَّ مَنْ رَأَى » وَتَوَفَّى فِي جَامِعِ الرُّمِّيِّ سَنَةَ ٢٩١ هـ .

[انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ ج ١ ص ٢٨ ، وَطَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَانِ ص ٩٧ ،

٩٨ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ج ٦ ص ٧ - ١٠ ، وَحُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ ج ١٠ ص ٣٢٥ - ٣٣١ ، وَالرِّمَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ج ١

ص ١٤٧] .

ابْنُ تَيْمٍ (١) : مَنْ تَوَى الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى صَبْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَقَوَاهُ (٢) ، وَمَنْ عَزَمَ عَلَى الصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ [تَعَالَى] (٣) أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ مِنْهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَوْصِنِي . فَقَالَ الْقَاسِمُ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي مَوَاضِعِ الصَّبْرِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ عَمَّا (٤) نَهَى اللَّهُ [تَعَالَى] (٥) عَنْهُ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الصَّبْرُ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَإِنَّ (٦) مَنْ خَافَ شَيْئًا صَبَرَ عَلَى الْفِرَاقِ مِنْهُ ، وَصَبَرَ عِنْدَ الْكَرَاهِيَةِ لِمَا يَخْذَلُ (٧) مِنْ ضَرَرِهِ ، وَمَنْ رَجَا شَيْئًا صَبَرَ عَلَى طَلِبِهِ لِيَقْطُرَ بِهِ (٨) .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَاقَاتِ إِفْرَاقِهِ مِنْ مَسْرَةٍ ، أَوْ تَقَعُّضِ أَوْقَاتِهِ مِنْ مُصِيبَةٍ ، فَإِنَّهُ يَتَّعَجَلُ بِهِ الرَّاحَةَ مَعَ اكْتِسَابِ الْمُثُوبَةِ ، فَإِنَّ صَبْرَ طَائِعًا اسْتِرَاحَ وَأَخْرَجَ الثَّوَابَ ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ حَمَلَ الْهَمَّ وَالْوِزْرَ (٩) . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ (١٠) : إِنْ تَجَزَّعَ فَقَدْ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ مِنْكَ بِالرَّحِمِ ، وَإِنْ تَصَبَّرَ فَقَدْ قَبِلَ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى خَلْفَ مِنْ أَيْنِكَ ، وَإِنْ صَبَّرْتَ (١١) جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَلَّتْ

(١) هو : عبد الواحد بن زيد البصري ، الزاهد ، من رولة الحديث ، وأحد أعلام الصوفية ، لحق الحسن وغيره ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي سنة ١٧٧ هـ .

[انظر طبقات الأولياء ص ١٨٣ ، والرسالة القشورية صفحات متفرقة ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧] .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مَنْ تَوَى الصبر على طاعة الله عز وجل صبره الله عليها » . وسقط « وقواه » منها .

(٣) ما بين المقوفين عن « ط » .

(٤) ل « م » : « عندما » تصحيف .

(٥) ما بين المقوفين عن « م » .

(٦) « فإن » عن « ط » .

(٧) في « م » : « وصبر عن كرامته ما يعجز » تحريف .

(٨) ابتداء من هنا إلى قوله : « يتعجل به الراحة » عن « ط » وساقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٩) الوزر : اللثب .. وفي « م » : « والوزرة » لا تصح بهذا المعنى .

(١٠) قاله علي ، كرم الله وجهه ، يُعْزَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَيُوسِيهِ عَنْ ابْنِ لَهُ .

[انظر ضج البلاغة ص ٥٢٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(١١) ل « ط » : « إن تصبر » .

مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ ^(١) . وَنَظَمَهُ أَبُو تَمَّامٍ ^(٢) فَقَالَ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَائِمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوِ عِزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجَرُ أَمْ تَسْلُو سُلُو الْبِهَائِمِ ^(٣)
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْعِزَا وَتِلْكَ الْأَيَّامِ لِلْبُكََا وَالْمَائِمِ ^(٤)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِرَجُلٍ : إِنْ صَبَرْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ مَأْجُورًا ، وَإِنْ جَزَعْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ مَأْزُورًا . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا الْجَزَعُ ^(٥) مَا قُنْنَا بِهِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آجَرَنَا عَلَى مَا لَوْ نَهَانَا عَنْهُ لَصِيرْنَا إِلَيْهِ . وَغَرَنَ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ ، الْجَزَعُ أَثَقَبُ مِنَ الصَّبْرِ ، فَيُفِي الْجَزَعُ الثَّغْبَ وَالْوِزْرَ ، وَفِي الصَّبْرِ الرَّاحَةُ وَالْأَجْرُ . وَلَوْ صَوَّرَ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ لَكَانَ الصَّبْرُ أَحْسَنَ صُورَةً وَأَكْرَمَ طَبِيعَةً ، وَكَانَ الْجَزَعُ أَثَقَبَ صُورَةً وَأَخْوَرَ ^(٦) طَبِيعَةً ، وَلَكَانَ الصَّبْرُ أَوْلَاهُمَا بِالْعَلِيَّةِ

(١) في (م) : جَرَى عَلَيْكَ الْمَقْدُورُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ أي : مفترق للوزر ، وهو : الذنب .

(٢) هو الشاعر : حبيب بن أوس بن الحرث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد في « جاسم » من قُرَى « حوران » بسورية ، سنة ١٨٨ هـ . ورحل إلى مصر ، واستقدمه المحتشم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء عصره .. وله تصانيف ، منها : ديوان الحماسة ، وغنار أشعار القبائل ، ونفاثس جريد والأخطل ، والوحشيات ، وغيرها .. تولى سنة ٢٣١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٦٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١١ - ٢٦ ، وطبقات الشعراء ج ٢ ص ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٤٨ - ٢٥٣ ، والأغاني ج ١٧ ص ٦٢٢٧ - ٦٢٥٠ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشلرات الذهب ج ٢ ص ٧٢ - ٧٤ ، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ج ١] .
وقد وردت هذه الأبيات الثلاثة في ديوانه ضمن قصيدة من تسعة عشر بيتاً يمدح فيها مالك بن طوق ويعزيه عن أخيه القاسم بن طوق .

(٣) هكذا البيت في « ط » والديوان .. وفي « م » وأدب الدنيا والدين : « خَشْيَةٌ » بدل « حِسْبَةٌ » .

[انظر أدب الدنيا والدين ، في الصبر والجزع ص ٣٤٦] .

(٤) الأيَّامى : اللاتى قَدْ قَدْ أَرْوَّاجَهُنَّ .. والبيت في الديوان :

« خُلِقْنَا رِجَالًا لِلصَّبْرِ وَالْأَمْسَى .. وَتِلْكَ الْعَوَانِي لِلْبُكََا وَالْمَائِمِ » .

[انظر ديوان أبي تمام ج ٢ ص ٢٥٩ ط دار المعارف] .

(٥) هكذا في « ط » .. ويقال : كَلَفَةُ الْأَمْرِ : أَوْجَبَتْ عَلَيْهِ .. وفي « م » : « وَاللَّهِ لَوْ قَدْ كُنَّا بِالْجَزَعِ » . والأول أفصح .

(٦) أخور : أضعف . وفي « م » : « أَجْوَرُ » أي : أظلم . والأول أَوْجَه .

لِحُسْنِ الْخَلْقَةِ وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَوْ وَكَّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لِلْجَنُودِ إِلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ لِلْمَهْدِيِّ ^(١) : إِنَّ الْمَرْءَ ^(٢) أَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِهِ ^(٣) ، وَالشَّد :

وَإِذَا تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمْتَ مُصِيبَةٌ مُبْتَلَى لَا يَصْبِرُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعُوضْتُ أَجْرًا مِنْ قَعِيدٍ فَلَا تُكُنْ قَعِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ بِمَجْمُوعٍ لَهُ الرُّشْدُ مَنْ تَابَعَ التَّلَهُّفَ عَلَى قَائِتٍ ، أَوْ أَكْثَرَ الْفَرَحِ عِنْدَ مُسْتَطَرَفٍ ^(٤) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : إِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا قَلْتَ مِنْ يَدْبِكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَمَنْ يُقِنَّ أَنْ كُلَّ قَائِتٍ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٥) حَسَنَ عَزَاؤُهُ عِنْدَ تَزُولِ الْقَضَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَالَ بِالْمَحْزُونِ أَيَّامُ صَبْرِهِ كَسَاهُ ضَنَا طَوْلُ الْمَقَامِ عَلَى الصَّبْرِ ^(٦)
وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّبْرَ يُحْمَدُ بِغَيْهِ وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَيْهِ مِنَ الْعُمْرِ ^(٧)

وَقَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : الصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالْإِشْفَاقِ ، وَالزُّهْدِ ^(٨) ، وَالتَّرَقُّبِ ، فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ أَقْصَرَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ .

(١) في « م » : المهدى ، تصحيف .

(٢) « المرء » عن « ط » .

(٣) هكذا في « ط » ، وأدب الدنيا والدين .. وفي « م » : « ما لا يجد إلى دفعه سبيلا » .

(٤) مُسْتَطَرَفٌ : مُسْتَعْدِدٌ . وفي « ط » : « مُسْتَطَرَقٌ » .

(٥) في « ط » : « إلى نقصان » .

(٦) في « م » : « ضنا » بدل « ضنا » تصحيف من الناسخ .

(٧) يُحْمَدُ بِغَيْهِ ، أَيْ : أُخِيرَتْ حِمْدُهُ .. وفي « م » : « غَيْهِ » تصحيف .

(٨) في « م » : « الزهادة » .

وَأَمَّا (١) الْقِسْمُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ فِيمَا (٢) يَنْتَظِرُ وُرُودَهُ مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى خُذُولَهُ مِنْ رَهْبَةٍ يَخَافُهَا فِيالصَّبْرِ وَالتَّلَطُّفُ يَدْفَعُ (٣) عَادِيَةَ مَايَخَافُ ، وَيَتَأَلَّ (٤) نَفْعَ مَا يَرْجُو . قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) : « اِنْتَظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ » (٦) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ (٧) .

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَبَا (٨)
لَايَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا (٩)
أُخْلِقَ يَذَى الصَّبْرُ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذِمِّنُ الْفَرْجِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا (١٠)
وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا « ذِفَار » (١١) ، فَبَيَّنَّا أَنَا أَطُوفُ فِي خَرَابِهَا
إِذْ رَأَيْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ خَرَابٍ :

(١) في م : : « فَأَمَّا » .

(٢) في م : : « عَلَى مَا » .

(٣) في ط : : « وَتَدْفَعُ » .

(٤) في م : : « وَيَقْتُلُ لَا تَصِحُّ » .

(٥) في ط : : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٦) في الترمذی ، في كتاب الدعوات : « أفضل العادة انتظار الفرج » .

(٧) هو : محمد بن بشر بن محمد ، أبو بكر المعافري ، قاضي أندلسي ، من أهل بلجة ، كان كاتباً لأحد الوزراء ، حج ولقي أنس بن مالك ، وسمع علماً كثيراً ، واستقضىه الحكم بن هشام بقرطبة ، واستمر في القضاء إلى أن توفي سنة ١٩٨ هـ . وله شعر في نفع الطيب وغوره . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٥٢ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ونفع الطيب ج ٢ ص ٣٤٧ - ٣٥٣ ، وقضاة قرطبة ص ٧٣ - ٨٨] .

(٨) هكذا البيت في : م و فيها « اسْتَدَّتْ » بدل « انسلت » .. وفي ط : : « اشددت » بالشين المعجمة . وفيها : « مَا ارْتَجَبَا » بدل « مَا ارْتَجَبَا » والأخيرة بمعنى : استطلق . وفي أدب الدنيا والدين ، والمنهاج : « مطالبا » بدل « مسالكها » وفي العقد الفريد وأدب الدنيا والدين .. « يفتق » مكان « يفتح » .

(٩) هكذا البيت في : ط و منهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين .. وفي م : : « مَا نَسَنُ » تحريف من الناسخ . والشرطة الثانية في العقد الفريد : « إِذَا تَضَائِقُ أَمْرٌ أَنْ تَرَى فَرْجَا » .

(١٠) أُخْلِقَ : جدير ، أو أَجْدَرُ وَأَحْزَى .. وبلج : يدخل .

[انظر الأبيات في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومنهاج اليقين ص ٤٧٦ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٤٨ الدار المصرية] .

(١١) هكذا في : م و ط و ولم أقف عليها ، ولعله يريد « ذِمَار » بالميم ، وهي قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، يُنسب إليها نَفَرٌ من أهل العلم .. أو يريد « دفا » بالذال المهلهلة والقاء المعجمة ، وهي أيضاً باليمن .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧ مادة « ذمار » و ج ٢ ص ٤٥٨ مادة « دفا »] .

يَا مَنْ أَلْعَ عَلَيْهِ النَّهْمُ وَالْفِكْرُ وَغَيَّرَتْ حَالَهُ الْأَيَّامُ وَالْغَيْسَرُ
أَمَّا سَمِعْتُ بِمَا قَدْ قِيلَ فِي مَثَلٍ عِنْدَ الْإِيَّاسِ قَائِنِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ ^(١)
نَمْ لِلْخُطُوبِ إِذَا أَخَذَتْهَا طَرَقَتْ وَأَصْبِرْ فَقَدْ فَارَ أَقْوَامٌ بِمَا صَبَرُوا
فَكُلُّ ضَبِيقٍ سَيَأْتِي بَعْدَهُ سَعَةٌ وَكُلُّ قَوْبٍ وَشِيكٍ بَعْدَهُ الظُّفَرُ

وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ بِحُطِّ آخَرَ : لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ صَبَرَ أُعْقِبَ الظُّفَرُ صَبَرْتُ ، وَلَكِنَّا نَجِدُ
الصَّبْرَ فِي الْعَاجِلِ يُفْنِي الْعُمَرَ ، وَيُلْدِنِي مِنَ الْقَبْرِ ، وَمَا كَانَ أَصْلَحَ لِدَى الْعَقْلِ مَوْتُهُ وَهُوَ
طِفْلٌ ، وَالسَّلَامُ . قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتُهُ لَكُنْتُ تَحْتَهُ : فِي الصَّبْرِ اسْتِعْجَالَ الرَّاحَةِ ، وَالتَّيْظَارُ
الْفَرَجِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَأَجْرٌ بغيرِ حِسَابٍ . وَفِي الْجَزَعِ اسْتِعْجَالَ النَّهْمِ ، وَنَهْكَ
الْبَدَنِ ، وَاسْتِشْعَارُ الْخَبِيَةِ ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَحُمْلُ الْإِنِّامِ مَعَ الْعُقُوبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ
لِدَوَى الْعُقُولِ ^(٢) اجْتِنَابُ هَذَا ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى ، وَمَنْ شَكَرَ حَصَنَ التَّعْمَاءَ ^(٣) . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ ^(٤)
أَصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي قُرْبَمَا سَاعِدَ الْحُرُونُ ^(٥)
وَرُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٦) : مَا أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَاتَّقَرَهَا

(١) في م : : : : : مِنْ مَثَلٍ .

(٢) في ط : : : : : لِدَى الْعَقْلِ .

(٣) التَّعْمَاءُ : الدَّعَّةُ وَطَبِيبُ الْعِيْشِ .

(٤) في ط : : : : : وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ .

(٥) في م : : : : : الْحُرُونُ : بِالزَّأْيِ الْمَجْمَعَةِ ، وَمَعْنَاهَا : النَّاسُ الْغِلَاطُ الَّذِينَ غَشَّيَتْهُمْ مَعَالِمُهُمْ . وَمُرْفَدُهَا :
خَزَنَ .. وَالْحُرُونُ ، بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ : صَعِبُ الْإِقْتِيَادِ . وَيُقَالُ : فَرَسٌ حُرُونٌ : أَيْ : لَا يَنْقَادُ ، إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْجُرْيُ
وَقَفَّ .

(٦) في م : : : : : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢).

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) قَالَ : ﴿ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ اللَّهُ بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَأَفْعَلْ ، وَإِنْ (٤) لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا نَكَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا (٥) ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ (٦) وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ (٧) . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مُتَاضِلُ الْجِدَّتَانِ (٨) وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ (٩) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : يَمِفْتَاحُ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالِجُ مَعَالِيقُ الْأُمُورِ . وَالشُّبُوحَا :

إِنَّمَا أَجَزَعُ مِمَّا أَتَقَى فَإِذَا حُلَّ فَمَا لِي وَالْجَزَعُ
وَلَمَّا حُبِسَ أَبُو أَيُّوبَ فِي الْخَبْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (١٠) ضَاقَتْ جِلَّتُهُ ، وَقَلَّ صَبْرُهُ ،
وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَشْكُو طَوْلَ حَبْسِهِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ جَوَابَ رَفْعِيهِ (١١) :

صَبْرًا أَبَا أَيُّوبَ صَبْرٌ مُبْرِجٌ فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا ؟
إِنَّ الْإِدَى عَقْدَ الْإِدَى اتَّعَقَدَتْ بِهِ عَقْدَ الْمَكَارِهِ فَبِكَ يَمْلِكُ خَلْمَهَا

(١) سورة النحل ، من الآية ١٢٧ .

(٢) سورة لقمان ، من الآية ١٧ .

(٣) في « ط » : « عليه السلام » .

(٤) في « م » : « فَإِنْ » .

(٥) في « م » و « ط » : « غير كثير » بالرفع ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) في « م » : « واعلم أَنَّ الصبر مع الكرب » .

(٧) الحديث رواه أحمد بن حنبل .

(٨) في نهج البلاغة : « يتنازل » بدل « متنازل » . والجِدَّتَانِ : نواب الدهر ، أى : أَنَّ الصبر يُدافع نواب الدهر

وحوادثه .

(٩) أى : أَنَّ الْجَزَع - وهو : شدة الْفَزَع - يهين على الإضرار بصاحبه .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٧٠٥ ط دار البلاغة] .

(١٠) في « م » : « خمسة عشرة سنة » خطأ من الناسخ ، وأبو أيوب هو : سليمان بن أبي

سليمان ، غلد . كان وزيراً لأبي جعفر المصور . [انظر ترجمته في وفيت الأعيان . ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١٤] .

(١١) في « م » : « وكتب إلى بعض إخوانه يقول » .

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يَغْفُبُ رَاحَةً فَلَمَلَهَا أَنْ تَشْجَلِي وَلَمَلَهَا (١)
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَبُو أَيُّوبَ (٢) كَتَبَ إِلَيْهِ :

صَبْرَتِي وَوَعظتني فَأَنَا لَهَا وَتَشْجَلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَمَلَهَا
وَيَحُلُّهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِهَا كَرَمًا بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَّهَا

فَمَا لَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُطْلِقَ مُكْرَمًا . وَلِتَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ (٣) :

سَأَسْأَلُكَ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَبْقًا لَيْسَ فِيهِ قُلُوبُ (٤)
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنِّي غَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ غَلِيلٌ (٥)
وَأَنْ أَلِدَى بِشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ وَيَسْكُو بِنَا فِي نَفْسِهِ لَجْهُولٍ (٦)

وَأَشْكُوا :

دَعِ الدَّهْرَ يَجْرِي بِإِقْدَارِهِ وَيَقْضِي عَجَائِبَ أَوْطَارِهِ (٧)
وَتَمِ نَوْمَةً عَنْ وِلَاةِ الْأُمُورِ وَحُلِّ الزَّمَانِ بِتَدْوَارِهِ

(١) في م : : ولعلها أن تجلي .

(٢) في م : : دأبأ أيوب ، لا تصح .

(٣) في م : : المعتز ، تصحيف . وهو : تميم بن الحر بن المنصور بن القاسم بن المهدي الفاطمي ، أبو علي أمير ، وُلِدَ سنة ٣٢٧ هـ ، وكان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، فُرِّقَ في أخفان النعم ، ومال إلى الأدب ونظم الشعر الرقيق ، وله ديوان شعر مطبوع . وكان فاضلاً ، ولَمْ يَلِ الْمُلْكَ ، لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار وتوفي بمصر سنة ٣٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، والحلة السراء ج ١ ص ٢٩١ - ٣٠١ ، وعصر الدول والإمارات - مصر والشام - ص ٣٠٦ - ٣١١] .

(٤) القُلُوبُ : الكسور في حد السيف .. وهذا البيت هو البيت الأخير من قطعة مكونة من ستة أبيات في الديوان . [انظر ديوان تميم بن الحر ص ٣٢٦ ط دار الكتب] .

(٥) ترتيب هذا البيت هو الرابع في القطعة السابقة من الديوان ، والشطرة الأولى منه : : عدائي إلى الشكوى إلى الناس أنني .

(٦) وهذا هو البيت الثالث في القطعة المشار إليها ، والشطرة الأولى منه : : وإن أُمِرَ بِشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ .. وفي م : : وَإِنْ أَمُرُّ ، خطأ من الناسخ ، فهذه الصورة الأخيرة يتكسر وزن البيت .

(٧) في م : : يجرى بمقداره .

فَإِنَّكَ تُرَحِّمُ مَنْ قَدْ غَبِطْتَ وَتُعْجِبُ مَنْ قُبِحَ آثَارُهُ ^(١)
وَالشَّدِيدِي بَعْضُهُمْ :

وَيَمْنَعُنِي الشُّكُوى إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ
وَيَمْنَعُنِي الشُّكُوى إِلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا آفَاهُ قَبْلَ أَقُولُ ^(٢)
وَلِأَخَرِ :

إِذَا اثْبَلَيْتَ فَنَقَى بِاللَّهِ وَارِضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوى هُوَ اللَّهُ
الْيَأْسُ يَنْقَطِعُ أَحِبَانَا بِصَاحِبِهِ لَا تَيَأْسُنْ فَإِنَّ الصَّابِعَ اللَّهُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ مَا لَامَرُوا حِيلَةً فِيمَا قَضَى اللَّهُ

وَصَرَّفَ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ : صَابِرٌ ، وَصَبُورٌ ، وَصَبَّارٌ ، وَمُتَصَبِّرٌ . فَالْمُتَصَبِّرُ : مَنْ
صَبَرَ لِي اللَّهِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، فَتَارَةً يَعْجُزُ ، وَتَارَةً يَصْبِرُ . وَالصَّابِرُ : مَنْ لَا يَشْكُو
وَلَا يَعْجُزُ . وَالصَّبَّارُ : الَّذِي لَوْ دُفِعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْبَلَاءِ وَالْجَحَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُهُ فِي
الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْ وَجْهِهِ الرُّسْمُ وَالْبَشَرِيَّةُ وَالْخِلْقَةُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَقَاتَ بِهِ الصَّبُّ رُفَصَاحِ الصَّبُورِ يَا صَبْرَ صَبْرًا
وَهَذَا أَقْوَى نَيْبٍ قِيلَ فِي الصَّبْرِ وَأَحْسَنُهُ ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

صَبْرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صَبْرًا أَصَارَنِي إِلَى أَنْ يَتَأَدَّى الْحَالُ لَا صَبْرَ لِلصَّبْرِ
وَالصَّبُورُ : هُوَ الثَّابِتُ عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ . وَقِيلَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي ، وَإِنْ مِنْ أَخْلَاقِي أَنِّي أَنَا الصَّبُورُ . وَيُقَالُ : الصَّبْرُ لِلَّهِ

(١) فِي (٢٠) : وَتَضْحَكُ مِنْ سَوْءِ آثَارِهِ . وَغَبِطْتَ : تَحْتَبِطُ مِثْلَ مَا عَنَدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرِيدَ زَوَالَهُ عَنْهُ .

(٢) فِي (٢٠) : عَلِيمٌ بِمَا أُبْهِدَهُ .

غَثَى^(١) ، وَالصَّبْرُ بِاللَّهِ تُقَى^(٢) ، وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ بَلَاءٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ وَقَاءٌ^(٣) ، وَالصَّبْرُ عَنِ اللَّهِ جَفَاءٌ . وَأَلْشَدُّوا :

إِذَا لَبِىَ الرَّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُ الْحُبَّ يَلْقُبُ بِالرَّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مَعَ الشَّمَالِ

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ^(٤) : بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْتَصْبِيرِ حَالَةٌ هِيَ : التَّنْعُمُ ، وَذَلِكَ^(٥) إِذَا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْآخِرَةِ يَذُلُّهُ عَلَى مَنَازِلِ الصَّابِرِينَ عِنْدَهُ ، فَيَتَنَعَّمُ الْقَلْبُ بِسُرُورِ التَّنْعِيمِ^(٦) . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ^(٧) : الصَّبْرُ هُوَ : الَّا تُفَرِّقَ^(٨) بَيْنَ حَالِ التَّنْعِمَةِ

(١) في (م) : « غَثَا » . والصبر لله كثير الاستقلال بالفعل .

(٢) في (م) : « بقاء » . والصبر بالله تؤذن بالتبري من الحول والقوة .

[انظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٤] .

(٣) في (م) : « وقار » .

(٤) هو : الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٥٣ ، وطبقات الصوفية ص ٥٦ - ٦٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٧٣ - ١٠٩ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ - ٢١٦ ، وطبقات الشرائع ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ، وميزان الاحتدال ج ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٨ - ٨٠ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١١٠ - ١١٢ ، وطبقات الأولياء ص ١٧٥ - ١٧٧] .

(٥) في (م) : « وكان » بدل « وذلك » .

(٦) في (م) : « التَّعْم » .

(٧) في (م) : « الحارث » بدل « الجريري » تصحيف . وقد ورد هذا القول منسوباً إليه في الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٦ باب الصبر . وهو : أحمد بن محمد بن الحسين ، أبو محمد الجريري ، والأخير نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل ، وقد غلبت عليه كنيته ، وهو من كبار مشايخ الصوفية ، وكان عالماً بعلومهم ، صاحب الجنييد ، وسهل بن عبد الله ، وأُعيد مكان الجنييد بعد وفاته لقزرة علمه ، تولى - رحمه الله - سنة ٣١١ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ، وطبقات الشرائع ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٣٠ - ٤٣٤ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٤] .

(٨) في (م) : « الصبر الَّا تُفَرِّقَ » .

وَالْمَحْنَةُ مَعَ سُكُونِ الْخَاطِرِ فِيهِمَا . وَالصَّبْرُ ^(١) هُوَ السُّكُونُ مَعَ الْبَلَاءِ مَعَ وَجْدَانِ انْقَالِ
الْمَحْنَةِ ^(٢) . وَالشَّدْوُ :

صَبْرْتُ وَلَمْ أُطْلِعْ هَؤُلَاءِ عَلَى صَبْرِي وَأَخْفَيْتُ مَا بِي مِنْكَ عَنْ مُوَضِيعِ السَّرِّ
مَخَافَةَ أَنْ يَشْكُو ضَمِيرِي صَبَاتِي إِلَى ذَمَّتَنِي سِرًّا فَتَجَرِي وَلَا أُذْرِي
وَقِيلَ لِلْمُحَاسِبِيِّ : بِمَاذَا يَقْوَى الصَّابِرُ عَلَى صَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي صَبْرِكَ
رِضًا مَوْلَاكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَكِيمِ :

رَضِيْتُ وَقَدْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْتَخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا صَاحِبِ الْأَمْرِ ^(٣)
وَفِي مَعْنَاهُ :

سَأَصْبِرُ كَمَا تَرْضَى وَأُكَلِّفُ حَسْرَةً وَحَسْبِيَ أَنْ تَرْضَى وَيَتَلَفَّنِي صَبْرِي ^(٤)
قَالَ شَيْخُنَا : وَتُكَلِّفُ ^(٥) لِمَنْ تُجِبُهُ أَعْظَمُ مِنْ تُكَلِّفِكَ لِنَفْسِكَ ، هَذَا أَيُّوبُ لَمَّا أُصِيبَ
بِنَفْسِهِ قَالَ : ﴿ مَسَّنِيَ الضَّرُّ ﴾ . وَيَقْتُوبُ لَمَّا أُصِيبَ بِحَبِيْبِهِ قَالَ : ﴿ وَأَسْتَفَا عَلَى
يُوسُفَ ﴾ . قَالَ أَحْمَدُ ^(٦) : قَالَ لِي أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ ^(٧) : أَتُدْرِي بِمَاذَا ^(٨) أُرْزِلَ الْعُقَلَاءُ

(١) هكذا في « د » و « ط » .. وفي الرسالة القشيرية : « والصبر » .

(٢) هكذا في « ط » و « د » : « مع وجدان البلاء وانْقَالِ المحنة » وفي الرسالة القشيرية : « المحنة » بالنون ، بدل « المحبة » .

(٣) سقط « ما فيه » من « د » سهواً من الناسخ .

(٤) البيت في الرسالة القشيرية منسوب لابن عطاء . [انظر ج ١ ص ٤٥٦] .

(٥) التَّكْلُ : قَدْ الحبيب .

(٦) هو : أحمد بن أبي الحواري . وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية القنسي ، أبو سليمان الداراني ، من أهل « دارنا » بغوطة دمشق ... زاهد مشهور ، ومن كبار المصوفين ، ولد في حدود ١٤٠ هـ . ورحل إلى بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بدارنا سنة ٢١٥ هـ . والنسبة إليها على غير قياس .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٧٥ - ٨٢ ، وحلقة الأولياء ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣ ، وفيها وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٦ - ٩٨ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٨٢ - ١٨٦] .

(٨) في « د » : « بما » خطأ ، والصواب : « بيم » ، بحذف الألف .. أو « بماذا » .

اللَّيْمَةُ ^(١) عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : لِيَعْلَمِيَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَاهُمْ بِذَلِكَ فَصَبَرُوا . وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ : أَنْزَلْتُ ^(٢) بِعَبْدِي بِلَائِي ، فَدَعَانِي ، فَمَاطَلْتُهُ بِالْإِجَابَةِ ، فَشَكَانِي ، فَقُلْتُ : عَبْدِي ، كَيْفَ ^(٣) أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ ؟ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(٤) إِنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا بَثٌ ^(٥) . قَالَ أَنَسٌ : مَا صَبَرَ مَنْ بَثٌ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تَسْتَغْرِوْا ^(٦) الدُّمُوعَ بِالتَّذْكُرِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ مِثْلَ التَّذْكُرِ ^(٧) .

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى عَظِيمِ الْأَمْسِ وَشِدَّةِ الْجَزَعِ ^(٨) تَذْكُرُ الْمَسَارِّ الْمُتَقَضِّصَةِ ، وَتَصَوُّرُ ^(٩) الْمَضَارِّ الدَّاهِيَةِ ، وَكَثْرَةُ الشُّكْوَى [وَالْأَسَفِ] . وَقَالَ ^(١٠) الشَّاعِرُ :

لَا تُكْثِرِ الشُّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ وَارْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ لَا الْمُخْلُوقِ
لَا يَخْرُجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ ^(١١)

(١) اللَّيْمَةُ : اللُّؤْم .

(٢) هكذا في م ، والرسالة القشورية ج ١ ص ٤٦١ .. وفي ط : : إذا أنزلت .

(٣) هكذا في م ، والرسالة القشورية .. وسقطت كيف من ط .

(٤) سورة المعارج ، الآية الخامسة .

(٥) في م : : لا بَثٌ فيه ولا شكوى . . والبَث : شدة الحزن .

(٦) أى : لا تطلبوا غزارتها وكثرها .. وفي أدب الدنيا والدين : : لا تستغروا ، أى : لا تخرجوها بتذكرك ما أصيبت به ، بل اجتهدوا في تناسيها .

[انظر المرجع السابق ، في الصبر والجزع ص ٣٥٥] .

(٧) الشطرة الأولى من البيت : : سَجَنٌ سَجَنًا أَوْ جَعَتْ فَذَكْرَتُهُ . . معنى : سَجَنٌ كلمة بشارية ووصلة أطارات قوادحين ، وأذهبت عقولهن لما ذكرن ما كانت لهن من تلك الوصلة ، فَخَوَّنَ عَلَى انْقِطَاعِهَا وفواتها .. ولا يبعث الأموات ، أى : لا يبرها ولا يحركها شيء مثل التذكُّر .

[انظر منهاج اليقين ص ٤٨٥] .

(٨) في م : : وشدة الحسرة .

(٩) في م : : وتصرف ، أى : تقلب وتوالى .

(١٠) في م : : قال . . وما بين المقوفين عن ط .. والشعر في أدب الدنيا والدين غير منسوب لقائل ، وهو من الرجز المشطور .

(١١) يبرد : أَنَّ كل المخلوقات غَرَقَى في بحر المصائب والنواب ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُصَابُ أَوْ يُتَلَّى بِشَيْءٍ ، أَلَّا يُلْجَأَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ - غَرَّ وَجَلَّ - في كشف الضُّرِّ عنه .

وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمِ : الْمُصِيبَةُ بِالصَّبْرِ أَعْظَمُ الْمُصِيبَتَيْنِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قُلٌّ مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّةٍ إِلَّا وَتَالَ مَا يُرْجُوهُ مِنْ فَرَجٍ . وَيَتَّبِعِي لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ ، أَوْ كَانَ فِي شِدَّةٍ أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْفَلَ ^(١) عَنْ تَذَكُّرِ مَا يَتَّقِيهِ مِنْ وَجُوبِ الْفَنَاءِ ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا قِفَةَ لَهُ ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا قِفَةَ لَهُ ، مَنْ صَحَّ فِيهَا سَيْمٌ ، وَمَنْ سَقَمَ فِيهَا بَرَمٌ ، وَمَنْ اقْتَرَفَ فِيهَا حَرَنٌ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا قُرْنٌ ، حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمُتَشَابِهُهَا عِتَابٌ ، لَا خَيْرَ لَهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرَّهَا يَتَّقَى ، وَلَا فِيهَا لِمُحْلُوقٍ بَقَاءٌ ، فَإِذَا تَصَوَّرَ ^(٢) حَقِيقَتَهَا فَجَمِيدٌ يَرَى ^(٣) الْحَوَادِثَ سَهْلَةً ، وَالْمَصَائِبَ هَيْئَةً . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ ^(٤)
فَإِنْ نَزَلَتْ بَقَعَتْ لَمْ تَرْغُهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا ^(٥)
رَأَى الْأَمْرَ يُقْضَى إِلَى آخِرٍ فَصَبَرَ آخِرُهُ أَوَّلًا ^(٦)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ حَافَرَ لَمْ يُحْدِغْ ، وَمَنْ رَاقَبَ لَمْ يَهْلَعْ ^(٧) ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَقِّعًا لَمْ يُلَفْ مُتَوَجِّعًا ، وَمَنْ لَمْ يُشِيرْ نَفْسَهُ مَا ذَكَرْنَا ^(٨) - مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ^(٩) ثُمَّ التَّوَاءُ فِي اللُّحُودِ ^(١٠) يَتَنَ أَطْبَاقِ

(١) في م : : : : : معنى تسهيلها على نفسه فلا يغفل .

(٢) في م : : : : : تصورث .

(٣) في م : : : : : ترى .

(٤) في م : : : : : هذا بدل ذو غلط . والشرطة الثانية في ط : : : : : مصائب من قبل أن تنزل . .. وفي العقد الفريد ج ٢ ص ١١٦ : : : : : العقل بدل اللب . وما معنى واحد .

(٥) بقعة : فجأة من غير توقع .. ولم ترغ : لم تحب .

(٦) هكذا البيت في م : : : : : وط : : : : : ونفع الطيب ج ٩ ص ٤٤ .. وفي العقد الفريد : : : : : الهم بدل الأمر .

(٧) لم يهْلَعْ : لم يكن شديد الجزع .

(٨) في م : : : : : ما ذكرناه .

(٩) تقضى المسار : فناء اللذات ، وكل ما يسر الإنسان به .. وفي م : : : : : بعد ذلك ، كرر الناسخ - سهوا ما سبق من قوله : : : : : فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له .. الخ .

(١٠) في م : : : : : القوى : وهي بمعناها . والتواء في اللحد : الإقامة والاستقرار في القبر بعد الموت .

التَّوْبِ ^(١) وَالْجَنَادِلِ ، قَدْ فَارَقَهُ الْأَحْبَاءُ ، وَأَسْلَمَهُ الْأَوْلِيَاءُ ^(٢) ، وَهَجَرَهُ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ -
 الْفَتْنَةُ ^(٣) الْحَوَادِثُ وَابْقَا فُسَلَيْتُهُ الصَّبْرُ ، وَضَاعَفَتْ عَلَيْهِ الْأَسَى . وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ ^(٤) :
 إِنْ الْبَلَاءُ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعِفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ فَهُوَ غَيْرُ مُطَاقٍ ^(٥)
 وَأَنْشَدُوا ^(٦) :

تَعَوَّذْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى الْفَتْنَةِ وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
 وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَرَّةَ الْأَذَى وَإِنْ كُنْتُ أَحِبَّائًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
 وَحَسَنَ لِي نَاسِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لِيَعْلَمِي بِصَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي ^(٧)
 وَيَبْعُضُ الْأَعْرَابِ :

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى نَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ ^(٨)

(١) التَّوْبِ : التَّوْبِ . وَفِي (م) : : الْغَرَى .

(٢) قَوْلُهُ : : وَأَسْلَمَهُ الْأَوْلِيَاءُ ، عَنْ (م) .

(٣) فِي (م) : : الْفَتْنَةُ ، بِالْقَافِ . تَصْحِيفٌ .. وَالْفَتْنَةُ الْحَوَادِثُ وَابْقَا ، أَيْ : وَجَدْتُهُ وَاقِعًا فِيهَا ، أَوْ هَالِكًا بِسَبَبِهَا .

(٤) هُوَ : عَلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ جُرَيْجٍ ، أَوْ جُرَيْجِ بْنِ الْحَسَنِ ، شَاعِرٌ كَبِيرٌ مِنْ طَبَقَةِ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ وَالتَّنِيصِ ،

رُومِي الْأَصْلُ ، كَانَ جَدُّهُ مِنْ مَوَالِي بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَلَهُ سَنَةُ ٢٢١ هـ وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ شَاعِرًا هَجَّاءً ، وَلَهُ قَصَائِدُ مَطْوُوعَةٌ بِدِعْمَةٍ ، وَكَانَ يَهْوِي عَلَى الْمَعَالِ النَّادِرَةِ فَيُسْتَخْرِجُهَا مِنْ مَكَانِهَا وَيُوزَعِهَا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَلَا يَتْرَكُ الْمَعْنَى حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ إِلَى آخِرِهِ وَلَا يَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ .. تَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٨٣ هـ وَقِيلَ : مَاتَ مَسْمُومًا . وَلَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ مَطْبُوعٌ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٤ ص ٢٩٧ ، وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٣٥٨ - ٣٦٢ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ج ١٢ ص ٢٣ -

٢٦ ، وَمَرْجُوزُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وَرِسَالَةُ الْغُرَرَانِ ص ٤٧٦ - ٤٧٨ ، وَدَقَائِقُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠١] .

(٥) الشُّطْرَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْبَيْتِ فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ : : فَإِذَا تَضَاعَفَ صَارَ غَيْرَ مُطَاقٍ .

(٦) كَرَّرَ النَّاسِخَ فِي (م) : : هَذَا الْفِعْلُ سَهْوًا .

(٧) هَذَا الْبَيْتُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ص ٢٢٤ :

وَصَدْرِي نَاسِي مِنَ النَّاسِ وَالْقَا بِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي

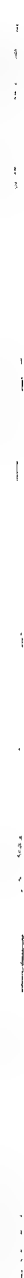
(٨) وَفِي حَاشِيَةِ (م) : : تَصَبَّرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ .. بِجَانِبِ تَعَزَّ .. وَمُعَوَّلٌ : حَزَنٌ أَوْ عَمِلٌ .. وَزَيْبُ الزَّمَانِ : أَحَدُ

- فَلَوْ كَانَ يُعْنَى أَنْ يَرَى الْمَرْءُ جَارِعًا لِنَائِيَةِ أَوْ كَانَ يُعْنَى التَّبَدُّلُ ^(١)
 لَكَانَ التَّعْزَى عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَائِلَةٍ بِالْحُرِّ أَوَّلَى وَأَجْمَلُ ^(٢)
 فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو جِمَامُهُ وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَرْحَلُ ^(٣)
 فَإِنْ تَكُنِ الْآيَاتُ فِيْنَا ثَبَدْتُ يَبُوسُ وَنَعْمَى وَالْحَوَادِثُ تُفْعَلُ ^(٤)
 فَمَا لَيْتَ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيَّةٍ وَلَا ذَلَّلْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَحْمِلُ ^(٥)
 وَلَكِنْ وَجَدْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحْمَلُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ فَتَحْمِلُ ^(٦)
 وَقَيْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزُلُ ^(٧)

* * *

تم الجزء الأول من كتاب « سراج الملوك » ، بتجزئة محققه - غفر الله له -
 وبإياله - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني ، وأوله الباب الثالث والثلاثون
 « في كتمان السر »

- (١) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الأملاني لأبي علي القائل - ج ١ ص ١٧١ : « لِنَائِلَةٍ » مكان « لنائية »
 وهي بمعنىها . « والتدليل » . مكان « التبدل » .
 (٢) هكذا البيت في « ط » والأملاني .. وفي « م » : « ونائية » مكان « ونائلة » . وربما أتى بها الناسخ سهواً ،
 وقد وردت في البيت السابق .
 (٣) هكذا البيت في « ط » .. والجِمَامُ : قضاء الموت وقتله .. والمَرْحَلُ : المكان يَرْحَلُ إليه .. وفي « م » :
 « مَقِيل » أى : مُصَرَّف . وفي الأملاني : « مَرْحَل » بالزاي المجمة ، أى : مَلْجَأٌ .. وكلها تؤدي المعنى .
 (٤) التَّعْمَى : التَّعْمَاءُ وطيب العيش .
 (٥) في « م » : « قَنَاءَ » بدل « قَنَاءَ » تصحيف .
 (٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » والأملاني : « وَرَحَلْنَاهَا » مكان « وجدناها » ، أى : رُضْنَاهَا وَصَيَّرْنَاهَا ..
 وفي الأملاني أيضاً : « يُسْتَطَاع » بالباء للمجهول ، بدل « تستطيع » .
 (٧) الشطر الأول من البيت في الأملاني : « وَقَيْنَا بِعِزِّ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا » . والأعراض : ما يطرأ ويَزُول من مَرَضٍ
 ونحوه .. وَصَحَّتْ : تَرَفَّتْ من المرض والعيوب .. وَهَزُلُ : ضَعْفَاء .



رفعه
عبد الرحمن الفهرري
وسكنه الله الفردوس

سيرة الملك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهرري الططوشي
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

محققه ومطبعة وعلق عليه ووضع فهارسه

محمد فتحي أبو بكر

تقديم

دكتور شوقي ضيف

المجلد الثاني

الناشر

دار الكتب العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي كَيْفَانِ السَّرِّ

رفع
عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَغْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا أَفْشَى يُوسُفُ رُؤْيَاهُ بِمَشْهَدِ امْرَأَةٍ يَغْقُوبَ أَخْبَرَتْ إِخْوَتَهُ ، فَحَلَّ بِهِ مَاحِلٌ . وَفِي الْحَدِيثِ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِفَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كَيْفَانَ السَّرِّ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَمِنَ اللُّوَاظِمِ فِي حُقُوقِ الْمُلُوكِ ^(٢) ، وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْوُزَرَاءِ وَجُلَسَاءِ ^(٣) الْمُلُوكِ وَالْأَتْبَاعِ . قَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٤) : مِيرُكَ أَسِيرُكَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمْنَاءَ الْأَسْرَارِ أَشَدُّ تَعَذُّرًا وَأَقْلَ وَجُودًا مِنْ أَمْنَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَحِفْظُ الْأَمْوَالِ أَيْسَرُ مِنْ كِتْمِ الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ أَخْرَازَ الْأَمْوَالِ مَنِيعَةٌ بِالْأَبْوَابِ وَالْأَقْفَالِ ، وَأَخْرَازَ الْأَسْرَارِ

(١) سورة يوسف ، من الآية الخامسة .

(٢) في « م » : « في جميع الحقوق للملوك » .

(٣) في « م » : « والجلساء » .

(٤) قوله : « على رضى الله عنه » عن « ط » وأدب الدنيا والدين .. وسقطت من « م » سهوا من الناسخ .

[انظر المرجع السابق - الفصل الرابع من الباب الخامس - في كتمان السر ص ٣٦٧ ، ومنهاج اليقين

زَةَ يُذِيعُهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ ، وَيُشِيرُهَا كَلَامٌ سَابِقٌ . وَعِيبُ الْأَسْرَارِ أَثْقَلُ مِنْ عِيبِ (١)
مَوَالٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَسْتَقِيلُ بِالْجِمْلِ الثَّقِيلِ بِخِمْلِهِ وَيَمْشِي بِهِ وَيُقِلُّهُ (٢) وَلَا يَسْتَطِيعُ
سَمَ السَّرِّ . وَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ سِرَّهُ فِي قَلْبِهِ ، فَيَلْحَقُهُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَلْحَقُهُ
مِنْ الْأَثْقَالِ ، فَإِذَا أَدَاعَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ ، وَسَكَنَ جَأَشُهُ ، وَكَانَمَا أَلْقَى عَنْ نَفْسِهِ
بَلَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ ، وَالشَّفَاهُ أَثْقَالُهَا ، وَالْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا (٣) ،
يُحْفَظُ كُلُّ أَمْرٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ (٤) أَنَّ أَغْلَاقَ (٥) الدُّنْيَا كُلَّمَا
تُرِثَ خَزَائِنُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا ، إِلَّا السَّرُّ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ خَزَائِنُهُ كَانَ أَضْيَعَ لَهُ . وَكَمْ
نَ إِظْهَارِ سِرِّ أَرَأَى دَمَ صَاحِبِهِ ، وَنَمَعَ مِنْ بُلُوغِ مَآرِيهِ ، وَلَوْ كَتَمَهُ أَمِنْ مِنْ سَطَوَاتِهِ .
أَلْ أُنُوشِرُونَ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ حَصَلَتَانِ (٦) : الطَّفَرُ بِحَاجَتِهِ ، وَالسَّلَامَةُ
نَ السَطَوَاتِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ (٧) فَلَا تُجْرِهِ فِي غَيْرِ أَوْدَاجِكَ ،
إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَوْثَقَهُ .

وَكَانَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَاتِبٌ يَقَالُ لَهُ حُمْرَانُ (٨) ، فَاشْتَكَى

(١) فِي « م » : « عِيبٌ » فِي الرُّضَعِينَ .. تَصْغِيرٌ .

(٢) يُقِلُّهُ : مِنْ : أَثْقَلَ الشَّيْءُ ، إِذَا حَمَلَهُ وَرَفَعَهُ . وَهُوَ عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٣) فِي « ط » : « مِفْتَاحُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَمِنْ الْعَجَائِبِ » .

(٥) الْأَغْلَاقُ : الْأَقْفَالُ الَّتِي تُحْفَظُ مَا يَدْخُلُهَا . جَمْعُ غَلَقٍ .

(٦) فِي « م » : « وَحَالَتَانِ » .

(٧) فِي « م » : « سِرُّكَ أَسْوَدٌ وَهُوَ مِنْ دِمِكَ » .

(٨) فِي « م » : « اسْمُهُ حُمْرَانٌ » وَهُوَ حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ بْنِ عَمْرٍو ، وَيَكْنَى أَبَا زَيْدٍ ، وَكَانَ يَهُودِيًّا ، وَسَبَّيَ فِي « عَيْنِ
الْحَرِّ » أَهَامَ أَبِي بَكْرٍ ، وَاشْتَرَاهُ عُمَانُ وَأَعْتَقَهُ ، وَصَارَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانَ حَامِلَهُ
بِهَا . وَلَمَّا قَدِمَ الْحِجَاجَ الْبَصْرَةَ آذَاهُ وَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَتَبَ حُمْرَانُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِشِكْوِهِ ، فَأَمَرَ
عَبْدَ الْمَلِكِ الْحِجَاجَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَيُحْسِنَ بِمَجَاوَرَتِهِ .

عُثْمَانُ ^(١) فَقَالَ : اَكْتُبِ الْعَهْدَ بَعْدِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَزْرَف . فَقَالَ حُمْرَانُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : الْبُشْرَى . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَكَ الْبُشْرَى ^(٢) بِمَاذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ ، فَأَطْلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَاكِنَنِي حُمْرَانُ أَبَدًا ، وَكَفَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قِيلَ عُثْمَانُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كِثْمَانَ الْأَسْرَارِ ^(٣) يَدُلُّ عَلَى جَوَاهِرِ الرِّجَالِ ، وَكَمَّا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آيَةِ لَا تُنْسِيكَ مَا فِيهَا ، فَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا يُنْسِيكَ سِرَّهُ ^(٤) . وَهَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَ سِرَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْنَيْتَ ؟ قَالَ : بَلْ جَهَلْتُ . قَالَ : أَحْفِظْتَ ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : كَيْفَ كَتَمْتَ لِلسَّرِّ ؟ قَالَ : أَجْحَدُ الْمُخْبِرِ ^(٥) ، وَأَخْلِفُ لِلْمُسْتَخْبِرِ ^(٦) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى كِثْمَانٍ مَا اشْتَمَلْتُ مِنْهُ الضُّلُوعَ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبِيرِ ^(٧)

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ إِذْ كُنْتُ مِنْ تَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى غَطَرٍ

قَالَ شَيْخُنَا : وَمِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ ^(٨) فِي كِثْمَانِ السَّرِّ ، مَا أَتَشَدَّنِيهِ بَعْضُ قُتَّاهٍ الْبَصْرَةِ ^(٩) بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ :

(١) أَيْ : مَرْحُومٌ .

(٢) قَوْلُهُ « لَكَ الْبُشْرَى » عَنْ « ط » .

(٣) فِي « م » : « كِثْمَانِ السَّرِّ » .

(٤) فِي « م » : « يَمْلِكُ سِرَّهُ » تَحْرِيفٌ .

(٥) أَيْ : أَنْكَرُهُ عَنِ الَّذِي يُنْقَلُ إِلَى النَّاسِ .. وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ : « أَجْحَدُ الْخَبِيرِ » مِنَ الْجَاهِلِ ، وَهُوَ إِنْكَارُ الْأَمْرِ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ .

(٦) أَيْ : أَخْلِفُ - لَفَرَا - لَيْتَنِي يَسْأَلُنِي عَنْهُ بَأْتَنِي لَا أَعْرِفُهُ .

(٧) فِي « م » : « وَلَقَدْ كَتَمْتُ » بِدَلِّ « وَلَوْ قَدَرْتُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ... وَالْيَتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَالشَّاعِرُ فِيهَا يَحْسَرُ عَلَى عِلْمِ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّسْيَانِ فَيَقُولُ : لَوْ اسْتَطَعْتُ نَسْيَانَ مَا احْتَوَتْهُ جَوَانِحِي مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْأَخْبَارِ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ ، إِذْ كُنْتُ مِنْ شَرِّ حَقِظْهَا عَلَى غَطَرٍ إِذَاعَتْهَا يَوْمًا مِنَ الْأَهَامِ .

(٨) فِي « م » : « لَا سَمِعْتُ » .

(٩) فِي « م » : « قُتَّاهُ الْبَصْرِيِّينَ » .

وَلَهَا سَرَائِرٌ فِي الضَّمِيرِ طَوَّيْتُهَا نَسِيَ الضَّمِيرُ بِأَنِّهَا فِي طَيِّهِ ^(١)
وَفِي مَعْنَاهُ :

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا كَتَمْتُ مَكَانَهُ عَنِ الْجِسِّ خَوْفًا أَنْ يَنْمُ بِهِ الْجِسُّ ^(٢)
وَحِخْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْرَةً فَأَوْدَعْتُهُ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُ النَّفْسُ ^(٣)

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ ^(٤) : أَسْرَ مُعَاوِيَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَتَبَةَ ^(٥) حَدِيثًا ،
فَقُلْتُ لِأَبِي ^(٦) : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَ إِلَى حَدِيثًا ، أَفَأَحَدُكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا ^(٧) ، مَنْ
كَتَمَ حَدِيثًا كَانَ الْخِيَارُ لَهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ مَمْلُوكًا بَعْدَ
أَنْ كُنْتَ مَالِكًا . قُلْتُ : يَا أَبَتِ ^(٨) ، أَفَيَدْخُلُ هَذَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَآبِيهِ ؟ قَالَ :
لَا يَا بَنِي ^(٩) ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ تُدَلَّلَ ^(١٠) لِسَانَكَ بِإِفْشَاءِ السِّرِّ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ

(١) في (م) : « الظمير » بالفاء المعجمة ، بدل « الضمير » ، في الموضعين ، وهي على الإبدال ، فمن سُنن
العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض ، فهم يقولون : فاض وفاض ، ومكة وبكة . الخ .
[انظر فقه اللغة للشمس — فصل في الإبدال — ص ٥٦٤] .

(٢) هذا البيت لم يرد في (م) ، وسقط سهواً من الناسخ .. والبيتان وردا في منهاج اليقين ص ٥٠١ ، والمستطرف
ج ١ ص ٤٤٥ .. وَيُنْمُ : يشمر إليه ويبدعه .

(٣) في منهاج : « شهوة » بدل « شهرة » .. و « يبلغ » بالياء ، مكان « تبلغ » . والبيت في المستطرف :
وَحِخْتُ عَنْهُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْوَةً فَأَوْدَعَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُ الْجِسُّ

(٤) في (م) : « وقال » . والقشيري هو : محمد بن حميد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، من بني عتبة
ابن أبي سفيان بن حرب ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) مابين المعرفين عن ط . . وعثمان بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب . [انظر المعارف ص ٣٤٥ ، ونسب
قريش ص ١٣٤] .

(٦) القتال هنا هو : عثمان .

(٧) في (م) : « أَفَأَحَدُكَ بِهِ أَوْ أَكْتَمَهُ ؟ قَالَ : فَأَكْتَمُهُ ، فَإِنَّ مَنْ كَتَمَ حَدِيثَهُ » الخ

(٨) في (م) : « يَا أَبَتِ » .

(٩) قوله : « يَا بَنِي » عن (م) .

(١٠) في (م) : « وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يُدَلَّلَ ... » .

مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : اَعْتَقَكَ اَيْحَى ^(١) مِنْ رِقِّ الْحَطَا . وَقِيلَ لِيَنْعِضِ الْمُلُوكُ : مَا اَصْنَعُبُ
الْاَشْيَاءِ عَلَى الْاِنْسَانِ ؟ قَالَ : اَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ سِرَّهُ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَخِيمِ ^(٢) :

اَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ رَأَيْتُنِي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينُ ^(٣)
إِذَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْتُ وَيَكْثِرُ الْوُشَاةَ قَمِينُ ^(٤)
وَأَنْ ضَيَّعَ الْأَقْوَامُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُمُ لَأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ ^(٥)
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا ضَمِثْتُهُ مَكَانَ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ كَبِينُ ^(٦)

(١) في م : : يا أَيْحَى ، الياء زيادة من الناسخ ، فقد مر بنا أن هجسة هو اسمو معاوية .
(٢) في م : و ط : : الحطيم ، بالخاء المهملة ، خطأ ، والصواب بالخاء المعجمة ، واسم الحطيم : ثابت ،
وهو : قيس بن الحطيم بن عدى الأوسى ، أبو يزيد ، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام
وترثت لبقوله ، وقيل قبل أن يدخل فيه ، وكان ذلك في السنة الثانية قبل الهجرة ، وشعره جيد ، وديوانه مطبوع .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٠ ، والأغانى ج ٣ ص ٨٤٧ - ٨٧٢ ، وخزانة الأدب ج ٧ ص ٣٤ - ٣٧ ،
والفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٧٢٥ - ٧٢٧ والأصمعيات ص ١٩٦] .
(٣) في م : : لسرك ، باللام .. وفي ط : : البلاد ، بالياء ، بدل التلاد . ومكنون التلاد : المال الذي
يحافظ عليه . والشطرة الثانية من البيت في المستطرف ج ١ ص ٤٤٥ :
بِسِرِّي عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينُ .

وهي بهذه الصورة غير مستقيمة الوزن . وهذا البيت لم يرد في ديوان قيس ، غير أنه جاء في عدة مصادر أخرى ،
منا كتاب أمالي القالي ، ج ٢ ص ١٧٧ و ص ٢٠٢ وفيها : بمضنون التلاد بدل بمكنون التلاد .

(٤) هكذا البيت في م : ودرة الغواص ص ٢٥٦ ، ولسان العرب ، مادة نث : نث .. وفي ط : :
نث .. بدل ينث ، واليئث : نشر الحديث وإفشائه . وقيل : هو نشر الحديث الذي كتمه أحق من نشره ..
وفي الديوان : ينشر . والألف في اثنين : ألف وصل ، وقطعت هنا لضرورة الشعر ، ولذلك ذكر السُّرْدُ أن
الرواية في هذا البيت : إذا جَاوَزَ الْحَجْلَيْنِ ، للتخلص من قطع هزة اثنين .. وفي أمالي القالي والديوان : وتكثر
الحديث . وفي رواية : وتضيق الوشاة قمين : أى : تترى وخليق .

[انظر الديوان ص ١٦٢ ط دار صادر ، ودرة الغواص للحريص ص ٢٥٦ ، ٢٥٧] .

(٥) هكذا البيت في م : و ط : والديوان ، وأمالي القالي .. وفي المستطرف : سِرِّي ، مكان سِرًّا .
(٦) هكذا البيت في الأمالي ج ٢ ص ١٧٧ ، وفي رواية ثانية وردت الشطرة الأولى في المرجع نفسه ص ٢٠٢ :
وعندي له يوماً إذا ما تَمَثَّنِي .. والشطرة الثانية من البيت في م : و ط : : مكان سويداء الفؤاد
مكين .. وفي نصيحة الملوك للماوردي : مكان سويداء الفؤاد دفين . وفي الديوان : مقر بسوداء الفؤاد
كئين .. وسويداء الفؤاد وسواده : حته .. والكئين : المكنون ، أى : للمستور البعيد عن الأعين . وهناك روايات
أخرى انظرها ل [ديوان قيس بن الحطيم ص ١٦٤ ، وانظر نصيحة الملوك ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

قَالَ شَيْخُنَا : قُلْتُ : النَّاسُ يَقُولُونَ : أَرَادَ بِالْاِثْنَيْنِ الْمُوَدَّعَ وَالْمُوَدَّعَ ، وَلَا يَتَعَدُّ أَنْ يُرِيدَ ^(١) بِهِ الشُّفْعَتَيْنِ . وَكَانَ يُقَالُ : أَصْبَرَ النَّاسُ مَنْ صَبَرَ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ فَلَمْ يَبْدِهِ ^(٢) لِصَدِيقِهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَهْجِرَ عَدُوًّا ^(٣) . وَقَدْ رَوَى ^(٤) فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ثُمَّ التَّفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ » ^(٦) . قُلْتُ : وَإِذَا كَانَتْ أَمَانَةٌ حُرِّمَتْ ^(٧) فِيهَا الْخِيَانَةُ ، كَأَلْأَمَانَةِ فِي الْأَمْوَالِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ ^(٨) : « إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ^(٩) : مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَّقِصُ ^(١٠) مِنْ أَمَانَتِهِ إِلَّا نَقَصَ إِيْمَانَهُ . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ ^(١١) :

(١) في م : « يُرَادُ » .

(٢) في م : « فَلَمْ يَذَلْهُ » .

(٣) في م : « عَدُوًّا » .

(٤) في م : « وَرَوَى » .

(٥) في ط : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٦) أخرجه الترمذى في صحيحه في البر والصلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة ج ٨ ص ١٣٨ بشرح ابن العرى .. والبيهقى في السنن الكبرى ، في كتاب الشهادات ج ١٠ ص ٢٤٧ .

(٧) في م : « حُرِّمَتْ » .

(٨) في م : « ابن حزم » تصحيف . وهو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، كان قاضى المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن أحد بالمدينة عنده علم القضاء — في عصره — ما كان عند أبى بكر بن حزم .

[انظر التاريخ الكبير للبخارى ج ٨ كتاب الكنى ص ١٠ ، وانظر المهر ص ٢٦ ، ٢٧] .

(٩) هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، أبو المنذر ، تابعى ، من أئمة الحديث من علماء المدينة ، ولد سنة ٦١ هـ ، وعاش في المدينة ، وزار الكوفة ، ودخل بغداد وانفذ على المنصور العباسى ، فكان من خاصته ، وتوفى بها سنة ١٤٦ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ - ٤٢ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٨٠ - ٨٢ ، ونسب قريش ص ٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢] .

(١٠) في م : « يَتَّقِصُ » .

(١١) هو : جعفر بن عثمان بن نصر ، أبو الحسن ، الحاجب ، المعروف بالمشغفى ، وزير ، وأديب أندلسى ، وله شعر جيد ، وأصله من بربلنسية ، استوزره المستنصر الأموى إلى أن مات ، ولما ولى الحكم استوزره وضم إليه ولاية الشرطة ، ثم آلت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحكم ، فقلد حجابه ، وتصرف في أمور الدولة ، =

يَاذَا الْإِدَى أُوذِعْنِي سِرَّهُ لَا تَرُجْ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي ^(١)
لَمْ أُجِرْهُ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَخْرِجْ فِي أُذُنِي ^(٢)

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٣) يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى رَجُلٍ فَأَفْشَاهُ عَلَى فُلْمَنَتِهِ ،
إِذْ ^(٤) كَانَ صَدْرِي أَضْيَقَ بِهِ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : يَضْيِقُ صَدْرُ أَحَدِهِمْ بِسِرِّهِ حَتَّى
يُحَدِّثُ بِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اكْتُمَهُ ^(٥) عَلَى .. وَفِي مَثَلِ الْحَكَمِ : انْفِرْ بِسِرِّكَ وَلَا تُؤَدِّعْهُ
حَازِمًا فَيُرْلَ ، وَلَا جَاهِلًا فَيُحَوَّنَ . وَأَنْشَدُوا ^(٦) :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الْإِدَى يُسْتَوْدَعُ السِّرُّ أَضْيَقُ ^(٧)

= وقوى عليه منصور بن أبي عامر - أمير الأندلس في عهد هشام - فاحتفظه وضيق عليه ، فاستعطفه جعفر بمنظومه
ومنتوره ، فلم يرق له ، وصادر أمواله ، حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسكنون به أرمالهم ، ثم قتله وبعث بجسده إلى
أهله سنة ٣٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ ، والحلة السراء ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٦٧ ، وفتح الطيب ج ٢ ص ١٣٢ -
١٣٦ ، وجبلو المقتبس ج ١ ص ٢٨٩ .]

(١) البهتان من السريع ، وقد وردا في نفع الطيب ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ وجبلو المقتبس ج ١ ص ٢٨٩
والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. وفي « م » : « لَا تَلْحَنُ » مكان « لَا تَرُجْ » .

(٢) هكذا البيت في « ط » والمستطرف .. وفي « م » : « عَلَى خَاطِرِي » مكان « عَلَى فِكْرَتِي » .. وفي نفع
الطيب وجبلو المقتبس :

لَمْ أُجِرْهُ بِغَدَاكَ فِي خَاطِرِي كَأَنَّهُ مَامَرٌ فِي أُذُنِي

(٣) في « م » والمستطرف هذا القول منسوب إلى « عمر بن الخطاب » وهو وهم .. والصواب أنه لعمر بن
العاص ، ونصه : « مَا وَضَعْتُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ سِرًّا فَأَفْشَاهُ فُلْمَنَتُهُ » فسئل : « وَلِمَ ؟ » قَالَ : « أَنَا كُتِّ بِهِ أَضْيَقُ
صَدْرًا حَتَّى اسْتَوْدَعْتَهُ لِيَاهِ » .

[انظر المقد الفريد ج ١ ص ٦٢ ، وانظر عمرو بن العاص لباس المقداد ص ١٨٣ .]

(٤) في « ط » : « إِذَا » .

(٥) في « م » : « اكْتُمْ » .

(٦) في « م » : « وَقَالَ الشَّاعِرُ » .

(٧) في المستطرف وأدب الدنيا والدين قبل هذا البيت :

إِذَا الْمَرْءُ الْفَتَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مِ عَلَيْهِ غِيْرُهُ لَهُوَ أَحَقُّ

وَفِي مَثَوْرِ الْحَكَمِ : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَتَابِرُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
وَقَالَ آخَرُ :

فَلَا تَتَلَقَّ بِسِرِّكَ كُلَّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ فَاشِئِ ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ :

تُبْرُحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْهُمُ ^(٣)
وَكَيْتَمَاتِكَ السَّرَّ فِيمَا تَخَافُ وَفِيمَا تُحَازِرُهُ أُخْزَمُ
إِذَا ذَاغَ سِرُّكَ مِنْ مُطْبِعٍ فَأَنْتَ إِذَا لُمْتَهُ الْيَوْمُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ حَدِيثٍ وَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ ^(٤)
وَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْمَلُومُ ^(٥)

وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَا كَتَمْتَهُ مِنْ عَدُوِّكَ فَلَا تُظْلَعَنَّ عَلَيْهِ صِدْقَكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَدٌ
مِنْ إِذَاعَتِهِ لِقَرِينَةٍ تَقْتَضِيهِ مِنْ صَدِيقٍ مُسَاهِمٍ ، أَوْ اسْتِشَارَةِ نَاصِحٍ مُسَالِمٍ ، فَمِنْ صِفَاتِ
أَمِينٍ ^(٦) الْأَسْرَارُ أَنْ يَكُونَ ذَا عَقْلِ وَدِينٍ وَتَضِجٍ وَمُرُوءَةٍ ^(٧) ، فَإِنْ هَذِهِ أُمُورٌ تَمْنَعُ مِنْ

(١) في م : « وقال آخر » . والبيت من المقارب ، وهو للصليان العبدي ، نُحْمَ بن غنيفة ، من عبد القيس .
[انظر ترجمته والقصيدة التي منها هذا البيت في الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٠٠ — ٥٠٢ ، وانظر منهاج اليقين
ص ٥٠٠] .

(٢) في ط : « ولا تتلق » .

(٣) الأبيات من المقارب ، والضيق والضييق : كل ما لا يحتمل ، كالشك والألم والحزن وغيرها .

(٤) في منهاج اليقين ص ٤٩٩ والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ : « عن حديث » .

(٥) في م : « فإن عاتبت » .

(٦) في م : « أبناء » بالجمع ، والسياق فيها يتطلب الأفراد .

(٧) في م : « ومروءة » تصحيف .

الإذاعة ، وتوجب حفظ الأمانة ، ومن كملت فيه فهو عتقاء مغرب ^(١) . ولا تودغ سيرك عند من يستدعيه ، فإن طالب الودعة خائن .

قال صالح بن عبيد القدوس ^(٢) : لا تذغ سيرا إلى طالبه منك ، فالطالب ^(٣) ليسر مذيع .

وفي الجملة : إذا زال سيرك عن عذبة لسانك ^(٤) فالإذاعة مستولية عليه ، وإن أودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التمليل بتليلك سيرك غيرك ، وأعلم أن إفشاء سير غيرك ^(٥) أقبح من إظهار سير نفسك ، لأنه يوح بإحدى وصفتين ^(٦) : إما الخيانة ، إن كان مؤتمنا ، أو النيمة إن كان مستغبرا . وقال بعض الحكماء لانيه : يابتي ، كن جوادا بالمال في مواضع الحق ، ضيئنا بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجهه البر ، والبخل يكثر السر . وكان يقال : صدور الأحرار قبور الأسرار . وقال الشاعر ^(٧) :

لَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبًا ^(٨)

(١) في م : « حق » تصحيف . وعتقاء مغرب : طائر خراف لا وجود له . والمعنى المراد هنا : أن هذا الشخص الذي فيه هذه الصفات من الصعب وجوده .

(٢) هو : صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدي ، أبو الفضل ، شاعر حكيم ، كان متكلماً ، يعظ الناس في البصرة ، وله مع أبي المنهال العلاف مناظرات ، أتهم عند المهدي العاصي بالزندقة . فقتله ببغداد سنة ١٦٠ هـ تقريباً . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، وآمال المرتضى ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨] .

(٣) في م ط : « والطالب » .

(٤) عذبة اللسان : طرفه .

(٥) في م : « سرك غيرك » .

(٦) في م : « خصتين » .

(٧) هو : أنس بن أسيد . [انظر منهاج اليقين ص ٤٩٨ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٦٧] .

(٨) هكذا البيت في م و ط وهو من المتقارب .. وفي المصنعين السابقين : « فإني رأيت وشاة الرجال » . وفي العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ : « إلى رأيت غواة الرجال » . وجاء ترتيب هذا البيت مكان البيت الثاني ، والثاني مكان الأول .. والأدم الجلد . والمراد : أن الوشاة يمزقون أعراض الناس . وفي البيت إيماء إلى تقبيح حالهم ، بتشبيههم بالكلاب .

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

مَا كُلُّ مَكْتُومٍ يُمَاحُ بِهِ اخْذَرْ لِسَانَكَ مِنْ جَوَالِيهِ ^(٢)
فَمَرَارَةُ الْكِتْمَانِ أَغْذَبُ مِنْ بَثٌّ يُحَازِرُ مِنْ عَوَاقِبِهِ ^(٣)
لَيْسَ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ أَيَّامٌ تَلْعَبُ فِي جَوَانِبِهِ
هَذَا هَوَى لَوْ قَدْ فَصَحْتَ بِهِ ضَحِكَ الْحُسَامِ إِلَى مَضَارِبِهِ ^(٤)

(١) في المصادر السابقة : « وَلَا تُفْشِ » .

(٢) من جَوَالِيهِ : يُمَاحُ بِجَلْبِهِ عَلَيْكَ وَيُسَبِّحُ لَكَ .

(٣) هذا البيت عن « م » ولم يرد في « ط » .

(٤) في « م » : « هَذَا هُوَ فَصَحْتُ » تصحيف . وَفَصَحَتْ بِهِ : أَطَهَّرَتْهُ . وَضَحِكَ الْحُسَامِ : الضحك هنا بمعنى الانجلاء والإهانة ، ومنه : ضَحِكَ السَّحَابُ : إِذَا بَرَقَ وَتَلَأَلَا ، وَضَحَكَتِ الْأَرْضُ : إِذَا أَخْرَجَتْ نَبَاتَهَا وَزَهَرَتْهَا . وَالْحُسَامُ : السيف القاطع .

رفع
عبر الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

البَابُ الرَّابِعُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنٌ بِسَائِرِ الْخِصَالِ ،
وَزَعِيمٌ بِالْمَزِيدِ مِنَ التَّعْمَاءِ وَالْآلَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، وَهِيَ : الشُّكْرُ ^(٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مُلْكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَالْإِنْسِ ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَالرِّيحَاتِ تَجْرِي بِأَمْرِهِ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَمَّا اسْتَمَنَّ مُلْكُهُ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي الشُّكْرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ ^(١) . فَمَا عَدَدُهَا
نِعْمَةٌ كَمَا عَدَدُهَا مُلْكُ الْأَرْضِ ، وَلَا حَسِيبُهَا كِرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا حَسِيبُهَا ^(٢) ، بَلْ
خَافَ أَنْ تَكُونَ اسْتِزْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أُمَّةٍ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ ^(٣) :
« سَتَسْتَلِدِرُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » وَأُنْصِلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَبِينٌ ^(٤) . بَجَاءِ فِي
التَّفْسِيرِ : أَصْبَحَ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ وَالنِّسْبَةُ الْإِسْتِغْفَارُ . وَلَمَّا الْفَرَحُ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَالْفَيْضَةُ بِزَهْرَتِهَا ، وَالْإِغْتِرَارُ بِخُرْفَتِهَا مِنْ شِعَارِ الْكُفَّارِ ، أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ قَارُونَ اللَّعِينِ :

(٥) هذا العنوان ينتهي عند قوله : « الخصال » . وفي « ط » عند قوله : « ذى الجلال » .

(١) سورة المل ، من الآية ٤٠ .

(٢) في « ط » : « كما ظنها ملك الأرض » .

(٣) في « م » : « في وصفه أقولم أَرَادَ هَلَاكَهُمْ » .

(٤) سورة القلم ، الآيات : ٤٤ ، ٤٥ .

﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(١) . وَكَانَ ^(٢) جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَلَمَّا خَافَ سُلَيْمَانُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَكُونَ اسْتِزْجَارًا ، كَانَ جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٤) .

وَاعْلَمْ ، أُرْسِدَكَ اللَّهُ ، أَنَّ الشُّكْرَ لَيْسَ هُوَ حَافِظًا ^(٥) لِلنَّعْمِ فَقَطْ ، بَلْ هُوَ - مَعَ حِفْظِهِ لَهَا - زَعِيمٌ ^(٦) بِزِيَادَةِ النَّعْمِ ، وَأَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النَّعْمِ ^(٧) . وَالشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ : شُكْرٌ بِالْقَلْبِ ، وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ ^(٨) ، وَشُكْرٌ بِالْجَوَارِحِ .. فَأَمَّا الشُّكْرُ الْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَشُكْرُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ تَعْلَمَ ^(٩) أَنَّ النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَا ^(١٠) نِعْمَةً عَلَى الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَبِدَائِئِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَكُونَ الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ غَيْرِكَ بِمَعْرِفَةِ نِعَمِ ^(١١) اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَعَلَى غَيْرِكَ ، وَهَذَا التَّرُغُّ هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١٢) عَلَى نِعْمَةٍ أُسْدِيَتْ إِلَى غَيْرِهِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ ، قَوْلُهُ ^(١٣) تَعَالَى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١٤) أَيْ : اتَّقِنُوا أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْتَهَى جَمِيعُ

(١) سورة القصص ، من الآية ٧٨ .

(٢) لِي م : « فكَانَ » .

(٣) سورة القصص ، من الآية ٨١ .

(٤) الآية ٣٩ من سورة « ص » .

(٥) لِي م : « حَافِظٌ » خطأ . والصواب بالنصب ، غير « ليس » ، والضمور قبله ضمير فضيل

(٦) زعيم : كميل .

(٧) لِي م : « وَأَمَانٌ مِنَ النَّعْمِ » . والنَّعْمُ : جمع نعمة ، وهى العقوبة .

(٨) لِي م : « وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ وَشُكْرٌ بِالْقَلْبِ » .

(٩) لِي م : « يَعْلَمُ » .

(١٠) لِي م : « وَأَنْ لَا » .

(١١) لِي م : « نِعْمَةٌ » .

(١٢) ما بين المعقوفين عن « م » .

(١٣) لِي م : « فَقَوْلُهُ » .

(١٤) سورة الصل ، من الآية ٥٣ .

مَا قَالَ الْخَلْقُ فِي الشُّكْرِ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ ^(١) أَي : اتَّقُونِي ، فَإِنَّهُ شَكَرَ نِعْمَتِي . وَخَلَقَ اللَّهُ
تَعَالَى الْحَيَاةَ نِعْمَةً عَلَى الْعَبِيد ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ يَغْثَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُشْكُرُونَ ﴾ ^(٢) . وَالْعِبَارَةُ عَنْهُ أَنْ يَقَالَ : الشُّكْرُ اعْتِرَافُ الْقَلْبِ بِإِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
وَجْهِ الْخُضُوعِ ، وَيُقَالُ فِيهِ : الشُّكْرُ اعْتِكَافٌ ^(٣) عَلَى بِسَاطِ الشُّهُودِ بِإِدَامَةِ حِفْظِ
الْحُرْمَةِ .

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ ^(٤) : الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ الْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ . وَرَوَى أَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ : إِلَهِي ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :
الآنَ قَدْ شُكْرْتَنِي . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُتَيْبٍ : قَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) : إِلَهِي ، ابْنُ آدَمَ
لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا تَحْتَهَا ^(٦) نِعْمَةٌ ، وَفَوْقَهَا مِنْكَ نِعْمَةٌ ، فَمِنْ أَيْنَ يُكَافِئُهَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ
تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ، إِنِّي أَعْطَيْتُ الْكَثِيرَ ، وَأَرْضَى بِالنَّيِّبِ ، وَإِنْ شُكِرَ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ
مَا بَيْنَكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِئْتِي . وَفِي هَذَا يَقَالُ : الشُّكْرُ عَلَى الشُّكْرِ أَثْمُ الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ بَأَنَّ
تَرَى شُكْرَكَ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ مِنْ أَجْلِ النُّعْمَةِ ، فَتُشْكِرُهُ عَلَى الشُّكْرِ ، ثُمَّ
تُشْكِرُهُ عَلَى شُكْرِ الشُّكْرِ ، إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي ، وَهَذَا الشُّكْرُ أَيْضًا وَاجِبٌ . وَلِمَخْمُودِ
الْوَرَقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً عَلَى لَهٍ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ ^(٧)

(١) الآية ١٢٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٥٦ من سورة البقرة .

(٣) في « م » : « اعتراف » .

(٤) هو الزاهد المشهور ، شيخ المحترلة عمرو بن عبيد ، أبو عثمان البصري

(٥) في « م » : « كرر الناسخ قول داود عليه السلام السابق ، سهواً منه .

(٦) في « ط » : « إلا وتحته » .

(٧) في « م » : « بإذنه » مكان « بفضلته » .

إِذَا مَسَّ بِالْأَسْرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَغْفَبَهَا الْأَجْرُ
فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيْقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالسَّرُّ وَالْجَهْرُ^(١)

وَمَنْ أَقْرَبُ يَنْعِمَ اللَّهُ وَإِحْسَانِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِقَدْرِ مَا كَلَّفَ^(٢) ، لَأَنْ أَحَدًا لَا يَمْكِنُهُ أَنْ يُوَارِيَ
شُكْرَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى .. وَفِي مُنَاجَاةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَهِي خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ ،
وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، فَكَيْفَ شُكْرَكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَعْلَمَ^(٣) أَنْ ذَلِكَ مِنِّي ، فَكَانَ مَعْرِفَتُهُ
بِذَلِكَ شُكْرَهُ لِي .

فصل

وَأَمَّا شُكْرُ اللِّسَانِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ^(٤) : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٥) .
قِيلَ : يَعْني الثُّبُوتَ . وَقِيلَ : يَعْني الْقُرْآنَ . وَحُكِّمَ الْآيَةُ عَامًّا فِي جَمِيعِ النِّعَمِ . وَرَوَى
النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ^(٦) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧) قَالَ : ﴿ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ
يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ﴾^(٨) . وَالتَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ .

(١) في (م) : « يضيّق » بدل « تضيق » .

(٢) كَلَّفَ : اخْتَلَفَ .

(٣) في (م) : « أَنْ تَعْلَمَ » .

(٤) « لِيهِ » عن (م) .

(٥) الآية ١١ من سورة الضحى .

(٦) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد الله ، أمير وعطيط ، وشاعر ، من
أجلاء الصحابة ، من أهل المدينة ، وله ١٢٤ حديثاً ، ولد سنة ٢ هـ ، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة ،
ولمّا ألبس البن لثماوية ، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر وعزله ، ثم ولّاه حمص . ومات مقتولاً بالشام سنة ٦٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٨ ، ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٢٦ — ٣٢٩ ، والمغرب ص ٢٧٦ ، ورجال صحيح
البخاري ج ٢ ص ٧٥١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٩٣ ، والمعارف ص ٢٩٤] .

(٧) في (م) : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه مجتزئاً عن أبي هريرة في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ج ٤ ص ٢٥٦
وأخرجه الترمذي في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج ٨ ص ١٣٢ ،
١٣٣ بشرح ابن العربي .

وَقَالَ تَعَالَى جِكَائِيَّةٌ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَغَدَهُ ﴾ ^(١) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَذَاكُرُوا النِّعَمَ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا شُكْرًا ^(٢) . وَكَتَبَ عِدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣) - لَمَّا حَفَرَ نَهْرَ الْبَصْرَةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ نَهْرُ عُمَرَ : إِنِّي حَفَرْتُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ نَهْرًا عَذَبَ لَهُمْ مَشْرَبُهُ ، وَجَادَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ ^(٤) ، وَلَمْ أَرْ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا ، فَإِنْ أُذِلَّتْ لِي فَسَنْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنِّي لَا أَحْسِبُ ^(٥) أَهْلَ الْبَصْرَةِ حَلَلُوا ^(٦) مِنْ رَجُلٍ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حِينَ حَفَرَكَ هَذَا النَّهْرَ ، وَإِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) قَدْ رَضِيَهَا شُكْرًا مِنْ جَنَّتِي ، فَأَرْضَ بِهَا شُكْرًا مِنْ نَهْرِكَ ، وَالسَّلَامَ .

وَحَقِيقَةُ الشُّكْرِ فِي هَذَا الْقِسْمِ ، الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يُوصَفُ الرَّبُّ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَكُورٌ حَقِيقَةٌ ، فَشُكْرُ الْعَبْدِ لِلَّهِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَشُكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِيهِ ، وَإِحْسَانُ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ إِعْآمُهُ عَلَيْهِ ،

(١) سورة الزمر ، من الآية ٧٤ .

(٢) في « م » : « شكر » بالرفع ، خطأ . ومن أول قوله : « وقال عمر » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) في « ط » : « قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله » . وعدى بن أرتطاة الغزاري ، أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولما عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ . فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢١٩ والمعارف ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٤) في « ط » : « وجادت حيث » .

(٥) لا أحسب : لا أظن ، من باب « تعب » في لغة جميع العرب إلا بنى كناية ، فإنهم يكسرون المضارع ، مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس . وفي « ط » : « إلى لأحسب » . تصحيف .

(٦) في « م » : « خلوا بدون الألف » . سهو من الناسخ .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » .

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : ذَابَتْ شُكُورٌ ، إِذَا أَظْهَرَتْ ^(١) مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ مَا تُعْطَى مِنَ الْعَلَفِ . وَيُقَالُ : وَجَتْ شُكُورٌ ، إِذَا كَانَ مُنْتَلَى الْمَحَاسِنِ ظَاهِرَهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « أَنَا وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِي نِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ، أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أُوتِيَ ^(٢) النَّاسُ لِأَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ صَبَرَهُمْ يَحْسِبُونَ ^(٣) أَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ شُكْرٍ .

فصل

وَأَمَّا الَّذِي عَلَى الْجَوَارِحِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ^(٤) . فَجَعَلَ الْعَمَلَ شُكْرًا . وَقَالَ عَطَاءٌ ^(٥) : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ^(٦) فَقَالَ لَهَا عُبَيْدٌ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثِينَا بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ ^(٧) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَكَتْ وَقَالَتْ : وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا ؟ إِنَّهُ أ ^(٨) فِي لَيْلَةٍ ، فَدَخَلَ مَعِيَ ^(٩) فِي فِرَاشِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنَّةُ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرِينِي أُتَعَبِدُ لِرَبِّي . قَالَتْ : قُلْتُ : إِنِّي أَحِبُّ فَرْشَكَ ، فَأَذْنُتُ لَهُ ، فَقَامَ إِلَى فَرْشِي مِنْ مَاءٍ ^(١٠) قَتْرُضًا ، وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَبَكَى حَتَّى

(١) في (م) : « ظهرت » تحريف .. وفي اللسان : الشكور من الدواب : الذي يَسْتَجِبُ عَلَى قَلَّةِ الْعَلَفِ ، كَأَنَّهُ يَشْكُرُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ قَلِيلًا .

(٢) في (ط) : « أُنِيَ » .

(٣) في (م) : « موضع صبر وهم يحسبون » .

(٤) سورة سبأ ، من الآية ١٣ .

(٥) هو : عطاء بن أبي رباح القرشي الفهري ، تاهي ثقة ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، وهو كثير الحديث [انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٠ ، وانظر الحديث الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٣٦ باب الشكر] .

(٦) هو : عبيد بن عمر بن قتادة اللثي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هكذا في (ط) والرسالة القشيرية .. وفي (م) : « بأعجب شيء رأيته » .

(٨) في (م) : « فدخل فراشي » .

(٩) في (م) : « قربة ماء » .

سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَى صَنْدِرِهِ ، ثُمَّ رَكَعَ قَبْكَى ، ثُمَّ سَجَدَ قَبْكَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْكَى ، فَلَمْ ^(١) يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِإِلَّالٍ ^(٢) فَأَذَنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَسْكُرُكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ ^(٣) : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ فَلَمْ ^(٤) لَا أَفْعَلْ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٥) .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) الشُّكْرَ بِالْعَمَلِ ، وَبَيَّنَّ بِهِ مُرَادَ الْكِتَابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْفَةً لَعَنَ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا ﴾ ^(٧) [أَيْ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الْآخَرَ ، فَمَنْ فَاتَهُ الْعَمَلُ فِي أَحَدِهِمَا عَمِلَهُ فِي الْآخَرِ ، فَجَعَلَ الْأَوْرَادَ وَالْأَعْمَالَ بِالْجَوَارِحِ شُكْرًا] وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) قَامَ حَتَّى انْتَفَحَتْ قَدَمَاهُ ^(٩) ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ ﴾ .

وَقَالَ أَبُو هَارُونَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي حَازِمٍ ^(١٠) فَقُلْتُ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ ^(١١) : إِذَا رَأَيْتَ بِهِمَا غَيْرًا أَدْعَيْتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ .

(١) في « م » : « وَلَمْ » .

(٢) هو الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، مؤذن الرسول (ﷺ) وغازنه على بيت ماله .

(٣) في « م » : « قَالَ » .

(٤) في « م » : « وَلَمْ » .

(٥) هكذا في « ط » والرسالة القشيرية . انظر سورة البقرة ، الآية ١٦٤ وآل عمران الآية ١٩٠ . وفي « م » :

« وَلَدَ أُنْزِلَ عَلَيَّ ﴾ [في اختلاف الليل والنهار] الآية ، وهي الآية السادسة من سورة يونس .

(٦) في « ط » : « عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » .

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٦٢ ، وما بين الموقوفين بينهما عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٨) في « ط » : « عَلَيْهِ الصَّلَامُ » .

(٩) في « م » : « انْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ وَالْأَوْدَاجُ : حُرُوقُ فِي الْعُنُقِ .. والمعروف أنه « قام حتى تورمت قدماء »

(الله) .

(١٠) في « م » : « أَيْ حَاتِم » تصحيف . والصواب : « أَيْ حَازِم » . وهو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن

دينار ، وقد مر التعريف به .

[انظر ماورد من أقواله هنا في الحلية ج ٣ ص ٢٤٣] .

(١١) في « م » : « فَقَالَ » .

قُلْتُ ^(١) لَهُ : فَمَا شُكْرُ الْأَذْنَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا حَفِظْتَهُ ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا نَسِيتَهُ ^(٢) . قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْبَيْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَنْ لَا تَأْخُذَ ^(٣) بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَا تَمْنَعَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا . [قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْبَطْنَيْنِ ؟ قَالَ أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ صَبْرًا ، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا] ^(٤) قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ ؟ قَالَ : كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ^(٥) . فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ، فَأَنْتَ الشَّاكِرُ حَقًّا .

وَفِي حِكْمَةِ إِذْيَسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ^(٦) بِجَمِيعِ الْإِلْعَامِ عَلَى خَلْقِهِ ، لِيَكُونَ صَانِعًا إِلَى الْخَلْقِ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِهِ ، الْخَالِقُ ^(٧) تَعَالَى . وَإِذَا ثَبَتَ أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَاتِ شُكْرًا ، فَإِنْ فِيهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مُلَازِمَةً ^(٨) مِنْ غَيْرِهِ ، فَالطَّاعَةُ فِي مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ أَشْكَلُ ^(٩) بِالشُّكْرِ عَلَى الْغِنَى مِنْ غَيْرِهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ النِّعْمَةِ ، فَإِذَا أُرْذِتْ أَنْ تُحْرُسَ دَوَامَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَأَدِمِ مُوَاسَاةَ الْفُقَرَاءِ .. وَالطَّاعَةُ فِي رَفْعِ ذَوِي الضَّعْفَةِ ^(١٠) وَالْخُمُولِ وَالْمَسْكِينَةِ بِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ ^(١١) أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى رَفْعِ قَدْرِكَ ، وَالتَّنْوِيهِ بِأَسْمِكَ .. وَالطَّاعَةُ فِي تَمْيِيزِ الْفُقَرَاءِ وَتَلْطِيفِ أَغْذِيَتِهِمْ أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى الْعَافِيَةِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .. وَالطَّاعَةُ ^(١٢) فِي الشَّفَاعَاتِ عِنْدَ

(١) فِي د م : : قُلْتُ .

(٢) فِي د ط : : سَمِعَهُ . وَفِي الْحَلِيقَةِ : إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَغَيْرَهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا نَسِيتَهُ .

(٣) فِي د م : : قَالَ : لَا تَأْخُذَ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ مِنْ د ط : وَلَمْ يَرِدْ فِي د م .

(٥) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ، الْآيَاتُ : ٥ ، ٦ وَسُورَةُ الْمَارِجِ ، الْآيَاتُ : ٢٩ ، ٣٠

(٦) فِي د ط : : أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةٍ .

(٧) فِي د م : : مَا صَنَعَ الْخَالِقُ .

(٨) فِي د م : : مَلَامَةٌ .

(٩) أَشْكَلُ : أَشْبَهُ .

(١٠) فِي د م : : ذَوِي الضَّعْفَةِ . وَالضَّعْفَةُ : خِلَافُ الرِّقَّةِ فِي الْقَدْرِ .

(١١) فِي د م : : بِغَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

(١٢) فِي د م : : : وَالطَّاعَاتِ .

السُّلْطَانِ ، وَفَضَاءُ حَوَائِجِ الْغُرَبَاءِ وَالْإِخْوَانِ أَشْبَهُ بِذَوِي الْجَاهِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ . وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَتَّبِعِي أَنْ تَعَالَى ^(١) سَائِرُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ .. وَمِنْ الْعِبَارَاتِ الْجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ أَنْ يُقَالُ : الشُّكْرُ ^(٢) مَعْرِفَةُ الْجَنَانِ ، وَذِكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ .

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الزَّيَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِذَا ، وَيَقُولُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٥) قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَا تَرَى مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْغِنَى ثُمَّ يَتَّبِعِي بِالْفَقْرِ ، وَمَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْعَافِيَةِ ثُمَّ يَتَّبِعِي بِالْمَرَضِ ، وَاللَّهُ ^(٦) تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ نِعَمَ ^(٧) الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا تَكُونُ الزَّيَادَةُ مِنْ جِنْسِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوا : إِنَّ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ ، وَإِنْ تَفَاضَلَتْ وَاخْتَلَفَتْ ، فَكُلُّهَا مُتَجَانِسَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ .

وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ خَيْرًا ، وَالْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ بِالْمَنْعِ وَالسَّقَمِ وَتَحْوِيهِمَا ، فَإِنْ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَهُ مَالًا ، أَوْ يُصِحِّحَ جِسْمَهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ وَهَبَ الْمَالَ أَتَّفَقَهُ فِي الْمَعَاصِي ، أَوْ وَهَبَهُ الصِّحَّةَ صَرَفَ ^(٨) صِحَّتَهُ إِلَى الْمَشْيِ فِي الْآثَامِ ، فَالْمَنْعُ هَاهُنَا مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَزِيلَةٌ ، وَعَنْ هَذَا قَالَ

(١) فِي « ط » : « يُقَالُ » مَكَانَ « تَعَالَى » .

(٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الشُّكْرِ » مِنْ « ط » . وَالْجَنَانُ : الْقَلْبُ

(٣) سُورَةُ الْإِبْرَاهِيمِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّامِيَةِ .

(٤) قَوْلُهُ : « تَعَالَى » عَنْ « م » .

(٥) سُورَةُ غَافِرٍ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠ .

(٦) فِي « م » : « وَاللَّهُ » .

(٧) فِي « ط » : « نِشْمَةٌ » .

(٨) صَرَفَ : أَتَّفَقَ . وَلِي « م » : « أَصْرَفَ صِحَّتَهُ » أَيْ : قَدَمَهَا خَالِصَةً

الْعُلَمَاءُ : مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَطَاءَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : يُمَكِّنُ تَقْدِيرُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، أَيْ : لَيْسَ شُكْرُهُمْ ^(١) لِأَيِّدِيكُمْ إِلَّا أَنْ تَعَصُوا فَأَعَابَكُمْ بِالْجُرْمَانِ ، فَأَجْعَلَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَكُمْ ، وَهُوَ أَصْلَحُ مِنْ أَنْ أَعَابَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَالنَّاسُ لَا يَسْلُمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَلَوْ تَهَيَّأَ أَنْ يَسْلَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ لَدَرَّتِ الزِّيَادَاتُ ^(٢) قَالَ اللَّهُ ، تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ^(٣) . وَقَالَ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ قَوْمٌ : الْآيَةُ خَاصَّةٌ لَا مَحَالَةَ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ عَلَى عُمُومِهَا لَوَجِبَ أَنْ لَا يَمُوتَ مَنْ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٥) عَلَى الْحَيَاةِ . قَالَ الشَّيْخُ : قُلْتُ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَ الزِّيَادَةَ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعِبَادَةَ عِلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا الشَّاكِرُ ، فَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ الْمَزِيدُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْعَبْدَ يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى بِلِسَانِهِ وَمَالِهِ فِي تَقْصَانٍ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَحْلَلَ بِالشُّكْرِ الَّذِي أَخَذَ ^(٦) عَلَيْهِ ، إِمَّا أَنْ لَا يُزَكِّيَهُ ، أَوْ يُزَكِّيَهُ لغيرِ أَهْلِهِ ، أَوْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ وَقْتِهِ ، أَوْ يَمْنَعُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ كُسُورَةِ عُرْيَانٍ ، أَوْ إِطْعَامِ جَائِعٍ وَشَبَّهَ ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٧) بِتَرْكِ آدِبٍ ، أَوْ إِخْلَالِ بِحَقٍّ ، أَوْ إِمْلَاءِ بِذَنْبٍ . كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَذْنَى الشُّكْرِ أَنْ لَا تَعْصِيَ اللَّهَ بِنِعْمِهِ ، فَإِنَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَعْصِيهِ ^(٨) بِهَا . وَيَحْتَمِلُ

(١) فِي « م » : « الْإِسْتِثْنَاءُ فِيهَا : إِنْ شَكَرْتُمْ » .

(٢) دُرَّتِ الزِّيَادَاتُ : كَثُرَتْ وَدَامَتْ وَلَمْ تَقْطَعْ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٦ . وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

(٤) سُورَةُ نُوحٍ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠ - ١٢ .

(٥) قَوْلُهُ : « اللَّهُ تَعَالَى » عَنْ « م » .

(٦) فِي « م » : « وَقَدْ أَخَذَ » .

(٧) سُورَةُ الرِّعْدِ ، مِنَ الْآيَةِ ١١ .

(٨) فِي « م » : « فَلَا تَعْصِيهِ » لِاتِّصَاحِ .

أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْآيَةِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إِنْ شِئْنَا ^(١) ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ^(٢) . وَكَبِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يُرِيدُونَ خَرْثَ الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتُوهُ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : نُؤْتِهِ مِنْهَا لِمَنْ نَشَاءُ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ ^(٣) . وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ ^(٥) لَهُمْ ، وَلَكِنْ مَعْنَى الْآيَةِ : أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ شِئْتُ ، وَلِمَنْ شِئْتُ ^(٦) ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ^(٧) . وَهَذَا مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ .

قَالَ الْجَنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ ^(٨) وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ لِي : يَا غَلَامُ ، مَا الشُّكْرُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْ لَا يُعْصَى ^(٩) اللَّهُ

(١) في م ١ : « لَنْ شكرم » إِنْ شِئْتُ .. وَرَبَّمَا يُرِيدُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ إِنْ شِئْتُ .

(٢) سورة الشورى ، من الآية ٢٠ . والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي خَزَائِنِهَا مِمَّا يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾ .
والخرث : الثواب .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية ١٨ ، والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ . والعاجلة : الدنيا . ومدحورًا : مطرودًا من رحمة الله تعالى ، والمعنى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ بَعْلَمَةَ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَمَنَاقِبَهَا فَقَطَّعْنَا عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ تَعَجُّلَهُ مِنْ نَعِيمِهَا وَمَظَاهِرِهَا لِمَنْ يُرِيدُ مِنَ الْخَلْقِ حَسَبَ مَشِيئَتِنَا ، فَتَعْطِيهِ قَدْرًا - لَا كَمَا يَشَاءُ هُوَ ، بَلْ كَمَا نَشَاءُ نَحْنُ . أَيْ : أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ وَحْدَهَا .
(٤) سورة غافر ، من الآية ٦٠ .

(٥) في ط ٤ : « يَسْتَجِيبُ » .

(٦) قوله : « وَلِمَنْ شِئْتُ » عَنْ م ٤ .

(٧) سورة الأنعام ، من الآية ٤١ .

(٨) في م ٤ : « فَإِنَّ الْجَنَيْدَ كَتَبَ ... » تصحيف . والسريُّ هو : سَرِيُّ بْنُ الْمُعَلَّاسِ السَّقَطِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ كِبَارِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، وَلَدَ وَنَشَأَ فِي بَغْدَادَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي بَغْدَادَ بِلسانِ التَّوْحِيدِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ إِمَامَ الْبَغْدَادِيِّينَ وَشَيْخَهُمْ فِي وَقْتِهِ ، وَهُوَ خَالَ الْجَنَيْدِ وَأَسَاتِذُهُ ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ٢٥٣ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وطبقات الصوفية ج ٤٨ - ٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٧ - ١٩٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٩ - ٧٢ ، وطبقات الشعرا ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١٨٥ - ١٨٧] .

(٩) في م ٤ : « قُلْتُ : لَا يُعْصَى » .

إِذَا رُعِيَتْ النَّعْمُ بِالشُّكْرِ فَيَهِ أَطْوَقُ ، وَإِذَا رُعِيَتْ بِالْكَفْرِ فَيَهِ أَغْلَلُ . قَالَ حَبِيبٌ ^(١) :

نَعْمٌ إِذَا رُعِيَتْ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ نِعْمًا فَإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهِيَ مَصَائِبٌ ^(٢)

وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْحَسَنِ ^(٣) بَعْشَرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَكَّرَنِي . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَتَعَفَى الزَّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي ^(٤) وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِي ^(٥) .. تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا تَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ ^(٦) ؟ وَتَبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ؟ تُكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكَ وَلَا تُدْعُهَا فِي طَوْلِ حَيَاتِكَ ؟ .

وَقَالَ الْمُفِيزَةُ بْنُ شُعْبَةَ : أَشْكُرُ مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ ، وَأُنْعِمُ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ ، فَإِنَّهُ ^(٧) لَابْقَاءٌ لِلنَّعْمَةِ إِذَا كُفِّرَتْ ، وَلَازَوَالٌ لَهَا إِذَا شُكِرَتْ ، وَإِنَّ الشُّكْرَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّعْمِ ، وَأَمَانٌ مِنَ النَّقْمِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : ابْنُ آدَمَ ، مَتَى تَشْكُرُكَ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ وَأَنْتَ مُرْتَبِعٌ بِهَا ، كُلَّمَا شَكَرْتَ نِعْمَةً تَجِدُ لَكَ بِالشُّكْرِ أَكْثَرَ مِنْهَا عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ ^(٨) لَا تَشْكُرُكَ بِالشُّكْرِ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا . وَقَالَ سُفْيَانُ ^(٩) : لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ

(١) هو : حبيب بن عيسى بن محمد العجمي ، أبو محمد ، كان زاهدًا عالمًا مجاب الدعوة ، فارسي الأصل ، سكن البصرة ، وها توفي سنة ١١٩ هـ . وقيل سنة ١٢٥ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٨٢ - ١٨٦ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٧ - ٢٠] .

(٢) ل (م) : « وإن لم تُرْعَ » .

(٣) هو الحسن البصري ، وقد مر التصريف به .

(٤) ل (م) : « ويتعفى الزيادة فيما بقي منها ولا ينتهي » .

(٥) ل (م) : « يأمر الناس بما لا يجب أن يأتي » .

(٦) ل (م) : « يجب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم » .

(٧) ل (م) : « وإِنَّهُ » .

(٨) ل (م) : « وَأَنْتَ » .

(٩) هو : سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وقد مرَّ التصريف به .

إِلَى يَغُثُوبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : عَلَى أَى دِينٍ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ^(١) .
قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْآنَ تَمَّتِ النُّعْمَةُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دُعِيَ إِلَى قَوْمٍ لِيَأْخُذَهُمْ عَلَى بَيْتِهِ ،
فَافْتَرَقُوا قَبْلَ أَنْ يَيْلُقَهُمْ ، فَأَعْتَقَ عُمَانُ رَقَبَةً شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى أَنَّ لَا يَكُونُ جَرَثٌ عَلَى يَدَيْهِ
فَضِيحَةٌ رَجُلٍ مُسْلِمٍ . وَرَوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ التَّرَمِ الرُّكْنَ ^(٢) وَقَالَ : إِلَهِي ،
نَعْمَتِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا ، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا ، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النُّعْمَةَ بِتَرْكِ
الشُّكْرِ ، وَلَا أَنْتَ أَدَمْتَ النُّعْمَةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ .. إِلَهِي ، مَا يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ ،
وَلَا مِنَ الْجَافِي إِلَّا الْجَفَاءُ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : الْخَيْرُ الَّذِي لَاشْرَ فِيهِ : الشُّكْرُ
مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ .

وَرَوَى أَنَّ ثُمَلَةَ قَالَتْ لِإِسْلِمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَنَا عَلَى قَدَرِي
أَشْكُرُ اللَّهَ ^(٤) مِنْكَ ! وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى قَرَسٍ ذَلُولٍ ^(٥) فَخَرَّ عَنْهُ سَاجِدًا ^(٦) شُكْرًا لِلَّهِ
[تَعَالَى] ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَبْجَلْتُكَ ^(٨) لَسَأَلْتُكَ أَنْ تَنْزِعَ مِنِّي ^(٩) مَا أُعْطَيْتَنِي .

(١) في م : : عن الإسلام .

(٢) الترمذ الركن : أى الركن الجامع من الكمية ، والتزمه ، واحتقه ، ولذا سُمِّيَ « الْمُتَقَرِّم » لأنَّ الناس يحتقونه
ويشكرونه إلى صلورهم ، وهذا مستحب للطائف بالكعبة .

(٣) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، خطيب ، ورواية وزاهد ، كان من آدب أهل المدينة ،
وسكن الكوفة ، فاشتهر فيها بالبصاة والقراءة ، وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته ، وكان ذا منزلة عنده . وتوفى
سنة ١٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٧٢ ، والبيان والفتبين ج ١ ص ٣٢٨ ،
٣٢٩ ، والمعارف ص ٢٥٠] .

(٤) في م : : لأشكر لله .

(٥) الذلول : السهل الانقياد .

(٦) في م : : فخر ساجدا .

(٧) ما بين المعقوفين عن م : .

(٨) أى : أعظمتك وأوقرتك .

(٩) في م : : تنزع عني وكلاهما وارد .

وَقَالَ صَدَقَ بَنُ يَسَارٍ ^(١) : يَتِمَّا ^(٢) دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِغْرَابِهِ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ دُودَةٌ ، فَتَمَكَّرَ لِيُخَلِّقَهَا وَقَالَ : مَا يَتَّبِعُ اللَّهُ بِخَلْقِي هَذِهِ ^(٣) ؟ فَأَنْطَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا دَاوُدَ ^(٤) تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ لَأَنَا عَلَى قَدْرِ مَا آتَانِي اللَّهُ أَذْكُرُ اللَّهَ وَأَشْكُرُ لَهُ مِنْكَ فِيمَا آتَاكَ .

وَلِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَتَتْ أَهْلُهُ عَلَى نِعْمَةٍ مَا كُنْتُ مِنْكَ لَهَا أَهْلًا ^(٥)
مَتَى أَزْدَدْتُ تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفَضُّلاً كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَ ^(٦)

وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ صَدِيقٌ فَحَبَسَهُ السُّلْطَانُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَضَرِبَ الرَّجُلُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَجِئَءَ بِمَجُوسٍ مُبْطُونٍ ^(٧) وَقِيدَ فَبَجَلَ خَلْقَهُ فِي رِجْلِهِ وَخَلَقَهُ فِي رِجْلِ الْمَجُوسِ فَكَانَ الْمَجُوسِيُّ ^(٨) يَقُومُ بِاللَّيْلِ مَرَاتٍ ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ وَيَقِفَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَقَالَ : إِلَى مَتَى تُقُولُ ؟ وَآيَ بَلَاءٍ هُوَ هَذَا ؟ فَقَالَ

(١) هو : صدقة بن يسار الجزري ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، نزل مكة ، وحلث عن طاووس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما ، وروى عنه شعبة ، ومالك ، والسيفانيان ، والضحاك بن عثمان ، وقد وثقه أحمد بن يحيى .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٠١] .

(٢) في « ط » : « يَتِمَّا » .

(٣) ما يتبع الله يخلق هذه : لم يخلقها شيئا ، ولم يخلقها .

(٤) في « م » : « فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ » .

(٥) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

« عَلِ نِعَمَ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلًا » .

(٦) مطلع البيت في المستطرف : « إِنَّ زِدْتُ تَقْصِيرًا .. » .

[انظر البيهقي في الفصل الثاني من الباب الثاني والأربعين ، في شكر النعمة ص ٥٠٨] .

(٧) هكذا في « م » : وفي الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٤١ .. وفي « ط » : « فَجِئَءَ بِمَجُوسٍ مَجُوسِيٍّ مُبْطُونٍ قِيدَ » . والمبطون : الرعوى يبطنه .

(٨) قوله : « فَكَانَ الْمَجُوسِيُّ » من « م » ولم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

صَاحِبُهُ : لَوْ وُضِعَ الزُّنَارُ الَّذِي فِي وَسْطِهِ فِي وَسْطِكَ كَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ الَّذِي فِي رِجْلِهِ
رِجْلِكَ ، مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟

وَلْيَعْضَيْهِمْ :

وَمِنْ الرِّزْيَةِ أَنْ شُكِرِي صَامِتٌ عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنْ يَبْرَكَ نَاطِقٌ ^(١)

أَزَى الصَّيِّعَةِ مِنْكَ ثُمَّ أُسِيرُهَا إِنِّي إِذَا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقٌ ^(٢)

وَقَالَ رَجُلٌ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) : إِنْ اللَّصُّ دَخَلَ دَارِي وَأَخَذَ مَتَاعِي : فَقَالَ :
اشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى ، لَوْ دَخَلَ اللَّصُّ قَلْبَكَ - وَهُوَ الشَّيْطَانُ - فَأَخَذَ ^(٤) التَّوْحِيدَ ، مَاذَا
كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ وَلَمَّا بُشِّرَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَغْفِرَةِ ، سَأَلَ الْحَيَاةَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهُ
فِيهِ ، فَقَالَ : لِأَشْكُرُهُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ قَبْلَهُ لِلْمَغْفِرَةِ ، فَبَسَطَ الْمَلِكُ جَنَاحَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ ^(٦) .

(١) هكذا البيت في « ط » والرسالة القشيرية .. وفي « م » : « سُرَّكَ » مكان « يَبْرَكَ » .

(٢) في « م » والرسالة القشيرية : « ليد الكريم » مكان « لندي الكريم » والمراد بها : نعمة الله سبحانه وتعالى ..
وأُسِيرُهَا : أخفيها .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس الششتري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، وأحد المتكلمين في
علوم الإخلاص والرياضيات ، وحبوب الأفعال .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٦ - ٢١١ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص
٧٧ - ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٢ - ٩٥ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٩ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان
ج ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ ، وسمو أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٣٠ -
٣٣٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ مادة « تستر »] .

(٤) في « م » : « وسرق » . مكان « وأخذ » .. وفي الرسالة القشيرية : « وأفسد التوحيد » .

(٥) في « م » : « فسأل المغفرة » .. وفي « ط » : « سأل المغفرة » ولا تستقيم معنى ، والتصويب من الرسالة
القشيرية . و « سأل الحياة » أي : إطالة حياته .

[انظر للمصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢] .

(٦) أشار القرآن إلى هذا في سورة مريم . انظر الآيتين : ٥٦ ، ٥٧ .

وَرَوَى ^(١) أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(٢) مَرَّ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : مُنْذُ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَأَنَا ^(٣) أَبْكِي مِنْ خَوْفِهِ ، فَدَعَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) رَبَّهُ أَنْ يُجِيرَهُ ^(٥) مِنَ النَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنِّي أُجِزُّهُ مِنَ النَّارِ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ الْحَجَرَ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ مِثْلُ مَا كَانَ ، فَتَعَجَّبَ ^(٦) فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَجَرَ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ تَبْكِي ^(٧) ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ بُكَاءُ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ ، وَهَذَا بُكَاءُ الشُّكْرِ وَالسُّرُورِ .

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرْحَمْ عِبَادِي : الْمُتَجَلَّى وَالْمُعَافَى ^(٨) . فَقَالَ ^(٩) : إِلَهِي ، مَا بَالُ الْمُعَافَى ؟ فَقَالَ : لِقِلَّةِ شُكْرِهِمْ عَلَى عَافِيَتِي إِيَّاهُمْ .. وَأَوَّلَى رَجُلٍ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا خَيْرًا ^(١٠) فَقَالَ : لَا أَهْلَكَ اللَّهُ بِلَاءَ يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرُكَ ^(١١) ، وَأَنْتُمْ عَلَيْكَ ^(١٢) نِعْمَةٌ يَعْجَزُ عَنْهَا شُكْرُكَ .

وَالشَّدَّ بَعْضُهُمْ :

-
- (١) في « م » : « وَرَوَى » .
(٢) ما بين المعقوفين من « ط » .
(٣) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي « م » و « ط » : « قَاتَنَا » .. وقوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ورد في سورة الصَّحَرَمِ ، من الآية السادسة ، والبقرة من الآية ٢٤ .
(٤) في « م » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .
(٥) في « م » : « أَنْ يُجِيرَهُ اللَّهُ تَعَالَى » .
(٦) في « م » : « فَتَعَجَّبَ » .
(٧) في « م » : « لِمَ تَبْكِي » خطأ من الناسخ .
(٨) في « م » : « أَرْحَمْ الْمُعَافَى وَالْمُتَجَلَّى » .
(٩) في « م » : « قَالَ » .
(١٠) هكذا في المستطرف ج ١ ص ٥٠٧ وللمعنى : حابه وأتمم عليه .. وفي « م » : « وَأَوَّلَى رَجُلٍ أَعْرَابِيًّا بِلَاءَ حَسَنًا » . وفي « ط » : « وَبِلَا رَجُلٍ أَعْرَابِيًّا بِلَاءَ حَسَنًا » .
(١١) في « م » : « يَعْجَزُ صَبْرُكَ عَنْهُ » .
(١٢) في « م » : « عَنْكَ » تحريف .

سَأَشْكُرُ لَا أُتِي أَجَازِيكَ مُنْعِمًا بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يُرَى ذَلِكَ الشُّكْرُ ^(١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَيَّ اصْطَلَعْتُهَا وَآخِرُ مَا يَتَمَيَّ عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ ^(٢)
وَأَتَشَدُّوا :

أُولَئِيتِي نِعْمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأُسْرِهَا
فَلَا شُكْرُكَ مَا حَيِّتُ وَإِنْ أُمْتُ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا
وَلَبِغَضِ الْأَغْرَابِ :

إِلَهِي قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُذْرِي إِقْرَارِي بَأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرُ

وَكَانَ مُطَرَّفٌ ^(٣) يَقُولُ : إِلَهِي ، مِنْكَ تَكُونُ النِّعْمَةُ ، وَعَلَيْكَ تَمَامُهَا ، وَأَنْتَ تُعِينُ
عَلَى شُكْرِهَا ، وَعَلَيْكَ ثَوَابُهَا . وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنَ النِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ . وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى
بَعْضِ عِبَادِهِ فَقَالَ ^(٤) : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا » ^(٥) . وَقَالَ تَعَالَى : « شَاكِرًا لِنِعْمِهِ
اجْتِبَاهُ » ^(٦) . وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَتَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » ^(٧) . « وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ » ^(٨) . وَقَالَ ^(٩) : « إِنْ
أَخْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ » ^(١٠) . لَيْسَ لِلرَّبِّ تَعَالَى فِيهَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَإِنَّهُ أَجَلُ

(١) فِي الْمُسْتَلَطَفِ : « وَلَكِنْ كَيْ يُرَادَ لَكَ الشُّكْرُ » .

(٢) اصْطَلَعْتُهَا ، بَفَتْحِ التَّاءِ : أَحْسَنْتُ إِلَى فِيهَا . وَالْمُخَاطَبُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(٣) هُوَ : مُطَرَّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّغَيْرِ الْعَامِرِيُّ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٤) فِي « م » : « وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّبَاءِ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ » .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « نُوحٍ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) سُورَةُ النَّحْلِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٢١ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « إِبْرَاهِيمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٧) سُورَةُ الْهَجَلِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٠ .

(٨) سُورَةُ فَاطِمَةَ ، مِنَ الْآيَةِ ١٨ . وَفِي « م » : « وَمَنْ يَتَزَكَّى » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ

(٩) « وَقَالَ » عَنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(١٠) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّابِعَةِ .

مِنْ أَنْ تَنَالَهُ ^(١) الْمُحْظُوظُ ، وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُلْحَقَهُ تَنَاءٌ مِثْنٌ ^(٢) أَوْ شُكْرٌ شَاكِرٌ ، فَأُثْبِرَ أَنْ
الْعُلُوَّ وَالْجَلَالَ لَهُ دُونُهُمْ ، وَآلَهُ يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنِ النَّاسِ بِتَنَاءٍ مِثْنٍ ، أَوْ كُفْرٍ كَافِرٍ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ يَذُوقُكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . فَوَاعَجَبًا ، أُعْطِيَ ثُمَّ أُثْنِيَ !

وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُفِّرَ التَّعَمُّةَ دَاعِيَةَ الْمَقْتِ ، وَمَنْ جَازَاكَ بِالشُّكْرِ فَقَدْ
أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ مِنْكَ . وَحَقِيقٌ بِمَنْ ^(٥) أَسْدَيْتَ إِلَيْهِ نِعْمَةً ، أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً أَنْ
يُكَافِيَءَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَشْكُرْ ، فَإِنْ شَكَرَهَا فَقَدْ أَدَّى حَقَّهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَعِينِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدَّ لِرِفْعَةٍ حَالٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ ^(٦)
لَمَّا أَمَرَ الرَّحْمَنُ بِالشُّكْرِ خَلَقَهُ فَقَالَ اشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ^(٧)
وَقَالَ الْبُسْتِيُّ ^(٨) :

لَيْفَ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قُوَّتِي وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عَاجِزُ ^(٩)
فَإِنْ ثَنَائِي وَاعْتِقَادِي وَطَاعَتِي لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتِيهِ مَرَكَزُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « يُنَال » . والمحظوظ ، جمع حظ ، وهو : النصيب والمطاء .

(٢) أى : مذبح ماذج .

(٣) في « م » : « فَإِنَّهُ يَتَقَدَّسُ » أى : يتزوّ - تجلّ وعلا .

(٤) سورة إبراهيم ، من الآية العاشرة .

(٥) في « م » : « وَمَنْ » .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٢ : « لكثرة مال » مكان « لرفعة حال » ..
والبيت في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨١ ط دار الكتب العلمية :

« فَلَوْ كَانَ يَسْتَعِينِي عَنْ الشُّكْرِ سَيْدٌ لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ ،

تنبه : فيما سبق كان اعتمادنا على عيون الأخبار المطبوع في الحقة العامة للكتاب ، ومن هنا وإلى نهاية الكتاب -
إن شاء الله تعالى - سيكون اعتمادنا على طبعة دار الكتب العلمية .

(٧) البيت في العقد الفريد :

« لَمَّا تَلَذَّ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ .. فَقَالَ اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » والشطرة الأولى في عيون الأخبار :

« لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْجَلِيلُ بِشُكْرِهِ » . وتذبّ : دعا . والثقلان : الإنس والجن .

(٨) هو الكاتب الشاعر : أبو الفتح ، علي بن محمد .

(٩) أقوى الورى : أشدّ الخلق .

(١٠) مطلع البيت في « م » : « فَإِنْ ثَنَائِي .. » ما أَوْلَيْتِيهِ : ما أكرمتني به من نعم .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ ^(١) : وَقَفْتُ عَلَيْنَا امْرَأَةً فَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ، تَغَيَّرَ عَلَيْنَا الذَّمُّ إِذْ قُلْنَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَفَارَقْنَا الْغَنَى ، وَحَاقْنَا الْفَقْرُ ، فَرَجِمَ اللَّهُ امْرَأَةً فِيهِمْ بِعَقْلِ ، وَأَعْطَى مِنْ فَضْلٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ ^(٢) ، وَأَعَانَ عَلَى عَفَافٍ .
وَأَسْتَدُوا :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ ^(٣)
لَمَلَّئْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرٌ ^(٤)
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ يُحَرِّكُهُ الْكَلِمُ السَّائِرُ ^(٥)

وَقِيلَ لِكِسْرَى : مَا الشُّكْرُ ؟ فَقَالَ : الْمُكَافَأَةُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ . قِيلَ : فَمَا الْكُفْرُ ^(٦) ؟ قَالَ : تَرْكُ الْجَزَاءِ وَلَوْ بِالثَّنَاءِ . قِيلَ : وَهَلْ يَكُونُ أَحَدٌ أَهْلًا مِمَّنْ يَتَحَلَّى بِالثَّنَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ عَادَى عَلَى الصَّبِيغَةِ ^(٧) .

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلي ، أبو محمد ، التميمي بالولاء ، المعروف بابن النديم الموصلي ، فارسي الأصل ، من أشهر تلمذاء الخلفاء ، تفرَّد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، وكان شاعراً ورأياً للشعر ، وحافظاً للأخبار ، وُلِدَ في بغداد سنة ١٥٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٢٣٥ هـ . وألف الكثير من الكتب والتصانيف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣٨ - ٣٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٥ - ٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ - ٣٦١ ، والأغاني ج ٥ ص ١٩١٢ - ٢٠٧٩ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤] .
(٢) الكفاف : ما كان مقدراً الحاجة من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) يبين : يفصح عنه ويوضحه .. وفي « م » : « إِذَا تَأَمَّلَهُ » ، وسقطت « ما » منها سهواً من الناسخ ، ولا يستقيم الوزن إلا بها . والأبيات في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨٠ وهي من المتقارب .

(٤) لَمَلَّئْتُهُ لَكَ : لَشَبَّهْتُه وصَوَّرْتُهُ لَكَ . وفي عيون الأخبار : « يَتَّبِعُكَ لَكَ » .

(٥) الْكَلِمُ السَّائِرُ : الكلام الذي شاع في الناس .

(٦) الكفر : الجحود .

(٧) عَادَى عَلَى الصَّبِيغَةِ : خَاصَمَ مَنْ قَدَّمَ لَهُ الْخَيْرَ وَالْفِعْلَ الْحَسَنَ ، وصار عدواً له .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ السَّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا
الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ ، وَيَسْتَرْيَحُ إِلَيْهَا
الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، مُسْتَخْرَجَةٌ
مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِطَ لَهُمْ ^(١) . فَأَنْبِئْتُ اللَّهَ تَعَالَى الْمُمَاتِلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَا يُمَاتِلُونَنَا ^(٢) فِي خَلْقِنَا وَأَشْكَالِنَا ، وَلَا فِي عُقُولِنَا ^(٣) ، وَسَائِرِ مَا تُدْرِكُهُ الْعَيْنُ ^(٤) مِنْهُمْ وَمِنَّا ، فَتُبْقَى الْمُمَاتِلَةُ فِي الْأَخْلَاقِ ، فَلَا أَحَدَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا وَفِيهِ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَخْلَاقَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفَةً : فَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْإِنْسَانِ خُلُقًا تَحَارِجًا عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، فَأَبْصِرْ مَا يُمَاتِلُ ذَلِكَ الْخُلُقَ مِنَ خُلُقِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ ^(٥) فَالْحَقُّ بِهِ ، وَعَامِلُهُ

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ .

(٢) في « د م » و « ط » : « لَا يُمَاتِلُونَا » .

(٣) قوله : « وَلَا فِي عُقُولِنَا » عن « م » .

(٤) في « د م » : « وَسَائِرِ مَا يَدْرِكُهُ حَوَاسِنَا » .

(٥) في « د م » : « مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ » .

كَمَا كُنْتَ تُعَامِلُهُ بِهِ ^(١) ، فَجَبِينِيذ تَسْتَرِيحُ مِنْ مُنَازَعَتِهِمْ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْكَ ، وَتَذُومُ الصُّحْبَةَ .

فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ الْجَاهِلَ فِي خُلَاتِيهِ ، الْغَلِيظَ فِي طَبَاعِيهِ ، الْقَوِيَّ فِي بَذِيهِ ، الَّذِي ^(٢) لَا يُؤْمِنُ طُغْيَانَهُ ^(٣) وَإِفْرَاطَهُ فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ التُّمُورِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَجْهَلُ مِنْ نَيْرٍ . وَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ النَّمِرَ بَعُدْتَ عَنْهُ وَلَمْ تُخَاصِمْهُ وَلَا تُسَاقِبْهُ ^(٤) . فَاسْلُكْ بِالرَّجُلِ كَذَلِكَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ الْعَالِبَ عَلَى أَخْلَاقِهِ السَّرِيقَةَ خُفْيَةً ، وَالنَّقَبَ ^(٥) لَيْلًا عَلَى وَجْهِ الاسْتِسْرَارِ ^(٦) قُلْنَا : هَذَا يُمَازِلُ عَالَمَ الْجُرْذِ ^(٧) ، فَذَعُ مَلَاحِظَتَهُ ^(٨) وَمُخَاصَمَتَهُ ، كَمَا تَدْعُ سِيَابَ الْجُرْذِ ^(٩) إِذَا أَفْسَدَ رَحْلَكَ ، ثُمَّ أَخِي ^(١٠) رَحْلَكَ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ . وَإِذَا رَأَيْتَ هَجَامًا عَلَى أُغْرَاضِ النَّاسِ وَتَلْبِيهِمْ ^(١١) فَقَدْ مَازَلَ عَالَمَ الْكِلَابِ ، فَإِنَّ ذَابَ الْكَلْبِ ^(١٢) أَنْ يَجْفُو مَنْ لَا يَجْفُوهُ ، وَيَتَدَيَّ بِالْأَذْيَةِ مَنْ لَا يُؤْذِيهِ ، فَعَامِلُهُ بِمَا كُنْتَ

(١) « بِهِ » عَنْ « ط » .

(٢) « الَّذِي » عَنْ « م » .

(٣) « فِي » م : « لَا يُؤْمِنُ مِنْ طُغْيَانِهِ » وَكِلَاهُمَا وَارِدٌ فِي اللَّفْظِ .

(٤) وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « أَجْهَلُ مِنْ فَرَاثَةٍ » لِأَنَّهَا تَطْلُبُ النَّارَ قَتْلَى نَفْسَهَا فِيهَا .. وَ « أَجْهَلُ مِنْ عَقْرَبٍ » لِأَنَّهَا تَمُتِي بَيْنَ أَرْجُلِ النَّاسِ وَلَا تَكَادُ تَبْصُرُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ .

[انظر مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والدررة الفاخرة في الأمثال السائرة للأصبهاني ج ١ ص ١٠٧ ، ١٢١] .

(٥) وَلَا تُسَاقِبْ : الرَّوَا عَاطِفَةٌ ، وَلَا : نَاقِيَةٌ لَا عَمَلَ لَهَا ، وَتُسَاقِبُ : تُثَابِتُهُ ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْزُومِ بَلَمْ قَبْلَهُ .

(٦) النَّقَبُ : الْخَرْقُ فِي الْجِدَارِ مِنْ أَجْلِ التَّسَلُّلِ وَالسَّرِقَةِ . وَفِي « م » : « التَّعَبُ » تَحْرِيفٌ .

(٧) الْاسْتِسْرَارُ : الْاسْتِتَارُ وَالْخَفَاءُ . مُصَدَّرٌ مِنْ « اسْتَسَرَّ » بِمَعْنَى اسْتَرَى وَخَفَى .

(٨) الْجُرْذُ : الْكَبِيرُ مِنَ الْفَرَاقِ ، وَجَمْعُهُ جُرْذَانٌ ، بَضَمُ الْجِيمِ وَكَسَرُهَا .

(٩) مَلَاحِظَتُهُ : مُنَازَعَتُهُ .

(١٠) « فِي » م : « سِيَابُ الرُّجُلِ » لَا تَسْتَقِيمُ مَعْنَى .

(١١) أَخِي ، أَيْ : أَصْلَحُ مَا قَدْ مَنَعَهُ .. وَفِي « م » : « أَخْبَا » وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَعْنَى السَّابِقِ .

(١٢) الْقَلْبُ : الْعَيْبُ وَالنَّقِصَةُ .

(١٣) ذَابَ الْكَلْبُ : عَادَتُهُ وَشَأْنُهُ .

نُعَامِلُ بِهِ الْكَلْبَ إِذَا تَبَحَّكَ ، أَلَسْتَ تَذْهَبُ فِي شَأْنِكَ وَلَا تُحَاصِمُهُ وَلَا تُسَبِّهُ ؟ فَافْعَلْ
بِمَنْ يَهْتَضِمُ عِرْضَكَ مِثْلَ ذَلِكَ ^(١) .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَدْ جُبِلَ عَلَى الْخِلَافِ ، إِنْ ^(٢) قُلْتَ : لَا ، قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ
قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا ، فَالْحَقَّهُ بِعَالِمِ الْحَمِيرِ ، فَإِنَّ ذَابَ الْحِمَارِ إِنْ أَذْنَبْتَهُ ^(٣) بَعْدَ ،
وَإِنْ أَبْعَدْتَهُ قَرَبَ ، وَأَنْتَ تَسْتَمْتِعُ بِالْحِمَارِ وَلَا تُسَبِّهُ ، وَلَا تُفَارِقُهُ ، فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا بِهِذَا
الْإِنْسَانِ وَلَا تُسَبِّهُ وَلَا تُفَارِقُهُ ^(٤) . وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطْلُبُ عِزَّاتِ النَّاسِ وَسَقَطَاتِهِمْ ،
فَمَثَلُهُ فِي الْآدَمِيِّينَ ^(٥) كَمَثَلِ الذُّبَابِ فِي عَالِمِ الطَّيْرِ ، فَإِنَّ الذُّبَابَ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ
فَيَتَحَامَى ^(٦) صَحِيحُهُ ، وَيَطْلُبُ الْمَوَاضِعَ النَّعْلَةَ ^(٧) مِنْهُ وَذَوَاتِ الْمَادَّةِ وَالْدَّمِ وَالتَّجَاسَةِ .
وَإِذَا يُلَيِّتُ بِسُلْطَانٍ ^(٨) يَهْجُمُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ فَالْحَقَّهُ بِعَالِمِ الْأُسُودِ ، وَخُذْ
جَذْرَكَ مِنْهُ كَمَا تَأْخُذُ جَذْرَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ ^(٩) .
• وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ ^(١٠) •

(١) قوله : « فافعل ... مثل ذلك » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « فَإِنْ » . وجُبلَ على الخلاف : طُبعَ عليه .

(٣) في « م » : « إِذَا أَذْنَبْتَهُ أَيْ : فَرَّقْتَهُ .

(٤) قوله : « فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا ... وَلَا تُفَارِقُهُ » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٥) في « م » : « فمثله في الناس » .

(٦) يتحامى : يتجنب .

(٧) النعلة : المتغيرة الزينة .

(٨) في « م » : « وَإِذَا يُلَيِّتُ بِإِنْسَانٍ » .

(٩) هو النابغة الذبياني ، زهاد بن معاوية بن ضياف الغطفاني المضطرب ، أبو أمامة ، شاعر جاهل من الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر يسوق عكاظ ، تفصله الشعراء قعرى عليه أشعارها . وكان حظاً عند النعمان بن المنذر ، حتى شُبِّهَ في قصيدة له بالمتجردة « زوجة النعمان » ، ففضض عليه النعمان ، وغاب زمناً ، ثم رضى عنه . وسُمِّيَ النابغة لأنه لم يقل شعراً قط حتى صار رجلاً . وساد قومه ، وتوفى نحو سنة ١٨ قبل الهجرة .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٥٤ ، ٥٥ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٧٨٩ - ٣٨٢٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٧ - ١٧٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨ ، ودبوان النابغة ص ٣ ط دار المعارف ، وشعراء النصرانية ص ٤٦٠ - ٧٣٢] .

(١٠) قوله هذا من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه فيما وشى به لديه في أمر

« المتجردة » . ومطلوها :

وَإِذَا بُلِيتْ بِإِنْسَانٍ خَبِيثٍ كَثِيرِ الرُّوَغَانِ وَالْمُفَاجِرَةِ ^(١) فَالْحِقْهُ بِعَالَمِ الثَّعَالِبِ . وَإِذَا بُلِيتْ بِمَنْ يَمْشِي بِالتَّمَالِيمِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْيَةِ ، فَالْحِقْهُ بِعَالَمِ الظَّرِبَانِ ^(٢) ، وَهِيَ دَابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، تَقُولُ الْعَرَبُ عِنْدَ تَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ : فَسَا ^(٣) بَيْنَهُمْ ظَرِبَانٌ فَتَفَرَّقُوا ، وَخَاصِيَّةٌ ^(٤) هَذِهِ الدَّوْبِيَّةُ ^(٥) إِذَا حَصَلَتْ وَسَطَ جَمَاعَةٍ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، وَكَذَا أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ هَذِهِ الدَّابَّةُ طَرَدَوْهَا وَمَنَعُوهَا الدُّخُولَ بَيْنَهُمْ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي إِخْرَاجُ النَّعَامِ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ ^(٦) ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يُفَرَّقَ مَا بَيْنَهُمْ ^(٨) وَيُفْسِدَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا لَا يَسْمَعُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيَتَفَرُّ مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَيَأْلَفُ سَمَاعَ أَخْبَارٍ ^(٩) أَهْلِ الدُّنْيَا وَسَائِرَ الْخُرَافَاتِ وَمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الْعَوَامِّ ، فَالْحِقْهُ بِعَالَمِ الْخَنَافِسِ ، فَإِنَّهُ يُعْجِبُهُ أَكُلُ الْعِذْرَاتِ ، وَيَأْلَفُ رَوَائِحَ النَّجَاسَاتِ ، وَلَا تَرَاهُ

١ يادار مَيَّةً بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّيِّدِ . . والبيت بتمامه :

« لَبِثْتُ أَنَّهَا قَابُوسٌ أَوْعَدَنِي .. وَلَا فِرَازَ عَلَى رَأْسِ مِنَ الْأَسَدِ » .

وأبو قابوس : هو النعمان بن المنذر . وأوعدني : هددني . وزأر الأسد وزهره : صوته . يقول : وعيد النعمان تستقر معه نفسه ولا تطمئن قَتِيَّةٌ لَهُ ، كَمَا لَا تَطْلُقُ وَلَا تَسْكُنُ فِي مَكَانٍ يُسَمَّنُ فِيهِ إِلَى زَهْرِ الْأَسَدِ .

[انظر الديوان ص ٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٦٧ ، وشعراء النصرانية ص ٦٦٧ ، وخراتة الأدب ج ٢ ص ١٣٧] .

(١) الرُّوَغَانُ : المخادعة .. والمُفَاجِرَةُ : الإنسداد .. وفي « ط » : « المُفَاجِرَةُ » بالخاء المعجمة ، أى : المباهاة بما له من المحاسن .

(٢) الظَّرِبَانُ : حيوان من رتبة القوارض ، وهو أصغر من المستور ، أصْلَمُ الْأَذْيَيْنِ ، قصير القوائم ، مُتَيْنُ الرَّاحَةِ .

(٣) في « م » : « مَشَى » . والأول أشهر .

(٤) في « ط » : « وَخَاصِيَّةٌ » . وكلاهما بمعنى واحد ، وتعنيان : الصفة التي تميز الشيء وتحدده .

(٥) الدَّوْبِيَّةُ : تصغير دابَّة .

(٦) في « م » : « مِنْ بَيْنِ الْخَلِيقَةِ » .

(٧) في « م » : « فَإِنْ يَفْعَلُوا » لا تصح معنى .

(٨) في « م » : « فِيمَا بَيْنَهُمْ » .

(٩) في « م » : « وَتَأْلِيفَ أَخْبَارٍ » .

إِلَّا مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ^(١) وَالْمَرَاجِيزِ ، وَيَتَفَرُّ مِنْ رَوَائِحِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدِ ، وَإِذَا طَرَحَ عَلَيْهِ الْمِسْكَ وَالْوَرْدَ مَاتَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا ^(٢) إِثْمًا ذَاتُهُ حِفْظُ الدُّنْيَا ، لَا يَسْتَجِى فِي التَّوْبِ عَلَيْهَا ، فَالْحِفْهُ بِعَالَمِ الْأَحْدِيَّةِ ^(٣) بِأَنْ تُنَحِّي رِجْلَكَ عَنْهُ ، وَإِذَا بُلِيتَ ^(٤) بِالرَّجُلِ نَظَهَرُ عَلَيْهِ الدَّيَّانَةُ ^(٥) وَالسَّكِينَةُ ، وَقَدْ نَصَبَ أَشْرَاكَهُ لِإِفْتِنَاصِ الدُّنْيَا وَأَكَلَ أَمْوَالِ الْوَدَائِعِ ^(٦) وَالْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى ، فَالْحِفْهُ بِعَالَمِ الذُّنَابِ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ ^(٧) :

ذَنْبٌ تَرَاهُ مُصَلِّيًا فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ
يَلْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْفَرَسَةِ لَا تَقَعُ
عَجَلُ بِهَا يَأْذَا الْعَلَا إِنَّ الْفُرَادَى قَدْ انْصَدَعُ

فَاخْتَرَزُ ^(٨) مِنْهُ كَمَا تَخْتَرِزُ مِنَ الذُّنْبِ .

وَإِذَا بُلِيتَ بِصُحْبَةِ إِنْسَانٍ كَذَّابٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَذَّابَ كَالْمَيِّتِ فِي الْحُكْمِ ، لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا يَقْبَلُ خَيْرٌ الْمَيِّتِ ^(٩) ، وَكَمَا تَصْنَعُ الْمَوْتَى لَا تَصْنَعُ الْكَذَّابَ ، وَقِيلَ ^(١٠) فِي الْمَثَلِ : كُلُّ شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَصُحْبَةُ الْكَذَّابِ لَأَمْنٌ ، وَبَجُورُ أَنْ

(١) مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ، أَيْ : مُلَازِمًا لِلْمُسْكِنَةِ الْحَالَةِ .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا .. » إِلَى قَوْلِهِ : « بُلِيتَ » هُنَّ « ط » وَسَالِقُ مِنْ « م » .

(٣) الْأَحْدِيَّةُ : جَمْعُ حِدَّةٍ ، مِثْلُ لَوَاءٍ وَالْوَيْتَةِ ، وَكَيْسَاءٍ وَأَكْحِيَّةٍ . وَالْحِدَاءُ : جَمْعُ حِدَاةٍ ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي يَنْقُضُ عَلَى الْجُرْدَانِ وَالِدَوَاجِنِ وَغَوَاهَا . وَيَضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ يُقَالُ : « انْخَطَفَ مِنْ جِدَاةٍ » . كَمَا تَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى جِدَاةٍ وَجِدَاةٍ .

(٤) إِلَى هُنَا يَتَنَبَّأُ السَّالِقُ مِنْ « م » .

(٥) فِي « م » : « دِيَانَةٌ » .

(٦) فِي « ط » : « الْوَدَائِعُ وَالْأَمَانَاتُ » .

(٧) فِي « ط » : « كَمَا قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ » .

(٨) فِي « ط » : « اخْتَرَزُ » .

(٩) فِي « ط » : « لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا خَيْرَ لِلْمَيِّتِ » .

(١٠) فِي « م » : « وَقَدْ قِيلَ » .

يُلْحَقُ بِعَالِمِ النُّعَامِ ، فَإِنَّهُ يَذْفِنُ جَمِيعَ بَيْضِهِ تَحْتَ الرَّمْلِ ثُمَّ يَتْرُكُ وَاحِدَةً عَلَى وَجْهِ الرَّمْلِ ، وَأُخْرَى تَحْتَ طَاقَةِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَسَائِرُ بَيْضِهِ فِي قَعْرِ الْحُفْرَةِ ، فَإِذَا رَأَهُ الْغُرُّ (١) يَأْخُذُ (٢) تِلْكَ الْبَيْضَةَ وَيَنْصَرِفُ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الرَّمْلِ فَيَجِدُ الْأُخْرَى ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ (٣) شَيْءٌ آخَرُ ، وَالْخَبِيرُ بِحَالَةِ النُّعَامِ إِذَا رَأَى الْبَيْضَةَ لَا يَزَالُ يَخْفِرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، وَلَا يَغْتَرُّ بِتِلْكَ الْبَيْضَةِ (٤) ، كَذَلِكَ الْكَذَّابُ ، إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ خَبْرًا لِاتِّصَادِهِ حَتَّى تَبْلُغَ الْغَايَةَ فِي الْكَشْفِ عَنْهُ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ إِنَّمَا دَاهُهُ أَنْ يَصْنَعَ بِنَفْسِهِ (٥) كَمَا تَصْنَعُ الْعُرُوسُ لِبَعْلِهَا : يَبِيضُ ثِيَابَهُ ، وَيُعَدِّلُ عِمَامَتَهُ ، وَيَتَّقِي أَنْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَيَنْظُرُ عِطْفِيهِ (٦) ، وَيَطْرَحُ الْقَدَى عَنْ ثَوْبِهِ (٧) ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ بَيْنَ الْجُلُسَاءِ إِلَّا نَظَرُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِصْلَاحُ مَا انْتَنَى مِنْ ثِيَابِهِ ، فَالْحَقِيقَةُ بِعَالِمِ الطُّوَارِيسِ الَّتِي هَذِهِ صِفَتُهُ (٨) ، فَإِنَّهُ يَتَبَحَّثُ فِي مِشْيَتِهِ (٩) وَيَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَغْرِشُ ذَنْبَهُ ، فَيَتَّخِذُهُ (١٠) الْمُلُوكُ اسْتِحْسَانًا لَهُ .

وَإِذَا يُلِيتُ بِنَاسِنِ حَقُودٍ لَا يَنْسَى الْهَفَوَاتِ ، وَيُجَازِي بَعْدَ الْمُدَّةِ عَلَى السَّقَطَاتِ ، فَالْحَقِيقَةُ بِعَالِمِ الْجِمَالِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : فَلَانٌ (١١) أَخْقَدُ مِنْ جَمَلٍ ، وَتَجَنَّبُ (١٢) قُرْبَ الْجَمَلِ الْحَقُودِ ، فَاجْتَنِبْ صُحْبَةَ الرَّجُلِ (١٣) الْحَقُودِ .

(١) الْغُرُّ : مَنْ يَجْهَلُ الْأُمُورَ ، أَوْ مَنْ يَخْدَعُ إِذَا خُدِعَ . وَفِي « م » : « الْغَيْرِ » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٢) فِي « م » : « وَأَخَذَ » الْوَاوُ زِيَادَةً مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) ثُمَّ : هُنَاكَ .

(٤) فِي « م » : « بِتِلْكَ الْحَالَةِ » .

(٥) فِي « ط » : « يَصْنَعُ نَفْسَهُ » .

(٦) عِطْفِيهِ : جَانِبِيهِ ، وَهِيَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَهِ .

(٧) فِي « ط » : « ثَوْبِيهِ » .

(٨) فِي « م » : « الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ » .

(٩) فِي « م » : « فِي مَشْيِهِ » .

(١٠) فِي « م » : « فَخِذُهُ » . وَذِيهِ : ذِيْلُهُ .

(١١) قَوْلُهُ : « فَلَانٌ » عَنْ « ط » .

(١٢) أَيْ : وَتَجَنَّبُ .

(١٣) فِي « م » : « الْجَمَلِ » .

وَإِذَا بُلِيتْ بِإِنْسَانٍ مُنَافِقٍ ^(١) يَبْتَغِي خِلَافَ مَا يُظْهِرُ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالِمِ الزُّبُوعِ ، فَإِنَّ الزُّبُوعَ - وَهُوَ قَارٌ يَكُونُ فِي الْبَرِّيَّةِ - يَتَّخِذُ جُحْرًا تَحْتَ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهُ : النَّافِقَاءُ ، وَلَهُ فُوهَتَانِ ، يَدْخُلُ مِنْ إِحْدَاهُمَا وَيَخْرُجُ مِنَ الْأُخْرَى ، وَمِنْهُ أُشْتُقَّ اسْمُ الْمُنَافِقِ ، فَإِذَا هُمْ أَحَدٌ بِأَخِيذِهِ دَخَلَ ^(٢) جُحْرَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ ، فَيَحْفِرُ الصَّيَادَ حَلْفَهُ فَلَا يَظْفَرُ بِشَيْءٍ ، كَذَلِكَ حَالُ الْمُنَافِقِ لَا يَبْصِحُ مِنْهُ شَيْءٌ ^(٣) . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كُنْ فِي صُحْبَةِ النَّاسِ ، تَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ وَتُرِيحُهُمْ مِنْكَ ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَا اسْتَقَامَتْ لِي صُحْبَةُ النَّاسِ وَسَكَتَتْ نَفْسِي وَاسْتَرَحَّتْ ^(٤) مِنْ مَكَابِدَةِ أَخْلَاقِهِمْ إِلَّا مِنْ حَيْثُ سِرْتُ مَعَهُمْ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ .

وَقَالَ الرَّيَّاحِيُّ ^(٥) : يَا بَنِي يَبَاجٍ ، لَا تَحْفِرُوا ، صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أُخَذْتُ مِنَ الثَّعْلَبِ رَوْعَانَهُ ^(٦) ، وَمِنَ الْفِرْدِ مَكَابِدَهُ ^(٧) ، وَمِنَ السُّنُورِ ضَرَعَهُ ^(٨) ، وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ ، وَمِنَ ابْنِ آوَى حَدَرَهُ ، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ مَشَى اللَّيْلِ ، وَمِنَ الشَّمْسِ الظُّهُورَ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ ^(٩) .

(١) في م : : بإنسان مُبْطِن .

(٢) في م : : فَإِذَا هُمْ بِأَخِيذِهِ وَدَخَلَ

(٣) قوله : : كذلك حال المنافق لا يَبْصِحُ مِنْهُ شَيْءٌ ، عن ط : وساقط من م .

(٤) في م : : واسترحت .

(٥) هو : خالد بن غناب بن ورقاء الرياحي ، شجاع من الأبطال ، كان من أشرف الكوفة ، وأحد الذين حاربوا شبيباً الخارجي في جيش الحجاج ، وهو الذي قتل « مصاداً » أخا شبيب ، و « غزالة » امرأة صالح بن مُسَرِّح الخارجي ، والتحم معه أصحاب شبيب في معركة بناحية المدائن ، فانهزم أصحاب خالد ، فراجع حتى أشرف على دجلة فالتقى نفسه فيه بقرينه ولواؤه بيده ، ففرق ، فقال شبيب : قاتله الله ، هذا أشدُّ الناس ! وكان ذلك سنة ٧٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، والحیوان للجاحظ ج ٥ ص ٥٩٠ ، والکامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥٨ - ٦٠ ، وانظر النص في العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠] .

(٦) الرُّوْعَانُ : المكر والاحتيال .

(٧) في العقد الفريد : « خكايته » أي : عكاكته .

(٨) الضَّرْعُ : الدَّلَّةُ والخضوع .

(٩) في م : « والعقد الفريد : « الظهور الحين بعد الحين » .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَنِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ
السُّلْطَانِ ، وَشِفَاءِ الصُّدُورِ ، وَرَاحَةِ
الْقُلُوبِ ، وَطَبِيعَةِ النَّفْسِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَتَى كَمَلْتَ فِيكَ ^(١) الْخِصَالَ الْمَحْمُودَةَ ، وَالْأَخْلَاقَ
الْمَشْكُورَةَ ، وَالسِّيَرَةَ ^(٢) الْمُسْتَقِيمَةَ ، وَمَلَكَتْ نَفْسَكَ ، وَقَهَرْتَ هَوَاكَ ، وَوَضَعْتَ
الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرِّعِيَّةَ اهْتَضَمَتْ حَقَّكَ ، وَجَهِلَتْ قَدْرَكَ ، وَلَمْ تُؤْفَكَ ،
حَظُّكَ ، فَلَبَعَثَ مِنْهُمْ مَا يَسُوءُكَ ، وَرَأَيْتَ مِنْهُمْ مَالًا يُعْجِبُكَ ، فَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهِ ،
فَلَا تُطْمَعَنَّ أَنْ يَصْنَفُوا ^(٣) لَكَ مِنْهُمْ مَالًا يَصْنَفُوا ^(٤) مِنْهُمْ لِلْإِلَهِ .

وَفَصَّلَ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْعَمَ
عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ ، فَأَكْمَلَ خَوَاسِئَهُمْ ، وَخَلَقَ فِيهِمُ الشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمُ

(١) فِي د م : : : أَنْ مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ .

(٢) فِي د م : : : وَالسِّيَرَةُ جَمْعُ سِيرَةٍ .

(٣) فِي د م : : : أَنْ يَصْنَفُوا .

(٤) فِي د م : : : يَصْنَفُوا لَكَ .. لَكَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ

بِعَمِّهِ ، وَكَمَلَتْ ^(١) لَهُمُ اللَّذَاتُ ، وَبَعْدَ هَذَا فَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَا عَظَمُوهُ ^(٢) حَقَّ عَظَمَتِهِ ، بَلْ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، وَوَصَفُوهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ، وَأَصَافُوا إِلَيْهِ مَا يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنْهُ ، وَسَلَبُوا مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ^(٤) ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ زَوْجَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ ابْنٌ ^(٦) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ الْبَنَاتُ ^(٧) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَسِّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهُ ^(٨) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَكَرَّهُ رَأْسًا وَقَالَ : مَا لِلخَالِقِ صَانِعٌ ، كَمَا حَكَاهُ الْخَالِقُ عَنْهُ فَقَالَ : يَخْفُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ^(٩) . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخَيِّمُهُ وَيُبْقِيهِمْ ، وَيُصَيِّحُ أَجْسَامَهُمْ وَحَوَاسِيَهُمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ ^(١٠) وَيَنْعِشُهُمْ ، وَيَقْضِي مَا يَرْيَهُمْ وَأَوْطَارَهُمْ ، وَيَمْتَعُهُمْ مَتَاعًا

(١) في م : « وَكَمَلَتْ » .

(٢) في م : « عَظَمُوهُ » تحريف .

(٣) يتقدَّس : يتزَّه .

(٤) في م : « الْعُلَى » .

(٥) الذين قالوا بالثلاث طائفة من النصارى ، ويعنون به أن الله أحد أقانيم - أى أصول - ثلاثة ، والأقنومان الآخران : عيسى وأُمُّه - الأب والابن والروح القدس - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا . [انظر الآية ٧٣ من سورة المائدة] .

(٦) هم اليهود والنصارى ، فقالت اليهود : عزَّزَ ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . [انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ الباب الثاني ص ٢٠٨ وما بعدها] .

(٧) هم السفهاء من قريش من قبائل جهينة وبنى سلَمة وخزاعة وغيرهم ، أثَّروا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله . [انظر سورة الصفات ، الآيات ١٤٩ - ١٥٤ ، والآية ٣٩ من سورة الطور] .

(٨) انظر القول في صفة « الجنسية » في مناهج الأدلة في عقائد الجيلة لابن رشد ، بتحقيق د . عمود قاسم ص ١٧١ وما بعدها ، وانظر دراسات في الفلسفة الإسلامية لعمود قاسم أيضاً ص ١٦٦ ، وانظر « المُشَبَّهَةُ » في الملل والنحل ج ١ ص ١٠٣ وما بعدها .

(٩) هؤلاء هم الدهريون الذين عطلوا حواسنهم وعقولهم ، فتركوا النظر والمشاهدة والسمع والتفكير ، وأنكروا البعث والحساب ، ووجود الإله الخالق الذي يحيى ويميت ، وقالوا : ليس وراء حياتنا التي نحياها في الدنيا حياة أخرى ، لكننا نحيا ونموت وينتهي أمرنا عند ذلك ، وليس لهم على قولهم هذا حجة أو دليل ، فهم كالأنعام ، بل هم أضل .. والآية بنامها : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون » .

[سورة الجاثية ، الآية ٢٤] .

(١٠) في م : « كرر الناسخ - سهواً - الفعل » ويرزقهم .

حَسَنًا ، وَيُتْلَهُمْ آمَالَهُمْ فِي مُعْظَمِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَمَعَاصِيَهُمْ إِلَيْهِ صَاعِدَةً ، وَبَرَكَاتُهُ ^(١) عَلَيْهِمْ تَارِلَةً ﴿ كُلٌّ يَفْعَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(٢) ، وَيَتَّفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ ، وَكُلُّ ذِي حَالَةٍ ^(٣) أُولَى بِهَا .

وَفِي مُنَاجَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ ^(٤) : إِلَهِي ، أَسْأَلُكَ أَنْ لَا يُقَالَ فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ .. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتُهُ لِنَفْسِي ^(٥) فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِكَ ؟ وَفِي هَذِهِ السَّيْرَةِ عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَذِكْرٌ لِمَنْ اذْكُرَ ^(٦) ، مَعَ أَنَّكَ إِنْ التَّمَسَّتَ رِضَا جَمِيعِ النَّاسِ ^(٧) التَّمَسَّتَ مَا لَا يُدْرِكُ ، وَكَيْفَ يُدْرِكُ رِضَا الْمُخْتَلِفِينَ ^(٨) ؟ .

فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ ، وَالْعُمُرَ الْقَصِيرَ ، وَالزَّمَانَ الْيَسِيرَ ، وَالْأَيَّامَ الْمَعْدُودَةَ ، وَالْأَنْفَاسَ الْمَحْضُورَةَ ، كَيْفَ أُرَدَّتْ أَنْ يَصْفُوَ لَكَ مِنَ الرَّعِيَّةِ مَا لَمْ يَصْنَفْ مِنْهُمْ لِخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُجِيبِهِمْ وَمُجِيبَتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، بَعِيدٌ مَا أُمِلْتُ ، وَمُسْتَحِيلٌ مَا طُلِبْتُ ، فَلَكَ فِي اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَنْ تَرْضَى مِنْهُمْ بِمَا رَضِيَ مِنْهُمْ خَالِقُهُمْ ^(٩) ، وَتَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَرَضِي مِنْكَ ^(١٠) بِالْيُسْرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْثَرَ لَكَ ^(١١) مِنَ التَّعَمُّ ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَوْلِ ،

(١) فِي د م : : وَتَر .

(٢) هَكَذَا فِي د ط .. وَفِي د م : : كُلٌّ يَفْعَلُ . وَمَا وَرَدَ فِي د ط : مطابق لما ورد في الآية الرابعة والثمانين من سورة الإسراء .. وشاكلة : مذهبه الذي يشاكل حاله . أَوْ : سَجِيئَتُهُ وَطَبْعُهُ .

(٣) فِي د ط : : حَال . . وَالْحَالُ وَالْحَالَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٤) أَنَّهُ قَالَ : عَنْ د ط .

(٥) فِي د م : : يَا مُوسَى ، ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتُهُ بِنَفْسِي .

(٦) اذْكُرْ : اذْكُرْ .

(٧) فِي د م : : إِذَا التَّمَسَّتَ رِضَا جَمِيعِ الْخَلْقِ .

(٨) فِي د م : : وَكَيْفَ تَرْضَى الْمُخْتَلِفِينَ ؟ .

(٩) فِي د م : : خَالِقُهُمْ ، وَرَازِقُهُمْ ، وَمُجِيبُهُمْ ، وَتَكَرَّرَ لَهَا سَبْقٌ .

(١٠) فِي د م : : أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، فَرَضِي مِنْهُمْ ، بِمَضْمُونِ الْغَالِبِينَ .

(١١) فِي د م : : وَأَكْثَرَ لَهُمْ .

فَانْظُرْ ^(١) كَيْفَ يَسْتَرْ زَلَّاتِكَ ، وَيَتَعَمَّدُ ^(٢) سَيِّمَاتِكَ ، وَلَا يَفْضَحُكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، فَنَفَى هَذَا ^(٣) مَا يَمْهَدُ النُّفُوسَ ^(٤) ، وَيُودِّبُ ذَوِي الْعُقُولِ ^(٥) ، وَيَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ ، وَيُوضِّحُ طُرُقَ الرَّشَادِ ، وَلِلَّهِ دُرُّ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) ، لَقَدْ كَانَ وَاعِيًا لِمَا تَلَوْنَاهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ^(٧) : كُنْ لِرِعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

(١) ل م : : وانظر . والخول : عطية الله من التعم والغرم من الأتباع والحشم : للواحد والجمع والذكر والأنثى .

(٢) يتعمد : يستر ويغشى .

(٣) ل م : : فنى مثل هذا .

(٤) يمهّد النفوس : يجعلها سهلة مهيأة لتقبل النصيح .

(٥) ل م : : ويؤدّب العقول .

(٦) ما بين المعرفين عن ط .

(٧) ل م : : رضى الله عنه .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي فِيهَا مَلَجَأُ
الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقَلُ
السَّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ
وَلتَغْيِيرِ الْوُجُوهِ وَالْأَحْوَالِ (١)

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِذَا اعْتَلَجْتَ (١) الْأُمُورَ فِي صَدْرِكَ ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْكَ الْقَوَاعِدُ ،
وَمَرَجَتْ (٢) فِي قَلْبِكَ رُجُوهُ الرَّأْيِ ، وَتَنَكَّرَتْ عَلَيْكَ الْمَعَارِفُ ، وَكَفَهَرُ لَكَ وَجْهُ
الزَّمَانِ ، وَرَأَيْتَ آثَارَ الْغَيْرِ (٣) فَلَا يَغْلِبُكَ حَصَلَتَانِ : أَتْرَكَ لِلنَّاسِ دِيْنَهُمْ وَذُبَابَهُمْ ، وَلَكَ
الْأَمَانُ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ (٤) ، وَمَا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ (٥) . وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ (٦)

(١) فِي « م » : « السُّلْطَانُ » مَكَانَ « السَّلَاطِينِ » .. وَ « اضْطِرَابِ الْمَالِكِ » مَكَانَ « اضْطِرَابِ الْأُمُورِ » .

(٢) اعْتَلَجْتُ : اضْطَرَعْتُ .

(٣) مَرَجَتْ : اخْطَلَتْ .

(٤) هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ « م » وَلَمْ تَرُدْ فِي « ط » . وَالْغَيْرُ : الْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(٥) طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ : حَوَادِثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

(٦) الْمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٧) فِي « م » « وَهُدَى قَرَأَ الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَالَ » .

في آجرِ موافقه ^(١) مع أخيه الأيمن ، وَقَدْ نَفَذْتُ ^(٢) ثُبُوتَ الْأَمْوَالِ ، وَالْحُبَّ الْأَجْنَادَ فِي طَلَبِ أَرْزَاقِ الْمَأْمُونِ ^(٣) : يَبْقِيَتْ لِأَخِي حَصْلَةُ لَوْ فَعَلَهَا مَلَكٌ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ .. قِيلَ لَهُ : وَمَا هِيَ ^(٤) ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُضِنُّ ^(٥) بِهَا عَلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ عَلَى غَيْرِي ؟ فَلَمَّا خَلَصَ لَهُ الْأَمْرُ سُئِلَ عَنْ تِلْكَ الْحَصْلَةِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الْأَيْمَنَ نَادَى فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ ^(٦) أَنَّهُ قَدْ حَطَّ الْخَرَاجَاتِ وَالْوُظَافِ السُّلْطَانِيَّةِ وَسَائِرِ الْجَبَاهَاتِ عَشْرَ سِنِينَ لَمَلَكْتُ ^(٧) الْأَمْرَ عَلَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَلَمَّا حَشِيَ الْمَأْمُونُ الْبِقَاصَ يَتَّبِعُهُ مَعَ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي أَمْرِ حِثِّيهِ مَعَ أَخِيهِ الْأَيْمَنِ ، اسْتَشَارَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ ، وَكَانَ وَهْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ، وَحَدِيثَ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) ، وَالَّذِي عِنْدِي : أَنَّ تَجَمُّعَ الْفُقَهَاءِ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَإِخْيَاءِ السَّيِّئَةِ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ ، وَالْقُعُودِ عَلَى الْبُيُودِ ^(٩) ، وَتَوَاصِلِ النَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ ، وَتُكْرِمِ الْقَوَادِ وَالْمُلُوكِ وَأَتَاءِ الْمُلُوكِ ، وَتُعِدُّهُمْ ^(١٠) بِالْمَوَاعِيدِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ السَّيِّئَةِ ، وَالْوِلَايَاتِ الْمُشَاكِلَةِ ^(١١) . فَقَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَطَّ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ^(١٢) رُبْعَ الْخَرَاجِ ، فَمَاتَتْ وَجُوهُ الْحَلَائِقِ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِبْنُ أُخْتِنَا ،

(١) في د ط هـ : « في آخر موافقة » .

(٢) في د م : « نفذت الأموال » و « نفذت » بالذال المعجمة لا يَصَحُّ في هذا المقام . ونفذت - بالذال المهملة

فَيُثْبِتُ وَاتَّقِطُ مَا بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ .

(٣) في د م : « في طلب الأرزاق » ، فقال المأمون .

(٤) في د م : « وما هي يا أمير المؤمنين ؟ » .

(٥) لِأُضِنُّ : لِأُتَبَخَّلُ .. وفي د م : « لا أظن » تحريف .

(٦) في د م : « عسكره بلاده » خلط من الناسخ .

(٧) في د م : « مَلَكْتُ » .

(٨) في د ط هـ : « وعليه السلام » .

(٩) الْبُيُودُ : جمع بُيْدٍ ، وهو ضَرْبٌ مِنَ الْبُسْطِ يُتَّخَذُ مِنَ الصَّوْفِ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٧] .

(١٠) في د ط هـ : « وتعهده » .

(١١) الْمُشَاكِلَةُ : المماثلة .

(١٢) في د م : « وحط عنهم » .

وَابْنُ عَمِّ نَبِيْنَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَانْقَادَ إِلَيْهِ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ ^(١) ، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ بِخُرَّاسَانَ .

وَيَدْخُلُ ^(٢) تَحْتَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ أَمْرٌ اتَّفَقَ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ ^(٣) وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَالْهِنْدِ ، وَهُوَ أَنَّ تَصْطَنَعَ ^(٤) وَجْهَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ ^(٥) مِنْ كُلِّ عَشِيرَةٍ ، وَتُحْسِنَ إِلَى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ^(٦) وَالْعِلْمِ وَحُفَاطِ الشَّرِيعَةِ ، وَتُذَنَّبَ ^(٧) مَجَالِسَهُمْ ، وَتُقَرَّبَ ^(٨) الصَّالِحِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ ، وَكُلُّ مُتَمَسِّكٍ بِعُرْوَةِ الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ بِالْأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالرُّؤَسَاءِ الْمُتَبَوِّعِينَ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ ، فَهَؤُلَاءِ ، هُمْ أَزِمَةُ الْخَلْقِ ^(٩) ، وَبِهِمْ يَمْلِكُ مَنْ سِوَاهُمْ .

فَمِنْ كَمَالِ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاسَةِ أَنْ تَبْقَى عَلَى كُلِّ ذِي رِيَاسَةٍ رِيَاسَتُهُ ، وَعَلَى كُلِّ ذِي عِزٍّ عِزُّهُ ^(١٠) ، وَعَلَى كُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ ^(١١) ، مَنْزِلَتُهُ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرُّؤَسَاءُ لَكَ أَعْوَانًا ، وَمَنْ دَانَتْ لَهُ الْفَضْلَاءُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَدُومَ سُلْطَانُهُ . وَالْعَامَّةُ وَالْأَتْبَاعُ دُونَ

(١) هو : رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، فائر ، من بيت إمارة ورياسة ، كان مقبلاً فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ، وغزول وحبس ، وهرب من الحبس ، فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠ هـ . وخلص طاعة الرشيد ، ودعا إلى نفسه ، وتوجه إليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ لقتاله ، فانتهزم رافع سنة ١٩٣ هـ وضعف أمره واختلف المؤرخون في مصيره . قال ابن كثير : لما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد وفاة الرشيد - بعث رافع إلى المأمون يسأله الأمان ، فأمنته ، فسار إليه من معه سنة ١٩٤ هـ فأكرمه المأمون وعظمه وتوفي سنة ١٩٥ هـ . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٦ - ١٢٨ وغيرها من الصفحات ، والبدلية والنهاية ج ١ ص ٢١١] .

(٢) في (م) : : ودخل .

(٣) في (م) : : العرب والمجم .

(٤) في (م) : : يصطنع .. ويصطنع وجه كل قبيلة : تحسن إليهم .

(٥) في (م) : : والمقدم .

(٦) في (م) : : حَمَلَةُ الْعِلْمِ .

(٧) في (م) : : وَيُذَنَّبُ .

(٨) في (م) : : وَيُقَرَّبُ .

(٩) أَزِمَةُ الْخَلْقِ : قُرَاطُهُمْ وَمَقَاتِلُهُمْ .

(١٠) في (ط) : : عِزَّتُهُ .

(١١) في (ط) : : مَنْزِلُ .

مَقْدُوبِهِمْ وَسَادَاتِهِمْ ، وَأَتْبَاعُهُمْ ^(١) أَجْسَادُ بِلَا رُؤُوسٍ ، وَأَشْبَاحُ بِلَا أَرْوَاحٍ .. وَلَمَّا
 قَامَتِ الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ بِقُرْطَبَةَ وَلِيسُوا السَّلَاحَ ، كَانَ شَيْخٌ جَالِسٌ ^(٢) عَلَى كَبِيرِهِ ^(٣)
 يُعَالِجُ صَنْعَتَهُ ، فَقَالَ : مَا بَالُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : قَامَتِ ^(٤) الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ . قَالَ ^(٥) :
 وَلَهُمْ رَأْسٌ ^(٦) ؟ . قَالُوا : لَا .. قَالَ : شَقُّ الْكَبِيرِ يَا صَبِيُّ .. فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

* * *

(١) سقطت « وأتباعهم » من « م » والسياق يتطلب وجودها .

(٢) في « م » : « جالسا » وكلاهما له وجهٌ ، فالتنصب حل أنها غير لكان ، والرفع حل الوصفية .

(٣) في « م » : « حل كبير » والكبر : جلد غليظ ذو حافات يستخدمه الحفّاد وغيره للتفخ في النار وإشعالها .

(٤) في « م » : « قد قامت » .

(٥) في « م » : « فقال » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ولهم رأسٌ ما ؟ » و « ما » هنا للإيهام ، أي : وهل لهم أي رئيس ؟

البَاب الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْخِصَالِ الْمَوْجِبَةِ لِلذَّمِّ الرُّعْيَةِ لِلسُّلْطَانِ

قَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : ذَمُّ الرُّعْيَةِ [لِلْمَلِكِ] ^(١) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : إِمَّا كَرِيمٌ قُصِرَ بِهِ عَنْ قُدْرِهِ ^(٢) فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ ضِعْفًا ^(٣) ، وَإِمَّا لَيْيَمٌ يُلِغُ بِهِ فَوْقَ قُدْرِهِ فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ بَطَرًا ^(٤) ، وَإِمَّا رَجُلٌ مُنِعَ حَظُّهُ مِنَ الْإِنصَافِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : إِحْسَانُكَ إِلَى الْحُرِّ يَنْعُتُهُ عَلَى الْمُكَافَاةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى اللَّيِّيمِ الْحَسِيسِ يَنْعُتُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

وَقِيلَ لِلْأَسْكَندَرِ : إِنْ فَلَانًا يَتَّقِيكَ وَيُسِيءُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ .. فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِيرٍ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ هَلْ نَالَهُ مِنْ نَاحِيَتِنَا أَمْرٌ دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَبَحَثَ عَنْ حَالِهِ فَوَجَدَهَا رُثَةً ^(٥) ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ سِنِيَّةٍ ^(٦) ، فَبَلَغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ لِسَانَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ،

(١) ما بين المعرفين عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « قُدْرَتُهُ » والأول أَوْجَهُ .

(٣) الضَّعْفُ : الحَقْدُ الشَّدِيدُ .

(٤) بَطَرًا : اسْتِخْفَافًا ، وَكُفْرًا بِالنِّعْمَةِ .

(٥) رُثَةٌ : رَدِيحَةٌ لَا تُحْمَدُ .

(٦) صَلَّةٌ سَنِيَّةٌ : عَطَاءٌ جَزِيلٌ .

قَالَ : أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْنَا ^(١) أَنْ يُقَالَ فِينَا خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ؟
وَيَتَّبِعِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَتَّخِذَ الرُّعِيَّةَ مَالًا وَفُتْيَةً ^(٢) ، فَيَكُونَ عَلَيْهِمْ ^(٣) بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ،
وَلَكِنْ يَتَّخِذُهُمْ أَهْلًا وَإِخْوَانًا ، فَيَكُونُونَ لَهُ جُنْدًا وَأَعْوَانًا ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : إِصْلَاحُ
الرُّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ .

(١) لِي « م » : « إِلَيْنَا » .

(٢) الْفُتْيَةُ ، بضم الفاف وكسرها : مَا يُكَسَّبُ وَيَكُونُ خَالِصًا لَهُ .

(٣) لِي « ط » : « فَيَكُونُوا عَلَيْهِ » .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ (٥)

مَثَلُ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَثَلُ الْيَاقُوتَةِ النَّفِيسَةِ الرَّفِيعَةِ فِي وَسْطِ الْعِقْدِ ، وَمَثَلُ الرُّعْيَةِ مَثَلُ سَائِرِ الشُّذَرِ (١) ، فَلَا تُلْحَظُ الْعُيُونُ إِلَّا الْوَاسِطَةَ (٢) ، وَأَوَّلُ مَا يَبْصُرُ الْمُقْلَبُونَ (٣) وَيَتَفَقَّدُونَ الْوَاسِطَةَ ، وَإِنَّمَا يَبْنَى الْمُثْنُونَ عَلَى الْوَاسِطَةِ ، وَكُلَّمَا حَسُنَتْ الْوَاسِطَةُ غَمَرَتْ (٤) سَائِرَ الشُّذَرِ فَلَا يَكَادُ يُذَكَّرُ . كَمَا قَالَ ابْنُ صَعْدَةَ : لَقِيتُ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ (٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦) ، فَسَفَرْتُ لِي عَنْ وَجْهِ

(٥) فِي « م » : « السائر » وهي صفة للمثَل .

(١) الشُّذَرُ : غَرَزٌ مُفَصَّلٌ ٤ بَيْنَ حَبَاتِ الْعَقْدِ وَغَوَاهُ .

(٢) بِمَعْنَى : وَاسِطَةُ الْعَقْدِ ، أَيْ : الْيَاقُوتَةُ النَّفِيسَةُ الَّتِي فِي وَسْطِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا السُّلْطَانُ

(٣) الْمُقْلَبُونَ : التَّجَارُ الَّذِينَ يُقْلَبُونَ السَّلْعَةُ لِاخْتِبَارِهَا .

(٤) غَمَرَتْ ، بِالْفَعْلِ الْمَعْجَمَةِ : غَطَّتْ وَاتَّخَذَتْ .. وَفِي « م » : « وَكُلَّمَا حَسُنَتْ غَمَرَتْ » .. وَفِي « ط » : جَاءَ الْفِعْلُ أَيْضًا بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ ، غَرِ أَنْ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَنْسَبُ لِلسِّيَاقِ ، وَالْأَقْرَبُ لِلأَفْهَامِ .

(٥) هِيَ : سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاسْمُهَا : أَمِيمةٌ أَوْ آمَنَةُ ، وَسَكِينَةُ لَقَبٌ لَهَا ، وَهِيَ سَيِّدَةُ فَاضِلَةٌ ، وَشَاعِرَةٌ كَرِيمَةٌ ، كَانَتْ تَجَالِسُ الْأَجَلَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَتَجْمَعُ إِلَيْهَا الشُّعْرَاءُ فَيَجْلِسُونَ بِحِثِّ تَرَاهِمٍ وَلَا يَرُونَهَا ، وَتَسْمَعُ كَلَامَهُمْ فَتُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ ، وَتُنَاقِشُهُمْ ، وَتُجِيزُهُمْ ، وَكَانَتْ إِقْلَعَتْهَا وَوَقَاتَهَا بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١١٧ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٣ ص ١٠٦ ، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ج ٨ ص ٤٧٥ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٧ ، وَنَسَبُ قُرَيْشٍ ص ٥٩ ، وَالْأَغَانِي ج ١٦ ص ٥٩٢١ - ٥٩٦١] .

(٦) فِي « م » : « عَنْهَا » . وَسَفَرْتُ : كَشَفْتُ .

اَبْتَيْهَا ، وَإِذَا وَجَّهَ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَقَدْ أَصْفَلَتْهَا بِالْجَوَاهِرِ وَالْيَوَافِيتِ وَأَنْوَعَ الدُّرَّ (١) ،
فَالْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَلَّقْتُهُ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَفْضَحْتَهُ (٢) .

وَكَمَا أَنَّ جَمَالَ السُّلُوكِ (٣) أَنَّ يَلَى الْوَاسِطَةَ الْأَفْضَلَ فَلَا أَفْضَلَ مِنَ الشَّدْرِ ، وَإِنْ كَانَ
السُّلُوكُ (٤) عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَ النُّظْمِ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ، يَتَبَيَّنُ أَنْ يَكُونَ
الْأَقْرَبَ فَلِأَقْرَبِ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ (٥) ، وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَالْأَصَالَةِ وَالشَّرَفِ ،
وَالْحَصَافَةِ وَذَوِي الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ نَقْصًا فِي
التَّذْيِيرِ ، وَكََمَا أَنَّ جَمَالَ الْعَقْدِ بِوَاسِطَتِهِ ، كَذَلِكَ جَمَالَ الرُّعْيَةِ بِكَمَالِ سُلْطَانِهِمْ وَفَضْلِهِ
وَبَرَاعَتِهِ وَعَدْلِهِ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ الْحَايِرِ مَثَلُ الشُّوكَةِ فِي الرَّجْلِ ، فَصَاحِبُهَا نَحْتُ أَلَمٍ وَقَلَقٍ ،
وَيَتَدَاعَى (٦) لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَوْمُ قَلْعِهَا ، وَيَسْتَعِينُ بِمَا فِي مَنَسُورِهِ
مِنَ الْآلَاتِ وَالْمَنَاقِيشِ وَالْإِبْرِ عَلَى إِخْرَاجِهَا ، لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا الطَّبِيعِيِّ ، وَيُوشِكُ
أَنْ تُقْلَعَ بِالْأَجْرَةِ ، فَأَيُّنَ غَرَزُ الْيَاقُوتِ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ (٧) ؟

(١) في « ط » : « الدُّرَر » .

(٢) في « م » : « لتفضحه » .

(٣) السُّلُوكُ : الحَيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ فِيهِ الْحُرُزُ وَغَرَاهُ .. وفي « م » : « الملك » تحريف .

(٤) السُّلُوكُ « عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٥) في « م » : « أهل العلم والفضل » .

(٦) يتداعى : ينهار .

(٧) غَرَزُ الْيَاقُوتِ : الْغَرَزُ : الْغُصْنُ يُغْرَسُ فِي قَضِيبِ الْكَرَمِ لِلْوَصْلِ . وَالْقَتَادُ : نَبَاتٌ صَلْبٌ ، وَلَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ .

البَابُ الْمُوفَى أَرْبَعِينَ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ

اعْلَمْ - أُرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ الزَّمَانَ وَغَاءَ لِأَهْلِهِ ، وَرَأْسُ الْوِعَاءِ أَطْيَبُ مِنْ أَسْفَلِهِ ، كَمَا أَنَّ رَأْسَ الْجُرَّةِ أَرْقُ وَأَصْفَى مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَلَقِينَ قُلْتُ : إِنْ الْمُلُوكُ الْيَوْمَ لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ ^(١) فَالرَّعِيَّةُ أَيْضاً لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَلَسْتُ بِأَنَّ تَذَمُّ أَمِيرِكَ إِذَا نَظَرْتَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ بِأُولَى ^(٢) مِنْ أَنَّ ^(٣) يَذَمُّكَ أَمِيرُكَ إِذَا نَظَرَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا جَارَ عَلَيْكَ السُّلْطَانُ فَعَلَيْكَ الصَّبْرُ وَعَلَيْهِ الْوُزْرُ .

رَوَى ^(٤) الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ^(٥) قَالَ : « بَايَعَنَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ

(١) هكنا لی دط .. ولی د م : : لیسوا کچتل من ماضی من الرعة « وستاقی .

(٢) لی د م : : « أُولَى » .

(٣) « أَنْ » عَنْ « م » .

(٤) لی د م : : « وَرَوَى » .

(٥) هو : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو الوليد ، صحابي من الموصفين بالورع ، شهيد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد يدرأ وسائر المشاهد ، ثم حضر فتح مصر ، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين ، وتولى بالرملة أو بيت المقدس سنة ٣٤ هـ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، والمحرر ص ٢٧٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠ ، ٢١] .

فِيمَا ^(١) أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ^(٢) ، وَعُسْرِنَا
وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ^(٣) ، وَأَنْ لَا تَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ^(٤) ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ^(٥)
عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ ^(٦) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ^(٧) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ :
« قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَهُ وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا .
قَالُوا : فَمَا نَأْمُرُكَ ^(٩) يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَذُوا لَهُمْ حُقُوقَهُمْ ^(١٠) » ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ
حَقَّكُمْ » ^(١١) .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ : أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٢) قَالَ : « سَيَأْتِيَكُمْ
رُكْبٌ ^(١٣) مُبْعَضُونَ يَطْلُبُونَ مِنْكُمْ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا سَأَلُوا ذَلِكَ فَأَعْطُوهُمْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ » وكرر الفعل الأخير .. وفي البخاري : « دَعَانَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَايَعَنَا فَقَالَ : فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا » .

(٢) مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا : أى في حالة نشاطنا ، وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نُؤَمَّرُ بِهِ . والظاهر أنه أراد وقت الكسل والمشقة في الخروج .

(٣) هكذا في « م » وفي البخاري .. وفي « ط » : « وَأَثَرُهُ » والمراد بقوله : « وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا » : أَنْ طَاعَتِهِمْ لِمَنْ يَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى إِيصَالِهِمْ حُقُوقَهُمْ ، بَلْ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةُ وَلَوْ مِنْهُمْ حَقُّهُمْ .

(٤) أى : الْمُلْكُ وَالْإِمَارَةُ .

(٥) بَوَاحًا : ظَاهِرًا بَادِيًا .

(٦) برهان : نص آية ، أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل .. وهذا الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن ، باب قول النبي (ﷺ) سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا .. ج ١٣ ص ٥ ، ٦ من فضح الباري ، وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥٩ ، ٦٠ ط دار الشعب .

(٧) الحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) في كتاب الفتن أيضاً [انظر المصدرين السابقين] .

(٨) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .. ووقع هنا خلطٌ من الناسخ في « م » بين هذا الحديث والحديث السابق .

(٩) في « م » : « فِيمَا تَأْمُرُ » .

(١٠) نص البخاري : « أَذُوا إِلَيْهِمْ حَقُّهُمْ » .

(١١) رواه البخاري في كتاب الفتن [انظر المصدرين السابقين] .

(١٢) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(١٣) الرُّكْبُ : الرَّاكِبُونَ ، العشرة فما فوق .. وفي سنن أبي داود : « رُكْبٌ » بالتصغير .

وَلَا تَسُبُّوهُمْ ، وَلِتَذْعَبُوا لَهُمْ ۖ ^(١) . وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ الْمَوْقِعُ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَتَذَعَبُوا إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَا تَنَازَعْتُمْ فِيهِ ، وَكَفَّ السِّتْنَا عَنْ سَبِّهِمْ ^(٢) .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَجْعَلَ سِلَاحَكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ ، فَلَا مِحْنَةَ فَوْقَ مِحْنَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا جَعَلُوهُ فِي كِفَّةِ الْمُنْجَنِيقِ ^(٣) لِيُقَذَّفَ بِهِ فِي النَّارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَأَنْصِرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَافْكِنِي كَيْدَهُمْ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ ^(٤) ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً ، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً ، فَلَا تَشْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أُعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ ^(٥) . وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ : ابْنُ آدَمَ ، تَذَعَبُوا عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ ، وَيَذَعَبُوا عَلَيْكَ مَنْ ظَلَمْتَهُ ، فَإِنْ شِئْتَ أَجَبْنَاكَ وَأَجَبْنَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخْرَجْنَا الْأَمْرَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسْأَلُكَ الْمَقُورُ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٦) : لَا تَجْعَلَ مَلَجَاكَ فِي الْأَعْدَاءِ الْمُكَافَأَةِ ^(٧) ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، قَالَ : سُرِقَتْ مِلْحَفَةٌ

(١) في « م » : « وَلِيَذْعَبُوا لَكُمْ » .. وفي سنن أبي داود : « فَإِذَا جَاعُواكُمْ فَرَحُّوْهُمْ بِهِمْ ، وَخَلُّوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ ، فَإِنْ عَذَلُوا فَلَا تُقْسِمِهِمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا ، وَأَرْضَوْهُمْ ، فَإِنْ عَمَّ زَكَاتُكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلِيَذْعَبُوا لَكُمْ » . [انظر كتاب الزكاة ، باب رضا للمصدق ج ٢ ص ١٠٨ الحديث رقم ١٥٨٨ من سنن أبي داود] .

(٢) في « م » : « عَنْهُمْ وَعَنْ سَبِّهِمْ » .

(٣) السَّجَنِيْقُ ، بفتح الميم وكسرهما : آلة من آلات الحصار ، ترمى بها الحجارة . والكِفَّةُ ، بكسر الكاف : كل شيء مستدير ، ومنها كِفَّةُ الميزان .

(٤) في « م » : « مَالِكُ الْمُلُوكِ » .

(٥) في « ط » : « تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ » . وَأُعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ : أَجْعَلْ قُلُوبَهُمْ تَعَطُّفَ عَلَيْكُمْ وَتَرْحَمَكُمْ .

(٦) في « م » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٧) الْمُكَافَأَةُ : التَّسَاوَى وَالْمِثَالَةُ .

لِعَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ أَخَذَهَا ، فَسَمِعَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) فَقَالَ : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ » ^(٢) يَعْنِي : لَا تُحَقِّقِي عَنْهُ ، فَتَهَاكَا عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ كَمَا تَرَى . فَإِذَا قَالَ الْمَظْلُومُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا تُؤَقِّقْهُ ، فَقَدْ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الرِّعْيَةِ ، لِأَنَّهُ مِنْ قِلَّةِ تَوَفِّقِهِ ظَلَمَكَ ، وَلَوْ كَانَ مُوَفَّقًا مَا ظَلَمَكَ . فَإِنْ اسْتَجِيبَ دُعَاؤُكَ فِيهِ زَادَ ظُلْمُهُ لَكَ .

وَمِنَ الْأَلْفَافِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأَمَّةِ ، قَوْلُهُمْ : لَوْ كَانَتْ عِنْدَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْنَاهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لَوْ ظَفِرَتْ بَيْتِ الْمَالِ لَأَخَذْتُ مِنْ حَلَالِهِ وَصَنَعْتُ مِنْهُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ الصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْيَارِ وَالْأَبْرَارِ ، فَإِذَا فَرَعُوا ^(٣) قُلْتُ لَهُمْ : تَعَالَوْا تَدْعُوا رَبَّنَا أَنْ يُؤَفِّقَ ^(٤) مُلُوكَنَا وَسَائِرَ مَنْ يَلِي عَلَيْنَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرُنَا .

وَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ دَارَ عُمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عُمَانَ : وَآيَّتَاهُ ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بِنْتَ أَخِي ، إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةً وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَانًا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ حِلْمًا تَحْتَ غَضَبٍ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةً ^(٥) تَحْتَهَا حَقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، فَإِنْ ^(٦) نَكَلْنَا بِهِمْ نَكَلُوا بِنَا ، وَلَا نُدْرِي أَعَلَيْنَا نَكُونُ أَمْ لَنَا ^(٧) ، وَلَآنَ نَكُونِي ابْنَةُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَحِيرَ مِنْ أَنْ نَكُونِي امْرَأَةً مِنْ عُرُضِ ^(٨) الْمُسْلِمِينَ .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ ، أَيْ : لَا تُحَقِّقِي عَنْهُ ابْنَةُ الذي استحقه بالسرقة بدهائك عليه . يريد : أَنْ السارق إذا دعا عليه المروق منه خُفِّفَ ذَلِكَ عَنْهُ .. وفي « ط » : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ » بالنون المعجمة والحاء المهملة ، وهي بمعنىهَا . [انظر نص الحديث في سنن أبي داود في كتاب الأدب ، باب فيمن دعا على من ظلم ج ٤ ص ٢٧٩ الحديث رقم ٤٩٠٩ ، وانظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، مادة « سَبَّحَ »] .

(٣) أَيْ : انْتَهَوْا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ .

(٤) في « م » : « يوقى » مكان « يوفق » تصحيف .

(٥) في « م » : « وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ طَاعَةً » تَكَرُّارٌ وَتَغْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) في « م » : « وَإِنْ » .

(٧) بِمَعْنَى : الْخِلَافَةِ وَالْحُكْمِ .. وفي « م » : « وَلَا نُدْرِي أَيْكُنْ عَلَيْنَا أَمْ لَنَا » .

(٨) عُرُضُ الْمُسْلِمِينَ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُهْلَتَيْنِ : مُعْطَاهُمْ وَعَامَّتُهُمْ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُقَلَاءِ غَضِبَهُ بَعْضُ الْوَلَدِ ^(١) ضَيْعَةً لَهُ ، فَاسْتَعْدَى ^(٢) عَلَيْهِ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَذْكَرَ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ ^(٣) لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ : بَلِ اضْرِبْ لِي قَبْلَهَا ^(٤) مَثَلًا . قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَهْرُ إِلَى أُمِّهِ ، إِذَا لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ، وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا ^(٥) لَا نَاصِرَ فَوْقَهَا ، فَإِذَا تَزَعَّرَ وَاشْتَدَّ وَأَوْذَى ^(٦) كَانَ فِرَارُهُ وَشُكْوَاهُ إِلَى أَبِيهِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ ^(٧) أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَنَهُ أَمْرٌ ، شَكََا إِلَى الْوَالِي ^(٨) ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ ^(٩) أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ ^(١٠) ، فَإِذَا زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ سِوَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ ، شَكََا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ تَزَلَّتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي ، وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا ^(١١) إِلَى اللَّهِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَأَتَى مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ : بَلِ ^(١٢) . لَنْصِفْكَ .. وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ يَرُدُّ ضَيْعَتَهُ إِلَيْهِ ^(١٣) .

(١) في « م » : « غَضِبَهُ السُّلْطَانُ » .

(٢) استعدى : استعان واستنصر .

(٣) في « م » : « أَوْ أَضْرِبُ » .

(٤) في « م » : « فِيهَا » مكان « قَبْلَهَا » .

(٥) في « ط » : « أُمُّهُ » .

(٦) في « ط » : « وَأَوْذَى » .

(٧) في « م » : « أَنَّ » .

(٨) هنا في « م » : « فَإِذَا بَلَغَ وَزَادَ عَقْلُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ » وستأتي .. واشتدت شكيمته : قَبِيضَ قَلْبِهِ وَصَارَ ذَا أَثَقَةٍ وَإِبَاءٍ .. وَحَزَنَهُ أَمْرٌ : أَصَابَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(٩) في « م » : « أُمُّهُ » .

(١٠) في « م » : « مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ » . بعدها : « فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكََا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » وستأتي .

(١١) في « م » : « أَمْرِي » .

(١٢) في « م » : « فَإِنْ لَمْ » مكان « بَلِ » تحريف .

(١٣) « إِلَيْهِ » عن « ط » .

البَابُ الحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

في : كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ ^(٥)

لَمْ أَرْزُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكُمْ ، كَمَا تَكُونُونَ ^(١) يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ ^(٢) . وَكَانَ يُقَالُ : مَا أَكْثَرْتَ مِنْ زَمَانِكَ فَإِنَّمَا أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ عَمَلُكَ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَصِفُونَا يَا مَعْشَرَ الرُّعِيَّةِ ^(٣) ، ثَرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةً أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرٌ وَلَا تَسِيرُونَ ^(٤) . فِينَا وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَتِهِمَا ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَقَالَ قَتَادَةُ ^(٥) : قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : إِلَهِنَا ، أَتَيْتَ فِي

(٥) في د م و ط : « كما تكونوا » . ولا تصح ، لأن « كما » ليست شرطية . والصواب كما ورد في الحديث الشريف : « كيفما تكونوا يؤلّى عليكم » .

(١) في د ط : « تكونوا » - انظر للمامش السابق - وعُمَّالُكُمْ : حُكَّامُكُمْ .
(٢) في د م : « اجترأ بقوله » وكذلك نُؤَلَّى « فقط .. والآية بهما : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . سورة الأنعام ، الآية ١٢٩ . والمعنى : أَنَّ الظُّلْمَ إِذَا قَشَا وَانْتَشَرَ فِي أُمَّةٍ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَاكِمًا ظَالِمًا وَابْتَلَاهَا بِهِ ، وَوَجَدَ بَيْنَ حَوْلِهِ مَنْ يَعْنُونَهُ عَلَى الظُّلْمِ .

(٣) في د م : « يا معشر الظُّلَّة » .

(٤) في د م و ط : « ولا تسيروا » لا تصح .

(٥) هو : قتادة بن دَعَامَةَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ عَزِيزٍ ، أَبُو الْخَطَّابِ السُّلَمِيُّ الْبَصْرِيُّ ، مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ ، وَكَانَ مِنْ حَفَظِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ أَعْمَى ، جَالَسَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَبَايَا ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : قُمْ يَا عُمَى فَقَدْ نَزَفْتَنِي . وَقَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : قَتَادَةُ أَحْفَظُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . تَوَفَّى بِوَسْطِ سَنَةِ ١١٧ هـ ، وَقِيلَ : بَعْدَهَا بَسَنَةً ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٦١ هـ .

السَّمَاءِ ^(١) وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ رِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِمْ : إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَقَدْ سَخَطْتُ عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ ^(٢) لِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَالُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرُ انْطَاعَ النَّاسَ لَهُمَا وَالِدُنَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شَيْبٍ فَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِمَا ، وَوَلَيْتَ أَنْتَ وَعُثْمَانُ الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا ، وَقَدْ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا ^(٣) أَضْيَقُ مِنْ شَيْبٍ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ رِعِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرٍ كَانُوا مِثْلِي وَمِثْلَ عُثْمَانَ ، وَرَعِيَّتِي أَنَا الْيَوْمَ مِثْلُكَ وَشَبَهُكَ .

وَكَتَبَ أَخُو لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يَشْكُو إِلَيْهِ جَوْرَ الْعُمَّالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ : بَلَّغْنِي كِتَابَكَ تَذَكُّرُ مَا أَتَمُّ فِيهِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ يَعْمَلُ ^(٤) بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يَنْكَرَ

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٤٥ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٦١٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٥ ، وطبقات الخُفَاطُ ج ٥٤ ، ٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٤ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وطبقات الفقهاء للشرازي ص ٩٤ ، ٩٥ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٦] .

(١) لَمَّا كَانَ مِنْ هَادَةِ النَّاسِ أَنْ يَتَجَهَّوْا بِالْإِدْعَاءِ إِلَى السَّمَاءِ ، ظَنَ الْبَعْضُ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي السَّمَاءِ فَقَطْ ، وَهَذَا مَفْهُومٌ خَاطِئٌ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَيْسَ لَهُ جِهَةٌ تَحْدُهُ ، لِأَنَّ الْجِهَةَ لَا يُفْهَمُ لَهَا مَعْنَى إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَجْسَامِ ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ مُتَّزِعٌ عَنْ ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي نَاقَشَهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءُ الْكَلَامِ بِإِفَاضَةٍ ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَغَيْرُهُمَا .

[انظر مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢ - ٨١] .

(٢) عَبِيدَةُ - يَفْتَحُ الْعَيْنَ الْمُهْمَلَةَ ، وَكُسِرَ الْبَاءُ لِلْمَوْحِدَةِ : عَلَى التَّعْيِيدِ . وَهُوَ : عَبِيدَةُ بْنُ عَمْرٍو « أَوْ ابْنُ قَيْسٍ » السَّلْمَانِيُّ الْمُرَادِيُّ ، وَيَكْنَى أَبُو مُسْلِمٍ ، تَابَعِي ، أَسْلَمَ بِالْجَمْعِ أَيَّامَ فَضْلِ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ عَرِيفَ قَوْمِهِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَصَمِعَ مِنْهُ ، وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ ، فَرَوَى عَنْهُ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ ، وَإِبْرَاهِيمُ التَّخَفِيُّ ، وَأَبُو حَصِينٍ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ قَيْسٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ ، وَغَيْرُهُمْ . وَكَانَ يُوَازِي شَرِيفًا فِي الْقَضَاءِ ، تَوَلَّى سَنَةَ ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٧ - ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) فِي « م » : « عَلَيْهِمَا » تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي « م » : « عَمَلٌ » .

الْعُقُوبَةَ ، وَمَا أَرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ شُؤْمِ الذُّنُوبِ ، وَالسَّلَامُ ^(١) .

(١) قوله : « والسَّلام » عن « ط » .

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي تُصْلَحُ بِهَا الرِّعْيَةُ

اَعْلَمَ أَنَّ أَدْعَى حِصَالِ السُّلْطَانِ إِلَى إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ ، وَأَقْوَاهَا أَثَرًا فِي تَمَسُّكِهِمْ بِأَذْيَانِهِمْ ، وَحِفْظِهِمْ لِمُرَوَاتِهِمْ ، إِصْلَاحُ السُّلْطَانِ نَفْسَهُ ^(١) ، وَتَنْزِهُهُ عَنِ سَفْسَافٍ ^(٢) الْأَخْلَاقِ ، وَتَعَدُّهُ عَنِ مَوَاضِعِ الرَّيِّ ، وَتَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ ^(٣) عَنِ اسْتِصْحَابِ أَهْلِ ^(٤) الْبَطَالَةِ وَالْمُجُونِ ، وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ ^(٥) ، وَالْإِعْلَانِ بِالْفُسُوقِ .

وَقَدْ كَانَتْ صُحْبَةُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ^(٦) لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْخَلِيعِ ، وَالْمَاجِنِ الرَّقِيعِ ، أَبِي ثَوَاسٍ

(١) فِي « م » : : إِصْلَاحُ نَفْسِهِ .

(٢) السَّفْسَافُ : الرَّدِيءُ وَالْحَقِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٣) تَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ : تَنْزِيعُهَا وَالْإِرْتِفَاعُ بِهَا .

(٤) سَفَطَتِ « أَهْل » مِنْ « ط » .

(٥) فِي « ط » : : وَاللَّهْوُ وَالطَّرِبُ .

(٦) فِي « م » : : « مُحَمَّدُ الْأَمِينِ كَذَلِكَ » وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

الشاعر^(١) وَصَمَّةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْهَنَ^(٢) بِهَا سُلْطَانُهُ ، وَوَضَعَ^(٣) عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ قَلْرَهُ ، وَأَطْلَقَ^(٤) أَلْسِنَةَ الْخَلْقِ بِالشِّتْمِ وَالْتِنَاءِ الْقَبِيحِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَلَعَهُ بِذَلِكَ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ عَنْ الْوِلَايَةِ ، وَوَجَّهَ^(٥) طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِمَحَارَبَتِهِ بِبَغْدَادَ ، وَحَارَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَلْفَذَ^(٦) بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ يَعْمَلُ كُتُبًا تُقْرَأُ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَيَقِفُ الرَّجُلُ قِيْدُهُمْ أَهْلَ الْإِرَاقِ فَيَقُولُ : أَهْلُ فُسُوقٍ وَخُمُورٍ وَمَنَاقِبٍ ، وَيَجِبُ الْأَمِينُ بِذَلِكَ فَيَقُولُ : اسْتَصْحَبَ أَبَا نُوَّاسٍ شَاعِرًا^(٧) مَاجِنًا ، كَافِرًا ، اسْتَخْلَصَهُ مَعَهُ لِشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَارْتِكَابِ الْمَنَاقِبِ ، وَثَبِيلِ الْمَحَارِمِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ^(٨)
وَمَنْعَ بِاسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ كُونِهَا سِرٌّ^(٩)

(١) هو : الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح ، الحكيم بالولاء ، أبو نُوَّاس ، شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز سنة ١٤٦ هـ - تقريباً - ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، فالتصّل فيها بالخلفاء من بني العباس ، ومدح بعضهم ، واشتهر بشعره في الحمر والمجون . وتوفى سنة ١٩٨ هـ وفي تاريخ ولادته ووفاته خلاف .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٢٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٦ - ٤٤٩ ، والأغانى ج ٢٢ ص ٧٦٩٧ - ٧٧١٣ ، وخرزانه الأدب ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٦ - ٨٢٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٧] .

(٢) أَوْهَنَ : أضعف .

(٣) وَضَعَ ، بالضّم : صار وضِعاً .

(٤) لِي م : : « فَأَطْلَقَ » .

(٥) لِي م : : « وَوَجَّهَ » .

(٦) أَلْفَذَ : أَرْسَلَ .

(٧) لِي م : : « اسْتَصْحَبَ أَبُو نُوَّاسٍ رَجُلًا » ولا يستقيم للمعنى بهذه العبارة ، لأن الذي اسْتَصْحَبَ هو الأمين ، والمستصحَبُ أبو نُوَّاس .

(٨) « هكنا البيت في ط » والديوان .. والشطرا الثانية من البيت في م : : « وَلَا تَسْقِنِي جَهْرًا فَقَدْ أُمَكَّنَ الْجَهْرُ » « جَهْرًا » تحريف من التناسخ .

(٩) في الديوان « قَبَحَ » .. وفي م : : « أَهْوَى » مكان « تَهَوَّى » .. والمجاهرة بالمصبيان - في رأى أبى نُوَّاس - فيها لذتان : لذّة توكيد الشعور بالحرية ، ولذّة رؤية تشبها في عيون الآخرين ، فهو لهذا يطلب من الساق أن يسقيه جهراً ما أمكن ، وأن يوح باسم محبوبه صريحاً بلا كتابة ولا تورية .

[انظر ديوان أبى نُوَّاس ص ٢٨ ط دار الكتاب العربى] .

حَتَّى تَغِيْرَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ الْخَلْقِ ، وَتَكَرَّرَتْ لَهُ وَجُوْهُ الْوَرَى ^(١) ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِيْنَ حَبْسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَشْرَبَ خَمْرًا ، وَلَا يَقُوْلَ فِيْهِ شَيْعْرًا .

فَمَتَى أَرَادَ السُّلْطَانُ إِصْلَاحَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ مُتَمَادٍ ^(٢) عَلَى سَيِّئِ اخْلَاقِهِ ، كَانَ كَمَنْ أَرَادَ بَقَاءَ الْجَسَدِ مَعَ فَقْدِ رَأْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ اسْتِقَامَةَ الْجِسْمِ ^(٣) مَعَ عَدَمِ حَيَاتِهِ ، وَكَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيْمَ الضُّلْعِ مَعَ اغْوِجَاجِ الشَّخْصِ ، وَكَيْفَ يَحْيَا الثُّوْبُ ^(٤) مَعَ فَسَادِ الْمَاءِ ، وَلَقَدْ أَصَابَ الْخُلَيْلُ ^(٥) فِي قَوْلِهِ : أَصْلِحْ نَفْسَكَ لِتَنْفُسِكَ يَكُوْنُ النَّاسُ لَكَ تَبَعًا ^(٦) . وَقَدِيمًا قِيلَ : مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَغْدَائِهِ ، وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ ^(٧) بَلَغَ كُنْهَ أَمَانِيهِ ، وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِمِ يَتَّقِمُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ ؟ فَقَالَ : بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ .

وَلِأَيِّ الْفَتْحِ الْهُنْتَى :

إِذَا عَدَا مَلِكٌ بِاللَّهِوِ مُشْتَفِلًا فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(٨) .
أَمَّا تَرَى الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا عَدَا وَهُوَ بَرَجَ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ

(١) في م : : وَجُوْهُ الرُّأْيِ .

(٢) في م : : مُتَمَادٍ ، بِالْيَاءِ ، لَا تَصَحُّ .

(٣) في م : : الْجَسَدِ .

(٤) الثُّوْبُ : الْحُقُوتُ .

(٥) هُوَ : الْخُلَيْلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْفَرَاهِيدِي ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مِنْ أَهْمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَوَضَعَ عِلْمَ الْعُرُوضِ ، وَكَانَ شَاعِرًا ذَكِيًّا قَلِيْلًا ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ أَشْهَرُهَا كِتَابُ « الْعَيْنِ » فِي اللُّغَةِ . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَظِيْمَ النَّفْسِ ، وَمِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ ، كَانَ الْمُلُوكُ يَحْضُرُونَ لِإِعْطَائِهِ وَهُوَ لَا يَقْبَلُ ، وَعَاشَ فَقِيْرًا ، تَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٧٠ هـ . وَقِيلَ : ١٧٥ هـ .

[انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ - وَفِيهَا أَنَّهُ وَلِدَ بِالْبَصْرَةِ ، وَالصُّوْبِ أَنَّهُ وَلِدَ بَعْمَانَ - ج ٢ ص ٣١٤ ، وَطَبَقَاتُ اللَّغَوِيْنَ وَالتَّوْحِيْدِ لِلزَّيْنِدِيِّ ص ٤٧ - ٥١ ، وَإِشَارَةُ التَّحْيِيْنِ فِي تَرْجُمَاتِ النَّحْوَةِ وَاللُّغَوِيْنَ ص ١١٤ ، وَتَارِيْخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ لِبروكْلَمَانَ ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٤ ، وَإِتْبَاهُ الرِّوَاةِ ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٢ وَوِفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٨ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ج ١١ ص ٧٢ - ٧٧ ، وَمَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِيْنَ ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وَشُعْرَاتُ الدَّهَبِ ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧] .

(٦) في م ط : : تَكُوْنُ النَّاسُ تَبَعًا لَكَ .

(٧) أَعْمَلَ جِدَّهُ : بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِحْسَانِ .

(٨) الْحَرْبُ : الْمَلَاحُ .

وَصَحْبَةُ الْأَشْرَارِ ثَوْرُثُ الشَّرِّ ، كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّبْتِ حَمَلَتْ نَبَاتًا ^(١) ،
وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا ، فَمَحَالُ اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِكَ وَأَنْتَ ^(٢) قَاسِمِدْ ،
وَأَرْشَادُهُمْ وَأَنْتَ غَاوٍ ، وَهَذَا نُهُمْ وَأَنْتَ ضَالٌّ ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَعْمَشُ
كَحَالٍ ^(٣) . وَنَقُولُ الْعَرَبُ : يَا طَيِّبُ ، طِبْ نَفْسَكَ ^(٤) . وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَعْمَى عَلَى أَنْ
يَهْدِيَ ^(٥) وَالْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يُعْنَى ؟ وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ يِعِزَّ ؟ فَيَعْدُكَ عَنْ تَطْهِيرِ غَيْرِكَ مِنْ
الْعُيُوبِ قَبْلَ تَطْهِيرِ نَفْسِكَ ^(٦) كَجَبْدِ الطَّيِّبِ عَنْ إِتْرَاءِ غَيْرِهِ مِنْ دَاءٍ بِهِ ^(٧) مِثْلُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ ^(٨) : لَنْ يَتْلُعَ أَلْفُ رَجُلٍ فِي إِصْلَاحِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ دُونَ حُسْنِ الْفِعْلِ مَا يَتْلُعُ ^(٩) رَجُلٌ وَاحِدٌ فِي إِصْلَاحِ أَلْفِ رَجُلٍ بِحُسْنِ الْفِعْلِ دُونَ
الْقَوْلِ ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(١٠) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ ^(١١)
نَصِيفُ الدَّوَاءِ لِيَذِيَ السَّقَامَ مِنَ الضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ ^(١٢)

(١) النَّبْتُ : الرابطة الخفيفة . وفي « م » : « إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّبْتِ حَمَلَتْ نَبَاتًا » . تحريف .

(٢) في « م » : « قَاسِمِدْ » . تحريف .

(٣) الْأَعْمَشُ : الذي ضعف بصره وسيل دمع عينيه في أكثر الأوقات . والكحَالُ : من يداوى العين بالكحل .

(٤) طِبْ نَفْسَكَ : عالِجْهَا وداوِ أمراضَهَا .

(٥) يَهْدِي : يُرْشِدُ السَّالِكَ إِلَى الطَّرِيقِ وَيُضِيئُهُ لَهُ .

(٦) هُنَا لَمْ يَكُنْ « م » كَرَّرَ النَّاسِخَ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ « وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَعْمَى » سَهْوًا مِنْهُ .

(٧) في « م » : « مِنْ دَاءِهِ » .

(٨) لَمْ يَكُنْ « م » : « وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » .

(٩) في « ط » : « كَمَا يَتْلُعُ » .

(١٠) بَعْضُ هَذِهِ الْآيَاتِ يَتَسَبَّبُ إِلَى التَّوَكُّلِ بِرَأْيِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَهشلٍ اللَّيْثِيِّ ، مِنْ شِعْرَاءِ « الْحَمَاسَةِ » ، وَكَانَ عَلَى

عَهْدِ مُعَاوِيَةَ .. وَنُسِبَ أَيْضًا إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩ هـ .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥ ، والأغانى ج ١٢ ص ٤٣٢٥ - ٤٣٣٤ ، ومنهاج

البيان ص ٤٤ ، وأدب الدنيا والدين ص ٤٤ ، ٤٥] .

(١١) الْآيَاتُ مِنَ الْكَامِلِ . وَهَلَّا : حَرْفُ تَحْضِيضٍ ، وَهُوَ حَمَلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الشَّيْءِ . وَ « ذَا » اسْمُ إِشَارَةٍ . أَيْ :

هَلَّا كَانَ ذَلِكَ التَّعْلِيمُ لِنَفْسِكَ . وَهَلَّا هُنَا لِلزَّمَنِ الْمُخَاطَبِ ، لَمَّا دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي .

(١٢) الشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنَ الْبَيْتِ فِي « ط » : « نَصِيفُ الدَّوَاءِ مِنَ السَّقَامِ لِيَذِيَ الضَّنَى » .

- مَا زِلْتَ تَلْقَحُ بِالرُّشَادِ عُقُولَنَا عِظَةً وَأَنْتَ مِنَ الرُّشَادِ عَدِيمٌ ^(١)
 أَبَدًا بِنَفْسِكَ فَالْتَهُمَا عَنْ غَيْهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ ^(٢)
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا نَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ ^(٣)
 لَأَنَّهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ ^(٤)

وَلَكِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي صَلَاحِهِمْ عِنْدَ قُوَّةِ صَلَاحِهِ ^(٥) اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِمُ الْخَاصَّةُ مِنْهُمْ ، وَذَوِي الْأَحْلَامِ الرَّاجِحَةِ ^(٦) ، وَالْمُرَوَّاتِ الْقَائِمَةِ ، وَالْأَذْهَالِ الطَّاهِرَةِ ^(٧) ، فَمَتَى رَأَسَ الْعَامَّةُ سَرَائِهِمْ ^(٨) فَهَوَ الطَّرِيقُ إِلَى حِفْظِ أَذْيَانِهِمْ ^(٩) وَمُرُورِهِمْ ، وَتَمَاسُكِهِمْ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الْمَحْظُورَاتِ ، وَمُلَاسَةِ ^(١٠) الْمُحَرَّمَاتِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

= والشطرة الثانية في « م » : « وَمِنْ الضَّنَّا مُذْ كُنْتَ أَنْتَ سَقِيمٌ » .

وما ورد في « ط » هو المشهور .. والسقام : المرض . والضنى : المرض العضال أو الهزال الشديد ، وعطفه على السقام من عطف الخاص على العام .. ويصح : يرا من مرضه .

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « صِفَةٌ » مكان « عِظَةٌ » . والبيت في منهاج اليقين :

ونراك تصلح بالرشاد طولنا أبداً وأنت من الرشاد عديم

ومضى تلقح هنا : تَهَلَّبَ وَتَصَلَحَ .. وعدم : معلوم .

(٢) هكذا البيت في « ط » . والعقد الفريد وعيون الأخبار .. وفي « م » : « فَإِنْ انْتَهَتْ عَنْهُ » والضمير في « عَنْهُ »

راجع إلى « الْقِي » .

(٣) البيت في عيون الأخبار ، وفي منهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين :

لهناك لغدٌ إذ عطفك ويُقتدى بالقول منك ويُقبل التعليم

وفي المصدرين الآخرين « إِنْ » بدل « إِذ » .

(٤) وتأني : وتفعل ، الواو هنا للتمية ، و « تَأْنِي » مضارع منصوب بأن مُضْمَرَةٌ ، وعند الكوفيين : الواو

للصرف ، وسُمِّيَتْ هكذا لأن الفعل يُتَصَبَّ بِهَذَا إِرْشَادًا بِصَرْفِهِ عَنْ مَتْنِ الْكَلَامِ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَتْ حَاطِفَةٌ ، فَالصُّورَةُ هُنَا صُورَةُ الْحَاطِفِ ، وَالْمَعْنَى عَلَى الصَّرْفِ ، إِذْ لَيْسَ الْفَرْضُ نَحْوَ الْإِثْمَانِ « أَيْ : وَلَا تَأْنِي » عطف على « لَأَنَّهُ » .

(٥) في « م » : « عِنْدَ قُرْبِ صَلَاحِهِمْ » .

(٦) ذوى الأحلام الراجحة : أصحاب العقول الرزينة المتزنة ، و « الراجحة » عن « م » .

(٧) طاهر الذيل ، أى : مُتَزَوِّةٌ عَفِيفٌ .. والأذهال الطاهرة : الرِّجَالُ الَّذِينَ يَتَصَفَّوْنَ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ .. وهى

كتابة من العفة والنزاهة .

(٨) سرائهم : أشرافهم .

(٩) في « م » : « أَوْقَاتِهِمْ » مكان « أَذْيَانِهِمْ » تصحيف .

(١٠) مُلَاسَةٌ : مُخَالَطَةٌ .. وفي « م » : « مُلَازِمَةُ الْمُحَرَّمَاتِ » .

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَتْهُمْ سَادُوا^(١)
وَقَالَ مَزْدَكُ الْفَارِسِيُّ^(٢) خَلَّتَانِ^(٣) فِي السُّلْطَانِ أَقْرَبُ إِلَى صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ^(٤) مِمَّا
سِوَاهُمَا : ثِقَّةُ الرَّأْيِ^(٥) ، وَشِدَّةُ الرَّحْمَةِ .

وَمَا أَحَقَّ السُّلْطَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِالرَّعِيَّةِ كُلِّ سَبِيلٍ يَصْلُحُونَ عَلَيْهِ وَيَسُودُونَ مَعَهُ ،
فَجَيِّدٌ يَكُونُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ^(٦) ، وَأَمِيرًا عَلَى السَّادَةِ وَالْفَضَلَاءِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُمْ وَرَكُوبَ
شَهَوَاتِهِمْ وَتَوَسَّطَ لَذَائِثِهِمْ ، ذَهَبَتْ مُرَوَاتُهُمْ ، وَاضْمَحَلَّتْ أَذْيَانُهُمْ^(٧) ، وَتَقَوَّا - كَمَا
جَاءَ الْمَثَلُ^(٨) - فِي الْجَمَاعَةِ الْمَذْمُومَةِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الْقَوْمِ لَا رُؤْسَاءَ فِيهِمْ ،
وَلَا سَرَاةَ^(٩) بَيْنَهُمْ : هُمْ^(١٠) سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ . وَتَقُولُ : سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ
الْمِشْطِ .. وَفِيهِمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

سَوَاسِ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ فَلَا تَرَى لِيذَى شَيْئَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا^(١١)
وَلَا أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْفَضَلَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْأَيْسَاءِ

(١) في « م » : لا تصلح الناس ، وسادوا : صاروا سادة وأشرافاً .

(٢) صاحب مذهب في الأمة الفارسية ، ظهر على أيام كسرى المُسْنَى « قُبَاد » وكان يرى أن الله جعل الأرض
للعباد بالسوية ، فظالم الناس واستأثر بعضهم على بعض ، ومن ثم رأى أن يعادل القسمة بين الناس ، ويرد على الفقراء
حقوقهم من الأغنياء ، فكان أخواه يدخلون على الرجل فيطلبون على أموال ونسائه ويحملونها ثياباً فباحاً .. ولكن رجلاً
من الأشراف - اسمه ابن ساجور - نهض في جماعة من أصحابه فقتلوه سنة ٥٣١ من الميلاد .
[انظر إجماع الأعلام ص ١٨٤] .

(٣) في « م » : « خَلَّتَانِ » وهي بمحتاها .

(٤) في « م » : « أَقْرَبُ إِلَى الرَّعِيَّةِ » .

(٥) ثقة الرأي : إحكامه : وفي « م » : « ثِقَّةُ الرَّأْيِ » أي : خلاصته وجوهره .

(٦) في « م » : « يَكُونُ رَئِيسًا وَأَمِيرًا » .

(٧) في « ط » : « ذَهَبَتْ أَذْيَانُهُمْ » وسقطت مرواتهم .

(٨) في « م » : « كَمَا قَالَ الْمَثَلُ » .

(٩) في « ط » : « سَرَوَاتِ » وهي جمع « سَرَاة » ، وسرارة جمع « سَرِيٌّ » فهي جمع الجمع .

(١٠) الضمير « هم » عن « ط » .

(١١) في « م » : « سَوَاسِيَّةٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهَا الْوِزَنُ » .

وَالرَّمَادِيَّةِ وَالْعَوَّاءِ وَالْأَذْيَاءِ^(١) . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا ، وَقَدْ اسْتَقَامَ لَهُ
الْأَمْرُ : مَنْ يَعْبُرُنِي^(٢) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ فِي سُلْطَانِي ؟ فَقَالَ
بَعْضُ جُلَسَائِهِ : تَسْتَحْضِرُهُ وَتَضْرِبُ عَنْقَهُ وَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَيْلَكَ ! إِذَا
فَعَلْتُ ابْنَ عُمَرَ ، عَلَى مَنْ أَكُونُ أَمِيرًا ؟

وَلَمَّا صَارَ دَاوُدُ^(٣) إِلَى الْحِجَازِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِيَقْتُلَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ^(٤) لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ^(٥) : يَا بْنَ عَمٍّ^(٦) ، إِذَا أَسْرَعْتَ فِي قَتْلِ أَكْفَائِكَ فَمَنْ
تُبَاهِي بِسُلْطَانِكَ ؟ أَعَفَّ يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ ، فَعَفَا . وَقَالَ أَرْسَطَا طَالِيسُ لِلْإِسْكَانْدَرِ :
اسْتَصْلِحِ الرَّعِيَّةَ وَأَذِيبْ شَرَّهُمْ ، تَكُونُ رَئِيسًا لِإِخْيَارِ^(٧) مَمْلُوحِينَ ، وَلَا تَكُنْ^(٨)
رَئِيسًا لِأَشْرَارٍ مَذْمُومِينَ فَتَكُونُ كَرَاعِي الْبَقَرِ .

* * *

(١) في « م » : : والغاغة واللثاء .. والرماذية ، نسبة إلى الرُماد ، والمراد بها هنا : الكثرة التي لا فائدة لزيجها
منها . والعوَّاء : السُّقْلَةُ من الناس . والدَّيَاء : جمع دَيْء ، وهو الخسيس اللُّون .

(٢) يَعْبُرُنِي من فُلَانٍ أَيْ : يُلَومُهُ عَلَى فَعْلِهِ .

(٣) هو : داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو سليمان ، أمير من بني هاشم ، وهو عم
السُّفَّاحِ العباسي ، كان خطيباً فصيحاً ، ومن كبار القائمين بالثورة على بني أُمَيَّةَ ، ولَّاه السُّفَّاحُ إمارة الكوفة ثم عزله
عنها ، وولَّاه إمارة المدينة ومكة واليمن والجماعة والطائف ، فانصرف إلى الحجاز وأقام في المدينة ، وتوفى بها سنة
١٣٣ هـ ، وهو أول من وَلَّى المدينة من بني العباس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣٣ ، والمحرر ص ٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ، والكمال لابن الأثير
ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٦ ، و٣٤٠ ، ٣٤١] .

(٤) في « م » : : فقال .

(٥) في « م » : : الحسين تصحيف . وهو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤١ ، حوادث سنة ١٣٣ هـ] .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : : يا عم .. وفي المصدر السابق : : يا أخی .

(٧) في « م » : : لِأَجْنَادٍ .

(٨) في « ط » : : وَلَا تَكُونُ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرَّعِيَّةِ

كَتَبَ أَرِسْطَا طَالِيْسُ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِ : اَمْلِكِ الرَّعِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ تَظْفَرُ مِنْهُمْ بِالْمَحَبَّةِ ، فَإِنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ هُوَ أَذْوَمُ ^(١) بَقَاءَ مِنْهُمْ بِالْإِعْتِسَافِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا تَمَلَّكَ الْأَبْدَانَ ، فَتَحَطَّاهَا إِلَى الْقُلُوبِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّبَاءَ وَالتَّصْنُعَ ^(٢) . وَفِي سَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ : قُلُوبُ الرَّعِيَّةِ خَزَائِنُ مُلُوكِهَا ، فَمَا أَوْذَعُوهَا مِنْ شَيْءٍ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ إِذَا قَدَّرَتْ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، قَدَّرَتْ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ ، فَاجْتَنِبْ أَنْ لَا تَقُولَ نَسْلَمَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ . وَكَيْسَ هَذَا خِلَافَ مَا رَوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ : أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لَهُ ، فَحَلَمَ عَنْهُ ^(٣) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَحْلُمُ عَنْ ^(٤) مِثْلِ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ

(١) فِي « د » : « طَلَبَ ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ أَذْوَمُ » .

(٢) التَّصْنُعُ : التَّظَاهَرُ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ .

(٣) حَلَمَ : صَفَحَ . . . وَفِي « ط » : « حَلَمَ عَلَيْهِ » .

(٤) فِي « ط » : « عَلَى » .

وَالسَّيِّئِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا ^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ : فَاجْتَهِدْ أَنْ لَا تَقُولَ ، يَعْنِي : إِذَا عَدَلْتَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِشَيْءٍ .

وَهَذِهِ السَّيْرَةُ أَحْسَنُ مِنْ سَيْرَةِ أَرْدَشِيرَ ^(٢) لَمَّا رُفِعَ إِلَيْهِ أَنْ جَمَاعَةٌ مِنْ بَطَائِنِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ^(٣) ، فَوَقَّعَ : نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا تَمْلِكُ الْأَجْسَادَ لَا النَّيَّاتِ ^(٤) ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرِّضَا ، وَنَفْخَصُ عَنِ الْأَعْمَالِ ^(٥) لَا عَنِ السَّرَائِرِ . قُلْتُ : وَإِنَّمَا تَحْسُنُ هَذِهِ السَّيْرَةَ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْأَوَّلَى ، لِأَنَّ مِلْكَ الْأَجْسَادِ قَدْ يَكُونُ بِالْعَدْلِ وَالظُّلْمِ ، وَمِلْكَ الْقُلُوبِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ - وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ رَكِيتَ أَمْسَ فِي عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا يُؤْمَنُ اغْتِيَالُ الْأَعْدَاءِ فِيهَا ، فَوَقَّعَ : مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ أَمِنَ أَعْدَاءُهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظُّلُمِ ^(٦) الرَّائِحِ عَلَى فِرَاحِهِ ، يُنْقَى عَنْهُمْ الْقَذَرُ ^(٧) ، وَيُنَاعِدُ عَنْهُمْ الْحَجَرُ ، وَيَكْنُتُهُمْ مِنَ الْمَطَرِ ^(٨) ، وَيَحْجِبُهُمْ مِنَ الضَّبَابِ ^(٩) وَيَحْرُسُهُمْ مِنَ الذَّنَابِ .. يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمْ الْجُبَّةُ ^(١٠) وَالرِّدَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْجِدَاءُ ^(١١) . وَقَالَتِ الْعَجَمُ : أَسْتَوْسُ الْمُلُوكِ مَنْ قَادَ

(١) في م : : يحونا | تصحيف .

(٢) في م : : أزدشير .

(٣) في م : : قلوبهم ، ولا فرق بينهما ، فالتَّيَّةُ عملها القلب .
وَوَقَّعَ : كتب في أسفل الصحيفة أو القرطاس الذي رفع إليه .

(٤) في م : : لا القلوب .

(٥) في م : : الإهمال .

(٦) الظُّلُمُ : ذَكَرُ الثُّعَامِ .

(٧) بُنِّي : ينظف .. وفي عيون الأخبار : ينفى ، أى : يعد . والقَذَرُ : الوسخ .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣] .

(٨) يَكْنُتُهُمْ : يَسْتُرُهُمْ ويحجبهم .

(٩) الضَّبَابُ : جمع ضَبٌّ ، وهو دَوَّيَّةٌ مِنَ الحشرات ، يُشْبِهُ الْوَرَلَ .

(١٠) هكذا في م و ط .. والجُبَّةُ : ثوب واسع الكُمَيْنِ ، مشقوق المُقَدَّمِ ، يُلبَسُ فوق الثياب .. وفي

عيون الأخبار : الجُبَّةُ : أى : السُّفْرَةُ ، وكل ما وقى من سلاح .

(١١) العُدَّةُ : القَوْنُ ، أو ما يُعَدُّ لِأَمْرٍ يحدث .. والمَجْدَاءُ : القَتَاةُ والنفع .

رَعِيَّتُهُ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُلُوبِهَا . وَلَا يَتَّبِعِي لِلْوَالِي أَنْ يَرْعَبَ فِي الْكَرَامَةِ الَّتِي يَنَالُهَا مِنَ الْعَامَّةِ كُرْهَا ، وَلَكِنْ فِي الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الْأَثَرِ ، وَصَوَابِ التَّذْيِيرِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) : إِنِّي لِأَجْمِعُ ^(٢) أَنْ أُخْرِجَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرًا مِنَ الْعَدْلِ ، فَأَخَافُ أَنْ لَا تَحْمِلَهُ قُلُوبُهُمْ ، فَأُخْرِجُ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ تَقَرَّبَ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنْتُ . إِلَى هَذَا . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادَ : مَنْ أَسْوَسَ النَّاسَ ، أَنَا أَوْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا جَعَلَ اللَّهُ رَجُلًا حَفِظَ النَّاسَ ^(٣) بِسَيِّفِهِ كَمَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ ^(٤) وَأَطَاعُوا لَهُ بِاللَّيْنِ . وَيُرْوَى أَنَّ سُلَيْمًا ^(٥) مَوْلَى زِيَادَ فَخَرَ زِيَادَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَسَكَنْتَ ، فَمَا أَذْرَكَ صَاحِبِكَ بِسَيِّفِهِ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ يَلْسَانِي ^(٦) .

(١) « رحمه الله » عن « م » .

(٢) أَجْمِعُ : أُعْزِمُ . أَوْ : أُعْقِدُ نَيْيَ عَلَى كَذَا .

(٣) فِي « م » : « حَفِظَ الدِّينَ » .. وَحَفِظَ النَّاسَ بِسَيِّفِهِ : جَعَلَهُمْ يَطِيعُونَهُ وَيَتَقَادُونَ لَهُ بِالْقُوَّةِ .

(٤) فِي « م » : « كَمَنْ سَمِعَ النَّاسَ » .

(٥) فِي « م » : « سَلِيمٌ » وَالصَّوَابُ بِالتَّصْبِ . وَهُوَ : سُلَيْمٌ ، بِالتَّصْفِيرِ ، مَوْلَى زِيَادَ بْنِ أَبِيهِ .

[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٦٢] .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « لَا أَذْرَكَتُ » .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « مَا أَذْرَكَتُ صَاحِبِكَ شَيْئًا قَطُّ بِسَيِّفِهِ إِلَّا وَقَدْ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ يَلْسَانِي » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ط دار الكتب العلمية] .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

اِتَّفَقَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَوَصَايَاهُمْ عَلَى النُّهْيِ عَنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ ، قَالَ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ ^(١) : ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ عَلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشَرْبُ السُّمِّ عَلَى الشَّجَرِيَّةِ . وَكَانَ يُقَالُ : قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ خَطَرًا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ . وَقَالَ مَزْدُكُ : أَحَقُّ الْأُمُورِ بِالتَّثَبُّتِ فِيهَا ، أَمْرُ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ يَغْيِرُ عَقْلَ ، فَقَدْ لَيْسَ شِعَارَ الْغُرُورِ . وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ - عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ - عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوُغْرِ ، فِيهَا ^(٢) الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالسَّبَاغُ الْعَادِيَةُ ^(٣) ، وَالتَّعَابِينُ الْمُهْلِكَةُ ، فَالْإِرْتِقَاءُ ^(٤) إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَقَامُ فِيهِ أَشَدُّ .

(١) هو كتاب في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق ، تجرى أحاديثه البليغة على ألسنة الطير والحيوان ، وقد وضعه علماء الهند ، ونقله عبد الله بن المقفع من القهلولية إلى العربية ، ولهذا الكتاب طبعات كثيرة .

[انظر مقدمة كليله ودمنه التي كتبها عبد الوهاب عزام ، وتصدير طه حسين ط دار المعارف] .

(٢) تُشَبَّهُ ، أَيْ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ .. الْجَبَلِ الْوُغْرِ : الصَّعْبُ الْخَفِيفُ .. وَفِي « م » : « يُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوُغْرِ فِيهِ ، أَيْ : السُّلْطَانِ .

(٣) العادية : التي تملو على غيرها من الحيوان وتفترسها .

(٤) فِي « م » : « وَالْإِرْتِقَاءُ » أَيْ : الصُّعُودُ .

وَلَيْسَ يَتَكَافَأُ خَيْرَ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ ، لِأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لَا يَغْدُو مَزِيدَ الْحَالِ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يُزِيلُ الْحَالِ ، وَيَتَلَفُ النَّفْسَ الَّتِي لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِي سَلَامَتِهِ مَالٌ وَجَاهٌ ، وَفِي تَكْثِيرِهِ الْجَائِحَةُ ^(١) وَالتَّلَفُ ، وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلْعَتَابِيِّ ^(٢) : لِمَ لَا تَصْحَبِ السُّلْطَانَ عَلَى مَا فِيكَ مِنَ الْأَدَبِ ؟ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُهُ يُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَيُرْدِي مِنَ الصُّورِ ^(٣) فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَلَا أَدْرِي أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَجَّازِيُّ ، وَكَانَ مِنْ دَوْخِ أَرْضِ الصِّينِ ^(٤) إِلَى جَبَلِ الْيَاقُوتِ بِالْهِنْدِ ، وَأَنَّ فِيهِ تَعَابِينَ لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّ ^(٥) الْوَاحِدَ مِنْهَا لَيَبْلُغُ ^(٦) الثُّورَ صَحِيحًا ، فَلَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَلَا يَقْرُبُهُ ، فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَمْطَارُ أُخْذِرَتِ السُّيُولُ مِنْهُ الْحَصَى ^(٧) وَسَارَتْ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ إِلَى مُسْتَقَرِّ الْمِيَاءِ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ ^(٨) مِنَ الْجَبَلِ ، فَيَبْحَثُ النَّاسُ ذَلِكَ الْحَصَى ، فَيُوجَدُ فِيهِ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ مِنَ أَحْجَارِ الْيَاقُوتِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ^(٩) : إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ ، وَيَرْضَى رِضَا الصَّبِيِّ ، وَيَبْطِشُ بَطْشَ الْأَسَدِ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْ كُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ مَا صَحَبْتُ السُّلْطَانَ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : ثَلَاثَةٌ لَا أَقُولُهُنَّ إِلَّا لِيُعْتَبَرَ بِهِنَّ :

(١) الجائحة : الشُّصِيَّةُ .

(٢) هو كلثوم بن عمرو التُّغَلْبِيُّ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٣) يَرْدِي مِنَ الصُّورِ : يُهْلِكُ مَنْ أَمَالَهُمْ وَقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ .

وَالصُّورُ : مُصَدَّرٌ مِنْ : سَارَ يَسُورُ ، بِمَعْنَى أَمَالَ وَقَرَّبَ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : دَوْخُ أَرْضِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ ، وَانْتَبِهْ إِلَى صِينِ الصِّينِ « وَدَوْخُ أَرْضِ الصِّينِ ،

أَيُّ : سَارَ فِيهَا حَتَّى عَرَفَهَا ، وَلَمْ تُخَفَّ عَلَيْهِ طَرَفُهَا .

(٥) فِي « م » : « وَإِنَّ » .

(٦) فِي « ط » : « لَيَبْلُغُ » بِالْفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ . أَيُّ : فِي حَاجَتِهِ .

(٧) أُخْذِرَتِ السُّيُولُ الْحَصَى : دَفَعَتْهُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ .. وَفِي « م » : « أَخْذَرَتْ » مَكَانَ « أُخْذِرَتْ » .

(٨) فِي « ط » : « مَسِيرِ أَيَّامٍ » .

(٩) قَالَهُ مُعَاوِيَةُ لِأَبِي الْجَهْمِ الْقُدُورِيِّ ، وَهُوَ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْ بَنِي عُذَيٍّ بْنِ كَعْبٍ .

[انْظُرْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٣٩٨ ط دار الكتب العلمية] .

لَا أُخْلَفُ جَلِيسِي ^(١) إِلَّا بِمَا أَخْضَرُّهُ بِهِ ، وَلَا أُدْخَلُ فِي أَمْرِ لَا أُدْخَلُ فِيهِ ^(٢) ، وَلَا آتِي السُّلْطَانَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ لِابْنِهِ : إِنْ وَجَدْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَصْحِيئِهِ ^(٣) غَنًى ، فَأَغْنِ عَنْهُ نَفْسَكَ ^(٤) ، وَاعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ ^(٥) ، فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ بِحَقِّهِ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا ^(٦) ، وَمَنْ لَا يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ يُكْسِبُهُ الْفُضِيحَةَ ^(٧) فِي الدُّنْيَا ، وَالْوِزَرَ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا مَيْمُونُ ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا : لَا تَصْحَبْ سُلْطَانًا وَإِنْ أَمَرْتَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَحْلُوقُ بَامْرَأَةٍ وَإِنْ أَقْرَأَتْكَ الْقُرْآنَ ، وَلَا تَصِلَ مَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ ، فَإِنَّهُ لَكَ ^(٨) أَقْطَعُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ الْيَوْمِ تُعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا .

وَفِي مَثْنَوِي الْحَكِيمِ : كَثْرَةُ الْأَشْغَالِ مُذْهِلَةٌ عَنْ وُجُودِ اللَّذَاتِ بِكُنْهَيْهَا . وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَبَلَّغْنَا ^(٩) مِمَّنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالَّذِينَ لِيُصْلِحَهُ ، فَقَسَدَ هُوَ بِهِ ^(١٠) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

عَدَوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ ^(١١)

(١) أى : لا آخذ مكانه .

(٢) لا أُدْخَلُ فِيهِ ، أى : لم أَدْغ إليه .

(٣) فى م : : فى صحبته .

(٤) فى ط : : عن نفسك .. وفى الأدب الكبير لابن المقفع : « فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ » .

[انظر المصدر السابق ص ٩٦] .

(٥) أى : يَفْتَرِ طَائِفَتَكَ .

(٦) فى الأدب الكبير : « لَذَّةُ الدُّنْيَا وَعَمَلُ الْآخِرَةِ » .

(٧) فى المصدر السابق « يَحْتَمِلُ الْفُضِيحَةَ » .

(٨) فى م : : « فَايْطَاكَ » مكان « فَإِنَّهُ لَكَ » تحريف .

(٩) قوله « وَبَلَّغْنَا » عن م .

(١٠) فى م : : « قَسَدَهُ » .

(١١) البيت من الكامل ، وهو فى أدب الدنيا والدين منسوب لأبى بكر الخوارزمي . ومعناه : أَنْ عَدَوِي الْفَسَادِ تَنْتَقِلُ إِلَى الصَّاحِبِ الصَّالِحِ أَوْ الْعَاقِلِ أَسْرَعَ مِنَ الْفَاسِدِ ، وَلَا عَكْسَ .. وَيَحْمَدُ : يَسْكُنُ لَهُ .. وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ : « لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَالِهِ » كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادٍ آخَرٍ يَفْسَدُ ،

[انظر المرجع السابق ص ١٢٨] .

وَمَثَلٌ مِّنْ يَّصْحَبِ السُّلْطَانَ يُصْلِحُهُ ^(١) مَثَلٌ مِّنْ ذَهَبٍ لِّقِيمِ حَائِطًا مَّائِلًا فَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ لِيُثَبِّتَهُ ، فَخَرَّ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ . وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْتَه : لَا يَسْعُدُ مَنِ ابْتَلَى بِصُخْيَةِ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا حَمِيمَ ، وَلَا يُكْرَمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ^(٢) إِلَّا أَنْ يَطْمَعُوا فِيمَا عِنْدَهُ فَيَقْرَبُوهُ ^(٣) عِنْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَوْا حَاجَتَهُمْ تَرَكُوهُ ، وَلَا وَدَّ وَلَا إِحْهَاءَ ، إِلَّا الْبَلَاءُ يُجْزَى ، وَالذُّنْبُ لَا يُغْفَرُ لَهُ .

وَقَالَ بَزْرَجِيهَرُ : لَا تُصْلِحُ صُخْيَةُ السُّلْطَانِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالْبَذْلِ ، وَلَا مُوَائِجَةَ الْإِخْوَانِ إِلَّا بِاللِّينِ وَالْمَوَاسَاةِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْفَرَسِ : الْمَالُ وَالسُّلْطَانُ مُفْسِدَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا لِرَجُلٍ لَهُ عَقْلٌ كَامِلٌ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ تَرَكَيبُ الْأَسَدِ ، يَخَافُهُ ^(٤) النَّاسُ ، وَهُوَ لِمَرْكَبِهِ ^(٥) أَغْوَفٌ .

وَقَالُوا ^(٦) : مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ يَصْبِرَ جَمِيلٌ ، وَكَظِمَ الْغَيْظَ ، وَاطْرَاجَ الْأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، كَالْكُرْمِ ^(٧) لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ ، لَكِنْ بِأَذْنَاهَا . وَكَانَتْ ^(٨) الْعَرَبُ تَقُولُ : إِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْ قُرْبَاءِ الْمَلِكِ ، فَكُنْ مِنْ بَعْدَائِهِ .. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : إِذَا مَثَلَ السُّلْطَانُ فِي قِلَّةٍ وَفَاقِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ ^(٩) ، وَسَخَاءَ نَفْسِهِ عَنْ فَقْدِهِ مِنْهُمْ ، كَمَثَلِ الصَّبِيِّ وَالْمُكْتَبِ ^(١٠) ، كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْقَرَبُ تَقُولُ : السُّلْطَانُ ذُو

(١) في م : : « لِمَصْلَحَةٍ » .

(٢) سقطت « أَحَدٌ » من « ط » .

(٣) في م : : « فَيَقْبَلُوهُ » .

(٤) في م : : « لِيُخَافَهُ » وكلاما صواب .

(٥) التَّرْكَبُ : ما يَرْكَبُ عَلَيْهِ ، وهو هنا « الْأَسَدُ » .

(٦) في م : : « وَقَالَ » .

(٧) الكُرْمُ : العنب .. والعبارة في م : : « كَالْأَمِّ لَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّجَرِ » وقوله : « كَالْأَمِّ » تحريف .

(٨) في م : : « وَقَدْ كَانَتْ » .

(٩) في م : : « فِي أَصْحَابِهِ » .

(١٠) الْمُكْتَبُ : معلم الكتابة .. وفي م : : « كَمَثَلِ الْبَيْتِ وَالْكَتَابِ » .

وَالأَوَّلُ أَوْجَهُ تَمَثِيلًا .

عَدَوَاتٍ ، وَذُو بَكَوَاتٍ ، وَذُو تَدَارُؤٍ ^(١) تُرِيدُ : أَنَّهُ سَرِيعُ الْإِنْصِرَافِ ، كَثِيرُ الْبَدَوَاتِ ، هَجَامٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الذَّرَاءِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ .

(١) في « م » : « ذُو عَدَوَاتٍ » أى : سريع الانصراف والملايل .. وفي عيون الأخبار : « ذُو عَدَوَاتٍ وَذُو بَكَوَاتٍ »
 بَكَوَاتٍ : كثير البَنَوَاتِ . والعرب تقول للرجل الحازم : ذُو بَكَوَاتٍ ، أى : ذُو آرَاءٍ تَظْهَرُ لَهُ فَيَخْتَارُ بَعْضاً وَيُسْقِطُ
 بَعْضاً .. والتَّدَارُؤُ : الدَّفْعُ . يعنى أَنَّهُ ذُو حِفَايَافٍ وَمَنْعَةٍ وَقُوَّةٍ عَلَى أَعْدَائِهِ وَمُدَافَعَةٍ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ ^(١) ، إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَخْلِيكَ ^(٢) وَيَسْتَشِيرُكَ ، وَيُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَكْبَارِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) ، وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ ثَلَاثٍ ^(٤) : لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يُحَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تُغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ غَيْرُ مِنَ الْإِفِّ . قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَمِنْ عَشْرَةِ آيَافٍ .. وَقَالُوا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ^(٥) بِالْحَذَرِ ، وَالصَّدِيقُ بِالتَّوَاضُّعِ ، وَالْعَدُوُّ بِالْجَهْرِ ^(٦) ، وَالْعَامَّةُ بِالْبِشْرِ ، وَلَا تَحْكُمَ لِأَحَدٍ بِحُسْنِ رَأْيِ الْمَلِكِ إِلَّا بِحُسْنِ أَثَرِهِ .

قَالَ ^(٧) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَسْطَلِجِ السُّلْطَانُ مَا كَتَمَكَ ، وَلَا تُفْشِ مَا أَطْلَعَكَ

(١) « يَا بُنَيَّ » عَنْ « ط » .

(٢) « يَسْتَخْلِيكَ » : يَخْلُو وَيَفْرُدُ بِكَ .

(٣) « فِي » « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٤) « فِي » « م » : « فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ » أَيْ : بِخِصَالٍ . وَسَقَطَ مِنْهَا « ثَلَاثٌ » .

(٥) « فِي » « م » : « وَقَالَ : اصْحَابُ السُّلْطَانِ » وَالْأَخِيرَةُ تَحْرِيفٌ .

(٦) « فِي » « م » : « بِالْجَهْدِ » .

(٧) « فِي » « م » : « وَقَالَ » .

عَلَيْهِ .. مَنْ أَذَلَّ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ اسْتَقْلَلَهُ ، وَمَنْ ائْتَنَّ عَلَيْهِ عَادَاهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ يَسْتَشِيرُ بَاعْدَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا زَادَكَ السُّلْطَانُ تَأْنِيسًا فَرَدَّهُ إِجْلَالًا ، وَإِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أُنْحَا فَاَجْعَلْهُ أَبَا ، وَإِنْ زَادَكَ إِحْسَانًا فَرَدَّهُ فِعْلَ الْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِهِ ^(٢) ، وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِالذُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ مَعَ النَّاسِ فَأَخْذُوا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ بِالذُّعَاءِ لَهُ ^(٣) ، وَإِنْ تَرَلْتَ مِنْهُ مَنْرَلَةَ الثَّقَةِ فَاغْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلِكِ ^(٤) ، وَلَا تُكْجِرْ فِي الدُّعَاءِ لَهُ ^(٥) عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَبِيهٌ بِالْوَحْشَةِ وَالغَرَبَةِ ، إِلَّا أَنْ تُكَلِّمَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، فَلَا تَأَلَّ ^(٦) بِمَا عَظُمَتُهُ وَذَكَرَتْهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ : لِيَكُنْ حَاجَتُكَ فِي سُلْطَانِكَ ثَلَاثَ إِحْلَالٍ : رِضَا رَبِّكَ ، وَرِضَا سُلْطَانِكَ ، وَرِضَا مَنْ تَلَى عَلَيْهِ . وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْهُوَ عَنِ الْمَالِ وَالْمُدَّخَرِ ^(٧) ، فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا ^(٨) مَا يَكْفِي وَيَطِيبُ . وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ عَمْرٍو ^(٩) لِمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ : لَا تَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ إِذَا أَدْنَاكَ ^(١٠) ، وَلَا تَتَغَيَّرْ إِذَا أَقْصَاكَ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ اسْتَصْحَبَ حَكِيمًا فَقَالَ لَهُ : أَصْحَبُكَ عَلَى ثَلَاثَ إِحْلَالٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : لَا تَهْتِكْ لِي سِرِّي ، وَلَا تَشْتُمْ لِي عِرْضًا ، وَلَا تَقْبِلْ فِيَّ قَوْلَ قَائِلٍ حَتَّى تَسْتَشِيرَ فِيَّ ^(١١) . قَالَ : هَذَا لَكَ ، فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْشِي لَكَ سِرًّا ، وَلَا أَذْجِرُ عَنْكَ نَصِيحَةً ، وَلَا أُوْرُثُ عَلَيْكَ أَحَدًا . قَالَ : نِعَمَ الصَّاحِبِ الْمُسْتَصْحَبِ أَنْتَ .

(١) أَذَلَّ : اجترأ .. وفي « م » : « أَذَلَّ » تحريف .

(٢) في « م » : « وَإِذَا زَادَكَ فَرَدَّهُ » ، يعني فِعْلَ السَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ .

(٣) في « م » : « فَأَخْذُوا فِي الثَّنَاءِ فَخُذْ أَنْتَ فِي الدُّعَاءِ » .

(٤) الْمَلِكُ : التُّضَرُّعُ فَوْقَ مَايَبْغَى .

(٥) « لَهُ » عَنْ « ط » .

(٦) فَلَا تَأَلَّ : أَيْ فَلَا تَتَوَّاهَ أَوْ تَبْخُلَ أَوْ تُقَصِّرَ . وفي « ط » : « فَلَا تَأَلَّوْا » بصيغة الجمع .. وفي « م » : « تَسْأَلُوا »

تحريف .

(٧) الْمُدَّخَرُ ، بِالذَّلَالِ الْمُجْمَعَةِ : الْمُدَّخَرُ وَالْمُخَيَّأُ .. وفي « ط » : « الدُّخْرُ » وهي بمعناها .

(٨) في « م » : « بَيْنَهُمَا » تحريف .

(٩) هر : مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَصِينِ ، وَكَانَ مُعَيَّنًا لِيَزِيدَ بْنِ معاوية ، وَكَانَ عَظِيمَ الْقَتْلِ عِنْدَهُ .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ ، وللمعارف ص ٤٠٦] .

(١٠) في « م » : « إِذَا جَفَاكَ » .

(١١) في « م » : « حَتَّى تَسْتَشِيرَنِي » .

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا الْحَرْقُ ؟ قَالَ : الدَّالَّةُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوُثْبَةُ قَبْلَ
الْإِمْكَانِ ^(٢) . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَضَّلِ : أَوْلَى النَّاسِ بِالْهَلَكَةِ ^(٣) الْفَاجِئَةُ الْمُقَدِّمَةُ عَلَى السُّلْطَانِ
بِالدَّالَّةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : الدَّالَّةُ تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَتَضُرُّ بِالْمَحَبَّةِ
الْمُتَأَكِّدَةَ . وَقَالَ بُزْرَجِيهْرُ : إِذَا خَدَمْتَ مَلِكًا ^(٥) مِنَ الْمُلُوكِ فَلَا تُطْعِمُهُ فِي مَعْصِيَةِ
خَالِقِكَ ، فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ فَوْقَ إِحْسَانِ الْمَلِكِ ، وَإِتْقَاعُهُ بِكَ أَغْلَظُ مِنْ إِيقَاعِهِ .

أَصْحَبَ ^(٦) الْمُلُوكَ بِالْهَيْبَةِ لَهُمْ وَالْوَقَارِ ، لِأَنَّهُمْ إِثْمًا اخْتَجَبُوا عَنِ النَّاسِ لِقِيَامِ الْهَيْبَةِ ،
فَلَا تَتْرَكَ الْهَيْبَةُ وَإِنْ طَالَ أُنْسُكَ بِهِمْ ، فَهَوَّ حَسْبُهُمْ مِنْكَ .. لَا تُعْطِ السُّلْطَانَ مِنْ جُهْدِكَ
فِي أَوَّلِ صُحْبَتِكَ لَهُ ، فَلَا تَجِدْ بَعْدَ ^(٧) لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ، وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ^(٨) ..
عَلِمَ السُّلْطَانُ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ تُسْتَشِيرُهُ . إِذَا أَحْلَكَ السُّلْطَانُ مِنْ
نَفْسِهِ بِحَيْثُ يَسْتَعِ مِنْكَ وَيَتَّقِي بِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالِدُخُولَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ بَطَائِنِهِ ، فَإِنَّكَ لَا تُدْرِي
مَتَى يَتَغَيَّرُ لَكَ ، فَيَكُونُونَ ^(٩) عَوْنًا عَلَيْكَ .. إِيَّاكَ ^(١٠) أَنْ تُعَادِيَ مَنْ إِذَا شَاءَ يَطْرُحُ رِيَابَهُ
وَيَدْخُلُ مَعَ الْمَلِكِ فِي رِيَابِهِ فَعَلَّ . وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : احْذَرِ زِمَارَةَ الْيَحْدَةِ ^(١١) .
وَفِيهِ قِيلَ ^(١٢) :

(١) الدَّالَّةُ : الْحُرْمَةُ .

(٢) الْإِمْكَانُ : الْإِسْطِطَاعَةُ وَالْقُوَّةُ .

(٣) الْهَلَكَةُ : الْهَلَاكُ .

(٤) هُوَ : يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، مُؤَدِّبُ الرَّشِيدِ وَمُعَلِّمُهُ وَمُرِيهِ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٥) فِي « د م » : « سُلْطَانًا » .

(٦) فِي « د م » : « وَأَصْحَبَ » .

(٧) فِي « د م » : « لَا تَجِدْ لِلْمَزِيدِ » .

(٨) قَوْلُهُ : « وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا » عَنْ « ط » .

(٩) فِي « ط » : « فَيَكُونُ » .

(١٠) فِي « د م » : « وَقَالَ : إِيَّاكَ » . وَالضَّمِيرُ فِي « قَالَ » يَعُودُ عَلَى بُزْرَجِيهْرٍ .

(١١) زِمَارَةُ الْيَحْدَةِ : انْقِاضُهَا وَتَضَاوُلُهَا .. وَفِي « ط » : « زِمَارَةُ الْخَلْدَةِ » وَالْخَلْدَةُ حَدِيدَةٌ تُشَقُّ بِهَا الْأَرْضُ .

(١٢) الْبَيْتُ فِي وَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ لِلْفَرَزْدَقِ .

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَرّاً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَاناً ^(١)

وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُدِلْ قَتْلٌ ، وَلَا تُوجِفْ قَتْعَجَفٌ ^(٢) . وَقَالَ الرَّشِيدُ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ ^(٣) إِيَّاكَ وَالذَّالَّةَ ، فَإِنَّهَا تُقْسِدُ الْحُرْمَةَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا ^(٤) السَّلَامُ : لَا تَعُشِ السُّلْطَانَ وَلَا تَقْعُدْ عَنْهُ ^(٥) . وَقَالَ ^(٦) الْحَكَمَاءُ : شِدَّةُ الْإِنْقِبَاضِ عَنِ السُّلْطَانِ تُورِثُ التُّهْمَةَ ^(٧) ، وَشِدَّةُ الْإِنْبِسَاطِ تَفْتَحُ بَابَ الْمَلَالَةِ ^(٨) . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِلَا ذُلٍّ كَانَتْ ثَمَرُهُ سَعْيِهِ الذَّلُّ .

أَخْرَجَ مِنْزِلَتَكَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمِثْلِ مَا اكْتَسَبَتْهَا مِنَ الْجِدِّ وَالْمُنَاصَحَةِ ، وَاحْذَرْ أَنْ يَحْطُوكَ التَّهَاوُنُ عَمَّا رَقَاكَ إِلَيْهِ التَّحَفُّظُ . إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ بِالْأَسْلَاطِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ

(١) الشفيع العريان : الذي لا تروى شفاعته .. وهذا البيت قاله الفرزدق من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي ، وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته « النُّوَّار » فمضت من البصرة إلى مكة ليفصل في الحكم بينهما عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت « النُّوَّار » عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد لنزله ، فقضى عبد الله للنُّوَّار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات التي منها هذا البيت ، فصار الشفيع العريان مثلاً يُضرب لكل من تُقبِل شفاعته .
[انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

(٢) في اللسان : أَدْلُ قَاتِلٌ ، وَأَوْجَفٌ قَاتْعَجَفٌ .. وتُوجِف : تُسرع السير . وتَعَجِف : تهزل وتضعف .

[انظر لسان العرب ، مَادِق ، دَلِيلٌ وَوَجِف . وحيون الأخبار ج ١ ص ٧٨]

(٣) صَبِيح ، بفتح الصاد ، وهو : كاتب مشهور ، كان من كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَمَّا آتَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اسْتَكْبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ « عَمُ الْمَنْصُورِ » فَكَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَلَهُ فِيهِ أَشْعَارٌ ، ثُمَّ اسْتَكْبَهُ الْمَنْصُورُ ، وَاسْتَمَرَ فِي خِدْمَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَشَّرَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ أَخُوهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ ، وَبَشَّرَهُ فِي السَّاعَةِ نَفْسُهَا بِوِلَادَةِ ابْنِهِ الْمَأمُونِ . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٨٠ هـ .

[انظر المعارف ٣٨٤ ، والأعلام ج ٨ ص ٢٤٥ ، واسمه فيه : يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي ، والمشهور : إسماعيل وقد ورد هكذا في العقد الفريد وفي حيون الأخبار وغيرها] .

(٤) في « م » : « عليه » .

(٥) يعني : لَا تُكْثِرْ مِنْ إِيَّانِ السُّلْطَانِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتَأَخَّرْ عَنْهُ .. وفي « م » : « وَلَا تَقْعُدْ عَلَيْهِ » مكان « عَنْهُ » تحريف .. وقعد عن الأمر : تأخر عنه .

(٦) في « م » : « وَقَالَتْ » وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٧) التُّهْمَةُ وَالتُّهْمَةُ : الْإِتِّهَامُ : وَتَطْلُقُ عَلَى الظَّنِّ وَالرَّيَّةِ .

(٨) المَلَالَةُ : السَّامَةُ وَالضَّجُّرُ .. وفي « م » : « الْمَلَامَةُ » مِنَ اللَّوْمِ .

أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا اخْتِرَاقًا . مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرِ جَمِيلٍ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاطْرَاجِ الْأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا تَنْقَبِضُوا عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا تَهَالِكُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ ^(١) مَنْ أَشْرَفَ عَلَى السُّلْطَانِ أَرْدَاهُ ^(٢) ، وَمَنْ تَضَرَّعَ لَهُ تَخَطَّاهُ ^(٣) .. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مَنْ عَادَاهُمْ عَادَتْ عِزَّتُهُ ذِلَّةٌ : السُّلْطَانُ ، وَالْوَلَدُ ، وَالْغَرِيمُ ^(٤) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا يَسْتَطِيعُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَبَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلُمُ بِمُصَانَعَتِهِ ^(٥) ، وَإِمَّا مُتَّقِلٌ ^(٦) ، مَهِينٌ لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَ السُّلْطَانَ بِالصَّدْقِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ فَقَلَمَّا تَسْتَقِيمُ لَهُ صُحْبَتُهُ ^(٧) ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ ، أَمَّا ^(٨) الصَّدِيقُ فَيَنَافِسُهُ فِي مَنَازِلَتِهِ ، فَيُطْعَمُ عَلَيْهِ لِتَصْبِيحَتِهِ لَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصَّنَفَانِ ، كَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ ^(٩) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ .. لَا يُوَحِّشُكَ ^(١٠) مِنَ السُّلْطَانِ إِكْرَامُ الْأَشْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا يَضْطَرُّ

(١) فِي « م » : « لِبَانٍ » .

(٢) أَشْرَفَ عَلَيْهِ : عَلَا وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ ، وَتَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى : قَارَبَهُ .. وَأَرْدَاهُ : أَهْلَكَ .. وَابْنُ حِبْرَانَ الْأَخْبَارِ ج ١

ص ٧٨ : « أَرْدَاهُ » بِمَعْنَى أَسْقَطَهُ وَأَهْلَكَهُ .

(٣) تَخَطَّاهُ : نَحَاهُ وَدَفَعَهُ . وَفِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ : « تَخَطَّاهُ » أَيْ : قَرَّبَهُ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ .

(٤) الْغَرِيمُ : الدَّائِنُ .

(٥) بِمُصَانَعَتِهِ : بِمُخْلَعِهِ وَمُتْلَاثِهِ .

(٦) الْمُتَّقِلُّ : مَنْ لَا حِسَبَ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ . أَوْ مَنْ لَا يَرْجَى خَيْرَهُ ، وَلَا يُخْشَى شَرُّهُ .

(٧) فِي « م » : « تَسْتَقِيمُ صُحْبَتِهِمْ » .

(٨) فِي « م » : « وَأَمَّا » .

(٩) فِي « م » : « هُوَ يُعْرِضُ لِلْهَلَاكِ »

(١٠) فِي « م » : « وَلَا يُوَحِّشُكَ » وَالْوَحْشَةُ : الْانْقِطَاعُ وَعَدَمُ الْمُرُوءَةِ وَالْخُوفِ .

الْمَلِكُ إِلَى الْحَجَامِ فَيَشْرِطُ ^(١) قَفَاهُ وَيُخْرِجُ دَمَهُ . وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا حِلْمَ لِمَنْ لَا سَبِيَةَ لَهُ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ اسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَجُلًا فِيهِ مَا فِيهِ ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ وَأَهْلِ الزَّوَادَةِ وَالذَّعَارَةِ ^(٢) . وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ : إِنَّ لِلسُّلْطَانِ لَسَكَرَاتٍ ، فَمِنْهَا : الرُّضَا عَمَّنْ ^(٣) اسْتَوْجَبَ السُّخْطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنْ اسْتَوْجَبَ الرُّضَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : خَاطَرَ مَنْ لَجَّجَ فِي الْبَحْرِ ^(٤) ، وَأَعْظَمَ مِنْهُ خَطَرًا مَنْ صَجَبَ السُّلْطَانُ ^(٥) . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّجِ لِإِخِيهِ ، لَا تُعَدُّنْ شَتْمَ السُّلْطَانِ شَتْمًا ، وَلَا إِغْلَظْهُ إِغْلَظًا ، فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ تَبْسُطُهُ فِي غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا سَخِطٍ ^(٦) .

وَقَالَ سَامِيدُ ^(٧) أَخَذَ حُكَمَاءُ الْفَرَسِ : أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ^(٨) يَتَّبِعِي أَنْ تُفَسَّرَ لِلْفَهِيمِ ^(٩) كَمَا تُفَسَّرُ لِلْيَلِيدِ ، وَلَا يَتَّكِلُ ^(١٠) فِيهَا عَلَى ذِكَاةٍ أَحَدٍ : ثَأْوِيلُ الدِّينِ ، وَأَخْلَاطُ الْأَذْوِيَةِ ، وَصِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَخُوفِ ^(١١) ، وَالرَّأْيُ فِي السُّلْطَانِ ^(١٢) .

(١) يشرط : بكسر الراء وضمة : يشق . وفي « م » : « فَيَشْرِطُ قَفَاهُ يَخْرِجُ » بدون الواو العطف . والحجَام : محرف الجِجَامَةِ ، وهي امتصاص الدم من الجسم بأداة معينة .

(٢) أهل الزَّوَادَةِ وَالذَّعَارَةِ : الأراذل والحقوقي ، والأدنياء الذين يسببون الخوف والفرع ، وهم قُطَاعُ الطَّرِيقِ .

(٣) في « م » : « لِمَنْ » وَالسُّخْطُ وَالسُّخْطُ وَاحِدٌ .

(٤) أى : أَبْهَرَ فِيهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَيْثُ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ وَتُخْتَلِطُ .

(٥) في « م » : « وَأَعْظَمَ مِنْ خَطَرِ مَنْ صَجَبَ السُّلْطَانُ » .

(٦) في « م » : « وَلَا تَسْخِطُهُ » . وفي الأدب الكبير لابن المقفع : « فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ قَدْ تَبْسُطُ اللِّسَانَ بِالْمُغْلَظَةِ فِي غَيْرِ سَخِطٍ وَلَا بَأْسٍ » .

(٧) في « م » : « سَامِيدُ » بِالذَّالِ الْمُصَحَّمَةِ .

(٨) قوله : « أَشْيَاءُ » عَنْ « ط » .

(٩) في « م » : « الْفَهْمُ » وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَيَلِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ ذَهْنِي لاسْتِبْطَاقِ الْمَعْنَى وَالْكَشْفِ عَنْهُ .

(١٠) في « م » : « وَلَا يَتَّكِلُمْ » .

(١١) في « م » : « لِلْمَخُوفِ » تَصْحِيفٌ .

(١٢) في « م » : « وَالرَّامِي فِي السُّلْطَانِ » يَعْنِي الَّذِي يَقُولُ فِيهِ رَأْيَهُ وَيَقْذِفُهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا انْقَطَعَ مِنْكَ فِي الْآخِرِ نَسِيَ الْأَوَّلَ ، فَأَرْحَامُهُمْ ^(١) مَقْطُوعَةٌ ، وَحِبَالُهُمْ مَصْرُومَةٌ ، إِلَّا مَنْ رَضُوا عَنْهُ فِي وَفْيِهِمْ وَسَاعَتِهِمْ .. وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْوَالِي خِلَالًا لَا تَنْبَغِي ^(٢) فَلَا تُكَابِدْهُ عَلَى رَدِّهَا ، فَإِنَّهَا ^(٣) رِيَاضَةٌ صَنِيعَةٌ ، لَكِنْ أَحْسِنِ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَحْسَنِ رَأْيِهِ ، فَإِذَا اسْتَحْكَمْتَ مِنْهُ نَاحِيَةَ مِنَ الصَّوَابِ ، كَانَ ذَلِكَ الصَّوَابُ هُوَ الَّذِي يُبَصِّرُهُ السَّخَطَاتِ اللَّطِيفَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَبْصِيرِكَ . وَاجْعَلِ ^(٤) الْعَدْلَ مِنْ حِكْمَتِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ ^(٥) يَدْعُو بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ انْقَلَعَ السَّخَطُ .

وَلَا تُطْلُبْ مَا قَبِلَ الْوَالِي ^(٦) بِالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبِطُهُ وَإِنْ أَبْطَأَ ، وَلَكِنْ اطْلُبْ مَا قَبِلَهُ بِالِاسْتِخْقَاقِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ^(٧) ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحْقَقْتَهُ أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ^(٨) ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَبِطْهُ كَانَ أَعْجَلَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : إِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ فَدَارِهِ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ الْقَبِيحَةِ لِلزَّوْجِ الْأَحْمَقِ الْمُبْغِضِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ : تَنَكَّرْ لِي هَارُونَ الرَّشِيدُ . فَقَالَ لَهُ : ارْضَ بِقَلِيلِهِ مِنْ كَبِيرِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْخَطَ فَيَكُونَ أَسْخَطَ مِنْكَ .

(١) أرحامهم : قراياتهم .. وفي الأدب الكبير : « وإن الكثير من أولئك - يعني السلاطين - أرحامهم مقطوعة ، وحبالهم مصرومة ، إلا ممن رضوا عنه ، وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم » .

[انظر المصدر السابق ص ٨٤] .

(٢) في « م » : « إذا رأيت من الرجل خللاً لا ينبغي » .

(٣) في « م » : « ولانها » .

(٤) في « م » : « والعدل وسقط الفعل » اجعل منها .

(٥) في « م » : « وإن العدل » .

(٦) ما قبل الولي : ماعنه .

(٧) الاستثناء : الترقق .. وفي « م » : « الاستثناء » .

(٨) في « م » : « طلب » .

البَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ

اعْلَمْ أَنَّ الْجُنْدَ عِدَدُ الْمَلِكِ ^(١) وَحُصُونُهُ وَمَعَايِلُهُ وَأَوْتَادُهُ ^(٢) ، وَهُمْ حُمَاةُ الْبَيْضَةِ ، وَالذَّابُّونَ عَنِ الْحَرَمَةِ ^(٣) ، وَالذَّافِعُونَ عَنِ الْعَوْرَةِ ، وَهُمْ جُنُنُ الثُّغُورِ ^(٤) ، وَحُرَّاسُ الْأَبْوَابِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَأَمْدَادُ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، وَالْحَدُّ الَّذِي يَلْقَى الْعَدُوَّ ، وَالسَّهْمُ الَّذِي يُرْمَى بِهِ ^(٦) ، وَالسَّلَاحُ الْمَذْفُوعُ فِي نَحْرِهِ ^(٧) ، فَبِهِمْ يُدْبُ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَيُؤْمَنُ السَّبِيلُ ^(٨) ، وَتُسَدُّ الثُّغُورُ ، وَهُمْ عِزُّ الْأَرْضِ ، وَحُمَاةُ الثُّغُورِ ، وَالذَّادَةُ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَالشُّوْكَةُ عَلَى الْعَدُوِّ ^(٩) .

-
- (١) عِدَدُ الْمَلِكِ ، بكسر العين : جماعته : وبضمها : مايمد لأمر يحدث .
 (٢) معاقله جمع مَعْقِلٍ ، وهو الحصن والملجأ .. والأوتاد : جمع وَيد ، وهو ماورز في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه ، وهنا شبه الجنود بالأوتاد ، حيث إن الملك يثبت ، أو يقوى ، بهم .
 (٣) البيضة : أصل القوم وبجمعهم ، يقال : أتاها القتل في بيضتهم ، يريد : جماعتهم وموضع سلطانهم . والذبابون : المدافعون .
 (٤) الجنن : جمع جُنَّة ، وهي السترة ، وكل ملوقى من سلاح وغيره .
 (٥) أمداد : جمع مَدَد ، وهو مايمد به من الأعوان والأنصار ليقوى .
 (٦) لِي م م : « يُوْمَنُ بِهِ » .
 (٧) لِي م م : « وَالسَّلَاحُ الَّذِي فِي نَحْرِهِ » .
 (٨) يُؤْمَنُ السَّبِيلُ : أى تصير الطرق آمنة مطمئن السائر فيها ولا يخاف .
 (٩) الشوكة : القوة والبأس .. وفي م م : « وَالشُّوْكَةُ عَلَى الثُّغُورِ » .

وَعَلَى الْجُنْدِ الْجِدُّ عِنْدَ اللَّقَاءِ ^(١) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ الْعَلَبَةُ فَلْيَمِينُوا فِي الطَّلَبِ ^(٢) ، وَإِنْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ فَلْيَكْسِرُوا الْأَعْنَةَ ، وَلْيَجْمَعُوا الْأَسِنَّةَ ، وَلْيَذْكُرُوا أَخْبَارَ غَدٍ .

وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَتَقَفَّدَ جُنْدَهُ كَتَفَقَّدَ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بُسْتَانَهُ ، فَيَقْلَعَ الْعُشْبَ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ ، فَمِنْ الْعُشْبِ مَا لَا يَنْفَعُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالنَّبَاتِ النَّافِعِ ، فَهُوَ بِالْقَلْعِ أَجْدَرُ . وَلَا يُسْتَصْلَحُ ^(٣) الْجُنْدُ إِلَّا بِإِذْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَسَدِّ حَاجَاتِهِمْ ، وَالْمُكَافَأَةِ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَنَائِهِمْ وَبَلَاءِهِمْ . وَجُنُودُ الْمُلُوكِ وَعُدَدُهَا وَقَفَّ عَلَى سُعُودِ ^(٤) الْأَثَمَةِ وَتُحُوسِهَا . وَقَالَ أَبُو رُوَيْدٍ لِأَيُّهِ شِيرَوَيْهِ ^(٥) : لَا تُؤْسَعَنَّ عَلَى جُنْدِكَ فَيَسْتَعْنُوا عَنْكَ ، وَلَا تُضَيَّقْ عَلَيْهِمْ فَيَضِجُوا مِنْكَ ، وَأَعْطِهِمْ عَطَاءَ قَصْدِكَ ، وَامْتَنِعْهُمْ مَنَعًا جَمِيلًا ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّخَاءِ ^(٦) ، وَلَا تُؤْسَعْ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ .

وَلَمَّا أَقْضَى الْأَمْرَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ^(٧) الْمَنْصُورِ ، أَلْفَدَ جَيْشًا ، وَقَالَ لِقَوَادِمِهِ : سِيرُوا بِمِثْلِ هَذِهِ السَّيْرِ . ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ .. أَجِيعَ كَلْبُكَ يَتَبَعُكَ . فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ ^(٨) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخَشَى أَنْ يُلَوِّحَ لَهُ غَيْرُكَ بِرَغِيفٍ فَيَتْبَعُهُ وَيَذْعَكَ .

(١) أى : عند لقاء العدو .

(٢) أى : فى طلب الأعداء .

(٣) فى م : « يستطلع » .

(٤) السُّعُود : التوفيق واليمن والسعادة .

(٥) أبو رويد هو : أبو رويد بن هرم بن كسرى ، من ملوك الفرس ، وطالت مدة ملكه حتى ضجر منه الناس ، وغلطوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، ثم جعلوا مكانه ابنه « شيرويه » وهو ابن بنت « قيسر » فأمر بأبيه فُسِمَتْ ميناها ، وقتل من إخوته ثمانية عشر رجلا ، وهرب بقية أهل بيته ، ثم ظهر الطاعون فى بلده ، فهلك فىمن هلك ، وكان موته لخمس سنين وأشهرًا من هجرة النبى ﷺ إلى المدينة . وكانت مدة ملكه سبعة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٥] .

(٦) فى م : « الرجال » مكان : الرخاء » تحريف .

(٧) فى م : « ابن جعفر » تحريف ، والصواب « أبو » .

(٨) أبو العباس الطوسى : من ولاة خراسان ، جعله أبو جعفر المنصور على حرسه بالمدينة الهاشمية بالكوفة بعد موت عيسى بن نيهك قائد حرسه .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٦ ، وج ٥ ص ١٣١] .

وَرَوَى أَنَّ كِسْرَى صَنَعَ طَعَامًا فِي سِمَاطٍ ^(١) ، فَلَمَّا فَرَّغُوا وَرَفَعَتِ الْآلَاتُ ^(٢) ، وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَخَذَ جَامًا ^(٣) ، لَهُ قِيمَةٌ كَبِيرَةٌ ^(٤) ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ الْخَدَمُ يَرْفَعُونَ الْآلَاتِ فَلَمْ يَعِدُوا الْجَامَ ، فَسَمِعَهُمْ كِسْرَى يَتَكَلَّمُونَ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : فَقَدْنَا جَامًا مِنَ الْجَامَاتِ . فَقَالَ : لَا عَلَيْكُمْ ، أَخَذَهُ مَنْ لَا يَرُدُّهُ ، وَرَأَاهُ مَنْ لَا يَنْفُضُحُهُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَى كِسْرَى ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَحَالٌ مُسْتَجِدَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : هَذَا مِنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَلَمْ يَقُلْ لَهُ ^(٥) شَيْئًا .

وَسُئِلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ - وَكَانَ عَلَى الصَّوَائِفِ ^(٦) : بِمَ قَدَرْتَ ^(٧) عَلَى جُيُوشِ الصَّائِفَةِ ؟ وَكَانَ يَغْزُو فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَجْرُ الْجُيُوشَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : بِسَمَانَةِ الظَّهْرِ ، وَالْقَدِيدِ ^(٨) ، وَكَثْرَةِ الْكَلْبِ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ كَانَ ظَالِمًا لِرَعِيَّتِهِ ، شَدِيدًا الْأَذَى لَهُمْ ^(٩) فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَجْعَلْ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ ، فَوَبَّوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : رَبُّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ صَاحِبَهُ إِذَا لَمْ يُشْبِعْهُ .

* * *

(١) السِّمَاطُ : مَا يُنْمَدُ لِيُوضَعَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ فِي الْمَادَبِّ وَنَحْوِهَا .

(٢) الْآلَاتُ : الْأَتِيَّةُ : وَفِي « م » : « الْأَيْدَى » .

(٣) الْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ وَالطَّعَامِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا ، وَقَدْ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى قَدَحِ الشَّرْبِ .

(٤) فِي « ط » : « كَثِيرَةٌ » .

(٥) فِي « م » : « لَمْ يَقُلْ شَيْئًا » .

(٦) فِي « م » : « الطَّوَائِفُ » ، تَحْرِيفٌ . وَالصَّوَائِفُ : جَمْعُ صَائِفَةٍ ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ فِي الصَّيْفِ ، وَبِهَا سُمِّيَتْ غَزْوَةُ الرُّومِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُغْزَوْنَ صَيْفًا اتِّقَاءَ الْبَرْدِ وَالطَّلَجِ .

(٧) فِي « م » : « نَمَّ » مَكَانَ « بِمَ » تَحْرِيفٌ .. وَقَدَرْتُ : قَوَيْتُ .

(٨) بِسَمَانَةِ الظَّهْرِ ، أَيْ : بِكَوْرَةِ لَحْمِهِ وَشَحْمِهِ .. وَالْقَدِيدُ مِنَ اللَّحْمِ : مَا قُطِعَ وَمُلِّحَ وَجُفِّفَ فِي الْمَوَاءِ وَالشَّمْسِ .

(٩) فِي « م » : « شَدِيدًا لِإِذْلَالِهِمْ » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجَابَةِ الْخَرَاجِ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَنْ طَالَ غُلُوثُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَلِقَاحُهُ الْأَمْنُ ^(١) ، وَنِتَاجُهُ الْعَدْلُ ^(٢) ، وَهُوَ حِصْنُ السُّلْطَانِ ، وَمَادَّةُ الْمُلْكِ . وَالْمَالُ أَقْوَى الْعُدُوِّ عَلَى الْعُدُوِّ ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَحَيَاةُ الْأَرْضِ ، وَبِزْنِ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ ، وَيُمنَعَ مِنْ سَرَفٍ ، وَلَا يُؤْخَذَ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَلَ ^(٣) عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ، ثُمَّ يَنْفَقَ ^(٤) ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَغُودُ عَلَيْهَا ^(٥) نَفْعُهَا ، فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، اخْرِصْ كُلَّ الْخِرَاصِ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضَيْنِ ، وَالسَّلَامِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَرَّ جُبَاةَ الْأَمْوَالِ بِالرَّفْقِ ، وَمُجَابَتِهِ الْخَرْقِ ^(٦) ، فَإِنَّ الْمَلَقَةَ ^(٧) تَنَالُ مِنْ

(١) يعنى : أنه وليد الأمن .

(٢) أى : وهو ثمرة العدل .

(٣) فضل زاد على الحاجة .

(٤) فى د م : لا بل ينفق .

(٥) فى د م : تعود عليه .

(٦) الخرق : الحماسة .

(٧) الملقّة : دودة سوداء تمتص الدم ، تكون فى الماء الآمين ، وإذا شربته الدابة غلبت بِخُلُقِهَا .

الدِّمَ بِغَيْرِ أَذَى وَلَا سَمَاعٍ صَوْتٍ مَا لَا تَنَالُهُ الْبُعُوضَةُ بِلِسْعَتِهَا وَهَوْلٍ صَوْتِهَا .

وَلَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِي عَنْ مِصْرَ ، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ أَبِي السَّرِّجِ ، فَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ عَمْرُو ، فَقَالَ ^(١) عُثْمَانُ : يَا عَمْرُو ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّقَاحَ دَرَّتْ بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ أَعَجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا ^(٢) . وَقَالَ زِيَادٌ : أَحْسِنُوا إِلَى ^(٣) الْمُزَارِعِينَ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا سِمَاتًا مَا سَمِنُوا . وَفِي مَثْنَوِي الْحَكَمِ ^(٤) : مَنْ جَاوَزَ فِي الْحَلَبِ حَلَبَ الدِّمِ ^(٥) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا اسْتَقْصَى ^(٦) الْعِجْلُ فِي مَصٍّ أُمِّهِ رَفَسَتْهُ ^(٧) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ^(٨) : الْحَرَاجُ عَمُودٌ ^(٩) الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتَعَزَّ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتَنْزَرَ ^(١٠) بِمِثْلِ الظُّلْمِ . وَأَسْرَعَ الْأُمُورِ فِي خَرَابِ الْبِلَادِ تَغْطِيلُ الْأَرْضِينَ ، وَهَلَاكُ الرُّعْيَةِ ، وَالْكَسَارُ الْحَرَاجُ بِالْجَوْرِ وَالْتَحَامِلِ ^(١١) .

(١) في م : « وقال » .

(٢) يريد : أرهقهم أهلها بما لا يحتملون .

(٣) في م : « في مكان » إلى .

(٤) في ط : « الحكمة » .

(٥) معنى : إذا تجاوز الأمر حله انقلب إلى ضده .

(٦) استقصى : بالغ .. وفي م : « استقصى » تحريف .

(٧) في م : « رفسته » بالصاد المهملة . لا تصح . وربما أراد « رفسته » بالصاد المعجمة ، بمعنى : طرده أو تركه جانباً .

(٨) هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير هارون الرشيد ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ واستوزره

الرشيد ، وألقى إليه مقاليد الملك ، وكان يدعوه « أحمى » فانقادت له الدولة يحكم بما يشاء ، إلى أن تقم الرشيد على البرامكة ، فقتله سنة ١٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٣٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٢ - ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٨ -

٣٤٦] .

(٩) عمود الملك : قوامه الذي لا يستقيم إلا به . وفي م : « عماد المملكة » .

(١٠) في م : « و ط » كليهما : « استتر » والتصويب من المعجم الوسيط ، مادة « غزر » إذ جاء فيه : « الحراج

عمود الملك ، وما استعزَّ بِمِثْلِ العدل ، ولا استنَّزَّ بِمِثْلِ الجور » . والأولى من الغزارة بمعنى الكثرة .. والثانية من النزارة ، وهي : القلة .

(١١) التحامل : الجور والظلم ، وتكليف الرعية ما لا يطيق .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ حَتَّى ضَعُفُوا ^(١) عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِينَ ^(٢)
 مَثَلٌ مَنْ يَقْطَعُ لَحْمَهُ وَيَأْكُلُهُ مِنَ الْجُوعِ ، فَهُوَ وَإِنْ قَوَى مِنْ تَاجِيَةٍ ، فَقَدْ ضَعُفَ مِنْ
 تَاجِيَةٍ ، وَمَا أَذْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْوَجَعِ وَالضَّعْفِ ^(٣) أَكْثَرَ مِمَّا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ أَلَمِ
 الْجُوعِ . وَمَثَلٌ ^(٤) مَنْ كَلَّفَ الرَّعِيَّةَ مِنَ الْخَرَاجِ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، كَالَّذِي يَطْلِي سَطْحَهُ
 بِتُرَابٍ أَسَاسَ بَيْتِهِ ^(٥) . وَمَنْ يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ ^(٦) يُوشِكُ أَنْ يَضْعُفَ فَتَقَعَ الْحِمْمَةُ . وَإِذَا
 ضَعُفَ الزَّارِعُونَ ^(٧) عَجَزُوا عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِينَ ، فَيَتْرَكُونَهَا فَتَحْرَبُ الْأَرْضُ ، وَيَهْرُبُ
 الزُّرَّاعُ ^(٨) فَتَضْعُفُ الْعِمَارَةُ ، فَيَضْعُفُ الْخَرَاجُ ، وَيَنْتَبِجُ ذَلِكَ ضَعْفَ الْأَجْنَادِ ، وَإِذَا
 ضَعُفَ الْجُنْدُ طَمِعَ الْأَعْدَاءُ فِي السُّلْطَانِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنْ بِمَا يَبْقَى فِي يَدِ رَعِيَّتِكَ أَفْرَحَ مِنْكَ بِمَا تَأْخُذُ مِنْهَا .. لَا يَقِلْ مَعَ
 تَسْلَاحِ شَيْءٍ ، وَلَا يَبْقَى ^(٩) مَعَ الْفَسَادِ شَيْءٌ ، وَصِيَانَةُ الْقَلِيلِ أَوْلَى مِنْ تَرْبِيَةِ
 الْكَثِيرِ ^(١٠) ، فَلَا مَالَ لَأَحْرَقَ ، وَلَا عِيْلَةَ لِمُصْلِحٍ ^(١١) . وَرَوَى أَنَّ الْمَأْمُونُ أَرَقَ لَيْلَةً ،
 سَتَدْعَى سَمِيرًا ^(١٢) فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ بِالْمُوصِلِ بَوْمَةٌ
 وَبِالْبَصْرَةِ بَوْمَةٌ ، فَخَطَبْتُ بَوْمَةَ الْمُوصِلِ إِلَى بَوْمَةِ الْبَصْرَةِ بَيْنَهُمَا لِأَيْنِهَا ، فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْبَصْرَةِ :
 لَا أُنْكِحُكَ ابْنَتِي إِلَّا أَنْ تُجْعَلِي فِي صَدَاقِهَا مِائَةَ ضَبْعَةِ خَرَابٍ . فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْمُوصِلِ :

- (١) ضَعُفُوا : مَرَضُوا وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُمْ .. وَفِي « م » : : « حَتَّى يُنْعَمُوا » .
 (٢) فِي « م » : : الْأَرْضَى . وَكِلَاهُمَا جَمْعُ « أَرْضٍ » .
 (٣) فِي « م » : : مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ ، وَالتَّضَعُّفِ ، بِتَشْدِيدِ الضَّادِ لِلْمَجْمُوعَةِ وَفَتْحِهَا أَوْ ضَمِّهَا : الْهَزَالُ .
 (٤) قَوْلُهُ : « وَمَثَلٌ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » وَتَرَكَ النَّاسُ بَيَاضاً مَكَانَهَا .
 (٥) يَطْلِي سَطْحَهُ : يَطْلِيهِ أَوْ يَطْلِيهِ بِالطِّينِ .
 (٦) يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ : يُدَاوِمُ عَلَى الْقَطْعِ مِنْهُ فِي غَيْرِ لَبَانَةٍ .. وَفِي « م » : : « جَر » مَكَانَ « حَز » وَالْأَوَّلُ أَصْتَرَبَ
 وَأَوْجَهَ .
 (٧) فِي « ط » : : « الزَّارِعُونَ » .
 (٨) فِي « م » : : « وَيَهْرُبُ الزَّرْعُ » مَكَانَ « وَيَهْرُبُ الزُّرَّاعُ » .
 (٩) فِي « م » : : « وَلَا يَكُنْ » مَكَانَ « وَلَا يَبْقَى » .
 (١٠) فِي « م » : : « فَلَيْسَ خَيْرِيَّةً لِلْجَلِيلِ » .
 (١١) الْعِيْلَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ .
 (١٢) السَّمِيرُ : الْمَسَايِرُ الَّتِي يُجِيدُ الْحَكَايَاتِ الَّتِي يُسْتَرْجَى بِهَا .

لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا الْآنَ ، وَلَكِنْ إِنْ دَامَ وَالْيَا - سَلَّمَهُ اللَّهُ - عَلَيْنَا سَنَّةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : فَاسْتَيْقِظَ الْمَأْمُونُ ^(١) وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ ، وَأَلْصَفَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْوَلَاةِ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ : مَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ^(٢) ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَمْرُ الْعَدُوِّ فِي ضَعْفٍ وَانْتِقَاضٍ ^(٣) لَمَّا كَانَتْ الْأَرْضُ مُقْطَعَةً ^(٤) فِي أَيْدِي الْأَجْنَادِ ، فَكَانُوا يَسْتَعْبِلُونَهَا وَيَرْفُقُونَ ^(٥) بِالْفَلَاحِينَ وَيُرْبُونَهُمْ كَمَا يُرْبِي التَّاجِرُ تِجَارَتَهُ ^(٦) ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ عَامِرَةً ، وَالْأَمْوَالُ وَاقِرَةً ، وَالْأَجْنَادُ مُتَوَافِرِينَ ، وَالْكِرَاعُ ^(٧) وَالسَّلَاحُ فَوْقَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ ابْنِ عَامِرٍ ^(٨) ، فَرَدَّ عَطَايَا الْجُنْدِ مُشَاهِرَةً بِقَبْضِ الْأَمْوَالِ عَلَى النَّطْعِ ^(٩) ، وَقَدَّمَ عَلَى الْأَرْضِ جُبَاةً يَجْبُونَهَا ، فَأَكَلُوا الرِّعَايَا ، وَاجْتَاخُوا أَمْوَالَهُمْ ^(١٠) وَاسْتَضَعُّوهُمْ ، فَتَهَارَوَتْ ^(١١) الرِّعَايَا وَضَعُفُوا عَنِ الْعِمَارَةِ ، فَقَلَّتِ الْجَبَايَاثُ الْمُتَرَفِّعَةُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَضَعُفَتِ الْأَجْنَادُ ، وَقَوِيَ الْعَدُوُّ عَلَى

(١) في « م » : « فاستيقظ لها المأمون » والضمير في « لها » يعود على الحكاية .

(٢) « أهل الإسلام » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) انتقاض : هدم وإفساد .. وفي « م » : « انتقاض » بالصاد المهملة ، أى : ذهاب .

(٤) مُقْطَعَةٌ : مملوكة .

(٥) يرفقون : يعاملون يرفق ولين جانب .

(٦) يربى التاجر تجارته : ينمىها ويزيدها .

(٧) الكِرَاع : الحبل .

(٨) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، من آل أبي عامر ، من ملوك الدولة العمارية في الأندلس ، أيام ملوك الطوائف ، بويغ بعد موت أبيه سنة ٤٥٢ هـ ، وسكن « بلنسية » وساعت سيرته ، فقبض عليه صهره صاحب « طليطلة » يحيى بن ذى النون غدرًا سنة ٤٥٧ هـ ، وأخرجه إلى مدينة « شنت بربه » فأقام بها سيرًا ، ثم توفى سنة ٥٠٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٦٠] .

(٩) يعنى : أنه منع عن الجند عطاياهم الراتبه التى كانوا يتقاضونها كل شهر ، وأثرها إلى النصف . والنطع ، بفتح النون المشددة وكسرهما ، من نطع اللقمة : إذا أكل منها جزءًا ثم ردها إلى الجوان .

(١٠) اجتاخوا أموالهم : نهبوا وأهلكوها .. وفي « م » : « واحتجبوا أموالهم » .

(١١) في « ط » : « تَهَارَوَتْ » .

بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أُخِذَ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَقْصِي وَأَمْرِ الْعَدُوِّ فِي
ظُهُورٍ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا الْمُتَلَثَّمُونَ ^(١) ، فَرَدُّوا الْإِقْطَاعَاتِ كَمَا كَانَتْ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، وَلَا
أُذْرَى مَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ .

(١) المتلثمون - أو المتلثمون : قوم من المغاربة ، كانت لهم في إفريقيا والأندلس دولة .. وفي « م » : « المسلمون »
تحريف .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي يَتِّ الْمَالِ

وَهَذَا بَابٌ سَلَكَتْ فِيهِ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسِّنْدِ ، وَبَعْضُ مُلُوكِ الرُّومِ خِلَافَ سِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، فَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَتَحْتَجِبُهَا دُونَ الرِّعْيَةِ ، وَتُعِدُّهَا لِيَوْمِ كَرِيهِهِ ^(١) عَلَى مَا بَيَّنَّا فِي الْبَابِ قَبْلَهُ . وَكَانَتْ الرُّسُلُ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُمْ تَبْذُلُ الْأَمْوَالَ وَلَا تَدْخِرُهَا ، وَتَصْطَفِي الرِّعْيَةَ ^(٢) وَتُوسِّعُ عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ الرِّعْيَةُ هُمْ الْأَجْنَادُ وَالْحِمَاةُ .

وَهَذِهِ سِيرَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ جُوعَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ شَبَعِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي صَاعِ شَعِيرٍ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، وَكَذَلِكَ ^(٣) الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَابْنُهُ الْحَسَنُ ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَأَنَّ النَّبِيَّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْيَمَنَ ، كَانَتْ ^(٥) تُجْبَى لَهُ الْأَمْوَالَ

(١) أى : تجهزها وتدخرها لتوابل الدهر ونوازع .

(٢) أى : تحسن إليها .

(٣) فى (م) : : وكانت مكان ذلك .

(٤) فى (م) : : وكان النبى ﷺ .

(٥) فى (م) : : كان .

فَيَفْرِقُهَا لِيُزِمَهَا ، وَقَدْ تَوَضَّعَ فِي الْمَسْجِدِ وَتَفَرَّشَ الْأَطْلَاحَ وَيَفْرِقُهَا مِنَ الْعِدِّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ مَالٍ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ حُجْرَتَهُ وَخَرَجَ مُسْرِعًا وَفِي يَدَيْهِ خُرْقَةً ^(٢) فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَسَّمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنُّ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ هَذَا عِنْدَهُ ؟ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) بَيْتٌ مَالٍ ، وَلَا لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْخُلَفَاءُ تَقْسِمُ الْأَمْوَالَ الَّتِي جُعِلَتْ مِنْ جِلَّتِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَبَّمَا ^(٤) يَفْضُلُ مِنْهَا فَضَلَاتٌ فَتُجْعَلُ ^(٥) فِي بَيْتٍ [أَوْ يَكُونُ بِالنَّاسِ عَنْهَا عَنَاءٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَتُحْصَلُ فِي بَيْتٍ] ^(٦) فَمَنْ حَضَرَ مِنْ غَائِبٍ ، أَوْ احْتِاجَ مِنْ حَاضِرٍ ، قُسِمَ ^(٧) لَهُ حِظُّهُ ، ثُمَّ يَفْرُقُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ مِنْهُ ذَرَمٌ . كَمَا رَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٨) أَشْرَفَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ وَفِيهِ مَالٌ ، فَقَالَ : يَا بَيْضَاءُ وَيَا حَمْرَاءُ ^(٩) ابْيَضِي وَاحْمَرِّي وَغَرِّي غَيْرِي . ثُمَّ أَمَرَ فَقُسِمَ جَمِيعُ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ قَبِيرَ ^(١٠) أَنْ يَكْنُسَهُ وَيُرْشُهُ ، ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى فِيهِ .

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ سَارُوا فِي الْأَمْوَالِ عَلَى نَحْوِ هَذِهِ السَّيِّرَةِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، وَمُلُوكِ الرُّومِ . وَمُعْظَمُ مَا أَهْلَكَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرُّومُ أَنَّ ^(١١) الرُّومَ الَّتِي

(١) فِي ط : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) الْخُرْقَةُ : تَصْغِيرُ « خِرْقَةٍ » وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوْبِ الْمَمْرُقِ .

(٣) فِي م : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) فِي م : : وَبِمَا كَانَ يَفْضُلُ .

(٥) فِي ط : : فَتُجْعَلُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ مِنْ م : : وَسَاقَطٌ مِنْ ط : : .. وَتُحْصَلُ : تُجْمَعُ .

(٧) فِي م : : فَقَسِمَ .

(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ط : : .

(٩) فِي م : : يَا حَمْرَاءُ « بِلَا عَطْفٍ .

(١٠) هُوَ خَادِمٌ عَلَى كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ [انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٤٠٠] .

(١١) فِي م : : « لَا » مَكَانَ « أَنْ » تَحْرِيفٌ .

كَانَتْ تُجَاوِرُنَا لَمْ يَكُنْ ^(١) لَهُمْ بُيُوتُ أَمْوَالٍ ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْجِزْيَةَ مِنْ سَلَاطِينِ
الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْكَنِيسَةَ فَيَقْسِمُهَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى رِجَالِهِ بِالطَّاسِ ، وَيَأْخُذُ مِثْلَ
مَا يَأْخُذُونَ ، وَقَدْ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْهَا . وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْطَلِعُونَ بِهَا الرِّجَالُ [وَكَانَتْ
سَلَاطِينُنَا تَحْتَاجُ الْأَمْوَالَ وَتُضَيِّعُ الرِّجَالُ] ^(٢) ، فَكَانَ لِلرُّومِ ^(٣) بُيُوتُ رِجَالٍ ،
وَلِلْمُسْلِمِينَ بُيُوتُ أَمْوَالٍ ، فَبِهِذِهِ الْخَلَّةِ ^(٤) قَهَرُونَا وَظَهَرُوا عَلَيْنَا .

وَكَانَ مَنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَلَا يَدْخِرُ الْأَمْوَالَ تُضَرَّبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ . وَيُقَالُ :
عَدُوُّ الْمَلِكِ بَيْتُ الْمَالِ ، وَصَدِيقُهُ جُنْدُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُهُمَا قَوَى الْآخَرُ ، وَإِذَا
ضَعُفَ بَيْتُ الْمَالِ بَيِّدَ لِلْحِمَاةِ ، قَوَى النَّاصِرُ وَاشْتَدَّ بِأَسُ الجُنْدِ ، وَقَوَى الْمَلِكُ ، وَإِذَا
قَوَى بَيْتُ الْمَالِ وَامْتَلَأَ بِالْأَمْوَالِ ، قَلَّ النَّاصِرُ ، وَضَعُفَتِ الْحِمَاةُ ، فَضَعُفَ الْمَلِكُ ،
فَوَبَسَتْ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مُشَاهَدَةً . وَإِذَا كَانَ الدَّفَاعُ فِي
الرِّجَالِ ^(٥) لَا فِي الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ بِالْأَمْوَالِ بِوَاسِطَةِ الرِّجَالِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ بَيْتَ
رِجَالٍ خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ مَالٍ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِإِبنِهِ : يَا بَنِي ، لَا تَجْمَعْ الْأَمْوَالَ لِتَتَّقَوْى بِهَا ^(٦) عَلَى
الْأَعْدَاءِ ، فَإِنَّ فِي جَمْعِهَا ثَقُوبَةَ الْأَعْدَاءِ - يَعْنِي ^(٧) إِذَا جَمَعْتَ الْأَمْوَالَ أَضْعَفْتَ الرِّجَالَ
- فَيُطْمَعُ فِيكَ الصَّدِيقُ ، وَيَثْبُ عَلَىكَ الْعَدُوُّ ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمَلِكِ فِي مَمْلَكَتِهِ مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ
بُسْتَانٌ فِيهَا عَيْنٌ مَعِينَةٌ ^(٨) ، فَإِنْ هُوَ قَامَ عَلَى الْبُسْتَانِ فَأَحْسَنَ تَذْيِيرَهَا [فَهَنْدَسَ

(١) في « ط » : « تكن » .

(٢) ما بين المقوقين عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٣) في « م » : « الروم » تحريف .

(٤) في « م » : « الحيلة » تحريف .

(٥) في « م » : « في الأموال » والأول أوجه .

(٦) في « م » : « لاجتمع المال لتقوى به » .

(٧) في « م » : « يعني أنك » .

(٨) عين مَعِينَةٌ : أى جارية ، والبستان هنا مؤنث على معنى الحديقة .

أَرْضَهَا] ^(١) ، وَغَرَسَ أَشْجَارَهَا [وَحَظَرَ عَلَى جَوَانِبِهَا ^(٢)] ، ثُمَّ أُرْسِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ ،
 اخْضَرَّ عُودُهَا ، فَقَوِيَتْ أَشْجَارُهَا ، وَأَتَيْتْ ثِمَارُهَا [وَرَكَتْ بَرَكَاتُهَا ^(٣)] ، فَكَانُوا جَمِيعًا
 فِي أَمَانٍ مِنَ الضَّيْعَةِ ، لَا يَخَافُونَ ^(٤) فَقَرَأُوا وَلَا شَتَاءًا . وَإِنْ هُوَ رَغِبَ فِي غَلَّتِهَا وَجَنَاهَا وَلَمْ
 يُتَّفَقِ فِيهَا مَا يَكْفِيهَا ، وَلَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَرِيهَا رَغِيَّةً فِي الْعُلَّةِ ، وَضَنَّةً ^(٥)
 بِالْمَالِ ، ضَعَفَتْ عِمَارَتُهَا ، وَدَقَّتْ أَشْجَارُهَا ^(٦) وَقَلَّتْ ثِمَارُهَا ، وَذَهَبَتْ غُلَّتُهَا ،
 وَمَحَقَ ^(٧) الدَّهْرُ مَا جَنَى مِنْ غَلَّتِهَا ، فَافْتَقَرَ الْقَوْمُ وَهَلَكُوا وَتَشَتَّتُوا . وَمِثَالُ الْمَلِكِ فِي
 جَمْعِ الْمَالِ لَيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ مِثْلُ طَائِرٍ يَتَّيْفُ رِيشَةً ، وَيَمَصُّ أُصُولَهَا ، وَيَأْكُلُ
 مَا نَعِمَ ^(٨) مِنْهَا ، فَلَدَّ لَهُ طَبِيبُهَا ، وَأَعْجَبَهُ خَصْبُ جِسْمِهِ عَلَى ذَلِكَ وَقُوَّتُهُ ^(٩) عَلَى
 عَدُوِّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَفَّ رِيشُهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَكَلَتْهُ الْهَوَامُّ
 وَالْحَشَرَاتُ .

وَرَأَيْتُ فِي أَخْبَارِ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّ وَزِيرَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَاقْتِنَاءِ الْكُنُوزِ ،
 وَقَالَ : إِنَّ الرِّجَالَ ، وَإِنْ تَفَرَّقُوا عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَمَتَى اخْتَجَجْتَهُمْ ^(١٠) عَرَضْتُ عَلَيْهِمُ
 الْأَمْوَالَ فَتَهَاقُوا عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : هَلْ لِهَذَا مِنْ شَاهِدٍ ^(١١) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَلْ
 يَحْضُرُنَا السَّاعَةَ ذُبَابٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَمُرُ بِإِخْضَارِ جَفْنَةٍ فِيهَا عَسَلٌ ، فَحَضَرْتُ ،
 فَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا الذُّبَابُ لِوَقْتِهَا ، فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ ^(١٢) ، فَتَهَاهُ عَنْ

(١) مابين الموقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » في كل ما يأتي .

(٢) أى : حَوَّطَ عَلَيْهَا ، مِنَ الْخَطَرِ ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ حَظَرَ بَيْنَ شَيْعَيْنِ ، كَالْحَائِطِ .

(٣) في « م » : « فَرَكَتْ ثِمَارُهَا » أى : تَمَّتْ وَزَادَتْ .

(٤) في « ط » : « وَلَا يَخَافُونَ » .

(٥) في « م » : « ظَنَّةٌ » تحريف .

(٦) دَقَّتْ أَشْجَارُهَا : صَارَتْ رَفِيعَةً ضَعِيفَةً ، عَكْسَ غُلُظَتْ .. وفي « م » : « رَقَّتْ » وهى بمعناها .

(٧) مَحَقَ : أَبَادَ وَأَهْلَكَ .

(٨) نَعِمَ : طَابَ وَرَفَقَ .. وَلَدَّ : صَارَ شَيْئًا .

(٩) في « م » : « وَأَعْجَبَهُ خَصْبُ جِسْمِهِ وَقُوَّتُهُ » .

(١٠) في « م » : « اخْتَجَجْنَاهُمْ » .

(١١) في « م » : « فَقَالَ لِلْمَلِكِ : هَلْ لَدُنْكَ مِنْ دَلِيلٍ » . وفيها : « يَحْضُرُنَا » مكان « يَحْضُرُنَا » .

(١٢) في ذلك « عن « ط » .

ذَلِكَ وَقَالَ : لَا تُغَيِّرْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَدْتُهُمْ حَضَرُوا . فَسَأَلَ ^(١) : هَلْ لِدَلِّكَ مِنْ دَلِيلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا أَمْسَيْنَا سَأَخْبِرُكَ . فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ قَالَ لِلْمَلِكِ : هَاتِ الْجَفَنَةَ ، فَحَضَرَتْ ، وَلَمْ تَحْضَرْ ذُبَابَةً وَاحِدَةً .

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سِيرَةِ بَعْضِ السَّلَاطِينِ فِي أَرْضِ مِصْرَ - وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا ، وَكَانَ اسْمُهُ بِلْدَقُورَ - أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ وَلَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ ، وَهُوَ يَتَوَاعَدُكَ وَكَأَنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْكَ ^(٣) ، فَاسْتَعِدِ الرِّجَالَ ^(٤) ، وَأَلْفِقْ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ . فَأَوْمَأَ إِلَى صَنَادِيقِ مَوْضُوعَةٍ عِنْدَهُ وَقَالَ : الرِّجَالُ فِي الصَّنَادِيقِ ^(٥) . فَعَزَا أَمِيرُ الْجِيُوشِ ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي مِصْرَ وَقَتْلَهُ ، وَتَسَلَّمَ الصَّنَادِيقَ وَالْمَلِكُ ، فَكَانَ رَأْيُهُ رَأْيًا فَاسِدًا ، لِأَنَّ رِجَالًا يُقِيمُهُمْ لَوَفِّيهِ وَيَصْطَلِعُهُمْ لِحَاجَةٍ ^(٦) ، إِنَّمَا يَكُونُونَ أَخْيَافًا مُجْمَعِينَ ^(٧) ، وَشِرْذِمَةً مُلَفَّقِينَ ، لَيْسَ فِيهِمْ غَنَى ^(٨) ، وَلَا عِنْدَهُمْ دِفَاعٌ وَلَا مُمَارَسَةٌ لِلْحُرُوبِ .

وَمِنَ السَّيْرِ الْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ ، أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَتْ الْعِرَاقُ ، جِئَ بِالْمَالِ إِلَى عَمَرَ ^(٩) ، فَقَالَ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ : أَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ ؟ فَقَالَ : لَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، لَا يُؤْزِي نَحْتٌ سَفِيفٌ بَيْتٌ حَتَّى تُقْسِمَهُ ، فَعُطِيَ فِي الْمَسْجِدِ بِالْأَنْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرِجِدِ

(١) فِي « م » : « قَالَ » .

(٢) لَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ : لَا يَمِيلُ أَوْ لَا يَمْنَى بِهِمْ .

(٣) أَى : وَكَأَنَّهُ عَاهَدَ عَلَى أَنْ يَوَافِكَ فِي وَقْتٍ أَوْ مَوْضِعٍ مَعِين .

(٤) فَاسْتَعِدِ الرِّجَالَ ، أَى : اسْتَعِينَ وَاسْتَعْتَبَ بِهِمْ .

(٥) فِي « م » : « وَقَالَ لِلرِّجَالِ » . وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « وَتَسَلَّمَ الصَّنَادِيقَ » عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « لِحَاجَتِهِ » .

(٧) أَخْيَافًا ، أَى : رِجَالًا مُخْتَلَفِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَشْكَالِ .. وَفِي « ط » : « أَجْنَادًا مُجْمَعِينَ » .

(٨) فِي « ط » : « عَنَاءَ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَرَبَّمَا يَرِيدُ بِهَا عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَشَقَّةِ .

(٩) فِي « م » : « عَمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وَالَّذُرُّ يَتْلُوهُ ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ ^(١) أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا هَذَا ^(٢) يَزِيحُ بِكَأَيِّ ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَ شُكْرِ وَسُرُورٍ . فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتُ ، وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَثُرَ هَذَا فِي قَوْمٍ إِلَّا وَقَعَ بِأُسْهُمَ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَبِيلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَلْزَجًا ، فَأَتَى أَسْمَعَكَ ^(٣) تَقُولُ : « سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : آمِينَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشِمٍ ^(٥) ، فَأَتَى بِهِ أَشْعَرَ الدَّرَاعِينَ دَفِيقُهُمَا ، فَأَعْطَاهُ سِوَارِي كِسْرَى وَقَالَ : الْبِسْهُمَا . فَفَعَلَ . فَقَالَ : قُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَالْبِسْهُمَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشِمٍ أَغْرَابِيًّا مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ ، ثُمَّ قَبْلَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ الَّذِي أَدَّى هَذَا لِأَمِيرٍ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنَا أَخِيرُكَ ، أَنْتَ أَمِيرُ اللَّهِ تَعَالَى [وَهُمْ يُؤَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَدَيْتَ لِلَّهِ تَعَالَى] ^(٦) ، فَإِذَا رَغَبْتَ رَكْعُوا . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَإِنَّمَا الْبِسْهُمَا سُرَاقَةُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسُرَاقَةَ ^(٧) وَنَظَرَ إِلَى ذِرَاعِيهِ : كَأَنِّي بِكَ قَدْ ^(٨) لَبِسْتَ سِوَارِي كِسْرَى . وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ إِلَّا السَّوَاتِينِ .

(١) في « م » : « فقال له عبد الرحمن بن عوف » ولم يرد فيها اسم العباس .

(٢) في « م » : « ما هو » .

(٣) في « م » : « سمعتك » أي : في القرآن الكريم .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية ١٨٢ .. وسورة القلم ، من الآية ٤٤ .

(٥) هو : سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشِمٍ الْمُدَلِجِيُّ الْكِنَانِيُّ ، أَبُو سَفِيانٍ ، شَاعِرٌ ، كَانَ يَنْزِلُ « قَدِيدًا » - مَوْضِعٌ بِقَرَبِ مَكَّةَ - وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَاتِفًا يَقْتَصِ الْأَمْرَ ، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو سَفِيانٍ لِقَتَافِ أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ خَرَجَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَفَاصَتْ أَقْدَامُ فَرَسِهِ فِي الرِّمَالِ ، وَسَقَطَ عَنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَاعِمٌ مِنْ مَتَابِعَتِهِمَا وَقَالَ لَهَا : « وَاللَّهِ لَا أُرِيكُمْ وَلَا يَأْتِيَكُمَا مِنْ شَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ .. وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ : « كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارِي كِسْرَى وَمِنْطَقَتَهُ وَتَاجَهُ » . فَلَمَّا أَتَى عَمْرَ بِسِوَارِي كِسْرَى وَمِنْطَقَتَهُ وَتَاجَهُ دَعَا سُرَاقَةَ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهَا . وَتَوَفَّى سُرَاقَةُ سَنَةَ ٢٤ هـ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَانَ ، وَضَى اللَّهُ عَنْهُ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٠ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ ، وثمار القلوب ص ١٢٠] .

(٦) ما بين المقوسطين عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٧) قوله : « قال لسُرَاقَةَ » سقط من « ط » .

(٨) في « م » : « وقد » .

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، فَصُبُّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَ مُتَادِيًا فَنَادَى ^(١) : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ ^(٢) فَلْيَحْضُرْ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ^(٣) : فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ جَاعَنِي ^(٤) مَالٌ أُعْطَيْتَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، وَأَشَارَ بِكَفِّهِ ، فَسَكَتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَنْصَرَفْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي ، ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ ، وَعَاوَدْتُهُ فَقُلْتُ : إِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْحَلَ عَنِّي ^(٥) . فَقَالَ : مَا أَبْهَلُ عَنكَ ، اذْهَبْ فَخُذْ . فَحَفَنْتُ حَفْنَةً ^(٦) قَالَ : عُدَّهَا ، فَقَعَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ فِيهَا خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : عُدَّ بِمِثْلَيْهَا ، فَقَعَدْتُ مِثْلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ^(٧) . وَأَبُو أَيُّوبَ مِنَ أَغْنِيَاءِ الْأَنْصَارِ ^(٨) ، وَهُوَ نَزِيلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، وَذَلَّ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يُسَاوَى فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ ذَلِكَ ، مُوَكَّلٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ .

(١) في « ط » : « وأمر فتادى » .

(٢) عِدَّةٌ : وَعِدَّةٌ مَنَاهُ بِهِ .

(٣) هذا الحديث ورد في البخارى ، والقال هو « جابر بن عبد الله » وليس أبا أيوب الأنصارى .. انظر فتح البارى ج ٦ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٤) في « ط » : « قال لي : لو قد جاعني » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عَلَيَّ » . والأول أَوْجَحُ ، وهو موافق لما ورد في البخارى .. وقال تعالى في سورة محمد ، الآية ٣٨ : « وَمَنْ يَخُلْ فَلَمَّا يَخُلْ عَنْ نَفْسِهِ » .

(٦) هكذا في « ط » .. أى : أَخَذْتُ يَدَهُ كَفْتِي .. وفي « م » : « اذْهَبْ فَخُذْ حَفْنَةً » وما ورد في « ط » موافق لما ورد في الحديث الأتى .

(٧) من قوله : « قَالَ : عُدَّ بِمِثْلَيْهَا ... » إلى هنا عن « م » ولم يرد في « ط » .. وقد ورد في الحديث .

(٨) تقدم في الهامش رقم (٣) أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ حَدَّثَ لُجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ لِأَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ .. وَأَبُو أَيُّوبَ هَذَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلْبِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا إِلَى أَنْ بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ .. وَقَدْ شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ الْعُقَيْبَةَ ، وَبَدْرًا ، وَاحِدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْ خَاصَّتِهِ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ يَوْمَ الْبَهْرَوَانِ ثُمَّ غَزَا - أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ - أَرْضَ الرُّومِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ٥١ هـ ، وَتَوَفَّى عِنْدَ مَدِينَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٥ ، ٢٦] .

فصل

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابِ قِبْطِيٍّ بِاللُّغَةِ الصَّعِيدِيَّةِ ، مِمَّا ثَقُلَ ^(١) بِالْعَرَبِيَّةِ مَبْلَغٌ مَا كَانَ يُسْتَحْرَجُ لِغِرْعَوْنَ يُوسُفَ مِنْ أَمْوَالِ مِصْرَ بِحَقِّ الْخَرَاجِ ، مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ وَجُوهِ الْجَبَابِيَةِ لِغِرْعَوْنَ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ، وَالرُّسُومِ الْجَارِيَةِ مِنْ غَيْرِ اضْطِهَادٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ ، وَيُعَدُّ وَضْعُ مَا يَجِبُ وَضْعُهُ لِحَوَادِثِ الزَّمَانِ ، نَظَرًا لِلْعَامِلِينَ ، وَتَقْوِيَةً لِحَالِهِمْ ^(٢) ، مِنْ الْعَيْنِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَمِنْ ^(٣) ذَلِكَ مَا يَنْصَرَفُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ لِحَفْرِ الْخُلُجِ ^(٤) وَالْأَنْفَاقِ عَلَى الْجُسُورِ ، وَسَدِّ التَّرْعِ ، وَإِصْلَاحِ الْمُنَشَّاتِ ، ثُمَّ فِي تَقْوِيَةِ ^(٥) مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوِيَتِهِ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ عَلَيْهِ بِهَا لِإِقَامَةِ الْعَوَامِلِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْبِدَارِ ^(٦) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَاتِ ، وَأَجْرَةٌ مَنْ يُسْتَعَانُ ^(٧) بِهِ لِحِمْلِ الْبِدَارِ ، وَسَائِرِ نَفَقَاتِ تَطْبِيقِ الْأَرْضِينَ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَلَمَّا يَنْصَرَفُ فِي أَرْزَاقِ الْأَوْلِيَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالسَّلَاحِ ، وَمَنْ فِي جُمْلَتِهِمْ مِنَ الشَّادِيَةِ ^(٨) وَالْعِلْمَانِ وَأَشْيَاعِهِمْ ، وَعِدَّةٌ جَمِيعِهِمْ - مَعَ أَلْفِ كَاتِبِ مَوْسُومِينَ بِالْذَّوَابِينِ ، سِوَى أَثْبَاعِهِمْ مِنَ الْخُرَّانِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ - مِائَةُ أَلْفٍ وَأَحَدٍ ^(٩) عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةُ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ^(١٠) ، وَلَمَّا يَنْصَرَفُ

(١) في « م » : « بما ثقل » .. ويريد بقوله « باللغة الصعيدية » أنه كتب بلهجة قبطة صعيدية .. واللغة القبطية تطور في اللغة المصرية القديمة ، وكانت اللغة المستعملة في جهود المسيحية الأولى .

(٢) في « م » : « بمالهم » .

(٣) في « ط » : « من » بلون الواو .

(٤) الخُلُج : جمع خليج ، وهو الثَّهِيرُ يقطع من النهر الكبير إلى جهة يَنْتَفِعُ به .. وفي « ط » : « لحفر الخليج » بالإنفراد .

(٥) في « ط » : « ثم تقوية » .

(٦) الْبِدَارُ : بكسر الباء ، جمع بذر وهو كل خب يُزرع في الأرض .

(٧) في « م » : « ما يستعان به » .

(٨) من الشادية : المغنين أو الحداة .. وفي « م » : « من الشاكزية » ويريد بهم : الفلمنان أو الرعاة الصغار .

(٩) في « م » و « ط » : « إحدى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(١٠) في « م » : « ثمانية ألف دينار » .

لِلْأَرَامِلِ ^(١) وَالْأَيْتَامَ يَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ تَيْتِ الْمَالِ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُحْتَاجِينَ ، حَتَّى لَا يَحُلُوْا
 أَمْثَالَهُمْ مِنْ بَرِّ فِرْعَوْنَ ، أَنْعِمَائَةِ آلِفِ دِينَارٍ ، وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي كَهَنَةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) وَسَائِرِ
 نُبُوتِ صَلَوَاتِهِمْ مِائَتَا آلِفِ دِينَارٍ ^(٣) وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي الصَّدَقَاتِ مِثْلًا يُصْبُ صَبًّا ،
 وَيُنَادَى : بَرِّتِ الذَّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ كَشَفَ وَجْهَهُ لِفَاقَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ ^(٤) ، فَيَحْضُرُ لِذَلِكَ مَنْ
 يَحْضُرُ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدٌ ^(٥) ، وَالْأَمْثَاءُ جُلُوسٌ ، فَإِذَا رَأَوْا إِنْسَانًا لَمْ يُجَرَ رَسْمُهُ بِأَنْ يَأْخُذَ ،
 أَفْرَدُوهُ ^(٦) بَعْدَ قَبْضِهِ مَا قَبَضَهُ ، حَتَّى إِذَا فُرِقَ الْمَالُ ، وَاجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَدَدٌ ،
 دَخَلَ أَمْثَاءُ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِ وَهَنُوهُ بِتَفْرِيقَةِ الْمَالِ ، وَدَعَوْا ^(٧) لَهُ بِطَوِيلِ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامِ الْعِزِّ ^(٨)
 وَالسَّلَامَةِ ، وَالْأَهْلَى إِلَيْهِ حَالُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، فَيَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ شَعْنِهَا ^(٩) بِالْحَمَامِ وَاللِّبَاسِ ، ثُمَّ
 يُنَادِ السَّمَاطُ فَيَأْكُلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْتَعْلِمُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ سَبَبَ فَاقَتِهِ ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ مِنْ آفَةِ الزَّمَانِ رَدَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا كَانَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ رَأْيٍ ^(١٠)
 وَتَدْبِيرٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ ، ضَمَّهُ إِلَى مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُهُ بِالْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا
 يَصْلُحُ إِلَّا بِهَا ^(١١) ، مِائَتَا آلِفِ [دِينَارٍ] ^(١٢) . وَلَمَّا يَنْصَرِفُ مِنْ تَفَقَّاتِ فِرْعَوْنَ الرَّائِيَةِ
 لِسِتِّيهِ مِائَتَا آلِفِ دِينَارٍ ، تُكُونُ التَّفَقَّاتُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهَا تِسْعَةَ آلَافِ آلِفِ

(١) في م : : في الأراميل .

(٢) أى : هياكلهم ومعابدهم .. وفي م : : في تراثهم ، تحريف .

(٣) في م : : مائة ألف دينار .

(٤) في م : : إلا حضر . . والفاقة : الفقر والحاجة .

(٥) في م : : أحداً ، أى : ولا يرد الأمن أحداً . بالبناء للمعلوم .

(٦) أى : عزله بمفرده .. وفي م : : فرَّد ، أى أعيد .

(٧) في م : : ودعا ، بالإنفراد ، والسياق يتطلب الجمع .

(٨) في م : : ودوام النعماء .. . وفي المستطرف : ودوام العز والنعماء والسلامة .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٣] .

(٩) أى : بتغيير هيتهم ومظهرهم غير اللائق .

(١٠) في م : : وإن كان سوء رأي .

(١١) في م : : إلى أن يصلح .

(١٢) هكذا في م : : و ط ، وما بين المعرفتين عن ط .

وَتَمَاتِمَاتَةِ الْآلِفِ دِينَارٍ . وَيَحْصُلُ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَتَسَلَّمُهُ يُوسُفُ الصَّدِيقُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَحْصُلُهُ لِفِرْعَوْنَ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِتَوَاتِبِ الزَّمَانِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَقَالَ أَبُو رُفَيْمٍ : كَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ ، أَرْضًا مُدْبِرَةً ^(٢) حَتَّى إِنْ الْمَاءَ لَيَجْرِي نَحْتَ مَنَازِلِهَا وَأَفْنِيَّتِهَا ، فَيَحْسِبُونَهُ كَيْفَ شَاءُوا ، وَيُرْسِلُونَهُ ^(٣) كَيْفَ شَاءُوا ، وَذَلِكَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ^(٤) . وَكَانَ مُلْكُ مِصْرَ عَظِيمًا ^(٥) ، لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ ^(٦) مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ الْجَنَاطُ بِحَافَتِي النَّيْلِ مُتَّصِلَةً ، لَا يَنْقَطِعُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَالزُّرْعُ كَذَلِكَ مِنْ أَسْوَانٍ إِلَى رَشِيدٍ ، وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ كُلُّهَا تُرَوَّى مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا لِمَا دَبَرُوا ^(٧) فِي جُسُورِهَا وَخَافَاتِهَا ، وَالزُّرْعُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ أُولَاهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُدُّوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَالْكِهِينَ » ^(٨) . وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ : الْمَنَابِرُ ، وَكَانَ بِهَا أَلْفُ مَنِيرٍ ^(٩) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ^(١٠) : اسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجٍ

(١) بِحْصَلٍ : يَبْقَى .

(٢) مُدْبِرَةٌ : كَثِيرَةُ الْمَيَاةِ .

(٣) فِي « ط » : « فَيَحْسِبُوهُ .. وَيُرْسِلُوهُ » وَلَا وَجْهَ لَهَا ، فَالْفَاءُ هُنَا لَيْسَتْ لِلْسَبَبَةِ .

[وَانْظُرِ الْمُسْتَطَرَفَ ج ١ ص ٢٤٣]

(٤) - سُورَةُ الزَّخْرَفِ ، مِنَ الْآيَةِ ٥١ .

(٥) فِي « م » : « مُلْكًا عَظِيمًا » .

(٦) فِي « م » : « مُلْكًا أَعْظَمُ » بِالنَّصْبِ ، وَلَا تَنْصَحُ .. وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ - الْبَابُ السَّابِقُ : « وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْهُ مُلْكًا » .

(٧) دَبَرُوا : نَظَّمُوا وَاعْتَمَدُوا .

(٨) سُورَةُ الدُّخَانِ ، الْآيَاتُ مِنْ ٢٥ - ٢٧ .

(٩) الْمَنِيرُ : كُلُّ مُرْتَفِعٍ يَرْتَفِعُ . وَالْمُرَادُ بِالْمَنَابِرِ هُنَا : الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ ، أَوْ الْمَنَازِلُ الْحَسَنَةُ .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » وَالْمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٢٤٤ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو » تَحْرِيفٌ .. وَفِي مَعْجَمِ

الْبُلْدَانِ - مَادَّةُ « سَرْدُوسٌ » تَقَالُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ : أَنَّهُ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ . وَهُوَ الْأَرْجَحُ .. وَلَعَلَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو

رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ .

سَرْدُوسٌ^(١) ، فَأَخَذَ فِي حَفْرِهِ وَتَدْيِيرِهِ ، فَجَعَلَ أَهْلَ الْقَرْيَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجَرِيَ الْخَلِيجَ تَحْتَ قَرْيَتِهِمْ وَيُعْطُوهُ مَالًا ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ ، مِنْ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَمِنْ الشَّمَالِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَيْسَ فِي مِصْرَ خَلِيجٌ أَكْثَرُ عُطُوفًا^(٢) مِنْهُ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ ، عَظِيمَةٌ ، فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِالْحَبْرِ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يَقْطِفَ عَلَى عِبِيدِهِ ، وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ ، وَلَا يَرْغَبَ فِيمَا بَأْيَدِيهِمْ ، رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَ مَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ .

فَهَذِهِ سِيرَةُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ ، وَلَا يَرْجُو لِقَاءَهُ ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُكُونَ سِيرَةُ مَنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُوقِنُ بِالْحِسَابِ وَالْقَابِ وَالْعِقَابِ^(٣) ؟

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾^(٥) ، قَالَ : هِيَ خَزَائِنُ مِصْرَ ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ فَرَسَخًا^(٦) فِي مِثْلِهَا . وَلَمْ يُطْعَمْ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ وَيُخْلَقْ وَيُنَبَّ^(٧) عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ^(٨) فَأَسْلَمَ ، فَحَبِطَ قَالَ : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ .

[انظر ترجمة عبد الله بن عمرو في الأعلام ج ٤ ص ١١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٩٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٧٣ ، وغيرها من الصفحات ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥١] .

(١) كانت خلجان مصر سبعة ، على جوانبها الجنات ، ومنها خلج سَرْدُوسَ هذا .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٠] .

(٢) العُطُوفُ : الميل والانحناء .

(٣) في « م » : « سورة من يؤمن بالحساب ويقول : « لا إله إلا الله » .

(٤) في « م » : « عنه » .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٥٥ .

(٦) أى : وكانت مصر أربعين فرسخاً في مثلها .. كذا وردت في المستطرف - ج ١ ص ٢٤٤ - والفرسخ : مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال .

(٧) في « م » و « ط » : « ينوب » لاتصح ، معطوفة على مجزوم .

(٨) هكذا في « ط » : والمستطرف .. وفي « م » : « السلام » تحريف .

وَلَمَّا اسْتَوْنِي أَمْرُ يُوسُفَ الصَّدِّيقِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَكَمَلَ ، وَصَارَتْ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ ،
وَأَرَادَ رَبُّكَ ^(٢) أَنْ يُعْرِضَهُ عَلَى صَبْرِهِ لَمَّا لَمْ يَرْجُبْ ^(٣) مَحَارِبَهُ ، وَحَلَّتْ سِنُو الْفَلَاءِ ^(٤)
وَالْجُوع - مَاتَ الْعَزِيزُ ، وَذَهَبَتِ الدَّخَائِرُ ، وَافْتَقَرْتُ « زُلَيْخَا » وَعَمِيَ بَصَرُهَا ،
وَجَعَلْتُ تُكْكَفُ النَّاسَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهَا : لَوْ تَعْرِضِينَ لِلْمَلِكِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكَ وَيُعِينِكَ ،
فَطَالَمَا حَفِظْتَنِيهِ وَأَكْرَمْتَنِيهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَتَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِ
مِنَ الْمُرَاوَدَةِ وَالْحَبْسِ فَيَسِيءَ إِلَيْكَ وَيُكَافِلَكَ فِيمَا سَبَقَ مِنْكَ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَنَا أَعْلَمُ
بِحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ .

وَوَجَلَسْتُ لَهُ عَلَى رَأِيَّةٍ فِي طَرِيقِهِ يَوْمَ خُرُوجِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ فِي زَهَامٍ مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ
عُظَمَاءِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ قَامَتْ وَقَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمُلُوكَ
غِيْدًا بِمَعْصِيَتِهِمْ ، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ مُلُوكًا بِطَاعَتِهِمْ ^(٦) . فَقَالَ يُوسُفُ : مَنْ ^(٧) أَنْتِ ؟
قَالَتْ : أَنَا الَّتِي كُنْتُ أَغْدِمُكَ عَلَى صُدُورِ قَدَمِي ^(٨) ، وَأُرْجُلُ جُمُتَكَ ^(٩) يَدَيَّ ،
وَأَكْرِمُ مَثْوَاكَ ^(١٠) بِجَهْدِي ، وَكَانَ مِنِّي مَا كَانَ ، وَقَدْ ذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي ^(١١) ، وَذَهَبَتْ
قُوَّتِي ، وَتَلَفَ مَالِي ، وَعَمِيَ بَصَرِي ، وَصِرْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ ، فَجَنَّهُمْ مَنْ يَرْحَمُنِي وَمِنْهُمْ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٢) « رَبُّكَ » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) في « ط » : « يَرْكَب » لعله خطأ مطبعي .

(٤) في « م » : « وجابت » مكان « وحلت » وسنو الفلاء : السنون التي حصل فيها الفلاء .

(٥) تُكْكَفُ النَّاسَ : تطلب عطاياهم .

(٦) في « م » : « سبحانه من جعل للعبيد ملوكاً بطاعتهم ، وجعل للملوك عبيداً بمحضيتهم » بتقديم الجملة الثانية على الأولى .

(٧) في « ط » : « وَمَنْ » .

(٨) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المستطرف : « أغدملك بنفسي » .

(٩) أُرْجُلُ جَمَتِكَ : أَسْرَحُ وَأَزِينُ شعر رأسك .

(١٠) في « ط » : « مسواك » خطأ .. وأكرم مثواك : أجعل مقامك عندنا كريماً .

(١١) في « ط » : « وَذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي » أي : سوء عاقبتني .

مَنْ لَا يَرْحَمُنِي ، وَبَعْدَمَا ^(١) كُنْتُ مَعْبُودَةً أَهْلَ مِصْرَ كُلَّهَا صِرْتُ ^(٢) مَرْحُومَتَهُمْ ، بَلْ
مَتْحَرُومَتَهُمْ .. هَذَا جَزَاءُ الْمُفْسِدِينَ .

فَبَكَى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا : هَلْ بَقِيَ فِي قَلْبِكَ مِنْ حُبِّكَ إِيَّايَ
شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ : وَالَّذِي اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، لَنَظَرَةٍ إِلَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ
ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَمَضَى يُوسُفُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنْ كُنْتَ أَيْمًا ^(٤)
تَزُوجُنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ ذَاتَ بَغْلٍ أَغْنَيْتَاكَ . فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : الْمَلِكُ ^(٥) أَعَرَفَ بِاللَّهِ مِنْ
أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِي ، هُوَ لَمْ يُرْذِنِي ^(٦) فِي أَيَّامِ شَبَابِي وَجَمَالِي ، فَكَيْفَ يَقْبَلُنِي وَأَنَا عَجُوزٌ
عَمِيَاءُ فَقِيرَةٌ ؟ فَأَمَرَ ^(٧) بِهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَهَّزَتْ ، فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَدْخَلَتْ ^(٨)
عَلَيْهِ فَصَفَ قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يُصَلِّي ، وَدَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، فَردَّ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) عَلَيْهَا
شَبَابَهَا وَجَمَالَهَا وَبَصَرَهَا ، كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ رَاودَتْهُ ، فَوَاقَعَهَا فَإِذَا هِيَ بِكَرٍّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ
أَفْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ ، وَمَيْثَا بْنَ يُوسُفَ ^(١٠) ، وَطَابَ فِي الْإِسْلَامِ عَيْشُهُمَا حَتَّى فَرَقَ الذَّهْرُ
بَيْنَهُمَا .

فَجِبَ لِلْقَوِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الضَّعِيفَ ، وَلِلْعَنِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الْفَقِيرَ ، قَرَّبَ مَطْلُوبُ
يَصِيرُ طَالِبًا ، وَمَرْغُوبُ إِلَيْهِ يَصِيرُ رَاغِبًا ، وَمَسْتَوْفٍ يَصِيرُ سَائِلًا ، وَرَاجِمٌ يَصِيرُ
مَرْحُومًا ، فَهَذَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أُنْظِرْ إِلَى ضَعْفِهِ فِي يَدِ إِخْوَتِهِ يَوْمَ الْحُبِّ ،

(١) فِي د م و ط : : عَنَّمَا ، يَدُون الْوَاو ، وَهِيَ هُنَا عَنِ الْمُسْتَطَرَفِ .

(٢) فِي د م : : لَقَصِرْتُ ، وَمَعْبُودَةٌ يَتَمَنَّى النَّاسُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ د م .

(٤) أَيْمًا : بِلا زَوْجِ .

(٥) فِي د م : : فَقَالَتْ لِرَسُولِ الْمَلِكِ .

(٦) يُرْذِنِي : يَطْلُبُنِي مِنْ رَأْدِ الشَّيْءِ ، إِذَا طَلَبُهُ .

(٧) فِي د م : : وَأَمَرَ .

(٨) فِي د م : : وَدَخَلَتْ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ د ط .

(١٠) هَكَذَا فِي د م و ط : : وَالْمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِابْنِ كَثِيرٍ : : أَفْرَاهِمُ ، أَوْ أَفْرَاهِيمُ ، وَالْأُخْرَى

بِالْتَّاءِ ، وَ : : مَنْسَا ، بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

وَجَاءَ فِيهَا سَبَبُ بَكَارِعَتِهَا ، بِأَنْ زَوَّجَهَا - قَبْلَ يُوسُفَ - كَانَ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ .

[انْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ ، ص ٢٢٥]

ثُمَّ خَفَعْنَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الصَّاعِ ، وَهَذِهِ زُلَيْخَا مَلِكَةُ مِصْرَ وَسَيِّدَةُ أَهْلِهَا عَادَتْ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ فِي الطَّرِيقَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْزَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَكَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ ^(١) . فَكَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذَا يَجُوعُ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَلَا يَشْبَعُ . فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ ^(٢) : أَتَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ .

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحَقَّ يَنْقَبِيهِ ^(٣) فِي مِثْلِهَا يَتَنَافَسُ الْمُقَلَّاءُ ، وَيَرْغَبُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ ، وَذَلِكَ أَتَى لَمَّا كُنْتُ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلِكِ ^(٤) ، وَالْعَالِبُ عَلَى أَهْلِيهِ « خَوَاجَا بَزْرَك » ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] قَدْ وَزَرَ ^(٦) لِأَبِي الْفَتْحِ مَلِكِ التُّرْكِ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

(٢) في « ط » : « قَالَ » .

(٣) الْمُتَنَبِّئَةُ : الْمُفْصَّرَةُ وَالْفِعْلُ الْكَرِيمُ .

(٤) هو : الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، أبو علي ، الملقب بقوام الدين نظام الملوك .. وزير حازم ، متدين ، عالي الهمة ، أصله من نواحي طوس ، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بالأعمال السلطانية ، فاتصل بالسلطان ألب أرسلان ، فاستوزره ، فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، وبعد أن مات ألب أرسلان خلفه ولده ملك شاه ، وفي عهده صار الأمر كله لنظام الملوك ، وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، فبهر العقول بسميته ، وكان جوداً كريماً ، ويبالغ في الخضوع للصالحين ، وكان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وازدهرت في أيامه دولة العلم .. وقُتِلَ - رحمه الله - في رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، قُتِلَ دهلي شيلة . وكان مولده سنة ٤٠٨ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤ - ٩٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨ - ١٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، والكمال لابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٤٨٥ وصفحات أخرى متفرقة ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، ودول الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٣ ، وپيران والعراق في العصر السلجوقي ص ٨١ وما بعدها] .

(٥) في « م » : « خَواجَا بَرزَك » تحريف .. وفي « ط » : « بَرزَك » وأهلكت جميع المصادر السابقة هذا اللقب وذكرت لقب « قوام الدين » . و « خَواجَه » كلمة فارسية تعني : الأستاذ أو العالم أو الحاكم .. وكلمه « بَزْرَك » التي أثبتناها هنا بالإحصام معناها : العظيم أو الجليل أو الرئيس .

[انظر قاموس الفارسية د . عبد النعيم حسنين ص ١٠٣ وص ٢٢٢]

(٦) ما بين المقوفتين عن « ط » .. وَوَزَرَ : صار وزيراً .

ابن ألب أرسلان^(١) ، وَكَانَ قَدْ وَزَرَ لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَقَامَ بِتَوَلِّيهِمَا أَحْسَنَ قِيَامٍ ، فَشَدَّ أَرْكَائَهَا ، وَشَدَّ بَنِيَّانَهَا ، وَاسْتَمَالَ الْأَعْدَاءَ ، وَوَالَى الْأَوْلِيَاءَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْكُفَاةَ ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْعُلُوَّ وَالصَّدِيقَ ، وَالنَّبِيضَ^(٢) ، وَالْحَبِيبَ ، وَالْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، حَتَّى أَقَى الْمُلُوكَ بِجَرَائِهِ^(٣) ، وَذَلَّ الْخُلُقَى لِسُلْطَانِيهِ ، وَكَانَ الَّذِي مَهَّدَ لَهُ ذَلِكَ يَأْذِنُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ ، أَنَّهُ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى مُرَاعَاةِ حَمَلَةِ الدِّينِ^(٤) فَبَنَى دُورَ الْعِلْمِ لِلْفُقَهَاءِ ، وَأَثْنًا الْمَدَارِسَ لِلْعُلَمَاءِ ، وَأَسَسَ الرِّبَاطَاتِ^(٥) لِلْعَبَادِ وَالزُّهَادِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَقَرَاءِ ، ثُمَّ أُجْرَى لَهُمُ الْجَرَائِيَاتِ وَالْكَسَا^(٦) وَالنَّفَقَاتِ ، وَأُجْرَى الْخَيْرَ وَالرِّزْقَ^(٧) لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّلَبِ لِلْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى أَرْزَاقِهِمْ ، وَعَمَّ بِذَلِكَ سَائِرَ أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوَائِلِ الشَّامِ - وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِلَى سَائِرِ الشَّامِ الْأَعْلَى ، وَدِيَارِ بَكْرِ ، وَالْعِرَاقَيْنِ ، وَخُرَاسَانَ بِأَقْطَارِهَا ، إِلَى سَمَرْقَنْدَ مِنْ وَرَاءِ نَهْرِ جَيْخُونٍ ، مَسِيرَةَ زَهَاءٍ مِائَةِ يَوْمٍ - حَامِلٌ عِلْمَ ، أَوْ طَائِفُهُ ، أَوْ مُتَعَبَّدٌ ، أَوْ زَاهِدٌ^(٨) فِي زَاوِيَتِهِ إِلَّا وَكْرَامَتُهُ شَامِلَةٌ لَهُ ، وَسَابِغَةٌ عَلَيْهِ . وَكَانَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِ أَمْوَالِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ سِتْمِائَةً^(٩) أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَوُشِيَ بِهِ الْوُشَاةُ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ [الْمَلِكِ]^(١٠) ، وَأَوْغَرُوا صَدْرَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الْمَالَ الْمُخْرَجَ مِنْ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ يُقِيمُ بِهِ جَيْشًا يَرْكُزُ رَأْيَتُهُ فِي سُورِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَامَرَ ذَلِكَ قَلْبَ أَبِي الْفَتْحِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ^(١١) يَا أَبَتِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُخْرِجُ مِنْ

(١) في (م) : : البارسلان .. وفي الأعلام ضبط الزركلي « أرسلان » يسكون الراء والسين ، وهو خطأ ، والصواب بكسر السين . وهي لفظة تركية ومعناها : الأسد الشجاع .

[انظر : إجماع الأعلام ص ٦٦ .]

(٢) في (م) : : والمبغض .

(٣) ألقى الملك بجرائه ، أى : ثبت واستقر .

(٤) في (ط) : : جمال الدين .

(٥) الرباطات : ملاجئ الفقراء من الصوفية ، جمع رباط .

(٦) الكسا : جمع كسوة .. وفي (ط) : : والكساوى .

(٧) في (م) : : والورق ، وهى القضة ، ولعلها تصحيف ، والأول أوجه .

(٨) في (م) : : وزاهد .

(٩) في (م) : : سنة مائة ، خطأ .

(١٠) مابين المعرفتين عن (ط) .

(١١) في (م) : : وقال له .

يُؤْتِ الْأَمْوَالَ كُلَّ سَنَةٍ ^(١) سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ إِلَى مَنْ لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يُغْنِي ^(٢) عَنَّا . فَبَكَى
نِظَامُ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، أَنَا شَيْخٌ أُعْجِبِي لَوْ تُودِي عَلَى فِيمَنْ يَزِيدُ ^(٣) لَمْ أُحْفَظْ
خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَأَنْتَ غُلَامٌ تُرَكِّي لَوْ تُودِي عَلَيْكَ عَسَاكَ تَحْفَظُ ^(٤) ثَلَاثِينَ دِينَارًا ،
وَأَنْتَ مُسْتَفْعِلٌ بِلَدَاتِكَ ، مُنْهَمِكٌ ^(٥) فِي شَهَوَاتِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مَعَاصِيكَ دُونَ طَاعَاتِكَ ، وَجُيُوشُكَ الَّذِينَ تُعَلِّمُهُمُ لِلتَّوَائِبِ إِذَا اخْتَشَدُوا كَافَحُوا عَنْكَ
بِسَيْفِ طُولِهِ ذِرَاعَانِ ^(٦) ، وَقَوْسٍ لَا يَنْتَهِي مَدَى مَرْمَاهُ ^(٧) ثَلَاثِمِائَةِ ذِرَاعٍ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ
مُسْتَفْرِقُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْخُمُورِ وَالْمَلَاهِي وَالْوِزْمَارِ وَالطُّبُورِ ^(٨) ، وَأَنَا أَقْمَتُ لَكَ
جَيْشًا يُسَمَّى جَيْشَ اللَّيْلِ ، إِذَا نَامَتْ جُيُوشُكَ لَيْلًا قَامَتْ جُيُوشُ اللَّيْلِ عَلَى أَقْدَائِهِمْ
صُغُوفًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ ، فَأَرْسَلُوا دُمُوعَهُمْ ، وَأَطْلَقُوا بِالْدُّعَاءِ السِّتْهُمْ ^(٩) ، وَمَدُّوا إِلَى اللَّهِ
أَكْفَهُمْ بِالْدُّعَاءِ لَكَ وَلِجُيُوشِكَ ، فَأَنْتَ وَجُيُوشُكَ فِي خِفَارَتِهِمْ ^(١٠) تَعِيشُونَ ، وَبِدُعَائِهِمْ
تَبِيتُونَ ^(١١) . وَبِرَّكَاتِهِمْ تُمَطَّرُونَ وَتُرْزَقُونَ ، تَحْرُقُ سِهَامُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِالْدُّعَاءِ
وَالْتَضَرُّعِ . فَبَكَى أَبُو الْفَتْحِ الْمَلِكُ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ ^(١٢) : شَابَاشِ يَا أَبَتِ
شَابَاشِ ^(١٣) ، أَكْثِرْ لِي مِنْ هَذَا الْجَيْشِ .

(١) في (م) : : في كل سنة .

(٢) في (م) : : يهضم ، خطأ من الناسخ .

(٣) قوله : : فيمن يزيد ، عن (ط) .

(٤) في (م) : : لم تحفظ .

(٥) في (م) : : ومنهمك ، أي : منغمس .

(٦) في (م) : : طولها ذراعين ، لا تصح .

(٧) القوس : آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام ، تُذَكَّر وتؤنث .

(٨) الطُّبُور : آلة من آلات اللهو والطرب .

(٩) في (م) : : وأطلقوا السِّتْهم .

(١٠) يخفارتهم : حراستهم وحمايتهم .

(١١) في (م) : : تببتون ، أي : في الحرب .

(١٢) في (م) : : وقال .

(١٣) شاباش : كلمة فارسية ، وهي كلمة استحسان وعشقة ، وهي غنقة من « شاد باش » أي : كُنْ مسروراً .

[انظر قاموس الفارسية ص ٤٠٣ ط دار الكتاب المصري] .

وَمِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الرَّجُلِ وَفَضَائِلِهِ أَنَّ رَجُلًا قَصَدَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا حَوَاجَا ، أَنَا أُنَبِّئُ لَكَ مَدْرَسَةً يَبْغِدَادَ مَدِينَةَ السَّلَامِ ، لَا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهَا ، يَخْلُدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . قَالَ : أَفْعَلْ . وَكَتَبَ إِلَى وَكَلَاهِهِ يَبْغِدَادَ ^(١) أَنْ يُمْكِنُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَتَاعَ بَقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ، وَخَطَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ ، وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بَنِيَانٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تُكُونُ مُحَبَّسَةً ^(٢) عَلَيْهَا ، وَأَتَاعَ ضِيَاعًا ^(٣) وَخَانَاتٍ وَحَمَامَاتٍ وَأَوْقَفَتْ عَلَيْهَا ، فَكَمَلَتْ ^(٤) لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِذَلِكَ رِيَاسَةً وَسُودَّةً ^(٥) ، وَذَكَرَ جَمِيلَ طَبَقِ الْأَرْضِ خَبْرَهُ ^(٦) ، وَعَمَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَثَرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ^(٧) ، ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ التَّفَقَّاتِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ نَسَى الْخَبْرَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مِنَ الْكُتَابِ وَأَهْلِ الْحِسَابِ ^(٨) أَنْ جَمِيعَ مَا أُتِفِقَ فِيهَا نَحْوُ مِنْ ^(٩) تِسْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّ سَائِرَ الْأَمْوَالِ اخْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَائِكَ فِيهَا . فَدَعَاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ ^(١٠) لِلْحِسَابِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ

(١) قوله : « يَبْغِدَادَ » عَنْ « ط » .

(٢) مُحَبَّسَةٌ : مَوْقُوفَةٌ .

(٣) فِي « م » : « ضِيَاع » بِالرَّفْعِ ، لَانْتِصَحَ . وَالضِّيَاعُ : الْعُقَارَاتُ ، وَتَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْأَرْضِ الْمُقِلَّةِ . مَفْرَدُهَا :

ضَيْعَةٌ .. وَالْخَانَاتُ : جَمْعُ خَانٍ ، وَهِيَ مَا يَنْزِلُ بِهَا الْمَسَافِرُونَ .

(٤) فِي « م » : « وَكَمَلَتْ » .

(٥) السُّودَّةُ : يَهْمَزُ وَيُغَيَّرُ هَمْزُ : السِّيَادَةِ وَالْمَجْدِ وَالشَّرَفِ .

(٦) طَبَقُ الْأَرْضِ خَبْرُهُ : عَمَلُهَا وَانْتِشَرُ فِي أَثْنَائِهَا .

(٧) فِي « م » وَ « ط » : « لَا فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ .. » وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ يَبْغِدَادَ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا سَنَةَ ٤٥٧ هـ وَانْفُتِحَتْ لِلتَّدْرِيسِ سَنَةَ ٤٥٩ هـ ، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ قَدْ أَنْشَأَ عِدَّةَ مَدَارِسٍ أُخْرَى عَلَى شَاكْلِهَا ، مِنْهَا الْمَدْرَسَةُ النَّظَامِيَّةُ بِتَيْسَابُورَ ، وَأُخْرَى بِطُوسَ ، وَقَدْ قَامَ بِالتَّدْرِيسِ فِيهَا حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِي وَغَيْرُهُ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ .

(٨) فِي « م » : « مِنَ الْكُتَابِ وَالْحِسَابِ » . وَنَسَى الْخَبْرَ : شَاعَ وَانْتَقَلَ .

(٩) فِي « م » : « نَحْوُ » مِنْ « بِالنَّصَبِ » ، لَانْتِصَحَ .

(١٠) فِي « م » : « أَصْبَهَانَ » بِالتَّلَاقِ ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

إِلَى الْخَلِيفَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ^(١) يَقُولُ ^(٢) : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُطَبِّقَ الْأَرْضَ بِدَعْرِكَ ، وَأَنْشُرُ لَكَ
فَخْرًا لَا تُمَحُّوهُ الْأَيَّامُ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ تُمَحُّوْا اسْمَ نِظَامِ الْمَلِكِ عَنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا اسْمَكَ ^(٣) وَتَرِنُ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ لَهُ :
أُرْسِلْ ^(٤) مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ نِظَامُ
الْمَلِكِ : إِنَّكَ قَدْ رَفَعْتَ ^(٦) إِلَيْنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ تَفَقَّهَ ، وَأُحِبُّ إِخْرَاجَ
الْحِسَابِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لَا تُعْطِلِ الْخَطَّابَ ، إِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ
الْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا اسْمَ غَيْرِكَ ، وَأُرْسِلَ مَعِيَ مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ
نِظَامُ الْمَلِكِ بِذَلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا ^(٧) لَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تُمَحِّ اسْمَنَا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الرِّهَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ ، وَاشْتَرَى الضِّيَاعَ وَالْحَائَاتِ
وَالنَّبَسَاتِينَ وَالْدُّورَ ، وَأَوَقَفَ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، فَالصُّوفِيَّةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي
رِبَاطِ أَبِي سَعِيدٍ الصُّوفِيِّ وَأَوْقَافِهِ يَتَقَلَّبُونَ بِعَدَادٍ ، فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ ^(٩) فَلْيَتَنَافَسِ

(١) هكذا في « ط » . وفي « م » : « أبا العباس » بالنصب ، خطأ من الناسخ .. وقد وَهَمَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله -
حينما ذَكَرَ الْخَلِيفَةَ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَادِرِ ، وَقَدْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ
سَنَةَ ٤٢٢ هـ وَتَوَلَّى سَنَةَ ٤٦٧ هـ . وَكَانَ - رحمه الله - وَرِعًا ، قَهْنًا ، زَاهِدًا ، قَوِيَّ الْيَقِينِ بِاللَّهِ تَعَالَى .
أَمَّا أَبُو الْعَبَّاسِ فَهُوَ الْمُسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَدٍ الْمُقْتَدِي بِاللَّهِ ، وَقَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٤٧٠ هـ ، وَبَوَّعَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِ
أَبِيهِ وَلَهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى سَنَةَ ٥١٢ هـ . وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النِّظَامِيَّةَ بِبَغْدَادَ فُرِغَ مِنْ إِثْنَائِهَا وَاشْتُجِبَتْ سَنَةَ
٤٥٩ هـ ، أَيْ : قَبْلَ أَنْ يُولَدَ الْخَلِيفَةُ الْمَذْكُورُ بِإِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .
[انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٨٠ - ٤٨٤ ، وص ٤٩٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤] .

(٢) في « م » : « ويقول » .

(٣) في « م » : « تمحو .. وتكتب اسمك عليها » .

(٤) في « ط » : « أنفذ » وكلاهما بمعنى واحد .

(٥) في « م » : « أصفهان » .

(٦) في « م » : « إنك رفعت » .

(٧) سوغنا : أبخنا وأجزنا .

(٨) في « ط » : « وأوقف » .

(٩) في « ط » : « ففى هذه المنائب » .

الْمُتَنَفِّسُونَ ، وَلِيُمَثِّلَ هَذَا ^(١) فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، فَإِنَّ فِيهَا عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الْآخِرَةِ ، وَحَسَنَ الصَّبِيَّةِ ، وَخُلُودَ جَمِيلِ الذَّكْرِ ، فَإِنَّا ^(٢) لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ^(٣) إِلَّا الذَّكْرَ - حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثًا جَمِيلَ الذَّكْرِ فَالِدُنْيَا حَدِيثٌ
فَاتَّهَزَ فُرْصَةَ الْعُمْرِ وَمُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا وَتَفُؤْذَ الْأَمْرِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِكَ كَمَا قَدَّمُوا ، تُذَكِّرُ
بِالصَّالِحَاتِ كَمَا ذَكَّرُوا ، وَادَّخِرْ لِنَفْسِكَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا ادَّخَرُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَأْكُولَ
لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبَ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَتْرُوكَ لِلْعَدُوِّ ، فَاخْتَرِ أَيَّ الثَّلَاثِ شِئْتَ ، وَالسَّلَامَ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ ^(٤) الْوَزِيرُ وَاسِعَ النَّفْسِ ، مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ ، يُعْطَى الْجَزِيلَ ،
وَيَسْتَقْبَلُ الْكَثِيرَ ، وَلَا يَرُدُّ سَوْأًا ^(٥) ، وَيَتَذَيُّ بِالنَّوَالِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦)
يَوْمًا : بَلِّغْنِي ^(٧) بَسْطَ يَدِكَ بِالْإِعْطَاءِ ، وَهَذَا يَتَلَفُّ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ .. فَأَطْرَقَ سَاعَةٌ ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذَخَائِرُ أَجْرُهَا وَاصِلٌ إِلَيْكَ ، وَمَمَنَاتُ شُكْرِهَا

(١) في م : : وليُمثِّلها .

(٢) في ط : : فَإِنَّمَا .

(٣) في م : : في الدهر .

(٤) في م : : ابن داود تحريف .. وهو : أحمد بن أبي دُوَادٍ بن جرير بن مالك الإبادي ، أبو عبد الله المعتزلي ، قاضي قضاء المعتصم والوائقي ، وهو رأس فتنه القول بخلق القرآن ، وكان من الشرف والكرم بالمنزلة العالية .. قال عنه الذهبي : حَمَلَ الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت عليه الألسنة .. توفي مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٢٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤١ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ - ٩١ ، وطبقات المعتزلة ص ٦٢ وصفحات أخرى متفرقة ، وثمار القلوب ص ٢٠٦ ، وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ، والعبير للذهبي ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٣٩ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٩] .

(٥) السؤال : طلب الصدقة .

(٦) هر : الوائقي بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد .. من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ، ولد ببغداد سنة ١٩٠ هـ - وقيل سنة ١٩٦ هـ - وولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧ هـ ، وامتحن الناس بخلق القرآن ، وقتل أحمد بن نصر الخزازي لكونه أغظ له ، وكان إماماً قَوَّالاً للحق ، آمَّاراً بالمعروف ، وتوفي الوائقي سنة ٢٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، ٦٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥ - ٢١ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٨ - ١٤١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٠٠ - ٤٠٦] .

(٧) في ط : : قد بلغني .

مَوْصُولٌ ^(١) بِكَ ، وَإِنَّمَا لِيَ ^(٢) مِنْ ذَلِكَ تَعَشُّفِي فِي إِبْصَالِ الشَّاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْوَائِي : اللَّهُ
أَنْتَ ، جُدْ بِالْعَطَاءِ ، وَكَثِّرْ بِالشُّكْرِ وَالشَّاءِ !

* * *

(١) لِيَ وَط : : « موصلة » .

(٢) لِيَ وَط : : « لك » .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتْفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَسِيرَةِ الْعَمَالِ

اعْلَمْ أَنَّ يُوسُفَ الصَّدِّيقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) لَمَّا مَلَكَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ كَانَ يَجُوعُ وَيَأْكُلُ
خُبْزَ الشَّعِيرِ ^(٢) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ
فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا اسْتَحْلَفَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، غَدَا إِلَى السُّوقِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
قَالَ : السُّوقُ . قَالَ : قَدْ جَاءَكَ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ السُّوقِ . قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ^(٣) ! اللَّهُ ! يَشْغَلُنِي
عَنْ عِيَالِي ؟ قَالَ : نَفَرُضُ لَكَ بِالْمَعْرُوفِ . قَالَ : فَأَتَّفَقَ فِي سَتَتَيْنِ وَيَعْضِي أُخْرَى ^(٤)
ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ مِنْ مَالِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ^(٥) .

(١) فِي « م » : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

(٢) فِي « ط » : « وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ » .

(٣) فِي « م » : « يَا سُبْحَانَ اللَّهِ » .

(٤) وَبَعْضُ الْآخَرَى : أَى وَبَعْضُ شَهْوَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) فِي « م » : « وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ » .

[وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السِّنَنِ الْكَبِيرِ ، بَابُ مَا يَكُونُ لِلْوَالِي الْأَعْظَمِ وَوَالِي الْإِقْلِيمِ مِنْ مَالِ اللَّهِ ج ٦ ص ٣٥٣ ،
وَفِي بَابِ مَا يَكُونُ لِلْقَاضِي مِنَ الشَّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَالتَّنْظَرِ فِي الثَّفَقَةِ عَلَى أَهْلِهِ ج ١٠ ص ١٠٧] .

وَرَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةُ ، قَالَ : انْظُرُوا كَمْ أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، فَوَجَدُوا قَدْ اتَّفَقَ فِي سِتِّينَ ، وَنَصِيفِ ^(١) ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ذَرَاهِمٍ . قَالَ : اقْضُوهَا عَنِّي . فَقَضَوْهَا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا تَرَوْنَ ، وَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَلِي أُمُورَكُمْ ، وَيُصَلِّي بِكُمْ ، وَيُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّخَرْتُمْ ^(٢) لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَهَدْتُ لَكُمْ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَلَوْكُمْ وَتَفْسِي خَيْرًا ^(٣) . فَبَكَوْا وَقَالُوا : أَأَنْتَ خَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا فَاخْتَرْنَا لَنَا . فَقَالَ : قَدْ اخْتَرْتُ لَكُمْ عُمَرَ .

وَرَوَى مَالِكٌ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَلَّى لَمْ يَتَّفِقْ مِنْ مَالِ اللَّهِ شَيْعًا ، وَغَدَا يَوْمًا مِنْ بَنِي عُمَرُو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي جَمَالٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا ^(٤) ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ هَذَا يَشْعُلُكَ عَنِ النَّاسِ وَعَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ ^(٥) . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالُوا : تَتَفَرَّغْ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ وَتَسْتَفِيقَ مِنْ هَذَا الْمَالِ . فَبَاعَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَغَيْرَهَا مِنْ مَالِهِ ، إِلَّا الْأَرْضَ ، ثُمَّ طَرَحَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَكَانَ يَتَّفِقُ مِنَ الْمَالِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ . ثُمَّ كَانَ عُمَرُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَلِيَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ وَغَمَرُ مَا قَدْ عَلِمْتَ . قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنِّي أَخَذْتُ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، فَإِنْ يَكُنْ لِي فِيهِ حَقٌّ فَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ وَزِدْتُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ . قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ ^(٦) : قُلْتُ

(١) هذا على التفريق ، فقد كانت مدة خلافته - رضى الله عنه - ستين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ .. وقيل : ستين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ . [انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٤] .

(٢) اتَّخَرْتُ : اسْتَعْمْتُ وَأَطْلَعْتُ .

(٣) أَمَى : لَا أَحْجِدُ لَكُمْ إِلَّا خَيْرًا .

(٤) فِي (٤) : هـ : هـ : هـ : فِي جَمَالٍ لَهَا تَرِيدُ بَيْعَهَا .

(٥) فِي (٥) ط : هـ : هـ : هـ : أُمُورِهِمْ .

(٦) فِي (٦) : م : هـ : هـ : ابْنُ غَامٍ ، تَحْرِيفٌ .. وَابْنُ الْقَاسِمِ هُوَ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ جُنَادَةِ الْحَوَاقِ الْمَصْرِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْقَاسِمِ ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، جمع بين الزهد والعلم وتقاه بالإمام مالك ونظراته ولد بمصر سنة ١٣٢ هـ وتوفي بها سنة ١٩١ هـ .

انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٢٩ .

لِمَالِكٍ : فَأَيَّنَ قَوْلُهُمْ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رَدَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟ قَالَ : كَذَبُوا ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا أَعْدَاءُ اللَّهِ ، هُوَ لَمْ يُجِزْ لَوَلَدِهِ سَلَفَ أَبِي مُوسَى إِيَّاهُ حِينَ ^(١) أَخَذَ مِنْهُ نِصْفَهُ ، فَكَيْفَ يَأْخُذُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟

فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ اسْتَرْجَعَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَجَاءَ مُسْرِعًا بَاكِيًا ، وَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ كُنْتُ ^(٢) وَاللَّهِ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَكْمَلَهُمْ إِيْمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ ^(٣) تَعَالَى ، وَأَخْوَفَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَبَّهُهُمْ بِهِ هَدْيًا وَخُلُقًا ، وَسَمَنًا وَفَضْلًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا ، صَدَقْتَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ ، فَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صِدِّيقًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٤) . وَأَنْتَ هُوَ حِينَ تَخْلَفُوا ^(٥) ، وَكُنْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَصَحْبَتُهُ فِي الشَّدَّةِ حِينَ تَفَرَّقُوا ، أَكْرَمَ الصُّحْبَةَ ، ثَانِيِ اثْنَيْنِ ، وَصَاحِبَهُ فِي الْعَارِ ، وَرَفِيقَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، وَالْمُنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَخَلَفَتُهُ فِي أُمِّيهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ ، فَقَوِيَتْ حِينَ ضَعُفَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتَ حِينَ اسْتَكَاثُوا ، وَكُنْتَ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ^(٦) ، وَمَضَيْتَ بِقُوَّةٍ إِذْ وَقَفُوا ^(٧) ، كُنْتَ أَطْوَلَهُمْ صَمَنًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ، وَأَشَجَّعَهُمْ قَلْبًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَحْسَنَهُمْ عَمَلًا ، كُنْتُ ^(٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ دِينِكَ ،

(١) في م : : حتى ، تحريف .

(٢) في م : : يا أبا بكر ، كُنْتُ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا .

(٣) في م : : اللَّهُ ، تصحيف من الناسخ .

(٤) صورة الأَمْرِ ، الآية ٣٣ .. والذي جاء بالصَّدَقِ هو سيدنا محمد ﷺ ، والذي صَدَّقَ به : أبو بكر ، رضى الله عنه .

(٥) وفي رواية : : وواسته حين يخلوا .

(٦) فَشِلُوا : تَرَاخَوْا .

(٧) في م : : حين وقفوا .

(٨) في م : : أَنْتَ .

مُتَرَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا مَحْبُوبًا إِلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(١) ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ
الإِسْلَامِ خَيْرًا .

وَقَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا ^(٢) . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ
عَنْ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي أُنْزِلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ ^(٣) وَلِيِّ
الْيَتِيمِ ، إِنْ أَسْتَعْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى :
إِنْ احْتَجَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ ، فَإِذَا ^(٤) أُيْسِرَتْ رَدَدْتُهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أُخْبِرْكُمْ بِمَا
أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى - وَمَا قَالَ : يَحِلُّ لِي - أَسْتَحِلُّ مِنْهُ حُلَّتَيْنِ : حُلَّةٌ لِلشَّيْءِ ،
وَحُلَّةٌ لِلْقَيْظِ ^(٥) وَمَا أُحْجُ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ ، وَقُوَّتِي وَعِيَالِي كَقُوَّتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
لَا مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَلَا مِنْ فَقَرَائِهِمْ ^(٦) ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُصِيبُنِي
مَا أَصَابَهُمْ ^(٧) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : غَلَا الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) ، فَأَكَلَ خُبْزَ
الشَّعِيرِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُهُ ، فَاسْتَنْكَرَهُ بَطْنُهُ فَصَوَّتْ ، فَضَرَبَتْهُ ^(٩) بِيَدِهِ وَقَالَ :
هُوَ وَاللَّهِ مَا تَرَى حَتَّى يُوسِّعَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ ^(١٠) : رَأَيْتُ

(١) في (م) : « وأهل الأرض » .

(٢) في (م) : « تعباً عظيماً » والأول هو الأشهر والوارد في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ .

(٣) مكنا في (ط) وفي نص الحديث في المرجع السابق .. وفي (م) : « مَنْزِلَةٌ » .

(٤) في (م) : « وإذا » .

(٥) في (م) : « للقَيْظِ » بالضاد على الإبدال .

(٦) في (م) : « ولا فقرائهم » .

(٧) انظر هذه الروايات في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ باب ما يكون للوالي .

(٨) ما بين المعقوضين عن (ط) .

(٩) في (م) : « فضرِبَ » .

(١٠) هو : عبد الرحمن بن مَلٍّ - اللام مُشْتَدَّةٌ والميم مثناة - من قُضَاعَةَ ، أدرك النبی ﷺ ، ولم يره ، وشهد
فتح القادسية وجُلُولَاءَ ، وُقُتْرَ ، وناهوند ، والروموك ، وأذربيجان ، وكان من ساكني الكوفة ، فلما قُتِلَ الحسين ،
رضي الله عنه ، نَحَلَ إلى البصرة فتمزا وقال : لَا أَسْكُنُ بِلْدًا قُتِلَ فِيهَا ابْنُ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وتوفي في أول ولاية
الحجاج بالبصرة .

[انظر المعارف ص ٤٢٦] .

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَطُوفُ بِالنِّبْتِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ^(١) فِيهَا اثْنَا عَشْرَةٌ ^(٢) رُفْعَةً ، إِحْدَاهَا بِأَدَمٍ ^(٣) أَحْمَر .

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ^(٤) : اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّائِبَ بْنَ الْأَقْرَعِ ^(٥) عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَدَخَلَ إِيَّوَانًا مِنْ إِيْوَانٍ ^(٦) كِسْرَى ، فَإِذَا صَنَمٌ يُشِيرُ بِإَصْبَعِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ عَقَدَ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يُشِيرُ هَذَا إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَتَمَّ شَيْءٌ . فَاحْتَضَرُوا فَاسْتَحْرَجُوا مِنْهُ سَقَطًا ^(٧) فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي دَخَلْتُ إِيْوَانًا مِنْ إِيْوَانٍ كِسْرَى قَرَأْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَاحْتَضَرْتُ فَأَخْرَجْتُ سَقَطًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ فِتْيَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْسِمُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّمَا أَصَبْنَا شَيْئًا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَلَمَّا قَدِمَ السَّقَطُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ خَاتَمُ السَّائِبِ ، قَرَأَ عُمَرُ [فِي مَنَابِيهِ] ^(٨) فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَانَ نَارًا أَجْبَتْ وَهُوَ يُرَادُّ أَنْ يُلْقَى ^(٩) فِيهَا . فَكَتَبَ إِلَى السَّائِبِ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيَّ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَطُوفُ فِي إِبِلِ الصُّدْقَةِ ، فَطَلَعْتُ مَعَهُ إِلَى نَصِيفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا لِي بِمَاءٍ فَاغْتَسَلْتُ ، ثُمَّ ذَهَبَ

(١) في « ط » : « جُبَّةٌ صُوفٌ » .

(٢) في « م » : « اثنا عشر » ، لا تصح .

(٣) الأدم ، بفتحين ، وبضمتين أيضا ، جمع آدم ، وهو : الجلود المدبوغ .

(٤) هو : عطاء بن السائب بن زيد النخعي ، ومكنى أبا زيد الكوفي ، محدث ، وأحد علماء التابعين ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وأنس ، ووالده ، وغيرهم . وغلط وساء حفظه في آخر عمره ، وتوفي سنة ١٣٦ هـ . [انظر المعارف ص ٤٧٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧٠ - ٧٣]

(٥) هو السائب بن الأقرع بن حوف بن جابر ، من بني مالك ، من ثقيف .. وأمه مليكة .. دخل مع أمه على النبي ، ^(٦) فمسح رأسه ودعا له .. شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن ، ثم استعمله عمر على المدائن ، وولى أصبهان ، ومات بها .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٩١] .

(٦) في « م » : « من أبواب » تحريف .. والإيوان : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة ، لها سقف محمول من الأمام على عقد ، يجلس فيها كبار القوم .

(٧) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨ والفاروق عمر ص ٣٠ - ٣٢ أنهما سقطان .

(٨) ما بين المقوفين عن « م » .

(٩) في « ط » : « وهو يُرَادُّ أَنْ يُلْقَى » .

إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَتَى بِلَحْمٍ غَلِيظٍ وَخُبْزٍ مُتَحَمِّشٍ ^(١) فَقَالَ : انْظُرْ مَنْ عَلَى الْبَابِ ، فَإِذَا سُودَانُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ^(٢) فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ ، فَإِذَا لَحْمٌ غَلِيظٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِيبَهُ ، وَقَدْ كُنْتُ تَعَوَّدْتُ ذَرْمَكَ ^(٣) أَصْبَهَانِ ، إِذَا وَضَعْتَهُ فِي فَمِي دَخَلَ بَطْنِي . ثُمَّ دَعَا بِالسَّقْفِ وَقَالَ : أَتَعْرِفُ خَائِمَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : كَتَبْتَ تَرْفُقُ لِي ^(٤) تَرْغُمُ أُنَى أَحَقُّ بِهِ ! مِنْ أَيْنَ أَصْبَتْهُ ؟ فَأُخْبِرْتُهُ . قَالَ : أَذْهَبَ فَأَجْعَلُهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّامَ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامٌ لَمْ يَرْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : هَذَا لَنَا ؟ فَمَا لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ لَا يَشْبَعُونَ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ؟ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : لَهُمُ الْجَنَّةُ . فَأَعْرُورَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : لَئِنْ كَانَ حَظُّنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ وَذَهَبُوا بِالْجَنَّةِ ، لَقَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا ^(٥) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَيْرِيُّ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جِئَ قَدِمَ الشَّامَ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ^(٦) : أَذْهَبَ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ . قَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَعُضَّ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ ^(٧) : قَالَ : فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَلَمْ يَرْ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ مَتَاعُكَ ؟ لَا أَرَى إِلَّا لِبْدًا وَشَنًّا وَصَحْفَةً ^(٨) وَأَنْتَ أَمِيرٌ ! أَعِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جُودِيَّةِ ^(٩) فَأَخْرَجَ مِنْهَا

(١) خبز متحمش : أسود جاف .

(٢) سودان من الصوفية : أشخاص من يلبسون الصوف نقشباً .

(٣) الذَّرْمُكُ : الحِزْبُ الجيد المصنوع من البقيق الأبيض .

(٤) قوله : « قلت : نعم » من « ط » .. وفي « م » : « قال : كتبت ترفق لي .. » ورفق به وله وعليه ، يرفق : لأن جانيه وخمس منبته .

(٥) باينونا بوناً بعيداً : طاولونا وسبقونا في الفضل والمروعة .

(٦) هو : أبو عبيدة بن الجراح ، عامر بن عبد الله بن الجراح ، صحابي جليل ، وأحد المشركين المبشرين بالجنة ، ولد بمكة سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وتوفي في طاعون « عمواس » سنة ١٨ هـ . ودُفن في غور بيسان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤١٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٠] .

(٧) هكذا في « م » .. وتعض عينك ، أى : تحفضهما استحباء أو تولهما .. وفي « ط » : « ما تريد لي أن تقصر عينك علي » وتقصر : تولم .. وفي رواية « تقصر » بالعين المهملة .

(٨) في « ط » : « أو شتا » أو « خطأ مطبعي . » واللبد : بساط من صوف أو شعر .. والشن : القربة الصغيرة .. والصحفة : لئان من آنية الطعام .

(٩) الجودنة : السلعة الصغيرة .

كِسْرَاتٍ^(١) . فَبَكَى عُمَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَدْ قُلْتَ لَكَ إِنَّكَ تُغْضُ^(٢) عَيْنَكَ عَلَيَّ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَكْفِيكَ مِنَ الدُّنْيَا^(٣) مَا بَلَغَكَ الْمَقِيلُ^(٤) . فَقَالَ عُمَرُ : غَرَّتْنَا الدُّنْيَا بَعْدَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ^(٥) : بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُصَدِّقَيْنِ^(٦) ، فَأَبْطَلُوا عَلَيْهِ ، وَبِالنَّاسِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا بِالصَّدَقَاتِ ، فَقَامَ فِيهَا مُتَزِرًا بِعِبَاعَةٍ يَخْتَلِفُ فِي أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ، يَقُولُ : هَذِهِ لَالِ فُلَانٍ ، وَهَذِهِ لَالِ فُلَانٍ ، حَتَّى اتَّصَفَ النَّهَارَ وَجَاعَ ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ ، حَتَّى إِذَا أُنْكَرَ أَكْلُهُ^(٧) أَكَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ^(٨) أُبْعِدَهُ اللَّهُ . وَقَالَ طَاوُوسُ : أَجْدَبَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَمَا أَكَلَ سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٩) : إِنَّ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَدِمَ الْكُوفَةَ وَهُوَ خَلِيفَةُ وَعَلَيْهِ

(١) في (م) : « كِسْرَاتٍ يَابَسَةٍ » وهى القطع المكسورة من الخبز .. مفردتها : كِسْرَةٌ .

(٢) في (ط) : « تَقْصُر » انظر الهامش رقم ٤٥ .

(٣) في (م) : « مِنَ الزَّادِ » .

(٤) الْمَقِيلُ : الموضع يُغْضَى فيه وقت القيلولة ، وهى الاستراحة نصف النهار ، والمراد هنا ألا يمسك أو يجزن من المال أو الطعام إلا قَلَرَ حاجته فى يومه .. وفى الحديث : « كَانَ لَا يَقْبَلُ مَالًا وَلَا يُبَيْتُهُ » أى : كَانَ لَا يَمْسِكُ مِنَ الْمَالِ مَا جَاءَهُ صَبَاحًا إِلَى وَقْتِ الْقَائِلَةِ ، وَمَا جَاءَهُ مَسَاءً لَا يَمْسِكُهُ إِلَى الصَّبَاحِ .
[انظر لسان العرب ، مادة : قِيلَ]

(٥) هو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر ، أمير من كبار الشجعان ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأول ما عُرِفَ عنه أنه حضر خطبة « عمر » فى الجابية .. وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك ، وذهبت عينه فيها .. وكان يَمُتُّ أَلْبَ عَلَى عِثَانٍ وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع عليٍّ ، وكان من أشدَّ أنصاره ، وولاه عليٌّ « مصر » ققصدها ، لكنه مات فى الطريق سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٩ ، والمعارف ص ١٩٦ ، ٥٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ٧ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٤]

(٦) الْمُصَدِّقَيْنِ : اللذين يأخذون الحقوق من الإبل والغنم .

(٧) أى : جَاءَهُ أو تَبَيَّرَ لَهُ .

(٨) قوله : « النَّارِ » عن (م) « ولم ترد فى (ط) » .

(٩) هو : سعيد بن جبیر ، أبو عبد الله ، الأسديّ بالولاء ، الكوفي .. تابعي ، من أصل حبشي ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان عالماً فذاً ، ورعاً ، تقياً ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر .. قتلته الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ ودُفِنَ بها .. قال ميمون بن مهران : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . =

إِزَارَانِ قَطْرِيَّانِ ، قَدْ رَفَعَ إِزَارَهُ بِخِرْقَةٍ لَيْسَتْ بِقَطْرِيَّةٍ مِنْ وَرَائِهِ ، فَجَاءَهُ أُغْرَابِيٌّ فَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ الْخِرْقَةِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلُّ مَنْ هَذَا الطَّعَامُ ، وَالنَّسْ ، وَارْكَبْ ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ أَوْ مَقْتُولٌ . قَالَ : إِنَّ هَذَا ^(١) خَيْرٌ لِي فِي صَلَاتِي ، وَأَصْلَحُ لِقَلْبِي ، وَأَشْبَهُ بِسُنَّةِ ^(٢) الصَّالِحِينَ قَبْلِي ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِي ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) بَيْنَمَا هُوَ يُعَسُّ ^(٥) فِي الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحْمِلُ قَرْنَةً ، فَسَأَلَهَا ، فَذَكَرَتْ أَنَّ لَهَا عِيَالًا ، وَأَنَّ لَيْسَ لَهَا غَادِمٌ ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ فَتَسْقِيهِمُ الْمَاءَ ، وَتُكَرُّهُ أَنْ تَخْرُجَ بِالنَّهَارِ ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَنْهَا الْقَرْنَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَهَا وَقَالَ : اغْدِي عَلَى عُمَرَ غُلْدَوَةٌ ^(٦) يُحْدِمُكَ بِهَا خَادِمًا ^(٧) . قَالَتْ : لَا أَصِلُ إِلَيْهِ . قَالَ : إِنَّكَ سَتَجِدِيْنَهُ ^(٨) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَعَدَّتْ عَلَيْهِ فَإِذَا هِيَ بِهِ ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي حَمَلَ قَرْنَتَهَا ، فَذَهَبَتْ تَوَلَّى ، فَأُرْسِلَ فِي إِثْرِهَا ، وَأُمِرَ لَهَا بِخَادِمٍ وَتَقَفَةٍ . وَلَمَّا حَجَّ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَمْ بَلَغَتْ نَفَقَتُنَا يَا يَرْفَأُ ^(٩) ؟ قَالَ : ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيَحَكَ ، أَجَحَفْنَا ^(١٠) بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

= [انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٣ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٧٢ - ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٤ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٦٧ ، وطبقات الشيرازي ص ٨٢ ، ٨٣ ، وانظر كتاب « الموعد الله » لخالد محمد خالد ص ١١٦ - ١١٨] .

(١) إشارة إلى الإزار .

(٢) في « ط » : « يشبه » .

(٣) في « م » : « يقتدى به من أتى بعدى » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « ط » : « يينا » وهي بمعناها . ويُسُّ : يطوف بالليل ليحرس الناس ويكشف أهل الريبة .

(٦) في « م » : « اغد » بدون ياء .. لاتصح .. والغُلْدَوَةُ : القُدَّة .

(٧) أى : يأتيك بخادم يخدمك .

(٨) في « ط » : « ستجديه » لاتصح .

(٩) يَرْفَأًا : مولى عمر .. وقد مرَّ .

(١٠) أَجَحَفَ : اشتدَّ في الإضرار به .

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ^(١) : لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ طَافَ بِكُورِهَا ^(٢) حَتَّى نَزَلَ جِمَصَ ^(٣) فَقَالَ : اكْتُبُوا إِلَيَّ فَقَرَاءَهُمْ . فَرَفَعُوا إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ ، وَإِذَا فِيهَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ^(٤) ، فَقَالَ : مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالُوا : أَمِيرُنَا ! فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ أَمِيرُكُمْ فَقِيرًا ؟ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُمْسِكُ شَيْئًا ^(٥) ، فَبَكَى عُمَرُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفٍ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا فِي حَاجَتِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ^(٦) ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَا لَكَ ^(٧) ؟ أَصَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ ^(٨) : أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ! أَتُتْنِي الدُّنْيَا ، دَخَلْتَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٩) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ^(١٠) بَارِئِينَ عَامًا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حِسْتُ عَنِ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَأَنَّ لِي بِهِ مَا طَلَعْتُ

(١) هو : شهر بن حوشب الأشعري ، فقيه قارئ ، من رجال الحديث ، شامي الأصل ، ولد سنة ٢٠ هـ وسكن العراق ، وكان يتربى بزي الجند ، وول بيت المال ثلثة .. وكان يسمع الغناء بالآلات ، وهو متروك الحديث .. توفي سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٧٨ ، والمعارف ص ٤٤٨ ، وثمار القلوب ص ١٦٩ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والضعفاء الكبير ج ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٥] .
(٢) أى : بأصقاعها أو يملئها وقرأها .

(٣) فى م : « حمصاً » بالتثنية ، لاصح .. وهى بلدة بين دمشق وحلب .. وقال سيويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف .. وقال الجوهري جِمَصَ : يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٢ مادة « حمص » ولسان العرب - المادة نفسها] .

(٤) هو : سعيد بن عامر بن جندب الجهمي القرشي ، صحابي ، من الولاة .. أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد فتح خيبر ومابعدا من المشاهد .. ولأه عمر إثرة « حمص » بعد افتتاح الشام ، وكان - رحمه الله - مشهوراً بالزهد ، وله فيه أخبار .. توفي بالشام سنة ٢٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ونسب قريش ص ٣٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩] .
(٥) أى : لا يَذْكُرُ شَيْئًا .

(٦) فى م : « فجعلت » تحريف .. ويسترجع ، أى : يقول : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .. والإنسان عادة يسترجع عندما تفل به مُصِيبَةٌ ، والعياذ بالله .

(٧) قوله : « مالك ؟ » عن « ط » .

(٨) فى م : « فقال » .

(٩) فى م : « رسول الله » .

(١٠) فى م : « إن قراء الجنة يدخلون قبل أغنيائها » .

عَلَيْهِ الشَّمْسُ ! قَالَتْ : فَاصْنَعْ فِيهِ مَا شِئْتَ . قَالَ : هَلْ عِنْدَكَ مَعُونَةٌ ^(١) ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَاتَّخِذْ بِخِمَارِي ، فَصَرَ الدُّنَانِيرَ فِيهَا صَرًّا ، ثُمَّ جَعَلَهَا فِي مِحْلَاةٍ ، وَبَاتَ يُصَلِّي وَيَتَكَبَّرُ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَأَعْرَضَ جَنِيحًا مِنْ جُبُوشِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، لَوْ حَبَسْتَ مِنْهَا شَيْعًا تَسْتَعِينُ بِهِ ! فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَطْلَعَتْ ^(٤) امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا اخْتَارَكَ عَلَيْهِنَّ . فَسَكَتَتْ .

وَوَرَى أَنْ عَمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) اسْتَعْمَلَ عَلَى حِمَصٍ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ ^(٦) فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ عَمَرُ إِلَّا ^(٧) أَنْ قَدِمَ مَا شِئْنَا حَافِيًا ، مَعَهُ ^(٨) عُكَاظُهُ وَإِدَاوَتُهُ وَمِزْوَدَتُهُ وَقَصْعَتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ^(٩) ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَمَرُ قَالَ : يَا عُمَيْرُ ، أَتُخَيَّرُنَا أَمْ الْبِلَادُ بِلَادُ سُوءٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا تَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُجَهَرَ بِالسُّوءِ وَعَنْ سُوءِ الظَّنِّ ؟ وَمَا تَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقَدْ جِئْتُكَ بِالْذُّنْيَا أُجْرُهَا بِقَرَابِهَا ^(١٠) ؟ فَقَالَ : وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : عُكَاظَةٌ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَذْفَعُ بِهَا عَدُوًّا

(١) أى : ماعون .

(٢) أترهم عليه واحداً واحداً ليعطهم الدنانير .

(٣) فى م : : رسول الله .

(٤) فى م : : طلعت ، وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ظهرت أو نظرت .

(٥) ما بين المقوفين عن ط .

(٦) هو : عمر بن سعد بن عبيد الأوسى الأنصارى ، من فضلاء الصحابة ، ومن الولاة الزهاد ، شهد فحوص الشام ، واستعمله عمر على « حمص » فأقام سنة ، ودعاه إلى المدينة ، فجاها ، فأراد عمر إعادته ، فأبى .. وكان عمر يقول : وِدِدْتُ أَنْ لِي رَجُلًا مِثْلَ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ أُسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .. توفي رحمه الله - فى أيام عمر .. وقيل : عاش إلى خلافة معاوية نحو ٤٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠]

(٧) سقطت « إلا » من م : سهواً من الناسخ .

(٨) معه « من ط » ولم ترد فى م : .

(٩) المُكَاظَةُ : عصاً يتوكأ عليها .. والإداوة : إناء صغير يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ .. والمِزْوَدَةُ : وعاء الزاد . وسَتَانُ .

(١٠) فى الرحلية : « أجراها بقرابها » والقرباب : صنوان من جلد يضع فيه المسافرين أدواته وزاده .

إِنْ لَقِيتُهُ ، وَمَزَوْدَى أُخِمْ فِيهِ طَعَامِي ، وَإِذَا وَتِي هَذِهِ أُخِمْ فِيهَا مَاءً لِشُرْبِي وَصَلَاتِي ،
وَقَصَصْتِي هَذِهِ أَتَوْضَأُ فِيهَا وَأَغْسِلُ فِيهَا رَأْسِي وَأَكُلُ فِيهَا طَعَامِي ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا الدُّنْيَا بَعْدَ إِلَّا تَبِعَ ^(١) لِمَا مَعِيَ . قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَى كَبِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِصَاحِبِيْ غَيْرِ مُفْتَضِّحٍ
وَلَا مُبْدِلٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي عَمَلِكَ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ
الرُّقَّةَ مِنْ أَهْلِ الرُّقَّةِ ^(٣) وَالْإِبِلَ مِنْ أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَأَخَذْتُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَنْ يَدِ ^(٤)
وَهُمْ صَاغِرُونَ ، ثُمَّ قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَوْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدِي أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : عُدْ إِلَى عَمَلِكَ . فَقَالَ عُمَرُ :
أُنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تُرْدِنِي ^(٥) إِلَى عَمَلِي ، فَإِنِّي لَمْ أَسْلَمْ مِنْهُ ^(٦) حَتَّى قُلْتُ لِيَذْمِي : أَخْزَاكَ
اللَّهُ ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَخْصِمَنِي لَهُ مُحَمَّدٌ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٧) وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ^(٨)
يَقُولُ : « أَنَا حَجِيجُ الْمَظْلُومِ ، فَمَا حَاجَجْتُهُ حَاجَجْتُهُ » ^(٩) ، وَلَكِنْ أَتَيْتُ لِي آتَى
أَهْلِي ^(١٠) . فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَى أَهْلَهُ ، فَبَعَثَ عُمَرُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ حُبَيْبٌ ^(١١) بِمِائَةِ دِينَارٍ ،
فَقَالَ : اثْبَتِ عُمَيْرًا فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ^(١٢) فَإِنْ يَكُ خَائِفًا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ فِي عَيْشِهِ وَحَالِ

(١) في « م » و « ط » : « ما الدنيا إلا تبعاً » بالنصب ، ولا تصح .. وفي الحلية : « ما الدنيا إلا تبع لما نعى » .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) الرُّقَّةُ : الأرض المستوية السهلة ، والمراد أنه جبا ما عليها من خراج .

(٤) قوله : « من أهل الذمة » عن « ط » وسقطت من « م » ، وعن يد : عن انقياد وطاعة .

(٥) في « م » : « أن تردني » وسقطت منها « لا » سهواً من النسخ .. وفي الحلية : قال لعمر : « لا عملت لك
ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت » ، بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني : أي أخزأك الله .. فهذا ما عرضني له يا عمر .

[انظر الحلية ج ١ ص ٢٤٨]

(٦) في « م » : « ولم أسلم منه » . وحي قُلْتُ ، أي : حين قلت .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » .. ويخصمني : يغلبني في الخصام .

(٨) في « م » : « فإني سمعته » .

(٩) حاججته : جادلته .. وحججته : غلبته بالحجة .

(١٠) أتى أهلي : أعود إلى منزلي .. وفي « ط » : « إلى » مكان « آتني » وسقطت جملة : « فأذن له » من « م » .

(١١) في « م » : « حبيب » بالخاء المعهلة في المواضع كلها .. وفي الحلية : « الحارث » .

(١٢) أي : تكون في ضيافته ثلاث ليالٍ .

أَهْلِي بَيْتِي ، وَإِنْ لَمْ يَكْ (١) خَلَاتَنَا لَمْ يَخُفْ عَلَيْكَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْإِمَامَةَ . فَأَتَاهُ خُبَيْبٌ فَتَزَلَّ بِهِ (٢) ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَرْ لَهُ عَيْشًا إِلَّا الشَّعِيرَ وَالزَّيْتِ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثٌ (٣) قَالَ : يَا خُبَيْبُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْوَلَ إِلَى جِيرَانِنَا فَلَعَلَّ أَنْ يَكُونُوا أَوْسَعَ عَيْشًا مِنَّا ، أَمَا نَحْنُ ، فَوَاللَّهِ (٤) لَوْ كَانَ عِنْدَنَا غَيْرُ هَذَا لَأَثَرْنَاكَ بِهِ . قَالَ : فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْإِمَامَةَ وَقَالَ : بَعَثَ (٥) بِهَا إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعَا بِغُرِّو خَلْقٍ (٦) لِأَمْرَاتِهِ فَصَرَّهَا الْخُمْسَةَ ، وَالسَّتَةَ ، وَالسَّبْعَةَ ، فَقَسَمَهَا ، فَقَدِمَ خُبَيْبٌ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَعَلْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَزْهَدِ النَّاسِ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ (٧) عُمَرُ وَقَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي الْإِمَامَةِ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي عَنْهَا . قَالَ : لِتُخْبِرَنِي . قَالَ : قَسَمْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَانِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقَى طَعَامٍ (٨) وَمَوْتِينَ ، فَقَالَ (٩) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا التَّوْبَانِ فَأَقْبَلْ ، وَأَمَّا الْوَسْقَانِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، عِنْدَ أَهْلِي صَاعٌ مِنْ بُرٍّ (١٠) هُوَ كَافِيهِمْ حَتَّى أَرْجِعَ (١١) إِلَيْهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صَرَّ أَرْبَعِيَّةَ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِلْعَلَاءِ (١٢) : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُيَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَكَّا سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَرَى

(١) في م : : يمكن .

(٢) في م : : فترحل عليه .

(٣) في م : : ثلاثًا : بالنصب خطأ ، والصواب بالرفع .

(٤) قوله : : فوالله : عن ط : ولم ترد في م .

(٥) في م : : قد بعث .

(٦) خَلْقٍ : باله .

(٧) في م : : فبعث له .

(٨) الوسق : متون صاعاً ، والصاع : خمسة أوتال وثلاث . والمراد هنا : جمل البعير أو نحوه .

(٩) في ط : : قال .

(١٠) البُر : القمح .

(١١) في م : : أعود .

(١٢) في ط : : للعلام .

مَا يَصْنَعُ . فَذَهَبَ بِهَا الْعَلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ . قَالَ : وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِدِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ، حَتَّى أَتُفَدَّهَا ^(١) ، وَرَجِعِ الْعَلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، وَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبِي بِهِدِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ^(٢) وَتِلْكَأُ فِي النَّبِيتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فِيهَا ، فَذَهَبَ ^(٣) . بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، وَإِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ : وَنَحْنُ وَاللَّهُ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا ^(٥) ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ ، فَرَمَى بِهِمَا إِلَيْهَا ^(٦) . فَرَجَعَ الْعَلَامُ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عُمَرَ ^(٧) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

* * *

(١) أَتُفَدَّهَا : أَفْضَاهَا .. وَفِي « م » : « أَتُفَدَّهَا » بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ : أَفْضَاهَا .

(٢) فِي « م » : « وَقَالَ : مُرِّبُهَا إِلَيْهِ » .

(٣) فِي « م » : « قَدِيمٌ » .

(٤) وَوَصَلَهُ : أَحْسَنَ إِلَيْهِ .. وَفِي « ط » : « وَوَصَلَهُ » أَيْ : أَبْلَغَهُ مَا يَأْمُلُ .

(٥) فِي « م » : « فَأَعْطَيْنَا » بِأَيَّاتِ الْهَاءِ .. لَا تَصِحُّ .

(٦) فِي « م » : « فَدَحَا » مَكَانَ « فَرَمَى » وَهِيَ بِمَعْنَى : دَفَعَ .. وَ « إِلَيْهَا » مَكَانَ « إِلَيْهَا » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي « م » : « فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ » .

البَابُ الْمُوفَى خَمْسِينَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي تَلْوِينِ الدَّوَاوِينِ

وَقَرْضِ الْأَرْزَاقِ وَسِيرَةِ الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) - أَنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدَّوَاوِينَ وَقَرَضَ الْأَرْزَاقَ ^(٢) - عَلَى مَا رَوَى ^(٣) - عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى أَجْرَى عَلَى الْعَامَةِ شَيْئًا وَاحِدًا ، ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ ، وَقَرَضَ لِلْعِيَالِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَطَاءِ ، وَلَا يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا عَمِلُوا لِلَّهِ ، فَأَجُورُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْخُذُهُ ^(٥) الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَلَيْسَ ثَمَنًا لِأَعْمَالِهِمْ .

(١) فِي د م : : د اعلما - رحكم الله .

(٢) فِي د ط : : د وأجرى الأغطية ، وهي بمناتها .

(٣) فِي د م : : د ما رأى .

(٤) فِي د م : : د أبو بكر الصديق .

(٥) فِي د ط : : د يأكله .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَا أَجْعَلُ مِنْ قَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ ، وَلَمْ يُقَدِّرْ عُمَرُ الْأَرْزَاقَ إِلَّا فِي وَلَايَةِ عَمَّارٍ ^(١) ، فَأَجْرِي عَلَى عَمَّارٍ سِتِّمِائَةِ دِرْهَمٍ ، مَعَ عَطَائِهِ لِوَلَايَتِهِ ، وَكُتَابِهِ ، وَمُؤَذِّنِيهِ ^(٢) ، وَمَنْ كَانَ يَلِي مَعَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَمَّا بَعَثَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ ^(٣) إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِصْفَ شَاةٍ وَرَأْسَهَا وَجِلْدَهَا وَأَكَارِعَهَا ^(٤) ، وَنِصْفَ جَرِيْبٍ كُلِّ يَوْمٍ ^(٥) ، وَأَجْرِي عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رُبْعَ شَاةٍ وَخَمْسَةَ دِرَاهِمٍ كُلِّ يَوْمٍ مَعَ عَطَائِهِ ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَجْرِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُبْعَ شَاةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَجْرِي عَلَى شُرَيْحِ الْقَاضِي ^(٦) مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَعَشْرَةَ أَجْرِيَةٍ ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ عَمَّارًا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّلَاةِ .

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى ، أبو اليقظان ، صحابى جليل ، وأحد السابقين إلى الإسلام .. شهد بدرًا ، وأُخذًا والخيندق ، وبيعة الرضوان ، وغيرها .. وكان من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، ولأه عمر الكوفة ، فأقام زمانًا وعزله عنها . وشهد الجمل وصفين مع عليٍّ ، رضى الله عنه ، وقتل فى صفين سنة ٣٧ هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٥ ، والمحبر ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٦ - ٢٥٨] .
(٢) فى « م » : « ومؤذنه » ، تحريف .

(٣) ابن مسعود هو : الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل .. وقد مرَّ التعريف به .. أمَّا عثمان فهو : عثمان ابن حنيفة بن وهب الأنصارى ، الأوسى ، أبو عمرو ، صحابى ، من الولاة ، شهد أُحُدًا وما بعدها .. وولاه عمر على سواد العراق ، ثم ولَّاه على البصرة . وسكن الكوفة ، وتولى سنة ٤١ هـ فى خلافة معاوية .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٠٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٧٧ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٧ وما بعدها] .
(٤) الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم ما دون الركبة إلى الكعب ..
(٥) فى « م » : « فى كل يوم » . والجريب : مكبال قدره أربعة أقدرة ، والقفيز : مكبال يختلف مقداره فى البلاد ، ويحادل بالتقدير المصرى الحديث نحو سعة عشر كيلو جرامًا .

(٦) هو : شرح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، أبو أمية ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام .. وأصله من اليمن ، وولى قضاء الكوفة فى زمن عمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، ومعاوية .. وكان ثقة فى الحديث ، مأمونًا فى القضاء ، وله باع فى الأدب والشعر ، وعُمر طويلاً ، ومات بالكوفة عن ١٢٠ سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٦١ ، والمعارف ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ١٣٢ - ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٣١ - ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦٣ ، وشرقات الذهب ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٠ ، ٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٩] .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ لَا يَفْرِضُ لِصَغِيرٍ رَضِيعٍ ، فَإِذَا فُطِمَ فَرَضَ لَهُ ، فَمَرُّ مِنَ اللَّيْلِ وَصَبِيُّ يَنْكِي بِنَحْيِ الرِّضَاعِ ، وَأُمُّهُ لَا تُرَضِعُهُ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : ارْضِعِيهِ . قَالَتْ : إِذَا لَا يَفْرِضُ لَهُ عُمَرُ . قَالَ : بَلَى هُوَ يَفْرِضُ لَهُ . ثُمَّ فَرَضَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَوْلُودِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ ^(١) : وَفَرَضَ عُمَرُ لِلْعِيَالِ ، لِكُلِّ عَمَلٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى جَرِيَّتَيْنِ مِنْ بَرٍّ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَقِسْطَيْنِ ^(٢) مِنْ نَتِجٍ ، وَقِسْطًا مِنْ خَلٍّ ^(٣) ، وَمِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، قَالَ : وَالْجَرِيبُ قِفْزٌ بِالْقَرْطُوبِيِّ ، وَالْقِسْطُ قَدْرٌ ثُمْنِ رُبْعِ الزَّيْتِ بِالْقَرْطُوبِيِّ .

قَالَ الْحَسَنُ : وَكَانَ عَطَاءُ سَلَمَانَ ^(٤) خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَكَانَ عَلَى زُهَاءٍ فَلَايِينَ أَلْفًا ^(٥) مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَحْطُبُ النَّاسَ ^(٦) فِي عِبَادَةٍ يَلْبَسُ نِصْفَهَا وَيَقْتَرِشُ نِصْفَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ عَطَاءُ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ يَسْفُ الْخُوصَ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ^(٧) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) وَفَدَّ مِنَ الْبَصَرَةِ مَعَ

(١) هكذا في « م » .. ولعله محمد بن حبيب بن أمية ، الهاشمي بالولاء ، وهو من موالى بنى العباس ، وعُلمة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، وله العديد من المصنفات والتأليف ، أشهرها « المهر » وكتبه صحيحة .. ولد في بغداد وتولى بسر من رأى سنة ٢٤٥ هـ .. وفي « ط » : « قال ابن جبلة » وربما كان هذا القول له أيضاً ، فابن جبلة (عبد الله بن حيّان الكتاني ، المتوفى سنة ٢١٩ هـ) فقيه ، وإمام من أهل الكوفة ، وله عدة مصنفات ، منها : « الرجال » و « النوادر » و « الصفة في الغيبة » وغيرها .

[انظر ابن حبيب في الأعلام ج ٦ ص ٧٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والمهر ص ٥٠٦ - ٥٢٠ .. وانظر ابن جبلة في الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ، الباب الثامن عشر ص ١٧٢ - ١٧٤] .

(٢) النَمِيل : أهل بيت الرجل الذين يَتَّفَقُ عليهم .. والقِسْط : المقدار ، أو الحصة والنصيب .

(٣) في « م » : « عَمِل » تحريف .

(٤) هو الصحابيُّ الجليل سلمان سَلَمَانَ الْفَارِسِي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « ثمانين ألف » هكذا . خطأ .. وما ورد في « م » مطابق لما ورد في طبقات ابن سعد من الحسن بنصه .

[انظر المصدر السابق ج ٤ ص ٨٧] .

(٦) في « م » : « للناس » وكلاهما صواب .

(٧) أَمْضَاهُ : قَرَفَهُ . وَيَسْفُ الْخُوصَ : يَنْسِجُهُ بِأَصَابِعِهِ . وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ، أَيْ : مِمَّا يَنْسِجُهُ مِنْ خُصْبٍ وَمَكَائِلَ .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .

أَبَى مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : فَكُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ ^(١) خُبْزٌ ثَلَاثٌ ، قَرِيبًا
وَأَقْفَاها مَادُومَةً يَسْمَنُ ، وَأَخْيَانًا يَزِيْبُ ، وَأَخْيَانًا بِلَبَنِ ^(٢) ، وَرُبَّمَا وَأَقْفَا الْقَدِيدَ الْيَاسَ
قَدْ دُقَ ، ثُمَّ أَغْلَى عَلَيْهِ بِمَاءٍ ، وَرُبَّمَا وَأَقْفَا اللَّحْمَ الْغَرِيضَ ^(٣) ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ
يَوْمًا : إِنِّي أَرَى - وَاللَّهِ - تَقْدِيرَكُمْ وَكَرَاهِيَتَكُمْ ^(٤) لِعَطَائِي ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ
أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا ، وَأَرْفَكُمْ عَيْشًا ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَجْهَلُ كَرَائِرَ وَأَسْنِمَةَ ، وَأَعْرِفُ صِلَاءَ ،
وَصَنَابًا وَصَلَاتِي ^(٥) قَالَ : وَالصَّلَاءُ : الشَّوَاءُ ^(٦) ، وَالصَّنَابُ : الْخُرْدَلُ ، وَالصَّلَاتِي :
الْخُبْزُ الرَّقَاقُ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى عِيرَ أَقْوَامًا بِأَمْرِ فَعَلُوهُ ، فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ ^(٧) . فَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى ^(٨) فَقَالَ : لَوْ كَلَّمْتُمْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفَرَضَ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ طَعَامًا فَكَلَّمْتُمُوهُ ، [فَكَلَّمْنَاهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
الْأُمَرَاءَ ، هَلْ تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟] ^(٩) فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ
الْمَدِينَةَ أَرْضٌ ^(١٠) أَلْعِيْشُ بِهَا شَدِيدٌ ، وَلَا تَرَى طَعَامًا ^(١١) يُعْنِينَا ، وَلَا يُؤْكَلُ طَعَامُكَ ،
وَأَنَا بِأَرْضٍ ذَاتِ رَيْفٍ ، وَإِنَّ أَمِيرَنَا يُعْنِينَا ، وَإِنَّ طَعَامَهُ يُؤْكَلُ . قَالَ : فَتَطَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ

(١) فِي « م » : فِي كُلِّ يَوْمٍ .

(٢) فِي « ط » : بِاللَّبَنِ .

(٣) الْغَرِيضُ : الطَّرِيُّ .

(٤) وَكَرَاهِيَتَكُمْ عَنْ « ط » .

(٥) الْكَرَائِرُ : جَمْعُ كَرَكَرَةٍ ، وَهِيَ صِلَةٌ كُلُّ ذِي حُفٍّ .. وَالْأَسْنِمَةُ : جَمْعُ سَنَامٍ ، وَهِيَ كُتْلٌ مِنَ الشَّحْمِ مُخَذَّبَةٌ
عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ . وَالصَّنَابُ : طَعَامٌ يُؤْتَدُّ بِهِ مِنَ الْخُرْدَلِ وَالزَّيْتِ .. أَمَّا الصَّلَاتِي فَهِيَ جَمْعُ صَلِيْقٍ ، وَهُوَ اللَّحْمُ
النَّضِيجُ الْمَشْوِيُّ ، وَالْخُبْزُ الرَّقِيقُ .

(٦) فِي « م » : « الشَّوَاءُ » .

(٧) فِي « م » وَ « ط » : وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا « خَطَأً .. وَالصَّوَابُ مَاثِبَتَاهُ .. انْظُرْ سُورَةَ الْأَحْقَاقِ - آيَةُ ٢٠ .

(٨) فِي « م » : « وَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ » .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفَيْنِ عَنْ « ط » وَلَمْ يَرِدْ فِي « م » .

(١٠) فِي « م » : « بَلَدٌ » .

(١١) فِي « ط » : « طَعَامُكَ » .

رَأْسُهُ فَقَالَ ^(١) : قَدْ قَرَضْتُ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَتَائِنَ وَجَرِيَّتَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ بِالْعَدَاةِ
فَضَعُ ^(٢) إِحْدَى الشَّتَائِنِ عَلَى أَحَدِ ^(٣) الْجَرِيَّتَيْنِ وَكُلَّ أَنْتَ وَأَصْحَابِكَ ، ثُمَّ أَدْعُ
بِشَرَابٍ ، ثُمَّ اسْتَقِ الْيَدَى عَنْ يَمِينِكَ ، ثُمَّ اسْتَقِ الْيَدَى عَنْ شِمَالِكَ ، ثُمَّ قُمْ لِحَاجَتِكَ ،
وَإِذَا ^(٤) كَانَ الْعِشَاءُ ^(٥) فَضَعِ الشَّاةَ الْغَائِرَةَ ^(٦) عَلَى الْجَرِيْبِ الْآخَرِ ، فَكُلْ أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ ، أَلَا وَأَوْسِعُوا النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَأَطْعِمُوا عِبَالَهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَطْلُرُ رُسْتَاقًا ^(٧)
يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ شَتَائِنَ وَجَرِيَّتَيْنِ إِلَّا يُسْرِعَانِ فِي غَرَابِهِ . وَكَانَ عُمَرُ ^(٨) قَدْ أَطْعَمَ
جَرِيَّتَيْنِ بِالْخَلِّ وَالزَّيْتِ لِكُلَّ يَوْمٍ رَجُلًا فَكَفَاهُمُ ، فَأَجْرَاهُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِمَّنْ
كَانَ فِي الدِّيَوَانِ مَكَانَ مَا كَانَتْ فَارِسٌ تُجْرِيهِ عَلَى خَيْمُولِهِمْ وَأَسَاوِيرِهِمْ ^(٩) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسْتَيْبِ وَأَبُو سَلَمَةَ ^(١٠) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
أَبَا الْعِيَالِ ، يُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَيَقُولُ : أَلَكُنْ حَاجَةٌ ؟ وَأَيُّكُنْ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا ؟
فَيُرْسِلُنَ مَعَهُ بِحَوَالِجِهِمْ ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ اشْتَرَى لَهَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ

(١) في (م) : « وقال » .

(٢) كان حق السياق أن يقال : « فضعوا » ولكن الكلام هنا موجه إلى أبي موسى الأشعري وحده .

(٣) في (م) و (ط) : « إحدى » وهذا جائز هل تأنيث « الجريب » بمعنى « الكيلة » أو المزرعة .. وما أثبتناه
أوجه .

(٤) في (م) : « فإذا » .

(٥) العشاء ، بكسر العين المهملة : وقت العشي . وفتحها : طعام العشي .

(٦) الغائرة : الباقية .

(٧) الرُستاق ، أو الرُزداق : لفظة معربة وتطلق على الناحية أو الموضع الذي فيه مَزْدَرَجٌ وقرى ، أو بيوت مجتمعة .

(٨) في (م) : « عمر بن الخطاب » .

(٩) الأساور : القوار من الفُرسان .

(١٠) هو : سعيد بن المسيب . بن حزن بن أبي وهب الخزومي ، القرشي ، أبو محمد ، سيد التابعين ، وأحد
الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة والزيت ، ولا يأخذ
عطاءً ، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سُمِّيَ بلوبة عمر .. وتوفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ .
ومولده سنة ١٣ هـ .

مِنْ بَعْضِ الثُّغُورِ يَتَّبِعُهُنَّ بِنَفْسِهِ فِي مَنَازِلِهِنَّ يَكْتُبُ أَرْوَاجِهِنَّ وَيَقُولُ : أَرْوَاجُكُمْ فِي سَبِيلِ
الله ، وَأَنْتُنَّ فِي بَلَدٍ ^(١) رَسُولُ اللهِ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَنْ يَقْرَأُ وَلَا فَاقرئين مِنَ الْأَبْوَابِ
حَتَّى أَقْرَأَ لَكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ : الرَّسُولُ يَخْرُجُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَاتَّكِبْنَ حَتَّى تَبْعَثَ
بِكُتُبِكُنَّ ، ثُمَّ يَدُورُ عَلَيْهِنَّ بِالْقَرَّاطِيسِ وَالذَّوَاةِ يَقُولُ : هَذِهِ ذَوَاةٌ وَفَرَطَاسٌ ، فَاذْنَيْنِ مِنْ
الْأَبْوَابِ ^(٢) حَتَّى أَكْتُبَ لَكُمْ ، وَهَمَّرُ إِلَى الْمُغَيَّيَاتِ ^(٣) فَيَأْخُذُ كُتُبَهُنَّ فَيَبْعَثُ بِهَا ^(٤) إِلَى
أَرْوَاجِهِنَّ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ ^(٥) : كُنْتُ عَابِلًا لِأَيِّ مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ هُوَ وَعَمَّالُهُ ، وَأَنْ يَسْتَحْلِفُوا جَمِيعًا ،
فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُ بِرَفَأٍ ، فَقُلْتُ : يَا « رَفَأُ » مُسْتَرْشِدُ وَابْنِ سَبِيلٍ ، أَيُّ الْهَيْئَاتِ
أَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَى فِيهَا عَمَّالَهُ ؟ فَأَوْثَمًا إِلَى الْخُشُوعِ ، فَاتَّخَذْتُ خُفَيْنِ
مُطَارَقَيْنِ ^(٦) ، وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ ، وَلَبِسْتُ عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي ، فَدَخَلْنَا عَلَى عَمَرَ
فَصَفَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ ^(٧) فَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنُهُ غَيْرِي ، فَدَعَانِي فَقَالَ : مَنْ
أَنْتَ ؟ قُلْتُ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ . قَالَ : وَمَا تَتَوَلَّى مِنْ أَعْمَالِنَا ؟ قُلْتُ : الْبَحْرَيْنِ .

= أما أبو سلمة ، فهو : الفقيه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . وقد مر التعريف به .

[انظر ترجمة سعيد بن المسيب في الأعلام ج ٣ ص ١٠٢ ، وطبقات الشيعة ص ٣٩ ، ٤٠ ، وطبقات ابن
سعد ج ٥ ص ١١٩ - ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٨ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٦١ - ١٧٥ ،
والمعارف ص ٤٣٧ ، ٤٣٨] .

(١) في « ط » : « بلاد » .

(٢) في « م » : « الباب » .

(٣) الْمُغَيَّيَاتِ : النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن . جمع مُغَيِّبٍ .

(٤) في « م » : « ويهت بين » أي : الرسائل .

(٥) هو : الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، من بني الديان ، أمير فاتح ، أدرك عصر النبوة ، وولي البحرين ، وقدم
المدينة في أيام عمر ، وولاه عبد الله بن عامر « سجستان » سنة ٢٩ هـ ففتحت على يديه . وله مع عمر بن الخطاب
أخبار ، وكان - رحمه الله - شجاعًا قتيلاً .. وتوفي سنة ٥٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤ ، والمعارف ص ٤٤١] .

(٦) مُطَارَقَيْنِ : مُخْصُوفَيْنِ .

(٧) فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ : نظر فينا إلى أعلى وأسفل يتأملنا .

قَالَ : وَكَمْ تُرْزَقُ ؟ قُلْتُ : أَلْفًا . قَالَ : كَثِيرٌ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(١) ؟ قُلْتُ : أَتَقَرُّ بِهَا شَيْئًا وَأَعُوذُ عَلَى أَقَارِبِ لِي ، فَمَا فَضَّلَ عَنْهُمْ ^(٢) فَعَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ، ارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِي مِنَ الصَّفِّ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ ، فَلَمْ تَفْعَعْ عَيْنُهُ إِلَّا عَلَيَّ ، فَدَعَانِي فَقَالَ : كَمْ سِنَّكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالَ : الْآنَ حِينَ اسْتَكْمَلْتَ ^(٣) . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ ، وَأَصْحَابِي حَدِيثُوا عَهْدَ بِلِينِ الْعَيْشِ ، وَقَدْ تَجَوَّعْنَا ^(٤) لَهُ ، فَأَتَى بِخُبْزٍ وَأَعْصَاءٍ بَعِيرٍ ، فَجَعَلَ أَصْحَابِي يَمَافُونَ ذَلِكَ ^(٥) ، وَجَعَلْتُ آكُلُ ، وَجَعَلْتُ ^(٦) أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَلْحَظُنِي مِنْ بَيْنِهِمْ ، ثُمَّ سَبَقْتُ مِنِّي كَلِمَةً تَمَيَّيْتُ أَنِّي سُبَعْتُ ^(٧) فِي الْأَرْضِ وَلَمْ أَقْلَهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ النَّاسَ يَخْتَابُونَ إِلَيَّ سَلَامَتِكَ ، فَلَوْ عَمَدْتُ ^(٨) إِلَى طَعَامِ الْإِنِّ مِنْ هَذَا ! فَارْجَرْنِي ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتُ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ تَنْظُرُ إِلَى قُوَّتِكَ مِنَ الطَّحِينَ أَنْ يُخَبِّرَ لَكَ قَبْلَ إِرَادَتِكَ إِيَّاهُ بِعَوْدِ ، وَيُطْلِعَ لَكَ اللَّحْمَ كَذَا ، فَتَوُتِي ^(٩) بِالْخُبْزِ لَيْتَا ، وَبِاللَّحْمِ غَرِيضًا ^(١٠) . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ثُمَّ قَالَ : هَاهُنَا رُغْتُ ^(١١) ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ^(١٢) : يَا رَبِيعُ : إِنَّا لَوْ شِئْنَا لَمَلْنَا هَذِهِ الرُّحَابَ مِنْ صَلَاتِي وَسَنَابِكِ ، يَعْنِي خُبْزَ الْخَوَارِ ^(١٣) ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى غَابَ عَلَى قَوْمِ شَهَوَاتِهِمْ فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ

(١) فِي « م » : « قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ؟ » .

(٢) فَضَّلَ عَنْهُمْ : زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ .

(٣) فِي « م » : « اسْتَحْكَمْتُ » .

(٤) تَجَوَّعْنَا : تَمَنَّيْنَا الْجُوعَ .

(٥) يَمَافُونَ ذَلِكَ ، أَيْ : كَرِهُوا ذَلِكَ الطَّعَامَ وَتَرَكُوهُ .

(٦) فِي « م » : « ثُمَّ جَعَلْتُ » .

(٧) سُبَعْتُ : غَضَبْتُ .

(٨) عَمَدْتُ : قَصَدْتُ .

(٩) فِي « م » : « فَيَوُتِي » .

(١٠) غَرِيضًا : طَرِيًّا طَلَرَجًا .

(١١) هَا هُنَا رُغْتُ ؟ أَيْ : آلَانَ كَقَفْتُ ، وَأَنْهَيْتُ كَلَامِي ؟ .

(١٢) فِي « م » : « فَقَالَ » .

(١٣) الْخَوَارِ : الدَّقِيقُ الْأَيْضُ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ مَاخُورٍ مِنْ طَعَامٍ ، أَيْ : يَتَيْضَنُ .

بِهَا ١. ثُمَّ أَمَرَ أَبَا مُوسَى بِإِقْرَارِي عَلَى عَمَلِي ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِأَصْحَابِي .

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ ^(١) : دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ^(٢) ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ حِمَصَ ، فَقَالَ : عَلَامَ يُجِئُكَ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُجِئُهُمْ فَأَحْبُونِي . قَالَ : مَا لَكَ الْيَوْمَ ^(٣) ؟ قُلْتُ : عُبَيْدِي ، وَفَرَسِي ، وَبَيْعِي ^(٤) وَخَادِمِي . قَالَ : فَمَاذَا تُلْبِسُ فِي الشِّتَاءِ ؟ قُلْتُ : عَصَابَةً أَشَدُّ بِهَا رَأْسِي ، وَجُبَّةٌ وَكِسَاءٌ . قَالَ : فَمَا تُلْبِسُ فِي الصَّيْفِ ؟ قُلْتُ : قَبِيصًا وَرِطْلَةً ^(٥) . فَأَعْطَانِي عُمَرُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقَالَ : خُذْهَا وَاسْتَنْفِقْ ^(٦) مِنْهَا ، وَأَعْطِ مِنْهَا . قُلْتُ : لَا أَرْبَ لِي فِيهَا ، وَتَسْجُدُ مَنْ هُوَ أَخْوَجُ إِلَيْهَا مِنِّي ، قَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَعَ إِلَيَّ مَالًا وَهُوَ دُونَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِي ، فَقَالَ لِي ^(٨) : يَا عُمَرُ ، مَا أَتَاكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِضَ لَهُ أَوْ تَشْرَفَ ^(٩) لَهُ نَفْسُكَ فَأَقْبَلُهُ . فَأَعْذَهُ فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَمْرَاتِيهِ ، فَقَالَ : أَتَرَيْنَ رَجُلًا لَهُ هَذَا ، مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ هُوَ أُمٌّ ^(١٠) مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ؟ فَقَالَتْ : بَلْ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ . فَقَسَمَهَا حَتَّى ^(١١) يَبْقَيْتَ مِنْهَا صَرَّةً ، أَطْنُ فِيهَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا ^(١٢) أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَاتِيهِ ، أَلَيْسَ لِي أَنَا حَقٌّ ؟ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا ^(١٣) .

(١) « واستمتع بها » لم ترد في « م » . والآية سبق تخريجها .

(٢) هو : قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْحَزَائِيُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، صَحَابِيٌّ ، وَمِنْ وَجْهِهِ الْفَقْهَاءُ ، وَلَدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ كَانَ عَلَى خِاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالشَّامِ . وَتَوَلَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والمعارف ص ٤٤٧] .

(٣) في « م » : « عبد الله بن سعيد » . لم أقف عليه .

(٤) اليوم « عن « م » .

(٥) في « ط » : « وبخل » بالعين المهملة ، أَيْ : وَزَوْجِي .

(٦) الرِّطْلَةُ : كُلُّ ثَوْبٍ لِيْنٍ وَثِيقٍ .

(٧) اسْتَنْفَقَ : أَتَقَفَّ .

(٨) في « ط » : « فقال : يا عمر » .

(٩) تَشْرَفَ لَهُ : تَطَّلَعَ إِلَيْهِ .

(١٠) في « م » : « أو » مكان « أم » .

(١١) في « م » : « حين » مكان « حتى » تعريف .

(١٢) « دينارًا » عن « م » .

(١٣) في « ط » : « إياها » .

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَبِيبَةَ ^(١) يَتَنَا نَحْنُ بِحُتَاصِرَةٍ ^(٢) إِذَا بِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ عَنْ دَارِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَرْشَدَنَا هَا إِلَى الدَّارِ ، فَزَارَتْ ^(٣) دَارًا مُتَهَشِّمَةً ، فَقَالَتْ لِحَيَّاطٍ
 هُنَاكَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى فَاطِمَةَ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : فَادْخُلِي ^(٤) وَصَوْتِي
 بِهَا ، فَإِنَّهَا تَأْذُنُ لَكَ . فَدَخَلَتْ ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْ مَا هُنَاكَ ^(٥) قَالَتْ : جِئْتُ أُرْمِ فَقْرِي مِنْ
 بَيْتِ الْفُقَرَاءِ ، وَإِذَا رَجُلٌ ^(٦) يَعْمَلُ فِي الطَّلِينِ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : هُوَ
 ذَاكَ ^(٧) يَعْمَلُ فِي الطَّلِينِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ زَوْجِي وَكَرَّكَ لِي ثَمَانِي
 بَنَاتٍ ^(٨) . فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : تُفْرِضُ لِهُنَّ ،
 قَالَ : تُفْرِضُ لِلْكُبْرَى ، مَا اسْمُهَا ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ :
 مَا اسْمُ الثَّانِيَةِ ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٩) ، حَتَّى كَتَبَ السَّابِعَةَ ،
 فَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَلَرَحَ الْقَلَمُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ لَهَا : أَمَا أَتُكِّ لَوْ
 وَلَيْتَ الْحَمْدُ أَهْلَهُ ^(١٠) لَا لِمَنْتَاهُنَّ لَكَ ، مُرِيَ السَّبْعَ فَلْيُؤَسِّسِ الثَّامِنَةَ ^(١١) .

* * *

(١) هكذا في «م» .. وفي «ط» : «زيد بن حبيوة» خطأ . وهو : رجاء بن حبيوة بن جرول الكندي ، شيخ
 أهل الشام ، وكان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز ، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر .. وقد
 أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٢) حُتَاصِرَةٌ : بَلَدٌ مِنْ أَصْحَالِ «حلب» «مخاض» «فسرين» نحو البادية .

(٣) في «م» : «فراى» «تحريف» .

(٤) في «م» : «فقال» «ادخل» .. وصوتى بها ، أى : نادى .

(٥) في «م» : «هنالك» .

(٦) في «م» : «يرجل» .

(٧) في «ط» : «ذلك» .

(٨) في «ط» و «م» أيضا : «ثمان» بدلون الياء ، والمعروف أن «الثانية» إذا أُضيفت إلى مؤنث تثبت الياء فيها

ثبوتهما في «القاضي» وتُعرَّبُ إعراب المفعول . تقول : جاء ثمانى نسوة ، ورأيت ثمانى نسوة .

[انظر - المصباح المنير - مادة ثَمَن] .

(٩) قوله : «فقال» : الحمد لله «عن ط» .

(١٠) في «م» : «لأخيه» .

(١١) ل «ط» : «هذه الثامنة» .

البَابُ الحَادِي وَالْخَمْسُونَ

فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ ^(١) قَالَ : كَتَبْنَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جِئِنَ صَالَحَ نَصَارَى أَهْلِ الشَّامِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ لِعَبِيدِ اللَّهِ عَمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا : إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذُرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا ^(٢) . وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدَائِنِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا ذِمًّا وَلَا كَنِيْسَةً وَلَا قَلِيَّةً ^(٣) وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا عَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا مَا كَانَ مُحْتَطًّا مِنْهَا ^(٤) فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَأَنْ نُوَسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ، وَأَنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، نَطْعِمُهُمْ ، وَلَا نَأْوِي فِي كَنَائِسِنَا وَلَا فِي مَنَارِلِنَا جَاسُوسًا ، وَلَا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُعَلِّمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ ، وَلَا نُظْهِرَ شَرْعَنَا ، وَلَا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا نَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فِي

(١) هو : عبد الرحمن بن غنم الأشمري ، رأس التابعين وشيخ أهل فلسطين ، وقيه الشام في عصره ، ولد في حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها .. وكان - رحمه الله - عالمًا كبير القدر .. وتوفي سنة ٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١] .

(٢) في « م » : « وَأَمْوَالِنَا وَذُرَارِينَا » .

(٣) قَلِيَّةٌ : صَوْمَعَةٌ .

(٤) في « م » : « وَلَا مَا كَانَ مِنْهَا » .

الإسلام إن أرادَهُ ، وَأَنْ تُؤَقِّرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَقُومَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ ، وَلَا تَقْشِبْهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : مِنْ ^(١) قَلَنْسَوَةٍ ، وَلَا عِمَامَةٍ ، وَلَا تَعْلِينَ ، وَلَا فَرْقٍ شَعْرٍ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَتَكَنَّى بِكُنَاهُمْ ، وَلَا تَرْكَبْ بِالسَّرُوجِ ، وَلَا تَقْلُدَ ^(٢) بِالسَّيُوفِ ، وَلَا تَتَّخِذْ شَيْئًا مِنَ السَّلَاحِ ، وَلَا نَحْمِلَهُ مَعًا ، وَلَا تَنْقُشَ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا تَبِيعَ الْخُمُورَ ، وَأَنْ نَجْزِيَ مَقَادِمَ رُغُوسِنَا ، وَنَلْزِمَ زِينَتَنَا حَيْثُمَا كُنَّا ، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَائِرَ ^(٣) عَلَى أَوْسَاطِنَا ، وَلَا نُظْهِرَ صُلْبَانَنَا وَكُتُبَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طَرُقِ ^(٤) الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا أُسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نُضْرِبَ تَوَاقِسَنَا فِي كِتَابِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا ، وَلَا نَرْفَعُ أُصْوَاتَنَا بِالْفِرَاقَةِ فِي كِتَابِنَا فِي شَيْءٍ مِنْ حَضَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُخْرِجَ شَعَائِنَنَا وَلَا بَاعُوثَنَا ^(٥) ، وَلَا نَرْفَعُ أُصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا ، وَلَا نُظْهِرَ التَّيْرَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ طَرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أُسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نُجَاوِرُهُمْ بِمَوْتَانَا ، وَلَا نَتَّخِذُ مِنَ الرَّيْقِ مَا جَزَى ^(٦) عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نَطْلُعَ ^(٧) عَلَى مَنَازِلِهِمْ .

فَلَمَّا أُتِيتُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ : « وَلَا تُضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَطْنَا ^(٨) ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ بِلَدِنَا ، وَقَبَلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ ^(٩) ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ يَمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَضَمِنَاهُ ^(١٠) عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا ، وَقَدْ حُلَّ بَيْنَا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَانِدَةِ وَالشَّقَاقِ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَمْضِيَ مَا سَأَلُوهُ ،

(١) لى م : « دى » مكان « من » .

(٢) فى م : « مركب .. ولا يقلد » بالياء .. تحريف من الناسخ .

(٣) الزنائر : جمع زنار ، وهو ما يشده النصراني على وسطه .

(٤) من هنا إلى قوله : « حضرة المسلمين » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٥) الشعانين : عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يُحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .. والباعوث : صلاة ثالى الفصح عند النصارى ، وهى لفظة سريانية معربة .

(٦) لى م : « ما يجرى » .

(٧) فى « ط » : « نطلع » .

(٨) فى م : « وشرطنا » .

(٩) « الأمان » عن « ط » .

(١٠) فى م : « عن شيء مما وصفتنا لكم وشرطناه » .

وَالْحَقُّ فِيهِ خَرْفَيْنِ اشْتَرَطْتُهُمَا ^(١) عَلَيْهِمْ ، مَعَ مَا شَرَطُوا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَنْ لَا يَشْتَرُوا شَيْئًا مِنْ سَبَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ مُسْلِمًا عَمْدًا فَقَدْ خَلَعَ عَهْدَهُ .

وَرَوَى نَافِعٌ عَنْ أَسْلَمَ ^(٣) مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي النَّصَارَى أَنْ يُقَطَعَ رِكْبُهُمْ ، وَأَنْ يَرْكَبُوا عَلَى الْأَكْفِ ^(٥) ، وَأَنْ يَرْكَبُوا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ^(٦) ، وَأَنْ يَلْبَسُوا خِلَافَ زِيِّ الْمُسْلِمِينَ لِيَعْرِفُوا .

وَرَوَى أَنَّ بَنِي تَغْلِبَ ^(٧) دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ، افْرِضْ لَنَا . قَالَ : نَصَارَى ؟ قَالُوا : نَصَارَى . قَالَ : ادْعُوا لِي حَبَّامًا ، فَفَعَلُوا ، فَجَزَّ نَوَاصِيَهُمْ ^(٨) ، وَشَقَّ مِنْ أُرْدِيَتِهِمْ ^(٩) حُرْمًا يَحْتَزِمُونَهَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْكَبُوا السَّرُوجَ ، وَيَرْكَبُوا ^(١٠) الْأَكْفَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ .

وَرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ ^(١١) أَقْصَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَلَمْ يَسْتَغْلِبْهُمْ ،

(١) في « م » : « اشترطتهما » .

(٢) في « م » : « شرطوه » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « سالم » خطأ .. وهو : أسلم ، أبو زيد العلوي ، مولى عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين ، وأصله حبشي ، اشتراه عمر سنة ١١ هـ لما حج .. وقيل : هو من سبي « عين التمر » . وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٠ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣] .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) الْأَكْفُ : جمع [كف] ، وهو برذعة الحمار وغيره .

(٦) « واحد » عن « م » .. والشَّقُّ : الجانب والناحية .

(٧) في « م » : « تغلب » تحريف .. وتغلب قبيلة عظيمة تنسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن دُعْيَى ، وتفرع منها فروع عديدة .

[انظر لسان العرب ، مادة « غلب » ، ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٣] .

(٨) أَى : قَصَّ مُقْلَمَ شَعْرَ رُءُوسِهِمْ .

(٩) في « م » : « وشق أرديتهم » .

(١٠) أَى : وَأَنْ يَرْكَبُوا .. وفي « م » : « ويركبون » . والأول أصح .

(١١) هو الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر ، أبو الفضل بن المتصم بن هارون الرشيد .. ولد ببغداد سنة

٢٠٦ هـ . وبويع له بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ . وكان جوادًا محبًّا للعرمان ، ومات مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦٥ - ١٧٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٦ - ٤١٧] .

وَأَذْلَهُمْ ^(١) وَأَقْصَاهُمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ رِيْهِمْ وَرِيَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى أُتَوَابِهِمْ مِثَالًا لِلشَّيَاطِينِ ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَ مِنْهُ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَبَاعَدَ عَنْهُ ^(٢) أَهْلَ الْبَاطِلِ وَالْأَهْوَاءِ ، فَأَحْيَا اللَّهَ بِهِ الْحَقَّ ، وَأَمَاتَ بِهِ الْبَاطِلَ ^(٣) فَهُوَ يُذَكِّرُ بِذَلِكَ ، وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : لَا تُسْتَعْمِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ رِشَا فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَحِلُّ فِي دِينِ اللَّهِ الرَّشَا ^(٤) . وَلَمَّا اسْتَقْدَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ مِنَ الْبَصْرَةِ - وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا - لِلْحِسَابِ ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاسْتَأْذَنَ لِكِتَابَتِهِ ^(٥) وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، وَضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذِهِ ، وَلَيْتَ ذِمًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٦) أَلَا اتَّخَذْتُ حَيْفًا ^(٧) ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ . فَقَالَ : لَا أَكْرِمُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَعِزُّهُمْ إِذْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَذِينُهُمْ ، إِذْ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ .

وَكَتَبَ بَعْضُ الْعُمَّالِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ الْعَدُوَّ ^(٩) قَدْ كَثُرَ ، وَأَنَّ الْجَزْيَةَ قَدْ كَثُرَتْ ، فَتَسْتَعِينُ بِالْأَعَاجِمِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ^(١٠) : أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ

(١) « وَأَذْلَهُمْ » : من « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) في « م » : « : بَاعَدَ مِنْهُ » .

(٣) في « م » : « : أَهْلُ الْبَاطِلِ » .

(٤) في « م » : « : وَلَا يَحِلُّ الرِّشَا » .

(٥) في « م » : « : لِكِتَابَتِهِ حُضْرَانِ » .

(٦) سورة المائدة - من الآية ٥١ .

(٧) حَيْفًا : مُسَلِّمًا ثَابِتًا عَلَى الْإِسْلَامِ .

(٨) ما بين المعرفين عن « م » .

(٩) مَكَلًا في « م » وفي المستطرف ج ١ ص ٢٤٩ .. وفي « ط » : « : الْعَدُوَّ » خطأ .

(١٠) في « م » : « : عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » .

الله ، وَأَنَّهُمْ لَنَا غَشَشَةٌ ^(١) فَأَنزَلُوهُمْ حَيْثُ أُنزِلَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُرْكَدُوا إِلَيْهِمْ شَيْئًا . وَقَالَ
عِمْرَانُ ^(٢) بَنُ أَسَدٍ : أَتَانَا كِتَابُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ : أَمَا بَعْدُ ،
فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ فِي عَمَلِكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : حَسَّانُ بْنُ بَرَزَى ، عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ، وَاقْبُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُمْيِنِينَ ﴾ ^(٣) . وَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ حَسَّانَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَهَوُ مِنَّا وَتَحْنُ مِنهُ ، وَإِنْ أَبَى
فَلَا تُسْتَعِين بِهِ ^(٤) وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ ^(٥) غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِ ، فَاسْلَمَ .

وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) إِلَى بَدْرٍ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
فَلَحِقَهُ ^(٧) عِنْدَ الْحَرَّةِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُبِيدُ أَنْ أَتْبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ . قَالَ ^(٨) : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَفَرِحَ
بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ ، فَقَالَ ^(١٠) : جَعَلْتُكَ
لَأَتْبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ
بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَخَرَجَ بِهِ . وَهَذَا أَصْلُ عَظِيمٍ فِي أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِكَافِرٍ ، هَذَا وَقَدْ خَرَجَ

(١) غَشَشَةٌ : جمع غاشٍ .

(٢) في م : : عمر .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧ .

(٤) في م : : فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِهِ .

(٥) في ط : : وَلَا تَأْخُذْ : خطأ .. و من عن ط : ولم ترد في م .

(٦) في ط : : عليه السلام .

(٧) في م : : فلقبه .

(٨) في م : : فقال .

(٩) في ط : : عليه السلام .

(١٠) في م : : قال .

لِيَقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) وَيُرَاقَ دُمُهُ ، فَكَيْفَ اسْتَعْمَلَهُمْ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَالِهِ أَنْ لَا تُؤْلُوا عَلَى أَعْمَالِنَا إِلَّا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ : إِنَّا وَجَدْنَا فِيهِمْ حَيَاةً . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ فَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي غَيْرِهِمْ خَيْرٌ .

فصل

وَمَتَى نَقَضَ الذَّمُّ الْعَهْدَ ^(٢) بِمُخَالَفَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الشُّرُوطِ الْمَأْخُودَةِ عَلَيْهِ لَمْ يَرُدَّ إِلَى مَأْمِيهِ ، وَالْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْاسْتِرْقَاقِ . وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ : وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّبَاسِ ، فَإِنْ ^(٣) لَبَسُوا قَلَانِسَ مَيِّزُوهَا عَنْ قَلَانِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَرِقِ ، وَيَشُدُّونَ الزَّنَانِيرَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَكُونُ فِي رِقَابِهِمْ ^(٤) خَاتَمٌ مِنْ رِصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ ^(٥) ، أَوْ جَرَسٍ يَدْخُلُ مَعَهُمُ الْحَمَامُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا الْعَنَائِمَ وَالطَّلِيسَانَ ^(٦) .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَشُدُّ الزُّنَارَ تَحْتَ الْإِزَارِ ، وَقِيلَ : فَوْقَ الْإِزَارِ ، وَهُوَ الْأَوَّلَى ، وَيَكُونُ فِي عُنُقِهَا خَاتَمٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَامُ ، وَيَكُونُ أَخَذَ خُفَيْهَا أَسْوَدَ وَالْآخَرَ أَبْيَضَ ، وَلَا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ ، وَيَرْكَبُونَ الْبِقَالَ وَالْحَمِيرَ بِالْأَكْفِ غُرَضًا ^(٧) ، وَلَا يَرْكَبُونَ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا يَتَصَدَّرُونَ ^(٨) فِي الْمَجَالِسِ ، وَلَا يَتَدَعُونَ بِالسَّلَامِ ، وَيُلْجَعُونَ إِلَى أَصْبَحِ الطَّرِيقِ ^(٩) ،

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « عهد الذمة » .

(٣) في اللباس « عن « ط » .. وفيها : « وإن » مكان « فإن » .

(٤) في « م » : « أَرْقَائِهِمْ » خطأ . فجمع رقة : رَقَبَ وَرَقَاتٍ وَرِقَابَ .

(٥) قوله : « أو نحاس » عن « ط » .

(٦) الطَّلِيسَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَوْشَاحِ يُنَاسُ عَلَى الْكَتِفِ ، أَوْ يَحِيطُ بِالْيَدَيْنِ ، خَالٍ مِنَ التَّضْفِيلِ وَالْحَيَاظَةِ ، وَهُوَ مَا يُحْرَفُ بِالْعَامِيَةِ الْمَصْرِيَّةِ بِالشَّالِ .. وَهُوَ فَارِسِي مُعَرَّبٌ .

(٧) الغُرَضُ : بَضْمُ الْعَيْنِ لِلْمَهْلَةِ : الْجَانِبِ وَالنَّاحِيَةِ ، أَيْ : مِنْ نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٨) في « م » : « وَلَا يَتَصَدَّرُونَ » وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٩) في « ط » : « الطريق » .

وَيُمنَعُونَ أَنْ يَعلَوْا ^(١) عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ ، وَتُجَوَّزُ الْمُسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لَا تُجَوَّزُ ، بَلْ يُمنَعُونَ . وَإِنْ تَمَلَّكُوا ذَارًا عَالِيَةً أَقْرَأُوا عَلَيْهَا ، وَيُمنَعُونَ مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ ، كَالْحَمْرِ ^(٢) وَالْخِنْزِيرِ وَالنَّافُوسِ ، وَالْجَنَهِرِ بِالتَّوَرَةِ وَالْإِنجِيلِ ، وَيُمنَعُونَ مِنَ الْمَقَامِ ^(٣) فِي الْحِجَازِ ، وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ .

وَيَجْعَلُ الْإِمَامُ عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ ^(٤) مِنْهُمْ رَجُلًا يَكْتُبُ أَسْمَاءَهُمْ وَحُلَاهُمْ ، وَيَسْتَوْفِي جَمِيعَ مَا يُؤْخَذُونَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُوطِ . وَإِنْ ائْتَنَعُوا مِنْ آدَاءِ الْجِزْيَةِ وَالتَّزَامِ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ ^(٥) انْتَقَضَ عَهْدُهُمْ . وَإِنْ رَأَى أَحَدُهُمْ بِمُسْلِمَةٍ ، أَوْ أَصَابَهَا بِنِكَاحٍ ، أَوْ آوَى عَيْنًا ^(٦) لِلْكَفَّارِ ، أَوْ دَلَّ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ قَتَلَ مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ ، أَوْ قَتَلَهُ ، أَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) وَرَسُولَهُ بِمَا لَا يُجَوَّزُ ، قِيلَ : يَنْتَقِضُ ، وَقِيلَ : لَا يَنْتَقِضُ ^(٨) . وَإِنْ فَعَلَ مَا يُمنَعُ مِنْهُ ، بِمَا لَا ضَرَرَ فِيهِ ، كَتَرَكَ الْغِيَارِ ، وَإِظْهَارِ الْحَمْرِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، عَزَّرَ عَلَيْهِ ^(٩) . وَتَمَتَّى فَعَلَ مَا يُوجِبُ ^(١٠) نَقْضَ الْعَهْدِ رُدًّا إِلَى مَأْمَرِهِ ، فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَقِيلَ فِي الْآخَرِ ، فِي الْقَوْلِ الْآخَرِ .

فصل

فِي ^(١١) تَقْدِيرِ الْجِزْيَةِ اخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِيرَةُ الْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ ^(١٢)

(١) فِي (م) : « وَيُمنَعُونَ » لَا تَصِحُّ .. وَفِيهَا : « أَنْ يَعلَوْا » مَكَانَ « أَنْ يَعلَوْا » تَغْرِيفٌ .

(٢) فِي (م) : « وَالْحَمْرِ » .

(٣) فِي (م) : « وَيُمنَعُونَ الْمَقَامَ » .

(٤) فِي (م) : « عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ » .

(٥) فِي (م) : « مِنْ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَأَدَاءِ الْجِزْيَةِ » .

(٦) عَيْنًا : جَاسُوسًا .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْطَفَيْنِ عَنْ (م) .

(٨) قَوْلُهُ : « وَيُمنَعُونَ » لَا يَنْتَقِضُ عَنْ (م) « وَلَمْ تَرُدَّ فِي (ط) » .

(٩) عَزَّرَ : أَدَّبَ وَوَقَّظَ عَلَيْهِ .

(١٠) فِي (م) : « وَمَنْ فَعَلَ مَا لَا يُوجِبُهُ » .

(١١) فِي (م) : « وَفِي » .

(١٢) مَكْنَا فِي (ط) « وَالْمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي (م) : « بِالْأَقَلِّ » .

عَلَى مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ بِالْكُوفَةِ ، فَوَقَعَ عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ حَبِيل ، وَأَخَذَ قَوْلِي الشَّافِعِيُّ ، وَجَعَلُوهُ كَأَنَّهُ حُكْمُ إِمَامٍ فَلَا يَنْقُضُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مُرْدُودَةٌ إِلَى الْإِمَامِ فِي الزَّهَادَةِ وَالْتِقَصَانِ ، وَهُوَ الْأَقْبَسُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مُقَدَّرَةٌ الْأَقْلَ دُونَ الْأَكْثَرِ ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَهْدِيَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ عُمَرُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْقُصَ عَنْهُ ^(١) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُمْ ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارٌ . وَقَالَ مَالِكٌ : يُؤْخَذُ مِنَ الْمُوسِرِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَمِنَ الْفَقِيرِ دِينَارٌ وَعِشْرَةُ دَرَاهِمٍ . وَيَخْرُجُ ^(٢) عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ فِي وَجُوبِ تَقْدِيرِ طَرَفَيْهَا قَوْلَانِ ، بِنَاءً عَلَى الْعُشْرِ الْمَأْخُودِ بِهِمْ ^(٣) هَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ شَرْعِيٌّ لَا ^(٤) تَجُوزُ فِيهِ الزَّهَادَةُ وَالْتِقَصَانُ ؟ وَعَنْ مَالِكٍ فِيهِ رَوَاتَانِ ، وَلَا جِزْيَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْمَمَالِكِ وَالصَّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٥) : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ وَجَوْرٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَمَتَنَ سَبْعَةَ سَنَاهَا عَلَيْهِمْ عُمَّالُ السُّوءِ ، فَاحْزَرُوا عَلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ ، وَلَا تُحْمِلْ غَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ، وَلَا عَامِرًا عَلَى غَرَابٍ ، وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الْغَرَابِ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ ، وَلَا مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةَ الْخَرَاجِ ، إِلَّا وَزْنَ سَبْعَةِ لَيْسَ لَهَا أَسٌّ ، وَلَا أَجُورِ الضَّرَائِينَ ^(٦) ، وَلَا أَدَاةَ الْفِضَّةِ ، وَلَا هَدِيَّةَ

(١) فِي (م) : () مِنْهُ .

(٢) فِي (م) : () وَخَرَجَ .

(٣) فِي (ط) : () مِنْهُ .

(٤) فِي (م) : () وَلَا .

(٥) هُوَ : عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ ، أَبُو عَمْرِ ، وَالْإِمَامُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَتَقَعَ فِي الْحَدِيثِ .. اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْكُوفَةِ . وَتَوَفَّى بِحِمْزَانَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ نَحْوَ سَنَةِ ١١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والمعارف ص ١٨٠ ، ٤٦٥] .

(٦) الضَّرَائِينَ : الْحَاسِينَ الَّذِينَ يُهْمُونَ أَوْ يَفْرَضُونَ الْأَنْصَبَ - وَفِي (م) : () : «الضَّرَائِينَ» عَلَى الْإِبْدَالِ .

النَّيَّورِ وَالْمَهْرَجَانِ ، وَلَا تَمْنِ الْمُصْحَفِ ، وَلَا أَجُورِ الثَّبُوتِ ، وَلَا دَرَاهِمِ التَّكَاجِ ،
وَلَا خَرَجَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ .

وَالْوَاجِبُ أَنْ يُؤْعَدَّ مَا ضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ : مِنْ كُلِّ
جَرِيبٍ كَرْمٍ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ نَحْلٍ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ ^(١)
حِنْطَةٍ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ شَعِيرٍ دَرَاهِمَانِ .

فصل

وَأَمَّا ^(٢) الْكِنَائِسُ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنْ تُهْدَمَ كُلُّ كَنِيسَةٍ لَمْ
تَكُنْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَتَمْنَعُ أَنْ تُحْدَثَ ^(٣) كَنِيسَةٌ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا تَظْهَرَ عَلَيْهِ ^(٤) خَارِجَةٌ مِنْ
كَنِيسَةٍ ، وَلَا يَظْهَرُ صَلِيبٌ خَارِجٌ ^(٥) مِنْ كَنِيسَةٍ إِلَّا كُسِرَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ . وَكَانَ
عُرْوَةُ بْنُ مَحْمُودٍ يَهْدُمُهَا بِصَنْعَاءَ ، وَهَذَا مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ . وَشَدَّدَ فِي
ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَتْرَكَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ بَيْعَةٌ وَلَا كَنِيسَةٌ بِحَالٍ ،
قَدِيمَةٌ وَلَا حَدِيدَةٌ . وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : مِنْ السُّنَّةِ أَنْ تُهْدَمَ الْكِنَائِسُ الَّتِي
فِي الْأَمْصَارِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيدَةُ ، وَتَمْنَعُ ^(٦) أَهْلُ الذُّمَّةِ مِنْ بِنَاءِ مَا خَرِبَ . قَالَ
الْإِسْطَخْرِيُّ ^(٧) : إِنْ طِينُوا ظَاهِرَ الْحَائِطِ مُنَعُوا ، وَإِنْ طِينُوا دَاخِلَهُ الَّذِي يَلِيهِمْ لَمْ يُنْعُوا .
وَيُمنَعُونَ أَنْ يَغْلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ ، وَتَجُوزُ الْمُسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لَا تَجُوزُ .

(١) سقطت « جريب » من « م » سهواً من الناسخ . والجريب مكيال قلتر أربعة أقيزة ، والقفيز يختلف مقداره في
البلاد ، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) في « م » : : : : : قَائِمًا .

(٣) أى : بُنِيَ حديثاً .. وفي المستطرف : « تجدد » .. وفي « م » : : « تحدث كل كنيسة » .

(٤) في « م » : : : : : عَلَيْهِ خَارِجٌ . والعلية بكسر العين وضمة : الغرفة الثانية من البناء وما فوقها .

(٥) في « م » : : : : : صَلِيبًا خَارِجًا . بالنصب . لا يصح .

(٦) في « م » : : : : : جَمِيعُ مَكَانٍ وَتَمْنَعُ « تحريف » .

(٧) هو : الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطخري ، أبو سعيد ، فقيه شافعي ، كان من نظراء أبي العباس وابن
سريج ، ولحق قضاء « قم » بين أصفهان وسلاوة ، ثم جسة بغداد .. واستقضاه القنتر على سجستان .. ولد
سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ وله الكثير من المصنفات .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وطيقات الشوزلي ص ١١٩] .

البَابُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ (٥) الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْوَلَاةِ

اَعْلَمَ اُرْشَدَكَ اللهُ [تَعَالَى] (١) اَنَّ مَنَزِلَةَ الْعُمَالِ مِنَ الْوَالِي مَنَزِلَةُ السَّلَاحِ مِنَ الْمُقَاتِلِ ، فَاجْتَنِدْ جَهْدَكَ فِي اِتِّعَاءِ صَالِحِ (٢) الْعُمَالِ . وَإِذَا فَقَدَ الْوَالِي عُمَالَ (٣) الصَّدِّقِ ، كَانَ كَفَقْدِ الْمُقَاتِلِ السَّلَاحِ يَوْمَ الْحَرْبِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى طَبَقَاتِ الرُّجَالِ كَمَا نَحْتَاجُ الْحَرْبَ (٤) إِلَى أَصْنَافِ الْعُدَّةِ ، فَمِنْهَا الدَّرَقُ لِلْإِسْتِجْنَانِ (٥) ، وَالسِّيفُ لِلْمُنَاجَزَةِ ، وَالرُّمْحُ لِلْمُطَاعَنَةِ ، وَالسَّهْمُ لِلْمَبَاعَدَةِ (٦) ، وَالدَّرْعُ لِلتَّحْصِينِ ، وَلِكُلِّ مِنْهَا مَوْضِعٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ .

وَالرُّجَالُ لِلْمَلِكِ كَالْأَدَاةُ لِلصَّانِعِ ، لَا يَسُدُّ بَعْضُهَا مَسَدُ بَعْضٍ ، كَذَلِكَ طَبَقَاتُ الرُّجَالِ لِلْمَلِكِ ، مِنْهُمْ لِلرَّأْيِ (٧) وَالْمَشُورَةِ ، وَمِنْهُمْ لِإِدَارَةِ الْحَرْبِ ،

(٥) فِي « م » : « فِي الصِّفَاتِ » .

(١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبَيْنِ عَنْ « ط » .

(٢) فِي « م » : « مَصَالِحُ » .

(٣) فِي « م » : « عِيَالٌ غَرِيفٌ » .

(٤) فِي « ط » : « يَحْتَاجُ » بِالْيَاءِ .. وَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ تَذَكَّرَ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ .

(٥) فِي « م » : « وَالْإِسْتِجْنَانِ » .. وَالدَّرَقُ : جَمْعُ دَرَقَةٍ ، وَهِيَ الثَّرْسُ مِنْ جِلْدٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ ..

وَقَوْلُهُ : لِلْإِسْتِجْنَانِ ، أَيْ : لِلْإِسْتِخَارَةِ بِهَا .

(٦) لِلْمُنَاجَزَةِ : لِلْمُقَابَلَةِ وَالتَّرَالِ .. وَالْمُطَاعَنَةُ ، صِبْغَةٌ مُقَابَلَةٌ تَدُورُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، أَيْ : يَطْلَعُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ..

وَالسَّهْمُ لِلْمَبَاعَدَةِ ، لِلْمُقَابَلَةِ عَنْ بُعِيدٍ .

(٧) فِي « م » : « الرَّأْيِ » .

وَمِنْهُمْ لِمُبَاشِرَةِ الْحَرْبِ ، وَمِنْهُمْ لَجَمْعِ الْأَمْوَالِ ، وَمِنْهُمْ لِحِفْظِهَا ، وَمِنْهُمْ لِلجَبَايَةِ ^(١) ، وَمِنْهُمْ لِلْكِتَابَةِ ، وَمِنْهُمْ لِلْجَمَالِ وَالْفَخْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلْمُبَاهَاةِ وَالذِّكْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلدُّعَاءِ وَالْوَقَارِ ، وَمِنْهُمْ لِلْعِلْمِ وَالْفَتْيَا وَحِفْظِ أَسَاسِ الْمِلَّةِ ، فَلَا يَكْمُلُ لِلْمَلِكِ مُلْكٌ مَا لَمْ يَجْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا مَاتَ كِسْرَى بَلَغَ مَوْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنْ اسْتَخْلَفُوا ؟ قَالُوا : ابْنَتُهُ « بُورَان » ^(٢) . قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ أَسْتَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا كَانَتْ بِنْتُ الْحَرَّةِ ^(٣) قِيلَ : مَنْ اسْتَعْمَلَ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ ^(٤) عَلَى قُرَيْشٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الرَّاهِبِ ^(٥) عَلَى الْأَنْصَارِ . قَالَ : أَمِيرَانِ ؟ هَلَكَ وَاللَّهِ الْقَوْمُ .

(١) لى « ط » : « للحماية » مكان « للجباية » .

(٢) حينما وليت بوران بنت كسرى ملكاً أيها لم تنجى الخراج ، وفرت الأموال بين الجند والأشراف ، فكانت مدة ملكها سنة وستة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٦] .

(٣) الحرّة : هى حرّة واقم بالمدينة ، وبها كانت وقعة الحرّة المشهورة فى أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ . وكان سببها تخلع أهل المدينة ليزيد ومبايعتهم لعبد الله بن الزبير .. وكان أمر الجيش فيها من قبل يزيد مسلم بن عقبة المُرَى ، وصموه - لقبه صمعه - « مُشْرِقًا » ، فبينما قُدم المدينة نزل حرة واقم ، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم ، وقتل من الموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة ، وقبيل : ألفاً وسبعمائة ، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة ، ودخل جنوده المدينة فنهبوا الأموال ، وسبوا الذريرة ، وفعلوا ما يندى له جبين الحر .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩ ، مادة « حرة واقم »] .

(٤) هو : عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي ، من جلة قريش جلدًا وشجاعة ، وكان على قريش يوم الحرّة ، فلما انتهزم أصحابه توازى فى المدينة ، ثم سكن مكة ، واستعمله ابن الزبير على الكوفة فأخرجهم المختار بن أبى عبيد منها ، فعاد إلى مكة ، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير فى حصار الحجاج له سنة ٧٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٩ ، والمعارف ص ٣٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، والمحرر ص ٤٩٤ ، ٤٩٥] .

(٥) هو : عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الراهب الأنصارى الأومى .. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتل أبوه فى أحد شهيدًا وخلفه جنيثًا فى بطن أمه ، فنشأ يتيمًا ، وغُرِف بالشجاعة .. ولما ثار أهل المدينة يوم الحرّة ، وأخرجوا عُمَال بنى أمية ، أجمعوا عليه ، فولّوه أمرهم ، فبايعهم على الموت ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٥ - ٦٨] .

وَلَيْسَ يُشْتَرَطُ النَّسَبُ ^(١) إِلَّا فِي الْإِمَامَةِ الْعَظْمَى دُونَ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ . وَلَمَّا اسْتَحْضَرَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ ^(٢) مِنَ الْخَطَبَاءِ ، قَالَ لَهُ هِشَامُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ الْخِلَافَةَ وَلَا تَصْلُحُ لَهَا ، لِأَنَّكَ ابْنُ أُمَةٍ . قَالَ زَيْدٌ : فَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أُمَةٍ ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ حُرَّةٍ ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . ثُمَّ اتَّهَمَهُ فِي أَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَنَا أَخْلِفُ لَكَ . قَالَ هِشَامُ : وَمَنْ يُصَدِّقُكَ ؟ قَالَ زَيْدٌ : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : ذُلُونِي عَلَى رَجُلٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَمْرِ قَدْ أَهْمَنِي . قَالُوا : وَكَيْفَ تُرِيدُهُ ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ ^(٣) كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا الرَّبِيعَ بْنَ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ . قَالَ : صَدَقْتُمْ هُوَ لَهَا .

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ اسْتَشَارَ فِي قَوْمٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : عَلَيْكَ بِالْأَهْلِ الْعَدْلِ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالُوا : الَّذِينَ إِنْ عَدَلُوا فَهُوَ مَا رَجَوْتَ ، وَإِنْ

(١) « النسب » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٢) في « م » : « وكانوا » تحريف من الناسخ .. وزيد بن حل بن الحسين بن حل بن أبي طالب ، وأمه أم ولد « سندية » .. من خطباء بني هاشم ، قال عنه أبو حنيفة : ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولاً .. وكانت إقامته بالكوفة وأشخص إلى الشام ، فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحسبه خمسة أشهر ، وعاد إلى العراق ، ثم إلى المدينة ، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين ، ورجعوا إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ فباعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وردّ النظام .. ونشبت بينه وبين بني أمية معارك انتهت بمقتله في الكوفة على يد يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٢ هـ في عهد هشام ، وكان عمره اثنين وأربعين عاماً . وأخباره كثيرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبري وابن الأثير وغيرهما .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٩ ، والمعارف ص ٢١٦ و ٣٦٥ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ - ٣٨ ، وطبقات المختلة ص ١٧ و ٣٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦] .

(٣) في « م » : « وإذا كان أميرهم » .

قَصَرُوا قَالَ النَّاسُ : اجْتَهَدَ عُمَرُ . وَلَمَّا قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ سَأَلَهُ عَنْ بَشْرِ ، فَقَالَ ^(١) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ، اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ الْأَعْرُ ^(٢) الْأَجْوَدُ ، الَّذِي كَانَ يَأْمَنُ ^(٣) عِنْدَهُ الْبَرِيُّ ، وَيَخَافُ لَدَيْهِ السَّقِيمُ ، وَيُعَاقِبُ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ الْعَفْوِ ، الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ^(٤) اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١ وَقَالَ الْحَكِيمُ : اَعْتَبِرِ الرَّجَالَ بِأَفْعَالِهِمْ لَا بِعِظَمِ أَجْسَامِهِمْ ، فَإِنَّ النَّسْرَ مَعَ عِظَمِهِ ^(٥) لَا يَأْكُلُ إِلَّا مَيْتًا ، وَطَيْرَ الْمَاءِ مَعَ ضَعْفِهِ يَتَحَامَى مَيْتَ السَّمَكِ ^(٦) وَيَأْكُلُ الْحَيَّ مِنْهَا .
٢ وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : السُّلْطَانُ الْحَازِمُ رُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ فَأَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ مَخَافَةَ ضَرِّهِ ، كَالْمَلْسُوعِ يَقْطَعُ أَصْبَعَهُ لِفَلَا يَتَشَبَّهِ السُّمُّ فِي جَسَدِهِ ، وَرُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ فَأَكْرَهَ نَفْسَهُ عَلَى تَوَلِّيهِ وَتَقْرِيبِهِ لِفَنَاءِ يَجْدُهُ عِنْدَهُ ، كَتَكَارِهِ الْمَرْءِ عَلَى الدَّوَاءِ الْبَشِيعِ لِنَفْعِهِ .

إِلَّا أَنْ لِلْإِسْلَامِ شُرُوطًا ، فَلَا تَسْتَقِيمُ هَذِهِ السَّيْرَةُ عَلَيْهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، كَانَ مُعَاوِيَةُ وَالْيَا عَلَى الشَّامِ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، فَاسْتَشَارَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَفَرُّهُ عَلَى إِمْرَتِهِ وَأَرْسِلْ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ ، فَإِذَا دَخَلَ فِي بَيْتِكَ فَأَعَزَّهُ . فَقَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنَا مُرِنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ ؟ ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَكَانَ سَبَبَ عِصْيَانِهِ . وَهَكَذَا أَشَارُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ

(١) في (ط) : « قال » .

(٢) في (ط) : « ذاك الأعسر » أي : الذي يعمل بيده اليسرى .

(٣) في (م) : « الذي يأمن » .

(٤) في (ط) : « ضَعَف » .

(٥) في (م) : « مع ضعفه » تحريف .

(٦) يتحامى مَيْتَ السَّمَكِ : يتجنب المَوْتَ منه .

الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَضَّلْتَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافَ وَمَنْ تَتَخَوَّفُ ^(١) مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ أَصْحَابُ دُنْيَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى الْأَمْرُ عُذْتُ إِلَى التَّسْوِيَةِ . فَقَالَ : أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَالِي ^(٢) لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ وَلَمْ أَفْضَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَكَيْفَ وَالْمَالُ لَهُمْ .

وَأَعْطَاءُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَسَرْفٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضَعَ أَمْرُؤُ ^(٣) مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شُكْرَهُمْ ، وَيَصِيرُ لِغَيْرِهِ وَدُهُمْ ، فَإِنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ لَهُ الْوُدَّ وَالشُّكْرَ ، فَذَلِكَ مَلَقٌ وَعَبْدِيَّةٌ لِيَتَّالَ مِنْهُ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ التَّعَلُّلُ يَوْمًا مَا ^(٤) فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِ وَمُكَافَأَتِهِ عَلَى ^(٥) مَا سَلَفَ مِنْ مَبَرَّتِهِ فَشَرُّ خَلِيلٍ ، وَالْأَمُّ خَلِيلَيْنِ ^(٦) .

وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْوَالِي وَحُبُّ الْمَدْحِ ، فَإِنْ مَنْ أَحَبَّ الْمَدْحَ عُدَّ ^(٧) كَمَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْكَ جَعَلَهُ النَّاسُ سُلْطَمًا لِقَضَائِهِ حَوَائِجِهِمْ مِنْكَ ، فَحَيْثُ يَكُونُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ لِنَفْسِكَ لَا لَهُمْ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اخْلُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاجِينِ التُّرَابِ » . وَسَمِعَ الْإِمْقَادُ رَجُلًا يَمْدَحُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَأَلْقَاهُ فِي وَجْهِهِ . وَسَمِعَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَمْدَحُ رَجُلًا فَقَالَ : « قَطَعْتَ ظَهْرَ أَخِيكَ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَقْلَحَ بَعْدَهَا » .

وَوَصَفَ أَغْرَابِيٌّ أَمِيرًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وَلَّى لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُوعِهِ ، وَأَرْسَلَ الْعُيُونَ عَلَى عُيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْمُحْسِنُ رَاجِحٌ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ ،

(١) لِي م : « تخوف » أي : تتخوف .

(٢) لِي م : « لو كان لي مال » .

(٣) لِي م : « أمر » تحريف .

(٤) ما : عن « ط » .

(٥) علي : عن « م » وساقط من « ط » .

(٦) سقطت « الأم » من « م » . والخدين : الصاحب والصدق .

(٧) لِي م : « هو » مكان « عُدَّ » .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا : لَا يَتَعَدَّنْ ابْنُ هِنْدٍ ^(١) أَنْ كَانَتْ فِيهِ لَمَحَارِجُ مَا نَجِدُهَا فِي أَحَدٍ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ ^(٢) وَمَا اللَّيْثُ الْحَرْبُ عَلَى بَرَائِيهِ بِأَجْرًا مِنْهُ ، فَيَتَفَارَقُ لَنَا ^(٣) وَإِنْ كُنَّا لَنَتَخَذَعُهُ ، وَمَا ابْنُ لَيْلَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِأَذْهَى مِنْهُ ، وَاللَّهِ ^(٤) لَوَدِدْتُ أَنَّا مُتَعَتْنَا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ ^(٥) ، لَا يَتَخَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ ، وَلَا يَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ .

وَقَالَ الصَّنَائِجِيُّ ^(٦) : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابًا فِي مِثْلِ أَذُنِ الْفَارَةِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ ^(٨) إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، بَعِيدُ الْفَرَّةِ ^(٩) ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غَوْرَةٍ ، وَلَا يَحْتَقُّ ^(١٠) فِي الْحَقِّ عَلَى الْجُرَّةِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً .

وَقَالَ مَالِكٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي أَمْرِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِنَا فَاتَيْنِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ ، فَقَالَ : اطْلُبْ عَنْدهُمْ شَيْئًا ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْدهُمْ إِلَّا أَذُنَ مَزُودٍ ، فَكَتَبَ لَهُ فِي تِلْكَ الْأَذُنِ .

(١) يريد بابن هند : معاوية بن أبي سفيان .. وأمه : هند بنت عتبة .

(٢) قوله : « وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ » عن « ط » . والليث الحرب : الشديد الغضب .

(٣) فيتفارق لنا ، أى : فيظهر لنا الجزع والخوف .

(٤) فى « م » : « وَاللَّهِ » .

(٥) أبو قُبَيْسٍ : جبل مشرف على مكة .. ولا يتخون له عقل : لا ينقص عقله .

(٦) هو : صفوان بن عسال ، من بنى الزُّبَيْرِ بن زاهر ، صحابى ، غزا مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، انتهى عشرة غزوة ، وسكن الكوفة . والصَّنَائِجِيُّ : نسبة إلى صنّابح ، بطن من العرب ، « من مراد » .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٧ ، ولسان العرب ، مادة « صنّابح »] .

(٧) رضى الله عنه « م » .

(٨) فى « م » : « والناس » .

(٩) فى « ط » : « حصيف العقدة » أى : جيد الرأى ، ومُحَكَّمُ الْعَقْلِ .. وبعيد الفرة : كثير الخبرة . أو : سيد

القوم وشرهفهم .

(١٠) يَحْتَقُّ : يَخْطَأُ .

وَلَمَّا وَلَّى الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَمَحَنَ ^(١) عَقْلَهُ وَعِلْمَهُ ، وَامْتَحَنَهُ بِمَسَائِلَ فَوَجَدَهُ فَوْقَ مَا يُرِيدُ ، فَتَلَقَّاهُ رُجُوءَ الْبَصْرَةِ ، قَرَأُوا شَاثًا صَبِيًّا مَا بَقِلَتْ لِحْيَتُهُ ^(٢) ، فَتَعَجَّبُوا ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُقَالُونَ الْأَكْفُفَ ، وَيَعْمُرُونَ الْحَوَاجِبَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : كَمْ سِنَّ الْقَاضِي ، أَصْلَحَهُ اللَّهُ ؟ قَالَ : مِثْلُ سِنَّ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ لَمَّا وَلَّاهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) مَكَّةَ ، فَهَابُوهُ لِجِدَّةِ جَوَابِهِ ، وَعَرَفُوا فَضْلَهُ ، وَكَانَ لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً لَمَّا وَلَّى مَكَّةَ .

وَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ أَنْ يَلِيَّ أُمُورَ النَّاسِ ^(٤) إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، وَافِرُ الْعِلْمِ ، قَلِيلُ الْغُرَّةِ ^(٥) ، بَعِيدُ الْأَهْمَةِ ، شَدِيدٌ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ، لَيِّنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، جَوَادٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً . وَقَالَ أَيْضًا : يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ فِي الْوَالِي مِنَ الشَّدَّةِ مَا يَكُونُ ضَرْبُ الرِّقَابِ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ كَقَتْلِ عُصْفُورٍ ، وَيَكُونُ فِيهِ ^(٦) مِنَ الرُّقَّةِ وَالْحُنُوتِ وَالرَّأْفَةِ وَالرُّحْمَةِ مَا يَجْزَعُ مِنْ قَتْلِ عُصْفُورٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

(١) استمحن : استخبر واختبر .

(٢) ما بقلت لحيته : ما نبت . وفي « م » : « ما بقلت » تحريف .

(٣) في « ط » : « عليه السلام » .. وعتتاب هو : عتتاب بن أسيد بن أبي اليعسر بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، أموي ، قرشي ، من أشراف العرب ، أسلم يوم فتح مكة ، واستعمله النبي ، صل الله عليه وسلم عليها عند خروجه إلى « حنين » سنة ٨ هـ . وأقره أبو بكر ، فاستمر فيها إلى أن مات ، يوم مات أبي بكر ، وفي المؤرخين من يذكر أنه عاش والياً على مكة إلى أواخر أيام عمر ، فتكون وفاته سنة ٢٣ هـ . وكان - رحمه الله - رجلاً خيراً صالحاً .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٩ ، والمعارف ص ٧٣ و ٢٨٣] .

(٤) في « م » : « يلى على أمور المسلمين » .

(٥) الغُرَّة : العُقْلَة .

(٦) في « م » : « ويكون عنده » .

وَيُرَوَّى أَنَّ الرَّشِيدَ أَخْضَرَ رَجُلًا لِيُؤَلِّهُ الْقَضَاءَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ ، وَلَا أَنَا قَبِيحٌ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ : لَكَ شَرَفٌ ، وَالشَّرَفُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَلَكَ جِلْمٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْجَلْ قَلَّ خَطْوُهُ ^(١) ، وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ ، وَأَمَّا الْفَقْهُ فَنَضُمُ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ ^(٢) ، فَوَلِي ، فَمَا وَجَدُوا فِيهِ مَطْعَنَا .

وَقَالَ إِبْنُ أَبِي نَجْرٍ : اسْتَحْضَرَنِي عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ^(٣) فَحَضَرْتُ ، فَسَأَلَنِي ^(٤) فَسَكَتُ ، فَلَمَّا أَطْلَعْتُ قَالَ : إِلَيْهِ ^(٥) . قُلْتُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُقْرِئُ الْقَرَائِصَ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفُ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَغْلَمُ . قَالَ : أَنَا بِهَا أَغْلَمُ . قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفُ ^(٧) مِنْ أَيَّامِ الْعَجَمِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَغْلَمُ . قَالَ : إِنِّي أَهْدِي أَنْ أُسْتَعِينَ بِكَ . قُلْتُ : إِنْ فِى ثَلَاثًا - أَصْلَحُ مَعَهُنَّ لِلْعَمَلِ . قَالَ : مَا ^(٨) هُنَّ ؟ قُلْتُ : أَنَا دَمِيمٌ كَمَا تَرَى ، وَأَنَا حَدِيدٌ ، وَأَنَا عَمَى ^(٩) .

(١) في م : : قل خطوه وكثر صوابه .. وسألتني .. وسقط ما بينهما .

(٢) في م : : : فَنَضُمُ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ .

(٣) هو : عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الغزاري ، أبو المنى ، أمير ، من الدهاة الشجعان ، صاحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم ، فأظهر بسالة ، وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة المناويء للحجاج الثقفي ، وأخذ رأسه ، وسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فسُرَّ به عبد الملك .. وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة .. وفي خلافة يزيد بن عبد الملك ولَّاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته في الكوفة ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ومات سنة ١١٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٠٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧١ وغيرها من الصفحات ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ١٨١ وغيرها من الصفحات] .

(٤) سَأَلَنِي : طلب سكوتي .

(٥) إِلَيْهِ : اسم فعل بمعنى « حَشَبْكَ » .. ويكون أيضًا بمعنى الاستراحة .. والأول هو المراد هنا .

(٦) في م : : : قال : تعرف القرائص ؟ . وتُقْرِئُ القرائص ، بالتشديد ، أى : تستطيع أن تُبَيِّنَ ما فيها من الخلال والحرام والحدود .. وبالتخفيف : تلتزم بما فُرِضَ فيها .

(٧) في م : : : تعلم .

(٨) في م : : : وما .

(٩) حَدِيدٌ : حادٌ سبب الخلق .. والعمى والعمى : العاجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود .

قَالَ : أَمَّا الدَّمَامَةُ فَأَيُّ لَا أُبَيِّدُ أَنْ أَحَاسِنَ ^(١) بِكَ ، وَأَمَّا الْعَمَىٰ فَأَيُّ أَرَاكَ تُعْرِبُ عَنْ
نَفْسِكَ ، وَأَمَّا سُوءُ الْخُلُقِ فَيَقْوَمُكَ السُّوْطُ ، فَوَلَّانِي وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَهُوَ أَوَّلُ
مَا تَمَوَّلْتُهُ ^(٢) . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : مَا مُلَاقَاةُ كِبَرَةٍ ^(٣) سَلَبَتْ
أَشْبَالَهَا بِأَصْعَبَ مِنْ لِقَاءِ جَاهِلٍ رَاضٍ عَنْ نَفْسِهِ .

(١) في د م : « أحاسن » غريف .

(٢) في د م : « أول مال تمولته » .

(٣) الكِبَرَةُ ، بهز ويغير همز : أثنى الأسد .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الشَّرُوطِ وَالْعَهْدِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُؤَلَّى عَلَى الْأَعْمَالِ أَهْلُ الْحَزْمِ وَالْكِفَايَةِ ^(١) وَالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَكُونَ التَّوَلِيَةُ لِلْعَنَاءِ ^(٢) لَا لِلْهَوَى . وَمَلَكَ الْوَلَايَاتِ ^(٣) وَأَسَاسُهَا أَنْ لَا يُؤَلَّى الْأَعْمَالَ طَالِبٌ لَهَا ، وَلَا رَاغِبٌ فِيهَا ^(٤) . رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ رَجُلٌ ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ صَاحِبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمِلْنِي ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٥) مَا عَرَفْتُ الَّذِي فِي نَفْسِهِ » .

وَقَدْ رَوَى عَنْ بُرْزَجِمَهْرَ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَالُ مُلْكِ آلِ سَامَانَ ^(٦) صَارَ أُمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ قَلَّلُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرُّجَالِ . وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرٍو بْنِ

(١) فِي « م » : « وَالِدِيَانَةُ » مَكَان « وَالْكِفَايَةِ » .

(٢) الْعَنَاءُ : النِّفْعُ وَالْكَفَايَةُ .

(٣) فِي « م » : « وَمَلَكَ السِّيَاسَاتِ » .. وَمَلَكَ ، يَفْتَحُ الْمِيمَ وَكَسَرَهَا ، أَيْ : يَوْمَاهَا وَخِلَاصَتَهَا .

(٤) فِي « م » : « رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا » .

(٥) فِي « م » : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٦) فِي « م » : « مُلْكُ سَامَانَ » .

العاصي^(١) حَيْثُ قَالَ : مَوْتُ الْإِيفِ مِنَ الْعِلَّةِ^(٢) أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ : غَضِبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَا أَمَانَتُكَ اللَّهُ أَوْ يَيْلُوكَ ذَوَلَةُ السُّفْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) لِرَجُلٍ قَدْ آذَاهُ : « أَذْرَكَكَ إِمْرَةُ الصَّبِيَّانِ » . وَقَالَ الْمُسْتَوْفِرُ الْأَكْبَرُ^(٤) ، وَكَانَ قَدْ عَمَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ :

وَمَا سَقَطَتْ يَوْمًا مِنَ الذُّهْرِ أُمَّةٌ إِلَى الدَّلِّ إِلَّا أَنْ يَسُودَ ذِمَّتُهَا
إِذَا سَادَ فِيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَيْمُنَا نَصْدَى لَنَا ذَلِكَ وَقَدْ أَدِيمُهَا
وَمَا قَادَهَا لِلْخَيْرِ إِلَّا مُجَرَّبٌ عَلِيمٌ يَأْتِيَالِ الْأُمُورِ كَرِيمُهَا
وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ وَلَكِنْ لِيَذِيرِ الْأُمُورِ حَكِيمُهَا^(٥)

وَأَعْلَمُوا^(٦) أَنَّ مُعْظَمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى النَّوْلِ مِنَ الْفَسَادِ مِنْ تَقْلِيدِ الْأَعْمَالِ أَهْلَ الْحَرَصِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَا يَخْطُبُهَا^(٧) إِلَّا لِمَنْ فِي قُرْبِ نَاسِكٍ ، وَذَنْبٌ فِي مَسْلَاحِ^(٨) عَابِدٍ حَرِيسٍ عَلَى جَمِيعِ الدُّنْيَا ، نَائِذٌ لِيَدِيهِ وَمُرُوءِيهِ^(٩) ، ذَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، يَتَّخِذُونَ عِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا^(١٠) وَأَمْوَالَهُمْ قَوْلًا^(١١) . وَإِذَا اهْتَضَيْتِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِينَ وَأُكِلَتْ

(١) في « ط » : « العاصي » وكلاهما صواب .

(٢) في « ط » : « العلة » خطأ .

(٣) في « م » : « عليه السلام » .

(٤) في « م » : « المستوفِر » تحريف .. والمستوفِر هو : عمرو بن ربيعة بن كعب الجمي السعدي ، أبو يَتَهَس ، شاعر ، من المعمرين الفرسان في الجاهلية .. وقيل : أدرك الإسلام ، أو كاد يدرك أوله .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وأمال المرتضى ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٨٤ ،

٣٨٥] .

(٥) في « م » : « حليمها » .

(٦) في « م » : « واعلم » .

(٧) لا يخطبها : لا يطلبها .

(٨) مسلاح : جلد .

(٩) جاء في « م » بعد هذا : « يتنى عَرَضَ الحياة الدنيا ، وقد سبق المثل والحرص على الأمانة » .

(١٠) خولا : عبيدا وأتباعا .

(١١) قولا : متقولا .

أَمْوَالَهُمْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَقُلْتُ طَاعَاتُهُمْ ^(١) ، فَأَتَقَفَصْتُ الْأُمُورَ ، وَدَبَّ الْفَسَادُ إِلَى الْمَمَالِكِ ، وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ الْآثَارَ فِي كِرَاهِيَةِ الْوَلَايَاتِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا فَعَيْتُ ^(٢) عَلَى قَطْ فَتَقَّ فِي مَمْلَكَتِي إِلَّا وَجَدْتُ سَبِيَهُ جَوْرَ الْعُمَالِ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلِكِ : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِلَى حِفْظِ غَلِيمٍ » ^(٣) ، قُلْنَا : يُوسُفُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتِّقَا مِنْ نَفْسِهِ ^(٤) بِالْكِفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَتَحَقَّقُ بِوِطْأَنِ أَسْرَارِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ خَصَائِصَهُ ^(٥) وَفَضَائِلَهُ ، وَيَرَى الْأُمُورَ وَالْأَعْمَالَ وَالْوَلَايَاتِ فِي أَيْدِي مَنْ لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا ، وَجَوْرُ مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ لِمَنْ حَصَلَ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارٍ لَا يَعْلَمُ مَنْزِلَتَهُ وَلَا مَاعِنْدَهُ مِنَ الْخِصَالِ وَالْفَضَائِلِ أَنْ يَذْكُرَ بَعْضُ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ لِيَعْلَمَ قُدْرَهُ ، فَيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّهِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي يَدِ مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَجَبَ أَنْ يَحْطَبُهُ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَرْضًا عَلَيْهِ . وَفَقَّهَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَى خِلَافِ هَذَا الرَّأْيِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُوجِيَ إِلَيْهِ بِمَا يَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَدْلِ وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، فَلِهَذَا ثَبَّهَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يَرَوَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ لِقَمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ حَبَشِيًّا غَلِيظَ الشَّفْطَيْنِ ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ ^(٦) ، لِأَمْرَأَةٍ مِنْ بَنَى الْحَشْحَاسِ ^(٧) ، وَكَانَ جَلِيسًا لِذَاوَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّبُوءَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَصْطَفِي لِتُبُورِهِ مَنْ

(١) فِي « م » : « طَاعَتِهِمْ » .

(٢) الْفَتَى : الشَّفَاقُ وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ ، وَتَصَدُّعُ الْكَلِمَةِ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ - آيَةُ ٥٥ .

(٤) فِي « م » : « وَاتَّقَا مِنْ اللَّهِ نَفْسَهُ » .

(٥) فِي « م » : « خَصَائِلُهُ » .

(٦) مُصَفَّحُ الْقَدَمَيْنِ : مُسَوًى الْقَدَمَيْنِ .

(٧) بَنَى الْحَشْحَاسِ : قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ - مِنَ الْأَزْدِ . وَفِي « م » : « بَنَى الْحَشْحَاشِ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ . تَحْرِيفٌ .

[انظر لسان العرب ، مادة « حشس » ، وانظر لقمان الحكيم لعبد الله كنون ط دار المعارف ص ١٩] .

بِشَاءٍ ، فَقَالَ لُقْمَانُ : يَا جَبْرِيلُ ، إِنْ أَمَرَنِي ^(١) رَبِّي فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ خَيْرَنِي اخْتَرْتُ الْحِكْمَةَ ، فَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ ^(٢) الْحِكْمَةَ ، وَصَرَفَ عَنْهُ الرِّسَالَةَ ^(٣) إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ دَاوُدُ يَقُولُ : طُوبَى لَكَ يَا لُقْمَانُ ، أُوتَيْتَ الْحِكْمَةَ وَأُوتِيَ دَاوُدُ الْبِلْيَةُ . وَرَوَى أَنَّهُ جَالَسَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَاوُدُ يَعْمَلُ الدُّرُوعَ ^(٤) ، فَأَقَامَ حَوْلًا يَصِيرُ صَنْعَةُ الدُّرُوعِ وَلَا يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَلَا يَسْأَلُ ^(٥) عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَمَّ حَوْلُ ^(٦) لَيْسَ دَاوُدُ الدُّرُوعَ وَقَالَ : ذِرْ عَ حَصِينَةَ لَيَوْمِ حَرْبٍ ! فَقَالَ لُقْمَانُ : الصَّنْتُ حِكْمَةٌ ^(٧) وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا بَعَثَ عَامِلًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِ ^(٨) أَنْ لَا يَرْكَبَ الْبَرَّادِينَ ، وَلَا يَلْبَسَ الرِّقِيَّ ، وَلَا يَأْكُلَ الثَّمِيَّ ، وَلَا يَتَّخِذَ حَاجِبًا ، وَلَا يَغْلِقَ بَابًا عَنْ حَوَالِجِ النَّاسِ وَمَا يَصْلِحُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِنِّي ^(٩) لَا أَسْتَعْمِلُكَ عَلَى أَبْشَارِهِمْ ^(١٠) وَلَا أَعْرَاضِهِمْ وَلَا أَعْمَالِهِمْ ^(١١) ، وَإِنَّمَا أَسْتَعْمِلُكَ لِتُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَتَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

(١) في م : : جبرئيل .

(٢) في م : : وأعطاه .

(٣) في م : : وصرف الرسالة .

(٤) في م : : أنه كان جالساً عند داود ، وداود يعمل الدُّرُوعَ ، والدُّرُوعُ ، يُذَكَّرُ وَيؤنث ، وهو : قميص من حلقات من الحديد متشابهة ، يُلْبَسُ وقاية من السلاح ، وجمعه : أدراع أو أدْرَعُ ، وفروع .

(٥) في م : : ولا يسأله .

(٦) حَوْلٌ : سعة .. وفي م : : حولاً بالنصب .. لا تصح .

(٧) في م : : حكم تحريف .

(٨) في م : : اشترط عليه أربعة : لا يركب .. وما هنا أكثر من أربعة شروط .

(٩) في م : : ويقول : إني .

(١٠) أبشارهم ، أى : ظاهر جلودهم .. وفي الحديث : « لم أبعث عُثْمَانُ لِيُضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ » جمع بَشَرَةٍ .

(١١) قوله : « ولا أعمالهم » عن ط .

وَرَوَى عَبَّادُ بْنُ رِفَاعَةَ ^(١) قَالَ : بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ^(٢) أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ اتَّخَذَ قَصْرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بَابًا وَقَالَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٣) ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ ^(٤) ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَمْرِ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بَعَثَهُ ، فَقَالَ لَهُ ^(٥) : اثْبَتْ سَعْدًا فَأَحْرِقْ عَلَيْهِ بَابَهُ . فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ أَخْرَجَ زُلْدَهُ ، وَاسْتَوْرَى ^(٦) نَارًا ، ثُمَّ أَحْرَقَ الْبَابَ ، فَأَتَى سَعْدًا الْخَبَرَ ، وَوَصَفَ لَهُ بِصِفَتِهِ فَعَرَفَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قُلْتَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٧) ، فَحَلَفَ سَعْدٌ بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : نَفْعُ الْإِذَى أَمْرُنَا بِهِ ^(٨) وَتَوَدَّى عَنْكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رَكِبَ وَاحِلَتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَبْطِنُ الْبَرِّيَّةَ أَصَابَهُ مِنَ الْخَمْصِ ^(٩) وَالْجُوعِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، فَأَبْصَرَ غَنَمًا ، فَأَرْسَلَ غَلَامَهُ بِعِمَامَتِهِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَابْتَغِ مِنْهُمْ شَاةً ، فَجَاءَ الْغُلَامُ بِالشَّاةِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَرَادَ ^(١٠) ذَبْحَهَا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ

(١) في « م » : « عباد » . تحريف . وهو عباد بن رفاعه بن خديج ، أبو رفاعه الأنصاري الحارثي .. من رواة الحديث الثقات .

[انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٩٤ ، ولسان العرب ، مادة « عبا »] .

(٢) قوله « قال » : بلغ عمر بن الخطاب « عن » ط « ولم ترد في « م » .

(٣) في « م » : « الصووت » .. والصووت : الكثير التصويت .

(٤) هو : محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي ، الأوسي الأنصاري ، الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها ، إلا غزوة تبوك ، واستخلفه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على المدينة في بعض غزواته ، وولاه عمر على صدقات جهينة .. واعتزل الفتنة في أيام علي ، فلم يشهد الجمل ولا صفين ، وكان عند عمر مُعَدًّا لكشف أمور الولاة في البلاد .. وتوفي بالمدينة ، واختلف في تاريخ وفاته ما بين سنة ٤٣ هـ إلى ٤٧ هـ وقيل . كان عمره سبعاً وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٢ ، ١١٣ ، والمعارف ص ٢٦٩] .

(٥) « له » عن « ط » .

(٦) في « م » : « أخرج زلداً فاستوى » . والزلد : العود الأهل الذي تُقدح به النار . واستوى : أخرج ناره .

(٧) في « م » : « الصووت » .

(٨) في « م » : « أمرنا به عمر » .

(٩) الخمص : الجوع .

(١٠) في « م » : « فلما أراد » .

كُفَّ^(١) ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ : اُنْظُرْ ، فَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوكَةٌ مُسَيِّمَتُهَا^(٢) فَارْزُدِ الشَّاةَ وَخُذِ الْعِمَامَةَ ، وَإِنْ كَانَتْ^(٣) حُرَّةً فَادْبِجِ^(٤) الشَّاةَ . فَذَهَبَ ، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ ، فَرَدَّ الشَّاةَ وَأَخَذَ الْعِمَامَةَ ، فَأَخَذَ بِخَطَامِ^(٥) نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ^(٦) لَا يَمُرُّ بِقَلْبَةٍ إِلَّا خَطَفَهَا ، حَتَّى آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى قَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِخَبِيرٍ وَلَيْتَنِ وَقَالُوا : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ غَيْرَ هَذَا أَتَيْنَاكَ بِهِ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، كُلُّ حَلَالٍ أَذْهَبَ السَّعْبَ^(٧) خَيْرٌ مِنْ مَأْكَلِ السُّوءِ ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلَّ بِأَهْلِهِ ، فَأَتَرَدَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ رَاحَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ : لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ مَا رَأَيْنَا أَلَّاكَ أَذَيْتَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَسْرَعَ السَّيْرِ^(٨) ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَهُوَ يَتَعَدَّرُ وَيَخْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ^(٩) . فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ أَمَرُ لَكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ^(١٠) مَكَائِلًا أَنْ تَأْمُرَ^(١١) لِي . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَرْضَ الْعِرَاقِ^(١٢) أَرْضُ رَفِيقَةٍ ، وَإِنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَمُوتُونَ حَوْلِي مِنَ الْجُوعِ ، فَحَثِثْ أَنْ أَمُرَ لَكَ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكَ بَارِدُهُ وَلِيَّ الْحَارُ .

وَرَوَى تَهْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هَبِيًّا ، عَلَى الْحِمَى ، فَقَالَ : يَا هَبِيُّ ، اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ^(١٣) ، وَأَتَّقِ دَعْوَةَ

(١) في د م : : دَأْنُ يَكْفُفُ .

(٢) أى : : راعيتها . وفي د م : : مُسَيِّمَتُهَا .

(٣) في د م : : دَأْنُ كَانَ .

(٤) في د م : : دَأْنُ فَارَزْدُ لَا تَصْحَحُ مَعْنَى .

(٥) في د م : : دَأْنُ وَأَخَذَ .. وَالْخَطَامُ : الزَّمَامُ .

(٦) في د م : : دَأْنُ وَجَعَلَ .

(٧) السَّعْبُ : الْجُوعُ .

(٨) في د م : : دَأْنُ الْمَسِيرِ .

(٩) في د م : : دَأْنُ وَهُوَ يَخْلِفُ بِاللَّهِ وَيَخْلِفُ مَا قَالَهُ .

(١٠) في د م : : دَأْنُ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ .

(١١) في د م : : دَأْنُ بِأَمْرٍ .

(١٢) في د م : : دَأْنُ إِنَّ الْعِرَاقَ .

(١٣) اضمم جناحك عن المسلمين ، أى : ائمن بجانبك لهم .

الْمَظْلُوم ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَأَدْخِلَ رَبُّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةَ ^(١) ، وَإِيَّاكَ
وَنَعَمْ ^(٢) ابْنِ عَوْفٍ ، وَنَعَمْ ابْنِ عَفَانَ ^(٣) فَإِنَّهُمَا أَنْ تَهْلِكَ مَا شِئْتُهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى زَرْعٍ
وَنَحْلٍ ، وَإِنَّ رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةِ ^(٤) أَنْ تَهْلِكَ مَا شِئْتُهُمَا يَأْتِنِي بَيْنَهُ فَيَقُولُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَأَتْرَكُهُمْ ^(٥) أَنَا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَالْمَاءُ ^(٦) وَالْكَلَأُ أَيْسَرُ عَلَى مِنَ الذَّهَبِ
وَالْوَرِقِ ^(٧) ، وَإِنَّمِ اللَّهُ ، إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُهُمْ ، إِنَّهَا لَيَلَادُهُمْ ^(٨) قَاتِلُوا عَلَيْهَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَسْلَمُوا عَلَيْهَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَالَّذِي تَفْسِي يَدِيهِ ، لَوْلَا الْمَالُ الَّذِي أُخِمْ
عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا حَمَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ شَيْئًا ^(٩) . وَمَرَّ يَوْمًا بِنَاءٍ يُنْتَى بِحِجَارَةٍ
وَجِصٍّ ^(١٠) فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ ^(١١) لِعَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
فَقَالَ : أَهَبْتُ الدَّرَاهِمَ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ ^(١٢) أَغْنَاهَا ، وَقَاسَمَهُ مَالَهُ . وَكَانَ يَقُولُ : عَلَى كُلِّ
خَاتَيْنِ أَمِيَّتَانِ : الْمَاءُ وَالطَّيْنُ .

وَكَانَ أَبُو شُرَّوَانَ يَكْتُبُ عَلَى عَهْدِ الْعُمَالِ : سُنَّ خِيَارِ النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ ، وَأَمْرُجِ
لِلْعَامَةِ الرُّغْبَةَ بِالرُّهْنَةِ ، وَسُنَّ سِفْلَةَ ^(١٣) النَّاسِ بِالْإِخَافَةِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ،

(١) يعنى : فى الجنى والمزعى ، يريد صاحب الإبل القليلة ، والقنم القليلة .

(٢) فى م : « ولماى » تحريف .. والنعم : الإبل ، وجمعه : أنعام وأنعمان .. وهو جمع لا واحد له من لفظه ..
وابن عوف هو : عبد الرحمن بن عوف .

(٣) فى م : « عنان » بالنون ، تحريف .. وهو عنان بن عفان .

(٤) فى م : « وربُّ العنينة والصريمه » .

(٥) فى م : « أفأتركهم » .

(٦) فى م : « فاللأ » تحريف .

(٧) فى م : « أيسر من النعب والرزق » ، والأخيرة تحريف .. والورق : الفضة .

(٨) لئلادهم ، أى : أمولهم الأصلية القديمة .. وفى م : « لئلادهم » .

(٩) فى م : « شيا » .. وما حيث عليهم من بلادهم ، أى : ما جعلتها حى لا يقرب .

(١٠) الجِصُّ ، بفتح الجيم وكسرها : من مواد البناء ، لفظة معربة .

[انظر الصحاح والقاموس] .

(١١) فى م : « فذكروا أنه » .

(١٢) فى م : « أن لا تخرج » .

(١٣) فى م : « سفل » .

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : كَمَا يَصْلُحُ الْيَهْمَزُ لِلْفَرَسِ ، وَالرَّسَنِ ^(١) لِلْحِمَارِ ، كَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الْجُهَالِ ^(٢) . وَفِي الْأَمْثَالِ : مَنْ لَمْ يَصْلُحْ بِاللَّيْنِ أُصْلِحَ بِالثَّلْيَيْنِ . وَقَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَافَ ^(٣) : « امْتَعَمَلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَقْدَادَ ^(٤) عَلَى سَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ رَأَيْتَ الْإِمَارَةَ أَبَا مَعْبِدٍ ^(٥) ؟ قَالَ : خَرَجْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَرَى لِي فَضْلاً عَلَى الْقَوْمِ ^(٦) فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكَأَنَّهُمْ عَيْبِدُ لِي . قَالَ : وَكَذَلِكَ الْإِمَارَةُ أَبَا مَعْبِدٍ ، إِلَّا مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) لَا أَعْمَلُ عَلَى عَمَلٍ أَبْلَا » .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُفَشِيَ الْعَمَلَ ^(٨) فِي الْأَفَاضِلِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ ^(٩) : هُمْ أَجَلٌ مِنْ أَنْ

(١) الْيَهْمَزُ : مَا يُهْمَزُ بِهِ .. وَيُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الْحَمِيدَةِ الَّتِي فِي مَوْخِرِ حَذَاءِ الْفَارَسِ .. وَفِي « م » : « النَّهْرُ » .. وَالرَّسَنُ : مَا كَانَ مِنَ الْأُرْيَاقِ عَلَى الْأَفِّ .

(٢) فِي « م » : « وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الرِّجَالِ » وَالْقَضِيبُ : الْعَصَا تُتَّخَذُ مِنَ الْغَصَنِ الْمَقْطُوعِ . (٣) فِي « م » وَ « ط » : « هِلَالُ بْنُ سِيَافٍ » وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ ، وَهُوَ : هِلَالُ بْنُ يَسَافَ - أَوْ إِسَافَ - الْأَشْجَعِيُّ ، الْكُوفِيُّ ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو الْحَسَنِ ، تَابَعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ لَقَّةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، رَوَى عَنْ أَبِي هِنْدٍ ، وَسُوَيْدِ بْنِ مِقْرَنَ ، وَغُرَافَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَزَوْيَ عَنْهُ مِنْصُورُ بْنُ الْمُحْتَسِرِ ، وَحَصِينُ بْنُ عَبْدَةَ .

- [انظر رجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٥ ، والمغنى في ضبط أسماء الرجال ص ٢٧٦ ، وعيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣١] .

(٤) هُوَ : لِلْقِدَادِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَيُحْمَرُ بِأَبْنِ الْأَسْوَدِ ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو مَعْبِدٍ .. صَحَابِيُّ مِنَ الْأَبْطَالِ ، وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ .. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٣ هـ - وَقِيلَ سَنَةَ ٣٠ هـ - وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٨٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٥١ - ٢٥٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٦ ، والجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، والمعارف ص ٢٦٢] .

(٥) فِي « ط » : « أَبَا مَغِيرَةَ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، خَطأً ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو مَعْبِدٍ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .

(٦) فِي « ط » : « وَمَا أَدْرَى أَنْ لِي فَضْلاً عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ » .

(٧) فِي « م » : « يَعْظُمُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٨) تُفَشِي الْعَمَلَ : يُكْفِرُهُ وَتَنْشُرُهُ .

(٩) فِي « م » : « قَالَ » .

أُدْنَسَهُمْ بِالْعَمَلِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ^(١) : كَانَ عَمْرٌ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْوَفْدُ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ ، وَعَمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَعَنْ أُمِيرِهِمْ : هَلْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الضَّعِيفُ ؟ وَهَلْ يَعُودُ الْمَرِيضُ ؟ فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ، حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ قَالُوا : لَا ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَلَ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا وَلَّى الْعُمَّالَ الظَّالِمِينَ ، مَثَلُ مَنْ يَسْتَرْعِي غَنَمَهُ الذَّنَابَ ، وَمَثَلُ مَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ . وَإِنَّ الْعَامَّةَ تَنْشَتُمُ الْحَجَّاجَ بَنَ يَوْسَفَ ، وَالْخَاصَّةُ تُلُومُ عَبْدَ الْمَلِكِ بَنَ مَرْوَانَ ، لِأَنَّهُ اسْتَرْعَاهُ ^(٢) الرُّعِيَّةَ . وَقَدْ قِيلَ :

وَمَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ فَعَقَرُ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ رَابِطِ الْكَلْبِ

وَكَانَ الْعَلَاءُ بَنُ أَبِيبَ لَمَّا وَلَّى فَارِسَ مِنْ قَبْلِ الْمَأْمُونِ يَكْتُبُ عَهْدَ الْعُمَّالِ فَيَقْرُؤُهُ عَلَى مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَيَقُولُ : أَنْتُمْ عُمُوْنِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْفُوْهُ مِنْهُ ، وَمَنْ تَظَلَّمَ إِلَيَّ مِنْهُ فَعَلَيْ إِنْصَافِهِ وَتَعَفُّتِهِ جَائِئِيَا وَرَاجِعَا ، وَيَأْمُرُ الْعُمَّالَ أَنْ يَقْرَءُوا ^(٣) عَهْدَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَيَقُولُ ^(٤) لَهُمْ : هَلِ اسْتَوْفَيْتُمْ ۙ

(١) في (م) : « أبو هريرة » .. وقد رواه إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد في تاريخ الطبري ، الجزء الرابع ص ٢٢٦ .. وإبراهيم النخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي ، أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية ، وحفظاً للحديث ، روى عن علقمة بن قيس ، وعبيدة السلماني ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وغيرهم .. وتوفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ متخفياً من الحجاج ، وفي تاريخ وفاته اختلاف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٨٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٠ - ٥٢٩ ، والمعارف ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٦٠ ، ٦١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٣] .

(٢) في (م) : « ولأنه الذي استرعاه » . واسترعاه : ولأه أمر الرعية .

(٣) في (م) : « ويأمر العامل أن يقرأ » .

(٤) في (م) : « وأن يقول » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي هَدَايَا الْعَمَالِ وَالرِّشَاءِ عَلَى الشَّفَاعَاتِ

رَوَى ^(١) أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ شَفَاعَةً فَأُهْدِيَ لَهُ هَدِيَّةٌ عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ » ^(٢) . وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ ^(٣) مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ ، أَوْ الْيَدِ الْقَاهِرَةِ ، صَارَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْكَ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اسْتَعْمَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « ابْنُ اللَّثِيئَةِ » ^(٤) ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي .. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « مَا بَالُ الرَّجُلِ » ^(٦) تَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي ^(٧) ، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ ۚ ^(٨) .

(١) في « م » : « وروى » .

(٢) رواه أبو داود في كتاب البيوع ، باب في الهدية لقضاء الحاجة ج ٣ ص ٢٩٠ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٣) في « ط » : « حاجة » .

(٤) هو : عبد الله بن اللَّثِيئَةِ الْأَزْدِيُّ ، استعمله النبي ، صلى الله عليه وسلم على صلقات بني سليم .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٨] .

(٥) في « ط » : « قال : فغضب النبي .. » .

(٦) في البخارى : « فما بالُ العاملِ » وفي مسلم : « ما بال عامل ... » .

(٧) في البخارى : « هذا من عملكم وهذا أهدي لى .. » وفي مسلم : « هذا لكم وهذا أهدي لى » .

(٨) في البخارى : « هل يُهدى له أم لا » .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُشَاطِرُ الْعُمَالُ ، فَيَأْخُذُ
بِصَفِّ أَمْوَالِهِمْ ، وَشَاطِرُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
دَوَابُّ تَنَاجَثُ ، وَتَجَارَاتُ تَدَاوَلَتْ . فَقَالَ أَذْ الشُّطْرُ . وَإِنَّمَا شَاطَرْتُمْ حِينَ ظَهَرَتْ
لَهُمْ ^(١) أَمْوَالُ بَعْدِ الْوِلَايَةِ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لَهُمْ .

وَرَوَى مَالِكٌ ^(٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ اشْتَرَى هُوَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ ^(٣) أَخُوهُ إِبِلًا ، فَبَعَا بِهَا إِلَى
الْحِمَى ، فَرَعَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ : رَعَيْتُمَا ^(٤) فِي الْحِمَى ؟ فَشَاطَرْتُمَا . وَشَاطِرُ سَعْدِ بْنِ
أَبِي وَقَاصٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ . كَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ مَا أَصَابَ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ رِشْوَةٍ - وَإِنْ
كَانَ حَلَالًا - فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ، لِأَنَّ لَهُ بِالْأَمْرِ قُوَّةً عَلَى أَنْ يَتَالَ مِنَ الْحَلَالِ مَالًا يَتَالُهُ
غَيْرُهُ ، فَجَعَلَهُ كَالْمُضَارِبِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا دَفَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مَالًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِعُبَيْدِ اللَّهِ وَعُبَيْدِ اللَّهِ ابْنَيْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ بِالْبَصْرَةِ ، اشْتَرَيَا مِنْهُ بِضَاعَةً قَرِيبَتْ ^(٥) بِالْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَأْخُذَ ^(٦)
جَمِيعَ الرِّبْحِ ، فَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِنِصْفِ الرِّبْحِ ، فَأَخَذَا جَمِيعًا نِصْفَ
الرِّبْحِ ، وَأَخَذَ عُمَرُ النِّصْفَ لِيُثَبِّتَ الْمَالُ .

= [انظر الحديث في صحيح البخارى ، في كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت بين النبي ، صلى الله عليه
وسلم ، المجلد الثالث ج ٨ ص ١٦٢ ط دار الشعب ، وج ١١ ص ٥٢٤ من فتح البارى ط دار المعرفة .. وصحيح
مسلم باب تحريم هدايا العمال ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢٢٢ ، وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٢ باب في العامل إذا أصاب
شيئا من عمله] .

(١) : لَهُمْ « عَنْ (ط) » .

(٢) : فِي (م) : « مَالِكٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ » .. وَهُوَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنُ لُحَيْ عَامِرُ الْأَصْبَحِيِّ ، وَقَدْ مَرَّ
التعريف به .

(٣) : فِي (م) : « عُبَيْدُ اللَّهِ » تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ ، وَالْقُرَشِيُّ ، أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ لَأُمِّهِ ، صَحَابِيُّ مِنْ أَتْبَادِ قُرَيْشٍ وَفُرْسَانِهِمْ ، وَلَدَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ أَبِيهِ ، ثُمَّ
سَكَنَ الْمَدِينَةَ ، وَغَزَا إِفْرِيقِيَّةً مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فِي أَيَّامِ عَلِيٍّ ، وَشَهِدَ « صَفِّينَ » مَعَ معاوية ، وَقُتِلَ
فِيهَا سَنَةَ ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٢٧ - ٥٢٩] .

(٤) : فِي (م) : « رَعَيْتُمَا » عَلَى الْإِفْرَادِ .

(٥) : فِي (م) : « خَرَجَتْ » .

(٦) : فِي (م) : « يَأْخُذُهَا » .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَّالِهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمَنْعِهِمْ الْحَقَّ حَتَّى بُشْتَرَى ، وَبَسْطِهِمُ الْبَاطِلَ حَتَّى يُفْتَدَى ^(١) .. الْمُلْكُ بِالذِّينِ يَقْوَى ، وَالذِّينُ بِالْمُلْكِ يَنْقَى . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ إِذَا قَدِمَ ^(٢) عَلَيْهِ الْعُمَّالُ أَنْ يَدْخُلُوا نَهَارًا وَلَا يَدْخُلُوا لَيْلًا ، كَيْلًا يَحْتَاجِبُوا ^(٣) شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ عَثَابُ بْنُ أُسَيْدٍ : وَاللَّهِ مَا أَصَبْتُ فِي عَمَلِي الَّذِي وَلَانِي النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا ثَوْبَيْنِ مُعَقَّدَيْنِ ^(٤) كَسَوْتُهُمَا مَوْلَايَ كَيْسَانَ . وَرَوَى أَنْ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ أَبَا مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى السَّوَادِ ^(٥) ، فَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَقَدْ امْتَلَأَتْ ، فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : كَذَلِكَ يَصْنَعُونَ بِالرَّجُلِ إِذَا اسْتَعْمَلَ . قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا فِي أَمَانَتِي ! وَيُرَوَّى : فِي إِمَارَتِي . فَرَجَعَ إِلَيَّ عَلِيٌّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي الْعَمَلِ . وَقَدْ ذَكَّرْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ سَمُرَةَ ^(٧) لِيَسْتَعْمِلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَرْ لِي . قَالَ : اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : إِنَّ الْهَدِيَّةَ تُعْمِي وَتُصْمِّمُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الرِّشْوَةُ رِشَاءُ الْحَاجَةِ ^(٨) . وَأَشَدُّ بَعْضُهُمْ :

إِذَا أَتَيْتَ الْهَدِيَّةَ دَارَ قَوْمٍ تَطْلَأُ بِتِ الْأَمَانَةَ مِنْ كَوَاهَا ^(٩)

(١) في ط : « يُفْتَدَى » بالفاء الموحدة .

(٢) في م : « قَدِمُوا » .

(٣) في م : « كَمَيَّ يَحْجِبُوا » بالنون ، أى : يغططوا .

(٤) في م : « مَقْعَدَيْنِ » تحريف .. والمُعَقَّدُ : ضَرْبٌ مِنْ بَرْدٍ « حَجَر » .

(٥) السَّوَادُ : مَا حَوْلَ الْكَوْفَةِ مِنَ الْقُرَى .. أَمَّا أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَهُوَ : عَقِبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، الْبَدْرِيُّ ، وَكَتَبَهُ أَبُو مَسْعُودٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، شَهِدَ الْعَقِبَةَ وَأُخْدًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا ، وَإِنَّمَا سَكَنَ بِهَا ، وَنَزَلَ الْكَوْفَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا لَمَّا سَارَ إِلَى « صَقِينَ » . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٧ ، وافتقر معجم البلدان ، مادة « سور »] .

(٦) ما بين المعقوفين عن م .

(٧) هو الصحابي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي ، وَقَدْ مَرَّ الصَّرِيفُ بِهِ .

(٨) الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ .. وَالرَّادُ هُنَا : الرُّوسُلَةُ الَّتِي يُقَوِّصِلُ بِهَا إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ بِالْمَصَانِعَةِ .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الْوَأَفَرِ .. وَكَوَاهَا : نَوَافِذُهَا ، جَمْعُ كَوْهَةٍ .

وَلْيَغْضِبْهُمْ :

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حُلْوَةٌ كَالسَّخْرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا (١)
تُذْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيْبَا (٢)
وَتُرْدُ الْمُضْطَلَّيْنِ الْعَدَا وَهَ بَعْدَ جَفَوْتِهِ حَيَا (٣)

وَمِمَّا قُلْتُهُ فِي الرِّشْوَةِ :

وَأَكْرَمُ مَنْ يَدُقُّ الْبَابَ شَخْصٌ ثَقِيلُ الْحَمْلِ مَشْغُولُ الْيَدَيْنِ
يَنْوُو إِذَا مَشَى نَفْسًا وَنَفْحًا وَيَنْطَلِحُ بَابَهُ بِالرُّكْبَتَيْنِ
وَأَكْرَمُ شَافِعٍ يَمْشِي عَلَيْهَا أَبُو الْمَنْقُوشِ فَوْقَ الصَّفْحَتَيْنِ (٤)

وَقُلْتُ (٥) أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ يَا جَازِهَا مُقَرَّمٌ (٦)
فَارْسِلْ بِأَكْمَةِ خَلَابَةٍ يَهْ صَمَمٌ أَغْطَشَ أَبْكَمُ (٧)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى قَاضِيهِ الْخَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، وَقَدْ ارْتَمَى بِكَرْمَةٍ (٨) :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابٍ يَبْتَ تَقَحَّمَتْ لِتَسْكُنَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ (٩)
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَانْهَا حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ (١٠)

* * *

(١) الأبيات من مجزوء الكامل المرفل ، وتغلب : تجذب .

(٢) في حيون الأخبار : « تدلى اليغض » .

[انظر ج ٢ ص ٤٢ ط دار الكتب العلمية] .

(٣) في المصدر السابق : « تُصَيِّرُهُ » مكان « جَفَوْتُهُ » . والمُضْطَلَّيْنِ : المنطوي على الحقد .

(٤) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .. وأبو المنقوش كتابة عن الدرهم والدينار .

(٥) في « م » : « وقال » .

(٦) الأبيات من المتقارب ، ومُقَرَّم : مولع وحرص .

(٧) الْأَكْمَةُ : الأعمى . والخَلَابَةُ : الذي يسلب العقل بلطف حديثه .. والأغطش : المتغافل المتعمى .

(٨) الكَرْمَةُ : حديقة العنب .

(٩) البيتان من الطويل ، وتَقَحَّمَتْ : دخلت بعد رَوِيَّة .

(١٠) هَرَبًا مِنْهُ ، أى : من البيت الذى دخلته الرشوة .. وفي « م » : « هَرَبًا مِنْهَا » أى : من الرشوة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخَلْقِ

اعْلَمُوا ، أُرْسِدَكُمْ اللهُ [تَعَالَى] ^(١) أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِمَّا غَلِطَ الْخَلْقُ فِيهِ ، وَقَلَّبُوا الْقَوْسَ رَكْوَةً ^(٢) ، فَعَمِدُوا إِلَى أُخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَخَلَّاتِ الْقَوَاعِ وَالْأَذْنِيَاءِ ^(٣) ، وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوْا وَتَعَاشَرُوا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي مَدْحِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَكُفَاطِهِمْ الْكَذِبَ وَالتَّصْنُوعَ وَالْمَلَقَ وَالْمَرَاةَ وَالْمَعَارِيضَ ^(٤) عَنِ الْأُمُورِ الْمَكْنُونَةِ الَّتِي يَسُوءُ إِظْهَارُهَا ، وَالْإِخْرَاطُ فِي سِلْكِ الْمَزَاجِ وَالْمَهَابَةِ ^(٥) ، فَهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ عِنْدَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا يَقْبِضُ مَا نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَخْتَوِ ^(٦) الْأَرْضُ عَلَى بَشَرٍ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ مُحَمَّدٍ ،

(١) ما بين المقولتين عن « ط » .

(٢) أصل الرَكْوَةُ : الدلو الصغيرة .. وقلبوا القوس ركوة : مثل يُضَرَّبُ في الإِدْبَارِ وانقلاب الأمور .

[انظر لسان العرب - مادة : ركو] .

(٣) في « م » : « وَالْأَذْنَاء » وهي بمعناها ، فكلاهما جمع دنى ، بمعنى خسيس ودون .

(٤) المَرَاةُ : أن يظهر الإنسان أنه متصف بالخير والصلاح ، على خلاف ما هو عليه . والمعاريض : جمع مِعْرَاضٍ ، وأصله التورية والستر .. وفي الحديث : « إن في المعاريض لندوحة عن الكذب » .

(٥) الْمَزَاج : المداعية .. والمهابة : القول الذي يقض بعضه .. بعضًا .

(٦) في « م » : « لَا تَخْتَوِ » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُلُّ مَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) أَوْ قَارَبَهَا ، أَوْ بَعْضُهَا ^(٢) كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، وَكُلُّ خُلُقٍ لَيْسَ يُعَدُّ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهَذَا فَضْلُ الْخُطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ لِمَنْ عَقَلَ ، وَإِنَّمَا أُوتِيَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَنَّهُمْ اسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ الْعَامِيَّةَ ، وَاسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ النَّبَوِيَّةَ ، لِجَهْلِهِمْ بِأَخْلَاقِ الْمُصْطَفَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَا تَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَصْفِيهِ مُحَمَّدٍ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٤) . فَحَصَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، مِنَ الْحَيَاءِ ^(٥) وَالْكَرَمِ ، وَالصَّفْحِ ^(٦) وَحُسْنِ الْعَهْدِ بِمَا لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرُهُ ، ثُمَّ مَا أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ بِمِثْلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . وَعَنْ هَذَا قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ دَعَا الْخُلُقَ إِلَى حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَدَعَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٧) بْنُ عُمَيْرٍ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] ^(٨) : صِرْفِي لِي خُلُقٌ ^(٩) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لِي : أَمَا تُقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ كَانَ

(١) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٢) بفتح الضاد المعجمة على المفعولية ، أى : قارب بعضها .. وبكسرهما على تقدير حرف الجر التقدم ، أى : أو تخلق ببعضها .

(٣) « محمد » عن « ط » .

(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٥) فى « م » : « الحفا » تحريف .

(٦) فى « م » : « والصَّفْحُ عن الجاني » .

(٧) فى « م » : « عبد الله » تحريف .. وهو : عبيد الله بن عمر - أبو عبيد بن عمر - بن قنادة ، أبو عاصم اللبني الكوفي ، وهو ممن سمع عائشة وأبا موسى .. وقد مر التعريف به .

(٨) ما بين المعرفتين عن « م » .

(٩) فى « م » : « أخلاق » .

خُلِقَ الْقُرْآنَ . وَحَسْبُكَ بِهَذَا الْقَوْلَ مَتَقَبَّةٌ لِلرَّسُولِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْرِيفًا
لَكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِذَا كَانَ خُلُقُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْقُرْآنَ ، فَالْقُرْآنُ
يَجْمَعُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَيَحْتُ عَلَيْهِا ، وَيَنْتَهِي عَنْ كُلِّ تَقْصِيصَةٍ وَرَذِيلَةٍ ، وَيُوضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا ،
وَلِذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢)
قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ
تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ
كَمَا تَرَى . فَانْظُرْ أَيْنَ أَخْلَاقُ الْعَامَةِ مِنْ هَذَا التَّمِيطِ ؟ وَإِنْ أَحَدُهُمْ يَقْطَعُ مَنْ وَصَلَهُ ،
وَيَحْرِمُ مَنْ أَعْطَاهُ ، وَيَظْلِمُ مَنْ سَأَلَهُ ، وَيَعْصِبُ عَلَى مَنْ أَثَمَهُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ
الْكَلِمَاتِ ، لِأَنَّهَا أَصُولُ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَّبِعُ الْمَنَاقِبِ ، لِأَنَّ فِي اخُذِ الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِ ،
وَالصَّنْفَحِ عَنِ الظَّالِمِ ، وَإِعْطَاءِ الْمَانِعِ ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ تَقْوَى اللَّهِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ ،
وَصَوْنَ اللِّسَانِ ، وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَفِي تَقْوَى اللَّهِ بِمُدْخُلِ جَمِيعِ آذَابِ
الشَّرِّعِ ، فَرَضُهَا وَتَفْلُهَا ، وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّنْفَحُ وَالْحِلْمُ ، وَتَقْوَةُ النَّفْسِ
عَنْ مُمَارَاةِ السَّيْفِهِ وَمُجَارَاةِ اللُّحُوجِ ^(٣) ، فَهَذِهِ الْأَصُولُ الثَّلَاثُ تَتَضَمَّنُ مَحَاسِنَ الشَّرِّعِ
نَصًّا وَتَبْيِيهَا ، وَضَمًّا ^(٤) وَاعْتِبَارًا .

وَرَوَى أَنَسٌ : « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ ^(٥) الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ
خُلُقًا » . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ
لَأَتَمَّ مَكَارِمَ ^(٦) الْأَخْلَاقِ » . اقْتَضَى الْحَدِيثُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَبْعُوثٍ إِلَى أُمَّةٍ إِنَّمَا بُعِثَ

(١) في « م » : « متقببة للرسول عليه السلام » والنقبة : المفخرة والفعل الكريم .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) قوة النفس : غلبتها .. وفي « م » : « عن مجاراة اللوح ومماراة السفيه » .. والمماراة : المسايرة .

(٤) في « م » : « وتبَيَّها واعتبارًا » .

(٥) في « م » : « أي » مكان « أي » تحريف .

(٦) في « م » : « محاسن » . والأول أشهر .

لِيُعَلِّمَ الْخَلْقَ حُسْنَ الْخُلُقِ ، وَأَنْ نَّبَيِّنَا مُحَمَّدًا ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بُعِثَ لِيُتِمَّمَ مَكَارِمَ ^(٢) الْأَخْلَاقِ ، فَإِذَنْ حُسْنُ الْخُلُقِ ^(٣) امْتِنَالُ الشَّرَائِعِ بِأَسْرِهَا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، قَالَ : « وَإِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَكَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ ، فَجَبَذَهُ ^(٥) أَغْرَابِيٌّ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى أَثَرَتْ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ فِي عُنُقِهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرِّبِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكَ ، فَلَسْتَ تَأْمُرُ لِي بِمَالِكَ وَلَا بِمَالِ أَيْكَ ^(٦) ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) وَقَالَ : مُرُّوا لَهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمُهُ بِشَيْءٍ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ ^(٨) : حَسَنَ خُلُقِكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ ^(٩) بَنَ جَبَلٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَفْضَلُ مَنَاقِبِ الْعَبِيدِ ، وَبِهِ يَظْهَرُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . وَالْإِنْسَانُ مَسْتُورٌ بِخُلُقِهِ ، مَشْهُورٌ بِخُلُقِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٠) بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ، ثُمَّ لَمْ يَتْنِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ خِصَالِهِ بِغَيْرِ مَا أَتَى عَلَيْهِ بِخُلُقِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١١) .

(١) في د م : « محمد » لا تصح .. والنصب هنا على البدلية .

(٢) في د م : « محاسن » .

(٣) في د م : « إِذَنْ فَحُسْنُ الْخُلُقِ .. » .

(٤) في د م : « عليه السلام » .

(٥) جبهه : جذبه .

(٦) في د م : « من مالك ولا من مال أهلك » .

(٧) هنا كرر الناسخ « إليه » سهواً .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في د م : « معاذ » بدون « يا » .

(١٠) في د م : « عليه السلام » .

(١١) سبق نغريجها في هذا الباب .

قَالَ : لَا تُخَاصِمَ وَلَا تُخَاصِمَ مِنْ شِدَّةِ مَعْرِفَتِكَ بِاللهِ تَعَالَى ^(١) . وَقِيلَ : لَمْ يُؤْثَرِ فِيكَ جَفَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ بِالْحَقِّ . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ ^(٢) : كَظُمَ الْغَيْظُ ، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبُشْرِ ، إِلَّا لِمُتَبَدِّعٍ أَوْ فَاجِرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا إِذَا انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ اسْتَحْيَا وَأَقْلَعَ ^(٣) ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِمِينَ إِلَّا بِأَدَبٍ ^(٤) أَوْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ ، إِلَّا لِتَغْيِيرِ مُنْكَرٍ ، أَوْ أَخْذِ مَظْلَمَةٍ لِمَظْلُومٍ ^(٥) ، فَهَذَا حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَتَغَيَّرَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي الصَّفِّ بِجَنِّكَ . وَقِيلَ لِلْأَخْفِيفِ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ ؟ قَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِيّ ، قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ جَاءَهُ خَادِمٌ لَهُ يَسْتَفِيدُ ^(٦) عَلَيْهِ شِوَاءً ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَوَقَعَ عَلَى ابْنِ لَهْ فَنَاسَ ، فَدَهَشَتْ الْجَارِيَةُ ^(٧) ، فَقَالَ : لَا زَوْعَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ^(٨) . وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍ إِذَا رَأَى وَاحِدًا مِنْ عِبِيدِهِ يُحْسِنُ الصَّلَاةَ يُعَفِّقُهُ ، فَعَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ ، فَكَانُوا يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ مُرَآةً لَهُ ، فَكَانَ يُعَفِّقُهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْ خَدَعَنَا فِي اللهِ الْخَدْعَةَ لَهُ . وَقَالَ الْفَضِيلُ ^(٩) : لَوْ أَنَّ امْرَأً أَحْسَنَ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَتْ لَهُ دَجَاجَةٌ وَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَكَانَ الْمُحَاسِبِيُّ يَقُولُ : فَقَدْ نَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : حُسْنَ الْوَجْهِ مَعَ الصَّيَّانَةِ ، وَحُسْنَ الْقَوْلِ مَعَ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنَ الْإِحْسَانِ مَعَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ :

(١) في « م » : « معرفة الله تعالى » .

(٢) هو : أبو عبيد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إذا انبسطت استحيا » .

(٤) في « م » : « إلا بإذن » .

(٥) أي : ردَّ ما أُجِدَّ منه ظُلماً .

(٦) في « م » : « لما » مكان « له » تحريف .. والسُّقُود ، عود « سيخ » من حديد يُنْظَمُ فِيهِ اللحم لِشَوِي .

(٧) دَهَشَتْ الْجَارِيَةُ : ذَهَبَ عَقْلُهَا خَوْفًا وَهَلْأً .. وهذه الجملة عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٨) في « م » : « فقال : أَنْتَ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ » .

(٩) هو : أبو علي ، الفضيل بن عياض ، وقد سبق التعريف به .

عُثْوَانُ الشَّرَفِ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ ^(١) يَقُولُ : حُسْنُ الْخُلُقِ اسْتِصْفَارُ مَا مِنْكَ ، وَاسْتِعْظَامُ ^(٢) مَا إِلَيْكَ . وَقَالَ سَهْلٌ ^(٣) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ : تَحْمُلُ اثْقَالِ الْخُلُقِ . وَقَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ ^(٤) : عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ كَفُّ الْأَذَى ، وَاحْتِمَالُ الْمُؤْنِ . وَقِيلَ ^(٥) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَرِيْبًا ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ غَرِيْبًا . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ قَبُولُ مَا يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ جَفَاءِ الْخُلُقِ ، وَقَضَاءُ الْحَقِّ بِلَا ضَمَحٍ وَلَا قَلْبٍ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ الْحَسَنُ اخْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ بِحُسْنِ الْمُدَارَاةِ . وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ^(٦) : يَا مُرَاتِي ! فَقَالَ : يَا هَذِهِ ، وَجَذِبَ ^(٧) اسْمِي الَّذِي أَضَلَّهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ !

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ سَعَوْهُمْ بِسِنِيطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ » . وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ ^(٨) اجْتَارَ بِسِيكَةِ ^(٩)

(١) هو العارف بالله أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز ، المشهور بالرازي ، تلميذ العالم الزاهد أبي عثمان الحيري ، من أهل الري ، وجاور بالحرم ستين سنة ، وكان من الورعين القائلين بالحق .. صاحب الجنيـد ، وأبا جعفر ، وأبا عمران الكبير ، وكان ثقة عظيم الشأن .. توفي سنة ٣٨٣ هـ . وقيل : العشر والثلاثمائة .

[انظر سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، وطبقات الشمراني ج ١ ص ٩٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٨] .

(٢) في م : « واستصغار » مكررة .

(٣) هو : سهل بن عبد الله التستري ، وقد مرَّ التعريف به .

(٤) في م : « اشاه » تحريف .. وهو : شاه بن شجاع الكرماني ، أبو الفوارس ، من أولاد الملوك ، صحبَ أبا تراب النخشي ، وأبا عبيدة البصري ، وكان من أجلّ الفتيان والعلماء ، وله رسائل مشهورة .. ويقال : إن أصله من مرو .. ومات قبل سنة ٣٠٠ هـ .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٦ ، وطبقات الصوفية ص ١٩٢ - ١٩٤ ، وطبقات الشمراني ص ٩٠] .

(٥) في م : « وقد قيل » .

(٦) هو العارف بالله مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) في م : « : قد قديت » أي : اقتضيت ، بمعنى : طلبت .

(٨) في م : « : وروى أبا عثمان » وسقطت « أن » سهواً من الناسخ ، والسياق يتطلب وجودها هنا .

(٩) بسِيكَةٍ : بطريق .

وَفَتِ الْهَاجِرَةَ ، فَالْتَمَى عَلَيْهِ مِنْ قَوْقِ مَطْلَحٍ طَمَشْتُ ^(١) رَمَادٍ ، فَتَغَيَّرَ أَصْحَابُهُ وَيَسْطَوْا أَلْسِنَتَهُمْ فِي الْمُلْقَى ، فَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : لَا تَقُولُوا شَيْئًا ، مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُصَبَّ ^(٢) عَلَيْهِ النَّارُ فَصُولُ عَلَى الرَّمَادِ لَمْ يَجْزِ ^(٣) أَنْ يَقْضَبَ . وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ : هَلْ فَرِحْتَ فِي الدُّنْيَا قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَرَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا : كُنْتُ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَيَّ ، وَالثَّانِيَةُ : كُنْتُ جَالِسًا فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَصَفَعَنِي ^(٤) . وَكَانَ أُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ ^(٥) إِذَا رَأَاهُ الصَّبِيَّانَ رَمَوْهُ ^(٦) بِالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ كَانَ لَاهُدَ ^(٧) فَارْمُونِي بِالْحِجَارَةِ الصُّغَارِ كَيْلًا تَذْمُوا عَلَيَّ سَاقِي فَتَمْنَعُونِي الصَّلَاةَ ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دَعَا غُلَامًا لَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَدَعَاهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَأَاهُ مُضْطَجِعًا ، فَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ يَا غُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ جَوَابِي ؟ قَالَ : أَيْنْتُ عُقُوبَتَكَ فَتَكَاسَلْتُ . قَالَ : امْضِ ، فَأَلْتِ حُرَّ لَوْحِهِ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) . وَهَذَا كَمَا تَرَى قُوَّةَ إِلَهِيَّةٍ يَفْرَعُهَا اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ ^(١٠) ، وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ

(١) في « د » : « طمشت » بالشين المعجمة .. والطمشت : إثناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه .. وهي لفظة أعجمية .. وقال الأزهري : هي لفظة دخيلة في كلام العرب ، لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية .

(٢) في « د » : « نُصَب » .

(٣) في « د » : « لم ينبغي » هكذا .

(٤) في « د » : « وصَفَعَنِي » .

(٥) هو : أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جَزْءٍ بْنِ مَالِكِ الْقُرْنِيِّ ، مِنْ بَنِي قُرْنٍ بْنِ زُهْرَانَ ، مِنْ بَنِي مُرَادٍ .. أَحَدُ الثُّمَالِ الْعِبَادِ الْمُقْلَعِينَ ، وَمِنْ سَادَاتِ الثَّائِبِينَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ ، أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَرَهُ ، وَوَفَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ سَكَنَ الْكُوفَةَ ، وَشَهِدَ رُقْعَةً « صِيغِينَ » مَعَ عَلِيٍّ ، وَبَرَجَحَ الْكُثُرُونَ أَنَّهُ قُتِلَ فِيهَا سَنَةَ ٣٧ هـ . [انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٢ ، وحيلة الأولياء ج ٢ ص ٧٩ - ٨٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٢] .

(٦) في « د » : « يرموه » لا تصح ، إذ لم يتقدمها ناصب ولا جازم .

(٧) في « د » : « ولابد » .

(٨) في « د » : « كي لا تمنعوا ساقى فتمنعوني عن الصلاة » .

(٩) ما بين المعرفتين عن « م » .

(١٠) في « د » : « قوة المُصْطَفَيْنِ الإلهية يفرعها الله على من يشاء من عباده » .

لَتَلْت لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا لَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ١ ، فَجَرَّدَهُ عَنْ حَقَائِقِ
الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْبَسَهُ مِنْ نُعُوبِ ٢ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى قَوَّاهُ عَلَى صُخْرِيَّتِهِمْ ، وَصَبَّرَهُ ٣ عَلَى تَبْلِيغِ
الرَّسَالَةِ إِلَيْهِمْ ، مَعَ الَّذِي كَانَ يُقَاسِيهِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِ مُسْتَعْرِقًا بِاسْتِغْلَاءِ الْحَقِّ
تَعَالَى عَلَيْهِ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ آلِفٌ ٤ مَالُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ
لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » . وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِالْأَدَمِيِّ ٥ لِأَنَّهُ تَأَلَّفَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَلْوَانِ . وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلَيْنِ مُتَبَاغِضَيْنِ : « آدَمَ ٦ اللَّهُ يَبْتَكَمَا » . أَيْ آلِفٌ يَبْتَكَمَا ، وَمِنْهُ سُمِّيَ
الْأَدَمُ ٧ الْمَأْكُولُ ، لِأَنَّهُ يُؤْلَفُ الطَّعَامُ وَيُحْسِنُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، لِرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً : « أَنْظِرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ يَبْتَكَمَا » ، أَيْ
يُؤْلَفُ يَبْتَكَمَا . وَرَوَى أَنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ نَزَلَ الدَّجَلَةَ بِتَوْضُأٍ ، وَوَضَعَ مُصْحَفَهُ
وَمِلْحَفَتَهُ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَأَخَذَتْهُمَا ، فَتَبِعَهَا مَعْرُوفٌ وَقَالَ : يَا أَخِي ، أَنَا مَعْرُوفٌ ،
لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، أَلَيْكَ ابْنٌ يَقْرَأُ ؟ قَالَتْ : لَا ٨ . قَالَ : فَرُزُّوجُ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ :
فَهَاتِي الْمُصْحَفَ وَتُعْطِي الثُّوبَ .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ عَلَى حَوْضٍ يَسْقِي إِبِلَهُ ، فَأَسْرَعَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَالْتَكَسَرَ
الْحَوْضُ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .

(٢) في « م » : « جَرَّدَهُ » بدون الفاء .. « وألبسه من نعت » .

(٣) في « م » : « وصبر » .

(٤) في « م » : « آلوف » .

(٥) في « م » : « آدم » .

(٦) في « م » : « أدام » تحريف .

(٧) الأدم : الإدام وما يشتق من الحيز ، ويُطلق أيضاً على الألفة والاتفاق .

(٨) في « م » : « فلا » .

وَسَلَّمَ ^(١) أَمَرْنَا إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَإِنْ ذَقَبَ عَنْهُ ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ . وَقَالَ
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّا لَتَصَافِحُ أَكْفًا تَرَى قَطْعَهَا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّا
لَتَكْشِفُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٌ ^(٢) وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ^(٣) : يُعْجِئُنِي مِنَ
الْقُرَاءِ كُلِّ طَلِيقٍ مُضْحَاكِ ^(٤) ، فَأَمَّا الَّذِي تَلْقَاهُ يَبْشُرُ وَيَلْقَاكَ بِعُيُوسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ،
فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : بَنِي ،
لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً ، وَلِتَكُنْ وَجْهُكَ طَلْقًا ، وَلِتَكُنْ ^(٥) أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمْ
الْعَطَاءَ ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَنْتُمْ .
وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ الْبَرَارِي ، فَاسْتَقْبَلَهُ جُنْدِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ :
أَنْتَ الْعُمَرَانُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَأَوْضَحَهُ ^(٦) ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ قِيلَ لَهُ :
هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ زَاهِدٌ حُرَّاسَانٌ ، فَجَاءَهُ ^(٧) يَتَغَدَّرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَمَّا ضَرَبْتَنِي
سَأَلْتُ اللَّهَ لَكَ الْجَنَّةَ . فَقَالَ : لِمَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّي أُؤَجَّرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ
يَكُونَ نَصِيبِي مِنْكَ الْخَيْرَ وَنَهَيْتُكَ مَتَى الشَّرَّ .

وَحِكْيَى أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ الْحِمْيَرِيَّ ^(٨) دَعَاهُ إِنْسَانٌ إِلَى ضِيَاةٍ ، فَلَمَّا وَافَى بَابَ الدَّارِ
قَالَ : يَا أَسْتَادُ ، لَيْسَ لِي وَجْهٌ فِي دُخُولِكَ وَقَدْ نِدِمْتُ ، فَانصَرِفْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَرَجَعَ

(١) في (م) : عليه السلام .

(٢) تَكْشِفُ فِي وَجْهِهِ الْقَوْمُ : تَضْحَكُ فِي وَجْهِهِمْ وَتُبَاسِطُهُمْ .

(٣) الحارث بن قيس : من أصحاب عبد الله بن مسعود الذين حفظوا حديثه ، ومن القراء .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٠ ، ١١]

(٤) طَلِيقٌ مُضْحَاكٌ : منطلق كثير الضحك والبشاشة .. وفي (م) : : طَلِيقٌ وهي بمعناها .

(٥) في (م) : : تكون .

(٦) فَأَوْضَحَهُ : فَشَجَّهَ حَتَّى وَضَحَ الْعَظَمَ .

(٧) في (م) : : فجاء .

(٨) هو : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحميري ، وُلِدَ بِالرِّيِّ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى
أن توفى بها سنة ٢٩٨ هـ . والحميري : نسبة إلى قرية يُقَالُ لها « الحيرة » من قُرَى نيسابور .. وكان - رحمه الله -
أُوْحَدَ المشايخ في سيرته ، وقد صحب يحيى بن معاذ ، وشاه بن شجاع الكرمانى .. قال عنه عبد الله بن محمد
الرازى : لم أرَ أَحَدًا أعرف بالطريق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من أبي عثمان الحميري .

أَبُو عُثْمَانَ ، فَلَمَّا وَافَى مَنْزِلَهُ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ : يَا أَسْتَاذُ ، نِدِمْتُ ، وَأُخَذَ يَنْتَعِدِرُ وَقَالَ : اخْضُرِ السَّاعَةَ ، فَقَامَ أَبُو عُثْمَانَ وَمَضَى مَعَهُ ، فَلَمَّا وَافَى دَارَهُ قَالَ بِمِثْلِ مَا قَالَ فِي الْأَوَّلَى ، وَأُخَذَ يَنْتَعِدِرُ ، ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ ^(١) فِي الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ ، وَأَبُو عُثْمَانَ يَنْصَرِفُ وَيَخْضُرُ ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) : يَا أَسْتَاذُ إِنَّمَا أُرِذْتُ اخْتِيَارَكَ وَالْوُقُوفَ عَلَى أَخْلَاقِكَ ، وَجَعَلَ يَنْتَعِدِرُ إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لَا تَمْدَحْنِي عَلَى خُلُقٍ تَجِدُ مِثْلَهُ مَعَ الْكِلَابِ ، فَالْكَلْبُ إِذَا دُعِيَ خَضَرَ ، وَإِذَا رُجِرَ انْزَجَرَ .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ نَزَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ جَعْفَرٌ يَخْدُمُهُ وَالْفَقِيرُ يَقُولُ : نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ يَهُودِيًّا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ ^(٣) : عَقِيدَتِي لَا تَقْدَحُ فِيمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَسَلْ لِنَفْسِكَ الشُّفَاءَ وَلِيَّ الْهِدَايَةِ . وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْقُمُودِيَّ ^(٤) الْمُتَعَبِّدَ لِقِيَةِ بَعْضِ الْأَجْنَادِ وَمَعَهُ كَلْبٌ لِلصَّيْدِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَا الْكَلْبَ وَقُدِّهِ خَلْفِي ، فَأَبَى ، فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّوِطِ حَتَّى أَوْجَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَائِنِينَ : وَيَحْكُ ، هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْعَابِدُ ^(٥) ! فَتَزَلَّ عَنْ قَرَسِهِ وَجَعَلَ يَقْبَلُ يَدَيْهِ وَيَنْتَعِدِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ ^(٦) فِي حِلٍّ . قَالَ ^(٧) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْقُمُودِيَّ لِيَالِي

= [انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ، و تاريخ بغداد ج ٩ ص ٩٩ - ١٠٢ ، و شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، و طبقات الصوفية ص ١٧٠ - ١٧٥ ، و طبقات الشعراء ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، و الرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢] .

(١) فعل « عن م » .

(٢) في « م » : « قال له » .

(٣) في « م » : « أبو » زيادة من الناسخ .. وجعفر بن حنظلة من مُعاصري الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، و مِنْ كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٤ ، و الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٠] .

(٤) لم أنف على ترجمة له .. والقمودى من الرجال - بضم القاف والميم - الذى يتصف بالشدة والإباء .. وقد تكون النسبة هنا إلى « قمودة » وهى بلدة فى إفريقية ورد ذكرها فى الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٣١ ، ١٣٢ فى حوادث سنة ٢٩٦ هـ . ولم ترد فى معجم البلدان .

(٥) فى « ط » : « أبو جعفر القمودى العابد » .

(٦) فى « ط » : « فقال : أنت » .

(٧) فى « م » : « وقال » .

عِدَّةٌ ^(١) إِذَا فَرَّغَ مِنْ حِزْبِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِصَاحِبِ الْكَلْبِ وَارْحَمَهُ .

وَقِيلَ : مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ : عِنْدِي ، أَذْكُرْنِي حِينَ تَعْصِبُ أَذْكُرَكَ حِينَ أَغْصِبُ .
وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(٢) أَيْ : كُلُّ مَنْ لَقِيْتَهُ فَقُلْ لَهُ حُسْنًا مِنَ الْقَوْلِ . وَقَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ : الْحَلِيمُ ^(٣) عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالشُّجَاعُ فِي الْحَرْبِ ، وَالْأَخُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْخَيَّاطَ كَانَ لَهُ مَجُوسِيٌّ يَخِيطُ عِنْدَهُ الثِّيَابَ وَيَدْفَعُ لَهُ دِرَاهِمَ زُبُوفًا ^(٤) ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْخُذُهَا ، فَجَاءَ الْمَجُوسِيُّ يَوْمًا بِالدَّرَاهِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَعْطَاهَا لِتَلْمِيذِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَدَفَعَ لَهُ صِحَاحًا ، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ تَلْمِيذُهُ ^(٥) : وَهَذِهِ دَرَاهِمُ الْمَجُوسِيِّ ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : بِسْمَا فَعَلْتَ ، إِنَّهُ يُعَامِلُنِي ^(٦) بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مُنْذُ أُعْزِمَ وَأَنَا أَصْبِرُ عَلَيْهَا وَالْقِيَهَا فِي الْبَيْتِ لِفُلَا يُعْرِ بِهَا غَيْرِي .

وَرَوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ يَضْرِبُ أُمَةً لَهُ ، فَقَالَ : أَتَضْرِبُ مَنْ لَا تَمْتَنِعُ مِنْكَ ^(٧) ؟ لَقَدْ حَالَتْ الْقُدْرَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلَى التَّرَاتِ ^(٨) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ ضَيْقُ الصَّدْرِ ^(٩) ، وَضَيْقُهُ عَلَى قِسْمَيْنِ ، أَذْنَاهُ وَأَهْوُونُهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْخُلُقِ ، وَأَقْصَاهُ وَشَرُّهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْحَقِّ ^(١٠) . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ

(١) فِي « ط » : « عِدْلَةٌ » .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنَ آيَةِ ٨٣ .

(٣) فِي « ط » : « الْحَلِيمُ » .

(٤) زُبُوفًا : مُزَيَّفَةٌ .

(٥) فِي « م » : « لِتَلْمِيذِهِ » اللَّامُ الْأُولَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « ط » : « مُعَامِلٌ » .

(٧) فِي « م » : « عَلَيْكَ » .

(٨) فِي « م » : « التَّرَاتِبُ » مَكَانُ « التَّرَاتِ » تَحْرِيفٌ .. وَأَوْلَى التَّرَاتِ : أَصْحَابُ النَّارِ .

(٩) فِي « ط » : « ضَيْقُ الْقَلْبِ » .

(١٠) فِي « م » : « لِمُرَادِ الْخُلُقِ » .

الإعجاب^(١) ، وَهَلْ يَسُوءُ^(٢) خُلُقُ الرَّجُلِ إِلَّا مِنْ عُجْبِهِ وَتَكْبَرِهِ ، وَأَلَّهُ لَا يَرَى^(٣) فَرْقَهُ أَحَدًا ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ نَفْسِهِ فَتَدَاخَلُهُ^(٤) الْعِزَّةُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجِبَانِكَ لَظَهَر ﴾^(٥) أَيْ : وَخُلُقُكَ فَحَسَنٌ . وَكَانَ لِبَعْضِ النَّسَاكِ شَاةٌ ، فَرَأَاهَا عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا ؟ فَقَالَ غُلَامُهُ : أَنَا فَعَلْتُهُ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَعْمَلِكِ بِهَا ، فَقَالَ : لِأَعْمَلٍ مِنْ أَمْرِكَ بِهَذَا^(٦) أَذْهَبَ فَأَنْتَ حُرٌّ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « رَأَى عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧) - رَجُلًا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ^(٨) أَسْرِقُ ؟ فَقَالَ : كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي^(٩) . »

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَسَادُ الْأَخْلَاقِ مُعَاشَرَةُ السُّفَهَاءِ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُضَيِّقُ قَلْبَ صَاحِبِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ مُرَادِهِ ، كَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ لَا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ صَاحِبِهِ . وَيُقَالُ : مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ أَنْ يَقَعَ بِصُرْكَ عَلَى سُوءِ خُلُقٍ غَيْرِكَ .

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الشُّؤْمِ ، فَقَالَ : « سُوءُ

(١) في « م » : « الأصحاب » مكان « الإعجاب » تحريف .

(٢) في « م » : « يُسِيء » والأول من « ساء » والثاني من « أساء » .

(٣) في « م » : « لا يرى » . والعُجْبُ : التكبر والتعظيم .

(٤) تَدَاخَلَهُ ، أَيْ : فَتَدَاخَلُهُ .

(٥) سورة المدثر ، الآية الرابعة .

(٦) في « م » : « بها » .

(٧) في « ط » : « عيسى بن مريم » .. و « عليه السلام » عن « م » .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في « م » : « عيناى » .

الْخُلُقِ ١. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قِيلَ لَهُ : أَدْعُ اللَّهَ ٢ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا يُعِثُّ رَحْمَةً وَلَمْ أَتِ عَذَابًا » .

وَلَمَّا وَصَّى بِعُقُوبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْلَادَهُ قَالَ : احْفَظُوا عَنِّي خَصَلَتَيْنِ ٣ : مَا اتَّصَفْتُ مِنْ ظَالِمٍ قَطُّ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَمَا رَأَيْتُ حَسَنَةً إِلَّا وَأَفَشَيْتُهَا ، وَمَا رَأَيْتُ سَيِّئَةً إِلَّا وَسَتَرْتُهَا ، كَذَلِكَ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ابْنُ عُثْمَرَ : إِذَا سَمِعْتُمُونِي أَقُولُ لِمَلُوكِ : أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَاشْهَدُوا أَنَّهُ خَرٌّ .
وَيُقَالُ : السَّيِّئُ الْخُلُقِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَقِيلَ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِيِّ مُطَالَبَةٌ غَيْرِكَ أَنْ يُوَافَقَكَ ٤ دُونَ أَنْ تَطْلُبَ نَفْسَكَ بِمُوَافَقَةِ غَيْرِكَ . وَعَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِيِّ أَنْ تَحْتَمِلَ مُعَامَلَةَ سَيِّئِ الْخُلُقِيِّ لِتَسْتُرَ بِهِ سُوءَ الْخُلُقِيِّ . وَقِيلَ : الْغَارِفُ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ وَلَا يُعَاتِبُ خُلُقَهُ ، وَعَلَامَةُ مَنْ يَبْتَنِي نَفْسَهُ عِتَابٌ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُلُقِهِ عِتَابٌ .

وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُثْمَرَ كَانَ فِي جِحْرِهِ ٥ يَتِيمٌ سَيِّئُ الْخُلُقِيِّ ، فَمَاتَ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَجِدُ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَمَنْ لِي بِسُوءِ خُلُقِهِ ٦ . وَكَانَ لِيُخْبِي بَنِي زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ ٧ غَلَامٌ سُوءٍ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تُنْسِلُكَ هَذَا الْغَلَامَ ؟ قَالَ ٨ لَا أَعْلَمُ عَلَيْهِ الْجِلْمَ .

(١) قوله : « وسئل النبي » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٣) الظاهر هنا ثلاث خصال ، إلا إذا عدنا إنشاء الحسنة وستر السيئة بمثابة جملة واحدة .

(٤) في « م » : « بموافقتك » .

(٥) في جِحْرِهِ : في كَنَفِهِ ورعايته .

(٦) في « م » : « يمثل سوء خلقه » .

(٧) هو : يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي ، أبو الفضل ، شاعر ماجن من أهل الكوفة ، وكان يترنّى بالزندقة ، وله في السُّفَاح والمهملات العباسيين مدائح ، وهو ابن خال السفاح .. أقام بغداد مدة ، ولم يحمد زمانه فيها ، فخرج عنها ، وتوفي في أيام المهدي نحو سنة ١٦٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ من ١٤٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وأمل للرتضى ج ١ ص ٩٩] .

(٨) في « م » : « فقال » .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْمِعْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ^(١) الظَّاهِرَةُ : تَسْمِئَةُ الْخَلْقِ ، وَالْبَاطِنَةُ : حُسْنُ الْخُلُقِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لِأَنَّ يَصْنَعُنِي فَاجِرٌ حَسَنُ الْخُلُقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْنَعُنِي عَابِدٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ رُويَ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ^(٢) وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، التَّقِيَّ ، فَقَالَ يَحْيَى لِعِيسَى : تَلَقَّانِي ضَاحِكًا كَأَنَّكَ آمِنٌ ! فَقَالَ عِيسَى : وَأَنْتَ تَلَقَّانِي عَابِسًا كَأَنَّكَ آيِسٌ ! فَأَوْحَى اللَّهُ ^(٣) إِلَيْهِمَا أَنَّ أَحَبَّكُمَا إِلَيَّ أَبْشُكُمَا بِصَاحِبِهِ . قُلْنَا : كَذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ .

وَكَيْسَ إِطْلَاقُ الرُّوْحِ ^(٤) وَالتَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ أَحَبِّكَ مِنْهَا ^(٥) عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ مِنَ التَّمَلُّقِ ^(٦) وَالتَّصْنُّعِ ، وَفَصَّلُ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٧) مَا رَوَى هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ^(٨) فِي صِفَةِ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَانَ أَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لَا يَتَرَحُّ وَلَا يَتَحَرَّكُ ^(٩) وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَلَا يَطْرَفُ بِعَيْنَيْهِ ، حَدَرًا أَنْ يَنْفِرَ الطَّائِرُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ : كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي ، وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظَّمَهُ

(١) سورة لقمان ، من الآية ٢٠ .. وأسْمِعْ : اكْمَلْ وَأَتَمَّ .

(٢) في « ط » : : عِيسَى وَيَحْيَى .

(٣) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٤) في « م » : : طَلَاةُ الْوَجْهِ ، أَيْ : ظَهْرُ الْفَرْحِ وَالْبِشَاشَةِ عَلَيْهِ .

(٥) في « م » : : مَنَى ، لِاتِّصَاحِ .

(٦) في « م » : : التَّمَلُّقُ ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٧) في « م » : : فِي الْبَابِ .

(٨) في « م » : : مُحَمَّدٌ ، كَانَ هُنْدٌ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .. وَهُوَ : هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِ أَبِي هَالَةَ ، فَقِيلَ : نُبَاشُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَقِيلَ مَالِكُ بْنُ زُرَّارَةَ .. وَكَانَ أَبُو هَالَةَ زَوْجَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ قَبْلَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَوُلِدَتْ لَهُ هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ، وَشَهِدَ هُنْدٌ بِدَرَا ، وَقِيلَ : بَلْ شَهِدَ أَحَدًا ، وَقِيلَ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ .

[انظر ترجمته والحديث الذي رواه في صفة النبي (ﷺ) في أسد الغابة ج ٥ ص ٤١٧ - ٤١٩] .

(٩) في « ط » : : فَإِنَّهُ لَا يَتَحَرَّكُ .

فِي غَنِيِّ صِغَرِ الدُّنْيَا فِي غَنِيهِ ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَسْتَهْيِي مَا لَا يَجِدُ ،
وَلَا يَكْتُمُ إِذَا مَا وَجَدَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ ^(١) فَرَجِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُؤْنَةً ^(٢) ،
وَلَا يَسْتَخْفُفُ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَأًا ^(٣) ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فَلَا يُقَدِّمُ أَبَدًا إِلَّا
عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ ^(٤) . كَانَ أَكْثَرَ ذَمِّهِ صَامِتًا ، فَإِذَا قَالَ بَدْءٌ ^(٥) الْقَائِلِينَ ، وَكَانَ
مُتَضَاعِفًا ^(٦) مُسْتَضْعَفًا ، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا ^(٧) . كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي
دَعْوَى ، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مِرَاءٍ ، وَلَا يَذِلُّ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا عَدْلًا وَشَهُودًا عَدْلًا ،
وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَكُونُ الْعُدْوُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اغْتِذَارُهُ . كَانَ لَا يَشْكُو
وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبَرَّ ، وَلَا صَاحِبًا ^(٨) إِلَّا لِمَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ لَهُمَا
جَمِيعًا ^(٩) . وَكَانَ لَا يَتَّبِعُ وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَشْتَكِي ، وَكَانَ لَا يَنْتَقِمُ عَلَى الْوَلِيِّ ،
وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعُدْوِ ^(١٠) ، وَلَا يَخْصُرُ نَفْسَهُ دُونَ إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِنْ اهْتِمَائِهِ وَحِيلَتِهِ
وَقُوَّتِهِ ، فَاقَفَ ^(١١) هَذِهِ الْأَخْلَاقَ ، فَإِنْ لَمْ تُطْلَقْ فَخِذُ الْقَلِيلِ ^(١٢) نَحِيرٍ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ .
وَرَوَى أَنَّ حَكِيمًا سَمِعَ رَجُلًا ^(١٣) يَذُمُّ الزُّمَانَ وَاهْلُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ

(١) من قوله : « بطنه » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » ، وهذا الوصف في الأدب الكبير ص ١٣٣ ، وانظر
المعجم العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ط دار المعارف .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مؤونة » ولعله يريد بهما « المانة » وهي السرة وماحولها من البطن .. أما في
المصدرين السابقين فجاءت مكانهما كلمة « ربة » وهي أوضح .

(٣) قوله « ولا يبدأ » عن « ط » والمصدرين السابقين ، ولم ترد في « م » : .

(٤) هكذا في « ط » والمصدرين السابقين .. وفي « م » : « لمنفعة » .

(٥) في « م » : « فإذا ما قال » .. وبدءٌ غلبَ وفاقى .

(٦) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المصدرين السابقين : « وكان يرمى » . ومتضاعفاً أى : يملو ضعيفاً .

(٧) عادياً : واثباً .

(٨) في الأدب الكبير : « وكان لا يستشير صاحبا » .

(٩) قوله : « لهما جميعاً » لم ترد في المصدرين السابقين .

(١٠) هكذا في المصدرين السابقين .. وفي « م » و « ط » : « ولا ينتقم من الولي على العدو » ، ولا يغفل عن

الولي . والولي الشئب والصديق .

(١١) فانف : فأنفج .. وفي الأدب الكبير : « فعليك بيده الأخلاق إن أطقف » أى : إن استطعت .

(١٢) في « م » : « فإن لم تقدر فأخذ القليل » .

(١٣) في « م » : « وروى أن رجلاً سمع حكيماً » . وما ورد في « ط » هو المناسب للمعنى هنا .

النَّاسُ ^(١) وَلَمْ يَتَّقِ أَحَدٌ يُصْحَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَنْتَ طَلَبْتَ صَاحِبًا تُؤْذِيهِ فَلَا يَنْتَصِرُ ، وَتَنَالُ مِنْهُ فَلَا يَنْتَصِفُ ، وَتَأْكُلُ رَحْلَهُ وَلَا يَرْزُوكَ بِشَيْءٍ ، وَتَجْفُو عَلَيْهِ فَيَحْلُمُ ، فَلَمْ تَنْتَصِفْ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمْ تَجِدْ حَاجَتَكَ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ صَاحِبًا يُؤْذِيكَ فَلَا تَنْتَصِرُ ، وَتَجْفُوكَ فَلَا تَنْتَقِمُ ، وَتَأْكُلُ رَحْلَكَ فَلَا تَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَجَدْتَ أَصْحَابًا وَمِنْهُمْ أَغْوَانًا وَخُلَائًا ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَصْحَبُكَ .

فصل

في الفرق بين المداينة والمداراة

مَنْ دَارَى سَلِمَ ، وَمَنْ دَاهَنَ أَلِيمٌ ^(١) ، وَهَذَا بَابُ اخْتِلَاطٍ عَلَى مُعْظَمِ الْخَلْقِ ، فَدَاهَنُوا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُدَارُونَ ^(٢) ، فَالْمُدَاهَنَةُ مِنْهُيٌّ عَنْهَا ^(٣) ، وَالْمُدَارَاةُ مَأْمُورٌ بِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُدَاهَنَةِ : ﴿ وَذُوقُوا لَوْلَظِهِمْ فَيَلْجِئُونَ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمُدَارَاةِ : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ^(٥) التَّوَدُّ إِلَى النَّاسِ ، وَأُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ » ^(٦) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا سَقِمَتْ ^(٨) الْمُدَارَاةُ صَارَتْ مُدَاهَنَةً ، وَالْمُدَاهَنَةُ ^(٩) أَنْ تُدَارِيَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِ يَذْهَبُ فِيهِ دِينُكَ ، وَالْمُدَارَاةُ مُخَالَفَتُهُمْ عَلَى وَجْهِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،

(١) قوله : « قد فسد الناس » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) دَارَى : لَا طَفَّ وَلَا تَنَ وَاقَى .. وَدَاهَنَ : أَظْهَرَ عِلَافَ مَا أَبْطَنَ ، أَوْ : عَادَعَ وَغَشَّ .

(٣) في « م » : « يُدَارُوا » لا تصح .

(٤) في « م » : « عليها » تحريف .

(٥) سورة القلم ، الآية التاسعة .

(٦) في « م » : « بعد المعرفة بالله » ومارود في « ط » : هو المطابق لنص الحديث .

(٧) الحديث ورد مجزئاً في السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٠٩ في كتاب آداب القاضي .

(٨) سَقِمَتْ : طَالَتْ .

(٩) في « ط » : « فَالْمُدَاهَنَةُ » .

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١) تَزَلَّتْ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ :
 يَا مُحَمَّدُ ، أَعْبُدْ آلِهَتَنَا سِتَّةَ وَثُومِينَ بِكَ ، فَأَبَى . قَالُوا : فَشَهْرًا ، فَأَبَى . قَالُوا : فَيَوْمًا ،
 فَأَبَى . قَالُوا : فَسَاعَةً ^(٢) ، فَأَبَى . قَالُوا : فَاسْتَلِمَهَا ^(٣) بِيَدِكَ وَثُومِينَ بِكَ . فَوَقَفَ النَّبِيُّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي ذَلِكَ ، وَطَمِعَ إِنْ فَعَلَ أَنْ يُؤْمِنُوا ^(٤) : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَدُّوا لَوْ كُذِبَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٥) . وَقِيلَ لَهُ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَهُهُمْ ﴾
 هُنَا قَلِيلًا . إِذَا لَأَذَقَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ ^(٦) . وَمِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ
 لِلظَّالِمِ : أَتَبَاكَ اللَّهُ ، وَمَنْ دَعَا لِلظَّالِمِ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ^(٧) ، وَهَذَا
 بَابٌ يَنْبَغِي ^(٨) لِلدُّوَى الدِّينِ حِفْظُهُ .

وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْمُفَقِّهَاءِ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْعَهْدَةِ بِالْتَّعْرِِيضِ ^(٩) ، وَكَانَ الْفَقِيهُ ابْنُ
 الْحَصَّارِ ^(١٠) يَبْغُرُطَبَةَ لَهُ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ يَقْضِي حَوَائِجَهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَكَانَ الْفَقِيهُ يُكْثِرُ أَنْ
 يَقُولَ لَهُ ^(١١) : أَتَبَاكَ اللَّهُ وَلَوْلَاكَ ، أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ ، يَسُرُّنِي وَاللَّهُ مَا يَسُرُّكَ ، جَعَلَ اللَّهُ

(١) لِي (م) : « أَنْ الْآيَةَ » .

(٢) لِي (ط) : « سَاعَةً » .

(٣) فَاسْتَلِمَهَا : الْمَسَّهَا . وَمَنْهُ : اسْتَلَمَ الْحَاجُّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، أَيْ : لَمَسَهُ بِالْقَبْلَةِ أَوْ بِالْيَدِ .

(٤) لِي (م) : « إِنْ فَعَلَ يُؤْمِنُوا » .

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ .

(٦) لِي (م) : « كِدْتَ أَنْ تَرْكُنَ » .. « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .. وَالْآيَاتُ مِنَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ : ٧٤ ، ٧٥ .

(٧) لِي (م) : « أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ » .

(٨) لِي (م) : « وَهَكَذَا يَنْبَغِي » .

(٩) التَّعْرِِيضُ : التَّوْبِيحُ .

(١٠) لِي (ط) : « الْحَصَّارُ » بِالضَّادِّ الْمَعْجَمَةُ .. خَطَأً ، وَالصَّوَابُ بِالضَّادِّ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدُودَةُ ، وَهُوَ : أَبُو الْمَطَرِ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَشَرَ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَصَّارِ ، وَكَانَ فَقِيهًا وَعَالِمًا وَأَدِيبًا ، وَقَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةَ ، وَتَوَفَّى
 سَنَةَ ٤٢٢ هـ .

[انظر ترجمته في الْمُتَرْغَبِ فِي حُلِيِّ الْمَرْغَبِ ج ١ ص ١٥٨ ، وَجَنُودُ الْمُتَقَبِّسِ فِي تَارِيخِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ لِلْحَمِيدِيِّ ج
 ٢ ص ٤٢٧ ، وَشَذَرَاتُ الْبَلَبِ ج ٣ ص ٢٢٢] .

(١١) « لَهُ » عَنْ (م) .

يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ . لَا يَزِيدُهُ ^(١) عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَيَنْتَهِجُ ^(٢) النَّصْرَانِيُّ بِهَا
وَسْرَهُ ، فَعُوتِبَ الْفَقِيهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَدْعُو بِمَعَارِضَ قَدْ ^(٣) عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ
نَبِيِّي ، أَمَّا قَوْلِي : أَبَقَاكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَبْقِيَ اللَّهُ لِقَرْمِ الْجَزِيَّةِ ، وَيَتَوَلَّاهُ ^(٤)
بِالْعَذَابِ ، وَأَمَّا قَوْلِي : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ تُقَرَّ حَرَكَتُهَا بِسِتْرِ يَغْرُضُ لَهَا
فَلَا تَتَحَرَّكَ جُفُونُهَا ، وَأَمَّا قَوْلِي : يَسُرُّنِي وَاللَّهُ مَا يَسُرُّكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ تُسُرُّنِي كَمَا
تُسُرُّهُ ، وَأَمَّا قَوْلِي : جَعَلَ اللَّهُ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ الَّذِي
أَدْخُلُ فِيهِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّارَ بِكُفْرِهِ .

* * *

(١) لِي د م : لا يزيد .

(٢) لِي د م : ينتهج مكان فينتهج .. ويقال : أنجح الرجل ، إذا قهرت له الحاجة .

(٣) لِي د م : وقد .

(٤) لِي د م : وتولاه .

البَابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣) . فَكُلٌّ مِّنْ لِّمَ يَحْكَمْ بِمَا جَاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٤) كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ : الْكُفْرُ ، وَالظُّلْمُ وَالْفِسْقُ ^(٥) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٦) . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَضْرَوَيْهِ ^(٧) : لَوْ أُذِنَ لِي فِي الشَّفَاعَةِ مَا بَدَأْتُ إِلَّا

(١) سورة المائدة ، من الآية ٤٤ . ولفظه « تعالى » بمعناها عن « ط » في الموضعين .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٤٧ .

(٤) في « م » : « وعند رسوله » .

(٥) في « م » : « الظلم والكفر والفسوق » .

(٦) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٧) هو الزاهد الكبير أحمد بن حَضْرَوَيْهِ - أو الحَضْرِي - البلخي ، وكنيته أبو حامد ، وهو من كبار مشايخ غراسان ، صحب أبا تراب النخشي وحافظاً الأصم ، ورحل إلى أفي يزيد البسطامي ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٣ - ١٠٦ ، وطبقات الأولياء ص ٣٧ - ٣٩ ، وطبقات الشعرائي ج ١ ص ٨٢ ، وجامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٤٢ ، ٤٣ ، وكشف المحجوب للهجویری ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٣٧ ،

بِالظَّالِمِينَ ، لَأَنِّي ثَبِّتُ لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) . قَالَ : وَلَا أَغْتَبِمُ سَفَرًا لَا يَكُونُ فِيهِ مَنْ لَا يُؤْذِينِي وَيَظْلِمُنِي ، شَرَفًا مِنِّي
لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِينَ . وَقَالَ مِمُّونُ بْنُ مِهْرَانَ : كَفَى بِهِذِهِ الْآيَةُ وَعَيْدًا لِلظَّالِمِ
وَتَعْزِيَةً لِلْمَظْلُومِ . وَقَالَ كَعْبٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : فِي التَّوْرَةِ : مَنْ يَظْلِمِ يُحْرَبْ بَيْتُهُ . فَقَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَلَّكَ لِيُوَلِّهُمْ حَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ^(٢) .
فَالظَّلْمُ ^(٣) أَدْعَى شَيْءٌ إِلَى سَلْبِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ^(٤) عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ ،
قَالَ : يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا
تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ،
كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ^(٥) ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ
كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِيكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُحْطِفُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ
الدُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي ^(٦)
فَتَضُرُونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ
وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ^(٧) مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا
عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ
مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ
وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ

(١) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٢) سورة اهل ، من الآية ٥٢ .

(٣) في (م) : « والظلم » .

(٤) في (ط) : « في الصحيح » .

(٥) في (م) : « استطعمته » تحريف .

(٦) الضَّرُّ ، بضم الضاد المعجمة : الفاقة والفقر ، وفتحها : ما كان ضد النفع ، وهو المراد هنا ، وكذا ورد في

صحيح مسلم .

(٧) هكنا في (ط) .. وفي (م) : « رجل منكم » في الموضعين .

مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَحِيطُ ^(١) إِذَا دَخَلَ فِي الْبَحْرِ . يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٢) ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ^(٣) . يَرْوِيهِ أَبُو إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيُّ ^(٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَمُسْتَدًّا إِلَى النَّبِيِّ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَهُ جَنَّا ^(٦) عَلَى رُكْبَتَيْهِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٧) . وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » ^(٨) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ

(١) في (م) : « إِلَّا كَمَا أُذِخِلَ الْمَحِيطُ إِذَا أُذِخِلَ الْبَحْرُ » . والمخيط : آلة الخياطة ، كالإبرة ونحوها .. والمعنى : لا ينقص شيئاً ، لأن ما عند الله لا يدخله النقص ، وإنما يدخل النقص الحمد والثناء ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان لذيئتان لا يتطرق إليهما نقص ، فحُضِرَ اللَّيْلُ بِالْمَحِيطِ فِي الْبَحْرِ لِأَنَّهُ غَايَةُ مَا يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقَوْلِ ، وَالْمَقْصُودُ التَّوْبُّ إِلَى الْأَفْهَامِ بِمَا شَهِدُوهُ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ أَكْثَرِ الْمُرْتَبَاتِ عِلَاتاً وَأَكْبَرَهَا ، وَالْإِبْرَةَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَوْجُودَاتِ ، مَعَ أَنَّهَا صَغِيلَةٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مَاءٌ .

[انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٣٣] .

(٢) ما بين المعقوفين عن (م) .

(٣) في (م) : « يَلُومَنَّ » . وما هنا هو الأشهر والمطابق لنص الحديث .. والحديث رواه مسلم في كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٢ ، وأبو نعيم في الحلية ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الغصب ج ٦ ص ٩٣ ، والخزرجي في الترهيب والترهيب ، في الترهيب في كرامة الدعاء وما جاء في فضله ج ٢ ص ٤٢٣ - ٤٢٦ ط دار الحديث .

(٤) هو عالم أهل الشام عاقل الله بن عبد الله بن عمرو ، أبو إدريس الحولاني ، من فقهاء التابعين ، ولد عام حنين (سنة ٨ هـ) وروى عن معاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وأبي ذرٍّ ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم .. وكان واعظاً أهل دمشق وقاضياً .. وتوفي سنة ٨٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ١٢٢ -

١٢٩] .

(٥) في (م) : « رسول الله » .

(٦) جَنَّا : جلس .

(٧) أى : أن الظلم يكون ظلمات على صاحبه يوم القيامة فلا يتبدى سبيلاً يوم يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم . ويحتمل أن يكون المراد بالظلمات : الشدائد .

[انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٤ ، وضع الباري ج ٥ ص ١٠٠ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، والبيهقي في السنن الكبرى ، باب الغصب ج ٦ ص ٩٣] .

(٨) أخرجه البخاري في باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ من فتح الباري ، والبيهقي في المصدر السابق .

رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عَرَضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ ^(٢) كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ ^(٣) لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » ^(٤) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا ^(٦) طَوْفَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّحَاوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُقَلَّبُ شَجَاعًا أَقْرَعَ فَيَطْوِفُهُ ^(٧) . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَانِعُ الزَّكَاةِ ^(٨) يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ يَتَّبَعُهُ ^(٩) » وَيَقُولُ : « أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَثْرُكَ » ، فَكَانَ هَذَا دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١٠) .

(١) في « م » : « قَالَ النَّبِيُّ » .

(٢) سقطت « إِنْ » من « م » سهواً من الناسخ .

(٣) في « م » : « فَإِنْ » .. وفي البخاري : « وَإِنْ لَمْ تَكُنْ » .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج ٥ ص ١٠١ .. والمُظْلَمَةُ ، بكسر اللام على المشهور ، وقد سبق شرحها .

(٥) هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن ثعلب العلوي القرشي ، أبو الأعمور ، من خيار الصحابة ، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة ، وقد أسلم هو وامرأته قبل عمر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلا بلخاً ، فقد كان غالباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ ، وضرب له رسول الله بسهمه وأجره فيها .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأي والبسالة ، وشهد الرموك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة دمشق .. وتوفي في المدينة سنة ٥١ هـ . وله في كتب الحديث ٤٨ حديثاً . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٩٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٥ - ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩] .

(٦) في البخاري : « شَيْئاً » مكان « شَيْئاً » وكلاهما مروي .

[انظر كتاب المظالم في المصدر السابق ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض .. وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٦٧ كتاب البيوع ، باب من أخذ شيئاً من الأرض] .

(٧) أى : يسقط عليه ثمنها ضحماً بجمله له طوقاً فيعذه بذلك .. وقد يكون المراد : أن الظلم المذكور لازم له في عقه لزوم الإثم .

(٨) في « ط » : « مَانِعُ الزَّكَاةِ » .

(٩) « يَتَّبَعُهُ » عن « ط » .

(١٠) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » ^(١) .
 وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْجَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُنْجِي
 لِلظَّالِمِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُغْنِهِ » ، وَقَرَأَ : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى
 وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَبَدٌ حَتَّى يَكُونَ » ^(٣) . وَرَوَى أَنَسُ بْنُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَالَ : « النَّصْرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ أَلْنَصْرُ مَظْلُومًا
 فَكَيْفَ أَلْنَصْرُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدِهِ » ^(٤) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِيفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : نَاسٌ ^(٦) مَعَهُمْ سِيَاطٌ
 كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ » ^(٧) ، وَنِسَاءٌ كَأَسْيَافٍ غَارِبَاتٍ ، مَائِلَاتُ

(١) أراد الغني : القادر على أداء ما استحق أدائه ، ولو كان فقيراً ، ومطله : منع أدائه وتأخير .. وبقية الحديث :
 « وَإِذَا أُجِلَّتْ عَلَى غَيْرِهِ فَالْبَقَاءُ » . أو « فَلْيَتَج » . والمثل : الغنى الكريم .. واتبعه : اتبعه ..

[الحديث رواه البخاري مجزئاً في الاستعراض ، باب مظل الغني ظلم ج ٥ ص ٦١ من فتح الباري ، ورواه أيضاً
 في الحوالات .. ورواه مسلم في المساقاة ، باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها ج ١٠ ص ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ وزاد فيه الزيادة المذكورة آنفاً .. ورواه ابن ماجه في سننه في الصدقات ، باب الحوالة ج ٢ ص ٨٠٣ ..
 والدارمي في البيوع ، باب مظل الغني ظلم ج ٢ ص ٢٦١ ، وأبو داود في البيوع ، باب في المظل ج ٣ ص ٢٤٥ ،
 والنسائي في البيوع في مظل الغني ج ٧ ص ٣١٦ يشرح جلال الدين السيوطي ، والترمذي في البيوع باب ماجاء في
 مظل الغني ج ٦ ص ٤٣ - ٤٥ يشرح ابن العربي] .

(٢) في سنن ابن ماجه : « يُنْجِي » .. ويُمل للظالم : يمهله ويحركه مدة .

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٢ .. وانظر الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب العقوبات ج ٢
 ص ١٣٣٢ .

(٤) هكذا في « م » و « ط » .. وفي البخاري : « هذا نصره مظلوماً ، فكيف نصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق
 يديه » أي : تكفه عن الظلم بالقلل إن لم يكف بالقول .. ولحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب أين أخاك
 ظالماً أو مظلوماً ج ٥ ص ٩٨ من فتح الباري .

(٥) في « م » : « وَرَوَى » بالبناء للمجهول .. والحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة .

(٦) في صحيح مسلم : « قَوْمٌ » .

(٧) المراد بأصحاب السياط : غلمان والى الشرطة ، ولم يكونوا على عهد رسول الله ، ﷺ ، لذا فإن النووي غد
 هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ .

مُيِمَّلَاتٌ ^(١) ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ مِثْلُ أُسْنِمَةِ الْبُحْتِ ^(٢) لَا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ^(٣) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا ^(٤) أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ^(٥) . وَفِي الْآيَةِ ثَاوِيلَانِ ، أَحَدُهُمَا : أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا ، أَيْ : خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَالثَّانِي عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ ^(٦) أَيْ : كَثَرْنَا عَدَدَهُمْ ، وَأَسْبَغْنَا النَّعَمَ عَلَيْهِمْ ، فَغَصَبُوا وَتَبَاغَوْا . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ » ^(٧) ، أَيْ : كَثِيرَةُ النَّتَاجِ .

(١) أى : كاسيات من الثياب ، عاريات من فعل الخير والاهتمام بآخرتهن ، والاعتناء بالطاعات .. أو : يكشفن شيئاً من أبدانهن إظهاراً لجمالهن ، فهن كاسيات عاريات .. أمّا مائلات مُيِمَّلَاتُ فعنَى : زائغات عن طاعة الله ومايلزمهن من حفظ الفروج وغيرها ، ويُعلمن غيرهن مثل فعلهن .

(٢) فى مسلم : « رُءُوسُهُنَّ كَأُسْنِمَةِ الْبُحْتِ » .. وَالْبُحْتُ : نوع من الإبل .. والمراد بتشبيه رؤوسهن بأُسْنِمَةِ البُحْتِ إنما هو لارتفاع الغدائر (الضفائر) وشدها إلى فوق وجمعها فى وسط الرأس حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس ، كما تميل السنام ، فتنة للناس .. وقيل : يجوز أن يكون معناه : أنهم يطمحن إلى الرجال ولا يفضضن عنهم أبصارهن ، ولا ينكسن رؤوسهن حياة .. والله أعلم .

(٣) فى مسلم : « لا يدخل الجنة » . وهذا محمول على من استحلّت حراماً مع علمها بتحريمه .. والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب جهنم - أعادنا الله منها . ج ١٧ ص ١٩٠ بشرح النووي .

(٤) فى « م » : « فإذا » بالفاء .. مخلف للآية .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ١٦ .

(٦) أى : بمد الهمزة « آمَرْنَا » . هكذا فى أنْهات كتب التفسير .. وفى « م » : « المدائنى » وهى تحريف للكلمتين : « لِلْمَدِّ ، أَيْ : .. وفى « ط » : « على قراءة المدنى » ولعله يريد به أحمد بن قاتون المدنى ، وقد قرأ عليه الحسن بن أبى مهران ، وهذا الأخير جاء فى اللسان وفى كتب القراءات أنه قرأ « آمَرْنَا » بالمد .

[انظر لسان العرب مادة « أمر » وطبقات القراء ج ١ ص ١٨٢ ، وصحيح البخارى ج ٨ ص ٣٩٤ كتاب التفسير ، باب « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » ، وانظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٨٤٨ - ٢٨٥١ ، وتفسير الكشاف للزخشري ج ٢ ص ٤٤٢ ، وتفسير الفخر الرازى ج ١٠ ص ١٧٥ - ١٧٨ ، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢ ، ٣٣ ، والمضى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ج ٢ ص ٣٤٠] .

(٧) السِّكَّةُ : الطريقُ المصْطَفَةُ من النخل .. والمأبورة : الملقحة . يريد : خير المال نتاج وزرع .

[انظر القرطبي وغيره من كتب التفسير السابقة] .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَهَوَامَهَا تَلْعَنُ الْعَصَا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : إِذَا أَشْعَثَتِ الْأَرْضُ ^(١) تَقُولُ الْبَهَائِمُ : هَذَا مِنْ أَجْلِ عَصَاةِ بَنِي آدَمَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْجِسَلَ لَتَمُوتَ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » ^(٣) . يَعْنِي : أَنَّ بِذُنُوبِ الْخَلْقِ يَمْتَنِعُ الْقَطَرُ ^(٤) . فَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ، فَتَهْلِكُ الدُّوَابُّ وَالْحَشَرَاتُ . وَسَمِعَ أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) رَجُلًا يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ . فَقَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنَّ الْحُبَارَى ^(٦) لَتَمُوتُ هَزْلاً ^(٧) فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : خَطِيطَةُ بَنِي آدَمَ قَتَلَتِ الْجِسَلَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ انْقَطَعَ حَقٌّ أَمْرِي مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ كَانَ شَيْفًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ » ^(٨) . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَا ظَهَرَ الْعُلُولُ » ^(٩) فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَا فَتَا الرُّبَى فِي قَوْمٍ إِلَّا ^(١٠) فَتَا فِيهِمُ التَّمُوتُ ، وَلَا تَقْصَرُ قَوْمُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِلَّا انْقَطَعَ عَنْهُمْ ^(١١)

(١) أَشْعَثَتِ الْأَرْضُ : تَمُوتُ وَقَلَّ عَيْرُهَا .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٣) الْجِسَلَ : وَلَدُ الضَّبِّ . وَالْحَدِيثُ لَمْ يَرِدْ فِي الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ .

(٤) الْقَطَرُ : الْمَطَرُ .

(٥) فِي « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٦) فِي « م » : « حَتَّى إِنَّ الْحُبَارَى » . وَالْحُبَارَى : طَائِرٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ ، رَمَادَى اللَّوْنِ ، عَلَى شَكْلِ الْإِوَرَةِ ، الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ .

(٧) هَزْلاً : ضَعْفًا .. وَفِي « م » : « مِنْزَلاً » تَحْرِيفٌ .

(٨) قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ : عَوْدًا مِنْ شَجَرِ الْأَرَاكِ ، وَهُوَ شَجَرٌ كَثِيرُ الْفُرُوعِ ، مُتَقَابِلُ الْأَوْرَاقِ ، بَنِيَتْ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ ، وَيَتَخَذُ مِنْهُ الْمَسَاكِينُ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِسَلَّةِ رَوَايَاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ ، بَابِ وَعِيدٍ مَنْ انْقَطَعَ حَقٌّ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَاجِرَةٌ بِالنَّارِ ج ٢ ص ١٥٧ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .

(٩) الْعُلُولُ : الْحَيَاةُ وَالسَّرَقَةُ فِي الْمَغْنَمِ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(١٠) قَوْلُهُ : « أَلْقَى اللَّهُ » إِلَى هُنَا .. عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(١١) فِي « م » : « قُطِعَ عَنْهُمْ » .

الرُّزْقُ ، وَلَا حَكَمَ قَوْمٍ يَغْيِرُ حَقَّ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ ، وَلَا خَرَّ قَوْمٌ بِالْمَهْدِ ^(١) إِلَّا سُلْطَ عَلَيْهِمُ الْقُدُورُ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَذْكَرُ عِنْدَ الظُّلْمِ عَذْلُ اللَّهِ فَيْكُ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا ^(٣) يُغْيِبُنْكَ رَحْبُ الذَّرَاعَيْنِ بِسَفَلِكِ الدَّمَاءِ ، فَإِنَّ لَهُ قَاتِلًا لَا يَمُوتُ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ رَقَمَ عَلَى بِسَاطِهِ ^(٤) :

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَتَصِبٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ ^(٥)

وَأَنْشَدَنَا قَاضِي الْقَضَايَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ يَبْعَدَادُ :

إِذَا مَا هَمَمْتَ بِظُلْمِ الْعِبَادِ فَكُنْ ذَاكِرًا هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْمَعَادِ

فَإِنَّ الْمَظَالِمَ يَوْمَ الْقِصَاصِ لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرُّ زَادٍ ^(٧)

(١) هكذا في (م) : « وَالْمُوتُ » .. ومعنى خَرَّ بالهمد : نقضه وغثر به .. ولي « ط » : « خَفَر » وهي بمعناها .

(٢) في (م) : « إِلَّا سُلْطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعُدُورُ » .. والحدث رواه مالك في مَوْطِئِهِ في كتاب الجهاد ، باب ما جاء في القُلُوبِ ص ٤٦٠ ط دار الكتاب المصري .

(٣) في (م) : « لَا » بدون واو المطف .. وَرَحْبُ الذَّرَاعَيْنِ : واسع القوة .

(٤) رَقَمَ عَلَى بِسَاطِهِ : كتب عليه .. والبيتان من البسيط .

(٥) هكذا في (م) « وَط » .. والشطرة الأولى في المستطرف - ج ١ ص ٢٣٦ : « تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَتَبِعٌ » .

(٦) في « ط » : « أَنْشَدَنَا » بدون عطف .. وأبو عبد الله الدامغانى هو : محمد بن علي بن حسن بن عبد الملك ، أبو عبد الله الدامغانى ، شيخ الحنفية في زمانه ، وتُبَيَّنَتْ بِقَاضِي الْقَضَايَةِ ، وُلِدَ بِدَامَغَانَ - بَلَدٌ بَيْنَ الرِّيِّ وَنَيْسَابُورَ - سَنَةَ ٣٩٨ هـ - وَلى مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ سَنَةَ ٤٠٠ هـ - وَتَفَقَّهَ بِهَا وَنَيْسَابُورَ ، ثُمَّ يَبْعَدَادَ سَنَةَ ٤١٨ هـ ، وَوَلَّى بِهَا الْقَضَايَةَ سَنَةَ ٤٤٧ هـ ، وَطَالَتْ أَهَامُهُ ، وَكَانَ مِثْلَ الْقَاضِي أَبِي يَوْسُفَ فِي أَهَامِهِ حَشْدَةً وَجَاهًا وَسُودَدًا وَعَقْلًا ، وَبَقِيَ فِي الْقَضَايَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى سَنَةَ ٤٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٣ مادة دَامَغَانَ] .

(٧) البيتان من المتقارب .. ويوم المهاد ، ويوم القصاص : يوم القيامة .

وَقَالَ سَخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ ^(١) : كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ ^(٢) يَقُولُ : مَا هَبْتُ شَيْئًا فَطُ هَبْتَنِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَقُولُ لِي : حَسْبُكَ اللَّهُ ^(٣) ، اللَّهُ بَنِي وَبَيْتِكَ . وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ ^(٤) : اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَقَالَ أَبُو سَلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) عَرَفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ بَرَقٌ ، فَحَلَا بِكَبِيرِهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ خَالَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَمَّ ^(٦) أَوْصَاكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : بِأَرْبَعٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : يَا بَنِي لَا تُتَّبِعْ هَوَاكَ فَتُفَارِقَ إِيْمَانَكَ ، فَإِنَّ الْإِيْمَانَ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْهَوَى يَدْعُو إِلَى النَّارِ ، وَلَا تُكْثِرْ مَنَاطِقَكَ بِمَا ^(٧) لَا يَغْنِيكَ فَتَسْقُطَ

(١) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التميمي ، الملقب بسخنون ، قاضي وفقه مالكي ، انتبث إليه رئاسة العلم في المغرب ، وكان عفيف النفس زاهداً ، لايأبى سلطاناً في حق بقوله ، وُلِدَ في القيروان سنة ١٦٠ هـ ، وولي القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ ، واستمر إلى أن توفي سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٤٠ ، وقضاة قرطبة للخشني ، صفحات متفرقة ، وجذوة للفتيس ، صفحات متفرقة ، وشرحات الذهب ج ٢ ص ٩٤ ، وطبقات الشيرازي ص ١٦٠ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٣٧] .

(٢) في « ط » : يزيد بن حاتم الحكيم .. وفي « م » : يزيد بن حكيم والأخير تحريف من « حاتم » .. وهو : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان في العصر العباسي ، ولي الديار المصرية سنة ١٤٤ هـ للمنصور ، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر ، وحصره المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولّاه إفريقية سنة ١٥٤ هـ ، فوجه إليها وقاتل الخوارج ، واستقر بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، قضى في خلالها حل كل من الفتن . وتوفي بالقيروان سنة ١٧٠ هـ . وكان جواداً مملوحاً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٨٠ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢١ - ٣٢٦ ، وغرارة الأدب للبغدادي ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٦ ، وفيها إشارة إلى قوله : « ما هبت شيئاً .. الخ »] .

(٣) الحسب : المحاميد .. وفي « م » : « حُسْبُكَ اللَّهُ » أي : كافيك .

(٤) هكذا في « م » وفي الحلية .. وفي « ط » : « ابن سعيد » خطأ . وهو من العبّاد الزاهدين ، وكان واعظاً ومحدثاً .. قال عبد الله بن المبارك : كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة . [انظر ترجمته وأقواله في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٢١ - ٢٣٤] .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « م » : « بما » لاتصح ، فاليم هنا استفهامية سُبقت بحرف جر ، فتحذف ألفها . ومثلها : عَمَّ ، ومِمَّ ، وعلام الخ ..

(٧) في « م » : « فيما » .

مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَا تُسِئْ بِرَبِّكَ الظَّنَّ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكَ ، وَلَا تُكُنْ ظَالِمًا فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تَخْلُقْ لِلظَّالِمِينَ .

وَبَكَى عَلَى بَنِي الْفَضِيلِ ^(١) يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي إِذَا وَقَفَ غَدًا ^(٢) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تُكُنْ ^(٣) لَهُ حُجَّةً .

وَلِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ ^(٤) :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَتَرَكْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي ^(٥)
وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَى يَدَا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ جِلْمِي ^(٦)
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْ سَنَانِي قَابَ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ ^(٧)
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالْإِثْمِ ^(٨)
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحُمُهُ حَتَّى رَكِبْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ ^(٩)
وَكَاثِمًا الْإِحْسَانَ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

(١) في « م » : « الْفَضْلُ » خطأ .. وهو علي بن الفضيل بن عياض ، من كبار الصالحين .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٩٧ - ٣٠٠ ، وانظر طبقات الأولياء ص ٢٧٠] .

(٢) قوله : « غَدًا » عن « ط » .

(٣) في « ط » : « يَكُنْ » بالياء .

(٤) مر التعريف به .. والأبيات من الكامل ، وقد وردت في العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٣ صفة الحلم وما يصلح له .

(٥) في العقد الفريد : « غَفَرْتُ » مكان « وَتَرَكْتُ » .

(٦) أَسَدَى إِلَى يَدَا : قُلْتُ إِلَى مَعْرُوفًا .

(٧) هكذا البيت في « ط » .. وجاء البيت في « م » : مَكْسُورًا ، حيث سقطت منه كلمة « وَإِحْسَانِي » .. وفيه « فساد » مكان « قَاب » . والبيت في العقد الفريد :

رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْ سَنَانِي إِلَى مُضَاعَفِ الْعُثْمِ .

(٨) في العقد الفريد : « بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ » .

(٩) في « م » : « يَظْلِمُنِي فَأَرْحُمُهُ » . وترتيب هذا البيت في العقد الفريد بعد الذي يليه ، وأوله : « وَمَا زَالَ » والواو هنا زيادة لاتصاح ، فيها يتكسر الوزن .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي». وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْ قَوْمِ يُوسُفَ ثَرَادُوا الْمُظَالِمَ ^(٢)، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ ^(٣) لَيَقْلَعُ الْحَجَرَ مِنْ أَسَاسِهِ فَيَرُدُّهُ إِلَى صَاحِبِهِ. وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ^(٤): الْحَجَرُ فِي الْبَيْتَانِ مِنْ غَيْرِ جِلِّهِ غُرْبُونَ عَلَى خَرَابِهِ ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُ: لَوْ أَنَّ الْجَنَّةَ - وَهِيَ دَارُ الْبَقَاءِ - أُسِّسَتْ عَلَى حَجَرٍ مِنْ الظُّلْمِ لَأَوْشَكَ أَنْ تَحْرَبَ. وَقَالَ الْحَكِيمُ: الْعَدْلُ حُرْمَةٌ، وَالظُّلْمُ ظُلْمَةٌ، فَالْعَدْلُ ^(٦) يَجْرُ إِِلَيْكَ الْحَوَائِجُ، وَبِالْجَوْرِ تَهْجُمُ عَلَيْكَ الْجَوَائِعُ ^(٧)، فَاحْذَرْ مَنْ لَا جُنَّةَ ^(٨) لَهُ إِلَّا الثُّقَّةَ بِنَزُولِ الْغَيْرِ؛ وَلَا سِلَاحَ لَهُ إِلَّا الْإِيْتِهَالُ إِلَى مَقْلَبِ الدُّوَلِ.

قَالَ ^(٩) مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: يَا مَعْشَرَ الظُّلَمَةِ ^(١٠)، لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتُهُمْ بِرَحْمَتِي، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي ذَكَرْتُكُمْ بِغَفَّتِي.

(١) مابين المعقوفين عن «ط».

(٢) ثَرَادُوا الظالم: رد كل واحد منهم ما أخذه من أخيه ظلماً.

(٣) في «ط»: «حتى إن كان الرجل».

(٤) في «م» و«ط» كليهما: «زيد» مكان «يزيد» وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، حيث ورد قوله هنا في الحلية منسوباً إليه، وقد شبهه على المصنف بثور بن زيد شيخ مالك، وهو غير ثور بن يزيد.. وهو: أبو خالد ثور بن يزيد الحمصي، أحد الحفاظ، روى عن خالد بن معدان، وعطاء، وطائفة، ورؤى عنه يحيى القطان وأبو عاصم وغيرهما.. قال أحمد بن حنبل: كان ثور يرى القنكر.. وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه وأحرقوا داره لكلامه في القنكر.. وتولى سنة ١٥٣ هـ.

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٤، ٧٥، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٩٣ - ١٠٠، وج ٥ ص ٢١٠ وما بعدها، وشنوات الذهب ج ١ ص ٢٣٤].

(٥) في الحلية: «عربون خرابه».

(٦) في «م»: «والعدل»: ويحجب.

(٧) في «ط»: «والجور يهجم عليك الجوائح».. والجوائح: المصائب، مفردتها: جائحة.

(٨) الجُنَّة: السترة، وكل ما وقى، من سلاح وغيره.

(٩) في «م»: «وقال».

(١٠) في «م»: «الظلماء» على وزن قملاء.. وكلاهما صحيح.

والظلمة: اللانسون أهل الحقوق حقوقهم.

[انظر لسان العرب مادة «ظلم»، والفصل في ألوان الجموع ص ٧٣].

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ ^(١) : يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتٍ ^(٢) حُمِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوا ، حَتَّى يَرِدُوا الذَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ ^(٣) مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّهْتُ ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَجِ ! فَقَالَ ^(٤) : أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا » ^(٦) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ الْعِلْمَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كَانَ هَا هُنَا شَيْخٌ كَانَ ^(٧) عَيْنًا لِلْمَكَّاسِينَ ، يَدُورُ حَوْلَهُمْ ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟

(١) هو : صَيْدِيُّ بْنُ عَجَلَانَ بْنِ الْحَارِثِ - وقيل : ابن وهب - الباهلي ، صحافي ، غلبت عليه كُتُبُهُ ، وكان مع عليٍّ في « صِفَيْنَ » ، وسكن الشام ، وتوفي في أرض جنص سنة ٨١ هـ ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٠٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦ وج ١٦ ص ١٧ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٦٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٠ ، وكتاب المرحم والتعديل ج ٤ ص ٤٥٤] .
(٢) في (٢) : « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَنَاتٍ » .

(٣) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن عويلد القرشي ، الأسدي ، صحابي ابن صحابي ، أسلم يوم الفتح ، ودخل الشام في أيام الفتح ، وعاش كالسائح ، لم يتخذ أهلاً ، ولا كان له ولد ، وكان ينتقل ومعه نفر من أهل الشام للإصلاح والنصيحة ، والترغيب بالخير والزجر عن الشر ، وليس لأحد عليهم إمارة .. وتوفي بعد سنة ١٥ هـ قبل أبيه حكيم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والمعارف ص ٢١٩ وص ٣١١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٤] .

(٤) في (٤) ط : « قَالَ » .

(٥) في (٥) ط : « أَلَيْسَ » .

(٦) رواه مسلم في كتاب البر ، باب الوعد الشديد لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ ج ١٦ ص ١٦٧ بشرح النووي .. ورواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفتى ، باب في التشديد في جباية الجزية ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) في (٧) : « شَيْخٌ عَيْنًا » والأخيرة بالنصب على تقدير فعل الكينونة .. وفي (٧) ط : « يَكُونُ عَيْنًا » . وكان عيناً للمكَّاسين : كان جاسوساً للمكَّاسي وغيرهم الذين يخبون المكوس « الضرائب » من التجار .

فَقَالَ لِي ^(١) : لَا تَسْأَلْ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْ ^(٢) ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : مِنْ الْجَحِيمِ . فَقُلْتُ لَهُ : فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : إِلَى مِثْلِ الدَّارِ الَّتِي خَرَجْتُ مِنْهَا . قُلْتُ : فَكَيْفَ لَقِيتَ ؟ قَالَ : وَمَاذَا لَقِيتُ ؟ كَانَ لَحْمِي قَدْ جُعِلَ فِي هَاوِي ^(٣) وَدُقَّ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْمَخْ ^(٤) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ ، قَالَ : رَأَيْتُ فَلَانًا الْبِيَاعَ فِي التَّوَمِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ .

قَالَ : أَنَا مَخْبُوسٌ عَنِ الْجَنَّةِ . قُلْتُ : فِيمَاذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ أبيعُ فِي الدُّكَّانِ فَيَزِدْجُمُ النَّاسُ عَلَيَّ ، فَأَتَّخِذُ دَرَاهِمَهُمْ فَأَضَعُهَا فِي فَمِي ، وَكَلَّمَا تَفَرَّغَتْ ^(٥) وَرَزَتْهَا وَأُعْطِيَتْ كُلُّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ ، فَأَخْتَلَطْتُ فِي فَمِي الْفَضْلَاتِ ^(٦) ، فَجَاءَ اثْنَانِ ، فَلَدَعْتُ ^(٧) لِأَحَدِهِمَا بِفَضْطِهِ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ أَلْقَصَ مِنْ فِضْطِهِ بِحَيَّةٍ ، ثُمَّ حُوسِبْتُ فَبَقِيَ عَلَيَّ حَبَّةٌ ، فَقُلْتُ ^(٨) : فَأَذْفَعُ لَهُ الْحَبَّةَ وَتَخْلُصُ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ وَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ فَكَرَّرَهَا مَرَّاتٍ ^(٩) .

وَيُرَوَّى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا بُذِيَ بِالْعَرَاءِ ، وَأَلْبِسَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقِطِينٍ ^(١٠) كَانَ يَأْوِي إِلَى ظِلِّهَا ، فَبَيَسَتْ ، فَبَكَى عَلَيْهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :

(١) لِي ، عن « ط » .

(٢) قوله : « فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فقال : لا تسأل » عن « ط » . ولم ترد في « م » .

(٣) الهاوون ، بضم الواو ويفتحها : وهاء مجهول من الحديد أو النحاس يُدَقُّ فيه .

(٤) الشُع : بقى العظم ، أو ما أُخْرِجَ مِنَ الْعَظْمِ .

(٥) أُمِي : تَخَلَّيْتُ لَهَا .

(٦) الفضلات : ما بقى وَفَضَّلَ .. وفي « م » : « الْفَضْلَانِ » .

(٧) قوله : « فجاء اثنان » عن « ط » .. وفي « م » : « ودفعت » .

(٨) في « م » : « قُلْتُ لَهُ » .

(٩) في « م » جاء قوله : « من أين أدفع له » مرة واحدة لمرتين .. وفيها : « يكررها » مكان « فكررها » .

(١٠) اليقطين : ما لا ساق له من النبات ، كالنشاء والبطيخ ونحوهما ، وغلب على القرع .

سَاعِدِي ^(١) ، ثُمَّ عَصِدِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمُنْ أَحَدًا ، فَخَرَجْتُ أُسِيحُ فِي الْبِلَادِ ،
وَأُرِيدُ قَطْعَ عَصِدِي إِذْ رُفِعَتْ لِي شَجَرَةٌ ، فَأَوَيْتُ إِلَى ظِلِّهَا ، فَتَعَسْتُ ، فَقِيلَ لِي فِي
الْمَنَامِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَقْطَعُ أَعْصَاءَكَ ؟ رُدَّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجِئْتُ الصِّيَادَ فَقُلْتُ لَهُ ^(٢) :
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَنَا مَمْلُوكُكَ فَأَغِيثْنِي ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُكَ . فَأَخْبَرْتُهُ ، فَبَكَى وَتَضَرَّعَ
وَقَالَ : أَنْتَ فِي حِلٍّ . فَلَمَّا قَالَهَا تَنَاقَرُ ^(٣) الدُّودُ مِنْ عَصِدِي ، وَسَكَنَ الرُّوَجُ . فَقُلْتُ
لَهُ : بِمَاذَا دَعَوْتُ عَلَى ؟ قَالَ : لَمَّا ضَرَبْتُ رَأْسِي وَأَخَذْتُ السُّنَكَةَ نَفَظْتُ إِلَى السَّمَاءِ
وَبَكَيْتُ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ عَدْلٌ ، تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ ^(٤) وَأَنَّكَ
الْحَقُّ ، تُحِبُّ الْحَقَّ ، وَخَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ ^(٥) قَوِيًّا وَجَعَلْتَنِي ضَعِيفًا ، فَأَسْأَلُكَ
يَا مَنْ ^(٦) خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَهُ أَنْ تَجْعَلَهُ عِبرَةً لِحَلِيقِكَ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَمْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْإِتِّقَامِ ، وَإِنْ أَتَقَصَّ النَّاسُ عَقْلًا
مَنْ ظَلَمَ مِنْ ذُنُوبِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الظُّلْمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ^(٧) : ظَلَمَ لَا يَعْفُرُهُ
اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ ^(٨) ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَعْفُرُهُ اللَّهُ فَهُوَ
الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ فَمَنْظَالُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَمَّا الظُّلْمُ
الَّذِي لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ فَظُلْمُ الْعَبْدِ مَا ^(٩) بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) فِي د م : : فِي كَفْ ثَم فِي سَاعِدِي .

(٢) فِي ط : : وَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ .

(٣) فِي د م : : تَنَاقَرَتْ .

(٤) قَوْلُهُ : : تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ . عَنْ ط .

(٥) قَوْلُهُ : : وَجَعَلْتَهُ . عَنْ ط .

(٦) فِي د م : : فَأَسْأَلُكَ بِالَّذِي .

(٧) فِي د م : : الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ .

(٨) فِي ط : : لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ شَيْئًا .

(٩) د م ، عَنْ ط .

وَقَالَ مِمَّنْ مِنْهُنَ ابْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ظَلَمَ رَجُلًا مَظْلَمَةً فَقَاتَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ، رَجَوْتُ ^(١) أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَظْلَمَتِيهِ . وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ^(٢) : ثَوَّفِي رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَوَجَدُوا ^(٣) عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى ^(٤) الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) ، فَوَقَّفَ عَلَى قَبْرِهِ وَدَعَا ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي رِجْلَيْهِ ثَغْلَانِ مِنْ تَارٍ ، فَسَأَلَ عِيسَى ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَصَيْتُ قَطُّ ، إِلَّا أَنِّي مَرَزْتُ بِمَظْلُومٍ فَلَمْ أَلْصِقْهُ ، فَتَعَلَّطُ هَاتَيْنِ الثَّغْلَيْنِ ^(٧) . وَأَمَّا أَنَا فَأَوْصِيكَ إِذَا فَعَلْتَ بِأَحَدٍ مَكْرُومًا فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ ^(٨) وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) لَمَّا آذَى هَارُونَ وَأَخَذَ بِلَحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ^(١٠) ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَرَاءَتُهُ ، وَأَنَّ ^(١١) بَنِي إِسْرَائِيلَ غَلَبُوهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَذِيعْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١٢) .

(١) في « م » : « كلاه » بالكاف مكان « صلاة » تحريف من الناسخ .. وفيها : « وجب » مكان « رجوت » .
(٢) هو : يوسف بن أسباط الشيباني ، الزاهد الواعظ ، رَوَى عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ الشَّيْبَانِيُّ بِنِ وَاضِحٍ ، وَعَبَدَ اللَّهَ بِنِ حَبِيبِ الْأَنْطَاكِيِّ .. وَقَدْ بَحِثَ بَنِي مَعِينٍ .. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : « كَانَ قَدْ دَفِنَ كَتَبَهُ ، فَكَانَ لَا يَمْسُ بِحَدِيثِهِ كَمَا يَمْسُ بِغَيْرِهِ » .

[انظر طبقات الصوفية ص ٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٦٢ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٥٣] .

(٣) وَجَدُوا : حَوَّوْا .

(٤) في « م » : « على » تحريف .

(٥) في « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٦) « عيسى » عن « ط » .

(٧) تَعَلَّطُ : لَبَسْتُ الثَّغْلَ . وفي « م » : « فعلت هاتين الثغلتين » .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في « م » : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) أَخَذَ بِلَحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ : جَلَبَتَهُ مِنْ شَرِّ لَحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ، وَذَلِكَ حِينَمَا عَادَ مُوسَى مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ فَوَجَدَ قَوْمَهُ قَدْ أَضَلُّوهُ السَّامِرِيُّ بِعِجْلِهِ فَصَلَبُوهُ ، فَغَضِبَ مُوسَى عَلَى أَخِيهِ لِأَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلِفَهُ فِي قَوْمِهِ ، فَظَنَ أَنَّهُ قَصَرَ فِي الْإِطَاعَةِ بِوُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ لِأَخِيهِ : أَلَمْ أَتَمَّكْ أَنْ تَخْلِفَنِي فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَنْ تَصْلَحَ فِيهِمْ ؟ فَمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ اغْتَدَعُوا بِكَ السَّامِرِيَّ وَخَلَبُوا بِاتِّبَاعِهِ ، وَمَالُوا إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ أَنْ تَتَّبِعَنِي وَتَلْحَقَ فِي تَتَخِرَّتِي بِمُحَالِمِهِمْ ؟ فَأُجَابِهِ بِأَنَّهُ نَصَحَهُمْ وَأَمَرَهُم بِالْإِثْبَاتِ عَلَى دِينِهِمْ ، فَصَوَّهُ ..

[انظر سورة طه ، الآيات من ٨٥ وما بعدها .. وسورة الأعراف ، الآيات من ١٤٨ وما بعدها] .

(١١) في « م » : « فَإِنَّ » .

(١٢) سورة الأعراف - الآية ١٥١ .

وَرَوَى أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانَتْ فِيهِمْ عَشْرٌ خِصَالٍ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) بِهَا : كَانُوا يَتَغَوَّطُونَ ^(٢) فِي الطَّرَقَاتِ ، وَتَحْتَ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَفِي الِغِيَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَفِي شُطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَكَانُوا يَحْدِفُونَ ^(٣) النَّاسَ بِالْحَصَى فَيَلْمُوهَهُمْ ^(٤) ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَجَالِسِ أَظْهَرُوا الْمُنْكَرَ بِإِخْرَاجِ الرِّيحِ مِنْهُمْ ، وَاللَّطَمِ عَلَى رِقَابِهِمْ ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَ ثِيَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَوَّطُوا ، وَيَأْتُونَ بِالطَّامَةِ ^(٥) الْكُبْرَى ، وَهِيَ اللَّوَاطَةُ ^(٦) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ائْتِكُمْ لِقَائِكَ الرِّجَالِ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْكُونَ فِي لَدَائِكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ^(٧) . وَالتَّادِي : الْمَجْلِسُ . وَيَلْمُوهَا بِالْحَمَامِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَامِ ^(٨) وَضَرْبِ الدَّفِّ ^(٩) ، وَشَرْبِ الْخَمْرِ ^(١٠) ، وَفَقْصِ اللَّحْيَةِ ، وَتَطْيِيلِ الشَّارِبِ ، وَالتَّصْنِيفِ ، وَلِبْسِ الْخُمُرَةِ ^(١١) وَتَزْيِيدِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِإِثْنَيْنِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١٢) ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى إِثْنَيْنِ الرِّجَالِ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ بُنَى كَثِيرَةٌ فِي مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِطِهِمْ ^(١٣) فَاصَابَهُمْ قَحْطٌ وَقَلَّةٌ مِنَ الثَّمَارِ ، فَقَالُوا : يَا

(١) « تعالى » عن « م » .

(٢) « ل » و « ط » : « عشرة خصال .. خطأ في اللغة ، والصواب ما التناه . وكلمة يتغَوَّطُونَ : يهْرُزُونَ .

(٣) يَحْدِفُونَ : يَهْدِفُونَ .

(٤) أَيْ : حَتَّى يَسِيلَ مِنْهُمْ الدَّمُ .. وَفِي « م » : « فَيَهْرُوهَهُمْ » أَيْ : يُصَوِّرُونَهُمْ عَوْرًا .

(٥) « ل » و « ط » : « الطَّامَةُ » أَيْ : الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ .

(٦) اللَّوَاطَةُ : نَوْعٌ مِنَ الشُّبُودِ الْجَنَسِيِّ .. وَفِي « م » : « اللَّوُطِيَّة » مَصْدَرٌ صَنَاعِيٌّ مِنْ : لَاطَ يَلُوطُ ، إِذَا عَمِلَ

عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ .

(٧) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ، مِنَ الْآيَةِ ٢٩ .

(٨) الْجَلَامِيُّ : جَمْعُ جَلْدَةٍ ، وَهِيَ : الْقَوْسُ - فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ - وَفِي « ط » : « بِالْجَلَامِيِّ » وَهُوَ : الْبَنْدُ الَّذِي

تَرْمِي بِهِ .. أَوْ هُوَ الطَّيْنُ الْمَكْتُورُ الْأَمْلَسُ .. وَهِيَ أَيْضًا لَفْظَةٌ فَارْسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ .

(٩) الدَّفُّ : آتَةٌ مِنَ آلَاتِ الطَّرَبِ .. وَضَرْبُ الدَّفِّ : التَّرْقُّ عَلَيْهِ .

(١٠) « ل » و « ط » : « الْخَمُورُ » .

(١١) الْخُمُرَةُ : اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ .

(١٢) « ل » و « ط » : « بِإِثْنَيْنِ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا » .

(١٣) حَوَائِطُهُمْ : بِسَاتِيهِمْ .

شَيْءٍ نَمْنَعُ إِمَارَتَا حَتَّى لَا يَطْرُقَهَا ^(١) أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ مَنْ وَجَدُوهُ فِيهَا لَكَحُوهُ وَغَرَمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، فَفَعَلُوا ، وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ ^(٢) مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ بَدْءُ الْفَاحِشَةِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِذَلِكَ ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ صَبِيٍّ أَجْمَلَ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ ^(٣) ، فَتَكَحُّوهُ وَتَجَرَّعُوا ^(٤) عَلَى ذَلِكَ .
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوُتُمْ وَلَكِنَّ الْمُسِيءَ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى ذِيانِ يَوْمِ الدِّينِ لَمْضَى وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَبِيلَ الْأَيَّامِ عَنْ أُمِّهِ تَقْضَتْ فَتَحْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَرَوَى أَنَّ أُتُوشِيرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ ، فَعَلَّمَهُ حَتَّى فَاقَ فِي الْعُلُومِ ^(٥) ، فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ ، فَحَقَّقَدَ أُتُوشِيرَوَانُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَلَّى الْمُلْكَ قَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ مِنْ ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ظُلْمًا ؟ قَالَ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ لَكَ الْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَذِيقَكَ طَعَمَ الظُّلْمِ لِغَلَا تَظْلِمَ ، فَقَالَ أُتُوشِيرَوَانُ : زَهْ ^(٦) .

(١) يطرقها : يأتيها ويسلك إليها .

(٢) في « م » : « مِنْ أَحَدٍ » .

(٣) في « م » : « أَجْمَلَ مَا يَكُونُ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ » .

(٤) في « م » : « وَجَرَعُوا » .

(٥) فاق في العلوم : تفوق فيها .

(٦) زه : كلمة فارسية يقال عند الاستحسان ، وقد يقال عند الاستهجان معكًا وسخرية .. وهي هنا

للاستحسان .. وفي « م » : « زاه » تحريف .

البَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي تَحْرِيمِ السَّعَايَةِ وَالتَّمِيمَةِ وَقَبْحِهِمَا وَمَا يَقُولُ إِلَيْهِ

أَمْرُهُمَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرُّدِّيَّةِ وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيمَةِ (٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطِغْ كُلُّ حَلَالٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاجٍ لِلنَّخِيرِ مُعْقِدِ أَيْمٍ * عُتْلٌ يَغْدُ ذَلِكَ زَنْبِيمٌ ﴾ (١) ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ أُمْتَانًا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْإِنْحَادِ ، وَالتَّثْلِيثِ وَأَهْلُ الذَّمِّ (٢) وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَأَشْبَاهَهُمْ ، وَلَمْ يَسُبَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، إِلَّا التَّنَمَّاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا حِسَّةٌ (٣) وَرَذِيلَةٌ وَسُقُوطًا وَضَعَةٌ (٤) . وَهَذِهِ الْآيَةُ تَزَلَّتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُخِيرَةِ (٥) فِي أَصَحِّ الْأَقْوَالِ . وَالْهَمَّازُ :

(٥) فِي « م » : « التَّمِيمَةُ وَالسَّعَايَةُ .. وَالْأَعْلَاقُ الذَّمِيمَةُ » وَمَعْنَى السَّعَايَةِ : الْوَشَايَةُ .

(١) سُورَةُ الْقَلَمِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠ - ١٣ .. وَالْحَلَّافُ : الْكَثِيرُ الْخَلْفُ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالْمَهِينُ : الْحَقِيرُ فِي الرَّأْيِ وَالْقِيَمَةِ ، أَوْ الْكَذَّابُ . وَالْهَمَّازُ : الْعِيَابُ ، أَوْ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ .. وَمَشَاءٌ بِنَمِيمٍ : يَسْمَى بَيْنَ النَّاسِ بِاتِّهَامِهِ وَالْإِنْسَادِ .. وَالْعُتْلُ : الْغُلِظُ الْجَافُ ، أَوْ الْفَاحِشُ اللَّعِيمُ .. وَالزَنْبِيمُ : الذُّبْعِيُّ الْمُلْتَصِقُ بِقَوْمِهِ ، أَوْ الشَّرِيرُ ، وَمَتَأَنَّى .

(٢) أَهْلُ التَّثْلِيثِ : النَّصَارَى .. وَأَهْلُ الدَّهْرِ : الدَّهْرِيُّونَ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٣) فِي « م » : « بِفَاحِشَةٍ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ مِنْ قَوْلِهِ : « بِهَا حِسَّةٌ » حَيْثُ جَاءَ مَا يَهْدِيهَا مَنْصُوبٌ عَلَى الْقِيَمِيزِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْأَوَّلَى لَكَانَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِالْجَرِّ ، وَهَذَا غَيْرُ وَلُودٍ .

(٤) الضَّمَّةُ : الْأَعْطَاطُ وَاللُّؤْمُ وَاللَّنَاعَةُ .

(٥) هُوَ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغْفِرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَبُو عَبْدِ فَهْسٍ ، مِنْ قُضَاةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ زَعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ زَنَادِقِهَا .. وَلَدَ سَنَةَ ٩٥ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَتَوَفَّى فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْهَا ، وَهُوَ وَالِدُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٢٢ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٥١] .

الْمُتَنَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ ، الطَّاعِنُ فِيهِمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : هُوَ الَّذِي يَغْمِزُ بِأَخِيهِ ^(١) فِي الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ الْهَمْزَةُ اللَّمَزَةُ . وَالْعُتْلُ فِي اللَّعَةِ : الْعَلِيْظُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعُتْلِ ، وَهُوَ : الدَّفْعُ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ ^(٢) . وَقَالَ عَلِيُّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الْعُتْلُ : الْفَاحِشُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْعُتْلُ : الْفَاتِكُ الشَّدِيدُ ، الْمُنَافِقُ . وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ : الْعُتْلُ : الْأَكُولُ ، الشَّرُّوبُ ^(٤) الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ ، يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً . وَقَالَ يَمَانُ ^(٥) : هُوَ الْجَاهِلِيُّ الْقَاسِيُ اللَّيْمُ الْعَمِيرُ ^(٦) . وَقَالَ مُقَاتِلٌ ^(٧) : الْعُتْلُ : الضَّحْمُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ ^(٨) : الشَّدِيدُ فِي كُفْرِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ عُتْلٌ ^(٩) . وَقِيلَ : الْعُتْلُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ ، وَالزَّيْنِمُ : هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَنْ أَبُوهُ .. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ^(١٠) :

(١) يغمز بأخيه : يسعى به شراً .

(٢) في م م م : وهو الدفع بالعنف .

(٣) ما بين المعقوفين عن ط .

(٤) الشَّرُّوبُ : الكثير الشرب .

(٥) هو الصحابي حُسَيْلٌ - أَوْ حَسْلٌ - بالكسب - بن جابر بن ربيعة الغنصيّ ، وهو والد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ، واليمان لقب له . قُتِلَ حَسِيلُ يَوْمَ أُحُدٍ خَطَأً ، اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَقَتَلُوهُ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفِنَهُ ، فَصَلَّى حَذِيفَةَ يَدَيْتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ ، و ج ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والمعارف ج ٢٦٢] .

(٦) الْعَمِيرُ : الضَّعْفُ .

(٧) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، من أعلام المفسرين . وقد مرت ترجمته .

(٨) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، أبو النضر ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب والأنساب ، وقد أجمعوا على تركه ، وقد اتَّهِمَ بالكذب والرفض .. ولد بالكوفة ، وبها توفي سنة ١٤٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٣٣ ، والمعارف ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ١٥٨] .

(٩) في م م م : هو : الشديد في كُفْرِهِ ، وكل شديد عند العرب عُتْلٌ .

(١٠) هو : أبو الوليد ، حسان بن ثابت بن النضر الخزرجي الأنصاري ، من بني النجار ، صحابي ، وأحد المخضرمين الذين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، وعمى قبل وفاته .. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهقاً ، لأنه كان جباناً ، ويُعَدُّ من فحول الشعراء ، كان شاعر الأنصار والحامية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر الجانبيين في الإسلام ، وكان شديد الهجاء . توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ =

وَأَنْتَ زَيْنَمٌ نِيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيْطٌ خَلَفَ الرَّكِيْبَ الْقَدْحُ الْقَرْدُ ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَيْنَمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ أَبِيهِ بَعْنَى الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَيْمٍ ^(٢)

وَقَالَ أَكْثَرُ الثَّقَلَةِ : هَذَا رَجُلٌ إِنَّمَا ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ^(٣) . وَعَنْ هَذَا
قَالَ الْقَدَمَاءُ : لَا يَكُونُ ثَمَامًا إِلَّا وَفَى نَسَبِهِ شَيْءٌ . وَسَعَى رَجُلٌ إِلَى يَلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ
بِرَجُلٍ ^(٤) ، وَكَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : انْصَرِفْ حَتَّى أَكْشِفَ عَنْكَ ، فَكَشَفَ
عَنْهُ ^(٥) ، فَإِذَا هُوَ لِعَفْرِ رَسَدَةٍ ^(٦) ، يَعْنِي وَلَدَ زَيْنَى . وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ : لَا يَبْنِي
عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَدٌ بَعْنَى .

وَقِيلَ : الزَّيْنَمُ الَّذِي لَهُ زَنْمَةٌ ^(٧) فِي عُنُقِهِ يُعْرَفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرَفُ الشَّاةُ . قَالَ ابْنُ

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥ - ٧ ، والمعارف ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، والشعر
والشعراء ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، وديوان حسان بن ثابت « التفهيد » ص ٩ ط
دار المعارف ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والأغاني ج ٤ ص ١٣٤٨ - ١٣٨٤] .

(١) البيت من الطويل ، وهو من قصيدة يهجو بها حسانُ أباسُفَيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان قد هجا
النبي ﷺ ، فقال النبي : « مَنْ لِهَذَا ؟ » فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالَ
لِحَسَّانَ : اهْجِهْ وَجَرِيْلَ مَعَكَ ، أَيْلَكَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

ونيط بالقوم ، أى : ليس منهم ، أو : لا يتعلق بنسبهم .. والقَدْحُ الْقَرْدُ : القدح الذى يُعْلَقُ فى آخر الرُّخْل عند
فراغه من ثُرْخَالِهِ . والمراد : أنه مؤخر فى الذِّكْرِ .. وفى رواية : « وَكُنْتُ دَجِيًّا » مكان « وَأَنْتَ زَيْنَمٌ » .. وفى الأغاني :
« وَأَنْتَ هَجِيْن » .

[انظر ديوان حسان بن ثابت ط دار المعارف ص ١١٨ ، وديوان حسان ط مطبعة السعادة ص ١٣٣ ، واللسان ،
مادة « قَدَح » و « زَلَم »] .

(٢) البيت من الوافر ، وذو حَسَبٍ لَيْمٍ : ليس لأبائه شرف أو مناقب يفخر بها .

(٣) فى « م » : « ثمانية عشر سنة » لاتصح .

(٤) قوله : « بِرَجُلٍ » عن « ط » .. وَسَعَى بِرَجُلٍ : وشى به . وبلال بن أبى بردة الأشعرى ، أمير البصرة
وقاضيا . وقد مرت ترجمته .

(٥) فى « م » : « انصرف حتى أكشف لك عنه » .

(٦) الرُّسْدَةُ ، بفتح الراء المهملة المشددة وكسرهما : صحيح النسب .

(٧) زَنْمَةٌ : لحمة مُتَدَلِّية .

عَبَّاس : لَمَّا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْحَالِ الْمَذْمُومَةِ لَمْ يُعْرِفْ ^(١) حَتَّى قِيلَ : زَيْمٌ ، فَعَرَفَ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَيْمَةٌ يُعْرِفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرِفُ الشَّاةُ بِزَيْمَتِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ ^(٢) ، نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ^(٣) ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ الْوُقْعَةِ ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَخَرَجُوا يَتْلُقُونَهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَزِعَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : مَنَعُونِي صِدْقَاتِهِمْ وَأَرَادُوا قَتْلِي ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ^(٥) ، ثُمَّ كَشَفَ أَمْرَهُمْ فَوَجَدَ مَا قَالَهُ كَذِبًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاسِقًا .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) .. فَشَرَكْ

(١) فِي (٤٠) : لَمْ نَعْرِفْهُ .

(٢) فِي (٤٠) : بِجَهَالَةٍ ، تَحْرِيفٌ .. وَتَمَامُ الْآيَةِ : ﴿ فَتَصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ وَهِيَ الْآيَةُ السَّادِسَةُ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ .. وَمَعْنَى فَاسِقٌ : كَاذِبٌ .. فَتَبَيَّنُوا : فَتَبَيَّنُوا .. بِجَهَالَةٍ : بِخَطَا .

(٣) هُوَ : الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، أَبُو وَهَبِ الْأُمَوِيِّ ، الْقُرَشِيُّ ، مِنْ ضِيَانَ قُرَيْشٍ وَشُعْرَانِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ ، فِيهِ ظَرْفٌ وَمَجُونٌ وَهُوَ ، وَهُوَ أَخُو عَثَانَ لِأُمِّهِ ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، عَلَى صِدْقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَمْرَ صِدْقَاتِ بَنِي ثَقَلَبٍ ، وَوَلَّاهُ عَثَانَ الْكُوفَةَ بَعْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَنَةَ ٢٥ هـ فَانْصَرَفَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةِ ٢٩ هـ فَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ عِنْدَ عَثَانَ بِشَرْبِ الْخَمْرِ ، فَعَزَلَهُ ، وَدَعَا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَحَسِبَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ عَثَانُ تَحَوَّلَ الْوَلِيدُ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَةِ فَسَكَنَهَا ، وَاعْتَرَلَ الْفَتْنَةَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى عَثَانَ وَحَرَضَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ . وَمَاتَ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ٦١ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٢٢ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٥ ص ٤٥١ - ٤٥٣ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٣١٨ ، ٣٢٠ .]

(٤) الْوُقْعَةُ : غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

(٥) « عَلَيْهِمْ » عَنْ « ط » .. وَكَانَ سَبَبُ غَضَبِهِ ، ﷺ ، أَنَّ عُقْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ، ﷺ ، إِلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَبَيَّنَ وَلَا يَجْعَلَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ ، فَانْطَلَقَ خَالِدٌ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا ، فَبَعَثَ عِيُونَهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا عَادُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا أَنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَصَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ ، وَرَأَى صِحَّةَ مَا ذَكَرُوا ، فَعَادَ إِلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ، وَأَخْبَرَهُ ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ .

(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٢ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ : يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ الْكَاذِبِ وَالْمَقْتَرِبَاتِ .. أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ : أَكْأَلُونَ لِلْكُسْبِ الثَّنِيءِ وَالْحَرَامِ ، كَالرَّشْوَةِ وَغَوَاهَا .

الله تَعَالَى بَيْنَ السَّامِعِ وَالْقَائِلِ فِي الْقَبِيحِ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمَا ^(١) فِي الذَّمِّ ، فَكَانَ فِيهِ تَبْيِيهُ ^(٢)
 عَلَى أَنَّ السَّامِعَ نَمَامٌ ^(٣) فِي الْحُكْمِ ، وَأَمَّا مَا رَوَى ^(٤) فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ هَمَامٌ ^(٥) كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَجُلًا
 يَرْفَعُ الْحَدِيثَ ^(٦) إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاتٌ » وَفِي لَفْظٍ آخَرَ : نَمَامٌ ^(٧) . وَرَوَى أَنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَرْكَامٍ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ :
 « مَنْ شَرَارُكُمْ الْمَشَاعُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْيَةِ ^(٨) ، الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ » . وَرَوَى أَبُو
 هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَلْعُونٌ ذُو الْوَجْهَيْنِ ^(٩) ، مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ ^(١٠) »

(١) فِي د م : و ط : : بينهم .

(٢) فِي د م : : تبهيًا بالنصب .. ولا تصح .. اسم كان .

(٣) فِي د م : : نمامًا بالنصب .. خطأ ، والصواب بالرفع ، خبر أن .

(٤) هنا فِي د م : : قدم الناسخ على هذا الحديث قول النبي ، ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَرْكَامٍ .. الخ » وسأقي .. ثم
 كرره بعد ذلك سهوًا .

(٥) هو : هَمَامٌ بن الحارث التَّخَمِيُّ ، الكوفيُّ ، تابعي ثقة ، رَوَى عن حذيفة بن اليمان في الإيمان ، وعائشة في
 الرضوء ، وعدي بن حاتم في الصيد ، والقناد بن الأسود في المناخين وغيرهم .. قال ابن سعد : توفي في ولاية
 الحجاج .

[انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٧٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٠] .

(٦) يرفع الحديث : ينقله على سبيل الهجمة ، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم .

(٧) القَاتُ والنَّمَامُ بمعنى واحد .. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تغليظ الهجمة ج ٢ ص ١١٢ ،
 ١١٣ بشرح النووي ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في الفتات ج ٤ ص ٢٦٩ ، والترمذي في أبواب البر
 والصلة ، باب ما جاء في النمام ج ٨ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والمنذرى في الترغيب والترهيب ، في الترهيب من الهجمة ج
 ٣ ص ٤٩٥ .

(٨) فِي د م : : الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحْيَةِ . وكلاهما مروى .. والباغون : الطالبون . أخرجه المنذرى في الباب
 السابق ص ٤٩٩ .

(٩) ذو الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، أي : يتزلف إلى الفريقين ليوهم كلاهما أنه من
 أنصاره وأوليائه ، ويغيرهما أخبارًا كاذبة تزيد الجفاء والنفور ، وتفرس الضعائف والأحقاد في قلوبهما ، فشتعل نار
 العدوة بينهما .

(١٠) ذو اللسانين : الذي يقابل هذا فيمنع عدوه ويقدم في عرض خصمه ، وإذا قابل هذا الخصم أتى عليه وذمَّ
 مَنْ كان يمدحه .. وفي الحديث : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ » .. ليفوق أشد الآلام ،
 ويصطلي لسانه النار مضاعفة .

مَلْعُونٌ كُلُّ سَفَّارٍ ^(١) مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَانٍ . فَالسَّفَّارُ : الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ ، وَالْفَتَاتُ : التَّمَامُ ، وَالْمَنَانُ : الَّذِي يَعْمَلُ ^(٢) الْخَيْرَ وَيَمْنُنُ بِهِ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَثِيرٍ » ^(٣) ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَأَن لَّا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ ^(٤) ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَأَن يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، فَأَخَذَ ^(٥) جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ^(٦) ، فَعَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا » ^(٧) . وَذَلِكَ لِبَرَكَةِ يَدِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا السَّعَايَةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ وَمُكْنَةٍ ^(٨) فَهِيَ الْمُهْلِكَةُ وَالْحَالِقَةُ ، لِأَنَّهَا ^(٩) تُجْمَعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ الْعَنِيَّةِ وَلَوْ أَنَّ النَّمِيمَةَ ^(١٠) ، وَالتَّعْرِيزَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ^(١١) ، وَالْقَدَحَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْأَحْوَالِ ^(١٢) ، وَتُسَلَّبُ الْعَزِيزَ عِزَّهُ ، وَتَحْطُ الْمَكِينُ

= [انظر الترغيب والترهيب للمحافظ المنذرى .. ترهيب ذى الوجهين وذى اللسانين ج ٣ ص ٦٠٢ - ٦٠٤ ، وجمع الزوائد للهيتمي ، باب فى ذى الوجهين واللسانين ج ٨ ص ٩٨ ، ٩٩] .

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « سفار » فى الموضوعين ، بالشين المعجمة ، ولم أقف عليها فى نص الحديث فى المصدرين السابقين ، ولا فى الكتب الستة أيضاً .

(٢) فى « م » : « يفعل » .

(٣) أى : أنهما لم يُعَذَّبَا فى أمر كان يكره ويشق عليهما الاحتراز عنه .. وفى « ط » : « فى كثير » .

(٤) لا يستبرى : لا يتطهر .. وفى رواية : « لا يستنزه » أى : لا يجتنب ولا يترحم من وقوعه عليه .

(٥) فى « م » : « ثم أخذ » .

(٦) فى « م » : « بنصفين » .

(٧) الحديث رواه البخارى فى كتاب الوضوء ، باب من الكبار ألا يستتر من بوله ، وباب ماجاء فى غسل البول ، وغيرهما من الأبواب ج ١ ص ٣١٧ ، ٣٢٢ فى فتح البارى .. وابن ماجه فى سنينه فى كتاب الطهارة ، باب التشديد فى البول ج ١ ص ١٢٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، فى الترهب من النيمية ج ٣ ص ٤٩٨ باختلاف يسير فى ألفاظه ، وابن حبان فى صحيحه ، فى ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النيمية ج ٥ ص ٥٢ .

(٨) فى « م » : « كل ذى مُكْنَةٍ » . والمُكْنَةُ : القُلُورَةُ والاستطاعة .

(٩) « لأنها » عن « م » .. وفيها : « فهى الحالقة للمهلكة » . والخالقة : النية .. والستة تأتى على كل شئ .

(١٠) فى « م » : « العنية والنيمية » .

(١١) التعرير بالنفوس والأموال : تعريضها للمهلكة .

(١٢) القدح فى المنازل والأحوال : العيب والتقصُّ لذوى المراتب والمكانة الرفيعة .

عَنْ مَكَاتِبِهِ ^(١) ، وَالسَّيِّدَ عَنْ مَرْثِيَّتِهِ ، فَكَمْ مِنْ دَمٍ ^(٢) أَرَاكَ سَعَى سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ ^(٣) أَسْتَبِيحَ بَنِيْمَةٍ بَاغٍ ^(٤) ، وَكَمْ مِنْ صَفِيٍّ تَقَاطَعًا ، وَمِنْ مُتَوَاصِلَيْنِ تَبَاعَدًا ، وَمِنْ مُجِبِّينِ تَبَاعُضًا ، وَمِنْ الْفَوْنِ تَهَاجَرًا ، وَمِنْ زَوْجَيْنِ افْتَرَقَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ رَجُلٌ سَاعَدْتُهُ الْإِيْمَامَ ، وَتَرَاخَتْ عَنْهُ الْأَقْدَارُ ، أَنْ يَصِيحَ لِسَاعٍ ^(٥) ، أَوْ يَسْمَعَ لِنَمَامٍ .

وَرَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا ذَبُوثٌ وَلَا قَلَاعٌ » . فَالذَّبُوثُ : الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ^(٦) ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَذِيْتُ بَيْنَهُمْ ^(٧) ، وَالْقَلَاعُ : السَّاعِي الَّذِي يَقَعُ فِي النَّاسِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ الرَّجُلَ الْمُتَمَكِّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَا يَزَالُ يَقَعُ فِيهِ حَتَّى يَقْلَعَهُ ^(٨) . وَقَالَ كَعْبٌ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) ، فَخَرَجَ مُوسَى يَسْتَسْقِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ الثَّالِثَةَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنِّي لَا أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ ، فَإِنَّ فِيكُمْ تَمَامًا . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هُوَ حَتَّى تُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى ، أَنَّهَُا كُمْ عَنِ النَّجِيْمَةِ وَآيَتِهَا ^(١٠) ؟ فَتَابُوا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١١) عَلَيْهِمُ الْغَيْثَ .

(١) تحط المكين عن مكاتبه : تسلب العظيم منزله ورفعة شأنه وقدره .

(٢) في « م » : « فكم دم » .

(٣) الحرم : ما حُرِّمَ فلا يَنْتَهك .

(٤) في « م » : « بنيمية من باغ » .

(٥) يصيح لساع : يستمع لولاش نمام .

(٦) في « م » : « بين الرجال والنساء » .

(٧) أى : يُذَلِّلُ وَيُسَهِّلُ بَيْنَهُمُ الْعُقَبَاتِ ، وَهِيَ مِنْ « ذَيْتٍ » .. وَفِي « م » وَ « ط » : « يَذُّتُ » ، مِنْ « ذَتْ » ، وَمَعْنَاهُ : دَفَعَ .

(٨) أى : يَخْوُضُ فِي حَقِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ بِالْبَاطِلِ لَدَى السُّلْطَانِ حَتَّى يَعْزِلَهُ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٩) في « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) في « م » : « وأكون تَمَامًا ؟ » .

(١١) في « م » : « تعالى » .

وَلَمَّا لَقِيَ أُسْقُفٌ ^(١) نَجْرَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، احْذَرْ قَاتِلَ الثَّلَاثَةِ . قَالَ : وَمَنْ قَاتِلُ الثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِي الْإِمَامَ بِالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَيَقْبَلُهُ ^(٢) الْإِمَامُ ، فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَإِمَامَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَاكَ أُبْعَدْتُ ^(٣) . وَوَجَدْنَا فِي حِكْمِ الْقَدَمَاءِ : أُبْعَضُ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ الْمُثَلَّثُ ^(٤) ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ الرَّجُلُ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ بِأَخِيهِ إِلَى الْإِمَامِ ، فَيَهْلِكُ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ وَإِمَامَهُ . وَذَكَرَ السَّعَاءُ ^(٥) عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أُبْعَضُ مَا يَكُونُونَ ^(٦) عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : الصَّدَقُ زَيْنٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ^(٧) إِلَّا السَّعَايَةَ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ أَذَمُّ وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ إِذَا صَدَقَ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَعَى بِجَارٍ لَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَمَا أَنْتَ فَتُخْبِرُنَا أَنَّكَ جَارُ سُوءٍ ، إِنْ شِئْتَ أُرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أُبْعَضْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقَبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ ^(٨) . قَالَ : تَارَكْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ تَارَكْنَاكَ . وَلِلَّهِ دُرُّ الْإِسْكَانَدَرِ حِينَ وَشَى إِلَيْهِ وَاشْرَبَ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَانَدَرُ : إِنْ شِئْتَ قَبْلْنَاكَ عَلَى صَاحِبِكَ بِشَرِّطٍ أَنْ نَقْبَلَهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ ^(٩) . قَالَ : أَقْلِنِي . قَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ . كَفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكْفُفُ عَنْكَ الشَّرُّ .

(١) الْأُسْقُفُ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المطران .

(٢) فِي « م » : « فَيَقْبَلُهُ » .

(٣) أُبْعَدْتُ : شَطَطْتُ ، أَوْ جَاوَزْتُ الْحَقِيقَةَ فِيمَا قُلْتُ .

(٤) فِي « م » : « الثَّلَاثُ » ، غَرِيفٌ .. فِي اللَّسَانِ : « شَرُّ النَّاسِ الْمُثَلَّثُ » [انظر المصدر السابق ، مادة : ثَلَاث]

(٥) فِي « ط » : « وَذُكِرَتِ السَّعَايَةُ » .

(٦) فِي « ط » : « مَا يَكُونُ » .

(٧) أَى : جَمِيلٌ وَحَسَنٌ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ .. فِي « ط » : « زَيْنٌ كُلُّ أَحَدٍ » .

(٨) تَارَكْنَاكَ : صَالَحْنَاكَ عَلَى تَرْكِهِ .

(٩) أَقْلَنَّاكَ : أَعْفَيْنَاكَ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الَّذِي لَاعَجَبَ بَعْدَهُ ، أَنَّ الرَّجُلَ يَشْهَدُ عِنْدَكَ فِي بَاقَةِ بَقْلِ فَلَا تَقْبَلُهُ حَتَّى تَسْأَلَ النَّاسَ عَنْهُ : هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الثَّقَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ ، ثُمَّ يَنْبُتُ عِنْدَكَ ^(١) بِحَدِيثٍ فِيهِ الْهَلَاكُ وَقَسَادُ الْأَحْوَالِ فَتَقْبَلُهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ ^(٢) : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا سَقَى السُّمَّ : أَخْبِرْنِي مَنْ مَنَّاكَ ؟ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : أَنَا فِي آخِرِ قَدَمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ قَدَمٍ مِنَ الْآخِرَةِ ثَأْمُرُنِي أَنَّ أَغْمَزَ ^(٣) ؟ قَالَ رَجُلٌ لِلْمَهْدِيِّ : عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ هَذِهِ ؟ أَلَنَا ، أَمْ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا ، مِمَّنْ قَبِلَ سِعَايَتَهُ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تُكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا تُشْفِي ^(٤) لَكَ غَبْطًا ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبُ لَكَ عَدُوَّكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا اللَّهُ فِيهِ رِضًا وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ .

وَرَوَى أَنَّ سَاعِيًا سَعَى بِرَجُلٍ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ^(٥) ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : نَحْنُ

(١) في « م » : « عنك » تحريف .

(٢) هو : يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار مع أبيه علي بن مروان ، وقتل أبوه وصُلِبَ بالكوفة ، فانصرف إلى « بلخ » ودعا إلى نفسه سِرًّا ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه ، وقُتِلَ يحيى في « الجوزجان » سنة ١٢٥ هـ ، وحُمل رأسه إلى الوليد بن يزيد في دمشق ، وصُلِبَ جسده بالجوزجان وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على « خراسان » فأنزل جثة يحيى وصلى عليها ودُفِنَتْ هناك .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٢٣ ، والمحرر ص ٤٨٣ ، ٤٨٤]

(٣) أغمَز ، أى : استنى في الشر .

(٤) في « د » : « يشفى » .

(٥) هو : الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره ، اتصل به في صباه وأسلم على يديه سنة ١٩٠ هـ ، وكان مجوسياً ، وصحبه قيل أن بلى الخلافة فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان يُلقَّبُ بذي الرهايتين (الحرب والسياسة) .. وكان حازماً عاقلاً ومن الأكتفاء .. وقد ولد الفضل سنة ١٥٤ هـ ، وتوفى في « سرخس » بخراسان سنة ٢٠٢ هـ ، قتله جماعة حينما كان في الحمام .. وقيل : إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره .. وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ - ٤٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٤ ، ٥ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٥ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٦٤]

تَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ أَشْرَ مِنَ السَّعَايَةِ ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَقَبُولُ إِجَازَةٍ ^(١) ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ^(٢) ، لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ أَشْرَ مِمَّنْ قَالَ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا رَفَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ نَصِيحَةً ^(٣) فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهَا : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدْ ^(٤) بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا جَوَابٌ عِنْدَنَا لِمَنْ آتَرْنَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْمَأْمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُ اللَّهُ ^(٥) فِي أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ إِنْ أُعْطُوا كَذَبُوا ، وَإِنْ حُرِّمُوا كَذَبُوا ، فَإِنَّ ^(٦) أُعْطُوا مَدَحُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ ، وَإِنْ حُرِّمُوا دُمُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : اللَّهُ دَرُّهَا مِنْ كَلِمَةٍ مَا أَصْدَقَهَا ^(٧) وَأَبْيَنَ فَضْلَهَا ! وَأَمَرَ أَنْ تُثَبَّتَ فِي أُمُورِ ^(٨) أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ زُبَيْعٍ الْعَبْسِيُّ ^(٩) : يَا بَنِي عَبْسٍ ، اخْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا : مَنْ نَقَلَ إِلَيْكُمْ نَقَلَ عَنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّزْوِيجَ فِي الْهَيَوَاتِ السُّوءِ ، وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ الصَّدِيقِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْتَقِلُّوا مِنَ الْعَدُوِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اسْتِكْثَارَهُ مُمَكِّنٌ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَلُصُوصَ الْمَوَدَّاتِ ، وَهُمْ السَّعَاةُ وَالنَّمَامُونَ ، إِذَا سَرَقَ اللَّصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا الْمَوَدَّاتِ . وَقَالَ حَكِيمُ الْعَرَبِ : إِيَّاكَ

(١) الدَّلَالَةُ : الإِرشَادُ .. والإِجَازَةُ : الإِمضاء والتفويض .

(٢) في م ط : : قَبِلَ وَأَجَازَ .

(٣) في م : : رَفَعَهُ .

(٤) في م : : لَمْ يُرَدْ .

(٥) في م : : كَرَّرَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَاتٍ .

(٦) في م : : وَلَئِنْ .

(٧) في م ط : : مَا أَفْضَلُهَا ، أَيْ : مَا أَصْلَحُهَا .

(٨) في م : : فِي أَصْحَابِ .

(٩) هو : مَرْوَانُ بْنُ زُبَيْعٍ بْنِ جَلْبَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيُّ ، جَاهِلِيٌّ ، مِنْ الْمُشَوِّعِينَ ، كَانَ يَغِيرُ عَلَى أَهْلِ الْقَرْظِ - فِي الْيَمَنِ - فَسَبَّ إِلَى ذَلِكَ ، فَقِيلَ : مَرْوَانُ الْقَرْظُ .. وَيُعَدُّ مِنْ أَوْفِيَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ وَفَائِهِ أَنْ أَخَذَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَنَدَفَعَهُ رَهْنًا بِمَالَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، فَوُفِيَ بِهَا .

[انظر الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤٠٥ ، والمخير ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥١ ، ولسان العرب مادة : قَرْظَ] .

وَالسَّعَاةَ ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ عَقْلِكَ وَلُصُوصُ عَذْلِكَ ، فَيَفْرُقُونَ بَيْنَ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَفِي الْمَثَلِ (١) السَّائِرُ : مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصِّدْقَ . وَقَدْ يُقَطَّعُ الشَّجَرُ فَيَنْبُتُ ، وَيُقَطَّعُ اللَّحْمُ بِالسَّيْفِ فَيَنْدَمِلُ (٢) ، وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِرِعَايَةِ مَا رَسَمْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَتَقْلَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْحَكَمِ ، وَاسْتَوْذَعْتُهُ مِنْ هَذِهِ السَّيْرِ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ قَدَمًا ، فَذُو الْقُدْرَةِ إِذَا أَطَاعَ الْوَاشِيَ هَلَكَ الْعَالَمُ . وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٣) يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ الْإِثْمِ وَيَنْقِيَ لَهُ الْإِخْوَانَ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَاضِيًا عَدْلًا ، وَيَحْكُمَ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَقْبَلُ أَحَدًا فِي أَحَدٍ ، وَلَا فِي نَفْسِهِ ، إِلَّا بِشُهُودٍ وَتَعْدِيلٍ (٤) ، فَإِنَّا قَدْ أَحْبَبْنَا بِقَوْلِ أَقْوَامٍ وَأَبْغَضْنَا بِقَوْلِ آخَرِينَ (٥) فَاصْبَحْنَا نَادِمِينَ .

وَمِنْ لَطِيفِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّيْمِيمَةِ ، لِمَا عَلِمَ مِنْ شُؤْمِهَا ، وَاسْتِطَارَةِ شُرُورِهَا (٦) ، وَعُمُومِ مَضَرَّتِهَا فِي الْوَرَى ، حَكَمَ يَفْسُقِ النَّفْسُ حَتَّى لَا يَقْبَلَ لَهُ قَوْلٌ فَيَسْتَرِيحَ الْخَلْقُ مِنْ شُرِّهِ . وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ : وَقَدْ أَلَّهِ الْحَاجُّ ، وَقَدْ الشَّيْطَانُ قَوْمٌ يُرْسِلُهُمُ السُّلْطَانُ (٧) إِلَى النَّاسِ ، وَيَسْأَلُهُمْ (٨) عَنْ حَالِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ النَّاسَ رَاضُونَ (٩) وَلَيْسُوا بِرَاضِينَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى أَثْنَاءِ شَيْئٍ (١٠) ، لَسْنَا نَذْكُرُهَا الْآنَ لِكُثْرَتِهَا

(١) فِي « م » : « وَالْمَثَلُ » .

(٢) يَنْدَمِلُ : يَبْرَأُ وَيَشْفَى .

(٣) فِي « م » : « بَعْضُ الْعُلَمَاءِ » .

(٤) التَّعْدِيلُ : التَّسْوِيَةُ .

(٥) فِي « م » : « يَقُولُ أَقْوَامٌ وَآخَرِينَ » .

(٦) فِي « م » : « شُرُّهَا » .. وَالِاسْتِطَارَةُ : الْإِفْشَاءُ وَالِانْتِشَارُ .

(٧) فِي « م » : « الشَّيْطَانُ » تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي « م » : « فَيَسْأَلُهُمْ » .

(٩) فِي « م » : « رَاضِينَ » لِاصْصَح ، خَيْرٌ أَنَّ .

(١٠) قَوْلُهُ : « شَيْءٌ » عَنْ « ط » .

وَطَوَّلَ تَتْبُعَهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ الْحَوَاسَّ الشَّرِيفَةَ ، وَالْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ ^(١) ، فَمِنْ أَفْضَلِ مَا رَكَّبَ فِيهِ اللِّسَانَ ، الَّذِي هُوَ أَلَّةُ التُّطْقِ وَالْيَبَانِ ، وَبِهِ فَصَلَ ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ ، وَآمَنَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ ^(٣) فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْيَانَ ﴾ ^(٤) . وَخَلَقَ فِيهِ ^(٥) أَعْضَاءَ تُذَلُّ ^(٦) وَتُسْتَهَانُ وَجَعَلَهَا مَجْرَى لِفُضُولِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ ^(٧) وَيَرَى عَوَارِثَ الْأَنَامِ الَّتِي هِيَ كَالْعَوَارِثِ الْوَاجِبِ سِتْرَهَا وَدَفْنُهَا ، كَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ أَشْرَفَ الْآلَاتِ فِي أَحْسَنِّ ^(٨) الْمُسْتَعْمَلَاتِ ، فَصَارَ كَمَنْ لَحَسَ بِلِسَانِهِ سَوَاءَ أَخِيهِ ، وَجَعَلَ أَكْرَمَ جَوَارِحِهِ لِأَحْسَنِّ أَجْنَاسِ الْمُسْتَعْرِضِينَ ^(٩) ، وَرَضِيَ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّاسِ ^(١٠) مَوْقِعَ الذُّبَابِ مِنَ الطَّيْرِ ، يَتَّبِعُ ثَقُلَ الْجَسَدِ ^(١١) وَيَتَحَامَى صَحِيحَتَهُ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِي نَشْرِ الْمَحَامِينِ ^(١٢) شُغْلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُ كُلِّ ذِي حَالٍ ^(١٣) أُولَى بِهَا ، وَفِي هَذَا سَبَقَ الْمَثَلُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مِلْحًا يُصْلِحُ فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ ^(١٤) . وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ فَلَتَكُنْ هِمَّتُهُ تَرْكُ الرِّذَائِلِ . وَإِذَا تَتَّبَعَ الْإِمَامَ عَوَارِثَ النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ .

(١) في (م) : : فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ .

(٢) في (م) : : « فَضِل » بِالضَادِّ الْمَعْجَمَةِ .. تَحْرِيف .

(٣) في (م) : : « فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ » .

(٤) سورة الرَّحْمَنِ ، الْآيَاتِ مِنْ ١ - ٤ .

(٥) في (م) : : « وَخَلَقَ فِيهِ أَيْضًا » .

(٦) في (ط) : : « تُذَلُّ » .

(٧) سَقَطَاتِ الْكَلَامِ : الْخَطَأُ وَالزَّلَلُ .

(٨) في (م) : : « أَحْسَنَ » تَحْرِيف .. وَفِي (ط) : : « أَحْصَى » بِالضَادِّ الْمَهْمَلَةِ .

(٩) الْمُسْتَعْرِضِينَ : الَّذِينَ يَحْثُونَ عَنْ مَعَالِي النَّاسِ وَنَقَائِصِهِمْ .

(١٠) في (م) : : « بَيْنَ النَّاسِ » .

(١١) ثَقُلَ الْجَسَدِ : مُوَاضِعُ الْمَرَضِ وَالْعَفْوَةِ فِيهِ ، كَالْجُرُوحِ وَغَوَاهَا .. وَفِي (ط) : : « ثَقُلَ الْجَسَدِ » أَيْ :

فَضْلَاتِهِ .. وَيَتَحَامَى : يَجْتَنِبُ .

(١٢) في (م) : : « الْفَضَائِلُ » .

(١٣) في (م) : : « كُلِّ حَالٍ » .

(١٤) في (م) : : « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِلْحًا يُصْلِحُ فَلَا يَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ » .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَمُّ بِالْخُرُوجِ يَوْمًا ، فَسَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ ، فَاثْتَمَعَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، حَذَرَ أَنْ لَا يَفْسَدَ ^(١) قَلْبُهُ عَلَيْهِمْ . وَلَوْ عَلِمَ الَّذِي يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ مَا جِئَ عَلَى نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّ الصَّمَمَ كَانَ أَهْنًا ^(٢) لِعَيْنِيهِ ، وَالْعَمَّ لِبَالِهِ مِنْ سَمَاعِ الْأَخْبَارِ ... مَاذَا عَمِلَ ثَقَلَةُ الْأَخْبَارِ ^(٣) ؟ حَمَلُوا إِلَيْكَ الصَّدَقَ أَوْ الْكَذِبَ ^(٤) ، فَتَكُونُ فِي سَمَاعِ الْكَذِبِ مِثْلَ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ^(٥) : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) . وَتَكُونُ ^(٧) فِي سَمَاعِ الصَّدَقِ حَمَلًا لِلَّهِمْ ، حَرَجَ الصَّدْرِ عَلَى الْخَلْقِ . مُعَادِيًا لَهُمْ ، مُتَّبِعًا لِعَثَرَاتِ الْخَلْقِ ، وَخَزَائِنًا لِسَقَطَاتِهِمْ ، قَدْ وَعَيْتَ مِنْهُمْ مَا يَجِبُ سِتْرُهُ ، وَحَفِظْتَ مَا يَجِبُ نَسْيَانُهُ ، ثُمَّ لَمْ تَسْتَطِيعِ التَّصَفَّيَّ مِنْ قَائِلِ ^(٨) ، لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ أَهْلَكَتَ الرُّعْيَةَ ، ثُمَّ لَمْ تَسْتَطِيعِ أَنْ تَهْلِكَ جَمِيعَ الرُّعْيَةِ ، وَإِنْ كُنْتَ سُوقَةً لَمْ يَشْفِ غَيْظُكَ ، ثُمَّ أَفْسَدْتَ إِخْوَانَكَ وَأَبْغَضْتَ ^(٩) مَنْ يَجِبُ أَنْ تُحِبَّهُ ، وَأَخْبَيْتَ مَنْ يَجِبُ أَنْ تُبْغِضَهُ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَحْمِلُ الْحَسَائِفَ ، وَتَزِيدُ ^(١٠) الْأَحْقَادَ وَالضَّعَائِفَ ، وَتَرْصُدُ لِكُلِّ قَائِلٍ مَا يَشْفِي غَيْظُكَ فِيهِ ^(١١) ، فَمَا أَغْنَى الْعَاقِلَ عَنْ هَذِهِ الْبَيْلَةِ ، وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، رَوَى أَنَّهُ لَأَخَاهُ ^(١٢) رَجُلٌ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ عِشْتُ لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(١٣) : الْآنَ وَقَعْتُ فِي الشُّغْلِ يَا بَنَ أَخِي .

* * *

(١) في (م) : « حذرا ألا يفسد » وكلاهما صواب .

(٢) في (م) : « أهنا » .

(٣) في (ط) : « باوحد ماذا عمِلَ ثقله الأخبار » ولم ترد هذه العبارة في (م) .

(٤) في (م) : « الصدق والكذب » .

(٥) فيه : عن (ط) .. وفي (م) : « فيكون » مكان « فتكون » .

(٦) سورة المائدة ، من الآية ٤٢ .. السُّخْتُ : للمال الحرام .. والآية نزلت في اليهود .

(٧) في (م) : « ويكون » .

(٨) في (م) : « التصفة بينهم من قائل » .. والتصفة : الإنصاف .. وقد مرت .

(٩) في (م) : « فأبغضت » .

(١٠) في (م) : « ثم لا يزال يتحمل الحسائيف ويزيد » والحسائيف : النقائص والعيوب .

(١١) في (ط) : « يوما يشقى صدره فيه » .

(١٢) لأخاه : نازعه وخاصمه .

(١٣) في (م) : « فقال له عمرو : الآن » .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْقِصَاصِ وَحُكْمَتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) يَعْْنَى : إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ وَالْقَاطِعُ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ أُحْجِمَ وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ الَّذِي هَمَّ بِهِ . رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ » ^(٢) . رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا » ^(٣) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَخَّذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ . وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٤) . فَإِنْ قِيلَ : يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٧٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الديات ، باب الحكم فى الدماء ج ٦ ص ١٧٣ ، ١٤٨ بشرح ابن العرى ... والبيهقى فى السنن الكبرى ، فى كتاب الجنائيات ، باب تحريم القتل ج ٨ ص ٢١ .

(٣) فى « م » : « فليتحللها منها » والأخيرة تحريف .. ونص الحديث فى البخارى : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِزِّهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ - يَعْْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. » الخ . وللحديث أكثر من رواية .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها له ، ج ٣ ص ١٧٠ وفى الرقائق ، باب القصاص يوم القيامة ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط دار الشعب ، وج ٥ ص ١٠١ وج ١١ ص ٣٩٥ من فتح البازى ، والحديث سبق التعليق عليه .

تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(١) ، فَكَيْفَ يُؤْخَذُ الظَّالِمُ بِذَنْبِ رَكِبِهِ ^(٢) الْمَظْلُومُ ؟ قُلْنَا : مَعْنَى الْآيَةِ : لَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ آتِيَاءً ، وَأَمَّا فِي مَسْأَلَتِنَا فَمَظْلَمَةٌ بَقِيَتْ عِنْدَهُ وَلَيْسَ لَهُ وَقَاءٌ بِهَا ، فَهُوَ الَّذِي اكْتَسَبَ هَذَا الْوِزْرَ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : ﴿ يَخْلُصُ ^(٤) الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِيُقْتَصَّ ^(٥) لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا ^(٦) وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ^(٧) لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ يَمْنَزِلُهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ : ﴿ مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ فَلْيَأْتِ حَتَّى أَقْصَهُ ^(٩) مِنْ نَفْسِي ﴾ . فَقَامَ سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ ^(١٠) فَقَالَ : يَا رَسُولَ

(١) أَيِ : لِأَتَمِلَ نَفْسَ آيَمَةٍ جُمِلَ نَفْسُ أُخْرَى ، فَكُلَ نَفْسٍ مَأْخُودَةٌ بِجُرْمِهَا ، وَمُعَاقِبَةٌ بِإِثْمِهَا .. وَقَدْ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى هَذَا فِي عِدَّةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

وَرَدَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٦٤ .

وَفِي سُورَةِ الْأَسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٥ .

وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ ، مِنَ الْآيَةِ ١٨ .

وَفِي سُورَةِ الزُّمَرِ ، مِنَ الْآيَةِ ٧ .

(٢) رَكِبُهُ : قَمَلُهُ .

(٣) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ ، مِنَ الْآيَةِ ١٣ .

(٤) فِي ١ م : يَخْلُصُونَ ، وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِفَلْظِ الْحَدِيثِ .. وَمَعْنَى يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، أَيْ : بَعْدَ نَجَاتِهِمْ مِنَ

السَّقَطِ فِيهَا بَعْدَمَا جَازَوْا أَعْلَى الصَّرَاطِ .

(٥) وَفِي رِوَايَةٍ : « فَيَقْتَصُّ » . وَأُخْرَى : « فَيُقْتَصُّ » .

(٦) فِي ١ م : « هُذِّبُوا » تَحْرِيفٌ .. وَهُذِّبُوا وَنُقُوا : تَخَلَّصُوا مِنَ التَّيَبَّاتِ .

(٧) فِي الْبُخَارِيِّ : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِحَدِيدِهِ » .

(٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرِّقَاقِ ، بَابِ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ج ١١ ص ٣٩٥ مِنْ فَتْحِ الْبَارِي ، وَج ٨ ص ١٣٨ ،

١٣٩ ط الشَّعْبِ .

(٩) حَتَّى أَقْصَهُ : حَتَّى أَمَكَّنَهُ مِنَ الْقِصَاصِ .

(١٠) فِي ١ ط : « سَوَادٌ » بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَآخِرُهُ رَاءٌ مَهْمَلَةٌ فِي الْمَوْضِعِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ : « سَوَادٌ »

بِالْوَاوِ الْمَخْفِضَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَآخِرُهُ دَالٌ مَهْمَلَةٌ ، وَهُوَ : سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ الْأَنْصَارِيُّ ، مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، وَقِيلَ : هُوَ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي يَلْبُغٍ بْنِ عَمْرِو .. شَهِدَ بِدْرًا وَمَابَعْدَهَا مِنَ الشَّاهِدِ ، وَكَانَ عَامِلَ رَسُولِ اللَّهِ ، ﷺ ، عَلَى خَيْبَرَ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٤٨٤] .

الله ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي عَلَى بَطْنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : دُونَكَ فَأَنْتَصِرُ ، فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبُطْنِ ^(٣) . فَكَشَفَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَطْنَهُ ، فَإِذَا هُوَ ^(٤) كَالْقَبَاطِيِّ ^(٥) ، يَعْنِي ثِيَابَ مِصْرَ ، فَأَكْبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ ، فَقَالَ : يَا سَوَادُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ وَلَا تَذَرِي ^(٦) ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ أُقْبَلَ بِطْنِكَ .

فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْصُ ^(٧) مِنْ نَفْسِهِ ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، لِيَعْلَمَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَدْعُ الْفِصَاصَ فِي الْمَطَالِمِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَدْعَ مَظْلَمَةً لِأَحَدٍ عِنْدَ نَبِيٍّ ، وَلَا غَيْرِهِ . وَفِي الْحَدِيثِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَنَا ظَالِمٌ إِنْ فَاتَنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ » . وَيُرْوَى أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُقَدِّمُهُ خَصْمُهُ ^(٨) إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْضِي لَهُ

(١) هكذا في ط .. وفي م : « إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي .. » وقوله : « لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ » وهم من المصنف ، رحمه الله ، فالمعروف أنه يوم بدر ، وليس لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، فقد كان النبي ، ﷺ يُعْدِلُ الصُّفُوفَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَفِي يَدِهِ قِلْعٌ - قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ - يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ مِنَ الصَّفِّ ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِالْقِلْعِ وَقَالَ : اسْتَوِ يَا سَوَادُ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْجَعْتَنِي ، وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ ، فَأَقْدُنْ .. فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ : اسْتَقْدَّ .. فَأَعْتَقَهُ سَوَادُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ !! فَقَالَ ، ﷺ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَضِرَ مَا تَرَى - أَيْ مِنَ الْقِتَالِ - وَلَمْ أَمْنُ مِنَ الْقَتْلِ ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدُكَ ! فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِخَيْرٍ .

[انظر المصدر السابق] .

(٢) في م : « عليه السلام » .

(٣) في م : « إِنَّكَ لَمْ تَرَبْتَنِي وَأَنَا لَمْ تُشَوِّفِ الْبُطْنَ » .

(٤) في م : « هِي » وَالْبُطْنُ مُذَكَّرٌ فِي اللَّفْظِ .

(٥) الْقَبَاطِيُّ ، بَظْمُ الْقَافِ وَفَتْحُهَا ، جَمْعُ قَبْطِيَّةٍ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَهِيَ : ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ أَيْضٌ رَقِيقٌ .

(٦) أَيْ : وَلَا تَذَرِي ، فَرِمَا أَقْتُلْ .. وَفِي م : « دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ » يَعْنِي : لِقَاءَ الْمَشْرِكِينَ وَسَقَطَ مِنْهَا قَوْلُهُ : وَلَا تَذَرِي وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ يُؤَكِّدُ أَنَّهَا حَدَّثَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَلَيْسَ فِي لَيْلَةِ الْعَقَبَةِ كَمَا ذَكَرَ أَوَّلًا .

(٧) في ط : « يَقْصُ » أَيْ : يَأْخُذُ الْفِصَاصَ .

(٨) الْخَصْمُ : الْمُخَاصِمُ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعَظَمَيْنِ عَنْ م .

عَلَيْهِ ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى أُورِيَّا سِلْمًا ^(١) ، ثُمَّ يَسْتَوْهِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُورِيَّا ^(٢) ، ثُمَّ يُعَوِّضُ أُورِيَّا عَنْ ^(٣) ذَلِكَ الْجَنَّةَ .

وَقَالَ حَبِيبٌ ^(٤) : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَجَدَ غُلَامَهُ يُغْلِفُ نَاقَةً لَهُ ، وَإِذَا فِي غُلْفِهَا شَيْءٌ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ : قُمْ فَأَقْصِصْ مِنِّي ، فَأَتَى الْغُلَامُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ : أَعْرَكَ أَعْرَكَ ^(٥) وَهُوَ يَقُولُ : شُدُّ شُدُّ ، حَتَّى عَرَفَ عُثْمَانُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاهَا لِقِصَاصِ الدُّنْيَا قَبْلَ قِصَاصِ الْآخِرَةِ .

رَوَى ^(٦) عَزْونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا خَادِمًا لَهُ ^(٨) فَلَمَّ يُجِيبُهُ ، أَوْ كَانَ نَائِمًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا الْقِصَاصُ ^(٩) »

(١) سِلْمًا : مُسَلِّمَةً .. وَأُورِيَّا ، هُوَ : أُورِيَّا بْنُ حَنانَ ، أَحَدُ الْقَوَادِ فِي جَيْشِ دَاوُدَ ، تَزَوَّجَ دَاوُدَ امْرَأَةً أُورِيَّا ، بَعْدَ الْفِتْنَةِ ، وَأَنْجَبَ مِنْهَا سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلِلْمُقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَشارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقِصَّةِ ، وَفَسَّرَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَرَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ فَيَسْتَحْسِنُهُ ، فَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَهُ ، فَفِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ - فَضْلًا عَلَى النَّبِيِّ - لَا يَجُوزُ لَهُ بِحَالٍ أَنْ يَمْدُ عَيْنَهُ إِلَى مَا يَمْلِكُهُ غَيْرُهُ ، سِوَاهُ أَكَانَ هَذَا الشَّيْءُ زَوْجَةً ، أَمْ خَطِيئَةً ، أَمْ مَالًا ، أَمْ عِيَالًا ، أَمْ أَى شَيْءٍ آخَرَ .

[انظر تفسير سورة « ص » الآيات من ٢١ - ٢٥ ، والمعارف ص ٤٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٠٢] .

(٢) فِي « م » : « مِنْ أُورِيَّا لِلدَّوْدِ » .

(٣) فِي « ط » : « عَلَى » .

(٤) هُوَ : حَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ مَالِكِ الْقَهْرِيِّ الْقُرَشِيُّ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَائِدٌ مِنْ كِبَارِ الْفَاتِحِينَ ، وَلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ مُجَاهِدًا إِلَى الشَّامِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ ، فَشَهِدَ الرُّمُوكَ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، فَوَلَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْطَاكِيَّةَ ، وَوَلَّاهُ عَمْرَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيْجَانَ ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَأَقَامَ فِي الشَّامِ .. وَكَانَ يَقَالُ لَهُ : « حَبِيبُ الرُّومِ » لِكَثْرَةِ دَخُولِهِ بِلَادَهُمْ وَنِيْلِهِ مِنْهُمْ .. وَتَوَفَّى فِي أَرْمِينِيَّةَ سَنَةَ ٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٦ ، والمعارف ص ٦١٥] .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « ثُمَّ قَالَ : يَتَّزُكُ » .

(٦) فِي « م » : « وَرَوَى » .

(٧) هُوَ : عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيِّ ، مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ .. وَقَدْ مَرَّ .

(٨) « لَهُ » عَنْ « ط » .

(٩) فِي « م » : « لَوْلَا قِصَاصُ الدُّنْيَا » .

لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا . وَرَوَى ابْنُ وَهَبٍ فِي مُوطَّئِهِ ^(١) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : وَقَدْ أَقَادَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَلِيفَتَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِيُسْتَنَّ بِهِمْ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدُوا حَيْفًا ^(٢) وَكَانُوا سَلَاطِين . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ^(٤) وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِذَا فَنِيَتْ ^(٥) حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » ^(٦) .

قَالَ مَالِكٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ضَرَبَ رَجُلًا ، ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ : مَالِي وَلِهَذَا ، أَلَا رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ ^(٧) . فَسَمِعَتْهُ ^(٨) عَائِشَةُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُمَرَ ، فَجَاءَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا ، وَقَدْ كُنْتُ مُعَافًى مِنْ هَذَا أَنْ أَضْرِبَ ، فَقَالَ عُمَرُ كَذَلِكَ الْإِمَامُ . فَقَالَ ^(٩) : فَمَا الْمَخْرُجُ ؟ قَالَ : أَنْ تَأْتِي الرَّجُلُ فَتَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي جِلٍّ . فَأَكْبَاهُ فَاسْتَحْلَاهُ ^(١٠) .

دَلَّتِ الْآثَارُ عَلَى أَنَّ الْأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ فِي الْقِصَاصِ سَوَاءٌ إِذَا جَنَى أَحَدُهُمَا عَلَى

(١) هو : الحافظ عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري ، فقيه من الأئمة ، ومن أصحاب الإمام مالك ، ومن كتبه : الموطأ في الحديث ، والجامع ، في الحديث أيضا . وقد مرت ترجمته .

(٢) حيفا : جوراً وظلماً .

(٣) في « م » : « رضى الله عنه » .

(٤) في « م » : « يأتي بصلاة » .

(٥) في « م » : « فإن فنيَتْ » .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بشرح النووي .

(٧) أى : الخلافة .

(٨) في « م » : « فسمعت » .

(٩) في « م » : « قال » .

(١٠) فاستحلاه : طلباً منه أن يُجِلَّهُ مِنَ النَّيِّعَةِ .

الآخر ، وَأَنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمَ الْمَأْمُورَ زَالَ تَأْمُرُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ الْأَمِيرُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى كَبَعْضِ الْمُؤْمَرِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَتَحَاكَمُوا إِلَى السُّلْطَانِ ^(١) وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّمَا بَعَثْتُ أُمَرَائِي لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَيَقْسِمُوا بَيْنَهُمْ فَيْتَهُمْ ، وَيَعْدِلُوا فِيهِمْ ^(٢) ، وَلَمْ أُبْعَثْهُمْ لِيَضْرِبُوا أُنْبَاءَهُمْ ، وَيَخْلِقُوا أَشْعَارَهُمْ ، فَمَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرٌ فَلَا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي حَتَّى أَخْذَ لَهُ بِحَقِّهِ . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ : اللَّهُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَدَبَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، إِنَّكَ لَتَقِصُّهُ مِنْهُ ^(٣) ؟ فَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ ^(٤) لَا أَقْصُهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقْصُّ مِنْ نَفْسِهِ ؟

فَأَمَّا الْقِصَاصُ بَيْنَ الْبَهَائِمِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَشْرِهَا ، وَفِي جَرَيَانِ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : حَشَرُهَا : مَوْتُهَا . قَالَ : وَحَشَرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ، فَإِنَّهُمَا يُؤَافِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) . وَقَالَ مُعَظَّمُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّهَا تُحْشَرُ وَيُقْتَصُّ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : تُحْشَرُ الْبَهَائِمُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ^(٦) : لَا تَقْطَعُ بِإِعَادَةِ الْبَهَائِمِ وَالْمَجَانِينِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ

(١) في « ط » : « السلطان الأعظم » .

(٢) في « م » : « ويقسمون بينهم ويعدلون فيهم » بثبوت النون في الفعلين .. وهذا لا يصح ، ووجه الخطأ أن الفعلين هنا من الأفعال الخمسة ومعطوفان على الفعل « يُعَلِّمُوا » المنصوب بلام التعليل ، وعلامة النصب حذف النون .

(٣) أرى : إنك لم تكنه من الاقتصاص منه .

(٤) في « م » : « أنا » مكان « كيف » والأخيرة هي المناسبة للسياق .

(٥) يوافيان يوم القيامة ، أرى : يُحْشَرَانِ وَيُخَاسَبَانِ عَلَى أَعْمَالِهِمَا ، وينال كُلُّ منهما جزاء ما قدم من عمل وإثماً تاماً .

(٦) « الأشعري » عن « ط » .. وهو : علي بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ومؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ وبلغت مُصَنَّفَاتُهُ حوالي ٣٠٠ ثلاثمائة كتاب .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، والخطط القرطبية ج ٢ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، والعبر للذهبي ج ٢ ص ٧٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٣١ - ٤٣٥] .

الدَّعْوَةُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعَادُوا وَيُدْعَلُوا الْجَنَّةَ ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُعَادُوا ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ثُبُوتِ
الإِعَادَةِ فِي الْجُمْلَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ، إِلَى أَنْ قَالَ :
﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ ﴾ ^(٢) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
« لَتَوُذَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ
الْقَرَنَاءِ » ^(٣) . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : انْتَلَحَثَ شَاتَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ : « أَتَذَرُونِ فِيمَ ^(٤) انْتَلَحَثَا ؟ قُلْتُ : لَا أَذَرِي . قَالَ : لَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي وَسَيَفْضِي
بَيْنَهُمَا » . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تَرَكْنَا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ
جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّ الْحَجَرَ لَيَسْتَلُّ عَنْ نَكْبِهِ أَصْبَعُ
الرَّجُلِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي مُسْلِمٍ وَابْنِ خَالٍ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ^(٥) ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ
لَهَا حُورٌ ، وَعَلَى ^(٦) رَقَبَتِهِ شَاةٌ تَيْعُرُ ^(٧) ، ثُمَّ بَسِطَ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ ^(٨) فَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا ،

(١) سورة الصَّحَّاحِ ، الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « حتى يُقَادَ الشَّاةُ » .. وما هنا هو المطابق لنص الحديث ، وقد رواه مسلم في
كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٦ بشرح النووي .. والشاة الجلحاء ، هي الجَمَاءُ التي لا قرن لها .

(٤) في « م » و « ط » : « فيما » . سبق التعليق عليها .

(٥) في البخاري ومسلم : « لَا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ بِبَعِيرٍ لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَغْنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ ... » . أَيْ : لَا تَعْمَلُوا عَمَلًا أَجْدَمَ بِسَبَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَذِهِ
الصفة .. والرُّغَاءُ : صوت البعير .

(٦) في « م » و « ط » : « على » بلون واو العطف في الموضعين .. والخُور : صوت البقر .

(٧) تَيْعُرُ : تصيح .. وفي النسائي : « لها يَمَارٌ » واليَمَار : صوت المعز .. وفي مسلم : « لها نُقَاءٌ » .

(٨) في « م » : « يسطها » تحريف .. وفي رواية : « أَقْبَدَ لها بِقَاعَ قَرْقَرٍ » .. وَأَقْبَدَ لها : بمعنى صَاحِبَهَا .. وَقَاعُ
قَرْقَرٍ ، أَيْ : أَمْسَلَسَ .

وَتَنْطَحُهُ بِفُرُوزِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا عَادَتْ أُخْرَاهَا ^(١) . وَالْحَدِيثُ وَارِدٌ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَا تَجُوزُ الْمُقَاصَّةُ ^(٢) بَيْنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْقَلَمُ . قَالَ : وَمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : « يُقْتَصُّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ » وَ « يُسْتَلُّ الْعُودُ لِمَ حَدَّشَ الْعُودُ » فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالْإِخْبَارِ عَنْ شِدَّةِ التَّقْصِي فِي الْحِسَابِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدُّ أَنْ يُقْتَصَّرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ . وَأَبَى ذَلِكَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايْنِي ^(٤) ، قَالَ فِي الْجَامِعِ الْجَلِيِّ : يُجْرَى الْقِصَاصُ بَيْنَهُمَا . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْقِلُ هَذَا الْقَدْرَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَلِهَذَا أُجْرِيَ فِيهِ الْقِصَاصُ .

وَكَلَامُ الْأُسْتَاذِ لَهُ وَجْهٌ فِي الصَّحَّةِ ، لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ تَعْرِفُ النَّفْعَ وَالضَّرَّ ، فَتَنْفِرُ مِنَ الْعَصَا ، وَتَقْبِلُ إِلَى الْعَلْفِ ، وَيَتَزَجَّرُ الْكَلْبُ إِذَا رُجِرَ ، وَيَسْتَأْسِدُ إِذَا أُشْلِيَ ^(٥) ، وَالطَّيْرُ وَالنَّوْحُسُ يَفِرُّ مِنَ الْجَوَارِحِ اسْتِدْفَاعًا لِسَرَّهَا ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَخِرْ عَلَيْهَا ^(٦) الْقَتْلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا رُفِعَ ^(٧) الْقَتْلُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، فَإِنْ قِيلَ : الْقِصَاصُ ائْتِقَامٌ ، وَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٣ ص ٢٦٧ من فتح البارى ، وأخرجه أيضاً فى عدة أبواب أخرى .. ومسلم فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٧ ص ٧٠ ، وفى كتاب الإمارة ، باب تحريم غلظ الغلول ج ١٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وفى تحريم هذلبا العمال ص ٢١٩ بشرح النووى .. والنسائى فى كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة الإبل ج ٥ ص ٢٣ ، ٤٤ بشرح جلال الدين السيوطى .. ورواه غيرهم باختلاف فى ألفاظه .
(٢) الْمُقَاصَّةُ : الْمُحَاسَبَةُ .

(٣) فى « م » : « عليه السلام » .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، وكان يُلقب بركن الدين ، نشأ فى « أسفرايين » بين « نيسابور » و « جرجان » .. ثم خرج إلى نيسابور ، وتبَيَّنَتْ له فيها مدرسة عظيمة ، فدرس فيها ، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق ، فاشتهر .. وله كتاب « الجامع » فى أصول الدين ، ورسالة فى أصول الفقه ، وكان ثقة فى رواية الحديث .. وله مناظرات مع المعتزلة .. ومات فى نيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن فى أسفرايين .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠] .
(٥) أى : يهجر جُرَّةَ الأسد إذا أغرى على الصيد ونحوه .

(٦) فى « م » : « عليهم » . والأول أَوْجَه ، لأن الضمير لغير العاقل .

(٧) فى « م » : « وقع » تحريف .

جَنَائِدَ وَقَعَتْ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ ، وَالْبَهَائِمُ لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ وَلَا لَهَا عُقُولٌ ، وَلَا جَاءَهَا رَسُولٌ ، وَالْعُقُولُ عِنْدَكُمْ لَا يَجِبُ ^(١) بِهَا شَيْءٌ عَلَى الْعُقَلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي هَذَا انْفِصَالٌ عَنْ قَوْلِ الْأُسْتَاذِ : إِنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ هَذَا الْقَدْرَ ، إِذْ لَا يَجِبُ بِالْعَقْلِ شَيْءٌ ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، فَالْجَوَابُ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مُكَلَّفَةٌ ^(٣) ، لِأَنَّ مِنْ ضَرُورَةِ التَّكْلِيفِ أَنْ يَعْلَمَ ^(٤) الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، وَذَلِكَ مِنْ عَصَائِصِ الْعُقَلَاءِ ، وَهُمْ الثَّقَلَانِ ^(٥) ، وَإِذَا لَمْ تُكُنْ مُكَلَّفَةً كَانَتْ فِي الْمَشِيقَةِ ^(٦) يَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَرَادَ ^(٧) كَمَا سَلَّطَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا الْاِسْتِسْخَارَ ^(٨) وَالذَّبْحَ ، فَلَا اغْتِرَاضَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا أَرَادَ ^(٩) مِنْ تَنْعِيمٍ وَتَعْذِيبٍ ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُؤْلِمَ الْبَهِيمَةَ ^(١٠) اِئْتِاءً ، جَازَ أَنْ يُؤْلِمَهَا بَعْدَ حَيَاتِهَا ، وَالآيَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجْرَ عَلَيْهِمُ الْقَلَمُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا ^(١١) رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَكِنْ فِيمَا يَنْتَهَى ثَوَائِخُ ^(١٢) .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَقْتُلُوا الزَّرْعَ فَإِنَّهُ كَانَ

(١) في م : : لم يجب .

(٢) سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

(٣) في م : : والجواب أنها ليست بمكلفة .

(٤) في م : : تعلم .

(٥) الثقلان : الإنس والجن .

(٦) هكذا في ط .. وفي م : : وإذا لم يكونا مكلفين كانوا في المشقة .. يريد الإنس والجن ، ولا يصح هذا بمعنى .. وما ورد في ط : هو المقصود .

(٧) في م : : يفعل الله بهم ما يشاء .

(٨) في م : : سَلَّطَ عليهم الاستسغار .. والاستسغار : السحرة ، وهي التكليف بالعمل بلا أجر ولا ثمن .

(٩) في م : : مَنْ شاء .. الصواب : ما شاء .

(١٠) في م : : البهائم .

(١١) في م : : وإِنَّمَا .

(١٢) في م : : ولكن فيما بينهم يؤاخذون به .

يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ^(١) . فَهَذِهِ عَجَمَاءُ ^(٢) عَوَيْتَ عَلَى سُوءِ صَنِيعِ جَنْسِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ ^(٣) يَمْلِكُهُ لَا بِالْمَعْصِيَةِ . وَقَدْ ضَرَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَجَرَ الَّذِي قَرَّ بِثَوْبِهِ ^(٤) وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عَوْرَتَهُ ^(٥) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « فَضْرَتُهُ بِعَصَاهُ وَالْحَجَرُ يُقَرُّ ، وَمُوسَى يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، ثَوْبِي حَجَرٌ » ^(٦) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَتَذِيبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ ^(٧) .

وَرَوَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ^(٨) أَنَّهَا الْحِجَارَةُ الَّتِي يَكْسِرُ النَّاسُ ^(٩) فِي الدُّنْيَا . وَرَوَى أَنَّ الْمَسِيحَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَرَّ بِجَبَلٍ فَسَمِعَ أَيْنَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : « وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » فَلَا أَذْرِي أَكُونُ مِنْ بَنِيكَ الْحِجَارَةِ أَمْ لَا ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ : حَشَرَهَا مَوْتَهَا ، تُحْشَرُ لِضَرْبٍ مِنَ الْقِصَاصِ يَتَنَهَا ، ثُمَّ تُعِيرُ ثَرَابًا . قُلْتُ : وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعِيدٌ ،

(١) في (م) : « فَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْفُخُ ... » والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٣٨٩ ، وكتاب بدء الخلق ج ٦ ص ٣٥١ من فتح الباري .. ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد ، باب قتل الوزغ ج ٢ ص ١٠٧٦ ، ورواه غيره .. والوزغ ، جمع وَرَغَةٌ : ضرب من الزواحف ، يطلقون عليه : سام أبرص .

(٢) العجماء : البهيمة

(٣) في (م) : « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُعَذِّبَ » .

(٤) في (ط) : « مَرَّ بِثَوْبِهِ » أي : تدرج .. وفي البخاري : « عَلَنَا بِثَوْبِهِ » أي : مَضَى مسرعاً .

(٥) كان بنو إسرائيل يفتسلون عرباً ، وكان موسى خيلاً ، يفتسل وحده ، ويستر عند اغتساله ، فأدعى قوم منهم أنه أدر - منفتح الخصى ، له قُلَيْطٌ « قُلَيْطَةٌ » - وقالوا : ما يستر إلا لعب في يده .. فانتطلق يوماً يفتسل ، وجعل ثيابه على حجر ، فطارت ثيابه لمبوب الريح ، وانتطلق وراءها عرباناً ، حتى انتهى إلى مَلَأٍ من بنى إسرائيل ، فنظروا إليه فرأوه على غير ماظنوا ، وبراء الله مما قالوا .

[انظر تفسير القرآن للحمزة وآخريين - ج ٢٢ ص ٤٤ تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب] .

(٦) ثَوْبِي ، هو بفتح الباء الأخيرة ، أي : أعطني ثَوْبِي ، أو رُدْ ثَوْبِي .. وحجر ، بالضم ، على حذف حرف النداء ، أي يا حَجَرُ .

(٧) تَذِيبٌ : تركت ثوباً ، أي : علامات من آثار الضرب .. وفي رواية : « إِنَّ فِي الْحَجَرِ لَتَذِيباً مِنْ أَمْرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ حَمْسًا » .. والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ من فتح الباري ، وأخرجه غيره .

(٨) سورة البقرة ، من الآية ٢٤ . وسورة التحريم من الآية ٦ .

(٩) في (ط) : « تَكْسِرُ النَّاسُ » .

لَأَنَّ الْحَشَرَ الْجَمْعُ ، وَلَيْسَ فِي مَوْتِهَا جَمْعُهَا ، بَلْ فِيهِ تَفْرِقَتُهَا ^(١) وَتَفْرِقَةُ أَجْزَائِهَا ، ثُمَّ قَدْ
 قَالَ : ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ^(٢) ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَشَرُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِإِعَادَةِ الْحَيَاةِ
 إِلَيْهَا ، وَجَمْعِهَا إِلَى رَبِّهَا .

(١) في « م » : « وليس في موتها جمعاً ، بل فيه تفرقها » .

(٢) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ . والآية بتمامها : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمَّ أَمْثَالَكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَا قُطِّعُوا ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ :
 ﴿ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ الْحَسَنُ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « أُبَشِّرُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمْ الْيُسْرُ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ » . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرِ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ ، وَلَنْ ^(٤) يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ .
 وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ عَرَّفَ ^(٥) الْعُسْرَ وَتَكَرَّرَ الْيُسْرُ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرْتَ اسْمًا
 مُعْرَفًا ^(٦) ثُمَّ أَعَادْتَهُ كَذَلِكَ ^(٧) فَهُوَ هُوَ ، فَإِذَا تَكَرَّرَ ^(٨) ثُمَّ كَرَّرْتَهُ كَذَلِكَ فَهُمَا اثْنَانِ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٩) :

(١) سورة الشورى ، من الآية ٢٨ ، ولم ترد هذه الآية في « م » في هذا الموضع ، بل أتت بعد قوله : « ولن يغلب عُسْرُ يُسْرَيْنِ » وستأتي .

(٢) سورة المل ، من الآية ٦٢ .

(٣) سورة الشرح ، الآية ٦ .

(٤) في « ط » : « لن » بدون الواو .

(٥) في « م » : « أنه لما عُرِفَ » .

(٦) في « م » : « معروفًا » تحريف .

(٧) قوله : « كذلك » عن « ط » في الموضعين .

(٨) في « م » : « ذكرته » مكان « تكرّره » تحريف .

(٩) الأبيات في المستطرف ج ٢ ص ١٤١ وهى غير منسوبة لقالها .

إِنْ يَكُنْ تَالِكَ الزَّمَانُ يَبْلُوَى عَظُمْتَ عِنْدَهَا الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ (١)
وَتَلَّتْهَا قَوَارِعُ نَاكِيات (٢) سُمِعَتْ دُونَهَا الْحَيَاةُ وَمَلَّتْ (٣)
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ مَدَاهَا فَالْزَّايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ (٣)
وَإِذَا أَوْهَنْتْ قَوَاكِ وَجَلَّتْ كُشِفَتْ عَنْكَ جُمْلَةُ فَجَلَّتْ (٤)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ النُّطْقَ (٥) مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ
مُنْطَلِقًا لَتُعْفَى أَثَرَهَا (٦) عَلَى سَارَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تَرْضِعُهُ
حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، عِنْدَ دَوْحَةٍ (٧) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ
يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهَا هُنَاكَ ، وَوَضَعَ عِنْدَهَا جِرَابًا فِيهِ ثَمَرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ
مَاءٌ ، ثُمَّ قَلَّ (٨) إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ
وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا (٩) الْوَادِي ، لَيْسَ فِيهِ أُنْيَسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ
لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ إِذَا لَا يُضِيعُنَا .

(١) البيت في المصدر السابق :

« وَإِذَا تَمَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمْتَ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ »
والخطوب : الحوادث والزوايا .

(٢) قوراع : مصائب .. ناكيات : قاتلات .. والبيت في المستطرف :

« وَاتَّتْ بِتَمَلُّهِ نَوَاتِبُ أُخْرَى سَمِعَتْ نَفْسُكَ الْحَيَاةَ وَمَلَّتْ »

(٣) الشطرة الأولى في المصدر السابق : « فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِ » .

(٤) في المصدر السابق : « وَتَحَلَّتْ » مكان « فَجَلَّتْ » .

(٥) النُّطْقُ : جمع نطق ، وهو حبلٌ تشدُّ به المرأة وسطها .. وفي « م » والبخاري : « الينطق » وهو بطنه .

(٦) لنفى أثرها : لخصفيه .. وكان السبب في ذلك أَنَّ سَارَةَ كانت وهبت « هاجر » لإبراهيم ، فحملت منه
بإسماعيل ، فلما ولدت غارت منها ، فاتخذت هاجر منطلقاً فشدت به وسطها وخرجت ، وجرَّتْ ذَهِلَهَا لخصفِ أثرها
على سارة .

[انظر فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ص ٣٩٦ ، ٤٠٠] .

(٧) الدَّوْحَةُ : الشجرة الكبيرة .

(٨) قَلَّ : رجع .. وفي « ط » والبخاري : « قَلَّى » أى : وُلَّى راجعاً إلى الشام .

(٩) في « م » : « فِي هَذَا » .

ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ ^(١) حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ ^(٢) : « رَبَّنَا ^(٣) إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » ^(٤) حَتَّى بَلَغَ « يَشْكُرُونَ » .

وَجَعَلْتُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تَرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ ^(٥) وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى ، فَأَنْطَلَقْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ الْوَادِي ^(٦) هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي ، ثُمَّ أَتَيْتِ الْمَرْوَةَ فَقَامْتُ عَلَيْهَا فَتَنْظَرْتُ هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ ^(٧) بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا ، فَقَالَتْ : صَوِّ ^(٨) ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ^(٩) ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ ^(١٠) عِنْدَ مَوْضِعٍ زَمَزَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقِيهِ - أَوْ قَالَ بِحَنَاجِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلْتُ تُحَوِّضُهُ ^(١١) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ^(١٢) ، وَجَعَلْتُ تُعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي

(١) في « م » : « الرندة الثنية » . ولم ترد لفظة « الرندة » في نص الحديث الذي رواه البخاري .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) في « م » و « ط » : « رَبِّ » .. وما هنا مطابق لنص الآية .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٥) ل « م » : « لإسماعيل » .

(٦) نص الحديث في البخاري : « ثم استقبلت الوادي تنظر ... » .

(٧) في البخاري : « فذَلِكَ سَعَى النَّاسِ » .

(٨) صَوِّ : يفتح الصاد المهملة وسكون الهاء ، ويكسرهما مُتَوَكِّةً ، كأنها خاطبت نفسها فقالت لها : اسكبي .

(٩) هَكَذَا في « ط » والبخاري .. وفي « م » : « عليك » مكان « عندك » تحريف .. وجواب الشرط محذوف ،

والتقدير : « إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ فَأَنْعِشِي » .

(١٠) الْمَلِكُ : جبريل ، عليه السلام .

(١١) تُحَوِّضُهُ : أى يجعله مثل الحوض .. وفي « م » : « تحوضه » بالخاء المعجمة .. والأول هو المطابق لما ورد في

البخاري .

(١٢) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا : هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل .. وفي حديث عليٍّ : « فجعلت

نحس الماء ، فقال : دعيه فإنها رواء » .

سَفَائِهَا ، وَهُوَ يَقُورُ بَعْدَمَا تَعْرِفُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْرَمَ - أَوْ قَالَ : لَوْ لَمْ تَعْرِفْ ^(٢) لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا ^(٣) . قَالَ : فَشَرِيتُ وَأَرْضَعْتُ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ ^(٤) ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَهُ هَذَا الْغَلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ .

وَمِنْهَا قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ، وَذَلِكَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ^(٥) ، وَمُرَّارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ^(٦) ، وَهَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ ^(٧) ، تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ « ثُبُوك » ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) عَنْ كَلَامِ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ كَعْبٌ ^(٩) : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَعَبَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لَنَا الْأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ ، فَمَا هِيَ إِلَّا الَّتِي أَعْرِفُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلَّمَ ^(١٠) عَلَيْهِ ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَى مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، تُسَوِّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ^(١١) ، وَهُوَ ابْنُ عُمَى وَأَحَبُّ النَّاسِ

(١) في م : : عليه السلام .

(٢) في م : : أو قال : لم تعرف . وسقطت « لو » منها سهواً من الناسخ .. وهذا القول شك من الراوى .

(٣) في م : : لكانته . تحريف .. وعيناً معيناً ، أى : كان الماء ظاهراً جارياً على وجه الأرض .

(٤) الضيعة : الملاك .

(٥) هو : كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى السلمي الخزرجي ، صحابي من أهل المدينة ، ومن أكابر الشعراء ، ومن شعراء النبي ﷺ ، شهد أكثر الوقائع معه .. توفي سنة ٥٠ هـ تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٦) هو : مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الأنصارى ، من بني عمرو بن عوف ، صحابي ، وهو يَمُنُّ بشهادته بدرأ .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٤ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٧) هو : هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصارى الواقفي ، صحابي ، قديم الإسلام ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وهو الذي كَسَرَ أَصْنَمَ بَنِي وَاقِفٍ ، وكانت معه رايته يوم فتح مكة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٨) في م : : عليه السلام .

(٩) « كعب » عن « ط » .

(١٠) في م : : « وأسلم » .

(١١) في م : : « حائط جدار أبي قتادة » . وأبو قتادة هو : أبو قتادة الأنصارى ، واسمه : الحارث بن ربيعة بن بلدعة الخزرجي السلمي ، قارب رسول الله ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها .. توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ .. وقيل : توفي بالكوفة في خلافة عليٍّ ، وصلى عليه عليٌّ ، رضى الله عنهما .

[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهَ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَلَمَّا تَمَّتْ عَحْسُونَ لَيْلَةً مِنْ يَوْمِ نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ كَلَامِنَا ، صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، وَمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، أَوْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَكُونُ مِنَ النَّاسِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، لَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ ، فَأَنْزَلَ اللهُ [تَعَالَى] ^(٢) ثَوْبَتَنَا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ ^(٣) مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَبْشِيرْ ! فَخَرَزْتُ سَاجِدًا لَهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرْجُ ، فَجَعَلْتُ ثَوْبِي عَلَى الصَّارِخِ لِبُشْرَاهُ ^(٤) ، وَاللهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، فَقَالَ : أَبْشِيرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ مِنْ ثَوْبَتِي أَنْ أُلْخِطَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ^(٦) .

وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا شَبَّ وَدَرَجَ فِي مَوْضِعٍ رُبِّيَ ^(٧) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ^(٨) رَأَى كَوْكَبًا ۖ يَمُتَالُ : إِنَّهُ رَأَى الزُّهْرَةَ ۖ قَالَ ^(٩) هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ : لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ ۖ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ۖ قَالَ : لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا ۖ

(١) « صل الله عليه وسلم » عن « م » .

(٢) ما بين المعرفتين عن « م » .

(٣) في « م » : « خارج » تحريف .

(٤) في « ط » : « بُشْرَاهُ » بدون اللام .

(٥) في « م » : « عليه السلام » .

(٦) انظر الحديث في فتح الباري ، كتاب التفسير ، سورة براءة « التوبة » باب « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ۖ »

ج ٨ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٧) في « ط » : « رُبِّيَ فيه » . ودرج : ذب . يقال : درج الصبي : أخذ في الحركة وابتدأ في المشي .

(٨) جَنَّ عليه الليل : ستره .

(٩) في « م » و « ط » : « يقال ... وما هنا مطابق للآية . والزُّهْرَةُ : أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة ، وهو ثاني

كوكب في البعد عن الشمس ، يقع بين عطارد والأرض ، وهو ألمع جُرم سماوي ، باستثناء الشمس والقمر .

أَصْبَحَ وَ رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالُ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَافًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ : أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ يَغْنَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . قَالُوا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَمَا تُخَافُ مِنْ آلِهَتِنَا أَنْ تُصِيبَكَ بِسُوءِ إِنْ أَنْتَ سَبَّيْتَهَا أُوعِيتَهَا ؟ قَالَ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وَكَانَ آرَرُ يَصْنَعُ أَصْنَامًا يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، ثُمَّ يُعْطِيهَا إِبْرَاهِيمَ يَبْعَثُهَا ، فَيَكْسِرُهَا وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى نَهْرٍ لَهُمْ فَيَصُبُّهَا فِيهِ عَلَى رُءُوسِهَا ، وَيَقُولُ لَهَا ^(٢) : اشْرَبِي ، اسْتَهْزَأَ بِهَا ، وَإِظْهَارًا لِقَوْمِهِ فَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَفَسَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْلُعَ ذَلِكَ نَمْرُودَ ، فَأَوَّلُ مَا بَدَأَ قَوْمُهُ أَنْ ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً ^(٣) فِي الثُّجُومِ ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ يَعْنِي : مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ ، فَظَنُّوا أَنَّهُ مَطْعُونٌ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ مِنَ الطَّاغُوتِ إِذَا سَمِعُوا بِهِ ﴿ فَهَوَّلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ . فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ ﴿ فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهُمْ قَدْ وَضَعُوا لَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا ﴾ فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ . فَرَاغَ ^(٤) عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿ وَكَسَرَهَا ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهَا وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاءً ^(٥) ، وَأَرَاقَ طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا ، وَعَمَدَ إِلَى النَّاسِ فَعَلَّقَهَا ^(٦) بِيَدِ إِلَهِهِمُ الْأَعْظَمِ ^(٧) ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا ، فَلَمَّا

(١) من قوله تعالى : ﴿ لَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ إِلَى هُنَا مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ - الْآيَاتِ مِنْ ٧٦ - ٨١ .

(٢) فِي « م » : « فَيَصُبُّهَا فِيهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهَا » .

(٣) نَصِ الْآيَةِ : ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً ﴾ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ .. وَفِي « ط » : « فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ » . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ مَالَ إِلَى آهَتِهِمْ خَفِيَةً لِيَحْمِلَهَا .. وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الصَّافَّاتِ ، مِنَ الْآيَةِ ٨٨ - ٩٣ .

(٥) جُذَاءً : قِطْعًا صَغِيرًا .

(٦) فِي « م » وَ « ط » : « فَعَلَّقَهَا » وَالنَّاسُ مُؤَنَّثَةٌ فِي اللُّغَةِ .. وَعَمَدَ : قَصَدَ .

(٧) فِي « ط » : « الْعَظِيمِ » .

رَجَعَ قَوْمُهُ مِنْ عِيْدِهِمْ دَخَلُوا ^(١) بَيْتَ أَصْنَامِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا صُنِعَ بِهَا رَأَوْهُمْ ذَلِكَ
وَأَعْظَمُوهُ ^(٢) و « قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ » قَالُوا ^(٣) : سَمِعْنَا قَتْلَى
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ « سَمِعْنَاهُ يَسْتَهْزِئُ بِهَا ، فَقَالَ تَمْرُودُ : « قَاتِلُوا بِهِ عَلَى
أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ » . فَلَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) « قَالُوا : أَأَنْتَ فَعَلْتَ
هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ » قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ .
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ « قَالُوا ^(٥) : إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَاهُ بِمَا نَسَبْنَا
إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا ^(٦) وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَلِقُونَ »
قَالَ : أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ « أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ « ^(٧) فَقَالَ لَهُ تَمْرُودُ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ ^(٨) : صَيْفٌ لَنَا ^(٩)
إِلَهًا الَّذِي تَعْبُدُ وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ . « قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّي ^(١٠) الَّذِي يُخْبِي وَيُخْشِ
قَالَ « تَمْرُودُ : و « أَنَا أَخْبِي وَأُمِيتُ » . قَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : آخُذْ رَجُلَيْنِ قَدْ
اسْتَرْجَبَا الْقَتْلَ فِي حُكْمِي ، فَأَقْتُلْ أَحَدَهُمَا ، فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُهُ ، وَأَعْفُو عَنِ الْآخَرِ ، فَأَكُونُ
قَدْ أَحْيَيْتُهُ ! فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَخِي الَّذِي قَتَلْتَ بِرِزْمِكَ ، وَأُخْرِجْ رُوحًا
مِنْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُقْتَلَهُ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا . وَإِنَّ ^(١١) « اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ

(١) في « م » : « ودخلوا » .

(٢) أي : أنكروهُ .. وفي « م » : « عَظَّمُوهُ » أي : رأوه عظيمًا .

(٣) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما ورد في القرآن .. وفي « ط » : « فقال بعضهم » .

(٤) في « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٥) « قالوا » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٦) في « م » : « ثم قال » .

(٧) من قوله تعالى : « قال من فعل هذا بآلهتنا » إلى هنا ، من سورة الأنبياء ، الآيات من ٥٩ - ٦٧ بتصرف

يسير .

(٨) في « م » : « حين سمع منه ذلك » .

(٩) في « م » : « صيف لي » .

(١٠) هكذا في « م » ، وهو مطابق لنص الآية .. وفي « ط » : « إن ربي » .

(١١) في « م » : « فإن » . وكذا وردت في القرآن .

الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، قَبِيتُ ﴿^(١) عِنْدَ ذَلِكَ تَمْرُودٌ وَلَمْ يَرُدْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا ، وَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ، فَلَبِثَ فِيهِ سَبْعَ سِنِينَ ، وَجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ السَّجْنِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ وَفَشَا ، وَاتَّبَعَهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ عَلَى دِينِهِ .

فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْرِقُوا إِبْرَاهِيمَ ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَنَوْا حَيْرًا ^(٢) طُولَ جِدَارِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا ، وَوَضَعُوهُ إِلَى مَفْجِ جَبَلٍ مُنِيفٍ لَا يُرَامُ وَلَا يُرْفَا ^(٣) ، وَبَلَطُوا الْجِدَارَ ، فَلَا يَمْسُحُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا زَلَقَ عَنْهُ ^(٤) ، وَأَذَنَ مُوَذَّنٌ تَمْرُودٌ : أَيُّهَا النَّاسُ احْتَطِبُوا لِنَارِ إِبْرَاهِيمَ ^(٥) ، وَلَا يَتَحَلَّفَنَّ عَنْهَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى ، وَلَا حُرٌّ وَلَا عَبْدٌ ، وَلَا شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ أَلْقَى فِي تِلْكَ النَّارِ ، فَعَمَلُوا فِي ذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ تَنْذِرُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهَا ، لَقِنْ رَجَعَ غَائِبُهَا ^(٦) أَوْ أَفَاقَ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِذَا كَمَلَ ذَلِكَ قَذَفُوا فِيهِ النَّارَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ وَهَجُ النَّارِ ^(٧) عَلَى الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ، وَضَعَ إِبْرَاهِيمُ فِي كَيْفَةِ الْمُنْجِنِيقِ ، قَالَ وَهَبْ بَنَ مُنْبِي : فَبَلَغْنِي أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحَارَ وَمَا فِيهَا ضُحُّوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضُحَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، لَيْسَ فِي أَرْضِكَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرَهُ ، فَأَذَنَ لَنَا فِي نُصْرَتِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ : إِنْ اسْتَغَاثَ بِشَيْءٍ مِنْكُمْ فَأَنْصُرُوهُ وَأَغِيثُوهُ ^(٨) ، وَإِنْ دَعَانِي فَأَنَا وَرَثَتُهُ وَنَاصِرُهُ .

(١) من قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ إلخ هنا ، ورد في سورة البقرة ، من الآية ٢٥٨ والآية بتامها : ﴿ الْمُرْءَى إِلَى الذِّى حَاجُ إِبْرَاهِيمَ فِي زَيْتِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّى الَّذِى يَحْيِى وَيُمِيتُ . قَالَ : أَنَا أَخِي وَأُمِّي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . قَبِيتُ الَّذِى كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .
(٢) الْحَيْرُ : يُطْلَقُ عَلَى الْمَكَانِ وَالْبِنَاءِ .. وفى م : : حَيْرًا طويلاً . والحير ، بالراء للمهمله : مكان يشبه الحظيرة أو الجحش .

(٣) مَفْجِ الْجَبَلِ : أَسْفَلُهُ .. وفى م : : مَفْجِ جَبَلٍ بِالصَّادِ ، أَيْ : جَانِبِهِ أَوْ غُرْضُهُ .. وَالْمُنِيفُ : الْعَالِى .. لِإِبْرَاهِيمَ : لَا يُطْلَبُ .. وَلَا يُرْفَا : مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَطْلُوهُ .

(٤) أَيْ : زَلَّ وَلَمْ يَثْبُثْ قَدَمَاهُ .

(٥) فِى م : : احْتَطَبُوا النَّارَ لِإِبْرَاهِيمَ ، أَيْ : اجْتَمَعُوا لِحَطْبِهَا .

(٦) فِى م : : لَقِنْ رَجَعَ إِلَيْهَا وَأَفَاقَ .

(٧) وَهَجُ النَّارِ ، بَفَتْحِ الْمَاءِ وَسُكُونِهَا ، أَيْ : يَسْمَعُ صَوْتَ اتَّقَادِمِهَا .

(٨) فِى م : : إِنْ اسْتَغَاثَ بِكُمْ فَأَغِيثُوهُ وَأَنْصُرُوهُ .

فَلَمَّا وَضَعُوهُ ^(١) فِي كَيْفَةِ الْمَنْجِيئِ وَقَدَّعُوهُ قَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَالْصِّرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَتَجْنِنِي مِنَ النَّارِ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّارِ ^(٢) أَنْ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَاطَّاعَتِ النَّارُ رَبَّهَا ، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ سَلَامًا لَمَاتَ مِنَ شِدَّةِ الْبُرْدِ . وَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَظَنَّ قَوْمُهُ أَنَّهُ قَدْ اخْتَرَقَ ، ثُمَّ قَالَ نَمْرُودُ : انْظُرُوا مَاذَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي نَوْمِي أَنَّ جِدَارَ هَذَا الْحَيْرِ ^(٣) قَدْ تَهَدَّمَ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي ، قَالَ : وَذَابَ الْحَاسُ الَّذِي سُدَّ بِهِ بَابُ الْحَيْرِ ، وَاخْتَرَقَ الْجِدَارُ فَصَارَ رَمَادًا ، فَاطْلَعُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَرَأُوهُ صَاحِبًا سَلِيمًا ^(٤) ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ^(٥) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ خَرَجَ يَمْشِي حَتَّى قَعَدَ إِلَى أُمِّهِ ، وَهِيَ فِي الْجَمْعِ ، وَأَقْبَلَتْ سَارَةً ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، حَتَّى جَلَسَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، إِنِّي آمَنْتُ بِالَّذِي جَعَلَ النَّارَ عَلَيْكَ ^(٦) ، بَرْدًا وَسَلَامًا . قَالَتْ لَهَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ : اخْذِرِي الْقَتْلَ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَتْ ^(٧) : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا وَقَدْ آمَنْتُ بِإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَوَّلَ إِبْرَاهِيمَ جَمْعَ مِنَ النَّاسِ لَا يُخْصِي عَدَدُهُمْ ، يَأْتِجُونَ لِيُجَدِّدُوا لَهُ عِدَّتَهَا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْيَا عَاصِمًا ، فَسَفَّتْ ^(٨) رَمَادَ تِلْكَ النَّارِ فِي وُجُوهِهِمْ وَغَيَّرَنِيهِمْ فَقَرُّوا عَنْهُ ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُذَكِّرًا بِهِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا ^(٩) : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ،

(١) فِي ١ م : : « فَلَمَّا وَضِعَ » .

(٢) فِي ١ م : : « إِلَيْهَا » .

(٣) فِي ١ م : : « الْحَيْرِ » فِي الْمَوْضِعِينَ .. انظر الماشق رقم ٢١٠ من ص ٦٤٠ .

(٤) فِي ١ م : : « سَلَامًا » .

(٥) فِي ١ م : : « الْحَالَةَ » .

(٦) فِي ١ م : : « حِينَ » تَعْرِيف .

(٧) « عَلَيْكَ » عَنْ ١ م .

(٨) فِي ١ م : : « قَالَتْ » .

(٩) فَسَفَّتْ : فَطَيَّرَتْ .

(١٠) فِي ١ م : : « وَغَيْرِهِمْ » لَاتَّصَحُّ لَفْظُهُ .

اِنطَلَقَ إِلَى الْحَمَامِ ^(١) وَمَعَهُ جَنَى يُقَالُ لَهُ صَحْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْخُلُ
الْخَلَاءَ ^(٢) بِالْحَائِمِ ، فَدَخَلَ الْحَمَامَ وَأَعْطَى الشَّيْطَانَ حَائِمَهُ ، فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، فَالْتَمَعَتْهُ
سَمَكَةٌ ، وَنَزَعَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ مِنْهُ ^(٣) ، وَالْقَى عَلَى الشَّيْطَانِ شَبَهُ سُلَيْمَانَ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ
عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَسَلَطَ عَلَى جَمِيعِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ غَيْرَ نِسَائِهِ ، فَجَعَلَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ
وَالنَّاسُ يَنْكِرُونَ قَضَايَاهُ ، حَتَّى قَالُوا : لَقَدْ فُتِنَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ فِي حَالِهِ تِلْكَ وَهُوَ جَائِعٌ نَائِعٌ ^(٤) ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَيَّادِينَ فِي
الْبَحْرِ ، فَاسْتَطَعَمَ ^(٥) أَحَدَهُمْ مِنْ صَيْدِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنَا سُلَيْمَانُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ
بِعَصَا ^(٦) فَشَجَّ وَجْهَهُ ، فَجَعَلَ ^(٧) يَغْسِلُ دَمَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَلَامَ الصَّيَّادُونَ
صَاحِبَهُمْ عَلَى ضَرْبِهِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَغْطَوْا سُلَيْمَانَ سَمَكَتَيْنِ مِمَّا قَدْ تَغَيَّرَ عِنْدَهُمْ وَتَنَنَ ^(٨) ،
وَلَمْ يَشْفُلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ أَنْ يَقُومَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَشَقَّ بَطْنَيْهِمَا ^(٩)
وَوَجَدَ حَائِمَهُ فِي بَطْنِ أَحَدِهِمَا ^(١٠) فَأَخَذَهُ فَلَيْسَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَهَاءَهُ
وَمُلْكَهُ ، وَجَاءَتِ الطَّيْرُ فَحَامَتْ ^(١١) عَلَيْهِ ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهُ سُلَيْمَانُ ، فَجَاءُوا يَعْتَذِرُونَ
إِلَيْهِ .

وَرَزَى وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ ، فَلَمَّا كَانَ ابْنُ سِتِّينَ
سِنِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ قُرْبَانًا ، فَكَتَمَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ
عَنْ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ وَجَمِيعِ النَّاسِ ، وَأَسْرَهُ إِلَى خَلِيلِ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ : الْغَاوِرُ ، وَكَانَ أَوَّلُ

(١) في م : : الحمام « تحريف .

(٢) المراد بالخلاء : المكان الذي يقضى فيه الإنسان حاجته .

(٣) في م : : فيه « تحريف .

(٤) نائع : عطش .. وقبل : نائع اتباع لجائع .

(٥) فاستطعم : فطلب طعاماً .

(٦) في م : : فضربه ضرباً .. وشج : جرح .

(٧) في م : : قال : فجعل ... « .

(٨) أى : خبثت رائحته .

(٩) في م : و ط : : يطونهما . والصواب ما أثبتناه .

(١٠) هكذا في م : و ط : .. والصواب : إحداهما « .

(١١) في م : : حتى حامت « .

مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ يَوْمَ أُخْرِقَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَفَعَ اسْمَكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَاءِ ، حَتَّى كُنْتُ أَرْفَعُهُمْ بَيْتَهُ ، لِيَرْفَعَكَ اللَّهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتَّيَلَّكَ ^(١) بِذَلِكَ لِيَقْبِلَكَ ، وَلَا يُضِلَّكَ ، فَلَا يَسْوَأَنَّ بِاللَّهِ ظَنُّكَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقًّا ^(٢) مِنِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ سَخَطًا بِحُكْمِهِ الَّذِي حَكَمَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَكِنْ هَذَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، فَإِنْ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَتَعَزَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ ، وَأَسْتَدُّ لَهُ رَأْيَهُ وَبَصِيرَتَهُ ، وَاتَّطَلَّقَ بِإِسْحَاقَ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْجَبَلَ وَمَعَهُ السُّكَّيْنُ وَالْحَبْلُ وَأَدَاةُ الْقُرْبَانِ ، فَقَالَ لَهُ ^(٣) إِسْحَاقُ : يَا أَبَتِ ، أَرَى مَعَكَ أَدَاةَ الْقُرْبَانِ وَلَا أَرَى قُرْبَانًا ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، الْقُرْبَانُ بَيْنَ رَبِّكَ ^(٤) يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ شَاءَ رَحِمَ أَبَاكَ . فَلَمْ يَقْطَعْ ^(٥) إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا وَافَى رَأْسَ الْجَبَلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَكَ وَأَجْعَلَكَ قُرْبَانًا يَرْفَعَكَ إِلَيْهِ ^(٦) وَيَقْبِلَكَ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَتَهَلَّلَ إِسْحَاقُ وَاسْتَبَشَّرَ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدُهُ : لَقَدْ فَجَعْتُكَ ^(٧) يَا بُنَيَّ بِأَمْرِ مَا فَجَعَ بِهِ وَالِدٌ وَلَدُهُ ، وَإِنِّي لَأَرَى ^(٨) مِنْ سُرُورِكَ بِذَلِكَ وَشُكْرِكَ لِرَبِّكَ أَمْرًا أَرْجُو بِهِ الْعَاقِبَةَ وَالْفَرَجَ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْبِرِّ بِكَ وَيَأْمُرِي ، وَقَدْ حَرَمَنِي رَبِّي ، فَإِذَا أَرَدْتُ ذَبْحِي فَاشْتَدُّ وَتَأَلَّى ^(٩) فَإِنِّي أَخَافُ حِينَ يُفَارِقُنِي عَقْلِي وَأَجِدُ أَلَمَ الْحَدِيدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنِّي عُضْوٌ فَيُوْذِيكَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُحْجِمَ بِذَلِكَ عَمَلِي ،

(١) في د م : : لم يتتلك ، خطأ في اللغة .

(٢) في د م : : أن يكون حقاً .

(٣) د ه عن ط .

(٤) في د م : : بين الله .

(٥) لم يقطن ، بفتح الطاء المهمل والمهملة وبضمها : لم يترك مقصد والده .

(٦) في د م : : يرفعك الله .

(٧) فجعتك : آلمتك إيلاماً شديداً .

(٨) في د م : : وإلى أرى .

(٩) الزناق : ما يشد به ، كالحرير ونحوه .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِي فَأَقْرِئْهُ أُمِّي السَّلَامَ ^(١) وَقُلْ لَهَا : لَا تَجْزَعِي ، فَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ ابْنَكَ فِي جَنَاتِهِ ^(٢) .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ عَمَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) إِلَيْهِ فَعَصَبَهُ بِعِمَامَتِهِ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ^(٤) إِلَى الْكَفَّيْنِ ، ثُمَّ كَبَّهَ لَوَجْهِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ وَجْهَهُ لِكَيْلَا ^(٥) تُدْرِكُهُ لَهُ رَحْمَةٌ إِذَا هُوَ تَشَحَّطَ ^(٦) ، فَأَذْخَلَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ حَلْقِهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُقَ الْقَلْبَ السَّكِينِ ، فَأَوْجَسَ إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ ^(٧) ، ثُمَّ عَادَ الثَّانِيَةَ ^(٨) ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُقَ ، انْقَلَبَ السَّكِينُ ، وَتَوَدَّى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ نَاهَى بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٩) ، هَذَا يَدَاءُ ابْنِكَ قَدْ فَدَاهُ اللَّهُ لَكَ بِهِ ، فَتَنَظَّرَ إِبْرَاهِيمُ حَلْفَهُ فَإِذَا بِكَ بَشِي ^(١٠) قَدْ لَوَى قَرْئَهُ الْأَيْمَنُ عَلَى سَاقِ شَجَرَةٍ ، فَوَجَّهَهُ ^(١١) إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَفَبَلَّتْهُ يَوْمِيذَ مَكَّةَ ^(١٢) ، فَذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَصَبَهُ ^(١٣) اسْتَحْقًا ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهُ وَضَعَاهُ قُرْبَانًا ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَتَقَبَّلَهُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمَّا صَارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ وَاسْتَرْقَى ^(١٤) بَعْدَ الْحُرِّيَةِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَبْكِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى أَبِيئِهِ وَإِخْوَتِهِ وَوَطَنِهِ وَمَا ابْتَلَى بِهِ

(١) فِي م : « فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ عَلَى أُمِّي » .

(٢) فِي ط : « أَكْرَمَ اللَّهُ لَكَ ابْنَكَ » .. وَفِي م : « حَيَاتِهِ » مَكَانَ « جَنَاتِهِ » .

(٣) فِي ط : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. وَعِنْدَ : ذَهَبَ وَقَصَدَ .

(٤) عَصَبَهُ : شَدَّهُ وَلَقَّهُ .. وَالنَّكَبُ : مَجْمَعُ رَأْسِ الْعِضْدِ وَالْكَفِّ .

(٥) فِي ط : « كَى لَا » .

(٦) تَشَحَّطَ : اضْطَرَبَ وَتَحَيَّطَ فِي ذَمِّهِ .

(٧) يَمْحُزُ : يَقْطَعُ .. أَوْجَسَ : وَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ .

(٨) فِي م : « الثَّانِيَةَ » . وَهِيَ الْمَحَاوَلَةُ الثَّانِيَةُ لَا الثَّالِثَةَ .

(٩) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠٤ - ١٠٧ .

(١٠) فِي م : « فَإِذَا هُوَ بِكَشِي » .

(١١) فِي م : « فَوَجَّهَهُ » .

(١٢) فِي م : « بِمَكَّةَ » .

(١٣) قَصَبَهُ : قَطَعَهُ .

(١٤) اسْتَرْقَى : صَارَ عُلُوكًا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْأَرْقَاءِ .

مِنَ الرُّقِّ ، فَأُخِيا لَيْلَةً مِّنَ اللَّيَالِي يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَخْرِجْنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ وَوَطَنِي ، فَأَجْعَلْ لِي فِي ذَلِكَ خَيْرًا وَفَرَجًا وَمَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ ، وَمِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، وَحَبِّبْهَا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا ^(١) وَحَبِّبْنِي إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ ، وَلَا تُعْثِنِي حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبَوَيَّ وَإِخْوَتِي ^(٢) فِي يُسْرِ مِنْكَ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ ^(٣) تَجْمَعُ لَنَا بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

فَأَنَّى ^(٤) يُوسُفُ فِي تَوْبِهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اسْتَجَابَ لَكَ دُعَاكَ وَأَعْطَاكَ مُنَاكَ ، وَوَرَّثَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَسُلْطَانَهَا ، وَجَمَعَ إِلَيْكَ أَبَوَيْكَ وَإِخْوَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، فَطَبْتُ نَفْسًا ، وَأَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ . وَيَدْعَايَ يُوسُفُ صَارَتْ مِصْرَ مَحْبُوبَةً ، يُحِبُّهَا مَنْ دَخَلَهَا فَلَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهَا ، قَالَ فَتَادَهُ : مَا سَكَنْتَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَتَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ اشْتَقَى إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى لِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ تَوَفَّى مُسْلِمًا وَالْحَقُّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) .

وَلَمَّا وَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ^(٦) إِلَى الْعِرَاقِ لِيُطْلِقَ أَهْلَ

(١) قوله : « وَحَبِّبْهَا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا » عن « ط » .

(٢) في « م » : « بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ » .

(٣) في « م » : « عَاقِبَةٍ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ » .

(٤) في « م » : « قَالَ » مكان « فَأَنَّى » .

(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠١ .

(٦) هو : محمد بن يزيد ، القُرشيُّ بالولاء ، أمير إفريقية ، أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام سنة ٩٧ هـ ، والياً عليها ، وكانت الأندلس تابعة لها .. وعزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ، فكانت ولايته سنتين وأشهرًا .. ولما ولى الخلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ هـ ، ولَّى على إفريقية يزيد ابن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، فأراد هذا أن يسير في إفريقية بسيرة الحجاج ، فقتله أهلها ، وأعادوا محمد بن يزيد ، وكتبوا إلى الخليفة : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم ساقنا مالا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأَعَدْنَا علينا محمد بن يزيد .. فكتب إليهم الخليفة : إني لم أَرْضَ بما صنع ابن أبي مسلم .. وأقر محمد بن يزيد على عمله .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٤] -

السُّجُونِ ، وَيُقَسِّمُ الْأَمْوَالَ ، ضَيْقَ عَلَيَّ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ وَلِيَ يَزِيدَ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَاسْتَحْفَى مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَطَلَبَهُ يَزِيدُ
ابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَتَى بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، وَفِي يَدِ ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عُنُقُودُ
عَنْبٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ حِينَ ذَا مِنْهُ : مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَطَالَمَا (١)
سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَنِي مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَنَا وَاللَّهِ فَطَالَمَا
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُجِيرَنِي مِنْكَ وَيُعِيدَنِي . فَقَالَ يَزِيدُ : فَوَاللَّهِ مَا أَجَارَكَ وَلَا أَعَاذَكَ ، وَإِنْ
سَابَقْنِي مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى قَبْضِ رُوحِكَ لَسَبَقْتُهُ (٢) ، وَاللَّهِ لَا أَكُلْتُ هَذِهِ الْحَبَّةَ حَتَّى
أَقْتُلَكَ . فَأَقَامَ الْمُؤَدَّنُ الصَّلَاةَ ، فَوَضَعَ يَزِيدُ الْعُنُقُودَ وَتَقَدَّمَ لِيُصَلِّيَ ، وَكَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ
قَدْ (٣) اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا رَكَعَ ضَرْبَهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ بِعُمُودٍ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ
ابْنِ يَزِيدَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ . فَسَبَحَانَ مَنْ قَتَلَ الْأَمِيرَ وَأَحْيَا الْأَسِيرَ ، سَنَّةَ اللَّهِ إِلَيْهِ قَدْ
خَلَعْتَ فِي عِبَادِهِ ، طُلُوعَ الْحَيَاةِ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ (٤) ، وَحُضُورَ الْمَوْتِ مِنْ مَعْدِنِ
الْحَيَاةِ .

وَبَرَزَ أَنْ سُلْطَانَ صِيقَلِيَّةِ أَرَقَى ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ ، فَأُرْسِلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ :
أُفِيدُ (٥) الْآنَ مَرْكَبًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا ، فَعَمَرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ (٦) وَأُرْسَلَهُ
لِحَبِينِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ
فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ (٧) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ امْتَكَلْتُ أَمْرَكَ وَأَتَقَدَّثُ الْمَرْكَبَ ، فَرَجَعَ بَعْدَ
سَاعَةٍ ، وَسَيَحْدُثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ (٨) ، فَجَاءَ [مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ] (٩) وَمَعَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ

(١) في « م » : « طالما » .

(٢) في « م » : « قبضته » .

(٣) « قد » عن « ط » .

(٤) شفار الموت : حافته .

(٥) أُفِيدَ : أُرسِلَ .

(٦) عَمَرَ الْمَرْكَبَ : أَعَدَّهُ .. وفي « م » : « عمد » بالذال ، أى : أقامه بمصادره ودَعَمَهُ .

(٧) « به » عن « ط » ولم ترد في « م » .. وكذا « قد » بعدها .

(٨) قوله : « وسَيَحْدُثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ » عن « ط » .. ومُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ : قائده والمسئول عنه .

(٩) ما بين المقفولين عن « م » .

الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ بِالْمَرْكَبِ ^(١) فَبَيْنَا أَنَا فِي جُوفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَارُونَ يُقَذَّفُونَ ^(٢) إِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ ، يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ^(٣) ، يُكْرِّرُهَا مِرَارًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا نَادَيْتَاهُ مِرَارًا : يَا لَيْكَ يَا لَيْكَ ، وَهُوَ يُنَادِي : يَا اللَّهُ يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : يَا لَيْكَ يَا لَيْكَ ، وَقَدْفَتَا ^(٤) الْمَرْكَبَ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَالْفَيْنَا هَذَا الرَّجُلَ غَرِيبًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَأَخَذْنَاهُ ^(٥) مِنَ الْبَحْرِ ، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : كُنَّا مُقْلَعِينَ مِنْ إفْرِيقِيَّةٍ فَفَرَقْتُ سَفِينَتَنَا مِنْذُ أَيَّامٍ ، وَمَا زِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِالْغَوْثِ مِنْ نَاجِيَتِكُمْ ! فَسَبَّحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا ، وَأَرَقَّ جَبَارًا فِي قَصْرِهِ لِعَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ : ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ !

وَأُغْبِرَنِي رَجُلٌ كَانَ إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كُنْتُ بِصِيقَلِيَّةٍ أَيَّامَ بَنِي الْعُدُوِّ ، فَزَحَفَ إِلَيْنَا فِي الْبَحْرِ سَفْنٌ تُقَارِبُ مِائَةَ ^(٦) سَفِينَةٍ ، وَأُرْسَتْ فِي السَّاحِلِ ، فَرَأَيْنَا أَمْرًا مَهُولًا ، وَفِينَا الشَّيْخَ الصَّالِحَ الْعَابِدَ ابْنَ الْمُسْتَطَارِيِّ ^(٧) ، فَلَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَجْمَعُوا حَوْلَهُ يَتَّبِعُونَ بِهِ ، وَيَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : فَنَظَرُ إِلَى السَّمَاءِ حِينًا وَسَجَدَ وَعَفَّرَ خَدَيْهِ بِالْأَرْضِ يُقَلِّبُهُمَا ^(٨) يَمِينًا وَشِمَالًا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبْنَا حَتَّى هَبَّتْ رِيحٌ مَرَّقَتْهَا كُلُّ مَمَرٍ ^(٩) ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا اثْنَانِ .

(١) فِي الْمَرْكَبِ .

(٢) يُقَذَّفُونَ .. وَمِنَ الْقَذَافِ ، وَالْقَذْفُ ، وَهُوَ : الْمَجْدَافُ .

(٣) فِي « د » : « يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ .. » .

(٤) قَدْفَتَا : دَفَعْنَا .

(٥) فِي « د » : « فَاسْتَقْبَلْنَاهُ .. وَهُوَ بِمَعْنَاهَا .

(٦) فِي « ط » : « ثَلَاثُمِائَةٍ » .

(٧) فِي « د » : « ابْنُ الْمُسْتَطَارِيِّ » لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٨) فِي « د » : « يُقَلِّبُهَا » لَا يَصِحُّ .

(٩) أَيْ : فَرَّقَتْ سَفْنُ الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ جِهَةٍ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ فَاتِلِكٍ ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : كُنْتُ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ ، فَعَطِشَ النَّاسُ ^(٢) فِي مَفَارِزِ ثُبُوكَ ، فَفَقِدَ ^(٣) الْمَاءَ ، وَلَمْ يُوجَدْ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبِ لِي جَمَالٍ ، فَجَعَلَ يَبِيعُهُ بِالذَّنَائِيرِ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ كَانَ مَوْسُومًا بِالصَّلَاحِ ، عَلَيْهِ مُقَطَّعَةٌ ، يَحْمِلُ رِكْوَةً ^(٤) ، وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنْ دَقِيقٍ ، فَتَشَفَّعَ بِي إِلَى الْجَمَالِ لِيَبِيعَهُ الْمَاءَ بِذَلِكَ الدَّقِيقِ ، فَكَلَّمْتُهُ فَأَتَى ^(٥) ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ فَأَتَى ، قَالَ : قَبِطَ الرَّجُلُ النُّطْعَ فِي الْأَرْضِ وَتَكَرَّرَ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ ، ثُمَّ رَمَى السَّمَاءَ ^(٦) وَقَالَ : إِلَهِي ، أَنَا عَبْدُكَ ، وَهَذَا دَقِيقُكَ ، وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ أَتَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَيْهِ فِي النُّطْعِ وَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَبْرَحُ ^(٧) حَتَّى أَشْرَبَ ، فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا حَتَّى نَشَأُ السَّحَابُ ، فَأَمْطَرَ لِلْحَجِينِ ، فَشَرِبَ الْمَاءَ وَلَمْ يَبْرَحْ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ » ^(٨) لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأُبرَّهُ ^(٩) .

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُسْنِدٌ مِمَّنْ كَانَ يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ ، يُقَالُ لَهُ : جَرِيرٌ ^(١٠) قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَافِي الدِّيَاجِي ، قَالَ : رَأَيْتُ بِالْقَيْرَوَانِ آيَةً عَظِيمَةً ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِصَبِيٍّ ^(١١) لَهُ وَقَدْ أُسْكِنَتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ

(١) في (م) : « هائل » مكان « فاتلك » .

(٢) في (م) : « فعطش القائل » .

(٣) في (م) : « فقد » .

(٤) في (م) : « عليه قطعة ينطع يحمل ركوة » .. والمُقَطَّعَةُ : القصير من الملابس ، وكل ما يفتصل ويخاط ويخجل ملابس ، كالقمصان والجباب وغيرها .. والنطع : البساط من الجلد .. والركوة : الإناء الصغير .. وقد مرث .

(٥) في (ط) : « فأتى علي » .

(٦) السماء : لم ترد في (م) .. وَرَمَى السَّمَاءَ : أدام النظر إليها .

(٧) لا يبرح : لا أغلور مكانى .

(٨) في (م) : « رُبُّ ذِي طِمْرَيْنِ » والطمر : الثوب البالي .

(٩) لا يؤبه له : لا يلتفت إليه ولا يهتم به .. وأبره : أجابه إلى ما أقسم عليه .. والحديث رواه مسلم في كتاب

البر .. والترمذي في المتابع .

(١٠) في (ط) : « حرير » .

(١١) في (م) : « لصبي » تحريف .

الرَّحْمَنِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ أُسْكِنَتْ مِنْذُ أَيَّامٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرْجَعَ
مَا نَزَلَ بِهِ ، قَالَ : فَدَعَا الشَّيْخُ سَاعَةً ، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَ الصَّبِيِّ ، فَاسْتَفَاقَ الصَّبِيُّ ، فَقَالَ
لَهُ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ انْقَفَتْ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : اكْتُمْنَا عَلَى إِلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ انْقَفَتْ ^(١) إِلَى
جَارِيَتِهِ فَقَالَ : اكْتُمِي عَلَى هَذَا ^(٢) إِلَى الْمَوْتِ وَأَنْتِ حُرَّةٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تَوَفَّى الشَّيْخِ
أَبُو بَكْرٍ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِحِجَازَتِهِ ، وَكَثَارَتِ الْأُمَمُ ، قَامَ ^(٣) الرَّجُلُ فَاسْتَنْصَتَ النَّاسُ ،
فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْقَيْرَوَانِ ، اسْمَعُوا قِصَّتِي مَعَ هَذَا الشَّيْخِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا
سَمِعْنَاهُ .

وَحَدَّثَنِي هَذَا الشَّيْخُ قَالَ : نَزَلَ ^(٤) عِنْدَنَا بِالْقَيْرَوَانِ قِصَّةٌ لَمْ يُسْمَعْ فِي السَّالِفِينَ
بِطُلَاهَا ^(٥) ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْجَزَائِرِ أَضْجَعَ كَبْشًا لِيَذْبَحَهُ ، فَخَبِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَقْلَتْ مِنْهُ
وَذَهَبَ ، فَقَامَ الْجَزَائِرُ يَطْلُبُهُ ، وَجَعَلَ يَمْشِي إِلَى أَنْ دَخَلَ عَرَبِيَّةً ، فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ
يَتَخَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَفَرَعَ وَخَرَجَ هَارِبًا ، وَإِذَا ^(٦) صَاحِبُ الشَّرْطَةِ وَالرَّجَالَةُ ^(٧) عِنْدَهُمْ خَبِيرٌ
الْقَبِيلِ ، وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ خَبِيرَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، فَأَصَابُوا يَدَيْهِ السَّكِينِ وَهُوَ مُلَوَّثٌ بِالدَّمِ ،
وَالرَّجُلُ مَقْتُولٌ بِالْخَرِيبَةِ ، فَقَبَضُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا زَالُوا يَسْتَطِيقُونَهُ ^(٨) وَهُوَ يَعْتَرِفُ اعْتِرَافًا لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، فَأَمَرَ بِهِ

(١) في د م : : ثم انفت الرجل .

(٢) في د م : : اكتمى هذه على .

(٣) في د م : : فقام . والجنابة ، بفتح الجيم وكسرهما : التعش ووراءه المشيعون .

(٤) نزل : حدث . ول د م : : نزلت .

(٥) في د م : : بطليها .

(٦) في د م : : فلذا .

(٧) الرجالة : جمع راجل ، وهو خلاف الفارس .

(٨) يستطيقونه : يطلبون منه أن يتكلم بإسهاب .

السُّلْطَانُ لِيُقْتَلَ ، فَأُخْرِجَ لِلْقَتْلِ ، وَاجْتَمَعَ الْأُمَمُ لِيُبْصِرُوا ^(١) قَتْلَهُ ، فَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ انْدَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلْفَةِ الْمُجْتَمِعِينَ ^(٢) فَقَالَ لَهُمْ : لَا تَقْتُلُوهُ ، أَنَا قَاتِلُ الْفَتِيلِ ، فَقَبِضَ وَحْمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَعْتَرَفَ ، وَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : قَدْ كُنْتَ مُعَافًى مِنْ هَذَا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ يُقْتَلُ ظُلْمًا فَكَّرَيْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِدَمِ رَجُلَيْنِ ! فَأَمَرَ بِهِ السُّلْطَانُ فَقُتِلَ ، ثُمَّ قَالُوا لِلرَّجُلِ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْقَتْلِ وَأَنْتَ بَرِيٌّ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : فَمَا جِئْتَنِي ؟ رَجُلٌ مَقْتُولٌ بِالْخَرِيبَةِ ، وَأَخَذُونِي وَأَنَا خَارِجٌ مِنَ الْخَرِيبَةِ ^(٣) وَيَبْدَى السَّكِينُ مُلْطَحَةً بِالدَّمِ ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ مَنْ يَقْبَلُنِي ؟ وَإِنْ اِعْتَدَرْتُ مَنْ يَعْذِرُنِي ؟ فَخَلَّى سَبِيلَهُ وَانْصَرَفَ مُكْرَمًا .

وَلَمَّا وَزَّرَ ^(٤) فَخَرُ الْمُلْكُ نِظَامُ الدِّينِ لِسَنْجَارِ الْمَلِكِ ^(٥) ، وَكَانَ لِفَخْرِ الْمَلِكِ ابْنُ عَمٍّ يُقَالُ لَهُ شِهَابُ الْمُلْكِ ، وَكَانَ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى مَنْزِلَتِهِ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ سَنْجَارُ : لَا حَيَاةَ لِي مَعَكَ إِلَّا أَنْ تُقْتَلَ ابْنُ عَمِّي شِهَابُ الْمُلْكِ ، فَأَبَى سَنْجَارُ ، فَمَا زَالَ يَرِاجِعُهُ إِلَى أَنْ أَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ ^(٦) بَيْهَقُ ، وَكَانَ وَالِي ذَلِكَ الْبَلَدِ ^(٧) يُكْرِمُهُ لِجَلَالَتِهِ وَجَلَالَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَخْلَى لَهُ دَارًا فِي الْقَلْعَةِ مُشْرِقَةً ^(٨) ، ثُمَّ جَمَلَ فَخْرُ الْمُلْكِ يُفْسِدُ قَلْبَ

(١) ليصروا : ليراو وينظروا .

(٢) في « م » : « المجتمعة » وكلاهما صواب .

(٣) في « م » : « في الخربة » .

(٤) وَزَّرَ : صار وزيرًا .

(٥) في « م » : « لسنجار » بدون إضافة « الملك » إليه .. واسمه في ابن الأثير وغيره من المصادر : « سَنْجَر » وفخر المُلْك هو : علي بن الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو المظفر ، فخر المُلْك ابن نظام المُلْك .. وزير ، وأصل أبيه من طوس .. تولى الوزارة للسُّلْطَان « بركيارق » سنة ٤٨٨ هـ ، ثم فارقه فاصبحا تيسابور ، فامتوزره صاحبها الملك « سنجار » فاغثاله فيها أحد الباطنية . وكان أكبر أولاد نظام المُلْك .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٧٣] .

(٦) في « ط » : « لها » .. وبَيْهَقُ : لفظه فارسية معناها : الأجود .. وهي كورة واسعة ، كانت كثيرة البلدان والعمارة ، من نواحي تيسابور . [انظر معجم البلدان - مادة بيهق] .

(٧) في « م » : « تلك البلدة » .

(٨) مُشْرِقَةً : عالية .

سَنَجَارَ وَيَحْمِلُهُ عَلَى قَتْلِ شِهَابِ الْمَلِكِ ، إِلَى أَنْ أُرْسَلَ سَنَجَارُ إِلَى وَالِيهِ يَقْتُلُ شِهَابِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَعْظَمَ الْوَالِي قَتْلَهُ وَأَحْرَقَهُ أَبَاحًا ، ثُمَّ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ قَتْلِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَبَيَّنَّا شِهَابِ الْمَلِكِ يَطْلُعُ مِنْ طَاقَاتِ الدَّارِ ، إِذَا ^(١) بِفَارِسٍ يَرْكُضُ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ حَيْفَةً مِنْهُ ، وَقَالَ : هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنِي ^(٢) ، فَوَصَلَ الْفَارِسُ وَقَالَ : مَاتَ فَحَرُّ الْمَلِكِ ، فَخَلَّى سَبِيلَ شِهَابِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ وَزَرَ ^(٣) لِسَنَجَارٍ ! فَسَبَّحَانَ الْفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ .

أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُعَبِّرُ بِمَصْرَ قَالَ : كَانَ بِمَصْرَ مُلُوكُ بَنِي حَمْدَانَ ^(٤) ، وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ^(٥) ، وَكَانَ يَشْكُو وَجَعَ الْقَوْلَجِ ^(٦) ، فَأَعْيَا الْأَطِبَّاءَ وَلَمْ يَوْجِدْ لَهُ شِفَاءً ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَرْصِدَ لَهُ رَجُلٌ مَعَهُ خِنْجَرٌ ، فَلَمَّا جَاءَ ^(٧) فِي بَعْضِ دَهَالِيزِ الْقَصْرِ ، وَتَبَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخِنْجَرِ ، فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ فِي أَسْفَلِ خَاصِرَتِهِ ^(٨) ، فَأَصَابَ طَرَفَ الْخِنْجَرِ الْيَمْنَى الَّذِي هُوَ الْقَوْلَجُ ، فَخَرَجَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلِيطِ ^(٩) ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَصَحَّ وَبَرِيَءَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ .

(١) في د م : : وإذا .

(٢) في د م : : يريد قتلِي .

(٣) في د م : : ثم ولَّى لسنجار .

(٤) ملوك بني حمدان يُنسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن حمدون الذي كان عاملاً على الموصل للمعتضد بالله العباسي .. ولَّى العباسيون الحمدانيين في الموصل وأرض الجزيرة والشام ، ثم استقل الحمدانيون بالأمر ، وبسطوا سلطانهم على حلب وشمال سورية في عهد علي بن عبد الله سيف الدولة ، وكانت بداية انحطاطهم في عهد سعد الدولة ، وقضى عليهم الفاطميون .

(٥) ناصر الدولة هو : الأمير أبو علي الحسن الحمداني ، نشأ بمصر ، وولى فيها قيادة جيوش المستنصر لدين الله الفاطمي .

(٦) القولج : مرض يمتوئ يصعب معه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون (الوبى الغليظ الضيق الذي يتصل بالمستقيم) .

(٧) في د م : : فلما كان .

(٨) في د م : : أسفل في خاصرته ، والخاصرة : ما بين رأس الزورك وأسفل الأضلاع .. وهما خاصرتان .

(٩) قوله : من الخلط عن ط .

وَلَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَلْتُ سَفْنُ الْعُلُوِّ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ بَرْقَا ^(١) ، فَأَخَذُوا قَوْمًا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَأَسْرَوْا بَعْضَهُمْ ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَشَدَّ كِتَافَهُ مِنْ
 خَلْفِهِ ^(٢) ، فَلَمَّا نَهَبُوا السَّفِينَةَ عَمَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْلَاجِ ^(٣) قَرْفَسَهُ وَالْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ،
 ثُمَّ طَعَنَهُ بِرُمْحٍ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُخْطِئْ ^(٤) نَصْلُ الرُّمَحِ خَبَلَ الْكِتَافِ فَقَطَعَهُ وَانْحَلَّتْ
 يَدُ الرَّجُلِ ، فَسَبَّحَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّاطِئِ سَلِيمًا ، وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي عَاقِبَةِ .
 وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الشَّامِيِّينَ أَنَّ رَجُلًا خَبَرَا ^(٥) يَتِمَّا هُوَ يَخْبِزُ فِي ثَنُورِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ
 إِذْ عَبَّرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْبُشْمِشَ ^(٦) ، قَالَ : فَاسْتَتَرَى مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ بِالْخُبْزِ
 الْحَارَّ ، فَلَمَّا قَرَعَ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَتَنَظَّرُوا ^(٧) فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ
 بِهِ ، وَيَحْمِلُونَ لَهُ الْأَطِبَّاءَ فَيَلْمِسُونَ دَلَالَتَهُ وَمَوَاضِعَ ^(٨) الْحَيَاةِ مِنْهُ ، فَقَضَوْا بِأَنَّهُ
 مَيِّتٌ ، فَفُتِّلَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ إِلَى الْجَبَانَةِ ، فَبَيَّنَّا هُمْ تَحَارِجُونَ بِهِ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ
 اسْتَقْبَلَهُمْ رَجُلٌ طَيِّبٌ يُقَالُ لَهُ : الْبُشْرُودِيُّ ، وَكَانَ طَيِّبًا مَاهِرًا حَازِقًا بِالطُّبِّ ، فَسَمِعَ
 النَّاسَ يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ ^(٩) فَقَالَ لَهُمْ : حُطُّوهُ حَتَّى أَرَاهُ ، قَالَ : فَحَطُّوهُ ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ
 وَيَنْظُرُ فِي أَمَارَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ فَمَهُ وَسَفَفَهُ شَيْئًا ، أَوْ قَالَ : حَقَنَهُ ،
 فَأَنْدَفَعَ مَا هُنَالِكَ يَسِيلُ ، وَإِذَا الرَّجُلُ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَكَلَّمَ ، وَعَادَ كَمَا كَانَ إِلَى دُكَّانِهِ .

(١) « بَرْقَة » هكنا في « م » وفي معجم البلدان .. وفي « ط » : « بَرْقَا » بِالْأَلْفِ .. وَهِيَ اسْمُ صَنْعٍ كَبِيرٍ
 بِشَمْلٍ عَلَى مُدُنٍ وَقُرَى بَيْنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَالْفَرَفِقَةِ .

(٢) في « م » : « وَشَدَّ كِتَافَهُ وَخَلَفَهُ » .. وَالْكِتَافُ : مَا شَدَّ بِهِ ، مِنْ حَبْلِ وَغَوِي .

(٣) أَيْ : قَصَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّجَالِ الْغِلَاطِ الْأَشْيَاءَ .

(٤) في « م » : « فَلَمْ يُخْطِئْ » .

(٥) في « م » : « وَكَانَ رَجُلًا خَبَرَا » .. وَالثَّنُورُ : الْفَرْنُ .

(٦) الْمَشْمِشُ : الْفَلَاحَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَهِيَ مُثَلَّثُ الْمِيمِ .

(٧) في « م » : « فَتَنَظَّرَ » .

(٨) في « م » : « وَمَوَاضِعَ » .

(٩) يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ : يَرُدُّونَهَا .

وَكَانَ رَجُلٌ يَمْشِي بَيْنَدَادَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِدَارٍ قَدْ وَقَعَتْ ^(١) عَلَيْهِ فَخَرَّتْ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا فِي الْحَائِطِ طَاقَةٌ قَمَا أَخْطَأَتْ رَأْسَهُ ، فَصَارَتْ الدَّارُ كَوْمًا ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الطَّاقَةِ سَلِيمًا .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْحِمَنِ فِي أَرْضِ الصُّلَيْحِيِّ ^(٢) فَوُشِيَ بِي إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِي ، فَأَخْرَجْتُ وَقَدْ مِتُّ ^(٣) لِلْقَتْلِ ، وَتَرَكَنِي السِّيفُ ثُمَّ قَالَ لِي ^(٤) : مَدِّ رَقَبَتَكَ ، فَمَدَدْتُ عَنْقِي لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ لِي السِّيفُ : اسْتَنْدُ ، فَقُلْتُ : دُونَكَ يَا هَذَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا بِصَائِحٍ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ : لَا تَقْتُلُوهُ ، لَا تَقْتُلُوهُ ، فَحَلُّوا سَبِيلِي ^(٥) .

وَجَرَتْ بِقُرْطَبَةَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا يُعْرِفُ بِقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّبْسَبِيِّ ^(٦) شَهِدَ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ ، فَحَبَسَهُ الْمَنْصُورُ مُدَّةً مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَذْبَاءِ مِنْ وَجْهِهِ قُرْطَبَةَ يَرْمُقُونَ ^(٧) بِالْإِنْهَمَاكِ فِي الزُّنْدَقَةِ ^(٨) ، وَكَانَ يُنَادِي عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يُوقِفُونَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِيَابِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فِيهِمْ فَلْيُؤَدِّهَا . فَكَبَّتْ عَلَى قَاسِمٍ عِنْدَ الْقَاضِي سِجْلُ شَهَادَاتِ الشُّهُودِ ^(٩) بِأَلْوَاعٍ مُنْكَرَةٍ ^(١٠) تَتَضَمَّنُ الزُّنْدَقَةَ وَالْكَفْرَ ، فَطَلَعُوا إِلَى الْقَصْرِ وَعَقَّنُوا مَجْلِسًا

(١) في م : « إذا بدار وقعت » .

(٢) الصُّلَيْحِيُّ : نسبة إلى الصُّلَحِيِّين ، وهم سلالة حكمت اليمن ، وكانت تابعة للخلافة الفاطمية .

(٣) في م : « فَمَدَدْتُ » .

(٤) في م : « وقال لي » .

(٥) في م : « لا تقتلوه وتحلوا سبيله » .

(٦) نسبه إلى « سَبْسِيس » وهو أبو حنن من طيء .

[انظر لسان العرب - مادة : سبسيس .. والأعلام ج ٦ ص ١١٦ ترجمة السَّبْسَبِيِّ « محمد بن خليفة »] .

(٧) هكذا في م .. ويرمقون : يتهمون . أو يُنظر إليهم شئراً نظر العداوة .. وفي ط : « يرمقون بالرفع ، على أنها خبر لمبتدأ مخذوف ، والأفضل فيها الجبر على الوصفية .

(٨) في ط : « بالإنهماك والزندقة » .

(٩) في م : « سيجل الشهادات من الشهود » .

(١٠) « منكرة » عن ط .

عَظِيمًا ^(١) ، وَاسْتَشِيرَ الْفُقَهَاءَ فِيهِ ، فَأَوْجِبُوا قَتْلَهُ ، فَاسْتَحْضَرَ قَاسِمٌ فَحَضَرَ ، وَحَضَرَ
 أَبُوهُ ، وَحَضَرَ ابْنَانِ صَغِيرَانِ لِقَاسِمٍ ، وَلِيسُوا ثِيَابَ الْحِدَادِ ، وَحَمَلَ أَبُوهُ مَعَهُ نَعْشًا
 وَحَمَالَيْنِ ^(٢) ، وَجَعَلَ أَبُوهُ وَالصَّبِيَّانِ يَتَكُونَنَّ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَأَخْضَرَ ^(٣) لِيَضْرِبَ
 عَنْقَهُ سَيْفٌ يُعْرِفُ بِأَبْنِ الْجُنْدِيِّ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ أَسْيَافٌ مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَعَلَ يُرْوِزُهَا
 وَيَلْمِسُ شِفَارَهَا ^(٤) ، وَأَبُوهُ وَابْنَاهُ يَنْظُرُونَ ^(٥) ، وَحَضَرَ الْفَقِيهَ أَبُو عَمْرِو الْمَكُودِيُّ
 الْإِشْبِيلِيُّ ^(٦) عَلَى كُرْهِ مِنْهُ ، وَكَانَ يَأْتِي الْحُضُورَ ، فَاسْتَفْتَوْهُ فَقَالَ : يَا هَوْلَاءِ ، إِنَّ
 الدَّمَاءَ لَا تُسْفَكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ ^(٧) دُونَ الشُّبْهِ ، احْسَبُوا أَنَّ السَّنْبِسِيَّ قُرُوجًا ،
 بِمَاذَا تَذَبُّحُونَهُ ^(٨) ؟ فَقَالَ الْقَاضِي ابْنُ الشَّرَفِيِّ : بِمَا ثَبَتَ عِنْدِي وَأَمْنَعْتُ النَّظَرَ فِيهِ .
 قَالَ الْفَقِيهَ : أَوْفَنِي عَلَيْهِ . فَأَخَذَ السَّجْلَ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : أُخْبِرْنِي بِمَنْ قَتَلْتَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ
 الشُّهُودِ ؟ قَالَ بِهِذَا وَهَذَا ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً . قَالَ الْفَقِيهَ : فَجَمِيعِهِمْ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ :
 نَعَمْ ^(٩) . قَالَ : فَلَوْ شَهِدَ مِنْهُمْ ابْنَانِ خَاصَّةً كُنْتَ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ لَا ، إِنَّمَا قَوَى بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا ، وَزَكَّى أَكْثَرُهُمْ عِنْدِي . فَالْتَفَتَ الْفَقِيهَ إِلَى الْفُقَهَاءِ الْمَشَاوِرِينَ فَقَالَ ^(١٠) :

(١) في م : : : : : وعقيد مجلس عظيم .

(٢) في م : : : : : نعش وحمالون بالرفع ، لاتصح .. والصواب بالنصب على المفعولية .

(٣) في م : : : : : فأخضر .

(٤) يروزها : يختيرها ويجريها .. وشفارها : خذها وحروفها .

(٥) في ط : : : : : ينظرون .

(٦) في م : : : : : أبو عمرو بن اللوى الإشبيلي لم أقف على ترجمة له .

(٧) الواضح عن ط .

(٨) في م : : : : : تلجوه لاتصح .

(٩) من قوله : قال نعم إلى تقتله عن ط وساقط من م .

(١٠) في ط : : : : : فقالوا .. والأول هو المراد .

يَا هَوْلَاءِ ، بِالْذَّعَائِمِ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَكُمْ وَتُسْفَكَ ^(١) دِمَاؤُهُمْ ، فَلَسْتُ أَرَى قِتْلَهُ
وَلَا أَشِيرُ بِهِ .

فَرَجَعَ الْفَقَّاهُ إِلَى قَوْلِهِ وَلَمْ يَرَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَمَا اقْتَرَا بِقَتْلِهِ مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَانْقَضَ
الْجَمْعُ وَشِيمَ السَّيْفِ ^(٢) وَطَارَ الْبَشِيرُ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَأَخْبَرَهُ بِالْمَجْلِسِ ، فَقَالَ ابْنُ
أَبِي عَامِرٍ : مَضَيْتُمْ تَقْتُلُونَ ابْنَ السَّنْبِسِيِّ ، فَذَقْتُمْ الْقَاضِيَّ .. قَدْ اجْتَهَدْنَا لِلدِّينِ وَلَا قَاتِلَ
لِمُوجِلٍ ، فَحُبْسَ أَيَّامًا ثُمَّ أَطْلَقَ ، فَكَانَ ابْنُ ذَكْوَانَ الْفَقِيهَ يَقُولُ لِلْقَاضِي فِي يَمَلٍ هَذَا
إِذَا سُئِلَ ^(٣) : بِمَ عَرَفْتَ اللَّهَ ؟ قَالَ : بِتَقْضِيهِ عَزَائِمِي ، وَمَعْنَى الذَّعَائِمِ عَلَى لِسَانِ
الْفَقِيهِ ، هُمْ الشُّهُودُ الَّذِينَ لَوْ انْفَرَدَ مِنْهُمْ اِثْنَانِ لَمْ يَثْبُتِ الْحُكْمُ ، وَلَا قَبْلًا فِيهِ ، فَإِذَا
كَثُرُوا قَوَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَثْبُتُ الْحُكْمُ بِهِمْ .

وَفِي تَقْيِيزِ هَذَا حَدَّثَنِي ^(٤) الْقَاضِي أَبُو مَرْوَانَ الدَّائِي بِطَرُوشَةَ ، وَقَدْ وَلَّى
قَضَاءَهَا ، فَقَدْ أَكْرَأَ ^(٥) يَوْمًا فَقَالَ : تَرَكْتُ قَافِلَةً بِقَرْيَةِ خَرِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ دَائِيَّةٍ ^(٦) فَأَوَّوْا
إِلَى دَارِ خَرَابٍ هُنَاكَ لِيَسْتَكْبُوا ^(٧) مِنَ الرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ ، وَاسْتَوْقَدُوا نَارَهُمْ ، وَسَوَّوْا
مَعِيشَتَهُمْ ، وَفَرَّبَ تِلْكَ الْخَرِيَّةَ حَائِطٌ مَائِلٌ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْوُقُوعِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ
لِأَهْلِ الْقَافِلَةِ : يَا هَوْلَاءِ ، لَا تَقْعُدُوا تَحْتَ هَذَا الْحَائِطِ وَلَا تَدْخُلُوا هَذِهِ الْبُقْعَةَ ، فَأَبَوْا
إِلَّا دُخُولَهَا ، وَبَاتَ الرَّجُلُ مُتَنَبِّدًا ^(٨) خَارِجًا عَنْهُمْ ، لَمْ يَقْرَبْ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، ثُمَّ
أَصْبَحُوا فِي عَافِيَةٍ ، وَحَمَلُوا ذَوَابَهُمْ ، فَبَيَّنَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الرَّجُلُ الْخَرِيَّةَ

(١) فِي « ط » : « وَتُسْفَكَ » .

(٢) شِيمَ السَّيْفِ : أَغْيَمَ .

(٣) فِي « ط » : « فِي يَمَلٍ هَذَا قَالَ الْقَاتِلُ : إِذَا سُئِلَ » .

(٤) فِي « ط » : « مَا حَدَّثَنِي » .

(٥) فِي « م » : « فَذَاكَرَ » .

(٦) دَائِيَّةٌ : مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَةِ عَلَى ضِفَةِ الْبَحْرِ شَرْقًا .

(٧) لِيَسْتَكْبُوا : لِيَسْتَرُوا .

(٨) مُتَنَبِّدًا ، أَيْ : مَصْنَعًا مَكَانًا يَبِينَا عَنْ الْقَوْمِ وَمَنْعَزَلًا عَنْهُمْ .

لَيْسَتْ وَقَدْ^(١) يَبْقَى النَّارِ ، فَحَرَّ عَلَيْهِ الْحَائِطُ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ^(٢) .

وَلَقَبْنِي عَنْ بَعْضِ الْفَقَهَاءِ أَنَّ جَيْشَنَا مِنَ الْجَبُوشِ كَانَ بِصِفَلِيَّةٍ نَاهِيَةً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَقَعَدُوا سَاعَةً لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَإِذَا عَقَرَبٌ يَدْبُ^(٣) ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ الْأَجْنَادِ بِمِقْرَعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ الْمِقْرَعَةَ إِلَى نُحُو عُنُقِهِ ، فَإِذَا بِالْعَقَرَبِ قَدْ^(٤) تَشَبَّثَ بِأَهْدَابِ الْمِقْرَعَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَلَدَغَتْهُ فِي عُنُقِهِ ، فَقَضَى مَكَانَهُ^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ يَبْعُدَادَ جُزْءًا مِنَ الْحَدِيثِ فِي حَاثُوتِ رَجُلٍ يَبِيعُ الْعِطْرَ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُ فِي الْحَاثُوتِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الطَّوَائِفِ مِنْ بَيْعِ الْعِطْرِ فِي طَبَقٍ^(٦) يَحْمِلُهُ فِي يَدِهِ ، فَأَعْطَاهُ^(٧) عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيَّ^(٨) أَشْيَاءَ سَمَّاهَا مِنَ الْعِطْرِ ، فَأَخَذَهَا فِي طَبَقِهِ وَمَشَى ، فَسَقَطَ الطَّبَقُ مِنْ يَدِهِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ ، فَبَكَى الطَّوَّافُ وَجَزِعَ حَتَّى رَحِمْنَاهُ ، فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : لَعَلَّكَ تُجَبِّرُ لَهُ^(٩) بَعْضَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، قَالَ : نَعَمْ . فَتَزَلَّ وَجَمَعَ مَا تَجَمَّعَ مِنْهَا ، وَجَبَّرَ لَهُ مَا تَقَصَّ ، وَأَقْبَلَ^(١٠) الشَّيْخَ عَلَى الطَّوَّافِ يُصَبِّرُهُ وَيَقُولُ لَهُ : لَا تُجَزَّغْ ، فَأَمَرَ

(١) في م : : ليسخن .

(٢) في م : : فقتله .

(٣) ل م : : تدب ، وكلاهما صواب ، فالعقرب تطلق على الذكر والأنثى ، فإذا أريد تأكيد العلكير ، قيل : عَقْرَبَان ، بضم العين والراء .

(٤) في م : : حتى ، مكان قد ، تحريف .

(٥) قَضَى : فَمَاتَ .. وفي م : : فلَدَغَتْهُ فَمَاتَ مَكَانَهُ .

(٦) من قوله : : فَبَيْنَا : إلى هنا عن م .. ومكانها في ط : : فجاء رجل طواف بيطبق .

(٧) في ط : : وأعطاه .

(٨) في م : : ادفع لي .

(٩) في ط : : تخبر لنا ، من جَبَّرَ الشَّيْءَ ، إِذَا أَخَذَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ وَتَعْوِضِهِ .

(١٠) في م : : فأقبل .

الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الطَّوْافُ : أَتَطْلُبُ أَيْهَا الشَّيْخُ أَنْ جَزَعِي لِضِيَاعٍ مَا ضَاعَ ؟
لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي ^(١) كُنْتُ فِي الْقَافِلَةِ الْفَلَانِيَّةِ ، فَضَاعَ لِي هِمَيَانٌ ^(٢) فِيهِ أَرْبَعُمِائَةٍ
دِينَارٍ ، أَوْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ - الشُّكُّ مِنْ أَبِي ذَرٍّ - وَمَعَهَا فُصُوصٌ قِيَمَتُهَا مِثْلُ ذَلِكَ ،
فَمَا جَزَعْتُ لِضِيَاعِهَا ^(٣) ، وَلَكِنْ وَلَدْتُ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجْتُ ^(٤) فِي الْبَيْتِ
إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّفْسَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الْعَشْرَةِ الدَّرَاهِمِ ^(٥) ، فَاشْتَقْتُ
أَنْ أَشْتَرِيَ بِهَا خَوَاتِجَ النَّفْسَاءِ فَأَبْقَى ^(٦) بَعِيرٍ رَأْسَ مَالٍ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى التَّكْسِبِ ،
فَقُلْتُ : أَشْتَرِيَ بِهَا شَيْئًا وَأَطُوفُ بِهِ صَدْرَ نَهَارِي ^(٧) فَعَسَى اسْتَفْضِلُ مِنْهُ شَيْئًا أَسَدُ
بِهِ رَمَقٌ أَهْلِي ^(٨) وَيَبْقَى ^(٩) رَأْسُ الْمَالِ أَتَصَرَّفُ فِيهِ ، فَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِضِيَاعِهِ
جَزَعْتُ ، فَقُلْتُ : لَا عِنْدِي مَالٌ أَرْجِعُ بِهِ ^(١٠) إِلَيْهِمْ ، وَلَا مَا أُكْسِبُ بِهِ ، وَغَلِمْتُ
أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا الْفِرَارُ مِنْهُمْ وَتَرْكُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَهْلِكُونَ بَعْدِي ، فَهَذَا الَّذِي
أَوْجَبَ جَزَعِي ..

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ جَالِسًا عَلَى بَابِ دَارِهِ يَسْتَوْعِبُ
الْحَدِيثَ ، فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : أَنَا أَرْغَبُ إِذَا تَمَثَّمَتْ أَمْرُهُ ^(١١) أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُ

(١) « تعالى » عن « ط » وفيها : « متى » مكان « ألى » .

(٢) هِمَيَانٌ : كَيْسٌ لِلتَّفَقُّعِ يُشَدُّ فِي الْوَسْطِ .

(٣) فِي « م » : « فَمَا جَزَعْتُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَلَكِنْ طَلَعْتُ فِي اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجُ .. » .

(٥) فِي « م » وَ « ط » : « الْعَشْرَةُ دَرَاهِمٍ » .

(٦) فِي « م » : « وَأَبْقَى » .

(٧) فِي « ط » : « وَأَطُوفُ صَدْرَ نَهَارِي » .

(٨) فِي « ط » : « اسْتَفْضِلُ شَيْئًا أَسَدُ بِهِ رَمَقِي » .

(٩) فِي « م » : « وَرَمَقٌ » مكان « وَيَبْقَى » تحريف .

(١٠) فِي « م » : « مَا عِنْدِي مَا أَرْجِعُ بِهِ » .

(١١) فِي « م » : « فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : إِذَا تَمَثَّمَتْ أَمْرُهُ فَأُرِيدُ .. » .

عِنْدِي ، وَقَامَ ، فَظَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ ^(١) شَيْئًا ، قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَنَا ،
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ لِلطَّوْافِ : عَجِبْتُ مِنْ جَزَعِكَ ! فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ :
وَكُنْتُ فِي تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَانَ بِهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ ^(٢) فُلَانٌ وَفُلَانٌ ،
فَعَلِمَ الْجُنْدِيُّ صِحَّةَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَامَةُ الْهِمَيَّانِ ؟ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ سَقَطَ
مِنْكَ ؟ فَوَصَفَ ^(٣) الْمَكَانَ وَالْعَلَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنْدِيُّ : لَوْ رَأَيْتُهُ كُنْتُ تَعْرِفُهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ الْجُنْدِيُّ هِمَيَّانًا ^(٤) وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ ^(٥) : هَذَا هِمَيَّانِي ،
وَعَلَامَتُهُ صِحَّةُ قَوْلِي أَنَّ فِيهِ مِنَ الْأَحْجَارِ مَا صِفْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَفَتَحَ الْهِمَيَّانُ فَوَجَدَ
الْأَحْجَارَ عَلَى مَا ذَكَرَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : خُذْ مَا لَكَ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ ، فَقَالَ الطَّوْافُ :
هَذِهِ الْأَحْجَارُ قِصَّتُهَا مِثْلُ الذَّنَائِيرِ أَوْ أَكْثَرُ ، فَخُذْ أَتُ الدَّنَائِيرِ ، فَتَفْسِي طَيِّبَةٌ بِذَلِكَ .
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : لَا آخُذُ ^(٦) عَلَى أَمَانَتِي شَيْئًا . فَدَخَلَ الطَّوْافُ وَهُوَ مِنَ الْفُقَرَاءِ ،
وَخَرَجَ وَهُوَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَبَكَى الْجُنْدِيُّ بُكَاءً شَدِيدًا وَاتَّحَبَ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ
أَبُو حَفْصٍ : عَلَامٌ ^(٨) تَبْكِي وَقَدْ أَدَّى اللَّهُ أَمَانَتَكَ ، وَقَدْ بَدَّلَ لَكَ مَالًا كَثِيرًا ، وَإِنْ
شِئْتَ عَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُعِيْدَهُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِي لِذَلِكَ ، وَلَئِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي أَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ يَفِي ^(٩) أَمْلَ أَوْمَلُهُ وَلَا أُمْنِيَّةً ائْتَمَّاهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنِي

(١) في م : يريد يعطيه .

(٢) في م : وكنت في تلك القافلة ، وكان بها من أعلام الناس .

(٣) في م : ووصف .

(٤) في م : هيمان ، بالرفع ، لا تصح .

(٥) في م : قال .

(٦) في م : ما كنت آخذ .

(٧) الانتحاب : البكاء الشديد .

(٨) في م : على ما والصواب : وصل ما بحرف الجر وحذف ألفها ، وقد سبق التعليق عليها .

(٩) في م : وإنه ما كان يفي لي .

الله بِصَاحِبِ هَذَا الْمَالِ فَيَأْخُذْهُ ^(١) ، فَلَمَّا قَضَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَلَمْ يَتَّقِ لِي
أَمَلٌ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ : فَمَا انْقَضَى شَهْرٌ حَتَّى تُوفِّيَ
وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْمُحْسَنِ ^(٢) بِالْمَوْصِلِ ، قَالَ : لَقَدْ جَرَتْ
هَاهُنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَهَذِهِ الدَّارِ وَهَذَا الْحَاوِثِ ^(٣) - وَأَشَارَ إِلَيْهَا - قِصَّةٌ
عَجِيبَةٌ ، كَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الدَّارَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ مِمَّنْ يُسَافِرُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي تِجَارَةِ
الْخَزْرِ ، فَيَبِئَمَا هُوَ يُحْمَلُ الْخَزْرُ فِي خُرْجِهِ ^(٤) عَلَى حِمَارِهِ ^(٥) وَهُوَ جَمِيعُ مَالِهِ ، تَزَلَّتْ
الْقَافِلَةُ ، فَأَرَادَ إِتْرَالَهُ عَنِ الْحِمَارِ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ إِنْسَانًا هُنَاكَ فَأَعَانَهُ عَلَى إِتْرَالِهِ ،
ثُمَّ جَلَسَ يَأْكُلُ ، فَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الرَّجُلَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ وَأَكَلَ مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ
عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَجَبَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ لِأَمْرِ أَرْعَجَهُ ذُو رَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
تَكُونُ مَعِيَ وَتُعِينَنِي عَلَى سَفَرِي وَيَكُونُ طَعَامُكَ عِنْدِي ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي حَرِيصٌ
عَلَى خِدْمَتِكَ وَمُحْتَاجٌ إِلَى طَعَامِكَ .

فَسَارَ مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ، فَخَدَّمَهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، قَالَ : فَوَصَلَا تَكْرِيتَ ^(٦) ،
فَتَزَلَّتِ الرُّفْقَةُ ^(٧) خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ
لِلْخَادِمِ : احْفَظْ رَحَلَتَا حَتَّى أَدْخُلَ وَأَشْتَرِيَ حَاجَتَنَا ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، فَأَبْطَأَ
هُنَاكَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَجِدِ الرُّفْقَةَ وَلَا وَجَدَ صَاحِبَهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمَّا رَحَلَتْ

(١) في م : : بصاحب هذا الهنيان فيأخذ ماله . .

(٢) في م : : أبو القاسم بن حبش . .

(٣) في ط : : والحانوت . وهو دكان البائع .

(٤) في م : : يُعْزَلُ الْخَزْرُ .. والخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عذقين ، يوضع على ظهر الدابة

لوضع الأمتعة فيه .

(٥) في م : : على حمار له . .

(٦) تكريت : مدينة في العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالى سامراء .

(٧) في م : : ونزلت القافلة .. والرَّفْقَةُ : الصُّحْبَةُ .

الرُّفْقَةُ ^(١) رَحَلَ مَعَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْعَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرُّفْقَةِ بَعْدَ الْجَهْدِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَقَالُوا : مَا جَاءَ مَعَنَا وَلَا رَأَيْنَاهُ ، وَلَكِنَّهُ ارْتَحَلَ الْأَسْبَابَ عَلَى الْحِمَارِ وَدَخَلَ ^(٢) عَلَى إِثْرِكَ ، وَظَنْنَاكَ أَمْرَهُ بِذَلِكَ .

فَكَرَّرَ الرَّجُلُ رَاجِعًا إِلَى تِكْرِيتَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا ، وَلَا سَمِعَ لَهُ خَبِيرًا ، فَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمُوصِلِ مَسْلُوبَ الْمَالِ ، فَوَافَاهَا ^(٣) نَهَارًا جَائِعًا غُرْبَانًا فَقِيرًا مَجْهُودًا ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يَدْخُلَ نَهَارًا فَيَشْمَتَ الْعَدُوُّ وَيَحْزَنُ الصَّدِيقُ ، فَبَيَّ حَتَّى أَمْسَى ثُمَّ دَخَلَ فَدَقَّ بَابَ الدَّارِ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ فَلَانٌ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، فَأَظْهَرُوا سُرُورًا عَظِيمًا وَحَاجَةً إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ ^(٤) ، حَمَلْتَ جَمِيعَ مَالِكَ ، وَطَالَ سَفَرُكَ ، وَاحْتَاجَ ^(٥) أَهْلُكَ ، وَقَدْ وُلِدْتَ ^(٦) الْيَوْمَ وَلَدًا ، وَوَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا مَا نَشْتَرِي بِهِ شَيْئًا لِلتُّسْغَاءِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ طَاوِيَةً عَلَى حَالِهَا ^(٧) فَتَحَيَّلَ لَنَا فِي دَقِيقِي وَدُهْنِ تُسْرُجٍ بِهِ ^(٨) ، فَلَا سِرَاجَ عِنْدَنَا . فَرَادَهُ ذَلِكَ غَمًّا ، وَكَرِهَ أَنْ يُحْبِرَهُمْ بِحَالِهِ فَيَحْزَنَهُمْ .

وَأَخَذَ ^(٩) وَعَاءً لِلزَّيْتِ وَجَرَّابًا لِلدَّقِيقِ ، وَخَرَجَ إِلَى هَذَا الْحَاثُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ

(١) في م : : « القافلة » .

(٢) في م : : « ودخل المدينة .. وارتمل الأسباب على الحمار : جعل عليه الرُّحْلَ .

(٣) فوافلها : فأتاها وأدركها .

(٤) في ط : : « والحاجة والفاقة » .

(٥) في م : : « فاحتاج » .

(٦) وُلِدْتَ : أنجبت لك زوجتك .

(٧) طاووية على حالها ، أي : باتت جائعة .. وتَحَيَّلَ ، أي : استعمل الحيلة في أن تأتى لنا بدقيق .. الخ .

(٨) ودعن تُسْرُجَ به ، أي : وزيت نوقد به المصباح .

(٩) في م : : « فأخذ » .

رَجُلٌ يَبِيعُ الدَّقِيقَ وَالزَّيْتِ وَالْعَسَلَ وَنَحْوَهُ ، وَقَدْ أَغْلَقَ دُكَّانَهُ وَأَطْلَفًا مِصْبَاحَهُ
وَنَامَ ، فَتَادَاهُ ، فَأَجَابَهُ وَعَرَفَهُ ، وَشَكَرَ ^(١) اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهِ ، فَقَالَ التَّاجِرُ
لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : أَقْدَحَ زَنَاذَا ^(٢) أَرِنُ لَكَ الدَّرَاهِمَ فِي دَقِيقٍ وَزَيْتٍ وَعَسَلٍ
اخْتَبْتُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِتَأْخِيرِ الثَّمَنِ فَيَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَقَدَحَ النَّبَاغَ
الرَّزَادَ وَاسْتَصْبَحَ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : زَنْ لِي مِنَ الدَّقِيقِ كَذَا ، وَمِنَ الزَّيْتِ
كَذَا ، وَمِنَ الْعَسَلِ كَذَا ، وَمِنَ السُّنَنِ كَذَا ، وَمِنَ الْمِلْحِ كَذَا ، وَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ ^(٤) إِذْ حَاتَتْ مِنْهُ الْيَفَاةُ إِلَى قَعْرِ الْحَاثُوتِ فَرَأَى ^(٥) فِيهِ خُرْجَهُ الَّذِي
هَرَبَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَلَمْ يَنْلِكَ أَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ وَالتَزَمَهُ ^(٦) ، وَالْقَى يَدَهُ فِي
أُطْوَاقِ ^(٧) صَاحِبِ الْحَاثُوتِ ، وَجَذَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَنْ
مَالِي ؟ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحَاثُوتِ : مَا لَكَ يَا فُلَانُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ مُتَعَدِّيًا
وَلَا عِلْمَتِي جَنَيْتُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى سِوَاكَ ، فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : خُرْجِي قَرَّ ^(٨)
بِهِ خَادِمِي لِي خَدَمَنِي بِجَمِيعِ مَالِي وَبِحِمَارِي . قَالَ : مَالِي عِلْمٌ غَيْرُ أَنْ رَجُلًا
وَرَدَ عَلَيَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ ^(٩) وَاشْتَرَى مِنِّي عِشَاءً وَاسْتِضَافِي ^(١٠) فَأَضْفَعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ
هَذَا الْخُرْجَ فِي حَاثُوتِي ، وَهَذَا الْحِمَارَ فِي دَارِ جَارِنَا ، وَالرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ
بَابُ . فَقَالَ لَهُ ^(١١) : اخْمِلْ مَعِيَ ^(١٢) الْخُرْجَ وَالْهَضْ إِلَى الرَّجُلِ ، فَرَفَعَ

(١) فِي د م : : فَشَكَرَ .

(٢) أَقْدَحَ زَنَاذَا : أَشْجَلَ حَوْذًا .

(٣) اسْتَصْبَحَ : أَوْقَدَ الْمِصْبَاحَ .

(٤) قَوْلُهُ : وَيَبِينَا هُوَ كَذَلِكَ ، عَنْ د ط ، وَلَمْ تَرِدْ فِي د م .

(٥) فِي د م : : فَوَافَى .

(٦) التَزَمَهُ : تَغَلَّقَ بِهِ .

(٧) الْأُطْوَاقُ : جَمْعُ طَوْقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ وَالتَّفَّ بِالشَّيْءِ .

(٨) فِي د م : : مَرَّ وَالْأَوَّلُ أَوَّجَهُ .

(٩) الْعِشَاءُ ، بِكسْرِ الْعَيْنِ : أَوَّلُ ظِلَامِ اللَّيْلِ .. وَيفتحها : طَعَامُ الْمَشِيِّ .

(١٠) فِي د م : : فَاشْتَرَى .. وَاسْتِضَافِي : طَلَبَ مِنِّي أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عِنْدِي .

(١١) وَ لَهُ ، عَنْ د ط .

(١٢) مَعِيَ ، عَنْ د م .

الْخُرْجَ مَعَهُ وَالْقَاهُ ^(١) عَلَى عَاتِقِهِ ، وَمَشَى مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا ^(٢) الرَّجُلُ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَكَرَضَهُ ^(٣) بِرِجْلِهِ ، فَقَامَ الرَّجُلُ مَدْعُورًا ، فَقَالَ ^(٤) : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ مَالِي يَا خَائِنُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا عَلَى عُنُقِكَ ، وَاللَّهِ مَا تَعَادَرَ ^(٥) مِنْهُ ذَرَّةٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الْحِمَارُ ؟ قَالَ : هُوَ عِنْدَ هَذَا الْجَائِي ^(٦) مَعَكَ ، فَتَهَضَّ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ مَتَاعَهُ سَلِيمًا ، وَاسْتَخْرَجَ الْحِمَارَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَوَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِقِصَّتِهِ ، فَرَادَ ^(٧) أَهْلُهُ قَرَحًا وَقَبْرُكًا بِذَلِكَ الْمَوْلُودِ .

وَلَمَّا وَفَى ^(٨) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصِهرِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَجَلَ الَّذِي أَجَلَاهُ ^(٩) يَرْغِي غَضَمَ شُعَيْبٍ ^(١٠) الَّتِي رَغَاها مُوسَى عِوَضًا عَنْ مَهْرِ ابْنَتِهِ ، أَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتَهُ وَكَرَّرَ رَاجِعًا مِنْ « مَدْيَنَ » ، فَلَمَّا وَافَى الْوَادِي الْمُقَدَّسَ عِنْدَ جَانِبِ الطُّورِ أَجْنَهُمُ ^(١١) اللَّيْلَ بِظُلْمَتِهِ ، فَأَمْسَوْا بَايِتَيْنِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ ضَرَبَ زَوْجَتَهُ الطَّلُقَ ^(١٢) ، وَكَانَتْ حَامِلًا ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا تُحْتَاجُ إِلَيْهِ النِّفْسَاءُ مِنْ الْغِذَاءِ وَالذِّوَاءِ ، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ شَأْنُهُمْ ، فَبَقُوا فِي ضَيْقٍ مِنَ الْحَالِ وَقَلَّةِ مِنَ الْحِيلَةِ ،

(١) م : : : فآلقاه .

(٢) م : : : وإذا .

(٣) م : : : فرسه ، أى : ضربه برجله ، غير أنها وردت بالصاد مكان السين ، ولا تصح .

(٤) فى ط : : : فقال له .

(٥) ما تفاقر : ما تخلف ، أو ما نقص .

(٦) فى م : : : عند الجائى والأخيرة جاءت مكررة ، ويعنى بها : الشخص الذى أتى معه .

(٧) م : : : فرادوا .

(٨) وفى الأجل : أتمه .

(٩) أى : المدة التى اتفقا عليها .. وقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة القصص ، من الآية ٢٧ وما بعدها .

(١٠) م : : : يَرْغِي غَضَمَ لشعيب .

(١١) أجنهم الليل : سترهم .. وجاء هنا بضمير الجمع ، لأنهم كانوا أربعة : موسى - عليه السلام - وزوجته ،

وابنه ، وتابع له .

(١٢) الطلق : وجع الولادة .

فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْتَمِشُ وَيَنْظُرُ ^(١) ، يَمِينًا وَشِمَالًا عَسَى فَرَجٌ ^(٢) لِمَا أُمْسُوا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ ^(٣) . « إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجَلٍ عَلَى النَّارِ هَذِي » ^(٤) ، فَلَمَّا أَتَاهَا أُضِيقَ مَا يَكُونُ ذَرْعًا ، وَأَخْرَجَهُ قَلْبًا ، وَأَيْسَهُ عَنْ رَفَقِي ^(٥) ثُوْدَى مِنْ شِاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ : يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ . وَهَكَذَا لَطَائِفُ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ مَعَ مَنْ سَلَّمَ لِأَمْرِهِ ، وَرَجَا فَضْلَهُ ، وَتَكَلَّمَ بِالْهُدَى وَابْتَشَرَى ، يَفْسَحُ اللَّهُ فِيهِ أَمَلَهُ ، وَيُعْطِيهِ قُوَّةَ مَا سَأَلَهُ .

هَذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَرَجَ يَفْتِشُ نَارًا ، ثُوْدَى بِالْبُؤُوءِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ عَلَمَاؤُنَا : لَيْسَ فِي حِصَالِ الْخَيْرِ - وَإِنْ جَلَّتْ - وَلَا فِي الْأَوَاعِ الْأَعْمَالِ ^(٦) - وَإِنْ عَظُمَتْ - . أَعْلَى مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى . وَنَظَمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٧) :

أَيُّهَا الْعَبْدُ كُنْ لِمَا لَسْتَ تُرْجُو مِنْ نَجَاحٍ أَرْجَى لِمَا أَنْتَ رَاجٍ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَقْبِسَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاجٍ
وَكَذَا الْكَرْبُ كُلَّمَا اشْتَدَّ بِالْعَبْدِ دَنَتْ مِنْهُ رَاحَةُ الْإِفْرَاجِ

وَرَوَى أَنَّ الْعَدُوَّ نَزَلَ بِسَاحِلِ ^(٨) إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاجِبِ ، فَفَنَى مَاؤُهُمْ وَغَطَّشُوا ، فَتَفَرَّ ^(٩) الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ تِلْكَ السَّوَابِلِ وَالْحُصُونِ ،

(١) في د م : « يَلْتَمِشُ وَيَنْظُرُ » .

(٢) أى : عسى أن يأتي فرج .

(٣) في د م : « من الضرر » .

(٤) سورة طه ، الآية ١٠ .

(٥) الرَّفَقُ : الْمَطْلَبُ السَّهْلُ .

(٦) في د م : « أنواع الخير » .

(٧) في د م : « فقال في ذلك » .. والأبيات من الخفيف .

(٨) في د ط : « بساحة » .

(٩) تفر : فأسرع .

فَمَنَعُوهُمْ النَّزُولَ ^(١) لِاسْتِيقَاءِ الْمَاءِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُخْلَوْهُمْ ^(٢) وَاسْتِيقَاءَ الْمَاءِ ، فَأَبَوْا ، فَتَضَاعَفَ عَطَشُهُمْ حَتَّى اشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ^(٣) ، فَتَنَحَّوْا أَنْ يَجِيلَهُمْ وَأَخَذُوا فِي الدَّعَاءِ وَالِاسْتِسْقَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ^(٤) ، فَلَمْ يَكْ بِأَوْشَكَ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ أَلْقَتْ بَارُوقَهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَرْخَتْ مَاءً كَثِيرًا ، فَبَسَطَ ^(٦) الْقَوْمُ أَنْطَاعَهُمْ وَجَفَائَهُمْ وَآلَانَهُمْ ، فَشَرِبُوا ^(٧) وَمَلَأُوا أَوَانِيَهُمْ ، فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا ^(٨) : هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ وَأَعْدَاءُ اللَّهِ ^(٩) وَرَسُولِهِ ، قَدْ أَخْلَصُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَتَابُوا إِلَيْهِ وَسَلَّوْهُ ^(١٠) مَاءً يُخَيُّونَ ^(١١) بِهِ رَمَقَهُمْ ، فَأَغَالَهُمْ ، فَتَنَحَّيْنَا أَحَقُّ بِالْدَّعَاءِ ^(١٢) وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَوْلَى بِالْإِجَابَةِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ جَدَّ ^(١٣) الْمُسْلِمُونَ فِي الدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ^(١٤) يَقْوَى بِهَا قُلُوبُ الضَّعَفَاءِ ، وَيَتَزَايَدُ شُكْرُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ^(١٥) وَالْأَزْيَاءِ ، فَيَسْمَعُوا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٦) عَلَيْهِمْ رِيحًا فَبَدَّدَتْهُمْ ، وَمَزَقَتْهُمْ كُلَّ مُزَقٍّ ، وَكَسَرَتْ مَرَاجِبَهُمْ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

(١) في م : « فَمَنَعُوهُمْ مِنَ النَّزُولِ » وكلاهما صواب ، فالفعل « منع » جمعى بنفسه وبحرف الجر .

(٢) في م : « وراسلوا مكان » وأرسلوا .. ويخْلَوْهُمْ : يتركوهم .

(٣) في م : « حتى هوى بالهلاك » والأول أوجه .

(٤) في م : « فأخْلَوْا في الدعاء والتضرع والاستسقاء » .

(٥) في م : « أَلْقَتْ » تحريف .. وأَلْقَتْ السماء بَارُوقَهَا ، أى : بدأت تسقط أمطارها .

(٦) في م : « فَبَسَطُوا » .

(٧) في م : « وشربوا » .

(٨) في م : « فقالوا » . وضجَّ : فرغ .

(٩) في م : « كفار أعداء الله » .

(١٠) في م : « وأتَابُوا وسألوه » .

(١١) في م : « ما يخلو » تحريف .. والرَّمَقُ : بقية الروح .

(١٢) في م : « فتحن بالدعاء أحقَّ منهم » .

(١٣) في م : « ثم أخذ » .

(١٤) في م : « يريهم الله آية » .

(١٥) في م : « أهل النعمة » .

(١٦) ما بين المقرضين عن م .

وَمِنْ عَجَائِبِ ^(١) صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْيَابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ دِيَارِ بَكْرِ جَاءَ إِلَى نَيْبِ الْمَقْدِسِ وَزَارَ قَبْرَ الْحَلِيلِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٢) وَأَكَلَ مِنْ ضِيَائِهِ ، فَطَارَتْ حَبَّةُ عَدَسٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فِي خَيْشُومِهِ ، وَرَامَ خُرُوجَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ فَأَعْجَزَتْهُ ، حَتَّى تَرَكَتْهُ مُضْنَى ^(٣) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ عَطَسَ فَطَارَتْ الْعَدَسَةُ ^(٤) فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا طَائِرٌ قَدِ اتَّقَطَهَا لَوْقَتِهَا ، وَبَرِئَ الرَّجُلُ ، فَسَبَّحَانَ مَنْ جَعَلَ أَلْفَ هَذَا الرَّجُلِ حِرْزًا لِقُوتِ هَذَا الطَّائِرِ هَذَا الطَّائِرِ عَلَى بُعْدِ الشُّعَةِ وَالْمَسَافَةِ ^(٥) .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ مِنْ بَلَدِي إِلَى الْمَشْرِقِ ^(٦) فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، كُنْتُ لَا أَغْرِفُ التَّجَارَةَ ، وَلَا لِي جُرْفَةٌ أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، فَجَزَعْتُ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ : إِنْ ذَهَبْتُ نَفَقَتِي مَاذَا أَفْعَلُ ؟ وَكَانَ أَقْوَى الْأَمَالِ ^(٧) فِي نَفْسِي أَنْ أُحْفَظَ الْهَسَاتَيْنِ بِالْأَجْرَةِ وَأُذَرَسَ الْعِلْمُ بِاللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَرَحَلْتُ ، وَكَانَ مَعِيَ ^(٨) نَفَقَةٌ وَاقِرَةٌ فِي هِمَيَانٍ عَلَى وَسْطَى ^(٩) ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْمُسَافِرِينَ يَقُولُونَ : مَنْ تَأَمَّ بِاللَّيْلِ فِي الْفَيَافِي وَلَهُ نَفَقَةٌ عَلَى وَسْطِهِ فَلْيُحْلَمْهَا ، فَإِنَّ اللَّصُوصَ إِذَا كَثُرَتْ الْخُلُقُ ^(١٠) يَتَقَدَّرُونَ أَوْسَاطَهُمْ ^(١١) ، فَخَرَجْتُ مِنْ بِلَادِ السُّوَيْدِيَّةِ ^(١٢) إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ

(١) في م : : ومن عجيب .

(٢) ما بين المقولتين عن ط .

(٣) مُضْنَى : مريضاً سقيماً .. وفي م : : مُضْنَى : تحريف .

(٤) في م : : فطارت الحبة .

(٥) في م : : وطول المسافة .

(٦) في م : : الشرق .

(٧) في م : : الأمل .

(٨) في ط : : فرحلتُ وكانت معي .

(٩) في م : : على هميان في وسطى .

(١٠) كثرت الخلق : طاولتهم وغالبهم .. وفي م : : كثرت الناس : أي : غالبهم بالكثرة .

(١١) يتندرون أوساطهم : يسارعون إليها لكي يسرقوا ماحولها .. وفي م : : يتندرون : يحذف النون .. عطفاً .

(١٢) السُّوَيْدِيَّةُ : بلدة صغيرة كانت ترسو فيها مراكب الإفريج ، يرفعون منها أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٨ - مادة أنطاكية] .

حَرْبٍ لِلرُّومِ ، فَسَرَّيْنَا لَيْلَتَنَا وَأَصْبَحْنَا ^(١) عَلَى بَابِ أَلطَّاكِيَّةِ ، فَأَخَذْتَنِي عَيْنِي ، وَحَلَلْتُ الْهِمْيَانَ وَنِمْتُ ، وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا ضُحْوَةَ النَّهَارِ ^(٢) فَاسْتَيْقِظْتُ ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْهِمْيَانِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْقَافِلَةِ وَالتَّحْتُ إِلَى النَّاسِ ^(٣) وَقَدْ أَسْقَطُ فِي يَدِي ، وَلَمْ يَتَّقِ لِي حِيلَةً ، فَاسْتَرْجَعْتُ ^(٤) وَرَفَعْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا ^(٥) رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْقَافِلَةِ مُلْتَفِتًا إِلَيَّ ، فَوَقَعَ وَجْهِي فِي وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَضْحَكُ لَمَّا رَأَى مَا بِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَيُّهَا الْفَقِيهُ ؟ قُلْتُ : خَيْرٌ ، فَرَاغْتَنِي ، فَقُلْتُ : خَيْرٌ ^(٦) . فَقَامَ إِلَيَّ وَقَالَ : خُذْ هِمِّيَّانَكَ عَافَاكَ اللَّهُ . فَسَأَلْتُهُ : كَيْفَ ظَفَرْتُ ^(٧) بِهِ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ قَدْ تَدَخَّرَجْتَ ^(٨) ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالتَّفْتُ فَرَأَيْتُ سَوَادًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ نَائِمًا ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْهِمْيَانُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَرِضْوَانُهُ لَدَيْهِ .

(١) في « م » : « فأصبحنا » .. ومررنا ليلتنا : قطعناها بالسر .

(٢) في « م » : « إلى ضحوة نهار » .. وضحوة النهار : قُرب انتصاف النهار .

(٣) في « م » : « وأنظر إلى وجوه الناس » .

(٤) فاسترجعت ، أي : قُلْتُ : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .

(٥) في « م » : « إلى الله تعالى فلذا ... » .

(٦) في « م » : « وقال : مالك ؟ قلت : خيرا .. فقال : أيها الفقير ، ما بك ؟ قلت : خيرا .. فراجعتني ، فقلت : خيرا .. خيرا بالنصب : أي أنزل الله بي خيرا .. وبالرفع : أي هو خير ، أو : نزل بي خير .. فكلاهما له وجه في اللغة .

(٧) في « م » : « ظفرت » .

(٨) في « م » : « رأيتك قد خرجت » .. وفي « ط » : « رأيتك » مكان « رأيتك » .

البَابُ السُّتُونُ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْخِصَالِ

وَيَتَّبِعُ الْفَضَائِلَ ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ تَكْمُلْ ^(١) فِيهِ حَصَلَةٌ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ ،
وَيُعْبَرُ عَنْهَا بِالصَّبْرِ ، وَيُعْبَرُ عَنْهَا بِقُوَّةِ النَّفْسِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَصْلُ ^(١) الْخَيْرَاتِ كُلُّهَا فِي ثَبَاتِ الْقَلْبِ ، وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ جَمِيعُ
الْفَضَائِلِ ، وَهُوَ ^(٢) الثَّبُوتُ وَالْقُوَّةُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْعَدْلُ ^(٣) وَالْعِلْمُ . وَالْجُنُودُ غَرِيزَةٌ
يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالشَّجَاعَةُ غَرِيزَةٌ يَجْمَعُهَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ^(٤) .
سُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الشَّجَاعَةِ فَقَالَ ^(٥) : صَبْرٌ سَاعَةً . وَسُئِلَ أَبُو جَهْلٍ عَنِ الشَّجَاعَةِ
فَقَالَ : تَصْبِرُونَ عَلَى حَرِّ السِّيفِ فَوَاقٍ نَاقَةٍ . وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحَلِيتَيْنِ ^(٦) .

(١) في د ط : : يكمل .

(٢) في د م : : وأصل .

(٣) في د م : : ومنها تستمد جميع الفضائل ، وهي .. .

(٤) في د م : : العقل ، مكان « العدل » .

(٥) في د م : : والشجاعة حالة متوسطة بين الجبن والتهور ، وسئل .. .

(٦) في د م : : قال .

(٦) حُرُّ السيف : اشتداد القتال ، أى : يصبرون على شدة القتال وقتاً قلَّ الزمان الذى بين الحليتين .

وَاعْلَمَ أَنَّ الْفَارَّ مِنَ الْقِتَالِ ^(١) طَرِيدَةٌ مِنَ طَرَائِدِ الْمَوْتِ ، فَاسْتَقْبَالَ ^(٢) الْمَوْتَ خَيْرَ
مِنْ اسْتِدْبَارِهِ . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ ^(٣) : رَبُّ حَيَاةٍ سَبَّحَهَا التَّعَرُّضُ لِلْوَفَاةِ ، وَوَفَاةٍ سَبَّحَهَا
طَلَبُ الْحَيَاةِ ^(٤) . وَمَنْ حَرَصَ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْجِهَادِ وَهَبَتْ ^(٥) لَهُ الْحَيَاةُ . وَقَالُوا :
الْعَزِيمَةُ شَفَرَةٌ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ . وَالْفَارُّ يُمَكِّنُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالْمُقَاتِلُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .
وَقَالُوا : ثَمَرَةُ الشَّجَاعَةِ الْأَمْنُ مِنَ الْعُلُوِّ .

وَاعْلَمَ أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُدْبِرًا أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ مُقْبِلًا . وَقَالُوا : تَأْخِيرُ الْأَجَلِ
جِصْنُ الْمُحَارِبِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي أَيِّ جُنَّةٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ؟ قَالَ : فِي
أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ . وَقِيلَ لِآخَرَ : فِي أَيِّ سِلَاحٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ^(٦) ؟ قَالَ : بِإِذْبَارِ
دَوْلِيهِ وَانْقِضَاءِ مُدَّتِهِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّجَاعَةَ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الدُّوْلَةُ ، وَإِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ لَمْ تُعْنِ كَرَّةُ الْعَدُوِّ .
وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ كَانَتْ الْهَلَكَةُ فِي الْجِهْلَةِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَرْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تُكْتَسَبُ ^(٧) لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ ، أَلَا
تَرَى أَنَّكَ إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَمْنَحَ ^(٨) شَيْئًا مِنْ مَالِكَ نَحَارَ طَبْعِكَ ، وَوَهَنَ قَلْبُكَ ،
وَعَجَزَتْ نَفْسُكَ ، فَشَحَحَتْ بِهِ ، وَإِذَا ^(٩) حَقَّقْتَ عَزْمَكَ ، وَقَوَّيْتَ نَفْسَكَ ، وَقَهَّرْتَ
ذَلِكَ الْعُجْزَ ، أَخْرَجْتَ الْمَالَ الْمَضْتُونُ بِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْقَلْبِ وَضَعْفِهِ تُكُونُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « أَنَّ الْقَادِمَ لِلْقِتَالِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٢) في « م » : « وَاسْتَقْبَالَ » .

(٣) الْأَوَّلُ : جَمْعُ الْأَوَّلِ .

(٤) في « م » : « وَوَفَاةٍ طَلِبَهَا سَبَبُ الْحَيَاةِ » .

(٥) في « م » : « وَهَبَتْ » .

(٦) مِنْ قَوْلِهِ : « قَالَ : فِي أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ » إِلَى هُنَا عَنْ « م » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٧) في « م » : « أَنَّ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَدْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تَكْتَسِبُ » .

(٨) في « م » : « تَمْنَحُ » مَكَانَ « تَمْنَحُ » تَحْرِيفٌ .

(٩) في « م » : « فَلِذَا » .

(١٠) في « م » : « يَكُونُ » .. وَطَبِيعَةُ النَّفْسِ : سَمَاحَتُهَا .

طَبِئَةُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهِ ، أَوْ كَرَاهِيَةِ النَّفْسِ لِإِخْرَاجِهِ مَعَ إِخْرَاجِهِ ، وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، مَهْمَا لَمْ تَقَارِنَهَا ^(١) قُوَّةُ نَفْسٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، وَكَانَتْ مَخْلُوعَةً ^(٢) .

وَرَوَى أَنَّ الرَّسُولَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الشَّجَاعَةُ وَالْجَبِينُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » . فَالْجَبَانُ يَقْرَأُ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالشَّجَاعُ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يُقُوبُ بِهِ ^(٣) إِلَى رَحْلِهِ ، فَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَالِاتِّهَاءِ عَنِ الزَّوَاجِرِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ احْتِسَابُ الْفَضَائِلِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُتَهَيَّ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالتَّضَمُّخِ بِالرَّذَائِلِ ^(٤) قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمَعَ الشَّجَاعَةُ وَالْخُسُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابَ فِي الْمِحْرَابِ ^(٥)
وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ الْجَلِيسُ عَلَى إِهْدَاءِ ^(٦) الْجَلِيسِ وَجَفَاءِ الصَّاحِبِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ وَيَدْفَعُ الْغَارَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحُمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَتَحَمَّلُ أَثْقَالَ الْمَكَارِهِ ^(٧) ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ عَلَى أُخْلَاقِ الرُّجَالِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ تُنْفَذُ كُلُّ عَزِيمَةٍ وَرَوِيَّةٍ أَوْجَبَهَا الْحَزْمُ وَالْعَدْلُ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَضْحَكُ ^(٨) الرُّجَالُ فِي وُجُوهِ الرُّجَالِ وَقُلُوبُهُمْ ^(٩) مَشْحُونَةٌ بِالضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ ، كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « إِنَّا

(١) في « ط » : « يقارنها » .

(٢) في « م » : « مخلوجة » أي : ناقصة .

(٣) في « م » : « من لا يقوب به » وهووب : يرجع .

(٤) التَّضَمُّخُ بِالرَّذَائِلِ : التَّلَطُّعُ بِهَا .

(٥) البيت من الكامل .. وللمراد بالمحراب الأول : الشجاع الخبير بالحرب .. والمحراب الثاني : مقام الإمام في المسجد .

(٦) في « م » : « أدى » .

(٧) من قوله : « وبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحُمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٨) في « م » : « تضحك » .

(٩) في « م » : « وقلوبها » .

لَتَكْثِيرُ^(١) فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنَهُمْ^(٢) . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِنَّا لَتَصَافِحُ أَكْثَرُا تَرَى قَطْعَهَا » .

وَلَيْسَ الصَّبْرُ وَالشَّجَاعَةُ وَقُوَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَكُونَ مُصْبِرًا فِي الْمَحَالِ^(٣) ، لَجُوجًا فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ جَلْدًا عِنْدَ الضَّرْبِ ، صَبُورًا عَلَى التَّعَبِ ، مُصْتَمًا عَلَى
التَّعْزِيرِ^(٤) وَالتَّهْوِيرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الْحَيِيرِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ صَبُورًا عَلَى
أَذَاءِ الْحُقُوقِ عَلَيْكَ ، صَبُورًا عَلَى سَمَاعِهَا وَإِقْلَاقِهَا إِلَيْكَ ، غَالِيًا لِهَوَاكَ ، مَالِكًا
لِشَهَوَاتِكَ ، مُتَمَرِّمًا لِلْفَضَائِلِ بِجَهْدِكَ ، غَائِبًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يُجِيلُكَ^(٥)
عَنْهَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتٌ ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَكَ مَوْتُكَ عَلَى الْخَيْرِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ الْعِلْمُ وَأَوْجَبَهُ
الْعَدْلُ ، بِخَيْرٍ^(٦) مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى مَا أُوجِبَ رَفْضُ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ . كَمَا قَالَ عَلِيٌّ
لِلْحُسَيْنِ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٨) : يَا بُنَيَّ ، وَمَا يَمَالِي أَبُوكَ لَوْ أَنَّ الْخَلْقَ خَالَفُوهُ إِذَا
كَانَ عَلَى الْحَقِّ ، وَهَلِ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِلْمُحَقِّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَعَنْ^(٩) هَذَا قَالَتْ
حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ مِنْ نَفْسِهِ مُعِينٌ^(١٠) كَانَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ضَعِيفًا
مَخْذُولًا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَجْنَ مَقْتَلَةٌ ، وَالْجَرَصَ مَحْرَمَةٌ ، وَالْعَجَزُ ذُلٌّ ، وَالْجُبْنَ ضَعْفٌ . وَالْجَبَانُ
يُجِنُّ عَلَى نَفْسِهِ ، يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ .

(١) فِي « ط » : « وَإِنَّا » .. وَكَثِيرٌ : تَقَسَّمَ .

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الثَّوْرَةِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، بَابِ الْمُلَاحَظَةِ مَعَ النَّاسِ ج ١٠ ص ٥٢٧
مِنْ فَتْحِ الْبَارِي .

(٣) فِي « م » : « الْحَالِ » غَرِيفٌ .. وَالْمَحَالُ : مَا لَيْسَ ثَوَامًا بِالْحِيلَةِ أَوْ الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ .. وَلِجُوجًا : مُتَادِيًا .

(٤) التَّعْزِيرُ : التَّأْدِيبُ .

(٥) لَا يُجِيلُكَ : لَا يَمْنَعُكَ .

(٦) فِي « م » : « خَيْرٌ » بِالرَّفْعِ .. خَطَأً .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ » وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

(٨) فِي « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٩) فِي « ط » : « وَبَيْنَ » .

(١٠) فِي « م » : « مِنْ مُعِينٍ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِيمَةٍ مَاتَيْنِ الْحَلِيبَتَيْنِ ^(١) ، وَالشُّجَاعُ يَخْجِي عَمَّنْ لَا يُنَاسِيهِ ، وَيَقِي مَالَ الْجَارِ وَالرُّقِيقَ بِمُهْجَتِهِ ، وَالْجَبَانُ يَخَافُ مَا لَا يُحْسِبُ بِهِ ^(٢) ، وَالْجَبَانُ حَقْفُهُ مِنْ فَرْقِهِ ^(٣) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّجَاعَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ عَلَى ^(٤) ثَلَاثَةِ أَوْجُوهُ :
رَجُلٌ إِذَا تَقَى الْجَمْعَانِ وَتَزَاخَفَ الرُّحْفَانِ وَانْخَلَّتِ الْأَحْدَاقُ بِالْأَحْدَاقِ ^(٥) بَرَزَ مِنَ الصَّفِّ إِلَى وَسْطِ الْمُعْتَرِكِ ، يَحْمِلُ وَيَكْبُرُ ، وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ .
وَالثَّانِي : إِذَا انْحَمَّ الْقَوْمُ وَانْخَلَطُوا ^(٦) وَلَمْ يَنْدِرِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ ، يَكُونُ رَاطِبُ النَّجَاشِ ، سَاكِنِ الْقَلْبِ حَاضِرِ اللَّبِّ ، لَمْ يُخَايِرُهُ الدَّهْشُ ، وَلَا خَالَعَتْهُ الْجِهْرَةُ ، فَيَتَقَلَّبُ ^(٧) بِقَلْبِ الْمَالِكِ لِأَمْرِهِ ، الْقَائِمِ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالثَّلَاثُ : إِذَا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ يَلْزُمُ السَّاقَةَ ^(٨) ، وَيَضْرِبُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَيَحْمِلُ يَتَنَهَّمُ وَيَتَنَ عَدُوَّهُمْ ، وَيَقْرَى قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَيَرْجِي ^(٩) ضَعْفَهُمْ ، وَيَمْلِكُهُمْ بِالْكَلَامِ الْجَمِيلِ ، وَيُسْجَعُ نَفْسَهُمْ ، فَمَنْ وَقَعَ أَقَامَهُ ، وَمَنْ وَقَفَ حَمَلَهُ ، وَمَنْ كَرَدَسَ فَرَسَهُ ^(١٠) كَشَفَ عَنْهُ حَتَّى يَتَسَّرَ الْعَدُوُّ مِنْهُمْ ، وَهَذَا أَحْمَدُهُمْ شَجَاعَةً ، وَغَنَ هَذَا قَالُوا : الْمُقَاتِلُ مِنْ ^(١١) وَرَاءِ الْفَارِسِ كَالْمُسْتَغْفِرِ مِنْ وَرَاءِ الْعَافِلِينَ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْكَرَمِ الدَّفَاعُ عَنِ الْحَرَمِ ^(١٢) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « الحليبتين » .

(٢) في « م » : « مَنْ لَا يُحْسِبُ بِهِ » .

(٣) خطه من فَرْقِهِ : هلاكه من خوفه الشديد .. وفي « م » : « من فوقه » بالواو ..

(٤) « على » عن « ط » .

(٥) انخَلَّتِ الْأَحْدَاقُ بِالْأَحْدَاقِ : نظر بعضهم إلى بعض .

(٦) في « م » : « إِذَا بَايَتِ الْقَوْمَ وَانْخَلَطُوا وَانْخَلَطُوا » .. وبايت : أقام معهم ليلا .

(٧) في « ط » : « فَيَتَقَلَّبُ » .. والجيورة : التردد والاضطراب .

(٨) السَّاقَةُ : مؤنَّثُ الْجَيْشِ .

(٩) يَرْجِي : يُؤَخِّرُ .

(١٠) كَرَدَسَ فَرَسَهُ : قَبَضَهُ وَأَوْتَقَهُ .

(١١) « مَنْ » عن « م » .

(١٢) في « م » : « الْحَرَمِ » .. والحريم : ما حُرِّمَ فَلَا يَتَنَهَكُ .

وَقَالُوا : لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ لَهْدٌ مِنْهُمَا ، أَخَذَهُمَا : لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِ ، وَالثَّانِي : لَا يَغْفُلُ عَنْهُ ، فَمَا لِلْجَبَانِ وَالْفِرَارِ ؟ . وَكَانَ ^(١) شَيْوُخُ الْجُنْدِ يَحْكُونَ فِي بِلَادِنَا ، قَالُوا : دَارَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ ، ثُمَّ اقْتَرَقُوا ، فَوَجَدُوا فِي الْمُعْتَرِكِ قِطْعَةً مِنْ بَيْضَةِ الْحَدِيدِ ، قَدْ ^(٢) ثَلَّثَهَا بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَيَقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَر قطُّ ضَرْبَةَ أَقْوَى مِنْهَا ^(٣) .

وَكَانَ شَيْوُخُ الْجُنْدِ فِي بِلَادِنَا طَرُوشَةَ يَحْكُونَ ^(٤) أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي أَيَّامِ سَيْفِ ^(٥) الْجِيلَةِ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى بِلَادِ الْعُلُوِّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ ^(٦) إِذْ لَقِيَتْهُمْ سَرِيَّةٌ لِلرُّومِ يُرِيدُونَ مِنَّا مَا نُرِيدُ ^(٧) مِنْهُمْ ، قَالَ : وَعَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(٨) ، وَكَانَ فِينَا صَنَادِيدُ الْفَرَسَانِ ، وَفِيهِمْ صَنَادِيدُ الرُّومِ ^(٩) ، فَوَاقَفْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ شَدَدْنَا وَشَدُّوا ، فَالْتَقَيْنَا وَتَجَالَدْنَا ^(١٠) سَاعَةً ، ثُمَّ مَتَحَنَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١١) أَكْثَانَهُمْ ، فَجَعَلَنَاهُمْ حَصِيدًا كَأَنَّهُمْ جُزُرٌ عَلَى الْأَوْضَامِ ^(١٢) ، وَكَانَ هُنَاكَ يَقْرِبُهُمْ قُرْبَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَمْرِ ، فَشَرِبْنَاهُ وَسَكَّرْنَا ، ثُمَّ اشْتَبَيْنَا شَرَائِخَ اللَّحْمِ ، فَصَمْنَا نَقْطَعُ مِنَ لُحُومِهِمْ وَنَجْمَلُ عَلَى النَّارِ ، وَنَأْكُلُ

(١) من أول قوله : « وكان » إلى نهاية الفقرة ، عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) أى : شق .. وفي « ط » : « قَلَز » .. والأول لوجه . وبيضة الحديد : عودة الرأس .

(٣) إلى هنا ينهى الساقط من « م » .

(٤) في « م » : « يَحْكُمُونَ » تحريف .

(٥) في « م » : « سيد » تحريف .

(٦) في « م » : « يسهرون » تحريف .

(٧) في « م » : « ما نريده » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وفاقنا ساعة » مكان « قال » وعرف بعضهم بعضاً .

(٩) قوله : « وفيهم صناديد الروم » عن « ط » ولم ترد في « م » :

(١٠) تَجَالَدْنَا : تضايرنا بالسيف .

(١١) « تعالى » عن « ط » .

(١٢) في « م » : « جُزُرٌ فِي الْأَوْضَامِ » . والجُزُرُ : جمع جُزُرٍ ، وهو ما يصلح للذبح ، كالإبل ونحوها من

الأنعام ، والمراد هنا : اللحوم .. أمَّا الْأَوْضَامُ ، فهي : جمع وَضَمَ ، وهو كل ما يوضَعُ عليه اللحم ، من خشب ونحوه ، كالثالثة .

منها ^(١) ، فَفَزِعَ مَنْ كُنَّا أَسْرَاءَهُ مِنْهُمْ ^(٢) ، وَبَلَغَ الْحَدِيثُ إِلَى الرُّومِ ، فَقَضَتِ
النَّصَارَى ^(٣) نَجْجًا مِنَّا ، وَفَذَفَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ عُمَرُو بْنَ مَعْدَى كَرِبَ ^(٤)
فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُو ، أَيُّ السَّلَاحِ أَفْضَلُ فِي الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ : عَنْ أَهْلِهَا نَسْأَلُ ؟ قَالَ :
مَا تَقُولُ فِي السَّهَامِ ؟ قَالَ : مِنْهَا مَا يُحْطِطُ وَيُصِيبُ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الرُّمَحِ ؟
قَالَ : أُنْعُوكَ ، وَرَبَّمَا خَالَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي السَّيْفِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ ذَلِكَ لَا أُمُّ
لَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الثَّرَسِ ^(٥) ؟ قَالَ : هُوَ الدَّائِرَةُ ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ ^(٦) .

وَكَانَ عُمَرُو هَذَا مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهَا ، تَزَلُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى النَّهْرِ ،
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي غَائِبٌ عَلَى الْجِسْرِ ، فَإِنْ أَسْرَعْتُمْ مِقْدَارَ جَزْرِ الْجَزُورِ ^(٧)
وَجَدْتُمُونِي وَسْتَفِينِي يَبْدَى أَقَاتِلْ بِهِ تَلْقَاءَ وَجْهِ ^(٨) وَقَدْ عَقَرَنِي الْقَوْمُ وَأَنَا قَائِمٌ
بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبْطَأْتُمْ وَجَدْتُمُونِي قَبِيلًا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ انْغَمَسَ ^(٩) فَحَمَلَ عَلَى

(١) في « ط » : « وأكلنا منها » .

(٢) في « م » : « مَنْ كَانَ أَسْرَاءَهُ مِنَ الرُّومِ » .

(٣) قَضَتِ النَّصَارَى ، أَيْ : أَحْجَمَتْ عَنِ الْمُجُومِ خَوْفًا مِنَّا .. وفي « م » : « فَاثْقَلَتِ النَّصْرَانِيَّةُ » .

(٤) هُوَ : عُمَرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ بْنِ رَيْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْزَيْلِيُّ ، وَكَتَبَهُ أَبُو ثَوْرٍ ، قَارِسُ الْيَمَنِ ، وَصَاحِبُ
الْغَارَاتِ الْمَذْكُورَةِ .. وَفَدَّ عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٩ هـ فِي عَشْرَةِ مِنْ بَنِي زَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمُوا ، وَعَادُوا ، وَلَمَّا تَوَفَّى
النَّبِيَّ ، ﷺ ارْتَدَّ عُمَرُو فِي الْيَمَنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الشَّامِ ، فَشَهِدَ الرُّمُوكَ ، وَذَهَبَتْ
لَهَا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَبَعَثَهُ عُمَرُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَكَانَ حَقَصَى النَّفْسِ ، أَيْ : فِيهِ قُوسَةُ الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَلَهُ شَعْرٌ جَدِيدٌ .. تَوَفَّى عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الرُّمَى سَنَةَ ٢١ هـ .. وَهَلَلُ : قَوْلٌ عَطَشًا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٧٢ -
٣٧٥ ، والمحرر ص ٢٦١] .

(٥) الثَّرَسُ : مَا تَقَوَّى بِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَهُوَ مُسَدِّدُ الشَّكْلِ .

(٦) عَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ : تَتَزَلُّ بِهِ لِلْكَارِهِ .

(٧) مِقْدَارُ جَزْرِ الْجَزُورِ ، أَيْ : مِقْدَارُ الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَرْقُ فِي ذَيْحِهَا .

(٨) في « م » : « أَتَاتِلْ تَلْقَاءَ وَجْهِ » .. وَالتَّلْقَاءُ مُصْدَرُ لَقِيْ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ ظَرْفَ مَكَانٍ بِمَعْنَى
جِهَةَ التَّلْقَاءِ وَالْمُقَابَلَةِ ، وَنَصَبُوهُ عَلَى الظَّرْفَةِ .. وَعَقَرَنِي الْقَوْمُ ، أَيْ : أَصَابُونِي .
(٩) انْغَمَسَ : رَمَى نَفْسَهُ وَسَطَ الْحَرْبِ .

القوم ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، يَا بَنِي زَيْدٍ ^(١) ، عَلَامَ تَدْعُونَ ^(٢) صَاحِبَكُمْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنَّ تَذَرِكُوهُ حَيًّا . فَحَمَلُوا ^(٣) فَأَتَتْهُوَ إِلَيْهِ وَقَدْ صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ ^(٤) وَقَدْ أَخَذَ بِرِجْلَيْ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ فَأَمْسَكَهَا ، وَإِنَّ الْفَارِسَ لَيَضْرِبُ فَرَسَهُ ^(٥) فَمَا يَقْدِرُ الْفَرَسُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا عَشِيَتَاهُ رَمَى الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَخَلَّى فَرَسَهُ ، فَرَكِبَهُ عَمَرُو وَقَالَ : أَنَا أَبُو نُورٍ ^(٦) كِدْتُمْ وَاللَّهِ تَفْقِدُونِي ! قَالُوا : أَيْنَ فَرَسُكَ ؟ قَالَ : رُمِيَ بِنَشَابَةٍ ^(٧) فَقَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ^(٨) .

وَيَرَوِي أَنَّ عَمْرًا حَمَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى رُسْتَمٍ ^(٩) ، وَهُوَ الَّذِي قَلَّمَهُ يَزْدَجِرْدُ ^(١٠) مَلِكُ الْفَرَسِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَقْبَلَ عَمَرُو رُسْتَمَ ^(١١) عَلَى فِيلٍ ، فَقَطَعَ عُرْقُوبَهُ ، فَسَقَطَ رُسْتَمُ وَسَقَطَ الْفِيلُ عَلَيْهِ مَعَ خُرْجٍ كَانَ عَلَيْهِ ، فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

(١) زَيْدٌ ، بالضم : رباط عمرو بن معدى كرب .

(٢) في م : : تتركون .

(٣) في م : : فحملوا عليه .

(٤) صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ : اسْقَطَ .. وفي م : : كرر الناصخ بعدها « قد » سهواً .

(٥) في م : : لِيَضْرِبَهُ .

(٦) في ط : : أَبُو نُورٍ ، بالنون ، خطأ ، والصواب « أبو ثور » ، بالناء المعجمة للثقة ، وهي كنيته ، وقد مرت في التعريف به .

(٧) النَشَابَةُ : وَاجِدَةُ التَّيْلِ .

(٨) فَقَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ، أي : فحاذ عن السور ورفع يديه وألقاني على الأرض .

(٩) رُسْتَمُ ، بفتح التاء وضمها ، والضم أشهر ، وهو : رستم بن القُرْمُزَاد ، قائد فارسي من قواد يَزْدَجِرْدُ ، وكان جريحاً طموحاً ، ويذكر المؤرخون أنه كان عالماً بالنجوم .. ويُقَالُ في وقعة القادسية .

[انظر الفاروق ص ١٠٥ وما بعدها ، وص ١٦٧ ط دار المعارف] .

(١٠) هو : يَزْدَجِرْدُ بن شهريار بن كسرى ، تولى مُلْكُ أبيه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : كان في الحادية والعشرين من عمره .. وكانت مدة مُلْكِهِ عشرين سنة ، وهو آخر ملوك الفرس ، قُتِلَ في « مَرُو » - أثناء هروبه من العرب الفاتحين - في طريق « سجستان » سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر المصدر السابق ص ١١٩ ، والمعارف ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، وإعجام الأعلام ص ١٩٨] .

(١١) في م : : و ط : : « رستا » في للوضعين ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .

فَقَتَلَ رُسْتَمَ وَأَنْهَزَمَتِ الْعَجَمُ . وَرَوَى أَنَّ قَاتِلَ رُسْتَمَ زَيْنُ بْنُ فَلَانٍ ^(١) .

وَأَمَّا الضَّرْبَةُ الَّتِي حَكَيْتَاهَا الَّتِي حَارِثُ ثُلُكِ الْبَيْضَةِ ^(٢) بِمَا حَوَّثَهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، فَحَمَلَتْهَا الرُّومُ وَعَلَقَتْهَا فِي كَيْسِيَّةٍ لَهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا عَمَرُوا بِأَهْزَامِهِمْ يَقُولُونَ : لَقِينَا أَقْوَامًا هَذَا ضَرْبُهُمْ ، فَيَرْحَلُ ^(٣) أَبْطَالُ الرُّومِ إِلَيْهَا لِيَرَوْهَا . وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْخَرُ فِي هَذَا الْبَابِ يَقُولُ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْلَبٍ ^(٤) يَصِفُ ضَرْبَةَ سَيْفٍ :

أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَجْمٍ آثَارُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثَرُهُ بَادِي ^(٥)
تُظَلُّ تُحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الدَّرَاعَيْنِ وَالْقَيْدَيْنِ وَالْهَادِي ^(٦)
وَيَتَشَدُّ قَوْلُ النَّابِغَةِ ^(٧) فِي السَّيْفِ أَيْضًا :

(١) في الفاروق عمر لميكل : أن الذي قتل هو هلال بن علقمة .

[انظر المصدر المذكور ج ١ ص ١٦٧] .

(٢) في (م) : « تلك البيضة » . وهي خوخة الرأس ، وقد مرث في هذا الباب ص ٦٧٢ .

(٣) في (م) : « فرحل » .

(٤) هو : النُّعْمَانُ بْنُ قَوْلَبٍ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ الْعُكْلِ ، شاعر غَضْرُمٍ ، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية ، وكان فيها شاعر « الرباب » .. ولم يمدح أحداً ولا هجأ .. وكان من ذوى النعمة والوجاهة ، جواداً . وأدرك الإسلام وهو كبير السن ، وفقد على النبي ﷺ ، وأسلم ، فكتب عنه كتاباً لقومه .. وقد توفي سنة ١٤ هـ تقريباً . و « لير » يُضَبِّطُ في كثير من الكتب بفتح النون وكسر الميم ، وفي بعض الكتب بكسر النون وتسكين الميم .. وفي الأغاني : كل غمر في العرب - كاهن بن قاسط - مكسور النون مجزوم الميم ، إلا النمر بن تولب ، فهو بفتح النون وكسر الميم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٤٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، والأغاني ج ٢٦ ص ٩٠٣ - ٩٠١٧ ، والشعر والشراء ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وانظر مايقع فيه التصحيف والتعريف لابن سعيد العسكري ص ٣٩٠ ط مصطفى الحلبي ، والإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٣٦٤] .

(٥) البيتان من البسيط .. وأثر السيف : تُسَلِّسُهُ ودياجه ، والمراد هنا : أثره ، بالتحريك ، أى : ضربه ، أو مابقى من رسم الشيء ، وسكن هنا للضرورة .

(٦) هكذا البيت في (م) ، و « ط » والعقد القريد ج ١ ص ١٥٥ .. وفي الشعر والشراء ج ١ ص ٣١١ : « والسائقين » مكان « والقيدنين » .. والهادى : التثني .. أى : أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض حتى احتاج إلى أن يحفر عنه ، وهذا من الإقراط والكذب ، والمبالغة في الوصف .. وقد عيَّب ذلك على الشاعر .

(٧) هو النابغة الذبياني ، زياد بن عمرو بن معاوية وقد مر التعريف به .

يَقْدُ السُّلُوقَى الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقَدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحَبَاجِ (١)

وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَدْ الْحَدِيدِ بِمَا حَوَاهُ مِنَ الرَّأْسِ (٢) ؟ وَأَيْنَ الثَّرِيَّا مِنَ الثَّرَى (٣) ؟
وَأَيْنَ الْحُسَامُ مِنَ الْمِنْجَلِ (٤) ؟ وَلَوْلَا كَرَاهَةُ التَّطْوِيلِ لَذَكَّرْنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا مَا فِيهِ
الْعَجَبُ . وَقَدْ قَالُوا : السَّيْفُ ظِلُّ الْمَوْتِ . السَّيْفُ لُعَابُ الْمَيِّتَةِ ، وَالرُّمْحُ رِشَاءُ
الْمَيِّتَةِ (٥) ، وَالسَّهْمُ رُسْلٌ لَا تُؤَامِرُ (٦) مَنْ أَرْسَلَهَا ، وَالرُّمْحُ أُحْكَوْكَ وَرُبَّمَا نَحَائِكَ ،
وَالدَّرْعُ مَشْغَلَةٌ لِلرَّاجِلِ (٧) وَمَتَّعَبَةٌ لِلْفَارِسِ (٨) ، وَإِنَّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ ، وَالتَّرْسُ
يَجُنُّ (٩) وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ .

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل ، ومن قصيدة النابغة الشهيرة التي مطلعها :
« كَلِمَتِي لِيَهُمْ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٌ » و « يَقْدُ » : يقطع .. وفي الديوان : « قَدْ » أى : السيف . والسُّلُوقَى :
دروع منسوبة إلى مكان تُنسب إليه الدروع والكلاب .. والمضاعف : الذى يُسَجَّ حلقَتين حلقَتين ، وخصه هنا
لأنه أشد على السيف .. والصُّفَّاح : حجارة عراض .. والحَبَاج : قُوَّةٌ تَضِيءُ بالليل ، فضرِبها الشاعر مثلاً
لما ينقدح من الحجارة إذا قرعتها السيف .. وَيُوقَدُ بِالصُّفَّاحِ ، يعنى : يضرب السيف الحجارة فنقدح نازراً ..
وفي الديوان : « تُوقَدُ » .. يريد أن يقول : إن هذا السيف يقطع الدروع وكل شيء حتى يصير إلى الحجارة
فيورى فيها - أى : ينقدح النار - وهذا إفراط غير مستحب في الوصف .

[انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٤٦ ، والمقد الفرزدق ج ١ ص ١٥٥] .

(٢) في « م » : « بما حوته الرأس » والرأس مُذَكَّرٌ في اللغة .

(٣) الثَّرِيَّا : مجموعة من النجوم في صورة الثور .. والثَّرَى : الأرض .

(٤) الحُسَام : السيف .. والمنجل : آلة لحصد الزرع .

(٥) رِشَاءُ المَيِّتَةِ ، أى : الحبل الذى يوصل للموت .

(٦) لَا تُؤَامِرُ : لَا تُشَارِرُ .

(٧) مشغلة للراجل ، أى : تشغل المحارب الذى يقاتل وهو مُتَرَجِّلٌ ، وهو عكس الفارس .

(٨) في « م » : « متعبة للفارس » بدون واو والعطف .. أى : وتعب الذى يقاتل على فرس .

(٩) يَجُنُّ : يحفظ ويستر .

البَابُ الْحَادِي وَالسُّتُونَ

فِي ذِكْرِ الْخُرُوبِ وَلَدِيرِهَا وَحِيلِهَا وَأَحْكَامِهَا

مِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُحَقَّرَ ^(١) عَدُوُّهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا ، وَلَا يَغْلُفَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ خَفِيرًا ، فَكَمْ مِنْ بَرُغوثٍ ^(٢) أَسْهَرَ بَيْلًا ، وَمَتَعَ الرَّقَادَ مَلِكًا جَلِيلًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَا تُحَقِّرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصْرٌ ^(٣)
فَإِنَّ السَّيُوفَ تُحْزِرُ الرَّقَابَ وَتُعْجِزُ عَمَّا تُنَالُ الْإِبْرَ

وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُحَقِّرَنَّ الذَّلِيلَ ، قَرِيبًا شَرِقَ ^(٤) بِالذَّبَابِ الْعَزِيزُ . وَمَثَلُ ^(٥) الْعَدُوِّ مَثَلُ النَّارِ ، إِنْ تَدَارَكَتْ أَوَّلَهَا سَهْلٌ إِطْفَأُوهَا ، وَإِنْ ثُرِكَتْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ ضِرَامُهَا ^(٦) صَعَبَ مَرَامُهَا ، وَتَضَاعَفَتْ يَلِيتُهَا . وَمَثَلُهُ ^(٧) أَيْضًا مَثَلُ الْجُرْحِ الرَّوِيِّ ، إِنْ تَدَارَكَتْهُ

(١) فِي د م : : : وَمِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَلَّا يُحَقَّرَ .

(٢) لِي د م : : : فَكَمْ بَرُغوثٍ .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْمُتَقَارِبِ ، وَقَدْ وَرَدَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ مَنْسُوبَيْنِ إِلَى الْفَكِيكِ ، ج ٤ ص ٢١٩ ، وَج ١١ ص ٧٤ .

(٤) شَرِقَ : غَصَصَ (وَقَفَ فِي حَلْقِهِ) .. وَفِي د م : : : يُشْرِقُ .

(٥) فِي د م : : : وَمَثَالُ .

(٦) ضِرَامُهَا : اشْتَعَالُهَا .

(٧) فِي د م : : : وَمَثَالُهُ .

سَهْلَ بَرُوءَ ، وَإِنْ أَغْفَلْتُهُ حَتَّى نَعْلَ (١) عَظُمْتَ بِلَيْتِهِ ، وَأَعْيَا (٢) الْأَطْبَاءَ بِرُوءَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ وَضَعُوا فِي تَذْيِيرِ الْحُرُوبِ كُتُبًا ، وَرَبَّيُوا فِيهَا ثَرِيًّا ، فَلَا يَسْعُ أَهْلُ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ حَمْلُهَا (٣) ، إِذْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِي الْغَالِبِ نَوْعٌ مِنَ التَّذْيِيرِ ، وَصِنْفٌ مِنَ الْحِيلَةِ ، وَضُرْبٌ مِنَ الْمَكِيدَةِ ، وَجِنْسٌ مِنَ اللَّقَاءِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ ، وَنَعِيَّةُ الْمَوَاقِبِ (٤) ، وَحَمْلٌ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنْ نَصِفُ مِنْهُ أَشْيَاءَ تُجْرَى مَجْرَى الْمَعَاقِدِ (٥) ، لَا تَكَادُ (٦) تُخْتَلِفُ فِي إِنْهَاءِ أَزْمَةِ الْحُرُوبِ .

وَيَبْدَأُ أَوَّلًا بِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٧) ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَا فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْآلَةِ وَالْحِيلَةِ . وَفَسَّرَ الثَّيْبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُوَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى أَنَسٍ يَرْمُونَ ، فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » . وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَا يَقْصُرُ أَنْفَقَارَهُ وَيَتْرَكُهَا عُدَّةً (٨) ، وَيَرَاهَا قُوَّةً ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّقَاءِ عَمَلًا صَالِحًا ، مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ ، وَرَدِّ مَظْلَمَةٍ ، وَصَلَةِ رَحِمٍ ، وَدُعَاءٍ مُخْلِصٍ ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَنَهْيٍ عَنْكَرٍ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ . وَرَوَى أَنْ بَرِيدًا (٩)

(١) أَى : فَسَدَ .

(٢) لَى م : دَ وَأَغْفَلَ .. وَأَعْضَلَ الْأَطْبَاءَ بِرُوءَ : أَعْجَزَهُمْ أَنْ يَدَاوَوْهُ .

(٣) حَمْلُهَا عَنْ ط : وَلَمْ تَرِدْ لَى م .

(٤) نَعِيَّةُ الْمَوَاقِبِ وَتَعْبِثُهَا : تَجَبُّهَا .

(٥) الْمَعَادِدُ : مَوَاضِعُ انْتِقَادِ الْجَالِسِ .. جَمْعُ مَعْقِدٍ .. وَجَرَى مَجْرَى فُلَانٍ ، أَى : كَانَتْ حَالُهُ كَحَالِهِ .

(٦) لَى م : دَ وَلَا تَكَادُ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠ .

(٨) عُدَّةٌ : اسْتِعْدَادًا .. أَوْ مَا يُعَدُّ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ .

(٩) الْبَرِيدُ : الرَّسُولُ .. وَلَى م : دَ زَيْدًا : تَحْرِيفٌ .

وَرَدَ عَلَيْهِ يَفْتَحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيُّ وَقْتٍ لَقَيْتُمُ الْعَدُوَّ ؟ قَالَ : غَلَوَةٌ .
قَالَ : وَمَتَى انْهَزَمَ ؟ قَالَ عِنْدَ الزَّوَالِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا لَنَافِعٌ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَامَ
الشُّرْكُ لِلْإِيمَانِ مِنْ غَدَوَةٍ إِلَى الزَّوَالِ ؟ لَقَدْ أُحْدِثْتُمْ بَعِيْدَ حَدَثًا ، أَوْ أُحْدِثْتُ بَعْدَكُمْ
حَدَثًا !

وَالشَّائِنُ كُلُّ الشَّائِنِ فِي اسْتِجَادَةِ الْقَوَادِ (١) ، وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ
الْوِلَايَةِ (٢) ، فَقَدْ (٣) قَالَتْ حُكْمَاءُ الْعَجَمِ : أَسَدٌ يَقُوْدُ أَلْفَ ثَغْلِبٍ خَيْرٌ مِنْ ثَغْلِبٍ
يَقُوْدُ أَلْفَ أَسَدٍ . فَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يُقَدَّمَ عَلَى الْجَيْشِ إِلَّا الرَّجُلُ ذُو الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ ،
وَالشُّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ ، كَبْتُ الْجَنَانِ (٤) ، صَارِمُ الْقَلْبِ جَرِيْمُهُ (٥) ، رَابِطُ النَّجَاشِرِ ،
صَادِقُ النَّاسِ ، يَمُنُّ قَدْ تَوَسَّطَ الْحُرُوبِ ، وَمَارَسَ الرِّجَالَ وَمَارَسُوهُ ، وَتَنَزَّلَ الْأَقْرَانَ
وَتَنَازَلُوهُ (٦) ، وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ ، عَارِفًا بِمَوَاضِعِ الْفَرَسِ (٧) ، خَبِيرًا بِمَوَاقِعِ الْقَلْبِ
وَالْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَمَا الَّذِي يَجِبُ شَحْنُهُ بِالْحِمَاةِ وَالْأَبْطَالِ مِنْ ذَلِكَ ،
بَصِيرًا بِصُنُوفِ الْعَدُوِّ وَمَوَاقِعِ الْفُرْقَةِ مِنْهُ (٨) وَمَوَاقِعِ الشَّدَةِ (٩) ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
وَصَدَرَ (١٠) الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، كَانَ جَمِيعُهُمْ (١١) كَأَنَّهُ مِثْلُهُ ، فَإِنْ رَأَى لِقْرَاعِ الْكُتَائِبِ
وَجَهًا ، وَإِلَّا رُدَّ رَدُّ الْغَنَمِ (١٢) لِلزُّبُرِيَّةِ .

(١) فِي د م : : الْقَوَادِينِ .

(٢) فِي د م : : الْأَكْوِيَّةُ وَهِيَ جَمْعُ لَوَاءٍ .. وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ الْوِلَايَةِ : اخْتِيَارُهُمْ .

(٣) فِي د م : : وَقَدْ .

(٤) كَبْتُ الْجَنَانِ : الشُّجَاعُ الثَّابِتُ الْقَلْبُ .

(٥) فِي د م : : خَوْفُهُ ، مَكَانُ جَرِيْمِهِ .

(٦) وَتَنَازَلُوهُ : عَنْ د م .

(٧) فِي د م : : الْغَرَضُ ، أَيْ : الْمَدْفُ .

(٨) فِي د م : : بِبَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْفُرْقَةِ وَصُنُوفِ الْعَدُوِّ .

(٩) فِي د م : : وَمَوَاضِعُ الشَّدَةِ .

(١٠) فِي د م : : وَصَدَرَ الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، أَيْ : رَجَعُوا إِلَى رَأْيِهِ وَانْتَهَوْا إِلَيْهِ .

(١١) فِي د م : : جَمْعُهُمْ .

(١٢) فِي د م : : وَإِلَّا رُدَّ الْغَنَمُ وَسَقَطَتْ رُدُّهُ ، وَلَا تَنْصَحُ .

وَأَغْلَمَ أَنَّ الْحَرْبَ تُخْدَعَةُ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ ، وَآخِرُ ^(١) مَا يَجِبُ رُكُوبُهُ قَرَعُ الْكِتَابِ ، وَحَمْلُ الْجِيُوشِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَلْتَبْدَأْ بِتَصْرِيفِ الْحِيلَةِ فِي ثِيْلِ الظَّفَرِ .

قَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ : كُنْتُ أَمِيرَ خُرَاسَانَ مِنْ قَبْلِ مَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ ، آخِرَ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : وَكَانَ ^(٢) عُظَمَاءُ التُّرْكِ يَقُولُونَ : يَنْبَغِي لِلْقَائِدِ الْعَظِيمِ ^(٣) أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشْرَةُ أَخْلَاقٍ مِنْ إِخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ^(٤) : شَجَاعَةُ الذِّبْكِ ، وَبَحْثُ الدَّجَاجَةِ ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ ، وَحِمْلَةُ الْخَنْزِيرِ ^(٥) ، وَرَوْعَانُ الثَّغْلِبِ ^(٦) ، وَصَبْرُ الْكَلْبِ عَلَى الْجِرَاحِ ، وَحِرَاسَةُ الْكُرْكِيِّ ^(٧) ، وَغَارَةُ الذَّنْبِ ^(٨) وَسِمَنُ ثَقِيرٍ ، وَهِيَ دَوِيَّةٌ تُكُونُ بِخُرَاسَانَ تَسْمَنُ عَلَى الثَّعْبِ وَالشَّقَاءِ .

وَكَانَ يَقَالُ : أَشَدُّ خَلْقِي اللَّهُ تَعَالَى عَشْرَةَ : فَأَشَدُّ خَلْقِي اللَّهُ الْجِبَالُ ^(٩) ، وَالْحَدِيدُ يَنْحِتُ الْجِبَالَ ، وَالتَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ ^(١٠)

(١) فِي « م » : « وَأَسْخَنَ » مَكَانَ « وَآخِرَ » .

(٢) فِي « م » : « كَانَ » بِدُونِ « الْعَظِيمِ » .

(٣) فِي « ط » : « الْعَظِيمِ الْقَيَادِ » .

(٤) مَا وَرَدَ فِي « م » ، وَ « ط » : تِسْعَ صِفَاتٍ وَلَيْسَ عَشْرًا كَمَا ذَكَرَ .

(٥) حِمْلَةُ الْخَنْزِيرِ : كَرَّةٌ فِي الْحَرْبِ .. وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ لِلدَّمِيمِ : أَنَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ حَتَّى إِنَّهُ يَضْرِبُ

بَنَاهُ صَاحِبَ السِّيفِ وَالرَّحِمِ فَيَقْطَعُ كُلَّ مَالِقٍ مِنْ جَسَدِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ .

[انْظُرِ الْمَصْنُوعَ الْمَذْكُورَ ج ١ ص ٤٣١] .

(٦) رَوْعَانُ الثَّغْلِبِ : خَدِيدَتُهُ .

(٧) الْكُرْكِيُّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ ، طَوِيلُ الشَّنْقِ وَالرَّجْلَيْنِ ، أَبْرُ الذَّنْبِ ، قَلِيلُ اللَّحْمِ ، يَأْوِي إِلَى الْمَاءِ

أَحْيَانًا ، وَمِنْ طَبْعِهِ الْحَذَرُ وَالْتِحَارِسُ بِالنُّوبَةِ ، وَالَّذِي يَحْرُسُ يَتَفَتَّ بِصَوْتِ خَفِيِّ يَنْبُلِرُ بِأَنَّهُ « حَارَسٌ » ، فَإِذَا قَضَى نَوْبَهُ فِي الْحِرَاسِ قَامَ الَّذِي كَانَ نَائِمًا لِيَحْرُسَ مَكَانَهُ .

[انْظُرِ الدَّمِيمَى ج ٢ ص ٢٤٤] .

(٨) الْمَعْرُوفُ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ إِذَا كَلَّمَهُ الْجُرْعُ عَزَى ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذَّنَابُ ، وَيَغْوُونَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْفَرِيسَةِ .

(٩) قَوْلُهُ : « فَأَشَدُّ خَلْقِي اللَّهُ » عَنْ « م » وَلَمْ تَرِدْ فِي « ط » .

(١٠) فِي « ط » : « تَحْمِلُ » .

الْمَاءَ ، وَالرَّيْحُ تُصَرِّفُ السَّحَابَ ^(١) ، وَالْإِنْسَانُ يَقْنِي الرِّيحَ ^(٢) لِحَاجَتِهِ ، وَالسُّكْرُ ^(٣)
يَصْرَعُ الْإِنْسَانَ ، وَالتَّوَمُ يُلْجِبُ السُّكْرَ ، وَالْهَمُّ يَمْنَعُ التَّوَمَ ، فَاشْتَدَّ خَلْقِي رَبِّكَ الْهَمُّ .
فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَيْتُ ^(٤) جَوَاسِيسُهُ فِي عَسْكَرِ عَدُوِّهِ ، يَسْتَعْلِمُ أَخْبَارَهُ مَعَ
السَّاعَاتِ ، وَيَسْتَعْلِمُ رُؤُسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَذَوِي الشَّجَاعَةِ مِنْهُمْ ، وَيُدْسُ إِلَيْهِمْ ^(٥) ،
وَيَعْدُهُمْ وَغَدًا جَمِيلًا ، وَيُوجِّهُ إِلَيْهِمْ بِضُرُوبِ الْخُدْعَةِ ، وَيَقْوَى أَطْمَاعَهُمْ فِي أَنْ
يَنَالُوا ^(٦) مَا عِنْدَهُ مِنَ الْهَبَاتِ الْفَاحِشَةِ ، وَالْوَلَايَاتِ ^(٧) السَّيْنِيَّةِ ، وَإِنْ رَأَى وَجْهَهَا
عَاجِلَهُمْ بِالْهَدَايَا ^(٨) وَالنَّحِيفِ ، وَسَأَلَهُمْ ^(٩) إِمَّا الْقَدَرَ بِصَاحِبِهِمْ وَإِمَّا اغْتِرَالَهُ وَقَتَ
الْلِقَاءِ ، وَيَنْشِئُ عَلَى السَّيِّئَةِمْ كُتْبًا مُدْلَسَةً إِلَيْهِ ^(١٠) وَيُنْثِيهَا فِي عَسْكَرِهِ ، وَيَكْتُبُ عَلَى
السَّهَامِ أَخْبَارًا مُزَوَّرَةً وَيَرْمِي بِهَا فِي جُيُوشِهِمْ ، وَيَضْرِبُ بَيْنَهُمْ بِمَا فِي الْمَسُورِ مِنْ
ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَمْوَالُ وَالْحَيَلُ ، وَالْلِقَاءُ تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَرْوَاحُ
وَالنُّفُوسُ ^(١١) ، وَوُجُوهُ الْخِدَاعِ فِيهِ لَا تُحْصَى ، وَالْحَاضِرُ فِيهِ ^(١٢) أَبْصَرَ مِنْ

(١) تُصَرِّفُ السَّحَابَ : تُوجِّهه .. وَلى د م : : تَفَرَّقَ السَّحَابُ .

(٢) يَقْنِي الرِّيحَ : يَتَخَذُهَا لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا لِحَاجَتِهِ .. وَلى د م : : يَقْنِي الرِّيحَ .

(٣) السُّكْرُ : غَيْبُوهُ الْعَقْلَ وَاجْتِلَاطُهُ مِنَ الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ .

(٤) لِي د م : : يَهَيِّجُ .

(٥) يُدْسُ إِلَيْهِمْ : يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ خَفِيَّةً .

(٦) لِي د م : : يَنْتَالُ .

(٧) لِي د م : : الْوَلَايَاتِ .

(٨) لِي د م : : وَإِنْ رَأَى وَجْهَهَا قَالَهُمْ بِالْعَطَايَا . وَالْوَجْهَ هُنَا بِمَعْنَى الْقَبُولِ وَالْإِقْبَادِ لِرَأْيِهِ .

(٩) فِي د م : : وَسَامَهُمْ . تَحْرِيفٌ .

(١٠) كُتْبًا مُدْلَسَةً : رِسَالَاتٍ مُزَيَّفَةً يَخْدَعُ بِهَا الْعَدُوَّ .

(١١) لِي د ط : : الْأَرْوَاحُ وَالرُّعُوسُ .

(١٢) فِيهِ ، أَيْ : فِي اللَّقَاءِ .. وَلى د ط : : فِيهَا . أَيْ : فِي الْحَرْبِ .

الغائب . وَلَقَدْ دُرُّ الْمُهْلَبِ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْتَعِجِلُهُ فِي حَرْبِ الْأَزَارِقَةِ ^(١) .
رَدَّ الْجَوَابَ فَقَالَ : إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُكَ لَا عِنْدَ مَنْ يَصِيرُهُ .
وَقَالَ الْمُخْتَارُ لِيَزِيدَ بْنِ أُنْسٍ ^(٢) حِينَ وَلَاهُ الْجَزِيرَةَ وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
زِيَادٍ ^(٣) : اْمْضِرْ إِلَى عَدُوِّكَ بِرَأْيٍ غَيْرِ مُسْتَبَدٍّ ، وَبِحَزْمٍ غَيْرِ مُتَكِلٍ ، وَلَا تَرْكُنْ إِلَى
الدَّوْلَةِ ، فَرُبَّمَا انْقَلَبْتَ ، وَاسْتَشِيرَ مَنْ لَا يَطْمَعُ فِي عَمَلِكَ ، وَلَا تَسِرْ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَخِرِ
اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ إِقْدَامِكَ تُوفِّقُ .

وَأَوْصَتْ أُمُّ الدِّيَالِ الْعَبْسِيَّةُ ابْنَهَا الْفَتَاكُ ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ : يَا بُنَيَّ لَا تَنْشَبْ
فِي حَرْبٍ ^(٤) إِنْ وَثَقَتْ بِشِدَّتِكَ ^(٥) حَتَّى تَعْرِفَ وَجْهَ الْمَهْرَبِ مِنْهَا ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقْوَى
شَيْءٍ إِذَا وَجَدَتْ سَبِيلَ الْجِيلَةِ ، وَأَضْعَفُ شَيْءٍ إِذَا يَحْسَتُ مِنْهَا ، وَأُحْمَدُ الشَّدَّةِ ^(٦)
مَا كَانَتْ الْجِيلَةُ مُدْبِرَةً لَهَا ، إِذَا لَمْ يَكُنِ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَهْذَلُهَا ، وَاخْتَلَسَ مِنْ

(١) في م : : يَعْجَلُهُ : أَيْ : يَجْعَلُهُ : فِرْقَةً مِنَ الْخَوَارِجِ ، تُسَبَّوْا إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْخَلْفِيِّ ،
كُفِّرُوا عَلَيْهِ بِالْحَكِيمِ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَالْقَاعِدِينَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَجَوَّزُوا قَتْلَ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ وَسَبَّوْا نَسْلَهُمْ .
[انظر التعريفات للجرجاني ص ٣٢ ، والمُلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢] .
(٢) المختار ، هو : المختار الثقفي ، وقد مرَّ التعريف به .. ويَزِيدُ هو : يزيد بن أنس المالكِي الأَسَدِي ، قائد
من الشجعان من أصحاب المختار الثقفي ، خرج معه على بنِي أُمَيَّةٍ مُطَالِباً بِدَمِ الْحُسَيْنِ ، فَكَانَ مِنْ قَادَةِ جَيْشِهِ ،
وَوَجْهَهُ الْمُخْتَارُ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْكُوفَةِ لِلدَّخُولِ الْمَوْصِلَ ، وَفِيهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَعِلْمُ ابْنِ زِيَادٍ بِخِيَرَةِ
فَأَرْسَلَ لِقَاتِلِهِ قَيْلَقَيْنَ ، كُلٌّ مِنْهُمَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ رِيحَةُ بْنُ خَلْقٍ الْغَنَوِيُّ ، وَعَلَى الثَّانِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَمَلَةَ
الْخُثَمِيُّ ، وَتَقَدَّمَ رِيحَةُ يَوْمًا ، فَانْهَزَمَ مِنْ مَعَهُ بَعْدَ مَعْرَكَةٍ ، وَقُتِلَ ، وَأَقْبَلَ الْخُثَمِيُّ ، فَقَتَلَ أَيْضًا ، وَتَفَرَّقَ رِجَالُهُ ،
وَكَانَ يَزِيدُ فِي حَالَةِ إِحْيَاءٍ شَدِيدٍ مِنْ مَرَضٍ حُلَّ بِهِ ، فَأَوْصَى بِنِ يَخْلُقُهُ إِنْ مَاتَ . وَشَهِدَ الْمَعْرَكَةَ الْأَوَّلَى وَهُوَ عَلَى
حِمَارٍ يَمْسُكُهُ بَعْضُ الرِّجَالِ ، وَشَهِدَ الثَّانِيَةَ وَهُوَ فِي قَلْبِ جَيْشِهِ عَلَى سَرِيرٍ . وَسَقَطَ مَيِّتًا فِي الْمَسَاءِ بَعْدَ الظُّرَى فِي
الْحَرِيرِينَ سَنَةَ ٦٦ هـ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٩ ، ١٨٠] .

(٣) في م : : وَط : : عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ .. وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بْنِ أَبِيهِ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .
(٤) لَا تَنْشَبْ فِي حَرْبٍ ، أَيْ : لَا تَقْعُ فِيهَا .

(٥) في م : : وَط : : إِنْ وَثَقَتْ شِدَّتُكَ ، أَيْ : صَارَتْ مُحْكَمَةً فِي الْقُوَّةِ .

(٦) في م : : السُّورَةُ ، تَحْرِيفٌ .. وَأَحْمَدُ الشَّدَّةِ : الشَّدَّةُ الْمَحْمُودَةُ ، وَالْفِعْلُ أَفْعَلَ تَفْضِيلٌ مِنَ الْحَمْدِ .

الْمُحَارِبِ ^(١) تَحْلَسَ الذَّنْبِ ، وَطَرِ مِنْهُ طَيْرَانُ الْغُرَابِ ، فَإِنَّ الْحَذَرَ زِمَامُ الشُّجَاعَةِ ، وَالتَّهَوُّرَ عَدُوُّ الشَّدَّةِ .

وَقَالَ أَبُو السَّرَّاءِ - وَكَانَ أَحَدَ الْقَتَاكِ ^(٢) - لَا يَنْبِي : يَا بَنِي ، كُنْ بِحِيلَتِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ ، وَبِحَذَرِكَ ^(٣) أَوْثَقَ مِنْكَ بِشَجَاعَتِكَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمُتَهَوِّرِ وَغَنِيمَةُ الْحَذِيرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّوَلَ إِذَا زَالَتْ صَارَتْ حِيلَهَا ^(٤) وَبَالًا عَلَيْهَا ، وَإِذَا أُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي حُلُولِ الْبَلَاءِ كَانَتْ الْآفَةُ فِي الْحِيلَةِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ كَانَ الْقَطْبُ ^(٥) فِي الْحِيلَةِ ، وَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ الدُّوَلِ أَذْهَبَتْ سُنَّةُ الْعَفْلَةِ عَنْ سُنَّةِ الْحَذَرِ ^(٦) وَيَغْلِبُ الضَّعِيفُ بِاقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، كَمَا يَغْلِبُ الْقَوِيُّ بِفَتَاءِ مُدَّتِهِ ^(٧) .

وَقَالُوا : سُوءُ الدُّوَلِ وَتُحُوسُهَا مَقْرُونَةٌ بِسُوءِ الْمُلْكِ وَتُحُوسِيهِ ^(٨) . وَقَالُوا : أَهْبَى زَيْ ^(٩) عَلَى كُلِّ أَمْرٍ ذَوْلُهُ ، فَإِذَا انْقَضَتْ بَدَتْ غَوْرَتُهُ . وَقَالَ ^(١٠) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا وَلَّتْ دَوْلَةٌ ، وَلَّتْ أُمَّةٌ ، وَإِذَا زَالَتْ ذَوْلَةُ نُسُخَتْ أُمَّةٌ ^(١١) . وَقَالُوا : رُبُّ حِيلَةٍ أَهْلَكَتِ الْمُحْتَالَ . فَمِنْ الْحَزَمِ الْمَالُوفِ عِنْدَ سُؤَسْرِ الْحُرُوبِ ^(١٢) أَنْ

(١) اختلس : اختطف بسرعة وغفلة ، والمحلّسة بفتح الحاء المعجمة : اسم مَرَّة ، وبالضم : ما يُخْلَسُ .. وفي « م » : « وأخلس من تحارب » وهي بمعناها .

(٢) القَتَاك : جمع قَاتِك ، وهو الذي يركب الشدائد ولا يبال بالموت .

(٣) في « م » : « وبجِدَّتِكَ » .

(٤) في « م » : « حيلتها » .

(٥) الْقَطْبُ : الهلاك والفساد .

(٦) السُّنَّة : الطبيعة ، والصورة ، والطريقة . والسُّنَّة : القُفُوءة والنعاس . وكلاهما له وَجْهٌ .

(٧) أى : بانتهاء أجله .

(٨) السُّعُود : اليأس والتوفيق - تقيض الشقاء .. والتُّحُوس : الجَهْد والضرر .

(٩) سقطت لفظة « زَيْ » من « م » سهواً من النسخ .

(١٠) من قوله : « قال .. » إلى قوله : « نُسُخَتْ أُمَّةٌ » عن « م » . وساقط من « ط » .

(١١) إلى هنا ينتهي الساقط من « ط » .. ونُسُخَتْ أُمَّةٌ : أُزِيلَتْ .

(١٢) سُؤَسْرِ الحروب : سَامَتْهَا .. والكَلِمَةُ : جمع كَيْي ، وهو : الشجاع الجريء من الأبطال .

تُكَوِّنُ حُمَاةَ الرُّجَالِ وَكُمَاةَ الْأَبْطَالِ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنَّهُ مِنْهُمَا الْكَسَرُ الْجَنَاحَانِ فَالْعُمُودُ
 نَاطِرَةٌ إِلَى الْقَلْبِ ، فَإِذَا كَانَتْ رَأْيَاثُهُ تُخَفِّقُ ، وَطَبُولُهُ تُضْرِبُ ، كَانَتْ حِصْنًا
 لِلْجَنَاحَيْنِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُتَهَيِّمٍ ، وَإِذَا انْكَسَرَ الْقَلْبُ تَمَزَّقَ الْجَنَاحَانِ ، مِثَالُ ذَلِكَ :
 الطَّائِرُ إِذَا انْكَسَرَ إِحْدَى جَنَاحَيْهِ يَرْجَى عَوْدَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَإِنْ انْكَسَرَ ^(١) الرَّأْسُ
 ذَهَبَ الْجَنَاحَانِ ، وَلَا تُخَصِّصِي كَثْرَةَ انْكِسَارِ جَنَاحِي الْعَسْكَرِ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ
 الْفَارُونَ إِلَى الْقَلْبِ وَيَكُونُ الظَّفَرُ لَهُمْ . وَقُلْ عَسْكَرُ الْكَسَرِ قَلْبُهُ فَأَقْلَحْ أَوْ تَرَاوَجْ ^(٢) ،
 اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكِيدَةً مِنْ صَاحِبِ الْجَيْشِ ، فَيُخِلَّ الْقَلْبَ ^(٣) قَصْدًا وَتَعَمُّدًا ،
 وَلَا يُعَادِرُ بِهِ كَبِيرَ أَمْرِ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَهُ الْعَدُوُّ اشْتَغَلَ بِنَهْيِهِ ^(٤) ، وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ
 الْجَنَاحَانِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَكَائِدِ فِي الْحَرْبِ الْكُمَاءُ ^(٥) ، وَلَا يُخَصِّصِي كَثْرَةَ . كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ
 اسْتَبِيحَتْ بَيْضَتُهُ وَقُلْ عَزَمُهُ بِالْكُمَاءِ ^(٦) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَارِسَ لَا يَزَالُ عَلَى حَيِيَّةٍ فِي
 الدَّفَاعِ وَحِمَى الدَّمَارِ ^(٧) حَتَّى يَلْتَقِيَتْ قِيَرَى وَرَاءَهُ يَنْدُو مَنْشُورًا ^(٨) ، أَوْ يَسْمَعَ ضَرْبَ
 الطُّبُولِ ^(٩) ، فَحَيِيَّتُهُ هِمَّتُهُ خَلَاصُ نَفْسِهِ . وَلَتَكُنْ هِمَّتُكَ وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ
 الْحُرُوبِ فِي اصْطِلَاحِ الشُّجْعَانِ ^(١٠) ، وَاخْتِيَارِ الْأَبْطَالِ ، فَاصْطَلَحَ ذَوِي الْبَسَالَةِ
 وَالْإِقْلَامِ وَالْجَرَاءَةِ ^(١١) ، وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا يَكْثُرُوا ، وَيَعِيدُ ^(١٢) عَلَيْكَ أَنْ يَكْثُرُوا ،
 وَلَا تَنْسَ بَيْتَ الشَّاعِرِ :

(١) لِي د ط : « كُسِرَ » .. وجناحا العسكر : جانيه .

(٢) لِي م : « فَأَقْلَحْ وَتَرَاوَجْ » .

(٣) فَيُخِلَّ الْقَلْبَ : يَهْزِبُ عَنْهُ وَيَرْكَعُ .

(٤) لِي م : « وَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ » .

(٥) الْكُمَاءُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَكْمُونُ وَيَهْرُونَ فِي الْحَرْبِ ، حِيلَةٌ .. وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « قُلْ عَزَمَهُ بِالْكُمَاءِ »
 سَاقَطَ مِنْ « م » .

(٦) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقَطُ مِنْ « م » .. وَمَعْنَى اسْتَبِيحَتْ بَيْضَتُهُ ، أَيْ : دَخَلَ الْعَدُوُّ مَكَانَهُمْ وَاسْتَبَاحَ جَنَاحَهُمْ .

(٧) لِي م : « عَلَى حَيِيَّتِهِ » .. وَالْدَّمَارُ : مَا يَنْهِي حِيلَتَهُ وَالتَّوَدُّدَ عَنْهُ ، كَالْأَهْلِ وَالْبَرِيضِ .

(٨) يَنْدُو مَنْشُورًا : عَلِمًا مَرْفُوعًا .

(٩) لِي م : « أَوْ ضَرْبَ الطُّبُولِ » .

(١٠) اصْطِلَاحُ الشُّجْعَانِ : اخْتِيَارُهُمُ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ .

(١١) لِي م : « وَالْجَرَاءَةِ » .

(١٢) لِي م : « أَوْ يَعِيدُ » .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمَرَ عَنَى ^(١)

بَلْ قَدْ جُرَّبَ ذَلِكَ فَوَجِدَ مِنْهُمْ خَيْرًا ^(٢) مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَمَا حَكِي لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ ^(٣) ، فَهُمْ فِي الْجَيْشِ ، وَإِنْ قَلُوا ، كَالْإِنْفِخَةِ فِي اللَّبَنِ ^(٤) ، فَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا اتَّقَى الْمُسْتَعِينُ بْنُ هُودٍ ^(٥) مَعَ الطَّاعِيَةِ ابْنِ رُذَمِيلَ ^(٦) النَّصْرَانِيَّ عَلَى مَدِينَةِ « وَشَقَّة » ^(٧) فِي ثُغُورِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرَانِ كَالْمُتَكَافَيْنِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرَاهُ ^(٨) عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ بَيْنَ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ^(٩) ، فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ حَضَرِ الْوُقْعَةِ مِنَ الْأَجْنَادِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَا اللَّقَاءُ قَالَ الطَّاعِيَةُ ابْنُ رُذَمِيلَ لِمَنْ يَتَّقِي بِعَقْلِهِ وَمُمَارَسَتِهِ لِلْحُرُوبِ ^(١٠) مِنْ رِجَالِهِ : اسْتَغْلِمَ مَنْ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ تَعْرِفُهُمْ كَمَا يَعْرِفُونَا ، وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ وَمَنْ حَضَرَ . فَلَدَهَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَةَ رِجَالٍ . قَالَ : انْظُرْ

(١) عَنَى : نَزَلَ وَوَقَعَ .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ » .. لَا تَصَحُّ .

(٣) فِي « م » : « مَا يَفْضِي فِيهِ الْمَجِبُ » .

(٤) الْإِنْفِخَةُ ، بِتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِهَا : مَادَّةٌ خَاصَةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مِعْدَةِ الرِّضِيعِ مِنَ الْمَجُولِ وَالْجِدَاءِ ،

أَوْ نَحْوَهَا ، بِهَا حِمَاةٌ تُجَبِّنُ اللَّبَنَ .

(٥) فِي « م » : « الْمُسْتَجِيبُ بْنُ هُودٍ » . تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ أَحْمَدُ يَوْسُفُ بْنُ هُودٍ ، رَابِعُ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْهُودِيَّةِ - مِنْ دُولِ الطَّوَالِفِ بِالْأَنْدَلُسِ - وَكَانَ مَقَامَ مُلُوكِهَا فِي سَرَقِطَةَ .. وَلى بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ٤٧٨ هـ . وَكَانَ مِنَ الْفُرَاةِ .. وَكَانَتْ فِي أَهْلَامِهِ وَقْعَةٌ « وَشَقَّة » سَنَةَ ٤٨٩ هـ ، وَقُتِلَ فِيهَا نَحْوُ ١٠ أَلْفٍ مِنْ جَيْشِهِ .. وَاسْتَمَرَ فِي الْإِمَارَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي مَعْرَكَةِ لِفْعِجِ الْعُلُو بِظَاهِرِ سَرَقِطَةَ سَنَةَ ٥٠٣ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ٢٧٣ ، وَنَفَحَ الطَّيْبَ ج ١ ص ٤٢٣] .

(٦) فِي « م » : « ابْنُ بَرْدَمِيلَ » فِي الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا .. وَهُوَ تَحْرِيفٌ .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ :

« ابْنُ رَدْمِرٍ » بِالرَّاءِ .. [انْظُرِ ابْنَ الْأَثِيرِ ج ٨ ص ٣٠٢ وَغَيْرَهَا] .

(٧) وَشَقَّة : مَدِينَةٌ شَرْقِيَّةٌ أَسْبَانِيَا . فَضَحَهَا الْعَرَبُ سَنَةَ ٩٥ هـ .

(٨) يُرَاقِبُ : يُقَارِبُ .

(٩) فِي « م » : « مِنْ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، وَالرَّجُلُ ، جَمْعُ رَاجِلٍ ، وَهُوَ : الْمَاشِي عَلَى رِجْلَيْهِ .

(١٠) فِي « م » : « وَمُمَارَسَةُ الْحُرُوبِ » .

الآن ^(١) مِنَ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ . فَعَدُّوهُمْ فَوَجَدُوهُمْ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لَا يَزِيدُونَ ، فَقَامَ الطَّاغِيَةُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا يَيَاضَكَ مِنْ يَوْمٍ ! ثُمَّ نَاشَبَ ^(٢) الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ ، فَلَمْ تَزَلِ الْمُصَابِرَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، لَمْ يُولِ أَحَدُهُمْ ذُبْرَهُ ^(٣) ، وَلَا تَزْخَرْ عَنْ مُقَابِلِهِ ^(٤) حَتَّى فَنِيَ أَكْثَرُ الْعَسْكَرَيْنِ وَلَمْ يَبْقَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ نَظَرُوا إِلَيْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةً وَاحِدَةً ^(٥) وَدَاخَلُونَا مُدَاخِلَةً ، فَفَرَقُوا بَيْنَنَا وَصَبَرْنَا شَطْرَيْنِ ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَصْحَابِنَا ، وَصَارُوا بَيْنَنَا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَهْنِنَا وَضَعْفِنَا ، وَلَمْ يَقْمِ الْحَرْبُ إِلَّا سَاعَةً وَنَحْنُ فِي خَسَارَةٍ مَعَهُمْ ، فَأَشَارَ مُقَدِّمُو ^(٦) الْعَسْكَرِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ ، وَالْكَسَرَ ^(٧) عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَمَلَكَ الْعَدُوُّ مَدِينَةَ « وَشَقَّة » . فَلْيَعْتَبِرْ ذُو الْحِزْمِ وَالْبَصِيرَةُ مِنْ جَمْعٍ يَخْتَوِي عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَلَا يَخْضِرُهُ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَعْدُودِينَ إِلَّا خُمُسَةً عَشَرَ رَجُلًا ، وَلْيَعْتَبِرْ بِضَمَانِ الْعِلْجِ ^(٨) بِالظَّفَرِ وَاسْتِشَارِهِ بِالْفَغِيمَةِ لَمَّا زَادَ فِي أَبْطَالِهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا الْقَاضِي أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَحْكِي ، قَالَ : يَتِمَّا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِذْ وَقَفَ عَلَى تَشْرِ ^(٩) مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٍ ، فَرَأَى جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ^(١٠) قَدْ مَلَفُوا السَّهْلَ

(١) في « م » : « قَالَ : الْآنَ انْظُرْ » .

(٢) نَاشَبَ : نَابَهُ وَجَاهَرَ .

(٣) لَمْ يُولِ أَحَدُهُمْ ذُبْرَهُ : لَمْ يَبْقُرْ .

(٤) مُقَابِلِهِ : مَوْقِعَ إِقَامَتِهِ وَمَكَانِهِ .

(٥) قَوْلُهُ : « وَاحِدَةً » عَنْ « م » .

(٦) فِي « م » : « مُقَدِّم » .

(٧) فِي « م » : « فَانْكَسَرَ » أَيْ : فَانْهَزَمَ .

(٨) أَصْلُ الْعِلْجِ : حِمَارُ الْوَحْشِ الْغَلِيظِ ، وَأُطْلِقَ عَلَى الرَّجُلِ الضَّخْمِ مِنْ كُفَّارِ الْمَجْمِ ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَطْلُقُونَهُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقًا .. وَقَدْ مَرَّ .

(٩) التَّشَرُّ ، بِفَتْحِ الشِّينِ وَسُكُونِهَا : مَا ارْتَفَعَ وَظَهَرَ مِنَ الْأَرْضِ .

(١٠) فِي « م » : « وَعَنْ يَسَارِهِ » .

وَالْجَبَلِ ، فَاتَّفَتْ إِلَى مُقَدِّمِ الْعَسْكَرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ، فَقَالَ :
 كَيْفَ تَرَى هَذَا الْعَسْكَرَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ؟ قَالَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَرَى جَمْعًا كَثِيرًا وَجَيْشًا
 وَاسِعًا . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لَا يَنْجُزُ ^(١) أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ مُقَاتِلٍ ^(٢)
 مِنْ أَهْلِ الشُّجَاعَةِ وَالْبَسَالَةِ ؟ فَسَكَتَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَا سُكُوتُكَ ؟
 أَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجُيُوشِ ^(٣) أَلْفُ مُقَاتِلٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ
 انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَعْدُودِينَ ؟ قَالَ : لَا . فَحَيَّنَ
 الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :
 أَيُّهُمْ خَمْسُونَ مِنَ الْأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . فَسَبَّهَ الْمَنْصُورُ وَاسْتَحَفَّ بِهِ ^(٤) ، وَأَمَرَ بِهِ
 فَأُخْرِجَ عَلَى أَتْبَحٍ صَرِيفَةٍ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ ، وَتَصَافَّ ^(٥)
 الْجُمْعَانِ ، فَهَرَزَ ^(٦) عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، شَاكًا فِي سِلَاحِهِ يَكْرُ وَيَقْرُ ^(٧) وَهُوَ
 يُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَهَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَقَتَلَهُ ^(٨)
 الْعِلْجُ ، فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ وَصَاحُوا ^(٩) ، وَاضْطَرَبَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْعِلْجُ
 يَخْرُجُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ اثْنَيْنِ لَوَاحِدٍ ؟ فَهَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ ^(١٠) الْعِلْجُ ، وَجَعَلَ يَكْرُ وَيَحْمِلُ ^(١١) وَيُتَادَى : هَلْ

(١) في « ط » : « لا يهجزنا » .

(٢) هنا في « م » : « قال : لا .. قال : فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال : أما في هذا الجيش ألف

مقاتل » ، وسأقي مع تغيير طفيف .

(٣) في « م » : « في هذا الجيش » .

(٤) فحَيَّنَ : فاغتاض .. واستحَفَّ به : استبان به وأهانته .

(٥) تصافَّ الجُمعان : وقفوا في صفوف متقابلة .. ول « م » : « وتضافَّى » أي : انضم بعضهم إلى بعض .

(٦) في « م » : « وهَرَزَ » .

(٧) أي : يحصل غلَّةُ الحرب ومُتَأَهَبُ للقتال .

(٨) في « م » : « ثم قتله » .

(٩) في « م » : « وصاحوا به » .

(١٠) في « م » : « ثم قتله العليج ففرح المشركون » .

(١١) في « م » : « يكر ويقر » .

مِنْ مَبَارِزِ ثَلَاثَةِ إِوَاجِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) فَقَتَلَهُ الْعِلْجُ ، فَصَاحَ الْمُشْرِكُونَ ، وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَادَتْ تُكُونُ كَسْرَةً ، فَقِيلَ لِلْمَنْصُورِ : مَا لَهَا غَيْرَ ابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ الْكَلْبُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بَعْنَى جَمِيعِ مَا جَرَى . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَنْ تُكْنِيَهُ ^(٢) الْمُسْلِمِينَ شَرُّهُ . قَالَ : نَعَمْ الْآنَ .

ثُمَّ قَصَدَ إِلَى رِجَالِ يَغْرُفَهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ عَلَى فَرَسٍ قَدْ نَشَرَتْ أَوْرَاكُهَا هَرَالًا ^(٣) ، وَهُوَ يَحْمِلُ قِرْبَةً مَاءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْفَرَسِ ، وَالرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَجِلَّتِهِ غَيْرُ مُتَضَمِّعٍ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَمَاذَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ أُرِيدُ رَأْسَهُ الْآنَ ^(٥) . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَلَ الْقِرْبَةَ إِلَى رَحْلِهِ ، وَلَبَسَ لِأَمَةِ خَرِبَةٍ وَبَرَزَ إِلَيْهِ ^(٦) ، فَهَجَاوَا سَاعَةً ، فَلَمْ يَرِ النَّاسُ إِلَّا الْمُسْلِمَ خَارِجًا إِلَيْهِمْ بِرُكْحُضٍ ، وَلَا يَذْرُونَ مَا هُنَالِكَ ، وَإِذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ رَأْسَ الْعِلْجِ ، فَالْقَى الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : عَنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عَسْكَرِكَ مِنْهُمْ أَلْفٌ ، وَلَا خُمْسِيَّةٌ ، وَلَا مِائَةٌ ، وَلَا عِشْرُونَ ، وَلَا عِشْرُونَ ، وَلَا عَشْرَةٌ ^(٧) . فَرَدَّ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ إِلَى مَنْزِلِيهِ وَأَكْرَمَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ شَكْوَى ، وَأَوْسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى . الْحَرْبُ شَتَاءٌ ^(٨) غَائِسَةٌ ، شَوْهَاءٌ ، كَالْحِمَّةِ ، خُرُورٌ ^(٩) فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ، شُمُوسٌ فِي

(١) قوله : « من المسلمين » عن « م » .

(٢) في « م » : « قال : أكني » .

(٣) أى : ظهرت وبرزت عظامها من الضعف .

(٤) في « م » : « غير متضمع » . ربما يريد أنه غير فقير .

(٥) في « م » : « قال : فما ترى فيه ؟ قال له : أريد رأسه الآن » .

(٦) في « م » : « ونزل إليه » . واللامَةُ : أداة الحرب كلها ، من رمح وبيضة ومقعر وسيف ودرع .

(٧) في « م » : « ولا خمسون ولا عشرة » .

(٨) الحرب شتاء ، أى : تشبه المرأة الشقاء الشعر في هيئتها وقبح منظرها .

(٩) الخُرُور : الريح الحارة .. وفي « م » : « جُزُور » .. والجُزُور : ما يُذْبَح .

الْوَطِيسُ ^(١) ، تَغْلُدَى بِالنُّمُوسِ . الْحَرْبُ أُولُهَا الْكَلَامُ وَآخِرُهَا الْحِمَامُ ^(٢) . الْحَرْبُ
مِرَّةُ الْمَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ ^(٣) عَنْ سَاقٍ ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عَرَفَ ، وَمَنْ ضَعُفَ عَنْهَا
تَلَفَ ^(٤) . جِسْمُ الْحَرْبِ الشَّجَاعَةُ ، وَقَلْبُهَا التَّذِيرُ ، وَعَيْنُهَا الْحَذَرُ ، وَجَنَاحُهَا
الطَّاعَةُ ، وَلِسَانُهَا الْمَكِيدَةُ ، وَقَائِدُهَا الرُّفْقُ ، وَسَائِقُهَا النُّصْرُ ^(٥) . وَقَالَ الرَّسُولُ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) : « الْحَرْبُ خُدْعَةٌ » . وَقَالُوا : الْحَرْبُ غَشُومٌ ^(٧) سُمِّيَتْ
بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْطِي إِلَى غَيْرِ الْجَانِي . قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلِمَ الدِّدِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي ^(٩)
وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا أَنْاسٌ وَيَصْلِي حَرْهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ ^(١٠)
وَقَالَ آخَرُ :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تُكُونُ فَيَّةٌ تَسْعَى بِبِرِّئِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ ^(١١)
حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ ^(١٢)

(١) الشُّمُوسُ : الثُّمُورُ الصَّغِيرُ الْمُصْنَعُ . وَالْوَطِيسُ : شِدَّةُ الْحَرْبِ .

(٢) أَى : الْمَوْتُ .

(٣) قَلَصَتْ : كَشَفَتْ .

(٤) تَلَفَ : هَلَكَ .

(٥) فِى م : « النَّصْرَةُ » .

(٦) فِى م : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٧) الْقَشُومُ : الَّذِى يَخِيطُ النَّاسَ وَيَأْخُذُ كُلَّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ .

(٨) فِى م : « كَمَا قَالَ » .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ .. وَهُوَ فِى م :

« لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا عِلِمَ اللَّهِ وَإِنِّي لِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِي »

لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا : لَسْتُ سَبِيًّا فِي قِيَامِهَا وَلِثْتُ عَلَيْهَا .. وَصَالِي : مُحَرَّقٌ بِنَارِهَا .

(١٠) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ .. وَفِى م : « يَجْنِيهَا أَنْاسٌ » .. وَفِى عِيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٢ ص ٦١ : « يَجْنِيهَا رِجَالٌ » .

(١١) الْأَيَّامُ مِنَ الْكَامِلِ .. وَتَسْعَى بِبِرِّئِهَا ، أَى : بِجَيْتِهَا وَشَارَاتِهَا .. وَفِى الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ٨٦ ، وَعِيُونِ
الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢١٠ : « تَسْعَى بِرَيْتِهَا » .. وَالْجَهُولُ : الْيُوزُ .

(١٢) شَبَّ ضِرَامُهَا : انْتَقَدَ قَهْرُهَا .. وَفِى الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « حَتَّى إِذَا حِثَّ » .. وَفِى عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « حَتَّى
إِذَا اسْتَعْرَثَتْ » .

شَمْطَاءُ يَنْكُرُ لَوْنَهَا وَتَعْمِرَتْ مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ ^(١)

قَالَ ^(٢) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) آدَابَ الْحَرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُرُوا ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٤) . وَاسْتَوْصَى قَوْمٌ ^(٥) أُنْكَمَ بَيْنَ صَيْفِي فِي حَرْبٍ أَرَادُوهَا ^(٦) فَقَالَ : أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ فَشَلٌ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ ^(٧) ، وَتَلَبَّتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرُّكْبَيْنِ ^(٨) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ جَيْشًا ^(٩) عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَلْمِظُونَ تَلْمِظَ الْحَيَاتِ ^(١٠) . وَرَأَيْتُ عَمِيرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَلْفٌ فِي الْحُرُوبِ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ ، وَيَقُولُونَ : يَذْكُرُ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ .

وَاعْلَمَ أَرَشْدَكَ ^(١١) اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْضَحَ لَنَا فِي كِتَابِهِ عِلَّةَ النَّصْرِ وَعِلَّةَ الْهَزِيمَةِ ^(١٢) وَالْفِرَارِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصَبَّرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ

(١) يَنْكُرُ لَوْنَهَا : يَصِيرُ مَنكُورًا ، مِنْ نَكَرَ يَنْكُرُ .. وَفِي عَيُونِ الْأَعْيَارِ :

« شَمْطَاءٌ جُرَتْ رَأْسُهَا وَتَعْمِرَتْ مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ »

والشطرة الأولى من البيت في العقد الفريد تُشْتَلَمُ ما ورد في عَيُونِ الْأَعْيَارِ .. وَالشَمْطَاءُ : الْمَرَأَةُ الَّتِي خَالَطَ سِوَاهُ شَعْرَهَا الْبَيَاضَ .

(٢) « وَقَالَ » .

(٣) فِي « م » : « جَمَعَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَنَا » .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، الْآيَاتُ : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) اسْتَوْصَى قَوْمٌ : طَلَبُوا الْوَصِيَّةَ وَالنَّصِيحَةَ .

(٦) فِي « م » : « أَرَادَهَا » .

(٧) فِي « م » : « لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ » .

(٨) الرُّكْبَيْنِ : الشَّيْءُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

(٩) جَيْشًا عَلَى الرُّكْبِ : جَالِسِينَ .. وَفِي « م » : « جَيْشٌ » .. لَا تَصَحُّ .

(١٠) فِي « م » : « خُرْسٌ » بِالصَّادِ لِلْمَهْمَلَةِ ، أَيْ : كَالْجِرَابِ الْوَاقِقَةِ .. وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَيَلْمِظُونَ تَلْمِظًا

الْحَيَاتِ : يُخْرِجُونَ أَلْسِنَهُنَّ كَالْحَيَاتِ ، وَهِيَ هُنَا كِتَابَةٌ عَنِ الْغَيْظِ وَالتَّحَفُّزِ .

(١١) فِي « م » : « وَاعْلَمُوا - أَرَشَدَكُمْ اللَّهُ » .

(١٢) فِي « م » : « عِلَّةُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ » .

وَبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ^(١) يَعْزِي : إِنْ تَنْصَرُوا رَسُولَهُ وَدِينَهُ . وَأَمَّا الْفِرَارُ فَعِلَّتُهُ
الْمَعَاصِي^(٢) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا»^(٣) أَيْ : بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ الَّذِي
رَسَّمَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤)
رَبَّ الرَّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى ثَلَاثَةِ الْجَبَلِ^(٥) لِيَمْنَعُوا قُرْبَانًا أَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ كَيْفَمَا^(٦)
مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ التَقَى الْمُسْلِمُونَ ، فَالْتَزَمَ الْكُفَّارُ ، فَقَالَ الرَّمَاةُ : لَا تُفَوِّتْنَا
الْعَنَائِمُ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْعَنَائِمِ وَتَرَكُوا الْمَرْكَزَ الْأَوَّلَ ، فَخَرَجَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ^(٧)
مِنْ هُنَاكَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَتْ مَقْتَلَةً أُحَدٍ^(٨) .

وَلِيُخَفِّ قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَلَامَةَ الَّتِي هُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، فَإِنْ عَدُوُّهُ قَدْ يَسْتَعْلِمُ
حِيلَتَهُ^(٩) وَالْوَانَ حَيْلَهُ وَرَأَيْتَهُ ، وَلَا يَلْزُمُ خَيْمَتَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلِيُبَيِّنَ زِيَّةً ، وَيُعَيِّرَ
خَيْمَتَهُ ، وَيُعْمَى مَكَائِهِ^(١٠) كَيْلًا يَلْقِيسَ عَدُوَّهُ غُرَّتَهُ ، وَإِذَا سَكَنَتِ الْحَرْبُ فَلَا يَمُشِ
فِي النَّفْرِ الْيَسِيرِ مِنْ قَوِيهِ خَارِجَ عَسْكَرِهِ ، فَإِنْ عَيُونَ عَدُوُّهُ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ^(١١) .
وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ جِيُوشَ إِفْرِيقِيَّةٍ عِنْدَ فَحْجِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَرْبَ سَكَنَتْ
فِي وَسْطِ النَّهَارِ ، فَخَرَجَ مُقَدِّمُ الْعَدُوِّ يَمْشِي خَارِجَ الْعَسْكَرِ يَمَيِّزُ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ ،

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .

(٢) في (م) : « قَبْلَ الْمَعَاصِي » .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٥ .

(٤) في (م) : « عليه السلام » .

(٥) ثَلَاثَةُ الْجَبَلِ : حَاقَتِهِ .

(٦) في (م) : « أَنْ يَخْرُجُوا كَيْفَمَا » أَيْ : كَمَا نَحْنُ مُتَخَفُونَ .

(٧) في (م) : « فَخَرَجَتْ الْمُشْرِكُونَ » .

(٨) في (م) : « فَكَانَتْ قَتْلَةً أُحَدٍ » .. وَالثَّقَلَةُ : لِلْمَرْكَةِ .

(٩) في (م) : « قَدْ اسْتَعْلِمَ حِيلَتَهُ وَالْوَانَ حِيلَتَهُ » أَيْ : اسْتَخِيرَ عَنْ حِيلَتِهِ وَعَلَامَتِهِ وَعَرَفَهَا .

(١٠) يَمْشِي مَكَائِهِ : يَخْطِيهِ .

(١١) في (م) : « فَإِنْ عَيُونَ عَدُوُّهُ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ » .. وَعَيُونَ الْعَدُوِّ : جَوَاسِيهِمْ .. وَأَذْكَيْتِ : أُرْبَيْتِ .

فَجَاءَ الْحَبْرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ ^(١) وَهُوَ نَائِمٌ فِي قُبَّتِهِ ، فَخَرَجَ ^(٢) فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ رِجَالِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَقَتَلَ الْمَلِكَ ، وَكَانَ الْفَتْحُ .

وَلَمَّا عَبَّرَ طَارِقٌ ^(٣) مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِيَفْتِاحَهَا ، وَمُوسَى إِذْ ذَٰلِكَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، خَرَجُوا فِي الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُسَمَّى الْيَوْمَ جَبَلِ طَارِقٍ ، وَهُمْ فِي آلْفٍ وَتِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَطَمَعَتِ الرُّومُ فِيهِمْ ، فَأَقْبَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَلَى الرُّومِ « تَدْمِيرٌ » اسْتَحْلَفَهُ لَدْرِيقٌ ^(٤) مَلِكُ الرُّومِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ

(١) في « م » : « ابن السرح » خطأ . وهو : عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري ، من بني عامر بن لؤي .. بطل من أبطال الصحابة وقائع إفريقية ، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاة ، أسلم قبل فتح مكة - وهو من أهلها - وكان مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وكان على مينة عمرو بن العاص حين انتصر مصر .. وولي مصر سنة ٢٥ هـ بعد عمرو بن العاص ، فاستمر نحو ١٢ عاماً ، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبد الله بن الزبير ، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ، ودانت له إفريقية كلها ، وغزا الروم بمراً وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ ، وعاد إلى المشرق ، وبينما كان في طريقه بين مصر والشام - علم بمقتل عثمان ، وأن علياً أرسل إلى مصر والياً آخر ، هو فليس بن سعد بن عباد ، فخرجوه إلى الشام قاصداً معاوية ، واعتزل الحرب بينه وبين علي بن عفيف ، ومات بمسقلان فجأة سنة ٣٧ هـ وهو قائم يصلي . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦١ ، والمعارف ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .]
(٢) قوله : « فخرج » عن « ط » .

(٣) هو : طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر ، وأسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله ، ولما تم لموسى فتح طنجة وكى عليها طارِقاً سنة ٨٩ هـ ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ . وقاد الجيش الذي أسده موسى من البربر لغزو الأندلس ، فنزل بهم البحر واستولى على جبل طارق ، وفتح حصن قرطاجنة ، وتغلغل في أرض الأندلس بعد أن أحرق السفن التي جاء عليها بجيشه ، وحاربه الملك رفرق ، فقتله طارق ، وافتتح إشبيلية ، وأستجة ، وأرسل من استولى على قرطبة وملقة ، ثم احتل طليطلة ، عاصمة الأندلس ، وتوجه شمالاً واستولى على عدة مدن ، ثم عاد إلى طليطلة سنة ٩٣ هـ فالتقى بموسى بن نصير ، وكان قد حُلِّره من التوغل في الفتوح والمغامرة بمن معه ، فضايقه بالعزل من القيادة ، ثم أعاده الوليد بن عبد الملك ، وأصلح ما بينه وبين موسى ، وعاد طارق إلى غزواته فصعد من طليطلة شرقاً إلى منابع نهر التاجية ، واستعان بموسى على فتح سرسطة ، فافتتحها ، واحتل طرطوشة وبلنسية ، وشاطبة ، ودفانة ، واستدعاه الوليد إلى الشام ، فقصدها مع موسى سنة ٩٦ هـ .. وأقوال المؤرخين مضطربة في خاتمة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٧ ، والمعارف ص ٥٧٠ ، وفروج البلدان للبلادري ص ٢٣٨ وما بعدها ، ونفع الطب ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها .]

(٤) في « ط » : « لدريق » بالذال المهملة .. ولاصحه عدة صور أخرى ، منها « رودريك » و « رودريجيو » =

إِلَى لُذْرِيقٍ يُعْلِمُهُ أَنَّ قَوْمًا لَا تُذِرِي أَمِينَ الْأَرْضِ ^(١) أَمْ مِنْ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلُوا إِلَى بِلَادِنَا ، وَقَدْ لَقِيتُهُمْ ، فَأَنهَضَ إِلَيَّ ^(٢) بِتَفْسِيكَ .

فَأَنَّهُ لُذْرِيقٌ لِي يَسْنِيَنَّ أَلْفَ عِتَابٍ ^(٣) ، وَلَقِيَهُمْ طَارِقٌ وَعَلَى خَيْلِهِ مُغِيثُ الرُّومِيِّ ^(٤) مَوْلَى الْوَلِيدِ ^(٥) بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَشَدَّ قِتَالٍ ، قَرَأَى طَارِقٌ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ ، فَقَامَ فَحَضَّهُمْ ^(٦) عَلَى الصَّبْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ فِي أَمَالِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَمِنَ الْمَقَرُّ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ مِنْكُمْ ، وَالنَّصْرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنَا فَاعِلٌ شَيْئًا فافْعَلُوا كَيْفَ لِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَفْصِدُنَّ طَائِعِيَّتَهُمْ ، فَإِنَّمَا أَنَا أَثْقَلُهُ ، وَإِنَّمَا أَنَا أَثْقَلُ دُونَهُ .

فَاسْتَوَقَّ طَارِقٌ مِنْ خَيْلِهِ ، وَعَرَفَ حِلْيَةَ ^(٧) لُذْرِيقٍ وَعَلَامَتَهُ وَخَيْمَتَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ

Roderic والعرب تسميه « لُذْرِيق » .. وهو آخر ملوك القوط الغربيين في أسبانيا ، ولم يكن من أبناء الملوك ، ولا بصحيح النسب في القوط ، وإنما نال الملك عن طريق الغصب والفسور ، وقد قُتل بعد معركة نهر وادي « بكة » بينه وبين طارق بن زياد .

[انظر الأعلام المصدر السابق ، ونفع الطيب ج ١ ص ١٣٩] .

(١) في « م » : « مِنْ الْأَرْضِ هُمْ » .

(٢) في « م » : « إِلَيْنَا » .

(٣) ألبان : سر اللجام الذي تُشَمَّكُ بِهِ الدَّابَّةُ ، والمراد هنا : الفارس .

(٤) قال المقرئ : هو ليس برومي على الحقيقة ، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة ابن الأيهم التَّمَّانِي ، سُمِّيَ مِنَ الرُّومِ بِالْمَشْرِقِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَأَقْبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَعَ وَلَدِهِ الْوَلِيدِ ، وَأَتَجَبَّ لِي أَوْلَادُهُ ، وَصَارَ مِنْهُ « بَنُو مَغِيثَ » الَّذِينَ نَجَّيُوا فِي قَرْطَبَةِ وَسَادُوا .. وَنَشَأَ مَغِيثُ بِدِمَشْقَ ، فَأَصْبَحَ بِالْمَرْيَةِ ، وَقَالَ الشَّعْرُ ، وَتَدَرَّبَ عَلَى رُكُوبِ الْخَيْلِ وَخَوْضِ الْمَعَارِكِ ، وَوَجَّهَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ غَازِيًا مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَدَّمَهُ طَارِقٌ لِنَفْحِ قَرْطَبَةِ فِي سَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَانْفَتَحَتْهَا سَنَةَ ٩٢ هـ وَأَسَرَّ مَلِكَهَا .. وَتَوَلَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦ ، ونفع الطيب ج ٤ ص ١٢ ومابعدها] .

(٥) في « ط » : « مَوْلَى الْوَلِيدِ » .

(٦) في « م » : « فَقَامَ فَحَضَّهُمْ وَحَضَّهُمْ » .

(٧) في « م » : « حِلْيَةُ » .

مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ حَمَلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَدَرِيْقَ بَعْدَ قَتْلِ ذَرِيْعٍ فِي الْعَدُوِّ ، وَحَمَى اللَّهُ تَعَالَى ^(١) الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ^(٢) ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَغْتَلُونَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَاخْتَرَّ طَارِقُ رَأْسَ لَدَرِيْقَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُوسَى ، وَبَعَثَ بِهَا مُوسَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَارَ ^(٣) مُنِيتَ إِلَى قَرْطَبَةَ ، وَسَارَ طَارِقُ إِلَى طَلَيْطَلَةَ ^(٤) ، وَلَمْ يَكُنْ هُمُ غَيْرَ الْمَائِدَةِ الَّتِي يَذْكُرُ ^(٥) أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ أُخْتِ لَدَرِيْقَ الْمَائِدَةَ وَالثَّجَاجَ ، فَقَوْمَتِ الْمَائِدَةُ بِمِائَتِي أَلْفٍ ، لَمَّا فِيهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِي لَمْ يَرِ مِثْلُهَا .

وَبِهَذِهِ الْحِيلَةِ فَهَرَ أَلْبُ أَرْسِلَانُ ^(٦) مَلِكَ التُّرْكِ مَلِكَ الرُّومِ وَقَمَعَهُ ^(٧) ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ وَأَبَادَ جَمْعَهُ ، وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ جَمَعَتْ جُيُوشًا يَقُولُ أَنَّ يَجْتَمِعُ ^(٨) لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُهَا ، وَكَانَ مَبْلُغُ عَدَدِهِمْ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، كِتَابٌ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَعَسَاكِرُ مُتَرَادِفَةٌ ، وَكَرَادِيْسَ ^(٩) يَتَلَوُ بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُدْرِكُهُمُ الطَّرْفُ ، وَلَا يُحْصِيهِمُ الْعَدَدُ ، وَقَدْ

(١) « تعالى » عن « ط » .

(٢) في « م » : « ولم يُقتل منهم كثير شيء » .

(٣) في « م » : « وصر » في الموضمين .

(٤) طَلَيْطَلَةُ : مدينة في أواسط أسبانيا ، قرب مدريد .

(٥) في « ط » : « تذكر » .. وفي « م » : « لم يكن لهم حِمْيٌ غَيْرُ الْمَائِدَةِ » بالجمع .

(٦) في « م » و « ط » : « البارسلان » في كل المواضع .. وهو : أبو شجاع ، لللقب عضد الدولة ، الْمُسَمَّى بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ « أَلْبُ أَرْسِلَانُ » ومعناه : أسد شجاع ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .. وقد وُلِدَ أَلْبُ أَرْسِلَانُ سَنَةَ ٤٢١ هـ . وقد ملك بعد عمه طُغْرُتُوكَ .. وكان عمه قد أوصى لأخيه داود ، ولكنه تغلب عليه ، فاستولى على الممالك ، وعظمت هيئته . وهو من ملوك الدولة السلجوقية .. وقد قُتِلَ سَنَةَ ٤٦٥ هـ وهو في الرابعة والأربعين من عمره .

[انظر ليران والعراق في العصر السلجوقي ، الفصل الرابع ص ٥٣ ، وإعجام الأعلام ص ٦٦ ، ٦٧] .

(٧) في « م » : « وقبضه » .

(٨) في « ط » : « يُجْمَع » .

(٩) قوله : « كراديس » عن « ط » ، وهو جمع كُرْدوسَة ، ويُطْلَقُ عَلَى الطائفة العظيمة من الحيل والجيوش .

اسْتَعْدُوا مِنَ الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَجَانِيقِ ^(١) وَالْآلَاتِ الْمَعْدِيَّةِ لِفَتْحِ الْحُصُونِ ^(٢) فِي
الْحَرْبِ بِمَا لَا يُحْصَى ^(٣) ، وَكَانُوا قَدْ قَسَمُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ : الشَّامَ ، وَمِصْرَ ،
وَالْعِرَاقَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَدِيَارَ بَكْرِ ، وَلَمْ يَشْكُوا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ ^(٤) دَارَتْ لَهُمْ ، وَأَنَّ
نُجُومَ السُّعُودِ ^(٥) قَدْ خَدَمَتْهُمْ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَارِثُ أَخْبَارِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاضْطَرَبَتْ
لَهَا مَمَالِكُ الْإِسْلَامِ ، فَاخْتَشَدَ لِلْقَائِمِينَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ التُّرْكِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْمَلِكُ
الْعَادِلُ ، وَجَمَعَ جُمُوعَهُ بِمَدِينَةِ أَصْبَهَانَ ^(٦) ، وَاسْتَعَدَّ بِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ
يَوْمَهُمْ ، فَلَمْ يَزَلِ الْعَسْكَرَانِ يَتَدَايَا إِلَى أَنْ عَادَتْ طُلُوعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٧)
وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِلَانَ : عَدَا يَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، قَبَاثَ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ،
وَالرُّومُ ^(٨) فِي عَدَدٍ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَمَا الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ ^(٩) إِلَّا أَكَلَةٌ
جَائِعَةٌ ، فَبَقِيَ الْمُسْلِمُونَ وَاجِبِينَ لِمَا دَهَاهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَبَاحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَظَرُوا
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَهَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ ^(١٠) وَقُوَّتِهِمْ وَأَلَانِهِمْ ،
فَامَرَّ أَلْبُ أَرْسِلَانَ أَنْ يُعَدَّ ^(١١) الْمُسْلِمُونَ ، فَبَلَّغُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تُرْكِيٍّ ، وَإِذَا هُمْ

(١) فِي م : : : : : وَالْمَجَانِيقِ . تَحْرِيفٌ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي م : : : : : وَالْآلَاتِ الْعَدِيَّةِ وَفَتْحِ الْحُصُونِ .

(٣) قَوْلُهُ : : : : : بِمَا لَا يُحْصَى عَنْ ط .

(٤) وَقَدْ عَنْ ط .

(٥) نَجُومُ السُّعُودِ : عِدَّةٌ كَوَاكِبُ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا : سَعْدٌ كَذَا ، وَمِنْهَا سَعْدُ السُّعُودِ .

(٦) فِي م : : : : : أَصْبَهَانَ ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ

(٧) فِي م : : : : : فَلَمْ يَزَلِ الْعَسَاكِرُ تَتَوَاصَلُ إِلَى أَنْ تَلَدَّتِ الْعَسْكَرَانِ ، فَعَادَتْ طُلُوعُ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُسْلِمِينَ .

(٨) فِي م : : : : : وَالْقَوْمُ .

(٩) فِي م : : : : : وَمَالِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ .

(١٠) فِي م : : : : : مِنْ كَثْرَةِ الْقَوْمِ .

(١١) فِي م : : : : : يَحْتَدُّ .

مِنْهُمْ كَالرُّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ ^(١) ، فَجَمَعَ قَوَى الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالتَّضْيِيرِ
وَالشُّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالتُّظَرِّ فِي الْعَرَاقِبِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ ^(٢) فِي اسْتِخْلَاصِ صَوَابِ
الرَّأْيِ ، فَتَشَاوَرُوا بِرَهَةٍ ، ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى اللِّقَاءِ ، فَتَوَادَعَ الْقَوْمُ وَتَحَالَفُوا ^(٣)
وَنَاصَحُوا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ تَأَهَّبُوا أَهْبَةَ اللِّقَاءِ ^(٤) وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِيلَانَ : نُسِّىَ اللَّهُ
تَعَالَى ^(٥) وَتَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ أَلْبُ أَرْسِيلَانَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
أَمْنِيْلُوا ^(٦) فَإِنَّ هَذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْطُبُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَيَدْعُونَ لَنَا فِي شَرْقِ
الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَفَاعَتِ الْأَقْيَاءُ ^(٧) وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَلَّوْا
وَدَعَوْا لَنَا وَصَلَّيْنَا نَحْنُ عَمِلْنَا أَمْرًا .

فَصَبَرُوا إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّوْا ^(٨) وَدَعَوْا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ ،
وَأَنْ يَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَأَنْ يُوهِنَ عَدُوَّهُمْ ، وَأَنْ يُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ .
وَكَانَ أَلْبُ أَرْسِيلَانَ قَدْ اسْتَوْقَى مِنْ خِيَمَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَعَلَامِيَّةٍ وَفَرَسِيَّةٍ وَزَيْدٍ ، ثُمَّ
قَالَ لِرَجُلِهِ ^(٩) : لَا يَتَحَلَّفُ أَحَدُكُمْ ^(١٠) أَنْ يَفْعَلَ كِفْعَلِي ، وَيَضْرِبَ بِسَيْفِهِ ^(١١)

-
- (١) الرُّقْمَةُ ، بضم الراء المشددة وفتحها : هَنَّةٌ ناهضة تشبه الظفر في ذراع الدابة ، أو هي نقطة سوداء كالدرهم .
(٢) فِي « م » : « فاستشارهم » .
(٣) فِي « م » : « وعمالوا » أى : سأل كل واحد منهم رفيقه أن يُخْلَصَهُ مِنَ التَّيَمَّاتِ الَّتِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُجِلَّهُ
مِنهَا .. وَتَوَادَعَ الْقَوْمُ : تَصَالَحُوا أَوْ مَهَادَنُوا .
(٤) فِي « م » : « تأهبوا للقاء » .
(٥) « تعالى » عَنْ « م » .
(٦) أَمْنِيْلُوا : لَا تَسْجُلُوا وَاهْتَدُوا .
(٧) فَاغَتِ الْأَقْيَاءُ : رَجَعَتِ الظُّلَالُ بَعْدَ الزَّوَالِ .
(٨) فِي « م » : « وصلوا » .
(٩) فِي « م » : « لرجاله » وها بمعنى واحد .
(١٠) فِي « م » : « أحد منكم » .
(١١) فِي « م » : « بسيفي » تحريف .

وَرَمَى بِسَهْمِهِ حَيْثُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي وَأَرْمِي بِسَهْمِي ، ثُمَّ حَمَلَ ^(١) جَمِيعَهُمْ حَمَلَةً
 رَجُلٌ وَاحِدٌ إِلَى خَيْمَةِ ^(٢) مَلِكِ الرُّومِ ، فَقَتَلُوا مِنْ كَانَ دُونَهَا ، فَخَلَصُوا إِلَيْهِ ، وَقُتِلَ
 مِنْ حَوْلِهِ ، وَأَسِيرَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَجَعَلُوا يَتَادُونَ بِلسَانِ الرُّومِ : قِيلَ الْمَلِكُ ، قِيلَ
 الْمَلِكُ ^(٣) ، فَسَمِعَتِ الرُّومُ أَنَّ مَلِكَهُمْ قَدْ قُتِلَ ، فَتَبَدُّوا وَتَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ ، وَعَمِلَ
 السَّيْفُ فِيهِمْ أَيَّامًا ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَعَنَائِمَهُمْ ، وَاسْتَحْضَرِ مَلِكُ الرُّومِ نَيْنَ
 بَدَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ بِخَبْلٍ فِي عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَلْبِ أَرْسِلَانَ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي لَوْ
 أَخَذْتَنِي ^(٤) ؟ قَالَ : فَهَلْ تَشْكُ أُنَى كُنْتُ أَقْتُلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَلْبِ أَرْسِلَانَ : أَنْتَ أَقْلُ
 فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ ، اذْهَبُوا بِهِ وَبِعُوهُ ^(٥) فِيمَنْ يَزِيدُ ، فَكَانَ يُقَادُ بِالْخَبْلِ فِي عُنُقِهِ
 وَيَتَادَى عَلَيْهِ : مَنْ يَشْتَرِي مَلِكَ الرُّومِ ؟ وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ يَطْلُفُونَ بِهِ عَلَى الْخِيَامِ وَمَنَازِلِ
 الْمُسْلِمِينَ ^(٦) وَيَتَادَى عَلَيْهِ بِالْدَّرَاهِمِ وَالْفُلُوسِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ ^(٧) فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، حَتَّى
 بَاعُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ بِكَلْبٍ ، فَأَخَذَ الَّذِي كَانَ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْكَلْبَ وَالْمَلِكَ ،
 وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، وَقَالَ : قَدْ طِفْتُ جَمِيعَ الْعَسْكَرِ وَتَادَيْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْذُلْ
 فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ دَفَعَ لِي فِيهِ كَلْبًا . قَالَ : قَدْ أَنْصَفَ ^(٨) ، لِأَنَّ الْكَلْبَ
 خَيْرٌ مِنْهُ ، فَاقْبِضِ الْكَلْبَ وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلْبَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِهِ ، فَذَهَبَ
 إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَعَزَلَتْهُ الرُّومُ وَكَحَلَتْهُ ^(٩) بِالنَّارِ . فَانْظُرْ مَاذَا يَتَأَنَّى عَلَى الْمُلُوكِ إِذَا عَرَفُوا
 فِي الْحُرُوبِ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْقَصْدِ فِي الْمَكِيدَةِ ^(١٠) ! .

(١) فِي د م : : وَحَمَلَ .

(٢) فِي د م : : إِلَى خَيْمَةِ الْمَلِكِ .

(٣) فِي د ط : : قِيلَ الْمَلِكُ ، لَمْ يَكُور .

(٤) فِي د م : : لَوْ أَخَذْتَنِي بِحَبْلِ فِي عُنُقِي .

(٥) فِي د م : : وَبِعُوهُ .

(٦) فِي د م : : وَمَنَازِلَ لِلْمُسْلِمِينَ .

(٧) فِي د م : : وَلَمْ يَدْفَعْ ، وَسَقَطَتْ أَحَدٌ مِنْهَا سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٨) فِي د م : : قَدْ أَنْصَفَكَ .

(٩) فِي د م : : وَكَحَلُوهُ .

(١٠) فِي د م : : بِالْمَكِيدَةِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الْقَدَمَاءَ قَالُوا : الْكَثْرَةُ لِلرَّغْبِ ، وَالْقَلَّةُ لِلنُّصْرِ . وَقَدْ قَالَ ^(١) تَعَالَى : **« وَيَوْمَ حُتَيْنَ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ »** ^(٢) ، فَالْكَثْرَةُ أَبَدًا يَصْنَعُهَا ^(٣) الْإِعْجَابُ ، وَمَعَ الْأَعْجَابِ الْهَلَاكُ . وَخَيَّرَ الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةً ، وَخَيَّرَ السَّرَايَا أَرْبَعِيَّةً ، وَخَيَّرَ الْجُيُوشَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَلَنْ يُغْلِبَ جَيْشٌ يَبْلُغُ ^(٤) اثْنَيْ عَشَرَ آلَافًا مِنْ قَلَّةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ .

فَأَمَّا صِفَةُ اللَّقَاءِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ تَرْتِيبٍ رَأَيْنَاهُ ^(٥) فِي بِلَادِنَا ، وَهُوَ أَرْجَى تَذْيِيرٍ نَفَعَلُهُ فِي لِقَاءِ عَدُوِّنَا ، [فَهُوَ] ^(٦) أَنْ تُقَدَّمَ الرُّجَالَةُ بِالْذَّرْقِ الْكَامِلَةِ ، وَالرَّمَا حِ الطُّوَالِ ، وَالْمَزَارِيقِ ^(٧) الْمَسْتَوِيَةِ النَّافِذَةِ ، فَيَصْفُوهَا صُفُوفُهُمْ ، وَيَمْرُكُوهَا مَرَاكِزُهُمْ ، وَرِمَاحُهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ فِي الْأَرْضِ ، وَصُدُورُهُمْ شَارِعَةً ^(٨) إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَهُمْ جَائِمُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ^(٩) الْيُسْرَى ، وَتَرَسَهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُمُ الرُّمَاءُ الْمُخْتَارُونَ الَّذِينَ ^(١٠) تَمْرُقُ سِيَاهُهُمْ مِنَ الدَّرُوعِ ^(١١) ، وَالخَيْلُ تَخْلَفُ الرُّمَاءَ ، فَإِذَا حَمَلَتِ الرُّومُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَزَحَّزَحِ الرُّجَالَةُ عَنْ هَيَاتِهِمْ ^(١٢) ، وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ^(١٣) عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَإِذَا قَرَّبَ الْعَدُوُّ

(١) فِي ١ م : : قَالَ اللَّهُ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، مِنْ آيَةِ ٢٥ .

(٣) فِي ١ م : : يَتِمُّهَا .

(٤) فِي ١ م : : وَلَنْ يُوَلَّى جَيْشٌ إِذَا اجْتَمَعَ .. أَيْ : لَنْ يُغْلِبَ .

(٥) فِي ١ م : : رَأَيْنَا .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ عَدْلَانَا .

(٧) فِي ١ م : : وَالْمَزَارِقُ وَكُلَاهُمَا جَمْعٌ يُوَزَّقُ ، وَهُوَ : الرِّيحُ الْقَصِيرُ .. وَالْمَرْقُ : جَمْعُ دَرَقَةٍ ، وَهِيَ الثَّرَسُ يَقْوَى بِهِ .. وَالرُّجَالَةُ : الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ مَتَرَجِّلِينَ .

(٨) فِي ١ م : : وَصُدُورُهَا شَارِعَةٌ أَيْ : مُتَّجِهَةٌ وَمُسَدَّدَةٌ .

(٩) أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ، أَيْ : وَضَعَ وَبَكَّتْ رُكْبَتَهُ عَلَيْهَا .

(١٠) فِي ١ م : : وَط : : الثَّانِي .

(١١) تَمْرُقُ سِيَاهُهُمْ : تَتَطَلَّقُ فِي سُرْعَةٍ .. وَفِي ١ م : : تَمْرُقُ سِيَاهُهُمُ الدَّرُوعُ .

(١٢) فِي ١ م : : وَط : : هَيَاتِيهَا .

(١٣) فِي ١ م : : وَلَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ .

رَشَقَهُمُ الرِّمَاءُ بِالنُّشَابِ ^(١) ، وَالرُّجَالَةَ بِالْمَزَارِقِ ، وَصَلُّوهُ الرُّمَاحَ ثَلَاثًا ، فَأَجِدُوا
بِنْتَهُ وَبِسَرَّةٍ ، فَخَرُجْ ^(٢) خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الرِّمَاءِ وَالرُّجَالَةِ فَتَنَالُ ^(٣) مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِي بَلَدِي « طَرُوشَةَ » قَالَ : صَافَقَتِ ^(٤)
الرُّومُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا ، فَبَيْنَا ^(٥) رَجُلٌ مِنَّا كَانَ فِي آخِرِ الصَّفِّ فَقَامَ
عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عِلْجٌ مِنَ الْعَلُوِّ فَأَصَابَ عُرْثَهُ فَتَقَلَّهَ .

وَلَمَّا بَرَزَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بْنِ هُوْدٍ ^(٦) مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَرَقُسْطَةَ فِي ثَعْوَرٍ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِلِقَاءِ الطَّاعِيَةِ رُذَيْلِ عَظِيمِ الرُّومِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اخْتَشَدَ بِمَا
فِي مَيْسُورِهِ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ ، ثُمَّ تَنَازَلُوا لِلْقِتَالِ وَتَصَافَقُوا ، وَدَامَ الْقِتَالُ
بَيْنَهُمْ صَدْرًا كَبِيرًا ^(٧) مِنَ النَّهَارِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي خُسْرَانٍ ، فَأَقْرَعَ الْمُقْتَدِرُ
ذَلِكَ ، وَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ ^(٨) مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَدَعَا الْمُقْتَدِرُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
لَمْ يَكُنْ فِي الثَّغُورِ أَهْرَفٌ بِالْحَرْبِ مِنْهُ ^(٩) يُسَمَّى سَعْدَادَةَ ^(١٠) ، فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ :
كَيْفَ تَرَى فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ سَعْدَادَةُ : هَذَا يَوْمٌ أَسْوَدُ ، وَلَكِنْ قَدْ بَقِيََتْ لِي حِيلَةٌ ،

(١) النُّشَابُ : الثُّنَابُ .

(٢) فِي « ط » : « فَخَرُجْ » .

(٣) فِي « م » : « فَبِنَالُونِ » .

(٤) فِي « م » : « صَافَقْنَا » أَيْ : قَاتَلْنَا صِفْوْفًا .

(٥) فِي « م » : « فَبَيْنَا » .

(٦) هُو : أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْدِ بْنِ هُوْدٍ ، الْمَلَقَبُ بِالْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، مِنْ مُلُوكِ الطُّوَلُوفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ
ثَانِي مُلُوكِ آلِ هُوْدٍ ، وَفِي أَهَامِهِ اقْتَحَمَ الرُّومُ مَدِينَةَ « بَشْتَرِ » وَارْتَكَبُوا فِيهَا فِظَالَعًا ، فَرَحَفَ عَلَيْهِمْ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ ،
فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَخَمْسَةَ أَلْفِ رَاجِلٍ سَنَةَ ٤٥٧ هـ وَحَا أَثَرَهُمْ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامُ ج ١ ص ١٣٢] .

(٧) فِي « م » : « كَثِيرًا » .

(٨) فَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ : جَزَعُوا وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ .

(٩) فِي « م » : « أَهْرَفَ مِنْهُ بِالْحَرْبِ » .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « سَعْدَادَةُ » فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ ، وَلَمْ أَفُفْ عَلَيْهِ .

فَذَهَبَ سَعْدَارَةُ ، زَيْتُهُ زَيْ الرُّومِ ، وَكَلَامُهُ كَلَامُهُمْ ، لِمُجَاوَزَتِهِمْ وَكَثْرَةِ مُحَالَطَتِهِمْ ،
فَانْتَمَسَ فِي عَسْكَرِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ صَعِدَ ^(١) إِلَى الطَّاعِيَةِ رُذَيْبِلَ ، فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي
السَّلَاحِ ^(٢) ، مُكَفَّنًا فِي الْحَدِيدِ ، لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَتَحَيَّلُهُ ^(٣) وَيَتَرَصَّدُ
عِزَّتَهُ إِلَى إِنْ أُمَكَّتَتْهُ الْقَرْصَةُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ ^(٤) فِي عَيْنِهِ ، فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ ^(٥)
وَالْقَمَرِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَادَى بِلِسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ السُّلْطَانُ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، فَشَاعَ قَتْلُهُ فِي
الْعَسْكَرِ ، فَخَاضُوا وَوَلَّوْا مُتَهَرِّمِينَ ، وَكَانَ ^(٦) الْفَتْحُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٧) .

وَلَمَّا اسْتَضَعَفَ الرُّومُ صِرَاقِيَّةً وَضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِمُ
الْخَرَاجَ ، وَيَحْمِلُونَ الْأَمْوَالَ إِلَى الْعَرَبِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ وَيَسْتَجِدُّونَ بِهِمْ عَلَى الرُّومِ ، فَقَالَ
لَهُمْ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّمَا مَكَلَى وَمَثَلَكُمْ يَا أَهْلَ صِرَاقِيَّةٍ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ زَوْجَتَانِ : عَجُوزٌ
وَصَبِيَّةٌ ، فَكَانَ إِذَا بَاتَ عِنْدَ الصَّبِيَّةِ تَلْقَطُ الشَّيْبَ ^(٨) مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَصْبِيئِهِ فَيَزْهَدُ فِي
الْعَجُوزِ ^(٩) ، وَإِذَا بَاتَ عِنْدَ الْعَجُوزِ ، تَلْقَطُ ^(١٠) الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَشْيِخِهِ ^(١١)
فَتَزْهَدُ الصَّبِيَّةُ فِيهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ دَامَ هَذَا بِهِ أَنْ يُصْبِحَ أَطْلَسَ ^(١٢) ، كَذَلِكَ خَالِكُكُمْ

(١) فِي م م : : ثُمَّ صَعِدَ .

(٢) فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي السَّلَاحِ : وَجَدَهُ مُرْتَدًّا زَى الْحَرْبِ بِكُلِّ مِهْنَةٍ وَسِلَاحِهِ .

(٣) فِي م م : : فَجَعَلَ يَتَرَصَّدُهُ .

(٤) فِي ط ط : : فَطَعَنَهُ . وَالْخَيْرَةُ : الْغَنَلَةُ .

(٥) فِي م م : : لِلْيَدَيْنِ .

(٦) فِي م م : : فَكَانَ .

(٧) تَعَالَى عَنْ ط ط .

(٨) تَلْقَطُ الشَّيْبَ : تَسْتَأْصِلُ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَاءَ بِالْإِبْطِاقِ .

(٩) فَيَزْهَدُ فِي الْعَجُوزِ : عَنْ ط ط : وَلَمْ تَرِدْ فِي م م .. وَمَعْنَى تَصْبِيئِهِ ، أَيْ : لِجَعْلِهِ يَلْبَسُ فِي الْأَعْيُنِ
أَصْغَرَ مِنْ مِثْلِهِ .

(١٠) فِي ط ط : : تَلْقَطُ .

(١١) تَشْيِخُهُ : لِجَعْلِهِ يَلْبَسُ مُشَيِّخًا .

(١٢) أَطْلَسَ ، أَيْ : فِي لَوْنِهِ خَيْرَةٌ إِلَى سَوَادِهِ .

مَعِيَ وَمَعَ الْقَرَبِ ، إِذَا أَتَيْتُمُ الْمَالَ ^(١) لِي وَلَهُمْ يُوشِكُ أَنْ تَنْفَدَ أَمْوَالُكُمْ فَتَبْقُوا مُقَرَّاءَ ضَعْفَاءَ ، فَأَتَسَلَّمُكُمْ وَأَتَسَلَّمُ الْبِلَادَ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِحِصَارِ صِيقَلِيَّةٍ أَمَرَ أَنْ يَسْطَ بِسَاطٍ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ جَعَلَ فِي وَسْطِهِ دِينَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِرُجُلَيْهِ رَجُلَيْهِ : مَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ هَذَا الدِّينَارَ ^(٢) وَلَمْ يَطْلُ الْبِسَاطَ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، فَوَقَّفُوا ^(٣) حَوْلَهُ ، وَلَمْ يَهْضُبْ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَغْيَاهُمْ ذَلِكَ طَوَى نَاحِيَةَ مِنَ الْبِسَاطِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ ^(٤) أَنْ يَطْوِيَ مِنْهَا يَلِيهِ ، حَتَّى طَوَى الْبِسَاطَ ، فَمَلُّوا أَيْدِيَهُمْ فَلَحَقُوا الدِّينَارَ ، فَحَبِيعِدَ قَالَ لَهُمْ : إِذَا أَرَدْتُمْ مَدِينَةَ صِيقَلِيَّةٍ اخْدُوا مَا حَوْلَهَا مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ الصَّغَارِ ، وَالضِّيَاعِ وَالْقُرَى ^(٥) ، حَتَّى إِذَا ضَعُفَتْ أَخَذْتُمُوهَا .

وَكَانَ بِسَرُقْسَطَةَ فَارِسٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ قَتْحُونٍ ، وَكَانَ يُنَاسِبُنِي ^(٦) فَبَقِعُ خَالَ وَالِدَتِي ، وَكَانَ أَشْجَعَ الْقَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ أَبُو الْمُفْتَلِرِ يَرَى لَهُ ذَلِكَ وَيُعْظِمُهُ ، وَكَانَ يُجْرَى عَلَيْهِ ^(٧) فِي كُلِّ عَطِيَّةٍ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَانَتِ النُّصْرَانِيَّةُ بِأَسْرِهَا قَدْ عَرَفَتْ مَكَانَهُ ، وَهَابَتْ لِقَائِهِ ، فَيَحْكِي أَنَّ الرُّومِيَّ إِذَا سَقَى فَرَسَهُ فَلَمْ يَشْرَبْ يَقُولُ لَهُ : اشْرَبْ ، هَلِ ^(٨) ابْنُ قَتْحُونٍ رَأَيْتَ فِي الْمَاءِ ؟ فَحَسَدَهُ نَظَرَاؤُهُ عَلَى كَثَرَةِ الْعَطَاءِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَأَوَّغَرُوا بِهِ صَنْلَرَ الْمُسْتَعِينِ ^(٩) ، فَمَنَعَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ إِنَّ

(١) فِي « م » : : الْأَمْوَالُ .

(٢) فِي « م » : : هَذِهِ الدِّينَانِ .

(٣) فِي « م » : : فَوَقَّفْنَا .

(٤) فِي « م » : : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ .

(٥) فِي « م » : : مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ وَالْقُرَى الصَّغَارِ وَالضِّيَاعِ .. الضِّيَاعُ : الْأَرْضُ الْمُؤَلَّةُ ، جَمْعُ ضَيْعَةٍ .

(٦) يُنَاسِبُنِي : يَشَارِكُنِي فِي النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ .

(٧) يُجْرَى عَلَيْهِ : يُدِيمُ الْعَطَاءَ لَهُ .. وَفِي « م » : : يُجْرَى لَهُ .

(٨) فِي « م » : : أَوْ « مَكَانٌ » هَلِ .

(٩) أَيْ : مَلْعُوهُ غِيظًا وَحَقًّا .

لِئِنْ فَضَحُوا ، وَإِذَا ابْنُ فَضَحٍ مُتَعَلِّقٌ بِرَقِيَّةِ الْفَرَسِ ، وَتَزَلَّ (١) إِلَى الْأَرْضِ لَا شَيْءَ
بَيْنَهُ فِي السَّرَجِ ، ثُمَّ طَفَرَ (٢) عَلَى سَرَجِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَهُ بِالسُّوْطِ فِي عُنُقِهِ ،
فَالْتَوَى عَلَى عُنُقِهِ ، فَجَذَبَهُ (٣) بِيَدِهِ مِنَ السَّرَجِ فَأَقْلَعَهُ مِنْ سَرَجِهِ وَجَاءَ بِهِ يَجُرُّهُ ،
فَالْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُسْتَعِينِ ، فَعَلِمَ الْمُسْتَعِينُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِي صَنِيعِهِ مَعَهُ ، فَأَكْرَمَهُ
وَرَدَّهُ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ .

أَيُّهَا الْأَجْنَادُ ، أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى الْأَمْرَاءِ ، فَلَا ظَفَرَ مَعَ اخْتِلَافٍ ، وَلَا جَمَاعَةً
لِمَنِ اخْتِلَفَ عَلَيْهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٤) .
وَأَوَّلُ الظَّفَرِ الْاجْتِمَاعُ ، وَأَوَّلُ الْخِذْلَانِ (٥) الْاِفْتِرَاقُ ، وَعِمَادُ الْجَمَاعَةِ السَّمْعُ
وَالطَّاعَةُ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ (٦) عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٧) يَوْمَ صِفِّينَ مِنَ
الْعَصِيَّانِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَضَعُضَعَتْ صُفُوفُ مُعَاوِيَةَ ،
فَأَحْسَ (٨) بِالشَّرِّ وَأَنَّهُ مَغْلُوبٌ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِرِ : اذْهَبْ فَخُذْ لَنَا الْأَمَانَ مِنْ
ابْنِ عَمَلِكٍ ، يَعْنِي عَلِيًّا ، فَأَذَارَ عَمْرٍو الْجَيْلَةَ ، فَأَمَرَهُمْ (٩) أَنْ يَرْفَعُوا الْمَصَاحِفَ فِي
أَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَيُنَادُونَ : نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ
عَلِيٍّ كَفُّوا عَنِ الْحَرْبِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّ قَوْمٍ هَذِهِ مَكِيدَةٌ
بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْقَوْمِ دِفَاعًا . فَعَصَوْهُ وَتَرَكُوا الْقِتَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْحَكَمَيْنِ .

(١) فِي د م : « : أَوْ تَزَل » .

(٢) طَفَرَ : قَفَرَ .

(٣) لِي د م : « : فَأَجَذ » .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٤٦ .

(٥) الْخِذْلَانُ : عَدَمُ التَّصَرُّعِ وَالْإِنْهَادِ .

(٦) أَيُّ الْجَيْشِ وَنَحْوِهِ : دَهْمُهُ الْعَدُو .

(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِنَ الْعَصِيَّانِ « عَنْ ط » .

(٨) فِي د م : « : وَأَحْس » .

(٩) فِي د م : « : وَأَمَرَهُمْ » .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَهْزَمِ مَكَائِدِ الْحَرْبِ إِذْكَاءَ الْعُيُونِ ^(١) ، وَاسْتِطْلَاعَ الْأَنْحِبَارِ ،
وَأَنْشَاءَ الْعَلَبَةِ ، وَظَهَارَ السَّرُورِ ، وَإِبَاهَةَ الْحَدَرِ ، وَالْإِحْتِرَاسَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَنْ لَا تُخْرِجَ
هَارِبًا إِلَى قِتَالٍ ، وَلَا تُضَيِّقَ أَمَانًا عَلَى مُسْتَأْمِنٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ : كَثْرَةُ
التَّكْبِيرِ ^(٢) عِنْدَ اللِّقَاءِ فَشَلَّ . غَضُّوا الْأَصْوَاتَ ، وَتَجَلَّبَّوْا ^(٣) السَّكِينَةَ ، وَأَكْمَلُوا
الرُّوثَامَ ^(٤) ، وَاحْتَمَوْا الْجُنَيْنَ ^(٥) ، وَادْرَعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أُخْفِيَ لِلْوَيْلِ .. اللَّيْلُ يَكْفِيكَ
الْجَبَانَ وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .. اللَّيْلُ الْمَدْدُ الْأَعْظَمُ .

الْحَايِزُ يَحْذَرُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ : الْمَوَائِبَةُ إِنْ قَرَّبَ ، وَالْعَارَةَ إِنْ بَعُدَ ، وَالْكَمِينَ
إِنْ انْكَشَفَ ، وَالْإِسْطِرْدَادُ إِذَا وَلَّى .. الْجَهْلُ قُوَّةُ الْجُرْأَةِ .. مَنِ اغْتَرَّ ^(٦) بِقُوَّتِهِ فَقَدْ
وَهِنَ .. لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ التَّوَرُّطُ فِي الْهُوَّةِ ^(٧) ، لَكِنْ أَشَدُّ مَا كُنْتَ حَذِرًا مَا كُنْتَ عِنْدَ
نَفْسِكَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعَدَدًا .. مَنِ اسْتَضَعَفَ عَدُوَّهُ اغْتَرَّ ، وَمَنِ اغْتَرَّ ظَفَرَ بِهِ عَدُوُّهُ ..
أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ فِي الْحَرْبِ ^(٨) الْجُرْأَةَ ، فَإِنَّهَا سَبَبُ الظَّفَرِ ، وَادْكُرُوا الضَّعَائِينَ ، فَإِنَّهَا
تَبْعَتْ ^(٩) عَلَى الْإِقْدَامِ ، وَالتَّزِمُوا الطَّاعَةَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الْمُحَارِبِ .

(١) إِذْكَاءُ الْعُيُونِ : لِرِسَالِ الْجَوَاسِيسِ .. وَفِي « ط » : « ذْكَاءُ الْعُيُونِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَفِي « ك » : « ذْكَاءُ »
« وَاسْتِطْلَاعُ » مَكَانَ « اسْتِطْلَاعِ » تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي « م » : « كَثْرَةُ التَّكْبِيرِ » .

(٣) تَجَلَّبَّوْا : تَزَيَّنُوا .. وَفِي « م » : « وَتَجَلَّبَّوْا » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٤) الرُّوثَامُ : الْوَفَاقُ .. وَفِي « م » : « الْوَلَامُ » أَيْ : الْحَاجَةُ .

(٥) وَاحْتَمَوْا الْجُنَيْنَ ، أَيْ : تَجَبَّوْهُ وَاتَّقَوْهُ .. وَفِي « م » : « الْجُنَيْنُ » . وَلَعَلَّهُ أَرَادَ الْإِحْتِيَاءَ بِهَا ، حَيْثُ إِنَّمَا
جَمَعَ جُنَّةً ، وَهِيَ كُلُّ مَا وَفَى مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٦) فِي « م » : « اغْتَرَّ » .

(٧) فِي « م » : « الْقُوَّةُ » .. مَكْرَرَةٌ .

(٨) « الْحَرْبُ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٩) « تَبَعَتْ » عَنْ « ط » .

إِذَا وَقَعَ اللَّقَاءُ بَرَزَ الْقَضَاءُ .. إِذَا لَقِيَ السَّيْفُ السَّيْفَ زَالَ الْخِيَارُ ^(١) .. رَبُّ
 مَكِيدَةٍ أُبْلَغَ مِنْ نَجْدَةٍ .. رَبُّ ^(٢) كَلِمَةٍ هَزَمَتْ عَسْكَرًا .. الصَّبْرُ سَبَبُ النَّصْرِ ..
 الظَّفَرُ مَعَ الصَّبْرِ .. اجْعَلْ قِتَالَ عَدُوِّكَ آخِرَ حِيلِكَ .. النَّصْرُ مَعَ التَّضْيِيرِ .. لَا ظَفَرَ
 مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْأَقْوِيَاءِ لِفَضْلِ قُوَّتِهِمْ ^(٣) عَلَى الضُّعَفَاءِ .. لَا تُجِبُّوا عِنْدَ اللَّقَاءِ
 وَلَا تُمَكِّلُوا ^(٤) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ ، وَلَا تَغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ ،
 وَتَرْهُوا ^(٥) الْجِهَادَ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

(١) سقطت كلمة « السيف » الثانية من « م » .. والخيار : الخاتمة والمفاضلة بين الأشياء .

(٢) لى « م » : « وَرُبَّ » .

(٣) لى « م » : « قُوَّتِكَ » .

(٤) لا تظفروا : لا تتركبوا وتبالغوا فى العقوبة .. وفى « ط » : « لا تقيلوا » أى : لا تظلموا .

(٥) لا تغلوا : لا تغتربوا .. وفى « ط » : « تَرْهُوا » بدون الواو ، أى : صونوا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالْتَوَكُّلِ وَالطَّلَبِ

اعْلَمْ - وَقَفَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ مَذَاهِبَ الْخَلْقِ ^(١) فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَعِلْمِ الْأَفْعَالِ وَإِرَادَةِ الْكَائِنَاتِ مُتَشَبِّهَةٌ ^(٢) ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ^(٣) ، وَحُكْمُهُ حَادِثٌ ، فَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ ثَبَّاهُ الْخَلْقُ فِيهِ وَتَشَبَّهَتْ مَذَاهِبُهُمْ ، وَتَقَاطَعُوا فِيهِ وَتَدَابَرُوا ، وَكُلُّ جِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَلَمْ تَضَعْ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ لاسْتِيفَاءِ مَا قَالُوا وَالِاخْتِجَاجِ لِكُلِّ فَرِيقٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مُجَلَّدَاتٍ وَأَسْفَارًا ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَحْكَامًا ظَاهِرَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمَقْضُولِ لِنُقَرِّبَ ^(٤) الْفَائِدَةَ عَلَى النَّظِيرِ فِيهِ .

فَاعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ ، مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ ، وَغَيْرِ وَشَرٍّ ، وَتَفَعُّلٍ وَضَرٍّ ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، بِقَضَاءِ وَقَدْرِ ^(٥) ، وَكَذَلِكَ لَا ^(٦) يَطِيرُ

(١) فِي م : « مِنْهُبِ أَهْلِ الْحَقِّ » .

(٢) فِي م : « مُتَشَبِّهَةٌ » .

(٣) « وَقَدَرَهُ » عَنْ ط .

(٤) فِي م : « لِنُقَرِّبَ » .

(٥) « بِقَضَاءِ وَقَدْرِ » عَنْ ط .

(٦) فِي م : « لَا » .

طَائِرٍ يَجْنَحِيهِ ، وَلَا يَدُبُّ حَيَّوَانٌ عَلَى بَطْنِهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلَا تَطِيرُ بَعُوضَةٌ وَلَا تُسْقَطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيعَتِهِ ، كَمَا لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ .

ثُمَّ اغْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ وَالطَّلَبَ لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَالتَّوَكُّلَ وَالْكَسْبَ لَا يَتَضَادَّانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَرَهُ فَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ ، كَمَا أَنَّ مَا عِلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَكُونُ فَهُوَ كَائِنٌ ، وَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، قَرُبَ أَمْرُ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بِغَيْرِ طَلَبٍ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ ^(١) ، وَرُبَّ أَمْرٍ قَدَرِ وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ الطَّلَبِ فَلَا يَصِلُ إِلَّا بِالطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرِ ^(٢) الْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ الطَّلَبِ فِي أَكْثَرِ مَقْدُورَانِ ، فَمِنْ هَاهُنَا قُلْنَا إِنَّهُمَا لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ مَعَ الْكَسْبِ ، لِأَنَّ التَّوَكُّلَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَالْكَسْبَ مَحَلُّهُ الْجَوَارِحُ ، وَلَا ^(٣) يَتَضَادُّ شَيْئَانِ فِي مَحَلِّينِ بَعْدَمَا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ أَنَّ الْمَقْدُورَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ تَعَسَّرَ شَيْءٌ فَيَتَقَدَّرُ بِهِ ، وَإِنْ اتَّفَقَ فَيَتَسَيَّرُ بِهِ .

قَالَ أُنْسٌ : جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَالتَّوَكُّلُ ؟ فَقَالَ : « اغْلِقْهَا وَالتَّوَكُّلُ » . وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِعْتَصَامُ بِالْقَدَرِ مِنَ الْعَمَلِ ^(٤) ، وَالطَّلَبُ وَالْكَسْبُ يُسْتَمَدَّانِ مِنَ الْأَمْرِ ، فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الثِّقَةُ بِمَا ضَمِنَهُ ، وَالْقَطْعُ بِكَوْنِ مَا حَكَمَ بِهِ ، فَمَنْ رَامَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ لَمْ يَسِرِ الطَّرِيقَ فِي تَخْصِيلِهِ أَنْ يَغْلِقَ بَابَهُ عَلَيْهِ ، وَيُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ ، وَيَتَنَظَّرَ حُصُولَ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، بَلِ الطَّرِيقُ أَنْ يَشْتَرَعَ فِي طَلَبِهِ عَلَى الرَّجَاءِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ فِيهِ .

(١) « إِلَيْكَ » عَنْ م . م .

(٢) فِي م . م . : « الْأَمَلُ » تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي م . م . : « فَلَا » .

(٤) فِي م . م . : « وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِعْتَصَامُ بِالْقَدَرِ يَسْتَمْلِكَانِ مِنَ الْعَمَلِ » .

وَقَدْ ظَاهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ^(١) ، وَاتَّخَذَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَظْهِرُ بِهِ ^(٢) وَيَخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَقَامَ الرِّمَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَحْفَظُوهُ مِنْ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ يَلْبِسُ لَأَمَةً الْحَرْبِ ^(٣) ، وَيُعْبِئُ الْجُبُوشَ ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ ، وَاسْتَرْقَى ^(٤) وَأَمَرَ بِالِاسْتِرْقَاءِ ، وَتَدَاوَى وَأَمَرَ بِالْمَدَاوَاةِ ، وَقَالَ : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّوَاءَ » ، فَإِنْ قِيلَ : قَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ اسْتَرْقَى أَوْ ائْتَوَى فَقَدْ بَرِيَءٌ مِنَ التَّوَكُّلِ » ، قُلْنَا : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : اغْتَلْهَا وَتَوَكَّلْ ؟ وَظَاهَرَ بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ، وَسَائِرِ مَا ذَكَرْنَاهُ آيَةً ؟ فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : مَعْنَاهُ : مَنْ اسْتَرْقَى وَائْتَوَى مُتَكِلًا عَلَى الرُّفْقَةِ وَالْكَيْ ، وَأَنَّ الْبِرَّ مِنْ قِبَلِهِمَا خَاصَّةٌ ، فَهَذَا يُخْرِجُهُ مِنَ التَّوَكُّلِ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ كَافِرٌ يُضَيِّفُ الْحَوَادِثَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ الْأَسْبَابَ وَالْأَدْوِيَةَ ، وَتَبَاعَطَى تَذْيِيرَ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمَالِهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ سِيرَةُ ^(٥) اللَّهِ تَعَالَى فِي أَرْضِيهِ ، وَعَادَتُهُ ^(٦) فِي خَلْقِهِ ، غَيْرَ مُعْتَمِدٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ وَائْتَى الْقَلْبِ أَنَّ مَا حَصَلَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَمَا تَعَسَّرَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُسَبِّبِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَوَكَّلُ ^(٧) ، لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَمْشِيَ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ مَعَ الْأَمْرِ ^(٨) ، وَلَا يَسْنُكَ طَرِيقًا فِيهِ مَعْصِيَةً ، فَلَيْسَ يُسْتَدْرَجُ ^(٩) مَا عِنْدَ اللَّهِ بِمَعَاصِيهِ .

(١) ظَاهَرُ بَيْنَ ذِرْعَيْنِ : طَائِقُ بَيْنَهُمَا .

(٢) يَسْتَظْهِرُ بِهِ : يَسْتَعِينُ بِهِ وَيَحْتَاطُ .

(٣) لِي (م) : لَأَمَةً حَرْبَهُ .. وَلَأَمَةُ الْحَرْبِ : أَدَاةُ الْحَرْبِ ، مِنْ رُمْحٍ ، وَبِيضَةٍ ، وَمِغْفَرٍ ، وَسَيْفٍ ، وَذِرْعٍ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٤) اسْتَرْقَى : طَلَّبَ مَنْ يَرْقِيهِ .. وَالرُّفْقَةُ : الْعُودَةُ الَّتِي يَرْقَى بِهَا الْمَرِيضَ ، وَيُقَالُ فِيهَا : بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ .. اِغْ .

(٥) لِي (م) : دَسِئَةٌ .

(٦) لِي (م) : عَادَاتُهُ .

(٧) لِي (م) : التَّوَكُّلُ .

(٨) لِي (م) : مَعَ الْأَمْرِ .

(٩) يُسْتَدْرَجُ : يُثَال - عَلَى التَّدرِجِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنِ اتَّقَى أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ^(١) كَانَ أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وَأَقْرَبَ لِمَجِيءِ مَا اتَّقَى ^(٢) . وَمَنْ ظَنُّ أَنْ الطَّلَبَ وَالْإِحْسَابَ يُنَاقِضُ ^(٣) التَّوَكُّلَ ، فَتَعَدَّ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ مُتَكَبِّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي رُغْبِهِ ^(٤) ، كَانَ عَنِ الْعَقْلِ خَارِجًا ، وَفِي يَدِهِ الْجَهْلُ وَالْجَا ، وَيُقَالُ لَهُ : قَبَحَتْ يَاهَذَا ^(٥) إِذْ جُعِفَتْ وَحَضِرَ الطَّعَامُ ، فَهُوَ إِلَى الطَّعَامِ أَخْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ^(٦) ، وَيَتَّبِعِي لِأَهْلِهِ أَنْ يُدَاوُوهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمَرْيَمَ : ﴿ وَهَرَي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ^(٧) ، فَهَلَا أَمَرَهَا بِالسُّكُونِ ثُمَّ حَمَلَ الرُّطْبَ إِلَى فِيهَا ^(٨) ؟ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَنْ لَهُ دَابَّةٌ أَوْ بُسْتَانٌ ، يُؤْمَرُ بِسُقْيِ الْبُسْتَانِ وَخَفْرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ ^(٩) ، وَيُؤْمَرُ بِأَنْ يَغْلِفَ الدَّابَّةَ وَيَسْقِيَهَا .

وَأُبَشِّرُوا ^(١٠) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ إِلَيْكَ فَهَرَي الْجِذْعُ يَسْقِطُ الرُّطْبُ ^(١١)

(١) في د م : : لمعصية الله .

(٢) في د م : : اتقى .

(٣) في د م : : يناقض الأمر .

(٤) في ز عمه : عن ط .

(٥) في د م : : من هذا .

(٦) في د م : : إذا جُعِفَ وحضر الطعام ألا تُتَدَّ يدك إليه ، وألا تفتح فمك له ، فإن عمادى على ذلك

كان إلى العقل أخوج منه إلى المعرفة .

(٧) سورة مريم ، من الآية ٢٥ .

(٨) فيها : فيها .

(٩) في د م : : وإصلاح بستانه .

(١٠) البستان من الطويل ، وقد وردا في المستطرف ج ٢ في الباب الخامس والخمسين ، في العمل والتكسب ،

ص ١٢٨ ، وص ٥٤٨ من الباب الثامن والسبعين ، في القضاء والقدر وأحكامه ، وهما غير منسوبين إلى قاتل .

(١١) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

﴿ وَهَرَي إِلَيْكَ الْجِذْعُ يَسْقِطُ الرُّطْبُ ﴾

وقبل هذا البيت :

﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَلَا تَرْتَعْزِزْ فِي الْعَمَلِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبِ ،

وَلَوْ شَاءَ أُخْتِيَ الْجِزْعَ مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ إِلَيْهَا وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ ^(١)

وَهَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْلُو خِمَاصًا وَتُرْوَحُ بِطَانًا » ^(٣) ، فَلَمْ يَحْمِلْ أَرْزَاقَهَا إِلَيْهَا فِي أَوْكَارِهَا ، بَلِ اللَّهُمَّهَا طَلَبُهُ بِالْعُلُوِّ وَالرَّوَّاحِ ^(٤) . وَقَدْ كَانَ جُهَيْلُ رَئِيسُ الْقُنْدَهَارِ ^(٥) يَرَى مِنْ تَصْدِيقِ الْقَدْرِ وَتَكْذِيبِ الطَّلَبِ دُونَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنَ الْمُلُوكِ مَا حَجَزَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالتَّذْيِيرِ ، فَأَخْرَجَهُ إِخْوَتُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَقَهَرُوهُ عَلَى مَمْلَكِيهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنْ تَرَكْتَ الطَّلَبَ يُضْعِفُ الْهِمَّةَ وَيُذِلُّ النَّفْسَ ، وَصَاحِبُهُ سَائِرُ إِلَى أَخْلَاقِ ذَوَاتِ الْأَجْحَرَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، كَالضَّبِّ وَسَائِرِ الْحَشَرَاتِ ، تَنْشَأُ فِي أَجْحَرَتِهَا ، وَفِيهِ يَكُونُ مَوْتُهَا .

ثُمَّ جَمَعُوا بَيْنَ الْقَدْرِ وَالطَّلَبِ وَقَالُوا : إِنَّهُمَا كَالْعِذْلَيْنِ عَلَى ظَهْرِ الدَّائِيَةِ ، إِنْ حُمِلَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا أُرْجِحَ مِمَّا حُمِلَ فِي الْآخَرِ سَقَطَ حِمْلُهُ ^(٦) ، وَتَعَبَ ظَهْرُهُ ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ سَفَرُهُ ، وَإِنْ عَادَلَ بَيْنَهُمَا سَلِمَ ظَهْرُهُ ، وَتَجَحَّ سَفَرُهُ ، وَثَمَّتْ بُعِيَّتُهُ .

وَضَرَبُوا فِيهِ مَثَالًا عَجِيبًا فَقَالُوا : إِنْ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ يَفْقَرُ وَضُرٌّ ، لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى ، وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ ، وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا كُلَّ يَوْمٍ احْتِسَابًا

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أُخْتِيَ » بالجمع المعجمة . والبيت في المستطرف :

« ولو شاء أن ننجيه من غير هؤلء جتته ، ولكن كل يزق له سبب »

(٢) في « م » : « عليه السلام » .

(٣) حَقَّ تَوَكُّلِهِ : بَأَن لَمْ يَحْطَر بِبَالِك مُدَاخَلَةً لِفِيْزِهِ - تَعَالَى - فِي الرِّزْقِ أَصْلًا .. وَخِمَاصًا : جِيعًا .. وَبَطَانًا : مِثْلَةُ الْأَجْرَافِ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ ، بَابِ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ ج ٢ ص ١٣٩٤ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ الزَّهْدِ ، بَابِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ج ٩ ص ٢٠٨ بِشَرْحِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ .

(٤) في « م » : « تَطَلَّيْهِ فِي الرِّوَّاحِ وَالْعُلُوِّ » .

(٥) الْقُنْدَهَارُ : مِنْ بِلَادِ السَّنْدِ أَوْ الْهِنْدِ .. وَفِي « م » : « الْقُنْدَمَارِس » .. وَفِي « ط » : « رَيْسُ الْقُنْدَهَارِس » وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا أَتَيْتَاهُ .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ مادة قندهار] .

(٦) « حمله » عن « م » .

قُوْنَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَلَمْ يَزَالَا فِي عَاقِبَةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْمُخْتَسِبُ ، فَأَقَامَا
بَعْدَهُ أَبَامَا ، فَاشْتَدَّ جُوعُهُمَا ، وَبَلَغَ الضَّرُّ ^(١) مِنْهُمَا جُهْدُهُ ، فَأَجْمَعَا ^(٢) رَأْيَهُمَا عَلَى
أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ ، فَيَذُلَّهُ الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ يَبْصِرُهُ ، وَيَسْتَقِيلَ الْأَعْمَى بِحِمْلِ
الْمُقْعَدِ ^(٣) فَيُدَوِّرَانِ فِي الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا ، فَفَعَلَا ، فَتَجَحَّ أَمْرُهُمَا ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا
هَلَكَا . فَكَذَلِكَ الْقَدَرُ سَبَبُ الطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ سَبَبُ الْقَدَرِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُجِيبُ
لِصَاحِبِهِ .

فَاتَّخَذَ جُهَيْلٌ فِي الطَّلَبِ نَظِيرَ بِأَعْدَائِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ ، فَكَانَ جُهَيْلٌ يَقُولُ :
لَا تَدْعُنِ الطَّلَبَ الْكَلَالَا عَلَى الْقَدَرِ ، وَلَا تُجْهِدُنْ نَفْسَكَ فِي الطَّلَبِ مُتَعَمِّدًا عَلَيْهِ ،
مُسْتَهْتِنًا ^(٤) بِالْقَدَرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا أَجْهِدْتَ نَفْسَكَ بِالطَّلَبِ بِوُجُوهِ التَّدْبِيرِ الْمَحْمُودَةِ
مُصَدِّقًا بِالْقَدَرِ ، نِلْتَ مَا تُحَاوِلُ ، وَلَمْ تَلْقَ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِذَلِكَ فَالْقَوَى
عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنْ مَطْلُوبِكَ فَذَلِكَ مِنْ إِعَاقَةِ ^(٥) الْقَدَرِ ، وَأَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ ^(٦) ذَنْبًا ، فَتَقَعْدُ
جَوَارِحَكَ ، وَاسْتَكْشَيْفَ ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ ، وَثَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ
بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ ، وَاخْرُجْ مِنْ كُلِّ مَظْلَمَةٍ ظَلَمْتَهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَابَلَكَ
الْحَظُّ ، وَسَاعَدَكَ الْقَدَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) .

وَأَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يُخْرِجُ عَلَيْهِ ^(٨) كُلَّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ

(١) لِي م : : الضَّرُّ .

(٢) لِي ط : : فَأَجْمَعُوا .

(٣) لِي ط : : وَيَسْتَقِيلُ الْمُقْعَدُ بِحِمْلِ الْأَعْمَى .

(٤) لِي م : : مُسْتَهْتِنًا ، تَحْرِيفٌ .

(٥) لِي ط : : إِعَاقَةُ .

(٦) لِي م : : أَتَيْتَ .

(٧) لِي م : : عَنْ ط .

(٨) لِي م : : وَأَعْلَمْ أَنَّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يَخْرُجُ كُلُّ .

الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ ، وَالتَّفْوِضِ إِلَيْهِ ^(٢) . مِنْ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ الْخَوَاصَّ ^(٣) ثَلَا يَوْمًا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ^(٤) فَقَالَ : مَا يَتَّبِعِي لِعَبْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٥) . قُلْنَا : مَعْنَاهُ : لَا يَلْجَأُ إِلَى الْأَسْبَابِ اعْتِمَادًا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ يَلْجَأُ إِلَيْهَا وَاتِّقًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْلِ النَّاقَةِ ، وَلَيْسَ دِرْعَيْنِ ، أَلَا قَرَى أَنْ مَنْ يَطْلُبُ الزَّرْعَ وَالْوَلَدَ ثُمَّ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَطَأْ زَوْجَتَهُ ، وَلَا يَذَرُ أَرْضَهُ ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتِّقًا بِهِ أَنْ تَلِدَ امْرَأَتُهُ مِنْ غَيْرِ وَقَاعٍ ، وَتَنْبُتَ أَرْضُهُ الزَّرْعَ مِنْ غَيْرِ بَذْرِ ، كَانَ عَنِ الْمَعْقُولِ خَارِجًا ، وَلِأَمْرِ اللَّهِ تَارِكًا .

وَلِلْأَيْمَةِ وَالْحُكَمَاءِ فِي الْقَدْرِ الْفَاطَ بَارِعَةً عَلَى السَّبْرِ ^(٦) وَ الْإِمْتِحَانِ . .

مِنْهَا مَا رَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سُئِلَ عَنِ الْقَدْرِ فَأَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ ، فَأَتَى إِلَّا الْجَوَابَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَخْبِرْنِي ، أَعْلَقَكَ اللَّهُ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ فَاثْنَسَكَ الرَّجُلُ . فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَاضِرِينَ : اتَّرَوْنَهُ يَقُولُ كَمَا أَشَاءُ ^(٧) ؟ إِذَا وَاللَّهِ أَضْرَبُ عُنُقُهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : كَمَا يَشَاءُ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيُحْيِيكَ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَيُخَشِّرُكَ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَيُبْذِلُكَ حَيْثُ تَشَاءُ أَوْ حَيْثُ يَشَاءُ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَشَاءُ . قَالَ : قُمْ فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

(١) في « م » : « عليه السلام » .

(٢) في « ط » : « والتفويض إليه والتسليم له » .

(٣) من الزهاد العارفين ، ومن معاصري إبراهيم بن آدم .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧] .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٥٨ .

(٥) « تعالى » عن « م » .

(٦) السُّبْر : الاعتبار .

(٧) في « م » : « يَشَاء » تحريف .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَدَرِيًّا وَمَجُوسِيًّا تَنَاطَرَا ^(١) ، فَقَالَ الْقَدَرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ : مَا لَكَ لَا تُسْلِمُ ؟ فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ : لَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَأَسْلَمْتُ . فَقَالَ الْقَدَرِيُّ : قَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تُسْلِمَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَمْنَعُكَ . قَالَ الْمَجُوسِيُّ : فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهِمَا .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَرَّ بِفَخٍّ مَنصُوبٍ ، وَإِذَا طَائِرٌ ^(٢) قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَقَالَ الطَّائِرُ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَلْ رَأَيْتَ أَقْلَ عَقْلًا مِنْ هَذَا .. نَصَبَ هَذَا الْفَخَّ لِيَصِيدَنِي فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : فَذَهَبَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا الطَّائِرُ فِي الْفَخِّ . فَقَالَ لَهُ : عَجَبًا لَكَ ^(٣) ، أَوَلَسْتَ الْقَائِلَ آيُنَا كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ لَمْ يَبْقَ ^(٤) أُذُنٌ وَلَا عَيْنٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ مَنْ جَنَّبَنِي سَبْلَ الْهُدَى ، وَسَلَكَ بِي سَبْلَ الرَّدَى ، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ ؟ قَالَ لَهُ ^(٥) عَلِيٌّ : إِنْ كُنْتَ اسْتَوْجَبْتَ عَلَيْهِ حَقًّا فَقَدْ أَسَاءَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ لِعِزِّلَانَ الْقَدَرِيِّ ^(٦) : سَلْ ، فَأَقْوَى مَا تَكُونُونَ إِذَا سَأَلْتُمْ . فَقَالَ عِزَّلَانُ : أَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ مَيْمُونٌ : أَيْعَصَى كَارِهَا ؟ فَأَنْقَطَعَ عِزَّلَانُ .

(١) في د م : : : تنافرا .

(٢) في د م : : : بطائر .

(٣) في د م : : : عجباً لك يا طائر .

(٤) في د ط : : : لم يبق . والخين : الهلاك .

(٥) في د م : : : دلي . تحريف .

(٦) هو : عيزلان بن مسلم الدمشقي ، أبو مروان ، كاتب من البلغاء ، وتنسب إليه فرقة « الغيلانية » من القدرية ، وهو ثانی من تكلم في القدر ودعا إليه ، ولم يبق في هذا سوى معبد الجهني .. قيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عمر ، جاهر بملذه ، فطلبه هشام بن عبد الملك ، وأحضر الأوزاعي لمناظرته ، فأضى الأوزاعي بقتله ، فسلب على باب كيسان بدمشق بعد سنة ١٠٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٢٤ ، وطبقات المعتزلة ص ٢٥ - ٢٧ ، والمعارف ص ٦٢٥ ، والبيان والبيان

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبُرْزَجِيمَهْر^(١) : تَعَالَ تَتَنَاطَرُ فِي الْقَدْرِ . فَقَالَ : وَمَا تُصْنَعُ^(٢)
بِالْمَنَاطَرَةِ فِي الْقَدْرِ ؟ رَأَيْتَ ظَاهِرًا اسْتَدْلَلْتُ بِهِ عَلَى الْبَاطِنِ ، وَرَأَيْتُ أَحْمَقَ^(٣)
مَرْرُوقًا ، وَعَاقِلًا مَخْرُومًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ التَّدْبِيرَ كَيْسَ إِلَى الْعِبَادِ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَحِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرَزُقُ صَاحِبُهُ وَيُعْطَى الْمُنَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ طَالِبُهُ^(٤)
وَلَمَّا قَدِمَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بَعْدَ فَتْحِ الْأَلْدَلَسِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ
لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُثَلِّبِ^(٥) : أَنْتَ أَذْهَى النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ طَرَحْتَ نَفْسَكَ فِي
يَدَيِ سُلَيْمَانَ ؟ فَقَالَ مُوسَى : إِنَّ الْهَذْمَ يُهْنِدِسُ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ الْفَيَافَى^(٦) وَيُصِيرُ
الْقَرِيبَ مِنْهُ وَالْبَعِيدَ^(٧) عَلَى بُعْدِهِ فِي الشُّحُومِ ، ثُمَّ يَنْصَبُ لَهُ الصَّبِيءَ الْفَقْعُ بِالْذُودَةِ
وَالْحَبَّةِ فَلَا يَصِيرُهُ حَتَّى يَفْقَعَ فِيهِ .

(١) في م : : قال له بُرْزَجِيمَهْر .

(٢) في م : : وما تصنع .

(٣) في م : : أحقأ بالتونين . خطأ ، ممنوع من الصرف .

(٤) البيت من الطويل ، وقد ورد في حيون الأخبار ج ٢ ص ٢١٢ هكذا :

يَحِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرَزُقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ .

(٥) هو : يزيد بن المثلب بن أبي صفرة الأزدى ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان الأجواد ، ولي
خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ فمكث نحو ست سنين ، وعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج - وكان
الحجاج يحشى بأهله - فلما انقضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولأه العراق ثم خراسان ، فعاد إليها ، وافتح
جرجان وطبرستان ، ثم نقل إلى إمارة البصرة فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ، فعزله ، وطلبه
فجىء به إلى الشام ، فحبسه بحلب .. ولما تولى عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن ، وسار إلى البصرة
فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتل
يزيد سنة ١٠٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ - ٣٠٩ ، والمعارف ص ٥٧١ وغيرها
من الصفحات ، وأخباره منتشرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبرى ، وابن الأثير وغيرها] .

(٦) الفياض : الأراضي الواسعة المستوية .. وفي م : : الأرض التعمق ، أى : التى تحتفظ بالماء فى باطنها
فلا تشربه .

(٧) في م : : من البعيد .

وَفِي الْإِسْرَائِيلَاتِ : « أَنْ الْهَدَاهِدَ كَانَتْ رَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(١) إِلَى الْمَاءِ ، فَتَقَدَّمَ مُعْسَكَرُهُ ، ثُمَّ تَنْظَرُ الْأَرْضَ فَتَقُولُ ^(٢) : الْمَاءُ هَاهُنَا عَلَى الْإِفِ فَامَّةٍ ، أَوْ أَقْلٍ أَوْ أَكْثَرٍ ، فَتَبَادِرُ الْجِنُّ تُخْفِرُهُ ^(٣) فَلَا يَلْحَقُ سُلَيْمَانُ إِلَّا وَقَدْ اسْتَعَدَّ الْمَاءُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْهَارِبَ مِمَّا هُوَ مَقْضَى مُقَدَّرٌ كَالْمُنْقَلَبِ فِي كَفِّ الطَّالِبِ .
وَأَشَدَّ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا وَفَرَزْتَ مِنْهُ فَتَحْوُهُ تَتَوَجَّهُ ^(٤)
وَيَبْشَارُ ^(٥) :

طُبِثْتُ عَلَى مَا فِى غَيْرِ مُحْيِرٍ هَوَاىَ ، وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهْدَبَا ^(٦)
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَامِى أَنْ يَنَالَ الْمُغْيَا ^(٧)
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِى وَعِلْمِى مُقَصَّرٌ وَأُنْسَى وَمَا أُعْطِيتُ إِلَّا التَّعْجَبَا ^(٨)

(١) فى « م » : « عليه السلام » .

(٢) فى « م » : « ثم تنظر الأرض ويقول » .

(٣) فى « م » : « فتبادر الجن بخفيره » .

(٤) البيت من الكامل ، وقد ورد فى المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ ، وفى نفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ غير نسوب لقاتله .

(٥) هو : بشار بن برد بن بهتن . والأبيات من قصيدة يشبب فيها بصفراء ، ويتخلص إلى أخلاقه ، وهى من الطويل .

[انظر ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٢٤٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وج ١ ص ٢٦٩ الشركة التونسية للترجيع] .

(٦) فى الديوان : « تحلقت » مكان « طُبِثْتُ » .

(٧) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » :

« أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى فَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَامِى أَنْ يَنَالَ الْمُغْيَا »

والشطرة الثانية فى الديوان : « وقصّر علمى أن أنال المغيا » . وقد روى فى المختار بلفظ « ولم أرَدْ » ، وبلغف « وقصّر علمى » أى : يقصر عن أن أنال .. وهو أولى مما هنا ، إذ لا موقع للقاء فى قوله : « فلم » ، ولأن قوله : « وقصّر علمى » لا يعطى معنى إلا بتكلف .

[انظر المرجعين السابقين] .

(٨) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الديوان :

وَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ قَرَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَلَى جِمَارٍ لَهُ ، يَطْلُبُ النَّجَاةَ ، فَسَمِعَ مُنْشِدًا يَنْشِدُ :

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى جِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَنَعَةٍ طَيَّارٍ ^(١)
أَوْ يَأْتِيَ الْخَنْفَ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي ^(٢)

فَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْكُوفَةِ وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي فَلَا تَجِئِ مَهْرَبٍ ^(٣) .
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

أَقَامَ عَلَى الْمَسِيرِ وَقَدْ أُنِخْتُ مَطْلَبَاهُ وَغَرَّدَ حَادِيَاهَا ^(٤)
وَقَالَ أَخَافُ عَادِيَةَ اللَّيَالِي عَلَى نَفْسِي وَأَنْ أَلْقَى رَدَاهَا ^(٥)
وَمَنْ كُتِبَتْ مِيتَتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا ^(٦)

وَلَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بُزْجِيمَهُ وَجَدُوا فِي مِثْقَلِهِ ^(٧) كِتَابًا فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا

= « وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَجَلَمِي مِثْلِي وَأَضْحَى وَمَا اغْتَبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا »

وفي رواية : « وَعَلَيْهِ ثَلَاثٌ » مكان « وحلى مبلغى .. » وفي رواية : « وَأَمْسَى » مكان « وَأَضْحَى » ..
وفي رواية : « فَأَرْجِعُ مَا اغْتَبْتُ .. » [انظر المرجعين السابقين] .

(١) البيتان من الرجز ، وقد وردا في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٣١ ، ونفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ ، والشرطة الثانية من البيت في العقد الفريد : « وَلَا عَلَى ذِي مِيعَةٍ مَطَّارٍ » والمِيعَةُ : الفَرَسُ . ومِيعَةُ الْفَرَسِ : أول جريه ..
والمَنَعَةُ : القوة .. وفي النفع : « وَلَا عَلَى ذِي مَنْسَرٍ طَيَّارٍ » .

(٢) الْخَنْفُ : الهلاك .. والسَّارَى : السائر ليلاً .

(٣) فَلَا تَجِئِ مَهْرَبٍ : لات : حرف نفى يعمل عمل « ليس » واسمه محذوف ، والتقدير : ولات الحين حين مهرب ، و« حين » الثانية خبر « لات » ومثله في القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تَجِئِ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ .

(٤) الأبيات من الوافر ، وقد وردت في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ . ومعنى أُنِخْتُ مَطْلَبَاهُ : بَرَكْتُ ..
وَوَغَّرَدَ حَادِيَاهَا : رفعها الصوت بالحداء للتطريب .

(٥) عَادِيَةُ اللَّيَالِي : نوائها وشروها . وفي المستطرف بعد هذا البيت :

« مِنْهَاهَا غَطَطِي كُحِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُحِبَتْ عَلَيْهِ غَطَطِي مَشَاهَا »

(٦) كُحِبَتْ مِيتَتُهُ : قُدِّرَ عليه أن يموت .. وفي المستطرف : « وَمَنْ كَانَتْ مِيتَتُهُ بِأَرْضٍ » .

(٧) في (م) : « وَجَدَ فِي مِثْقَلِهِ » أى : في الخزام الذى يلف به خصره .

فَالْجَرَصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالْقِتَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجَزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ تَارِيلاً ^(١) فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمَقٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ ثَمَرُهُ كَثْرًا لَهُمَا ﴾ ^(٢) : إِنَّمَا كَانَ الْكَثْرُ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ ^(٣) بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَخْزَنُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَعَبُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَفْعَلُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقْلِبُهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثٍ : رَجُلٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَ رِزْقِهِ بِتَدْيِيرِهِ وَهُوَ يَرَى تَنَاقُضَ تَدْيِيرِهِ ، وَرَجُلٌ شَغَلَهُ هَمُّ غَدِهِ ، وَعَالِمٌ مَفْتُونٌ يَعِيبُ عَلَى زَاهِدٍ مَغْبُوطٍ . وَمِنْ عَجِيبٍ مَا تَنَزَّلَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ عِخْدَمَةِ السُّلْطَانِ غَابَ عَنْ خِدْمَتِهِ أَيَّامًا فَقَبِضَهُ الشَّرْطُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَانْسَابَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَتَرَامَى فِي بَغْرٍ ، وَالْمَدِينَةُ مُسَرَّاةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَمْرَابٍ يَمْشِي الْمَاشِي فِيهَا قَائِمًا ، يَخْتَرِقُهَا وَيَتَوَرَّعُهَا ، لِأَنَّ فِي دُورِهَا آبَارًا ^(٤) عَلَى تِلْكَ السَّرُوبِ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْشِي إِلَى أَنْ لَاحَ لَهُ بَغْرٌ مُضِيقٌ ، فَطَلَعَ فِيهَا ، وَإِذَا ^(٥) الْبَغْرُ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ فِي دَارِ ^(٦) السُّلْطَانِ ، فَأَذْبَهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ : الْفَارُّ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَالِبِ ، كَالْمُنْفِلَةِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ .

(١) فِي م : : « نَازِلٌ » .. لَا تَصَحُّ ، وَالصَّوَابُ بِالنَّصْبِ .

(٢) سُورَةُ الْكَهْفِ ، مِنَ الْآيَةِ ٨٢ .

(٣) فِي م : : « يُوقِنُ » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثِ .

(٤) فِي م : : « آبَارٌ » .. لَا تَصَحُّ . وَالصَّوَابُ بِالنَّصْبِ .

(٥) فِي م : : « فَاذًا » .

(٦) فِي م : : « إِلَى دَارِ » .

(٧) فِي م : : « الْمُسْتَطَرَفُ ج ٢ ص ٥٥٤ : « كَالْمُنْقَلَبِ » .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُشْرَفُ عَلَى الْأَمْرِ مِنَ الْإِمَارَةِ وَالتَّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهِمَا ^(١) ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، فَيَقُولُ لِلْمَلِكِ : اصْرِفْ عَنْ عِبْدِي هَذَا الْأَمْرَ ، فَإِنِّي إِن أُبْسِرَهُ لَهُ أُدْخِلُهُ بِهِ جَهَنَّمَ . فَيُظَلُّ يَتَغَيَّبُ عَلَى جِيرَانِهِ فَيَقُولُ : سَبَقَنِي فُلَانٌ ، وَحَسَدَنِي فُلَانٌ ، وَمَا صَرَفَهُ عَنْهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأُشْنُوا ^(٢) :

قَالُوا يُقِيمُ وَقَدْ أَحَا طَ بِكَ الْعَدُوُّ وَلَا تَفِرْ
فَأَجَبْتُهُمْ وَالشَّيْخُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ غُر ^(٣)
لَا نِلْتَ خَيْرًا مَا يَقِي ت وَلَا عَدَانِي الدَّهْرُ شُر ^(٤)
إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ غَيَّرَ اللَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ

اسْتَأْذَنَ الْعَقْلُ ^(٥) عَلَى الْجَدِّ فَقَالَ : اذْهَبْ لَا حَاجَةَ لِي بِكَ ، فَقَالَ الْعَقْلُ : وَلَمْ ؟
فَقَالَ : لِأَنَّكَ ^(٦) نَحْتَاجُ إِلَيَّ وَلَا أَحْتَاجُ إِلَيْكَ .

وَأَوْصَى حَكِيمٌ ابْنَهُ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، رَزَقَكَ اللَّهُ جَدًّا يَحْلُمُكَ بِهِ ذَوُّ الْعُقُولِ ، وَلَا
رَزَقَكَ عَقْلًا تَحْلُمُ بِهِ ذَوِي الْجُلُودِ . وَكَانَ يُقَالُ : لِفِرَاطِ الْعَقْلِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ .

(١) في « ط » : « أَوْ غَيْرَهَا » .

(٢) الأبيات من مجروء الكامل ، وقد قالها المسترشد بالله العباسي الفضل بن أحمد لما كُسر وأُشمر عليه بالهزيمة .. وقد وردت في فوات الوفيات ج ٣ ص ١٨٠ ، ووردت أيضاً في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٣) هكنا البيت في « م » .. وفي « ط » : « الشَّيْخُ » بدون الواو .. والبيت في فوات الوفيات :
« فَأَجَبْتُهُم : الْمَرْءُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالزَّوْعِظِ غُر »
ولم يرد هذا البيت في المستطرف .. والفر : من يندفع إذا غُدِغَ .

(٤) في « م » : « وَلَا عِلَاقِي » . وفي للمستطرف :
« لِأَنَّكَ خَيْرٌ إِنْ بَقِيت » .. وفي فوات الوفيات : « لَا نِلْتَ خَيْرًا مَاحِيثٌ » .

(٥) في « م » : « الْقَعْلُ » تحريف .. والجَدُّ : الحَظُّ والرزق .. وبكسر الجيم : الاجتهاد في العمل .

(٦) في « ط » : « إِنَّكَ » .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا خُيِّرَ فِي أَمْرِ فَأَتَى أَنْ يَخْتَارَ ، وَقَالَ : أَنَا بِجَدِّي أَوْثَقُ مِنْ بَنِي يَعْقُلِي ، فَافْرُغُوا . وَفِي الْأَمْثَالِ : اسْعَ بِجَدٍّ لَا يَكْدُ ^(١) . اسْعَ بِجَدٍّ أَوْ دَع . جَدُّكَ لَا كَدُّكَ . الْجَدُّ لَا الْجِدُّ . الْجَدُّ أَغْنَى مِنَ الْكَدِّ ^(٢) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ زِمَامَ الْأُمُورِ التَّوْفِيقُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَقْلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالْإِجْتِهَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٣) . وَقَدْ كُنْتُ جَمَعْتُ فِيهِ كِتَابًا مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِي ^(٤) فِي الْأَسْرَارِ : هَلِ التَّوْفِيقُ مُكْتَسَبٌ ^(٥) ، أَوْ مَوْهَبَةٌ بِلَا سَبَبٍ ؟ فَلَا ^(٦) مَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي مَجَارِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْهَارِبَ مِنَ الْمَقْدُورِ كَالْمُنْقَلَبِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ ، مَا نَزَلَ ^(٨) فِي مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ فِي قَضِيَّةٍ ^(٩) الرَّجُلِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

(١) فِي اللِّسَانِ ، مَادَّةُ « كَدَد » : « بِجَدِّكَ لَا يَكْدُكَ » أَيْ : إِنَّكَ تَدْرِكُ الْأُمُورَ بِمَا تُرْزَقُهُ مِنَ الْجَدِّ لَا بِمَا تَعْمَلُهُ مِنَ الْكَدِّ .

(٢) فِي « م » : « أَغْنَى مِنَ الْعَقْلِ » .

(٣) سُورَةُ الزُّكُورِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٩ .

(٤) « مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِي » عَنْ « ط » .. وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ تَذْكُرْهُ الْمَرَاجِعُ الَّتِي ارْتَمَتْ لِلطَّرُوشِيِّ وَأَحْصَتْ مَوْضِعَاتِهِ ، وَيَسُو أَنْ هَذَا الْكِتَابُ يَتَاوَلُ مَوْضِعَاتٍ تَتَّصِلُ بِالْإِنْسَانِ وَالْعَقْلِ ، وَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَمَا يَشَبِّهُهَا مِنْ مَوْضِعَاتٍ .

[انْظُرْ أَبُو بَكْرٍ الطَّرُوشِيُّ لِلدُّكْتُورِ جَمَالِ الدِّينِ الشَّيَالِ ص ٧٨] .

(٥) فِي « م » : « يُكْسَبُ » .

(٦) فِي « م » : « بِلَا » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي « م » : « كَالْمُنْقَلَبِ مِنْ » .

(٨) فِي « م » : « مَا نَزَلَ بِنَا » .

(٩) فِي « م » : « مِنْ قَضِيَّةٍ » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونُ

وَهُوَ جَامِعٌ مِنْ أُخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ
وَحِكَايَاتِهِمْ

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ ^(١) فُصُولٍ :

(الْأَوَّلُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى أُخْبَارِ رُفْعَتِ ^(٢) إِلَيْنَا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ ،
فَالْحَفَظَانَا .

(وَالثَّانِي) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْفُرسِ خَاصَّةً .

(وَالثَّالِثُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ ^(٣) السِّنْدِ خَاصَّةً .

(وَالرَّابِعُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْعَرَبِ خَاصَّةً .

(وَالْخَامِسُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ مَجْمُوعَةٍ مُتَّخِيَةٍ .

رَسَمْنَا ذَلِكَ لِتَنْظُرَ ^(٤) فِي عُقُولِ الْقَوْمِ وَأَغْرَاضِهِمْ ، وَمُنْتَهَى مَرَايِهِمْ ، مِنْ كِتَابِ
جَاوِيدَانَ نُحْرَدِ ^(٥) الْفَارِسِيِّ ، قَالَ :

(١) في د م : : خمس ، لا تصح ، والصواب : خمسة .

(٢) في د م : : وقت .

(٣) في د ط : : حكيم .

(٤) في د م : : لتنظر .

(٥) سبق أن أشرنا إلى هذا الكتاب ، وهو منسوب إلى هوسنك شاه ، وقد عرَّبه الحسن بن سهل ، وزيد
الأمون ، ولخصه أيضاً في تعريبه ، وأورد الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ هذا الملخص =

ثَلَاثَةٌ لَا يَصْلُحُ فَسَادُهُنَّ بِشَيْءٍ ^(١) مِنَ الْجَحِيلِ : الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُدُ الْأَكْفَاءِ ^(٢) ، وَالرَّكَائِكَةُ فِي الْمَقُولِ .

وَنَثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَفْسَدُ صَلَاحُهُنَّ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْجَحِيلِ : الْعِبَادَةُ فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْفُنُوعُ فِي الْمُسْتَبْهِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ فِي ذَوِي الْأَخْطَارِ .

وَنَثَلَاثَةٌ ^(٣) لَا يُشْبَعُ مِنْهُنَّ : الْحَيَاءُ ، وَالْعَلْفِيَّةُ ، وَالْمَالُ .

وَقَالَ ابْنُ لُقْمَانَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ، مَا اللَّئَاءُ الْعَيَاءُ ؟ قَالَ : رُغُونَةٌ مَوْلُودَةٌ . قَالَ : فَمَا الْجُرْحُ اللَّئِيُّ ؟ قَالَ : الْمَرْأَةُ السَّوْءُ . قَالَ : فَمَا الْجِمْلُ الثَّقِيلُ ؟ قَالَ : الْعَضْبُ . وَلَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ أَبُو عَبَّادٍ الْكَاتِبُ - وَكَانَ ظَرِيفًا ^(٤) فِي أَتْعَابِهِ - قَالَ : وَاللَّهِ ، الْعَضْبُ أَعْفَى عَلَيَّ مِنْ رِيْشَةٍ ، وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ غَضَبًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا عَنَى لُقْمَانُ أَنَّ اخْتِمَالَ الْعَضْبِ ثَقِيلٌ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَقْوَى عَلَى اخْتِمَالِ الْعَضْبِ إِلَّا الْجَمْلُ . وَغَضِبَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَرَمَاهُ بِدَوَاةٍ فَشَجَّهُ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ ، فَقَالَ أَبُو عَبَّادٍ : صَدَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ^(٥) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ ^(٦) ، فَاسْتَدْعَاهُ ، فَقَالَ ^(٧) : وَيَحْلِكُ ^(٨) ، لَا تُحْسِنُ أَنْ تَقْرَأَ

= في مقدمة كتابه للمسي بآداب العرب والفُرس .. وهو جلويديان « كلمة فارسية ، وتعني : الخالد أو الدائم ..
وهو عُقُود : الصغير من كل شيء .. وبكسر الحاء : العقل أو الذكاء .. وهذا يُعد الفصل الأول من النصوص
الحمسة التي أشار إليها

[انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٧ ، وقاموس الفارسية للدكتور عبد النعم حسنين] .

(١) في م : « شيء » .

(٢) الأكفاء : المتأهلين المتساوين ، القادرين على تصريف الأمور .. جمع كُفء .

(٣) في م : « ثلاث » .

(٤) في م : « ظريفاً » .

(٥) أخطأ أبو عبيد في سرد هذه الآية .. والآية بتامها : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ، وهي الآية السابعة والثلاثون من سورة الشورى .

(٦) قوله : « فبلغ ذلك للمأمون » عن م : « م » ولم ترد في م ط .

(٧) في م ط : « فاستدعاه للمأمون وقال » .

(٨) في م : « ويهلك » . وهما مصدران فيهما معنى الترحم والتوَجُّع .

آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ
وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ ، فَصَحِّحْكَ الْمَأْمُونُ وَأَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِ .

وَقِيلَ لِأَنْثُوشِرَوَانَ : مَا الْعَقْلُ ؟ قَالَ : الْقَصْدُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قِيلَ : فَمَا الْمُرُوءَةُ ؟
قَالَ : تَرْكُ الرِّيَّةِ . قِيلَ ^(١) : فَمَا السَّخَاءُ ؟ قَالَ : أَنْ تَنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ . قِيلَ :
فَمَا الْحُمُقُ ؟ قَالَ : الْإِغْرَاقُ فِي الذَّمِّ وَالْحَمْدِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ ^(٢) : سُوءُ الظَّنِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ :
الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ ^(٣) سُوءُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ . قِيلَ : فَمَا
الصَّوَابُ ؟ قَالَ : الْمَشُورَةُ ^(٤) . قِيلَ : فَمَا الَّذِي يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَوَدَّةِ ؟ قَالَ :
كَفٌّ بَذُولٍ ، وَبَشَرٌ جَمِيلٌ . قِيلَ : فَمَا الْاِخْتِيَاظُ ؟ قَالَ : الْاِقْتِصَادُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادِ جَمِينَ وَلَاهُ الْبِرَاقَ : يَا زِيَادَ ، لِيَكُنْ حُبُّكَ وَبُغْضُكَ قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْغِيْرَةَ كَامِنَةٌ ، وَاجْعَلْ لِلرُّجُوعِ وَالتَّرْوَعِ بَقِيَّةً مِنْ قَلْبِكَ ، وَاحْذَرْ صَوْلَةَ ^(٥)
الْإِهْمَالِ ، فَإِنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ . وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ يَبْغِيضُكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ
هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَّا » ^(٦) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

(١) في م : : قال .

(٢) في م : : قيل .

(٣) به : عن م .

(٤) المشورة : ما يتصنع به من رأى وغيره .

(٥) الصَّوْلَةُ : السطوة والمغالبة في الحرب ونحوها .. وفي م : : صورة : أى : صفة .

(٦) انظر الحديث في صحيح الترمذى ، في أبواب البرِّ والصَّلة ، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض ،
وقد رُوِيَ مُسْنَدًا إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ يرفعه ، والصحيح أنه لعليٍّ موقوف .

والمعنى : أحبُّ حبيبك حُبًّا رَافِقًا لِنَا ، وَلَا تَبَالِغْ فِي الْحُبِّ وَالْبَغْضِ ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا أَمَكَّنْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ حَالَةَ
الْحُبِّ ثُمَّ عَادَ بَغِيضًا ، كَانَ بِمَا لَمْ تَضَارِكْ أَقْصَدَ ، لَمَّا أَطْلَعْتَ مِنْكَ حَالَ الْحُبِّ فَأَضْعَيْتَ إِلَيْهِ بَنِيَّاتَ صَدْرِكَ ، وَأَطْلَعْتَ
عَلَى بَاطِنِ أَمْرِكَ .. وَقَدْ يَمُودُ الْبَغِيضُ حَبِيًّا ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنَ الرَّحْمَنِ يَهْلِكُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

[انظر المصدر السابق ج ٨ ص ١٦٦] .

وَأُحِبُّ حَبِيبَكَ حُبًا رُؤِيْدًا فَلَيْسَ يُعُولُكَ أَنْ تُصْرِمَا ^(١)
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَا تَيَاسَنَّ الدَّهْرَ مِنْ حُبِّ كَاشِحٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صَرْمَ حَبِيبٍ ^(٢)

وَسُئِلَ بَزْرَجِيهْرُ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : تَرُكُ مَا لَا يَعْنِي . قِيلَ : فَمَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ :
الْتِهَارُ الْفُرْصَةِ . قِيلَ : فَمَا الْجَلْمُ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ . قِيلَ : فَمَا الشَّدَّةُ ؟
قَالَ : مَلِكُ الْغَضَبِ . قِيلَ : فَمَا الْخُرْقُ ^(٣) ؟ قَالَ : حُبُّ مُغْرِقٍ ، وَبُغْضُ مُفْرِطٍ .
وَقِيلَ لِبُغْضِ الْمُلُوكِ ، وَبَلَغَ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْقَلْبِ ^(٤) مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ زَمَانِهِ :
مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : عَفْوِي عِنْدَ قُدْرَتِي ، وَلِيْنِي بَعْدَ شِدَّتِي ، وَبَذْلِي
الْإِنْصَافَ ، وَلَوْ بِي لِنَفْسِي ^(٥) ، وَإِنْعَائِي فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ مَكَانًا لِمَوْضِعِ الْاسْتِئْذَالِ .
وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ لِبُغْضِ الْحُكَمَاءِ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أُرْشِدْنِي لِأَحْزِمِ أَمْرِي ^(٦) . قَالَ :
لَا تُثْمَكَنَّ ^(٧) قَلْبَكَ مَحَبَّةَ الشَّيْءِ ، وَلَا يَسْتَوِلِينَ عَلَيْكَ بُغْضُهُ ، وَاجْعَلْهُمَا قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ كَأَسْبِهِ يَتَقَلَّبُ ، وَلَهُ خَاصِيَّةٌ فِي الْقَلْبِ تَنْزِعُ وَتَرْجِعُ ^(٨) ، وَاجْعَلْ وَزِيرَكَ
التَّيْبَتَ ، وَسَجِيرَكَ التَّيْقُظَ ، وَلَا تُقَدِّمُ إِلَّا بَعْدَ الْمَشُورَةِ ، فَإِنَّهَا نَعَمُ الدَّلِيلُ ، وَإِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ مَلَكَتْ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ مَلِكًا اسْتِعْبَادًا .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِأَنْسِيهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ^(٩)

(١) البيت من المقارب .. ويعولك : يظلمك أو يخونك .. وأن تُصْرِمَا : أن تُهْجَرَ وتُفْطَعَ .

(٢) البيت من الطويل .. والكاشح : التلوي المبيض . وصرم الحبيب : قطيعه ومجره .

(٣) الخرق : الخفق .

(٤) في م : : : والقدرة .

(٥) في م : : : ولؤي نفسي .

(٦) أي : لأحْكِمُهُ وَأَقِفُهُ .. وربما كان المراد : لأحْزِمُ أَمْرِي ، بالفضيل ، بمعنى : أَوْقِفُهُ وَأَقِفُهُ .. وفي م : :

لأحزم أمورِي .

(٧) في م : : : لا تُثْمَكَنَّ .

(٨) تنزع وترجع : يخصم ثم يعود إلى ما كانت عليه .

(٩) البيت من الطويل .. لِأَنْسِيهِ : لِمُؤَانَسَتِهِ وَمُلاَظَفَتِهِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الدَّلِيلُ ^(١) النَّاصِحُ ؟ قَالَ : غَرِيْزَةُ الْعَقْلِ مَعَ الطَّبْعِ .
 قِيلَ : فَمَا الْقَائِدُ ^(٢) الْمُشْفِقُ ؟ قَالَ : حُسْنُ الْمَنْطِقِ . قِيلَ : فَمَا الْعَنَاءُ الْمُغْنِي ^(٣) ؟
 قَالَ : تَطْيِيعُكَ مَنْ لَا طَبِيعَ لَهُ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ ^(٤) : سَأَلْتُ رَسُولَ مَلِكِ الرُّومِ عَنْ سِيرَةِ مَلِكِهِمْ
 قَالَ ^(٥) : بَذَلَ عَرْفَهُ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ،
 لَا يُتَعَصُّ ^(٦) جُنْدُهُ ، وَلَا يُخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ^(٧) ، سَهَلَ التَّوَالِ ، حَزَنَ التَّكَالِ ^(٨) ، الرَّجَاءُ
 وَالْخَوْفُ مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ ^(٩) . قُلْتُ : فَكَيْفَ حُكْمُهُ ؟ قَالَ : يَرُدُّ الظَّلَمَ ، وَيُودِعُ
 الظَّالِمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ وَمُعْتَبِطٌ . قُلْتُ : فَكَيْفَ
 مَيِّتُهُمْ لَهُ ؟ قَالَ : يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتُقْضَى لَهُ الْعْيُونُ ^(١٠) .

قَالَ : فَتَنَظَرَ رَسُولُ مَلِكِ الْحَبَشَةِ إِلَى إِصْبَعَاتِي إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالَ عَيْنِي عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ
 الرُّسُلُ تَنْزِلُ عِنْدِي ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِيهِ : مَا الَّذِي يَقُولُ الرُّومِيُّ ؟ قَالَ : يَصِفُ لَهُ مَلِكَهُمْ ،
 وَيَذَكِّرُ سِيرَتَهُ . فَكَلَّمَ التَّرْجُمَانُ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لِي التَّرْجُمَانُ : يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُمْ
 ذُو أُنَاةٍ ^(١١) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَذُو جِلْمٍ عِنْدَ الْعُصْبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمُعَالِيَةِ ،

(١) في م : : : ما القائد .

(٢) في م : : : فما القائد .

(٣) في م : : : العناء المغني : أي : الشاق المتعب .

(٤) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، أبو العباس ، وزير ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء ،
 أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وكان للمعتصم في بلاد الروم ، فاستوزره ثلاث سنوات ،
 واعتقله ، ثم أطلقه ، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة ٢٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٥ - ٤٧ ، وشفارات الذهب ج ٢ ص ١٢٢] .

(٥) في م : : : فقال .. وَحَرَفَهُ : مَعْرُوفَةٌ .

(٦) لَا يُتَعَصُّ : لَا يَكْتُمُ .. وَفِي م : : : لَا يَنْهَضُ .

(٧) فِي م : : : وَلَا تَخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ، أَي : لَا تَسْرِدُ عَلَيْهِ وَتَخْرِجُ عَنْ حُكْمِهِ .

(٨) حَزَنَ التَّكَالِ : شَدِيدَ التَّعَابِ .

(٩) فِي يَدِهِ : مَكْرَرَةً فِي م : : : سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(١٠) تُقْضَى الْعْيُونُ : تَسْهَوُ عَنْهُ مَهَابَةً .. وَالْإِغْضَاءُ : الْمَقَارَبَةُ بَيْنَ الْأَجْضَانِ .

(١١) فِي م : : : إِنَّهُ يَقُولُ : مَلِكُهُمْ وَالْأُنَاةُ : الرِّقُّ وَاللِّينُ .

وَذُو عُقُوبَةٍ عِنْدَ الْإِجْتِرَامِ ^(١) ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتُهُ جَمِيعَ نِعَمَتِهِ ، وَقَصَّرَهُمْ نَعِيمَ عُقُوبَتِهِ ^(٢) ، فَهُمْ يَتَرَاوَنُهُ تَرَائِي الْهِلَالِ حَيَالاً ^(٣) ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ نِكَالاً ^(٤) ، وَقَدْ وَسِعَهُمْ عَذْلُهُ ، وَرَدَّ عَنْهُمْ سَطَوَتَهُ عَقْلُهُ ^(٥) ، فَلَا تُنْمِتُهُ مَرْحَةُ ^(٦) ، وَلَا تُؤْرِسُهُ غَفْلَةُ ، إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعُ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعُ ، فَالنَّاسُ اثْنَانِ : رَاجِعٌ وَخَائِفٌ ، فَلَا الرَّاجِعُ خَائِبٌ الْأَمَلِ ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ . قُلْتُ : فَكَيْفَ رَهْبَتُهُمْ لَهُ ^(٧) ؟ قَالَ : لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ ^(٨) أَجْفَانَهَا ، وَلَا تُبْعَثُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَانَ رَعِيَّتُهُ قَطاً ^(٩) فَرَّقَتْ عَلَيْهَا صُقُورَ صَوَائِدَ .

قَالَ ^(١٠) : فَحَدَّثْتُ الْمَأْمُونَ بِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، فَقَالَ لِي : كَمْ قِيَمَتُهُمَا ^(١١) عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : أَلْفَا ^(١٢) دِرْهَمٍ . قَالَ : يَا فَضْلُ ، إِنَّ ^(١٣) قِيَمَتَهُمَا أَكْثَرُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ حَدِيثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ^(١٤) ، أَتَعْرِفُ أَحَدًا ^(١٥) مِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلَغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ

(١) الاجترام : ارتكاب الذنوب وما يستحق العقوبة .

(٢) قصرهم ، بالراء : كَفَّ عنهم وجَنَّبَهُمْ .. وفي م : : قصدهم بنعيم عقوبته ، أى : تَوَسَّطَ فِيهَا ، لَمْ يُفْرِطْ وَلَمْ يُفْرُطْ .

(٣) الحَيَال : قِبَالَةُ الشَّيْءِ .. وفي م : : خِيَالاً .

(٤) نِكَالاً : عِقَاباً .

(٥) لِي م : : سَطَوَتُهُ وَكَلَّتُهُ ، أى : بَطَشُهُ وَأَذَاهُ .

(٦) نَمْتُهُ : تَبْلُغُهُ . وَالْمَرْحَةُ : الْمُدَاعَاةُ وَالْمُبَاسِطَةُ .

(٧) فِي م : : هَيْبَتُهُمْ لَهُ .

(٨) فِي م : : لَا تَرْفَعُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ .

(٩) إِنْسَانَهَا : نَاطِرُهَا .. وَالْقَطَا : الْهَيْبَةُ ، وَاحِدَتُهُ قَطَاةٌ .

(١٠) قَالَ : عَنْ ط .

(١١) فِي م : : قِيَمَتُهُمَا ، فِي الْمَوْضِعَيْنِ .. تَحْرِيفٌ .

(١٢) فِي م : : أَلْفَى ، لَا تَصَحُّ .

(١٣) إِنَّ : عَنْ ط .

(١٤) فِي م : : تُجَنِّسُ ، تَحْرِيفٌ .

(١٥) فِي م : : أَنْ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ ، وَسَأْتِي .

يَصِفُ مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ :
فَقَدْ ^(١) أُمِرْتُ لَهُمَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعْجَلَةٍ لَهُمَا ، وَاجْعَلِ الْعِدَّةَ مَادَّةً ^(٢) بَيْنِي
وَبَيْنَهُمَا عَلَى الْعَوْدِ ، فَلَوْلَا حُقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهُمَا مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ
الْحَاصَةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقَّانِهِ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : كَانَ عِنْدِي رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ يُحَدِّثُنِي عَنْ أُخْتِ
لِلْمَلِكِ ^(٣) يُقَالُ لَهَا : خَاثُونُ ، قَالَ : أَصَابَتْنا سَنَةٌ ^(٤) اخْتَدَمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بِحَرَارَةِ
الْمَصَابِ ^(٥) وَصَنُوفِ الْآفَاتِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَذَرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَاثُونُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الْحَزَمَ عَلَّقَى ^(٦) لَا يَخْلُقُ جَدِيدَهُ ، وَلَا يُمْتَنُّهُنَّ
غَرْبُهُ ^(٧) ، وَهُوَ دَلِيلُ الْمَلِكِ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ ، وَزَاجِرٌ ^(٨) لَهُ عَنِ اسْتِفْسَادِهَا ،
وَقَدْ فَرَعَتْ رَعِيَّتَكَ إِلَيْكَ لِفَضْلِ الْعَجْرِ عَنِ الْإِتِجَاءِ إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ
عِزًّا ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْعَوْدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا ، وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنْ
الْمَوْصِي ^(٩) ، وَلَا بِرُكُوبِ الدَّلَالَةِ ^(١٠) مِنَ الدَّلَالِ ، وَلَا بِحُسْنِ الرِّعَايَةِ مِنَ
الرَّاعِي ^(١١) ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ لَمْ تُغَيِّرْهَا نِقْمَةٌ ، وَفِي رِضَا لَمْ يُكْذِرْهُ سَخَطٌ ، إِلَى
أَنْ جَرَى الْقَدَرُ بِمَا عَمِيَ مِنْهُ الْبَصَرُ ، وَذَهَلَ عَنْهُ الْحَذَرُ ، فَسَلِبَ الْمَوْهُوبُ ، وَالسَّالِبُ
هُوَ الْوَاهِبُ ، فَعُدَّ ^(١٢) إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَعُدَّ بِهِ ^(١٣) مِنْ قَطِيعِ النِّقَمِ ، فَمَتَى تَنْسُهُ

(١) فِي م : : : : : قَدْ .

(٢) مَادَّةٌ : مَلَقًا .. وَهِيَ عَنْ ط : : : وَلَمْ تَرُدْ فِي م .

(٣) فِي م : : : : : أُخْتِ الْمَلِكِ .

(٤) السَّنَةُ : الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ .

(٥) فِي م : : : : : الْمَصَابِ .

(٦) التَّلَقَّى ، بِمَقْتَضِي : الْحَبْلِ وَالسَّيْرِ الَّذِي تُتَلَقَّى بِهِ الْقَرْيَةُ وَغَيْرُهَا .. وَبِكَسْرِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ اللَّامِ : الثَّوْبُ
الْجَدِيدُ ، وَالنَّفْسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .. وَلَا يَخْلُقُ : لَا يَبْلَى .

(٧) الْقَرْبُ : الدَّلُو الْعَظِيمَةُ .. وَفِي ط : : : : : وَلَا يُمْتَنُّ عَزِيْزُهُ .

(٨) فِي م : : : : : وَزَاجِرًا .. لَا تَصَحُّ .

(٩) فِي م : : : : : بِحِفْظِ الرِّضَا مِنَ الْمَرْصُوعِ .

(١٠) الدَّلَالَةُ : الْإِرْشَادُ .. وَفِي م : : : : : الدَّلَالَةُ : أَيْ : الْجُرْأَةُ .

(١١) فِي م : : : : : الْمَرْعَى . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْمَقَامِ .

(١٢) فِي م : : : : : فَيَعُدُّ .. لَا تَصَحُّ .

(١٣) فِي ط : : : : : وَعَدْبُهُ : مَكَانٌ وَعَدَّ بِهِ .

يَنسَكَ ^(١) ، وَلَا تَجْعَلَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ التَّذَلُّلِ لِلْمَعْرِ الْمَذِلَّ شِرْكًا يَتَنَكَّرَ رَعِيَّتِكَ فَتَسْتَحِقَّ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ ، وَلَكِنْ مَرْمَمٌ وَتَمْسَكَ بِصَرْفِ الْقُلُوبِ إِلَى الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِكُنْهِ الْقُدْرَةِ ، وَتَذَلُّلِ الْأَلْسَنِ فِي الدُّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ ^(٢) ، فَإِنَّ الْمَلِكَ رُبَّمَا عَاقَبَ عَبْدَهُ لِيَرْجِعَهُ عَنْ شَيْءٍ فَعِلَ ، إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيَنْعِثَهُ عَلَى ذَرْبِ شُكْرِ ^(٣) يَحُوزُ بِهِ فَضْلَ أَجْرٍ .

فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقُومَ فِيهِمْ فَتَنْبِرَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، فَفَعَلَتْ ، فَرَجَعَ الْقَوْمُ عَنْ بَابِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ قَبُولَ ^(٤) الْوَعْدِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَحَالَ عَلَيْهِمَا الْحَوْلُ وَمَا يَتَّبِعُهُ ^(٥) مُتَتَّبِعُ نِعْمَةٍ كَانَ سُبُلَهَا ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِمُ الزَّيَادَاتُ بِجَمِيلِ الصُّنْعِ ، فَأَعْتَرَفَ الْمَلِكُ لَهَا بِالْفَضْلِ ، فَقَلَّدَهَا الْمُلْكَ بَعْدَهُ ، وَجَمَعَ الرُّعْيَةَ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا فِي الْمَحْذُوبِ وَالْمَكْرُوهِ . فَهَذَا فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى ^(٦) بِأَعْدَائِهِ ، وَضَرَائِرِ نِعَمَتِهِ ^(٧) لِمَا شَكَّرُوهُ أَغَادَ لَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَرْجَعَ ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا تَمَنَّوْهُ ، فَكَفَيْفَ بِمَنْ يُؤَحِّدُونَهُ وَيُؤْمِنُونَ ^(٨) بِهِ ، لَوْ صَدَقَتْ نِيَاتُنَا وَصَحَّتْ ضَمَائِرُنَا ؟

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ ^(٩) : ثَوَّفَى رَسُولُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بِدِمَشْقَ فِي خِلَافَةٍ

(١) في م : ينسك .. لا تصح .

(٢) محض الشكر : خالص التناء .

(٣) في ط : وليعنه على ذوب شكر ، وكلمة « ذوب » هنا خطأ مطبعي .

(٤) قبول : عن م .

(٥) في م : فعلال الحَوْلُ عليهم وما فهم .

(٦) تعالى : عن م .

(٧) في م : « نعيمه » .. والضرائر : جمع ضرورة ، وهي : الحاجة .

(٨) في م : « ديمن يؤحدونه ويؤمنوا به » ولا وجه هنا لحذف النون من الفعلين .

(٩) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمي ، الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبيد الله الواقدي ، من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وكان خطاطاً (تاجر حنطة) بها ، وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد ، واتصل يحيى بن خالد البرمكي ، فقربه من الخليفة ، وأفاض عليه من عطاياه .. وولي القضاء ببغداد ، واستمر إلى أن تولى بها سنة ٢٠٧ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٥١٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢ - ٢١ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٢٥ - ٤٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٤٨ ، ومعجم الأديباء ج ١٨ ص ٢٧٧ - ٢٨٢ ، وشفوات الذهب ج ٢ ص ١٨] .

هشام^(١) ، فَوَجِدَ فِي جَنِيهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : إِذَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ^(٢) نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا مَاتَ الْاِعْتِصَامُ عَاشَ الْاِلْتِقَامُ ، وَإِذَا ظَهَرَتِ الْخِيَانَاتُ امْتَحَنَتِ الْبِرَكَاتُ^(٣) .

وَقَالَ الرَّضَائِيُّ^(٤) : وَجَّهَ أَبُو شِرْوَانَ رَسُولًا لَهُ إِلَى مَلِكٍ^(٥) قَدْ أَجْمَعَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَأَمَرَهُ^(٦) أَنْ يَتَعَرَّفَ سِيرَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَجَدْتُ عِنْدَهُ الْهَزْلَ أَقْوَى مِنَ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبَ^(٧) أَكْثَرَ مِنَ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرَ أَرْفَعَ مِنَ الْعَدْلِ . فَقَالَ أَبُو شِرْوَانَ : رُزِقْتَ الظُّفْرَ بِهِ ، سِرَ إِلَيْهِ ، وَلَيْكُنْ عَمَلُكَ فِي مُحَارَبَتِهِ بِمَا هُوَ عِنْدَهُ أَضْعَفُ وَأَقْلُّ وَأَوْضَعُ ، فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ وَهُوَ مَخْذُولٌ . فَسَارَ إِلَيْهِ وَعَمِلَ بِمَا أَوْصَاهُ^(٨) ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ .

وَقَالَ بَزْرَجِيهْرُ : الْمَرْحُ أَفَّةُ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْمَلِكُ الْهَزْلَ ذَهَبَتْ هَيْبَتُهُ ، وَإِذَا اسْتَصْحَبَ الْكَذِبَ اسْتَحْفُفَ بِهِ ، وَإِذَا بَسَطَ الْجَوْرَ فَسَدَ سُلْطَانُهُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتَمَ ، وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ : الْهَزْلُ مَبْعُضَةٌ ، وَالْكَذِبُ مَنْقُصَةٌ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةٌ . وَقِيلَ^(٩) لِبَعْضِ أَصْحَابِ اسْتَفْنِدْيَارَ رَجُلٍ مِنَ التُّرْكِ ، فَأُصِيبَ^(١٠) فِي عُنُقِهِ لَوْحٌ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : أَفَّةُ الشَّدَةِ التَّهْيُبُ ، وَأَفَّةُ الْمَنْطِقِ الْحَيَاءُ ، وَأَفَّةُ كُلِّ شَيْءٍ الْكَذِبُ .

(١) قوله : « في خلافة هشام » عن « ط » .

(٢) في « م » : « فيه مكتوب » : إذا نزل الوفاء .. » .

(٣) امتحنت البركات : ملكت وبادت .

(٤) هو : محمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن حسان ، أبو عبد الله الأنباري ، ويُعرف بالوضاحي ، أصله من الأنبار ، وانتقل إلى خراسان ، وسكن نيسابور .. سمع الحديث من القاضي أبي عبد الله المحملي وغيره ، وهو شاعر أيضا ، أورد له الخطيب البغدادي لبياناً من قصيدة يعارض بها ملحقة امرئ القيس .. وتولى بنيسابور سنة ٣٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢] .

(٥) في « م » : « رسولاً إلى ملك » .

(٦) في « م » : « وأمر » .

(٧) في « م » : « والكفر » تحريف .

(٨) قوله : « وعمل بما أوصاه » عن « م » .

(٩) في « م » : « وقيل » تحريف .

(١٠) فأصيب : فوجد .

وَقِيلَ لِيَنْفِضِ الْحُكَمَاءُ : مَا قِيَمَةُ الصَّدَقِ ؟ قَالَ : الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْكَذِبِ ؟ قَالَ : مَوْتُ عَاجِلٌ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْعَدْلِ ؟ قَالَ : مُلْكُ الْأَبِيدِ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْجَوْرِ ؟ قَالَ : ذُلُّ الْحَيَاةِ .

قَالَ : وَسَأَلْ مَلِكُ الْهِنْدِ الْإِسْكَنْدَرَ ، وَقَدْ دَخَلَ بِلَادَهُ : مَا عَلَامَةُ الْمُلْكِ وَذَوَلَّتُهُ ؟ قَالَ لَهُ : الْجِدُّ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلَامَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزَلُ فِيهِ . قَالَ : فَمَا سُرُورُ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا رُزِقْتَ . قَالَ فَمَا غَمُّهَا ؟ قَالَ : الْجِرْصُ عَلَى مَا لَعَلَّكَ لَا تَقْنَأُهُ .

وَقَالَ بُزْجَمِيهْرُ : ثَلَاثَ هُنَّ سُرُورُ الدُّنْيَا ، وَثَلَاثَ هُنَّ غَمُّهَا ، فَأَمَّا السُّرُورُ فَالرِّضَا بِالْقَسَمِ ، وَالْعَمَلُ ^(١) بِالطَّاعَةِ فِي التَّعَمُّرِ ، وَتَمْنَى الْإِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ لِغَدٍ . وَأَمَّا الْغَمُّ فَجِرْصٌ مُسْرِفٌ ، وَسُؤَالٌ مُجَحِّفٌ ، وَتَمْنَى مَا يَهْلِفُ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ جِمَارًا غَيْرَ مُتَبَيِّعٍ ^(٢) وَقَدْ عَنَّفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ أَرْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فِي الرَّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ ؟ قَالَ : تَطْلُوعُ طَرِيقِهِ ، وَتَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفِي الْعَنَفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : يَخْفُفُ حِمْلُهُ ^(٣) ، وَتَطْلُوعُ أَكْلِهِ . فَأَعْجَبَ ^(٤) الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ : رِزْقِي مَقْدُورٌ ، وَوَاهِبٌ مَا جُورٌ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِنْبَاتِ اسْمِكَ فِي حَشِيٍّ . قَالَ : كَيْفِيَّتُ مَعُونَةٌ ، وَرِزْقَتُ بِهَا مَعُونَةٌ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ ^(٥) . قَالَ : لَنْ يَتَقَدَّمَ الْفَضْلُ مَنْ رِزْقِي الْعَقْلُ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِدَلِّكَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْحَمْدُ

(١) في د ط : د والرضا .

(٢) غير متبيع ، أى مقيد يقال ونحوه .

(٣) الجمل ، بكسر الحاء : ما يحمّل على الظهر ونحوه .. وفتحتها : مكان في بطن أو على شجر .. والأول هو المراد هنا .

(٤) في د م : د قال : فأعجب .

(٥) أى : لجملك وزيراً .

وَالذُّمُّ بَعْدَ التَّجْرِیَةِ ، وَلَا یَعْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى یُتْلُوَهَا ^(١) . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأٰی صَلِیْبٍ ، وَفَهْمٍ رَحِیْبٍ ^(٢) ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِیْقِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكَنْدَرُ إِلَى أَرِسْطَاطَالِیسَ ، وَقَدْ نَفَذَ ^(٣) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَبَلَغَ مِنْهُمَا مَا لَمْ یَتْلُغُهُ أَحَدٌ ^(٤) : كَتَبَ إِلَیْ لَفْظًا مُوجَزًا یَنْفَعُ وَیُرَدِّعُ ^(٥) . فَكَتَبَ إِلَیْهِ : إِذَا اسْتَوَلَتْ بِكَ السَّلَامَةُ فَجَدِّدْ ذِكْرَ الْعَطَبِ ، وَإِذَا هَتَكَ الْعَاقِبَةُ ^(٦) فَحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْبَلَاءِ ، وَإِذَا اطمَأَنَّ بِكَ الْأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الْخَوْفَ ، وَإِذَا بَلَغْتَ نِهَایَةَ الْأَمَلِ فَادْكُرِ الْمَوْتَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فَلَا تُجَمِّلَنَّ لَهَا فِي الْإِسَاءَةِ إِلَیْهَا نَصِیْبًا .

قَالَ : وَوَعِظَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَلِكًا فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ ثَوَابٍ ، وَمَنْ لَا یُقَدِّمُ لَا یَجِدُ ، فَهَنْ نَفْسِكَ حَلَاوَةً عَیْشِهَا بِتَرْكِ الْإِسَاءَةِ إِلَیْهَا ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ زَمَانَ الْعَاقِبَةِ بَیْدُ الْبَلَاءِ ، وَأَمِنْ السَّلَامَةِ تَحْتَ جَنَاحِ الْعَطَبِ ، وَبَابُ الْأَمْنِ مَسْتَوْرٌ بِالْخَوْفِ ، فَلَا تُكُونَنَّ فِي حَالٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ^(٨) غَیْرَ مُتَوَقِّعٍ لِأَضْدَادِهَا ^(٩) ، وَلَا تُجْعَلْ نَفْسُكَ غَرَضًا ^(١٠) لِسِیْهَامِ الْهَلَكَةِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ عَدُوٌّ لِبَنِي آدَمَ ، فَاحْتَرِزْ مِنْ عَدُوِّكَ بِقَايَةِ الْاسْتِعْدَادِ ، وَإِذَا فَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ وَعَدُوِّهَا ^(١١) اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْوَعِظِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكَنْدَرُ عَلَى بَابِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ : أَجَلٌ قَرِيبٌ فِي يَدِ غَیْرِكَ ، وَسَوْفَى

(١) أى : یخبرها .

(٢) صلیب : شلیط قوی .. وفهم رحیب : متسع الفهم والعقل .

(٣) فی د م : : نفذ یده .

(٤) فی د م : : ما لم یبلغ أحد طامع .

(٥) یردع : عن ط .

(٦) هتک العاقبة : لذت وطلائت لك .

(٧) من قوله : : قال : ووعظ بعض الحكماء : إلى هنا عن ط .

(٨) فی د م : : الثلاث . وكلاهما صواب .

(٩) فی د م : : خیر موقع لأضداده .

(١٠) غرضاً : هدفاً ظاهراً .

(١١) فی د م : : وعلمها .

حَيْثُ ^(١) مِنْ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ ، وَإِذَا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ حِمَلَ يَتَكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاخْتَلَّ قَبْلَ الْمَنَعِ ، وَأَكْرَمَ أَجْلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ السَّائِقِينَ ^(٢) ، وَإِذَا آتَتْكَ السَّلَامَةُ فَاسْتَوْجِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّهُ الْعَاقِبَةُ ، وَإِذَا فَرِحْتَ لِلْعَاقِبَةِ فَاحْزَنْ لِلْبَلَاءِ ، فَإِلَيْهِ تَكُونُ الرَّجْعَةُ ، وَإِذَا بَسَطْتَ الْأَمَلَ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الْأَجَلِ ، فَهُوَ الْمُوعِدُ ، وَإِلَيْهِ الْمَوْرِدُ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَفَارِسَ حَجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : الْعَاقِبَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَلَاءِ ، وَالسَّلَامَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْعَطَبِ ، وَالْأَمْنُ مَقْرُونٌ بِالْخَوْفِ .

وَلَمَّا ضَرَبَ أَبُو شُرَؤَانَ عُنُقَ بُزْجِهْمَرَ لَمَّا رَغِبَ عَنْ ^(٣) دِينِ الْمَجُوسِيَّةِ وَانْقَلَعَ ^(٤) إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَدَ فِي مِثْقَلِهِ ^(٥) كِتَابًا فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْجَرْمُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجَزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَازِلًا ^(٦) ، فَالْعُمَايِنَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمُقٌ .

وَلَمَّا تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، كَتَبَ ^(٧) عَلَى كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَبْتَ الْعَاقِبَةَ نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ السَّلَامَةُ نَجِمَ الْعَطَبُ ، وَإِذَا تَمَّ الْأَمْنُ عَلَنَ الْخَوْفُ ^(٨) .

وَحِفْرَ حِفِيرٍ ^(٩) بِفَارِسَ فَوُجِدَ فِيهِ لَوْحٌ رُحَامٌ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ مَخْفُورَةٍ ، أُولَاهَا : أَيُّهَا الْمُعَافَى أَبَشِرْ بِالْبَلَاءِ . وَالثَّانِي : أَيُّهَا السَّالِمُ تَوَقَّعِ الْعَطَبَ . وَالثَّالِثُ : أَيُّهَا الْآمِنُ اخْذُ أَهْبَةَ الْخَوْفِ . وَالرَّابِعُ : أَيُّهَا الْمُؤْمِرُ لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الْعُسْرُ .

(١) السَّوْقُ : الْحَثُّ : وَالْحَثُّ : السَّرِيعُ الْجَادُ فِي أَمْرِهِ .. والمراد : أنه يجرور الأهم والليل يصل الإنسان إلى نهاية أجله .. وفي م : « شوق » بالشين ، والأول أوجه .

(٢) السَّائِقِينَ : اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ مِسْوَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَى نَهَائِهِ الْمَحْضَةِ .. وفي م : « السابقين » .

(٣) رَغِبَ عَنْ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ مُتَعَمِّدًا وَزَهَدَ فِيهِ .. وفي م : « غرب » .

(٤) فِي م : « فانتقل » .

(٥) فِي م : « وجد فيه مِثْقَلُهُ » .. « فيه » غرِيف .. وَمِثْقَلُهُ وَمِنْطَقُهُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ : الْحِزَامُ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ وَسْطَهُ .. وقد مر .

(٦) فِي م : « نازل » لا تصح .

(٧) فِي م : « وكتب » .. الواو زيادة من الناسخ .

(٨) عَلَنَ الْخَوْفُ : شَاعَ وَظَهَرَ .

(٩) الْحَفِيرُ : الْبُيْرُ أَوْ الْغَيْرُ ، أَوْ مَا يُخْفَرُ لِلْكَشْفِ عَنِ الْآثَارِ .

وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو مُسْلِمٍ مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدَ أَتَاهُ اسْبَهَنْدَهَا ^(١) فَقَالَ : أَيُّهَا السِّلْكُ ، إِنَّ
بِالْقَنْدَهَارِ ^(٢) حَجَرًا مَذْفُونًا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ، وَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنِ
دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بَعَثَ بِهِ وَدُفِنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَوُجِدَ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي
تُسْتَخْرِجُهُ ، وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ . فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَإِذَا أَوَّلُ سَطْرِ مِنْهُ : الْحَزْمُ الْبَهَارُ
الْقَرْصَةُ وَتَرَكُ الْوَيْ ^(٣) فِيمَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْقَوْتُ . وَالسَّطْرُ الثَّانِي : الرِّيَاسَةُ لَا تَيْمُ
إِلَّا بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ . وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ : لَمْ يُقْتَلِ الْآبَاءُ مِنْ تَرْكِ الْإِبْنَاءِ ، وَلَمْ يُصَبَّ
مَنْ لَمْ يَحُبَّ ^(٤) . فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَقُولُ : عَلِمَ جَلِيلٌ بِهِ تَيْمُ هَذِهِ الدُّوَلَةُ ^(٥) ، إِنَّ
لَمْ يَنْزِلِ الْقَدَرُ بِمَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَذَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى أَنْ
قَدِمَ الْعِرَاقَ ، فَأَعَمَّاهُ الْقَلَرُ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِالْحَذَرِ ، فَهَتَّلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ .

وَلَمَّا حَجَّ أَبُو مُسْلِمٍ قِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْحَجِيرَةِ نَصْرَانِيًّا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مَائَتَا سَنَةٍ ^(٦) ،
وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ
قَالَ : قَدِمْتَ بِالْكِفَايَةِ وَلَمْ تَأَلَّ ^(٧) فِي الْعِنَايَةِ ، وَقَدْ بَلَغْتَ النُّهَايَةَ ، أَخْرَفْتَ نَفْسَكَ
لِمَنْ سَيَسْكُتُ حِسْكَ ، وَكَانَ قَدْ عَايَنْتَ وَمَسَكَ ^(٨) . فَبَكَى أَبُو مُسْلِمٍ ، فَقَالَ :

(١) هكذا في « م » و « ط » .. ولعله يريد « اسبهندها » أى : كبير قواعدها .. والكلمة فارسية .

[انظر قاموس القارسية ص ٦٨ مادة « اسبيد »]

(٢) القَنْدَهَار ، بضم القاف وسكون التو وضم الدال : من بلاد السند أو الهند ، وهى مشهورة فى الفتوح
وقد مرت .

[انظر معجم البلدان ج ٤ مادة « قندهار »] .

(٣) الوَيْ : الفتور والضعف .. وفى « م » و « ط » : « الونا » بالألف .. والصواب ما أثبتناه .

(٤) لَمْ يُصَبَّ : سلم من الوقوع فى المصائب .. ومن لم يَحُبَّ ، أى : مَنْ يَتَأَنَّى فى أمره ، ففى التأنى السلامة ،
وفى المجلة التلذذة .

(٥) فى « م » : « تم الدولة » .

(٦) فى « م » : « أنت له مائة سنة » .

(٧) لَمْ تَأَلَّ : لَمْ تُقْصِرْ .

(٨) الرَّمْسُ : القبر مستويا مع وجه الأرض .

لَا تَبْلُكَ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَوْتَ ^(١) مِنْ حَزْمٍ وَثِيقٍ ، وَلَا مِنْ رَأْيٍ رَثِيقٍ ^(٢) ، وَلَا تَلْدِيرٍ
 نَافِعٍ ^(٣) ، وَلَا مِنْ سَيْفٍ قَاطِعٍ ، وَلَكِنْ مَا اسْتَجْمَعَ أَحَدٌ لِأَمْلِهِ ^(٤) إِلَّا أَسْرَعَ فِي
 تَقَرُّبِ أَجَلِهِ . قَالَ : فَمَتَى تَرَاهُ يَكُونُ ؟ قَالَ : إِذَا تَوَاطَا الْخَلِيفَتَانِ عَلَى أَمْرِ كَانَ ،
 وَالتَّقْدِيرُ فِي يَدَي مَنْ يَطْلُ مَعَهُ التَّقْدِيرُ ، وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى خُرَاسَانَ سَلِمْتَ ،
 وَهَيْهَاتَ ^(٥) . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِالْمُضِيِّ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يَحْتُمُهُ ،
 فَلَوْلَا أَنْ الْبَصَرَ يَعْنِي إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ ، لَكَانَتْ هَذِهِ دَلَالَةً ^(٦) تَقَعُ مَوْقِعَ الْعَيَانِ ، وَتُبْعُ
 عَلَى التَّيَقُّظِ فِي الْحَذَرِ وَالْإِحْيَالِ فِي الْهَرَبِ ^(٧) ، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ غَايَةً ، وَلِكُلِّ
 أَمْرٍ نِهَآيَةً .

وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ ، وَهُوَ حَكِيمُ الطَّبِّ وَقَيْلُسُوفُهُ ، وَقَدْ نَهَكَهُ الْعِلَّةُ ^(٨) :
 أَلَا تَتَعَالَجُ ؟ فَقَالَ : إِذَا كَانَ الدَّاءُ مِنَ السَّمَاءِ بَطَلَ الدَّوَاءُ ، وَإِذَا قَدَّرَ الرَّبُّ بَطَلَ حَذَرُ
 الْمُرُوبِ ^(٩) ، وَنِعْمَ الدَّوَاءُ الْأَجَلُ ، وَبِئْسَ الدَّاءُ الْأَمَلُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْفَرَاةِ : فَتَحْنَا حِصْنًا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ قَرَأْنَا فِيهِ صُورَةَ أَسَدٍ ^(١٠) مِنْ
 حَجَرٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : الْحِمْلَةُ خَيْرٌ مِنَ الشُّدَّةِ ، وَالتَّائِي أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَالْجَهْلُ
 فِي الْحَرْبِ أَحْزَمُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْعَاقِبَةِ مَادَّةُ الْجَزَعِ .

(١) في د م : : لم تَوْتَ عليك .

(٢) رثيق : شديد .

(٣) في د م : : ولا من تدبير نافع .

(٤) في د م : : ما استجمعت لأحد أملة .

(٥) وهيات ، أي : وبعيد أن تسلم .

(٦) في د م : : دلالة كافية .

(٧) قوله : وتبع على التيقظ في الحذر ، والاحتيال في الهرب : عن د ط .

(٨) نهكه العلة : أجهده وغلته .

(٩) المروب : المخلوق .

(١٠) في د ط : : الأسد .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ^(١) : وَجَّهَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ بِثَلَاثَةِ أَسْيَافٍ مَعَ هَذَانِهَا كَثِيرَةٍ ، وَعَلَى سَيْفٍ مِنْهَا مَكْتُوبٌ : أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ اخِمْ لِنَعْنَمَ ، وَلَا تُفَكِّرْ فِي الْعَاقِبَةِ فَتَهْزَمَ . وَعَلَى الثَّانِي مِنْهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا لَمْ تَصِلْ ضَرْبَةَ سَيْفِكَ فَصِلْهَا بِإِلْقَاءِ خَوْفِكَ . وَعَلَى الثَّلَاثِ مَكْتُوبٌ : الثَّانِي فِيمَا لَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْفَوَاتُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِفْرَاكِ الْأَمْلِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ^(٢) : قَرَأْتُ فِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ خُرَدٍ » : ثَلَاثُ ثُبُلٍ مَعَ ثَلَاثِ : الشَّدَّةُ مَعَ الْحِجْلَةِ ، وَالْعَجَلَةُ مَعَ الثَّانِي ، وَالْإِسْرَافُ مَعَ الْقَصْدِ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : رَأَيْتُ بَعْدَنَ حَجَرًا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِالْحَمِيرِيَّةِ : أَيُّهَا الشَّدِيدُ ^(٣) اخْذِرِ الْحِجْلَةَ ، أَيُّهَا الْعَجُولُ اخْذِرِ الثَّانِي ، أَيُّهَا الْمُحَارِبُ تَأَيَّسْ مِنَ الْفِكْرِ ^(٤) فِي الْعَاقِبَةِ ، أَيُّهَا الطَّالِبُ مَوْجُودًا لَا تَقْطَعْ أَمْلَكَ دُونَ بُلُوغِهِ ^(٥) .

وَكُتِبَ قِصْرٌ إِلَى كِسْرَى : أَخْبِرْنِي بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَإِخَالُهَا ^(٦) عِنْدَكَ : أَخْبِرْنِي مَا عَلَوُ الشَّدَّةِ ، وَصَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَمُذْرِكُ الْأَمْلِ ، وَمِفْتَاحُ الْفَقْرِ ؟ فَكُتِبَ إِلَيْهِ : الْحِجْلَةُ عَلَوُ الشَّدَّةِ ، وَالصَّبْرُ صَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَالثَّانِي مُذْرِكُ الْأَمْلِ ، وَالْجَوْرُ ^(٧) مِفْتَاحُ الْفَقْرِ .

(١) هو : أحمد بن سهل ، أبو زيد البلخي ، من علماء الإسلام الأفلاذ ، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ، وُلِدَ فِي إِحْدَى قُرَى « بَلَخ » سَنَةَ ٢٣٥ هـ ، وَسَاحَ سِيَاحَةً طَوِيلَةً .. وَتَوُفِيَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٣٤] .

(٢) هو : الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، وزير المأمون العباسي .. وقد مرت ترجمته .

(٣) فِي « م » : « أَيُّهَا الطَّالِبُ » .

(٤) فِي « م » : « مِنْ الْفِكْرِ » ... وَتَأَيَّسَ : انْقَطَعَ الرَّجَاءُ .

(٥) فِي « ط » : « مِنْ بُلُوغِهِ » .

(٦) إِخَالُهَا : مِنَ الْفِعْلِ خَالَ يُخَالُ .. وَبِكْسَرِ الْحَمْزَةِ فِي الْمَضَارِعِ لِلْمُتَكَلِّمِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَبَنُو أَسَدٍ يَفْتَحُونَهَا عَلَى الْقِيَاسِ ، وَهُوَ بِمَعْنَى : ظَنَ .

(٧) الْجَوْرُ : الظُّلْمُ .. وَفِي « م » وَ « ط » : « الْجَوْدُ » بِالْدَالِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِحَكِيمٍ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أَوْقِنِي ^(١) عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ
أُغْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ لَهُ ^(٢) : اجْعَلْ تَأْتِيكَ زَمَانٌ عَجَلَتِكَ ، وَحِيلَتِكَ رَسُولٌ
شِدَّتِكَ ، وَغَمُوكَ مِلْكُ قُدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ إِنْ لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَّةِ
عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَوْ تَبْطِرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ : « جَاوِدَانِ خُرْدٌ » وَهُوَ أَجَلُ كِتَابٍ
لِلْفَرَسِ : الْحِمْلَةُ أُلْفَعُ مِنْ أَقْوَى الشَّدَّةِ ، وَأَقْلُ الثَّانِي أَجَلُ ^(٤) مِنْ أَكْثَرِ الْعَجَلَةِ ،
وَالدَّلْوَةُ رَسُولُ الْقَضَاءِ الْمُبْتَرَمِ ، وَإِذَا اسْتَبَدَّ الْإِنْسَانُ بِرَأْيِهِ عَمِيَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاشِدُ .

وَكَانَ الْبُخْتِكَانُ ^(٥) أَبُو بُزْجَمَهْرَ حَامِلَ الْقَدْرِ ، وَضَبَعَ الْحَالِ ، مُفَهِّمُهُ
الْمَنْطِقِي ^(٦) ، فَلَمَّا أَتَتْ لِبُزْجَمَهْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ ^(٧) سَنَةً حَضَرَ ^(٨) مَجْلِسَ الْمَلِكِ ،
وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيِّهَا ، وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا ، وَقَفَ فَحَيَّا ^(٩) الْمَلِكَ ،
ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُولِ نِعْمُهُ ، الْمَرْهُوبِ نِعْمُهُ ، الدَّالُّ عَلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ
الْمَلِكِ بِسُوءِهِ ^(١٠) فِي الْفَلَكِ ، حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَأَثَارَ بِهِ الْبِلَادُ ،
وَأَعَاشَ بِهِ الْعِبَادُ ، وَقَسَمَ لَهُ فِي التَّقْدِيرِ وَجُوهَ التَّقْدِيرِ ، فَرَعَى رَعِيَّتَهُ ^(١١) بِفَضْلِ

(١) أَوْقِنِي : أَطْلِقْنِي .

(٢) « لَهُ » عَنْ « م » .

(٣) « عَلَيْهِمْ » عَنْ « م » .

(٤) « فِي » « م » : « أَجَلُهُ » .

(٥) « فِي » « م » : « : الْبُخْتِكَانُ » .. « وَالتَّصَوُّبُ مِنْ « إِعْجَامِ الْأَعْلَامِ » فِي تَرْجُمَةِ

بُزْجَمَهْرَ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٦) مُفَهِّمُهُ الْمَنْطِقِي ، أَيْ : عَقِي .

(٧) « فِي » « م » : « : خَمْسَةَ عَشَرَ » لَا تَصِحُّ .

(٨) « فِي » « ط » : « : وَحَضَرَ فِي .. » .

(٩) قَوْلُهُ : « : وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا » عَنْ « ط » ، وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .. « فِي » « ط » : « : وَقَفَ بِجِالِ الْمَلِكِ ،

أَيْ : بِأَزَالَتِهِ .

(١٠) « فِي » « م » : « : بِسُوءِهِ » .

(١١) « فِي » « م » : « : بِرَعِيَّتِهِ » .

نِعْمَتِهِ ، وَحَمَاهَا الْوَلَيَاتِ ^(١) ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِيَاتِ ^(٢) وَذَادَهَا عَنِ الْآكِلِينَ ^(٣) ،
وَالْفَهَا بِالرَّفِقِ وَاللِّينِ إِنْعَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَثَبَّتَهَا ^(٤) لِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يُبَارِكَ لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ ^(٥) لَهُ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قُدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ^(٦) ، وَيَنْشُرَ
ذِكْرَهُ تَحْتَ الْمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ يَتْنُهُمَا مُنَاوِيءٌ ^(٧) ، وَلَا يَجِدَ لَهُ فِيهِمَا
مُدَانِي ^(٨) ، وَأَسْتَوْجِبُ ^(٩) لَهُ حَيَاةً لَا تُنْفِصَ فِيهَا ، وَقُدْرَةً لَا شَاذَ عَنْهَا ، وَمُلْكًا لَا
بُؤْسَ فِيهِ ، وَعَاقِبَةً تُدِيمُ لَهُ الْبَقَاءَ وَتُكْثِرُ لَهُ النَّمَاءَ ، وَعِزًّا يُؤَمِّنُهُ مِنَ الْفَلَابِ رَعِيَّةً ،
أَوْ مُجُومٍ يَلِيَّةً ، فَإِنَّهُ مَوْلَى الْخَيْرِ ، وَدَافِعُ الشَّرِّ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ فُحْشِي فَمُهُ بِبَيْعِ الْجَوَاهِرِ
وَرَفِيعِهِ ، وَلَمْ يَدْفَعْ حَدَاثَهُ سِنِّهِ مَعَ بَيْلِ كَلَامِهِ أَنْ اسْتَوَزَّرَهُ ، وَقَلَّدَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ،
فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرَ خَارِجٍ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا اللَّهُ عَلَى الْعَاقِلِ نِعْمَةً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ مُبَايَنَةِ
هَذِهِ السُّقْلَةِ ^(١٠) بِالْفَهْمِ وَالْعَقْلِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَا عُرِفَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِالْجَهْلِ ،
أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ أُولَى النُّهَى وَذَوَى الْأَلْبَابِ وَذَوَى الْبَصَائِرِ ، وَبَجِبَ عَلَى
الْعُلَمَاءِ أَنْ يَحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مُبَايَنَتِهِمْ ^(١١) هَذِهِ السُّقْلَةَ بِالْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، كَمَا
يَحْمَدُونَهُ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ .

-
- (١) أى : منها وطفع عنها الوليات .. وفى « ط » : « الموائد » .
(٢) شبه الرعية بالسائمة .. وأوردها المُعْشِيَات : قادها إلى المراعى الكريمة النبات .
(٣) ذادها عن الآكلين : طردها ودفع عنها الضواري والوحوش المفترسة .
(٤) فى « م » : « وتبىأ » .
(٥) يُخَيِّرُ : ينتقى ويختار .
(٦) فى « م » ، « فى السَّوَاد » أى : بين الناس .
(٧) مُنَاوِيءٌ ، أى : إنسان يهاخره ويهاديه .
(٨) أى : مقارب .. وفى « م » : « مَوَاتَى » .
(٩) أَسْتَوْجِبُ : أسأل الله أن يَهَبَهُ .
(١٠) مُبَايَنَةُ السُّقْلَةِ : مخالفة الفوغاء من الناس .
(١١) فى « م » : « مُبَايَنَتِهَا » .

وَقِيلَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ : مَا الَّذِي أَصَارَكَ إِلَى هَذَا ؟
 قَالَ : الْاسْتِغْنَاءُ بِرَأْيِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَيَّ كُتُبُ نَصْرِ بَنِي سَيَّارِ أَنْ أُمِدَّهُ بِالْأُمُورِ
 وَالرَّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الْاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْجُنْدِ بِمَا يُظْهِرُ
 لِي مِنْ فَسَادِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُ ، وَهِيَئَاتِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ ^(١) عَلَيَّ خُرَاسَانَ . فَالْتَقَمْتُ ذَوْلَهُ
 مِنْ خُرَاسَانَ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : لَمَّا دُعِيَ لِلْمَأْمُونِ فِي كَوْبَرِ خُرَاسَانَ
 بِالْخِلَافَةِ ، جَاءَتْهُمَا هَذَاهَا الْمُلُوكُ سُرُورًا بِمَكَانِهِ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَوَجْهَ مَلِكِ
 كَابِلِسْتَانَ ، ^(٢) شَيْخًا يُقَالُ لَهُ ذُوبَانُ ، وَكَتَبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ ^(٣) بِهَيْدِيَّةٍ لَيْسَ فِي
 الْأَرْضِ أَسْتَى مِنْهَا ، وَلَا أَرْفَعُ وَلَا أَتْبَلُ وَلَا أَنْخَرُ مِنْهَا ^(٤) فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ :
 سَلِ الشَّيْخَ مَانِعَهُ . فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : مَا مَعِيَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِي . فَقُلْتُ ^(٥) : وَائِي
 شَيْءٌ عِلْمُكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ يَنْفَعُ ، وَتَذِيرٌ يَقْطَعُ ، وَدَلَالَةٌ تُجْمَعُ . قَالَ : فَسَرَّ الْمَأْمُونُ
 بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ ^(٦) بِإِتْوَالِهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَكَيْفَانِ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ
 لِقِتَالِ أُخِيهِ قَالَ لِلذُّوبَانِ : مَا تَرَى فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ وَثِيقًا ، وَخَزْمًا
 مُصِيبًا ، وَمُلْكًا قَرِيبًا ، فَالْسَّيْرُ مَاضٍ ^(٧) ، فَاقْضِ مَا أُلْتِ قَاضِرٌ . قَالَ لَهُ : فَمَنْ
 تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : الْفَتَى الْأَعْوَرُ ، الطَّاهِرُ الْأَطْهَرُ ، يَسِيرُ وَلَا يَغْتَرُ ^(٨) ، قَوِيٌّ مَرْهُوبٌ ،

(١) انقضت القوم على السلطان : خرجوا عليه وعللوا طاعته .

(٢) كابلستان : بين الهند وبنوحي سيجستان .

(٣) في م : : وَتَوَجَّهَ .

(٤) في م : : وَلَا أَتْبَلُ مِنْهَا وَلَا أَنْخَرُ .

(٥) في ط : : وَقُلْتُ .

(٦) في ط : : دَقَامَرٌ .

(٧) في م : : قَاضِرٌ .

(٨) في م : : يَغْتَرُ .

مُفَاتِلٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ . قَالَ : فَكَمْ تُوجِّهُ مَعَهُ ^(١) مِنَ الْجُنْدِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، صَوَارِمُ الْأَسْيَافِ ، لَا يَنْتَقِصُونَ الْعَدَدَ ^(٢) ، وَلَا يَخْتَاجُونَ إِلَى الْمَدَدِ .

فَسَّرَ الْمَأْمُونُ بِذَلِكَ ^(٣) ، وَوَجَّهَ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَخْرُجُ ؟ قَالَ : مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، يَجْمَعُ لَكَ الْأَمْرَ ، وَيَصِيرُ ^(٤) إِلَى النَّصْرِ ، نَصْرٌ سَرِيعٌ ، وَقَتْلٌ ذَرِيعٌ ، وَتَفْرِيقٌ تِلْكَ الْجُمُوعِ ، وَالنَّصْرُ لَهُ لَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَيْكَ ^(٥) . وَلَئِيْهِ . فَظَفَّرَ طَاهِرٌ وَكَانَ لَهُ النَّصْرُ ، وَقَتْلٌ عَلَى بَنِ عِيسَى وَزَيْرِ الْأَمِينِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَحَازَ أَمْوَالَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ لِلذُّبَانِ بِمِائَةِ آلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ مَلَكَ لِي لَمْ يُوجِّهْنِي إِلَيْكَ لِأَتَقْصِكَ مَالَكَ ، فَلَا تَجْعَلَ ^(٦) رَدِّي لِيْنَعْمَتِكَ تَسْخُطًا ^(٧) ، وَسَأَقْبَلُ مَا يَفِي هَذَا ^(٨) الْمَالُ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ . قَالَ الْمَأْمُونُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ كِتَابٌ يُوجَدُ بِالْعِرَاقِ ، فِيهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، وَغُلُومُ الْأَفَاقِ ، مِنْ كُتُبِ عَظِيمِ الْفَرَسِ ، فِيهِ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ صَنُوفِ الْأَذَابِ ، بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ ، عِنْدَ عَاقِلٍ لَيْسِبٍ ، وَلَا فَعِلٍ أَرِيبٍ ، يُوجَدُ تَحْتَ إِيوَانِ كِسْرَى ^(٩) بِالْمَدَائِنِ ، فَيُقَاسُ بِالذُّرْعَانِ ^(١٠) فِي وَسْطِ الْإِيوَانِ ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ ، فَاحْفَظِ الْمَدْرَ ^(١١) ، وَاقْلَعْ

(١) في م : : فمن توجَّه معه ، والأخيرة لم ترد في ط .

(٢) في م : : لا ينتقص ، فغير العدد .

(٣) بذلك من ط .

(٤) في م : : وتصير .

(٥) في م : : عليك .

(٦) في م : : فلا تَجْعَلْ .

(٧) تَسْخُطًا : عدم رضا واستقلالاً .. وفي م : : تَسْخُطًا أي : كراهة .. والأول أوجه .

(٨) في م : : بهذا .. وفي : يولَّى ويسلوى .

(٩) سقطت كسرى من ط .

(١٠) الذُّرْعَان : جمع ذراع ، وهي مقياس مقداره سِتُّ قبضات محدلات ، أو ٦٤ ستمتراً تقريباً .

(١١) الْمَدْر : الطين اللزج المتناسك .

الْحَجَرِ ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى السَّاجَةِ ^(١) فَأَقْلَعَهَا تَجِدِ الْحَاجَةَ ، وَلَا تَلْزَمْ لغيرها ^(٢) فَيَلْزَمُكَ غِبٌ ^(٣) ضَرَّهَا .

فَارْسَلِ الْمَأْمُونُ إِلَى إِيوَانِ كِسْرَى ، فَحَفَرُوا فِي وَسْطِهِ ، فَوَجَدُوا صَنْدُوقًا صَغِيرًا مِنْ رُجَاجٍ ^(٤) عَلَيْهِ قُفْلٌ مِنْهُ ، فَحَمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ لِلدَّوَّانِ : هَذَا بُعِثْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : اخْذْهَا وَالصِّرْفَ . فَتَكَلَّمَ بِلسَانِهِ ، وَنَفَعَ فِي الْقُفْلِ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ خِرْقَةً دِيَّاجٍ فَشَرَّهَا ، فَسَقَطَ مِنْهَا أَوْزَاقٌ ، فَعَلَمَّا مِائَةَ رَقَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّنُوقِ شَيْءٌ غَيْرَهَا ، فَأَعْزَدَ الْأَوْزَاقَ وَالصِّرْفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ^(٥) .

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابٌ « جَاوِيدَانُ خُرْد » تَأَلَّفَ كَيْجُورٌ ^(٦) وَزَيْرٌ مَلِكُ إِيْرَانِ شَهْرٍ ، فَطَلَبْتُ ^(٧) مِنْهُ شَيْئًا ، فَدَفَعَ إِلَيَّ وَرَقَاتٍ مِنْهُ ، وَتَرَجَمَهَا لِي الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أُعْجِبْتُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ : اخْجِلْ إِلَيَّ الْوَرَقَاتِ ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهَا فَقَالَ : هَذَا - وَاللَّهِ - الْكَلَامُ ^(٨) لَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لِي السَّبِيحَتَيْنَا فِي فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا ، وَلَوْلَا أَنَّ الْعَهْدَ حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِينَا لَأَخَذْتُهُ ^(٩) .

(١) السَّاجَةُ : الشجرة العظيمة .

(٢) أى : لا تصمداها لغيرها .. وفى « م » : « لا يلزم » .

(٣) البُيْءُ من كل شئ : حقيقته وآخره .. وفى « م » : « عبه » .

(٤) فى « م » : « صندوقاً من رجاج أسود » .

(٥) فى « م » : « المنزل الذى له » .

(٦) فى « م » : « سيجور » وقد سبق التعليق عليه .

(٧) فى « م » : « طلب » .

(٨) فى « ط » : « والله هذا الكلام » .

(٩) من قوله : « فى فجوات أشدقنا » إلى نهاية الفصل ، من « م » ولم يرد فى « ط » .

فصل

مِنْ نَوَادِرِ بُزْجَمَهَرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ قَالَ ^(١) : نَصَحْنِي النَّصَحَاءُ ، وَوَعَطْنِي
 الْوُعَطَاءُ ^(٢) شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا ، فَلَمْ يَعْطِنِي أَحَدٌ مِثْلُ شَيْئِي ، وَلَا نَصَحْنِي مِثْلُ
 فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضْنَأْتُ بَنُورَ الشَّمْسِ وَضَوْءَ الْقَمَرِ ، فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِشَيْءٍ أَضْوَأَ مِنْ
 نُورِ قَلْبِي . وَكُنْتُ عِنْدَ الْأَخْرَارِ وَالْعَبِيدِ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ ، وَلَا فَهَرْنِي غَيْرُ هَوَايَ ،
 وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ ، فَلَمْ أَرِ أَعْدَى لِي مِنْ نَفْسِي إِذَا جِهَلْتُ . وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي
 مِنَ الْخُلُقِ كُلِّهِمْ ، حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً ، فَوَجَدْتُهَا أَشَرَّ ^(٣) الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا ، وَرَأَيْتُ
 أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَزَحَمْنِي الْمُضَائِقُ فَلَمْ يَزَحْمْنِي مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ .
 وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ ^(٤) وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي .
 وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ ^(٥) ، وَوُطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحَرَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا
 تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَيَنِي الطُّلَابُ فَلَمْ يُدْرِكْنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ أَسَاتِي ^(٦) . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ
 الْقَاتِلُ ، وَمِنْ أَيْنَ نَالَنِي ؟ فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سَبْحَانَهُ . وَالتَّمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي
 فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا ^(٧) مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ ، وَرَأَيْتُ
 الْأَهْوَالَ ، فَلَمْ أَرِ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ ،

(١) قال : عن « م » .

(٢) المشهور في جمع واعظ : وعظاظ ، لكن الوصف الذي على وزن « فاعل » يعطرد جمعه على « فعلاء »
 نحو : عاقل وغللاء : وجاهل وجهلاء ، وصالح وصلحاء .. الخ .
 والعرب اشترطوا أن يكون هذا الوصف دالاً على سجية مدح أو ذم .

(٣) في « م » : « أشد » .

(٤) في « م » : « من البعد » .

(٥) في « م » : « الحجر » .

(٦) أي : إخواني الذين يؤاسونني ويخوونني عند النوازل .. وفي « ط » : « إنساني » .

(٧) في « م » : « ترك » .

فَلَمْ أَرُ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوِّءِ ^(١) . وَعَالَجْتُ السَّبَّاحَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا
وَعَاشَرْتُنِي ، وَعَظَمْتُهَا فَعَلَّيْنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ ، وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ ^(٢) . وَشَرِبْتُ
الْمُسْكِرَ ، وَعَاقَلْتُ الْحَسَانَ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَلَدَّ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ
وَالْجِبَالَ وَالسَّبَّاحَ فَلَمْ أُجَزَّ إِلَّا مِنَ الْإِنْسَانِ السَّوِّءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ ، وَشَرِبْتُ الْمُرَّ ،
فَلَمْ أَرُ شَيْئاً أَمَرُّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَتَغَبَّعَ الْجُيُوشِ ، وَبَاشَرْتُ السَّيُوفَ ،
وَصَارَعْتُ الْأَقْرَانَ ، فَلَمْ أَرُ قَرِئاً ^(٣) أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْءِ السَّوِّءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ ^(٤) ،
وَنَقَلْتُ الصُّخْرَ ، فَلَمْ أَرُ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدُّنْيَى . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُدَلُّ ^(٥) الْعَزِيزُ ،
وَيَكْثُرُ الْقَوَى ، وَيَضَعُ الشَّرِيفُ ^(٦) ، فَلَمْ أَرُ أَذَلَّ مِنْ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنُّشَابِ ^(٧) ، وَرَجَمْتُ بِالْحِجَارَةِ ، فَلَمْ أَرُ أَثْقَدَ ^(٨) مِنَ الْكَلَامِ السَّوِّءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمٍ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَمَّرْتُ السَّجْنَ ، وَشَدِذْتُ فِي الْوَثَاقِ ، وَضَرَبْتُ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ،
فَلَمْ يَهْدِمْنِي مِثْلُ مَا هَدَمْنِي مِنَ الْعَمِّ ^(٩) وَالْحَزَنِ . وَاصْطَلَعْتُ الْإِنْعَوَانَ ، وَانْتَحَبْتُ
الْأَقْوَامَ لِلْعُدُوِّ ^(١٠) وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ ، فَلَمْ أَرُ شَيْئاً أَخْيَرَ ^(١١) مِنَ التَّكْرَمِ عِنْدَهُمْ ^(١٢)

(١) في « ط » : « فَلَمْ أَرُ مِثْلَ الْقَرِينِ السَّوِّءِ » .

(٢) في « م » : « الطَّيِّبُ » .

(٣) قَرِئاً ، أَيْ : كَثُفًا وَنَظَرًا فِي الشَّجَاعَةِ .. وَفِي « م » : « قَرِيباً » .

(٤) عَاجَلْتُ الْحَدِيدَ : زَالَوْتُ الْعَمَلَ فِيهِ وَمَارَسْتَهُ .

(٥) في « م » : « فِيمَا يَمْلِكُ » .

(٦) وَيَضَعُ الشَّرِيفُ : يَجْلِسُهُ وَضِعًا .. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَاسْقَطْنَا مِنْ « م » .

(٧) أَيْ : النَّبْلُ .

(٨) في « م » : « أَثْقَلَ » .

(٩) في « ط » : « مِثْلُ مَا هَدَمْنِي الْعَمُّ » وَوَصَّلَ « مَا » وَفَصَّلَهَا بِمِثْلِ جَائِزٍ .

(١٠) الْعُدَّةُ : مَا يُعَدُّ لِأَمْرِ يَحْدُثُ .

(١١) في « م » : « خَيْرٌ » لَا تَصِحُّ .. وَالصَّرَابُ بِالنَّصَبِ .

(١٢) في « م » : « عَلَيْهِمْ » .

وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَرِ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذُّخَايِرِ ، فَلَمْ أَرِ صَدَقَةً أَتَفَعَّ مِنْ رَدِّ ذِي ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْعُرْبَةَ ^(١) وَالْمَذَلَّةَ ، فَلَمْ أَرِ أَذْلَ مِنْ مُقَاسَاةِ الْجَارِ ^(٢) السَّوِّءِ . وَشِئْتُ الْبَيْتَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأَذْكَرَ ^(٣) ، فَلَمْ أَرِ شَرْقًا أَرْفَعَ مِنْ اصْطِلَاحِ الْمَعْرُوفِ . وَلَبِئْتُ الْكُسَا الْفَاحِشَةَ ، فَلَمْ أَبْسُ شَيْئًا مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَسُرِرْتُ بِعَطَايَا الْمُلُوكِ وَجِبَائِهِمْ ^(٤) ، فَلَمْ أُسِرَّ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْخَلَاصِ مِنْهُمْ .

فصل

وَمِنْ حِكْمِ شَاهِقِ السَّنْدِيِّ ^(٥) مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « مُتَّحِلُ الْجَوَاهِرِ » ، لِلْمَلِكِ ابْنِ قَمَائِصَ ^(٦) الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ^(٧) ، اتَّقِ عَثَرَاتِ الزَّمَانِ ، وَتَحَشَّ ^(٨) تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ ، وَلَوْمْ غَلَبَتْ ^(٩) الدَّهْرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلْأَيَّامِ عَثَرَاتٌ ^(١٠) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ ، وَلِلْأَقْدَارِ مَقَبَلَاتٌ ^(١١) فَاسْتَعِذْ لَهَا ، وَالزَّمَانَ مُنْقَلَبٌ ^(١٢) فَاحْذَرْ دَوْلَتَهُ ، لَيْبِمُ الْكَرَّةِ فَحَفَّ سَطْوَتُهُ ، سَرِيعُ الْغُرَّةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ .

(١) في م : : رأيت العربة والوحدة .

(٢) في م : : جار .

(٣) « وأذكر » من ط .

(٤) جباهيم : إكرامهم وعطاهيم .. وفي م : : وجامهم .

(٥) هكذا في ط .. وفي م : : شاهاق الهندي ملك السند .. وفي كشف الظنون ج ٢ ص ٥٣٥ أنه طبيب وليس ملكاً .

(٦) في المصدر السابق : « متتحل الجواهر » .

(٧) في كشف الظنون : « ابن قمايص » بالتون .

(٨) في م : : « يا أيها الوالي » .

(٩) تحشَّ : تحفَّ وأحشَّ .

(١٠) في ط : : « جليلة الدهر » أي : قهره وغلبيته .

(١١) في ط : : « عثرات » .

(١٢) في ط : : « مغيبات » .

(١٣) في م : : « والزمان منقلب لؤلؤي » .. وفي ط : : « والزمان » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سِقَامِ الْآثَامِ ^(١) فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَادَوَاءِ لَهُ بِهَا ، وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ وَاسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ لِنَفْسِهِ بَانَ ^(٢) فَضْلُهُ ، وَظَهَرَ بُئْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ ، وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلِيلَتِهَا صَعَبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ ، فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعِيَةِ فِي قَوَاصِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ ، فَلْيُبْذِلِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْفَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ يَشْتَرِعْ فِي فَهْرِ حَوَاسِهِ الْخَمْسِ ، لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صَوَابِهَا ^(٣) قَدْ تَأْنَى عَلَى التَّفْسِيرِ الْقَوِيَّةِ ^(٤) الْحَلِيزَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ ^(٥) عَلَى وَاحِدَةٍ ؟

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ شِئْرَةٌ كَيْسَتْ لِلْآخَرَى ، فَمَيَّزَهَا ^(٦) تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا ، وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ فَيَسْكُنُ مِنْ حَرِّهَا ، وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَذْثُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ ، وَالطَّيْلَى عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدْقِ جُزْمِهِ يَنْصَبُ لِلسَّمَاعِ الْمُوَبِقِ الْمُلْهِى ، فَيَمْكُنُ الْفَانِصَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذُبَابُ الْوَرْدِ ^(٧) الْمُتَّبِعِ لِطِيبِ الْأَرَايِجِ يَطْلُبُ مَا يَفْطُرُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ لِطِيبِ رَائِحَتِهِ ، فَإِنَّهُ فِي طِيبِ رَائِحَةِ الْبِيسَلِكِ ، قَبْلِهِ طِيبُ الرَّائِحَةِ ^(٨) عَنِ الْاِخْتِرَاسِ مِنْ تَحْرِيلِكِ الْفِيلِ أَذْنَهُ ، فَيَتَوَلَّجُ فِي أَصْلِ أُذُنِهِ ،

(١) فِي دَم : : : الْأَيَّامِ ، تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي دَم : : : أَبَانَ .

(٣) فِي دَم : : : صَوَابِهَا .

(٤) فِي دَم : : : الْقُوَّةُ ، تَحْرِيفٌ .

(٥) لِي دَم : : : خَمْسَةُ أَنْفُسٍ ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ ، فَالْنَفْسُ مُؤَنَّةٌ إِذَا أُريدَ بِهَا الرُّوحُ .. قَالَ تَعَالَى : ﴿ خَلَقْتُكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وَإِنْ أُريدَ بِهَا الْإِنْسَانُ فَتَذَكَّرْ .. وَتَجَمَّعَ عَلَى أَنْفُسٍ وَنَفُوسٍ .

(٦) فِي دَم : : : فَافْتَرَّهَا ، مَكَانٌ « فَمَيَّزَهَا » وَالشَّرُّ : الْحِدَّةُ .

(٧) فِي دَم : : : الْوَرْدِ الطَّيِّبِ .

(٨) فِي دَم : : : قَبْلِهِ طِيبُهُ .

فَقَعُ (١) عَلَيْهِ ضَرْبَةُ الْأَذْنِ قَتَلْتُهُ ، وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ (٢) أَنْ يَتَلَعَهُ ، فَحَصَلَ الصَّنَارَةُ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَقْفُهُ .

وَذَكَرَ الْحَكِيمُ (٣) : أَنْ حِصَالاً مَعْرُوفَةً قَتَلَتْ بِالْإِفْرَاطِ فِيهَا مُلُوكًا مَعْرُوفِينَ ، فَالْصَبْدُ (٤) مَاتَ فِيهِ « قَيْدُهُ » الْمَلِكُ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْقَهَارِ (٥) مَاتَ مِنْهُ « سَبَبُ » (٦) الْمَلِكِ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي السُّكْرِ مَاتَ فِيهِ « حَازِقُ » الْمَلِكِ ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ مَاتَ مِنْهُ « مُهْرِيقُ » الْمَلِكِ ، وَالْقَضْبُ « أَخْرَسَجِيُّ » الْمَلِكِ (٧) ، وَالطَّمَعُ « وَائِلُ » وَالْفَرَحُ « وَاطَابُ » (٨) ، وَالْأَنَفَةُ « بُولِيسُ » وَالْقَوَانِي « زَمِيرُهُر » (٩) . وَأَخْلَقِي بِخِصَالِ أَهْلَكَتْ مُلُوكًا أَنْ يَجْتَنِبَهَا الْمُلُوكُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرِّعْيَةَ تَسْتَمْطِي (١٠) إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ اسْتِمْتَاءَ أَهْلِ الْجَذْبِ إِلَى الْغَيْثِ ، وَيَتَتَمِشُّونَ بِطَلْعِهِ عَلَيْهِمْ كَأَنْتِاعِشِ الثَّيَابِ بِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْقَطْرِ ، بَلِ الرِّعْيَةُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ أَكْثَمُ نَفْعًا مِنْهَا بِالْغَيْثِ ، لِأَنَّ لِمَنْفَعَةِ الْغَيْثِ وَقْتًا مَعْلُومًا ، وَعَذَلُ الْمَلِكِ عَلَى الدَّوَامِ لَا يَتَعَيَّنُ لَهُ وَقْتُ ، وَيَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ تُشَبَّهَ (١١) تَصَارِيفُ تَذْيِيرِهِ

(١) فِي « م » : « فِي أَصْلِ الْأَذْنِ » .

(٢) فِي « م » : « يَطْلُبُ لَذَّةَ الطَّعْمِ » .

(٣) فِي « م » : « وَذَكَرَ هَذَا الْحَكِيمُ » إِشَارَةً إِلَى الْحَكِيمِ السَّنْدِيِّ « شَاهِقِ » .

(٤) فِي « م » : « بِالصَّبْدِ » تَحْرِيفٌ .. وَسَقَاتُ أَسْمَاءِ مُلُوكِ هِنْدٍ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهَا ، وَهِيَ : قَيْدُهُ ، وَسَبَبُ ، وَحَازِقُ ، وَمُهْرِيقُ ، وَأَخْرَسَجِيُّ ، وَوَائِلُ ، وَوَاطَابُ ، وَبُولِيسُ ، وَزَمِيرُهُر .

(٥) الْقَهَارُ : الْقُجُورُ .. وَفِي « م » : « الْقَضَارُ » تَحْرِيفٌ .

(٦) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ « مُهْرِيقُ » عَنْ « ط » « وَسَاقَطٌ مِنْ « م » » .

(٧) أَيْ : مَاتَ مِنْهُ « أَخْرَسَجِيُّ » وَهَكَذَا إِلَى نَهَايَةِ الْفَقْرَةِ .

(٨) فِي « ط » : « وَوَاطَابَاتِ » .

(٩) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « مُهْرِيقُ » وَلَعَلَّهُ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٠) تَسْتَمْطِي : تَمُدُّ يَدَيْهَا .

(١١) فِي « م » : « يُشَبَّهَ » .

بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ ^(١) : الْغَيْثُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرَّيْحُ ، وَالنَّارُ ، وَالْأَرْضُ ، وَالْمَاءُ ، وَالْمَوْتُ .

فَأَمَّا شَيْبَةُ الْغَيْثِ فَهَوَاثِرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ ، كَذَلِكَ يَتَنَبَّيُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطَى جُنْدُهُ وَأَعْوَانُهُ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٢) تَقْدِيرًا لِتِمْنَةِ السَّنَةِ ، فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطَرِ ^(٣) بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ مُشْرِقَةٍ ، وَغَائِطِ مُسْتَقِلٍّ ^(٤) ، وَيَقْرَأُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ ^(٥) ، ثُمَّ يَسْتَجِيبِي الْمَلِكُ فِي الثَّمَانِيَةِ الْأَشْهُرِ حُقُوقَهُ مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ ، كَمَا تُسَحَّنُ ^(٦) الشَّمْسُ بِحَرِّهَا وَشِدَّةِ ^(٧) فِعْلِهَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ وَالْأَمْطَارِ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٨) .

وَأَمَّا شَيْبَةُ الرِّيحِ ، فَإِنَّ ^(٩) الرِّيحَ لَطِيفَةٌ الْمَدَاحِلِ ^(١٠) تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِلِ حَتَّى لَا يَقْوَاهَا مَكَانٌ ، كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَنَبَّيُ أَنْ يَتَوَلَّجَ ^(١١) قُلُوبَ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِيهِ وَغِيَرِهِ ، لَا يَخْتَفُونَ عَنْهُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِمُرُونَ بِهِ فِي ثُبُوتِهِمْ وَأَسْوَأَتِهِمْ ، وَكَالْقَمَرِ إِذَا اسْتَهْلَ أَيَّامَهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ ، وَسَرَّ النَّاسُ بِضَوْوِهِ ^(١٢) .

(١) في (م) : منها لا تصح ، لأن الأشياء الثمانية ذُكرت كلها وليس بعضها .

(٢) في (ط) : « الأربعة أشهر » .. والأول أصح .

(٣) في (ط) : « بمنزلة » ، كما يسوى المطر .

(٤) غائط مُسْتَقِل ، أى : الأرض الجذباء ، أو الوادى المنقطع .

(٥) في (ط) : « بقدر حيّ » .

(٦) في (م) : « كما تُنحَى » .

(٧) في (م) : « وَجِلَّة » .

(٨) في (م) : « في الأربعة الأشهر والأمطار » .

(٩) في (م) : « لأن » .

(١٠) في (م) : « للدخل » .

(١١) في (م) : « يتولَّج على » أى : يدخل .

(١٢) في (م) : « بضوءه » تحريف .

يَبْنِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ يَهْجِيهِ وَزَيْنَتِهِ ^(١) ، وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَإِنْسَانِيهِ رَعِيَّتُهُ
يُشِيرُهُ ^(٢) ، فَلَا يَخْصُرُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ يَعْدِلُهُ ، وَكَالْأَرْضِ فِي كَيْثَمَانِ السَّرِّ
وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ ، وَكَالتَّارِ عَلَى أَهْلِ الدُّعَارَةِ ^(٣) وَالْفَسَادِ ، وَكَعَاقِبَةِ الْمَوْتِ
فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، يَكُونُ ثَوَابُهُ ، لَا يَقْصُرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَلَا يَتَجَاوِزُهُ ، وَكَالْمَاءِ
فِي لَيْلِهِ لِمَنْ لَا يَتَهُ وَهَدَمُهُ ، وَإِقْلَاعِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ حَارَبَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكْتَنِفُ السُّلْطَانَ ^(٤) مِنْ شِرَارِ النَّاسِ وَالْأَعْوَانِ ، عَلَى الْحَاجَةِ
إِلَيْهِمْ ، مَنْ يُسْتَبَشَعُ وَيُسْتَكْرَهُ ، كَالْحَيَاتِ تَكْتَنِفُ بِالصَّنْدَلِ ^(٥) فَيَقْتُلُهَا الصَّنْدَلُ بِطِيبِ
رَاحِيهِ وَبَرْدِهِ وَيَسِيهِ ، وَيَتَفَقَّعُ الصَّنْدَلُ بِهَا ، إِذْ لَا يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ .

لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ تَلَطُّفِكَ تَشْدِيدُ الْبَلَاءِ ، فَلَا يَجْرَأُ عَلَيْكَ ^(٦) ، فَإِنَّ الْقَمَرَ يُسْتَنَارُ
بِضَوِّهِ وَيُظْهِرُ لَهُ ، لَكِنَّ الشَّمْسَ يُسْتَظَلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُسْتَكْرَى ^(٧) لَهَا ، وَقَدْ قَالَتْ
الْعَرَبُ فِي مِثْلِ هَذَا : لَا تَكُنْ حُلُومًا فَسْتَرْطُ ^(٨) ، وَلَا مَرًّا قَلْفُظًا . اجْعَلْ لِكُلِّ طَبَقَةٍ
مِنْ أَغْدَائِكَ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَعْوَانِكَ يَسُوسُونَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَالْمَاءِ فِي الْأُذُنِ ، لَا حِيلَةَ فِي
إِخْرَاجِهِ إِلَّا ^(٩) بِأَرْقَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَنْبِيهِ .

إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَلَا تُعَادِ جَنْسَهُ ^(١٠) ، وَاسْتَيْقِ مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، فَعَسَى تَنْتَفِعَ بِهِ ،

(١) « زِينَتُهُ » عَنْ « ط » .

(٢) « فِي « م » : « يَشِيرُهُ » تَحْرِيفٌ .

(٣) « فِي « ط » : « أَهْلُ الدُّعَارَةِ » بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، أَيْ : الَّذِينَ يُخَيِّقُونَ النَّاسَ وَيُفْرَعُونَهُمْ .

(٤) أَيْ : يَحِيطُ بِهِ .

(٥) « فِي « م » : « يَكْتَنِفُ الصَّنْدَلُ » أَيْ : تَتَخَلَّهُ كَسَارًا وَمَلْجَأً لَهَا .

(٦) « فِي « م » : « تَشْدِيدًا فَلَا يَجْرَأُ عَلَيْكَ » . وَقَوْلُهُ « تَشْدِيدًا » بِالنَّصْبِ ، خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ ،

اسْمُ « يَكُنْ » .

(٧) « فِي « ط » : « وَيُسْكِنُ » .

(٨) « فِي « م » : « لَا يَكُنْ حُلُومًا فَسْتَرْطُ » .. وَمَعْنَى فَسْتَرْطُ ، أَيْ : تَبْلُغْ بِسَهُولَةٍ .

(٩) « إِلَّا » عَنْ « ط » .

(١٠) « فِي « م » : « إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَاسْقًا فَلَا تُعَادِ كُلَّ جَنْسِهِ » .

فَإِنَّ السَّيْفَ الْقَاتِلَ مِنْ جَنْسِ الدَّرْعِ الْوَاقِي ، وَلَا تُطْفَعَنَّ فِي الْكَذُوبِ وَالْمَطْثُورِ عَلَى الشَّرِّ أَنْ تُطْفَعَهُمَا ^(١) بِالْإِحْسَانِ ، فَإِنَّهُمَا كَالْفَرْدِ ، كُلُّمَا سَمِنَ يَاطْغَامِ الْحَلَاوَةِ وَالْدَّسَمِ ، لَزْدَادَ وَجْهَهُ قُبْحًا .

قَدْ يُرْدُّ الْوَاحِدُ كَيْدَ الْجَمِيعِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا ، كَمَا يُرْدُّ الظِّلُّ ^(٢) حَرَّ شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ وَاقِيًا ^(٣) غَايَةً . أَرْمَى النَّاسُ أَنْ يَقْتُلَ بِسَهْمِهِ وَاحِدًا ، لَكِنْ رَمِيَتْ عَاقِلُ ذَهْنٍ ^(٤) تَقْتُلُ الْجَيْشَ بِأَسْرِهِ . وَالْمَلِكُ الشَّرِيفُ الْعَاقِلُ لَا يَتَّقِدُ فِيهِ قَدْحُ أَهْلِ الْبَغْيِ ^(٥) ، مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَزِمَتْهُ كَانَ كَالْجَوْهَرِ ^(٦) الْمُضْيِئِ بِنُورِهِ ، لَا تُطْفَعُهُ عُصُوفُ الرِّيَّاحِ .

مَنْ كَانَ قَابِلًا لِمَا يُورَدُ عَلَيْهِ فِي إِصْنَافِهِ ^(٧) إِلَى كُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ ، كَانَ كَالسَّرَاجِ ^(٨) يَجِيلُ بِهِ كُلَّ رِيحٍ لَيْتَةٍ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ إِنْ عَصَفَتِ الرِّيَّاحُ أَنْ يُطْفَأَ . تَذِيرُ الْمَلِكِ الْحَاظِمِ فِي سُلْطَانِهِ ، كَتَمَاهِدِ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بِسُتَانِهِ ، يُخْرِجُ نَاجِلَ ^(٩) عَيْدَانِهِ ، وَشَوْكَ شَجَرِهِ ، فَيَحِيطُ ^(١٠) بِهِ عَلَى قَمَرِهِ وَزَرْعِهِ لِيَقْبَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، كَمَا يَنْتَجِبُ الْمَلِكُ أَهْلَ الشُّكِيمَةِ وَالشُّوَكَةِ فَيَجْعَلُهُمْ فِي أَقَامِيهِ وَحُدُودِهِ رَدْعًا ^(١١)

(١) فِي « م » : « أَنْ يَسْمَعَهُ » .

(٢) « الظِّل » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٣) فِي « م » : « وَاقِيًا » .

(٤) فِي « م » : « ذَهْنٍ مِنْ » وَالذَّهْنُ : الْفَهْمُ وَالْمَعْلُ .. وَيُوصَفُ بِهِ قَبَالُ : فَلَانُ ذَهْنٌ ، أَيْ : ذَكِيُّ قَبِيلٍ .

(٥) أَيْ : لَا يُؤْثِرُ فِيهِ عَيْبُ أَهْلِ الْبَغْيِ .. وَفِي « م » : « لَا يَنْفَذُ » مَكَانَ « لَا يَفْذُ » .

(٦) فِي « م » : « فَمَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَازَمَتْهُ كَالْجَوْهَرِ » .

(٧) فِي « م » : « تَقَاتَهُ » .. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاقِ .

(٨) فِي « م » : « كَالْوَرَجِ » وَهُوَ الزَّيْتُ الَّذِي يُوقَدُ بِهِ الْمَصْبَاحُ .

(٩) فِي « م » : « إِنَّ بُسْتَانَهُ يَخْرُجُ قَاحِلُ » .

(١٠) فِي « م » : « فَيَحِيطُ » .

(١١) رَدْعًا : دَعْمًا وَقُوَّةً .

لِلْمَمْلَكَةِ . وَلَيَكُنِ الْمَلِكُ أَحْذَرُ مَا يَكُونُ آمَنُ مَا يَكُونُ . قُلْتُ : وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ :

أَمِئْتُمْ رَبِّبَ الْمُتُونِ فَمِئْتُمْ فَلَرَبِّ خَوْفٍ مُكْمَنٍ فِي أَمَانٍ ^(١)

قَالَ : أَلَا تَرَى أَنَّ « بَهْرَشَانَ » الْمَلِكَ ، أُنَامَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى فِرَاشِهِ رَجُلًا ، فَلَمَّا رَامَ فِرَاشَهُ وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَ « بَاسْرَاجَ » الْمَلِكِ قَتَلَتْهُ امْرَأَةٌ ^(٢) بِحُلْخَالٍ مَسْنُومٍ ، وَ « دُرُوفَ » الْمَلِكِ قَتَلَتْهُ امْرَأَتُهُ بِمُدَيَّةٍ خَبَأَتْهَا فِي عِقَاصِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَلِمَ مِنْكَ مَوَاقِعَ الْغُرَّةِ ^(٣) ، وَمَوَاضِعَ الْحَذَرِ وَحَالَاتِ الْأَمَنِ ، وَإِنَّمَا تَرَصُّدُهُ لَكَ ^(٤) فِي خَالَاتِ الْأَمَنِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تَظُنُّ الْعَدُوُّ لَا يَكْمُنُ ^(٥) فِيهَا ، فَكُنْ أَحْذَرُ مَا تُكُونُ ^(٦) فِيهَا .

وَسَائِرُ حِكْمِ هَذَا الْبَابِ قَدْ قَدَّمْتُهَا فِي تَرَاجِمِ كِتَابِنَا هَذَا ^(٧) .

فصل

قَالَ غَيْرُهُ : لَا يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَهَامٌ مَعْلُومَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِصَالًا مَذْمُومَةً ، مِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يَعُوقُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُسْمِكُ مُهِمَّ ^(٨) ، أَوْ بَعْضُ

(١) البيت من الكامل .. ورَبِّبَ المتون : حوادث الدهر .. وفي « م » : « رَبِّبَ الزمان » قَرَّبَ خوف مُكْمَنٍ : في « ط » : « رَبِّبَ » .. والمُكْمَنُ : الكائِنُ فِيهِ وَلَا يُظْهَرُ لَهُ .. وفي « م » : « مَكْمَنٌ » .

(٢) « امْرَأَةٌ » عن « م » .

(٣) « مَوَاقِعَ الْغُرَّةِ » عن « م » . والمراد بها : أوقات القِتْلَةِ .

(٤) « لَكَ » عن « ط » .

(٥) في « م » : « لَا يَكْمُنُ » .

(٦) في « ط » : « يَكُونُ » .

(٧) « هُنَا » عن « م » .

(٨) في « م » : « قَدْ يَعُوقُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شُغْلُ مُهِمَّ » .. وفي « ط » : « مُسْمِكُ يَمُّهُ » وكلاهما صواب .

كَسَلَ^(١) ، أَوْ لَذَّةَ مُعْتَمَةٍ ، فَيَلْزِمُهُ الْخُرُوجَ عَلَى كُرْهِ . وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَخَلَّفَ
عَنِ^(٢) الظُّهُورِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَمْرِ مَا ، تَطَلَّوَتْ الْأَعْتَاقَ مِنَ الرُّعْيَةِ ، وَكَثُرَ
كَلَامُهَا ، وَقَالُوا : مَرَضَ الْمَلِكُ^(٣) ، أَوْ مَاتَ ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ ، فَيَكْسِبُ الْعَدُوَّ جُرْأَةً
وَسُرُورًا ، وَيَكْسِبُ الْوَلِيَّ حُزْنًا^(٤) وَحَسَبًا . وَمِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يُوَاعِدُ^(٥) عَدُوَّهُ لِيَوْمٍ
يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، فَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ^(٦) .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ كَثِيرَ التَّصَرُّفِ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ ، وَغُبُثِ الرُّعْيَةِ ، وَعَنْ
هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا كَانَ الْجَمَلُ كَثِيرَ الْفَقْرِ^(٧) كَانَ نَصِيبُ الذُّلِّ .

فصل

مِنْ تَوَادِدِ كَلَامِ الْعَرَبِ : مِنْ حِكْمِ^(٨) أَنْتُمْ بِنِ صَيِّئِي ، وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ
عَقْلٌ وَعِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ ، وَقَدْ عَلِقَ^(٩) النَّاسُ عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً ، وَالْفَوَا فِيهَا^(١٠)
تَصَانِيفٌ ، فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنْ
السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى

(١) في د م : : بعض الكسل .

(٢) في د م : : على .

(٣) الملك عن د م .. وبمعناها : أو مات عن د ط .

(٤) في د م : : خوفًا .

(٥) في د م : : وَاَعْدُ .

(٦) قوله : : فلا يتم له ذلك عن د ط . ولم يرد في د م .

(٧) في د م : : الفقر تعريف .

(٨) في د م : : من كلام .

(٩) عَلِقَ : تَحَلَّمَ .

(١٠) في د م : : فيه .

لَيْسَ . مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ قَدْ عَصِيرَ . مَا كُلُّ عَقْرَةٍ ثَقَالٌ ^(١) ، وَلَا كُلُّ مُرَصَّةٍ ثِقَالٌ .
لَا وَفَاءَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ حَيَاءٌ . قَدْ يُشْهَرُ ^(٢) السَّلَاحُ فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ
فَازَ بِالْحَمْدِ . الْمَوْتُ يَذْهَبُ وَالْمَرْءُ يَلْهَوُ . طَوَّلَ الْغَضَبُ يُورِثُ الْوَصَبَ . رَبُّ عِنِّي
شَرٌّ مِنْ رَقٍّ . مَنْ اضْطَلَعَ قَوْمًا احْتَاجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مَا ^(٣) . الْكَلْبُ بَهْتَ ^(٤) وَالْحِلْفُ
مَقَتْ . مَنْ لَمْ يَكُفْ أَذَاهُ لَقِيَ مَاسَاةً ^(٥) . الْحَرُّ يَتَقَاضَى لَكَ مِنْ نَفْسِهِ ^(٦) وَاللَّيْمُ
يَسْتَحْسِنُ نُسُوبَهُ وَحَبْسَهُ ^(٧) . لَيْسَ بِالْإِنْسَانِ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانٌ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ
إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . عَلَيْكَ بِالْمُجَامَلَةِ لِمَنْ لَا تُلُومُ لَهُ مُوَاصَلَةٌ .

فِي الْأَسْفَارِ يَتَلَوُ الْأَخْبَارُ ^(٨) . أَفْسَدَ كُلُّ حَسَبٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ . أَفْضَلُ الْفِعَالِ
صِيَاةُ الْبُرْصِ بِالْمَالِ . لَيْسَ مَنْ حَدَّثَ الْجَهْلُولَ بِذِي مَعْقُولٍ . لَيْسَ لِلْمُلْجِبِ مِثْلُ
الرَّدِّ . مَنْ جَالَسَ الْجُهْلَالَ فَلْيَسْتَعِذْ لِقَبْلِ وَقَالِ . مَا جَلَا عَنْكَ التَّسْيَانُ بِمِثْلِ التَّيَّانِ ، وَلَا نَفَى
عَنْكَ الْبُهْتَانُ بِمِثْلِ الْبَرَّهَانِ . لَمْ يَنْجُ مِنَ الْمَوْتِ غَنَى لِمَالِهِ ، وَلَا قَبِيرٌ لِأَفْلَالِهِ . إِذَا
أَرَدْتَ طَرْدَ الْحَرِّ فَسِمْهُ ^(٩) الْهَوَانَ . كَرَّةُ الْعِلَالِ آتَى الْبُهْلِ . كَفَرَ التَّعْنَةُ لَوْثٌ ،
وَصُحْبَةُ الْأَخْمَقِ شَوْمٌ . إِنْ مِنْ الْكَرَمِ لَيْنُ الشَّيْمِ .

إِيَّاكَ وَالْخُلَيْفَةَ ، فَإِنَّهَا خُلِقَ لَيْمٌ . أَمِنْ حُضْرٍ أَعَاكَ التَّصْبِيحَةُ ^(١٠) حَسَنَةٌ كَانَتْ
أَوْ قَبِيحَةً . رَبُّ سَبَابٍ قَدْ مَاجَهَ الْإِتَابَ . الصُّلُودُ ^(١١) آفَةُ الْمَقْتِ . سَبَبُ الْجُرْمَانِ

(١) لى : م : : تكررت هذه الجملة سهواً من النسخ .. ومعنى ثقال ، أى : ثَقُلَ وَثِقَ وَثَقُلَ عَنْهَا .

(٢) يُشْهَرُ : يُشَلُّ مِنْ غَدٍ وَتَرَفٍّ .. وفى « م » : « شَهَر » .. والمزاح ، بضم الميم وكسرهما : التلصص والمزول .

(٣) « ما » من « ط » .

(٤) الْبَهْتُ وَالْبُهْتَانُ : الْكَلْبُ الْفَتْرَى .

(٥) لى : ما ساءه .

(٦) لى : م : : لك نفس .

(٧) لى : م : : وعبه ، لى : وعلاه .

(٨) لى : ط : : الاخبار .

(٩) سِمْهُ : أَذَلَّهُ : وفى « م » : « فَسِمْهُ » : لى : فَيَسِّمْهُ وَذَمَّهُ .

(١٠) أَمِنْ حُضْرٍ أَعَاكَ التَّصْبِيحَةُ : أَعْلَمَهَا لَهُ ، وَأَضْيَقَتْ فِيهَا ، مِنْ الْقَمَلِ الرَّهَامِيِّ « أَتَضَحَّى » .

(١١) الصُّلُودُ : الْإِغْرَاضُ .

التواني . مَنْ سَأَلَ فَوَقَّ قَلْبِهِ اسْتَحَقَّ الْجَزْمَان . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُجُوبُ . إِنَّ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةَ الرَّادِ . مَنْ حَلَّمَ سَادَ ، وَمَنْ تَقَهَّمَ اِزْدَادَ . لَا تَرْغَبْ بِيَمَنِ يَزْهَدُ فِيكَ . رَبُّ بَعِيدٌ ^(١) أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْجَزَاحُ يُورِثُ الضَّعَافِينَ ^(٢) . مَثَلُ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . غُثَّكَ ^(٣) خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ ، مَنْ أَجَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ ^(٤) . اسْتَرْ عَوْرَةَ أَخِيكَ لِمَا يَعْلَمُ ^(٥) فِيكَ . لَا تُكْثِرْ مِنَ الْمُزَاحِ فَقَدْ هَبَّ هَيْبَتُكَ ، وَلَا مِنَ الضَّحِكِ فَيَسْتَحْفَ بِكَ . مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . كَفَى بِالْحِلْمِ نَاصِرًا . الْيَمْنَةُ تَهْدِمُ الصَّبِيحَةَ . نِعَمَ الشَّيْءِ الْهَدِيَّةُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَاجَةِ . رَبُّمَا نَصَحَ غَيْرَ النَّاصِحِ ، وَرَبُّمَا غَشَى النَّاصِحُ ^(٦) . الْكَلَامُ فِيمَا يَنْفَعُكَ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ . لَا يَفْرُثُكَ مِنْ جَاهِلٍ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٍ وَلَا إِلْفٌ ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ ^(٧) مِنَ النَّارِ قُرْبًا ، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا لَهَا .

ارْضُضْ أَهْلَ الدُّنَاوِ تَلْزَمَكَ الْمَهَابَةُ . دَعْ مُجَاسَسَةَ أَهْلِ الرَّيْبِ ^(٨) عَلَى كُلِّ خَالٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ يَسَلَّمَ دِيْنُكَ لَمْ تَسَلَمْ مِنْ سُوءِ الْمَقَالِ . الْكَرَمُ شُكْرُ الْبِلَاءِ ، وَاللَّوْمُ كُفْرُ النِّعْمَةِ . أَكْرَمُ الصَّنَائِعِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ . لَنْ تَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَسَلِّمُوا مِنْكَ . مَنْ عَدِمَ الْإِيمَانَ لَمْ تَزِدْهُ الرِّوَايَةُ فِقْهًا . الْحُزْنُ ^(٩) مَفْسَدَةٌ لِلنَّفْسِ ، وَمَنْقَطَعَةٌ لِلْحِيلَةِ . كَثَرَةُ النَّوْمِ إِمَانَةٌ لِلْقَلْبِ ^(١٠) . شِدَّةُ الْحَزَنِ تَذُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ . مُحَادَّةُ الْحَقْمَى

(١) لى د م : : رَبُّ أَمْرٍ بَعِيدٌ .

(٢) المواجه يورث الضعافين عن د ط و ساقطة من د م .

(٣) الفت : الضحيف .

(٤) المقيل : موضع القيلولة ، وهو وقت الاستراحة في نصف النهار .

(٥) لى د م : : لِمَا يَعْلَمُ بِكَ .

(٦) لى د ط : : للنصح .

(٧) لى د ط : : تكون في الموضفين .

(٨) الرَيْبُ : جمع ريبة ، وهى : الظن ، والشك ، والتهمة .

(٩) لى د م : : الجَلْدُ .

(١٠) لى د م : : دأمانة القلب .

وَالسُّمَّاءِ ثَوْرٌ^(١) . سُوءُ الْخُلُقِ . الدَّلِيلُ عَلَى الْحَقِّ لِإِعْجَابِ الْمَرْءِ بِعَقْلِهِ . مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْحَدِيثَ فَارْفَعَ عَنْهُ مُؤْتَهُ . مَنْ حَدَّثَ مَنْ لَا يَفْقَهُ كَمَنْ قَدَّمَ مَائِدَةً لِأَهْلِ الْقُبُورِ . مَنْ قَطَعَ عَلَيْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تُحَدِّثْهُ ، فَلَيْسَ بِصَاحِبِ أَدَبٍ .

مَنْ عُرِفَ بِالصُّدْقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يُقْبَلْ^(٢) صِدْقُهُ . مَنْ وَصَلَ^(٣) مَنْ يَحْسُدُهُ قَوَى عَدُوَّهُ ، وَقَصَرَ بِنَفْسِهِ . اغْتَفِرَ زَلَّةَ صَدِيقِكَ . مَنْ غَضِبَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ^(٤) رَضِيَ مِنْ لَا شَيْءٍ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ طَالَ حُزْنُهُ . الرَّجُلُ عَبْدٌ هَوَاهُ . لَوْلَا جَهْلُ الْجَاهِلِ مَا عُرِفَ عَقْلُ الْعَاقِلِ . مَنْ خَافَ رَبَّهُ كَفَ ظُلْمُهُ . كَسَلُ الْفَقِيرِ هَلَاكُهُ . شُحُّ الْعَيْتِيِّ فُضِيحَتُهُ . مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي كَلَامِهِ أَظْهَرَ فُجُورَهُ . كُلُّ شَيْءٍ لَا يُوَافِقُ الْأَحْمَقَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَوَابٌ .

إِذَا عَلَبَتْكَ أَمْرُئُكَ فَجَاهِدْهَا ، فَإِنَّهَا عَدُوُّكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَالْحَقُّهُ بِالْبَهَائِمِ . مَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ الْبَخِيلِ مَاتَ جُوعًا . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ^(٥) الْبَحْرِ ، لَا يَخَافُ الْعَطَشَ ، وَجَارُ الْبَخِيلِ فِي الْمَفَازَةِ هَالِكٌ . إِذَا لَمْ تَتَنَفَّعْ بِمُصَادَقَةِ الْأَحْيَاءِ فَاتِ أَهْلَ الْقُبُورِ . مَنْ عَادَى مَنْ قَوْفُهُ أَلْفُضَةٌ مِنْ نَحْتِهِ .

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ ، وَالْخَرِيسُ^(٦) مَحْرُومٌ . مَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ غَشَّ بَطْنُهُ^(٧) وَأَلْبَعَضُهُ أَصْحَابُهُ . الْعِلْمُ زَيْنٌ وَمَنْفَعَةٌ ، وَالْجَهْلُ شَيْنٌ وَمَضَرَّةٌ . الْجَاهِلُ يَسْتَطِيعُ الشَّرَّ ، وَالْعَاقِلُ يَمْتَنِعُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ^(٨) ، مَنْ لَمْ يَرْتَحِلْ لِلشَّيْءِ فَلَيْسَ لَهُ

(١) في (م) : : تدل على مكان ثورث .

(٢) في (م) : : لم يقبل .

(٣) وصل : أحسن إليه .

(٤) في (م) : : من شيء .

(٥) في (م) : : كمجاورة .

(٦) في (م) : : والخرص .

(٧) في (م) : : غش نفسه .

(٨) في (م) : : من السوء .

نَصِيبٌ فِي الْمُرُوءَةِ . إِذَا كَانَ لَكَ جَارٌ أَوْ صَدِيقٌ لَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فَصَوِّرْ مِثْلَهُ فِي الْحَالِاطِ ، فَإِنَّهُ أَزْنَنُ لِلْحَالِاطِ وَأَخْفُ لِلْمُؤْنَةِ ^(١) . الْعَاقِلُ يَرْغَبُ فِي الْأَدَبِ ، وَالْجَاهِلُ يَهْتَرِبُ مِنْهُ . الْعَاقِلُ إِذَا فَاتَهُ الْأَدَبُ لَزِمَ ^(٢) الصَّنْتَ . لَا تَسْتَطِيقُ مَنْ تُكَذِّبُهُ . الْعَاقِلُ يَتَّهِمُ رَأْيَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَالْجَاهِلُ يُقِيمُ عَلَى جَهْلِهِ . مَنْ لَمْ يَمْلِكْ ^(٣) عَقْلَهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ . مَنْ أَظْهَرَ مُحَاسِنَهُ وَدَفَنَ مَسَاوِيَهُ كَمَلَ عَقْلُهُ . مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلُهُ انْقَضَحَ .

مَنْ اسْتَشَارَهُ عَدُوُّهُ فِي صَدِيقِهِ أَمَرَهُ ^(٤) بِقَطْعِهِ . مُصَادَقَةُ الْكَرَامِ غَيْمَةٌ ، وَمُصَادَقَةُ الْعَاقِمِ نَدَامَةٌ . لَا تُدْخِلْ عَلَى صَدِيقِكَ التُّهْمَةَ ^(٥) فَيَرْجِعَ لَكَ عَنِ النَّصِيحَةِ . إِذَا انْقَطَعَ رَجَاؤُكَ عَنْ صَدِيقِكَ فَالْحَقِّقْ بِعَدُوِّكَ . مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بَغَيْرِ شَيْءٍ فَلْيَصَادِقْ أَهْلَ الْقُبُورِ . الْعَاقِلُ لَيْسَ فِي مُصَادَقَتِهِ مُحَادَعَةٌ . رَأْسُ مَالِ الْأَخْمَقِ الْخَدِيعَةُ ، وَفَالِدَتُهُ ^(٦) الْغَضَبُ ، وَالْحَلِيمُ رَأْسُ مَالِهِ الصَّنْتُ ^(٧) وَفَالِدَتُهُ الْجُلْمُ . إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ الْأَخْمَقُ فَالْبَسْ لَهُ سِلَاحَ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ . صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّ كُلِّ امْرِئٍ خُمْفُهُ .

مَنْ أَرَزَلَ نَفْسَهُ عَاقِلًا أَرَزَلَهُ النَّاسُ جَاهِلًا . مَنْ قَنَعَ بِكَذِبِ النَّسَاءِ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ رَقَاعَتَهُ ^(٨) . السُّكُوتُ عَنِ الْأَخْمَقِ جَوَابُهُ . السُّكُوتُ يُزِينُ ^(٩) الْأَخْمَقَ ، وَالْكَلَامُ

(١) من قوله : « إِذَا كَانَ لَكَ جَارٌ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٢) لِي « م » : « لَزِمَهُ » .

(٣) لِي « ط » : « يَمْلِكُهُ » .

(٤) لِي « ط » : « أَمَرَهُ » .

(٥) التُّهْمَةُ ، بِسُكُونِ الْمَاءِ وَضَعُهَا : الْإِتِّهَامُ .

(٦) لِي « ط » : « وَفَالِدَتُهَا » .

(٧) لِي « م » : « الْغَضَبُ » تَحْرِيفٌ .

(٨) الرِّقَاعَةُ : الْحِمَاةُ وَضَعَفَ الْعَقْلُ .. وَلِي « م » : « رَقَاعَتُهُ » تَحْرِيفٌ .

(٩) يَزِينُ : يُجَمِّلُ وَيُحَسِّنُ .. وَلِي « م » : « زَيْنٌ » .

يَشِينُهُ . مَنْ اسْتَطَالَ عَلَيْكَ بِمَلَبْسِهِ ، وَتَحَلَّى بِفَضْلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ .
الْجَوَادُ مُحَبَّبٌ ، وَالْبَخِيلُ مُبْغَضٌ . إِذَا حَمَلْتَ الْبَخِيلَ مُؤْتَةً ^(١) أَهْدَى لَكَ الْجِرْمَانَ
وَالْعَدَاوَةَ . الْبَخِيلُ يَمْنَعُ مَا عِنْدَهُ ، وَيَخْلُ عَلَى الْجَوَادِ بِجُودِهِ . مَنْ طَلَبَ مِنَ الْبَخِيلِ
حَاجَةً فَهُوَ شَرُّ مِثِّهِ . مَنْ بَدَّلَ لِبَخِيلٍ صِلَقَهُ ، وَرَفَعَ عَنْهُ مُؤْتَتَهُ ^(٢) ذَامَتْ لَهُ مَوَدَّتُهُ .
ضَيْفُ الْبَخِيلِ آمِنٌ مِنَ التَّحَمَّةِ . مَنْ طَلَبَ ^(٣) مِنْ لَيْمٍ حَاجَةً كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ
فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ ^(٤) تَقْدٌ ، وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْكَرِيمُ يُوَسِّى إِخْوَانَهُ
فِي ذَوَلَيْهِ ، وَاللَّيْمُ يَفْعَلُهُمْ . لَا تَخْضَعْ لِلَّيْمِ فَإِنَّهُ لَا يُعْطِيكَ . إِنَّمَا الصَّدِيقُ الَّذِي
يَبْدُلُ ^(٥) لَكَ مَالَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَنَفْسَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَيَحْفَظُكَ عِنْدَ الْمَغِيبِ ، وَيَنْفَعُكَ
عِنْدَ الرَّجَاءِ .

إِذَا صَادَقْتَ الزَّوْجَرَ فَلَا تَحْشَ الْأَمِيرَ . مَنْ لَمْ يَنْصَحْكَ فِي الصَّدَاقَةِ فَعَادِهِ . مَنْ
عَشَّكَ فِي الْعَدَاوَةِ فَلَا تَلْمُهُ . مَنْ كَانَ النَّاسُ عِنْدَهُ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْدِقَاءُ . مَنْ
صَادَقَ الْإِخْوَانَ بِالْمَكْرِ كَأَقْوَمُ بِالْقَدْرِ . مَنْ لَمْ يُوَسِّسِ الْإِخْوَانَ فِي ذَوَلَيْهِ ، لَحِلُّلٌ عِنْدَ
مَأْمَرِهِ . إِيَّاكَ أَنْ تَبْغِيَ مَوَدَّةَ ^(٦) مَنْ يَحْسُدُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِعْآءَكَ . مَنْ حَسَدَكَ عَلَى
عِلْمٍ لَكَ لَمْ يَسْتَمِعْ حَدِيثَكَ . الْحَاسِدُ يَفْرَحُ بِزَلَّتِكَ ، وَيَحْزَنُ بِصَوَابِكَ . إِذَا رَأَيْتَ
مَنْ يَحْسُدُكَ وَيَسْرُكَ أَنْ تَسْلَمَ مِنْهُ فَعَمَّ عَلَيْهِ أُمُورُكَ . مَنْ صَبَرَ عَلَى مَوَدَّةِ الْكَاذِبِ
فَهُوَ مِثْلُهُ . كُلُّ ^(٧) شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَمَوَدَّةُ الْكَاذِبِ لَا شَيْءَ . مَنْ بَدَأَكَ بِجَهْلِهِ فَكَافَّهُ
بِجَهْلِكَ تَعْمَهُ ^(٨) . أَوَّلُ الْمَرْوَةِ طَلَاقُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ ، وَالثَّالِثَةُ الْفَصَاحَةُ .

(١) لِي (م) : : مؤتة : وهما بمعنى واحد .

(٢) لِي (م) : : صلتة : مكروة .

(٣) لِي (م) : : كور الناصح - سهواً - قوله : : من طلب .

(٤) جلة الكريم : وعلمه .

(٥) لِي (م) : : بدّل .

(٦) لِي (م) : : لِي مودة .

(٧) لِي (ط) : : وكل .

(٨) لِي (م) : : يحلمك عنه .

الْفَاجِرُ لَا يُبَالِي مَا قَالَ . وَالْوَرَعُ يَتَعَاهَدُ كَلَامَهُ . مَنْ شَغَلَ مَشْغُولًا فَقَدْ أَظْهَرَ نَقْلَهُ .
مَنْ صَبَرَ عَلَى شُغْلٍ سَوِيٍّ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى سُخْنَةِ عَيْنِهِ ^(١) . مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحُزْنَ بِالصَّبْرِ
طَالَ غَمُّهُ .

مَنْ اسْتَطَاعَ عَلَى النَّاسِ يَغْيِرَ سُلْطَانٍ فَلْيَصْبِرْ عَلَى الدُّلِّ وَالْهَوَانِ . لَا تُخْفِرِ الْفَقِيرَ
السَّرِي ^(٢) ، وَلَا تُرْغَبْ فِي الْعَيْشِ الدُّنْيَى . مَنْ تَشَبَّهَ بِالسَّرَاةِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ^(٣) الدُّنَاءَةُ
فَلَا تُكْرِمُهُ . مَنْ أَغْضَبَتْهُ أُنْكَرَتْهُ . مَنْ أَغْنَيْتَهُ أَغْطَفَتْهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِصَاحِبِ الدُّوَلَةِ انْقَلَبَ
بِهَزِيمَةٍ . مَنْ صَانَعَ بِمَالِهِ لَمْ يَخْتَشِمْ مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ ^(٤) . مَنْ صَاحَبَ الْكُتَابَ
مَلُوه ^(٥) ، وَمَنْ عَادَاهُمْ أُنْكَرُوا . مَنْ شَمَخَ عَلَيْكَ بِأَنْفِهِ ، وَطَمَحَ ^(٦) بِبَصَرِهِ ، وَلَمْ
يَدْخُلْ عَلَيْكَ فَضْلُهُ ، فَلْيَهِنْ عَلَيْكَ سَلْبُهُ ^(٧) . السُّفِيَّةُ يَقْطَعُ مَوَدَّةَ لَمْ تَزَلْ ، وَيَكْتَسِبُ
عِدَاوَةَ لَمْ تُكُنْ . حَمَلَ الْمُرُوَّةُ ثِقِيلَ ^(٨) . مَنْ سَأَلَ النَّاسَ غَنِمَ . عِدْلَانُ الْجَارِ لُؤْمٌ ،
وَرِجَالُ الْبَلَاءِ قَبِيلٌ . احْفَظْ إِخْوَانَكَ ثِيْلَ أَعْدَاكَ . مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ عَلَى مَا لَا بُدَّ
لَكَ مِنْهُ . الْمَحْرُومُ مَنْ خَالَ نَصَبَهُ ^(٩) وَكَانَ لِغَيْرِهِ نَشَبُهُ . لَا قُوَى أَقْوَى مِنْ

(١) سُلْطَنُهُ عَنْهُ : عَدَمُ قُوَّتِهَا ، وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنْ فَقْدِ الرِّضَا وَالسُّرُورِ .

(٢) الْفَقِيرُ السَّرِي : الشَّرِيفُ .

(٣) فِي « م » : « وَهَانَتْ عَلَيْهِ » .. وَالسَّرَاةُ : جَمْعُ سَرِيٍّ ، وَهُوَ جَمْعُ هَزِيٍّ لَا يَكْدُ يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ « قَبِيلٌ » عَلَى « قَعْلَةٍ » .

(٤) لَمْ يَخْتَشِمْ : لَمْ يَحْتَجِلْ .. وَ « مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : « مَلُوه » أَيْ : قَلَّمُوا لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَغَوَاهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَمَنْ هَمَّخَ عَلَيْهِمْ بِأَنْفِهِ وَطَمَحَ » وَهَمَّ النَّاسِخُ أَنَّهَا عَطَفَتْ عَلَى سَابِقَتِهَا وَهَمَّخَ بِأَنْفِهِ : تَكَبَّرَ .. وَطَمَحَ بِبَصَرِهِ : رَفَعَهُ وَخَدَّقَ .

(٧) فِي « م » : « فَضِيلَتُهُ حَفَّتْهُنَّ عَلَيْكَ سِلْبُهُ » هَكَذَا .. وَمَا جَاءَ فِي « ط » هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْمِيقَانِ .. وَالسَّلْبُ : مَا يُسَلَّبُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عَيْنِكَ .

(٨) مِنْ قَوْلِهِ : « السُّفِيَّةُ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٩) نَصَبُهُ : تَعَبُهُ وَجَهْدُهُ .. وَنَشَبُهُ : مَالُهُ .

قَوَى ^(١) عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا عَاجِزَ أُعْجِزُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْهَا . الْخَيْرُ لِي أَهْلِيهِ غَرِيبٌ .
مَا أضعَفَ قُوَّةَ مَنْ يُغَالِبُ مَنْ لَا يُغَالِبُ !

* * *

(١) لِي (م) : (مِنْ قَوَى) .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ

مُشْتَمِلٌ عَلَى حِكْمٍ مَثْوُورَةٍ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ ^(١) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْتَحِنُ أَنْبِيََاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَضْطَرُّ أَوْلِيَاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ رِفْعَةً وَتَغْرِيبًا لِأَنْبِيَائِهِ ، وَتَمْحِيطًا لِهَفَوَاتِ أَوْلِيَائِهِ ، وَذُخْرًا لَهُمْ عِنْدَهُ ، وَزُلْفَى لَدَيْهِ وَتَعْظِيمًا ^(٢) لِقُدَّارِهِمْ ، وَتَشْرِيفًا لِمَنَازِلِهِمْ ، وَتَرْفِيعًا لِدَرَجَاتِهِمْ . قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَزُّيَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِعَظِيمِ مَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ سَطَوَاتِ أَعْدَائِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٤) . يَا مُحَمَّدُ ، لَا تَسْتَوْجِشْ مِنَّا وَلَا تُثْهِمْنَا فِي سِيرَتِنَا فِيمَنْ نُحِبُّهُ وَنُحِبُّنَا ، فَالْبَلَاءُ عَلَى وَجْهَتَيْنِ : أَحَدُهُمَا كَفَّارَةٌ لِلذَّنْبِ ^(٥) ، وَالْآخَرُ رَفْعٌ

(١) في د م : : د أَيُّهَا الْمَلِكُ .

(٢) في د ط : : تَعْظِيمًا ، بدون الواو .. والزُّلْفَى : الْقُرْبَى وَالْمَثْوُورَةُ .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية ١١٢ .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٣١ .

(٥) في د ط : : : أَحَدُهُمَا لِلذَّنْبِ .

دَرَجَةٍ ^(١) وَتَوَفِيرُ أَجْرِ ، وَلِلذَلِكَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَلَا أَمْتَلُ ، فَالْبَلَاءُ بِلَاءَانِ : بِلَاءٌ رَحْمَةً لِتَضْعِيفِ دَرَجَةٍ ، وَتَمْجِيسِ سَيِّئَةٍ ، وَتُلُوعِ فَضِيلَةٍ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَةٍ ، وَبِلَاءٌ عَقُوبَةٍ ، لَا يُتِهَالِكُ حُرْمَتُهُ وَاقْتِرَافُ مَعْصِيَةٍ . لَنْ تُحْلُو الْمَكَارِهِ أَنْ تُكَوِّنَ لِحَادِثِ رَحْمَةٍ ، فَلَا رَغْبَةَ عَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْهَا ، أَوْ لِسَيِّئَةٍ عَنْ ^(٢) إِضَاعَةٍ ، فَلَا غِنَى عَنْ زَاجِرِ غَنَاهَا ، فَلَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ حُلُولُهَا عَظُمَتْ بِهِ الْعِثَّةُ ، وَوَجَبَتْ لِلَّهِ بِهِ النُّعْمَةُ .

وَكَانَ جَنْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَذًى ، وَلَا تَجْعَلْهُ غَضَبًا . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقُيِّضَ ^(٤) اللَّهُ لَهُ مِنْ يُؤْذِيهِ » .

يَأْمَنُ ضَاقَ صَنْدُرُهُ ، وَخَرَجَ ^(٥) قَلْبُهُ ، وَسَاءَ حُلُقُهُ مِنْ عَذُوِّ أَقْلَقُهُ ، وَحَامِدِ حَسَنَدِهِ ، طَبَّ نَفْسًا ، وَفَرَّ عَيْنًا ، وَأَنْعَمَ عَيْشًا بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَكَ بِالْإِيمَانِ ، وَلِعُدُوكَ ^(٦) بِالْتَّفَاقِ ، بَخْرٍ بَخْرٍ إِنْ عَقَلْتَهَا ! أَمَا لَكَ ^(٧) فِي الْأَنْبِيَاءِ أُسُوءَةٌ ؟ أَمَا لَكَ فِي الصَّالِحِينَ قُلُوءَةٌ ؟ فَلَوْ لَمْ تَلَقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٨) مِنْ الْحَسَنَاتِ إِلَّا بِمَا اقْتَرَفَاهُ

(١) في م : : : درجات .

(٢) في م : : : عند .

(٣) هو : الإمام جعفر بن محمد البقر بن علي زين العابدين ، الملقب بالصَّادِق .. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية .. وُلِدَ في المدينة سنة ٨٠ هـ ، وكان بين أجيال التابعين ، وله منزلة ورياسة في العلم .. وأُعيد عنه جماعة ، منهم الإمامان : أبو حنيفة ، ومالك .. وكان جريحاً على تحلفاء بني العباس ، صَدَّاعاً بالحق ، وتبولى بالمدينة ، ودُفِنَ بالبقيع سنة ١٤٨ هـ ، وله رسائل مجموعة ورد ذكرها في كشف الظنون .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٢ - ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨] .

(٤) في م : : : لَقِيْتُ لُغَةً في « كَيْفِ » أَيْ : قَلَّرَ وَهَيَّا وَأَتَّاحَ .

(٥) خَرَجَ : ضَاقَ .

(٦) في ط : : « وعدوك » .. وَيَخْرُجُ بَخْرٍ ، تُقَالُ مَكْرُورٌ عِنْدَ الرِّضَا وَالْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ ، أَوْ الْمَدْحِ أَوْ الْفَخْرِ .

(٧) لَكَ : عَنِ ط .

(٨) في م : : : « الله تعالى » .

اخْتِيارًا ، لَلَّيْمِنَا اللهُ تَعَالَى فَقَرَاءَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، ثُقَلَاءَ مِنَ السَّيِّئَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
قَدْ يَتَّبِعُ اللهُ بِالْبُلُوzy وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعْمِ

قَالَ (١) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الَّذِي رَأَيْنَا مِنْهُ نَحِبُ فِيمَا نَكْرَهُ أَكْثَرَ مِنْهُ رَأَيْنَا مِنْهُ نَحِبُ فِيمَا نَحِبُ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا أَهْمَنِي ذَنْبُ أَهْلِيكَ بَعْدَهُ حَتَّى أَصْلَى رَكَعَتَيْنِ . السُّجُونُ قُبُورُ الْأَحْيَاءِ ، وَشِمَائِلُ الْأَعْدَاءِ ، وَتَجْرِبَةُ الْأَصْدِقَاءِ ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ كَانَ الْقَضَاءُ لَهُ مُسَاعِدًا ، وَكَانَ لِمُسَاعَدَتِهِ أَهْلًا . غَلَبَ عَلَى الْكَرِيمِ مَنْ بَدَرَ (٢) إِلَيْهِ الشِّمَائِلُ . لَوْ أَنَّ عَرَامَ النَّاسِ عِدَّةَ لِحَوَاصِلِهِمْ . مَجِيءُ الْقَدْرِ يَسْبِقُ الْحَذَرَ . مَنْ سَجَرَ مِنْ شَيْءٍ حَاقَ بِهِ (٣) . مَنْ عَمَّرَ بِشَيْءٍ أَهْلَى بِهِ (٤) . الْخُلُقُ نَهْبُ الْمَصَائِبِ . مُدَاكِرَةُ الرِّجَالِ تُلْقِيحُ لِأَلْبَابِهَا . أَقَلُّ مَا فِي طَلَبِ الْحِيلَةِ الْخُرُوجُ مِنَ الْاسْتِكَانَةِ . جَانِي الْعُقُوبَةِ عَلَى نَفْسِهِ أَعْظَمُ جُرْمًا عَلَيْهَا مِنَ الْمُعَاقِبِ لَهُ عَلَيْهَا . قَرَابَةُ بَعْضٍ مُنْفَعَةٌ بِلَيَّةٍ عَظِيمَةٍ .

النَّعْمَةُ مُنْفَعَةٌ (٥) . كَمَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ . الْحَمِيَّةُ شَوْبُوبُ الْجَهْلِ (٦) . الْأَنَفَةُ قِرَامُ السَّيْفِ (٧) . قُلْ أَنَفٌ لَمْ يُعَقِّبْ ذُلًّا . الْعَادَةُ (٨) كَمِيْنٌ لَا يُؤْمَنُ . مِنْ أَرْوَحَامِ (٩) الْكَلَامِ مَضَلَّةُ الصَّوَابِ . عَجَلُوا الْقِرَى قَبْلَ سُوءِ الظَّنِّ وَالْحَاقِ السَّيِّئَةِ . أُعْجِبْ مَا فِي هَذَا الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَضْدَادُ مِنْ خِلَافِهَا ، فَإِنْ سَتَعَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْجِرْصُ ،

(١) فِي د م : : : : : وَقَالَ .

(٢) بَدَرَ : أَبْدَى ، وَأَسْرَعَ .

(٣) حَاقَ بِهِ : أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ .

(٤) فِي د م : : : : : يُهْلَى بِهِ .

(٥) فِي د م : : : : : مُنْفَعَةٌ .

(٦) الْحَمِيَّةُ : الْأَنَفَةُ .. وَشَوْبُوبُ الْجَهْلِ : شَيْئُهُ .

(٧) فِي د ط : : : : : السَّيْفُ .

(٨) فِي د ط : : : : : الْعَادَةُ .

(٩) فِي د م : : : : : لَا يُؤْمَنُ أَرْوَحَامُ .

وَأَنَّ مَلَكَهُ الْيَأْسُ ^(١) قَلَّةُ الْأَسْفُ ، وَأَنَّ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ ^(٢) ، وَأَنَّ اسْتَعْدَّ بِالرِّضَا ^(٣) نَسِيَ التَّحْفُظَ . وَأَنَّ ثَالَةَ الْخَوْفِ شَعْلَةُ الْحَذَرِ ، وَأَنَّ أَسْعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلْبَثُهُ الْغِرَّةُ ^(٤) ، وَأَنَّ حَدَّثَتْ لَهُ نِعْمَةٌ ^(٥) أَخَذَتْهُ الْغِرَّةُ ، وَأَنَّ امْتَحَنَ بِمُصِيبَةٍ فَضَحَهُ الْجَزَعُ ، وَأَنَّ أَفَادَ مَالًا أَطْقَاهُ الْغِنَى ، وَأَنَّ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ شَعْلَةُ ^(٦) الْبَلَاءِ ، وَأَنَّ أَجْهَدَهُ ^(٧) الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَأَنَّ أَقْرَطَ فِي الشَّيْعِ كَطَنَتُهُ الْبُطْنَةُ ^(٨) ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِيرٌ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

أَفْضَلُ الْقَوْلِ بَدِيهَةٌ أَمْرِيَّةٌ وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ . أَشَدُّ النَّاسِ غَمًّا الَّذِي يَرَى غَيْرَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ^(٩) أَوَّلًا . مَا أَخَذَ اللَّهُ طَاقَةَ أَحَدٍ إِلَّا رَفَعَ عَنْهُ طَاعَتَهُ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ لَا تَرْضَى عَمَّنِ ابْتَنَى رِضَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَسْخَطَ عَلَيْهِ . زَيْبُ الْأَسَدِ يُشَبِّهُ صَوْلَتَهُ . عَلَامَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ^(١٠) بِالْإِعْرَاضِ عِنْدَ الْمُتَادِيَةِ . لَا تُعَادُوا ^(١١) حَتَّى تَرَوْا . لَا تَفْخَرُوا حَتَّى تَفْعَلُوا . لَا تَأْتَفُوا حَتَّى تُظَلَمُوا . أَوْجُهُ الشُّفَاعَةِ ^(١٢) بَرَاءَةُ السَّاجَةِ . مَنْ لَزِمَ الصَّحَّةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ لَزِمَتَهُ الْغِبْطَةُ وَالسَّلَامَةُ . قِصَصُ الْأَوَّلِينَ مَوَاعِظُ الْآخِرِينَ . الْبَحْثُ يُوَضِّحُ الْحَقَّ كَمَا يُورِي النَّارَ الْقَدْحُ . لَيْسَ مَعَ الْحَسَدِ سُرُورٌ ، وَلَا مَعَ الْجِرْصِ رَاحَةٌ ، وَلَا مَعَ السُّخْطِ غِنَاءٌ .

(١) في م : : الناس ، تحريف .

(٢) في م : : اشتد بالغيظ .

(٣) في م : : الرضى .

(٤) في م : : الأرض ، مكان ، الأمن .. وه الغيرة ، مكان ، الغيرة .

(٥) في م : : فإن حدث له النعمة .

(٦) في ط : : أشغله ، والفاقة : الحاجة والفقر .

(٧) في م : : أجهد به .

(٨) كَطَنَتُهُ : البطنة : ضاقت به بسبب الامتلاء الشديد من الطعام .

(٩) في م : : به .

(١٠) في م : : العلم ، مكرورة .. والمتادية : الزجر ، والطرود بالصباح .

(١١) في م : : لا تفاروا ، والأول أوجه .

(١٢) في ط : : الشفعاء .

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) : عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِأَرْبَعٍ كَيْفَ يُفْعَلُ عَنْ أَرْبَعٍ : لِمَنْ أُبْتُلِيَ بِالضَّرِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٢) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَاغْنِنَا بِهِ مِنْ حُزْرٍ ﴾ ^(٣) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِالْعَمِّ كَيْفَ ^(٤) يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ شَيْئًا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٧) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ أَمْرٌ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٨) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٩) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ أُلْعِمَ عَلَيْهِ ^(١٠) يَنْعَمَ خَافَ زَوَالَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ^(١١) . كَذَا سُنَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١٢) فِيمَنْ صَدَّقَ فِي النِّجَاحِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْوَلْ فِي مُهِمَّاتِهِ إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من م م .

(٢) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٣ .

(٣) السورة السابقة ، من الآية ٨٤ .

(٤) في م م : ﴿ أُبْتُلِيَ بِالْعَمِّ أَنْ .. ﴾ .

(٥) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٧ .

(٦) الآية ٨٨ من سورة الأنبياء .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٧٤ .

(٨) سورة غافر ، من الآية ٤٤ .

(٩) السورة السابقة ، من الآية ٤٥ .

(١٠) في م م : ﴿ أُلْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وبمعناها : « طاف » مكان « خاف » تحريف من التناسخ .

(١١) سورة الكهف ، من الآية ٣٩ .

(١٢) في م م : ﴿ اللَّهُ تَعَالَى ﴾ .

الْيَمِينُ مَائِمَةٌ أَوْ مَدْمَةٌ ^(١) . أَلَذُّ الْمَوَارِدِ مَنْجَاةٌ مِنْ مَتَلَفَةٍ ، أَوْ قُدُومٌ غَائِبٍ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ بِالْيَأْسِ مِنْهُ الرُّكَائِبُ ، وَأَشْرُّ الْمَصَادِرِ ظَفَرٌ عَلَى قَنَوطٍ . الطَّبِيعَةُ مُخَالَفَةٌ لِلْمُرُوءَةِ ، فَاصْبِرْ لِحَقِّ وَجَبَ عَلَيْكَ وَإِنْ خَالَفَ هَوَاكَ . يَهَاءُ ^(٢) الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ بِالرَّجُلِ الْفَاضِلِ . الْيَقِينُ رَاحَةٌ وَرَوْحٌ . الْعَمَلُ ^(٣) الثَّابِتُ بِالرَّجُلِ الْمُذَبَّرِ كِبَهَاءُ الْيَاقُوتِ وَاللُّوْلُؤُ فِي تَرْجَانِ الْمُلُوكِ . مَا أَلْوَرُ الْهُدَى ! مَا أَظْلَمَ الْعَمَى ! مَا أَكْرَمَ التَّقَى ! مَا أَخْدَعَ الْهَوَى ! مَا أَسْرَعَ الْبَلَا ! مَا أَجْلَدُ ^(٤) الصَّبَا !

الْجُودُ أَنْ يَهْضِمَ الرُّوحَ حَظُّ الْجَسَدِ ، وَالْإِسْرَافُ أَنْ يَهْضِمَ الْجَسَدَ حَظُّ الرُّوحِ ، وَالْعَدْلُ أَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَظَّهُ ، وَالشُّعُ أَنْ تُكْفَّ حُظُوظُهُمَا عَنْهُمَا . عَدُوٌّ يَخَافُ اللَّهَ فِيمَا تَكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ لَا يَخَافُهُ فِيمَا تُحِبُّ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ تُطْلَبَ فِي صِحَّةٍ كُلُّ عِلْمٍ مَا يَنْقُصُنَا ^(٥) ، وَتُكِلَ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ عَنْ صِحَّتِهِ . لَا يَرْعُكَ الْبَاطِلُ مِمَّا تُرْمَى بِهِ ، وَلَكِنْ اخْذَرْ أَنْ يَصْدَعُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَهَشْدٌ عَلَيْكَ عَيْنَاكَ وَوَجْهَكَ .

مَنْ بَطَلَ ثَنَاؤُهُ ^(٦) بَطَلَ مَنَحُهُ . الرَّائِبُ فَقِيرٌ بِقَدْرِ رَغْبَتِهِ . الْحَقُّ يُعْطَى وَيُمْنَعُ . تَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ لِحُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتَنَبَ الذُّنُوبَ لِثِقَلِ حُجَّتِهِمْ عَلَيْكَ . الْفَرَاغُ الْفَاضِلُ عَنِ الْحَمَامِ مَفْسَدَةٌ . الْحَمِيَّةُ إِحْدَى الْعِلَتَيْنِ . الْفَرَقُ ^(٧) يَنْسِي الْحُجَّةَ .. حَابِ الْعِلَّةِ ^(٨) فِي كَلَامِكَ ، وَسَوْ يَمِيتُهُمْ وَيَمِنَ السُّفْلَةَ فِي أَحْكَامِكَ . مَوْتُ فِي عِزٍّ

(١) في م : : مَائِمَةٌ : أى : ندامة .

(٢) يهَاء : عن ط .

(٣) في م : : العلم .

(٤) في م : : ما أجهل .

(٥) في م : : ما يقتننا .

(٦) في ط : : رشأوه .. وبطل : ذهب .

(٧) الفرق : شدة الخوف .

(٨) في م : : و ط : : حابى : لا تصح .. فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة .. أى :

جائليهم .. والعلية : أشرف القوم .

خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ . الْاِسْتِغْنَاءُ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ مُتَبَاعِضُونَ ^(١) . مَا ضَاعَ امْرُؤٌ عَرَفَ
 نَدْرَ نَفْسِهِ . الدَّعَةُ ^(٢) الْهَيْبَةُ تُكُونُ بَعْدَ الْبُضَاءِ الْعَمَلِ . لَنْ يُفَارِقَ الْخَيْرَ صَاحِبُهُ حَتَّى
 يُفَارِقَهُ . خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُلْدَرَةٍ . الْحَاسِدُ يُظْهِرُ وُدَّهُ فِي كَلَامِهِ
 وَبُغْضُهُ فِي أَعْمَالِهِ ، فَاسْمُ الصَّالِحِ ^(٣) وَمَعْنَى الْعَدُوِّ . الرَّيَاءُ ^(٤) يُفْسِدُ الْعِلَاقَةَ ،
 وَالْعُجْبُ يُفْسِدُ عَمَلَ السَّيْرَةِ . إِذَا كَثُرَتِ الْقُلْدَرَةُ قَلَّتِ الشُّهُورَةُ . مَنْ عَرَفَ قُلْدَرَهُ كَفَاكَ
 نَفْسُهُ . كَفَى بِالظُّلْمِ شَيْعًا لِلْمَذْنِبِ إِلَى الْحَلِيمِ . لِسَانُ الْجَاهِلِ ذَلِيلٌ خَفِيٍّ . لَا ظَفَرَ
 مَعَ بَنِي ، وَلَا صِيحَّةٌ مَعَ نَهْمٍ ، وَلَا قَنَاءٌ ^(٥) مَعَ كِبَرٍ ، وَلَا صِدَاقَةٌ مَعَ يَحِبٍّ ^(٦) .
 مَنْ يَعْرِفَ قُلْدَرَهُ فَاخْبِرْهُ نَفْسَكَ . أَخْبَى مَا رُدُّ مَا خَالَفَ شَهَادَةَ الْعَقْلِ .

قَطَعَ ظَهْرِي وَأَسَدَ الدِّينِ رَجُلَانِ : جَاهِلٌ لَأَمِيكَ ، وَعَالِمٌ فَاجِرٌ ، هَذَا يَدْعُو النَّاسَ
 إِلَى جَهَنَّمَ يُنْسِكِيهِ ^(٧) ، وَهَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْ جَهَنَّمَ يُفْسِكِيهِ . مَنْ قَوِيَ هَوَاهُ ضَعُفَ
 حَزْمُهُ . مَنْ ظَهَرَ ^(٨) غَيْظُهُ قَلَّ سَمَلُهُ . كَفَى بِالظُّلْمِ طَارِدًا لِلنِّعْمَةِ ^(٩) وَدَاعِيًا لِلنُّفْمَةِ .
 مَنْ قِيلَ صِدْقٌ فَقَدْ بَاعَكَ مَرْوَعَتُهُ ^(١٠) . الْهَيْبَةُ تُفْقَأُ عَيْنَ الْحَكِيمِ . عَفْوُ الرَّأْيِ خَيْرُ
 بِنِ اسْتِغْرَاهِ ^(١١) الْفِكْرِ . مَا اسْتَبْطِطَ الصَّرَافُ يَبْغِلُ الْمُشَاوِرَةَ ، وَلَا تُخْصِصَتِ النِّعْمَةُ

(١) فِي د م : د جَاهِلُونَ ، أَيْ : بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

(٢) الدَّعَةُ : الرَّاحَةُ وَخَفْضُ الْعِشْرِ .

(٣) أَيْ : لَهُ اسْمُ الصَّالِحِ .

(٤) فِي د م : د : د فَالْريَاءُ .

(٥) فِي د م : د : د وَلَا قَنَاءَ .

(٦) فِي د م : د : د خَيْتٌ .

(٧) أَيْ : يَهْزِلُهُ وَيُثْبِتُهُ بِغَيْرِ جَلَدٍ .

(٨) فِي د م : د : د ظَهَرَ عَلَيْهِ .

(٩) فِي د ط : د : د لِلنِّفْمَةِ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَنْسَبُ لِلْسِّيَاقِ .. وَبَعْضُهُا فِي د م : د : د وَدَاعِيًا ، مَكَانَ دَاعِيًا ،

أَوْ تَحْرِيفٌ .

(١٠) فِي د م : د : د بِمَرْوَعَتِهِ .

(١١) فِي د م : د : د اسْتِغْلَاهِ .

بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ^(١) . مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ فَقَدْ فَحَرَ ^(٢) .
 مَا اكْتَسَبَتِ الْبُغْضَاءُ ^(٣) بِمِثْلِ الْكِبِيرِ . مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ انْقَرَّتِ النَّاسُ إِلَيْهِ . التَّصْفِيرُ
 يُخْلِجُ عَنِ الصَّوَابِ . الْإِفْرَاطُ يُقْجِمُكَ فِي الْخَطَا . ثَلَاثُ حِصَالٍ مَا اجْتَمَعْنَ إِلَّا فِي
 كَرِيمٍ : حُسْنُ الْمَحْضَرِ ، وَاجْتِمَالُ الرُّزَّةِ ، وَقِلَّةُ الْمَلَالَةِ . كَفَى ^(٤) مُخْبِرًا عَمَّا يَقَى
 مَاضِي ، وَكَفَى عِوَا لِنَوَى الْأَلْبَابِ مَا جَرُّوا .

التَّهَؤُنُ بِالْمَطْلُوبِ أَوَّلُ أَسْبَابِ حِرْمَانِهِ . الشُّبَّةُ ^(٥) ظَلَمَةٌ . لَنْ يُضَيِّعَ امْتَرُ
 صَوَابٌ ^(٦) الْقَوْلَ حَتَّى يُضَيِّعَ صَوَابَ الْعَمَلِ . خَيْرُ الْأُمُورِ مَا سُرَّ عَاجِلُهُ وَحَسُنَتْ
 عَاقِبَتُهُ . لَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ آدَبٍ ، وَلَا بَرٌّ مَعَ شُعْ ، وَلَا اجْتِنَابُ مُحَرَّمَ مَعَ جِرْصٍ ،
 وَلَا مَحَبَّةٌ مَعَ زُهْوٍ . بِإِجَالَةِ الْفِكْرِ يُسْتَخْرَجُ الرَّأْيُ الْمُصِيبُ ، وَبِحُسْنِ الثَّائِي تُذَرَكُ
 الْمَطْلَبُ ، وَبِالنَّصِفَةِ يَكْثُرُ الْمُتَوَاصِلُونَ ^(٧) . الْفَاحِشَةُ عَارُ الْأَيْدِ وَعُقُوبَةُ عَدِ . الشَّمَاةُ
 تَغْفِبُ التَّدَامَةَ . مَنْ سَخِرَ ابْتَلَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ
 كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ^(٨) .

إِذَا فَقِدَ الْمُتَفَضِّلُونَ هَلَكَ الْمُتَجَمِّلُونَ . رَبُّ صِيَانَةٍ غُرِسَتْ مِنْ لَحْظَةٍ ، وَخَرِبَ
 جُنَيْثٌ مِنْ لَفْظَةٍ . مَا شَاهَدَ عَلَى غَائِبٍ بِأَدَلٍّ مِنْ طَرَفٍ عَلَى قَلْبٍ . شَرُّ الْمَالِ مَا
 لَا يَنْفَقُ مِنْهُ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا صِينَ بِهِ الْغَرَضُ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَشْرَفُ الْأَقْدَارُ . الَّذِي
 يَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ نَفْسِهِ أَذَلُّ مِمَّنْ يُفْسِدُهُ عَدُوُّهُ أَوْ دَهْرُهُ . لَا تُعْلَدَنَّ وَدِيعَةً مَالًا . الشَّهْوَةُ
 رِقٌّ . الْحَرِيصُ كَلْبٌ . يُعْبَرُ عَلَى الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ ، وَعَلَى الْمَوَدَّةِ الْعَيْنَانِ . لَا شَرَفَ

(١) من قوله : « استبط الصواب » إلى هنا من « م » .. وعُصِتْ : أُعْجِلَتْ وَهَيْكَتْ .

(٢) فَحَرَ : عَظَّمَ وَفَضَّلَ .

(٣) في « ط » : « ما اكتسب بمثل » ، وسقطت « البغضاء » .

(٤) في « ط » : « وكفى » .

(٥) في « م » : « الشبهة » .

(٦) في « م » : « أمر وصواب » .

(٧) النصفة : الإنصاف .. والمتواصلون : الذين يصل بعضهم بعضاً .

(٨) سورة هود من الآية ٣٨ .

أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا شَفِيعَ أَعْتَى ^(١) مِنَ التَّوْبَةِ .
أَوَّلَى النَّاسِ بِأَمْرِ مَنْ حَافِظَ عَلَيْهِ . الْخَيْرُ مَوْضُوعٌ لِمَنْ أَرَادَهُ ، مَوْفُورٌ لِمَنْ عَمِلَ
بِهِ ^(٢)

الرَّغْبَةُ بِمِفْتَاحِ الطَّلَبِ ، وَمَعِيطَةُ الْحَسَرَةِ . الْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى الْجِرْمَانِ . التَّنْفُلُ
بِالْحَسَنَةِ يَنْفِي السَّيِّئَةَ . الْمُكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ دُخُولٌ فِيهَا . الْبُعْثُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ ^(٣) .
إِصْلَاحُ الرُّعْيَةِ أَنْفَعُ ^(٤) مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . حَقُّ الْمَذْمُومِ التَّائِبِ ، وَحَقُّ الْمَرْحُومِ
الْمَعُونَةُ . مِنَ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزُونِ . الْمَحْزُونُ يَحْقِذُ عَلَى
الْفَرَحِ وَيَشْكُرُ لِلْمُكْتَسِبِ . مِنْ ظَلٍّ ^(٥) السَّلَامَةُ تَدْبُ أَفَاعِي الْأَقَاتِ . أَعْظَمُ النَّاسِ
قَدْرًا مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا . مَا أَحْدَثَ مُحَدِّثٌ بِدَعَاةٍ إِلَّا تَرَكَ بِهَا ^(٦) سَنَةً .
عَزَائِمُ الْأُمُورِ خِيَارُهَا ، وَمُحَدَّثَاتُهَا شِرَارُهَا . الْمَلِكُ يَكْتَسِبُ مِنْ إِنْفَاقِهِ ، وَالْعَامَّةُ تَنْفِقُ
مِنْ تَكْسِبِهَا ^(٧) . مَنْ أَقْنَى عُمُرَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ مَخَافَةَ الْعَدَمِ ^(٨) فَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ
لِلْعَدَمِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرِ غَالِدِي فَقَلِّ الْفَقْرِ

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمْعِ الْفَضَائِلِ فَلْيَكُنْ فَضَائِلُهُ تَرَكَ الرِّذَالِ . إِذَا لَمْ تَكُنْ مِلْحًا
تُصْلِحُ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ . اسْتِصْلَاحُ بَعْضِ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ مِنْ إِهْلَاكِهِ ^(٩) . مِنْ
سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرَى فِي عِلْوِهِ مَا يَسُرُّهُ . خَيْرُ الْكُتُبِ مَا إِذَا أَعَادَ قَارِئُهُ
النَّظَرَ فِيهِ زَادَ حُسْنُهُ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى خَيْرِهِ . أَثْقَلُ الْأَحْمَالِ مَنْ اتَّسَعَتْ مَرْوَعُهُ وَقَلَّتْ

(١) أَقْنَى : أَظْهَرَ وَأَمَّ .

(٢) فِي (ط) : « عَمِلَ اللَّهُ » .

(٣) الْحَيْنُ : الْمَلَاكُ .

(٤) فِي (م) : « الْفُذُّ » .

(٥) فِي (م) : « مِنْ طَلَبِ » .

(٦) فِي (م) : « بِهِ » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي (م) : « كَسْبِهَا » .

(٨) الْعَدَمُ ، يَفْتَحُ الدَّالَ الْمَهْمَلَةَ وَسُكُونَهَا : الْفَقْرُ .

(٩) فِي (م) : « وَهَلَاكِهِ » .

مَقْدَرَتُهُ . اسْتَحْ (١) مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْ عَقْلِكَ ، وَأَطِعهُ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ (٢) ، وَاعصِهِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى الثَّارِ ، وَاعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا ، وَاعْمَلْ لِلْآخِرَةِ بِقَدْرِ مُقَامِكَ (٣) فِيهَا .

الْمَلِكُ يَنْفَقُ لِيَكْتَسِبَ ، وَالْعَامَّةُ تَكْتَسِبُ لِيَنْفَقَ . الطَّاعَةُ بِقَدْرِ الْفَاقَةِ . يَفْحَشُ زَوَالُ النِّعَمِ (٤) إِذَا زَالَ مَعَهَا التَّجَمُّلُ . أَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ أَوْجِبُهَا عَلَيْكَ . الدُّنْيَا الْعَاقِبَةُ ، وَالشَّبَابُ الصُّحَّةُ . إِذَا أَقْبَلَ الْأَمْرُ أُسِيرَ بِهِ ، وَإِذَا أَذْبَرَ صَرَخَ (٥) . إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرِّعِيَّةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءُ وَالتَّصَنُّعُ . الصَّدَقَةُ مِنْ سَعَةٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ . إِذَا أَضْرَبْتَ التَّوَافِلَ بِالْفَرَائِضِ ، تَرَكْتَ التَّوَافِلَ وَقُدِّمْتَ الْفَرَائِضَ . قَدَّرَ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصَدَّقَتْهُ عَلَى قَدْرِ مَرْوَعَتِهِ ، وَشَجَّاعَتْهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ ، وَعَقِفَتْهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ ، وَمَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حَقًّا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ رَوْحَ قَلْبِهِ (٦) . شَرُّ مَالِكَ مَا لَزِمَكَ إِثْمٌ مُكْتَسَبِهِ (٧) وَخُرِمَتْ مَنَفَعَةُ الْفَاقَةِ . رَبُّ مَغْبُوطٍ بَلِيلَةٌ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهَا . لَا تَرْجُ خَيْرَ مَنْ لَا يَرْجُو خَيْرَكَ ، وَلَا تَأْمَنْ جَانِبَ مَنْ لَا يَأْمَنْ جَانِبَكَ . تَارِكُ الطَّلَبِ ضَجْرًا (٨) أَرْجَى لِلْعَوْدَةِ مِنْ تَارِكِهِ خَوْرًا (٩) . ثَمَرَاتُ الشَّهَوَاتِ الْمَحْزَايِ . الْخُصُومَةُ تُعْرِضُ الْقَلْبَ . أَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ

(١) في م : و ط : : استحي .

(٢) قوله : وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ : عن ط : وماقت من م .

(٣) في م : : بقائك .

(٤) يَفْحَشُ زَوَالُ النِّعَمِ : تجاوز حُدُودَهَا .

(٥) صَرَخَ : انكشف وظهر .. وى م : : يشبه مكان أسير به .

(٦) رَوْحُ قَلْبِهِ : أَرَاخُهُ .. وى م : : رَوْحٌ عَنْ قَلْبِهِ .

(٧) في م : : مَالُكَ إِثْمُهُ : أى : لم يُهَارِقَكَ .

(٨) ضَجْرًا : ضيقًا وَهْشًا .

(٩) في م : : أَرْجَى لِعَوْدِهِ : وخورًا : ضعفًا وانكسارًا .

اسْتَكْفَى الْكُفَاةَ كُفَى الْأَعْدَاءَ . خَيْرَ مَالِكَ مَا أَغْنَاكَ . وَخَيْرَ مِنْهُ مَا وَقَاكَ . صَوْلَةُ الْكَرِيمِ صَيَّلَمَ ^(١) . ذَنْبُ أَسَدٍ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِ كَلْبٍ . بِجَهَنَّمَ الْعِيرُ يُفْدَى خَافِرُ الْفَرَسِ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ خَفَّتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَزَّزَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ . كَمَا يَجِبُ أَنْ تُكَوْنَ الْبِرَّةَ أَضْوًا مِنَ النَّاطِرِ فِيهَا ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدَّبُ أَفْضَلَ ^(٢) مِنْ يُوَدَّبُ .

مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَتَّبِعِي عُوبِلَ ^(٣) بِمَا لَا يَتَّبِعِي . لَيْسَ فِي الشَّرِّ أَسْوَةٌ ، وَلَا فِي الْخَطِئِ قُلُوبَةٌ . لَنْ تُكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ عَدُوَّكَ ^(٤) إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ فِي عَدَاوَتِكَ عَلَى عَدَاوَتِهِ ، وَتَقَلَّعَ عَمَّا عَادَاكَ عَلَيْهِ ، وَتَبَيَّضَ وَلِيُّكَ إِذَا عَصَى اللَّهُ فِي مُوَالَاتِكَ ، وَتَنَرَّعَ عَمَّا وَالَاكَ عَلَيْهِ . لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ . الشَّقِيُّ مَنْ جَمَعَ لِغَيْرِهِ ، وَضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ . شَرُّ ^(٥) أَخْلَاقِ الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَ خَيْرَهُ . مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا رِجْلَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الْآخِرَةُ خَسَارَتَهُ . أَفْضَلُ الْعِلْمِ ^(٦) وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ عَلَيْهِ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا قُضِيَتْ بِهِ الْحُقُوقُ . الْبِدْعُ فِخَاخٌ ^(٧) مَثْبُوءَةٌ قَدْ عُلِقَتْ عَلَيْهَا الْفَاطُ ظَاهِرَةٌ . رِضَاءُ ^(٨) الْعَامَّةِ أُمْنِيَّةٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ^(٩) ، وَرِضَاءُ الْخَاصَّةِ يَقِينٌ عَلَى يَقَةٍ . الْقَلِيلُ مِنَ الْمَلِكِ كَالْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ . عَطَاءُ الْمُلُوكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ ^(١٠) .

(١) صَيَّلَمَ : أَيْ تَسَامَوِلَ مَا تُصِيبُ .. وَفِي « ط » : « سَلِيمَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ مِنْ يُوَدَّبُ » ، وَالصَّوَابُ : « خَيْرًا » ، بِالنَّصْبِ .

(٣) فِي « م » : « عَمَلٌ » .

(٤) فِي « م » : « غَيْرُكَ » .

(٥) فِي « م » : « مَنْ » ، مَكَانَ « شَرِّ » ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « م » : « أَفْضَلُ الْعُلُومِ » .

(٧) فِخَاخٌ : مُصَادَّةٌ .

(٨) فِي « ط » : « رِجَاءٌ » ، مَكَانَ « رِضَاءٍ » ، فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٩) فِي « م » : « عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ » .

(١٠) فِي « م » : « عَطَاءُ الْمَلِكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ » .

وَفِي الْأَمْثَالِ : جَاوَزَ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا . إِذَا كَذَبَ السَّيْفِيرُ بَطَلَ التَّذْيِيرُ . أَخْبَثَ الْأُزْمِنَةُ زَمَنٌ لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الصُّوَابُ . لَا تُعْطُوا فِي الْفُضُولِ مَا يَحْتَمُّ الْعَجْزُ عَنِ الْحُقُوقِ ^(١) .
الْآذَانُ أَقْمَاعٌ تُؤَدِّي ^(٢) ، وَالْقُلُوبُ قَوَابِلُ تَعْبَى . مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَمَّى ذَاهِيًا ^(٣) لَمْ يُظْهِرْ ذَهَاءَهُ . لَا دَلِيلَ أَهْدَى مِنَ التَّوْفِيقِ . الْجَلَاءُ الْبَلَاءُ . مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتَّهَمِ فَلَا يَلُومَنَّ ^(٤) مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . الْحِفْظُ قَيْدُ الْعِلْمِ . الْمُدَارَسَةُ ^(٥) إِذْكَاءٌ لِلْفَهْمِ .
الْمُقَايَسَةُ إِحْيَاءُ الْفِطَنِ ^(٦) . اسْتَدِيمُ النُّعْمَةِ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ . وَالطَّاعَةَ بِالتَّائِلِ ^(٧) ، وَالتَّصَرُّ بِالتَّوَصُّلِ لِلَّهِ وَالرَّحْمَةَ لِلْخَلْقِ . اسْتِغْلَالُ الْكَيْفِ تَعْرِضٌ لِلتَّغْيِيرِ .

ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تُدُلُّ عَلَى عَقُولِ أَرْبَابِهَا : الْكِتَابُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ ، وَالرَّسُولُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُرْسِلِهِ ، وَالْهَدْيَةُ تُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُهْدِيهَا / لَمْ يَحْكَمْ عَلَى الْعُقُولِ حَاكِمٌ كَالْعَبْرِ ، وَلَمْ يُعْهِمْهَا مُحْكِمٌ كَالْتَجْرِيةِ . مَنْ غَابَ سِفْلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ ^(٨) ، وَمَنْ غَابَ سَيْدًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ ^(٩) . أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُؤْتَمَنَ ^(١٠) عَلَى الدُّنْيَا أَهْلُ الْآخِرَةِ . صَحَّ مِنْ صَحَّتْ سَرَائِرُهُ ، وَسَقَمَ ^(١١) مَنْ سَقَمَتْ ظَوَاهِرُهُ . بِالْكَلامِ يُعْرَفُ فَضْلُ

(١) في م : : العفوق ، تحريف .

(٢) أقماع تؤدى : آلات تسمع وتعى .. ويقال : د وتل لأقماع القوم ، أى : الذين يسمعون ولا يؤنون .

(٣) ذاهياً : بصراً بالأمور .

(٤) في م : : فلا يكون ممن ، تحريف .

(٥) المُدَارَسَةُ : القراءة والمذاكرة .

(٦) المقايسة : القدرة على التقدير ، من قاس الشيء قياساً ومقايسة : إذا قَنَرَهُ .. وَالْفِطَنُ : جمع فِطْنة ، وهى : الجِدْقُ والمهارة .

(٧) في م : : بالتأليف .

(٨) الرفعة : الشرف ، وارتفاع القلِّر والمترلة .

(٩) وَضَعَ نفسه : أَذْلَهَا .

(١٠) في ط : : أَنْ يُؤْتَمَنَ .

(١١) سَقَمَ : طَالَ مَرَضُهُ .

العقل، كما بالرسول يُعرف قَدْرُ المرسل. مَلَاكُ أُمُورِكُمُ الدِّينُ، وَعِصْمَتُكُمُ الثَّقَوِي، وَزِينَتُكُمُ الْأَدَبُ، وَحِصْنُ أَعْرَاضِكُمُ الْحِلْمُ. إِذَا أُعْطِيتَ مَالًا تَرْضَى فَارْضَ بِمَا أُعْطِيتَ. كُلَّمَا زَادَ الْخَيْرُ كَثُرَ، كَانَ الْخَارِجُ مِنْهُ أَشَدَّ حَسْرَةً، وَبَقْدَرِ السُّمُو فِي الرَّفْعَةِ تَكُونُ وَجِبَةُ الرَّفْعَةِ ^(١). الْإِقْيَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ.

مِنَ التَّوَقُّى تَرْكُ الْإِفْرَاطِ فِي التَّوَقُّى ^(٢)، وَتَوْرِيثُ الْحُرْمَةِ وَالذَّمَامِ سُنَّةٌ فِي الْمُرُوءَةِ ^(٣)، كَمَا أَنَّ وِرَاقَةَ الثَّرِكَةِ فَرِيضَةٌ فِي الدِّيَانَةِ. لَا تَمْدَحَنَّ أَمْرًا بِأَكْثَرِ مِنْ قَدْرِهِ فَتَكُونَ مُهَيِّئًا لِنَفْسِكَ، كَذَّابًا عَلَى غَيْرِكَ. لَا تَفْرَحَنَّ بِسَقَطَةِ غَيْرِكَ ^(٤)، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يُخَيِّدُهَا الزَّمَانُ بِكَ. مِنَ الْخَفَاءِ الْكَلَامُ فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ مِنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ. أَكْثَرَ النَّاسِ مُخَادَعَةٌ لِنَفْسِهِ فِي أَمْرِ جَسَدِهِ عِنْدَ الْحَيَّةِ، وَفِي أَمْرِ مُرُوءَتِهِ عِنْدَ الشُّهُوَةِ، وَفِي أَمْرِ دِينِهِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ. الْمَصَالِبُ بَغَاتٌ ^(٥). الْعَاقِلُ الْمُدْبِرُ أَرْحَمُ مِنَ الْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ.

أَشْرَفُ الصَّنَائِعِ ^(٦) مَا لَمْ يَكُنْ مُكَافَأَةً لِمَاضٍ، وَلَا رَجَاءً لِبَاقٍ. أَرْضُ التُّظَيَّرِ ثُمَّ كَافَّةُ، وَأَنْسَرُ الْمُلْهَى ^(٧) ثُمَّ اسْتَمِيعَ مِنْهُ. لَمْ تَكُنْ غَوَايَةً وَلَا هِدَايَةً ^(٨) إِلَّا وَالِلهِمَا سَابِقَ وَغَنَهُمَا تَاكِصٌ ^(٩). إِحْسَانُكَ إِلَى الْغَرِّ يُحَرِّضُهُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى

(١) وَجِبَةُ الرَّفْعَةِ: ثُبُوتُ السَّقَطَةِ وَلُزُومِهَا.

(٢) فِي م ١: «الترقي» بالراء.

(٣) فِي م ١: «تورث الحرمة، والذم من سنة في المودة».. والحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذممة أو صنعة.. والذم: المهد والأمان والحق.

(٤) فِي ط ١: «بسقطه عدوك».

(٥) قوله: «المصالب بغات» عن ط ١: «.. وبغات، أي: تفاجيء الإنسان على غير توقع».

(٦) الصنائع: ما صنَّع من خير، والأفعال الحسنة.

(٧) الملهى: للشغول.

(٨) فِي م ١: «هداية ولا غواية».

(٩) السابق: القائد.. والتاكص: للتراجع والمُتَجَمِّع.

الْحَسْبُ يَتَعْتَهُ عَلَى مُعَاوَذَةِ الْمَسْأَلَةِ . لَيْسَ يُنْتَحَنُ الْأَدِيبُ بِأَنْ يَكُونَ فَاعِيًا لِلْخَيْرِ ،
إِنَّمَا يُنْتَحَنُ بِأَنْ يَكُونَ تَارِكًا لِلشَّرِّ . مَنْ صَنَعَ مَعَكَ خَيْرًا فَأَضْعِفْهُ لَهُ ، وَإِلَّا فَلَا تُعْجِزْ
أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ ^(١) وَيَقُولُونَ عَنْ مَحَاسِنِهِمْ ، كَمَا
يَتَّبِعُ الذَّبَابُ الْمَوَاضِعَ الثَّقَلَةَ ^(٢) مِنَ الْجَسَدِ وَيَدْعُ صَحِيحَهُ .

الظُّرْفُ ^(٣) فِطْنَةٌ مَارَجَتْهَا عِبَادَةٌ ، مَعَ حَلَدٍ وَتَوَقُّ ، فَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ التَّوَقُّ
فَصَاحِبُهَا لَا يَسْتَنْفِعُ بِهِ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ ، وَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَارَتْهَا فَصَاحِبُهَا
فَصَاحِبُهَا غَيْرُ طَلِبٍ ^(٤) . الظُّرْفُ ^(٥) الْأَلْفَاظُ الَّتِي يَرْتَفِعُ عَنْهَا أَهْلُ الْجَلَالَةِ مِنَ
الْمُحْلِصِينَ فِي بَاطِنِ الدُّنْيَا ، وَالْمُتَرَفِّعِينَ فِي ظَاهِرِ الْحَالِ . وَسَمِعْتُ الْقَاضِي أَبَا الْعَبَّاسِ
الْجُرْجَانِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِالْبَصَرَةِ يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى بِسَارِقٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْرَقْتَ ؟ قُلْ : لَا . فَقَالَ الرَّجُلُ :
لَا . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَطَرِيفٌ .

جَهْدُ الْبَلَاءِ ^(٦) الْإِقْلَالُ وَالْعِيَالُ . يَتَّبِعِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَطَامَنَ لِلْجَاهِلِ ^(٧) يَقْدِرُ
مَا رَفَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . الْعَقْلُ أَفْقَرُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ مِنَ الْجَسَدِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .
أَعْظَمُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ زَالَتْ نِعْمَتُهُ وَبَقِيَتْ ^(٨) شَهْوَتُهُ ، وَضَاقَتْ قُدْرَتُهُ ^(٩) . قُلُّهُ الْعِيَالُ
أَحَدُ الْيَسَارِينَ ^(١٠) . مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ ^(١١) خَيْرٌ مِنَ انْتِظَارِ الْمَقْهُودِ . مَنْ

(١) يَتَّبِعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ : يَطْلُبُونَهَا .

(٢) الثَّقَلَةُ : الْفَاسِدَةُ .

(٣) الظُّرْفُ : الْفِطْنَةُ وَالْكِيَاةُ .

(٤) فِي « م » : فَصَاحِبُهَا طَلِبٌ .

(٥) فِي « م » : : الظُّرْفُ فِطْنَةٌ مَعَهَا بَعْضُ الْإِرْسَالِ .. وَالْإِرْسَالُ : الْإِطْلَاقُ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ .

(٦) جَهْدُ الْبَلَاءِ : كِبَرَةُ الْعِيَالِ وَالْفَقْرُ .

(٧) يَتَطَامَنُ لِلْجَاهِلِ : يَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ لَهُ .

(٨) فِي « ط » : : وَبُهِتَ .

(٩) فِي « ط » : : مَقْدَرَتُهُ .

(١٠) الْيَسَارِينَ : السَّهُولَةُ وَالْيُسْرَى .

(١١) مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ : التَّمَامُلُ مَعَهُ وَالرِّضَا بِهِ .

عَدِمَ ^(١) الْحَيَاءَ عِنْدَ الْفَضِيحَةِ ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ النَّصِيحَةِ ^(٢) سَهَلْتَ عَلَيْهِ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا . الْعَالِمُ مِثْلُ السَّرَاجِ ، مَنْ مَرَّ بِهِ اقْتَبَسَ مِنْهُ .

مَنْ تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ نَصَرَهُ التَّوْفِيقُ . لَنْ تَكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَكُونَ ^(٣) غَدُوكَ مُطِيعًا . مَنْ أَذَلَّ ^(٤) النَّاسَ بِلَا سُلْطَانٍ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ . مَا دَحَلَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مُحَاطَبٌ لِعَيْنِكَ ^(٥) ، فَجَوَابُهُ وَتَوَابُهُ سَاقِطَانِ عَنْكَ ^(٦) . الْمَكْرُ وَالْخِدِيعَةُ فِي النَّارِ . الْأَحْدَاثُ تَأْتِي عَلَى ^(٧) مَا يَنْهَ يُؤْمَى الْحَذِرُ . الْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَحْفُوظُ لِلْعَلْوِ . مَنْ ^(٨) غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَغْدِرُ عَلَى غَمِّهِ عَذَّبَ نَفْسَهُ ، وَاشْتَدَّ غَيْظُهُ . أُطْلَبَ مَا يَغْنِيكَ وَاتْرَكَ مَا لَا يَغْنِيكَ ، فَإِنْ فِي تَرْكِ مَا لَا يَغْنِيكَ ذَرَكٌ مَا يَغْنِيكَ . مِنْ أَلْكَى الْأَشْيَاءِ لِعَدُوكَ أَنْ تُرِيَهُ ^(٩) أَنَّكَ لَا تُعَادِيهِ . كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .

الِاسْتِعْنَاءُ عَنِ الشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الْاسْتِعْنَاءِ بِهِ . وَمِنْ خَيْرِ خَبَرٍ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَطَرِ . لَا فَخْرَ فِيمَا يَزُولُ ، وَلَا غِنَى فِيمَا لَا يَبْقَى . شَرُّ الْعُيُوبِ مَا كَانَ مُعِينًا عَلَى الْعُيُوبِ ^(١٠) . شَرُّ الدُّنُوبِ مَا كَانَ عِلَّةً لِلدُّنُوبِ . أَهْلُغِ الرُّسُلَ الْكُتُبُ . حَاقِلِ الْأُمُورَ بِالنَّصِفَةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ ^(١١) . مَنْ أَرَادَ جَمَالًا لَا تَهْدِمُهُ الْأَيَّامُ فَلْيَصْنَبِ

(١) عَدِمَ : فَقَدَ .

(٢) فِي د م : : الصبر على النصيحة .

(٣) فِي د م : : أَنْ يَكُونَ لَهُ .

(٤) فِي ط : : مَنْ آذَى .

(٥) فِي د م : : مُحَاطَبٌ بِمَا لَيْسَ فِيكَ .

(٦) فِي ط : : عِنْدَكَ .

(٧) فِي ط : : تَأْتِي مِنْ عَلَى .

(٨) فِي د م : : وَمِنْ .

(٩) فِي د م : : أَنَّكَ تَرِيهِ .. وَأَنْكِي : أَغْلَبَ وَأَهْلَر .

(١٠) فِي د م : : مَا كَانَ مُضْمِنًا لِلْعُيُوبِ .

(١١) النصف : العدل والحق .. وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ ، أَيْ : وَأَنَا كَفِيلٌ لَكَ بِالْفَوْزِ وَالْغَلَبَةِ .

وَأَمَّا الْأَخْيَارُ فَمَنْ خَالَطَهُمْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ غَالَطَهُمْ ^(١) تَرَكَ رُشْدَهُ . أَلِيرُ ثَلَاثَةٌ :
الْصَّدُوقُ فِي الْمَضْصَبِ ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . مَنْ عَقَبَ عَلَى الزَّمَانِ
طَالَتْ مَعْبَتُهُ ^(٢) . سَتَسَاقُ إِلَى كُلِّ مَا أَتَتْ لَاقِي .

إِذَا صَحِبَ الْإِزْيَادُ الرِّشَادَ وَجَدَ الْمَرَادَ . مَا أَغْنَى ^(٣) مِنَ الذَّمِّ مَنْ مَلَكَهُ الْجَهْلُ .
وَلَا ظَفِيرَ بِالْعِزِّ مَنْ اخْتَمَلَ مَا فِي الْمَعْصِيَةِ مِنَ الدَّلِّ ^(٤) ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الدَّنَاءَةِ مَنْ
صَرَفَ جَمِيعَ عَقْلِهِ ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا . أَخُو الظُّلْمَاءِ مُرِيبٌ . الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسِيَةِ ^(٦) .
مَاعِذٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَابِ ^(٧) مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى ، وَلَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى مَنْ حَادَ
عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى . مَنْ ذَمَّ أَذْنَى الْإِحْسَانِ لَامِتْنَاعٍ أَقْصَاهُ لَمْ يَحْمَدْ شَيْئًا مِنْهُ . مِنْ
دَوَاعِي الْهَلَكَةِ إِضَاعَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَاعْجَبَا لِمَنْ بَنَى دَارَهُ وَجَسَمَهُ يُهْلِكُهُ ، وَلِمَنْ يَبْنِي
أُمُورَ الدُّنْيَا ^(٨) وَأُمُورُهُ فِي نَفْسِهِ تَحْتَلُّ ^(٩) .

قَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا كَانَ عَلَيْنَا ، وَالسَّائِكُ أَخُو الرَّاضِي .
الْكَاتِبُ لِلْعِلْمِ كَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، أَوْ هُوَ غَيْرُ وَائِقٍ فِيهِ بِالصَّوَابِ . الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ
إِسَارَتِهِ . قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ . الْعِلْمُ يَمَّا فِي الْمَعْصِيَةِ مِنَ الثَّوَابِ يَنْسِي الْمَعْصِيَةَ .
شَرٌّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ سُوءُ الْخُلُقِ ^(١٠) . مِنْهَا . الْحِكْمَةُ رِيحُ الْقُلُوبِ . الْخُصُومَةُ تَكْثِيفُ

(١) غَالَطَهُمْ : أَوْضَعَهُمْ لِي الْغُلَطِ .. وَلِي « م » : « وَمَنْ جَانِبَهُمْ » أَيْ : فَارَقَهُمْ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ .

(٢) مَعْبَتُهُ : مِلَامَتُهُ .

(٣) لِي « م » : « مَا أَغْنَى » .

(٤) قَوْلُهُ « مَنْ اخْتَمَلَ مِنَ الدَّلِّ » عَنْ « ط » .

(٥) لِي « م » : « مَنْ صَرَفَ عَقْلَهُ » .

(٦) قَوْلُهُ : « أَخُو الظُّلْمَاءِ مُرِيبٌ » وَ « الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسِيَةِ » عَنْ « ط » .. وَأَخُو الظُّلْمَاءِ : الْإِنْسَانُ الْغَامِضُ

لِلْمَعْرُوفِ .. وَالْمَكْسِيَةُ : مَا يُكْسَبُ .

(٧) الْحِجَابُ ، بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ : الْعَقْلُ .

(٨) لِي « م » : « أَمْرُ الدُّنْيَا » .. وَيَوْمٌ : يُحْكَمُ .

(٩) لِي « م » : « تَحْتَلُّ » أَيْ : تَتْرَكَ .

(١٠) لِي « م » : « سُوءُ الْخُلُقِ » .

الْعَوْرَةَ وَتُورِثُ الْمَعْرَةَ . بَلَاءُ الْمُؤْمِنِ مِنْ عَافِيَتِهِ ^(١) كَالثَّارِ حَرِيقُهَا مِنْ ثَوْرِهَا . قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . مَنْ لَمْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ عَنْ قَدْرِ الْجَاهِلِ ، رَفَعَ الْجَاهِلُ قَدْرَهُ عَلَيْهِ . الذَّلَّةُ مَعَ الْقِلَّةِ . تَجُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِتَلْدِيهَا ^(٢) . مَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَيِّ ^(٣) آجِلٍ . الْعُضْبُ عِنْدَ الْمُنَاطَرَةِ ^(٤) مَنَسَاةٌ لِلْحُجَّةِ .

الِاخْتِصَارُ اثْبَتَ لِلْمُتَكَلِّمِ وَأَفْهَمَ لِلْسَامِعِ . الْكَلْبُ فِي الْحَاضِرَةِ ^(٥) يَنْبَحُ الضَّيْفَ وَيَنْدَعُ الزَّائِرَ ، وَيُرْدُ السَّائِلَ ، وَالْكَلْبُ فِي الْبَادِيَةِ يُعِينُ الصَّاحِبَ ، وَيَنْذِرُ بِالضَّيْفِ ، وَيَنْدَعُ السَّارِقَ . لَا تُعْتَرِ يَقُولُ الْجَاهِلُ لَكَ : إِنْ فِي يَدِكَ لَوْلُوءَةٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا بَعْرَةٌ . مَثَلُ الصَّلَاةِ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ مَثَلُ السَّفِينَةِ مَعَ جَمِيعِ مَنْ فِيهَا ^(٦) ، إِنْ سَلِمَتْ سَلِمَ الْكُلُّ ، وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ ^(٧) . الْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِتْنَةٌ ^(٨) . طَلَبُ الْمَطْمَعِ حَزْمٌ ، وَطَلَبُ الْمُؤْمِسِ عَجْزٌ ^(٩) . قَدْ يَنْظُرُ الْمَنْطَلِقُ مَنْ يُعْتَى بِهِ . إِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ كَسَدَتْ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ ، وَتَفَقَّتِ ^(١٠) الرِّذَائِلُ وَتَفَقَّتْ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمُؤْمِسِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ الْمُعْصِرِ .

-
- (١) أى : مِنْ تَمَامِ صِحَّتِهِ وَتَبَرُّهِ مِنَ الْعِلَلِ .. وَفِي « م » : « مِنْ عَافِيَتِهِ » .. وَالْعَاقِبَةُ : آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَاتِمَتُهُ .
 (٢) فِي « م » : « بِتَلْدِيهَا » .. وَلِلْمَعْنَى : أَنَّ الْحُرَّةَ لَا تَكُونُ ظَفَرًا وَإِنْ أَذَاهَا الْجُرُوعُ .. وَالظَّفَرُ ، هِيَ الَّتِي تُرَضِعُ وَلَدَ غَيْرِهَا .. وَيُضْرَبُ هَذَا اللَّفْظُ فِي صَيَانَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنْ خَسِيسِ الْمَكَاسِبِ .
 (٣) الضَّيِّ : الْمَرَضُ .
 (٤) الْمُنَاطَرَةُ : الْمَجَادَلَةُ وَالْمِبَاحَثَةُ .
 (٥) الْحَاضِرَةُ : خِلَافُ الْبَادِيَةِ ، وَهِيَ الْمَدَنُ وَالْقُرَى وَالرِّيفُ .
 (٦) فِي « م » : « مَا فِيهَا » .
 (٧) فِي « م » : « وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ » .
 (٨) فِي « م » : « فِيهِ » تَحْرِيفٌ .
 (٩) الْمَطْمَعُ : مَا يُطْمَعُ فِيهِ وَيُرْغَبُ .. وَفِي « م » : « الطَّمَعُ » تَحْرِيفٌ .. وَالْمُؤْمِسُ : الْخَاضِعُ الدَّلِيلُ .. وَفِي « م » : « الْمُؤْمِسُ » تَحْرِيفٌ أَيْضًا .
 (١٠) تَفَقَّتْ : رَاجَتْ وَرُغِبَ فِيهَا .. وَفِي « م » : « تَفَقَّتْ » تَحْرِيفٌ .

لِقَاءِ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ . لَا يَصِيدُ الْكَثِيرَ مَنْ لَا يَصِيدُ لِنَفْسِهِ ^(١) الْوَاحِدَةَ .
بِالْعَمَلِ يَحْسُنُ الْمُنَطِقُ ، وَبِالْقُوَّةِ يَتِمُّ الْعَمَلُ . الْفِكْرَةُ مِرَاةٌ . مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ
مِخْنَةٌ ^(٢) مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَكَثُرَ مَجْدُهُ . الْأَدَبُ مَعَ الْعَقْلِ كَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالْعَقْلُ
بِلَا أَدَبٍ كَالرَّجُلِ الْعَقِيمِ . الْمَاءُ الْهَيَّ مِنْ الْقَوْلِ ، وَالْقَلْبُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ ، وَقَدْ
يَلِيْمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ ^(٣) إِذَا كَثُرَ الْحِدَارَةُ عَلَيْهِ . أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ إِخْفَاءَ الْفَاقَةِ ^(٤) . أَوْلَى
النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمٌ جَاهِلٌ . لَمْ يَغِبْ مِنْ شَهِدَ رَأْيُهُ ، وَلَمْ يَنْفَرِ
مَنْ بَقِيَ أَثَرُهُ ، وَلَمْ يَمُتْ مَنْ خَلَدَ عِلْمُهُ . وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : لَيْسَ بِهَالِكٍ مَنْ تَرَكَ
بِثَلِّ مَالِهِ ^(٥) . كَمَا أَنَّهُ قَبِيحٌ إِذَا رَكِبْنَا الْخَيْلَ أَنْ نَجْرِيَ بِهَا حَيْثُ أَرَادَتْ ذُنُوبُ أَنْ
لُدِيرَهَا ، كَذَلِكَ قَبِيحٌ أَنْ يَجْرِيَ الْبَدَنُ وَالنَّفْسُ بِالْعَقْلِ حَيْثُ أَرَادَتْ ^(٦) مِنَ
الشَّهَوَاتِ .

أَشَقُّ الْأُمُورِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . عَائِبُ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ مُحْجُوجٌ ^(٧) . لَيْسَ شَيْءٌ
مِنَ الْبِرِّ إِلَّا وَدُونَهُ عَقَبَةٌ مِنَ الصَّبْرِ . ضَرْبُ الْإِنْسَانِ عَارٌّ بَاقٍ وَوَقْتُ مَطْلُوبٌ ^(٨) . قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : هَلْ لِلْغَضَبِ مَادَّةٌ تُخْسِمُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَيْسَ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ مُطَاعًا أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُخْدَمَ أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُحْتَمَلَ خَطْوُهُ أَبَدًا ،
وَلَا يَجِبُ أَنْ يُصْبَرَ عَلَيْهِ أَبَدًا ، بَلْ قَدْ يُطِيعُ وَيُخْدَمُ ، وَيَحْتَمَلُ الْخَطَا ، وَيَصْبِرُ عَلَى
التَّوَاتُبِ ، فَإِذَا عَقَلَ ^(٩) ذَلِكَ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ غَضِبَ ^(١٠) فَقَلِيلٌ .

(١) فِي « م » : : نَفْسِهِ .

(٢) « مَحَنَةٌ » عَنْ « م » .

(٣) فِي « م » : : فِي الْحَجَرِ « وَيَلِيْمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ : يُحَدِّثُ فِيهِ شَقًّا .

(٤) الْفَاقَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ .

(٥) أَيْ : مَثَلُ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ فِي الْعِلْمِ .

(٦) فِي « م » : : أَنْ يَجْرِيَ عَلَى الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ الْعَقْلُ حَيْثُ أَرَادَ .

(٧) أَيْ : الَّذِي يَجِبُ شَيْئًا أَجْمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَيْهِ .

(٨) وَتُرَى مَطْلُوبٌ : تَأْرَ مَطْلَافٌ بِهِ .

(٩) فِي « م » : : وَإِذَا قَلَّ .

(١٠) فِي « م » : : وَإِذَا غَضِبَ .

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِنَفْسِهِ . لَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْعِلْمِ لِمَنْ لَا يَعْمَلُ ، كَمَا لَا يُغْنِي ضَوْءُ الشَّمْسِ عَمَّنْ لَا يَبْصُرُ ^(١) . رَضِيَ بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ ضَرَّهُ بِتَرْكِ التَّوَرُّعِ ، وَأَازَرَى بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعِ . الْبِدْعُ فُخُوحٌ تَسْتَرْهَا ^(٢) زَخْرَفَةُ الْكَلَامِ وَخِدْعُ الْمَقَالِ ^(٣) . النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِخْوَانِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ حُمْقُهُ . مَنْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ^(٤) النِّعْمَةُ أُدِيمَتْ لَهُ الرُّغْبَةُ . يُحْفَظُ الْأَخْمَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ . لَا جُودَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا صَدَاقَةَ إِلَّا بِوَفَاءٍ ، وَلَا فِقْهَ إِلَّا بِوَرَعٍ .

الْعَلِيلُ الَّذِي يَشْتَهِي أَرْجَى مِنَ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا يَشْتَهِي . قُلُوبُ الرُّجَالِ وَخَشِيَّةٌ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ . اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ . إِقْيَاءُ الرَّجُلِ إِحْلَاءُهُ مَسَلَّةٌ ^(٥) لِلَّهِمْ . مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ اللَّهِ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ نَفْسِهِ ، وَالْأَحْلَامُ قَرْحٌ وَهَمٌ كَاذِبٌ ، وَالْعَامِلُ بِهَا كَالْمُعْتَمِدِ عَلَى الظِّلِّ الرَّائِلِ . الدُّنْيَا ذُوْلٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَثَاكٌ ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَقْوْ عَلَى دَفْعِهِ ^(٦) . الْعَاقِبَةُ خَيْرٌ مِنَ الْوَاقِعَةِ . الْكَرِيمُ لَا يَسْتَحِي مِنْ إعْطَاءِ الْقَلِيلِ . الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقِيرِ . الْكَرَمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ ، وَاللُّؤْمُ ^(٧) سُوءُ التَّعَافُلِ . اخْتِلَافُ كَلَامِ الْمَرْءِ دَلِيلٌ عَلَى مِيلِ الْهَوَى بِهِ . مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ يُرَى أَثَرُهَا .

مَنْ ^(٨) كَانَ شَبَعُهُ فِي الطَّعَامِ لَمْ يَزَلْ جَائِعًا ، وَمَنْ كَانَ عِنَاهُ فِي الْمَالِ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِحَوَائِجِهِ الْخَلْقَ لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا ، وَمَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ مَحْدُولًا . مَنْ خَافَ مَنْ فَوْقَهُ خَافَهُ مَنْ تَحْتَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مَنْ فَوْقَهُ

(١) فِي م : : لَا يُبْصِرُهُ .

(٢) فِي ط : : يَسْتَرْهَا .

(٣) فِي ط : : الْمَالِ .

(٤) فِي م : : عَلَيْهِ .

(٥) مَسَلَّةٌ : نَسِيَانٌ .

(٦) فِي م : : دَفْعِهِ بِقُوَّتِكَ .

(٧) فِي م : : وَالْكَرَمُ مَكْرَةٌ .. وَلَا تَصِحُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٨) فِي م : : وَبَيْنَ .

لَمْ يَخْفَهُ مِنْ دُونِهِ ^(١) . مَا تُحْسِنُهُ وَلَا ^(٢) تَعْمَلُ بِهِ ، لِيَعْرِكَ نُورُهُ وَعَلَيْكَ نُورُهُ ^(٣) .
 وَاعْتَجَبَا لِمَنْ يَحْتَارُ الْمَذَلَّةَ فِي طَلَبِ مَا يَفْتَنِي عَلَى الْبُرِّ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى . مَنْ حَذَرَكَ
 كَمَنْ بَشَرَكَ . الشُّبُهَاتُ جَنَاحُ الطَّالِبِ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَأَتَيْتُ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا
 لَا تَفْنَى ، وَإِذَا أَذْبَرْتَ عَنْكَ فَأَتَيْتُ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى ^(٤) . قَالَ الشَّاعِرُ :
 فَأَتَيْتُ إِذَا أُبْسِرْتَ غَيْرَ مُقْتَسِرٍ وَأَتَيْتُ عَلَى مَا خَلَّيْتُ حِينَ تُعْسِرُ ^(٥)
 فَلَا الْجُودُ يُغْنِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُحْلُ يَنْبِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُذِيرٌ ^(٦)
 وَلِيَعْبِرَهُ :

لَا تَبْخُلَنَّ بِدُنْيَا وَهَى مُقْبِلَةٌ فَلَنْ يَضُرَّ بِهَا التَّبَذُّرُ وَالسَّرْفُ ^(٧)
 وَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَذْبَرْتَ خَلْفَ ^(٨)

الْغَرِيبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ . مَنْ سَلَكَ الْحِذَارَ ^(٩) أَمِنَ الْخَارَ . لَمْ يَخْرَ رَاكِبُ
 الْقَصْدِ ^(١٠) . عَجَبًا لِلَّذِينَ يَسْتَعِجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَقُوُّهُ الْكَرَمَ الَّذِي أَتَاهُ
 يَطْلُبُهُ ^(١١) ، فَيُعِيشُ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .
 مَنْ يَطْلُ ذَبْلُهُ ^(١٢) يَكْثُرُ ذَبْلُهُ . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٣) : مَا يَطْلُ فَعَلَّ اللَّهُ

(١) من قوله : « مَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » .

(٢) فِي « ط » : « وَهَى » .

(٣) بُورُهُ : كِسَادُهُ وَتَعَطَّلَهُ .

(٤) فِي « م » : « فَلَا يَبْقَى » تحريف من الناسخ .

(٥) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّرِيلِ : وَخَلَّيْتُ : صَوَّرْتُ وَشَبَّهْتُ .. وَفِي « ط » : « عَلَى مَا يَحُلُّكَ » .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى
 مِنَ الْبَيْتِ فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٣ ص ٢٠١ : « فَأَتَيْتُ إِذَا أَفْقَعْتُ إِنْ كُنْتُ مُوسِرًا » .

(٦) الْحِطُّ : النَّصِيبُ .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « الْجَدُّ » مَكَانُ « الْحِطِّ » فِي الْمَوْضِعِ ، وَهِيَ هِمَّتُهَا .

(٧) الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ .. وَالشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْبَيْتِ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ص ٤٤ :

« فَلَيْسَ يَنْفَعُهَا التَّبَذُّرُ وَالسَّرْفُ » .. وَالسَّرْفُ : الْإِسْرَافُ وَالتَّبَذُّرُ .

(٨) فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ : « فَإِنْ » مَكَانُ « وَإِنْ » وَ « فَالْحَمْدُ مِنْهَا » مَكَانُ « فَالشُّكْرُ مِنْهَا » .

(٩) فِي « م » : « الْجَدُّ » وَهِيَ : الْأَرْضُ الظَّلِيطَةُ الصَّكْبَةُ .. وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ الْإِسْقَامَةِ .

(١٠) أَيْ : لَمْ يَطْلُ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْإِسْقَامَةِ .

(١١) فِي « م » : « يَطْلُبُ » .

(١٢) أَيْ : مَنْ يَكْثُرُ وَيَسِيرُ مُتَبَحِّثًا بَيْنَ الْعِبَادِ .

(١٣) فِي « م » : « وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » .. وَ « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » عَنْ « ط » .

يَتَطَلَّقُ بِهِ ^(١) . غَتُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . إِنْ أُخْبِيتَ أَنْ لَا يَقُوْلَكَ مَا تَسْتَهْيِي ، فَاشْتِهِ مَا يُمَكِّنُكَ . مَنْ قَصَدَ أَسْهَلَ ^(٢) ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَوْعَرَ . الْفَقْدُ أَشْرُ الْجِمَامِ ^(٣) . شَرُّ السَّيْرِ الْحَقْفَقَةُ ^(٤) . بَوَى لِنَفْسِكَ فِي الْمَجَالِسِ مَجْلِسًا لَا يَقْصُرُ بِكَ وَلَا تُقَامُ عَنْهُ ^(٥) . اقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ يَقْطَعُهُ مِنْ صَدْرِكَ ^(٦) ، وَازْجُرِ الْمُسِيءَ بِإِثَابَةِ الْمُحْسِنِ لِكَيْ يَرْغَبَ فِي الْإِحْسَانِ .

لَنْ يَهْلِكَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ^(٧) . الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ . خَيْرُ النَّاسِ لِبَعْضِهِ خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إِحْسَانُ اللَّهِ مَكْفُورٌ ^(٨) عِنْدَ مَنْ أَصْبَحَ مُصِيرًا عَلَى ذَنْبٍ مَسْتَوٍ . يَصِيرُ التَّحَلُّقُ خُلُقًا بِالْاجْتِهَادِ وَالْإِعْتِيَادِ . الْحَجَرُ الْقَصْبُ فِي الْبُتْيَانِ رَهْنٌ عَلَى الْخَرَابِ . رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رَيِّهِ . رَبُّ رَأْيٍ أَنْفَعُ مِنْ مَالٍ ، وَحَزْمٌ أَوْفَى مِنْ رِجَالٍ . مَنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ ثَاغَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ . مَنْ ذَمَّ الزَّمَانَ لَمْ يَحْمِدِ الْإِخْوَانَ . بِتَقْلُبِ الْأَحْوَالِ تُعْلَمُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . مَنْ عَرَفَ الزَّمَانَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَرْجُمَانٍ . مَنْ ^(٩) عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الْاسْتِعْدَادِ . رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ . الطَّاعَةُ غَنِيْمَةٌ الْأَنْكِيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَاجِزِ ^(١٠) . كُلَّمَا اسْتَدَّ الظَّلَامُ حَسَنَ ضَوْءِ السَّرَاجِ . الشَّاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَأَ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى ^(١١) أَوْ حَسَدٌ .

(١) في « م » : « مَنْ يُظَلُّ » .. وَيَتَطَلَّقُ بِهِ : يُحْتَضِنُ بِهِ وَيُحْمَدُ عَلَيْهِ .

(٢) قصد ، أى : توسط فى الأمر ، لم يُقَرِّطْ ولم يُقَرِّطْ .. وأسهل : كان سهلاً مقبولاً لدى الناس .

(٣) فى « م » : « أَحَدٌ » .. وَالْفَقْدُ : إِخْرَاجُ مَقْدَارٍ مِنَ الدَّمِ مِنَ الْوَرِيدِ بِقَصْدِ الْمَلَاكِ .. وَالْجِمَامُ : قِضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ .

(٤) الْحَقْفَقَةُ : شِدَّةُ السَّيْرِ .

(٥) بَوَى لِنَفْسِكَ ، أى : أَعِدْ لِنَفْسِكَ .. لَا يَقْصُرُ بِكَ : لَا يَصِيرُ قَصِيراً بِكَ ، أَوْ مَكَانًا يُنَاسِبُ مَكَانَكَ وَقَدْرَكَ .. وَلَا تُقَامُ عَنْهُ : لَا يُقِيمُكَ عَنْهُ أَحَدٌ .

(٦) فى « م » : « اقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ يَقْلَعُهُ مِنْ صَدْرِكَ » .

(٧) فى « م » : « مَنْ وَعَظَكَ » .. وَتُسْتَعْمَلُ « مَا » لِفِعْلِ الْعَاقِلِ .

(٨) مَكْفُورٌ : لَا يُحْمَدُ .

(٩) فى « م » : « وَمَنْ » .

(١٠) فى « م » : « الْعَجِزَةُ » وهى جَعَجُعُ عَاجِزٍ .

(١١) فى « م » : « وَبِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى » .

أَوَّلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ مَنِ اخْتَجَعَ إِلَيْهَا فَحَرَمَهَا . مَنْ لَمْ يَذِرْ قَلْبَ الْبَلِيَّةِ لَمْ يَرْحَمْ أَهْلُهَا . كَفَاكَ أَذْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِهَا . مُجَالَسَةُ الْأَخْمَقِ غَرَرٌ ^(١) ، وَالْقِيَامُ عَنْهُ ظَنَرٌ . لَا تَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فِي الَّذِي كَانَ ^(٢) شُغْلٌ . الْبُحْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِيءِ الْغُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ . إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ وَصَحَّ الْعَمَلُ كَانَ التَّوْفِيقُ . إِخْرَازُ الْعَوَاقِبِ بِالْإِجْتِهَادِ ، وَالْإِجْتِهَادُ أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ . التَّوْفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٌ . كَمَالُ الْعَمَلِ التَّوْفِيقُ . مَنْ تَرَفَّقَ فِي اسْتِثْمَارِ الْحِظِّ مِنَ الْبُعْيَةِ أَذْرَكَ وَبَلَغَ . مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَعْلَاقِهِمْ أَمْنٌ ^(٣) مِنْ غَوَائِلِهِمْ . لَا تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي رَكِبَهُ فِيهِ زَمَانُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَيْهِ بِقِيَمَتِهِ فِي الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ .

أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ سَافَرَ فِي طَلَبِ آخِرِ صَالِحٍ . لَيْسَتْ الْبَرَكَةُ مِنَ الْكَثْرَةِ ، لَكِنْ الْكَثْرَةُ مِنَ الْبَرَكَةِ . وَقَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كَانَ مَا تَرَى مِنَ الْجَهْلِ يَغِظُكَ ^(٤) إِذَنْ يَكْثُرِ الْجَهْلُ وَيَطُولُ غَمُّكَ . قِيلَ لِبُزْزَجِمَهْرَ : مَا لَكُمْ لَا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ؟ قَالَ : لِأَنَّا لَا نُرِيدُ ^(٥) مِنَ الْعُمَيَّانِ أَنْ يَتَصَيَّرُوا . الْعِشْقُ مَرَضٌ نَفْسُ فَارِغَةٍ لَا هِمَّةَ لَهَا . إِجَالَةُ الْفِكْرَةِ اسْتِخْرَاجُ الْفِطْنَةِ . تَتَّبِعُ الْإِسَاعَةَ بِالنَّدَمِ ، وَتَتَّبِعُ النَّدَمَ بِالْإِقْلَاعِ . الْأَمْنُ بِالْبِرَاءَةِ ^(٦) ، وَكَثْرَةُ الصَّدِيقِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَأَعْمُ الْأَشْيَاءِ تَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ بَذَرَ عَدَاوَةً حَصَدَ نَدَامَةً . السُّنَنَةُ لِلنِّسَاءِ عُلْمَةٌ ^(٧) وَلِلرِّجَالِ غُفْلَةٌ .

(١) غَرَرٌ : خَطَرٌ .

(٢) فِي « م » : « لَا تَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنْ فِي الَّذِي قَدْ كَانَ » .

(٣) فِي « م » : « أَمْنًا » لِاتِّصَاحِ . وَغَوَائِلُهُمْ : فَسَادُهُمْ وَشُرُورُهُمْ ، جَمْعُ غَالَةٍ .

(٤) فِي « ط » : « يَغِظُ » .

(٥) فِي « ط » : « مَا نُرِيدُ » .

(٦) بِالْبِرَاءَةِ : بِالتَّخْلِصِ مِنَ الْغُيُوبِ وَالتَّهَمِّ .. وَفِي « م » : « بِالْبِرَاءِ » وَهُوَ مُصَدَّرٌ يُوصَفُ بِهِ .

(٧) الْعُلْمَةُ : شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلْجَمَاعِ .

قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمٌ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةٌ مَنْ لَمْ يَرُدَّ الْمَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةٌ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ ؟ عِبَادَةُ التَّوَكُّي (١) الْمَجِيءُ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَالْجُلُوسُ قَرَى الْقَدْرِ . إِذَا وَقَعَتِ الضَّرُورَةُ ارْتَفَعَتِ الْمَشُورَةُ . قِيلَ لِحَكِيمٍ : أَخْرِجِ الْهَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلَ . مَنْ اغْتَرَّ بِحَالِهِ قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ (٢) . إِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ (٣) طَلَبَهَا ، وَلَا تُدْرِكُوا حَطًّا مِنْهَا . هَيْئَةُ الزَّلِيلِ تُورِثُ الْحَصَرَ (٤) . قِيلَ لِلْحَكِيمِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً دَمِيمَةً (٥) وَأَنْتَ وَسِيمٌ ؟ قَالَ : اخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْلَهُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا تَقُولُ فِي الزَّوْاجِ ؟ قَالَ : لَذَّةُ شَهْرٍ وَهَمُّ دَهْرٍ . فَتَنَةُ عَالَمٍ إِلَى إِبْلِيسَ خَيْرٌ مِنْ غَوَايَةِ آلِفِ جَاهِلٍ . تَمْنَى الْمُعَاتِبِ (٦) وَلَا تَمْنَى الْمَعَاذِيرِ . الْمَوَالَاةُ فِي الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلِيفِ (٧) فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

سَبُّ الْجَاهِلِ لِلْحُكَمَاءِ تَشْرِيفٌ لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لِأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَكَمَّا أَنَّ الْحَكِيمَ يَتَأَلَّمُ بِحَدِيثِ الْجَاهِلِ ، كَذَلِكَ الْجَاهِلُ يَتَأَلَّمُ بِسَمَاعِ الْحِكْمَةِ . اُغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحَقْدِ مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ عَنِ الْمُحَادَاثَةِ (٨) . الْكَبِيرُ الْهِمَّةِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ غَنَفُ النَّاصِحِ عِنْدَهُ الْطُفَّ مَوْقَعًا مِنْ مَلَقِ الْكَاشِحِ . إِنْ كَانَتْ الْجُدُودُ (٩) هِيَ الْمُحْظُوظُ ، فَمَا بَالُ الْخِرَصِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ

(١) عِبَادَةُ التَّوَكُّي : زيارَةُ الْحَقِيقِي وَالْجُهَالِ .

(٢) قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ : عَجَزَ وَكَفَّ عَنْهُ .

(٣) فِي « ط » : مَنْ غَيْرَ وَجْهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ .

(٤) أَى : الْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا يُورِثُ الْحَصَرَ .. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : « دَمِيمَةٌ » .

(٦) الْمُعَاتِبُ : الَّذِي يُلَوِّمُكَ وَيُعَاتِلُكَ .. وَفِي « م » : « الْمُعَاتِبُ » بِالْيَاءِ .

(٧) الْمَوَالَاةُ : التَّصَبُّرُ وَالْمُحَابَاةُ ، وَشَرْعًا : أَنَّ يُعَاهَدَ شَخْصٌ شَخْصًا آخَرَ .. وَالْحَلْفُ : الْمَعَاهِدَةُ عَلَى التَّعَاوُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَالْإِتِّفَاقِ .

(٨) الْمُحَادَاثَةُ : الْمَطْلَعُ .. وَفِي « م » : « الْمَجَازَاةُ » .

(٩) الْجُدُودُ : الْأَرْزَاقُ ، جَمْعُ جَدٍّ .

فَمَا بَالُ السُّرُورِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الدَّارُ عَذَابًا ، فَمَا بَالُ الطُّمَأْنِينَةِ ؟ وَقَالَ الشُّعْبِيُّ : مَا رَأَيْتُ
اللهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى (١) أَغْضَى عِبَادَهُ أَجَلَ مِنْ الْجِلْمِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خَمْسٌ مَنْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ فَلَا تُرْجَى لِشَيْءٍ
مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الْوَيْقَةَ فِي أَرْوَمِيهِ (٢) ، وَالْذِمَّةَ (٣) فِي خُلُقِهِ ،
وَالْكَرَمَ (٤) فِي طَبْعِهِ ، وَالتَّبَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّحَاقُرَ (٥) عِنْدَ رَبِّهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ
حَمْدُونَ : كُنْتُ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ (٦) لَمَّا خَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَرَكِبَ يَوْمًا إِلَى رَصَافَةِ
هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَنَزَّلَ إِلَى قُصُورِهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَأَى دَيْرًا قَدِيمًا هُنَاكَ حَسَنَ
الْبِنَاءِ ، بَيْنَ مَزَارِعَ (٧) وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بِرُقْعَةٍ (٨)
قَدْ أُلْصِقَتْ فِي صَنْدِيهِ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِهَا ، فَأَذَا فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَيَا مَنْزِلًا بِالذَّنْبِ أَصْبَحَ خَالِيًا تَلَاعَبَ فِيهِ شِمَالٌ وَدُبُورٌ (٩)
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بَيْضُ أَوَانِسُ وَلَمْ يَتَّبَحَثْ فِي فِتَائِلِكَ حُورٌ (١٠)
وَأَنْبَاءُ أُمَلَاكِ غَوَاشِمُ سَادَةٌ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ كَبِيرٌ (١١)
إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعَهُمْ فَصَوَابِسُ وَإِنْ لَيْسُوا تِيَجَانَهُمْ فَبُلُورٌ (١٢)

(١) في « م » : « الله تعالى » .

(٢) الأرومة : الأصل والْحَسَبُ .. والوَيْقَةُ : الثقة وما يُحْكَمُ بِهِ الْأَمْرُ .

(٣) الذِمَّةُ : السهولة وَاللَّيْنُ .

(٤) في « م » : « والكبر » تحريف .

(٥) التَّحَاقُرُ : التَّصَاغُرُ .

(٦) في « م » : « عند المتوكل » .

(٧) في « م » : « من مزارع » .

(٨) بَصُرَ بِرُقْعَةٍ : أَبْصَرَهَا .

(٩) الْأَبْيَاتُ مِنَ الطُّوِيلِ .. وَتَلَاعَبَ : تَلَاعَبَ وَهَمَّالٌ : رِيحُ الشِّمَالِ .. وَالدُّبُورُ : رِيحُ مِجَبِّ مِنَ الْغَرْبِ .

(١٠) الْحُورُ : جَمْعُ حَوْرَاءَ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْبَيْضَاءُ الْحَسَنَاءُ .

(١١) أَنْبَاءُ أُمَلَاكِ غَوَاشِمُ : أَنْبَاءُ مُلُوكِ أَشْدَاءَ .. وَالْأَنَامُ : الْخَلْقُ .. وَفِي « ط » : « صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ كَبِيرٌ » .

(١٢) أَى : إِذَا ارْتَدُّوا زَى الْحَرْبِ تَرَاهُمْ عَابِسِينَ مُتَجَهِّمِي الْوُجُوهِ ، وَإِنْ لَيْسُوا تِيَجَانَهُمْ فِي زَمَنِ السَّلَامِ ، فَالْوَاحِدُ

مِنْهُمْ يَدِينُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ اكْتِمَالِهِ .

عَلَى أَنَّهُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ ضَرَاغِمُ وَأَنَّهُمْ يَوْمَ النَّوَالِ بُحُورُ ^(١)
 لِيَالِي هِشَامٍ بِالرُّصَافَةِ قَاطِنُ وَفِيكَ ابْنَةُ يَا دَبْرَ وَهُوَ أَمِيرُ ^(٢)
 إِذَا الْعَيْشُ غَضُ وَالْخِلَافَةُ لَذَّةُ وَأَنْتَ طَرِيبُ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ ^(٣)
 وَرَوْضُكَ مَرْتَادٌ وَنُورُكَ مَزْهَرُ وَعَيْشُ بَنِي مَرَاوَانَ فِيكَ نَضِيرُ ^(٤)
 بَلَى فَسَقَاكَ الْعَيْثُ صَوَّبَ سَحَابِ عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرُّوَّاحِ بُكُورُ ^(٥)
 تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
 فَزَيْتُ نَفْسِي وَهَى نَفْسٍ إِذَا جَرَى لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّهُ وَزَيْرُ ^(٦)
 لَعَلَّ زَمَانًا جَارَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النُّفُوسُ يَدُورُ ^(٧)
 فَيَفْرَحُ مَحْزُونٌ وَيَتَعَمُّ بَائِسُ وَيُطْلَقُ مِنْ ضَيْقِ الْوَنَاقِ أُسِيرُ
 رُوَيْدُكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ ^(٨)

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ ارْتَوَعَ وَتَطَيَّرَ ، وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ ^(١) أَقْدَارِهِ ، ثُمَّ دَعَا
 صَاحِبَ الدَّبْرِ فَسَأَلَهُ عَمَّنْ كَتَبَهَا ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهِ .

- (١) يوم اللقاء : يوم الحرب .. ضراغم : أسود .. النوال : العطاء .. بحور : كالبحور في جودهم وسخائهم .
 (٢) قاطن : مقيم .. ولي « م » : « وقتل » مكان « وفيك » .
 (٣) هكذا البيت في « ط » .. وقد سقطت الشطرة الثانية من البيت ، والأولى من الذي يليه من « م » ..
 وجاء البيت هكذا : « إِذَا الْعَيْشُ غَضُ وَالْخِلَافَةُ غَضَّةُ .. وَعَيْشُ بَنِي مَرَاوَانَ فِيكَ نَضِيرُ » .
 والغض والغرير : الناعم من العيش .. والطرب : الطرب والمُنْتَشِي بهجة وسرورا .
 (٤) التور : الزهر الأبيض .
 (٥) الصوب : انصباب المطر .. والرواح : الوقت من زوال الشمس إلى الليل .. والبكور : أول النهار .
 (٦) الأكة : مصدر الترة بين الأئمن .. والزفير : إخراج النفس بعد مثله ، وهو هنا كتابة عن الألم والحزن ..
 ولي « ط » : « إنه لزفير » .
 (٧) جَارَى عليهم : ظلهم .
 (٨) صروف الدائرات : أحداث الأيام .
 (٩) في « م » : « من سوء » .

وَأَمَّا الْكُتُبُ وَصِفَاتُهَا فَتَجِلُ عَنِ الْوَصْفِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْجَهْمِ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتَهُ كَانَ مُسْتَبَا
يُفِيدُكَ عِلْمًا أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً
وَيَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ غَيْرَ غَافِلٍ
زَمَانُ رَيْبٍ فِي الزَّمَانِ بِأَسْرِهِ
يُسَوِّرُ أَحْيَانًا بِزُورِدٍ بَدَائِعَ
وَأَنْشَدَ ^(٢) بَعْضُ الْعَجَمِ :

إِذَا مَاعَلَا النَّاسُ فِي دُورِهِمْ
وَأَنْسَهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيَالِي
خَلَوْتْ وَصَحِيحِي كُتُبُ الْعُلُومِ
وَدَزَسُ الْعُلُومِ شَرَابُ الْعُقُولِ
وَمَا يَجْمَعُ الْمَرْءُ فِي دَفْنِهِ
يَحْمُرُ سُلَافٍ وَخَوْدٍ كَعَابِ ^(٣)
لِغَيْرِ التَّدَامِي وَزَهْوِ السَّحَابِ ^(٤)
وَبَيْتِ عُرُوسِي بَيْتِ الْكِتَابِ ^(٥)
فَلُورُوا عَلَى بِذَلِكَ الشَّرَابِ
سِوَى الْعِلْمِ يَجْمَعُهُ لِلشَّرَابِ

(١) هو : أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر ، شاعر رقيق الشعر ، وأديب ، من أهل بغداد ، كان معاصراً
لأبي تمام ، وعرض بالثوكل الصاسي ، ثم غضب عليه المتوكل فغناه إلى خراسان ، ثم انتقل إلى حلب ، لم يخرج
منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج
٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ وطبقات الشعراء لابن المحرز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨] .
(٢) الأبيات من الطويل .. والسمير : المشاير الذي يسارك ويعدلك .. وهو وصف للكتاب .. ومُسْتَبَا
قُوداك : يكشف عما بقلبك من ألم والحزن .

(٣) ذلي : ذليل .. والجهد : المضيض والقليل .

(٤) في م : .. وأنشدني .

(٥) الأبيات من المتقارب .. والخوْد : الشاة الناعمة الحسنة الخلق ، وجمعها : خوْدٌ .. والكَعَاب : الفتاة
التي تُهْدَى لَهَا : وجمعها : كواعب .

(٦) الزهو : الساكن والتخفيض .. والبيت في م : :

« وَأَنْسَهُنَّ حَسَابَ اللَّيَالِي لِغَيْرِ التَّدَامِي وَزَهْوِ الشَّيَابِ »

(٧) الشرطة الثانية من البيت في ط : « .

« وَبَيْتِ الْعُرُوسِ بَيْتِ الْكِتَابِ »

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا يَتَشَدُّ فِي الْكُتُبِ ^(١) :

- إِذَا مَا خَلَوْتُ مِنَ الْمُؤَنِّسِينَ جَعَلْتُ الْمَوَانِسَ لِي دَقِيرِي ^(٢)
 فَلَمْ أَخُلْ مِنْ شَاعِرٍ مُخْسِنٍ وَمِنْ عَلَمٍ صَالِحٍ مُنْذِرٍ ^(٣)
 وَمِنْ حِكْمٍ يَنْ أَثْنَاهَا قَوَائِدُ لِلنَّاطِرِ الْمُنْفَكِرِ ^(٤)
 وَإِنْ ضَاكَ صَدْرِي بِأَسْرَارِهِ وَأَوْدَعْتُهُ السَّرَّ لَمْ يُظْهِرِ ^(٥)
 وَإِنْ صَرَخَ الشَّعْرُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ بَلْ لَمْ أَخْشِمْهُ وَلَمْ أَخْصِرِ ^(٦)
 وَإِنْ عُدْتُ مِنْ ضَجْرِهِ بِالْهَجَا وَسَبَّ الْخَلِيفَةِ لَمْ أَخْذِرِ ^(٧)
 وَنَادَمْتُ فِيهِ كَرِيمَ الْمَغِيْبِ بَلْ لِنُدْمَائِهِ طَيْبَ الْمَحْجَرِ ^(٨)
 فَلَسْتُ أَرَى مُؤْنِسًا مَا حَيْثُ عَلَيْهِ تَدِيمًا إِلَى الْمَحْشَرِ ^(٩)
 وَأَتَشَدُّ ابْنُ حَزْمٍ لِبَغْضِ الْأَدْبَاءِ :

(١) الأبيات من المقارِب .. وجاء في كتاب « جمع الحكيم والأمثال » في الشعر العربي لأحمد قيس - ص ٤٣٠ - أنها لعل بن هارون بن يحيى .

(٢) الشطرة الثانية من البيت في المصدر السابق :

« جَعَلْتُ الشُّمْلَتَ لِي دَقِيرِي »

(٣) الشطرة الثانية من البيت في المصدر نفسه :

« وَمِنْ مُضْجَلِكِ طَيْبٍ مُنْذِرٍ »

(٤) الْمُفْكَرُ : مِنَ الْفَعْلِ : أَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا فَكَّرَ فِيهِ وَأَعْمَلَ الْعَقْلَ .

(٥) لَمْ أَخْشِمْهُ : لَمْ أَحْجُلْ مِنْهُ ، وَلَمْ أَحْصِهِ مَا يَكْرَهُ .. وَلَمْ أَخْصِرِ ، أَيْ : لَمْ أَخْشِمْ عَنْهُ مَا أُرِيدُ . وَهُوَ مِنْ خَصَرَ : إِذَا عَمِيَ فِي مَنْطِقِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ .

(٦) فِي « م » : « ضَجْرَةٌ » بِالضَّاءِ .. وَضَجَرَ بِالْأَمْرِ ، وَمِنْهُ ضَجَرًا : ضَاكَ وَتَبَرَّمَ .. وَالْهَجَا : الْمَجَاءُ وَاللُّمُ .

(٧) نَادَمْتُ : صَحِجْتُ وَوَأَقَشْتُ .. وَالتَّدْمَاءُ : لِلصَّاحِبِينَ عَلَى الشَّرَابِ ، وَالْمَسَامِرِينَ .. وَالْمَحْجَرُ : خِلَافُ الْمَنْظَرِ ، يُقَالُ : طَلَبْتُ مَحْجَرًا مَنَظَرًا .

(٨) الشطرة الأولى من البيت في المصدر الأسبق :

« فَلَسْتُ أَرَى مُؤْنِسًا مَا حَيْثُ » .

(٩) فِي « م » : « وَأَتَشَدُّ ابْنُ حَزْمٍ » .. وَابْنُ حَزْمٍ هُوَ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَمِيدَ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ ، عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ ، وَأَحَدُ أُمَمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوْالِفَاتِ وَالْمُصَنَّفَاتِ .. وُلِدَ بِقُرْبَةِ سَنَةِ ٣٨٤ هـ ، وَاتَّفَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ، فَنَالُوا عَلَى بَغْضِهِ ، وَحَذَرُوا سُلَاطِنَهُمْ مِنْهُ ، وَهَرَا الْعَامَةُ مِنَ الدُّنْيَا مِنْهُ ، فَأَقْصَتْهُ =

إِنْ صَحَبْنَا الْمُلُوكَ نَاهُوا عَلَيْنَا
أَوْ صَحَبْنَا الشُّجَارَ عَدْنَا إِلَى الْفَقْدِ
وَصَحَبْنَا النَّيُّوتَ نَخِذُ الْجَبِ
لَوْ ثَرَكْنَا وَذَلِكَ كُنَّا ظَفَرْنَا
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ أَغْنَىٰ بَيْنَهُ
وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ (٥) :

أَنِسْتُ إِلَى التَّمَرِّدِ طَوْلَ عُمْرِي
جَعَلْتُ مُحَادِيثِي وَتَبْدِيهِمْ نَفْسِي
قَدْ اسْتَفْتَيْتُ عَنْ قَرْسِي بِرَجُلِي
وَلِي عَرَسٌ جَدِيدٌ كُلُّ يَوْمٍ
فَمَالِي فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ أَنْبِيَا
وَأَنْبِيَا دَقِيقِي بِذَلِّ الْعُرُوسِ
إِذَا سَاكِرْتُ أَوْ نَعَلِي كَبُوسِ
يَطْرَحُ الْهَمُّ فِي أَمْرِ الْعُرُوسِ (٨)

= الملوك وطاردته ، فرحل إلى « كَلَّة » من بلاد الأندلس ، وتوفي بها سنة ٤٥٦ هـ وكان عمر الطرطوشي - صاحب سراج الملوك - عند وفاة ابن حزم ست سنوات ، إذ أنه ولد سنة ٤٥٠ هـ ، لذا فإن قوله : « أنشدني » هنا لا يعقل ، ويُعد تحريفاً من الناسخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٥٤ ، ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٣٠ ، والمغرب في حُلِّي المغرب ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٧ ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٥٧ ، وشرحات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠] .

(١) الأبيات من الخفيف .. وناهوا : تكبروا .. واستبدوا بالرأى .. انفردوا به .

(٢) الطُّرُوس : الصحائف والكتب ، جمع طرس .

(٣) يَلْقَى : التقيس من كل شيء يخلق به القلب .

(٤) أغنى بينه : أقصد أبناء الزمان .. وحياة النفوس : يريد بها العلم ، فيه نحا النفوس وتسمو .

(٥) في « م » : « وأنشدوا » .

(٦) الأبيات من الوافر .. ويريد بالضرر : الوحدة والانفراد .. والبرية : الخلق .

(٧) في « م » : « قد استفنت عن قرس » .. والنعل الكبوس : الذي يخفى القدمين ويحميها .. ول « م » :

« نعل كبوس » أي : ضمخ .

(٨) في « م » : « يطرح الهم في بيت العروس » .. والعروس ، بضم العين : الزفاف والتزويج . وبكسرهما :

العروس والزواج .

فَبَطْنِي سَفَرْتِي وَالْخُرْجَ جِسْمِي وَهَمَيَانِي فِيمَا أَبَدًا وَكَيْسِي ^(١)
وَبَيْتِي حَيْثُ يُدْرِكُنِي مَسَائِي وَأَهْلِي كُلُّ ذِي عَقْلٍ نَفِيسٍ

وَلَيْنَ كَانَ النَّاطِلُونَ ^(٢) قَدْ وَصَفُوا فَجَوُّدُوا ، وَقَالُوا : فَأَبْلَغُوا ، فَلَقَدْ قَصَرُوا ،
وَأَجَلَ مَمْدُوحٍ مَنِ اسْتَقْصَرَ فِي مَدْحِهِ الْمُتَنَهَى ، وَاسْتَنْزَرَ فِي تَقْرِيبِهِ الْمُخْتَفِلَ ^(٣) ،
وَكَيْفَ لَا وَالْكِتَابَ نِعَمَ الْأَيْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةُ بِيَلَادِ الْعَرَبِ ، وَنِعَمَ
الْقَرِينُ وَاللَّحِيْلُ ، وَنِعَمَ الْوَزِيرُ وَالْزَّيْلُ ، وَعَالَمَ مُلَيٍّ عِلْمًا ، وَظَرْفَ حُشْيٍ
ظَرْفًا ^(٤) ، وَإِنَاءَ مُلَيٍّ مَزَاجًا ^(٥) ، وَحَبْدًا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ^(٦) ، وَرَوْضَةً تُقَلَّتْ
فِي جَنْحٍ ^(٧) ، هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ ثَوْبِي أَكَلَهَا كُلَّ سَاعَةٍ بِاللَّوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ
مُتَبَايِنَةٍ ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تُلْذَوِي ^(٨) ، وَزَهْرٍ لَا يَتَوَى ^(٩) ، وَتَمَرٍ لَا يَفْنَى ؟
وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُقِيمُكَ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ ، يَنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى ،
وَيَتَرَجَّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ ، إِنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ سَخَطْتَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ ،
أَكْتُمُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْتُمْ ^(١٠) مِنَ الرِّيحِ ، وَالْهَيَّ مِنَ الْهَوَى ، وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى ،

(١) السُّفْرَةُ : مَا يَحْمِلُ فِيهَا الطَّعَامُ .. وَالْخُرْجُ وَالْمَعْيَانُ مَرُّ الصَّرِيفِ بِنِهَا .

(٢) فِي « ط » : « النَّاطِلُونَ » .

(٣) اسْتَنْزَرَ : اسْتَجْلَّ وَاسْتَحْجَزَ .. وَالْمُخْتَفِلُ : مُعْظَمُ الشَّيْءِ .

(٤) الظَّرْفُ : الْوَعَاءُ .. وَظَرْفَ حُشْيٍ ظَرْفًا ، أَيْ : وَعَاءَ مُلَيٍّ ، بِلَاغَةً وَحُسْنًا .. وَهَذَا الْوَصْفُ لِأَيِّ عِلَّانٍ
ابْنِ بَحْرِ الْجَاهِظِ .

(٥) الْبَزَاجُ : مَا يُمَزَّجُ بِهِ الشَّرَابُ وَنَحْوُهُ ، وَكُلُّ نَوْعَيْنِ امْتَزَجَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَزَاجُ .. وَفِي « م » : « مُلَيٍّ
رَاحَ » ، وَالْأَخْيَرَةُ تَحْرِيفٌ .. وَعِبَارَةُ الْجَاهِظِ : « وَإِنَاءَ مُلَيٍّ مَزَاجًا وَجِدًا » ، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٦) الرُّذْنُ : كُمُّ الثَّوْبِ .

(٧) فِي « ط » : « تَقَلَّبَ فِي جَنْحٍ » .. وَعِبَارَةُ الْجَاهِظِ : « رَوْضَةً تَقَلَّبَ فِي جَنْحٍ » .. وَالْجَنْحُ ، بِكَسْرِ
الْحَاءِ وَفَتْحِهَا : وَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ : حِضْنُهُ ، وَمِنْ الْمَكَانِ : نَاحِيَتُهُ .

(٨) لَا تُلْذَوِي : لَا تَيْسَسْ وَلَا تَذِلْ .

(٩) لَا يَتَوَى : لَا يَهْتِمُّ وَلَا يَسْتَقِرُّ .. وَفِي « ط » : « لَا يَهْوَى » ، بِالتَّاءِ : أَيْ : لَا يَهْلِكُ .

(١٠) أَنْتُمْ : أَتَقَلَّبُ وَأَطْفَهَرُ .. وَفِي « م » : « أَنْتُمْ » ، تَحْرِيفٌ .

وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى ، وَأَنْطَقُ مِنْ سَخَبَانَ وَائِلٍ ^(١) وَأَغْيَا مِنْ بَاقِلٍ ^(٢) .

هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ وَاحِدٍ تَحْلَى بِحُلَى كَثِيرَةٍ ، وَجَمَعَ أَوْصَافًا غَيْرَةً ^(٣) : عَرَبِيٌّ ،
فَارِسِيٌّ ، هِنْدِيٌّ ، سِنْدِيٌّ ، رُومِيٌّ ، يُونَانِيٌّ ، إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ ، وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعُ ،
وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ ، وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ ، يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ ^(٤) مِنْكَ ، وَيَزِيدُكَ
وَيَسْتَزِيدُكَ ، إِنْ جَدَّ قَسَرَ ، وَإِنْ مَزَحَ فَتَزَهَّهَ ، قَبِرَ الْأَسْرَارِ ، وَحِرَزَ الْوَدَائِعِ ، قَيْدُ
الْعُلُومِ ، وَتَبَيُّعُ الْحِكْمِ ، وَمَعْدِنُ الْمَكَارِمِ ، وَمُؤْنَسَ لَا يَتَأَمَّ ، يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ ،
وَيُحْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ أَنْبَاءِ الْآخَرِينَ .

هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ ، أَوْ بَلَغْتَكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّالِفِينَ جَمْعُ ^(٥) هَذِهِ الْأَوْصَافِ
مَعَ قَلَّةِ مُؤَنِّيهِ ، وَخِفَةِ مَحْمَلِهِ ؟ لَا يَرْزُوكَ ^(٦) شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، نِعَمَ الذُّخْرِ
وَالْعُدَّةِ ^(٧) ، وَالْمُسْتَعْلَى وَالْحِرْقَةَ ^(٨) ، جَلِيسٌ لَا يَضُرُّكَ ^(٩) ، وَزَيْفٌ لَا يَمْلُكَ ،
يُطِيعُكَ بِاللَّيْلِ طَاعَتَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ ^(١٠) ، إِنْ أَدْمَنْتَ
النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ ، وَجَوَّدَ بَنَانَكَ ، وَقَحَمَ

(١) سَخَبَانَ : رجل مشهور بفصاحته وبلاغته ، وهو من وائل .

(٢) أَغْيَا : عجز في منطقته وحججه ولم يستطع بيان مراده منه .. وباقِل : رجل من ربيعة ، يُضَرَّبُ به المثل
لِ الْفَهَاءَةِ وَالْقِيِّ ؛ وَبَلَغَ مِنْ عَيْهِ أَنَّهُ اشْتَرَى طَبِيبًا بِأَحَدِ عَشْرِ دِرْهَمًا ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ ، فَقَالُوا لَهُ : بِكُمِ اشْتَرَيْتَ الطَّبِيبَ ؟
فَلَمَّا بَدَا لَهُ وَقَلَ لِسَانَهُ ، يَرِيدُ : أَحَدِ عَشْرِ ، فَشَرَّهُ الطَّبِيبُ ، وَكَانَ تَحْتَ إِبْطِهِ .

(٣) لِي (م) : « عَزِيزَةٌ » .

(٤) لِي (م) : « وَيَسْتَفِيدُ مِنْكَ » بِسُقُوطِ « لَا » وَلَا يَسْتَفِيدُ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

(٥) لِي (م) : « مَنْ جَمَعَ » .

(٦) لَا يَرْزُوكَ : لَا يَصِيكُكَ يَرْزُو .

(٧) الذُّخْرُ : الْمُتَّخَذُ لَوَقْتِ الْحَاجَةِ .

(٨) عبارة الجاحظ : « وَيَنْعَمُ الْمُشْتَعْلُ وَالْحِرْقَةُ » بِالشَّيْنِ .

(٩) لِي (ط) : « جَلِيسٌ لَا يَضُرُّ بِكَ » وَلِي (م) : « لَا يَضُرُّكَ » . وَقَدْ سَقَطَتْ مِنْهَا كَلِمَةُ « جَلِيسٌ » قَبْلُهَا .

(١٠) الْحَضَرُ : الْمَكَانُ الَّذِي تَقِمْ فِيهِ .

الْفَاظَكَ . إِنَّ الْفَتْهُ خَلَدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ دَرَسْتُهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ ، وَإِنْ
حَمَلْتُهُ نَوْرَهُ ^(١) عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ ، يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَةِ ، وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي
مَجْلِسِ الْمُلُوكِ ، فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ ، وَأَعِزِّزْ بِهِ مِنْ مُرَافِقٍ . وَقَدْ قَالَ فِيهِ الْأَوَّلُ :

لَنَا جُلُوسَاءُ مَائِلٌ حَدِيثُهُمْ إِلَيَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا ^(٢)
يَفِيدُونَنَا مِنْ عَلَيْهِمْ عِلْمَ مَاضِي وَرَأْيَا وَتَأْذِينًا وَعَقْلًا مُسَدَّدًا ^(٣)
فَلَا يَنْتَهَى نَحْسِي وَلَا سُوءَ عِشْرِي وَلَا تَنْقُصُ مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا ^(٤)
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَمَا أَتَى كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتُ مُفْتَكِدًا ^(٥)

فَهَذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نُعْلِيَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَاصْنُبُوا إِنْ شِئْتُمْ أَنْفَاسَهُ ، إِنْ كَانَتْ الْأَنْفَاسُ
مِمَّا يُكْتَبُ ^(٦) .

تم الكتاب بحمد الله

(١) نَوْرُهُ : أَضَاءَهُ .

(٢) الْأَيَّامُ مِنَ الطَّوِيلِ .. وَالْيَئَاءُ : عُقْلَاءُ ، جَمْعُ كَيْبٍ .

(٣) مُسَدَّدًا ، أَيْ : مُسْتَقِيمًا مَوْفِقًا .. وَفِي « م » : « وَعَقْلًا وَسَوَدَّدًا » .. وَالسُّودَدُ : الْجِدُّ وَالشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .

(٤) لِي « ط » : « بَلَاغَةً » .. وَفِي « م » : « فَلَاحِشَةً » .. وَفِي « ط » : « تَنْقُصُ » ، بِالتَّاءِ .

(٥) فَلَسْتُ مُفْتَكِدًا : لَسْتُ مُخْطِئًا .

(٦) لِي « م » : « لِكُتُبٍ » .

١ فهرس الكتاب ، (٥)

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس القوافي .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس الأماكن والبلاد والبقاع .
- ٦ - فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف .
- ٧ - مراجع التحقيق والتعليق .
- ٨ - فهرس المحتويات .

(١)
 فهرس القرآن الكريم ،

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾	٢٤	البقرة	٦٣١
﴿ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾	٣١	البقرة	٢٦٧
﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾	٥٦	البقرة	٤٢٥
﴿ قتلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ويريكهم آياته لعلكم تعقلون * ثم قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٣ ، ٧٤	البقرة	٣١
﴿ وقولوا للناس حسبنا ﴾	٨٣	البقرة	٥٨٣
﴿ وإذا ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات فآمنه ﴾	١٢٤	البقرة	٣٩٢
﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٣	البقرة	٣٩٢
﴿ أولئك يلعنهم اللَّهُ ويلعنهم اللاعنون ﴾	١٥٩	البقرة	٥٩٧
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦٤	البقرة	٤٢٩
﴿ ولكم في القصص حياة يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾	١٧٩	البقرة	٦٢٢
﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢
﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾	٢٥٥	البقرة	٢٦٥
﴿ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٣٩
﴿ ... الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت ... ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٤٠ ، ٦٣٩
﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾	١٨	آل عمران	٢١٦
﴿ يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضراً وما علمت من سوء تؤذ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾	٣٠	آل عمران	١١
﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم ﴾	١٠١	آل عمران	٢٤٢
﴿ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾	١٢٣	آل عمران	٤٢٥
﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾	١٣٤	آل عمران	٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٤٩
﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾	١٥٥	آل عمران	٦٩١
﴿ فيها رحمة من الله لئن تم لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾	١٥٩	آل عمران	٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَاَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾	١٧٤	آل عمران	٧٦١
﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٨٠	آل عمران	٣٨٦ ، ٥٩٤
﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٩٠	آل عمران	٤٢٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٢٠٠	آل عمران	٣٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	٥٩	النساء	٢٤٥
﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾	٧٧	النساء	١٧
﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِّلنَّحْتِ ﴾	٤٢	المائدة	٦١٢ ، ٦٢١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	٤٤	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٤٥	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	٤٧	المائدة	٥٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	المائدة	٥٤٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الدِّينِ أُولَئِكَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ مِنْ			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿	٥٧	المائدة	٥٤٦
﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾	٦٦	المائدة	٤٣٢
﴿ قد نعلم إنه ليخزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾	٣٣	الأنعام	٣٩٠، ٣٩١
﴿ وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يُحشرون ﴾	٣٨	الأنعام	٤٤٣، ٤٢٨، ٦٣٢
﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾	٤١	الأنعام	٤٣٣
من قوله تعالى : ﴿ فلما جنَّ عليه الليل ... ﴾	٨١ - ٧٦	الأنعام	٦٣٧، ٦٣٨
إلى قوله : ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾			
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ﴾	١١٢	الأنعام	٧٥٧
﴿ وكذلك نُؤَلِّي بعض الظالمين بعضًا ﴾	١٢٩	الأنعام	٤٦٧
﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾	١٦٠	الأنعام	٣٠٨
﴿ ولا تُزِرُّ وزرًا وُزِّرَ أخرى ﴾	١٦٤	الأنعام	٦٢٣
﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾	٥٤	الأعراف	٧
﴿ ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾	٧٩	الأعراف	٣٢٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ ﴿ وقت كلمة ربك الحُسنَى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ ﴿ رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ ﴿ نَحْذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون • وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ﴿ فشرّدْ بهم مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم	٩٣	الأعراف	٣٢٥
	١٣٧	الأعراف	٥١٣
	١٣٧	الأعراف	٤٠٣، ٣٩٠
	١٤٦	الأعراف	٢٣٤
	١٥١	الأعراف	٦٠٦
	١٨٢	الأعراف	٥٠٥
	١٩٩	الأعراف	٣٠٩، ٣٠٥ ٥٧٥
	٢٥	الأنفال	١٨٩
	٤٥ ، ٤٦	الأنفال	٧٠٣، ٦٩٠
	٥٧	الأنفال	٣١٤
	٦٠	الأنفال	٦٧٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولیم مدبرین ﴾	٢٥	التوبة	٦٩٨
﴿ ولا ینفعکم نصحی إن أردت أن أنصح لکم إن کان الله یرید أن یغویکم ﴾	٣٤	هود	٣٢٥
﴿ إن تسخروا منا فإنا نسیخرونکم كما تسخرون ﴾	٣٨	هود	٧٦٤
﴿ إن إبراهیم لحلیم آواه منیب ﴾	٧٥	هود	٣٣٢
﴿ وكذلك أخذ ربک إذا أخذ القرى وهی ظالمة إن أخذہ أليم شدید ﴾	١٠٢	هود	٥٩٥
﴿ یا بنی لا تقصص رؤیاک علی إخوانک فیکیدوا لک کیدًا ﴾	٥	یوسف	٤١٣
﴿ اجعلنی علی خزائن الأرض إنی حفیظ علیم ﴾	٥٥	یوسف	٥١٠، ١٨١، ٥٦٢
﴿ ربّ قد آتیتنی مِنَ الْمُلْکِ وَعَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِی الدُّنْیَا وَالْآخِرَةِ ، تَوْفِیْ مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِی بِالصَّالِحِينَ ﴾	١٠١	یوسف	٦٤٥
﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخِفُّ بِاللَّیْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾	١٠	الرعد	٣
﴿ إن الله لا یغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بأنفسهم ﴾	١١	الرعد	٤٣٢
﴿ سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار ﴾	٢٤	الرعد	٣٩١
﴿ لئن شکرتم لأزیدنکم ﴾	٧	إبراهیم	٤٣٣، ٤٣١
﴿ یدعوکم لیغفر لکم ﴾	١٠	إبراهیم	٤٤١
﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾	٣٤	إبراهیم	٤٣٤
﴿ ربنا إلی أسکت من ذریعتی بواوٍ غیر ذی زرع عند بیتک المُحَرَّمِ ﴾	٣٧	إبراهیم	٦٣٥
﴿ ولا تحسبن الله غافلًا عما یعمل الظالمون ﴾	٤٢	إبراهیم	٥٩٢، ٥٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فاصفح الصفيح الجميل ﴾	٨٥	الحجّير	٣٣٢
﴿ قُورِك لِنَسْأَلَنَهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٣، ٩٢	الحجّير	١٤٧، ١٩
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	الحجّير	٣٩٠
﴿ وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾	١٨	النحل	٤٣٤
﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	٥٣	النحل	٤٢٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾	٩٠	النحل	٣٠٧، ٢١٣
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾	١٠٥	النحل	٢٣٦
﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتِبَاءً ﴾	١٢١	النحل	٤٤٠
﴿ وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَاقْبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾	١٢٦	النحل	٣٠٦
﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	١٢٧	النحل	٤٠٤، ٤٠٣
﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	٣	الإسراء	٤٤٠
﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	الإسراء	٤٤٠
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	١٥	الإسراء	٦٢٣
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	الإسراء	٦٣٠
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	١٦	الإسراء	٥٩٦
﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾	١٨	الإسراء	٤٣٣
﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعُفَ الْحَيَاةُ وَضَعُفَ الْمَمَاتُ ﴾	٧٥، ٧٤	الإسراء	٥٨٩
﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾	٨٤	الإسراء	٤٥٢
﴿ وَاذْكُرْ رِبْكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	٢٤	الكهف	٣٥٤
﴿ وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشَى ﴾	٢٨	الكهف	٣٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ﴾	٣٩	الكهف	٧٦١
﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشدا ﴾	٦٦	الكهف	٢٦٧
﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾	٧٨	الكهف	١٩٦
﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾	٨٢	الكهف	٧١٧
﴿ وهزى إليك بجذع النخلة ﴾	٢٥	مريم	٧٠٩
﴿ ولم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا ﴾	٧٤	مريم	٢٤
﴿ هل نحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾	٩٨	مريم	٢٤
﴿ إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إلى آنست نارا لعلى آتاكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى ﴾	١٠	طه	٦٦٣
﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي ﴾	٢٩	طه	٢٨٧
﴿ اشدد به أزري • وأشرکه في أمري ﴾	٣٢، ٣١	طه	٢٨٧
﴿ كي نسبحك كثيرا • ونذكرك كثيرا ﴾	٣٤، ٣٣	طه	٢٨٧
﴿ وقل رب زدني علما ﴾	١١٤	طه	٢٦٧
﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾	٤٧	الأنبياء	١٩ ، ١٤٧
﴿ قالوا من فعل هذا بالهتأ إنه لمن الظالمين • قالوا سمعنا ففى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾	٦٠، ٥٩	الأنبياء	٦٣٩
﴿ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا آنت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم • قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون • فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾	٦٤-٦١	الأنبياء	٦٣٩
﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿	٦٥ - ٦٧	الأنبياء	٦٣٩
﴿ مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴿	٨٣	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ﴿	٨٤	الأنبياء	٧٦١
﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿	٨٧	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ﴿	٨٨	الأنبياء	٧٦١
﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴿	٤٠	الحج	١٦٠
﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴿	٤١	الحج	١٦٠
﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿	٦ ، ٥	المؤمنون	٤٣٠
﴿ وليعلموا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴿	٢٢	النور	٣٠٦
﴿ يا ويلتنا ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان			
للإنسان خذولاً ﴿	٢٨ ، ٢٩	الفرقان	٢٩٦
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ﴿	٣١	الفرقان	٧٥٧
﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ﴿	٥٧	الفرقان	٢٣٧
﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴿	٥٨	الفرقان	٧١٢
﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴿	٦٢	الفرقان	٤٢٩
﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴿	٢٠٥ - ٢٠٧	الشعراء	١٠٥
﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴿	٢١٥	الشعراء	٢٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢١٦	الشعراء	٣٠٣
﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾	٤٠	التعل	١٤٧، ١٤٩، ٤٤٠، ٤٢٣
﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾	٥٢	التعل	٥٩٢
﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	التعل	٦٣٣
﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾	٧٨	القصص	٤٢٤
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾	٨١	القصص	٤٢٤
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٨٣	القصص	٢٣٤
﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَحْمِلُهَا ﴾	١٣	العنكبوت	٦٢٣
﴿ أَتُنْكُمُ الدَّارَاتِ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ وَلَكُمْ فِيهَا حَيَاةٌ وَلَكُمْ فِيهَا رِزْقٌ فَاسْتَغْنُوا أُولَٰئِكَ يَكُونُ لَكُمْ سُبُلٌ مَّا لَا تُفَكِّرُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ طُفِّلُوا بِرِزْقٍ كَثِيرٍ فَوَدَّعَوْهُ	٢٩	العنكبوت	٦٠٧
﴿ يَكُونُ لَكُمْ سُبُلٌ مَّا لَا تُفَكِّرُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ طُفِّلُوا بِرِزْقٍ كَثِيرٍ فَوَدَّعَوْهُ	٦٤	العنكبوت	١٨
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	العنكبوت	٧١٩، ٢٤١
﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٧	لقمان	٤٠٤
﴿ وَأَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهرَةً وَبَاطِنَةً ﴾	٢٠	لقمان	٥٨٦
﴿ وَجَلَعْنَا مِنْهُمُ أُتَمَّةً يَهُودُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾	٢٤	السجدة	٣٩٠
﴿ أَشْجَعًا عَلَى الْحَرِّ أَوْلَكُ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾	١٩	الأحزاب	٣٨٧، ٣٨٦
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾	٤٦	الأحزاب	٧
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	الأحزاب	١٧٦
﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾	١٣	سبأ	٤٢٨، ١٤٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾	١٨	فاطر	٦٢٣
﴿ ومن تركني فإنيما يتزكى لنفسه ﴾	١٨	فاطر	٤٤٠
﴿ فنظر نظرة في النجوم • فقالت إني سقيم • فقولوا عنه مدبرين • فراغ إلى آلتهم فقال ألا تأكلون • مالكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾	٨٨-٩٣	الصافات	٦٣٨
﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾	١٠١	الصافات	٣٣٤
﴿ يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى • قال يابئ أفعل ماثوّم ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾	١٠٢	الصافات	٣٣٣، ٣٢٠، ٣٢٤
﴿ يا إبراهيم • قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين • إن هذا هو البلاء المبين • وفديناه بذبح عظيم ﴾	١٠٤-١٠٧	الصافات	٦٤٤
﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾	٢٦	ص	١٥٩ ، ١٥١
﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾	٢٩	ص	٣٢٦
﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾	٣٥	ص	١٧٨، ١٧٩ ، ١٨٠، ١٨١
﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾	٣٦	ص	١٨ ، ١٧٩
﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾	٣٩	ص	١٩، ١٤٧ ، ١٧٨، ٤٢٤
﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾	٤٤	ص	٣٩٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا تنزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾	٧	الزمر	٦٢٣
﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	الزمر	٣٩٧، ٣٩٠
			٤٠٣
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٣	الزمر	٥٢٢
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾	٧٤	الزمر	٤٢٧
﴿ وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾	٤٤	غافر	٧٦١
﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا ﴾	٤٥	غافر	٧٦١
﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	غافر	٤٣٣، ٤٣١
﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾	٣٤	فُصِّلَتْ	٣٠٧
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١	الشورى	٧
﴿ وَمَنْ كَانَ يَرْهَبْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾	٢٠	الشورى	٤٣٣
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُنُطُوا ﴾	٢٨	الشورى	٦٣٣
﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	الشورى	٣٠٦
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾	٤٠	الشورى	٣٠٧
﴿ وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾	٤١	الشورى	٣٠٦
﴿ وَلَنْ صَبِرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ عِزُّ الْأُمُورِ ﴾	٤٣	الشورى	٣٠٦
﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٣٢	الزخرف	١٢١
﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٥١	الزخرف	٥٠٩
﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	الزخرف	٢٩٦
﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكْهِنَ ﴾	٢٧-٢٥	الدخان	٥٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾	٢١	الجاثية ٨٥	
﴿ نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾	٢٤	الجاثية ٤٥١	
﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾	٢٠	الأحقاف ٥٣٦ ، ٥٣٩	
﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾	٣٥	الأحقاف ٣٠٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم يثبت أقدامكم ﴾	٧	محمد ٦٩٠ ، ٦٩١	
﴿ ولتقرّ قنّهم في لحن القول ﴾	٣٠	محمد ١١٨	
﴿ ومن يخل فإنما يخل عن نفسه ﴾	٣٨	محمد ٣٨٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾	٦	الحجرات ٦١٢	
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢١	الذاريات ٢٧٤	
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾	٥٦-٥٨	الذاريات ١٢٦	
﴿ الرّحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان ﴾	٤-١	الرّحمن ٦٢٠	
﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾	٣	الحديد ٧	
﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾	١٦	الحديد ٢٢	
﴿ اعملوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ولى الآخرة عذاب شديد ﴿	٢٠	الحديد	٤٥، ١٨
﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴿	١١	المجادلة	٢١٧
﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿	٩	الحشر	٣٦١، ٣٦٠
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	٩	الحشر	٣٨٧، ٤٦٢
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	١٦	التغابن	٣٨٧، ٣٦٢
﴿ ولقدوها للناس والحجارة ﴿	٦	التحريم	٦٣١
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿	١٤	المُلْك	٣
﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿	٤	القلم	٥٧٦، ٥٧٤
﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿	٩	القلم	٥٨٩، ٥٨٨
﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَازِمْ مَشَاءَ بَنِيهِمْ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿	١٠-١٣	القلم	٦٠٩
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِ لَهُمْ إِنْ كِيدَىٰ مَتِينٍ ﴿	٤٤، ٤٥	القلم	٥٠٥، ٤٢٣
﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿	٥	المعارج	٤٠٩
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿	٢٩، ٣٠	المعارج	٤٣٠
﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴿	١٠-١٢	نوح	٤٣٢
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿	٤	المدثر	٥٨٤
﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿	٥	التكوير	٦٢٨
﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿	١٤	المطففين	٣١، ١٧
﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ .. ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿	١ - ١٤	الفجر	١٢٨، ١٢٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	الضحى	٤٢٦
﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٦	الشرح	٦٣٣
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	٨ ، ٧	الزلزلة	٢٩

(٢)

فهرس الأحاديث النبوية ،
حرف الألف - همزة ،

الصفحة

مطلع الحديث

- آدَمَ الله بينكما.. [قاله ﷺ لرجلَيْن متباغضَيْن] ٥٨٠
- أبشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك .. [قاله ﷺ لكعب بن مالك ...] ٦٣٧
- أبشروا فقد جاءكم اليسر ٦٣٣
- ابن آدم ، إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت ٣٦٢
- أتدرون من المُفلس ؟ ٦٢٦
- أترون هذا هان على أهله ؟ ... [قاله ﷺ حينما رأى طَلاً مذبحاً بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه] ٢٠
- اتقوا الشح ٣٨٦
- اتقوا دعوة المظلوم ٥٩٣
- اتقى الله واصبري .. [قاله ﷺ لامرأة كانت تبكى عند قبر] ٣٩٣
- أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا ٧٢٢
- احشوا في وجوه المذبحين التراب ٥٥٥
- إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ غَمَ التَّفَتِ فَهِيَ أَمَانَةٌ ٤١٨
- إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَلْيَجْلِسْ ٥٨١
- إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنْفَى بِالْوَالِي ١٦٤
- أَرَأَيْتُمْ سَلِيمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ١٨٠
- أَرْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمَشْرِكٍ ... [قاله ﷺ لرجل من المشركين] ٥٤٦
- أَرْحَمُ تَرْحَمَ ٣٠٩
- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ٣٠٩
- استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان ٤١٣
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة الإمام الجائر ١٦٧
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي ١٧٣
- اشكروا لِمَنْ أَنْتَى عَلَيْكُمْ ٣٨١

- اطلع في القبور ... [قال ﷺ لرجل شكاً إليه القسوة] ٣٥٤
- اعقل يا أبا ذرٍّ ما أقول لك ١٧٣
- أفضل الناس أعقل الناس ٢٨٠
- أفلا أكون عبداً شكوراً ٤٢٩
- اقلوا الوزغ ٦٣٠
- أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم ٣٣٥
- ألا أخبركم بشراركم ؟ ٦١٣
- ألا أدلكم على ما يحبط الله به الخطايا ؟ ٣٩٢
- ألا أهلك الدنيا جميعاً بما فيها ؟ ٢١
- ألا إن القوة الرمي ٦٧٨
- ألا كلكم راجع ١٦١
- اللّهُمَّ إني أعوذ بك من شح نفسي ٣٨٦
- اللّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ٩٣
- آمري يا رسول الله ١٦٦، ١٦٣
- إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ٤٠٤
- أنا حبيب المظلوم ٥٣٠
- إنا لا نستعمل على عملنا من أراده ٥٦٠، ٢١١
- انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال ٦٢٨
- انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة ٤٠١
- أنزل الداء الذى أنزل الدواء ٧٠٨
- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥٩٥
- انظر إليها ... [قاله ﷺ لرجل أراد أن يتزوج امرأة] ٥٨٠
- أتهاك عن الشرك بالله والكبر ... [قاله ﷺ لعمه العباس] ٢٣٢
- إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه ١٥٢

مطلع الحديث

الصفحة

- إِنَّ الْجِسَلَ - ولد الضب - تموت بذنب ابن آدم ٥٩٧
- إِنَّ الْحَشْرَاتِ تَمُوتُ فِي أَجْحَرِهَا مُرَّالاً بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ ٢٠٧
- إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٣٢٥، ٢١٦
- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ ٣٢٥
- إِنَّ عَفْرِيئاً مِنَ الْجَنِّ جَعَلَ يَتَفَلَّتُ عَلَى الْبَارِحَةِ ١٨٠
- إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ٥٢٨
- إِنَّ قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ يُبْعَثُ أُمّةً وَحْدَهُ ٧٩
- إِنَّ الْقَاضِيَ يَزُلُ فِي مَزَلَّةٍ أَبَدٍ مِنْ عَدَنِ فِي جَهَنَّمَ ١٦٨
- إِنَّكُمْ سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ١٦٣، ١٦٢
- إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةَ ٤٦٣
- إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ .. [قَالَ ﷺ لَعَلَّ بَنِي طَالِبٍ] ١٧٥
- إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ جَبَّاراً ١٢٩
- إِنَّ اللَّهَ لَيَزْعُ بِالْسلْطَانِ مَا لَمْ يَزْعُ بِالْقُرْآنِ ٢٥٢
- إِنَّ اللَّهَ لَيُجْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِقْهُ ٥٩٥
- إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الدِّينَ يَعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ٦٠٢
- إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً ٥٧٦
- إِنَّمَا يُبْعَثُ رَحْمَةً وَلَمْ يُبْعَثْ عَذَاباً ٥٨٥
- إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ٣٩٣
- أَوَّلُ مَا تَأْخُذُ النِّسَاءُ التُّطْقُ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ٦٣٤
- أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ ٦٢٢
- أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ ٢٠٩
- أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ ؟ ٧٥
- أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوَّرُ ٩٥

(حرف الباء)

- باهتُ النبي ﷺ على السمع والطاعة ٣٢٨
 • يَايَعْنَا النبي عليه السلام ٤٦٢
 • برئ من الشح من أدى الزكاة ٣٨٨
 • بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق ٥٧٥

(حرف التاء)

- تجدون من خير الناس ١٦٤

(حرف الناء)

- ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم ١٨٢
 • ثلاث لا يُغْلُ عليهن قلب مسلم ٣٢٧

(حرف الجيم)

- جاء رجل إلى النبي فقال : إني جائع ٣٦٠
 • الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع ٦١٥

(حرف الحاء)

- الحرب تُخدعة ٦٨٩
 • حَسَنُ خُلُقِكَ للناس يأْمَعَاذ ٥٧٦

(حرف الخاء)

- خير الأمور أوساطها ٢٨٦
 • خير المال سكة مأبورة ٥٩٦

« حرف الدال »

• دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله ١٦٩

« حرف الذال »

• ذلك الأحق المطاع... [قاله ﷺ في الأقرع بن حابس التميمي] ٢٣٤

« حرف الراء »

• رأس العقل - بعد الإيمان بالله - التودد إلى الناس ٥٨٨

• رأى عيسى - عليه السلام رجلاً يسرق ٥٨٤

• رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرُ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْتِيَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ٦٤٨

« حرف السين »

• سئل ﷺ عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة ٣٩٤

• سئل ﷺ عن الشؤم فقال : سوء الخلق ٥٨٥، ٥٨٤

• ساقى القوم آخرهم شرباً ١٩٥

• سبعة يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةٍ ١٨٣

• السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ٣٦٢

• السلطان ظل الله في أرضه ١٨٣

• سيأتيكم رَكْبٌ مَبْعُوثُونَ ٤٦٣

« حرف الشين »

• الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده ٦٦٩

« حرف الصاد »

• الصبر ستر من الكرب وعون على الخطوب ٣٩٦

- الصبر ضياء ، وبالصبر يتوقع الفرج ٣٩٦
 • صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي ١٦٩
 • صنفان من أهل النار لم أرهما ٥٩٥

(حرف الضاد)

- ضرب موسى الحَجَر الذي فُر بثوبه ٦٣١

(حرف الطاء)

- الظلم ظلمات يوم القيامة ٥٩٣

(حرف العين)

- العرفاء في النار ١٦٧
 • العقل حيث كان ألوف مألوف ٢٨٠

(حرف القاف)

- قد أودى موسى بأكثر من هذا فصير ٣٩٣
 • القضية ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة ١٧٦، ١٧٠
 • قطعت ظهر أخيك .. [قاله ﷺ حينما سمع رجلاً يمدح رجلاً] ٥٥٥
 • القلب كالكف ، فإذا أذنب العبد انقبض ٣١

(حرف الكاف)

- كان النبي ﷺ في غزوة فأمرهم بالنزول ٢١٠
 • كأتى بك قد لبست ميوارى كسرى .. [قاله ﷺ لسراقة بن مالك] ٥٠٥
 • كن في الدنيا كأنك غريب ١١٥

مطلع الحديث

الصفحة

• كيف رأيت الإمارة أبا معبد؟ .. [قال ﷺ للمقداد بن عمرو] ٥٦٧

(حرف اللام)

• لا تُسَبِّحْني عنه - أى : لا تخفنى عنه .. [قاله ﷺ لعائشة رضى

الله عنها عندما سُرِقَتْ لها ملحفة فجعلت تدعو على مَنْ أخْلَعَهَا] ٤٦٥

• لا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رِقْبَتِهِ بِعَمَلٍ لَهُ رِغَاءٌ ٦٢٨

• لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ٣٢٨

• لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ثَقَاتٌ - أَوْ نِثَامٌ ٦١٣

• لَتَوُودُنَّ الْحَقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦٢٨

• لَتَعْمَلُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ فِي رِعْيَتِهِ يَوْمًا أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ ١٨٤

• لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ٥٧٨

• لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ٥٥٢

• لَوْ أَطْلَعْتَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ

مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ٥٢٩

• لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ٧١٠

• لَوْ جِئْتَنِي بِمَالٍ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ٥٠٦

• لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مِنْ رَدِّهِ ٤٣٢

• لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَوْذِهِ ٧٥٨

• لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِيزُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ١٩

• لَوْلَا الْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ٦٢٥

• لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ١٢٣

• لَيْسَ مِنْ وَالِيٍّ وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَثُوقِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٦٧

• لَيُؤَدُّنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرْيَا وَلَمْ يَكُونُوا أَمْراءَ عَلَى شَيْءٍ ... ١٦٩

(حرف الميم)

• مَا أَزْدَادَ رَجُلٌ بِعَفْوٍ إِلَّا عَزَا ٣٥٥

- ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا لي . ٥٦٩
- ما بعث الله نبيًّا ولا استخلف خليفة إلا كانت له بطانتان ٢٨٨
- ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ؟ ٥٠١
- ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ٥٩٧
- ما لكم ولأمرائي ؟ لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ١٩٥
- ما من امرئ يلى أمر المسلمين ١٦١
- ما من أمير يؤمّر على عشرة ١٦٩
- ما من عبد يسترعيه الله تعالى ١٦١
- مانع الزكاة يجيء ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه ويقول : أنا مالك .. أنا كنزك ٥٩٤
- ما هذا يا جبريل ؟ ٥٧٥
- ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ٣٩٢
- المؤمن ألف مألوف ٥٨٠
- مثل ابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء ١٠٤
- المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ١٤٣
- مر النبي ﷺ بقرين فقال : إنهما ليعذبان ٦١٤
- مطّل الغنى ظلم ٥٩٥
- ملعون ذو الوجهين ٦١٣
- من استرق أو اكسب فقد برى من التوكل ٧٠٨
- من أشرط الساعة أن تكون الزكاة مفرمًا ٢١٢
- من أصبح غاشًا لرعيته لم يَرْخ راحة الجنة ١٢٦
- من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار ٥٩٧
- من التمس رضا الناس بسخط الله ١٠٧
- من جمل قاضيًا ١٧١

مطلع الحديث

الصفحة

* من شفع لأخيه شفاعاً فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى باباً

عظيماً من أبواب الربا ٥٦٩

* من ظلم من الأرض شيئاً طُوقه من سبع أرضين ٥٩٤

* من قَدِمَ إلى القضاء فقد ذُبِحَ بغير سكين ١٧٥، ١٧١

* من كانت لأخيه عنده مظلمة فليتحلله منها ٦٢٢، ٥٩٤

* من كانت له عندي مظلمة فليأت ٦٢٣

* مَنْ كَرِهَ من أموره شيئاً ٤٦٣

* من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ٤٢٦

* من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً ١٦٤

حرف النون

* نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عن كلام كعب بن مالك ومراة بن الربيع وهلال بن

أمية ٦٣٦

حرف الواو

* وَجِبَتْ حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَلِمَ ٣٣٣

حرف الياء

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّمَا أَمَانَةٌ ١٧٤

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَحْبَبْتُ لَكَ مَا أَحْبَبْتُ لِنَفْسِي ١٧٤

* يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، هَذِهِ الرِّعَاسُ كَانَتْ تَحْرُسُ عَلَى الدُّنْيَا كَحِرْصِكُمْ ٢١

* يَا بَنَةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرْنِي أَتَعْبُدُ لِرَبِّي ٤٢٨

* يَا جَبْرِيلَ ، مَا هَذَا ؟ ٣٠٥

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ ٧٠٧

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَعْمِلْنِي ٥٦٠، ٢١١

- يا رسول الله ، ختر لي - أو اختر لي ٥٧١، ١٦٩
- يا رسول الله ، أي المؤمنين أفضل ؟ ٥٧٥
- يا رسول الله ، علمني كلمات أعيش بهن ٣٣٢
- يا عباس يا عم النبي ، نفس تحبها خير من إمارة لا تحسبها ١٦٦، ١٢٦
- يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ٥٩٢
- يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ١٦١
- يا عبد الله ، كن في الدنيا كأنك غريب ٢٢
- يا عمر ، ما آتاك الله من هذا المال ٥٤٠
- يا عويمر ، ازدد عقلًا تزدد من ربك قربة ٢٨٢
- يا محمد ، إن الله يقول لك : عش ما شئت ٢٠
- يا محمد ، ما هذه الجريدة بيدك ؟ ١٢٩
- يا محمد ، مر لي من مال الله الذي آتاك ٥٧٦
- يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة ١٦٨
- يحيى الظالم يوم القيامة ٦٠٢
- يخلص المؤمنون من النار ٦٢٣
- اليد العليا خير من اليد السفلى ٣٧٦
- يرحم الله أم إسماعيل ٦٣٦
- يُسئل العود لم يحدش العود ٦٢٩
- يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم ٦٠١
- يقول الله تعالى يوم القيامة : أنا ظالم إن فاتني ظلم ظالم ٦٢٤
- يقول الله تعالى : أنا والجن والإنس في نبي عظيم ٤٢٨
- ينادي مُنادٍ يوم القيامة : من كان له على الله أجر فليقم ٣٠٨

(٣)
(فهرس القوافي)

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
(قافية الهمزة)				
قل ما بدا لك	صمَاء	البسيط	١	٣٤٣
وراعى	رعاء	الوافر	١	١٦١
رأيت الحرب	براء	الوافر	١	٦٨٩
(قافية الباء)				
أَلَمْ تَر	الرُّطْبُ	الطويل	٢	٧١٠، ٧٠٩
طُبِعَتْ	المُهَذَّبَا	الطويل	٣	٧١٥
أَقُولُ	تذهبُ	الطويل	٢	٥٠
وَعُوْضَتْ	يذهبُ	الطويل	١	٤٠٠
وما سُمِّيَ	يتقلبُ	الطويل	١	٧٢٣
يُحِبُّ	طالِبُهُ	الطويل	١	٧١٤
أَلَمْ تَر	التجاربِ	الطويل	١	٢٧٨
ومن يرهط	الكلبِ	الطويل	١	٥٦٨
ولا تياسنَ	حيبِ	الطويل	١	٧٢٣
يَقْدُ	المُحِبِّاجِ	الطويل	١	٦٧٦
بالله ربِّك	والطَّرِبِ	البسيط	٢	٨١
إذا غدا	الحربِ	البسيط	٢	٤٧٢
لما رأيتُ	بالعقابِ	مخلع البسيط	٢	٣١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وراعى	ذئابُ	الوافر	١	٢١١
نعم	مصائبُ	الكامل	١	٤٣٥
كم للحوادث	بنوائبُ	الكامل	٣	٩٧، ٩٦
جمع الشجاعة	المحاربُ	الكامل	١	٦٦٩
ولقد مررتُ	نهبُ	الكامل المرفل	٣	١٠٣
إن الهدية	القلوبنا	مجزوء الكامل المرفل	٣	٥٧٢
يا مَلِكُ	واجبُ	السريع	٢	٢٩١
لا تُرْجُ	العيبُ	السريع	١	٢٠٤
ما كل مكتوم	جوالبه	السريع	٤	٤٢٢
لا تُحْقِرَنَّ	شبيبُ	المجث	١	٢٥٧
إذا ما تحلا	كعابُ	المتقارب	٥	٧٨٣

« قافية التاء »

وعظمتك	تُحَفَّتْ	مجزوء الكامل	٥	٤٨
إن يكن	وَجَلَّتْ	الخفيف	٤	٦٣٤
نضر الله	الطللحات	الخفيف	١	٣٦٦

« قافية الشاء »

ولا شيء	حديثُ	الوافر	١	٥١٨
---------	-------	--------	---	-----

« قافية الجيم »

كدودُ	ناسجةُ	الطويل	١	٩٦
إن الأمور	ارتججا	البسيط	٣	٤٠١
من كان يعلم	مفرجةُ	البسيط	٤	٦١
أيها العبدُ	راج	الخفيف	٤	٦٦٣

صدر البيت قافيته بحره عدد الأبيات الصفحة

(قافية الحاء)

٣٢٩	١	مجزوء الكامل	النصوح	وعلى النصوح
٤٢٢، ٤٢١	٢	المتقارب	صحيحًا	ألم تر

(قافية الدال)

٣٧٩	٢	الطويل	غَدَا	ذنبى
٧٨٨	٤	الطويل	ومشهدًا	لنا جلساء
٣٨٢	٣	الطويل	واحد	وأنى امرؤ
٦١١	١	الطويل	الفرْدُ	وأنت زيم
٧٨٣	٥	الطويل	الوجد	سمير
٣٣٠	٣	البسيط	أحد	لقد نصحت
٤٧٥، ٢٣٦	١	البسيط	سأفوا	لا يصلح
٣٤٧	٢	البسيط	ثريد	أقول للنفس
٦٧٥	٢	البسيط	بادى	أبقى الحوادث
٨٤	٣	الوافر	الجديدا	لمن أبنى
٣٧٦	٢	الوافر	اقتصادى	ملأث
٢٥	٦	الوافر	وإد	مقيم
٤٨٢	١	الكامل	فيخمد	عذوى البليد
٣٦، ٣٥	٧	الكامل	الأعواد	ولقد علمت
٦٧	٣	الكامل	الحُدَّ	من كان
٢٧	٢	الرجز	تبيدى	ولقد سألت
٢٥٦	٢	السريع	السوددا	تفقّد
٢٧٩	١	الخفيف	شديد	أنفس
٥٩٨	٢	المتقارب	المعاد	إذا ما ممت

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات الصفحة
-----------	--------	------	--------------------

(قافية الراء)

ولا خير	يُكَدَّرَا	الطويل	٢	٣٥٠
تروح لك الدنيا	أُمُودُ	الطويل	٤	٧٣
فَقَى	كَيْثَرُ	الطويل	١	٢٣٣
إذا كان	الشكرُ	الطويل	٤	٤٢٦، ٤٢٥
سأشكرُ	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
إلهي	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
ألا فاسقني	الجهرُ	الطويل	٢	٤٧١
ومن يُنفق	الفقرُ	الطويل	١	٧٦٥
أيا منزلاً	ودُورُ	الطويل	١٤	٧٨٢، ٧٨١
فإن كنتُ	الدَّهْرُ	الطويل	١	٢٣
ننافسُ	الفقرُ	الطويل	٢	٧٣ ، ٧٢
فإن كنتُ	الأجرُ	الطويل	١	٣١٣
إذا طالَ	الصبرُ	الطويل	٢	٤٠٠
صبرْتُ	للصبرِ	الطويل	١	٤٠٦
صبرْتُ	السَّوْءُ	الطويل	٢	٤٠٨
رضيتُ	الأمرُ	الطويل	١	٤٠٨
سأصبرُ	صبري	الطويل	١	٤٠٨
تعودتُ	الصبرِ	الطويل	٣	٤١١
فأنفقُ	ثمنُ	الطويل	٢	٧٧٧
أحسنْتُ	القَدْرُ	البسيط	٢	٢٢
ولا أرى	أثرُ	البسيط	٢	٣٢
هَذِي منازلُ	خطرُ	البسيط	٢	١٠٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
بالملح	الغَيْرُ	البسيط	١	٢١١
إذا مرضنا	ففتحذُرُ	البسيط	١	٣١٣
يا مَنْ أَلَحَّ	الغَيْرُ	البسيط	٤	٤٠٢
ولو قدرْتُ	والخَيْرِ	البسيط	٢	٤١٥
عرضْتُ	مُرُّ	الوافر	٤	٣٢٩
ولو لَيْسَ	حمارِ	الوافر	١	٩
وإذا تُصَيِّكُ	لا يصيرُ	الكامل	١	٤٠٠
وإذا بَقِيَ	بالمكْرِ	الكامل	١	٣١٠
في الذاهبين	بصائرُ	مجزوء الكامل	٦	٧٧، ٧٦
قالوا	تفرُّ	مجزوء الكامل	٤	٧١٨
عِشْ ما بَدَا لَكَ	القصورِ	مجزوء الكامل	٤	٦٦
لن ترجع	زاجرُ	الرجز	١	٣٢
لن يُسَبِّقَ	طيارِ	الرجز	٢	٧١٦
فُصِّحَ	الأرزُ	الرَّمَلِ	١	٣٤٧
أَيُّهَا الرَّبْعُ	أثرا	الرمل	٣	٩٢
الناسُ	قَلْبِي	السريع	٢	١٢
صَابِرُ	صَبْرًا	الخفيف	١	٤٠٦
وتَبَيَّنَ	تدَكِيرُ	الخفيف	٦	٣٥، ٣٤
وإذا ما اعترتك	الاعتذارِ	الخفيف	١	٣٥٦
هِيَ الدَّارُ	الغَيْرُ	المقارب	٤	٣٠
فلا تُحْفَرَنَّ	قَصْرُ	المقارب	٢	٦٧٧
فلو كان	الناظرُ	المقارب	٣	٤٤٢
دع الدُّمَرُ	أوطارِهِ	المقارب	٣	٤٠٦، ٤٠٥

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
إذا ما خلوت	دخري	المقارب	٨	٧٨٤
(قافية الزاي)				
زَرَرْنَا	أَجَوَزُ	الطويل	١	٣٥٦
لن عجزت	عاجزُ	الطويل	٢	٤٤١
(قافية السين)				
ومستودعي	الحسُ	الطويل	٢	٤١٦
رُبَّ مغروس	مفتربة	المديد	٢	٧٢
أنسُ	أنيس	الوافر	٦	٧٨٦، ٧٨٥
إن صَجَبْنَا	الجليس	الخفيف	٥	٧٨٥
(قافية الشين)				
فلا تنطق	فاشي	الوافر	١	٤٢٠
(قافية العين)				
لَعَمْرِي	جائما	الطويل	٣	٣٨٣
أها جعفر	واقع	الطويل	٢	٨٣ ، ٨٢
وَمَنْ يَأْمَنُ	الأصابع	الطويل	١	١٠٣
ومعصية	استماعا	الوافر	٢	٣٣٠، ٣٢٩
تعصى	بديع	الكامل	٣	١٥٤
ذئب	ركع	مجزوء الكامل	٣	٤٤٧، ٢١٢
إنما أجزعُ	والجزع	الرمل	١	٤٠٤
وأنت	المطاع	المقارب	٢	٢٩٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
-----------	--------	------	-------------	--------

(قافية الفاء)

وَيَتَنَا نَسُوسُ	نَنصَفُ	الطويل	٢	٦١
لَا تَيْحَلَنَّ	وَالسَّرَفُ	البسيط	٢	٧٧٧
لَا الْفَقْرُ	سَرَفُ	المسرّح	٢	٣٦٦
وَسِرْكُ	الْخَفِيُّ	المقارب	١	٤٢٠

(قافية القاف)

فَقُلْ	وَأَعْتَقِي	الطويل	٣	٣٤٣
إِذَا ضَاقَ	أَصْبَقِي	الطويل	١	٤١٩
قِفْ بِالْدِيَارِ	تَشَوْقًا	الكامل	٣	٩٢ ، ٩١
وَمِنَ الرِّزِيَةِ	نَاطِقِ	الكامل	٢	٤٣٨
إِنَّ الْبِلَاءَ	مُطَاقِ	الكامل	١	٤١١
لَا تُكْثِرْ	الْمُخْلُوقِ	الرجز المشطور	١	٤٠٩
مَا زِلْتُ	عَلِقِي	المسرّح	٢	٣١١ ، ٣١٠
قُلْتُ	الْأَفَاقِ	الخفيف	٥	٥١ ، ٥٠

(قافية اللام)

إِذَا لَمْ يَكُنْ	طِفْلًا	الطويل	٣	٢٦٦
إِذَا طَالَ	عَقْلًا	الطويل	١	٢٧٨
إِلَهِي	أَفْلًا	الطويل	٢	٤٣٧
سَوَّاسَ	فَضْلًا	الطويل	١	٤٧٥
أَرَى	عَلِيلُ	الطويل	٣	٤٩
نَسِيرُ	مَرَّاحِلُ	الطويل	٤	٥٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
كأني	منازلة	الطويل	٢	٨٢، ٨٠
أثبني	قليل	الطويل	٢	١٠٢
تعلم	جاهل	الطويل	٢	١٤٠
إذا راب	مفاصل	الطويل	٢	٣٠٣
إذا أنت	جاهل	الطويل	١	٣٤٥
وأميرة	سبيل	الطويل	٤	٣٨٢، ٣٨١
سأسكت	فلول	الطويل	٣	٤٠٥
ويعني	علي	الطويل	٢	٤٠٦
تعر	معرول	الطويل	٨	٤١٢، ٤١١
ألا أيها الموت	خليل	الطويل	٢	٤٩
يسود	توفيل	الطويل	١	٣٣٨
وجهل	بالجهل	الطويل	٢	٣٤٠
كسوتيني	خللا	البيسيط	٤	٣٨٠
بأثوا	القلل	البيسيط	٦	٣٨
أصون	المال	البيسيط	٢	٣٨٣
إذا لعب	بالرجال	الوافر	٢	٤٠٧
صبرا	فمن لها	الكامل	٣	٤٠٥، ٤٠٤
صبرتي	لعلها	الكامل	٢	٤٠٥
ياخذ	الجنديل	الكامل	٢	٥٨
الحرب	جهول	الكامل	٣	٦٩٠، ٦٨٩
لى حيلة	جيلة	مجزوء الكامل	٢	٢٣٦
من رآنا	زوال	الزومل	٥	٥٦، ٥٥
إنك لى دار	العامل	السريع	٤	٥٩
إننا إذا	للقائل	السريع	٣	٣٥٦، ٣٥٥
لم أكن	صالي	الخفيف	١	٦٨٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
يُمَثَّلُ	تَنَزَّلَا	المقارب	٣	٤١٠
(قافية الميم)				
وعاذلة	والقَسَمُ	الطويل	٣	٣٨٠
خَلِيلِي هُبَا	كِرَاكُمَا	الطويل	٨	٧٩، ٧٨
صفوح	مجرما	الطويل	٢	٣١٥
سألزَمُ	الجرائمُ	الطويل	٥	٣٣٧
وليسَ	لا يتَحَلَّمُ	الطويل	٢	٣٤٤
وما سقطت	ذميتها	الطويل	٤	٥٦١
وقالَ	المائم	الطويل	٣	٣٩٩
إذا ترَحَّلْتَ	هُمُ	البسيط	١	٣٨٥
هَذِي منازلُ	بالذَمِّ	البسيط	٢	٧٠
لن يبلغَ	لأقوامِ	البسيط	٢	٣٣٩
البرُّ بي	تَلِمَ	البسيط	٢	٣٥٧
لا تَظْلِمَنَّ	الندم	البسيط	٢	٥٩٨
قد يُنعم	بالنعم	البسيط	١	٧٥٩
إذا ما ضاقَ	تلوُّمُ	الوافر	٢	٤٢٠
أرى	ضيرامُ	الوافر	٣	٢٣١، ٢٣٠
وإنَّ اللهَ	الحليمُ	الوافر	١	٣١٦
أما واللهِ	الظلوُّمُ	الوافر	٣	٦٠٨
زنيَمُ	لعم	الوافر	١	٦١١
يا أَيُّهَا	التعليمُ	الكامل	٦	٤٧٤، ٤٧٣
إني وهبْتُ	علمي	الكامل	٦	٦٠٠
مَنْ يَهْنُ	إيلاَمُ	الخفيف	١	٣٣٦

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وأخْبِبْ	تُصَرِّمًا	المتقارب	١	٧٢٣
تَبُوحُ	يَكْتُمُ	المتقارب	٣	٤٢٠
إِذَا كُنْتُ	مَغْرَمُ	المتقارب	٣	٥٧٢

(قافية النون)

أَجُودُ	لَصْنَيْنُ	الطويل	٤	٤١٧
بِأَحْلَامِ	لِسَانِ	الطويل	٢	٣٤٨، ٣٤٧
فَلَوْ كَانَ	مَكَانِ	الطويل	٢	٤٤١
لَيْسَ الشَّفِيعُ	عُرْيَانًا	البيسط	١	٤٨٨
إِنْ كُنْتُ	قَارُونَ	البيسط	٤	٨٤ ، ٨٣
وَالنَّاسُ	إِحْسَانِ	البيسط	١	١٤٨
وَأَسْقَى	وَالْحَصُونُ	مخلع البيسط	٤	٥٥
الصَّبْرُ	يَهُونُ	مخلع البيسط	٣	٤٠٢
أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ	الْجَاهِلِيَّتَا	الوافر	١	٣٠٧
إِلَهِي لَا تَعْلِبْنِي	مِثْنِي	الوافر	٨	٧٥، ٧٤
وَأَكْرَمُ	الْيَدَيْنِ	الوافر	٣	٥٧٢
وَالنَّاسُ	عَنَى	الكامل	١	٦٨٥
أَلَمْ تَمْ	أَمَانِ	الكامل	١	٧٤٨
أَيُّهَا الرُّكْبُ	الْمُجْدُونَا	الجزج	٢	٥٦
وَيَحْلِكُ	مَا شَانِي	الرجز	٩	٣٩
لَيْتَ شَعْرِي	الْوَسْنُ	الرمل	٤	٨٦
رُبُّ وَرَقَاءَ	فَنِي	الرمل	٦	٩٣، ٩٢
يَا ذَا الَّذِي	يَمْنِي	السريع	٢	٤١٩
أَيُّهَا الْمَرْءُ	تَأْمَنْتَهَا	الخفيف	٢	٤٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
أُسعداني	الزمان	الخفيف	٣	٥١ ، ٥٢
أَنْتَ نِعَمَ المتاع	للإنسان	الخفيف	٢	٦٧
أيها الرافع	المباني	الخفيف	٢	٨١

« قافية الهاء » (٥)


وَأَنَّى لَمْشْتَأَقْ	عليه	الطويل	٢	٣٠١
إِذَا رَشَوَةٌ	فيه	الطويل	٢	٥٧٢
إِنَّ المَكَارِمَ	ساديها	البسيط	٥	٢٨٣
إِذَا ابْتُلِيتْ	الله	البسيط	٣	٤٠٦
إِذَا أَتَتْ	كُؤَاهَا	الوافر	١	٥٧١
أَقَامَ عَلَى المَسِيرِ	حاديها	الوافر	٣	٧١٦
أُولَيْتَنِي	بأسرها	الكامل	٢	٤٤٠
وَإِذَا تَحْشِيتْ	تتوجه	الكامل	١	٧١٥
وَلَهَا سَرَائِرُ	طيه	الكامل	١	٤١٦
حَسْبُ	عليه	مجزوء الكامل	٢	٢٣٥
غَدَوْنَا	فعلناه	المزج	٦	٢٩٨
مَنْ لَمْ يَكُنْ	فيه	السريع	١	٢٨٥

« قافية الياء »

أَلَا حَى	الليالي	الطويل	٣	٨٧
كَفَى	يَدَيَا	الوافر	٢	٥٢ ، ٥٣

(٤)
فهرس الأعلام

(١)

- ابن الأعرابي (أبو سعيد أحمد بن محمد) : ٧٣١ .
ابن أم حؤاد (في شعر) : ٣٦ .
ابن الجهم = علي بن الجهم .
ابن حبيب = محمد بن حبيب بن أمية .
ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد .
ابن الحصار (أبو المطرف) = عبد الرحمن بن أحمد .
ابن حنبل (الإمام أحمد) : ٥٤٩ .
ابن الجندی (السيف) : ٦٥٤ .
ابن ذكوان (الفقيه) : ٦٥٥ .
ابن رومو (رودمبل) : ٦٨٥ .
ابن الرومي = علي بن العباس بن جريح .
ابن زياد = عبد الله بن زياد بن أبيه .
ابن زيد = ثابت بن زيد بن النعمان .
ابن زيد = عبد الواحد بن زيد (الزاهد) .
ابن السمك الأسدي : ٦٥٤ .
ابن السمك (الواعظ) : ٢٧ ، ١٢٠ ، ١٥٣ .
ابن سيرين = أبو بكر محمد بن سيرين (البصري) .
ابن شبرمة = عبد الله بن شبرمة .
ابن الشرق (القاضي) : ٦٥٤ .
ابن شهاب (الزهري) = أبو بكر محمد بن مسلم .
ابن صمعة : ٤٦٠ .
ابن طلوس = عبد الله بن طلوس الجاني .
ابن عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن عباس = عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .
ابن عبد المطلب = محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .
() .
ابن عفان = عفان بن عفان (رضى الله عنه) .
ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب .
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف .

- آدم (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ٢٦٧ ، ٣١٤ ، ٤٢٦ .
آزر (أبو إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٨ .
إبراهيم بن أحمد الخواص (أبو إسحاق) : ٣٩٧ .
إبراهيم بن آدم : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٣٣١ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ .
إبراهيم بن بشار (أبو إسحاق الخراساني) : ٤٠ .
إبراهيم بن الحسن : ٥٨٢ .
إبراهيم بن خالد بن أبي الهيثم (أبو ثور) : ٣٧٠ .
إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٢٣ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٤٦٤ ، ٥١٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٦٥ .
إبراهيم بن العباس (الكاتب) : ٢٩٩ .
إبراهيم القمودي (أبو جعفر) : ٥٨٢ .
إبراهيم بن محمد (أبو إسحاق الإسفراييني) : ٦٢٩ .
إبراهيم بن محمد بن علي (صاحب الموصلي) : ١٥٧ .
إبراهيم بن المهدي (العباسي) : ٢٦٥ ، ٣٥٦ .
إبراهيم الصفي : ٥٦٨ .
أبرويز بن هرمز : ٤٩٣ .
ابن أبي حؤاد = أحمد بن أبي حؤاد الإباضي .
ابن أبي ذئب = محمد بن عبد الرحمن .
ابن أبي السرح = عبد الله بن أبي السرح .
ابن أبي عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن أبي عروبة = سعيد بن أبي عروبة .
ابن أبي ليلى : ٧١٦ .
ابن الأشعث : ٣٥٦ .

أبو بكر بن عمر : ٣٢٤ .

أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب الزهري) :

١١٩ ، ١٥١ ، ٦٢٦ .

أبو بكر محمد بن سيرين (ابن سيرين البصري) :

١٧١ .

أبو بكر محمد بن الوليد (الطرطوشي) : ١٤٦ ،

١٩٠ ، ٢٨٦ ، ٣٨١ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

أبو بكر بن المنكر : ٣٧٧ .

أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي .

أبو التياح الأسدي = يزيد بن حميد .

أبو ثور = إبراهيم بن خالد بن أبي الهيثم .

أبو جعفر الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة .

أبو جعفر القمودي : ٥٨٢ .

أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) : ٨١ ، ٨٢ ،

١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٨٩ ، ٢٢٥ ، ٢٦٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٤٦٦ ،

٤٩٣ ، ٦١٨ ، ٧٣٢ .

أبو جليل (عمرو بن هشام) : ٦٦٧ .

أبو حازم الأعرج = سلمة بن دينار المدني .

أبو الحسن الأشعري = علي بن إسماعيل بن إسحاق .

أبو حفص = عمر بن أحمد بن شاهين .

أبو حنيفة (الإمام) = النعمان بن ثابت .

أبو داود (صاحب السنن) = سليمان بن الأشعث

السجستاني .

أبو الدرداء = عويمر بن مالك .

أبو دهمان الغلابي : ١٤٥ .

أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة .

أبو ذر القاري : ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ .

أبو رهم : ٥٠٩ .

أبو السرايا (من الفقهاء) : ٦٨٣ .

أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان .

أبو سعيد الصوفي : ٥١٦ ، ٥١٧ .

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ١٨٥ ، ٥٣٧ .

أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد .

ابن عون = عبد الله بن عون بن أرتبان .

ابن عينة = سفيان بن عينة .

ابن فضون (أبو الوليدي بن فضون) : ٧٠١ ،

٧٠٢ ، ٧٠٣ .

ابن فضلوه = عبد الله بن المعلم .

ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد

الله) .

ابن قتيبة (الدينوري) : ٦١٥ .

ابن قضايس الهندي : ٧٤٢ .

ابن الكواء = عبد الله بن عمرو بن النعمان .

ابن اللبية = عبد الله بن اللبية الأزدي .

ابن لقمان الحكيم : ٧٢١ .

ابن المبارك = عبد الله بن المبارك للمروزي .

ابن المستطاري (العابد) : ٦٤٧ .

ابن مسعود = عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) .

ابن المصنف : ٦٨٧ ، ٦٨٨ .

ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .

ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم .

ابن المنكر = أبو بكر بن المنكر .

ابن هبيرة (أمير البصرة) : ٣٢٣ .

ابن هند = معاوية بن أبي سفيان .

ابن هود = سليمان بن محمد (المستعين بالله) .

ابن رهب = عبد الله بن رهب الفهري .

أبو إدريس الخولاني : ٥٩٣ .

أبو أمانة الباهلي = صدي بن عجلان .

أبو أيوب : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .

أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (صاحب السنن) :

٥٢٠ ، ٥٢٣ .

أبو بكر بن أبي مريم : ١٧٢ .

أبو بكر بن حزم (الأنصاري) : ٤١٨ .

أبو بكر الثَّقَاف : ٣٧٥ .

أبو بكر الصديقي = عبد الله بن أبي قحافة .

أبو بكر بن عبد الرحمن (الفقيه) : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

أبو الفتح البستي = علي بن محمد .
أبو الفتح بن ألب أرسلان (ملك الترك) : ٥١٣ ،
٥١٤ ، ٥١٥ .

أبو الفضل المبر : ٦٥١ .
أبو القاسم بن الحسين : ٦٥٩ .
أبو القاسم الحضرمي : ٦٥٣ .
أبو القاسم بن فاذك : ٦٤٨ .

أبو قتادة الأنصاري = الحارث بن ربيع .
أبو محمد الأزدي (عبد الله بن موسى) : ٣٦٨ .
أبو محمد التميمي : ٨٤ .
أبو محمد الحريري = أحمد بن محمد بن الحسين .
أبو مرثد : ٣٧٦ .

أبو مروان الدائي (القاضي) : ٦٥٥ .
أبو مسعود الأنصاري = عقبة بن عمرو .
أبو مسلم الخراساني : ٧٣٢ .

أبو موسى الأشعري : ٢٨٤ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ،
٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٩٥ ، ٦١١ .
أبو النصر سالم (مولى عمر بن عبيد الله) : ١٥٧ ،
١٥٨ .

أبو نواس = الحسن بن هاني .
أبو هارون : ٤٢٩ .

أبو هارون الأنلسي : ٨٤ ، ٨٥ .
أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الثؤمسي .
أبو الوليد الباجي = سليمان بن خلف النجفي .
أحمد بن أبي الخوارى : ١٥٢ ، ٤٠٨ .

أحمد بن أبي ذؤاد الإيادي (ابن أبي ذؤاد) : ٥١٨ .
أحمد بن غصروه : ٥٩١ .
أحمد بن سهل البلخي : ٧٣٤ .

أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان .
أبو عباد الكاتب : ٧٢١ .
أبو العباس الأنطاكي : ٣٦٨ .

أبو العباس الجرجاني (القاضي) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٧٧٠ .
أبو العباس الحجازي : ٢٢٣ ، ٤٨١ .
أبو العباس السُّفاح (أول الخلفاء العباسيين) : ٢٥٧ ،
٣٥٠ .

أبو العباس الطوسي : ٤٩٣ .
أبو العباس (المستظهر بالله) : ٥١٧ .
أبو عبد الرحمن = محمد بن حسين الأزدي .
أبو عبد الله بن مخلون : ٧٨١ .

أبو عبد الله الدامغاني = محمد بن علي بن حسن .
أبو عبد الله الروذباري = أحمد بن عطاء .
أبو عبد الله محمد الأمري (للمأمون البطاحي) : ١١ .
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (البخاري) : ١٦٤ ،
١٨٠ ، ٢١١ ، ٤٦٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ،
٥٨٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ .

أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود : ٢١٩ .
أبو عبيدة بن الجراح : ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ،
٥٥٦ .

أبو عبيدة معمر بن النخعي : ٢٤٧ .
أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم .
أبو عثمان : ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

أبو عثمان البصري = عمرو بن عبيد .
أبو عثمان الحريري = سعيد بن إسماعيل .
أبو عثمان النهدي = عبد الرحمن بن مل .

أبو عقال علوان بن الحسن : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .
أبو علي الثقفي : ٣٦٧ .
أبو علي الدقاق : ٣٦٩ .

أبو عمرو المكدودي (الفقيه) : ٦٥٤ .

أحمد بن عطاء (أبو عبد الله الروذباري) : ٣٧٢ .
أحمد بن محمد بن الحسين (أبو محمد الجيريري) :
٤٠٧ .

أحمد بن محمد بن سلامة (أبو جعفر الطحاوي) :
٥٩٤ .

الأحنف بن قيس : (أبو بحر التميمي) : ١١٧ ،
١١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ،
٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،
٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٤١٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٥٧٧ ،
٦٦٧ .

أخرسني الملك : ٧٤٤ .

إدريس (عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ،
أردشير بن بابك : ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠ ،
٣١٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٩٥ ، ٤٧٨ .

أرسطاطاليس (الحكيم اليوناني) : ٥٢ ، ٣٣٦ ،
٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٧٣٠ .

إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٣٣٣ ، ٥٥٣ ،
٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : ٤٤٢ .

إسفنديار بن بشتاسب : ٧٢٨ .

الإسكندر المقدوني : ٥٢ ، ٦٩ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ،
٢٨٦ ، ٣٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٦١٦ ،

٧٢٣ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ .

أسلم - أبو زيد العدوي (مولى عمر بن الخطاب) :
٥٤٤ .

أسماء (في شعر) : ٣٩ .

أسماء بن خارجة بن حصن : ٣٦٣ .

إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٧٧ ، ٥٥٣ ،
٦٣٤ ، ٦٣٥ .

إسماعيل بن صبيح (الكاتب) : ٤٨٨ .

إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) : ٣٠ ، ٣٢ ،
٤٨ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٦٠٨ .

الأسود بن يعفر (النيشلي) : ٣٥ .

الأشعث بن قيس بن معدى كرب : ٣٧٣ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ .

الاصطخرى = الحسن بن أحمد بن يزيد .

الأصمعي = عبد الملك بن قريب .

أفرائيم بن يوسف الصنّيق (عليه السلام) : ٥١٢ .
الأفضل بن أمر الجيوش : ١٤٦ .

أفلاطون (الحكيم اليوناني) : ٢٣٣ ، ٣١٥ .

الأقرع بن حابس (التميمي) : ٢٣٣ .

أكثم بن صفي : ٢٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٦٩٠ ، ٧٤٩ .

ألب أرسلان (ملك الترك) : ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ،
٦٩٧ .

إلغاز (من قوم إبراهيم عليه السلام) : ٦٤١ .

أم إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٦٤٢ .

أم إسحاق (عليه السلام) : ٦٤٤ .

أم إسماعيل (هاجر المصرية) : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ،
٦٣٦ .

أم حاتم طيء = غنية بنت عفيف .

أم الذئبال العيسية : ٦٨٢ .

امرأة فرعون : ١٥٥ .

امرأة لوط (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة معاذ بن جبل : ٥٣٢ .

امرأة نوح (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة يعقوب (عليه السلام) : ٤١٣ .

الأمين = محمد الأمين بن هارون الرشيد .

بوليس (الملك) : ٧٤٤ .

البيروني (الطبيب الخافق) : ٦٥٢ .

البيهقي = أبو بكر أحمد بن الحسين .

(ت)

تلميذ (قائد الروم) = انظر (ردميل) .

تميم بن المعز : ٤٠٥ .

التهامي = علي بن محمد (أبو الحسن) .

(ث)

ثابت بن زيد بن النعمان (ابن زيد) : ٣٨٨ .

ثور بن يزيد : ٦٠١ .

الثوري = سفيان الثوري .

(ج)

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) : ٣٨٦ ، ٣٢٧ .

الجاحظ = عمرو بن بحر .

جالوت : ٣٠٩ .

جالينوس (الطبيب) : ٧٢٣ .

جابريل (عليه السلام) : ٢٠ ، ١٢٩ ، ٣٠٥ .

٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٥ .

جرادة (زوجة سليمان - عليه السلام) : ١٥٩ .

١٦٠ .

جرير (الشيخ) : ٦٤٨ .

جرير بن عبد الله : ٣٤٨ .

جرير بن يزيد (البجلي) : ٣٧٧ .

جعفر بن حنظلة : ٥٨٢ .

جعفر بن سليمان الهاشمي : ١٥٥ .

جعفر بن عثمان (أبو الحسن المصنف) : ٤١٨ .

جعفر بن محمد بن الأشعث : ٣٣٤ ، ٣٣٨ .

جعفر بن محمد الصادق (الإمام) : ٣٤٤ ، ٧١٧ .

٧٥٨ ، ٧٦١ .

جعفر بن الحنظل بن هارون الرشيد (المتوكل) :

٥٤٤ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ .

أُمَيَّة (في شعر) : ٢٣١ .

أُمس بن مالك (رضى الله عنه) : ٢٢٨ ، ٣٦١ ،

٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٥٢٣ ، ٥٧٥ ، ٥٩٥ ، ٧٠٧ .

أنوشروان = كسرى أنوشروان .

أوربها بن حنان : ٦٢٥ .

الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو .

أويس بن عامر القرني : ٥٧٩ .

إياس بن معاوية بن قرة : ٢٧٧ ، ٥٥٨ .

أيوب - النبي - (عليه السلام) : ٤٠٨ .

(ب)

بأسراج (الملك) : ٧٤٨ .

باقل ربيعة : ٧٨٧ .

البخاري = أبو عبد الله محمد بن إسماعيل .

البيهقي (أبو بزرجمهر) : ٧٣٥ .

بريدة بن الحُصَيْب : ١٧٠ .

بزرجمهر (ابن البيهقي) : ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ،

٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٩٦ ،

٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٥٦٠ ، ٧١٤ ، ٧١٦ ، ٧٢٣ ،

٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٥ ، ٧٤٠ ، ٧٧٩ .

بشار بن برد : ٧١٥ .

بشر بن المَرْي : ١٥٥ .

بشر بن مروان بن الحكم : ٣٣٥ ، ٥٥٤ .

بشر الخافق (أبو نصر) : ٣٦٩ .

بكر بن عبد الله المزني البصري : ٣٢ .

بلال بن أُنَى بردة (ابن أُنَى موسى الأشعري) :

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٦١١ .

بلال بن رباح : ٤٢٩ .

بلال بن سعد : ٥٩٩ .

بلوام بن حفص (من ملوك اليمن) : ٦٩ .

بهرشان (الملك) : ٧٤٨ .

البهلول بن راشد (أبو عمرو الحجري) : ٣٧٩ ،

٣٨٣ .

بوران بنت كسرى : ٥٥٢ .

٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٠ ، ٥٨٤ ، ٦١٠ ،
٦٣٣ ، ٧١٧ .

الحسن بن سهل : ٣٠١ ، ٣٦٥ ، ٧٣٤ .
الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (نظام الملك) :
٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ .
الحسن بن علي الأسدي : ٥٠٧ .

الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :
١٠٧ ، ٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٠ ، ٥٧٧ ، ٦١٧ .
الحسن بن محمد بن الحسين (رضي الله عنه) : ١٣٨ ،
١٣٩ .

الحسن بن هانيء (أبو نواس) : ٣٣ ، ٤٧١ .
الحسن بن يزيد : ١٥٦ ، ١٥٧ .
حسبل بن جابر بن ربيعة (يمان العيسى) : ٦١٠ .
الحسين بن علي (رضي الله عنه) : ٦٣ ، ١٠٧ ،
١٤٠ ، ٣١٨ ، ٦٧٠ .

حفص بن عمار : ٣٧٩ .
الحكم بن عبد المطلب : ٣٦٤ .
الحكم بن عمرو : ٨١ .
الحكم بن عوانة : ٣٣٩ .
حكيم بن حزام : ٣٦٧ .

حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (الخطابي) : ٣٩٣ .
حمران بن أبان (كاتب عثمان بن عفان) : ٤١٤ ،
٤١٥ .

حميد الطويل (أبو حنيفة الخزازي) : ٢٩ .
حنظلة : ٣٦٤ .
حواء (عليها السلام) : ٣١٤ .

(خ)

خاتون (أخت ملك الروم) : ٧٢٦ .
خالد بن أسيد : ٣٧٧ .
خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري) : ٥٠٦ .
خالد بن صفوان (المنقري) : ٣٤٠ .
خالد بن عتّاب بن ورقاء (الراعي) : ٤٤٩ .
خالد بن الوليد : ٥٢٥ ، ٧٠٨ .

خنفر بن يحيى بن خالد (البرمكي) : ٤٩٦ .
جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري) : ١٦٣ ،
١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٤٣ ، ٥٨٠ ،
٥٨١ ، ٥٩٣ ، ٦٢٨ ، ٦٦٩ .
الجندب (أبو القاسم الخزاز) : ٣٧٠ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ .
جُهَيْل (رئيس القندهار) : ٧١٠ ، ٧١١ .

(ح)

حاتم الطائي : ٣٧٣ .
الحارث بن أسد الهاسبي (أبو عبد الله) : ٤٠٧ ،
٤٠٨ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣ .
الحارث بن رعي (أبو قتادة الأنصاري) : ٦٣٦ .
الحارث بن عامر : ٥٧٢ .
الحارث بن قيس : ٥٨١ .
حازق (الملك) : ٧٤٤ .
حيان بن هلال (البصري) : ٣٧٥ .
حبيب بن أبي حبيب : ٣٩٧ .
حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) : ٣٩٩ .
حبيب بن عيسى بن محمد المجسي : ٤٣٥ .
حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري : ٦٢٥ .
الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٠٣ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣١٦ ،
٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٣٥ ، ٥٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٨٢ .
حذيفة بن إيمان : ٣١ ، ١٧٠ ، ٦١٣ .
حذيفة العلوي (حذيفة بن غاثم بن عبد الله بن
عوف) : ٣٦١ .

الحرقبة بنت النعمان بن المنذر : ٦٠ .
الحرمي = أبو محمد القاسم بن علي البصري .
حسان بن برزى : ٥٤٦ .
حسان بن ثابت : ٦١٠ .
الحسن بن أحمد بن يزيد (الاصطخري) : ٥٥٠ .
الحسن البصري (أبو سعيد الحسن بن يسار) : ٢٠ ،
٢٨ ، ٣٢ ، ١٠٥ ، ١٦٩ ، ٢١٨ ، ٣٦٣ ،
٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٥ .

- رسم بن الفُرْعَزَاد (قائد فارسي) : ٦٧٥ ، ٦٧٤ .
 الرشيد = هارون الرشيد .
 الرُّقَام (من المصوفة) : ٣٧٠ .
 روح بن زنباع : ١٤١ .
 الرِّياحى = خالد بن عَتَّاب بن ورقاء .

(ز)

- الزبير بن العوام : ٣٦٧ .
 زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن (الساجي) : ١٦٧ .
 زليخا (زوجة هيز مصر) : ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
 زمهرير (الملك) : ٧٤٤ .
 زعيم بن فلان : ٦٧٥ .
 زوجة موسى بن عمران : ٦٦٢ .
 الزهرى = أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب) .

- زياد بن أبيه (زياد بن عبيد الثقفى = زياد بن سمية =
 زياد بن أبي سفيان) : ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩٦ ، ٧٢٢ .

- زياد (ابن سعد) : ١٥١ .

- زياد بن جرير : ٣٧٧ .
 زياد العبدي : ١٣١ .
 زياد بن عبيد الله الحارثي : ٣٢٤ .
 زياد بن عمرو (أبو أمامة - الناهبة الذيباني) : ٤٤٥ ،
 ٦٧٥ .

- زيد (في شعر) : ٣٢٩ .

- زيد بن أسلم : ١٥٥ ، ٣٦٧ ، ٥٦٥ .

- زيد بن علي بن الحسين : ٥٥٣ .

(س)

- السائب بن الأقرع بن عوف : ٥٢٤ .
 سلبور بن هرمز (ذو الأكتاف) : ٣٤ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٣١٤ .

- الساجي = زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن .

- سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٤ ، ٦٤١ .

- عَتَّاب بن الأرت : ١١٥ ، ١١٦ .

- عجيب : ٥٣٠ ، ٥٣١ .

- الحضر (عليه السلام) : ٩٠ ، ١٧٣ ، ٢٦٧ .

- الحضر بن علي : ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٩ .

- الخطاطي = حمد بن محمد بن إبراهيم البستي .

- الخليل بن أحمد (الفراهيدي) : ٤٧٢ .

- عواجبا بزرگ = نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق

- الطوسي .

- الخواص = إبراهيم بن أحمد (أبو إسحاق) .

(س)

- الدامغانى = محمد بن علي بن محمد .

- داود - النبي (عليه السلام) : ٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٩ ،

- ٣٠٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٥٦٢ ،

- ٥٦٣ ، ٦٢٤ ، ٧٧٩ .

- داود بن علي : ٤٧٦ .

- دُرُوف (الملك) : ٧٤٨ .

(ذ)

- ذو الأهراد (في شعر) = غوى بن سلامة الأسدي .

- ذوبان (رسول ملك كابلستان) : ٧٣٧ ، ٧٣٨ ،

- ٧٣٩ .

- ذو النون المصري (أبو الفيض ثوبان) : ٣٥٩ .

(ر)

- رابعة العلوية (أم الخير بنت إسماعيل) : ٣٦٠ .

- رافع بن الليث : ٤٥٦ .

- الربيع بن زياد (الحارثي) : ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣ .

- الربيع بن يونس بن محمد (أبو الفضل) : ٨٣ .

- رجاء بن حيرة (أبو المقداد الكندي) : ١٢٤ ،

- ١٢٥ ، ٣٥٦ ، ٥٤١ .

- ردميل - أو تدمير (قائد الروم) : ٦٩٢ ، ٦٩٩ ،

- ٧٠٠ .

- رسم (الملك) : ٤٧ ، ٧٢٨ .

سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود) :
١٦٦ ، ١٧١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٠١ ، ٥٦٩ ، ٥٧٥ .

سليمان بن خلف التجيبي (القاضي أبو الوليد
الياجى) : ٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٨١ ، ٦٥٦ ، ٦٨٦ .
سليمان الخواص : ٧١٢ .

سليمان بن داود (عليهما السلام) : ١٢ ، ١٨ ،
١٩ ، ١٠٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٨ ،
٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦ ،
٤٦٤ ، ٤٨٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٦ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ،
٦٩٤ ، ٧١٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ .

سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) : ٢٩ ،
٦٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ،
٣٥٤ ، ٦٤٥ ، ٧١٤ .

سليمان بن مجالد : ١٢٨ .
سليمان بن محمد (المستعين بالله ، ابن هود) : ٨٨ ،
٨٩ .

السسماني = علي بن عبيد الله .
سنجار (الملك) : ٦٥٠ ، ٦٥١ .
سهل بن إبراهيم : ٤٢ .
سهل بن عبد الله التستري : ٤٣٨ ، ٥٧٨ .
سواد بن قزعة الأنصاري : ٦٢٣ ، ٦٢٤ .
سيب (الملك) : ٧٤٤ .
سيف بن ذي يزن (من ملوك اليمن) : ٣٧ ، ٦٧ .
سيف الولقة : ٦٧٢ .

(ش)

شاهباق (الحكيم السندي) : ٧٤٢ .
الشافعي (الإمام) = محمد بن إدريس .
شاه الكرمانى : ٥٧٨ .
شبيب بن شبة : ١٢٧ ، ٤٠٠ .
الشَّحَام (من المتصوفة) : ٣٧٠ .

سلم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٢٤ .
ساميد (الحكيم الفارسي) : ٤٩٠ .
سيأ بن نواس بن سبأ : ٦٨ .
سحبان وإثل : ٧٨٧ .
سحنون = عبد السلام بن سعيد التنوخي .
سراقة بن مالك بن جُعشم : ٥٠٥ .
السري بن المُفْلَس السَّقَطِي : ٤٣٣ .
سعد : ٢١٠ .
سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن : ١٨٥ .
سعد بن أبي وقاص : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٥٦٤ ،
٥٧٠ .
سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري) :
١٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٦٢٣ .
سعدارة : ٦٩٩ ، ٧٠٠ .
سعد المشيرة : ٢٤٣ .
سعيد بن أبي عروبة : ١٤٢ .
سعيد بن إسماعيل الحيري (أبو عثمان) : ٥٨١ ،
٥٨٢ .
سعيد بن جبير (أبو عبد الله الأسدي) : ٥٢٦ .
سعيد بن زيد بن عمرو (العلوي) : ٥٩٤ .
سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت : ١٨٥ .
سعيد بن عامر (الجُمَحِي) : ٥٢٨ .
سعيد بن المسيب (أبو وهب الخزومي) : ٥٣٧ .
سفیان بن عُثَيَّة : ١٢٢ ، ٢٩٨ ، ٣٩٠ .
سفیان الثوري : ١١٨ ، ١٨٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ،
٣٩١ ، ٤٣٥ .
سقراط (الحكيم اليوناني) : ٩٨ .
سكينة بنت الحسين : ٤٦٠ .
سلامان الشعماني : ١٨٠ .
سلمة بن دينار (أبو حازم الأعرج) : ٩٣ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ٢٥٠ ، ٤٢٩ .
سَلَمٌ بن نوفل : ٣٣٨ .
سلمان الفارسي : ٢٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٥٣٥ .
سلم (مولى زياد بن أبيه) : ٤٧٩ .

(ط)

لا يوجد .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين) : ١٠٦ ، ١٦٨ ،
٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٦٥ ،
٥٧٤ ، ٦٢٦ .

عائشة بنت عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

عاصم بن سفيان الثقفي : ١٦٤ .

عاصم بن عبد الله بن عمر : ١١٤ .

عامر بن شراحيل (الشعمي) : ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٨٥ ، ٧٨١ .

عامر بن الطفيل : ٢٩٧ .

عبادة بن الصامت : ٤٦٢ .

عباس بن عبد المطلب : ٥٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٦٦ ، ٢٣٢ ، ٤٨٥ ، ٥٠٥ .

عباس بن الفضل بن الربيع : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
عبادة بن رفاعه (الأنصاري) : ٥٦٤ .

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد (القرشي) :
٥٤٩ .

عبد الحميد الكاتب : ٣٩٦ .

عبد الرحمن بن أحمد (أبو سليمان الداراني) :
٤٠٨ ، ٥٩٩ .

عبد الرحمن بن أحمد أبو للطرف (ابن الحصار) :
٥٨٩ .

عبد الرحمن بن سبرة : ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٥٧١ ،
عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة) : ٢١ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ،
٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٥٧٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،

٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦١٣ ، ٦٢٢ ،
٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٤٤ .

عبد الرحمن بن عمرو (الأوزاعي) : ١٢٩ ، ٢٣٧ ،
٢٩٩ .

عبد الرحمن بن عوف : ٣٨٨ ، ٤١٥ ، ٥٠٥ ، ٥٦٦ .

شرح بن الحارث (القاضي) : ٥٣٤ .

شرح بن عبيد : ٢٩٠ .

الشعمي = عامر بن شراحيل .

شعيب - النبي (عليه السلام) : ٣٢٥ ، ٦٦٢ .

شهاب الملك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .

شهر بن حوشب (الأشمري) : ٥٢٨ .

شعوية بن أرويز (من ملوك فارس) : ٣٥١ ،
٤٩٣ .

(هـ)

الصاحب بن عباد (أبو القاسم إسماعيل) : ١٠٢ .

صالح بن عبد القدوس (الأزدي) : ٤٢١ .

صخر (الجنبي) : ٦٤٢ .

صدقة بن يسار الجوزي : ٤٣٧ .

صدقي بن عجلان (أبو أمارة الباهلي) : ٦٠٢ .

صعصعة بن صوحان (البدي) : ٢٣٩ ، ٣٤٥ .

صعصعة بن معاوية (حم القرزقي) : ٢٨ .

الصنابحي (صفوان بن صئال) : ٥٥٦ .

(هـ)

ضرار بن القمقاع : ٣٧٨ .

ضمرة بن أبي ضمرة (التيهلي) : ١٤٠ ، ١٤١ .

(ط)

طارق بن زياد : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

طالوت (من أنبياء بني إسرائيل) : ١٧٦ .

طاهر بن الحسين : ٣٢١ ، ٤٧١ ، ٧٣٨ .

طاووس بن كيسان : ١٦٩ ، ٣٨٨ ، ٥٢٦ .

طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي (طلحة

الطلحات) : ٣٦٦ .

طلحة بن عبد الله بن عثمان القرشي : ٢٨٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٧٧ .

عبد الله بن عمر بن الخطاب (ابن عمر) : ٢٢ ،
١١٠ ، ١٧١ ، ٢٨٤ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٣٦٨ ،
٣٨٧ ، ٤٧٦ ، ٤٨٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ،
٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٩ .

عبد الله بن عمر القُمري : ٥٢٥ .
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٥٠٩ .
عبد الله بن عمرو بن النعمان (ابن الكواء) : ٢٥١ .
عبد الله بن عون بن أوطبان : ٣٤٥ .
عبد الله بن الليثية الأردى (ابن الليثية) : ٥٦٩ .
عبد الله بن المبارك (المروزي) : ٣٨٧ .
عبد الله بن محمد الرازي : ٥٧٧ .
عبد الله بن مروان : ٢٢٥ .

عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : ١١٤ ، ١٧٣ ،
٢١٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤٦٣ ، ٥٣٤ ، ٥٩٦ ،
٦٠١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٣ ، ٧١٨ .

عبد الله بن مسلم بن عارب : ٣٥٦ .
عبد الله بن مطيع (الكمي) : ٥٥٢ .
عبد الله بن المعمر : ٥٣ .

عبد الله بن المعلم (ابن فضلوه) : ٥٦ ، ٥٧ .
عبد الله بن المقفع (ابن المقفع) : ٢٢٢ ، ٢٥٠ ،
٢٦٢ ، ٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ،
٥٨٦ .

عبد الله بن هارون الرشيد (الخليفة المأمون) : ١١٢ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٥ ،
٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ،
٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ،
٤٧١ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ،
٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٧٢٥ ، ٧٣٧ ،
٧٣٨ ، ٧٣٩ .

عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري (ابن وهب) :
٣٣١ ، ٦٢٦ .

عبد الملك بن بحر : ٣٧٣ .
عبد الملك بن عبد العزيز (ابن أبي عامر) : ٤٩٨ .
عبد الملك بن عمر : ٦٣ .

عبد الرحمن بن زعم (الأشعري) : ٥٤٢ .
عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) : ٥٢١ .
عبد الرحمن بن مل الهدي (أبو عثمان) : ٥٢٣ .
عبد الرحمن بن ملجم : ١٠٧ .

عبد الرزاق بن مسم (الحميري) : ١٢٢ .
عبد السلام بن سعيد التتويحي (سحتون) : ٨٤ ،
٥٩٩ .

عبد العزيز بن زرار (الكلابي) : ٢٩٧ .
عبد الكافي الديهاسجي : ٦٤٨ .

عبد الله بن أبي السرح : ٤٩٦ ، ٦٩٢ .
عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق) : ١١٣ ،
١٧٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ،
٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ،
٥٣٣ ، ٥٥٢ ، ٦٢٦ .

عبد الله بن أبي نوح : ٧٠ .
عبد الله بن بُكَيْل بن ورقاء : ٢٨١ .
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٢٩٨ ، ٣٧١ ،
٤٨٧ .

عبد الله بن الحسن : ٤٧٦ .
عبد الله بن حنظلة الراهب : ٥٥٢ .
عبد الله الخياط : ٥٨٣ .
عبد الله بن الزبير بن العوام : ٥٥٦ .

عبد الله بن زهير : ٣٨٠ .
عبد الله بن شيرمة (ابن شيرمة) : ٣٢ .
عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٣٠٠ .
عبد الله بن طائوس التميمي (ابن طائوس) : ١٥١ ،
١٥٢ .

عبد الله بن عامر بن كزيم : ٣٨٤ .
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عباس) :
٧٥ ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ،
٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ،
٥١٠ ، ٥٥٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ،
٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ،
٧١٧ .

عبد الملك بن قريب (الأصمعي) : ٢٣ ، ٦٥ ،
١٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ،
٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٧٨ ، ٦٦٦ .
عبد الملك بن مروان (أبو الوليد - الخليفة الأموي) :
٦٥ ، ٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ،
٣٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨ ،
٥٧٢ .

العلاء بن أيوب : ٥٦١ ، ٥٦٨ .
علقة بن خلّاة : ٢٩٧ .

علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) : ١٤ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٤٨ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ،
٢٨٦ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٧ ،
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ،
٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٨ ،
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ،
٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٦١٠ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ،
٧٠٣ ، ٧٠٩ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧٢٢ ، ٧٢٥ ،
٧٥٩ ، ٧٧٣ ، ٧٧٧ .

علي بن أحمد بن سعيد (ابن حزم) : ٧٨٤ .
علي بن إسماعيل بن إسحاق (أبو الحسن الأشعري) :
٦٢٧ ، ٦٢٩ .

علي بن الجهم (أبو الحسن بن بلر) : ٢٧٩ ،
٧٨٣ .

علي بن العباس بن جريح (ابن الرومي) : ٤١١ .
علي بن عبيد الله (أبو الحسن السمساني) : ٣٠٠ .
علي بن حمزة بن دلود (الوزير) : ٢٩٤ ، ٧٣٨ .
علي بن الفضيل بن عياض : ٦٠٠ .

علي بن محمد (أبو الفتح البستي) : ٤٤١ ، ٤٧٢ .
علي بن محمد (التلمیسی) : ٧٢ .

علي بن محمد بن خلف المفاخری (القابسي) : ٣٩٤ .
عفار بن ياسر : ٥٣٤ .

عمران بن أسد : ٥٤٦ .
عمران بن حصين : ١١٥ .

عمر بن أحمد بن شاهين (أبو حفص) : ٦٥٦ ،
٦٥٧ .

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : ١١٠ ، ١١٤ ،

عبد الملك بن قريب (الأصمعي) : ٢٣ ، ٦٥ ،
١٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ،
٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٧٨ ، ٦٦٦ .

عبد الملك بن مروان (أبو الوليد - الخليفة الأموي) :
٦٥ ، ٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ،
٣٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨ ،
٥٧٢ .

عبد الواحد بن زيد (الزاهد) : ٥٨ ، ٣٩٧ ،
٣٩٨ .

عبيد الله بن أبي بكرة (الثقفى) : ٣٧٤ ، ٣٧٩ .
عبيد الله بن زياد (ابن زياد) : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨٢ .

عبيد الله بن سعد : ٥٤٠ .
عبيد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٢٤ ، ٥٧٠ .

عبيد الله العمري : ١٣٨ ، ١٩٧ .
عبيد بن عمر (اللبني) : ١٧٠ ، ٤٢٨ ، ٥٧٤ ،
٦١٠ .

عبيدة السلماني (المرادي) : ١٧١ ، ٤٦٨ .
عقّاب بن أسيد : ٥٥٧ ، ٥٧١ .

العقّاني = كلثوم بن عمرو الثقفى .
عتبة بن ربيعة : ٦٩٠ .

العنبي = محمد بن عبيد الله الأموي .
عثمان بن حنيف (الأنصاري) : ٥٣٤ ، ٥٤٩ .

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) : ٢١٨ ، ٣٣٥ ،
٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٣٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٩٦ ،
٥٠٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٦٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٥ .

عثمان بن عتبة : ٤١٦ .
عدى بن أرتاة (الفزارى) : ٤٢٧ .

عدى بن حاتم الطائي : ٣٧٣ .
عدى بن زيد : ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

عروة بن الزبير : ٥٨١ .
عروة بن الورد : ٣٨٢ .

العزیز (عزيز مصر - صاحب يوسف) : ٥١١ .
عطاء بن أبي رباح (القرشي) : ٤٢٨ .

عطاء بن السائب بن زيد (الثقفى) : ٥٢٤ .
عطاء بن السائب بن زيد (الثقفى) : ٥٢٤ .

عمرو بن معاذ : ٤٩٤ .
 عمرو بن معدى كرب (الزبيدي) : ٦٧٤ ، ٦٧٣ .
 عمير بن سعد بن عبيد (الأوسي) : ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ .
 عون بن عبد الله بن عتبة : ٤٣٦ ، ٦٢٥ .
 عويمر بن مالك (أبو الدرداء) : ٥٣ ، ١١٥ ، ٢٨٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ .
 عيسى بن مريم (المسيح عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٣٧ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٠٦ ، ٦٣١ ، ٧٣١ ، ٧٨٠ .
 عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) : ٦٨ .
 عيينة بن حصن : ٣٠٨ .

(غ)

غلام خليل (أبو عبد الله الزاهد) : ٣٦٩ .
 غنية بنت عفيف (أم حاتم الطائي) : ٣٨٣ .
 غوي بن سلامة الأسدي (ذو الأعواد) : ٣٥ .
 غيلان بن مسلم القُدري : ٧١٣ .

(ف)

فاطمة الزهراء (عليها السلام) : ٤٨ .
 فاطمة (زوجة عمر بن عبد العزيز) : ٥٤١ .
 الفُتاك (ابن أم الذبيل البسية) : ٦٨٢ .
 فخر المُلْك بن نظام المُلْك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .
 الفرزدق = هُمام بن غالب .
 فرعون : ١٥٥ ، ٢٨٨ ، ٥٠٩ .
 فرعون هامان : ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 فرعون يوسف : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 الفضل بن الربيع : ١٢١ .
 الفضل بن سهل : ٤٥٥ ، ٦١٧ ، ٧٢٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٩ .

١١٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٦٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٦١٦ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٧٧٠ ، ٧٨١ .
 عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : ٢٦ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٨ ، ٢٩١ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٠ ، ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ، ٦٠٤ ، ٧٣٦ .
 عمر بن عبيد الله : ١٥٧ .
 عمر بن المنكسر : ٣٧٧ .
 عمر بن هبيرة : ٥٥٨ .
 عمرو (ملك يمنى مجهول) : ٧٠ .
 عمرو بن بحر (الجاحظ) : ٥٤ .
 عمرو بن دينار الجَمَحِي : ٦٠٤ .
 عمرو بن ربيعة (للمستوغر الأكبر) : ٥٦١ .
 عمرو بن العاص : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤١ ، ٤١٩ ، ٤٥٣ ، ٤٩٦ ، ٥٦٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٧٠٣ .
 عمرو بن عبيد (أبو عثمان البصري) : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٤٢٥ .
 عمرو بن عثمان المكي : ١٨٠ .
 عمرو بن كلثوم القفلي : ٣٠٧ .
 عمرو بن مسلمة (أبو الفضل الصولي) : ٢١٧ .

٧٢٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٤ .

كعب الأحبار (كعب بن مافع الحميري) : ١٤٤ ،

١٤٥ ، ٢٥٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ .

كعب بن زهير بن أبي سلمى : ٣٤٤ .

كعب بن مامة الإيادي (في شعر) : ٣٦ .

كعب بن مالك بن عمرو (الأنصاري) : ٦٣٦ ،

٦٣٧ .

الكلبي = عماد بن السائب بن بشير .

كلثوم بن عمرو التغلبي (العتابي) : ٥٠ ، ١٤٠ ،

٤٨١ .

كُمَيْل بن زياد النخعي : ١٤ ، ٢٦٩ .

كيمجور (وزير ملك إيران شهر) : ٧٣٩ .

كيسان (مولى خطاب بن أسيد) : ٥٧١ .

(ل)

لُثْرَيْق (من ملوك القوط بأسبانيا) : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،

٦٩٤ .

لقمان الحكيم : ٣٤٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٨٣ ،

٧٢١ .

لقيط بن زورارة : ٣٤٢ .

لوط (عليه السلام) : ١٥٥ ، ٦٠٧ .

الليث بن سعد (الإمام) : ٣٨٤ .

(م)

مالك بن أنس (الإمام) : ٤٦ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٤٣ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٥٢١ ،

٥٢٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٦ ، ٥٧٠ .

مالك بن الحارث بن عبد بنوثة (الأشتر النخعي) :

٥٢٦ .

مالك بن دينار : ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٩٧ ، ٤٦٤ ،

٥٧٨ ، ٦٠١ .

مالك بن مسعم : ٢٩٩ .

المأمون بن ذى النون : ١٠١ ، ١٠٢ .

المأمون البطاحي = أبو عبد الله محمد الأمري .

الفضل بن مروان (أبو العباس) : ٧٢٤ ، ٧٢٥ .

الفضل بن يحيى (اليرمكي) : ٦٦ .

الفضيل بن عياض : ١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٢٠٠ ،

٣٤٦ ، ٣٧٥ ، ٤٦٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦ .

(ق)

القابسي = عل بن عماد بن خلف المعافري .

قارون (من قوم موسى) : ٨٣ ، ٤٢٣ .

القاسم بن عماد : ٢٨٠ ، ٣٩٨ .

قاسم بن محمد السبيعي : ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ .

قيصة بن جابر بن وهب (الأسدي) : ٢٨٢ .

قيصة بن ذؤيب (الخزاعي) : ٥٤٠ .

قنادة : ٥٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٤١ ، ٦٤٥ .

قنادة بن دعامة (السلمي) : ٤٦٧ .

قُس بن ساعدة (الإيادي) : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،

٢٥٩ .

القُطامي (عُمر بن شيم التغلبي) : ٣٢٩ .

قطري بن النجاعة : ٣١٦ .

قنبر (خادم الإمام علي) : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٥٠١ .

قنبد (الملك) : ٧٤٤ .

قيس بن الخطيم : ٤١٧ .

قيس بن سعد بن عبادة (الأنصاري) : ١٨٤ ،

٢٨١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ .

قيس بن عاصم المنقري : ٣٤٦ ، ٥٧٧ .

قيس بن عبد الله (النابغة الجعدي) : ٣٤٩ .

قيصر (ملك الروم) : ٢٥٩ ، ٧٣٤ .

(ك)

كثير بن مرة (الحضرمي) : ١٨٣ .

كسرى = كسرى أنوشروان .

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) : ٣٤ ، ٢٢٠ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٤٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ،

٥٢٤ ، ٥٥٢ ، ٥٦٦ ، ٦٠٨ ، ٧١٦ ، ٧٢٢ ،

المأمون (الخليفة العباسي) = عبد الله بن هارون الرشيد .
 المتنبى (أبو الطيب أحمد بن الحسين) : ٣٨٤ .

التوكل (الخليفة العباسي) = جعفر بن المتصم .
 مجاهد بن جبر (أبو الحجاج المكي) : ٩٧ ، ٦٤١ .
 الخراسي = الحارث بن أسد (أبو عبد الله) .

محمد بن إبراهيم : ١٥٦ .
 محمد بن إبراهيم بن خويته : ١٣٥ .
 محمد بن أبي التاهية : ٧٤ .
 محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) : ١٨١ ، ٢٢٧ ،
 ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٥٤٩ .

محمد (رسول الله = النبي ﷺ) : ٧ ، ١٩ ، ٢٠ ،
 ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ،

محمد الأمين (ابن هارون الرشيد - الخليفة العباسي) :
 ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،
 ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

محمد بن بشر (أبو بكر الملقب) : ٤٠١ .
 محمد بن حازم : ٣٦٥ .

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

محمد بن حبيب بن أمية (ابن حبيب) : ٥٣٥ ،
 ٦٢٧ .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،

محمد بن الحسين الأزدي (أبو عبد الرحمن) :
 ٣٧٢ ، ٣٧٦ .

١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ،

محمد بن الحسين (أبو عبد الله الواضحي الأتباري) :
 ٧٢٨ .

٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٥ ،

محمد بن السائب بن بشر الكلبي : ٦١٠ .
 محمد بن سليمان (أبو سهل الصطوكي) : ٣٧٦ .

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ،
 ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،

محمد بن سوقة (الفنوي) : ٣٧٢ .
 محمد بن صفوان (ابن عبد الله) : ١٨٥ .

٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ،
 ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ،

محمد بن عبد الرحمن (ابن أبي ذئب) : ١٥٦ ،
 ١٥٧ .

٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٥ ،

محمد بن عبيد الله العتي : ٣٦٤ ، ٤١٦ .
 محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) : ١٠٨ .

٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٨ ،
 ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ،

محمد بن علي بن حسن (أبو عبد الله الدامغانى) :
 ٥٩٨ .

٥٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ،

محمد بن عمر بن واقد السهمي (الراقي -
 المؤرخ) : ٧٢٧ ، ٧٣٧ .

٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،
 ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،

محمد بن كعب القرظي : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٣ .
 محمد بن مسلمة : ٥٦٤ .

٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ،
 ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ،

محمد بن مصعب بن شرحبيل : ١٨٥ .
 محمد بن المنتشر : ٥٤٦ .

٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ،
 ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ،

محمد بن المنكدر : ٣٧٧ .

٦٣٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٩ ، ٦٧٨ ، ٦٨٩ ،

- محمد بن واسع : ١٤٥ ، ١٤٦ .
 محمد بن يزاد (الروزي) : ٢٩٥ .
 محمد بن يزيد : ٦٤٥ ، ٦٤٦ .
 محمد بن يوسف (الثقفى) : ١٥٦ ، ٤٦٨ .
 محمود الوراق : ٣٣٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٦٠٠ .
 مخارق (أبو المهنا يحيى الجزار) : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
 المختار بن عبيد الثقفى (أبو إسحاق) : ٦٤ ، ٦٨٢ .
 المداينى = على بن محمد بن عبد الله .
 مزاراة بن الربيع (الأنصارى) : ٦٣٦ .
 مروان بن زنباع (القيسى) : ٦١٨ .
 مروان بن عبد الملك : ٣٥٤ .
 مروان بن محمد الجعدي = مروان الحمار (آخر ملوك
 بني أمية) : ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٦٨٠ ،
 ٧٣٧ .
 مريم ابنة عمران (عليها السلام) : ٧٠٩ .
 مزدك (الفارسي) : ٤٧٥ ، ٤٨٠ .
 المستعين ابن هود (من ملوك الطوائف) : ٦٨٥ .
 المستعين (أبو المقتدر بالله بن هود) : ٧٠١ ، ٧٠٢ ،
 ٧٠٣ .
 مسروق بن الأجدع (المملاني) : ١٨٤ .
 مسعر بن كدام : ١٠١ .
 المستوخر الأكبر = عمرو بن ربيعة .
 مسلم بن الحجاج (الإمام) : ١٦١ ، ٢١١ ، ٥٩٢ ،
 ٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ .
 مسلم بن عقيل بن أبي طالب : ٣١٧ ، ٣١٨ .
 مسلم بن عمرو بن الحصين : ٤٨٦ .
 مسلم بن قتيبة : ٣١٠ .
 مصعب بن الزبير : ٦٥ ، ٢٣٦ ، ٣٣٥ .
 مطرف بن عبد الله بن الشخير : ٣٨١ ، ٤٤٠ .
 المطلب بن عبد الله بن مالك : ٣٧٧ .
 معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٦٨ ، ٣٢٧ ،
 ٥٣٢ ، ٥٧٦ .
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
- ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٨٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ،
 ٧٢٢ .
 المحصم بالله العباسى : ٤٩٠ .
 معروف الكرخى : ٥٨٠ .
 معقل بن يسار (المزنى) : ١٦٢ .
 مغيث الرومى (مولى الوليد بن عبد الملك) : ٦٩٣ ،
 ٦٩٤ .
 المغيرة بن شعبة : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٤ ، ٣٦٥ ، ٤٣٥ .
 مقاتل بن سليمان الأزدي (صاحب التفسير) :
 ٦١٠ .
 المقتدر بالله (جعفر بن أحمد ، الخليفة العباسى) :
 ٢٩٤ .
 المقتدر بالله بن هود (أحمد بن سليمان) : ٦٩٩ .
 المقداد بن عمرو (أبو معبد) : ٥٥٥ ، ٥٦٧ .
 مكرم بن يوسف العابد : ٢٥ .
 المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ١٤٠ ، ١٤١ .
 المنصور بن أبي عامر : ١٣٣ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
 المنكدر بن عبد الله بن المنذر : ٣٧٧ .
 المنهدى (محمد بن أبي جعفر المنصور - الخليفة
 العباسى) : ٨٠ ، ١١٨ ، ١٥٧ ، ٤٠٠ ، ٦١٧ .
 مهربق (الملك) : ٧٤٤ .
 الملهب بن أبي صفرة : ١٣٧ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ ، ٦٨١ .
 مهيوز الموبدان : ٢٢٩ ، ٢٥٥ .
 موري الصجلي : ٩٤ ، ٣٦٤ .
 موسى بن عمران (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦٧ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٢ ،
 ٦٠٦ ، ٦١٥ ، ٦٣١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ .
 موسى بن نصير : ٦٩٢ ، ٦٩٤ ، ٧١٤ .

هارون بن محمد (الوائق بالله - الخليفة العباسي) :

. ٥١٩ ، ٥١٨

. همام : ٢٨٨

هرثمة (امرأة من قوم عاد) : ٩٧ .

هرم بن قطيبة (القزاري) : ٢٩٧ .

هرمز (في شعر) : ٣٣٠ .

الهرمزان (ثرملة - ملك خوزستان) : ٢٨١ .

هشام بن حكيم بن حزام (القرشي) : ٦٠٢ .

هشام بن العاص : ٣٦٢ ، ٣٦١ .

هشام بن عبد الملك بن مروان : ١١٢ ، ١٣٠ ،

٣٠٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٥٥٣ ، ٧٢٨ ، ٧٨١ ،

. ٧٨٢

هشام بن عروة بن الزبير : ٤١٨ .

هلال بن أمية (الأنصاري) : ٦٣٦ .

هلال بن يساف : ٥٦٧ .

هشام بن الحارث النخعي : ٦١٣ .

هشام بن غالب (الفرزدق) : ٢٨ .

هند بن أبي هالة (ابن السيدة خديجة) : ٥٨٦ .

هنيئ (مول عمر بن الخطاب) : ٥٦٥ .

الهيثم بن عدي (أبو عبد الرحمن) : ٦٨ .

(٩)

وائل (الملك) : ٧٤٤ .

الواقف بالله - الخليفة العباسي = هارون بن محمد .

واطاب (الملك) : ٧٤٤ .

الواقدي = محمد بن عمر بن واقد السهمي .

ورقة بن نوفل : ٣٣٠ .

الوضاحي = محمد بن الحسين (الأتباري) .

الوليد بن عبد الملك : ٦٨ ، ١٥١ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ،

. ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

الوليد بن عتبة بن أبي معيط : ٦١٢ .

الوليد بن المغيرة : ٦٠٩ .

الوليد بن هشام : ١٨٩ .

وهب بن منبه : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٩٦ ،

موسى الهادي بن محمد المهدي : ٣١٢ .

ميشا بن يوسف الصنّيق : ٥١٢ .

ميمون بن مهران : ١٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٦٥ ، ٤٨٢ ،

. ٥٩٢ ، ٦٠٦ ، ٧١٣ .

(ن)

النابغة الذبياني = زياد بن عمرو .

النابغة الجعدي = قيس بن عبد الله .

ناصر النولة (أبو علي الحسن الحماني) : ٦٥١ .

نافع (مولى عبدالله بن عمر) : ٥٤٤ .

النبي - ~~محمد~~ = محمد رسول الله .

النخعي (إبراهيم بن يزيد النخعي) = مالك بن

الحارث بن عبد يغوث .

نَسِيل (خادم مروان الجعدي) : ٢٢٩ .

نصر بن سيار : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

نظام الملك = الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي .

النعمان بن امرئ القيس (اللخمي) : ٣٣ .

النعمان بن بشير الأنصاري : ٤٢٦ .

النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة) : ٥٤٩ .

النعمان بن المنذر : ٥٥ ، ٥٦ ، ٣٦٣ .

النهر بن تولب : ٦٧٥ .

نمرود بن كوش : ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ .

نوح (عليه السلام) : ٢٣ ، ١٥٥ ، ٣٢٥ .

النوري (أبو الحسين أحمد بن محمد) : ٣٧٠ ،

. ٣٧١

(هـ)

هارون (أخو موسى - عليه السلام) : ٦٠٦ .

هارون الرشيد (الخليفة العباسي) : ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٥ ،

. ٦٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

. ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٩٧ ،

. ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٦ ، ٤٨٨ ،

. ٤٩١ ، ٥٥٨ ، ٧٣٤ .

- يزيد بن حاتم : ٥٩٩ .
 يزيد بن حميد الأسدي (أبو النجاش) : ٣٨٨ .
 يزيد الرقاشي : ٢٦ .
 يزيد بن عبد الملك : ٦٤٦ .
 يزيد بن عمر بن هيرة : ٢٢٩ .
 يزيد بن أبي مسلم : ٧٨٨ ، ٦٤٦ .
 يزيد بن معاوية : ٥٨٣ .
 يزيد بن المهلب : ٧١٤ .
 يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام) : ٤٠٨ ،
 ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٥٨٥ .
 يلقور : ٥٠٤ .
 يمان = حسيل بن جابر بن ربيعة العيصي .
 يوسف بن أسباط (الشيباني) : ٦٠٦ .
 يوسف الصديق (عليه السلام) : ١٨١ ، ٤١٣ ،
 ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ،
 ٥٦٢ ، ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
 يونس بن متى (عليه السلام) : ٦٠١ ، ٦٠٣ .

١٤٣ ، ١٨٨ ، ٤٨٨ ، ٤٢٥ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ .

(ح)

- حبيش بن أكثم : ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢١٨ ، ٥٥٧ .
 حبيش بن خالد البرمكي : ١٥٣ ، ٢٣٨ ، ٤٨٧ ،
 ٤٩١ .
 حبيش بن زكريا (عليهما السلام) : ٩٧ ، ٣٣٣ ،
 ٥٨٦ .
 حبيش بن زياد الحارثي : ٥٨٥ .
 حبيش بن زيد : ٦١٧ .
 حبيش بن سعيد : ١٤٩ .
 حبيش بن معاذ : ٣١٦ ، ٧١٧ .
 حبيش بن معين : ٣٧٧ .
 يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٥٢٧ ، ٥٣٨ .
 يزديجرد (ملك الفرس) : ٦٧٤ .
 يزيد بن أبي مسلم (الثقفي) : ٢٩١ .
 يزيد بن أنس (المالكي) : ٦٨٢ .

(٥)
فهرس الأماكن والبلاد والبقاع ،

(أ)

- الأبلة (بلدة على شاطئ دجلة) : ٥٨ .
أبو قهيس (جبل بمكة) : ٥٥٦ .
أحد (جبل بالمدينة) : ٦٩١ .
أرض الأندلس = الأندلس .
أرض الحجاز = الحجاز .
أرض الصليحي : ٦٥٣ .
أرض صنعاء = صنعاء .
أرض الصين = الصين .
أرض العراق = العراق .
أرض مصر = مصر .
أرض المغرب = المغرب .
أرض النوبة = النوبة .
الإسكندرية : ١٩٠ ، ٦٠٢ ، ٦٥٢ ، ٧١٧ ،
٧١٩ ، ٧٣٠ .
أسوان : ٥٠٩ .
أصبهان : ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ ، ٦٩٥ ، ٧٣١ .
أطواد (جبال - في شعر) : ٣٦ .
إفريقية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٧٠٠ .
الأندلس : ٨٨ ، ١٠١ ، ١٣٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ،
٦٨٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٩ ، ٧١٤ .
أنطاكية : ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
أنقرة (في شعر) : ٣٦ .
أودية المدينة (المنورة) : ٢١ .
ليوان شهر : ٧٣٩ .

ليوان كسرى : ٥٢٤ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

(ب)

- باب البحر : ٤١ .
بارق (في شعر) : ٣٥ .
بحر الظلمات : ٢٦٧ .
البحرين : ٥٣٨ ، ٥٦٦ .
بدر : ٥٤٦ ، ٦٩٠ .
البصرة : ٥٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،
٣٢٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٥ ، ٤٩٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ،
٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٦١١ ، ٧٧٠ .
بغداد (مدينة السلام) : ١٤٣ ، ٤٧١ ، ٥١٦ ،
٥١٧ ، ٥٩٨ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ .
بلاد الأندلس = الأندلس .
بلاد الروم : ٨٨ ، ٤٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٣٣ .
بلاد فارس : ٢٤٣ ، ٥٣٧ ، ٥٦٨ ، ٧٣١ .
بلاد المسلمين : ٤٩٩ ، ٦٩٥ .
بلخ : ٣٩ .
بيت الله الحرام (الكعبة = المسجد الحرام = البيت
الحرام) : ٨٣ ، ٨٥ ، ١١٩ ، ٤٦٦ ، ٥٢٤ ،
٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .
بيت المال (بيت مال المسلمين) : ١٥ ، ١١٩ ،
٤٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،
٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ،
٥٧٠ ، ٧٢٦ .
بيت المقدس : ٥١٤ ، ٦٦٥ .

يَهَق (بلد من نواحي نيسابور) : ٦٥٠ .

(ت)

تبوك : ٦٣٦ ..

تكريت : ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

تهامة : ٢٩٤ .

(ث)

دار عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

دار علي بن أبي طالب : ٤٠٣ .

دار عمر بن عبد العزيز : ٥٤١ .

دار المطلب : ٣٧٧ .

دانية (مدينة أنطلسية) : ٦٥٥ .

دجلة (نهر) : ٥٨٠ .

دمشق : ٣١٢ ، ٦٥٢ ، ٧٧٧ ، ٧٨١ .

ديار بكر : ٥١٤ ، ٦٦٥ ، ٦٩٥ .

(ذ)

ذفار (أو : ذِمَار) : ٤٠١ .

(ر)

رشيد (في مصر) : ٥٠٩ .

الرصافة (في شعر) : ٧٨٢ .

رصفلة هشام بن عبد الملك : ٧٨١ .

الركن الثاني (الملتزم) : ٤٣٦ .

الرملة : ٣٦٩ .

الروم = بلاد الروم .

الروقة : ٥٧ .

الرئي : ٣٦٨ .

(ز)

زعم : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(ص)

ساحل إفريقية : ٦٦٣ .

(ج)

الجامع الأعظم بقرطبة : ٦٥٣ .

جبانة البصرة : ١٥٠ .

جبل طارق : ٦٩٢ .

جبل لبنان : ٦٨ .

جبل الياقوت (بالهند) : ٤٨١ .

الجزيرة (جزيرة القرات) : ٦٨٢ .

الجزيرة الخضراء (في الأندلس) : ٦٩٢ .

(ح)

الحبيشة : ٧٢٤ .

الحجاز : ٢٨٤ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ،

٥٤٨ .

الحجر : ١٥٥ .

الحجون (جبل بمكة) : ٢٥ .

الحرة : ٥٤٦ .

حرة واقم : ٥٥٢ .

حلوان (في شعر) : ٥١ .

حصص : ٢١٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٠ .

الحيص (مكان) : ٥٦٥ ، ٥٧٠ .

الحيرة : ٥٩ ، ٧٣٢ .

(خ)

خراسان : ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٤٥٦ ، ٤٧١ ، ٥١٤ ، ٥٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٩٥ ،

٧٣٣ ، ٧٣٧ .

خزائن مصر : ٥١٠ .

طَلَيْطَلَة : ٦٩٤ .

الطور : ٦٦٢ .

طوس : ٥٢ .

(ع)

عَدَن : ١٦٨ ، ٧٣٤ .

العراق : ٤١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٩٤ ،

٥٠٤ ، ٥١٣ ، ٥٣٤ ، ٥٦٥ ، ٦٤٥ ، ٦٩٥ ،

٧٠٣ ، ٧٢٢ ، ٧٣٢ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ .

العراقين (البصرة والكوفة) : ٥١٤ .

عَقَبَة عُثْمَان : ١٤٩ .

عكاظ (سوق) : ٧٦ .

ساحل مدينة برق : ٦٥٢ .

سجستان : ٣٦٦ .

السدير (في شعر) : ٣٤ ، ٣٥ .

مَرْقُسطَة : ٦٩٩ ، ٧٠١ .

سمرقند : ٥١٤ ، ٧٣٢ .

سمعان (جبل - في شعر) : ٧٨ .

سنداد (منزل لإياد - في شعر) : ٣٥ .

سواحل الشام : ٦٠٤ .

السواد (ما حول الكوفة من القرى) : ٥٧١ .

سور قسطنطينية : ٥١٤ .

السويدية (بلدة) : ٦٦٥ .

(هـ)

شاطيء دجلة : ٥١٦ .

الشام : ٤١ ، ٥٣ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٤٣ ، ٣٧٨ ،

٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٥١٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٤٠ ،

٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٦٠٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠٣ .

شعاب اليمن : ٧٠ .

(غ)

الغرية : ١٩٠ .

عُمْدَان (قصر) : ٣٧ .

(ف)

فارس = بلاد فارس .

الفرات (في شعر) وانظر (نهر الفرات) : ٣٦ .

(ق)

القادسية : ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

قبر خِيَاب بن الأَرث : ١١٥ .

قبر الحاييل (عليه السلام) : ٦٦٥ .

قبر الرسول (ﷺ) : ٥٣٠ .

قرطبة : ٤٥٧ ، ٥٨٩ ، ٦٥٣ ، ٦٩٤ .

قُرَى اصْطَحَر (في شعر) : ٢٩٨ .

القسطنطينية : ٦٩٧ .

قصر ابن ذى يزن = انظر غمدان .

قصر للمأمون بن ذى النون : ١٠١ .

قصر هارون الرشيد : ١٥٣ .

القَنْتَحَار : ٧١٠ .

القروان : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(ص)

صعيد مصر : ١٩٠ .

الصفا (جبل) : ٦٣٥ .

صِفُون : ١١٥ ، ٧٠٣ .

صقلية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٦ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ .

صنعاء : ٣٧ ، ٣٨٩ ، ٥٥٠ .

الصين : ٢٢٣ ، ٤٨١ .

(ط)

طرسوس (مدينة بغير الشام) : ٤١ .

طَرْطُوشَة : ٦٥٥ ، ٦٧٢ ، ٦٩٩ .

طريق الحجاز : ٦٤٨ .

طريق مكة : ١٤١ .

٦٩٥ ، ٦٥١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٤

الحصبة : ٤١ .

المغرب : ٩ ، ٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ .

مكة المكرمة : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٩ ،

٤٦٠ ، ٤٩٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤ .

منيج (بلدة بالشام) : ٣٦٤ .

مقازة تبوك : ٦٤٨ .

النصورية = الحصبة .

الوصل : ١٥٧ ، ٤٩٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(ن)

نجران : ٢٣٦ ، ٦١٦ .

نهر جيحون : ٥١٤ .

نهر عمر (نهر البصرة) : ٤٢٧ .

نهر القرات : ٣٧٨ .

النوبة : ٢٢٦ .

النيل (نيل مصر) : ٥٠٩ .

(هـ)

الحند : ٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٤٨٠ ،

٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٥٤ ، ٧٢٩ .

(و)

الوادى المقدس (طوى) : ٦٦٢ .

وشقة (مدينة) : ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(ي)

اليوموك (موضع بالشام) : ٣٦١ .

الجماعة : ٥٤٨ .

اليمن : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ٥٠٠ ، ٦٥٣ .

(ك)

كابلستان (أفغانستان) : ٧٣٧ .

الكعبة = بيت الله الحرام .

كورة بلغ : ٣٩ .

كورة بوسو : ٢٢٦ .

كور خراسان : ٧٣٧ .

كور الشام : ٥٢٨ .

الكوفة : ١١٥ ، ٢٤٩ ، ٥٢٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦٤ ،

٥٧٠ ، ٦٥٩ ، ٧١٦ .

(م)

مجمع البحرين : ٢٦٧ .

الملكان : ٥٢٤ ، ٧٣٨ .

المدرسة النظامية : ٥١٦ ، ٥١٧ .

ملنن : ٦٦٢ .

مدينة أصبهان = أصبهان .

مدينة حمص = حمص .

مدينة دمشق = دمشق .

مدينة السلام = بغداد .

مدينة سمرقند = سمرقند .

المدينة المنورة : ٥٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٨ ،

٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٧٠٨ .

المروة (جبل) : ٦٣٥ .

المسجد الجامع (بالإسكندرية) : ٦٤٧ .

المسجد الجامع (بالبصرة) : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

مسجد مصر : ٢٦٨ .

مسجد النبي (ﷺ) : ٢١٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ،

٥٠٦ .

المسعى (بين الصفا والمروة) : ١٣٨ .

مصر : ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٩٨ ، ٣٦٨ ،

٤٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٦٢٤ ،

(٦)

فهرس الجماعات والقبائل والأهم والطوائف

(أ)

أئمة محمد (ﷺ) : ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٣١ ،
 الأمراء : ١٢ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٦١٥ ،
 أنبياء بني إسرائيل : ٩٦ ، ٢٥ ،
 الأنصار : ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
 ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٥٢ ،
 أهل الإسلام = المسلمون .
 أهل إفريقية : ٦٤٦ .
 أهل البصرة : ١١٨ ، ٤٢٧ ، ٥٧٨ ،
 أهل بيت النبوة (آل البيت) : ٧ ، ١٣٨ ، ٥٠١ ،
 أهل الحجاز : ١٣٩ ، ٢٨٤ ،
 أهل حمص : ٥٤٠ ،
 أهل الخراج : ٤٩٧ ،
 أهل غراسان : ٤٥٥ ،
 أهل الدهر = الدهريون .
 أهل النخعة : ٥٤٢ ، ٥٥٠ ،
 أهل الشام : ٥٣ ، ١٥١ ، ٤٧٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ،
 ٧٠٣ ،
 أهل صقلية : ٧٠٠ ،
 أهل العراق : ٤٧١ ، ٧٠٣ ،
 أهل العلم = العلماء .
 أهل القرآن : ٥٤٧ ،
 أهل القيروان : ٦٤٩ ،
 أهل الكتاب = أهل الذمة .
 أهل الكوفة : ٥٤٩ ،
 أهل المدينة : ١٥٦ ، ٥٦٥ ،
 أهل مصر (الفرعونية) : ٥١٢ ،

آل داود : (عليه السلام) : ١٤٦ ، ٤٢٨ ،
 آل ساسان = ملوك القرس .
 آل محرق = ملوك الحيرة .
 آل العباس = العباسيون .
 آل هاشم : ٦١١ ،
 أئمة المسلمين : ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ،
 إسخوة يوسف (عليه السلام) : ٤١٣ ، ٥١٢ ،
 ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ،
 أرباب القلوب = الصوفية .
 الأزارقة (فرقة من الخوارج) : ٣٢٥ ، ٦٨٢ ،
 أشياخ الصعيد (صعيد مصر) : ١٩٠ ،
 أصحاب الأنحف : ٣٤٨ ،
 أصحاب التواريخ (للمؤرخون) : ١٩١ ،
 أصحاب سخون : ٨٤ ،
 أصحاب الشافعي : ١٨١ ، ٥٤٧ ، ٥٦٢ ،
 أصحاب علي (كرم الله وجهه) : ٧٠٣ ،
 أصحاب النبي (محمد) ﷺ = الصحابة .
 الأطباء : ٢٩٠ ، ٣٢٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٧٨ ،
 الأعاجم = المنجم .
 الأقباط : (ملوك اليمن في الجاهلية) : ٧٠ ،
 الأكاسرة = ملوك القرس .
 الأمناء : ١٧٠ ، ٤١٣ ، ٥٠٨ ،
 أمناء فرعون : ٥٠٨ ،

٤٥٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،

٥٠٢ ، ٥٨٢ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ ،

٧٣٧ ، ٧٣٨ .

جيوش ألى القنص (ملك الترك) : ٥١٥ .

جيوش إفريقيا : ٦٩١ .

جيوش الصاغة : ٤٩٤ .

جيوش المسلمين (عسكر المسلمين) : ٦٨٥ ،

٦٨٦ ، ٦٩٢ .

(ح)

الحجازيون = أهل الحجاز .

الحكام (أهل الحكمة) : ٩ ، ١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،

٣٢٤ ، ٣٦٠ ، ٣٩٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٧١ ،

٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٦٧ ،

٦٨٣ ، ٦٩٠ ، ٧١٠ ، ٧١٢ ، ٧٢٢ ، ٧٤٩ ،

٧٨٠ .

حكماء الروم : ٤٥٦ .

حكماء الصين : ٩ .

حكماء العجم (وانظر : حكماء الفرس) : ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٤٣٤ ، ٤٨٠ ،

٦٧٩ .

حكماء العرب : ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ،

٢٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٥٦ ، ٤٨٠ .

حكماء الفرس : ٤٥٦ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ .

حكماء الهند : ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٤٥٦ ، ٤٧٣ ،

٦٧٠ .

حَمَلَة العلم = العلماء .

حَمَلَة القرآن : ٤٥٦ .

الحواريون (أصحاب عيسى عليه السلام) : ٦٠٦ .

(خ)

غزوة النيران : ٨ .

أهل مكة : ٢٩٩ .

أهل اليمن : ١٥٥ .

يَهَاد (قبيلة) : ٣٥ .

(ب)

البصريون = أهل البصرة .

البطارقة : ٢٤٦ .

بنو إسرائيل : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٩٠ ، ٤٦٧ ،

٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ .

بنو الأصغر = ملوك الروم .

بنو الأغلب (من ملوك المغرب) : ٨٤ .

بنو أمية : ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٤٧٦ .

بنو تغلب : ٥٤٤ .

بنو تميم : ٣٤١ .

بنو المسحاس (قوم من العرب) : ٥٦٢ .

بنو زيد : ٦٧٤ .

بنو سعد (لى شعر) : ٣٤٣ .

بنو ضبة : ٥٠ .

بنو عيس : ٣٢٣ .

بنو عمرو بن عوف : ٥٧١ .

بنو كنانة : ٣٣٨ .

بنو مدج : ٥٠٥ .

بنو مروان : ٢٢٩ .

بنو المصطلق : ٦١٢ .

بنو هاشم : ٥٧ .

(ت)

التجار : ١٩٥ .

الترك (الأتراك) : ٥١٣ ، ٦٨٠ ، ٦٩٤ .

(ج)

جُباة الأموال : ٤٩٨ ، ٤٩٥ .

الجند (الجنود أو الأجناد) : ١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

خلفاء بني العباس : ٥٣٠ .

الخلفاء الراشدون : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٧٢٦ .

الخوارج (وانظر الأزارقة) : ٧١٣ .

(د)

دعاة العرب (الستة) : ٢٨١ .

الدهريون (أهل الدهر) : ٤٥١ ، ٦٠٩ .

(ر)

الرامة : ٦٩١ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٨ .

الروم : ٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٦٦٦ ،

٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٧ ، ٦٩٢ ، ٦٩٤ ،

٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠٢ .

(ز)

الزُّرَّاع (أو المزارعون أو الفلاحون) : ٤٥ ، ٤٩٦ ،

٤٩٧ ، ٤٩٨ .

الزُّهَّاد = أهل الزهد (وانظر الصوفية) : ٨٧ ،

٣٦٠ ، ٥١٤ .

(ص)

سنة بيوت الأصنام : ٨ .

سلاطين الأندلس = ملوك الأندلس .

سلاطين المغرب = ملوك المغرب .

السُّنْد (أمة السند) : ٩ ، ٧٢٠ .

السند هند : ٩ .

(ش)

الشاميون = أهل الشام .

الشُّرَط : ١٩٥ ، ٧١٧ .

الشمراء : ٦٦٣ .

الشيوخ : ١٩٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ .

شيوخ الأندلس : ٤٩٨ .

شيوخ الجند : ٦٧٢ .

(ص)

الصحابية (أصحاب النبي ﷺ) : ٧ ، ٢٣ ، ٢٠٩ ،

٢٦٨ ، ٣٦١ ، ٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٥٦٧ ، ٥٨٦ ،

٦٢١ ، ٦٩٠ .

الصوفية (الفقراء = أرباب القلوب) : ٣٦٩ ،

٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ .

الصينيون = أهل الصين .

(ض)

الضرابون (الذين يُمْتَوْنَ الأَصْنَةَ) : ٥٤٩ .

(ع)

العُبَّاد (وانظر الزهاد والصوفية) : ٥١٤ .

عُبَّاد المدينة (بنو المنكسر) : ٣٧٧ .

العباسيون (آل العباس) : ٢٣١ ، ٣٥٠ .

عَهْدَة الأنداد والأوثان : ٨ .

عبد القيس (قبيلة) : ٧٥ .

العجم (الأعاجم) : ٣٥١ ، ٣٩٤ ، ٤٧٨ ، ٥٤٥ ،

٥٥٨ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٧٠١ .

العرب : ٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ،

٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥٤٤ ، ٥٥٨ ، ٦١٠ ،

٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٢ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٢٠ ،

٧٤٩ .

الْعَرَقَاء : ١٦٧ ، ١٧٠ .

العلماء (حَمَلَة العلم) : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٢٨٧ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٤٣٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ،

٥١٤ ، ٥٤٨ ، ٥٧٤ ، ٦٠٣ ، ٦٤٨ ، ٧٢١ .

علماء المسلمين : ٥٥٠ ، ٦٦٣ .

العمال (القائمون على الجباهات ، والأمراء) : ١٦ ، ٣٢٧ ،

٥٠٦ ، ٥٣٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٠ ،

٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ .

٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ،

٦١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ،

٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ،

٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ،

٧٠٢ .

المشركون : ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٦٨٧ ، ٧٠٢ .

المكشون : ٦٠٢ .

الملوك (أو السلاطين) : ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ،

١٦٠ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ،

٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،

٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ،

٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ،

٥١٣ ، ٥٩٨ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧٣٧ ، ٧٦٧ ،

٧٨٥ .

ملوك الإسلام : ٥٠١ .

ملوك الأندلس (سلاطين الأندلس) : ١٠١ ، ٥٠٢ .

ملوك بني إسرائيل : ٤٦ .

ملوك بني أمية : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

ملوك بني حمدان : ٦٥١ .

ملوك جنت : ٢٤٣ .

ملوك الحيرة (آل عرق) : ٣٥ ، ٦٠ .

ملوك خراسان : ٣٩ ، ٤٠ .

ملوك الروم (أو الأصغر) : ٣٥ ، ٢٨٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ .

٥٠٠ .

ملوك الصين : ٩ ، ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

ملوك الطوائف : ٩ ، ٢٢١ ، ٣٥٤ ، ٥٠٠ .

ملوك المعجم (وانظر ملوك الفرس) : ١٦ ، ٢٢٠ ،

٣٢٢ ، ٧٢٠ .

ملوك الفرس (ملوك فارس) : ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠ ، ٧٢٨ .

ملوك المغرب : ٨٤ ، ١٩٥ .

ملوك الهند : ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

المهاجرون : ٥٠٤ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ .

(ف)

الفرس : ٩ ، ٣٥١ ، ٧٢٠ ، ٧٤٠ .

الفقراء = الصوفية .

الفقهاء : ١٣٤ ، ٢٦٣ ، ٣٢٤ ، ٤٥٥ ، ٥١٤ ،

٥٨٩ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

فقهاء الأسماء : ٥٦٢ .

فقهاء البصرة : ٤١٥ .

(ق)

القرء : ١٧٠ .

قريش : ١٥٦ ، ٤٨١ ، ٥٥٢ ، ٥٨٩ ، ٦٩١ .

القضاة : ١٢ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٥٩٨ .

قوم عاد : ٩٧ .

قوم لوط (عليه السلام) : ٦٠٧ .

قوم يونس (عليه السلام) : ٦٠١ .

(ك)

كبراء فارس : ٣٣٧ ، ٣٥١ .

الكفار (عبدة الأوثان وأهل الكفر والإلحاد) :

٦٧٢ ، ٦٩١ ، ٦٩٩ ، ٧٠٢ .

الكفلاء : ٥١٤ ، ٧٦٧ .

كلب (قبيلة) : ٣٣٩ .

الكنساء : ٦٨٤ .

كهنة فرعون : ٥٠٨ .

(م)

المسلمون (المشركون) : ٤٩٩ .

المرازية : ٣٢٢ ، ٧٣٥ .

المسلمون : ١١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،

٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ،

٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،

المهندسون : ١٠٢ .

(ج)

وجوه البصرة (أعيان البصرة) : ٥٥٧ .

وجوه قرطبة : ٦٥٣ .

الوزراء : ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ،

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٣٢٠ ، ٤١٣ ، ٥١٣ ، ٧٣٥ .

الوعاظ : ١٨٠ ، ٧٤٠ .

وقد عبد القيس : ٧٥ .

الولاة (وانظر العمال) : ١٢ ، ١٦ ، ١٥٩ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٩ ، ٣٥٨ ، ٤٩٨ ،

٥٥١ .

(ح)

اليهود : ٣٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(ن)

النسك : ١٥٤ ، ٥٨٤ .

النصارى (وانظر أهل الذمة) : ٣٦٨ ، ٥٤٢ ،

٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٦٧٣ .

نصارى أهل الشام : ٥٤٢ .

(هـ)

الهند (الهنود) : ٩ .

(٧)

مصادر ومراجع التحقيق والتعليق ،

- القرآن الكريم (٥) .
- أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد النادر ، للدكتور جمال الدين الشيال ، سلسلة أعلام العرب رقم ٧٤ - القاهرة ١٩٦٨ م .
- أبو جعفر المنصور ، لميد السلام رسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علاء الدين الفارسي وضبط كمال الحوت ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- الأحكام السلطانية ، للماوردي ، دار الفكر - القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة .
- أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، تحقيق محمد قحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- أمد الغاية في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ، دار الشعب - القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- إشارة الصين في تراجم النعاة واللغويين ، لميد الباقي الجاني ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- إعجام الأعلام ، لمحمود مصطفى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ، تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب المصري - اللبناني ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م .
- أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، للدكتور جمال الشيال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م .
- أعلام النساء ، لمبر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب - القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٥) يقتضى الترتيب الأبجدي وضع كتاب الله تعالى في حرف القاف ، وقد قدمناه هنا احكاماً وتشديراً .

- أفلاطون ، للدكتور أحمد قزاد الأهواني ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .
- الإكمال ، لابن ماكولا ، دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٩٦٢ م .
- أمالى السيد المرتضى ، ضبط وتعليق السيد محمد بنر الحلبي ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٢ م .
- الإمامة والسياسة ، لابن تقيّة ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- إيران والعراق في العصر السلجوقي ، للدكتور عبد النعم حسنين ، دار الكتاب المصري - اللباني - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- بغية الملعس في تاريخ رجال الأندلس ، للضبيّ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري - اللباني القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت .
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، لابن حمزة الحسيني ، المكتبة العلمية - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- تاج العروس ، للزبيدي ، المطبعة الخيرية بالجمالية - مصر ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأمر الحاكم ، للدكتور أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
- تاريخ الدولة الفاطمية ، للدكتور حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨١ م .
- تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩ م .

تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، للدكتور جمال الشئال ، دار المعارف - القاهرة

١٩٦٧ م .

تذكرة الحفاظ ، للذهي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٦٨ م .

الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذرى ، بتعليق مصطفى عمارة ، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٧ هـ

١٩٨٧ م .

تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

تفسير القرآن الكريم ، لمحمد حمزة وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

تفسير القرطبي ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ، دار الشعب - القاهرة .

تفثال الأمثال ، لأبى المحاسن الشيبى ، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان ، دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ

١٩٨٢ م .

ثمار القلوب فى المصاف والمسبوب ، للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف -

القاهرة ١٩٨٥ م .

الجاحظ ، حياته وآثاره ، للدكتور طه الحاجرى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

جامع كرامات الأولياء ، ليوسف النبهانى ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي

- القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ .

الجدول فى إعراب القرآن ، تصنيف محمود صافى ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

جدوة المقص فى تاريخ علماء الأندلس ، لأبى عبد الله الحميدى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار

الكتاب المصرى - اللبناني - القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

جهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة

١٩٨٢ م .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصفهاني ، دار الفكر - بيروت .

حياة الصحابة ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، المكتبة الإسلامية بالأزهر - القاهرة .

حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، مصطفى البابى الحلبي - القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

خزانة الأدب ، للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، ترجمة الشتناوى وآخرين - دار الشعب - القاهرة .

دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة - بيروت ١٩٧١ م .

دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، للدكتور محمود قاسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
درة النواصى فى أوهام الخواص ، للحريوى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥ م .

الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، لحمزة الأصهبانى ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

ديوان الأمير أبى العباس عبد الله بن المعز ، تحقيق الدكتور محمد بدیع شريف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

ديوان أبى العباس ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

ديوان أبى نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ديوان الإمام على ، تحقيق الدكتور عبد المنعم خلفاى ، دار ابن زيدون - بيروت .
ديوان الإمام على ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم - بيروت .

ديوان الإمام على ، ضبط وشرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت .

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .

ديوان بشار بن بُرد ، شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ،
والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر - تونس ١٩٧٦ م .

ديوان بشار بن بُرد ، تحقيق وتعليق محمد الطاهر ومحمد رفعت فتح الله ومحمد شوق أمين ، لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

ديوان أبى تمام ، بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزلم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٦ م .

ديوان ثيم بن المُعز ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .

ديوان حسان بن ثابت ، بشرح محمد العنانى ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٣١ هـ .

ديوان الخوارج ، جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ديوان فريد بن الصنّة ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- ديوان الشريف الرضى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت .
- ديوانا عروة بن الورد والسّمّوأل ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق وشرح على فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعرى ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- الرسالة القطبية ، لأبي القاسم القشيري ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٢ م .
- الزهد ، لأحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد نّوآد عبد الباقي ، المكتبة العلمية - بيروت .
- سنن الدارمي ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار إحياء السنّة النبوية - القاهرة .
- سنن النسائي ، بشرح جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- صور أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- سيرة النبي - ﷺ ، لابن إسحاق ، وعهد بن هشام ، تحقيق محمد عيسى الدين عبد الحميد ، مكتبة صبيح - القاهرة ١٩٧١ م .
- شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبل ، دار المسرة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح ديوان أبي الطيّب المتصّي ، لأبي العلاء المعرى ، المعروف « بمعجز أحمد » تحقيق الدكتور عبد المجيد دهاب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، لإيليا الحواي ، دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٣ م .
- شرح ديوان المتصّي ، لعبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاکر ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .
شعراء النصرانية في الجاهلية ^(٥) ، للأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٨٢ م .
الصبح المنبئ عن حيشة المتنبئ ، للشيخ يوسف البديهي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

الصباح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الشعب - القاهرة .
صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي ، دار الكتاب العربي - بيروت .

صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
الصلة ، لابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

صور من حياة الرسول ، أمين دويدار ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الأولياء ، لابن الملتن ، تحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الشافعية ، لابن هداية الله الحسيني ، وبذيله «طبقات الفقهاء» للشرازي ، دار القلم بيروت .

طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمی ، بتحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
الطبقات الكبرى ، للشعراني ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(٥) ليس كل ما ورد بهذا الكتاب من الشعراء يدينون بالنصرانية .

طبقات المفسرين ، لشمس الدين الداودى ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠ هـ - ١٩٨٣ م .

طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤ م .

العبر في خبر من غير ، للذهبي ، بتحقيق أنى هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

علل الحديث ، للإمام أنى محمد عبد الرحمن الرازى ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، لابن الجوزى ، ضبط الشيخ خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

عمرو بن العاص ، لمباس محمود العقاد ، دار الهلال - القاهرة .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣ م .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ، بتقديم أحمد عيد الغفور عطار ، دار بيروت - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

الفاروق عمر ، للدكتور محمد حسين هيكل ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .

فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر المسقلانى ، بتحقيق عبد العزيز بن باز وآخرين ، دار المعرفة - بيروت .

فقه اللغة وسر العربية ، لأنى منصور الثعالى ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ، لمحمد بن شاکر الكتبى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٩٧٣ م .

الفصل فى ألوان الجموع ، عباس أبو السعود ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، لمحمد رمزى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٤ م .

قاموس الفارسية ، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، دار المأمون - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
قصص الأنبياء ، لابن كثير ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

قصص الأنبياء ، لمجد الوهاب النجار ، دار الرائد العربى - بيروت .
قصص الأنبياء ، بإشراف محمد أحمد برانق ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .
قضاة قرطبة ، لأبى عبد الله الحشنى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القطامى - حياته وشعره ، للدكتور زكى عابدين غريب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، بتعليق ومراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

كتاب الأمالى ، لأبى على القالى ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجليل - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

كتاب التاريخ الكبير ، للبخارى ، دار الكتب العلمية - بيروت .
كتاب الصحيفات ، للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

كتاب الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدآباد - الهند ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

كتاب الحراج ، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٧ هـ .
كتاب دول الإسلام ، للدهمى ، تحقيق فهم شلتوت وعبد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٤ م .

كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ م .

كتاب السنن الكبرى ، للبيهقى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدآباد - الهند ١٣٤٤ هـ .
كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق بوران الضناوى ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب الضعفاء الكبير ، للعقلى ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق سوسنة ديفلد - فلرز ، دار مكتبة الحياة - بيروت .

كتاب فوح البلدان ، للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية - القاهرة ١٣١٨ هـ .

كتاب كيلة ودمنة ، لابن المقفع ، بتعليق وضبط الشيخ خليل اليازجى ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠٧ م .

كتاب المُخَبَّر ، لابن حبيب ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .

كتاب المراهظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٨٧ م .

كتاب نسب قریش ، للمصعب الزهيرى ، نشرة بروفنسال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

كتاب الوحشيات ، لأبى تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ م .

الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزخشري ، دار المعرفة ، بيروت .

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة - استانبول ١٣١١ هـ .

كشف المحجوب ، للهجویری - مترجم عن الإنجليزية - تحقيق ومراجعة الدكتور إبراهيم شتا وإسماعيل ماضى أبو العزائم ، دار التراث العربى - القاهرة ١٩٧٧ م .

لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .

لقمان الحكيم ، لعبد الله كنون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

مجالس ثعلب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ م .

مجمع الأمثال ، للميدانى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

مجمع البحكم والأمثال فى الشعر العربى ، لأحمد قبش ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى ، بتحريه الحافظين : العراقى ، وابن حجر ، المعارف - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

المحرر فى الحديث ، لأبى عبد الله الحنبلى ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن وآخرين - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

مختار الصحاح ، للرازى ، مراجعة وتحقيق لجنة من العلماء ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ م .

مروج الذهب ، للمسعودى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

المصباح المثير ، للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

- المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب - القاهرة .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب وتنظيم ليف من المستشرقين ، نشر د . ونسك ، طبعة بريل - لندن ١٩٣٦ م .
- معجم مقيدات ابن خلكان ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخفاجى - القاهرة ١٩٨٧ م .
- المعجم الفلسفى ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- معجم قبائل العرب ، لعمر كحالة ، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- المُغرب فى حُلَى المغرب ، لابن سعيد المغربى ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ م .
- المنبى فى توجيه القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محسن ، دار الجبل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- المنبى فى ضبط أسماء الرجال ومعرفة كُنى الرواة وألقابهم وأنسابهم ، للمحدث محمد بن طاهر ابن على الهندى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد على ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٦ م .
- مقاصد الفلاسفة ، للغزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف - القاهرة .
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون المغربى ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- الجلل والنخل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ م .
- مناهج اليقين ، شرح أدب الدنيا والدين ، لأويس وفا الأرنجائى ، طبعة الآستانة - ١٣٢٨ هـ .
- منهج عمر فى التشريع ، للدكتور محمد بلتاجى ، دار الفكر العربى - القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

موارد الظمآن إلى زوائد ابن جبان ، للهيثمى ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية - بيروت .

الموازنة بين شعر أبى تمام والبحرى ، للآمدى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

الموسوعة الفلسفية المختصرة ، بإشراف الدكتور زكى نجيب محمود ، دار القلم - بيروت .
ميزان الاعتدال ، للذهبي ، تحقيق على الجاوى ، دار المعرفة - بيروت .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

نصيحة الملوك ، للماوردى ، تحقيق محمد جاسم الحريش ، دار الحرية ، والشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ م .

نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، للقلقشندى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

نهج البلاغة ، بشرح الشيخ محمد عبده ، دار البلاغة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
نهج البلاغة ، ضبط وتحقيق الدكتور صبحى الصالح ، دار الكتاب اللبنانى - ١٩٨٣ م .
الورقة ، لابن الجراح ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد ، دار المعارف - القاهرة .

والموعود الله ، لخالد محمد خالد ، دار ثابت - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
وليات الأحياء ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت .
يتممة الدهر ، للتحالى ، المطبعة الحنفية - دمشق .

(٨)

فهرس المحتويات ،

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم بقلم الدكتور شوقي ضيف
١١	مقدمة الخقق
١١	تنويه
١٢	مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته
١٤	رحيله لطلب العلم وأساتذته
١٤	الطرطوشى فى مكة
١٥	الطرطوشى فى بغداد
١٦	اتجاه الطرطوشى إلى التصوف
١٧	الطرطوشى فى البصرة
١٨	الطرطوشى فى الشام
٢٠	الطرطوشى فى مصر
٢١	الطرطوشى فى الإسكندرية
٢٣	موعظة الطرطوشى للملك الأفضل
٢٤	الطرطوشى وابن حديد
٢٥	الأفضل ، يحدد إقامة الطرطوشى
٢٦	الطرطوشى والمأمون البطائحي
٢٨	تلاميذ الطرطوشى
٢٨	سند بن عنان

الموضوع

الصفحة

٢٩ أبو الطاهر بن عوف
٢٩ أبو بكر بن العربي
٣٠ المهدي بن تومرت
٣١ مؤلفات أبي بكر الطرطوشي
٣١ مختصر تفسير الثعالبي
٣٢ الكتاب الكبير في مسائل الخلاف
٣٢ شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني
٣٢ كتاب الأسرار
٣٢ كتاب يعارض به كتاب الإحياء
٣٣ رسالة في تحريم جبن الروم
٣٤ الحوادث والبدع
٣٤ كتاب الفتن
٣٤ كتاب بر الوالدين
٣٤ رسالة في تحريم الغناء واللهو على الصوفية
٣٤ كتاب تحريم الاستمنا
٣٤ كتاب نزهة الإخوان المتحايين في الله
٣٤ رسالة العدة عند الكرب والشدة
٣٤ حاشية على إثبات الواجب
٣٤ كتاب الدعاء
٣٤ كتاب النهاية في فروع المالكية
٣٥ كتاب نفائس الفنون
٣٥ اختصار كتاب « أخلاق رسول الله ﷺ »
٣٥ جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد

٣٥	ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقير
٣٥	رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى ابن تاشفين
٣٥	المجالس
٣٥	مرآة الملوك
٣٥	الهدف من تأليفه
٣٥	الكتب المصنفة على منواله
٣٧	منهج الطرطوشي في تأليف الكتاب
٣٨	مخطوطات الكتاب وطبعاته
٣٩	وصف نُسخَتَي التحقيق
٣٩	وصف نسخة المطبعة الخيرية
٤١	وصف مخطوطة الكتاب
٤٣	منهج التحقيق
٣	مقدمة المؤلف
١٧	الباب الأول : في مواعظ الملوك
١١٧	الباب الثاني : في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلطين
١٥٩	الباب الثالث : فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الفرر والخطر .
	الباب الرابع : في بيان معرفة مُلك سليمان بن داود ، عليهما السلام ،
١٧٨	ووجه طلبه المُلك وسؤاله أن لا يُؤتمنى لأحد من بعده
١٨٢	الباب الخامس : في فضل الولاة والقضاة إذا عدلوا
	الباب السادس : في أن السلطان مع رعيته مقبون غير غابن ، وخاسر غير
١٩٣	رابع
١٩٨	الباب السابع : في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض
٢٠٢	الباب الثامن : في منافع السلطان ومضارّه

٢٠٥	الباب التاسع : في بيان منزلة السلطان من الرعية
	الباب العاشر : في بيان معرفة خصال وَرَدَ الشرع بها ، فيها نظام المُلْك
٢٠٨	والدول
	الباب الحادى عشر : في بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ،
٢١٣	ولا ثبات له دونها
	الباب الثانى عشر : في التتبع على الخصال التى زعم الملوك أنها أزالَت
٢٢٥	دولتهم وهدمت سلطانهم
	الباب الثالث عشر : في الصفات الذاتية التى زعم الحكماء أنها لاتدوم
٢٣٢	معها مملكة
٢٣٩	الباب الرابع عشر : في الخصال المحمودة في السلطان
٢٤٣	الباب الخامس عشر : فيما يَحْزُنُ به السلطان
٢٤٦	الباب السادس عشر : في ملاك أمور السلطان
٢٤٩	الباب السابع عشر : في خير السلطان وشر السلطان
٢٥٢	الباب الثامن عشر : في منزلة السلطان من القرآن
٢٥٤	الباب التاسع عشر : في خصال جامعة لأمر السلطان
٢٦٠	الباب المؤلفى عشرين : في الخصال التى هى أركان السلطان
٢٦٢	الباب الحادى والعشرون : في بيان حاجة السلطان إلى العلم
٢٦٩	الباب الثانى والعشرون : في وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب
٢٧٢	الباب الثالث والعشرون : في العقل والدهاء والمكر
٢٨٧	الباب الرابع والعشرون : في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم
٢٩٦	الباب الخامس والعشرون : في المجلساء وآدابهم
	الباب السادس والعشرون : في بيان معرفة الخصال التى هى جمال
٣٠٥	السلطان

٣١٩	الباب السابع والعشرون : فى المشاورة والنصيحة
٣٣٢	الباب الثامن والعشرون : فى الجلم
٣٥٣	الباب التاسع والعشرون : فيما يَسْكُن به الغضب
٣٥٨	الباب الثلاثون : فى الجود والسخاء
٣٨٦	الباب الحادى والثلاثون : فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما
٣٩٠	الباب الثانى والثلاثون : فى الصبر
٤١٣	الباب الثالث والثلاثون : فى كتمان السر
	الباب الرابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى هى رهن بسائر الخصال ،
٤٢٣	وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذى الجلال - وهى الشكر
	الباب الخامس والثلاثون : فى بيان السيرة التى يصلح عليها الأمير
٤٤٣	والمأمور ، ويستريح إليها الرئيس والمرعوس ، مستخرجة من القرآن العظيم ..
	الباب السادس والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها غاية كمال السلطان ،
٤٥٠	وشفاء الصدور ، وراحة القلوب ، وطيبة النفوس
	الباب السابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها ملجأ الملوك عند
٤٥٤	الشدائد ، ومقفل السلاطين عند اضطراب الأمور وتغير الوجوه والأحوال
٤٥٨	الباب الثامن والثلاثون : فى بيان الخصال الموجبة لزم الرعية للسلطان
٤٦٠	الباب التاسع والثلاثون : فى مثل السلطان العادل والجائر
٤٦٢	الباب الموفى أربعين : فيما يجب على الرعية إذا جاز السلطان
٤٦٧	الباب الحادى والأربعون : فى : كما تكونون يؤلى عليكم
٤٧٠	الباب الثانى والأربعون : فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية
٤٧٧	الباب الثالث والأربعون : فيما يملك السلطان من الرعية
٤٨٠	الباب الرابع والأربعون : فى التحذير من صحبة السلطان
٤٨٥	الباب الخامس والأربعون : فى صحبة السلطان

٤٩٢ الباب السادس والأربعون : في سيرة السلطان مع الجند
٤٩٥ الباب السابع والأربعون : في سيرة السلطان في استجباء الخراج
٥٠٠ الباب الثامن والأربعون : في سيرة السلطان في بيت المال
 الباب التاسع والأربعون : في سيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال ،
٥٢٠ وسيرة العمال
 الباب الموفى خمسين : في سيرة السلطان في تدوين الدواوين ، وفرض
٥٣٣ الأرزاق ، وسيرة العمال
٥٤٢ الباب الحادى والخمسون : في أحكام أهل الذمة
٥٥١ الباب الثانى والخمسون : في بيان الصفات المعتبرة في الولاة
 الباب الثالث والخمسون : في بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على
٥٦٠ العمال
٥٦٩ الباب الرابع والخمسون : في هدايا العمال والرشا على الشفاعات
٥٧٣ الباب الخامس والخمسون : في معرفة حُسن الخُلُق
٥٩١ الباب السادس والخمسون : في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته
 الباب السابع والخمسون : في تحريم السعاية والتميمة وقبحهما ، وما يؤول
٦٠٩ إليه أمرُهُما من الأفعال الرديئة والعواقب الذميمة
٦٢٢ الباب الثامن والخمسون : في القصاص وحكمته
٦٣٣ الباب التاسع والخمسون : في الفرج بعد الشدة
 الباب الستون : في بيان الحصلة التى هى أُم الخصال وينبوع الفضائل ،
	وَمَنْ فَقدها لم تكمل فيه خصلة - وهى الشجاعة ، ويُعبّر عنها بالصبر ،
٦٦٧ ويُعبّر عنها بقوة النفس
٦٧٧ الباب الحادى والستون : في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها ...
٧٠٦ الباب الثانى والستون : في القضاء والقدر والتوكل والطلب

٧٢٠ (وهو يشتمل على خمسة فصول)	الباب الثالث والستون : وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم
٧٥٧	الباب الرابع والستون : مشتمل على حكم منثورة
٧٨٩	فهارس الكتاب
٧٩١	١ - فهرس الآيات القرآنية
٨٠٦	- فهرس الأحاديث النبوية
٨١٦	فهرس القوافي
٨٢٧	فهرس الأعلام
٨٤٤	فهرس الأماكن والبلاد والبقاع
٨٤٨	فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف
٨٥٣	مصادر ومراجع التحقيق والتعليق
٨٦٤	فهرس المحتويات

تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً .
